موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة (7)

الاستشراق

الباب السابع

الاستشراق

إعداد

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

الباب السابع

الاستشراق

#الإسلام وتضليل الاستشراق

مبارك بقنه

عندما يشرع الشخص لدراسة الإسلام عن طريق الكتب المكتوبة باللغات الغربية – والتي كُتبت بأقلام غير إسلامية – يدرك بوضوح التحريفات المتأصلة والمنتشرة تقريباً في كل هذه المؤلفات، على الأقل منذ العصور الوسطى، فقد أُفتري على الإسلام كثيراً، وأُسيء فهمه بشدة في الغرب، ولا يبدو أن هناك تغيراً كبيراً في السنوات الأخيرة من القرن العشرين بالرغم من الانبهار الذي يعيشه كثير من المسلمين بهذا التقدم.

الدوافع المشكوك فيها والجهل العام:

وعن جهل الغرب بالإسلام، ودوافع المستشرقين؛ كتب الصحفي والمؤلف السويسري روجردو باسكور ملخصاً رائعاً وهو: " أن الغرب – سواء الكنيسة، أو مناهضين الكنيسة – لم يعرفوا مطلقاً الإسلام الحقيقي، فمنذ رأوا الإسلام يظهر على المسرح العالمي لم يتوقف النصارى عن التشنيع والافتراء على الإسلام لإيجاد مبرراً لشن الحرب عليه، وقد خُضع الإسلام لتحريفات بشعة غريبة والتي لا زال آثارها مستقراً في العقل الغربي، ويوجد اليوم كثير من الغربيين والذي يتلخص عندهم الإسلام في ثلاثة أفكار: التعصب، والجبرية، وتعدد الزوجات، بالطبع الثقافة العامة الكبيرة لا زالت أفكارهم عن الإسلام أقل تشوهاً، ولا يزال يوجد هناك قلة نادرة الذين يعرفون أن كلمة الإسلام لا تعني سوى " الخضوع لله "، وأحد علامات الجهل الحقيقية في تصور معظم الأوروبيين أن " الله" يرجع معناه إلى الألوهية عند المسلمين، وليس الإله عند النصارى أو اليهود، وكلهم يتفاجئون عندما يسمعون شرحنا لهم أن " الله " يعني "God"؛ بل حتى نصارى العرب لا يعرفون الله إلا بهذا الاسم.

لقد خُضع الإسلام للدراسة من قبل المستشرقين الغربيين خلال القرنيين الماضيين مما جعلهم ينشرون كتباً علمية كثيرة عن الإسلام، وبالرغم من قيمة أعمالهم،

خصوصاً في الحقول التاريخية والفلسفية، فقد كانت مساهمتهم قليلة لفهم أفضل للدين الإسلامي في الوسط النصراني، أو ما بعد الوسط النصراني، ببساطة فقد فشلوا في إثارة اهتمام جاد خارج دوائرهم الأكاديمية المتخصصة، وأيضاً يُدفع الشخص للتسليم بأن دراسات المستشرقين في الغرب لم تُلهم غالباً بالروح الحيادية العلمية المحضة، كذلك من الصعب أن ننكر أن بعض الإسلاميين والعرب قد عملوا بنية بريئة للاستخفاف بالإسلام والملتزمين به، وهذا الاتجاه أُظهر خصوصاً – للأسباب السابقة – في أوج أيام الإمبراطوريات الاستعمارية، وقد يكون من المبالغة القول بأنهم قد انتهوا بدون أثر.

هذه بعض الأسباب لماذا يبقى الإسلام حتى اليوم يُساء تقديره لدى الغرب، وهناك تعاطف واهتمام كثير لدى الديانات الأسيوية كالبوذية والهندوسية، وبالرغم أن الإسلام أقرب إلى اليهودية والنصرانية فهي تنساب من نفس المصدر الإبراهيمي، وبالرغم من هذا فلعدة سنوات كان يبدو أن ظروف خارجية – وخصوصاً للأهمية المتنامية للبلدان الإسلامية العربية في الشؤون السياسية والاقتصادية العالمية – أدت إلى إثارة الاهتمام المتزايد للإسلام في الغرب.

الشعور بوجود جهل عام عن الإسلام لدى الغربيين ذُكر أيضاً من قبل الدكتور "موريس بوكيلي" حيث يقول: " عندما يُذكر الإسلام لأحد الملحدين الماديين؛ فإنه يتبسم برضا، والذي يتساوى جهله عن الإسلام بشكل مشترك مع أغلبية المفكرين الغربيين، لأي طائفة دينية، فإن لديهم مجموعة انطباعات من المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، ومن هذه النقطة يجب على الشخص أن يلتمس عذراً أو عذرين: أولاً: بعيداً عن المواقف الحديثة المتبقاة والتي تسود وسط أعلى السلطات الكاثولوكية فإن الإسلام كان خاضعاً دائماً في الغرب لما يُسمى " التشويه العلماني"، فأي شخص في الغرب والذي قد اكتسب معرفة عميقة عن الإسلام يعرف مدى التشويه الذي نال التاريخ وعقيدته وقيمه، ويجب أن يأخذ الشخص في الاعتبار أن الحقيقة في الوثائق المنشورة باللغات الأوروبية فيما يتعلق بهذا الموضوع (بغض النظر عن الدراسات المتخصصة العالية) لا تجعل العمل أيسر للشخص الراغب في التعلم " (من كتاب " الإنجيل، والقرآن، والعلم" ص 118)

الاستشراق: التعريف الشامل:

إن الظاهرة المعروفة بالاستشراق عموماً ليست سوى مظهراً واحداً من مظاهر التحريفات الغربية للإسلام، ومعظم المسلمين اليوم في الغرب ربما يتفقون بأن الحجم الأكبر – فيما يخص عدد الناس الذين تُوصلوا بمثل هذه المعلومات – للمعلومات المشوهة عن الإسلام تأتي من أجهزة الإعلام سواء في الصحف، أو في المجلات، أو في التلفاز، فوسائل الإعلام لديها مزيد من التأثير الواسع الانتشار لرؤية الغرب عن الإسلام أكثر من المنشورات الأكاديمية للمستشرقين والمستعربين والإسلاميين.

وفي السنوات الأخيرة فإن المجال الأكاديمي لما اعتاد أن يُعرف بـ" الاستشراق" أعيدت تسميته في معظم الكليات والجامعات الغربية لـ " دراسات المنطقة" أو " الدراسات الإقليمية"، هذه المصطلحات السياسية المصححة أخذت مكان كلمة "الاستشراق" في الدوائر العلمية منذ تلوث الكلمة الأخيرة بمفهوم إمبريالي سلبي كبير بسبب المستشرقين أنفسهم، لكن بالرغم من أن أعمال العلماء الذين يتابعون هذه المجالات لا تصل لعامة الناس، فهم يسقطون في أغلب الأحيان في أيدي الطلاب وأولئك المهتمون شخصياً في التعلم أكثر عن الإسلام، وبهذا أي باحث عن الإسلام – خاصة أولئك الذين في الغرب – يحتاج أن يكون مدركاً للظاهرة التاريخية للاستشراق كمهنة أكاديمية، أو كوسائل للاستغلال الثقافي.

وعندما استخدم كلمة "الاستشراق" من قبل المسلمين والتي أصبحت تعود عموماً إلى أي عالم غربي يدرس الإسلام – بصرف النظر عن الدوافع – وعليه حتماً فإنه يحرّف الإسلام، وكما نرى بالرغم من أن الظاهرة الاستشراقية أكثر من مسعى أكاديمي قال العالم المسيحي العربي المشهور " إدوارد سعيد" المؤلف لعدة كتب تكشف عيوب نظرة المستشرق فإنه يعرّف "الاستشراق" كالتالي: "... أي شخص يعلّم، ويكتب، أو يبحث عن الشرق – وهذا ينطبق على أي شخص – سواء كان عالماً في الإنسانيات، أو عالما في الاجتماع، أو مؤرخاً، أو سواء كان في الفلسفة في مظاهرها العامة أو المتخصصة، فهو مستشرق، ومما يعمله هو الاستشراق" من كتاب "الاستشراق" لإدوارد سعيد ص 2.

" لتتحدث عن الاستشراق فعليك أن تتكلم بشكل عام وليس بشكل حصري عن المشروع الثقافي الفرنسي والبريطاني، المشروع الذي أخذت أبعاده في هذه العوالم المتباينة كالخيال نفسه، فكل الهند والمشرق، والنصوص التوراتية والبلاد الإنجيلية، وتجارة التوابل، وجيوش الاستعمار الطويلة، والتعاليم لمدراء الاستعمار، والمجموعة العلمية الضخمة، والخبراء والعمال الشرقيين غير المحدودين، والأساتذة الشرقيين، والترتيب المعقد من الأفكار الشرقية (الاستبداد الشرقي، والعظمة الشرقية، والقسوة، والشهوانية) والعديد من الطوائف الشرقية، والحكم المدجنة للاستعمال الأوروبي المحلي – والقائمة يمكن أن تمدّد تقريباً بشكل غير محدد –. " من كتاب " الاستشراق" لإدوارد سعيد ص 4.

وكما الوضع مع العديد من الأشياء أن تكون مدركاً للمشكلة فذلك نصف المعركةن وعندما يكون الباحث عن الحقيقة صادقاً مدركاً لسوء الفهم، والعداوة طويلة المدى بين الإسلام والغرب – ويتعلم أن لا يثق في كل شيء يراه مطبوعاً – فإن المعرفة والمعلومات الأصلية يمكن أن يحصل عليها بسرعة كبيرة، بالتأكيد ليس كل الكتابات الغربية عن الإسلام لديها نفس الدرجة من التحيز – فهم يدورون في مدى من التشويه المتعمد، والجهل البسيط – فيوجد هناك قلة يمكن أن تصنف كجهود مخلصة من قبل غير المسلمين لتصور الإسلام في ضوء إيجابي، لكن حتى معظم هذه الأعمال مًبتلية فيما يبدو بالأخطاء غير المقصودة نتيجة نقص المؤلفات عن المعرفة الإسلامية، وبروح العدالة ينبغي أن يقال حتى بعض الكتب المعاصرة عن الإسلام من قبل مؤلفين إسلاميين تعاني من نفس هذه العيوب، عادة بسبب نقص في المعرفة، أو أفكار ضلالية، أو الاعتماد على مصادر غير إسلامية.

هذا الذي قيل عن التعليم عن الإسلام في الغرب – خصوصاً عند الاعتماد على أعمال اللغات الأجنبية – ينبغي أن يأتي بلا مفاجئة، قبل عقود قليلة مضت فإن الشخص المتحدث الإنجليزية والمهتم بالإسلام والذي لديه الرغبة لتحديد قراءته بالأعمال المؤلفة من قبل المسلمين ربما حُدّدا لقراءة ترجمة القرآن، وقليل من كتب الحديث المترجمة، وبضعة أبحاث بحجم الكتيب، وبالرغم من ذلك ولعدة سنوات مضت فالانتشار الواسع للكتب الإسلامية – المكتوبة من قبل مسلمين مؤمنين

وملتزمين – وعدم مجيء الإنترنت جعل الحصول على المعلومة الحقيقية بأي أمر يتعلق بالإسلام أمر عسير، واليوم بالكاد يمضي أسبوع بدون ما يعلن عن ترجمة إنجليزية لعمل إسلامي أصيل، ومما تجعله – في ذهنك في محاولة تعلم الإسلام – فأنا أشجع القارئ ليستشير عن الكتب المؤلفة من قبل كتاب إسلاميين، يوجد مدى كبير من موزعي الكتب الإسلامية الذي يمكن أن تتصل به خلال الإنترنت.

الأهداف الاستعمارية والمبشرون المتلهفون:

الانتقال إلى نظرة أكثر تفصيلاً عن التشويه الغربي للإسلام بصفة عامة وفي الاستشراق بصفة خاصة.. يقول "إدوارد" العربي النصراني في كتابه الضخم "الاستشراق" والذي أشار فيه بدقة إلى الاستشراق "المشروع الثقافي": " هذا بالتأكيد ليس تحريفاً، منذ الدراسة الجامعية للشرق الشرقي عن طريق الغرب الغربي حُفز في أغلب الأحيان – وتعاونت غالباً يداً بيد – مع الأهداف الاستعمارية للقوى الاستعمارية الغربية، وبدون شك فإن أساسيات الاستشراق كمسلمة عامة "اعرف عدوك"، وعندما بدأت "الأمم النصرانية" في أوروبا حملتهم الطويلة للاستعمار، وغزو بقية العالم لتحقيق مصالحهم، جلبوا مصادرهم التبشيرية والأكاديمية لكي تساعدهم في مهنتهم، المبشرون والمستشرقون – الذين تتداخل الصفوف بينهم في الغالب – كانوا في الغالب أكثر من الخدم للحكومة الإمبريالية والتي كانت تستخدم خدماتهم كطريق لإخضاع وإضعاف العدو، ولكن بشكل مهذب فيما يتعلق بالإسلام والمناطق الإسلامية، مثال ذلك شعرت بريطانيا – كقوة نصرانية – أن لديها مصالح شرعية يجب حمايتها، فأنشئت جهاز لإدارة وتطوير هذا المصالح مثل التنظيمات لترويج المعرفة النصرانية في المجتمع (1698)، ولنشر التعاليم في مجتمع البلدان الأجنبية (1701)، وورثت وحرّضت فيما بعد بالمجتمع التبشيري المعمداني (1792)، ومجتمع الكنيسة التبشيري (1799)، ومجتمع التوراة البريطاني والأجنبي (1804)، ومجتمع لندن لترويج النصرانية بين اليهود (1808)، وهذه الإرساليات المنفتحة انضمت إلى التوسع الأوروبي "(من الاستشراق لإدوارد ص 100).

أي شخص يدرس هذا الموضوع يعرف أن المبشرين النصارى كانوا مشاركين راغبين في الإمبريالية الأوروبية، بغض النظر عن الدوافع النقية أو سذاجة بعض الأفراد من

المبشرين، ففي الحقيقة عدد كبير نسبياً من علماء الاستشراق كانوا مبشرين نصارى، ومن الأمثلة البارزة على ذلك وليم ميور الذي كان مبشراً نشطاً، ومؤلفاً لعدة كتب عن الإسلام، وكانت كتبه متحيزة جداً، ودراساته ضيقة الأفق إلا إنهم جعلوها إلى يومنا هذا مراجع للذين يريدون مهاجمة الإسلام، وينبغي أن لا نتفاجأ إذا هؤلاء النصارى كانوا مصدراً لبعض الأكاذيب والتحريفات الأسوأ عن الإسلام، وقد كانت تحريفات النصارى والأكاذيب التامة عن الإسلام واسعة الانتشار كالمشاهد التالية:

" بالكاد يدرس تاريخ الاستشراق دون تحيز لمصادر الإسلام خصوصاً عندما كان تحت تأثير التعصب النصراني، من التحريفات المتعصبة لجون الدمشقي إلى المعتذرين من الكتاب المتأخرين ضد الإسلام الذي أخبر مشاهديهم أن المسلمين عبدوا ثلاثة أوثان! " ترجم بيتر (1156ـ1084)، القرآن والذي أُستخدم خلال العصور الوسطى وشمل تسعة فصول إضافية، وهذه الترجمة السيئة المحرفة المباعة حذت حذو الترجمات السابقة، وسارت بنفس الاتجاه كما مع رودريل، وموير. وآخرون هاجموا شخص وصفات محمد، وفي أغلب الأحيان وضّفوا القصص المخترعة والروايات التي يعتبرها المسلمون ضعيفة أو مكذوبة، أو شيء آخر، فإنهم أزالوا الحقائق بادعائهم أن المسلمين حلوا في موضع ليس هم فيه أهل، أو استخدموا العادات الخاطئة الممارسة بطريق الجهل بين المسلمين كتصوير دقيق للإسلام، بينما فورمان داينال يخبرنا في عمله "الإسلام والغرب": " استخدام الدليل الكاذب لمهاجمة الإسلام كان كُلاً لكن عالمي.. " من " شرح موثوق" الجزء الأول ص 267 لعبد الرحيم الأخضر.

وهذه النظرة أُكدت من قبل المؤرخ الشرق الأوسطي المشهور بيرنارد لويس عندما كتب:

" درست النصرانيةُ في القرون الوسطى الإسلام لغايات مزدوجة لحماية النصارى من مداهنات المسلمين، وتحويل المسلمين إلى النصرانية، والعلماء النصارى – معظمهم من قسيسين ورهبان – أوجدوا مجموعة مؤلفات متعلقة بالدين، ونبيه، وكتابه، بجدلية عنيفة في صميم الدين، وغالباً بلغة بذيئة من أجل أن تحمي وتثبط بدلاً من أن تُعلم." من كتاب " الإسلام والغرب" لبيرنارد لويس ص (85 . 95).

المصدر : http://mubark.buqnah.net

============

#الجهاد بين عقيدة المسلمين وشبه المستشرقين

العوض عبد الهادي العطا

"...اهتم المستشرقون بأمر الجهاد الإسلامي وناقشوه كثيراً وأثاروا حوله الافتراضات والشبه، وحاولوا أن يشوهوا روح الجهاد ومغزاه، ورغم أن المسلمين أوضحوا أن غايتهم نشر الإسلام، وأن القتال ليس غاية في حد ذاته... "

بدأت الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة حين بعث الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكانت دعوة دينية خالصة لتوحيد الله ونبذ الشرك وعبادة الأوثان، مستندة إلى قوة الحجة والإقناع والموعظة الحسنة، فاستجاب لهما نفر من قريش، وصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم وشدوا من أزره وساندوه ونصروه، فنالوا سبق الدخول في الإسلام، وحملوا لواءه وظلوا على ذلك العهد حتى عم الإسلام أرجاء الأرض، ولم يتزحزحوا ولم تؤثر فيهم الأهواء والمغريات حين تأثر بها الناس. والملاحظ أن أول من أسلم كانوا من الشباب ومن لدات الرسول صلى الله عليه وسلم أو ممن لا يكبرونه في السن كثيراً.

أما الشيوخ المسنون فلم يستجيبوا لدعوته، وكان من العار على المسن تغيير ما هو عليه من موروث قبيلته وآبائه وأجداده، فتأثروا بعرفهم وتقليدهم عن رؤية الحق والصواب، ولكن دخل في الإسلام جماعة من المستضعفين من أهل مكة الذين وجدوا الإسلام نصرة لهم، واشتد البلاء وعمت المحن علىِ المسلمين في مكة، ولذلك لم يتمكنوا من إقامة مجتمع إسلامي متكامل، ولكنهم كانوا أفراداً معروفين، آمنوا بالله ورسوله وتكونت فيهم أخلاق الإسلام الصحيحة وملأت نفوسهم قيمه ومثله. وحين أعز الله رسوله بالهجرة والنصرة تميزت صورة المجتمع في المدينة وصار الناس على ثلاثة أقسام، المؤمنين الذين آمنوا بالله ظاهراً وباطناً والكفار وهم الذين أظهروا الكفر، والمنافقين وهم الذين آمنوا ظاهراً لا باطناً[1] وسارت الدعوة إلى الإسلام من خلال ذلك في عدة مراحل، أولها مرحلة النبوة، تقول عائشة رضي الله عنها: "إن أول ما بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد

به، الرؤيا الصادقة، لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح، وحبب الله إليه الخلوة فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده"[2].

والمرحلة الثانية إنذار عشيرته الأقربين، ثم إنذار قومه صلى الله عليه وسلم من قريش، ثم إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة، ثم إنذار جميع من بلغته الدعوة الإسلامية إلى آخر الدهر[3]. وفي المدينة المنورة انتشر الإسلام، وتكونت جماعة مؤمنة متجانسة آخذة في النمو من المهاجرين والأنصار كنواة للأمة الإسلامية، وهو إطار عريض يظهر لأول مرة في الجزيرة العربية على غير نظام القبيلة.

فقد انصهرت جماعة الأوس والخزرج في طائفة الأنصار ثم انصهر المهاجرون والأنصار في جماعة المسلمين، وبذلك تكونت جماعة كانت الأساس التاريخي للأمة الإسلامية ومهدت بذلك لكل من ينضم إليهم، قال ابن إسحاق في حديثه عن كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار وموادعة يهود: "هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس"[4] ومن ثم وضع الأساس الذي ينظم العلاقة بين هذه الأمة ومن سكن معهم من أهل الكتاب، ولأول مرة تردَّ أمور هذه الجماعات إلى نظام يحتكم إليه "وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو إشتجار يُخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم "[5].

وسارت الدعوة الإسلامية في مسارها لتوحيد الجزيرة العربية على دين الإسلام فغزا الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه بضع وعشرين غزوة، أولها غزوة بدر وآخرها غزوة تبوك، وكان القتال في تسع غزوات، فأول غزوات القتال بدر وآخرها حنين والطائف، وأنزل الله فيها ملائكته.

وعندما حاصر الطائف لم يقاتله أهلها زحفاً وصفوفاً كما حدث في بدر وحنين وإنما قاتلوه من وراء جدر[6]. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتولى أمور الجهاد ويضعها في اعتباره ويهتم بها ويقود المسلمين ويخرج بهم فوضع بذلك المثل والقدوة في تطبيق مفهوم الجهاد قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ

كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} الآية[7] وكان لذلك أكبر الأثر في انتشار الإسلام بصورة واضحة بين القبائل العربية منذ صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة، وأخذت الوفود تترى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عددَّ ابن سعد في الطبقات عند ذكره لوفود العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً وسبعين وفداً[8] وقد جاءوا إما عن رغبة صادقة أو رهبة وخوف، لأن الإيمان هبة من الله يمنحها الصادقين من عباده، فعندما جاءت بنو أسد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله أسلمنا وقاتلتك العرب ولم نقاتلك، فقال رسول الله صلى الله وسلم: "إن فقههم قليل وإن الشيطان ينطلق على ألسنتهم"، ونزلت هذه الآية {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} الآية[9].

ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم واصل جواده بعد أن ضرب الإسلام بجرانه في الجزيرة العربية، فأرسل الكتب إلى كبار الملوك آنذاك في العالم الحيَّ يعرض عليهم اعتناق الإسلام، فبعث إلى إمبراطور الروم وإلى نجاشي الحبشة وإلى كسرى ملك الفرس، والمقوقس صاحب الإسكندرية (مصر) وإلى أمراء الغساسنة وغيرهم[10] فأجاب بعضهم إجابة مهذبة وثار آخرون وتوعدوا.

وتأكيداً لتحقيق تلك المرحلة من مراحل الدعوة[11] حدثت بعض الغزوات، وأعد الرسول صلى الله عليه وسلم بعث أسامه بن زيد، وهو البعث الذي أنفذه الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه. ولكن الدعوة الإسلامية واجهت صراعاً متصلاً بين المبادئ الإسلامية الداعية إلى الوحدة والإخاء والمساواة والسلام، وبين الاتجاهات العنصرية الداعية إلى عصبية القبيلة والتفكك والانقسام.

واشتد ذاك الصراع عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، فحدث ارتداد العرب عن الإسلام، والذي مثّل مظهراً من مظهراً التصادم بين العقيدة الإسلامية وبين القبلية الجاهلية، فقد انتعشت روح العصبية لدى بعض الزعامات القبلية التقليدية والتي لم يكن قد وقر الإيمان في قلوب بنيها، تلك العصبية التي حار بها الرسول صلى الله عليه وسلم وقضى عليها.

ولكن الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه تصدى لكل ذلك في قوة ورباطة جأش وإيمان صادق وعزم أكيد حتى أعاد للإسلام هيبته وللمسلمين وحدتهم، وصارت العقيدة الإسلامية هي الرابطة الوحيدة بين أبناء الأمة الإسلامية.

وكان بعث أسامة بن زيد بمثابة مواصلة الجهاد الذي أكده القرآن الكريم ومارسه الرسول صلى الله عليه وسلم والتزم به الخليفة أبو بكر الصديق في خطبته المشهورة عند مبايعته في المسجد "لا يدع أحد منكم الجهاد فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل.... "[12] ثم أخذ يحث المسلمين على الجهاد ويدعوهم إليه.

ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي العمل أفضل فقال: "إيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا قال: جهاد في سبيل الله، قيل ثم ماذا قال: حج مبرور"[13].

وقيل إن الإعراض عن الجهاد من خصال المنافقين، وفي الحديث: "من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغز ومات على شعبة نفاق"[14] وتتمثل في الجهاد حقيقة الزهد في الحياة الدنيا، كما يتجسد فيه الإخلاص، وقوة الإيمان تمنح المسلم القدرة في مواجهة العدو مهما كانت قوته وكان عدده. ولم يكن مفهوم الجهاد عند المسلمين يعنى نشر الإسلام عن طريق الحرب والسيف وحسب وإنما بمبادئه السمحة الكريمة ولذلك انتهجوا منهج الإسلام في الدعوة {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [15] الآية {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} الآية [16].

وقد وضح هذا المنهج في سياسة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عندما أعلن للمجاهدين حين توديع جيش أسامه بن زيد: "لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له وسوف تقدمون على قوم قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فأخفقوهم بالسيف خفقاً، اندفعوا باسم الله" [17].

ولما كانت الدعوة إلى الإسلام هي الغاية المنشودة لذلك كان المسلمون يعرضون على خصومهم خيارات ثلاثة، إما الإسلام وكانوا يشرحونه ويحسنونه لهم، وإما أن يقبلوا دفع الجزية، وإذا رفضوا هذين الخيارين فإن الحرب واجبة تأكيداً لقول الله تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} الآية [18] وقد أخذت الجزية على أسس من الحق والعدل والرحمة، وتؤخذ على الرجل القادر البالغ العامل الحر، ولا تجب على الأعمى والمسكين وأهل الصوامع إلا إذا كان لهم يسار، وهي واجبة على جميع أهل الذمة[19].

ومن ثم أصبح كثير من اليهود والنصارى على دينهم ودخلوا في ذمة المسلمين، بل إن بعضهم شارك في الأعمال الإدارية مثل أعمال الحسابات ومسك الدفاتر وظهرت روح التسامح في معاملة المسلمين لغيرهم حتى أحس أهل هذه البلاد بالطمأنينة والحرية والعدالة وحسن المعاملة في أموالهم وأعراضهم وأعمالهم. وقد عقد المسلمون مع كثير من أهل البلاد العهود والمواثيق، يدفعون بموجبها الجزية للمسلمين، ونظير ذلك يجدون الحرية والأمن، يقول الماوردي: "وأما الجزية فهي موضوعة على الرؤوس واسمها مشتق من الجِزاء، إما جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغاراً، وإما جزاء على أماننا لهم لأخذها منهم رفقاً" ويقول: "فيجب على ولي الأمر أن يضع الجزية على رقاب من دخل في الذمة من أهل الكتاب ليقروا بها في دار السلام ويلتزم لهم ببذلها حقان: أحدهما الكف عنهم والثاني الحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين"[20].

ومع ذلك فالملاحظ أن المسلمين كانوا يقومون بواجب الدعوة وتبليغ أهل تلك البلاد بالإسلام، فعندما بعث الخليفة عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص إلى القادسية، وجد أن الفرس قد أمّروا على الحرب رستم من الفرخزاذ الأرمني، وأمده بالعساكر فكتب سعد إلى عمر بذلك، فكتب إليه عمر بن الخطاب: "لا يكربنك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتونك به واستعن بالله وتوكل عليه، وأبعث إليه رجالاً من أهل النظر والرأي والجلد يدعونه فإن الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم وفلجاً عليهم واكتب إليَّ في كل يوم"[21].

كما تمثلت في أعمال الجهاد عند المسلمين خصال فريدة، فقد وجه الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد أن يتآلف الناس ويدعوهم إلى الله عز وجل، وأمره ألا يكره أحداً على المسير معه وألا يستعن بمن ارتد عن الإسلام، وإن كان عاد إليه[22].

القوة والاستعداد وآلات الحرب من وسائل النصر:

لقد توفرت عند المجاهدين المسلمين قوة العقيدة والإيمان وارتفاع الروح المعنوية بأنهم خير أمة أخرجت للناس لها رسالتها في الدعوة، ولذلك كانوا لا يهابون الموت في سبيل ذلك إذ كان الظفر بالشهادة أمنية المجاهد المسلم مما يؤكد زهده في الدنيا مهما كانت مغرياتها.

وقد كانت العقيدة عند المسلم الصادق هي السلاح الرئيسي الذي يعتمدون عليه في كل المعارك، فهي تأتي عندهم في المقام الأول بين العوامل والدواعي التي تجعلهم يصمدون ويثبتون حيث يكون الفرار في حساب المقاييس العسكرية أمراً لا مفر منه بل ولا لوم على فاعله. ومع هذه القوة النفسية التي توفرت للمسلمين فقد تهيئوا من حيث العدة والعتاد أيضاً حتى اجتمعت لهم مقومات متكاملة للقتال {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[23].

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم حينما تلا هذه الآية وهو على المنبر قال: "ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي"[24].

وقد عرف عن هؤلاء المجاهدين أنهم قد امتازوا بخفة الحركة والمثابرة والصبر وتحمل الشدائد وبذل النفس والثبات في ميدان القتال وإظهار التضامن بينهم، والانضباط، فقد كانوا يقفون صفوفاً متراصة ليس لأحد منهم أن يتقدم من الصف أو يتأخر عنه عملاً بقول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}[25].

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في غزواته يراعي هذا الأمر ويحثهم عليه دائماً، لأن الانضباط وحسن النظام من دواعي الجيش الممتاز، ففي يوم بدر قام الرسول صلى الله عليه وسلم يسوي الصفوف وفي يده قدْح، فمر بسواد بن غزية وهو مستنتل

من الصف، فطعنه في بطنه بالقدح وقال: "استو يا سواد، فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل، قال: فأقدْني، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال: استقد، قال فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد، قال: يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير"[26].

وقد يسبق القتال التدريب وتعلم الرمي والمهارة فيه، فقد عرف عن المسلمين إجادتهم الرمي، وقد شكل الرماة عند المسلمين أهمية خاصة، ففي يوم أحد وضعهم الرسول صلى الله عليه وسلم على الجبل كغطاء أساسي لظهر المسلمين، وعند عبور المسلمين إلى المدائن عاصمة الفرس كانوا أمام الجيش يخوضون الماء وكانوا من أمهر الرماة، فإذا رموا أصابوا الهدف.

فاهتم المسلمون بالاستعداد التام من كل ناحية لمواجهة العدو، وهو عمل لابد منه ليستحق به المجاهدون نصر الله.

وقد اهتم الخلفاء الراشدون بإعداد الجيش وتنظيمه إقتداءً بالرسول صلى الله عليه وسلم، وكان عمر ابن الخطاب أول من جعل الجند فئة مخصوصة، فأنشأ ديوان الجند للإشراف عليه وتقييد أسمائهم ومقدار أرزاقهم وإحصاء أعمالهم.

وكان ديوان الجند الذي استخدمه عمر بن الخطاب أكبر مساعد له في تحسين نظام الجند وضبطه في الإسلام، مما ساعد في تحسين استعداد المسلمين الكامل عند خروجهم للجهاد[27].

وفي ضوء ذلك اهتموا بأدوات الحرب والقتال، فاهتموا بالخيل المعدة للجهاد لأن في إعدادها لهذا الغرض فضيلة كبيرة، وتدرب عليها شباب المسلمين ومارسوا الرمي وهم على ظهورها اعتنوا بها عناية فائقة، وفي الحديث "الخيل معقود في نواصيها الخير إلىِ يوم القيامة، الأجر والمغنم"[28] وكان أغلب جيش المسلمين في كثير من الأحيان يتألف أساساً من الفرسان، بل إن جيش سعد بن أبي وقاص يوم المدائن كان كله من الفرسان[29].

وكان المسلمون يتسلحون بالدروع والسيوف والرماح كما استخدموا أسلحة أخرى كانت ذات أهمية في القتال، قال ابن سعد رحمه الله في حديثه عن غزوة أحد:

"فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبس لامته وأظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من أدم من حمائل السيف واعتم وتقلد السيف والترس في ظهره"[30]ويعتبر السيف والدرع والرمح من الأسلحة الخفيفة، وكان للسيف أهمية خاصة عندهم.
كذلك عرفت بعض الأسلحة التي استخدمت في كثير من الحالات مثل: . المجانيق . والدبابات والضبور، ومما يدل على معرفتهم لهذه الأسلحة ما ذكره ابن هشام: "ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيدن بن سلمة كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور"[31]، قال السهيلي: "والدبابة آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها " وقيل: " آلات تصنع من خشب وتغشى بجلود ويدخل فيها الرجال ويتصلون بحائط الحصن".
قال ابن إسحاق: "حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابة ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليحرقوه" [32] وقيل: "أنها من آلات الحرب يدخل المحاربون في جوفها إلى جدار الحصن فينقبونه وهم في داخلها يحميهم سقفها وجوانبها". والمجانيق من آلات الحصار يرمى بها الحجارة الثقيلة، وقد ذكر ابن هشام أن الرسول صلى الله عليه وسلم أول من رمى بالمنجنيق، رمى أهل الطائف[33]، وهي أنواع منها ما يرمى بالحجارة ومنها ما يرمى بالزيت المغلي ومنها ما يرمى بالنبال.
وقد أقام سعد بن أبي وقاص على بهرسير شهرين يحاصرها ويرميها بالمجانيق ويدب إليها بالدبابات ويقاتلهم بكل عدة، وكان الفرس البادئين بالرمي والعرادات، فاستصنعها سعد، وأقام عليها عشرين منجنيقاً فشغلهم بها[34].
قال السهيلي: "والضبور جلود يغشى بها خشب يتقى بها في الحرب"، وقيل: استخدمت ليتقى بها النبل الموجه من عل، ويتقى بها في الحرب عند الانصراف، وفي اللسان: الضَّبره . جلد يغشى خشب فيها رجال تقرب إلى الحصون لقتال أهلها، ويجمع على ضبور[35].
وإلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرجع الفضل في إقامة الحصون والمعسكرات الدائمة لراحة الجند في أثناء الطريق بعد أن كانوا يقطعون المسافات

الطويلة على ظهور الإبل، ولا يرتاحون إلا في مظلات مصنوعة من سعف النخل، ومن ثم بنيت العواصم وأقيمت الحاميات لصد هجمات الأعداء المفاجئة[36].
وتطور الدفاع عن بلاد المسلمين والجهاد في سبيل الله بإقامة الربط لحماية الثغور، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم النفر رباط، وأصل الرباط ما تربط فيه الخيول وأن كل ثغر يدفع عمن وراءهم، والمدافع المجاهد يدافع عمن وراءه، والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد[37] وعند ابن تيمية أن المقام في ثغور المسلمين أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة لأن الرباط من جنس الجهاد، والمجاورة غايتها أن تكون من جنس الحج[38] قال تعالى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [39] وفي الحديث "رباط يوم وليلة (في سبيل الله) خير من صيام شهر وقيامه"[40]. ولم يكن المسلمون في أول عهدهم يرغبون في ركوب البحر، ولم يأذن الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لعماله بذلك، ولكن في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، أنشأ أول أسطول إسلامي، فقد أذن لمعاوية بن أبي سفيان في غزو الروم بحراَ، على ألا يحمل الناس على ركوب البحر كرهاً، فبرع المسلمون في ركوب البحر، وخاضوا المعارك فيه ورتب معاوية بن أبي سفيان الشواني والصوائف لغزو الروم.
وبعث عبد الملك بن مروان لما ولي الخلافة إلى عامله على أفريقية حسان بن النعمان يأمره باتخاذ صناعة بتونس لإنشاء الآلات البحرية[41] وعلل المقريزي امتناع المسلمين من ركوب البحر للغز وفي أول الأمر لبداوتهم ولم يكونوا مهرة من ثقافته وركوبه، وكان الروم والفرنجة قد تمرسوا عليه لكثرة ركوبهم له.
وعندما استقر أمر المسلمين تقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعتهم، واستخدموا من النواتية في البحرية أمماً وتكررت ممارستهم البحر وثقافته فتاقت أنفسهم إلى الجهاد فيه، وأنشأوا السفن والشواني وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح، واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب إلى هذا البحر على ضفته مثل الشام وأفريقية والمغرب والأندلس[42] وقد كان ميناء جدة ثغراَ هاماً للمسلمين باعتباره

مدخلاً للحرمين الشريفين، وهذا ما حمل المسلمين فيما بعد على تحصينها وإقامة سور قوي حولها لتأمين الأماكن المقدسة في مكة والمدينة من أي غارة وخاصة غارات الصليبين[43].

وقد برع المسلمون في صناعة السفن حتى صار علمهم في هذا الجانب تقلده أوربا وتنقله عنهم[44].

المستشرقون والدعوة الإسلامية:

وقد اهتم المستشرقون بأمر الجهاد الإسلامي وناقشوه كثيراً وأثاروا حوله الافتراضات والشبه، وحاولوا أن يشوهوا روح الجهاد ومغزاه، ورغم أن المسلمين أوضحوا أن غايتهم نشر الإسلام، وأن القتال ليس غاية في حد ذاته وإنما هو وسيلة لإزالة العقبات عن طريق الدعوة، ولكنهم عن قصد أو سوء فهم لأمر الجهاد أثاروا هذه الشبهة، وركز بعضهم مثل كيتاني وأرنولد على أقوال المسلمين، فعندما فرغ الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه من حروب الردة وجه الجيوش إلى الشام لمواصلة الجهاد ولذلك كتب إلى أهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم، فسارع الناس إليه بين محتسب وطامع وأتوا المدينة من كل باب[45] فتذرعوا بهذا القول مدعين أن هناك دافعاً مادياً، ولذلك يقول أرنولد: "إن أملهم (المسلمين) الوطيد في الحصول على غنائم كثيرة في جهادهم في سبيل الدين الجديد ثم أملهم في أن يستبدلوا بصحاريهم الصخرية الجرداء التي لم تنتج لهم إلا حياة تقوم على البؤس، تلك الأقطار ذات الترف والنعيم".

ثم يثير شبهة أخرى في أن هذه الفتوح الهائلة التي وضعت أساس الإمبراطورية العربية (كذا) لم تكن ثمرة حرب دينية قامت في سبيل نشر الإسلام، وإنما تلتها حركة ارتداد واسعة عن الديانة المسيحية حتى لقد ظُن أن هذا الارتداد كان الغرض الذي يهدف إليه العرب.

ويستنتج بأنه من هنا أخذ المؤرخون المسيحيون ينظرون إلى السيف على أنه أداة للدعوة الإسلامية.

وفي ضياء النصر الذي عُزي إليه حجبت مظاهر النشاط الحقيقي للدعوة. ويتفق أرنولد مع أستاذه كيتاني في أنه يعتبر توسع الجنس العربي على أصح تقدير هو

هجرة جماعة نشيطة قوية البأس دفعها الجوع والحرمان إلىِ أن تهجر صحاريها المجدبة وتحتاج بلاداً أكثر خصباً كانت ملكاً لجيران أسعد منهم حظاًً[46] وأنها آخر هجرة من الهجرات السامية.

ويقول أنه لا ينبغي أن نتلمس أسباب الانتشار السريع للعقيدة الإسلامية في أخبار الجيوش الفاتحة بل الأجدر أن نبحث عن ذلك في الظروف التي كانت تحيط بالشعوب المغلوبة على أمرها. والمعروف أن نداء الخليفة الذي أورده البلاذري إنما هو حث للقبائل لتسارع للجهاد ونشر الإسلام، فإن تحقق مكسب بعد ذلك فهو أمر لاحق لأصل.

ولم يكن القول (بأن جزيرة العرب كانت مجدبة فكان ذلك دافعاً للفتح والحروب)، وذلك لعدة أسباب، من ضمنها أن الجزيرة العربية حينذاك كانت قد تزايدت أموال أهلها بفضل النشاط التجاري الذي انتعش حينذاك، فعير قريش التي انتهت بغزوة بدر قيل أنها كانت مكونة من ألف بعير وأن الدينار ربح ديناراً، وأن ريعها استفادت منه قريش في تعبئة نفسها لغزوة أحد.

وأن سرية زيد بن حارثة إلى ذي قرد حصلت من قافلة قريش على كمية من الفضة وزنها ثلاثون ألف درهم[47] وكان موسم الحج من عوامل الانتعاش الاقتصادي، بالإضافة إلى أن الإسلام نظم الحياة الاجتماعية بين المسلمين، فأسلوب المؤاخاة بين المهاجرين والأنصارِ الذي طبقه الِرسول صلى الله عليه وسلم حقق التكافل الاجتماعي بين المسلمين[48] فكون بذلك مجتمعاً إسلامياً نموذجياًً.

ورغم بذخ الدولتين الروم وفارس، ومظاهر الأبهة والعظمة إلا أن ذلك لازمه استبداد وخلافات دينية وصراع حول الملك، على حين ألف الإسلام بين قلوب المسلمين، فمع مظاهر الزهد والتقشف في حياتهم، ظهر عليهم شدة الإيمان والحرص على الاستشهاد في سبيل الله[49] مما حقق لهم أعظم النتائج في المعارك التي خاضوها.

ويقول جودفروا: "يقود الخليفة الجهاد أي الحرب المقدسة ضد الكفار لحملهم على اعتناق الدين الإسلامي أو استرقاقهم أو قتلهِم أو إجبارهم آخر الأمر على دفع الجزية، ومع أن العلماء المسلمين يعتبرون الجهاد فرضاًَ واجباً على جميع

المسلمين إلا أنهم غير متفقين على قيمته الدينية، ولا يجعلونه جميعاً ركناً من أركان الدين الخمسة.

وأصول الجهاد توضح هذا التردد، فقد كان الرسول في بداية دعوته في مكة ضعيفاً جداً ولم يزوده القرآن بسلاح سوى الصبر والثقة بالله، ولكن بعد الهجرة إلى المدينة هبط الوحي يحث المسلمينِ على أن يقاوموا بقوة السلاح أولئك الذين طردوهم من ديارهم وأرادوا بهم شراًَ (ق: س 22، 39ـ 43) وبمناسبة غارة قام بها المسلمون لخرق الهدنة الجاهلية في الأشهر الحرم أمرهم القرآن (س 2: 212) أن يقاتلوا"[50].

هذا رأي المستشرق والملاحظ أنه يمتلئ بالأخطاء سواء عن قصد أو سوء فهم، من ذلك أنه يحور مفهوم الجهاد من أداة للدعوة ونشر الإسلام كما هو مضمونه الواسع المليء بالتسامح والصبر، إلى وسيلة للقتل والاسترقاق والنهب. ثم يتحدث عن سرية عبد الله ابن جحش على أنها غارة.

رهط من المهاجرين في رجب وكتب لهم كتاباًَ، فإذا فيه "إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم"[51] فالمطلوب من السرية الحصول على معلومات عن قريش، وليس في هذا أمر غريب بين أعداء احتمال الحرب بينهما وارد، ولكن لم يكن أمراً للسرية بالقتال فقوله إنها غارة فيه إجحاف وتجن.

وخاصة وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لهم عندما رجعوا: "ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام"، وظل الأمر معلقاً حتى أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم {يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ}[52] وما قاله هذا المستشرق لم يخرج عما قاله أعداء الإسلام حينذاك عندما قالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وغنموا الأموال وأسروا الرجال[53] وعموماً فإن الدراسات التي أعدت عن المستشرقين وتناولت مناهجهم اتفقت على أنهم يعالجون المسائل الإسلامية من وجهة نظرهم ووفق طرقهم ومناهجهم، فإن تخلوا عن الغرض، فقد تأثروا بالمنهج، وأدخلوا عوامل ومبررات في التوسع المبكر للإسلام، مثل عواقب الصراع بين الإمبراطوريات الساسانية والبيزنطية وعدم الاستقرار الداخلي للقوط في

أسبانيا، ولكنهم لم يربطوا بين ذلك الانتشار السريع للإسلام وبين العقيدة الإسلامية نفسها، فهل من الممكن أن يحدث ذلك الانتشار والتوسع بهذه الدرجة من غير الدين الإسلامي؟ [54].

——————————————————————————————————————

الهامش:

[1] ابن تيمية، أحمد، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج 28ص 431 (ط الأولى 13).

[2] ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ج 1، 2 ص 234 ط 2 (القاهرة 1375هـ). ولفظ البخاري رحمه الله " أول ما بدئ به الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء ..... " أنظر ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج1 ص22، ط السلفية (1380هـ).

[3] ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ا ص 38 (القاهرة 1373 هـ).

[4] ابن هشام، المصدر السابق، ج 1، 2 ص 501.

[5] نفس المصدر ص 504.

[6] ابن تيمية، المصدر السابق ج 28 ص 429.

[7] سورة الأحزاب الآية 21.

[8] ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، ج 1 ص 1 29ـ 359، (بيروت دار صادر).

[9] سورة الحجرات آية 17 انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 2.

[10] ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج 2 ص 329 ط 3 (بيروت، 1402 هـ).

[11] أنظر هذا البحث ص 2 (مراتب الدعوة).

[12] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، خ 2 ص 332 (بيروت 1399 هـ).

[13]ابن حجر، المصدر السابق، ج ا ص 77. (أنظر صحيح مسلم ج 1 ص 88 تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي).

[14]أحمد بن حنبل، المسند ج 2/ 374.

[15] سورة النحل آية 125.

[16] سورة البقرة آية 256.

[17] ابن الأثير المصدر السابق، ج 1 ص 335.

[18] سورة التوبة، آية 29.

[19] القاضي أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج (ضمن موسوعة الخراج) ص 122، (بيروت 1399 هـ).

[20] الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب، الأحكام السلطانية، ص 143 (بيروت 1402 هـ).

[21] ابن الأثير، المصدر السابق ج 2 ص 456.

[22] ابن كثير، البداية والنهاية، ج 5/ 6 ص 342 ط 2 (بيروت 1977م/ 1397 هـ).

[23] سورة الأنفال، آية 60.

[24] ابن تيمية، المصدر السابق ج 28 ص 9.

[25] سورة الصف، آية 4.

[26] ابن هشام، المصدر السابق، ج 1، 2 ص 626.

[27] علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص 535 (النهضة المصرية).

[28] ابن حجر، المصدر السابق، ج 6 ص 56. أنظر الترمذي، صحيح الترمذي، باب الجهاد، شرح الإمام بن العربي المالكي، ج7 ص6.

[29] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 2 ص 5.

[30] ابن سعد، المصدر السابق ج 2، ص 38.

[31] ابن هشام، المصدر السابق، ج 3. 4، ص478 أنظر السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن، الروض الأنف، تحقيق طه عبد الرؤوف ج 4 ص162. 163 (دار الفكر).

[32] ابن هشام، المصدر السابق ج 3 .4، ص 483.

[33] نفس المصدر.

[34] ابن الأثير.، المصدر السابق، ج 2 ص 509.

[35] جمال الدين محمد بن منظور لسان العرب، ج4 (فصل الضاد باب الراء) ص480 (بيروت، دار صادر).

[36] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ص 478 (النهضة المصرية، ط 7، 1964).

[37] المقريزي، تقي الدين أبى العباس، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج 2 ص 427 (بيروت، دار صادر).

[38] ابن تيمية، المصدر السابق، ج 28 ص 5.

[39] سورة التوبة، آية 19.

[40]أحمد بن حنبل، المسند، ج 5/0 44.

[41] المقريزي، المصدر السابق، ج 2 ص0 19.

[42] نفس المصدر.

[43] عبد القدوس الأنصاري، تاريخ مدينة جدة، ص70.

[44] حسن إبراهيم حسن، المصدر السابق، ج 1ص 484.

[45] البلاذري، أبو الحسن، فتوح البلدان، ص 111 (بيروت 1403 هـ).

[46] أرنولد، سيرتوماس، الدعوة الإسلامية (مترجم) ص 64 (القاهرة0 197 م).

[47] ابن سعد، المصدر السابق، ج 2 ص 36.

[48] عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ص 154 (مؤسسة الرسالة 1398 هـ).

[49] حسن إبراهيم حسن، المصدر السابق، ج 1ص 214.

[50] جودفروا، م. كتاب النظم الإسلامية، (باب الخلافة) مترجم، ص135.

[51] ابن هشام، المصدر السابق، ج ا. 2، ص 602.

[52] سورة البقرة، آية 217.

[53] ابن هشام، المصدر السابق، ج ا. 2، ص 604.

[54] راجع الدراسة التي أعدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، تحت عنوان (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية) جزآن (الرياض 1405 هـ/ 1985م).

15. 8 . 2005

المصدر: http://www.alqlm.com

================

#بل ظاهرة أصيلة عامة

من الأفكار التي يحاول أعداء الإسلام إشاعتها بالإلحاح بترددادها أن عودة المسلمين إلى التمسك بدينهم ووضعه في الاعتبار ليست ظاهرة أصيلة عامة، وإنما هي ظاهرة جزئية يقوم بها شباب يائس يعيش تحت ضغط ظروف اجتماعية واقتصادية صعبة، وأغلقت في وجهه كل الأبواب، فلجأ إلى الإسلام كنوع من الهروب من مشاكله، وصنع لنفسه جواً يشعر فيه بالأمان والاطمئنان! وقد جعلوا من عودة الشباب المسلم إلى الاعتزاز بعقيدته وإحلالها المحل الأول من حياته نوعاً من أحلام اليقظة التي لا تعدو عند الإغراق فيها أن تكون مرضاً نفسياً يحتاج إلى علاج! !.

وهذه النظرة القاصرة المغرضة نابعة ابتداء إما من التحامل على الإسلام كدين، والكراهية العميقة له؟ وإما من الآثار الفكرية للمبشرين والمتربين في معاهدهم ودهاليزهم. أي أنها تعود إلى سببين رئيسيين:

أ – كره للأديان عموماً والإسلام خصوصاً.

ب– جهل عميق بالإسلام؛ كيف ينتشر وكيف ينحسر.

إن هذه التحليلات المغرضة التي تمتلئ بها الصحف والمجلات أجنبية وعربية عن أسباب رجوع الإنسان إلى عقيدته تبدو مضحكة في كثير من الأحيان كما تبدو سمجة وثقيلة، وما أشبهها بكلام كثير من المستشرقين عن الإسلام وأحكامه، وعن شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، بل إن هذه التحليلات امتداد لذلك الفكر الذي أرساه المستشرقون، وعمل على ترسيخه أولياؤهم في عالمنا الإسلامي.

ونحن نقول: إنه على الرغم من غثاثة هذا الفكر وسطحيته فإنه يجد من يسمعه ويتعلق به ويعجب به من بيننا.

ويساعد على ذلك أن هناك تقصيراً سببه تقاعس أهل الفكر الصحيح، وأجواء فكرية تحدث من تكاسل هؤلاء؛ وجرأة أهل الباطل التي تحتضن الغث وتروجه، وتقصي النافع وتشوهه..

لكن الذي يفوت هذه التحليلات هو طبيعة الإسلام كعقيدة، وطبيعته في التفاعل مع الحياة، ويظنون أن العقيدة الإسلامية إذا كانت في حالة ضمور فهي في طريقها إلى الموت دائماً.

نعم: قد يوجد من تضمر عقيدته، ثم تموت، ولكن هؤلاء نسبتهم قليلة، وبما أن الساحة ليست لهؤلاء فقط، حتى لو حُوْول إخلاؤها لهم بكل السبل، فإن من طبيعة البشر عامة أن تستخدم الاستقراء والاستنتاج كعمليات منطقية بسيطة، فتدرس الظواهر هنا وهناك، وتستنتج منها نتائج تعمل بمقتضاها.

والمسلم إنسان قبل كل شيء، لو نظر حوله لوجد عشرات ومئات الظواهر والدلائل التي تلفته إلى دينه لفتاً، وتجعله يقتنع أنه لا يتلاعب به المتلاعبون ولا تجوز عليه الدعاوى والخدع إلا إذا كان رقيق الدين ضحل العقيدة.

هذا على المستوى الفردي.

أما على المستوى الجماعي سمه القومي أو الوطني إن شئت فإنه كما يستعبد فرد فرداً، ويهضم قوي حق ضعيف؛ فإن أمماً تأكل أخرى، وتذوب حضارات وتندثر وتبنى على أطلالها حضارات، ولا يودي بالأمة سوى ضعف العقيدة، وانحلال الروابط الدينية التي تجمع أفرادها ومؤسساتها، وعندما تنهزم الأمة نفسياً، فتتخلى عن قيمها ومفاهيمها، وتجلب قيم ومفاهيم القوي تطبقها راضية مختارة بلا تمحيص وبلا خجل؛ فهذا هو الانهيار والاندثار والذوبان بعينه.

وقد ينخدع بعض الناس فتنعكس عندهم السنة الكونية التي تقول: " حيث يكون الحق تكون القوة " فتصبح في نظرهم: " حيث تكون القوة يكون الحق " وهذا هو طريق الشيطان كما قال تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ ويَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ واللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وفَضْلاً واللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: 268] وهكذا فإن من طبيعة المسلم أنه يمكن أن يؤوب إلى الحق، وإلا لما كان هناك من التوبة، ويمكن أن يراجع نفسه فيصدقها وتصدقه، والله يحوطه ويرعاه سواء كان مهتدياً أو ضالاً، وهو رحيم بعباده

يصرِّف عليهم العبر والحوادث، ويمتحنهم بالمصائب والرغائب (إِنَّ الَذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ) [الأعراف: 201] " يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم " (جزء من حديث أبي ذر المشهور الذي رواه مسلم).

وكما يتوب المسلم عن الفواحش كالزنا، وشرب الخمر، والاستهتار بالمحرمات كذلك يتوب عن إهمال أمر الدين وعدم إحلاله المحل الأول في حياته وعن التغني بالشعارات والبدع التي تستورد من أعداء الله شرقاً وغرباً، ويتوب عن تجزئة الإسلام أجزاء؛ فهذا يرفضه، وهذا يقبله، وهذا ضروري؛ وهذا هامشي! وعن قياس الإسلام على سائر النحل والأديان الأخرى، واعتبار حاله بأحوالها، وعن تضييق المفهوم الرباني للإسلام وتقليصه إلى أن يقتصر على هذه الحركات التي تمارس في المسجد، وإلى هذه التراتيل التي تسمع عند موت شخص، ولا شيء بعد ذلك.

وباختصار، فكما تكون التوبة من الموبقات الخلقية والسلوكية وارتكاب الفواحش، والتهاون بأركان الإسلام؛ تكون أيضاً من الموبقات والفواحش الفكرية والعقيدية الشائعة.

وإذا شئنا أن نناقش تحليلات هؤلاء الجهلة بظواهر الأمور فضلاً عن جهلهم بنوايا المسلمين الذين يرجعون إلى دينهم زرافات ووحداناً فإن الأسباب الاقتصادية والاجتماعية التي يذكرونها لا تكفي وحدها لتفسير ذلك، وهذا تكذيب للواقع، وإساءة إلى هذه الجموع العريضة من الشباب المسلم الذي يجتهد في إثبات عقيدته والتمسك بهدي ملته، وتشكيك بتوجه هؤلاء؛ فلو كان العامل الاقتصادي هو الدافع فما بالنا بهؤلاء الذين اختاروا هذا الطريق على الرغم من البحبوحة التي يعيشون فيها؟ ماذا يدفعهم إلى هذا؟ أهو طمع في الزيادة؟ ! ثم ما بال هذه الجماهير التي ذاقت بسبب تمسكها بعقيدتها كل أنواع المحن من قتل وسجن وتضييق وتشريد..

ومع هذا لم ترض الدنية في دينها، ولم تفتنها التهديدات ولا الإغراءات عن التخلي عما تؤمن به؟ !.

إن طرق المغريات المادية والمعنوية لم تزل مفتوحة أمام طلاب الدنيا، وما على الإنسان الذي يريد المطامع الدنيوية إلا أن يشير ولو إشارة إلى امتعاضه من

المظاهر الإسلامية، ويتهجم على هذا التيار من الفهم والتفكير الذي يحس ويلمس بين الجماهير المسلمة؛ حتى يُخْتَضَن وترفع درجته لينصب إما أديباً عبقرياً، أو مفكراً مستنيراً جريئاً، وبعد أن يكون نكرة فقيراً مطوياً في براثن الإهمال والضعة؛ يصبح معرفة غنياً طافياً على سطح المجتمع.

إن تفسير رجوع الناس إلى دينها هذا التفسير الفج مثل تفسير كارل ماركس للتاريخ، وبقدر تهافت الماركسية وانهيارها؛ ستنهار هذه التفسيرات والتحليلات إن شاء الله.

وهذا التفسير والتفسير المادي للتاريخ هو نفسه تفسير المستشرقين والمستغربين للفتوح الإسلامية بأنها فتوحات وهجرات اقتصادية خرج فيها العرب من جزيرتهم تحت ضغط الحاجة، وانساحوا في البلاد للنهب والسلب لتحسين وضعهم الاقتصادي! وهكذا تجرد هذه الموجات الكاسحة من الشباب المسلم من أي دافع مشروع، ومن أي هدف نبيل، وتشوه صورتها لتبدو موجات مسعورة، تنشر الفوضى والتخريب، ليكون ذلك مسوغاً لضربها أو علاجها بكافة الطرق، تجرد هذه الجماهير من الأحفاد كما جردت أجدادها من الغايات السامية، والأهداف العظيمة، وتصاغرت تضحياتهم ودماؤهم المسفوحة في كل ربوة، وفوق كل ثرى لتكون من أجل البحث عن لقمة الخبز فقط، أما سبيل الله، والجنة، وجزاء الصابرين، وغسل العار، والعزة الإيمانية، وحرب الظلم والطغيان، والرباط، والشهادة، ومن هو في سبيل الله، ومن هو في سبيل الشيطان.

كل ذلك لا قيمة له ولا وجود له في نظر علماء الاجتماع الذين يبحثون في الظواهر الإسلامية وهم يعيشون خارجها.

ولكن أنى لإنسان أن يصف لك ألمك كما تشعر به حتى ولو كان طبيباً ألمعياً؟ تشتكى ما اشتكيتُ من ألم الشوق إليها والشوقُ حيث النحول وإذا خامَرَ الهوى قلبَ صب فعليه لكل عين دليل

المصدر : http://www.albayanmagazine.com

==============

#المستشرق المجري الدكتور روبرت سيمون

محمود بيومي

يؤكد المستشرق المجري الدكتور"روبرت سيمون" في لقاء له مع (الإسلام اليوم) بالقاهرة أنه أحب الإسلام لمزاياه التشريعية، ولسهولة تعاليمه الربانية، ولاحتوائه على ثروة هائلة من الحقوق الإنسانية التي تصون أمن المجتمعات البشرية، ولأنه دين سماوي خالد قائم على إرساء قواعد السلم والأمن في المجتمع الدولي كله.

وأشار إلى أن أحوال المسلمين في المجر تدعو للتفاؤل؛ لأن المسلمين في المجر استطاعوا تأسيس حضارة إسلامية راقية، ولأن الأقلية المسلمة في المجر من الأقليات المسلمة النشطة في قارة أوروبا، ولأن اللغة المجرية ليست لغة أوروبية وإنما لغة آسيوية تأثرت بالعروبة القرآنية.. وأضاف المستشرق المجري: إنني أعتبر الشورى في الإسلام فريضة سياسية ومن أسمى وأرقى النظم الديمقراطية التي عرفها وطبقها العالم خاصة نظام الشورى في العهد النبوي الشريف، وفي عهد الخلفاء الراشدين.. كما أن نظام الزكاة في الإسلام فريضة اقتصادية قامت من أجلها أول حرب بعد وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم –.. كما أن صوم شهر رمضان عبادة، وكذلك فإن الحج عبادة إسلامية عملية لها إيجابيات شتى في تاريخ المسلمين في النواحي الشخصية والنواحي الجماعية، فكل ما جاء به الإسلام يُسهم في ترقية حياة المسلمين في مختلف المجالات، ولو تمسك المسلمون بأهداب و هدايات الدين الإسلامي الحنيف لتحققت لهم الريادة الكاملة في قيادة الأسرة البشرية، والأخذ بيدها نحو المجتمع المثالي المنشود.

ويقول المستشرق المجري الدكتور روبرت سيمون: لقد درست حقوق الإنسان كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لمدة عشر سنوات، ووجدت أنها حقوق عامة للأسرة الإنسانية كلها، وهذه الحقوق هي المثل الأعلى الذي تنشده كافة الشعوب والأمم؛ إذ ترجع هذه الحقوق في أصولها إلى توفير الحرية للناس وتحقيق العدل والمساواة والأمن بينهم، واستهدافا لعالم يكون فيه الناس أحراراً فيما يقولون، وفيما يعتقدون، ويكونون في مأمن من الفزع والصراع بين البشر الذي يعاني منه المجتمع الدولي.

وأضاف: فإذا نظرنا إلى " حق الحرية " كما وردت في الإسلام.. نجد أنفسنا أمام قاعدة متينة من الحرية تؤكد أن لكل إنسان الحق الكامل في اختيار العقيدة التي

يقتنع ويؤمن بها من غير ضغط ولا إكراه.. ويتفرع من حق حرية العقيدة حقوق أخرى منها: ممارسة شعائر العقيدة والعمل بشريعتها في حرية وعلنية.

ويؤكد المستشرق المجري قائلاً: لقد أخطأ عدد كبير من المستشرقين في فهم حرية العقيدة الدينية، فالمرتد هو المسلم الذي ينكر ما جاء في دينه الإسلامي.. ولاشك أن قتل المرتد لا يمكن أن يكون عقوبة على الكفر ذاته؛ فقتل المرتد عن الإسلام كما جاء في الشريعة الإسلامية لا يتعارض أبداً مع الحرية الدينية التي قررها الإسلام، ونحن نرى أن أعظم الدول تطبيقاً للنظام الديمقراطي في العالم تعاقب كل من يرتكب جريمة الخيانة العظمى دون أن تمس هذه العقوبة الحرية المكفولة للناس بمقتضى القانون والدستور، والدليل على سوء فهم الذين يردّدون ذلك أن غير المسلمين من يهود ونصارى.. قد كفل لهم الإسلام حرية العقيدة دون إكراه أو اضطهاد.. لذا فإنني أؤكد أن قتل المرتد عن الإسلام إنما يكون لجريمة الخيانة العظمى والمكيدة التي قام بها ضد المجتمع الذي عاش فيه وبالنظام العام الذي تقوم عليه الدولة.

أمّا عن أحوال المسلمين في المجر وكيف عرفت المجر الإسلام فيقول:

الأقلية المسلمة في المجر من أنشط الأقليات المسلمة في جنوب وسط قارة أوروبا، وقد بلغ عدد المسلمين في المجر اليوم أكثر من (30) ألف نسمة.. يتمتعون بكامل حريتهم في إقامة مؤسساتهم الدعوية والتعليمية. والإسلام دين رسمي معترف به لدى الحكومة المجرية، وقد تزايدت أعداد المسلمين خلال السنوات الماضية؛ إذ كانت أعداد المسلمين في عام 1950 ميلادية ثلاثة آلاف نسمة. أصبحوا في عام 1985 ميلادية ستة آلاف نسمة.. أي أن أعداد المسلمين قد تزايدت خمس مرات خلال السنوات الأخيرة.

الآثار الإسلامية النادرة:

ويضيف المستشرق المجري الدكتور روبرت سيمون: لقد عرفت المجر الإسلام في أواخر القرن الرابع الهجري.. حيث هاجرت بعض القبائل البلغارية إلى المجر في هذا الوقت وتمركزوا في (30) قرية نشروا الإسلام بين سكانها حتى أصبحت من القرى الإسلامية الخالصة وقد تزايدت أعداد المسلمين خلال الحكم الإسلامي العثماني للمجر الذي بدأ منذ عام 949 هجرية وحتى عام 1098هجرية.. (1586

1687 ميلادية).. وقد أسس المسلمون خلال هذه الفترة (61) مسجداً جامعاً و (22) مسجداً للصلوات الخمس يومياً وعشر مدارس إسلامية، وبعض المكتبات الدينية، وذلك في مدينة بودابست وحدها. بالإضافة إلى المساجد التي شُيدت في بعض المدن والقرى الأخرى كما انتشرت الدور والقصور التي شُيدت وفقاً للعمارة الإسلامية حتى أصبحت بودابست من المدن الإسلامية..

وقد تعرضت أغلب هذه المساجد للتدمير في القرن السابع عشر الميلادي. لذا فقد تأسست جمعية إسلامية مهمتها الحفاظ على التراث الإسلامي في المجر.. يرأسها خبير الآثار الإسلامية المجري الدكتور يوسف جيرو..وقد تمكنت هذه الجمعية من إعادة ترميم بعض المساجد مثل مسجد "حسن باكوفيل"ومسجد" الغازي قاسم" وغيرها.

1425/12/23 - 2005/02/03

المصدر http://www.islamtoday.net :

==============

#المستشرق النمساوي محمد أسد (ليو بولد فايس) كما لا يعرفه الكثيرون

د. إبراهيم عوض

محمد أسد (1900- 1992م) صحفي نمساوي يهودي، وُلِد بإقليم من أقاليم بولندا كان تابعاً آنذاك للإمبراطورية النمساوية، وكان يسمى ليوبولد فايس، ثم دخل في الإسلام سنة 1926م بعد أن رحل إلى الجزيرة العربية أيام الملك عبد العزيز آل سعود، ثم انتقل بعد ذلك إلى شبه القارة الهندية حيث توثقت بينه وبين العلامة إقبال عُرَى الصداقة، وظل يساعد في إذكاء نهضة الإسلام في تلك البلاد إلى أن انفصلت الباكستان عنها، فانتقل إلى الإقامة في الدولة المسلمة الجديدة، واكتسب جنسيتها، وأصبح مندوبها الدائم في الأمم المتحدة حتى عام 1953م.

وقد تزوج أسد ثلاث مرات: أُولاها بإلزا التي أسلمت معه ولكنها لم تُعَمَّر طويلاً، فاقترن بامرأة عربية رُزِق منها ابنه الوحيد طلال الأستاذ بإحدى الجامعات الأمريكية ثم انفصل عنها، وأخيراً تزوج بولا حميدة الأمريكية التي أسلمت هي أيضاً.

كما ترك أسد عدة كتب تُرْجِم بعضها إلى العربية: "الطريق إلى مكة"، و"الإسلام في مفترق الطرق"، و"منهاج الحكم في الإسلام"، وبعضها الآخر لم يترجم بعد إلى لغة

الضـاد حسـب علمـي، وهـى ترجمتـه الإنجليزيـة للفـرآن الكـريم واسـمها: " The Message of the Quran"، وترجمته لقسم من "صحيح البخاري" بعنوان " Sahih al-Bukhari _ The Early Years of Islam "، وبقية سيرته الذاتية، وعنوانها: "Coming Home of the Heart" ...إلخ.

والـذين يعرفـون أسـد فـي العـالم العربـي إنمـا يعرفونـه فـي الغالـب مـن خـلال كتبـه المترجمة إلى العربية، وهذه الكتب ليس فيها تقريباً ما يمكن الاختلاف معه بسببه، لكن الأمر يختلف بالنسبة لترجمته للقرآن، وإلى حد ما بالنسبة لترجمته لـ"صحيح البخارى"، إذ نراه في الأولى مثلاً ينكر معجزات الأنبياء، ويُجَوِّز عليهم الوقوع في الأخطاء والخطأيا مثلهم في ذلك مثل أي شخص آخر، كما يؤوّل الجن والشياطين والملائكة ونعيم الجنة وعذاب النار تأويلاً رمزياً، فضلاً عن أن له في مجال الفقه آراء غريبة ليس من السهل هضمها أبداً، وهو ما يجهله قراؤه العرب، وما يبدو الإسلام معه شيئاً آخر غير الذي نعرف.

وكل ما أرجوه ألا أكون قد ظلمت الرجل أو أسأت إليه، فلقد كنت شديد الانبهار بقصـة إسـلامه وكتاباتـه المترجمـة إلـى لغتنـا، إلـى أن اطَّلَعْتُ علـى ترجمتـه للقرآن الكريم، ووجدت فيها تلك الآراء الغريبة فخفَّ انبهاري، وحَلَّتْ محلَّه نظرة نقدية تريد وضـع الأمـور فـي نصـابها الصـحيح، مبتغيـة بـذلك وجـه الله وحده، وهـو نعـم المولى ونعم النصير!

وسوف أبدأ بدراسة هذه الترجمة لأنها تتضمن آراء أسد التي لا يعرفها جمهور قرائه العرب، وستكون أولى خطواتنا في هذه الدراسة هي تناول الناحية الفنية في الترجمة، أما آراء كاتبنا الغريبة فيجدها القارئ في هوامش هذه الترجمة، وسوف نتعرض لها لاحقاً بعد الانتهاء من الناحية الفنية:

– ترجمة أسد للقرآن الكريم:

صدرت ترجمة محمد أسد للقرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية عام 1980 م عن "دار الأندلس" بجبل طارق، وكانت قد صدرت طبعة محدودة تضم السُّوَر التسع الأولى قبل ذلك بستة عشر عاماً، وتقع الترجمة الكاملة في ألف صفحة من الصفحات الكبار، ويشغل الجزءَ العلويَّ من كل صفحة النصُّ القرآنى في الناحية اليمنى،

وترجمتـه الإنجليزيـة علـى اليسـار، أمـا الجـزء السـفلىّ فيضـم الهـوامش التفسـيرية، والتعليقات الفنية الخاصـة بعملية الترجمـة...إلخ، وفـي بدايـة كل سـورة يطـالع القارئ تمهيداً يتحدث عن تاريخ نزولها، والموضوعات التي تتعرض لها وما إلى ذلك.

ولا شك أن ترجمة مثل هذه تحتاج إلى دراسة علمية مفصلة تليق بها وبصاحبها، ولست أعلم أحداً نهض بهذا العبء من قبل، وكنت قد رأيت نسخة من هذا الكتاب لأول مرة في لندن في إحدى المكتبات التي تبيع الكتب العربية والإسلامية عام 1981م، ثم وجدت نسخة أخرى في مكتبة كلية التربية بالطائف عام 1991م، واستعنت بها في كتابي عن سورة "الرعد"، ثم لما عدت إلى مصر شرعت أبحث عنها فعثرت على نسخة منها في مكتبة جامعة القاهرة صوَّرْتُها وأنا في غاية الانشراح، وهذه الصورة هي التي اعتمدتُ عليها في دراستي لسورة "المائدة"، التي خالفت فيها أسد في بعض ما قاله عن عقوبة الحرابة، وهأنذا أجد في الدوحة نسخة أخرى سهّل لي استعارتها من وزارة الأوقاف القطرية الأستاذ أحمد الصِّدّيق الشاعر الإسلامي المعروف، فله أجزل الشكر على هذه المعاونة القيمة، وهى النسخة التي اعتمدت عليها في وضع هذه الدراسة.

وبالمناسبة فقد وجدت بعد أن انتهيت من تأليفها نسخةً أخرى هنا في مكتبةٍ يملكها رجل باكستانى فاشتريتها.

وقد لاحظت أن أسد – على طول ترجمته كلها – لم يسمّ قط رب العزة باسم "الله" مُؤْثِراً استعمال كلمة "God"، ولا أدرى السر في ذلك، وهو نفسه ما فعله في ترجمته لـ"صحيح البخارى"، إن كلمة "الله" هي اسمُ عَلَم، وأسماء الأعلام لا تتغير في الترجمة، بل تبقى على حالها كما هو معروف، وإذا كان سافارى وبيرك مثلاً في ترجمتيهما للقرآن إلى الفرنسية قد صنعا مثل هذا فمن السهل أن يُفَسَّر ذلك بأنه كراهية منهما لهذا الاسم الكريم الذي يُعْرَف به المولى في دين محمد – صلى الله عليه وسلم –، لكن ماذا عن أسد نفسه الذي ترك دينه وأسماء الإله فيه إلى الإسلام وإلهه؟ ترى لماذا تخلى بتلك البساطة عن هذه الخصوصية الإسلامية الجميلة؟

ونراه أيضاً يترجم "الهجرة" في الأغلبية الساحقة من المرات بـ"Exodus"، وهى الكلمة التي ارتبطت بتاريخ اليهود وخروجهم جميعاً دفعة واحدة من مصر (1)، لقد تحولت

اللفظة العربية إلى اسمِ عَلَم تقريباً، بل لقد دخلت اللغات الأوربية كما هي دون تغيير مع كتابة حرفها الأول "H" بالحجم الكبير دلالة على أنها تُعامَل في تلك اللغات على أنها عَلَم من الأعلام، لقد انسلخ كاتبنا عن دينه فلماذا يهجر الكلمة العربية المسلمة إلى تلك اللفظة الأجنبية ذات الإيحاءات اليهودية؟ ولقد انتقدتُ جاك بيرك لنفس السبب في كتابي الذي وقفته على دراسة ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم (2)، وأحسب أن الأستاذ أسد أولى بالعتب من بيرك لأنه مسلم، أما بيرك فلا، ومما ترجم به كاتبنا أيضاً مصطلحَ "الهجرة" كلمةُ "flight: الفرار" (3)، وهى ترجمة خاطئة، بل لا إخال أنني أتجنى عليه إذا قلت إنها مسيئة في حق الرسول – عليه الصلاة والسلام –.

إن من المقبول أن يصف مثلاً خروج موسى – عليه السلام – من مصر بعد وَكْزه المصري وقضائه عليه، بأنه "فرار"(4) لأن القرآن الكريم نفسه يقول على لسان ذلك الرسول الكريم في حديثه إلى فرعون بعد أن عاد إلى أرض الكِنَانَة محمَّلاً برسالة السماء: ((ففررت منكم لمّا خفتكم))(5)، وفوق هذا فإن هذا الفرار إنما كان قبل بعثته، ولذلك لم يعقب الله – سبحانه – على تصرفه هذا بشيء، على عكس الحال في قصة يونس – عليه السلام – حين أَبَق من قومه لعنادهم وتصلبهم في الكفر، فركب سفينة لترسو عليه القرعة، ويلقى بنفسه في البحر من ثم فيبتلعه الحوت حيث يقاسى في بطنه الأهوال إلى أن كتب الله له الفرج(6)، أما تسمية الهجرة المحمدية "فراراً" فهي في الواقع خطأٌ صُراحٌ، وإساءة لا تصح، وإذا كان بعض المستشرقين من غير المسلمين يستعملون هذه اللفظة لقد كان أَقْمَنَ بأسد اختطاطُ سبيلٍ أخرى، وعنده مندوحة عريضة في كلمة "Hegira" التي دخلت قاموس اللغة الإنجليزية، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ منها، إن محمداً – عليه الصلاة والسلام – لم يهاجر من مكة إلا بإذن إلهى، فكيف تُسَمَّى هجرته "فراراً"، ثم إن أسد نفسه يقول إن لفظة "الهجرة" هي من الألفاظ ذات الإيحاءات الروحية، فبأي معنى طاوعته نفسه إذن لترجمتها بـ"الفرار" مُنْزِلاً إياها من أعلى عِلِّيّين إلى أسفل سافلين؟

وقد ترجم كاتبنا أيضاً عبارة "مِنْ خِلاف" في قوله تعالى: ((إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويَسْعَوْن في الأرض فساداً أن يُقَتَّلوا أو يُصَلّبوا أو تُقَطَّع أيديهم وأرجلهم

من خلاف أو يُنْفَوْا من الأرض))(7)، وكذلك في قوله سبحانه على لسان فرعون يهدّد سَحَرَته بعد انقلابهم عليه وإيمانهم بموسى: ((فلأُقَطِّعَنَّ أيديَكم وأرجلَكم من خلاف))(8) بـ"because of (in result of) your perversness"(9)، أي بسبب الإفساد (الناشئ عن الخلاف والعصيان)، مخالفاً بذلك ما قاله علماء المسلمين من أن المقصود هو قطع اليد اليمنى والقدم اليسرى، أي من جهتين مختلفتين.

والحق إنه لمن الصعب جداً موافقة الأستاذ أسد على هذه الترجمة، إذ من غير المعقول أن يفهم – وهو الأجنبي وبعد كل هاتيك القرون – تعبيراً عربياً قديماً أفضل مما فهمه كل المفسرين والفقهاء المسلمين تقريباً، وأيضاً من الصعب جداً أن تكون عبارة "من خلاف" إشارة إلى علة تقطيع أيدي المفسدين الخارجين وأرجلهم، والسبب هو أن تلك العلة قد نُصَّ عليها قبل ذلك في كل الآيات المذكورة: ففي آيات "المائدة" نقرأ في أولها: ((إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويَسْعَوْن في الأرض فساداً...))، فالعلة إذن هي محاربة الله ورسوله، والسعي في الأرض فساداً، فلماذا يعاد النص على تلك العلة بعد ذلك على هذا النحو الغامض بعبارة "من خلاف"؟

أما في الآية الخاصة بفرعون فإننا نسمعه يقول للسَّحَرة: ((آمنتم له قبل أن آذَنَ لكم؟ إن هذا لَمَكْرٌ مَكَرْتموه بالمدينة لتُخْرِجوا منها أهلها))، وواضح أنه يشير إلى العلة التي أوجبت في نظره تقطيع أيديهم وأرجلهم، وتصليبهم في جذوع النخل، ألا وهى مَكْرُهم لإخراج أهل المدينة منها، كذلك لو كانت عبارة "من خلاف" تشير إلى سبب التعذيب فلماذا لم تُذْكَر إلا عقب الصنف الأول منه فقط، ولم تؤخَّر إلى ما بعد الفراغ من ذكر كل ألوانه ما دامت هي علة هذه الضروب العقابية جميعاً؟ ثم إننا لم نسمع باستخدام هذا التعبير في المعنى المذكور، ولو كان هناك شاهد من النصوص القديمة عليه فلماذا لم يَسُقه المترجم؟

الواقع أن الذوق العربي لا يرتاح إلى مثل ذلك التوجيه، والواقع أيضاً أن أسد قد اعتسف هذا التفسير أَوّلاً في سورة "المائدة" لِيَخْلُص منه إلى إلغاء عقوبة الحرابة على ما سوف يأتي بيانه في فصلٍ لاحق، ثم اضْطُرَّ أن يقول به في آية فرعون والسَّحَرة حتى لا يناقض نفسه، هذا هو تفسيري للمسألة، والله أعلم.

ومن الألفاظ القرآنية التي تصرَّف فيها مترجمنا تصرفاً واسعاً يطمس مفهومها طمساً لفظُ "الأعراف"، إن هذا اللفظ يشير إلى مفهوم قرآني خاص، فكان ينبغي أن يُبْقِيَ أسد عليه كما هو، ولْيَشْرَحْه بعد ذلك في الهامش على النحو الذي يفهمه فيجمع بذلك بين وفاء الترجمة للأصل وبين شرح هذا الأصل بما يعتقد أنه هو المعنى المراد، لقد ترجم كاتبنا لفظ "الأعراف" بما يعنى أنه "القدرة على معرفة الحق والباطل والتمييز بينهما"، ومن ثم صار قوله تعالى: ((وعلى الأعراف رجالٌ يعرفون كُلاًّ (أى كلا من أهل الجنة وأهل النار) بسيماهم)) في الترجمة الإنجليزية هكذا: " they who (in life) were endowed with the faculty of discernment (between right and wrong)"، أي أولئك الذين كانوا يتمتعون في الدنيا بالقدرة على التمييز بين الصواب والخطأ(10)، وهو ما يعنى أنه لا "أعراف" في الآخرة كما يُفْهَم بكل وضوح من النص القرآني! فكيف كان ذلك يا ترى؟

يوضح أسد هذا في الهامش بقوله: "إن كلمة "الأعراف" (التي أعطت السورةَ اسمها) قد تكررت في القرآن مرتين ليس إلا، وذلك في الآيتين 46، 48 من هذه السورة، وهى جمع "عُرْف" التي تعنى في الأصل "المعرفة" أو "الاستبصار"، كما تُسْتَعْمل للدلالة على أعلى أو أسمى جزءِ في الشيء (لأنه أسهل جزءِ يمكن رؤيته) مثل: "عُرْف الديك" و"عُرْف الحصان"...إلخ، وعلى أساس من هذا الاستعمال الشائع حَسِبَ كثيرٌ من المفسرين أن "الأعراف" هنا تشير إلى "الأماكن المرتفعة" مثل أعالي الجدران والأسوار، ومن ثم ربطوا بينه وبين "الحجاب" المذكور في الجملة السابقة (جملة "وبينهما (أي بين أهل الجنة وأهل النار) حجاب")، لكن هناك تفسيراً أصوب من ذلك يعتمد على المعنى الأصلي لكلمة "عُرْف" وجمعها ألا وهو الاستبصار والتمييز أو القدرة عليهما، وقد أخذ بهذا التفسير بعض كبار المفسرين القدماء كالحسن البصري والزجّاج، اللذين يوافق الرازي على ما قالاه موافقة صريحة، واللذين يؤكدان أن عبارة "على الأعراف" ترادف قولنا: "على معرفة"، أي أصحاب علم أو ذوو مقدرة على التمييز (بين الحق والباطل)، ومن ثم فالرجال الذين على الأعراف هم الذين كانوا في دنياهم قادرين على إبصار الحق من الباطل (متعرِّفين على كل منهما بعلامته المميِّزة له)، لكنهم في ذات الوقت لم يكونوا قادرين على اتخاذ موقف

محدد منهما، أي أنهم باختصار كانوا أشخاصاً غير مبالين، وهذا الموقف الفاتر قد حرمهم عمل الكثير من الخير أو الشر بحيث أدَّى ذلك في النهاية إلى ما تقوله الآية التالية من أنهم لا يستحقون الجنة ولا النار (وهناك عدة أحاديث بهذا المعنى أوردها الطبري وابن كثير في تفسيريهما لهذه الآية)، هذا ويُقْصَد بكلمة "رجال" في الآيتين المذكورتين "الأشخاص" من الجنسين: جنس الرجل وجنس المرأة على السواء"(11).

وواضح أن أسد ينطلق من أن المعنى الأصلي لكلمة "عُرْف" هو "المعرفة" وأن دلالتها على أعلى جزء في الشيء هي دلالة فرعية، لكنه بهذه الطريقة يقلب رأساً على عقبٍ ما نعرفه من أن المعنى المادي للكلمات هو الأساس الذي تتفرع منه المعاني المجردة، وإذن فهذا المعنى الأخير الذي ذكره على أنه المعنى الفرعي هو في الحقيقة المعنى الأصلي لا العكس، وثانياً هل يمكن في العربية أن نقول: إن فلاناً "على الأعراف" بإطلاق ونحن نقصد أنه على معرفة واسعة وقدرة كبيرة على التفرقة بين الخطأ والصواب؟ الذي أعرفه هو أننا نقول مثلاً: "فلان على معرفة بكذا" لكنى لم أسمع قط بمن يقول: "فلان على عُرْف" هكذا بإطلاق (أي على معرفة)، بله أن نقول: "فلان على أعراف"، فضلاً عن "فلان على الأعراف" (بالألف واللام)! ترى أيصح أن نقول: "فلان على معارف"؟ بالطبع لا، فما بالنا بـ"على المعارف"؟

وثالثاً فإن الزمن في قوله تعالى: "وعلى الأعراف..." هو نفس الزمن الذي ينظر فيه هؤلاء الرجال إلى كل من أهل الجنة وأهل النار أي في الآخرة، أما الأستاذ أسد فيقول إنهم "كانوا" يتمتعون "في الدنيا" بالمقدرة على التمييز بين الحق والباطل، وهذا غير ذاك كما هو واضح، ثم إن العرب إذا وصفوا شخصاً بالتمييز بين الحق والباطل فإنهم يقصدون مدحه لا القول بأنه فاتر في موقفه تجاههما مما يدخل في باب الذم لا المدح!

أما الملاحظة الخامسة فهي أن أصحاب الموقف الفاتر في مثل هذه الأمور هم عادةً الأشخاص الذين لا يتمتعون بمقدرة على المقاومة، ولا يستطيعون من ثم الصمود أمام إغراءات الشهوات والأباطيل، أليس هذا ما نشاهده في هذه الحياة؟ وعلى ذلك كان ينبغي أن يكون مكان هؤلاء مع أهل النار.

وسادساً لقد تحدث القرآن كثيراً عن الكافرين الذين يصرون على كفرهم رغم علمهم أنهم على الباطل، وأن النبي على الحق، ومع ذلك لم يستعمل كلمة "أعراف" في أي موضع من هذه المواضع، بل يستعمل عادةً كلمة "يعرفون" أو "يعلمون".

وسابعاً هل ثمة معنى لقولنا: "وعلى المعرفة رجال يعرفون كذا"؟ إن هذا كلام ركيك، وحاشى لله أن يكون هذا هو أسلوب القرآن! وعلى أية حال فقد كان ينبغي أن يترجم محمد أسد هذه العبارة ترجمة مباشرة، ثم فليقل بعد ذلك في الهامش ما يشاء وذلك احتراماً للنص القرآني، وحفاظاً عليه بدلاً من تحيُّفه وطَمْسه قليلاً قليلاً، وإسقاط تصوراته هو ومفاهيمه عليه في ذات الوقت!

إن النص القرآني شيء، وفهمه وتفسيره شيء آخر، وإن مكان التفسير في مثل هذه القضية هو الهامش الذي سيُحْسَب حينئذ على المترجم لا على القرآن نفسه.

ومما يجدر ذكره كذلك في هذا السياق أن كاتبنا يترجم كلمة "النَّسِيء" في قوله تعالى: ((إنما النسيء زيادة في الكفر يُضَلّ به الذين كفروا يُحِلّونه عاماً ويُحَرِّمونه عاماً ليواطئوا عِدَّة ما حَرَّم الله فيُحِلّوا ما حَرَّم الله))(12) بـ" the intercalation of monthes" بمعنى "إضافة بعض الشهور" ليظل عدد أيام السنة القمرية مساوياً لعدد أيام نظيرتها الشمسية، إذ كانوا (كما يقول) يزيدون شهراً في السنة الثالثة والسادسة والثامنة كل ثماني سنوات، ثم يمضي قائلاً: إن المسلمين لو كانوا جَرَوْا على هذه الطريقة الجاهلية لجاء الصوم والحج دائماً في نفس الموعد من السنة الشمسية كل عام، ومن ثم يكون أداؤهما إما بالغ السهولة أو شديد الصعوبة حسب الفصل الذي سيقع فيه(13).

والواقع أن هذا أحد المعنيين اللذين تذكرهما المعاجم كـ"لسان العرب" و"تاج العروس"مثلاً لكلمة "النسيء" أما معناه الآخر فنَقْل حُرْمة أحد الشهور الحُرُم (وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرَّم) إلى شهر آخر لأن العرب كانوا إذا تقاتلوا وأتى عليهم شهرٌ حرامٌ وأرادوا أن يستمروا في القتال ولا يتوقفوا طِبْقاً لما تقضى به حرمة تلك الأشهر، ينقلون تلك الحرمة إلى شهر آخر غير محرَّم بعد انتهاء الحرب، فالأستاذ أسد كما نرى قد ذكر أحد المعنيين لكمة "النسيء" وأغفل المعنى الآخر وهو المعنى الذي أرى أنه الأنسب للسياق: فالآية تتحدث عن "الأشهر الحُرُم" لا عن

الحج أو الصيام، وتذكر تحليل النسيء عاماً وتحريمه عاماً، ولا تشير إلى زيادة أيامٍ كل عام كي تتوافق السنة القمرية مع السنة الشمسية، وتقول: إن غاية العرب من ذلك هو مواطأة عِدّة ما حرَّم الله أي جَعْل الفترة التي يمتنعون فيها عن القتال أربعة أشهر دون أن تكون بالضرورة هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ثم فليكن المعنى الذي أدار محمد أسد عليه ترجمته رغم ذلك كله هو المعنى الصحيح، أفلم يكن ينبغي أن يتعرض للمعنى الآخر في الهامش حتى يعطى القارئ فرصة لاختيار ما يطمئن إليه عقله وضميره؟ ذلك أنه لا يفسر بل يترجم، وما دامت الآية تحتمل معنيين لقد كان ينبغي أن يذكر المعنى الثاني في الهامش ويخرج بذلك من العهدة، أياً ما يكن الأمر فقد رأيت عدداً من مترجمي القرآن يترجم "النسيء" كما ترجمه أسد، ويبدو لي أنه قد تأثر بهم، وقد رددت على بعضهم في كتابي "المستشرقون والقرآن".

ويُبْعِد الأستاذ أسد النُّجْعة في بيداء الاعتسافات الخاطئة عند ترجمته لـ"كذلك" في قوله تعالى عن رحلة ذي القرنين في اتجاه المشرق: ((كذلك وقد أَحَطْنا بما لديه خُبْراً))(13) بـ"thus (We had made them and thus he left them)"، ومعناه : "كذلك جعلناهم، وكذلك تركهم ذو القرنين"، يقصد (كما قال في الهامش) أن ذا القرنين لم يشأ أن يتدخل في أسلوب حياتهم البدائية الطبيعية في العيش عراةً حتى لا يسبب لهم الشقاء، إذ هم لا يحتاجون إلى أي نوع من الملابس(14)، لكن ثمة عدداً من الأسئلة لا بد من الجواب عليها عند ترجمة هذه الآية الكريمة: ترى هل هناك أي دليل على أن المقصود بعدم وجود ستر بين هؤلاء القوم وبين الشمس أنهم كانوا عراة؟ ألا يمكن أن يكون المقصود مثلاً أن الجو عندهم ضاحٍ طول النهار؟ أو أنهم من أهل الصحراء حيث لا شجر ولا واقٍ طبيعي من حرارة الشمس؟ وحتى لو كان الأمر في "الستر" هو ما قاله، فما الدليل على أن كلمة "كذلك" تعني ما جاء في ترجمته؟ ثم كيف لا يهتم ذو القرنين، وهو (كما يلوح من الآيات) من الحكام الصالحين المؤمنين بالله – سبحانه – بأن يُخْرِجهم من حالة العُرْى، ويعلِّمهم كرامة الاستتار؟ لقد امتنَّ الله في القرآن على عباده بأنه قد أنزل عليهم لباساً يوارى سوءاتهم وريشاً(15)، وهو ما يدل على أن ستر العورات وارتداء الملابس امتثال لمشيئة الله، وتقبل لنعمته الكريمة، فكيف يقول أسد إن ذا القرنين قد آثر تركهم على ما هم عليه

من عُرْيٍ وبدائية؟ بل إن آدم وحواء في بداية الخليقة ما إن أكلا من الشجرة المحرمة وبدت لهما سوءاتهما حتى طَفِقا يَخْصِفان عليها من ورق الجنة رغم أنه لم يكن هناك أحد غيرهما، فما بالنا بِعُرْى الدنيا الذي يكون عُرْضة لأنظار كل من هَبَّ ودَبّ؟ وفوق ذلك فإنه – سبحانه – قد نسب نزع الملابس عن أبوينا الأوَّلَيْن إلى الشيطان نفسه بما يبرهن أقوى برهان على قبح ذلك وشُنْعه عند رب العالمين(16)، إن هذا الموقف الذي ينسبه أسد إلى ذي القرنين لهو أشبه بما كان يفعله المستعمرون الأوربيون مع همج القارة الأفريقية إبان الهجمة الاستعمارية على تلك القارة، إذ كانوا يَجْهَدون في إبقائهم على ما هم فيه من جهل وبدائية كي يستطيعوا نزح ثروات القارة السوداء دون حسيب أو رقيب!

وثمة أيضاً لفظة قد ترجمها أسد بطريقة لا يمكنني هضمها، وهى تأديته حَرْفي "الطاء" و"الهاء" في مفتتح سورة "طه" بـ"O man: يا رَجُل" رغم أن ذلك أحد المعاني التي يذكرها المفسرون قائلين إن هذا هو معنى "طه" في النبطية والسريانية وغيرهما، بل إنه قد ترجم اسم السورة بذات الطريقة أيضاً فأصبحت تُعْرَف عنده باسم "سورة يا رجل"!(17)

ولقد سبق في كتابي "سورة طه – دراسة لغوية أسلوبية مقارنة"، في فصل "ملاحظات في تفسير السورة" أن رفضتُ أي تفسير لهذه الكلمة لا يقول إنهما حرفان مقطَّعان مثل: "ألم، ألمص، طس، حم، ق"، ويجد القارئ هناك بسطاً لرأيي والآراء التي رددتُ عليها، والذي يهمنا هنا هو القول بأن تفسيرها بـ "يا رجل" هو قول غريب فيه إساءة إلى النبي – عليه السلام – إذ لم يحدث أن ناداه ربه – سبحانه – في القرآن بغير النبوة والرسالة: ((يا أيها النبي، يا أيها الرسول)) أو بصفة تدل على حالة خاصة به في موقف معين: ((يا أيها المُزَّمِّل، يا أيها المُدَّثِر)).

فالقول إذن بأن الله – سبحانه – قد ناداه هنا بكلمة عامة تصدق على كل البشر هو قول لا يتسق مع الطريقة التي ينادى بها المولى في القرآن عبده محمداً، ثم فلنلاحظ أن أسلوب النداء: "يا أيها الـ..." المستعمل في جميع المرات التي نودي فيها الرسول – عليه الصلاة والسلام – لا وجود له في "طه"، فلماذا يشذّ القرآن هنا بالذات عن أسلوبه في مناداة الرسول؟ بل لماذا يا ترى يلجأ القرآن الكريم إلى النبطية والسريانية

في نداء الرسول العربي القرشي؟ أهو ضِيقٌ في العربية استلزم استعارة هذا اللفظ؟ أم هو لون من المباهاة بمعرفة اللغات الأخرى، حاش لله؟ أترى من المعقول أن ينادى الله – سبحانه – رسوله الكريم بما يضيق به صدر الواحد منا، نحن الذين لا نرتفع إلى عشر معشار مقامه – صلى الله عليه وسلم – لو نُودِىَ به، إذ يرى بحقٍّ أن فيه تجهيلاً له واحتقاراً؟ إن بعضهم يظن أن ورود كاف الخطأب في قوله – تعالى– عقب ذلك: ((ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)) معناه أنه لا بد أن تكون "طه" نداء للرسول، لكن ما وجه اللزوم في ذلك؟ إن هذه الكاف موجودة أيضاً في قوله سبحانه: "ألمص* كتابٌ أُنْزِل إليك..."، وفي "كهيعص* ذِكْرُ رحمة ربك عبده زكريا"، وفي "حم* عسق* كذلك يوحِى إليك وإلى الذين من قبلك اللهُ العزيز الحكيم" وغيرها، فلماذا لم يقل هؤلاء إن الحروف في هذه المواضع أيضاً هي نداء للرسول؟ لكل هذا أرفض رفضاً باتّاً أن يكون معنى "طه" هو "يا رجل"!

ومن الألفاظ التي لا أوافق أ. أسد على ترجمته لها كلمة "زُرْقاً" في قوله تعالى: ((ونحشر المجرمين يومئذ زُرْقاً))(17)، إذ يؤوّلها بالإنجليزية قائلاً: " their eyes dimmed (by terror)"، ثم يضيف في الهامش موضحاً أن المعنى الحرفي هو: "blue of (eye)"، وأن المقصود هو أن أعينهم ستبدو كما لو كانت مغطاة بغشاوة معتمة زرقاء(18)، وواضح أنه يصر على أن الزرقة هنا هي زرقة العيون مع أنه ليس في الآية ولا في السياق ما يدل على هذا أو يُلْمِح إليه مجرد إلماح، والذي يتبادر إلى ذهني أن تكون الزرقة هنا هي زرقة الاختناق، والمعاناة الرهيبة التي سيقاسيها المجرمون يوم القيامة حين يُنْفَخ في الصُّور، ولقد شاهدت منذ أكثر من عشرين عاماً في أوكسفورد طفلاً أصابته حالة اختناق وهو يبكى من الغضب مرتمياً على الأرض يرفس الهواء بقدميه من شدة بُرَحاء الألم، وقد اربدّ وجهه وازرقّ، ووقفنا حياله عاجزين لا نستطيع له شيئاً، وتصورت أنه سيموت، لكن سرعان ما انجابت عنه الغاشية، وعاد إلى حالته الطبيعية، فتنفسنا الصُّعَداء ورُدَّتْ إلينا أرواحنا، فهذا فيما أفهم هو الازرقاق المذكور في الآية الكريمة، وقد تكون الزرقة صِبغةً يُوسَم بها المجرمون يوم القيامة فضحاً لهم على رؤوس الأشهاد، أو تكون انعكاساً لما يعانونه آنذاك من همٍّ وخِزْى وكَرْب، وقريبٌ من هذا ما جاء في الآية 106 من "آل عمران":

((يومَ تبْيَضّ وجوهٌ وتسْوَدّ وجوه)) وكذلك الآيات 38– 42 من سورة "عَبَس": ((وجوهٌ يومئذٍ مُسْفِرة* ضاحكةٌ مستبشرة* ووجوهٌ يومئذٍ عليها غَبَرة* ترهقها قَتَرة* أولئك هم الكَفَرة الفَجَرة)).

وبالمناسبة فقد جاء في الترجمة الإنجليزية القاديانية التي حررها ملك غلام فريد أن زرقة العيون في الآية إنما تشير إلى أن هؤلاء المجرمين هم أمم الغرب النصرانية (19)، وكأن المجرمين يوم القيامة سيكونون كلهم من الأوربيين والأمريكان فقط، فلا مجرمين أفارقة أو آسيويين أو من أمريكا الجنوبية، وكأن الغربيين جميعاً سوف يدخلون النار ضربة لازب، وكأن الغربيين كلهم أصحاب عيون زرقاء، فليس فيهم من هو أخضر العينين أو أسودهما مثلاً، أما لماذا انصرف ذهن هذين المترجمين إلى زرقة العيون فسببه أن ذلك هو المذكور في كتب التفسير التي تقول إن العرب تتشاءم بصاحب العيون الزرقاء، لكن ينبغي أن نعرف أن أذواق العرب وأوهامهم شيء وحقائق الدار الآخرة شيء آخر.

أما ترجمة كلمة "أيام" في قوله – جل جلاله –: ((خَلَقَ السماواتِ والأرضَ في ستة أيام)) فتحتاج إلى وقفة خاصة، إن أسد يترجمها بـ")"20aeons) أى حِقَب، وهى في حدود علمي ترجمة جديدة ولا بأس بها، لكن الإنسان يتساءل: لماذا يا ترى لم يجر على هذه الخطة في ترجمة كلمة "يوم" في قوله تعالى: ((يوم كان مقداره ألف سنة مما تَعُدّون))(21)، أو ((يوم كان مقداره خمسين ألف سنة))(22) التي يستخدم إزاءها كلمة "Day" رغم أن اليوم هنا أيضاً ليس هو اليوم العادي الذي نعرفه على سطح الكرة الأرضية بل حقبة متطاولة كما هو واضح، وهى الحجّة التي استند إليها في ترجمة لفظة "يوم" في عبارة "ستة أيام"؟ وبالمثل نراه يترجمها في عبارة "يوم الحساب" و"يوم الدين" بـ")"23Day)، فلماذا هذه التفرقة غير المفهومة؟ إن هذه نقطة منهجية كان ينبغي أن تحظى من المترجم باهتمام أكبر.

وأحياناً ما يضيف أسد إلى الترجمة كلمة أو عبارة بين معقوفتين لتوضيح النص، وفي بعض المواضع قد تستدعى الحاجة فعلاً مثل هذه الإضافة، لكن في بعض المواضع الأخرى لا يستطيع الإنسان أن يبصر تلك الحاجة، بل قد تكون ذات خطورة على النص كما في ترجمته لقوله – تعالى–: ((النبي أولى بالمؤمنين من

أنفسهم وأزواجه أمهاتهم))، الذي أضاف إليه في الترجمة عبارة "فهو أبوهم" قبل جملة "وأزواجُه أمهاتُهم"، وهو يسوّغ هذا الصنيع العجيب في الهامش قائلاً إنه اعتمد في ذلك على أن بعض الصحابة والتابعين كانوا يقولون هذا أثناء قراءتهم على سبيل شرح الآية (24) بيد أنى رغم ذلك أرى أن هذا خطأٌ صُرَاح لا سبيل إلى التهوين منه إذ إن علاقة زوجاته – صلى الله عليه وسلم – بأتباعه غير علاقته هو بهم، فقد حرَّم القرآن أن ينكحوا أزواجه من بعده، أما هو فكان يَحِلّ له أن يتزوج من نسائهم كما هو مبين في نفس السورة (25)، ثم إن الله – سبحانه – يقول في السورة ذاتها: ((ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم))(26)، فكيف نأتي نحن ونقول: إن محمداً لم يكن أباً لواحد من المسلمين فقط بل أباً للمسلمين كلهم أجمعين؟ أَوَبَعْد قول الله قول؟

أما عبارة "رب المشارق" في سورة "الصافّات"فإنه يذهب خطوة أبعد، إذ لا يضع ما أضافه من كلمات بين معقوفتين، مما يوهم القارئ الذي لا علم له بالنص القرآني أنه هذا هو ما يقوله القرآن فعلاً وليس تفسيراً له من لدن المترجم، وهذا هو ما قاله: "the sustainer of all the points of sunrise" أي رب مشارق الشمس كلها (27)، لكن من ذا الذي يستطيع أن يقول إن "المشارق" هنا مقصورة على مشارق الشمس وحدها؟ إن نجوم السماء لا أول لها ولا آخر حتى لقد ضُرِب بها المثل فيما يستحيل عدّه، ولكل نجم مشرقه ومغربه، وهذا هو الأحجى أن يكون تفسير العبارة القرآنية بدلاً من حصرها في الشمس وحدها دون أن يكون هناك ما يدعو إلى ذلك، وبمثل هذا أرى أنه ينبغي تفسير عبارة "ربّ المشرقين ورب المغربين"، أي ربّ مشرقي الشمس والقمر ومغربيهما لا "ربّ أبعد نقطتين من نقاط شروق الشمس وغروبها" حسبما جاء في ترجمة أسد (28).

أما في ترجمة جملة "وهو في الخصام غير مبين" من قوله – تعالى– عن بعض الآباء في الجاهلية ممن كانوا يئدون بناتهم الرضيعات: ((وإذا بُشِّر أحدهم بما ضَرَب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسودّاً وهو كظيم * أَوَمَنْ يُنَشَّأ في الحِلْيَة وهو في الخصام غير مبين)) يخطئ أسد خطأ من نوع آخر إذ يظن أن الكلام في جملة "وهو في الخصام غير مبين" مقصود به الأب الذي بُشِّر بالبنت، وأغلب الظن أنه لما رأى أن الضمير المستعمل في الآية هو للمذكَّر انصرف ذهنه إلى الأب لا إلى البنت التي

وُصِفَت في العبارة السابقة، وهى عبارة "مَنْ يُنَشَّأ في الحلية"، وإذا صح تفسيري لقد كان ينبغي أن يتنبه أسد إلى أن الضمير هنا أيضاً هو ضمير مذكر رغم استعماله للبنت، ووجه تذكيره أنه يعود على الاسم الموصول المبهم: "مَنْ" الذي نحن معه بالخيار: فإما أن نذكِّر الضمير العائد عليه ونُفْرِده دائماً وإما أن نطابق بينه وبين ما يدل عليه، فنحن نستطيع أن نقول: "رأيت من النساء من أُحِبّه" أو "رأيت من النساء من أحبها"، أما لو استخدمنا "التي" فلا بد من المطابقة فنقول: "رأيت من النساء التي أحبها".

إذن فقوله – تعالى–: ((أَوَمَنْ يُنَشَّأ في الحِلْيَة وهو في الخصام غير مبين)) هو جملة استفهامية واحدة لا جملتان: إحداهما استفهامية على لسان الأب الساخط، والثانية خبرية داخلة في السرد كما حسب الأستاذ أسد، الذي يفهم الجزء الأخير من الجملة على أن المقصود بها الإشارة إلى الصراع النفسي المحتدم في نفس الأب: أيُبْقِى على حياة ابنته أم يئدها؟ فهذا الصراع في ظن المترجم هو الخصام المذكور في الآية، أما "غير مبين" فمعناها أنه صراع داخلي لا ينطق به اللسان، ومن ثم ترجم هذا الجزء من الجملة على النحو التالي: "ومن هنا يجد نفسه وقد مزقه صراع داخلي خفي"(29)، والواقع أنها ترجمةٌ جِدّ غريبة لا يقبلها الذوق العربي ولا الأسلوب القرآني الذي استعمل مادة "خ ص م" سبع عشرة مرة لم تأت قَطُّ في أي منها بالمعنى الذي فهمه مترجمنا، بل كلها في الخصام بين شخصين أو جماعتين لا في الصراع الباطني بين رغبات الشخص المتعارضة، وحتى لو أردنا رغم ذلك كله أن نستخدم كلمة "خصام" في هذا المعنى لكان علينا أن نقول: "فلان في خصام مع نفسه" بزيادة عبارة "مع نفسه" مثلاً.

وفي قوله – جل شأنه – عن قوم لوط: ((لِنُرْسِل عليهم حجارةً من طين * مسوَّمةً عند ربك للمسرفين)) يترجم كاتبنا عبارة ((حجارة من طين)) بـ"ضربات عقاب شديدة كالحجارة"(30)، ولست أستطيع أن أجد مسوِّغاً لهذا الذي فعله المترجم! لقد لاحظتُ كما سأوضح لاحقاً أنه دائماً ما يؤوِّل عذاب الآخرة ونعيمها وهذا أمر قد يحتمل الخلاف، أما تأويل مثل هذا العذاب الدنيوي فما وجهه؟ إن حجة القائلين بتأويل الأخرويات هي أنها بنص القرآن والحديث شيء مختلف عما نعرفه في الدنيا، لكن

الأحداث الدنيوية هي وقائع تاريخية لا تقبل التأويل، ومثل هذا التصرف من شأنه أن يزعزع النص القرآني، فالمرجوّ أن نحترمه، وفي الهامش متسع لما نريد أن نقول وذلك بدلاً من تثبيت النص المقدس إلى الأبد على فهمنا الذي من المحتمل جداً أن يكون خاطئاً بل هو هنا خطأ بكل يقين.

ثم فلنفترض أن ترجمة أ. أسد صحيحة فأي عقاب يا ترى ذلك الذي يشبه في شدته الحجارة والذي أرسله الله على قوم لوط؟ ترى أيصح أن نترك مثل هذا التعبير القرآني المُشْمِس ونذهب فنضرب في حنادس الأوهام الغامضة؟ لقد ذكر مترجمنا في موضع آخر من ترجمته أن هذه الحجارة الطينية تشير إلى وقوع انفجار بركاني، لكنه للأسف ترك هذا التفسير وجرى وراء الربط بين كلمة "سِجِّيل" في قوله – تعالى– عن نفس الواقعة: ((حجارة من سِجِّيلٍ منضود)) وكلمة "سِجِلّ" وانتهى إلى تلك الترجمة الغريبة هنا وفي الآية 82 من سورة "هُود"، فهو عقاب لكنه ليس عقاباً بالحجارة بل في شدة الحجارة، أما "مِنْ سِجِّيل" فمعناها "مسجلة في لوح القدر: pre-ordained"، وتبقى كلمة "منضود" التي جعلها صفة لضربات العقاب – ولا أدرى كيف – فهي مذكَّر، والضربات مؤنَّثة، وهذه عبارته في نصها الإنجليزي: " and rained down stone-hard blows of chastisement pre-ordained one upon another"، ويستطيع القارئ أن يتبين بنفسه الآن كيف تمزقت أوصال الآية بلا رحمة أو داع!

ومن ترجمات أسد الغريبة التي يصعب إقراره عليها ترجمته كلمة "النجم" في قوله سبحانه: ((والنجمِ إذا هَوَى* ما ضَلَّ صاحبُكم وما غَوَى)) بـ"قطعة الوحي الإلهي" على أساس أن القرآن قد نزل منجَّماً أي على دفعات لا جملةً واحدة (31)، ولكن فاته أن القرآن لا يستخدم أيّاً من "النجم" أو "هَوَى" في الحديث عن الوحي، فكلمة "النجم" فيه إنما تدل على نجم السماء، اللهم إلا في موضع واحد يحتمل أن يكون المقصود بها نجم النبات، وذلك في الآية السادسة من سورة "الرحمن": "والنجم والشجر يسجدان"، أما بالنسبة لمجيء الوحي فيستعمل له القرآن فعلاً من مادة "ن ز ل" لا الفعل "هوى".

وأشدّ غرابةً من الترجمة السابقة تأديته لقوله – تعالى– في وصف سَقَر": ((لَوّاحةٌ للبشر))(32) بما معناه أنها "تُليح للبشر (أى تُرِيهم) الحقيقة كلها"، يقصد كما وضَّح في الهامش أنها تجعلهم يبصرون أخيراً الحقيقة التي لم يكونوا يُقِرّون بها في الدنيا، وتُرِيهم خطاياهم وشرورهم ومسؤوليتهم عن معاناتهم وآلامهم في الجحيم، مخالفاً بذلك جميع المفسرين تقريباً، الذين يقولون إن المقصود هو أنها تَسْفَع وجوه الكافرين، وتغيِّر شكلهم(33)، ومعروف أن من معاني الفعل "لاحَ": "غَيَّر وأضمر" كما في قولنا: "لاح العطشُ أو السفرُ أو الحزنُ فلاناً"، ومن ثم فكلمة "لوّاحة" هي صيغة مبالغة من هذا الفعل الذي ليس من معانيه "أَرَى فلانٌ فلاناً كذا وكذا"، وحتى لو قلنا إن هذا أحد معانيه فأين المفعول الثاني لكلمة "لوّاحة"؟

ومما أخطأ فيه أسد بل انفرد بالخطأ حرفُ "الواو" في قوله عز شأنه: ((كلا والقمرِ * والليلِ إذا أدبر * والصبحِ إذا أسفر))، ((والصافّات صَفّاً))، ((والذاريات ذَرْوا))، ((والطُّورِ * وكتابٍ مسطور))، ((والمرسَلات عُرْفاً))...إلخ، إذ يترجمه بمعنى "تأمَّلْ واعتَبِرْ"، ولا أدرى على أي أساس فعل ذلك إذ هو قول لم يقل به أحد من المفسرين أو علماء النحو أو أصحاب المعاجم، إنه يسوّى بين "الواو" في هذه الآيات وبين قولهم في الإنجليزية: "by God"(34) مع أن الأمرين مختلفان، فمن الواضح أن "الواو" هنا هي للقَسَم لا للتعجب، والمُقْسَم به هو الاسم الواقع بعد "إنَّ" كما في الشاهد التالى: "والذارياتِ ذَرْواً* فالحاملاتِ وِقْراً* فالجاريات يُسْراً* فالمقسِّمات أَمْراً* إنّ ما توعَدون لَصادق* وإن الدِّين لَواقع))(35)، بل إن القرآن نفسه يصرح بأن هذا قَسَم، إذ جاء في سورة "الفجر": ((والفجرِ* وليالٍ عَشْر* والشَّفْع والوَتْر* والليل إذا يَسْرِ* هل في ذلك قَسَمٌ لِذى حِجْر))، كما تكرر القسم في القرآن بالظواهر الكونية وعناصر الطبيعة بلفظ القسم الصريح أكثر من مرة مثل: ((فلا أُقْسِم بالخُنَّس* الجَوار الكُنَّس* والليل إذا عَسْعَس* والصبح إذا تنفَّس* إنه لَقول رسول كريم))(35)، ((فلا أقسم بالشَّفَق* والليل وما وَسَق* والقمر إذا اتَّسَق* لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عن طَبَق))(36) فماذا يبغى الأستاذ أسد أكثر من هذا؟

وهذه النزعة إلى الانفراد بالآراء الغريبة لدى محمد أسد هي المسؤولة أيضاً عن ترجمته لقوله – تعالى– عن نساء الجنة: ((كواعب أتراب)) لا بالناهدات الصدور

المساويات لأزواجهن في السن كما تقول كتب التفسير وكما يقول الأسلوب العربى، بل بـ"splendid compagnons well matched: أصحاب رائعين متوافقين"، وهو يكشف السر وراء هذه الترجمة العجيبة قائلاً: إن متع الجنة التي يمثّل الكواعب الأتراب لوناً من ألوانها ليست حقيقية، إذ لا نساء في الفردوس، ومن ثم فـ"الكواعب" هنا هم الأقران البارزون (لأن الفعل "كَعَبَ" يدل على البروز بإطلاق لا بروز النهدين فقط)، أما "الأتراب" فهم الذين يكون بينهم وبين أصحابهم توافق وانسجام"(37).

ورأيي أن هذه حجج داحضة: فأولاً لو افترضنا أنه ليس هناك نساء في الجنة فعلاً كما يقول، فإن هذا لا يُسَوِّغ ترجمة الآية بالطريقة التي فسرها بها، بل كان ينبغي أن يلتزم بما جاء فيها، ثم فلْيقل في الهامش إن هذا مجاز، وإن المقصود بالإشارة إلى النساء في الآية هو كذا وكذا، ذلك أن نساء الجنة في هذه النقطة لا يختلفن في شيء عن لبنها وعسلها وخمرها وشجرها وأنهارها...إلخ، فسواء قلنا إن في الجنة عسلاً ولبناً مثلاً كعسلنا ولبننا، أو عسلاً ولبناً من نوع آخر يليق بالآخرة وخلودها، أو قلنا إنهما رمزان لمتع أخرى لا يمكن التعبير عن حقيقتها بلغتنا البشرية، فالواجب في كل هذه الحالات الإبقاء على ذكر اللبن والعسل، وفي الهامش متسع لتوضيح رأينا على النحو الذي نشاء، ولقد فعل الكاتب نفسه ذلك مع "الحدائق والأعناب، والكأس الدِّهاق" التي ورد ذكرها في هذه السورة(38)، فلِمَ لَمْ يتّبع هذه الخطة هنا مع "الكواعب الأتراب"؟

وثانياً فإن كلمة "أتراب" في كل من المرتين الأُخْرَيَيْن اللتين وردتا في القرآن كانت وصفاً لنساء الجنة فلم تشذّ عن هذا هنا؟ وهاتان هما الآيتان المذكورتان: "وعندهم (أي عند المتقين في جنات عَدْن) قاصرات الطَّرْف أتراب"(39)، "فجعلناهن (أي نساء الجنة) أبكاراً* عُرُباً أتراباً* لأصحاب اليمين"(40)، وبالمناسبة فقد فعل أسد هنا في ترجمة "قاصرات الطرف أتراب" و"أبكاراً* عُرُباً أتراباً" ما اقترحتُه قبل قليل في ترجمة صفات نساء الجنة(41)، فلم هذه التفرقة التي لا مسوِّغ لها إذن؟

يبدو لي – والله أعلم – أن صيغة جمع المؤنث السالم في النص الأول، وضمير جماعة النسوة في النص الثاني هما اللذان منعا مترجمنا من التمحُّل الذي لجأ إليه

في ترجمة "الكواعب الأتراب"، فما رأى القارئ إذا قلنا له إن كلمة "كواعب" من حيث صيغتها لا تحتمل هنا إلا أن تكون للنساء، ومن ثم لا تصلح أن يكون معناها "الأصحاب أو الأقران" كما يريد منا الأستاذ أسد أن نفهمها؟ ذلك أن صيغة جمع التكسير "فواعل" لا تُسْتَعْمَل للعقلاء الذكور، اللهم إلا في "فوارس" و"سوابق" اللتين شذَّتا عن القاعدة(41)، ثم إن "التِّرْب" هو المساوي في السن لا المتوافق المنسجم مع رفيقه كما ترجمها أسد.

– رأيه في عصمة الأنبياء:

من القضايا ذات الأهمية الشديدة التي تناولها محمد أسد في ترجمته التفسيرية للقرآن الكريم بَشَريَّة الرُّسُل ومدى انعكاسها على أخلاقهم وسلوكهم، فهو دائم الإشارة إلى هذه البشرية، وهى مما لا يُشاحّ فيه أحد، إذ إن رسل الله وأنبياءه كانوا كلهم فعلاً بشراً: هكذا تكلم التاريخ، أما إذا زعم أصحاب بعض الأديان هنا أو هاهنا أن نبيهم إله أو ابن إله فهو كلام لا يؤبَه له، وإن كان لكلٍّ أن يعتقد ما يشاء، وحسابه على الله، وهكذا أيضاً تكلم القرآن، إذ ذكر مراراً أن الرسل والأنبياء كانوا جميعاً بشراً من البشر، وأنهم يأكلون ويشربون ويَغْشَوْن الأسواق والمجامع، ثم في النهاية يموتون، ولا خلاف إذن مع محمد أسد في هذا، إلا أنه للأسف لا يتوقف عند هذا الحد، بل دائماً ما يجعل إشارته إلى بشرية الرسل منطلقاً للحديث عن أنهم أيضاً مثل سائر البشر معرَّضون للخطأ كلما سنحت الفرصة، ويبدو لي بقوة أن أبواب الأخطاء كلها مفتوحة عنده أمامهم كأي إنسان آخر.

فعلى سبيل المثال يقول عند تعليقه على قوله تعالى: ((وما أرسلْنا من رسول ولا نبي إلا إذا تمنَّى أَلْقَى الشيطانُ في أمنيّته فينسخ الله ما يُلْقِي الشيطانُ ثم يُحْكِم الله آياته والله عزيز حكيم)) إن إلقاء الشيطان في أمنية النبي والرسول معناه أن يكون هدفهما لا الأخذ بيد أمتهما في معراج الرقى الروحي بل إحراز القوة والنفوذ الشخصي، ثم يمضى فيستشهد بقوله عَزَّ من قائل: ((وكذلك جعلنا لكل نبي عدوّاً شياطينَ الإنس والجن))(1) دون أن يوضح صلة هذه الآية بما نحن فيه(2)، أتراه يريد أن يقول إن للشياطين من إنس وجن تأثيراً على الرسل والأنبياء حتى إنهم لَيَحْرِفونهم عن مسارهم الذي حددته لهم السماء إلى التطلع لغايات شخصية؟ لكنْ أي نبي أو رسول يا تُرَى

استطاعت الشياطين أن توسوس له بوضع مطامحه في القوة والنفوذ الشخصي فوق الغاية النبيلة التي انتدبه لها رب العزة والجلال؟

ها هو ذا القرآن الكريم بين أيدينا وليس فيه شيء من ذلك على الإطلاق، أما إذا كان العهد القديم ينسب إلى أنبياء الله ورسله مثل هذه التطلعات وغيرها مما يشوه صورة النبوة ويلطخها، فهذا ليس برهاناً على صحة تلك الدعوى الخطيرة، لأن كتب اليهود مجرَّحة تجريحاً حسبما ذكر القرآن في أكثر من موضع، وكذلك حسبما أثبتت الدراسات النقدية التي تناولت هذه الكتب، سواءٌ تلك التي قام بها علماء المسلمين أو علماء الغرب أنفسهم، وعلى أية حال فالذي يهمنا في هذا السياق هو القرآن لأنه هو الذي يستند إليه أسد في تقرير ما قال.

وفي كلمته التمهيدية التي قدَّم بها لسورة "القَصَص" يقول إن "معظم قصة موسى في تلك السورة تصوِّر الجانب البشرى الخالص في حياته، أو بتعبير آخر تصوِّر الدوافعَ وألوانَ الحيرة التي تشكِّل جزءاً من الطبيعة البشرية، وهو ما يبرزه القرآن إبرازاً رغبةً منه في مقاومة أي ميل لدى المتدينين إلى عَزْو أية صفات إلهية أو شِبه إلهية إلى أحد من رسل الله"(3)، ثم بعد قليل يعقِّب على اقتتال المصري والإسرائيلي وتدخّل موسى – عليه السلام – ووَكْزه المصري الوكزةَ التي قضت عليه دون قصد منه، قائلاً إن "الآيتين 16- 17 من هذه السورة تومئان إلى أن الإسرائيلي لا المصري هو المخطئ، ومن الواضح أن موسى قد تقدَّم لمساعدة الإسرائيلي بدافع من الميل الغريزى نحو ابن جلدته دون اعتبار للصواب والخطأ في هذه القضية، وإن كان قد تبيَّن له أنه إنما اجترح إثماً فظيعاً، لا بقتله إنساناً بريئاً فحسب رغم أنه قتلٌ غير مقصود، بل بإقامته تصرفَه كذلك على أساس من التحيز العنصري"(4).

وفي أحد الهوامش التي خصصها للتعليق على قصة يونس – عليه السلام – وإباقه إلى الفُلْك المشحون حين لم يجد من قومه آذاناً صاغية، يختم مستشرقنا تعليقه قائلاً إن الهدف من هذه القصة في القرآن هو أن تبيّن لنا أنه ما دام قد "خُلِق الإنسان ضعيفاً" كما جاء في سورة "النساء"، فإن الأنبياء أنفسهم غير محصَّنين ضد أي لون من ألوان الضعف المركوزة في الفطرة البشرية (5)، وهو ما يعنى بوضوح أنهم – عليهم السلام – يمكن أن يرتكبوا أي شيء مما يقع فيه البشر هان أو عَظُم، وقد

كرر هذا المعنى ذاته في تفسيره لقوله – جل جلاله – مخاطباً نبيه محمداً – عليه الصلاة والسلام –: ((لِيغفرَ لك الله ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر))، إذ يؤكد أن الإنسان مهما ارتقى في معراج الخُلُق وكان حميد السجايا، فإنه عرضة للوقوع في الخطأ بين الحين والحين، وأن الآية تشير من طَرْفٍ خَفي إلى أن التحرر من الأخطاء مقصور على الله – سبحانه –(6).

وفي ضوء هذا نستطيع أن نفهم ما قاله بصدد الحديث عن الخَصْمَيْن اللذين تسوَّرا المحراب على داود – عليه السلام – وشكا أحدهما الآخر إليه بأنه طلب منه نعجته الوحيدة التي لا يملك سواها كي يضمها إلى قطيعه الذي يبلغ تسعاً وتسعين نعجة...الخ، إذ تساءل قائلاً: هل الأنبياء معصومون من الذنوب والخطايا كما يقول علماء المسلمين القدامى أو لا؟ ثم يجيب بأن أولئك العلماء يذكرون أن داود قد أحب امرأة قائده العسكري أوريا ورسم خطة للتخلص منه كي يخلو له وجه الزوجة، إذ أمر أن يوضَع في مكان مكشوف على خط المواجهة مع الأعداء حيث قُتِل، وبعدئذ تزوَّج داود المرأة، وأنجب منها سليمان، وإن أنكروا في ذات الوقت أن يكون قد زنى بها إنكاراً شديداً(7) ومن الواضح هنا أيضاً أن أسد مع عدم عصمة الأنبياء.

وهو يرى أن قوله – تعالى– لرسوله – صلى الله عليه وسلم –: ((ألم نَشْرَح لك صدرك* ووضعنا عنك وِزرك* الذي أَنْقَضَ ظهرك* ...)) يشير بكل وضوح إلى الأخطاء التي اقترفها – عليه السلام – قبل البعثة(8)، ولكنْ أية أخطاءٍ تلك التي اقترفها النبي آنذاك؟

هنا يسكت أسد! بَيْدَ أني لست أوافقه على أن معنى "الوِزْر" في الآيات الكريمات أخطاء ارتكبها الرسول في الجاهلية، إذ لو كان الأمر كذلك فلماذا تنقض هذه الأخطاء ظهره وهو لم يكن مكلّفاً آنئذ ولا آخذه الله عليها في أي موضع من القرآن، ولا اتخذها قومه تكأة للنيل من سمعته، أو للتشويش على أخلاقه ونبوته؟ علاوة على أنّ امتنان الله عليه بشرح صدره وطمأنته إياه بأنه ما من عسر إلا ومعه يسر إنما يشير بالأحرى إلى ضيق صدره – عليه السلام – بشيء من قبيل فتور الوحي عنه في أول الدعوة، أو معاندة المشركين له أو ما إلى ذلك، أي أن الوزر هنا نفسي لا أخلاقي، أما إذا كان المقصود بشرح الصدر دلالته المادية بمعنى شقّه واستخراج

حظ الشيطان منه وغَسْله بالثلج أثناء طفولته الأولى في بادية بني سعد كما جاء في بعض الروايات فإن ذلك ينسف ما قاله محمد أسد عن الرسول من أساسه، إذ معناه أنه قد أصبح في حماية تامة من الوقوع في الذنوب والآثام.

وعلى أية حال فإنه – صلى الله عليه وسلم – لا يمكن أن يكون قد وقعت منه أخطاء مما يتحدث عنها الكاتب، وإلا لاتخذها المشركون حين جاءهم بالدين الجديد سلاحاً من أسلحة الحرب النفسية التي شنوها عليه منذ البداية، ترى لو كانت هناك أخطاء من ذلك النوع أكانوا يتركونها ويتهمونه بما يعرفون هم قبل غيرهم أنه باطل، من مثل أنه ساحر، أو مجنون، أو كذاب، أو أنه يكتب ما يحكيه من قصص الأنبياء السابقين وأممهم عن بعض الرقيق المكي من أهل الكتاب؟ أيعقل أن يكون في يد إنسان ما عملة سليمة فيلقى بها في عُرْض الطريق ويتخذ بدلاً منها نُقُوداً زُيُوفاً؟

ترى لو كان النبي – عليه السلام – قد شرب الخمر مثلاً، أو ضحَّى للأوثان، أو عُرِف عنه الكذب؛ أكان قومه يسكتون على ذلك؟ إن كل ما قالوه في بشريته لا يتعدَّى إنكارهم عليه أنه كان يأكل الطعام، ويمشى في الأسواق، وأن له زوجاً وذرية، إذ كانوا يريدونه مَلَكاً لا بشراً، وهذا كل ما هنالك! فهل يصح أن يقول مُسْلِمٌ في الرسول الكريم ما لم يقله المشركون؟

ولْيلاحظ القارئ أنني قد تجنبت الخوض في الجدال النظري البحت حول عصمته – صلى الله عليه وسلم –، وسلكت بدلاً منه المنهج التاريخي والنفسي، واستنطقت النصوص ذاتها، فلم يصادفنا لا فيما وصلنا عن سيرته ولا في الآيات التي تحدثت عنه أو إليه أَيٌّ من تلك الذنوب المزعومة، ثم هل كان من الممكن أن يصفه القرآن رغم ذلك بقوله: ((وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم)) كما جاء في الآية السادسة من سورة "القلم"؟

كذلك لو كان داود – عليه السلام – قد صنع بأوريا هذا الذي ادُّعِيَ عليه أكان الله – سبحانه – تاركه دون مؤاخذة وعقاب وهو الذي عَرَّض يونسَ – عليه السلام – لتلك التجربة الفظيعة المرعبة، تجربة التقام الحوت له أياماً وليالي لمجرد غضبه من قومه، وإباقه إلى الفُلْك المشحون بسبب صلابة رقابهم، ولجاجهم في الكفر

والطغيان؟ إن التآمر على قتل رجل بريء طمعاً في زوجته الجميلة ليس بالأمر الهين الذي يمكن أن تُعَدِّيَ عنه السماء بمثل هذه البساطة، وإلا فالعفاء على الأخلاق بل على النبوة ذاتها! والمضحك في الأمر أن من قَبِلوا من علماء المسلمين على داود هذه الدعوى الرقيعة (حسبما جاء في كلام كاتبنا) كانوا حُرَصاء في ذات الوقت على أن يبرّئوه من تهمة الزنا، وكأن قتل الأبرياء بدمٍ باردٍ، وتخطيطٍ مسبقٍ، ودون خالجة من ضمير ليس بشيء بجانب هذه التهمة!

إن القصة القرآنية تقول: إن الأخ الغنيّ لم يأخذ من أخيه الفقير نعجته فعلاً بل كل ما في الأمر أنه سأله ضمَّها إلى نعاجه فهذا كل ما هنالك، أما لو كان هذان الخصمان ملكين أرسلهما الله إلى داود كما جاء في بعض كتب التفاسير لينبهاه على سبيل التلميح إلى الجريمة التي اقترفها فأي جدوى من ذلك التصرف ما دام قد سبق السيفُ العَذَل، وتمت الجريمة، ولم يعد سبيل لتداركها؟ إن هذا عبث لا تليق نسبته إلى المولى – عز وجل –، الذي يَقْدِر أن ينبِّه نبيَّه في هذه الحالة تنبيهاً مباشراً كما كان يفعل مع محمد – صلى الله عليه وسلم – حين كانت تنزل عليه هذه الآية أو تلك مشيرةً إلى ما وقع منه من اجتهاد لا تقرّه عليه السماء؟

ثم إذا كان الأنبياء يمكن أن يجترحوا جريمة القتل والتآمر على هذا النحو الشيطاني الخسيس فما الفرق بينهم وبين عُتَاة المجرمين إذن؟ إن الإنسان العادي لا ينحطّ في الغالب إلى هذه الدركة، فكيف يَتَدَهْدَى إلى مثلها الأنبياء والمرسلون الذين اصطفاهم الله على سائر خلقه، وصنعهم على عينه، وزوّدهم بالحكمة والتقوى على أحسن حال؟ وفضلاً عن ذلك فالقرآن يقول عن داود – عليه السلام – بعد واقعة الخصمين في سورة "ص" ذاتها: ((وإن له عندنا لَزُلْفي وحُسْنَ مآب))(8) فكيف يمدحه الله – سبحانه – هذا المديح العظيم، ويأتي بعضٌ فيتهموه تلك التهمة الشنيعة جرياً وراء اليهود الملاعين الذين لم يتركوا نبياً ولا رسولاً إلا افترَوْا عليه أشنع ضروب البهتان في كتبهم؟ أنكذّب بالقرآن ونصدّق العهد القديم؟ كذلك فالآية التي تلي قصة المتخاصمين تحضه – عليه السلام – أن يحكم بين الناس بالحق ولا يتَّبِع الهوى، وهو ما يرجح أن تكون القصة متعلقة بمسائل القضاء والحكم بين الناس لا بمسألة أوريا وزوجته، ولو افترضنا بعد هذا كله أن لهذه القصة ظلاً من الحقيقة – ولا إخال

– فإن أقصى ما يمكن قوله هو أن داود ربما سمع بجمال زوجة قائده فحدّثته نفسه قائلة: لماذا لم يُكْتَب له أن يرى تلك المرأة قبل أن يتزوجها أوريا فيتخذها هو لنفسه زوجة؟

أما يونس فإن ما صنعه حين ضاق صدره بما رآه من لَدَد قومه في الكفر والعصيان فتركهم ومضى على وجهه ليس سقطة أخلاقية، لا ولا هو تهاون في أداء الواجب، وكل ما يمكن التعليق به على تصرفه ذاك هو أن الله لم يأذن له بهجرة قومه، وإلا فإن الرسول محمداً – صلى الله عليه وسلم – قد ترك هو أيضاً بلده إلى بلد آخر رجاء أن يكون حظ الدعوة فيه أحسن، لكنه مع ذلك لم يُقْدِم على هذه الخطوة إلا بعد إذن الله له.

ونأتي إلى وكزة موسى التي ينبغي ألا يفوتنا أنها كانت قبل النبوة وكانت مجرد وكزة أراد بها – عليه السلام – أن يدفع غائلة العدوان أو على الأقل ما ظنه عدواناً على ابن جلدته في بلد كان الاضطهاد والعسف يتناوشان بني إسرائيل فيه، لا لشيء إلا لضعفهم وهوانهم آنئذ، لكن كانت للقدر مشيئة أخرى إذ مات المصري بسببها رغم أن موسى لم يقصد قتله البتة! ولْنلاحظ أن موسى قد أنبه ضميره على الفور، ولذَّعه تلذيعاً شديداً، وأخذ يبتهل لربه نادماً يطلب منه الغفران.

ورغم كل ما أبدأ فيه محمد أسد وأعاد فإنه هو نفسه في حديثه عن عبوس رسول الله – صلى الله عليه وسلم –حين أتاه ابن أم مكتوم يسأله في بعض أمور دينه أثناء انشغاله – عليه السلام – بمحاولة إقناعه بعض رؤساء المشركين في مكة بدعوته وهدايتهم إلى الإسلام قد قال: إن ما لا يزيد عن كونه مجرد هفوة تافهة من أي إنسان آخر في مثل هذه المسألة المتعلقة بالمجاملات الاجتماعية يُعَدّ مع ذلك في حق الأنبياء ذنباً كبيراً يستوجب العتاب، ثم يمضي قائلاً: إن معاتبة القرآن للرسول على مسمع من الدنيا كلها على ذلك النحو إنما هو دليل على أنه تنزيل من لدن رب العالمين،وأنه – صلى الله عليه وسلم – لا ينطق عن الهوى(9)، وهذا هو الذي أتفق فيه مع أسد ليس إلا، وهو هو نفسه ما صاغه علماؤنا القدامى – رضي الله عنهم – عندما قالوا: "حسنات الأبرار سيئات المقرَّبين"، كذلك قد صدرت عن قلم كاتبنا عبارة مهمة لا أدري كيف لم يستصحبها دائماً معه بدلاً من هذا الإلحاح المستمر على

فكرة الضعف البشرى الأخلاقي الذي لا يفلت منه الرسل والأنبياء، وإمكان وقوعهم في أي ذنب من الذنوب التي يقترفها البشر؛ ألا وهى تذكيره بصدد التعليق على قوله – جل شأنه –: ((ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سُنَّةَ الله في الذين خَلَوْا من قبل وكان أمر الله قَدَراً مقدوراً))(10) بأن الكلام هنا إنما يدور على الأنبياء السابقين الذين تتوافق فيهم جميعاً هم والرسول – عليه الصلاة والسلام – رغائبهم الشخصية مع إسلامهم أنفسهم إلى الله، وهو ذلك الانسجام الروحي والفطري الذي يميز صفوة خلق الله وقَدَرُهم المقدور كما تقول خاتمة الآية(11)، ترى أين كان ذلك الكلام الجميل من قبل؟ إن هذا هو أحجى ما يقال عن أنبياء الله ورسله وأقربه إلى حديث القرآن المجيد عنهم، أما تصويرهم بصورة الضعفاء المهتزين الذين لا يملكون أنفسهم من الوقوع في أي من الذنوب والآثام كلما تهيأت الدواعي لذلك فلا ينسجم مع القرآن الذي يرفع النبيين والمرسلين مكاناً عَلِيّاً، ويثني عليهم أجزل الثناء، ويبرزهم على صفحاته نموذجاً فذّاً لا يُطال رغم بشريتهم التي يؤكدها في ذات الوقت، بل ينسجم بالأحرى مع اتجاه العهد القديم الذي ينسب إليهم الزنا والقتل والدِّيَاثة ومقارفة الفاحشة مع المحارم والكذب والغدر والتحايل على الله والجلافة في مخاطبته والإغضاء عن عبادة الأوثان في بيوتهم... إلى آخر ما سوّد به اليهود الملاعين صفحات كتبهم التي يزعمون أنها وحى من عند رب العالمين، ملطِّخين بتلك الطريقة الصُّوَر النبيلة لهؤلاء الصفوة من عباد الله!

ولقد رجعت بعد الفراغ من كتابة ما تقدَّم إلى "الفِصَل في المِلَل والنِّحَل" للإمام الجليل ابن حزم لأستعيد ما قالت الفِرَق الإسلامية في هذا الموضوع فوجدته يذكر أنهم اختلفوا في ذلك: فطائفةٌ قالت إن الرسل – عليهم السلام – يمكن أن يعصوا الله في جميع الكبائر والصغائر عَمْداً حاشا الكذب في التبليغ، بل إن بعض هؤلاء قد جوَّزوا عليهم الكفر أيضاً، كما جوَّزوا أن يكون في أمة محمد من هو أفضل منه، ويؤكد ابن حزم أن هذا كفر وشرك وردة عن الإسلام، وهناك من جوَّزوا عليهم الصغائر فقط عَمْداً أما الكبائر فلا، أما الذي تدين به أمة الإسلام من سنّة ومعتزلة وخوارج وشيعة ونجارية كما يقول ابن حزم فهو أنه لا يمكن البتة أن يقع من نبي معصية أصلاً لا كبيرة ولا صغيرة، وهذا رأيه هو أيضاً، وإن قال إنه قد يقع من الأنبياء

السهو عن غير قصد، كما قد يقع منهم قصد الشيء يريدون به وجه الله – تعالى– والتقرب إليه فيوافق خلاف مراده – عزَّ وجلَّ –، إلا أنه تعالى لا يُقِرّهم على شيء من هذين الوجهين أصلاً، بل ينبههم على ذلك ويبيّنه، وربما عاتبهم عليه(11)، وهذا الذي ذهب إليه ابن حزم هو نفسه ما وصلتُ إليه من خلال تحليل النصوص القرآنية تقريباً، وإنه ليسعدني أن يتوافق رأيي مع رأى ذلك العلامة العظيم، وإن كنت لا أستطيع أن أُقْدِم على تكفير محمد أسد في مثل هذا خشية أن يكون اجتهاداً منه خاطئاً لا يبغى به التطاول على الأنبياء أو إهانتهم والتحقير من شأنهم – عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين –، لكنى في نفس الوقت لا أستطيع أبداً أن أهضم ما قاله بأي حال!

وفي النهاية أود أن أضيف أننا لا نجد هذا الرأي الغريب لأسد في الأنبياء في الكتب التي تُرْجِمَت له إلى العربية، لقد لمس مثلاً بشرية الرسول – عليه الصلاة والسلام – في موضعين من كتابه "الطريق إلى الإسلام"، وهذا نص ما قاله في الموضع الأول: "ومع ذلك فإنه – أي الرسول عليه الصلاة والسلام – لم يَدَّعِ يوماً إلا أنه بشر، ولم ينسب المسلمون إليه الألوهية قط كما فعل الكثيرون من أتباع الأنبياء الآخرين بعد وفاة نبيهم، والحق أن القرآن نفسه يزخر بالأقوال التي تؤكد إنسانية محمد ((وما محمد إلا رسول قد خَلَتْ من قبله الرسل أفإن مات أو قُتِل انقلبتم على أعقابكم))، كذلك فإن القرآن الكريم قد دلَّل على عجز النبي المطلق تجاه العزة الإلهية بقوله – تعالى–: ((قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضَرّاً إلا ما شاء الله ولو كنتُ أعلم الغيب لاستكثرتُ من الخير وما مسني السوء إنْ أنا إلا نذيرٌ وبشيرٌ لقوم يؤمنون))، ولا ريب في أن مَنْ حوله لم يحبوه هذا الحب إلا لأنه لم يكن سوى بشر فحسب، ولأنه عاش كما يعيش سائر الناس، يتمتع بملذات الوجود، ويعانى آلامه"(12)، وهو تقريباً نفس ما نقرؤه في الموضع الآخر حيث يقول إنه – عليه الصلاة والسلام – كان " كائناً بشرياً مليئاً بالرغبات والدوافع الإنسانية، وبوعى حياته الخاصة، وفي الوقت عينه أداة طيّعة لتلقِّى رسالته"(13)، والنَّصّان رغم حرصهما على إبراز بشرية الرسول – صلى الله عليه وسلّم – لا يتطرقان إلى مسألة العصمة النبوية، بل لا نلمح في عباراتهما ما يوحى بأن المؤلف يرى أنه – عليه الصلاة والسلام – عرضة

للوقوع في الذنوب والآثام كأي شخص عادىّ، فهل هذا دليل على أن فكر كاتبنا قد تطور بعد ذلك إلى القول بأن الأنبياء يذنبون ويأثمون كغيرهم من البشر؟ أم هل كانت هذه الفكرة كامنة في أطواء نفسه آنذاك، لكنها لسبب أو لآخر لم تشقّ طريقها إلى الظهور في ذلك الكتاب؟

- بعض آرائه الفقهية:

فيما يلي سنناقش بعض المسائل الفقهية التي عرض لها مترجمنا في هوامش ترجمته للقرآن الكريم: فمن ذلك تكريره القول بأن الحرب المشروعة في الإسلام هي الحرب الدفاعية فقط (الحرب الدفاعية بالمعنى الواسع)، وأن ذلك هو ما تقوله الآيات القرآنية التي تأمر المسلمين بمقاتلة من يقاتلونهم فحسب، وألا يبدأوا أحداً بعدوان كما في الآية 190 وما بعدها من سورة "البقرة"، والآية 39 من سورة "الحج"، والآية 227 من سورة "الشعراء"، والآية 39 من سورة "الممتحنة"(1)، وهو يؤكد في نفس الوقت أن "الجهاد في سبيل الله" واجب ديني لا يتم الإيمان إلا به ()(2an act of faith)، وأن الأمم التي يخاف أبناؤها الموت الجسدي ينتهي أمرها إلى الموت المعنوي، كما أن عودتها إلى الحياة تتوقف على عودتها إلى التمسك بالأخلاق من خلال التغلب على الخشية من الموت (2).

وفي ضوء هذا نراه يفسر غزوات الرسول – عليه الصلاة والسلام – فعند حديثه عن غزوة بدر يقول: إن حالة "حرب مفتوحة" كانت قائمة بين المسلمين والمشركين منذ الهجرة، ومن هنا كان تفكير الرسول في مهاجمة القافلة القرشية العائدة من الشام والتي لم تكن رغم ذلك هي الهدف الحقيقي، وإلا لأخفي عزمه على مهاجمتها، ولانتظر حتى تمر في ميعادها وهاجمها عندئذ دون أن تكون لديها الفرصة للاستنجاد بقريش، أما هدفه الحقيقي فهو استفزاز الجيش المكي عن طريق الإشاعات عن عزمه مهاجمة القافلة حتى يبرز إليه ويشتبك معه في معركة يحدد هو زمانها ومكانها فيهزمه محقِّقاً بتلك الطريقة الاعتبار والأمن لأتباعه الذين كانوا ضعفاء إبانئذ، بدلاً من انتظار قريش حتى تغزوهم في الوقت والظروف المواتية لها(2).

وانطلاقاً من مبدأ الدفاع عن النفس أيضاً يعلل أسد غزوة تبوك، إذ يقول إن الأخبار قد وردت النبي – عليه الصلاة والسلام – في المدينة حينئذ بأن الروم يجهزون جيشاً لغزو الجزيرة العربية والقضاء من ثم على الإسلام خشيةً من عواقب سرعة انتشاره، واستجابةً لتحريض أبى عامر الراهب، ولكن عندما لم يجد الرسول جيش الروم عاد أدراجه إلى المدينة لأن الإسلام لا يحارب إلا للدفاع عن النفس(3)، ولست أظن أن عندي ما يمكن أن أعترض به على هذا الكلام.

أما ما قاله في الحرابة فليس من السهل قبوله، لقد تحدث القرآن الكريم عن جريمة الحرابة وعقوبتها في قوله – عزّ شأنه –: ((إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعَوْن في الأرض فساداً أنْ يُقَتَّلوا أو يُصَلَّبوا أو تُقَطَّع أيديهم وأرجلهم من خِلافٍ أو يُنْفَوْا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم* إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم))(4)، وكان تعليق أسد على ذلك أن تقطيع يدي الشخص ورجليه غالباً ما يراد به القضاء على سلطانه، وأن من الممكن أن يكون هذا هو المعنى المقصود هنا، أو قد يكون المراد تشويهه على الحقيقة والمجاز جميعاً، وأن التفسير الصحيح لعبارة "مِنْ خِلاف" هو "بسبب مخالفتهم (للدولة)" أو "بسبب فسادهم"، ثم أضاف قائلاً إن الآية لا تمثل في الواقع حكماً تشريعياً بل هي نبوءة بأن الذين يحاربون الله ورسوله سينتهي مطافهم حتماً إلى أن يُقَتِّل أو يُعَذِّب أو يُشَوِّه بعضهم بعضاً مما يترتب عليه القضاء على جماعات كثيرة من الناس بسبب تهالكهم على السلطة الدنيوية والمطالب المادية وهذا هو معنى النفي من الأرض في رأيه.

والذي جعله يقول بهذا التفسير هو أن التضعيف في "يُقَتَّلوا" و"يُصَلَّبوا" و"تُقَطَّع" يفيد حسب فهمه وقوع تلك الأفعال على أعداد كبيرة منهم لا عليهم كلهم بالضرورة، وهذا (في رأيه) محضُ تحكمٍ يعوذ بالله أن يكون تشريعاً إلهياً، فضلاً عن أن محاربة الله ورسوله قد تقع من فرد واحد، فكيف يمكن أن يُقْتَل أو يُصْلَب منه أعداد كبيرة؟ وفوق ذلك فهذا الحكم هو نفسه الحكم الذي أصدره فرعون على من آمن مِنْ سَحَرَته بموسى، فكيف يجعل الله – سبحانه – مثل هذا الحكم الفرعوني تشريعاً سماوياً؟ كذلك لم يحدث كما قال أن أصدر حاكمٌ مسلمٌ عقوبةَ النفي من بلاد المسلمين على

أحد من الخارجين عليه، وفوق ذلك فإن استعمال كلمة "الأرض" بمعنى "بلاد الإسلام" هو استعمال لا يعرفه الأسلوب القرآني، ثم إن قوله – تعالى– : ((إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقَتَّلوا أو يُصَلَّبوا أو تُقَطَّع أيديهم وأرجلهم من خلافٍ أو يُنْفَوْا من الأرض)) ليس على سبيل الأمر لأن الأفعال الأربعة فيها كلها إنما جاءت بصيغة المضارع(5).

هذا ما قاله مستشرقنا لكن فاته أن القرآن حين يقول: ((إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله...)) إنما يقصد النص على تحديد العقوبة بصرف النظر عن الصيغة الفعلية المستخدمة، وهذا واضح في قوله – تعالى–: ((ومَنْ قَتَلَه منكم (أى قتل صيد الحَرَم) متعمِّداً فجزاءٌ مِثْلُ ما قَتَل من النَّعَم))(6)، ((قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يُسْجَن أو عذابٌ أليم))(7)، ((ومن يقتل مؤمناً متعمِّداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها))(8)، ((قالوا جزاؤه مَنْ وُجِدَ في رَحْله فهو جزاؤه))(9)...إلخ، وحتى لو وافقنا كاتبنا على تفسيره للتقتيل وتقطيع الأيدي والأرجل فإن السؤال هو: إذا كان المحارب شخصاً واحداً كما قال فكيف يا ترى سيَقْتُل هذا الشخصُ أو يشوِّه بعضه بعضاً؟ كذلك قد يموت الخارجون على الدولة ميتة طبيعية دون أن يقتل أو يشوه بعضهم بعضاً كما يفسر محمد أسد العبارة، إن التضعيف في هذه الأفعال إنما يشير إلى أن الخارجين يجب أن يؤخذوا بكل عنف ودون لين أو هوادة مهما كثرت أعدادهم، أما حكم فرعون بهذه العقوبة على سَحَرَته المؤمنين فلا يعنى أنه في ذاته حكم فاسد، بل يعنى أن تطبيقه فقط كان ظالماً، أما حين يطَبَّق على وجهه الصحيح فإنه يكون عندئذ حكماً عادلاً، وبالنسبة للنفي من الأرض فقد حدث كثيراً في التاريخ الإسلامي وإن لم يَعْنِ بالضرورة النَّفي خارج ديار الإسلام كلية بل من المكان الذي يكون للمحارب فيه شوكة أو الذي يعيش فيه أهله وأصحابه ممن يؤلمه الابتعاد عنهم مثلاً(10)، وإلى جانب هذا فإن الاستثناء في الآية الثانية من النص الذي بين أيدينا يدل على أن الكلام هنا إنما هو عن عقوبة تشريعية يُعْفي منها الذين تابوا من جريمتهم قبل أن تلقى السلطات يدها عليهم.

وأخيراً وليس آخراً فلو جارينا محمد أسد في رأيه هذا لما كان له من معنى إلا أن الإسلام لم يضع لهذه الجريمة الشنعاء أية عقوبة، فهل هذا ممكن؟ حقاً هل هذا

ممكن في الوقت الذي قد حدَّد فيه للسرقة عقوبة القطع، وهى جريمة أهون من جريمة الحرابة بكل المقاييس؟ أقول هذا لأن أسد لم يحاول أن يؤوِّل آية عقوبة السرقة(11) كما صنع مع آيَتَيِ الحرابة، بل دافع عن العقوبة الواردة فيها قائلاً إنها عقوبة عادلة جداً في ضوء ما تقوم به الحكومة الإسلامية من توفير المستوى المعيشي الملائم لكل فرد في الدولة مسلماً كان أو غير مسلم، ومن ثم فليس معقولاً أن يتحجج أحد بأنه قد وقع فريسة لإغراء السرقة، ثم تابع كلامه قائلاً: إنه إذا لم يقم المجتمع الإسلامي بتوفير المستوى المعيشي الملائم لأفراده فلا محل عندئذ لتطبيق عقوبة القطع(12)، وهو كما يرى القارئ كلام معقول جداً وقد سار عليه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في عام الرَّمادة، إذ سِيقَ إليه رجلان متَّهَمان بسرقة بعيرٍ وأَكلْ ِه، فكاد أن يطبِّق عليهما الحدّ، لكنه لما علم أنهما كانا واقعين تحت ضغط الجوع والحاجة أسقط عنهما العقوبة، وهدد بها سيدهما الذي كان يضيق عليهما في الطعام مما اضطرهما إلى الإقدام على هذه السرقة.

وبالنسبة لـ "الزنا" يقول أسد إنه في الإسلام شيء واحد، سواء كان الزانيان متزوجين أو عَزَبَيْن، وذلك على عكس ما هو مقرر في بعض اللغات الأوربية كالإنجليزية مثلاً ، إذ يسمَّى النوع الأول: "adultery"، والثاني: "fornication"(13)، ويجد القارئ كلامه هذا في تعليقه على الآية الثانية من سورة "النور" وهى الآية التي تحدد عقوبة الزاني والزانية، ورغم أنه لم يفصِّل القول في هذه العقوبة فالمفهوم من عبارته ما دام لا يفرق بين زنا وزنا أنه لا يرى حدّاً للزنا إلا الجلد سواء كان مجترحه مُحْصَناً أو غير محصن، وتعليقاً على اشتراط القرآن الإتيانَ بأربعة شهود على واقعة الزنا يقول كاتبنا إن ذلك من الاستحالة بمكان، مما يدل على أن الإسلام يريد استبعاد أي طرف ثالث غير مرتكبي الواقعة، وقَصْرها على إقرار الزاني من تلقاء نفسه(14)، ونضيف نحن أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يكن يقبل إقرار الزاني بسهولة، بل كان يراجعه ويحاول أن يتأكد بكل السبل أنه قد اجترح فعلاً هذا الإثم نفسه اجتراحاً صريحاً لا يقبل الشك على أي نحو من الأنحاء، بل لقد كان يمحِّص قواه العقلية، وهو ما يومئ إلى أن الإسلام يُؤْثِر في هذا الأمر الستر وعدم المسارعة إلى تطبيق الحد، أو تمزيق البناء الأسري.

وبالنسبة لتعبير "ما ملكت أيمانكم" الذي تكرر في القرآن المجيد يؤكد أسد خلافاً لما يقوله المفسرون والفقهاء أن الإسلام لا يُقِرّ الاتصال الجنسي بسَبِيَّةٍ أو أَمَةٍ دون زواج، وأن "ما ملكت أيمانكم" معناها: "من امتلكتموهن من النساء بحقٍّ بعقد زواج"، وأن تحديد النكاح بأربعٍ غيرُ خاص بالحرائر من النساء، بل يمتد ليشمل السبايا أيضاً، ذلك أنه يقرأ قوله – تعالى–: ((وإن خفتم ألا تَعْدِلوا فواحدةً أو ما ملكت أيمانكم)) على أساس أن جملة ((فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدةً)) هي جملة اعتراضية، و((ما ملكت أيمانكم)) معطوف على "النساء"، أي "انكحوا ما طاب لكم من النساء أو مما ملكت أيمانكم مَثْنَى وثُلاثَ ورُبَاع"، ومعنى هذا أنه لا فرق على الإطلاق بين الحرائر والإماء في مسائل الاتصال الجنسي والزواج(15).

لكن يبدو لي أن ما فعله أسد هو إرهاق شديد لتركيب الآية، إذ لماذا يقدِّم القرآن الكريم جملة "فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدةً" على موضعها الأصلي ويحولها إلى جملة اعتراضية مما يترتب عليه أن يفهم القارئ أن التحديد بأربع أمر خاص بالحرائر من النساء فقط، مع أن المقصود شيء آخر غير ذلك؟ إن الذي نعرفه هو أنه لا بد من استبراء السَّبِيَّة بحيضة واحدة خلافاً للحرة المطلَّقة التي تُسْتَبْرَأ بثلاث حيضات، ولم نسمع أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أو أحداً من الصحابة كان إذا ضم إليه سبية يعقد عليها القران ويدفع لها مهراً كما كانوا يصنعون مع الحرة، ثم إن القرآن الكريم يميّز تمييزاً واضحاً بين زوجات الرجال وما ملكت أيمانهم بما يؤكد أن هؤلاء غير أولئك حيث قال – تعالى– في موضعين من القرآن: ((... إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم))(16) ذاكراً هؤلاء وأولئك جنباً إلى جنب، ولو كُنّ شيئاً واحداً لاكتفى بذكر الزوجات وحدهن، بل إن المهر فيه لا يُذْكَر إلا للزوجة وحدها لا لملك اليمين، إذ خاطب المولى – سبحانه – رسوله – عليه الصلاة والسلام – بقوله: ((يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيتَ أجورهن وما ملكتْ يمينُك مما أفاء اللهُ عليك...إلخ))، فالأجور كما هو بيّن قد ذُكِرَتْ للزوجات وحدهن دون ملك اليمين، وهذا فضلاً عن أن السبيّة يحل نكاحها لمجرد وقوعها في السبي حتى لو كان لها زوج(17)، وذلك بعد استبرائها بحيضة كما سلف القول، أما الحرة المتزوجة فلا يمكن نكاحها إلا إذا مات عنها زوجها أو طلّقها، أما آية سورة "النساء" فالواضح من

تركيبها أن على المسلم إذا أراد التعديد أن يعدل بين زوجاته، وإلا فلْيكتف بواحدة أو فلْيأخذ مما ملكت يمينه ما يشاء، هذا ما تقوله الآية أما تفسيرها على طريقة المستشرق النمساوي فمن الصعب الاقتناع به، ولسنا نقول هذا لأننا ندعو إلى إفلات الشهوات، فإن الحياة الحديثة في بلادنا تجعل من الصعب الشديد الصعوبة التزوج بأكثر من واحدة، فضلاً عن أن "ما ملكت اليمين" لم يعد لهن الآن أي وجود بحكم التطور التاريخي، لكننا نقرر ما نعتقد أنه هو التفسير الصحيح للآية، ولا ريب أن ما يشرعه القرآن في "ملك اليمين" هو أنبل وأشرف مما تفعله الجيوش الأوربية في أي بلد تجتاحه من اغتصاب النساء، وبقر بطونهن، وتعاور عدّة ذكور على المرأة الواحدة، وغير ذلك من الفظائع، فلا ينبغي إذن أن يُفْزِعنا المعيار الغربي، فهو معيار كله نفاق وغطرسة فارغة كذابة، والأستاذ أسد يعرف هذا أكثر من غيره.

وما دمنا بصدد الحديث عن المرأة فيحسن أن نورد هنا رأى كاتبنا في زي النساء في ضوء ما طالبتهن به الآية الحادية والثلاثون من سورة "النور" التي تقول: ((وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يُبْدين زينتهن إلا ما ظهر منها ولْيضربن بخُمُرهن على جيوبهن...)) إذ يرى أن عبارة "إلا ما ظهر منها" عبارة غامضة قصداً كي يترك الإسلام الباب مفتوحاً للتطورات الاجتماعية في تحديد المساحة التي تظهرها المرأة من جسدها، وعلى هذا فهو يخالف العلماء الذين يحددون المقصود بـ"ما ظهر منها" بالوجه والكفين والقدمين أو أقل من ذلك، ثم يضيف مؤكداً أن المهم هو غض البصر وحفظ الفرج لأن هذا هو مقياس العفة الذي ينصبه الإسلام للحكم على سلوك المرأة ولبسها(18)، ومن الواضح جداً أن محمد أسد قد فاته ما نصَّت عليه أقوال الرسول من أن المرأة إذا بلغت المحيض فلا يحل لها أن تُظْهِر من نفسها إلا الوجه والكفين، ومن الواضح أيضاً أنه لم يبال كثيراً بما تقوله الآية ذاتها من وجوب ضَرْب النساء خُمُرهن على جيوبهن ولا ما جاء في الآية 59 من سورة "الأحزاب" من قوله – عزَّ شأنه –: ((يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدْنِين عليهن من جلابيبهن)) فمن هاتين الآيتين نعرف أن المسألة ليست متروكة للتطور الاجتماعي بل هي محددة تحديداً، وإلا فلِمَ أمر القرآن نساء المؤمنين بألا يكتفين بستر رؤوسهن بالخمار بل لا بد أن يغطين به صدورهن أيضاً،

أو بأن يُدْنِين عليهن من جلابيبهن ما دام المجتمع في ذلك الوقت كان يسمح بكشف الصدر والشعر وما إلى ذلك؟ أليس هذا دليلاً على أن القرآن هو الذي يُسَيِّر المجتمع ويوجهه في هذه المسألة لا العكس كما يريد أن يقنعنا محمد أسد؟ وهب أن العرف الاجتماعي في بلد ما (كما هو الحال في بعض مناطق أفريقيا الهمجية مثلاً، وكذلك في أندية العراة، ومسارح الإستربتيز، وكثير من الأفلام في الغرب نفسه، وبعض بلاد العالم الأخرى أيضاً) لا يرى في كشف المرأة أثداءها ولا سوأتها من حرج، فهل يمكن القول بأن القرآن يقرّ ذلك العرف ولا يرى به بأساً؟ فما دور الإسلام إذن في هذه القضية الخطيرة التي لها من الآثار الاجتماعية والأخلاقية ما ليس لكثير غيرها؟ وإذا كان القفّال الذى يستشهد به أسد قد فسَّر حدود "ما ظهر منها" بأنه "ما تقضى به العادة الجارية"، فقد كان مقصده هو العادة الجارية في المجتمعات الإسلامية في عصره، إذ مهما تفاوتت العوائد وقتها فلم تكن لتخرج عن نطاق الشرع: فبعضٌ يرى أنه لا بأس بكشف الوجه واليدين مثلاً، وبعضٌ آخر يوجب أن تغطى المرأة وجهها ويديها أيضاً تغطية تامة، وبعضٌ ثالث يخفف قليلاً فيجيز لها ارتداء البرقع بدلاً من النقاب... وهكذا.

ثم كيف يا ترى يمكن وصف المرأة التي تعرِّي شعرها وذراعيها وصدرها مثلاً بصفة الحشمة (decency) كما يقول أسد؟ إن هذا تمييع للمفاهيم وللحدود الفاصلة بينها، إننا لسنا من المتشددين الذين يرفضون أن يظهر من المرأة حتى ولا الوجه والكفان*، لكننا لا نستطيع رغم ذلك أن نوافق على ترك الميدان دون ضابط أو كابح بحجة مسايرة "العادة الجارية"، وفوق ذلك فالأستاذ أسد قد عاد في الهامش الذي بعد ذلك فقال: إن الصدر في الإسلام هو جزء من أجزاء جسم المرأة التي لا يمكن إظهارها (19)، إذن فالمسألة ليست متروكة سبهللاً بل هناك ضوابط تحكمه وهذا أحدها، كذلك كيف يقول كاتبنا ما قال والآية التي تلي ذلك تحرِّم على النساء إظهار زينتهن إلا لآبائهن أو آباء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن...إلخ؟ إن هذا يبرهن بأجلى برهان أن زي المرأة ليس متروكاً للعادة الجارية بإطلاق بل له قواعد محددة.

وفي الآية 58 من سورة "النور" الخاصة بالاستئذان داخل البيت الإسلامي والتي توجب على الذين ملكتهم يمين المسلم والذين لم يبلغوا الحُلُم أن يستأذنوا أهل البيت

قبل الدخول عليهم في ثلاثة أوقات محددة: من قبل صلاة الفجر، وحين يضعون ثيابهم من الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء؛ يقول محمد أسد: إن "ما ملكت أيمانكم" يمكن أن يكون المقصود بها مَنْ ملكته يد المسلم أو المسلمة من خلال الزواج (أي الزوج والزوجة)، وذلك بناء على قوله إن السبيَّة لا يصح الاتصال الجنسي بها إلا بعقد زواج ومهر، وقد فرغنا من توضيح خطئه في هذه النقطة، ونزيد هنا أن من الغريب جداً القول بوجوب استئذان كل من الزوجين على الآخر قبل الدخول عليه مع أن كليهما يرى من رفيقه في الفراش ما لا معنى معه لوجوب استئذانه عند الدخول عليه في غرفة النوم، ليس ذلك فقط بل هو يفسر "الظهيرة" في الآية بـ"النهار كله"(20)، ومعنى ذلك أن وجوب الاستئذان سيستمر أربعاً وعشرين ساعة تقريباً ما دامت الظهيرة تساوى النهار كله، على حين يتكفل بالليل جميعه تقريباً الوقتُ الممتد من بعد صلاة العشاء إلى ما قبل صلاة الفجر، لكن إذا كان الأمر كذلك فعلاً فلِمَ حدَّد القرآن مرات الاستئذان بثلاث ولم يقل: "ليل نهار" فيريح ويستريح؟

بقيت نقطتان أختتم بهما هذا الجزء الخاص بالمسائل الفقهية في تعليقات أسد على ترجمته للقرآن: الأولى عَزْوُه إلغاءَ التبني في الإسلام إلى "رغبةِ الرسول" وزعمُه أنه – صلى الله عليه وسلم – حين زوَّج زيداً من زينب كان في ذهنه هذا الهدف، وكأنه – عليه الصلاة والسلام – قد رتَّب كل شيء بحيث يتزوج ربيبُه بنتَ عمته ثم يطلقها ليتزوجها هو، إذ كانت زينب (كما يقول كاتبنا) تحبه منذ طفولتها (21)، ولكن كيف عرف أسد أن زينب كانت تحب الرسول منذ الطفولة؟ وكيف طاوعته نفسه على كتابة هذا الكلام الذي يرجع بعضاً من التشريعات الإسلامية على الأقل إلى "رغبة الرسول" – عليه الصلاة والسلام –؟ بل كيف يرضى محمد – صلى الله عليه وسلم – وهو العربي الغيور أن يزوج بنفسه حبيبته وعلى غير هواها من عبده السابق تخطيطاً للزواج بها من بعد؟ وكذلك كيف فات كاتبنا أن كلامه هذا يناقض القرآن الذي عاتب النبي – صلى الله عليه وسلم – في الآية 37 من سورة "الأحزاب" لأنه "يخشى الناس" فيتباطأ في الزواج من زينب بعد تطليق زيد لها كيلا يقول الناس إنه قد تزوج امرأة ابنه، مع أن الله أحقّ أن يخشاه؟ الواقع أنني لا أعرف سر هذا الغرام

لدى أسد بمخالفة ما هو معلوم ومقرَّر دون داع، والإتيان بتلك الآراء الغريبة التي يصعب على النفس والعقل هضمها!

والنقطة الثانية هي دعواه بأن الحكم الشرعي في قوله عزَّ من قائل: ((يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدِّموا بين يَدَيْ نجواكم صدقة)) لا يزال ساري المفعول، إذ الآية في نظره أعم مما يُفْهَم من ظاهرها، وأن المقصود هو وجوب تقديم المسلم صدقة كلما أقبل على دراسة التعاليم النبوية، ماليةً كانت هذه الصدقةُ أو مجردَ كلمة طيبة...إلخ، لأن هذه التعاليم تقوم مقام النبي نفسه – عليه الصلاة والسلام –(22)، وكاتبنا بهذه الطريقة يُضَيِّع معالم النص، ويجعله ينطبق على كل شيء وأي شيء، ثم إننا لم نسمع أن أحداً من الصحابة كان يفعل هذا الذي يطالب به أسد، بل بالعكس كان بعضهم يشفقون أن يقدِّموا بين يدي نجواهم مع الرسول نفسه صدقات كما تقول الآية التي تلي ذلك، فكيف يطالَب المسلمون بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يقدِّموا هذه الصدقات؟ على أية حال فهذه الآية نفسها توضح أن الله قد أعفاهم من هذا الحكم، إذ تقول: ((أأشفقتم أن تقدِّموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتُوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون)) لكن أسد رغم هذا لا يسلِّم بل ينفي أن يكون في الآية الثانية نسخ للأولى، إذ إنه ينكر فكرة النسخ من جذورها لأنها كما يقول تذكِّرنا بمؤلِّف بشرى يعيد النظر في بعض النصوص التي كتبها فيشطب ما تبيَّن له خطؤه، ويستبدل به كلاماً آخر(23).

والمعروف أن النصارى يتخذون من فكرة النسخ في القرآن هدفاً لمطاعنهم رغم وجوده في دينهم، ويتهمون كتاب الله بالتخبط، وتغيير الأحكام من آونة لأخرى(24)، فهل يريد أسد أن يغلق الباب في وجه هؤلاء وأمثالهم؟ لكننا لو نفينا من القرآن كل ما يتخذه أعداؤه مطاعن عليه فأخشى ما يُخْشَى أن نصحو ذات يوم لنجد أننا قد ألغينا القرآن كله! وأياً ما يكن الأمر فلا بد أن نعرف أن النسخ غير "البَداء": فالبداء هو اتهام الله – سبحانه – بالجهل بما سيقع والاضطراب في الأحكام بناءً على هذا كما يزعم اليهود، أما النسخ فهو المواءمة مؤقتاً بين الأحكام وبعض الظروف الطارئة ثم

تغيير هذه الأحكام بعد زوال الطارئ من الظروف، فالفرق بينهما كما ترى هو الفرق بين المشرق والمغرب(25).

والحق أن في تفسير أسد لمفهوم النسخ ظلماً وتجنياً شديداً على من يقولون به، فهم لا يقصدون هذا الذي يقول البتة، ولا يمكن أن يدور بذهنهم شيء منه، وكل ما يقولونه هو أن الظروف في بداية الدعوة الإسلامية كانت تحتاج إلى بعض التشريعات المؤقتة التي تناسبها ثم اسْتُبْدِل بها غيرها حين زالت هذه الظروف الخاصة، وهذا مشاهَدٌ في كل مجالات الحياة، فالطفل مثلاً له معاملة تختلف عن معاملته هو نفسه حين يكبر، وليس يظن عاقل أن في الأمر خطأ، بل هي طبيعة التطور، وعجيب أن يتصلَّب أسد في موقفه هذا من النسخ، وهو الذي يقول باحترام التطور في مسألة الزي النسائي على رغم خطورة الرأي الذي ينادى به.

ومما يعتمد عليه مترجمنا في إنكار النسخ في القرآن أيضاً الآية 42 من سورة "فُصِّلَتْ" التي تصف القرآن المجيد بأنه "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" لأنه يظن أن "إبطال" الحكم في الآية المنسوخة هو نفسه "الباطل" الذي نفته الآية عن القرآن(26) مع أن هذا غير ذاك، ومثله نوع الطعام الذي يقدَّم للإنسان في فترة الرضاعة إذ بعد أن يكبر الطفل وتنبت له أسنان ويقوى جهازه الهضمي فإن أمه تكفّ عن إرضاعه وتقدِّم له بدلاً من ذلك أطعمة متماسكة، ولا يقال أبداً إنه قد اتضح أن اللبن كان طعاماً باطلاً.

ولأن مستشرقنا النمساوى يرفض القول بالنسخ نراه يلوى بعنفٍ الآيتين 6- 7 من سورة "الأعلى": "سنُقْرِئك فلا تنسى* إلا ما شاء الله" قائلاً إنهما قد سببتا حيرة شديدة للمفسرين إلى يومنا هذا، وإنهم كالعادة قد لجأوا في تفسيرهما إلى القول بالنسخ، أما هو فيفسرهما بأن المقصود بهما ليس قراءة القرآن ونسيانه بل العلم البشرى بكل أنواعه من تجريبي وتأملي واستنباطي مما يورِّثه كل جيل للجيل الذي يليه، فلا يضيع منه شيء إلا ما شاء الله أن ينساه البشر لكونه لم يعد صالحاً جَرّاء تقدم العلم، والتنبه إلى أنه كان خاطئاً(27)، وفي هذا التفسير من التمحُّل ما فيه، فالكلام في الآيتين موجَّه للرسول – عليه الصلاة والسلام – على حين أنه حسب تفسير أسد موجه للبشرية كلها دون أن يكون في السياق ما يسوّغ هذا التفسير!

على أن محمد أسد ليس هو الوحيد الذي ينكر النسخ من المسلمين، بل مجرد واحد منهم، وأذكر في هذا الصدد أن عبد المتعال الجابرى مثلاً قد أصدر منذ وقت غير بعيد كتاباً بعنوان "لا نسخ في القرآن"، ولهذا الفريق حججه التي يبسطها في الدفاع عن رأيه، وهم يؤوِّلون كل آية يقول غيرهم إنها قد نُسِخَت بحيث تبدو وكأن مفعولها لا يزال سارياً، ولست أرى في هذا ما يجرح إيمان صاحبه وإن كنت أخالفهم في موقفهم، وقد أحببتُ في ردّى على أسد أن أبين أن الأدلة التي يوردها في الدفاع عن رأيه ليست بالأدلة القوية أو الوجيهة، وهذا كل ما هنالك، وعلى أية حال فإني أجد الخلاف معه هنا أهون كثيراً من الخلاف حول عصمة الأنبياء، أو نجاة اليهود والنصارى والصابئين بعد مجيء الرسول - عليه الصلاة والسلام - برسالته إلى جميع الإنس والجن.

وفي النهاية أحب أن أضيف أني بعد أن فرغت من هذه الفصول قد اطَّلعت على ترجمة محمد أسد في "تتمّة "الأعلام" للزِّركلْيِىّ" لمحمد خير رمضان يوسف الذي يقول إن أسد قد "ظل يُسْدِى النصح الصبور إلى الإسلاميين ليقنعهم بأن الموعظة الحسنة والبناء المتأني لا الصراع المتعجل هو سبيل البناء الإسلامي الصحيح"(28)، وأنا معه في هذا، وأرى أنه ينبغي البدء بالإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية قبل التفكير في تطبيق الحدود التي ينبغي أن تكون آخر ما يُطَبَّق بعد أن تكون الأرض قد مُهِّدَت تماماً مثلما حدث في عصر الرسول - عليه الصلاة والسلام -.

---

* وهذا ليس من التشدد في شيء لأن الخلاف وارد في هذه المسألة، أما الرأي المذكور فهو خاص بالكاتب. المختار الإسلامي.

المصدر : /awad.htm2004-10-29/2004http://www.alshaab.com/

=============

#من الاستشراق إلى الدراسات الإسلامية

د. ميسم الفاروقي

تغيرت حالة التعليم العالي في مجال الدراسات الإسلامية تغيراً هائلاً و تقدمت تقدماً ملحوظاً في العقود الأخيرة في الولايات المتحدة. و بغرض فهم الوضع الراهن و تفهُّم المشكلات و مناحي القصور الحالية المتعلقة بهذه الدراسات، سوف نقوم أولاً بمراجعة تطور هذا المجال فيما يتعلق بالدراسات الدينية بشكل عام، ثم نركز بعد ذلك على المشكلات الرئيسية المتعلقة بتدريس الإسلام على وجه الخصوص، وهي مشكلات تتعلق على وجه التحديد بالمعلمين ومناهج التعليم من ناحية، وبالكتب وطريقة كتابتها من ناحيةٍ ثانية.

التطور التاريخي:

انتقلت الدراسات الدينية في العالم الغربي من المؤسسات اللاهوتية إلى المعاهد العلمية، و أدخل (عصر العقلانية) الغرب في دائرة الدراسات المنهجية و العلمية للدين، و التي تختلف بشكلٍ ملحوظ عن الطرق الكَنَسيّة لدراسة الدين و التي تعتمد بشكلٍ أساسي على التسليم. و قد أدى هذا إلى الاعتراف بأن الدين كظاهرةٍ اجتماعية و سياسية و ثقافية يمكن فهمها و شرحها عبر العلوم الاجتماعية و ليس عبر علم اللاهوت.

ومن المعروف أن هذه العلوم الاجتماعية أبدعت طرائقها في البحث بشكلٍ يتناسب مع موضوعاتها ومجالات بحثها، و لكن استعمال هذه الطرائق في مجال دراسة الأديان يؤدي عادةً إلى اختزال الدين إلى أحد أبعاده فقط. فبدلاً من رؤية الدين كعقيدةٍ جامعة تربط كل الأمور ببعضها، ضاعت هذه العلوم في التحليل الجزئي الذي فشل في رؤية البنية الكلية التي تجمع الأمور و تعطيها معناها. و قد كان التحدي لطالب الدراسات الدينية أن يطور حقل دراسة الأديان بحيث يكون الدين وحده هو محور الاهتمام و مصدر التعريف و مفصل التفريق، وبحيث يصبح الدين موضوعاً خاصاً متفردا مستقلا، تُستدعى لدراسته طرائق بحثٍ خاصة مستمدة و مفهومة من طبيعته الكلية.

وبعيداً عن الدخول في تفصيلات الموضوعات المنهجية لدراسة الدين، تجدر الإشارة إلى أنه رغم الاختلاف حول تاريخ الدين و تعريف موضوع الدين و بنية الدين، إلا أن هناك اتفاقاً عاما حول استقلال و ذاتية حقل الدراسات الدينية و الذي احتفظ به

عبر منهجية الظاهراتية. و قد نأى هذا الاتجاه بنفسه بعيداً عن المنهجية اللاهوتية التي تعنى بتأصيل الحقيقة المطلقة، و بقي في نفس الوقت على مسافةٍ من منهجية الاختزال التي تمارسها العلوم الاجتماعية، و التي لا تستطيع أن تفسر إلا أموراً جزئية من الدين. و بالطبع لم ترحب المدارس اللاهوتية التي احتكرت دراسة الدين (بِعَلمَنة) هذا المجال من الدراسة من قبل علماء الاجتماع أو علماء الظاهراتية. لكنها تقبّلت – في بعض الأحيان – هذه العلوم المستحدثة بشرط إضافة لمسةٍ دينية تُثبت أن الإيمان هو النتيجة النهائية لمكتشفاتها. و ظلت النصرانية في أوروبا محصورةً بمدارس اللاهوت و الكنائس بينما كان للأديان الأخرى معاهد و مؤسسات "استشراقية". أما في الولايات المتحدة فقد كانت جميع الأديان تتكامل في أقسام و هذا يعني تطبيق نفس المنهجية على جميع الأديان بغض النظر عن تفوقها.

كان كل ذلك من الناحية النظرية – على الأقل– و لكن التطبيق أثبت صعوبة التزام هذه المنهجية بشكل شامل. فلم تكن أقسام الدراسات الدينية تلتزم دائما بالمنهجية الظاهراتية التي كانت تُستخدم بشكل أكثر جدية في الدراسات المتعلقة بالنصرانية (ثم اليهودية بعد ذلك) منها في الدراسات المتعلقة بالأديان الأخرى. فبالنسبة للنصرانية كدينٍ للأغلبية في الغرب، كان العلماء الجدد على علمٍ و درايةٍ بالبعد الاعتقادي و هذا بالطبع يمنع من الجنوح إلى الاختزال في الدراسات النصرانية، أما ما يحدث عند دراسة أي دين آخر "غير غربي" فكان على عكس ذلك تماما.

فالإسلام كما يروون لنا سواء في النشرات التمهيدية أو التخصصية ليس ديناً واحدا فهناك عدة نسخٍ وأنواعٍ من الإسلام (أو ما يسمونه "إسلامات")، و تديُّنُ المسلمين يختلف من منطقة إلى أخرى في العالم، و تتمحور أكثر دراسات الطلبة للأديان غير الغربية على دراسة السلوك وعلى عرض وجهات نظر شائعة. و بالمقابل لا تُعطى المجلدات الضخمة التي تتحدث عن العقيدة أي اهتمام، و ليس هناك من محاولة لكشف العلاقة بين السلوك و عقائد الدين.

و بالطبع فإن نقص الفهم و الإدراك لعقائد الأديان الأخرى هو الذي يحمل الطلاب الغربيين على التركيز على الدراسات العرقية و الدراسات الميدانية. و نظراً لعدم تمكنهم من فهم العلاقة بين الواقع و عقيدة الدين فإن ذلك يقودهم إلى التقديم

المختصر المختزل الذي تصبح فيه شعائر العبادة هي المُعبِّر الرئيسي عن الدين. و على سبيل المثال – إذا لم تكن مسلماً – فإن معرفتك بالعقيدة الإسلامية لن تتعدى العلم بأن المسلمين يؤمنون بالإله و يمارسون أركان الإسلام الخمسة، و بعبارةٍ أخرى فإن الفهم الإجمالي سيتلخص أن هناك بعض الشعائر ترتبط بالإيمان. و بالطبع فإن المختص سيكون على علمٍ بكثيرٍ من التفاصيل التاريخية و لكن الفهم للعقيدة سيكون معدوماً في غالب الأحوال.

هذا الافتراق بين الدراسات النصرانية و الدراسات للأديان – غير النصرانية – موجودٌ بعمق في حقل الدراسات الدينية. و لا بد من معالجة هذا الوضع بزيادة الأبحاث الميدانية في واقع التدين النصراني الحديث من جهة، و بزيادة الدراسات المنهجية للعقيدة في الأديان الأخرى.

وإن من الضرورة بمكان أن ننتبه إلى أن حقل دراسات الأديان – غير الغربية – قد تأثر إلى حدٍ كبير بظروف نشأته التاريخية. فقد نشأ الاستشراق في القرن التاسع عشر مع التوسع الاستعماري الذي كان يحتاج إلى فهم ثقافات الشعوب المستعمَرة ليتمكن من نشر الدعاية للمدنية الغربية بشكل أفضل. و لذا لم يكن مستغرباً أن يتزايد الاهتمام بالدراسات الإسلامية في الفترة الاستعمارية لارتباطه بإيجاد المبرر الفكري للاستعمار. و لم يجرِ سبرُ و فحصُ استغلال و استعمال النتاج الفكري قبل قيام هذا النتاج بتركيب القوى في المجتمع الذي أنتجه إلا في الستينات من هذا القرن من خلال الكتابات الفلسفية لأمثال (مايكل فوكو). و كذلك ساهم بعض العلماء – و المسلمون والعرب منهم بشكل خاص في فضح عددٍ من المستشرقين و في تبيان مناهجهم. و قد بلغ هذا النقد شأوه عندما عُمِّمَ مجال النقد الأدبي و تحليل النصوص عبر النقد المنهجي الذي يهدم طرق المستشرقين و مجالات بحثهم، وكانت الصورة المُثلى لهذا البحث الذي نشره (إدوارد سعيد) في كتابه (الاستشراق) و الذي أصبح مشهورا عالميا. و رغم أن الاستشراق كظاهرة – فَقَدَ رصيده و احترامه حتى أن هذه الكلمة أصبحت تستعمل لوصف فكرةٍ أو كاتب لا نتفق معه، إلا أنه – أي الاستشراق – ما زال المصدر و المرجع للدراسات المتعلقة بالإسلام.

يحمل الاستشراق أهدافاً فكريةً تتمثل في إثبات دونية البنية الاعتقادية و العملية للأديان غير الغربية و ذلك لتبرير فرضِ قيم و مؤسسات الثقافة الغربية (وخاصة المؤسسات السياسية و الاجتماعية تحت شعار الديموقراطية و التحديث و العلم)، و ذلك كما بين (إدوارد سعيد) بأمثلة تفوق الحصر. لقد كان التحيز الوقح للمستشرقين مدعاةً للشك في انتمائهم للعلم، و كان هذا أيضاً هو الأمر الذي طرحته الحركات الرافضة المعادية للمؤسسات في أمريكا في الستينيات. و قد صادف أن الاهتمام بالأديان الأخرى غير النصرانية و الذي تزايد من خلال هذه الحركات ساهم جزئياً في التحريض على إنشاء أقسام أديان، و سُمِح لهم باكتساب الاستقلال عن أقسام الفلسفة. و بذلك أصبح الاختصاص بحقول الدراسات الإسلامية و الأديان الشرقية واسعاً ومُنتشرا، و جاء مع ذلك المساهمات العلمية التي أبرزت التحدي للمناهج و المؤسسات القديمة.

و على هذا فالمشكلة الرئيسية في مجال الدراسات الدينية تنبع من حقيقة أن أكثر الأعمال الأساسية فيها جاءت عن طريق الفلسفة أو الاستشراق حيث لا يتعامل أي منهما مع الدين كعقيدة ونظام حياة و لا يستخدم منهجية الظاهراتية على الإطلاق. و كان فهم الدين يُستنبط و يُحمل على شرح و بيان الجمود الاقتصادي عند المسلمين، أو أي قصور في الثقافة الإسلامية بالقياس إلى الثقافة الغربية. فالخلفية الثقافية للعلماء الغربيين و النقص النسبي في معالجة قضايا الاعتقاد في الأديان الأخرى، يجعلهم يفسرونها بشكل لا يمكن أن يُقِرّهُ أهل تلك الأديان. إن من الطبيعي أن يقرأ المرء ثقافته من خلال دين آخر، و لكنه ليس من الطبيعي على الإطلاق الادعاء أن هذه القراءة هي القراءة الصحيحة و الموضوعية، و هذه بشكل أساسي هي المشكلة مع الدراسات المعاصرة في حقل الأديان غير الغربية. و كما أكَّد (فوكو) و (تشومسكي) و (إدوارد سعيد) فإن النفوذ السياسي ما زال له دورٌ في قبول العمل العلمي و الحكم على درجة معقوليته، و باعتبار أن النفوذ السياسي العالمي يكمن في قبضة الغرب، فإن الاستشراق لا يستند في مرجعيته إلى التزام المعايير الموضوعية بل إلى القوة السياسية الكامنة في الثقافة التي أنتجته. و الحقيقة أن أكثر الأعمال العادية للعلماء الغربيين لا تتطلب أكثر من ترديد آراء المستشرقين عن

الإسلام لتلقى الترحيب و تحصل على الدعم المالي و تنال الشهرة رغم احتياجها للمؤهلات و الجدارة العلمية، وهذه حالةٌ يمكن أن تُلاحظ بوضوح في كل أرجاء العالم.

و رغم أن الجيل الجديد من العلماء يبدون قدراً متزايداً من النقد الذاتي، إلا أن التكبُّر في الدراسات الاستشراقية لا يزال موجوداً و بحاجة إلى الاقتلاع. و باختصار، تتمثلُ الموروثات التي تحمل إشكاليةً سلبية في حقل الدراسات الإسلامية في هذه المجموعة من النقاط:

1. الجهل بعقيدة و مفردات الإيمان الكامنة في الدين الأجنبي (وخاصةً الإسلام في هذه الحالة).

2. الميل الطبيعي لقراءة الأديان الأخرى من وجهة نظرٍ محدودة بالرؤية الخاصة لمن يمارس تلك القراءة.

3. التحيز الاستعماري و الانطلاق من عقلية امتلاك المرجعية.

وليس من الغريب بعد هذا – ورغم المتغيرات الكثيرة التي حدثت في هذا الميدان – أن أكثر القضايا المرتبطة بالوضع الحالي للتعليم الإسلامي في مستوى الكليات له علاقة بواحدة أو أكثر من العوامل المذكورة. و سيحتاج الأمر إلى بعض الوقت – على ما أعتقد – ليحرر هذا المجال من الدراسة نفسه من هذه الخلفية التاريخية و ليتمكن من الاحتفاظ بالاكتشافات الحقيقية و بالنظريات العلمية الرصينة في تراث الاستشراق و يتخلص من التشويه الفكري.

المشكلات المتعلقة بالمعلمين و مناهج التعليم:

من أكبر المشكلات أهميةً و التي تنطبق على جميع الأديان غير الغربية، أنها تُدرَّسُ على الأغلب في الصفوف التمهيدية، و يقوم على تدريسها مختصون في عقائد أخرى و أحياناً مختصون في تخصصٍ مختلف كلياً. وفيما يتعلق بالإسلام بالذات فإنه غالباً ما يُكلَّفُ بتدريسه أي إنسانٍ له خبرة بمجالٍ ما ذو علاقة بهذا الحقل من الدراسة مهما تكن تلك العلاقة بعيدة. و المشكلة تظهر عندما يُعيّنُ لتدريس الدراسات الإسلامية إنسانٌ غير متخصص في العقيدة، لأن الإسلام يغطي مساحة واسعة من التاريخ إلى الدين، ولا يُعقل أن يستطيع مثل ذلك الشخص أن

يؤدي دوره بأمانة وهو بعيد عن فهم العامل الأساسي في ما يقوم بتدريسه وهو العقيدة.

فهؤلاء، سواء منهم المتخصص في التاريخ أو الاجتماع أو حتى في الأدب العربي، يصبحون خبراء في الإسلام (و لا يُقال خبراء في التاريخ الإسلامي أو الاجتماع الإسلامي..)، و ليس غريباً أن نجد علماء اجتماع يُدرِّسون الإسلام في أقسام الدين، في الوقت الذي لا يُقبل فيه على الإطلاق ادعاء متخصص في تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى على أنه خبيرٌ في النصرانية. و في نفس الوقت يمثل مصطلح (مختص بالإسلاميات) مشكلةً، إذ أن هذا المصطلح يغطي بدون تمييز مجالا من العلم ينتسب إلى حضارةٍ تمتد زمانياً عبر خمسة عشر قرناً و مكانياً عبر ربع مساحة العالم. و على النقيض ليس هناك (مختصٌ بالنصرانيات) من بين الاختصاصات العلمية التي تنتسب إلى النصرانية التي تمتدُّ زمانياً عشرين قرنا و تغطي مكانياً ربع مساحة العالم.

و كما يبدو فإن هناك موقفاً متعجرفاً يكمن وراء هذه الطريقة المسيئة في تمثيل الإسلام، كما يبين المثال التالي (علماً بأنني سأُعرضُ عن ذكر الأسماء لأن الغرض هو عرض القضايا في مجال الدراسات السياسية). فقد أخبرني مرةً عميد قسم الأديان في جامعةٍ مرموقة عن نيته تعيين مُدَرِّسٍ لتدريس دورةٍ تمهيدية عن الإسلام، وعندما أشرتُ إلى أن ذلك الشخص المعني هو متخصصٌ في التاريخ، هزَّ العميد كتفيه بلا مبالاة و قال إن والد هذا الشخص قسيس و هذا يكفي لضمان أن يمتلك هذا الرجل فهماً كافيا للبعد الديني للإسلام!! و لنا أن نتصور أن يُطبَّقَ هذا المثال على النصرانية، و نتصور أن يُعينَ مسلمٌ متخصصٌ في التاريخ الأوروبي مُعلِّماً للدين النصراني فقط لأن أباه كان فقيهاً شرعيا.

إن أحد المشكلات الرئيسية يكمن في حشد جميع أنواع الدراسات و الاختصاصات تحت اسم (الدراسات الإسلامية). و لا تنحصرُ إشكالية تعليم (الدراسات الإسلامية) بشكلها الراهن في غياب التحديد الدقيق فقط، وإنما في رداءة النوعية العلمية التي يُنتجها مثل ذلك التعليم. و لذا فإن هذا يستدعي أن يُطبّقَ في تصنيف الفروع الموجودة تحت هذا العنوان الكبير (الدراسات الإسلامية) المنهج المُتّبعُ في كل حقول

المعرفة الأخرى. و من الطبيعي أن يؤثر غياب التحديد على تدريب الأساتذة "المختصين" و "علماء" المستقبل، الذين يحصلون على شهاداتهم من جامعاتٍ تعاني من كل المشكلات التي عرضناها، والأدهى من ذلك أنه ليس هناك أي مؤهلات محددة تُطلب من الجامعات لتغيير هذا الوضع.

و من الظواهر العجيبة أن ترى أن أغلب "الخبراء" بالإسلام في أمريكا لا يمتلكون إلا معرفةً ضئيلة بالعربية أو ليس عندهم أي خبرة بها. و إذا حدث أن كان عندهم بعض المعرفة بالعربية فليست هي المعرفة اللازمة للتمكن من الأدب العريق القديم أو المعاصر و الذي يُهملُ ببساطة لأنه ليس أدباً غربياً. و مرةً ثانية، للقارىء أن يتصور إمكانية وصف إنسانٍ بأنه خبيرٌ بالفكر اليوناني دون أن يكون عنده أي معرفة باللغة اليونانية. ولكن هذا بالضبط هو ما يحدث في مجالات الدراسات الإسلامية، ليس في المستويات التمهيدية فحسب بل على مستويات مراكز الصدارة في هذا المجال.

المشكلات المتعلقة بالكتب:

تحدث المشكلة الرئيسية في الكتب الدراسية عندما تُكتبُ هذه الكتب لدراساتٍ دينية و تُستعمل من قبل خبراء في مجال آخر غير مجال الدراسات الدينية، كطلاب التاريخ و علوم السياسة الذين ينقلبون بلحظةٍ واحدة إلى "خبراء" غبر التأثير السحري لكلمة (خبير إسلاميات). فالمشكلة تكمن في كتبٍ دونها علماء تمرسوا في الدراسات الدينية و لكنهم يفتقدون التمرس في العقيدة الإسلامية و يعتمدون على مصادر غير أصلية نظراً لجهلهم التام باللغة. و تغيب العقيدة تماماً أو تُذكر باختصار في ثنايا عرض بعض المناظرات الدينية في مدارس اللاهوت في القرون الوسطى.

و لقد جرت العادة أن يعطي أي كتابٍ تمهيدي عن الإسلام عرضاً مختصرا عن تاريخ نشأة الدين، تُذكرُ بعده بعض (أركان/شعائر) الإسلام مع غياب أي نظرة عقدية، و ربما يتبع ذلك وصفٌ جاف لنشأة بعض المدارس و المذاهب الفقهية، ثم ينتقل البحث إلى الحركات الحديثة و القضايا المعاصرة في العالم الإسلامي. و يغيب في هذا العرض البعد الاعتقادي الذي يعطي المعنى للحركات و المؤسسات و يُبرز الجانب العملي للإيمان. و تتضاعف المشكلة وتزداد وضوحاً عندما نتعامل مع

كتابٍ تمهيدي يُغطّي عدداً من الأديان. إذ غالباً ما يعتمد الكاتب على فهمٍ مُتَوهّم لمصادر غير أصلية لعرضِ الدين الذي يُدَرِّسُهُ. و لذا أصبح تتبُّعُ الشائعات و الأغاليط التي تنتقل من مؤلف إلى آخر بُغية التنبيه والإشارة إليها مهمةً من أصعب المهام.

و حيث أن عرض النصرانية (و اليهودية بشكل متزايد) يتمُّ بشكل متوافقٍ مع رموزها و تصورها الديني، فإن المرء ممن يتعلم في مثل هذه الكتب - يتخيل أن الإسلام (و الأديان غير الغربية) ليس إلا مجموعةً من الطقوس التي قد تُفهم إلى حد ما. فبعد الأركان الخمسة ننتقل مباشرة إلى بعض القضايا الاجتماعية (و التي تمثل مشكلات) كالمرأة و الجهاد، و في بعض الكتب التمهيدية تبتدأ المقتطفات بسورة الفاتحة و يليها مباشرة آية ضرب النساء، و كما هو متوقع لا يُشرح هذا الأمر وتبقى ارتباطاته وتفسيراته مُغيّبةً تماما. و طبيعيٌ بالنسبة لمؤلفي الكتب وإن كان غريباً في المنهجية المقارنة - أن أقسام الكتاب التي تتحدث عن اليهودية و النصرانية لا يوجد فيها أي ذكرٍ لوضع المرأة في هذه الديانات.

و إذا حدث أن عُرضت بعض التصورات الاعتقادية في هذه الكتب فغالباً ما تُوضع بحيث تعكس التفكير الصوفي في الإسلام. الأمر الذي يعطي فهماً مغلوطاً بأن الفهم الصوفي (الباطني-الرمزي) هو الفهم الوحيد للعقيدة في الإسلام. فيما الحقيقة تقول أن هناك فهماً أصلياً يتعارض مع الصوفية، و أنه لابد على الأقل - من إجراء بعض التأويلات على مثل هذه الكتابات لتتفق مع الفهم الأصلي. ومعلومٌ أن الفهم الأصلي للعقيدة يتعارض بشكل صريح مع النصرانية بينما تتشارك الصوفية مع الرمزية النصرانية. و هذا ما يفسر الاهتمام من قبل كثيرٍ من العلماء بالصوفية.

و هناك مشكلةٌ أخرى تكمن في ترجمة القرآن الكريم حيث أن بعض الترجمات مثيرٌ للتساؤل بشكلٍ مؤكد. و أحسن الترجمات - على حد علمي - هي ترجمة محمد أسد (رسالة القرآن) و التي تحتوي على تعليقٍ وشرحٍ علمي جيد، و إن كانت اللغة الإنجليزية المستعملة فيها تتصفُ بالرصانة و الجدية. هذا وإن من الصعوبة بمكان اختيار مقتطفاتٍ من القرآن كما هو الحال عليه مع النصوص الأخرى، و ذلك بسبب الاختلاف الجذري بين أساسيات البلاغة العربية و فن الكتابة الغربية، الأمر الذي

يجعل الفهم متعسرا من غير تدريبٍ اعتقادي مناسب. و بدون هذا التدريب غالباً ما سينتقل انطباعُ عدم إمكانية الفهم إلى الطلاب.

و أهم من هذا كله في مجال (الدراسات الإسلامية) – الخضوع لضغط وسائل الإعلام وقبول عرضها الشائع للإسلام. فالموضوعات الرئيسية للمناقشة في أي كتابٍ تمهيدي عن الإسلام هي المرأة و الجهاد و الإرهاب، و كأن هذه الموضوعات هي الموضوعات الرئيسة في الإسلام أو عند المسلمين.

و لا أود أن أنهي هذه المراجعة بلهجة سلبية، فالحقيقة أن التقدم في العقود الأخيرة في مجال الدراسات الإسلامية هائلٌ حقاً، و الحقيقة أن هناك جيلاً من العلماء يعملون على تحرير أنفسهم من القديم و ينتجون بازدياد إنتاجاً علميا رصينا. و إذا ما طبقنا المعايير الصارمة في مجال الدراسات الإسلامية كما اقترحَت هذه المراجعة فسيصبح هذا القسم مضاهيا لبقية الأقسام.إن ماضي وتاريخ أي علم من العلوم يمكن أن لا يكون رائعا أو على الوجه المطلوب، ولكن الواجب أن يكون المستقبل كذلك، و هذا هو الهدف الطبيعي النهائي لطلب العلم.

المصدر : http://www.alrashad.org

=============

#البعد التوراتي الصهيوني لحملات الاستشراق نحو فلسطين

شكلت فلسطين في الذهنية الغربية أهم منطقة جغرافية ودينية منذ زمن بعيد، لكن التحول العقدي الذي برز منذ أوائل القرن السادس عشر حوّل ذلك الاهتمام إلى توحد عقدي سياسي يرتبط بالتطلعات التي نشأت مع نشوء الدولة القومية في مجمل أوروبا.

ولما كانت الحملات الاستعمارية على أفريقيا وآسيا وحتى أمريكا تأخذ طابعاً أوسع من الطابع العسكري؛ فقد رافقت هذه الحملات حركات دينية تلعب لعبة التنصير في خدمة السياسة الاستعمارية الكلية.

أما في فلسطين فقد كان الأمر أعمق، وأكثر حساسية، فبروز المذهب البروتستانتي جعل التطلع إلى فلسطين يأخذ بعداً سياسياً تاريخياً وعقدياً، فالصهيونية الغربية راحت تركز أفكارها وتوجهاتها نحو ما يسمى أرض الميعاد، أو الأراضي المقدسة

تمهيداً لربط اليهودية بهذه الأرض، وتمهيداً لما أسموه عودة اليهود إلى أرض أجدادهم، فإضافة لترويج هذه الأفكار ونشرها في أوروبا كان لابد من خلق موجهة من التحرك الاستشراقي والاثاري الغربي كي تكتمل دائرة التوجه الاستعماري نحو فلسطين، وكان المقياس في هذا التحرك إثبات ارتباط أرض فلسطين بالتوراة دون سواها.

والواقع أن تسلسل التحركات الاستشراقية يثبت أن موجة هستيرية اجتاحت العقل الغربي بشكل عام، وبات لدى الدوائر الغربية نهماً وشراهة في إيجاد أي صلة بين فلسطين واليهود.

ومن هذا المنطلق اختلط علم الاستشراق بعلم الآثار، وبات على الصهيونيين المسيحيين التوجه إلى فلسطين توجهاً فكرياً وتوجهاً آثارياً، فهناك من يروج لفكرة أرض الميعاد واليهود، وهناك من يرحل إلى فلسطين ينقب عن الآثار، ويدرس الواقع السكاني والاجتماعي، وفي المحصلة فإن هؤلاء وهؤلاء كانوا يحملون التوراة، ويتوقفون عند نص من نصوصها، ويقارنون ما يشاهدون أو ينبشون عنه في الأرض بما في النص التوراتي.

وأصبح من الواضح أن المستشرقين والاثاريين الغربيين جعلوا كل جهودهم في إثبات أن التوراة هي الأصل وهو المقياس، وأن علم الآثار ليس إلا وسيلة للوصول إلى مقولات التوراة، وأصبح نص هذا الكتاب بالنسبة لهم مقدساً إلهياً لا يحتمل الخطأ، حتى وإن أخطأ علم الآثار أو أصاب فإن التوراة لا تخطئ، وهي الأصح، وهي القانون الذي يقاس به أي اكتشاف أو أي نظرية تاريخية تخص أرض فلسطين.

وليس غريباً أن نجد أن التوجه الاستشراقي نحو فلسطين باعتبارها – أرض الميعاد – يدخل ضمن دائرة كبرى من حركة الاستشراق الغربي ككل، فمن المستشرقين من تخصص بدراسة الإسلام، والجزيرة العربية، ومنهم من تخصص بدراسة عادات الشعب العربي وتقاليده ومعتقداته، وآخرون تخصصوا بالأدب العربي خاصة الشعر، وغالبية هؤلاء كان هدفهم التشويه والتحريف والطعن والتشكيك، فلا يمكن في هذه الحال فصل أي توجه استشراقي عن دائرة المعركة بين الغرب والشرق، أو بين الأرض العربية الإسلامية وبين الغربيين وتوجهاتهم الاستعمارية.

والواقع أن الاهتمام الاستشراقي بفلسطين هو اهتمام مبكر جداً ويعود تقريباً إلى القرن السادس الميلادي، إلا أن التوجه المنظم والهادف والمرتبط بالدوائر الاستعمارية والتوجهات اليهودية راح يتشكل في القرون السابقة الأخيرة، وخاصة بعد انتهاء الحروب الصليبية والتقلبات التي حدثت في أوروبا.

إلا أن القرن التاسع عشر شهد أكبر الحملات الاستشراقية الاثارية، حيث صار من الواضح أن الحكومات الغربية وعلى رأسها الملوك في بريطانيا وفرنسا وهولندا وروسيا هي التي تبنت الحملات ومولتها، حيث أخذت بشكل ما طابعاً رسمياً منظماً، ولما بدا واضحاً أن اليهود راحوا يتحركون لإنشاء جمعيات صهيونية اجتمعت جهودهم مع جهود التوجه الصهيوني المسيحي لتشكيل تحركات واسعة نحو فلسطين.

ففي عام 1838 زار فلسطين ولمدة ثلاثة أشهر متوالية العالم اللاهوتي الأمريكي ادوارد روبنسون، وقد دون مع زميل له الأسماء العربية، ولاسيما الخاصة بالقرى والأماكن الأثرية، وفي عام 1850- 1863 لحقه العالم السويسري تيتس روبلر وقد عمل بالمسح الطبوغرافي لفلسطين، وقام بالكشف عن كثير من الآثار الفلسطينية.

ومنذ عام 1865 تأسست هيئة صندوق تمويل التنقيب عن آثار فلسطين، ويرجع أساس تكوينها لجمعية أحباء صهيون البريطانية، ومنذ ذلك الوقت توسع التفكير الغربي الاستشراقي والاثاري بفلسطين على اعتبارها الأرض المقدسة، وأرض الميعاد حسب التصور الصهيوني المسيحي.

ترافق هذا التطور مع حملة نابليون بونابرت على مصر، وبلاد الشام، وقد ركزت الجهود الغربية آنذاك على النشاطات الواسعة من رحلات وبعثات وجمعيات توراتية عدة وأخرى جاءت بقصد التنصير، وتنافست الدول العظمى آنذاك كبريطانيا وفرنسا وروسيا وألمانيا على إيجاد موطئ قدم تبشيري في أرض فلسطين، وكان لا بد من أن يرافق ذلك توجه استشراقي واسع ومتخصص بأرض فلسطين.

ولعل أهم ما ميز هذا التحرك الارتباط الوثيق بين السياسة البريطانية والحركة الصهيونية، وحتى يمهدوا لتحقيق الطموحات الصهيونية فقد تصدى لحالة الاستشراق كبار ضباط الإنجليز الصهاينة والمرتبطين باليهودية ارتباطاً وثيقاً.

وأتضح أن معظم الذين اهتموا بدراسة فلسطين وزاروها هم ضباط ملكيون بريطانيون أمثال الكابتن تشارلز وراين، وكلود رينيه كوندر، والملازم كتشنر وغيرهم، وقد جاؤوا إلى فلسطين برعاية ملكية بريطانية خاصة، وبسماح من السلطات العثمانية التي كانت فلسطين آنذاك جزءاً من الدولة العثمانية.

نشر الكابتن تشارلز وارين كتاباً أسماه "الأرض الموعودة"، نادى فيه بضرورة تطوير فلسطين على يد شركة الهند الشرقية بقصد تسريب عناصر يهودية إلى فلسطين للتمهيد لإقامة دائمة لهم، ومن ثم تأسيس كيان لهم.

وحين نطالع ما كتبه هذا الكابتن في كتابه نرى أنه لا يختلف مطلقاً عما كتبه هرتزل في يومياته، أو ما كتبه المنظرون الصهاينة حول أرض الميعاد – فلسطين –، يقول مثلاً (من المرجح أن يتبادر إلى الذهن في الحال: ماذا يحدث لعرب فلسطين؟ وأجيب متسائلاً: من هم العرب؟ إنهم ليسوا سوى أتراك بالتأكيد، ومعظمهم ليس من عرب الجزيرة العربية أو من الصحراء، من هم إذن؟ لقد أصبح معروفاً منذ زمن طويل كما يؤكد المسيو كلير مونت غانو عالم الساميات والآثار الفرنسي بأن سكان فلسطين ينتمون إلى عرق خليط، بعضهم يتحدر من الكنعانيين والإسرائيليين والإغريق والرومان والعرب والصليبيين، وقد يعتنقون الآن الديانة الإسلامية والمسيحية حسب الظروف، لكنهم يحافظون قبل كل شيء على التقاليد القديمة، نعم وفي بعض الحالات لا يساورني أدنى شك بأنهم يحافظون على ديانتهم القديمة الحقة).

وما بين عامي 1848 ـ 1910 جاء إلى فلسطين عالم الجغرافيا الاستشراقي كوندر، وقد ظهر له عدة كتابات عن طبوغرافية غرب فلسطين، وكتاب "المرشد إلى التوراة"، وفي كتبه حاول تعيين مواقع الأسماء الوارد ذكرها في التوراة، ورسم حدود أسباط بني "إسرائيل"، وقام بقراءة النقوش الأثرية، وفك رموزها. وعلى ضوء ما قام به رسمت خرائط لفلسطين، ساعدت جنرال اللنبي حين زحف على فلسطين أثناء الحرب العالمية الأولى، وتشير كتابات المستشرق الجغرافي كوندر أنه كان من غلاة الصهيونية المسيحية، وقد نشر كتاباً عنونه بـ "يهوذا المكابي وحرب الاستقلال اليهودي" ثم أصدر كتاباً بعنوان "مدخل إلى جغرافية الكتاب المقدس"، وفي عام

1892 ألقى محاضرة بعنوان "فلسطين الشرقية" على أعضاء الخيمة الغربية التابعة لأحباء صهيون التي سارعت إلى نشرها، وقد اعتز الصهاينة اليهود بما قدمه كوندر من خدمات للحركة الصهيونية خاصة تلك الخرائط الطبوغرافية المتعلقة بفلسطين.

والواقع أن أمريكا والمستشرقين الأمريكيين لعبوا نفس الدور الذي لعبه الإنجليز، فمنذ 1870 تأسست الجمعية الأمريكية للتنقيب بفلسطين على نمط المنظمة الإنجليزية وقد تولت مسح منقطة شرقي الأردن.

ولقد لعب الاستشراق الألماني دوراً مهماً وبارزاً في التركيز على فلسطين، واكتشاف آثارها، ومقارنة تلك الآثار بما ورد في التوراة، ومن أشهر المستشرقين الألمان في هذا المجال المدعو كارستن نيبور، واولريش زيتسن، ولودفيغ موركهارت.

ولعل أخطر من في حركة الاستشراق الغربية بشكل عام هي أن الجامعات – وخاصة الألمانية – لا تدرس إلا علم الآثار التوراتي، والذي يتطلب دراسة اللغة العبرية لمدة عشر سنوات، ومن إفرازات حركة الاستشراق أن عدداً من المستشرقين المهتمين بدارسة أرض فلسطين اتجهوا نحو دراسة التراث الشعبي الفلسطيني ليربطوه ببعض مقولات التوراة، والقصص الشعبي اليهودي، ومن هؤلاء المستشرقة الفنلندية هيلما جرانكفست، فهذه المستشرقة التي جاءت إلى فلسطين في أوائل القرن العشرين جمعت آلاف البطاقات والأوراق المدون فيها كل ما يتعلق بالتراث الشعبي الفلسطيني من لباس، وأغنية، وعادات، وتقاليد، وقد مارست مع الفلاحين في منطقة بيت لحم وقرية ارطاس تحديداً حياتهم، فكانت تذهب مع الحصادين، وتدون أغانيهم وعاداتهم وتقاليدهم.

والملفت للنظر أن هذه المستشرقة دونت هذا التراث بالنطق الفلسطيني، وبالحرف الفنلندي، وقد صرحت نفسها بأنها جاءت إلى فلسطين لكي تدرس العلاقة بين التوراة والتراث الفلسطيني، وبعد أن مكثت عشر سنوات في فلسطين خرجت بقناعة أن لا علاقة بين التوراة وهذا التراث، وأن المزاعم اليهودية ما هي إلا أباطيل يجب دحضها، وما زالت آلاف النسخ والبطاقات والأوراق التي دونتها المستشرقة موجودة في هلسنكي عاصمة فنلندا.

ولعل كثيراً من المستشرقين قدموا إلى فلسطين بدافع البحث عن علاقة ما بين التوراة وما يسمى "أرض الميعاد"، ولكن المنصفين منهم وغير المنحازين وجدوا أن ما دسته الحركة الصهيونية في عقول الغربيين هو عبارة عن افتراءات وأكاذيب يهدفون من ورائها التمهيد الفكري والنفسي لاحتلال فلسطين، وطرد شعبها، وقد أثارت اكتشافات مخطوطات البحر الميت شهوة الكثيرين من المستشرقين والباحثين والاثاريين عندما أثبتت هذه المكتشفات عدم وجود أي علاقة بين اليهود وأرض فلسطين، بل إن هذه المكتشفات فضحت أقاويل التوراة وما دسه حاخامات اليهود من أقوال تخدم أهدافهم السياسية، وقد حاول بعضهم إخفاء ما جاء في هذه المخطوطات ولكنها تسربت على الرغم من سرقة بعضها من متحف القدس وتهريبها إلى أمريكا خوفاً من انتشارها، وقلب كل مفاهيم التوراة، وما روجه زعماء الحركة الصهيونية قبل أن تحتل فلسطين.
لقد فعل الاستشراق السياسي فعله في خدمة المخططات الاستعمارية الغربية التي من خلال الصهيونية المسيحية دفعت بالصهيونية اليهودية أن ترسم مخططها الاستعماري لفلسطين، والواقع أن الاستشراق الغربي الذي خدم الصهيونية كان أشد فتكاً، وأبلغ أثراً على واقع فلسطين، وحتى المجتمع العربي ككل إذ أن حركة الاستشراق لم تكتف بجانب دراسي واحد بل كانت شمولية درست المجتمع والعادات والتقاليد، كما درست الأرض وطبيعتها ومناخها وجغرافيتها، فقدمت رؤية استراتيجية للتحرك اليهودي لاحتلال فلسطين، وإقامة كيان يهودي يلعب أخطر دور استعماري تدميري تخريبي في المنطقة العربية.

المصدر : http://www.moqawama.org

=============

#الإعلام والاستشراق

مازن مطبقاني

يظن الكثيرون أن ثمة فرقاً بين الإعلام والاستشراق، فالإعلام يقوم عليه قوم متخصصون في مجالات الإعلام المختلفة، بينما الاستشراق جهد وعمل أكاديمي تخصص فيه نفر من الغربيين الذين يعيشون في أبراجهم العاجية، لا شأن لهم بالإعلام، ربما يكون هذا الأمر صحيحاً قبل أكثر من مئة سنة حينما كان الإعلام

في بداياته، أما وقد أصبحت للإعلام قوة عجيبة اليوم فأضحى التداخل كبيراً بين الإعلام والاستشراق، وإليك تفصيل ذلك:

في أثناء بحثي عن الاستشراق البريطاني اطلعت على مجلة اسمها (المستمع العربي) كانت تصدر عن هيئة الإذاعة البريطانية في أثناء الحرب العالمية الثانية، وفي هذه المجلة وجدت العديد من المستشرقين البريطانيين قد كتبوا العديد من المقالات والدراسات عن العلاقات البريطانية العربية، بل إن بعض كبار المستشرقين من أمثال آربري وبرنارد لويس قد كتب كل واحد منهما عن الجهود البريطانية في الدراسات العربية الإسلامية.

وكتب غيرهما من المستشرقين عن الحضارة الإسلامية، وربما كتب مونتجمري وات عن أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الغربية، ومثل هذه المقالات إن لم تكن علمية بحتة ففيها قدر كبير من الدعاية، ومحاولة لتقوية العلاقات العربية البريطانية في وقت تحتاج فيه بريطانيا للعالم العربي ليقف معها ضد دول المحور.

وانتهت الحرب الأوروبية (تسمى خطأ عالمية) فهل انقطعت الصلة بين الاستشراق والإعلام؟

بالطبع لا فهذه بريطانيا ترسل أحد كبار المستشرقين، ورئيس قسم التاريخ بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ليقوم بجولة في الولايات المتحدة الأمريكية للاتصال بوسائل الإعلام الأمريكية المختلفة من إذاعة وتلفاز وصحافة ليقدم وجهة نظر الحكومة البريطانية في أحداث العدوان الثلاثي على مصر عام 1956.

وتصدر الإذاعة البريطانية مجلتها التالية باسم (هنا لندن)، ويستمر المستشرقون في الكتابة فيها، ومن بين الموضوعات التي كتب فيها المستشرقون في المجلة باب (السياسة بين السائل والمجيب)، وقد صدرت عدة كتيبات مستقلة فيها إجابات على أسئلة كثيرة حول أوضاع العالم العربي، ولا شك أن بعض هذه الأسئلة حقيقية ولكن بعضها أيضاً مفتعل لتروج الإذاعة لمواقف أو أفكار معينة.

ومازلت أذكر سؤالاً قيل أنه أرسله احد المستمعين في السودان عن تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان، فكان رد الخبير البريطاني في الشرق الأوسط أن شعار

تطبيق الشريعة الإسلامية إنما هو فكرة غامضة، وقد أشار الخبير إلى أن كثيرين قد رفعوا هذا الشعار ولكنهم لم يقدموا تفصيلات حقيقية لهذا الشعار.
وتقدم الإذاعة البريطانية أيضاً برامج منوعة منها عروض الكتب التي تصدر في بريطانيا أو الكتب العربية، وتأتي اختيارات هذه الإذاعة بإيحاء استشراقي واضح، فتهتم الإذاعة مثلاً بكتب أحمد أمين (فجر الإسلام) و (ضحى الإسلام) و (ظهر الإسلام)، وتهتم بكتاب علي عبد الرزاق مثلاً (الإسلام وأصول الحكم)، وتهتم بكتب طه حسين، ولعل إذاعة لندن هي من أطلقت عليه (عميد الأدب العربي)، وهي من أطلقت على لطفي السيد (أستاذ الجيل)، وأذكر أنه في أسبوع واحد عرضت الإذاعة لكتب المستشار محمد سعيد العشماوي التي يطعن فيها بالإسلام، ويشوه صورته، وينفي العلاقة بين الدين والسياسة، وتأتي مجلة عربية تصدر من لندن وتقدم لقاءً من ست صفحات مع العشماوي، فهل هناك اتفاق بين الجهتين؟
وتستمر الصلة بين الإعلام والاستشراق، وأبرز الأمثلة على هذه الصلة أن العديد من المجلات الأمريكية تستكتب عدداً من المستشرقين، ومن هذه المجلات مجلة (ال نيو ريبلك) New Republic، ومجلة اتلانتك الشهرية Atlantic Monthly، وقبلهما مجلة كومنتري Commentary، ونشرة جريدة نيويورك تايمز لعرض الكتب New York Times Review of Books، فهذه المجلات تنشر الكثير من المقالات لأبرز المستشرقين الأمريكيين، ومن هؤلاء على سبيل المثال برنارد لويس، وقد دار سجال كبير بينه وبين ادوارد سعيد على صفحات هذه النشرة الأخيرة نيويورك رفيو اوف بكس.

وقد انساقت بعض المجلات التي لم يعرف عنها تناول القضايا الجدلية مثل مجلة المختار Reader's Digest فنشرت مقالات تحمل طابع الكتابات الاستشراقية التي تهاجم الإسلام، وتشوه صورته، وتقدمه في صورة سلبية.
ولم يتوقف الأمر عند الصحافة، فالتلفاز والقنوات الفضائية والإذاعات ترجع إلى المستشرقين كثيراً في أخذ رأيهم في القضايا التي تهم العالم الإسلامي، فهذه المحطات الفضائية الأوروبية والأمريكية وحتى العربية الإسلامية تستضيف ريتشارد

بوليت من جامعة كولومبيا، وتستضيف فؤاد عجمي – وهو لبناني من الجنوب، ويعمل في أمريكا منذ عشرات السنين، وله آراء أخطر من كثير من المستشرقين – وتستضيف برنارد لويس، وريتشارد لتل Richard Little، ودانيال بايبس Daniel Pipes، وفيتالي نومكن Vitaly Naumkin وغيرهم كثير.

وجاء دور الإنترنت فكلمة استشراق تجدها في عشرات الألوف من الصفحات، وتحمل الآلاف من المقالات التي كتبها المستشرقون، فهناك مواقع متخصصة في الاستشراق، وأخرى تابعة لمؤسسات ومراكز بحوث ومعاهد متخصصة في دراسات الشرق الأوسط أو الشؤون الدولية أو الدراسات الاستراتيجية ومن الأمثلة على النشر الانترنتي اللقاء الذي أجراه أحد الباحثين في معهد الدراسات الدولية التابع لجامعة كاليفورنيا بمدينة بيركلي مع فيتالي نومكن، ومن الموضوعات التي تناولها اللقاء: موقف الروس من الإسلام، وموضوع العراق، والاهتمام الروسي بالدراسات العربية الإسلامية.

ولم يبتعد الاستشراق عن السينما، أو لم تبتعد السينما عن الاستشراق، فهناك الكثير من الأفلام التي استمدت رؤيتها للإسلام والمسلمين من كتابات المستشرقين وتراثهم الضخم في تشويه صورة العالم العربي الإسلامي، وتنميط العرب والمسلمين في السينما الأمريكية معروف جداً، وقد كتب عنه الباحث العربي الأمريكي جاك شاهين العديد من الكتب.

إن كثيراً من الإعلاميين من صحفيين ومخرجين ومقدمي برامج إذاعية وتلفازية عندما يريدون إعداد برنامج عن العرب والمسلمين فإنهم يلجؤون إلى كتابات المستشرقين القديمة والحديثة يستندون إليها، ويستمدون منها معلوماتهم.

وتبقى مسؤوليتنا نحن في العالم العربي الإسلامي نترك للإعلام الغربي بشتى أشكاله أن يقدم الصورة التي يريد لنا دون أن نحرك ساكناً، أو ننبس ببنت شفة، بل إننا نقوم في أحيان كثيرة بترجمة ما يكتبونه عنا من شتم وسب، ونقوم بتوزيعه ونشره، وهو ما فعلته إحدى الشركات في الجزيرة العربية من اتفاق مع شركة ديزني لاند لترجمة العديد من مجلات الأطفال إلى اللغة العربية، وهي الشركة التي كان ينبغي علينا أن

نقاطعها منذ زمن طويل لما قدمته وتقدمه من أفلام تسيء إلى صورة العرب والمسلمين، وتشوه العقيدة الإسلامية، والشخصية الإسلامية.
المصدر : http://www.suhuf.net. sa

=============

#الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم

مصطفى السباعي

الاستشراق والمستشرقون بحث لم يعن أحد من الكاتبين بأمرهما عناية علمية واسعة تبحث الاستشراق وأهدافه ومراميه وحسناته وسيئاته، وعن المستشرقين وطوائفهم وأعمالهم، وما أصابوا وما أخطأوا فيه من أبحاث ومؤلفات، وكل ما كتب في هذا الموضوع لا يخلو عن أن يكون تمجيداً لهم مثل كتاب (المستشرقون) للأستاذ نجيب العقيقي، أو أن يكون كشفاً موجزاً عن أهدافهم التبشيرية والاستعمارية، وأهم بحث في هذا الشأن محاضرة قيمة للأستاذ الدكتور محمد البهي المدير العام للثقافة الإسلامية في الجامع الأزهر ألقاها في قاعة المحاضرات الكبرى الأزهرية.
وقد أفرط منا أناس في الثقة بهم، والاعتماد عليهم، والثناء المطلق على جهودهم، ويمثل هؤلاء المعجبين بهم الدكتور طه حسين من أوائل تلاميذ المستشرقين في تاريخنا الأدبي المعاصر، حيث يقول في مقدمة كتابه (الأدب الجاهلي):
"وكيف تتصور أستاذاً للأدب العربي لا يلم ولا ينتظر أن يُلم بما انتهى إليه الفرنج (المستشرقون) من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه، ولغاته المختلفة، وإنما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس، ولابد من التماسه عندهم حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا، ونطير بأجنحتنا، ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا، وتاريخنا، وآدابنا".
ولا ريب في أن هذا الكلام يمثل دوراً من أدوار العبودية الفكرية التي مررنا بها في مطلع نهضتنا العلمية والفكرية الحديثة، وهذه العبودية تتمثل في كتاب الدكتور طه حسين نفسه (الأدب الجاهلي) الذي كان ترديداً مخلصاً لآراء غلاة المستشرقين المتعصبين ضد العرب والإسلام أمثال (مرجليوث) الذي نقل آراءه كلها في كتابه

(الأدب الجاهلي) ونسبها إلى نفسه، وليس له في الكتاب رأي جديد نتيجة بحث علمي قام به، أو تعب في سبيله.

ويمثل هؤلاء أيضاً الأستاذ أحمد أمين في كتابيه (فجر الإسلام) و (ضحى الإسلام) وقد بينت ما في فصل (الحديث) من كتاب (فجر الإسلام) من سرقة لآراء المستشرقين دون أن ينسبها إليهم في كتابي الذي صدر حديثاً (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي).

ومن هؤلاء أيضاً الدكتور علي حسن عبد القادر في كتابه (نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي) وهو ترجمة حرفية لما كتبه جولدزيهر في كتابيه (دراسات إسلامية) و (العقيدة والشريعة في الإسلام)، وكذلك كان كسابقيه غير أمين حين نسب هذه الآراء إلى نفسه ولم ينسبها إلى أساتيذه المستشرقين.

ويقابل هذا الاتجاه المفرط في الثقة ببحوث المستشرقين اتجاه يحمل على المستشرقين واتجاهاتهم المغرضة المفرطة في التعصب، ويمثله قول أحمد فارس الشدياق في كتابه (ذيل الفارياق): "أن هؤلاء الأساتيذ (المستشرقين) لم يأخذوا العلم عن شيوخه، وإنما تطفلوا عليه تطفلاً، وتوثبوا فيه توثباً، ومن يخرج فيه بشيء فإنما تخرج على القسس، ثم أدخل رأسه في أضغاث أحلام، أو أدخل أضغاث أحلام في رأسه، وتوهم أنه يعرف شيئاً وهو يجهله، وكل منهم إذا درس في إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئاً منها تراه يخبط فيها خبط عشواء، فما اشتبه عليه منها رقعه من عنده بما شاء، وما كان بين الشبهة واليقين حدس فيه وخمَّن، فرجح منه المرجوح، وفضل المفضول".

وفي الحق أن كلاً من الثناء المطلق والتحامل المطلق يتنافى مع الحقيقة التاريخية التي سجلها المستشرقون فيما قاموا به من أعمال، وما تطرقوا إليه من أبحاث، ونحن من قوم يأمرهم دينهم بالعدل حتى مع أعدائهم ((ولا يجر منكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى)).

وسنحاول في هذه المقالة أن نذكر ما للمستشرقين وما عليهم، من غير تحيز ولا حيف ولا شطط، ممهدين لذلك بنبذة موجزة عن تاريخ الاستشراق وأهدافه، وفئات المستشرقين وأشهر علمائهم، وسنتتبع بقدر ما وسعنا الجهد أخطاءهم فيما انتهوا إليه

من أبحاث، نقارع الحجة بالحجة، والبرهان بالبرهان، حتى لا يتغاضى معجب عن السيئات، ولا يطمس مبغض صفحة الحسنات.

تاريخ الاستشراق:

لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عنى بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في أبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات.

ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسي (جربرت) Jerbert الذي انتخب بابا الكنيسة روما عام 999م بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده، و (بطرس المحترم 1092 1156م Pierrele Venere) و (جيرار دي كريمون 1114 1187م Gerardde Gremone).

وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة (بادوي) العربية، وأخذت الأديرة والمدارس الغربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية وهي لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ، واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون.

ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية، وترجموا القرآن وبعض الكتب العربية العلمية والأدبية، حتى جاء القرن الثامن عشر وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي، والاستيلاء على ممتلكاته، فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق، ويصدرون لذلك المجلات في جميع الممالك الغربية، ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية فيشترونها من أصحابها الجهلة، أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في نهاية الفوضى، وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم، وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوربا وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلداً، وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم.

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام 1873م، وتتالى عقد المؤتمرات التي تلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضاراته، وما تزال تعقد حتى هذه الأيام.

ميدان الاستشراق:

بدأ الاستشراق كما رأينا بدراسة اللغة العربية والإسلام، وانتهى بعد التوسع الاستعماري الغربي في الشرق إلى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وحضاراته وجغرافيته وتقاليده وأشهر لغاته، وإن كانت العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية هي أهم ما يعنى به المستشرقون حتى اليوم؛ نظراً للدوافع الدينية والسياسية التي شجعت على الدراسات الشرقية كما سنذكره فيما بعد.

دوافع الاستشراق:

1- الدافع الديني: لا نحتاج إلى استنتاج وجهد في البحث لنتعرف إلى الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين وهو الدافع الديني، فقد بدأ بالرهبان كما رأينا، واستمر كذلك حتى عصرنا الحاضر كما سنرى، وهؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه، ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي، ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عن الغربيين، وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى، فلم يجدوا خيراً من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة، وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في أوروبا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام، وكره لأهله، فاستغلوا هذا الجو النفسي، وازدادوا نشاطاً في الدراسات الإسلامية.

وهنالك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراساتهم العلمية وهم قبل كل شيء رجال دين، فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من

المسلمين لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية، والتشكيك في التراث الإسلامي، والحضارة الإسلامية، وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث.

2- الدافع الاستعماري: لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية؛ لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب فبلاد الإسلام، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة، وعادات، وأخلاق، وثروات، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموه، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق أضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث، وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية، فنفقد الثقة بأنفسنا، ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية، والمبادئ العقائدية، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعاً لا تقوم لنا من بعده قائمة.

انظر إليهم كيف يشجعون في بلادنا القوميات التاريخية التي عفا عليها الزمن واندثرت منذ حمل العرب رسالة الإسلام، فتوحدت لغتهم، وعقيدتهم، وبلادهم، وحملوا هذه الرسالة إلى العالم فأقاموا بينهم وبين الشعوب روابط إنسانية، وتاريخية، وثقافية، ازدادوا بها قوة، وازدادت الشعوب بها رفعة وهداية، أنهم ما برحوا منذ نصف قرن يحاولون إحياء الفرعونية في مصر، والفينيقية في سوريا ولبنان وفلسطين، والآشورية في العراق وهكذا، ليتسنى لهم تشتيت شملنا كأمة واحدة، وليعوقوا قوة الاندفاع التحررية عن عملها في قوتنا وتحررنا وسيادتنا على أرضنا وثرواتنا، وعودتنا من جديد إلى قيادة ركب الحضارة، والتقائنا مع إخوتنا في العقيدة والمثل العليا والتاريخ المشترك والمصالح المشتركة.

3- الدافع التجاري: ومن الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الاستشراق رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم، وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان، ولقتل صناعاتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين.

4- الدافع السياسي: وهنالك دافع آخر أخذ يتجلى في عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية، ففي كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية، ليتمكن من الاتصال برجال الفكر، والصحافة، والسياسة، فيتعرف إلى أفكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته، وكثيراً ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي حين كان السفراء الغربيون ولا يزالون في بعض البلاد العربية والإسلامية يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض، وبين الدول العربية والدول الإسلامية، بحجة توجيه النصح، وإسداء المعونة، بعد أن درسوا تماماً نفسية كثيرين من المسؤولين في تلك البلاد، وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة، كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم، ونحمد الله على أن هذا النوع من الاستشراق قد بدأ يفقد أثره منذ آمنت الشعوب العربية والإسلامية بسياسة الحياد وعدم الانحياز، وأصبحت هذه السياسة شعاراً صريحاً لكثير من الحكومات العربية والإسلامية، وفي مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة.

5- الدافع العلمي: ومن المستشرقين نفر قليل جداً أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الإطلاع على حضارات الأمم، وأديانها، وثقافاتها، ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين، بل أن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته، على أن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص، لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجاً لا عند رجال الدين، ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين، ومن ثمة فهي لا تدر عليهم ربحاً ولا مالاً، ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين.

المصدر : http://www.islamiyatonline.com

===============

#الاستشراق علم غريب أم استعمار جديد

يصرّ البعض على استخدام صور النعامة التي تدفن رأسها في الرمال لوصف من يُتهمون بالغفلة؟

ولقد أشار علماء الحيوان أن النعامة مظلومة بهذا الوصف، وليس مهماً أن تكون النعامة مظلومة أو ظالمة، ولكن كيف يمكن أن نصف من يزعمون أن الاستشراق قد انتهى، أو قد ضعف، أو أنه أُضعف في الفروع المعرفية في الجامعات الغربية منذ بدأ؟ على الأقل فلنقف موقف المحايد دون إفراط أو تفريط، ودون مبالغة أو لا مبالاة.

والحقيقة أن الاستشراق قد شغل حيّزاً كبيراً في الكتابات العربية، وقد بالغ البعض في ذمّه، بينما رأى البعض الآخر أن الاستشراق إنما هو جهد علمي محض لدراسة الشرق، ورأوا في المستشرقين المثال في المنهجية والإخلاص والدقة وغير ذلك من النعوت المادحة.

كتب المستشرقون في القرآن والسُنّة واللغة والتاريخ والاجتماع والسياسة، وقد صدرت كتابات كثيرة تتناول تعريفه ودوافعه ونشأته.

التعريف القديم والجديد:

والاستشراق حسب الموسوعات تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلع على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامّة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبّراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما.

ولكن بعيداً عن التعريفات القديمة الفضفاضة يرى د. مازن مطبّقاني مدير مركز المدينة المنورة للدراسات الاستشراقية أن القضية ليست قضية تعريف قديم أو جديد "فالغرب تخلى عن هذا المصطلح منذ عام 1973 في مؤتمر المستشرقين الدولي الذي عقد في باريس، فذهب الاسم وبقي المسمى، ولقد تمّ استبدال كلمة استشراق بالدراسات الشرق أوسطية Middle east studies وهذا ما عبّر عنه المستشرق الفرنسي فلوريال سانغوستان Floréal Sanagustin مدير مركز الدراسات العربية في دمشق عندما التقيناه فقال: 'كلمة الاستشراق هذه كلمة سلبية نوعاً ما، ولقد انتقد إدوارد سعيد الاستشراق بشكل لاذع، ونحن الآن في مرحلة ما بعد الاستشراق، لذلك

يمكننا تسميتها دراسات شرقية أو شرق أوسطية.. "، إلا أن د. مطبّقاني عاد ليؤكد أن كتاب إدوارد سعيد "الاستشراق" أعاد الغربيين رغماً عنهم لاستخدام هذا المصطلح، ولكن بدلاً من أن تتم اليوم دراسة الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخاً واجتماعاً وسياسة واقتصاداً ضمن كلية واحدة أصبح بإمكان المتخصصين في كلياتهم المختلفة أن يدرسوا العالم الإسلامي بشكل مجمل.

وهذا ما أكّده طلاب من الجامعة الأمريكية (عثمان محمد، كاترين جمعة، غسان إبراهيم وغيرهم..) بأن هناك مواداً يُجبر الطالب في أي كلية كان على أن يدرسها، وهذه المواد تسمّى CS) Civilization Sequence) وفيها دراسات حول الاستشراق، والمفكرين العرب والمسلمين وغيرهم، وقراءة لهم من وجهة نظر غربية خاصة وأن "معظمهم علمانيون أو ملاحدة درسوا في الخارج.. " كما يقول عثمان محمد (متخرج من الجامعة الأمريكية 23 عاماً).

الأهداف والآثار:

وحتى لا نكون متحاملين على الاستشراق لا بد لنا من تحديد الأهداف التي تدفع الغربيين للدراسات الشرق أوسطية.

يقول د. نظام يعقوبي (خبير اقتصادي ومتخصص في الدراسات الاستشراقية من البحرين): "هناك أهداف استعمارية لها صلة بالجهات الاستخباراتية، وهناك أهداف علمية بحتة، ومثالاً على هذه الأخيرة نرى أن المستشرق إيوارلد فهرس المخطوطات العربية في مكتبة برلين في 50 سنة؛ وفِهْرِسُه للمخطوطات العربية في برلين مطبوع قبل 150 عاماً في 10 مجلدات ضخمة، وهو أفضل فِهرس للمخطوطات العربية في العالم إطلاقاً، وهذه المستشرقة اليهودية حوّاء لازارس يافث كتبت بحثاً عن أساليب الإمام الغزالي في كتبه، وتوصلت إلى طريقة بحثية قارنت فيها بين جميع كتب الغزالي مستخلصة كل الجمل التي يرددها، واعتبرت أن القاسم المشترك بين كتاباته يمكن تسميته أسلوب الإمام الغزالي في الكتابة، وبذلك يمكنها أن تحكم على بعض الكتب المنسوبة إليه إن كانت فعلاً من مؤلفاته.. ".

أما أومسبي غو وزير المستعمرات البريطاني فقد قال في تقريره لرئيس حكومته بتاريخ 1938/1/9: "إن الحرب علّمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم

الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه، وليس الامبرطورية وحدها بل فرنسا أيضاً، ولفرحتنا فقد ذهبت الخلافة، وأتمنى أن تكون إلى غير رجعة.. " وعلى نفس النسق الهجومي على الإسلام كان المستشرق غولدزيهر وشاخت وغيرهم.
ولقد فصلّ د. مطبّقاني هذه الأهداف بخمس أساسية تتجلى في: الهدف الديني، والهدف العلمي، والهدف الاقتصادي التجاري، والهدف السياسي الاستغلالي، وأخيراً الهدف الثقافي، واعتبر أن معظم هذه الأهداف تركت آثاراً في العالم الإسلامي في المجالات العقدية والتشريعية والسياسية والاقتصادية والثقافية.

حتى نكون منصفين:

وليس من العدل أو المنطق أن نقع في الخطأ الذي نأخذه على بعض المستشرقين، فنصدر التعميمات الجزافية ضدهم؛ خاصة وأن هناك بعضهم امتدحوا العرب والمسلمين، وبُهِروا بتاريخهم، فعلى سبيل المثال تحدث المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون في كتاب حضارة العرب عن ظهور الإسلام، وحالة العرب حينذاك، ثم امتدح الفتوحات الإسلامية وقال: "إن العالم لم يشهد فاتحاً أرحم من العرب"، وعلى الرغم من أن كتاب لوبون "فيه بعض المغالطات الفكرية والتاريخية" كما يقول د. مطبّقاني إلا أنك إذا تصفّحت هذا الكتاب فإنك تجد فيه بعض العبارات والكلمات التي أنصفت الإسلام والمسلمين نقتطف منها:
"وإذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمدٌ من أعظم من عرفهم التاريخ"، "ولم ينتشر الإسلام بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنق الإسلامَ الشعوبُ التي قهرت العرب كالترك والمغول.. ".

مراكز ومعاهد وجامعات استشراقية:

ونظراً لأهمية هذا العلم نرى أن كثيراً من الجامعات أفردت أقساماً له كقسم الدراسات الشرق أوسطية في الجامعة الأمريكية في بيروت، في حين انتشرت الكثير من المعاهد والمراكز الاستشراقية في مختلف الدول العربية كمركز غوتة الألماني في لبنان، والمعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق، ومركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق في المملكة العربية السعودية.

الجامعة الأمريكية ومركزها الاستشراقي:

على الرغم من أن الجامعة الأمريكية أحدثت قسماً جديداً للدراسات الشرق أوسطية CAMES (center of Arab & middle east studies) فإنّ د. مازن مطبّقاني يؤكّد أن الجامعة الأمريكية والجامعة اللبنانية الأمريكية هما من أهم المراكز الاستشراقية بشكل عام في الشرق الأوسط، خاصة وأنه تابع بعض الطلاب الذين جاؤوا من قسم الاستشراق في الجامعة التي يُدرِّس فيها (وهي جامعة الإمام محمد بن سعود) لإجراء دراسات مفصلة عن مناهج الجامعة الأمريكية.

ولكن بعيداً عن هذه المسألة فقلد التقينا بطالبتين من المركز الاستشراقي في الجامعة الأمريكية، وتعرّفنا عليه عن كثب.

تقول كاري يورك (26 سنة، أمريكية، تحضر رسالة الماجستير) أن هذا القسم يهتم بدراسة الشرق الأوسط من تاريخه إلى سياسته واقتصاده، إلى كل ما يتعلق بشؤونه، وتضيف أن هناك 25 طالباً وطالبة يدرسون معها، ولكن كل واحد منهم يستطيع اختيار المواد التي يريدها على أن لا تتجاوز الثمان مواد.

كاترين جمعة (26 سنة، لبنانية، طالبة في نفس القسم) اختارت حتى الآن 4 مواد هي: الإسلام والسياسة، والمدارس الفكرية في الإسلام، وموضوعات متفرقة حول الإسلام (Seminar) بالإضافة إلى اللغتين الفارسية والعبرية، ولكنها قالت: "إن من يدرّسون بعض المواد متحاملون كثيراً على الإسلام.. "، وهذا ما أكّدته كاري التي أخذت مادة الدراسات القرآنية قائلة: "للأسف إن مدرّس هذه المادة لا يعطينا وجهتي النظر، وهو غير موضوعي لأنه لا يعطينا إلا وجهة النظر المعادية للإسلام".

ومن المستغرب في هذا القسم أن معظم طلابه هم من الأجانب، وتقول كاترين "هناك حوالي 25 طالباً كلهم أجانب، وأنا اللبنانية الوحيدة فيه! وما يشككني أكثر في أهداف القسم أن نائب رئيس الجامعة يدرس معنا وهو يهودي متخرج من جامعة بيرزيت"، أما كاري يورك فتعتبر أنه رغم وجود "كثير من الأشخاص الذين يهدفون من دراسة الشرق الأوسط أهدافاً استعمارية" فإنها تستفيد من دراستها لشغفها بالإطلاع على التاريخ العربي، ولحبها للأسفار وربما "لرغبة منها بالعمل في السفارات أو في السلك الدبلوماسي في الأمم المتحدة".

المعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق:

كثيراً سمعنا عن هذا المعهد وأنه من أهم المعاهد في الشرق الأوسط لناحية الأبحاث التي نشرها، والنشاطات التي قام بها، لذلك كان لا بد من زيارة له في مركزه لإجراء مقابلة مع رئيسه.

ولعل اللافت في هذه الزيارة والمقابلة أن فلوريال سانغوستان (مدير المركز) يتكلم العربية الفصحى أكثر من العرب أنفسهم.

س: متى أنشئ المركز؟

ج: أُسس المعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق عام 1922م، وهو تابع لوزارة الخارجية الفرنسية. وكان في البداية يهتم بالآثار والفنون الإسلامية، ثم مع مرور الأيام تخصص في كل مجالات الاستشراق والحضارة العربية والإسلامية خاصة ما يتعلق منها بالقسم الشرقي من العالم العربي.

س: ما هو الهدف من المعهد؟

ج: لقد اهتمت فرنسا منذ فترة طويلة بالشرق، وليس فقط الشرق الأوسط بل بالصين أيضاً واليابان وغيرها، وهناك معهد للغات الشرقية في باريس تُدرّس فيه معظم اللغات والحضارات والنصوص الشرقية، كما أن هناك قسم باللغة العربية وآخر باللغة العِبرية واليابانية وغيرها، والهدف من هذه المعاهد بشكل عام هو تخريج ديبلوماسيين أو صحافيين أو باحثين لذلك نرى مثلاً أن السفير الفرنسي في سوريا يجيد اللغة العربية بطلاقة.

س: ما هي نشاطات المعهد؟

ج: هناك عدّة نشاطات وتتجلى فيما يلي:

1. الطباعة والنشر: وقد نشرنا منذ 70 سنة وحتى الآن 196 كتاباً متخصصاً بالأدب العربي، والتاريخ، وفقه اللغة، ومعظم هذه الكتب منشور باللغة الفرنسية، وبعضها باللغة العربية.

2. تأهيل الباحثين الشباب: الذين وصلوا لمرحلة الدكتوراه، ومنهم فرنسيون، وبعضهم أمريكيون وأجانب، وقد تخصصوا في الحضارة العربية والإسلامية، ونقوم بالإشراف على أعمالهم ونمنحهم بعض المنح الحكومية، ونعمل على تأهيلهم كباحثين حتى يصبحوا خبراء جامعيين في فرنسا وغيرها.

3. تنظيم وإقامة ندوات محلية وعالمية وسوف نقيم قريباً ندوة عالمية عن تيار الإصلاح الديني في المجتمعات العربية حول عبد الرحمن الكواكبي، ودعونا الكثير من الزملاء اللبنانيين، والمصريين، والسوريين، والفرنسيين، ومعظم المداخلات ستكون باللغة العربية، وسنعمل فيما بعد على نشر أعمال هذه الندوة.

4. المكتبة: نستقبل كثيراً من الباحثين الذين يزورون مكتبة المعهد "القيّمة" التي تجمع أكثر من 100 ألف كتاب باللغة العربية، وبمعظم اللغات الغربية، ونحاول دائماً أن نتابع حركة النشر في العالم العربي حتى نضع تحت متناول الباحث معظم المراجع الأساسية والمهمّة.

س: هل نظّمتم دورات في اللغة العربية؟

ج: أعتقد أن الباحث الأجنبي إذا أراد التخصص في الحضارة العربية عليه أن يُحكم اللغة، ولا يستطيع فقط الاستناد إلى كتب ترجمة، لأن الترجمة هي نوع من الخيانة لذلك لا بد من الرجوع دائماً إلى الأصل.

ولهذا نظّمنا منذ 15 سنة دورة لغوية مكثّفة للباحثين الأجانب في اللغة العربية الفصحى، واللهجة المحكية حتى يتمكنوا من قراءة النصوص، ويجروا المقابلات مع الناس.

س: ما هي اهتماتك الاستشراقية واهتمامات الدارسين للشرق الأوسط الآن؟

ج: أنا اهتمّ بتاريخ الفكر القديم، وكانت رسالة الدكتوراه التي أعددتها عن ابن سينا، وحالياً في فرنسا يوجد جيل جديد من الباحثين اللغويين مثل جورج بوهاس، وجان باتي غيوم، والمؤرخين كمدير المعهد السابق تيري بيانكي، وبرهان غليون من جامعة السوربون، وفي القضية الفلسطينية نجد جان فرانسوا لو غران، أما في الفلسفة فعندنا هنا في المعهد جان لويس لوبيتير.

س: هل تتعاونون مع مراكز ثقافية أخرى؟

ج: هناك تنسيق مع الجامعات السورية، ونقوم بنشاطات مشتركة مع المراكز الأخرى كالمركز الإيراني (المستشارية الإيرانية)، كما لنا علاقات بالمراكز الفرنسية الأخرى مثل مراكز الآثار، والمركز الفرنسي في بيروت.

مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق:

قبل عشرين سنة تقريباً تأسس قسم الاستشراق بكلية الدعوة في المدينة المنورة، وهدفه التعريف بالكتابات الاستشراقية حول الإسلام والمسلمين، ومحاولة الرد عليها، وكانت طموحات القسم كبيرة في ابتعاث عدد من الطلاب لدراسة اللغات الأجنبية، والمشاركة في المؤتمرات، وإقامة عدة ندوات، وكانت الطموحات أكبر بكثير من الإمكانات التي أتيحت، ورغم أن البداية كانت قوية جداً لكن تغير إدارات الجامعة والأشخاص أدى إلى برود في دعم هذا القسم حتى توقف برنامج الماجستير في القسم قبل أربعة أعوام.

وكان د. مطبّقاني مدير مركز المدينة المنورة أول من حصل على درجة الدكتوراه في قسم الاستشراق، وحضر بعض المؤتمرات والندوات في أوروبا وأمريكا والدول العربية، ورأى في الإنترنت وسيلة ممتازة لنشر الفكر، فقرر إنشاء المركز كموقع على الإنترنت في البداية لينطلق بعدها للعمل في الواقع.

والمركز يحاول الإطلاع على الكتابات الاستشراقية، ويشارك في المؤتمرات والندوات، ويقدم المحاضرات، كما أن له نشرة شهرية تقدم معلومات مهمة عن الاستشراق من خلال الأبواب الثابتة فيها والتي يؤمل أن تصبح أول مجلة عربية تتناول علم الاستشراق في الغرب.

ومن اهتمامات المركز قضايا المرأة، واهتمام المستشرقين بها، وكذلك تقديم صورة واقعية عن المرأة الغربية، ويقدم المركز الإجابات على الأسئلة التي تتبادر إلى الذهن حول الاستشراق والمستشرقين، وكذلك حول الاستغراب وغير ذلك من الأمور.

يقول د. مطبّقاني: "لقد أُنشئ المركز لهذا الهدف، ومن المؤمل أن يسعى إلى تحقيقه – بإذن الله –، فإذا كان عدد زواره خلال السنتين الماضيتين زاد على الأربعين ألف زائر مع العلم أن بعض الزوار ينقل المادة العلمية، ويقوم بتوزيعها على آخرين فيكون عدد الزائرين أكثر من ذلك بكثير".

مواجهة الاستشراق:

لعل انتشار المراكز الاستشراقية في الأحضان العربية يدفعنا إلى التساؤل عن أجدى الوسائل لمواجهة جهوده، إلا أن الإجابة على ذلك ليست بالأمر الهين إذ كيف نواجه أمراً نجهله أو نعرف عنه بعض الأمور ونجهل أموراً كثيرة.

يقول د. مطبّقاني: "لا بد أن نتعرف على الاستشراق معرفة دقيقة منذ نشأته وحتى اليوم، وهذه المعرفة لا تتطلب أن نعرف كل ما كتب وما يكتب في مجال الدراسات العربية والإسلامية في الغرب؛ بل نعرف القضايا الكبرى التي يتبناها المستشرقون، لأننا لو أردنا أن نرد على كل كلمة لما وسعنا الوقت والجهد، وإنهم ليفرحون بأن ننشغل بمثل هذا الأمر.

وإن كان الكثير منّا يرى أن التعليم في الجامعات الغربية يوفر لطلابنا أن يتلقوا العلم في جو علمي يوفر لهم الإمكانات والمنهجية العلمية، فمتى تصبح جامعاتنا جامعات حقيقية توفر الفرص التعليمية الصحيحة، فلا يعيش الطالب في الجامعة العربية مضطهداً مكسور الخاطر، يستأسد عليه الأساتذة والإدارات الجامعية، ويتفنون في إذلاله حتى إذا خرج إلى الواقع بعد نيل الشهادة صب جام غضبه على من يَتتلمذ على يديه.

إن مواجهة الاستشراق تكون أيضاً بأن ننقل من كوننا ذاتاً مدروسة إلى ذات دارسة، ومن ذات موضع الدراسة إلى ذات تجعل غيرها موضع الدرس، وأن نتخلص من عقد النقص التي فينا، وأن نقضي على عقدة الاستعلاء لدى عدونا، وهو ما يمكن أن نفعله حين نهيئ عدداً من أبنائنا المقيمين في الخارج لدراسة أوضاع المجتمعات الغربية. وأذكر مثالاً هنا أن أحد الطلاب العرب الذين يدرسون القانون في أمريكا أراد أن يدرس قضية بنوك الحيوانات المنوية من النواحي القانونية فأشار إليه أستاذه أن هذه المسألة شائكة، ولا ينبغي له أن يتصدى لها.

المصدر: http://www.islamiyatonline.com

=============

#الاستشراق اليهودي وهواجس الرعب

أيمن خالد

في عام 1969 حصل الباحث الصهيوني «يهوشع براور» على جائزة «الدولة» لقيامه بإنجاز دراسة استنتج بموجبها أن ما جرى للصليبيين في فلسطين لن يتكرر مع الكيان الصهيوني مجدداً في بلادنا، وفي واقع الأمر لم تكن تلك الجائزة في ذلك الوقت بالتحديد - والذي شهد تحولات فلسطينية وعربية كثيرة - لم تكن أمراً عرضياً،

أو أمراً أكاديمياً صرفاً؛ بل كان الكيان الصهيوني بتلك الجائزة يحاول طمأنة نفسه، وطمأنة اليهود الوافدين أن مستقبلهم لن يكون إلى البحر كأسلافهم الصليبيين، وكما يقول «يوري أفنيري»: (إن الصليبيين حاربوا طيلة ثمانية أجيال ليجدوا أنفسهم وقد القوا إلى البحر، ومن هنا يتوجس اليهود من أن يصل التشابه إلى هذا المستوى).

ففي هذه العبارة الصريحة يُعبّر «افنيري» عن الهاجس الذي يشغل اليهود خصوصاً وأنهم أنشئوا كيانهم في ظرف استثنائي ناتج عن الشرذمة التي تعانيها الأمة العربية والإسلامية، وهي حالة شبيهة بالحالة التي نشأت فيها مملكة بيت المقدس اللاّتينية، في ظل ظروف مماثلة عاشتها المنطقة لحظة بدء الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي.

فالخوف من ملاقاة ذات المصير دفع باليهود إلى قراءة المنطقة العربية والإسلامية قراءة ذات بعد استراتيجي بغية إدراك مواطن الضعف، والعمل على استمرارها، واكتشاف مواطن القوة وكيفية التعامل معها، لإدراك هذا الكيان أنه كيان غريب لا ينتمي لجغرافية المنطقة، وبالتالي لا يمتلك ما يلغي لديه المخاوف الأمنية التي تبقى شغله الشاغل.

استشراق مبكر:

كانت بداية الاستشراق اليهودي على موائد الاستشراق الأوروبي، والذي ساهم في خلق المفاهيم والرؤى السلبية تجاه المنطقة العربية والإسلامية، وبهذه الرؤية السلبية انطلق اليهود في استشراقهم، وتميزوا عن الاستشراق الأوروبي في طبيعة عملهم، فكانت محاولات المستشرقين اليهود التركيز على ما يسمى بـ «الإرث العبري» ومحاولة نقل هذه الفكرة إلى داخل العقلية الأوروبية على اعتبار أن اليهود هم جزء من الشرق، وأن إعادتهم إليه مسألة أخلاقية، ولا توجد فيها دوافع استعمارية، خصوصاً مع بروز التيار البروتستانتي، ومحاولات تأكيد الرؤية التوراتية للمنطقة.

لذلك كانت الأبحاث الاستشراقية اليهودية في تاريخ العرب وجغرافيتهم هي مهمة ذات بعد صراعي يُستخدم فيها التاريخ بمدلولاته، وتستخدم الدراسات – بعد تزييفها في معظم الأحيان – كأداة لبناء منظومة من الرؤى والمفاهيم، ومحاولة تصديرها على أنها حقائق تاريخية ثابتة.

لـذلك سـعى المستشـرقون اليهـود إلـى فكـرة ربـط اليهـود بالمنطقـة العربيـة وتحديـداً فلسطين، فعمل المستشرقون اليهود على توجيه الاستشراق الغربي نحو هذا الهدف مـن خـلال رسـم هيكليـة المنطقـة العربيـة والإسـلامية وفـق المنظـور الاستشـراقي اليهودي، رغبة منهم في أن يسير الاستشراق الغربي على خطى الاستشراق اليهودي، حيث عمل المستشرقون اليهود على استحضار عوامل صراع شرقي – غربي بغية حشد الغرب فـي خنـدقهم، واسـتخدمت فـي ذلـك آلاف المطبوعـات الصـادرة بـاللغتين الإنجليزيـة والفرنسـية، وخصوصـاً فـي السـنوات الأخيـرة، والتـي تصـل بسـهولة ويسـر للباحثين الغربيين في سنوات دراستهم الأولى، مما يجعل التحرر من هذه الأفكار أمراً صعباً.

لذلك يأتي الاستشراق اليهودي ليكون مكملاً لما بدأ به الاستشراق الغربي، ثم ليعمل على إدماج النتائج المعرفية في شؤون العرب والمسلمين وفق مسار محدد، يراد من خلاله المنطقة برمتها، وجعلها في أذهان الأوروبيين والغرب عموماً خلاف ما هي عليه في محاولة إثبات ما يسمى استمرارية «التاريخ اليهودي» في فلسطين وحولها تحديداً.

لذلك جاءت محاولات كتابة ما يسمى «التاريخ اليهودي» خلال الحملات الصليبية، فأظهرتهم تـارة محـاربين – وهو أمـر ينافيـه العقل – فقد كـانوا يـدفعون الجزيـة وهذا ثابـت فـي كـل الكتابـات التاريخيـة، فكيـف يمكـن لهـم أن يكونـوا محـاربين، ثـم تـأتي محـاولات إلصـاقهم بـالأرض من خـلال وصـفهم كمزارعين، إضـافة إلـى نفـي الهويـة الواحدة لعرب فلسطين، وجعل الهويـة اليهوديـة لفلسـطين هـي المسـألة المركزيـة فـي أذهان الغرب.

تطور الاستشراق:

بعـد نكبـة عـام 1948تطـور الاستشـراق اليهـودي تطـوراً كبيـراً، فلـم تعـد الأهـداف الصـهيونية محاولـة إثبـات مـا يسـمى «التـاريخ اليهـودي» فحسـب بـل تعـدى ذلـك إلـى دراسة التاريخ والجغرافيا، والعادات والتقاليد وكل ما أمكن عن المنطقة.

من هنا إن كان الاستشراق الغربي قد تركز حول مساعدة المؤسسات الغربية على تحقيق طموحاتها وتطلعاتها في الهيمنة، فإن الاستشراق اليهودي تجاوز ذلك ليجعل

المنطقة برمتها تحت أنظاره، فالاستشراق الصهيوني اليوم يدرس أحوال المسلمين من ماليزيا وحتى تركيا وأفريقيا، ناهيك عن أحوال العرب المسلمين.
والاستشراق اليهودي الجديد يزحف ليحل محل الاستشراق التقليدي من خلال تحويل الاستشراق ذاته إلى استخبارات في الميادين الاستراتيجية كافة، لتمكين هذا الكيان من الاستمرار في تحقيق التفوق، وإنما يعكس ذلك الطبيعة العنصرية لهذا الكيان، من خلال استخدام الجوانب المعرفية بغية تحقيق السيطرة، والهيمنة على المنطقة برمتها.
اهتمام بحثي:
عندما نعلم أن الجامعة العبرية تخصص قرابة نصف ميزانيتها للمشاريع البحثية ندرك أهمية الأبحاث في العقلية الصهيونية المعاصرة، فيكون الباحثون أشبه بأداة استشعار عن بعد، ترصد المخاطر التي تواجه المشروع الصهيوني في بلادنا، فلقد سبق مشروع بناء الجامعة العبرية في القدس والذي جاء عام 1918 بمساعدة بريطانيا، سبق نشأة هذا الكيان، وكانت خطط بنائها قد وضعت في نهايات القرن التاسع عشر، وهي منذ تشكلها تحث الباحثين اليهود على دراسة الشؤون العربية كافة، ويتم تقديمهم في المجتمع الصهيوني على أنهم «خبراء الشؤون العربية»، حيث يعمل الكثير منهم مستشارين سياسيين وأمنيين لدى القادة العسكريين.
فالصهيونية التي وضعت نفسها وسط تشكل عربي وإسلامي، بدأت بدراسات مفصلة للتعرف على مكامن القوة والضعف، لامتلاك مصدر معرفي يساعدها في تعميق التناقضات، وصياغة خطاب وبرنامج ميداني للتعامل مع العرب وفق توالي الظروف السياسية وغيرها.
لذلك فالاستشراق اليهودي ليس ترفاً فكرياً، ولا ينبع من حاجات الإنسان إلى ثقافة محددة، إنما عليه أن يستطلع أحوال العرب والمسلمين من ماليزيا وحتى ساحل العاج، وبالمقابل فإن أمامه مهمة أخرى، وهي تعزيز الانتماء لليهود القادمين من الخارج من أجل التحفيز على الاستمرارية في بناء المشروع الصهيوني، ولا يتم ذلك إلا بإقامة عشرات المؤسسات البحثية، والعمل على صناعة الباحثين وصياغتهم من خلال مؤسسات الاستيعاب، فتجد الباحث الصهيوني والذي يريد دراسة أي من

القضايا العربية يحصل على امتيازات خاصة، وتوضع أمامه إمكانات كبيرة لإنجاز مهمته.

دراسة وتعبئة:

فالحروب في الاستشراق اليهودي تشكل مادة بحثية أساسية، وتأتي دراستها وتحليل دورها في السياق العام للسياسة الصهيونية، والوقوف على النتائج والاستخلاصات التي أفضت إليها تلك الحروب بغية إدماجها في رؤية مستقبلية للصراع لتحاشي التقصير، وتشغل معركة حطين الباحث الصهيوني ليس من خلال دلالاتها العسكرية فحسب بل ومن خلال دراسة الظروف التاريخية التي سبقت هذه المعركة، والعمل على منع تكرارها من جديد، بما يشكل ذلك مصدراً للرعب لدى الكيان الصهيوني.

ففي عام 1987 وعلى إثر انطلاق الانتفاضة الأولى المباركة أقام الكيان الصهيوني مؤتمرا أعقبته العديد من الندوات، وذلك في ذكرى مرور 800 عام على معركة حطين، وحاول الباحثون الصهاينة من خلال ذلك التذكير من جديد باختلاف التجربة بين الحملات الصليبية وبين الصهيونية.

وبكل تأكيد إن أعمال هذا المؤتمر لم تكن موجهة لغايات بحثية أكاديمية، وإنما جاءت موجهة إلى صميم المجتمع الصهيوني الداخلي، والذي بدأ يرى مع الانتفاضة صورته الغريبة عن المنطقة، ومن خلال التعاطف العربي الشعبي والإسلامي بدأ يلمس من جديد الظروف التاريخية التي سبقت معركة حطين، بما يشكله ذلك من هاجس يؤرق سريرة الصهاينة.

وهنا نلاحظ مهمة جديدة للاستشراق اليهودي أنه أخذ يخاطب المجتمع الصهيوني من الداخل بغية جعل المجتمع الصهيوني في حالة توحد مع المؤسسة العسكرية والتي لها مفهومها الخاص للأمن، فمفهوم الأمن لأي دولة يعني حماية الحدود، إلا أن هذا الكيان يرى أن مفهوم الأمن بالنسبة إليه يعني «الوجود ذاته» لذلك مع انطلاق الانتفاضة المباركة لم يعد مفهوم الردع للأنظمة العربية يعني له الكثير بسبب التماس المباشر بينه وبين أصحاب الأرض.

ومن هنا نجد مفهوم الأمن إنما يستند على رؤية استشراقية من صميم الدراسات التاريخية استخلصها الباحث الصهيوني دان هورو فيتش وهو أستاذ العلوم السياسية

في الجامعة العبرية، حيث يقول «هنا تكمن فرصتنا الأخيرة، فإما الوجود والاستمرار بأي ثمن، وإلا فإن أمامنا الفناء النهائي».

رعب دائم:

ما جرى للصليبيين في بلادنا من الطبيعي أن يشكل حالة قلق مستمرة للصهاينة في بلادنا، فهناك مسألة لا شعورية داخلية تقود الصهاينة لدراسة هذا التاريخ للوصول إلى حالة من الاطمئنان الداخلي، فعليهم اختراع الكثير من الأوهام، وتزييف العديد من الحقائق، مع انهيار أسطورة الجندي الذي لا يقهر بفعل الانتفاضة المباركة، والتي تشكل بحق أكبر فعل تاريخي مؤثر في مواجهة الاستعمار الغربي منذ معركة حطين والتي كان أهم عامل فيها بروز التيار الجهادي الإسلامي، والتصميم الكبير الذي أبداه الفلسطينيون بما يعتبر عملاً أسطورياً، فلم تفلح التكنولوجيا في كبح جماح شعب أعزل، وهكذا يصطدم المشروع الصهيوني للمرة الأولى بالحائط الإسلامي، وهو الأمر الذي تحدث فيه المستشرق اليهودي آرمينوس فامبيري 1831-1913 إلى هرتزل محذراً، حيث قال له «.. القدس مقدسة لهؤلاء الناس مثل مكة»، لكن هرتزل لم يستطع أن يعي تلك الحقيقة، والتي تجلت ملامحها في الانتفاضة المباركة الثانية أثناء محاولات تدنيس الحرم الشريف.

حقائق:

الحقيقة التي لا بد من رؤيتها والتي ينبغي أن تصبح علامة فاصلة في الثقافة العربية أن مفهوم التسوية من كامب ديفيد الأولى وحتى أوسلو وخارطة الطريق كل ذلك ساهم في تغذية النزعة الاستعلائية الصهيونية، حيث نرى أن المجتمع الصهيوني لم يترك مناسبة إلا وعبر فيها عن فاشيته، لذلك لا بد من تصدير مفهوم الرعب إلى داخل الكيان الصهيوني، ويتجلى الأمر من خلال إعادة تشكيل واقعة حطين في أذهان الغزاة الصهاينة، بما شكلته من وحدة إسلامية، وتمسك بهذه العقيدة، حيث الإسلام هو الوحيد القادر على تعديل كفة المواجهة، وتنفيس وإزالة التضخم المرضي في الشخصية اليهودية، التي غذّاها الاستشراق اليهودي، وأظهرها بغير مظهرها الطبيعي، ويتجلى انكسار هذا المفهوم فيما نراه اليوم من جدار الفصل

العنصري الذي يعتبر تعبيراً عن هذه الحالة، ومحاولة لترميم مفهوم الأمن الذي كسره المجاهد الفلسطيني.

فالانتفاضة المباركة جعلت الجندي الصهيوني يقف وراء الجدار ممسكاً ببندقيته في ذاكرته البعيدة هاجس حطين، ولا يدري من أين يأتيه الرعب هل من القادم من وراء الجدار أم من حفرة تحت قدميه، من هنا ستكون مهمة مراكز البحث الصهيونية القادمة العمل على إقناع اليهود إن أجلهم طويل هي مهمة صعبة ومعقدة.

المصدر : http://www.qudsway.com

==============

#الاستشراق الجديد

سهيلة زين العابدين حمَّاد

لقد تعرَّف الغرب بالشرق عبر قرون طويلة عن طريق عدد كبير من الكتاب والرحالة والجغرافيين والمؤرخين، والشرق الذي عرفته أوروبا قديماً يمتد من سواحل البحر المتوسط غرباً إلى البحار الشرقية النائية، وقد اختلفت وسائل اتصال أوروبا بالشرق باختلاف أهدافها وبواعثها من وراء هذا الاتصال.

وكانت بداية هذه العلاقات ترجع إلى أيام الكنعانيين، وكانت علاقات تجارية، ثُمَّ تلتها علاقات حرب واحتلال، إذ قامت الحرب الفارسية اليونانية (499 – 449ق. م)، وكانت الغلبة في البداية للفرس ثُمَّ أخرجهم اليونان من بلادهم.

وفي أواخر القرن الرابع "قبل الميلاد" قام الإسكندر المقدوني باحتلال آسيا الصغرى، وبعض أواسط آسيا، واستمر في حربه حتى وصل أبواب الصين، وقد عاجلته المنية، ولم يتعد عمره ثلاثين عاماً، وتوفي عام 323ق. م، وعندما اجتاح الإسكندر المقدوني الشرق فكَّر في احتلال الجزيرة العربية، بعدما تمَّت له الغلبة على مصر والهلال الخصيب؛ إذ كان وقتها في بابل، فأرسل بعثة استطلاعية تتسقط له المعلومات اللازمة؛ تمهيداً للاستيلاء على هذه الأصقاع المليئة بالغموض والأسرار الصعبة الاختراق، فبنى أسطولاً قوياً، واتخذ مدينة بابل قاعدة للانطلاق، وأمَّر على أسطوله قائده "أرخياس Archias" الذي عبر الخليج العربي، ووصل إلى جزيرة البحرين الحالية، وكان يطلق عليها في ذلك الوقت اسم "أيلوس" وقدَّمت البعثة

البحرية وغيرها من البعثات الأخرى تقارير وافية عن المناطق التي وصلت إليها، تناولت السكان، والإنتاج، والمبادلات التجارية، والوصف "الطبوغرافي" للأرض، والطرق السهلة التي يمكن لجيش جرار المرور منها في صحراء قاحلة خالية من الماء، ومن كل الوسائل المريحة التي يحتاج إليها جيش مقبل على احتلال أصقاع لم يخترقها أحد قبل ذلك التاريخ، فأخذ المهتمون بهذه الحملات تسجيل العديد من المعلومات عن الأرض الشرقية التي احتلوها، ودَّونوا كثيراً من الروايات الشفهية والسماعية عن أرض أخرى كان في نية الإسكندر ابتلاعها.

بداية الاستشراق:

من وجهة نظري فإن بداية الاستشراق كانت من عهد الإسكندر المقدوني، وكما رأينا فإنه قام لأهداف السيطرة والاحتلال، ومنذ هذا التاريخ كان المستشرقون المهتمون بالدراسات الشرقية مبعث اهتمامهم بهذه الدراسات يعود في المقام الأول إلى خدمة أهداف بلادهم في السيطرة على الشرق، وعند ظهور الإسلام أضيف إلى هذا الهدف هدف آخر هو محاربة الإسلام بتشويه صورته، وصورة نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – في الشرق والغرب، وتاريخ الاستشراق الطويل يشهد بهذا.

كشف حقيقة الاستشراق:

وقد كشف القناع عن حقيقة الاستشراق بعض الباحثين العرب مثل الأستاذ "أنور عبد الملك" الذي نشر مقالة له بعنوان " الاستشراق في أزمة"، ونشر بالفرنسية في مجلة "ديوجين" سنة 1963م في العدد رقم 44، ومن المستشرقين الذين ردَّوا عليه المستشرق الإيطالي "فرانسيسكو جابوبيلي" في مقالة نشرت له في مجلة "ديوجين" العدد "50" سنة 1965م كما رد عليه المؤرخ الفرنسي اليهودي "كلود كاهين" في نفس المجلة والعدد، وكذلك المستشرق الفرنسي اليهودي "مكسيم ردونسون"، حيث رد عليه ضمنياً في كتابه "جاذبية الإسلام".

ثُمَّ أعقبه كتاب الاستشراق للدكتور "إدوارد سعيد" أستاذ الأدب الإنجليزي والأدب المقارن في جامعة كولومبيا في نيويورك، وقد صدر بالإنجليزية عام 1978م، وكانت له أصداء واسعة، وقد ردَّ عليه كل من المستشرق اليهودي الفرنسي مكسيم ردونسون، وكلود كاهين، والمستشرق اليهودي البريطاني الأمريكي "برنارد لويس"،

وكذلك " ألان ردسون"، كما كان لبحوث عبد النبي أصطيف، وهو يعمل بكلية سانت أنتوني بجامعة أكسفورد، وممن عقَّب على كتاباته "ألان ردسون".

هذه البحوث والدراسات والمقالات قد زلزلت الأوساط الاستشراقية وجعلتهم يقررون في المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للمستشرقين الذي عقد في باريس بمناسبة الذكرى المئوية لأول مؤتمر دولي للمستشرقين في صيف عام 1973م أن يقذفوا بمصطلح "مستشرق " في مزبلة التاريخ على حد تعبير " برنارد لويس"، ولكن في الوقت نفسه أعلنوا عن تمسكهم بمناهجهم التي اتبعوها في دراساتهم، وأنَّهم لن يتخلوا عنها لإرضاء العرب.

الاستشراق الأمريكي الجديد:

وهكذا نجد أنَّهم قد تخلوا عن المصطلح، ولكنهم لم يتخلوا عن المنهج والأهداف والأغراض، لذا نجدهم استبدلوا كلمة "استشراق" "بمراكز المعلومات"، أو "دراسات الشرق الأوسط"، وهذا هو الثوب الجديد للاستشراق الجديد، ولا سيما الاستشراق الأمريكي.

ومن هنا نجد بعض الباحثين المسلمين قد انخدع بهذا المصطلح الجديد وهو الأستاذ "مرسي سعد الدين" الذي يرى أنَّ هذا النوع من الاستشراق يدخل في إطار جمع المعلومات، وهو ناتج عن رغبة حقيقية في البحث نابعة من ذات المستشرق، وليس بإيعاز من أجهزة المخابرات، ويرى أنَّ هذا النوع من الاستشراق يمثله الاستشراق الأمريكي الجديد، ويضيف قائلاً: " وإن كانت هذه الدراسات تساعد أمريكا مثلاً على رسم سياستها تجاه دول المنطقة، ويؤكد على أنَّ دراسات المستشرقين الأمريكان الجدد عن مصر الفرعونية، ومصر الإسلامية، وعن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الظروف الحالية، وعن الحركة العمَّالية، والمجتمع الريفي، ووضع المرأة والطبقة الوسطى أنَّها لم تكتب لغرض استعماري، وإنَّما هي بحوث نتيجة لتجارب كتابها.

وقد كتب هذا في مقال نشر في الأهرام في 1999/8/24م، بعنوان "الاستشراق الجديد" والأستاذ "مرسي سعد الدين" متفائل جداً، فهو يجزم أنَّ هذه الدراسات بإيعاز من أجهزة المخابرات، وليس لأغراض استعمارية، مع أنَّ ما ذكره من نوعية الدراسات

يؤكد لنا أنَّ الغرض استعماري.

أهداف الاستشراق:

فالاهتمام بمصر الفرعونية هذا من أهداف الاستعمار؛ إذ يسعون لإحياء القوميات الجاهلية القديمة في العالم الإسلامي، فقد نبَّش المستشرقون خاصة في النصف الأول من القرن العشرين في الحضارات الجاهلية القديمة، وإحياء معارفها لسلخ المسلمين من دينهم، من ذلك بعث الفرعونية في مصر، والفينيقية في سوريا، والآشورية في العراق، والفارسية في إيران، والقومية الطورانية في تركيا، أمَّا الجزيرة العربية فلقد بحثوا في آثار السابقين، وأسموا دراساتهم "التاريخ الحضاري للعرب قبل الإسلام"، وذلك ليطفئوا نور الإسلام، وأنَّ الإسلام ليس وحده هو الذي قدم الحضارة الإنسانية، وليقطعوا صلة الأمة الإسلامية بماضيها الحقيقي الذي بدأ بظهور الإسلام.

أمَّا دراساتهم عن العصور الإسلامية فهي لا تخلو من الدس والتشويه، وأمريكا تريد القضاء على الإسلام والسيطرة على البلاد الإسلامية، ففي شهر مايو سنة 1992م صرَّح نائب الرئيس الأمريكي في حفل الأكاديمية البحرية الأمريكية بولاية ماريلاند أنَّهم قد أخيفوا في هذا القرن بثلاثة تيارات هي: الشيوعية، والنازية، والأصولية الإسلامية، وقد سقطت الشيوعية والنازية، ولم يبق أمامهم سوى الأصولية الإسلامية، وما حملتها الآن على ما تسميه إرهاباً ومحاربتها له إلاّ للقضاء على الإسلام، وبسط نفوذها وهيمنها على الشعوب والدول الإسلامية ولا سيما العربية.

أمَّا عن الدراسات المعاصرة للأحوال الاجتماعية والاقتصادية فمعروف أنَّ المستشرقين المعاصرين في الولايات المتحدة قد أولوا عناية فائقة بدراسة الأوضاع القائمة في المنطقة العربية منذ قيام إسرائيل وحتى الآن، وذلك في إطار تجنيد هؤلاء المستشرقين والعملية الاستشراقية الأمريكية إجمالاً لتلبية احتياجات وتطلعات السياسة الأمريكية في هذه المنطقة، واحتل الاهتمام بإسرائيل مكانة خاصة في الاستشراق الأمريكي المعاصر، انطلاقاً من الدور الوظيفي الذي تؤديه إسرائيل في تنفيذ الاستراتيجية الأمريكية، فانصبت غالبية نشاطات المستشرقين الأمريكان في مجالات

الأبحاث الصراعية باتجاه تعزيز المواقع الإسرائيلية على جبهة المواجهة مع العرب، ومن المستشرقين الأمريكان الذين يسعون لخدمة الصهيونية "برنارد لويس" وهو يهودي بريطاني الأصل، ومنذ سنة 1973م انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ أصبح عضواً دائماً في معهد الدراسات المتقدمة، وفي الجمعية الفلسفية الأمريكية، وشغل منصب أستاذ الدراسات الشرق أوسطية في جامعة برنستون، وانتقال "برنارد لويس" إلى الولايات المتحدة الأمريكية منذ سنة 1973م يبين لنا أنَّ هذا المستشرق انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية لهدف يسعى إلى تحقيقه من خلال الدور الأمريكي في الدعم الصهيوني، خاصة بعد حرب أكتوبر عام 1973م التي قلبت موازين الاستراتيجية الصهيونية والأمريكية، إضافة إلى إدراكه أنَّ الدور البريطاني في الدعم الصهيوني قد ضعف أمام قوة الاستراتيجية الأمريكية، وأنَّ الصهيونية قد حصلت من بريطانيا ما تريده منها، فلقد أدت بريطانيا دورها، والدور الآن على الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق بقية الحلم الصهيوني باعتبارها أكبر دولة في العالم، وإسرائيل هي الدولة المدللة لديها.

ولم يتوقف الاستشراق الأمريكي على خدمة الأهداف الصهيونية، بل نجده قد تعاون مع المخابرات المركزية الأمريكية لخدمة مصالح أمريكا في الشرق الأوسط، وذلك من خلال "مركز دراسات الشرق الأوسط " في جامعة هارفارد، ومن المستشرقين اليهود الأمريكان الذين تعاونوا مع جهاز المخابرات الأمريكية " ندَّاف سفران" الذي عمل مديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة "هارفارد" حتى إقالته عام 1985م حيث تمَّ كشف النقاب عن تعاون "ندَّاف سفران" مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وكان هذا الكشف فضيحة في الأوساط الأكاديمية حيث قبض سفران مبلغاً وقدره 45 ألف دولار من المخابرات الأمريكية لتمويل ندوة في جامعة هارفارد حول " نمو المشاعر الإسلامية في الشرق الأوسط"، وتبين كذلك أنَّ المخابرات الأمريكية قد دفعت 107 ألف دولار مقابل قيام سفران بتأليف كتاب عن المملكة العربية السعودية، ويتضمن هذا الكتاب الذي تعهد سفران بتنفيذه دراسة عن حجم القوى الإسلامية في هذا البلد بهدف الإجابة عن سؤال مهم هو: كيف يمكن

السيطرة على هذه القوى؟ وكيف يمكن أو هل يمكن لهذه القوى أن تسيطر على زمام الحكم هناك؟

وقد كلَّف سفران أحد أساتذة الجامعة العبرية في القدس "البروفسور آفير" بإجراء بحوث ميدانية بالتعاون مع الطلبة العرب، ودراسة الصحف الصادرة في البلد المعنية بالدراسة المتوفرة في معهد "ترومان" لأبحاث الشرق الأوسط التابع للجامعة العبرية، إلاَّ أنَّ الطلاب العرب في الجامعة المذكورة رفضوا التعاون مع البروفسور الإسرائيلي، وبعد افتضاح الأمر أجرت جامعة "هارفارد" تحقيقات مع سفران، وأقيل على إثرها، لكن سفران ادعى أنَّه هو الذي قدَّم استقالته بسبب الحساسية التي سببتها تحقيقات الجامعة معه، وأخذ يدافع عن ارتباطه بوكالة المخابرات المركزية مؤكداً أنَّ علماء كثيرين جداً يعملون في جامعة هارفارد، ويقيمون علاقات وطيدة مع الوكالة يتلقون منها المساعدات المالية، وأنَّ الجامعة لا تكتفي بإجازة هذه العلاقات بل تشجعها، ولم تنف جامعة هارفارد هذا الأمر.

وهذه المؤشرات في قضية سفران تبرهن خلاف ما ذهب إليه الأستاذ "مرسي سعد الدين" بأنَّ دراسات الاستشراق الأمريكي الجديد بعيدة عن أجهزة المخابرات الأمريكية والأغراض الاستعمارية، وهذه وقائع حدثت لم آت بها، وإنَّما واردة مصادرها في الهوامش، وبالإمكان الرجوع إليها.

تعريف الاستشراق:

والذي أريد قوله: إنَّه علينا ألاَّ ننخدع بالمصطلحات الجديدة، فالاستشراق حديثه مثل قديمة لا يخرج عن كونه مؤسسة غربية بالغة القوة، قائمة على دراسة الشرق بشتى جوانبه، مع التركيز على الجزء الإسلامي منه برؤية غربية قائمة على التفوق العرقي والثقافي بهدف سيطرة الغرب على الشرق، وتشويه الإسلام في الشرق والغرب.

المصدر : http://islamtoday.net

==============

#الاستشراق البوسنوي: دراسة الذات البوسنية

د. محمد م. الأرناؤوط*

تحتفل سراييفو والبوسنة هذا العام بالذكرى الخمسين لتأسيس معهد الاستشراق (1950–2000) الذي كان تعبيراً عن مرحلة متميزة في الكشف عن التاريخ الثقافي للبوسنة.

وكانت البوسنة قد دخلت في مُنعطَفٍ جديد في نهاية القرون الوسطى بعد الفتح العثماني لها في 1463م؛ حيث انتشر فيها الإسلام بسرعة ليصبح دين الغالبية؛ ولتبرز فيها عدة مراكز للثقافة الإسلامية (سراييفو، بانيا لوكا، موستار الخ)، ومع هذا المنعطف دخلت وانتشرت في البوسنة لغات جديدة (العربية والتركية والفارسية)، وأخذ يبرز في البوسنة بعد أقل من قرن من الحُكم العثماني الجيل الأول من العلماء البشانقة الذين أخذوا يكتبون بهذه اللغات في مختلف المجالات (اللغة والأدب، التاريخ، الفلسفة والمنطق، علوم القرآن، علوم الحديث، الفقه وأصول الفقه الخ)، كما أخذ الجيل الثاني والثالث يكتب في اللغة البشناقية بحروف عربية.

ومع الاحتلال النمساوي للبوسنة (1878 – 1908) ثم مع ضمها إلى الإمبراطورية النمساوية المجرية (1908 – 1918) شهدت البوسنة بداية الاهتمام بهذا التراث البشناقي من خلال بعض المستشرقين الأوروبيين، ثم مع الجيل الأول من الباحثين البشانقة الذي يأتي على رأسهم د0 صفوت بك باش اغيتش (1870 – 1932)، ومع ضم البوسنة إلى يوغسلافيا في (1918) حيث أصبح المسلمون أقليةً في الدولة الجديدة، وفُتِحَ أول قسم للاستشراق في بلغراد (1924) كان يُفترَض أن يساهم هذا القسم في التعرف على التراث المسلم خاصة وأن أول رئيس للقسم د0 فهيم بايراكتاروفيتش كان من العارفين بهذا التراث، ولكن د0 مايراكتازوفيتش على علمه الغزير كان يمثل النزعة الأوروبية المركزية (الاستشراقية) التي تنظر للاستشراق باعتباره دراسة للآخَر.

ولكن مع قيام يوغسلافيا الجديدة في (1945) التي أصبحت فيها البوسنة واحدة من الجمهوريات الست المكونة للاتحاد الفدرالي تعبيراً عن خصوصيتها، تأسس لاحقاً في (1950) معهد الاستشراق في سراييفو الذي أخذ على عاتقه مهتمين متداخلتين:

أ. جمع تراث البوسنة المكتوب باللغات الشرقية (العربية والتركية والفارسية)، وحفظه حسب الأصول، وتصنيفه.

ب. دراسة ونشر هذا التراث باللغة البشناقية الحديثة (التي أصبحت تُكتَب بالحروف اللاتينية).

وقد أخذت أولى الدراسات عن هذا التراث – الذي لم يَعُدْ دراسةً للآخَر بل للذات البوسنوية – تُنشَر في المجلة الجديدة التي أخذ يصدرها المعهد (إسهامات في الفيلولوجيا الشرقية)، والتي حظيت مع الزمن بسمعه علمية جيدة نظراً لأصالة الدراسات المنشورة فيها، وبالإضافة إلى هذا فقد أخذ المعهد ينشر الكتب المتعلقة بهذا التراث، وينظم الحلقات النقاشية والندوات حول هذا التراث، وجاءت مناسبة مرور (25) سنةً على تأسيس المعهد فرصةً للاحتفاء بما أنجزه حتى ذلك الحين، فقد تمكن المعهد حتى ذلك الحين من جمع وحفظ آلاف المخطوطات باللغات الشرقية؛ التي أصبحت تُعَدُّ أنفس مجموعة من نوعها في يوغسلافيا، ونشر عشرات الدراسات حول هذا التراث، وقد قام المعهد بهذه المناسبة بتنظيم ندوة "الثقافة العربية الإسلامية" التي نشرت أوراقها في العدد (24) الخاص من مجلة المعهد، وقد خصص العدد اللاحق (25) لنشر أول فهرس عن الإصدارات / الدراسات التي نشرها المعهد حتى ذلك الحين، وفي العدد ذاته نُشِرت أول دراسة عن مجموعة المخطوطات الشرقية في المعهد، التي بلغت حتى ذلك الحين(4850) مخطوطةً، ودراسة أخرى عن أرشيف المعهد وما فيه من وثائق أصلية ومُصوَّرَة من مراكز الوثائق في البلقان.

ولكن كل هذا الإنجاز الكبير للمعهد وما أُضيف إليه خلال الثمانينيات تعرض إلى نكبة خلال الحرب في البوسنة؛ حيث تعرض المعهد إلى قصف صربي مُتعمَّد طيلة 17– 18 آيار/مايو (1992) مما أدى إلى إحراق مكتبة المعهد الغنية بالمخطوطات الشرقية.

وعلى الرغم من هذا لم يتوقف العمل في المعهد حتى خلال الحرب، وإن انطلق من جديد بحيوية أكبر بعد توقف الحرب في (1995)، وهكذا فقد أصدر المعهد في(1995) الكتاب المهم " الأدب النثري للبوسنة والهرسك باللغات الشرقية " من تأليف د0سليمان غروزدانيتش ود0 أمير لوبوفيتش"، والكتاب الآخر المتفرع من هذا التراث " مؤلفات البشانقة في المنطق في اللغة العربية " لـ د. لوبوفيتش.

أما خلال 1997 فقد أصدر كتابين مهمين؛ الأول عن تاريخ سراييفو بمناسبة الذكرى الـ (500) لنشوئها، والثاني "فهرس المخطوطات الشرقية للمعهد" من إعداد الباحثين صالح تراكو، وليلى غازيتش.

لا بد أن نشير أخيراً إلى كتاب د0 أسعد دوراكوفيتش " البلاغة العربية في البوسنة، كتاب أحمد بن حسن بشناق حول الاستعارة "، الذي يُعَدُّ عينةً من هذا التراث الذي تعتز به البوسنة.

---

* مدير معهد بيت الحكمة / الأردن

المصدر : http://www.islam-online.net

=================

#هولندا تبدأ الاستشراق الجديد

حسام تمام

أعلنت جامعة روتردام الإسلامية بهولندا مؤخراً وضع حجر الأساس والبدء في تأسيس أول كلية للدراسات الشرقية بها، وأسند مجلس الجامعة عمادة الكلية للدكتور "محمد حرب" مستشارها لشئون الشرق الأوسط، والعالم التركي، وأستاذ كرسيّ التاريخ الإسلامي، والذي كان أول من أطلق الفكرة ضمن أطروحته لتأسيس استشراق جديد.

التقينا الدكتور حرب، وناقشناه في فكرة الكلية، وتطورات تأسيسها، وأطروحة الاستشراق الجديد.

كيف ظهرت فكرة إنشاء كلية للدراسات الشرقية في أوروبا؟

** الفكرة حديثة جداً، أثارتها محاضرة ألقيتها في أوائل شهر يونيو الماضي (1999م) في فيينا بدعوة من الأكاديمية الإسلامية هناك؛ وكانت بعنوان (نحو استشراق جديد)، وحضرها عدد كبير من الجيل الثالث للمسلمين في أوروبا، تحدثت فيها عن عيوب الاستشراق القديم، وآثاره السيئة على الإسلام، وتأثيره السلبي على الرأي العام العالمي تجاه الإسلام، والقضايا الإسلامية، ودعوت إلى تأسيس استشراق جديد يتجاوز عيوب وسلبيات القديم، ويكون دعامته من الباحثين المسلمين الغربيين والجيل الثالث من المسلمين في أوروبا، أحدثت المحاضرة تأثيراً كبيراً في الحاضرين،

ولاقت استحسانهم، واقترح البعض تأسيس كلية في أوروبا لهذا الغرض، فتلقف المسئولون في جامعة روتردام الإسلامية بهولندا الفكرة، وأعلنوا عن قبول الجامعة إنشاء مثل هذه الكلية، وأسندت إليَّ عمادتها، ووضع مقرراتها الدراسية، وإنشاء هيكلها الإداري، وبالفعل تم ذلك في أوقات وجيزة، وكانت البداية باسم الدراسات العثمانية على أن تستكمل بقية الأقسام في وقت لاحق.

وما الفكرة الرئيسية لأطروحة الاستشراق الجديد التي تتبناها وتقوم عليها كلية الدراسات الشرقية؟

الفكرة تقوم على نقد الاستشراق القديم، والدعوة إلى تأسيس استشراق جديد يتناسب مع المرحلة الجديدة التي يعيشها، ويتجاوز سلبيات وتجاوزات الاستشراق القديم التي ترجع لأسباب وظروف كثيرة، فالاستشراق منذ ظهوره قبل خمسة قرون تقريباً نشأ في ظروف ولأهداف غير موضوعية؛ فقد ظهر مع اشتداد الصراع بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي، ووصوله إلى ذروته مع طرد المسلمين من الأندلس، وسقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين، ووصولهم إلى أبواب فيينا، وانتشار حالة الفزع من الإسلام التي ساهم فيها باباوات الكنيسة الغربية.

فقد بدأت الدراسات الاستشراقية في الظهور والتزايد، وكان هدفها استكشاف ذلك الخطر الذي يسمى بالإسلام، واختراقه داخلياً في محاولة للتغلب عليه، خاصة بعد إدراك الأوروبيين لاستحالة القضاء عليه عسكرياً وبالمواجهة المباشرة، فنشأ الاستشراق في المدارس الكنَسيّة، فتحمل بكل سلبيات نظرتها غير الموضوعية للإسلام، ثم في مرحلة لاحقة تحمل بسلبيات ومساوئ أخرى لا تقل خطورة بعد ارتباطه المباشر بالاستعمار، وتحولت الدراسات الاستشراقية لخدمة الاستعمار، ولعب المستشرقون دوراً مؤثراً في السيطرة على الشعوب الإسلامية والشرقية أيضاً، وإحكام قبضة الاستعمار الغربي عليها، وهو دور يخالف كل أخلاقيات العلم والمعرفة، وكانت المحصلة النهائية أن الاستشراق مارس تأثيراً سلبياً على الإسلام والمسلمين، وظهر ذلك واضحاً في سيل الدراسات والكتابات الاستشراقية؛ فمعظمها يرسم صورة بالغة السوء عن الإسلام والمسلمين، بجهالة أو سوء نية، لكنها ساهمت في إفساد الرأي العام الأوروبي والغربي في كل ما يتعلق بالإسلام، بل وأفسدت أيضاً

تصورات كثير من المسلمين أنفسهم عن الإسلام خاصة المثقفين والأكاديميين، فأي باحث مسلم يعتمد بصفة أساسية على الكتابات الاستشراقية في كل ما يتصل بالدراسات والكتابات المتعلقة بالإسلام أو التاريخ الإسلامي باعتبارها رائدة في هذا المجال، ومن ثم يتحمّل بكثير أو قليل مما تحمله من أكاذيب أو مغالطات، وعلى سبيل المثال لا أعتقد أن باحثاً لا يستعين بدائرة المعارف الإسلامية التي أعدها مستشرقون أوروبيون التي صدرت بثلاث لغات أوروبية (ألمانية/ إنجليزية/ فرنسية)، وترجمت إلى كل اللغات الإسلامية، وتتضمن تشويهاً للعقيدة والتاريخ والفكر الإسلامي؛ إذ خضع فيها الإسلام للدارسة وفق مناهج ورؤى غربية متباينة (مسيحية، يهودية، علمانية، استعمارية)، كلها بعيدة عن الإسلام الصحيح، وتحمل جناية بالغة عليه، لذلك كان لا بد من الاتجاه إلى تصحيح مسار الاستشراق، والدعوة إلى استشراق جديد.

ولكن ألا يتجاهل ذلك الآثار الإيجابية للاستشراق، والدور البارز لعدد من المستشرقين المنصفين؟

لا بالطبع، أنا أدرك وجود آثار إيجابية لكنها قليلة إذا ما قورنت بالسلبي منها، كما لم تخل أبداً من الغرض، ربما باستثناءات قليلة جداً، كلنا يذكر جيرمانوس وزيجريد هونكة وأناماري شميل وليوبولد فايس وغيرهم، ويذكر لهم إنصافهم وموضوعيتهم، ولكن هذه استثناءات نادرة، أما القاعدة فهي غير ذلك، ومعظم المستشرقين كانوا أصحاب غرض ومتحاملين فطرياً وعقائدياً ضد الإسلام والمسلمين، أو ارتبطوا بأهداف استعمارية بحتة، وللأسف هؤلاء كانوا الأكثر إنتاجاً وتأثيراً في الوقت نفسه، حتى إن معظم الأكاديميين والمثقفين العرب والشرقيين تتلمذوا عليهم، وتأثروا بأفكارهم ومناهجهم، التي ما زالت مسيطرة على الدراسات الإنسانية والاجتماعية في بلادنا، خاصة وأنهم نجحوا في فرضها على جامعاتنا ومناهجنا العلمية الحديثة منذ إنشائها، لذلك فما زال كاردايفو وكازانوفا وسانتيلانا وجولدتسيهر وكارلونالينير وبروكلمان وأربري... وغيرهم من كبار المستشرقين المعروفين بتعصبهم وأهدافهم الاستعمارية هم المعروفين والمؤثرين في حقل الدراسات الإنسانية في عالمنا العربي والإسلامي.

وكيف سيتجاوز الاستشراق الجديد هذه العيوب والسلبيات؟
الفكرة تقوم على إعداد وتأسيس جيل من الباحثين والأكاديميين الذين تتوافر فيهم الشروط الموضوعية للقيام بالدور الاستشراقي؛ وأهم هذه الشروط:
البعد عن الغرض، وعدم التحامل أو التعصب، مع توافر الإمكانات اللازمة للعمل في الحقل الاستشراقي.
وأعتقد أن المسلمين الغربيين، وخاصة أبناء الجيل الثالث من المسلمين هناك أفضل من يمكنه القيام بهذا الدور، وتتحقق فيه الشروط اللازمة له؛ فهم بعيدون عن التعصب ضد الإسلام أو التحامل عليه، وأقدر على فهمه وإدراك معانيه من الغربيين غير المسلمين، كما أنهم أكثر قدرة أيضاً على تكوين ثقافة إسلامية، وإجادة لغات العالم الإسلامي، بالإضافة إلى قدرتهم على الاستفادة من الإمكانات والمناهج العلمية والغربية، وتمكنهم من اللغات والأدوات الغربية اللازمة للعمل في هذا الحقل نظراً للخبرة الغربية فيه، ومهمة الكلية إعداد هذا الجيل في قلب أوروبا لتحقيق المعادلة الصعبة، والقيام بهذه المهمة، وتصحيح مسار حركة الاستشراق من أجل خدمة الإنسانية التي ستستفيد كثيراً من تصحيح الرؤية السائدة عن الإسلام، وإعادة تصوره على حقيقته.
وما حجم الاستجابات لهذه الفكرة؟
كبيرة بالنظر إلى حداثتها؛ إذ لم يمر عليها سوى ثلاثة أشهر، فالاستجابة الكبيرة ليست فقط في الترحيب البالغ الذي لاقته من ضيوف المحاضرة – وكلهم من البارزين في الحقل الإسلامي والأكاديمي في أوروبا –، وكذلك الاهتمام الواسع الذي أبدته الصحف الأوربية، بل وفي السرعة التي تبنت بها جامعة روتردام الفكرة؛ حيث بدأت فعليّاً إجراءات تأسيس الكلية، وأسندت إليَّ عمادتها والإشراف على وضع هيكلها الإداري والتعليمي، وتحدد لها عام 2001 كبداية للدراسة بها، على أن تبدأ الدراسة بقسم الدراسات العثمانية، ثم تستكمل بقية الأقسام (العربية، الفارسية، المالوية، والأوروبية)، ومدة الدراسة أربع سنوات، وقد بدأت بعض الجامعات استعدادها للاعتراف بالشهادة التي تمنحها الكلية؛ وكانت جامعة طشقند الدولية أولى

هذه الجامعات، حيث وقعنا مع السيد نعمة الله إبراهيموف رئيس الجامعة بروتوكولاً بذلك، وفي انتظار ردود عدد آخر من الجامعات.

ولكن لماذا كانت البداية بقسم الدراسات العثمانية غير كونها تمثل تخصصك الأكاديمي؟

لأن الدولة العثمانية ليست فقط أطول الدول الإسلامية عمراً، وأكثرها اتساعاً؛ ولكن لأنها كانت نقطة الالتماس المشتعلة للإسلام مع الغرب منذ نشأتها وحتى سقوطها، فمنذ دخول العثمانيين مدينة القسطنطينية وحتى انهيار دولتهم بعد الحرب العالمية الأولى كان هناك صراع مع الغرب امتد إلى داخل أوروبا نفسها، وحمل معه بذوراً للصراعات المستمرة إلى الآن كما هو الحال في البلقان، وكثير من الأوروبيين لا يعرفون الإسلام إلا مقترناً بالعثمانية، لذلك فتشويه الإسلام والتحامل عليه في الأدبيات الأوروبية والغربية عموماً مرّ ببوابة الدولة العثمانية التي صارت أكثر دول الإسلام – ربما في التاريخ كله – التي تمثل نموذجاً لجناية الاستشراق، وتجسيداً لعيوبه وسلبياته، حتى إننا لا نجد مستشرقاً واحداً منصفاً لها طوال تاريخها، لذلك كان لا بد أن تبدأ عملية تصحيح المسار الاستشراقي من الدولة العثمانية؛ خصوصاً أننا نعيش في هذا العام ذكرى مرور سبعمائة عام على تأسيسها (1299م–1999م)، وأعتقد أنها مناسبة لتأسيس هذا القسم والبداية به، بالإضافة إلى أننا كنا نمتلك تصوراً واضحاً عنه، ولدينا إمكانيات البدء فيه فعلياً بعكس بقية الأقسام التي ما زلنا بصدد البحث في تشكيل هياكلها ومقرراتها الدراسية، بل واختيار أعضاء هيئة التدريس بها.

هل كان ذلك سبباً في تأجيل بدء الدراسة بالكلية إلى عام 2001 بدلاً من عام 2000 الذي سبق الإعلان عنه؟!

أبداً السبب الرئيسي هو أننا فضلنا انتظار تخرج أول دفعة من جامعة روتردام الإسلامية لتكون النواة الرئيسية لكلية الدراسات الشرقية، لأنهم أفضل من تتوافر فيهم الشروط المطلوبة لها.

ولكن هل بدأ فعلياً الإعداد للأقسام الأخرى؟

نعم بدأنا الاتصال بعدد من الأكاديميين في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي، خاصة مصر وتركيا وبعض دول آسيا الوسطى وشرق آسيا، ووصلتنا ترشيحات لعدد كبير منهم، ولكننا ما زلنا في مرحلة الدراسة والتقديم تمهيداً لاختيار أكفأ المرشحين، وهذا ربما يستغرق بعض الوقت، خاصة وأننا نحتاج لمتخصصين غير تقليديين، ولديهم القدرة على استيعاب الفكرة وتطويرها والإفادة فيها، ولكننا نتوقع أن ننجز ذلك في موعده – بإذن الله –.

المصدر : http://www.islamonline.net

==============

#موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية

أ. د أكرم ضياء العمري

إن موضوع الاستشراق ليس من الموضوعات التي تُطرق للمرة الأولى، وإنما طرق في العقدين الأخيرين على وجه الخصوص مراراً في مؤلفات، وكتب، ومحاضرات، ومقالات صحفية، وتحقيقات في المجلات والدوريات، ولكن النظرة إلى الاستشراق كانت تتغير باستمرار حتى انتهت إلى الصورة التي يمكن أن تعتبر واضحة في أذهان الأجيال.

فعندما كنا نطلب العلم في المرحلة الجامعية في مطلع الخمسينيات كنا نستمع إلى آراء تتصل بالعقيدة، أو الشريعة، أو التاريخ، أو التفسير، أو الثقافة الإسلامية، وكانت هذه الآراء تطرح بلسان عربي من قِبل أساتذة ينتمون إلى أمتنا، ويتكلمون بلساننا، وكنا نظن أن الأقوال هي اجتهاداتهم في هذه الموضوعات المختلفة، لكن بعضهم كان أحياناً يعزو، فإذا ما عزا القول لصاحبه عرفنا أنه يتبنى رأياً لأحد الدارسين الذين كانوا يسمون دارسين غربيين، لكن معظم الآراء ما كانت تُعزى – وهذا أخطر بالطبع – لأن الأستاذ يتكلم وكأنه يجتهد في فهم النصوص فيوجهها في حين أنه يكون قد درس كتاباً باللغة الألمانية أو الفرنسية أو الانكليزية وهو يحاضرنا من خلال ذلك الكتاب.

ومع مرور الأيام بدأت صورة الاستشراق تتضح، وأبعاده تستبين، ولكن بعض الدارسين يرى أن ذلك لم يتم أو لم يصبح واضحاً في أذهان المثقفين من أبناء أمتنا

إلا قبل عقدين من الزمان فقط، ليس معنى ذلك أن اسم الاستشراق ما كان يظهر على ألسنة الناس، وما كانت بعض أقوال المستشرقين المتداولة في الأوساط الجامعية وغيرها لتعرف بأنها أفكار وآراء استشراقية، ولكن معرفة أن الاستشراق ليس مشروعاً فردياً وإنما هو مؤسسة متضامنة متعاونة على اختلاف البلدان التي ينتسب إليها المستشرقون، وعلى اختلاف اللغات التي ينطقها المستشرقون، على اختلاف سياسات الدول التي ينتمون إليها تبقى المؤسسة من وراء ذلك تتسم بصفات ثابتة في التعامل مع التراث الإسلامي.

منذ مئة وخمسين سنة وحتى الوقت الحاضر يصدر في أوروبا بلغاتها المختلفة كتاب كل يوم عن الإسلام، هذه الإحصائية التي ننتهي إليها عندما نعرف أن ستين ألف كتاب قد صدرت بين 1800 – 1950 م أي عبر قرن ونصف، وعندما نعرف أن في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها يوجد حوالي خمسين مركزاً مختصاً بالعالم الإسلامي، وأن المستشرقين يصدرون الآن ثلاثمائة مجلة متنوعة بمختلف اللغات كما قرر ذلك بوزورث في (تراث الإسلام)، وأن المستشرقين عقدوا مؤتمرات دورية خلال قرن واحد – هو المئة سنة الأخيرة – ثلاثين مؤتمراً، هذا سوى المؤتمرات الإقليمية، وسوى الندوات، وبعض هذه المؤتمرات مثل مؤتمر أوكسفورد ضم قرابة تسعمائة عالم، فلماذا كل هذا الاهتمام بالإسلام، وبالشرق، وبالعَربِ، وبالقضايا التي تتصل بمنطقة بعيدة عنهم؟

طبعاً هناك بدايات لاستشعار الغرب لقوته العسكرية والسياسية بعد أن استقرت فيه معالم نهضته الفكرية والحضارية عبر القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر، ثم بدأ في اكتساح العالم خلال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وكان هذا يقتضي أمرين:

أن يُهيأ الرأي العام الغربي لمثل هذا العمل، لأن الاقتحام العسكري، والاختراق الثقافي والسياسي والاقتصادي سيكلف الغرب الكثير، وينبغي أن يضحي من أجل ذلك بقوى عسكرية، وبإمكانات اقتصادية، وبتسخير قدرة الأجهزة العلمية – إلى حين – لهذه المشكلة المثارة، فالمستشرقون هم الذين صوروا الشرق أمام الغرب، هم الذين قالوا: من هم المسلمون؟ ما هي خصائصهم العقلية، ما هي ثقافتهم، ما هي أعرافهم

وتقاليدهم، إلى أي شيء يدفعهم الإسلام، وكم يؤثر فيهم، في الوقت الذي توضع فيه الخطط العسكرية والاقتصادية.

هذا الأمر – تصوير الشرقيين أمام الغربيين – كان هدفاً من الأهداف الكبيرة لحركة الاستشراق، إذ كان المطلوب إعطاء صورة معينة تمكن من الغزو العسكري، والاقتصادي، والثقافي، وهكذا بدأت الدراسات التي اتسمت بطابع عرقي في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي، والتي أدت أولاً إلى تقسيم البشر إلى ساميين وآريين وحاميين، وأن هؤلاء البشر يتمايزون تمايزاً عرقياً، وأن خصائصهم العقلية والجنسية تتباين، فالساميون لا يمتلكون القدرة على التفكير البعيد في المستقبل، وهم أيضاً لا يمتلكون القدرة الكافية على التنظير العقلي والربط بين الجزئيات، وهذا ما سماه المستشرق جب Gib – وهو يعتبر معاصراً لأنه إلى سنة 1965 م كان يدير مركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة هارفارد – عقلية ذرية، تتسم بتجزئة الأشياء، وعدم القدرة على تجميعها وتركيبها والنظر إليها بصورة شاملة.

إن الدراسات ذات الطابع العرقي قام بها أولاً أرنست رينان، حيث كتب عدة مؤلفات عن أصول الساميين، وعن فقه اللغات السامية، وفقه اللغات كان يتجه نحو تكريس الفرق بين الساميين والآريين، أو بين الشرق والغرب.

ويعتبر العرب والمسلمون هم المركز الذي تدور حوله دراسات الاستشراق أكثر من بقية الأمم والشعوب، والدراسات التي تناولت الإسلام والمسلمين تختلف عن تلك الدراسات لبقية أرجاء الشرق، ولعل هذا لافت للنظر، لماذا تتسم الدراسات المتعلقة بالإسلام والمسلمين بالتحيز والتعصب والغضب؟ ولماذا لا تتسم بذلك الدراسات عن البوذية مثلاً، أو الهندوسية، أو الثقافات الأخرى أو الحضارات الأخرى كالصين مثلاً؟ ولماذا عندما تختص القضية بجانب إسلامي، أو بجانب يتصل بمجتمعات إسلامية عندئذ تظهر جذور الانفعالات المختلفة، والعصبيات المتنوعة والغيظ؟ هذه إحدى الملاحظات التي سجلها إدوارد سعيد، وهي في الحقيقة تستحق الانتباه إليها خاصة إذا راجعنا الاستشراق في بدايات نشاطه، لأن بداياته الأولى ترجع إلى فترات مبكرة أكثر، وترتبط بقصة الصراع بين المسلمين والغرب من خلال فتح الأندلس، ومن خلال الحروب الصليبية، ومن خلال الصراع في صقلية وجنوب أوربا، وهذا

الأمر كان يجعل الإسلام يحتك بصورة مباشرة بالنصرانية التي كانت مؤسساتها الكنسية تسود العالم الغربي، وكانت هي التي تتوج الأباطرة والملوك، وتتمتع بملكية أرض واسعة مما جعلها القوة الرئيسية في الغرب، وهذا كله كان يجعل الإسلام في مواجهة مع الكنيسة النصرانية، ومن ثم اندفعت أعداد من القسس لدراسة الإسلام، فهذه البدايات الدينية كانت تتسم بالتشنج والعاطفية، والدراسات فيها اتهامات ممجوجة، وهي من السخف بحيث أن ذكرها في مثل هذا العصر ليس له من أثر، وإنما يدل على طبيعة العلاقات المنفعلة والمتسمة بالطوابع الذاتية في تلك الدراسات الاستشراقية الأولى.

والبعض يرى أن أوربا كانت تخشى من غزو إسلامي فكري في تلك الفترة، لأن المسلمين نقلوا الفكر اليوناني إلى أوروبا – أقصد عن طريق حفظ الكتب اليونانية التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية عن العربية –، هذا الجانب لا يهمنا بوصفنا الإسلامي، ولكنه حدث وحدث معه أن ذهب أوروبيون ربما لطلب مثل هذه العلوم ابتداءً، ولكنهم احتكّوا ببيئة إسلامية في الأندلس، وكان البابوات يرصدون هذه الحركة، ويرون أنها خطرة على أوربا، وأنها تمثل غزواً حضارياً فكرياً إسلامياً، ومن هنا أنشئت مراكز الدراسات الاستشراقية المختلفة في أوربا بإذن من البابوات، وبتنسيق المجالس الكنسية، ووضعت في كمبردج وأوكسفورد وفي مراكز أخرى مثل ألمانيا.

كانت هناك قضية الصراع الفكري الديني، واستمر هذا التيار إلى أن ظهرت المرحلة الجديدة المقترنة بالتوسع الاستعماري، عندئذ صار من مهام الحكومات أن تسخر عدداً كبيراً من الباحثين ليكتبوا عن الإسلام والمسلمين باللغات الأوروبية، إذن الخطاب لم يكن موجهاً ابتداءً لناطقي العربية، أو اللغات الشرقية، وإلا لكانت الكتابة باللغة العربية، بل كان موجهاً لأوروبا، أن هذه هي صورة الإسلام فلا تتحولوا إليه، وإذا كانت هذه هي صورة المسلمين فلا تلومونا إذا اقتحمنا ديارهم، ولا تلومونا إذا استنزفنا خيراتهم، ولا تلومونا إذا تعصبنا ضدهم، لأن هؤلاء القوم يتسمون بخصائص عقلية وجنسية وثقافية لا تمكنهم من النهوض بأنفسهم، وهم بحاجة إلى عوننا، والدور الذي سنقوم به والذي سنحدثه إنما هو لصالح الحضارة الإنسانية،

ويستمر هذا الخطاب عبر قرن من الزمان وهو القرن التاسع عشر، وهو القرن الذي اشتد فيه الاستشراق، واشتدت فيه مؤسساته، وأوزرت من قبل الحكومات المختلفة الأوروبية.

ومنذ مطلع القرن العشرين وإلى الوقت الحاضر نعلم كيف برزت منطقة الشرق الأوسط، وأهمية هذه المنطقة استراتيجياً واقتصادياً، وبالتالي فإن الدراسات الاستشراقية استمرت واتصلت، كما أن مؤتمرات المستشرقين واصلت طريقها بدعم من الحكومات، ومن المؤسسات، ومن الأغنياء (الأفراد) من الأمريكيين والأوروبيين، ونجد أن الاستشراق الروسي يبرز بشكل أقوى منذ الثورة البلشفية سنة 1917 م، إذ لا بد من دراسة القوم الذين يراد لهم أن يُستعمروا، ولا بد أن يعتقد الغربي أن العمل إنساني وحضاري، وكيف مُثِّل الإسلام أمام الغرب؟

أولاً: لا وجود حقيقي للإسلام في الغرب لعدم وجود المؤسسات القوية القادرة على تمثيله، وهذا ولَّد فراغاً، ومكَّن المؤسسات الاستشراقية ومن ورائها عدد كبير من الدارسين الغربيين الذين لا يعرفون العربية ولكنهم يتلقون الصورة من خلال المؤلفات الاستشراقية.

لقد ظهرت دراسات تحليلية كثيرة في القرن العشرين عن الإسلام والمسلمين، وعن القرآن الكريم، وعن السنة النبوية، وعن السيرة النبوية، وعن الثقافة الإسلامية، وعن الشريعة الإسلامية، وهذه المؤلفات قامت بعقد دراسات مقارنة، والمقارنات منذ القديم تستهدف شيئاً أساسياً وهو تصوير الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنه مصلح اجتماعي عكس ضرورات البيئة العربية في مكة، ويقول جب Gib: " إنه نجح لكونه أحد المكيين " بمعنى أنه عبَّر عن الحاجيات المحلية، ومهما اختلفت العبارات ما بين قسوة كاملة تتسم بسوء الأدب عند ذكر الرسول، – عليه الصلاة والسلام – وهذا ما يقوله المستشرقون المتأخرون عن المتقدمين بأنهم أساءوا جداً –، وبين دراسات أكثر موضوعية وحياداً، ومهما اختلفت الصورة تبقى هناك قضية أساسية وهي أن جميع المستشرقين – متسامحهم ومتعصبهم – يتأثرون بوسطهم الثقافي المعادي للإسلام إلا من أسلم منهم، وهم قلة كما تعلمون مثل " أتين دينيه "، صاحب " محمد رسول الله " و " أشعة من نور الإسلام " وهو فرنسي، ومثل " موريس بوكاي " الذي

قارن بين القرآن والانجيل والتوراة، ولما تبين له أن الكتب السماوية المحرفة تتناقض مع العلم، وأن القرآن لا يتناقض مع أية حقيقة علمية ثابتة عندئذ أعلن تشهده وإيمانه بنبوة محمد – صلى الله عليه وسلم –، وبأن القرآن كلام الله، وهو من كبار العلماء الفرنسيين في الطبيعيات، وهؤلاء قلة أمام الكثرة الكاثرة التي استمرت تصور الرسالة الإسلامية على أنها هرطقة (الهرطقة: اصطلاح يطلق على المنشقين عن الكنيسة النصرانية) فهم يرون أن الإسلام هرطقة، وحركة خارجة عن النصرانية، وأن الرسول – عليه الصلاة والسلام – لم يكن نبياً موحى إليه وإنما كان على حد أحسن تعبيراتهم وهو ما يقوله مونتغمري وات أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة لندن، وهو من أحدث الذين كتبوا في السيرة النبوية من المستشرقين في كتابيه: " محمد في مكة، محمد في المدينة " وهو يقول: " إن محمداً صادق، لأنه يخيل إليه أنه بعث نبياً، وأنه يحمل رسالة، وأنه يوحى إليه ".

هذا المستشرق لأنه يعيش في هذا القرن الذي تبلورت فيه علوم جديدة لم تكن موجودة عند المستشرقين في القرن التاسع عشر أو القرن الثامن عشر أو القرن السابع عشر أو مع البدايات الاستشراقية مثل: علم النفس التحليلي، علم الاجتماع، والعلوم الاقتصادية والاجتماعية الحديثة، لذلك نجد أن تقنية البحث عند مونتغمري وات تختلف عن التقنية القديمة من حيث أنه يمزج دراسته بهذه الألوان الجديدة من العلم، وهذا قد يولد قناعة عند بعض القارئين ممن لا يعرفون السيرة النبوية معرفة دقيقة، أو ممن لا يعرفون الإسلام بصورة تفصيلية، فهو يزعم أن عملية الوحي إنما هي استشعار داخلي ولكن بصدق، فهو لا يشكك بصدق شعور النبي – صلى الله عليه وسلم – بالنبوة، ولكنه يظن أن هذا إنما هو استشعار داخلي، وقناعة ذاتية، دون أن يكون هناك شيء خارجي اسمه الوحي.

وعندما يأتي إلى قضية الاختلاف بين أسلوب الرسول – صلى الله عليه وسلم – في أحاديثه وبين أسلوب القرآن المتميز هنا يلجأ إلى علم النفس التحليلي، فيقول: إن النبي عندما يقرأ القرآن على الناس يكون في حال يضعف فيها الوعي الخارجي، ويعمل وينشط اللاشعور أو العقل الباطن، فعندئذ يكون الأسلوب مغايراً لأسلوبه عندما يكون في يقظته العقلية الكاملة، أو وعيه الظاهر الكامل، ومن هنا يأتي

أسلوب الحديث مغايراً لأسلوب القرآن، نحن نعلم أن مغايرة أسلوب القرآن لأسلوب الحديث هو أحد الوسائل التي بنيت عليها موضوعات الإعجاز القرآني، باعتبار أن أسلوب القرآن أسلوب فريد متميز عن الأساليب البشرية، وأن الإسلام تحدى العرب – وهم أساطين البلاغة – بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، وأن عدم استجابتهم للتحدي مع رغبتهم في ذلك يدل على أن الأمر كان عندهم ظاهراً، بحيث تميزت أمامهم الحقيقة وهي أن هذا أسلوب مغاير لأساليب البشر، ومن هنا تبرز أهمية هذه " الفذلكة " التي يقدمها مونتغمري وات لأنها تستهدف نقض قضية الإعجاز باعتبار أن هناك أساليب متغايرة تنجم إحداها عن الوعي الظاهر والثانية عن اللاشعور، بالطبع مثل هذا إذا قُيِل ينبغي أن يطبق على سائر الأساليب لسائر الكتاب والشعراء والمفكرين في أرجاء الدنيا، وإلا لماذا يختص محمد – صلى الله عليه وسلم – وحده بالأسلوبين؟ ونحن نعلم أن الدراسات المقارنة والدراسات الأدبية النقدية كلها مبنية على وحدة الأسلوب بحيث يقال: إن هذا الكلام ليس من كلام فلان لأنه مغاير لأسلوبه.

إن محاولات إلقاء الرؤى الثقافية المعاصرة على الإسلام منهج خطير، ومن الناحية العلمية لا يمكن قبوله لأنه مجرد إسقاط تاريخي لرؤية ثقافية حديثة، فقبل مونتغمري وات كان المستشرقون يحتارون في تفسير ظاهرة الوحي قبل أن تبرز فكرة التحليل النفسي التي جاء بها فرويد الطبيب المشهور في مطلع هذا القرن، والتي أخذت مجالها في الدراسات النفسية والاجتماعية، وفي عالم الرواية الأدبية.

كانت مشكلة الوحي تواجه المستشرقين ولا يتمكنون من إعطاء تفسير لها إلا باللجوء إلى الاتهامات التي سبق أن ذكرت على لسان الجاهلين في مكة عند نزول الإسلام، وللأسف في دراساتنا الجامعية وربما المرحلة الثانوية كانت تطالعنا أسماء لدارسين يسمون دارسين غربيين، وهذه الأسماء أصبح يطلق عليها فيما بعد اسم الاستشراق أو المستشرقون، وكانت انطباعاتنا عن البعض أنه معتدل، فكان يقال لنا مثلاً: إن دانتي له تأثير كبير على نشوء الثورة الفرنسية، والتمهيد لها، ومعاداة الآراء الكنسية الباطلة والمخالفة للعلم، ودانتي الذي أُبرز والذي يعرفه ربما الكثير من العرب والمسلمين لأنه يأتي في المناهج الثانوية في كثير من الدول الإسلامية، ودانتي الذي

ظهر لنا بمظهر الشاعر النابه، صاحب الكوميديا الإلهية التي ربطت عن طريق الدراسات المقارنة بقصة الإسراء والمعراج، وربطت أحياناً في الدراسات الأدبية برسالة المعري " رسالة الغفران "، ودانتي قيل لنا إنه شاعر نابه، وإن له تأثيراً في مجرى التاريخ الإنساني، وإنه أحد الممهدين للثورة الفرنسية – في رأيهم – مصدر الحرية والمساواة والتحرر الإنساني الذي يظنون أنه شمل أهل الأرض خلال القرون الأخيرة على إثر ظهور تلك الثورة.

موقف دانتي من الرسول – صلى الله عليه وسلم –:

دانتي يضع النبي – عليه الصلاة والسلام – في طبقة متأخرة من طبقات الجحيم، هذا الوجه الآخر من العملة لم يقولوه لنا، وإنما فقط قالوا لنا إن له أثراً إيجابياً، وعندما يقتنع الإنسان وهو صغير بأن هؤلاء هم نماذج الأبطال في التاريخ الإنساني، وإنهم هم رجال الفكر ورجال التحرر، ثم يأتي بعد ذلك – بعد أن يشب – ويقرأ مثل هذا الكلام لدانتي لن يغضب كثيراً، لأن ما عرفه عن دانتي يخفف من هذا العمل، ولأنه لم يعرف شيئاً عن محمد – صلى الله عليه وسلم –، فلماذا يغضب؟ ولكن يبقى أن أشير إلى ما ذكرته في البداية من كون خطاب دانتي بالفرنسية العالمية المستوى ليس موجهاً للعرب ولا للمسلمين، إنما هو في الأصل موجه لقراء الفرنسية، وأن المراد تشويه صورة محمد – صلى الله عليه وسلم – بغية الخلاص مما كانت تظنه الكنيسة ويظنه مفكرو الغرب حتى أعداء الكنيسة غزواً فكرياً إسلامياً.

نَسْبُ حسنات الإسلام إلى اليهودية والنصرانية:

إنَّ تلمس كل حسنات الإسلام ومحاوله نسبتها إلى أصول يهودية أو نصرانية هذا المنهج كان منذ البدء معمولاً به، ولا يزال حتى الوقت الحاضر يظهر في عبارات المستشرقين المعاصرين، فالقضايا التي تتصل بتوحيد الإله، وبطرح العقيدة الدينية يشار فيها إلى أثر بحيرا الراهب، وأثر ورقة بن نوفل، فكتب الحداد الذي لا نعرف اسمه – لأنه لم يصرح به – سواء في كتابه عن " المسيح والقرآن " أو " محمد والقرآن " أو كتبه الأخرى التي ظهرت حديثاً، وهذه الدراسات التي قيل إنها للأستاذ الحداد ركزت كثيراً على هذا الجانب وهو أن محمداً – صلى الله عليه وسلم – كان على صلة بورقة بن نوفل خلال خمسة عشر عاماً، وكان هذا الوقت منذ زواجه

بخديجة الذي يزعم الكاتب أن ورقة زوجه بها، وهو أمر طبعاً منقوض تاريخياً لأنه معروف أن الذي زوجها هو عمها عمرو بن أسد، ولكن المهم إيجاد الصلة بورقة الذي يقول إنه كان نصرانياً، وكان على ثقافة كتابية، وأن محمداً – صلى الله عليه وسلم – تلقى عنه الوحي الأول، ثم جاء الوحي الثاني في الغار.

هذه الكتابات الحديثة وهذه الرؤى ليست جديدة، وإنما منذ البداية كان المنهج يركز على أن حسنات الإسلام مقتبسة من سواه، لعدم إمكان إنكارها، لأن القرآن جاء بها، ولأن السنة أثبتتها، إذاً لا يوجد إلا طريق واحد وهو أن يقال: نعم إن الإسلام فيه هذا الجانب ولكنه مأخوذ عن النصرانية بواسطة ورقة بن نوفل، والإسلام فيه هذه الحسنة ولكن الذي أوحى بها إنما هو بحيرا الراهب، وبعضهم يريد أن ينسب الأمر إلى بعض اليهود الذين كانوا في شبه الجزيرة العربية، ونحن نعرف تماماً أن مكة لم يكن فيها يهود.

القصص الديني:

نعم هناك أوجه تشابه في القصص الديني بين ما ورد في التوراة وشرحه التلمود والإنجيل؛ وبين ما ورد في القرآن الكريم، ولكن هذا التشابه لا يعود إلى كون القرآن اقتبس تلك الصور عن التوراة والإنجيل، وإنما لكون الأصل واحد، نحن لا ننكر أن الإنجيل وأن التوراة من عند الله، ولكننا نقول ما أثبته القرآن من كون الإنجيل والتوراة لم يعودا كلمة الله – تعالى – بسبب التحريف الذي وقع، والذي لا يمكن تمييزه وتحديده وتخليصه بدقة من الحق، فكون الوحي الإلهي واحداً، وكون العقائد الدينية واحدة، والشرائع هي التي تختلف؛ هذا الأمر يؤدي بالطبع إلى أن يلتقي الوحي الإلهي للأنبياء جميعاً في بعض الجوانب.

ترجمات معاني القرآن:

هناك ترجمات كثيرة لمعاني القرآن الكريم قام بها المستشرقون وهي تزيد على خمس وسبعين ترجمة، ونحن لا نعرف هذه التراجم، بل لا تكاد تجتمع في مكتبة من مكتبات العالم الإسلامي – وهذا بلا شك تقصير كبير –، إننا لا نعرف ماذا يكتب عنا، وكيف يترجم كتاب الله – تعالى –، وماذا يقال في تصديره للعالم الغربي، لابد أن نمثل أنفسنا وخاصة بعد أن أصبح عندنا العديد من المثقفين والكتاب ممن

يعرفون اللغات الأجنبية، يجب أن نتكلم عن أنفسنا، ولا ندع المستشرقين يتكلمون عنا ويمثلوننا.

يقول جورج سيل في مقدمة الترجمة الإنكليزية لمعاني القرآن الكريم سنة 1736 م: " أما أن محمداً كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل، وإن كان من المرجح مع ذلك أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة، وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك، يشير إلى آيات القرآن (إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون)، وقول الحق – تعالى –: (إنما يعلمه بشر)، المقصود أن هذه مقدمة لترجمة لمعاني القرآن إلى الإنكليزية، وهي من أقدم الترجمات!!.

هناك دراسة لمالك بن نبي وهي " الظاهرة القرآنية "، وفيها مناقشة دقيقة ومنطقية لما قيل من تشابه بين القصص الديني القرآني والقصص الديني التوراتي.

وينبغي أيضاً أن نلاحظ أن تمثيل الاستشراق للإسلام وللمسلمين بالنسبة للغرب ينعكس على قضايانا السياسية، وعلى علاقاتنا مع الغرب، حيث يتصور الرأي العام الغربي أننا أمة همجية، وأننا برابرة كما تزعم كثير من الدراسات، وأننا لا نمتلك مقومات حضارية، ولا نمتلك عقلية منطقية، ولا نفكر في المستقبل، هذا كله يمكن أن يؤدي إلى مشكلة في نطاق العلاقات السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والصراع بين الشرق والغرب، لذلك فإن قيامنا بتمثيل أنفسنا هو الحل الأمثل، نحن الذين نطرح فكرنا وديننا وعاداتنا لكنه ينبغي أن نعترف أننا حتى الآن لم نمثل أنفسنا أمام أنفسنا، أقصد لازلنا ندرس الإسلام، ولازلنا ندرس أوضاع المسلمين، وندرس شرائح كثيرة تاريخية، وجغرافية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية؛ من خلال الدراسات الغربية والاستشراقية، وأن مناهج جامعاتنا في أرجاء العالم الإسلامي مليئة بمثل هذه الكتب، وحتى تلك الكتب التي ألفها عرب لو قارناها بدقة فإننا سنجد أن كثيراً من الأفكار مترجمة دون عزو عن الاستشراق.

فلابد إذاً من أن نبني صرحنا الثقافي الفكري الديني بأنفسنا، وأن تكون دراستنا مستقلة ذات مناهج مستقلة، ورؤى مستقلة، وأن هذا الذي يطرح لا يكون متأثراً وغارقاً في بؤرة الاستشراق، أن نمثل أنفسنا أولاً عن طريق بناء الصرح العلمي

والرؤى الإسلامية الخالصة المنبثقة عن كتاب الله – تعالى – وسنة محمد – صلى الله عليه وسلم –، ثم أن نعكس هذا على الغرب بترجمات إلى اللغات العالمية المختلفة، لكن الذي حدث أن المستشرقين مثلونا أمام الغرب، وبعد أن شوهوا الصورة تماماً خلال قرنين من الزمان وعادوا إلى عكس الصورة، فبدل أن يكون الإنشاء يخاطب به الغربي باللغة الألمانية أو الفرنسية أو الإنكليزية صار الخطاب – بعد الترجمة للعربي وللمسلم الذي يقرأ العربية أو بعض اللغات الإسلامية الأخرى، إذن عكس الخطاب الذي شوّه الصورة أمام الغربي، بحيث قبل أن نُستعمر " لأننا بحاجة إلى الاستعمار، قبِل أن نُخترق لأننا لا نستطيع النهوض بأنفسنا، ولئلا نبقى بعيدين عن الحياة الطيبة التي لا بد أن تكون ثمرة من ثمرات الاستعمار وخيراته علينا!! ".

وتعكس الصور منذ مطلع القرن العشرين إلى الآن بشكل ترجمة إلى لغاتنا، فتحول الخطاب القديم إلى الأوربي إلى خطاب جديد للمسلم، وبنفس الأفكار والتوجيهات التي تولِّد الشك في نفس المسلم.

أولاً: لأن التربة صالحة لبذر أية فكرة، فلا توجد تربية إسلامية موجهة لكل أبناء العالم الإسلامي ولأجياله الصاعدة، ولا يوجد تغذية بالقرآن والسنة ومفاهيم الإسلام بشكل يحصن الشاب المسلم عن تقبل مثل هذه الأفكار.

ثانياً: هذا الخطاب يحطم الأمة لأن المعنوية التي تأتيها من صلتها بالقرآن، بالوحي الإلهى كتاباً وسنة، واستشعارها بأنها الأمة الوحيدة التي تحمل وحياً إلهياً خالصاً من التحريف، هذا الاستشعار يمكن أن يعيدها إلى مجد حضاري جديد، والمجد الحضاري الجديد معناه وقف المصالح للعالم الغربي، معناه توجه المنطقة توجهاً مستقلاً يحفظ كرامتها وشخصيتها وهويتها الإسلامية وثقافتها التاريخية وتطلعاتها نحو مستقبل أفضل.

قبل ثلاثة عقود في المرحلة الجامعية كان الأستاذ يتكلم بلسان الآخرين، وطبعاً هناك أناس متدينون في القاعة، ولازالت الطينة بصورة عامة فيها بقايا خير كثير، ولازالت لم تتسخ كثيراً، من الصعب أن يقول الإنسان ائتمر أبوبكر وعمر وأبو عبيدة على انتزاع الخلافة، ولكن يستطيع أن يقول ذلك على لسان الأب " لا مانس "، ويسوق هذا الكلام ثم يسكت، والمهم أن الصورة التي تكونت في أذهان الطلبة الجامعيين أن

هؤلاء الصحابة أناس يأتمرون بينهم على انتزاع سلطة وخلافة دنيوية، وأنهم ليس كما يقول المسلمون عنهم من كونهم ربوا على عين النبوة، ونشأوا مع آيات الوحي، وتمثلوها قولاً وعملاً، وبما أنهم نماذج الإسلام الأولى فلا يعقل أن آخرين سيأتون بعدهم يصبحون نماذج أفضل، وهكذا فإن الإسلام ليس ديناً واقعياً يربى رجالاً نظيفين وأقوياء وإنما مجرد خيال ومثاليات.

كم أُثني على " توماس كارليل صاحب الأبطال الذي ترجم إلى العربية، إنه جعل النبي بطلاً تاريخياً، وأنه مستشرق منصف، والآن اقرأوا فقرة من كلام كارليل عن القرآن، يقول: " هو خليط مهلهل مشوش، محل خام، مستغلق، تكرار لا نهاية له، وإسهاب وإطناب ومعاضلة، خام إلى أقصى الدرجات، ومستغلق وبإيجاز غباء فارغ لا يطاق ". هذا الكلام نقله إدوارد سعيد – وهو أستاذ جامعي أمريكي نصراني من أصل عربي – نقله عن كارليل في كتابه " الاستشراق "، وكتاب " الاستشراق " هذا يعد من أقوى ما كتب في فضح المستشرقين، ومناهجهم، وتعريتهم، ووضعهم في الإطار الكلي من قبل رجل ليس مسلماً ليقال إنه يتعصب للإسلام وللمسلمين، وإنما هو رجل نصرانى، ومنذ أن كُتب هذا الكتاب وصُدِّر إلى أسواقنا بالعربية سنة 1981 م تتالت كتابات مسلمين أستثيروا، فظهرت عدة دراسات أثارت نفس القضايا الكبرى سواءً ما تعرض له إدوارد سعيد، أو أخذت نماذج من الاستشراق كالهولندي، كما فعل الدكتور قاسم السامرائي في " الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية "، وكما فعل الدكتور زقزوق في محاضرته التي نشرت في سلسلة كتب مجلة " الأمة " عن الاستشراق، وثمة كتاب يستحق أن يشار إليه وهو " مناهج المستشرقين " الذي طبعه مكتب التربية لدول الخليج العربي والذي يقع في مجلدين تحت عنوان " مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية " فلا شك أن هذا الكتاب يعد عملاً نقدياً رائعاً في مجاله، ولكن الكُتَّاب لم يتمكنوا أن يقولوا كل ما يريدون لأنهم كتبوا بحوثاً ومقالات اجتمعت في المجلدين، والأمر يحتاج إلى جهد أكبر ليُفحص كلام الاستشراق، وكيف طُرح على الغرب، وكيف تكونت صورة العربي والمسلم في ذهن الغربي المعاصر، ثم إذا ما عُدِّل المخاطب أو المراد بالخطاب إلى الشرقي المسلم

العربي ما الذي سينتج بعد ربع قرن إذا ترجم ستون ألف كتاب أو عشرون ألف منها إلى لغات العرب والمسلمين.

لا ينظر إلى الأمر من زوايانا ونحن ندرس في كلية قرآن، وكلية حديث، وكلية شريعة، وكلية لغة عربية، لا ينظر الأمر من هذه الزاوية، وإنما ينبغي أن ننظر برؤية واسعة إلى العالم الإسلامي، إلى تلك الأجيال التي تعد بالملايين والتي لا تعرف عن الإسلام إلا الشهادة وإلا بعض المظاهر العامة، ماذا لو نوقشت قضية الوحي الإلهي، وتطبيقات علم النفس التحليلي عليه؟ ألا يتسرب الشك إلى عقل خال وليس عنده من تصور لقضية الوحي الإلهي؟ بالطبع ليس معنى ذلك أن هذه القضية هي من بنات أفكار هذا القرن، نعم إن استخدام التحليل النفسي هو من أفكار القرن لارتباطه بعلم معين، أو فرع معين من فروع علم النفس، ولكن قبل ذلك ماذا قيل؟ قيل إن النبي – عليه الصلاة والسلام – يُصْرَع، ولكن المستشرقين الذين تأخروا لما درسوا ظاهرة الصَّرَع من الناحية الطبية وجدوا أن الدعوى لا يمكن أن تقبل لأن المصروع يفقد عقله، أما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فكان على أتم اليقظة والوعي واستحضار العقل بل شدة التركيز، بحيث قال له الله – تعالى – ألا يفعل ذلك إشفاقاً عليه (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتَّبِع قرآنه ثم إن علينا بيانه)، وعده الله – تعالى – بأن يجمع ذلك له، بأن يُحفظهُ إياه دون هذا التركيز العقلي المشدود، فأين هذا من حال المصروع؟ فالمصروع كما نعلم يهذي لكنه لا يأتي بقرآن مبين، لا يتناقض إطلاقاً، وعدم التناقض إطلاقاً ليس إلا من صفات الله – سبحانه وتعالى–، ولذلك قال الحق: (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً).

أيضاً قالوا لنا بأن " جوستاف لوبون " الفرنسي الذي كتب " حضارة العرب " رجل حصيف، ورجل عادل، وهو يثني على العرب وحضارتهم، وكتابه هذا اعترف بمكاننا، ولكنهم لم يقولوا لنا ماذا يقول جوستاف لوبون عن القرآن، يقول: " ليس في عامية القرآن ولا صوتيته أو هويته الصبيانية التي هي من صفات الأديان السماوية ما يقاس بنظريات الهندوس "، يعني لوبون يرى أن القرآن الكريم في لغته، وفي

أفكاره؛ لا يرقي إلى الهندوسية، ثم ينكر شمولية القرآن، ويرى أنه مؤقت لعصره، وأنه لا يحقق حاجات الفرد في عصور لاحقة بل يجعله سبب تخلف المسلمين.

إن خلط السم بالدسم بالثناء على الحضارة العربية وأنها تستحق الإشادة بها، ومن ناحية ثانية الطعون في القرآن والرسول – صلى الله عليه وسلم –، وفي ظاهرة الوحي يعنى أن المقصود هو الطعن، وأما الإطار بالثناء على حضارة العرب فهو للتخدير، لأنه في حالة الوعي الكامل سيرفض القارىء الشتم، ولكن إذا قيل له إنك إنسان نبيل ونابغة ومهذب ولا ينقصك إلا كذا – وهذا " الكذا " يفقد الإنسان قيمته – هذا هو الأسلوب والمنهج المتبع في معظم الدراسات الاستشراقية في القرن العشرين، فهي لا تتجه إلى الأساليب المباشرة، وإنما تتجه إلى تغليف الكلام.

وقد كتب جولد زيهر مئات البحوث عن الإسلام والمسلمين، وعشرات الكتب الكبيرة، وأشهر كتبه " مذاهب التفسير الإسلامي " الذي يمثل نضجه الثقافي حيث كتب قبل ذلك " دراسات إسلامية " و " العقيدة والشريعة "، وهذا المؤلف المجري اليهودى أثر على كثير من أساتذتنا الذين تكلموا عن تاريخ الحديث النبوي في مطلع القرن، واستمرت آراؤه تحظى باحترام العديد من الدارسين في الغرب هو و" شاخت " صاحب كتاب " أصول الفقه الإسلامي "، ولا يمكن في هذا البحث الوجيز استعراض كل ما قيل في هذا المجال وإنما المراد هو إيضاح أن الاستشراق وإن كان قد بدأ حركة دينية ثم تحول إلى حركة مقترنة بالسياسية بحيث اشتغل معظم المستشرقين بل كلهم إلا اليسير في دوائر المخابرات الأجنبية، وخدموا وزارات الخارجية، وهذا معروف عن أساطينهم مما لا يولد الشك في اقترانهم بالسياسة، وأن ما يكتبونه يراد منه خدمة واقع سياسي، وأنه حتى بعد التطور الحديث من مطلع القرن العشرين وحتى الآن لازال يواصل خطاه، وأن ما يبدو عليه من تعميق لبحوثه بالإفادة والاستثمار للعلوم الحديثة لن يخلصه من الإطار القديم المرسوم له، فأهداف طرح الشرق أمام الغرب بصورة مشوهة ثم عكس القضية لإضعاف ثقة المسلمين بأنفسهم، بدينهم، بماضيهم، هذا كله إضافة إلى زرع بذور العنصرية والتفرقة بين الأمة الإسلامية بشتى الطرق.

وفيما يلي عرض لجملة من آراء المستشرقين في السنة النبوية:

المستشرقون والسنة:

لم يفرد المستشرقون القدامى السنة بدراسات مستقلة، بل ركزوا على العقيدة والقرآن والسيرة والتاريخ.

في نهاية القرن السابع عشر كتب هربلو وهو فرنسي (1635 – 1695 م) صاحب المكتبة الشرقية وهي دائرة معارف عن الشرق نُشرت 1738 م – بحثاً في (حديث، قصة، خبر مسموع مقول، أحاديث الرسول، حديث عن أشياء قالها الرسول الزائف، وقد نقل من فم إلى فم، ومن شخص إلى آخر)، وخلاصة رأيه أن جملة الأحاديث التي في الكتب الستة والموطأ والدارمي والدار قطني والبيهقي والسيوطى مأخوذة إلى حد كبير من التلمود، ويلاحظ أنه يفرق بين السنة التي التزم المسلمون بتطبيق أحكامها وبين الحديث الذي هو مجرد خبر تاريخي غير موثوق!!.

كذلك يلاحظ في دراسة هربلو التكذيب للرسول – صلى الله عليه وسلم –، واتهامه بالزيف والألقاب الأخرى الشائنة، والزعم بأن المحمدية مستقاة من التلمود، واليهود الذين دخلوا في الإسلام، مما سيتطور فيما بعد إلى الاستقاء من عدة ديانات وحضارات كانت على صلة بجزيرة العرب، وكذلك اتهام المسلمين بعدم التمييز في دراسة أصول شريعتهم، مما تبناه " جولد تسيهر " و" شاخت " وهما أبرز من تناول موضوع السنة من المستشرقين، وقد جعل الزهري أول من جمع الحديث، مما يولد فجوة تاريخية بين مرحلة النطق بالأحاديث وتدوينها مما يشكك في إمكانية الثقة بها.

وفي القرن الثامن عشر قسم المستشرقون حقول الدراسات الشرقية بصورة موضوعية، وفي نهاية القرن برز الأمير كايتاني (1869 – 1926 م)، وميور (ت 1905 م)، وشبرنجر Sprenger(ت 1893 م) وكانوا مهتمين بتاريخ السنة، واعتقدوا الشك في صحة الأحاديث، وسعوا للكشف عما أسموه " المادة الأصلية للحديث "، أفاد من الثلاثة أحد المتضلعين بأصول اللغات السامية والتاريخ الإسلامي هو إجناس جولد تسيهر (1850 – 1921 م) الذي درس بالأزهر، وهو مجري الجنسية، يهودي الديانة، وقد اعتبره المستشرقون – ومن تأثر بهم – الرائد الأول في دراسة الحديث ونقده بالاستعانة بمنهج النقد التاريخي، حيث توصل إلى فكرة تطور الأسانيد والمتون في الفكر الإسلامي، ولا شك في أهمية تأثيره على سير الدراسات الاستشراقية في

حقل السنة، ويرى أن وضع الحديث بدأ في جيل الصحابه المبكر، وإن كان يثبت وجود مادة أصلية، فهو يعترف بوجود أحاديث مكتوبة في الصحف في أيدي الصحابة، لكنه رغم ذلك يرى أن التدوين للسنة لم يبدأ إلا في القرن الثاني، وأن معظم الأحاديث – في رأي جولد تسيهر – وضعتها الفرق السياسية الكلامية والمذهبية في القرنين الثاني والثالث، لذلك هي تعكس تطور المسلمين السياسي والفكري خلال القرنين ولا تمت غالباً إلى القرن الأول بصلة، ويركز على الصراع بين الأمويين الذين يصورهم بصورة الطغاة الجهلة وبين العلماء الأتقياء وأنصار أهل البيت، ويتهم الزهري بوضع حديث " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد "، وقد عزا جولد تسيهر أصول الإسلام إلى اليهودية والمسيحية، وأكد على تأثير الهلينية في تطور الإسلام، وتأثير القانون الروماني في نمو التشريع الإسلامي.

لقد صارت دراساته دستوراً للمستشرقين من بعده، وقليل منهم انتقد بعض آرائه أو عدَّل فيها مثل فيوك Fueck (ت 1939 م)، وهوروفتس Horovitz (ت 1931 م)، أما الأكثرية الساحقة فاكتفوا بتعميق آرائه بإضافة براهين جديدة أو تعميمها على حقول جديدة مثل كيوم، ونيكلسون، وهاملتون كب، وواط، وفنسنك (ت 1939 م).

وقد ركز فنسنك على أحاديث العقيدة في كتابه العقيدة الإسلامية، في حين ركز جوزيف شاخت (ولد 1902 م) على أحاديث الأحكام في كتابه أصول الشريعة المحمدية وكتابه الآخر مقدمة في الفقه الإسلامي – وهو يهودي الديانة بريطاني الجنسية –، وقد أكد شاخت على اختلاق الأحاديث، وأثنى كيب وسافوري على كتابه، واعتبره كيب أساساً لكافة الدراسات في الحضارة الإسلامية والتشريع الإسلامي في الغرب – على الأقل –، في حين عده سافوري من أكبر علماء الشريعة الإسلامية في العالم.

وقد درس شاخت في مؤلفه (أصول الشريعة المحمدية) كتابي " الموطأ " لمالك، و" الأم " للشافعي، ثم عمم نتائج دراسته على كتب الحديث والفقه الأخرى، فقال بنظرية " القذف الخلفي " لتفسير تطور الأسانيد، وتتلخص آراؤه في زعمه اختلاق الجزء الأكبر من الأسانيد، واعتقاده أن أقدم الأحاديث لا يرقى إلي ما قبل سنة 150هـ، وأن الأحاديث اختلقها الفقهاء وأصحاب الفرق، وأن الشافعى هو الذي استحدث مبدأ

حجية السنة، وكان العمل قبله على السنة المذهبية، وقد كان أثره كبيراً على جيله من المستشرقين.

لقد طعن شاخت في سند مالك عن نافع عن ابن عمر بأن نافعاً مات ومالك صغير وهذا خطأ، فمالك كان صاحب حلقة في مسجد المدينة في حياة نافع، وقد رد روبسون على شاخت في هذا السند في مقاله " الإسناد في الحديث النبوي "، وفي هذه المقالة عدل عن آرائه التي تابع فيها شاخت عندما نشر بحثه، حيث كان يشك في جملة الأحاديث، ويرى أن ما يمكن عزوه إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو القرآن وحده، والملاحظ أن كيوم وواط وروبسون كلهم من رجال الكنيسة.

وقد ظهر توجه نحو دراسة موارد الحديث، ونقد بعض وثائقه عند روبسون (ولد 1890 م) الأستاذ في مانشستر منذ سنة 1949 م، وقد أثبت أن ثمة مادة أصلية من الأحاديث خلافاً لما ذهب إليه شاخت ومن قبله جولد تسيهر، كما أنه لم يوافق كايتاني وشبرنجر (1813 – 1893 م) في القول بأن أسانيد عروة بن الزبير (ت 93 هـ) مختلقة ألصقها به المصنفون المتأخرون.

لقد أشار شبرنجر (ت 1893 م) إلى تعاسة نظام الإسناد، وأن اعتبار الحديث شيئاً كاملاً سنداً ومتناً قد سبَّب ضرراً كثيراً وفوضى عظيمة، وأن أسانيد عروة مختلقة ألصقها به المصنفون المتأخرون، وكذلك مقاله " أصول تدوين الوثائق عند المسلمين "، ولكنه أثبت تدوين الحديث في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – بالاعتماد على كتاب " تقييد العلم " للخطيب، وهذا ما خالفه فيه جولد تسيهر فيما بعد.

أما ميور معاصر شبرنجر فينتقد طريقة اعتماد الأسانيد في تصحيح الحديث لاحتمال الدس في سلسلة الرواة، ورغم أنه مثل شبرنجر أقر بأن ثمة مادة أصلية في الحديث لكنه اعتبر نصف أحاديث صحيح البخاري ليست أصلية، ولا يوثق بها.

وأما كايتاني (ت 1926 م) فقد ذكر في حولياته أن الأسانيد أضيفت إلى المتون فيما بعد بتأثير خارجي، لأن العرب لا يعرفون الإسناد، وأنها استعملت ما بين عروة وابن اسحق، وأن عروة لم يستعمل الإسناد مطلقاً، وابن إسحق استعملها بصورة ليست كاملة.

وقد أثبت هوروفتس (1874 – 1931 م) معرفة عروة للإسناد، وأن الإسناد دخل في الحديث منذ الثلث الأخير من القرن الأول، وألمح إلى الإسناد الجمعي عند الزهري حيث يفيد وقوفه على عدة أسانيد للمتن الواحد.

ولكن هوروفتس يرى أن العرب أخذوا فكرة الإسناد عن المدارس التلمودية عند اليهود، ويرى – ويوافقه كيوم – تشابه المسلمين واليهود في نسبة شرائعهما إلى نبييهما.

ورد فيوك Fueck(ت 1939 م) على جولد تسيهر فبرأ المحدثين والفقهاء من تهمة وضع الأحاديث، وكشف عن منهج جولد تسيهر في التعامل مع الإسلام، وأنه يستخدم المذهب المادي لنقد التاريخ، ومنهج الشك، فانتهى إلى أن كل أحاديث الأحكام تعتبر زائفة، حتى يثبت العكس.

أما مرجليوث المعاصر لجولد تسيهر (1858 – 1940 م) فقد تابع جولد تسيهر، بل ذهب إلى أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يترك أوامر ولا أحكاماً سوى القرآن!!

ويرى كيوم أنه لا يمكن إثبات صحة نسبة الأحاديث في الكتب الستة إلى الصحابة، ولكن لعل بعضها تسلم نسبته، ويفسر كيوم قول الزهري: " إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث " تفسيراً خاطئاً ليدلل على وضعه للأحاديث، وهو فهم جولد تسيهر من قبله.

ويتشبث نيكلسون بقول أبي عاصم النبيل: " ما رأيت الصالح يكذب في شيء أكثر من الحديث "، فذهب إلى أن شواهده في " دراسات محمدية " لجولد تسيهر، وأن أتقى العلماء كان يستعمل الغش في الحديث لتأييد أغراض سياسية ومذهبية، وقد بين الإمام مسلم أن الكذب يجري على لسانهم ولا يتعمدونه، وقال يحيى بن سعيد القطان: " ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد "، والكذب هنا على لغة أهل الحجاز وهو مطلق الخطأ.

ويرى كولسون وكيوم أن المحدثين يبحثون في الأسانيد شكلياً بدون الاهتمام بنقد المتون.

يقول كولسون: " إذا كانت سلسلة الإسناد متصلة، وكان كل فرد من أفراده عدلاً – من وجهة نظرهم – فحينئذ قبلوا الحديث، وصار شرعاً واجباً، ولا يمكن بسبب الإيمان السؤال عن متن الحديث لأنه وحي إلهي فلا يقبل أي نقد تاريخي ".

ويقول كيوم: " متى اقتنع البخاري بتحديد بحثه في سلسلة الرواة في السند مفضلاً ذلك على نقد المتن، صار كل حديث مقبول الشكل حتمياً بحكم الطبع ".

المصدر: http://web.macam.ac.il

===============

#مقدمة حول الاستشراق والمستشرقين

الاستشراق اتجاه فكري يعنى بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة، وحضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة، وقد كان مقتصراً في بداية ظهوره على دراسة الإسلام واللغة العربية، ثم اتسع ليشمل دراسة الشرق كله بلغاته، وتقاليده، وآدابه، فالمستشرقون هم علماء الغرب الذين اعتنوا بدراسة الإسلام واللغة العربية، ولغات الشرق وأديانه وآدابه.

أهداف الاستشراق:

انطلق المستشرقون في دراستهم للإسلام من منطلقين كان لهما أبلغ الأثر في توجيه الدراسات الاستشراقية:

المنطلق الأول: النزعة الصليبية التنصيرية التي خيمت على أذهان المستشرقين، وغطت على أفكارهم، فجاءت دراساتهم في ثوب تنصيري، فقد ارتبط الاستشراق في جميع مراحله ارتباطاً وثيقاً بالمؤسسات الكنسية التنصيرية.

المنطلق الثاني: النزعة الاستعمارية السياسية المادية التي تهدف إلى بث النفوذ الغربي على البلدان الإسلامية، ونهب خيراتها وثرواتها.

ومن خلال ما سبق يمكن تلخيص أهداف المستشرقين والدراسات الاستشراقية في الآتي:

1. إفساد صورة الإسلام بطمس معالمه، وتشويه محاسنه، وتحريف حقائقه، وتقديمه للعالم على أنه دين متناقض.

2. تشكيك المسلمين في دينهم، بإثارة الشبهات حول الإسلام، ورسول الإسلام – صلى الله عليه وسلم –، لإضعاف صلتهم بهذا الدين، وارتباطهم به.

3. إحياء النعرات القبلية، والعصبيات المذهبية، والنزعات الطائفية والعقائدية، وإثارة الخلافات، لتفريق وحدة المسلمين، وإضعاف روح الإخاء بين المسلمين، وإثارة اللهجات العامية وذلك بالتشكيك في اللغة العربية ومصادرها.

4. غرس المبادئ الغربية في نفوس المسلمين وتمجيدها، والعمل على إضعاف القيم الإسلامية وتحقيرها حتى يتم لهم إفساد أبناء المسلمين، وتحللهم، ثم توجيههم لخدمة مصالحهم.

5. إزالة الثقة بعلماء وأعلام الأمة الإسلامية وذلك لقطع الصلة بين المسلمين وماضيهم، وفي المقابل تمجيد الشخصيات الغربية وتعظيمها ليسهل التأثير والانقياد لهم.

منهج المستشرقين في دراسة الإسلام والدافع من ورائه:

الدافع الذي دفع هؤلاء المستشرقين لدراسة الإسلام هو في الحقيقة العداء السافر لهذا الدين وللرسول – صلى الله عليه وسلم –، هذا العداء الذي بدأ منذ فجر الإسلام، فالمستشرقون ليسوا سوى امتداد لليهود والنصارى الذين بذلوا كل ما في وسعهم لطمس دين الإسلام، وإزالة معالمه من الوجود، ولم تخفف من هذا العداء القرون المتطاولة، بل ظل يأخذ صوراً شتى وأشكالاً متنوعة، تعلن تارة وتخفي أخرى، وتظهر في ثوب الود والولاء تارة، وتكشر عن أنياب العداء أحياناً، واشتدت هذه العداوة بعد الحروب الصليبية (1295–1097م)(التي كانت نقطة تحول في الصراع الفكري والعقدي والسياسي بين الغرب المسيحي وبين الشرق الإسلامي)، فقد عاش المستشرقون في هذه البيئة المفعمة ببغض الإسلام، وارتضعوا من لبانها، ولذا جاء منهجهم يحوي بين طياته كل دسيسة وشبهة تطعن في هذا الدين.

وأبرز سمات هذا المنهج الذي درسوا الإسلام على أساسه:

1. تحليل الإسلام ودراسته بعقلية أوربية، فهم حكموا على الإسلام معتمدين على القيم والمقاييس الغربية المستمدة من الفهم القاصر والمغلوط الذي يجهل حقيقة الإسلام.

2. تبييت فكرة مسبقة ثم اللجوء إلى النصوص واصطيادها لإثبات تلك الفكرة، واستبعاد ما يخالفها.

3. اعتمادهم على الضعيف والشاذ من الأخبار، وغض الطرف عما هو صحيح وثابت.

4. تحريف النصوص ونقلها نقلاً مشوهاً، وعرضها عرضاً مبتوراً، وإساءة فهم ما لا يجدون سبيلاً لتحريفه.

5. غربتهم عن العربية والإسلام منحتهم عدم الدقة والفكر المستوعب في البحث الموضوعي.

6. تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها، فهم ينقلون مثلاً من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه، ويصححون ما ينقله الدميري في كتاب الحيوان، ويكذبون ما يرويه مالك في الموطأ، كل ذلك انسياقاً مع الهوى، وانحرافاً عن الحق.

7. إبراز الجوانب الضعيفة، والمعقدة، والمتضاربة، كالخلاف بين الفرق، وإحياء الشبه، وكل ما يثير الفرقة، وإخفاء الجوانب المشرقة والإيجابية وتجاهلها.

8. الاستنتاجات الخاطئة والوهمية وجعلها أحكاماً ثابتة يؤكدها أحدهم المرة تلو الأخرى، ويجتمعون عليها حتى تكاد تكون يقيناً عندهم.

9. النظرة العقلية المادية البحتة التي تعجز عن التعامل مع الحقائق الروحية.

10. صلتهم بالفكر الإسلامي، وأثر تلك الصلة في إثارة الشبه حول السنة.

سبق أن الحروب الصليبية كانت نقطة التحول في الصراع الفكري والعقدي والسياسي بين الغرب المسيحي والشرق المسلم، وأنها الدافع الأساسي للنشاط الاستشراقي المكثف، ولكن اتصال الغرب بالشرق في ذلك الوقت وخلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي كان اتصالاً عدائياً مسلحاً، متمثلاً في الحروب الطاحنة التي ظلت آثارها باقية حتى الآن.

وفي نهاية القرن السادس عشر – الذي يعتبر منطلق الإصلاح الديني في الغرب – كانت بداية الاتصال الاقتصادي المتمثل في اكتشاف موارد الثروة في العالم الإسلامي، واستغلالها ونقلها إلى الغرب في صورة تبادل تجاري وغير ذلك، وتبع

هذا الاتصال السياسي المتمثل في سيطرة الغرب ونفوذه على العالم الإسلامي حتى بلغ أوجه خلال الفترة ما بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الربع الأول من القرن العشرين، وخلال هذه الفترة الاستعمارية عمل الغربيون على تخلف المسلمين بإبعادهم عن دينهم حتى يتمكنوا من إخضاعهم إخضاعاً تاماً للسيطرة الغربية.

ففي تلك الفترة كان الاستشراق في ذروته لأنه كان مدعوماً من قبل الحكومات الغربية التي كانت توفر لهم الأسباب المعينة على دراسة العلوم الإسلامية حتى يتمكن الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، فبحث المستشرقون في كل ما يتصل بالإسلام من تاريخ، وفقه، وتفسير، وحديث، وأدب، وحضارة، وصبغوا كل ذلك بصبغة علمية مما أدى بتلك البحوث والدراسات أن تكون مراجع للكثير من الباحثين في المعاهد، والجامعات العالمية.

وقد غزت تلك البحوث العالم الإسلامي في مؤسساته الفكرية والتربوية، ومناهج التعليم، وكان العديد من قادة الفكر الإسلامي قد تتلمذوا على أيدي أولئك المستشرقين عن طريق إيفادهم إلى الخارج، أو استقدام المستشرقين إلى البلاد الإسلامية للعمل في المؤسسات الفكرية، ومناهج التعليم، وهكذا ظلت العلاقة قائمة، والصلة وثيقة بين العالم الغربي والفكر الإسلامي، ولكنها علاقة تستهدف الإسلام بدرجة أولى.

والمستشرقون الذين بحثوا في كل جوانب الإسلام لم يغب عنهم أهمية السنة النبوية، فقد علموا أنها المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن، وفيها توضيحه وبيانه، ولذا تناولوها بالطعن والتشويه والشبه ليتسنى لهم بعد ذلك أن يتلاعبوا بالقرآن، ويؤولوه بما يحلو لهم، فطعنهم في السنة هو في الحقيقة طعن في القرآن، وهدم لصرح الإسلام.

المصدر : http://www.truthway.com

=============

#المنهج الاستشراقي عند المتغربين فكرياً

المحامي قاسم خضير عباس*

الاستعمار الغربي استغل ظاهرة الاستشراق في تمرير سياسته في الشرق، وإلغاء ثقافة الآخرين، واتهامها (بالضحالة، والرجعية، والجمود)، لهذا لم يفرق كثير من الباحثين بين الاستشراق القديم والاستشراق الجديد الذي وصف نفسه بـ(العلمي)، وهذا يدعونا للتأمل بشأن العلاقة بين (السياسة الغربية والاستشراق)، ويدعونا كذلك للوقوف طويلاً على موضوع استغلال اطروحات المستشرقين لصياغة سياسة غربية متعنتة تطبق في الشرق الأوسط؛ مع اتباع موقف إشكالي إزاء الإسلام، وإلغاء ثقافة الآخرين، واتهامها بالإرهاب.

ويوضح هذه الحقيقة أدوارد سعيد في كتابه (الاستشراق) ص 89 قائلاً بصراحة وموضوعية: (لم يصبح الإسلام رمزاً للرعب، والدمار والشيطاني، وأفواج من البرابرة الممقوتين بصورة اعتباطية، فبالنسبة لأوروبا كان الإسلام رجة مأساوية دائمة).

وهكذا فإن الاستشراق ببحوثه، وتوجهاته، وحقده على الإسلام؛ سهل الاختراق الأوروبي والأمريكي للشرق، وقد لعبت الإرساليات دوراً بارزاً في ذلك، إضافة إلى تشجيعها للسياسة الأوروبية لكي تصب في خدمة الصهيونية العالمية، وإقامة دولة لها في فلسطين.

وكان طبيعياً ضمن هذا التوجه أن تشوّه صورة الإسلام والمسلمين، ولعب المستشرق الأوروبي (غوستاف فون) دوراً كاملاً في قلب الحقائق، خصوصاً بعد أن هاجر إلى (أميركا)، وعمل في جامعة شيكاغو، وصاغ نظرياته الاستشراقية الجديدة من وحي الاستشراق الديني القديم، ولم يتورع (فون) من اعتبار المسلمين في (أدنى السلم الإنساني، ومن الواجب عدم الاعتراف بحقوقهم ومصالحهم)!!

أما المشرع البريطاني (ستيوارت ميل) فيلغي من جانبه كل الحقوق والمصالح من الأساس، ويعتبر أن بعض الشعوب التي يسميها بـ(الهمجية) لابدّ أن تحكم بالقوة وبالقوانين الوضعية، مع عدم الاعتراف لها بأي التزام قانوني!!

ويرسم ادوارد سعيد ملامح العلاقة بين الغرب والإسلام بصورٍ من خلال تقييمه للظاهرة التلفيقية الاستشراقية التي جعلت (أبسط التصورات للعرب والإسلام قضية مشينة إلى درجة عالية، بل تكاد تكون خشنة:

أولاً تاريخ التمييز الشعبي ضد العرب، وضد الإسلام في الغرب، الذي ينعكس مباشرة في تاريخ الاستشراق.

ثانياً: الصراع بين العرب والصهيونية الإسرائيلية، وتأثير هذا الصراع على اليهود الأمريكيين، بالإضافة إلى تأثيره على كلا الثقافة التحررية، والكيان عامة).

أما الدكتور محمد النقوي في كتابه (الاتجاه الغربي) ص 158فيوضح تلك العلاقة المتشنجة من خلال بحوث المستشرقين التي تهدف إلى (إيجاد الشعور بالحقارة لدى المسلمين أمام الثقافة والحضارة الغربيتين، لكي لا يستفيدوا من شخصيتهم الثقافية والرسالية، ويتسببوا في انحطاطهم تجاه الأمم الغربية، ويعترفوا بحقارتهم، ويصدقوا بأنهم شعب منحط)، فالمستشرقون (عزموا على الإلقاء في روع الشرقيين أن الرجل الشرقي نبغ في مجال العرفان فقط، وأنه ذو عقل عاطفي، وأنه لابد له من الاعتماد على الغرب في الصناعة، والعلم، والتقنية، والحضارة).

وقد قرأت لـ(زكي نجيب محمود) نفس هذه المقولات الاستشراقية في كتابه (المعقول واللامعقول)، حيث أكد على موضوع (العقل العاطفي والشاعري للإنسان الشرقي)، وأن حضارة الشرق حضارة شعر وخيال، أما (حضارة الغرب) فهي (حضارة علم، وعقل، وإبداع) منذ القدم!!، وللأمانة والموضوعية نقول: إن الدكتور (زكي نجيب) تراجع عن كثير من أفكاره في كتابه (عربي بين ثقافتين).

وهكذا فإن (مثقفي التغرب) من العرب والمسلمين قد رددوا مقولات استشراقية دون وعي وإدراك، لأنهم قد انبهروا بالغرب، ومنهجه، وثقافته، وتقدمه التكنولوجي إلى درجة أفقدتهم مصداقيتهم، وموضوعيتهم، ومنهجيتهم، وكانوا بحق أذرع الغرب في المجتمع الإسلامي، يحاولون إنجاح ما عجز عنه المستشرقون، وتهيئة الأرضية ليسهل تشويه الإسلام، الذي يعد أكبر خطر تواجهه أوروبا قديماً وحديثاً، وهذا ما يؤكد عليه (لورانس براون) قائلاً بأن:

(الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي).

وليس غريباً إذا عرفنا ذلك أن نجد بيننا من يستغل الثغرات لافتعال ضجة غايتها إبعاد الإسلام والحركة الإسلامية عن ساحة الصراع، وفصل الدين عن السياسة، وجعله طقوساً تنشط في التكايا والمحاريب.

ونتساءل لماذا يربط مثقفونا منهجهم وتحليلهم بمنهج وتحليل الغرب؟!

لا أعرف!! ولا أريد هنا أن أتهمهم بشيء، كل ما أريد قوله أن عملهم هذا يحمل للأمة الأسى والمرارة، ويكرس الإحباط والانكسار، خصوصاً وأنهم وقفوا ضد الصحوة الإسلامية، واتهموها بالإرهاب، مرددين نفس مقولات المثقفين الأوروبيين الذين يعرفون جيداً أن الحركة الإسلامية تهديد خطير لمصالح الغرب وأطماعه في منطقة (الشرق الأوسط).

ويعد (محمد عابد الجابري) من المثقفين العرب المبدعين لكنه للأسف الشديد متغرب فكرياً في أطروحاته، ويؤمن بوهم (المعجزة اليونانية) التي يعتبرها (عقلية خالصة)!! فيما يهاجم باستحياء الأصالة الإسلامية ويعتبرها رجعية!! ويدعو إلى (تأصيل الأصول) من خلال عملية تغيير شاملة، وهذا معناه (تغيير الأصول) وليس تأصيلها.

ولكي لا تأخذنا تداعيات القول بعيداً نعود إلى صلب الموضوع، ونؤكد على أن هناك نوعاً من الاستشراق يتسم ببعض الموضوعية والعلمية، لكنه يتلبس بالحقد على الإسلام، ويخلط الحق بالباطل، فـ(كارل بروكلمان) مثلاً كتب في تأريخ الأدب العربي بصورة موسعة، جعلت الباحثين العرب يعتمدون كتابه لما يحتويه من مادة أدبية جمعت كل ما كُتب باللغة العربية، ويقول الدكتور المرحوم عمر فروخ في كتابه (تاريخ الأدب العربي) ج 1 ص 18عن هذا الجهد:

(إن كتاب بروكلمان جريدة إحصاء لكل من كتب، ولجميع ما كُتب باللغة العربية، ومن هذه الناحية لن يستطيع الباحث العربي أن يستغني عن ذلك الجهد الجبار).

ولكن (بروكلمان) في مناسبات عديدة لم يتخلص من عقدة الحقد على الإسلام، وتشويه الحقائق، واعتقد أن ذلك هو السبب غير المعلن الذي دعا عمر فروخ إلى تجنب المنهجية التي أسماها (افرنجية) في وضع كتابه القيم (تاريخ الأدب العربي).

---

* كاتب وباحث إسلامي عراقي

المصدر : http://www.nahrain.com

===============

#تفكيك مقولات الاستشراق

د. طريف الخالدي*

من بين ما تتحفنا به الثقافة العالمية المعاصرة سلسلة من المقولات التي تختصر نظاماً فكرياً معقداً بكلمة أو كلمتين، ولعل السبب في ذلك أننا وفي أيامنا هذه نرى من الضروري لنا أن نختزل الكلام توطئة لتسويقه أو ترويجه، فهناك مثلاً مقولة "الواسطة هي الرسالة" في علم الإعلام، وهناك مقولة "الأقل هو الأكثر" في فن العمارة، وهناك مقولة "تطور الفرد يستعيد تطور الجنس" في علم الأحياء، وإلى ما هنالك من شعارات تحشر الفكر في كبسولة يسهل على الإنسان هضمها والاستفادة منها لأغراض الترويج، ولا عجب فنحن في عصر اللقمة الصوتية.

ومن بين هذه المقولات واحدة تهمني لأسباب مهنية، وهي مقولة لا تاريخ بل تأريخ، أو حتى لا ماض بل روايات عن الماضي، أو إذا شئتم لا حقيقة تاريخية بل قصص، وهذه المقولة سلاح بتار، فإذا أخذنا هذا السلاح بقوة جاز لنا أن نبتز أي نظام فكري أو سياسي، أو أي مجتمع بشري عن تاريخه فتصبح حقيقته التاريخية سلسلة من القصص، ويبقى النظام المعين أو المجتمع المعين معلقاً في الهواء، يطفو على سحب من الأساطير.

مقدمة سريعة لا بد منها للاقتراب من موضوعي هذا اليوم (جانب الصراع السياسي والإنساني الدائر حالياً حول مدينة القدس) يدور صراع آخر خفي وهو الصراع الذي يتمحور حول تأريخ القدس، وهذا الصراع الآخر ليس بالأمر الطارئ طبعاً، فالصهيونية منذ أن وجدت تسعى بلا كلل لكي تخترع فلسطين من جديد.

فهي ما فتئت تقتلع وتخترع، وتمحي ثم تبني على أنقاض ما محت، وفي خضم هذا السيل الجارف الماحي نلمح وبوضوح رغبة صهيونية حيثية لإعادة كتابة التاريخ وذلك لكي يتكامل جرف الأرض مع جرف تاريخها، وإذا أخذنا بمقولة لا حقيقة تاريخية بل قصص، وتوخينا الدقة والإنصاف والعدل فقد نستنتج أن هذا الصراع

يدور حول القصص، أي قصصنا نحن في مواجهة قصصهم، غير أن الأمر ليس على هذا النسق أبداً، فالصهيونية تقول لنا منذ البدء أن قصصنا وهمية، وأن قصصهم حقيقية تاريخية، أي أن قواعد هذه اللعبة تتغير حسبما يشاء الخصم الصهيوني، فهو كالفريق الذي كلما اقتربت الكرة من مرماه ينزع المرمى من مكانه ويركض به إلى مكان أبعد.

فالاستشراق الصهيوني نظام فكري من طراز فريد، فإن الصراع التأريخي الذي يدور بيننا وبينه ليس كمثل الصراعات الدائرة في أماكن أخرى من عالمنا المعاصر كالصراع على تاريخ الهند مثلاً بين المؤرخين الهنود والبريطانيين، أو على تاريخ أفريقيا بين المؤرخين الأفارقة والأوروبيين، بل هو صراع يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمصير أرض يجري تغيير ملامحها ساعة بعد ساعة، إن هذا الاستشراق يسعى إلى تثبيت تاريخه هو ونفي تاريخنا نحن جملاً وتفصيلاً، ومن أبرز مقولات هذا الاستشراق فيما يتعلق بتاريخ القدس العربي المبكر كما نلمحها في الكتب والمجلات التي يستخدمها هذا الاستشراق في سبيل الوصول إلى غاياته تحت ستار مما يشبه البحث العملي.

أولاً: يقول لنا هذا الاستشراق إن المصادر العربية الإسلامية حول تاريخ القدس في الفترة الأولى التي تلت الفتح متناقضة متضاربة ومنمطة – أي أنها على شكل نماذج من القصص الشعبية التي أخذها الإسلام أما من الأديان الأخرى، وخصوصاً اليهودية، أو الذي اتخذ شكل النمط والنموذج الذي مثيله الأقرب هو الأدبيات والأساطير الشعبية –.

من هنا فالوصول إلى أية حقيقة تاريخية استناداً إلى هذه المصادر أمر شبه مستحيل، وليس بالإمكان أكثر من أن يكتشف المؤرخ النية من وراء هذه القصص وهي في الأغلب تعكس رغبات أجيال من المؤرخين العرب المسلمين عاشت بعد الأحداث بمئات السنين، وحاولت خلق تاريخ ملائم للقدس.

ثانياً: يقول الاستشراق أيضاً أن دخول عمر بن الخطاب إلى القدس، ولقاءه البطريرك صفرونيوس هو وهم ومجرد أسطورة الغاية منها إضفاء الاحترام والإجلال على القدس، وكلها قصص ابتدعها خيال جيل لاحق من المؤرخين العرب، ولربما في أيام الحروب الصليبية مثلما يقول بعض المستشرقين.

ثالثاً: إن الإشارة الواردة في القرآن الكريم إلى الإسراء والمعراج لا تدل على القدس تحديداً، أما أحاديث الإسراء فتنتمي إلى عصور متأخرة أراد فيها المسلمون التأكيد على أهمية القدس لأسباب سياسية، إذ لا ترد أية إشارة إلى الإسراء والمعراج في الآيات والكتابات الواردة على جدران قبة الصخرة مثلاً، وهو أمر متوقع فيما لو كانت القدس هي المقصودة في الآيات القرآنية.

رابعاً: إن القدس لم تتمتع بأية مكانة خاصة لا على المستوى الديني، ولا على المستوى السياسي في العصور العربية الإسلامية الأولى، ولم تكتسب القدس مكانتها سوى بعد مضي قرون عديدة، أما في العصور الأولى فقد كانت مدينة هامشية دينياً وسياسياً، ورغم أهمية قبة الصخرة والمسجد الأقصى في ميدان العمارة، فإن هذين البناءين لا يدلان بوضوح على أية أهمية خاصة ترتبط بمكانة القدس.

هذه باختصار بعض المقولات الرئيسية التي نجدها في ثنايا الاستشراق الصهيوني ذي الشكل الأكاديمي، وهي مقولات تعكس بجلاء ذهنية صهيونية ما برحت تقول لنا ومنذ عشرات السنين: إن تاريخهم أكثر قدسية من تاريخنا، كما يرد مثلاً في أقوال نسبت إلى شمعون بيريز منذ زمن ليس ببعيد: قد يكون لكم أيها العرب بعض الروابط التاريخية مع القدس لكن تاريخنا هو الأقدس.

وفيما تلوح مدينة القدس أمامنا وكأنها قادمة على حل نهائي يبدو من الواجب لنا أن نعي شيئاً مما قد يدور في ذهن الخصم الصهيوني عندما تدق الساعة، فنحن سنواجه قريباً من سوف يقول لنا ما معناه: "لنا القدس، والقداسة، والتاريخ الصحيح، ولكم الأساطير".

لن أسعى إلى أن أفند هذه المقولات الصهيونية قولاً رغم اعتقادي بأن هذه المقولات وأمثالها هي من بين الأسس الراسخة التي بني عليها الخطاب الصهيوني المعاصر حول القدس، فالبعض من هذه المقولات يفند نفسه بنفسه، غير أن الأمر يتعدى ذلك ليتناول حملة صهيونية أوسع ترمي إلى وضع علامة استفهام كبرى حول مصداقية المصادر العربية المبكرة برمتها، دعونا نتأمل قليلاً مغزى هذا الأمر.

فتوحات عربية شاسعة الأرجاء تقضي وفي زمن قصير جداً نسبياً على امبراطوريتين عظيمتين، وذلك من خلال عمليات عسكرية تفترض درجة عالية من المهارة

اللوجستية، ثم تبني لنفسها نظاماً إدارياً، وحضارة ومدنية، وتتولى أموراً حكومية ومالية واجتماعية بالغة التعقيد، وإلى ما هنالك من بنيان حضاري إمبراطوري، ثم يأتي اليوم من يقول لنا: أن هذه الحضارة عندما جاءت لتضع لنفسها تاريخاً كانت كالطفل الساذج الذي لا يعرف للحقيقة معنى، ويقال لنا: إنه وبعد ذلك بمئات السنين، أتت طبقة أخرى من المؤرخين فابتدعت تاريخاً جديداً برمته، وكأنما هي مؤامرة كبرى تنوي أن تطمس ما لا يلائمها، وتبرز ما يخدم أغراضها الدعائية.

إن الذي يضع علامة استفهام كبرى على المصادر المبكرة هو كمثل الذي يقول لنا إن الحضارة العربية الإسلامية الأولى كانت متقدمة في كافة الميادين الإدارية والحكومية والقانونية والسياسية والمعمارية واللوجستية لكنها كانت طفولية وساذجة وأسطورية في كتابة التاريخ، وعلينا نحن اليوم أن نصدق جيلاً من المؤرخين العرب في عصور لاحقة جلسوا حول طاولة الكتابة، ودرسوا بدقة الأدبيات الشعبية اليهودية، ثم بنوا عليها قصصاً معينة لكي تأتي ملائمة للتنبؤات اليهودية: (ولا يقال لنا لماذا فعلوا ذلك)، ومن ثم عمدوا إلى طمس كافة الروايات الأخرى، وكل ذلك حتى يعظموا مكانة القدس، ويخترعوا لها أهمية لم تكن لها من قبل، ويراد لنا أن نعترف بأن هذه المؤامرة التأريخية تمت في زمن كان فيه جهابذة التاريخ والحديث قد بلغوا درجة عالية جداً من التمحيص والتدقيق في الروايات.

أما فيما يختص باستخدام النماذج والأنماط الأدبية في الكتابة التاريخية فالواضح الجلي لكل من تصدى لهذا الموضوع أن النمط لا يمكن له أن يكون نمطاً ناجحاً مقبولاً لدى العموم إلا إذا تضمن في داخله نواة من الحقيقة التاريخية، فالمؤرخ يلجأ إلى استخدام الأنماط والنماذج (أي التشبيهات والاستعارات) لأنها تشبه الحقيقة، وتحاكي الواقع، وليس لإخفائها أو تزويرها، غير أن الأدهى من كل هذا وذاك هو أن الاستشراق الصهيوني هذا وبعد أن وضع علامة استفهام كبرى حول كل ما تتضمنه المصادر العربية المبكرة حول القدس يعود فينتقي من هذه المصادر فقط ما يناسب نواياه وأغراضه.

ففي رواية الفتح الإسلامي مثلاً يقال لنا: عمر بن الخطاب ليس هو الذي فتح المدينة بل الفاتح الحقيقي هو على الأرجح عمرو بن العاص، فإذا كانت المصادر

كلها مشبوهة فما معنى الانتقاء والتفاضل بين الروايات؟ وإذا كانت المصادر كلها مشبوهة فما معنى أن نكتب أي تاريخ من أي نوع كان بالاستناد إلى هذه المصادر؟ ومن سخرية الأقدار أن آخر ما توصل إليه البحث العلمي حول المصادر غير العربية لتاريخ الإسلام المبكر أي المصادر اليونانية، والسريانية، والعبرية، والقبطية، والأرمنية، والفارسية قد وجد أن هذه المصادر تطابق في غالب الأمر ما جاء في المصادر العربية ذاتها.

وفيما يختص بقبة الصخرة والمسجد الأقصى فإنه يقال لنا: أن غياب أية إشارة إلى الإسراء والمعراج في الكتابات والنقوش في هذين الحرمين دليل على أن ربط الإسراء والمعراج بالقدس أمر تم في عصور لاحقة، إذ لو كان هذا الرابط موجوداً في زمن البناء لما غاب عن ذهن الباني أن يذكر الإسراء والمعراج في الكتابات والنقوش، وهذه المقولة كما هو مثال صارخ جلي على السفسطة التي تفترض أن غياب الدليل دليل على غيابه، ولا حاجة للوقوف عند هذه المغالطة التي يستبان منها بوضوح غرضها الدعائي.

هذه – وباختصار شديد – بعض ملامح هجمة يشنها الاستشراق الصهيوني، ولا هم له سوى إلقاء الشك على مركزية القدس في التاريخ العربي، ونحن وإن كنا اليوم نشهد على أرض الواقع تنازلات فلسطينية متتالية على صعيد التفاوض السياسي، وعلى صعيد القوانين الدولية، وعلى صعيد الأرض، نشهد أيضاً بعض التراجع الصهيوني الملحوظ على صعيد التأريخ لفلسطين.

فقد كانت الحجة الصهيونية ولسنوات مديدة أن الفلسطينيين هربوا من أرضهم تبعاً لأوامر تلقوها من الزعماء العرب، فأتى الآن فريق من المؤرخين الصهاينة اسمهم المؤرخون الجدد ليغير هذه الرواية ويعترف بأن طرد الفلسطينيين كان جزءاً من سياسة صهيونية متعمدة وواضحة وموثقة بالوثائق.

ثمة حقيقة هامة لا يجب أن نغفل عنها وهي أن الصراع على القدس يدور على أصعدة شتى، وفيما يقترب هذا الصراع من إحدى محطاته العديدة على مر الزمن، لا بد لنا من التصدي لهذه العقلية الصهيونية العجيبة التي تسمح لنفسها ببلع

الأرض، والتي تجد أن بلع الأرض هذا أمر أسهل على الهضم إذا كان بالإمكان إغراق الأرض المنوي بلعها في مستنقع من الأساطير.

---

* أكاديمي وباحث فلسطيني

المصدر : http://www.alqudsgate.com

==============

#الفكر الاستشراقي وأثره على الدعوة

مما لا شك فيه أن الاستشراق منذ نشأته في أوروبا القرون الوسطى قد عمل جاهداً على مقاومة الدعوة الإسلامية، وهدم قيم الإسلام وأسسه الفكرية وذلك عن طريق تشويه صورة الإسلام بمفتريات وأكاذيب تمجها الآذان، وتتقزز منها المشاعر، وكانت معظم هذه المفتريات تنصب بالدرجة الأولى على شخصية نبي الإسلام محمد – صلى الله عليه وسلم – بسبب يقين المستشرقين بأنه – صلى الله عليه وسلم – يمثل الأساس في الرسالة الإسلامية، إذ إنه هو الذي بلغ الإسلام عن الله، وامتثله في نفسه، وكوَّن أمة عظيمة على عاتقه، فإذا استطاعوا إلقاء أغشية على شخصيته فإن ذلك سيكفل لهم عدم انتشار رسالته، ثم إدخال كثير من الريب والشكوك في قلوب الذين اتبعوه وآمنوه به.

ومن ثمَّ قالوا عن نبي الإسلام الطاهر، الصادق، الأمين، بأنه كان رديء الولادة والسمعة، وأنه عاش بربرياً بين برابرة، وثنياً بين وثنيين، وأنه تعلم ما نشره من الدين من راهب فر إلى الجزيرة العربية واسمه "سيرجونز" الذي اعتقد محمد أنه الملك (جبريل)، وأنه كان ذا شهوات جامحة، متعجرفاً في الحياة، وأنه قبل الوفاة حاول أن يعمِّد نفسه ولكن الشياطين منعته من ذلك!! وعندما مات أكلته الخنازير التي تعتبر من الحيوانات القذرة.

بالإضافة إلى هذه الادعاءات الكاذبة التي افتراها مستشرقوا القرون الوسطى على أعظم شخصية في التاريخ، وأكثرها عفة وطهراً، اخترع المستشرقون مفتريات أخرى حاولوا أن يصِمُوا بها أقدس جماعة بشرية في التاريخ كله وهم الصحابة الكرام، وكذلك المسلمين بصورة عامة، فقد قالوا عن الصحابة بأنهم: (زمرة من منتهكي

الحرمات المقدسة، وقطاع الطرق والسالبين، والقتلة واللصوص)، وقالوا عن المسلمين بصورة عامة بأن سبب إسلامهم:

1- إما أنهم خدعوا بالشيطان بسبب سذاجتهم.

2- أو حذوا حذو أقربائهم ولو قاد ذلك إلى الخطأ.

3- أو للحصول على المنافع المادية.

وقالوا عن المسلمين أيضاً بأنهم يعبدون محمداً في المساجد، وأنهم شعوب ينتمون أساساً إلى السيف.

أما عن الإسلام فقد قالوا عنه بأنه: (مجموعة من العقائد المسيحية، واليهودية، والوثنية)، وأن العنف من مكوناته، وأنه لا يقبل الخلاف العقلاني، وأنه رمز للتعصب واللا إنسانية، وأنه منبع المبالغات والانحرافات في أنظمة الفكر.

وقالوا عن القرآن الكريم بأنه غير منطقي، وغير معزز بالمعجزات.

هذه بعض النماذج من الإفك الأثيم الذي أنتجه الفكر الاستشراقي، وروجه في عرض العالم الغربي وطوله منذ العصور الوسطى، وإذا كان هذا الإفك الاستشراقي لم ينجح في طمس معالم الإسلام وزعزعة أركانه إلا أنه نجح إلى حد كبير في وقف أو على الأقل إبطاء انتشاره في العالم الغربي المسيحي على وجه الخصوص، إذ إن الإنسان الغربي كلما كانت تطرق إذنه لفظة الإسلام أو ما أسموه بـ (المحمدية) فإن تلك الصور البشعة والمرعبة كانت تتمثل أمام ناظريه، فيفر من الإسلام فرار الظبي من الأسد، ولا شك أن كثيراً من هذه الصور لا تزال عالقة في العقل الأوروبي إلى اليوم، مما يجعله ينظر إلى الإسلام بكثير من الشك والريب والتوجس.

انعطافة في الفكر الاستشراقي:

وإذا كان استشراق القرون الوسطى قد مارس هذا النوع المخزي من الهجوم ضد الإسلام بهدف حماية المسيحيين من التأثير الإسلامي - بسبب ما كان يجسده في تلك الفترة من قوة تبشيرية عارمة -، ثم محاولة جعل المسلمين يعتنقون الإسلام، فإن الاستشراق في نهاية القرون الوسطى قد أخذ ينحو منحى أخر، فقد أصبح الأوروبيون أكثر تقدماً في مجال الفلسفة، والطب، والعلوم الأخرى بعد أن كان

المسلمون أساتذتهم فيها، وبدا لهم أن تحويل المسلمين عن دينهم لكي يعتنقوا المسيحية بهذا الأسلوب العنيف شيء مستحيل.

من هنا أصبحت تلك الخطابات الاستشراقية العنيفة في طور الانحدار والأفول، لتتخذ مكانها ممارسات استشراقية أقل عنفاً، وأكثر ذكاء، ولعل عصر النهضة قد قدم للاستشراق آليات جديدة لممارسة المماحكات الهجومية المخفية والمختبئة خلف الجهاز الأكاديمي الثقيل، فقد قدم عصر النهضة التقنيات الفيلولوجية التي تم بلورتها من أجل دراسة النصوص اللاتينية والإغريقية والعبرية، كما قدم أنواعاً أخرى من المناهج في مجال البحث والدراسة، والتي من أهمها منهج البحث التاريخي الذي تبلورت صورته الغربية على حساب خروج الغرب كلياً من الدوغماتية الدينية (ولم يخرج منها فقط بعض الأفراد أو بعض التيارات وإنما مجمل الأوساط العلمية بمن فيهم أعضاؤها المؤمنون أنفسهم)، لقد انخرطوا جميعاً على طريق البحث الذي يحيد تدخل الله في التاريخ، ومسيرة المجتمعات، وآليات مسيرتها، فأصبحوا يدرسون النصوص والقصص المقدسة عن طريق استبعاد أية سببية غير السببية المرتكزة على القوانين المشتركة لحركية المجتمعات البشرية، أي أن دراسة الدين أصحبت تتم بعيداً عن فكرة الوحي، بل باعتبار أنه ظاهرة من الظواهر الاجتماعية التي تولدت بسبب عوامل اجتماعية وتاريخية.

الاستشراق الحاضر:

وإذا غضضنا الطرف عن الصورة الاستشراقية الماضية، ونظرنا إلى أيامنا الحاضرة فإننا نرى فيها منحى استشراقياً آخر للنيل من الإسلام وهدم أسسه، فكما هو معروف أن الاهتمام بالإسلام قد زاد في الغرب بصورة منقطعة النظير بعد الثورة الإيرانية عام 1979 ميلادي، فقد تكاثرت المقالات والبرامج الإذاعية والتلفزيونية وحملت معظمها في طياتها الغش والخداع والأخطاء، مما جعل المعلومات الخاطئة تنشر في كل مكان، وكما يقول مكسم رودنسون فإن: (مجمل صورة عالم الإسلام قد شوهت من خلال منظور مشوه إلى حد كبير)، والسبب في ذلك – على حد اعتقاد "مكسيم رودنسون" – هو التقدم الهائل في مجال وسائل الإعلام الجماهيري الذي استثار شهية الكثيرين لكي يكتبوا عن الإسلام والعالم الإسلامي على الرغم من أنهم لم

يكلفوا أنفسهم عناء اكتساب الكفاءة العلمية التي تتطلب وقتاً طويلاً، وتحضيراً حقيقياً، وقد أطلق عليهم "رودنسون" بأنهم طفيليون (الذين يتطفلون على العلم تطفلاً، ويحدثونك موضوع الإسلام والعرب إلخ... وكأنهم عارفون).
وخلاصة القول أن الاستشراق سواء بصورته القديمة، أو الذي ظهر بعد عصر النهضة، أو ذلك الذي نعايشه اليوم عمل على تشويه الإسلام، وهدم مرتكزات المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية بصورة لا هوادة فيها، وقد اشترك في هذا العمل جيش عرمرم من المستشرقين الذين لا يسعني أن استثني منهم إلا عدداً ضئيلاً، وحتى أولئك الذين أعدوا المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، وألفاظ القرآن، وأولئك الذين فهرسوا المخطوطات العربية، وحققوا كثيراً منها، وأظهروها إلى النور؛ نكون مخطئين إذا اعتبرناهم ممن خدموا العلم، وأنهم أرادوا خدمة الإسلام والمسلمين بنية خالصة، لا والله لم يكونوا ممن يحملون مثل هذه الروح الخيرة التي يطيب لكثير منا أن يتصورها فيهم، بل إنهم عكس ذلك كانوا يريدون من خلال ما قاموا به من أعمال الفهرسة، وطباعة المخطوطات، وغيرها هو تسهيل عملية تداول الكتب الشرقية، وتيسير الاطلاع على محتوياتها، حتى يتمكن الرجل الغربي أن يستوعب الشرق، وينفذ إلى أعماقه بسهولة ويسر، هذا ما نتأكد منه من خلال ما قال "جون مول" عام 1841 ميلادي بأنه: (مهما كررنا وأعدنا فإننا لا نكرر بما فيه الكفاية أن طبع المخطوطات الشرقية الأهم هو الحاجة الأكبر والأكثر ضغطاً وإلحاحاً بالنسبة لدراساتنا، وبعد أن يكون العمل النقدي للعلماء قد مر على الأدبيات الشرقية، وبعد أن تكون الطباعة قد سهلت عملية تداول الكتب بعد ذلك فقط يمكن للعقل الأوروبي أن ينفذ فعلاً إلى أعماق الشرق)، وكذلك من خلال ما قاله المستشرق المعاصر "مكسيم رودنسون" عن الفهارس البيلوغرافية والجداول الإحصائية، والقواميس وكتب النحو وغيرها، والتي تعب المستشرقون الأوائل في إعدادها، يقول عنها: (إنه لتدريب طويل وصعب ويستحق الإعجاب على كل حال، فنحن الذين نصرف كل هذا الوقت والعناء لجمع المعلومات التفصيلية المتراكمة منذ مئة وخمسين عاماً في كتب متوافرة على طاولتنا، لا يمكننا إلا أن نشعر بالإعجاب والإكبار أمام "سيلفستر دوساسي" الذي كان مضطراً للبحث عنها في مخطوطات المكتبة الوطنية التي علاها الغبار،

فهذه الكتب من تلك المخطوطات، ولولا جهود المستشرقين الأوائل لما توافرت لدينا جاهزة).

فالمجهود الاستشراقي المختص بالعالم الإسلامي إذن في مجملة – إلا ما شذ وندر – صرف ولا يزال يصرف في سبيل مقاومة الدعوة الإسلامية وتحييد العالم الإسلامي من مواكبة تطورات العصر وبنائه، وليس من شك في أن الاستشراق قد نجح في تحقيق بعض مستهدفاته على أصعدة مختلفة، فقد تمكن من جهة من إيقاف المد الإسلامي إلى الدول الغربية وذلك عن طريق ترويج تلك الصورة الشائبة عن الإسلام، والتي اقتنع بها الإنسان الغربي مع مرور الأيام، فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من الإرث الفكري الذي ينقله كل جيل إلى الذي يليه دونما وعي، مما نجم عنه أن الإسلام أصبح أكثر الأديان كرهاً في المحيط الغربي، ومن جهة أخرى تمكن الاستشراق من زعزعة ثقة كثير من المسلمين بموثوقية مصادر دينهم، وبإخلاص نبيهم، وذلك عن طريق إثارة الشبهات والشكوك، ومحاولة فهم النصوص المقدسة بوضعها في بعد بشري معزول عن أية علاقة بالوحي.

فالاستشراق إذن قد مثل ولا يزال يمثل تحدياً صارخاً أمام الفكر الإسلامي، والدعوة الإسلامية، ونحن أمام هذا التحدي لا يكفي فقط أن نبدي الغضب والاحتجاج – الأمر الذي يعيبه علينا المستشرقون –، بل ينبغي علينا أن نأخذ الأمر مأخذ الجد، ونرد الصاع بالصاعين، وهو ما تجده في المقال التالي بعنوان (مناهضة الفكر الاستشراقي).

الدعوة إلى الله: "محمد شمس الحق".

المصدر: http://www.islamweb.net

=============

#الغرب والإسلام.. قراءات في رؤى ما بعد الاستشراق

يرى الدكتور رسول محمد رسول في كتابه الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر والموسوم «الغرب والإسلام.. قراءات في رؤى ما بعد الاستشراق» أن الأديان تعود اليوم قوة أكثر فاعلية في التاريخ عامة، وفي تاريخ تصارع القوى خاصة، ومنذ

نحو نصف قرن تقريباً عاد الإسلام كأحد الأديان الأكثر مزاحمة بين الأديان الأخرى إلى حيز التداخل والتفاعل مع اتجاهين يبدوان في الظاهر متباعدين نسبة إلى الحس العام لدى المسلمين وغيرهم، إذ نلاحظ العودة إلى البعد السياسي المزاحم في الفكر الإسلامي من جهة، والى الانفتاح على واقع الإسلام المعاصر في علاقاته المتبادلة مع الأديان والثقافات الأخرى، ودخوله بطرق جهادية ونضالية مزاحمة مع القوى الحضارية والثقافية من جهة أخرى.

وأشار الباحث إلى أن هذا التداخل الجديد بشكليه كان موضع اهتمام الغرب المسيحي واليهودي المعاصر على السواء، بل ومخاوفه وقلقه، فأخذ تسميات عدة منها: الإسلام السياسي، الأصولية الإسلامية، الإرهاب الإسلامي، واشتقاقات أخرى مثل الإسلاموية، والرهبوية الجديدة، وغيرهما حسب سياقات التعبير اللغوية، والرؤى التأويلية إلى ظاهرة الإسلام المعاصرة.

خلال هذا الاهتمام اعتمد الغرب المعرفة والمؤسسة بكل عطائيهما التداولي لقراءة الإسلام المعاصر، وتعددت أوجه الرؤى منها ما هو سلبي، وآخر ايجابي، كان الأول هو الغالب على مدى عقود طويلة، إلا إن متغيرات العصر حتمت ظهور رؤى جديدة كان منها أن تعيد المركزية الغربية النظر في مواجهاتها بإزاء الإسلام المعاصر.

فالذي جرى في الأدبيات الغربية التي تدرس الظاهرة الإسلامية المعاصرة إنها غالباً ما تسقط مفاهيمها الخاصة بالمزاحمات الدينية اليهودية والمسيحية في دار الغرب على الديانة الإسلامية، فمصطلح «الأصولية» هو نتاج للماكنة المعرفية الأمريكية حين ظهوره مطلع القرن العشرين، كما أن ما ساعد على ولادة رؤى ايجابية نطلق عليها رؤى ما بعد الاستشراق هو وجود الجاليات الإسلامية الوفيرة في عددها داخل الدول الأوروبية والغربية الأخرى، حيث تبين عن كثب للغرب أن حدة الإرهاب عند المسلمين هي أقل مما يتصورون في الماضي، عندما عزت المؤسسة الاستشراقية هذا التصور رغم وجود إحصائيات ترى أن 10% من الإرهابيين في العالم هم من المسلمين.

ويرى الباحث أن توصيف الأسباب التي أدت إلى تحول الرؤية الغربية إلى الإسلام يتطلب جهداً كبيراً، فأسباب الواقع تجاورها أسباب فكرية وفلسفية فهناك من سعى إلى تفويض المركزية الغربية مثل الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا الذي نقض المركزية الغربية، ودعا إلى فك المركز باتجاه الأطراف، لكن هذا اليهودي أراد فك المركز لفرض خلق مراكز أخرى تتحكم في مصير جغرافية ما، ومثال إسرائيل وجودها في قلب الوطن العربي هو أنموذج لدعوته، كما أن دعوة الرؤية البنيوية إلى إحلال العلاقة تتضمن دعوة صريحة للتفكير بالآخر كما هو دون مسبقات رؤيوية، إلى جانب ذلك هناك رؤية ميشيل فوكو الفيلسوف الفرنسي الذي اقترح تجاوز المناطق المعرفية التقليدية التي انكب عليها الفكر منذ أكثر من ألفي عام إلى غيرها، وهي دعوة ضمنية إلى دراسة الهامش والأطراف الحضارية والثقافية على ضوء منهجيات استقرائية، وفي أمريكا ومنذ الستينات دعا مارشال هودغسون إلى ضرورة إعادة النظر بالإسلام المعاصر، واللجوء إلى مفاصله برؤية مختلفة.

وفي فصول الكتاب نستقري الرؤى الجديدة في نظرتها إلى الإسلام من خلال اتجاهاتها الثلاثة، وبالتالي المواقف الأمريكية في نظرتها إلى الإسلام المزاحم، أو الإسلام السياسي والأصولي، فهناك رؤى ايجابية نجدها في الرؤية الأمريكية العامة تجاه الإسلام لدى مارشال هودغسون، ووليم زارتمان، وصاموئيل هنتنجتون (كدالة سلبية تفرض المقارنة بين المواقف السلبية والايجابية)، ثم ديل ايكلمان، وتيموثي ميتشل، وجون ايسبوسيتو، وغراهام فولر.

وفي الفصل الثاني حرص المؤلف على استقراء مواقف أوروبية جديدة ومختلفة في نظرتها إلى الإسلام المعاصر بدأت بالرؤى الألمانية لدى جيرنوت روتر، ثم فريدمان بوتنر، وليس بعيداً عن ألمانيا استقرأت رؤية مختلفة قادمة من السويد هذه المرة مع انجمار كارلسون وهو يدرس الإسلام المعاصر على ضوء جدلية الخوف المتبادل بين الغرب والإسلام بعد ذلك التوقف عند واحدة من أهم رؤى الاختلاف في المنظور الفرنسي إلى الإسلام المعاصر، تلك هي مساهمة الباحث الفرنسي الكبير برتراند بادي الذي دعا إلى نقض الحداثة الشمولية، والالتفات إلى الحداثات الهامشية، ومنها تجربة الحداثة في البلدان الإسلامية الحديثة والمعاصرة.

ويلاحظ المؤلف أن هذه الرؤى مجتمعة تعبر عن رؤى جديدة لدى الأمريكيين والأوروبيين في دراسة الإسلام المعاصر اسماها «ما بعد الاستشراق» كونها تنحو إلى الاختلاف في قراءة الظاهرة الإسلامية، وبقدر ما تستند إلى منزع تأويلي نراها تركن إلى الاستقراء والمعاينة المباشرة لمعطيات هذه الظاهرة، إيماناً بأننا مثلما ننزر أيضاً ونتابع بجد وبإخلاص الرؤى المغايرة للرؤى السلبية لا بد أن نفيد منها، ونستخلص ما يمكن أن يسوغ لنا الحوار مع الغرب على أساسها ضمن منطلقات التعارف البشري والحضاري والثقافي.

ويشير المؤلف إلى أن القصد من هذا الكتاب ليس الاحتفال بهذه الرؤى، ولا التبشير مجدداً بالفكر الغربي حول الإسلام – مع أن هذه مهمة ذات قيمة ثقافية، وفكرية ضرورية – إنما القصد هو المتابعة لفكر الاختلاف، ومعطيات المثاقفة الجديدة لا أكثر.

ويختتم الكتاب بفصل ثالث يتضمن قراءات أخرى في فكر المثاقفة عن الإسلام، وحداثة الغرب الأولى، ثم العلاقة بين الإسلام والعولمة في ضوء جدلية الاجتهاد والتنافذ مع العصر، وقراءة في موضوع الإسلام والمثاقفة الجديدة بشيء عن عولمة الهوية، ومخرج لازمة العلاقة بين العقل والتاريخ.

ويؤكد المؤلف أن هناك افتراقاً داخل الولايات المتحدة الأمريكية في نظرتها الكلية إلى الإسلام المعاصر، وهذه الرؤية بطبيعتها قائمة على أساس سياسي وهو شأن النظرة الأمريكية إلى الإسلام منذ نشأت حتى اليوم، إذ نجد هناك فئة من الأكاديميين الأمريكيين تنضر أراء تجاه الإسلام غير التي تنضرها فئة أخرى ممن يضعون استراتيجية ما للإدارة الأمريكية بإزاء الإسلام، والملاحظ في هذا الصراع أنه يوماً بعد آخر يتسع في فجواته، ويبدو أن كل طرف محق في ما يرى في الاتهامات المتبادلة بينهما، فالأكاديمي يكتسب فكره قدراً من الوضوح والصحة الفكرية، ورجل السياسة وصانعها يؤكد أهمية تحقيق نجاحات على أرض الواقع قائمة على أساس الفلسفة النفعية أو (البراجماتية) كما هو المصطلح، على العكس من ذلك حيث يسعى الأكاديمي ورجل المعرفة المنظمة القائمة إلى إحلال النظرية على العدالة والمساواة الإنسانية.

المصدر : http://www.dawaweb.info

==============

#الحروب الصليبية ومناهج الاستشراق

حسن الباش

شغلت الحروب الصليبية حيزاً واسعاً من التأليف والتدوين والتأريخ، فكتب فيها من عايشها من المؤرخين العرب والمسلمين كابن شداد، وأسامة بن منقذ، واستند على تدوينهم معظم المؤرخين العرب القدامى كابن الأثير، والطبري، ومن عايشهم في عصور انحدار الدولة العربية.

ولما لم تكن هذه الحروب محلية أو محصورة، فإنها في وقتها وما بعده من سنين فتح الباب على مصراعيه ليكتب عنها المستشرقون الغربيون على شتى مناهجهم وتوجهاتهم، وتصل إلى أيدينا مادة ضخمة حول هذه الحروب وآثارها على كافة المستويات الاجتماعية والسياسية والثقافية.

وبطبيعة الحال فإن الإنصاف والحيادية لم يكونا بعيدين كثيراً عن التحيز والتعصب، وخاصة أن المستشرقين الذين يدعون تلك الحيادية والموضوعية ظلت تشدهم جذورهم الدينية والتاريخية ليقعوا في مطب الهوى، وتصوير الأحداث تصويراً مخالفاً للحقيقة.

ومع ذلك كله فقد جاء القرن الماضي أي القرن العشرين ليفرز نوعين من المستشرقين في العالم الغربي، وبرز المؤرخون السوفيات كطرف، والمؤرخون الأوروبيون الغربيون كطرف آخر، والحقيقة أن الحروب الصليبية بشكلها العام كانت ذات توجه أوروبي غربي تقوده الكنيسة البابوية، ويجمع تحت ظلها غالبية أبناء أوروبا الغربية كالفرنسيين والطليان والإنجليز والهولنديين وغيرهم.

ومن الطبيعي أيضاً أن المؤرخين السوفيات الذين ينتمون تاريخياً إلى الكنيسة الأرثوذكسية رأوا أن الكنيسة البابوية الكاثوليكية كانت تنظر نحو الأرثوذكس نظرة دونية، ويعتبرون الكنيسة الأرثوذكسية خارجة عن المسيحية، ولهذا السبب اكتوى المنتمون لهذا المذهب بنار المذهبية، وقدموا ضحايا كثيرين بسبب التعصب الصليبي الكاثوليكي، بل إن الحملات الصليبية الغربية هاجمت مئات القرى والمدن

في أوروبا الشرقية، وقتلت المئات من أبنائها، صحيح أن ذلك حدد الرؤية التاريخية للمستشرقين السوفيات، ولكن علم التاريخ الذي خاض فيه المستشرقون فتح آفاقاً كبرى لمن يريد الكشف عن حقائق الحروب الصليبية وأهدافها، ولعل في التناقض الصارخ بين منهجين استشراقيين غربيين ما يفتح الأبواب على دراسة طبيعة الاستشراق، وغاياته، وأهدافه من ناحية، ويحقق للقارئ الكشف عن دقائق الأمور في الصراع بين الشرق والغرب في القرن العاشر وما بعده.

ومن المعروف لدى المهتمين بالحروب الصليبية ووقائعها أن المستشرق الفرنسي رينيه كروسيه يعتبر من أهم الباحثين الفرنسيين المتخصصين في تأريخ الحروب الصليبية، وهو بالمحصلة يمثل تياراً غربياً استشراقياً عمل في تدوين وقائع تلك الحروب في ثلاثة مجلدات تعتبر أهم مراجع البحث في الموسوعات الفرنسية التاريخية، ومرجعاً لكل طالب يدرس التاريخ في الجامعات الفرنسية، ولما كان كثير من الطلاب العرب الذين يدرسون التخصص ليحصلوا على شهادات الدراسات العليا مضطرين للعودة إلى المراجع الأولى في الجامعات الفرنسية فإنهم يقعون فريسة الأفكار التاريخية التي وصفها كروسيه وغيره من المستشرقين، والأخطر من ذلك أنهم يعودون إلى بلدانهم العربية يحملون هذه الأفكار، وينقلونها إلى طلبة الجامعات، مما يؤدي بالتالي إلى تغيير حقائق الحروب الصليبية، وحرفها عن واقعيتها، وإيقاع قارئيها في مطب التشوّش التاريخي، وعدم الثقة بالمؤرخين العرب الذين عايشوا تلك الحروب وكتبوا عنها.

ومنذ البداية تظهر كتابة كروسيه عن الحروب الصليبية على اعتبارها حروبه هو وحروب الغربيين ضد الشرق الإسلامي، دون النظر إلى طبيعة تحرك هذه الحروب على اعتبارها غزواً واستعماراً لهذا الشرق.

يقول كروسيه: ينبغي لنا نحن الأوروبيون الاعتراف بحق لهؤلاء الأباطرة الأشداء الذين حكموا في تلك الظروف الصعبة بفضلهم في إنقاذ معقل الحضارة الأوروبية، فإن أيام القسطنطينية المشهودة في عام 717 . 718م التي صد فيها ليون الإيسوري زحف الهجوم الإسلامي في الشرق لا تقل أهميتها بشيء عن معركة بواتيه (بلاط

الشهداء) عام 732م الذي أوقف فيه قائدنا الفرنسي شال مارتل هجوماً آخر مشابهاً في الغرب.

ويرى كروسيه أن الحروب الصليبية بدأت فعلياً منذ عصر بني أمية، واشتدت زمن بني العباس، حتى إنه يعتبر معركة عمورية التي قادها المعتصم من أشهر الحروب الصليبية باعتبارها حرباً دفاعية ضد المسلمين الذين غزوا بلاد الإمبراطورية البيزنطية.

ونلاحظ أن كثيراً من الحقائق يغيبها كروسيه حيث يتحدث مثلاً عن وقعة عمورية، ويبدي حزنه الشديد لأنه حسب ما يكتب يرى في أبعاد المعركة انتهاكاً لحقوق الصليبيين الدينية، يقول: في عام 1838م اقتحم المسلمون مدينة آموريوم الواقعة في قلب فيريجيا، وانتهبوها، وأما قادة حاميتها البيزنطية فقد أبقوا في الأسر مدة طويلة، ثم صدر الأمر بإعدامهم لرفضهم اعتناق الديانة الإسلامية عام 845م، وقد اشتهر هؤلاء باسم شهداء أموريوم الاثنين والأربعين، وتوضح هذه الحادثة بجلاء كيف أن تلك الحروب القديمة بين المسلمين والبيزنطيين يمكن اعتبارها بشكل أو بآخر بمثابة حروب صليبية باكرة، وهنا يبدو التعصب التاريخي المنحاز للغرب، فالحقائق تُخفى وتجرد الحوادث التاريخية من أسبابها.

فمدينة أموريوم (عمورية) التي عرفت رداً إسلامياً قاسياً من قبل المسلمين على انتهاك حرماتهم وأراضيهم، فالرومان هاجموا مدينة زبطرة العربية واستباحوها، ووقعت في أسرهم النساء، ومنهن امرأة هاشمية صرخت وامعتصماه، ولما وصل الخبر الخليفة العباسي رد على الرومان بأن غزا عمورية بجيش قوامه ستون ألفاً.

أما قصة إعدام الحامية البيزنطية وعدد أفرادها اثنان وأربعون عنصراً لأنهم لم يعتنقوا الدين الإسلامي فهي قصة تفتقد إلى دقة الخبر وصحته، فهذه الحامية كما تذكر كتب التاريخ لم تكن سوى ضباط وجنود رومان ظلوا سبع سنوات وهم معتقلون، وجرت مفاوضات لتبادلهم مع بعض الأسرى المسلمين الذين ظلوا في السجون البيزنطية سنوات، وقد حاول الرومان التأثير عليهم لتنصيرهم حتى لو كان عن طريق القوة، ولما لم يستجيبوا نفذ حكم الإعدام ببعضهم، ولما علم المسلمون بذلك نفذوا حكم الإعدام ببعض أفراد تلك الحامية الرومانية.

وجرياً على عادة تغيير الحقائق فقد قال كروسيه عن أحداث 1009 . 1010م إن كنيسة القبر المقدس (أي القيامة) بالقدس هُدمت وسويت بالأرض بأكملها تقريباً وذلك من قبل الخليفة الفاطمي، وتغافل كروسيه أن كنيسة القيامة كانت تخص المسيحيين العرب وليس المتنصرين الغربيين، وهذه الحادثة لم تحدث قط، ولكن كروسيه الذي يمهد للحروب الصليبية يضع منذ البداية حكايات غير واقعية مبرراً من خلالها ما قام به الصليبيون عندما اقتحموا مدينة القدس، وفتكوا بأهلها.

وحين يغوص في التبريرات يرى أن الحملات الصليبية المتتالية ليست إلا رداً على اقتحام المسلمين بعض السواحل الإيطالية، والجزر الغربية القريبة منها، فيقول مثلاً "وقامت إحدى فرق المسلمين بعملية اتصفت بجرأة واجتراء خارقين، تمكنوا فيها من الإغارة على كنيسة مار بطرس الكبرى في قلب روما عام 846م".

وبمعنى آخر لم تكن الحروب الصليبية سوى رد دفاعي على المسلمين خاصة المسلمين الذين انطلقوا من تونس والجزائر لغزو السواحل الجنوبية الإيطالية، وجزيرة صقلية، وسردينيا وغيرها حسب قول المؤرخ المستشرق كروسيه، فإذا كانت الحروب الصليبية رداً دفاعياً فلماذا ظل الصليبيون قابعين حوالي مائتي عام في بعض المدن والمناطق العربية؟ كطرابلس، والرها، وأنطاكية، ولماذا ظلوا في القدس محتلين أكثر من تسعين عاماً؟ لماذا أقاموا ممالك وإمارات في المناطق التي احتلوها، وأبادوا سكانها؟ فالحروب الصليبية لم تكن حروباً دفاعية، إنما هي حروب هجومية احتلالية، همجية دموية.

وحينما ننظر إلى منهج آخر من مناهج المستشرقين نرى ميخائيل زابوروف يتصدر المستشرقين السوفيات في تناوله للحروب الصليبية.

رينيه كروسيه يصور الصليبيين بالأبطال كونهم تصدوا في البدايات للجيوش الإسلامية، وأوقفوا زحفها كما يقول، أما زابوروف فيصورهم على حقيقتهم منطلقاً من موقف إنساني موضوعي واقعي صحيح، فيقول مثلاً عند تقدم جيوش الصليبيين حول أسوار القدس:

"إن حمامات الدم، وعمليات النهب الشاملة المقترفة في القدس قد حجبت المآثم والوحشيات المقترفة في أنطاكية".

ويصف المشهد قائلاً: "والمجازر وعمليات النهب والسلب تخللتها الصلوات المحمومة أمام قبر السيد المسيح، ومن الصلوات كان الفرسان ينتقلون في الحال إلى الأعمال الدموية، كانوا يقتلون الجميع من رجال ونساء، وأطفال وشيوخ، وأصحّاء ومقعدين، وفي المسجد الأقصى ذبح الصليبيون ما لا يقل عن عشرة آلاف شخص، وهذا العدد يذكره على كل حال شهود العيان اللاتين"، "ولم يكن ثمة مكان كان بوسع المسلمين أن يتحاشوا فيه القتلة، وكانوا يسحقون رؤوس الرضع على الحجارة".

أما منطق رينيه كروسيه فهو منطق الغرب الذي خبرناه على مدى الزمن الاستعماري الذي حلّ في بلادنا العربية.

فيقول كروسيه في وصفه لاحتلال القدس: "وهكذا تم سقوط القدس بأيدي الصليبيين إثر اقتحام مروّع بذل فيه كودمزواري بديون كل قواه، وعرض نفسه للموت بجسارة، ولكن أعقب ذلك – مع الأسف – مذبحة بشعة لسكان المدينة من المسلمين، وكانت آثار هذه المذبحة لا إنسانية وفاسدة سياسياً، فإن مسلمي القدس كانوا من النوع الذي يشكل عقبة كأداء أمام الفاطميين لاحتلال باقي مدن الساحل الفلسطيني".

فرينيه كروسيه يمجد بطولة قائد الحملة، ويصف عمله بالجسارة، ثم يحلل المذبحة واحتلال القدس فيقول: إن المعركة خاسرة لأن أهل القدس كانوا معارضين للفاطميين في مصر، ولم يتحدث عن المجزرة المروعة إلا بهذا الاقتضاب العابر.

ويرى زابوروف أن مؤرخي هذه الأحداث من الغربيين يصفون هذا الحدث بقدر متفاوت من الإسهاب والتفصيل، ويتحدثون بتفاصيل طبيعية عن أعمال جنود الرب التي تبدو لهم جديرة بالمديح والثناء.

ويوضح زابوروف غاية من غايات الحروب الصليبية حيث يقول: "فبعد فتح الرملة التي صارت أسقفية أخذت ترتفع بينهم أصوات تطالب بالتوجه إلى مصر وبابل، وينقل مدونو الأخبار هذه المشاريع الخيالية التي تزاحمت في رؤوس أشد جند المسيح جشعاً وغروراً، وكأنهم نسوا مساعدة الإخوان المسيحيين، ولم يكونوا يفكرون إلا بإمكان فتح كثير من الممالك".

وحين يتحدث المستشرقون عن موقعة حطين، وتحرير بيت المقدس على يد صلاح الدين والجيش الإسلامي تبرز بعض الموافقات والتطابقات في الرواية، إلا أن الاختلاف يقع في النظرة الاستراتيجية للحدث برمته.

فرينيه كروسيه اعتبر معركة حطين كارثة، وأن تحرك صلاح الدين كان عبارة عن اقتناص للمدن الفرنجية على حد قوله.

أما لغة زايوروف فإنها تجاري الحق والواقع حيث قال: "كان انتصار صلاح الدين في حطين مقدمة للنجاحات التي أحرزها المسلمون فيما بعد".

وفي الحديث عن صلاح الدين ومعاملته للناس عندما فتح مدينة القدس واستعادها من أيدي الصليبيين فتتقارب الآراء كثيراً، ويبدو أن معاملة صلاح الدين التي شهدها الأعداء قبل الأصدقاء لم يكن بمقدور أحد أن يخفيها.

فرينيه كروسيه يقول: "ولقد سمح صلاح الدين بأريحية كريمة تنم عن روح الفروسية العالية لسكان القدس من المسيحيين بمغادرة المدينة المقدسة، والجلاء عنها بحرية وسلام، كما أنه رفض رفضاً قاطعاً تهديم كنيسة القبر المقدس".

أما زابورف فيقول: "برهن صلاح الدين أنه رجل دولة حكيم، فعامل القدس وسكانها معاملة أرق وأخف بكثير مما عاملهم الغزاة الصليبيون حين انتزعوا المدينة من حكم مصر قبل ذلك بنحو مئة عام، فلم تقع قساوات لا معنى لها، ولم تحدث تدميرات".

في هذا الإطار يمكن لنا أن نتعرف على منهجين استشراقيين تناولا الحروب الصليبية، ولكلٍ منهما وجهة نظر مختلفة، وهذا الاختلاف يتجلى في الموقف من هذه الحروب، ومن أهدافها، وعليه فإن اختلافاً يقع في التسميات والمصطلحات، وكذلك في وصف الأمور من خلال الهوى النفسي أحياناً، ومن خلال الخلفية الفكرية والتاريخية لكل منهج.

المصدر: http://www.qudsway.to

==============

#التراث والاستشراق

نورة الغامدي

يمكن القول بأن الاستشراق بمعناه العام يشير إلى الدراسات والأبحاث والأعمال الكتابية التي قام بها مفكرون غربيون عن الشرق – وهو فرع من فروع المعرفة في الثقافة الغربية وموضوعه الشرق –، وكلمة استشراق تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق ولغاته وآدابه وحضارته.

ويبدو أن الاستشراق تاريخياً برز منذ بدايات القرن الرابع عشر الميلادي عندما أنشئ عدد من كراسي الأستاذية في اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية، وهذا ما عرف بداية الاستشراق الرسمي، في حين يرى البعض أنّ الاستشراق بدأ قبل ذلك التاريخ حينما بدأت الكنيسة جهودها في مواجهة الإسلام والمسلمين، وتزايد مع الحروب الصليبية، وظل مستمراً مع سيطرة الاستعمار الأوروبي الحديث على العالم الإسلامي، ومنذ ذاك الحين اندفع المستشرقون بحركة قوية لامتلاك أكبر قدر ممكن من التراث المادي (اثري)، وفكري (كتب ومخطوطات)، وقاموا بدراسته وفق مناهجهم، ومستوى فهم كل واحد منهم ودربته في البحث والتاريخ، فجاء أكثره مشوهاً، وبعضه سليماً، أما المنهجية في الرواية الاستشراقية فكانت تقوم على معارضة الثقافات على قراءة تراث وتراث، بمعنى آخر تقدم تفسيراً للتراث العربي الإسلامي من خلال تراثهم هم، ثم يقطع أوصال هذا التراث عند تقسيمه وتشتيته من خلال غياب النظرة التاريخية وغير الموضوعية.

واختلطت دوافع وأهداف الاستشراق باختلاط مراحله بالأهداف التبشيرية والاستعمارية ثم الصهيونية، وضمت حركة الاستشراق عدداً هائلاً من المؤسسات والمجلات ودور النشر والكتب والأبحاث، وبرز عدد كبير من المستشرقين الذين حملوا روحاً عدائية واضحة مثل (بيكر) و(غولد تسهير) و(بيرحر) و(برنارد لويس) و(بارتولد).. وبالمقابل ظهرت بعض الأعمال الاستشراقية التي اتسمت بالروح العلمية، ولا تحمل دوافع عدائية مثل (ريلاندرس) و(يوهان رايسسكه)..

ومن المفاهيم الخطرة التي طرحها الاستشراق محاولتهم التأكيد على مفهوم الذات المنعكسة للإنسان العربي المسلم في (إدراك الإنسان لنفسه كما يراه الآخرون)، في حين أسهم بعضهم أسهاماً واضحاً في تحقيق كتب التراث وفهرستها، وفهمها بشكل مميز، وبرزت أراؤهم بموضوعية معتدلة مثل أعمال (جو ستاف لوبون) و (سيدو) و

(تويني)، ووجد بعض الباحثين العرب المسلمين في مثل هذه الأعمال قرباً أكثر من تراثهم، ومجالاً للاعتزاز بماضيهم وحضارتهم، لهذا فإن الحاجة لا تزال قائمة لتصحيح وعينا بتراثنا، وهذا يتطلب إعادة الأمور إلى نصابها بأخذ زمام المبادرة من المستشرقين، وإعادة دراسة التراث ذاته من الداخل على أيد عربية إسلامية، ذات كفاية وخبرة ودراية، وأن تتم معالجة التراث كوحدة ضمن سياقة التاريخ الطبيعي، متسلحين برؤية تاريخية واعية، متطلعين إلى بناء المستقبل انطلاقاً من معطيات واقعنا وخصوصيتنا ومقومات شخصيتنا، وحتى يصبح التراث معاصراً لذاته ومعاصراً لنا في آن.

المصدر : http://www.al-jazirah.com.sa

================

#الاستشراق

التعريف:

الاستشراق تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم، ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته، وأديانه، وآدابه، ولغاته، وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة، وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

– البدايات:

– من الصعب تحديد بداية للاستشراق، إذ أن بعض المؤرخين يعودون به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس، في حين يعود به آخرون إلى أيام الصليبيين، بينما يرجعه كثيرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري، وأنه نشط في الشام بواسطة الراهب يوحنا الدمشقي في كتابين الأول: حياة محمد، والثاني: حوار بين مسيحي ومسلم، وكان هدفه إرشاد النصارى في جدل المسلمين، وأياً كان الأمر فإن

حركة الاستشراق قد انطلقت بباعث ديني يستهدف خدمة الاستعمار وتسهيل عمله، ونشر المسيحية.

- وقد بدأ الاستشراق اللاهوتي بشكل رسمي حين صدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام 1312م وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية.

- لم يظهر مفهوم الاستشراق في أوروبا إلا مع نهاية القرن الثامن عشر، فقد ظهر أولاً في إنجلترا عام 1779م، وفي فرنسا عام 1799م، كما أدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838م.

- هربر دي أورلياك (938-1003م) من الرهبانية البندكتية، قصد الأندلس، وقرأ على أساتذتها، ثم انتخب بعد عودته حبراً أعظم باسم سلفستر الثاني 999 - 1003م فكان بذلك أول بابا فرنسي.

- في عام 1130م قام رئيس أساقفة طليطلة بترجمة بعض الكتب العلمية العربية.

- جيرار دي كريمونا 1114- 1187م إيطالي، قصد طليطلة، وترجم ما لا يقل عن 87 مصنفاً في الفلسفة والطب والفلك وضرب الرمل.

- بطرس المكرم 1094-1156م فرنسي من الرهبانية البندكتية، رئيس دير كلوني، قام بتشكيل جماعة من المترجمين للحصول على معرفة موضوعية عن الإسلام، وقد كان هو ذاته وراء أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية 1143م التي قام بها الإنجليزي روبرت أوف كيتون.

- يوحنا الإشبيلي: يهودي متنصر ظهر في منتصف القرن الثاني عشر، وعني بعلم التنجيم، نقل إلى العربية أربعة كتب لأبي معشر البخلي 1133م، وقد كان ذلك بمعاونة إدلر أوف باث.

- روجر بيكون 1214-1294م إنجليزي، تلقى علومه في أكسفورد وباريس، حيث نال الدكتوراه في اللاهوت، ترجم عن العربية كتاب مرآة الكيمياء نورمبرج 1521م.

- رايموند لول 1235-1314م قضى تسع سنوات 1266- 1275م في تعلم العربية، ودراسة القرآن، وقصد بابا روما وطالبه بإنشاء جامعات تدرس العربية

لتخريج مستشرقين قادرين على محاربة الإسلام، ووافقه البابا، وفي مؤتمر فينا سنة 1312م تم إنشاء كراس للغة العربية في خمس جامعات أوربية هي: باريس، اكسفورد، وبولونيا بإيطاليا، وسلمنكا بأسبانيا، بالإضافة إلى جامعة البابوية في روما.

– قام المستشرقون بدراسات متعددة عن الإسلام واللغة العربية والمجتمعات المسلمة، ووظفوا خلفياتهم الثقافية وتدريبهم البحثي لدراسة الحضارة الإسلامية، والتعرف على خباياها لتحقيق أغراض الغرب الاستعمارية والتنصيرية.

– وقد اهتم عدد من المستشرقين اهتماماً حقيقياً بالحضارة الإسلامية، وحاول أن يتعامل معها بموضوعية، وقد نجح عدد قليل منهم في هذا المجال، ولكن حتى هؤلاء الذين حاولوا أن ينصفوا الإسلام وكتابه ورسوله – صلى الله عليه وسلم – لم يستطيعوا أن ينفكوا من تأثير ثقافاتهم وعقائدهم، فصدر منهم ما لا يقبله المسلم، وهذا يعني أن أي تصنيف للمستشرقين إلى منصفين ومتعصبين هو أمر تختلف حوله الآراء، فقد يصدر ممن عرف عن الاعتدال قولاً أو رأياً مرفوضاً، وقد يحصل العكس فتكون بعض آراء المتعصبين إنصافاً جميلاً للإسلام، ولهذا نتوقع أن تكون بعض الأسماء التي شملها تصنيفنا الآتي محل نظر.

• مستشرقون منصفون:

– هادريان ريلاند ت1718م أستاذ اللغات الشرقية في جامعة أوترشت بهولندا، له كتاب الديانة المحمدية في جزأين باللغة اللاتينية 1705م، لكن الكنيسة في أوروبا وضعت كتابه في قائمة الكتب المحرم تداولها.

– يوهان ج. رايسكه 1716–1774م هو مستشرق ألماني جدير بالذكر، اتهم بالزندقة لموقفه الإيجابي من الإسلام، عاش بائساً ومات مسلولاً، وإليه يرجع الفضل في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية بألمانيا.

– سلفستر دي ساسي: 1838م اهتم بالأدب والنحو مبتعداً عن الخوض في الدراسات الإسلامية، وإليه يرجع الفضل في جعل باريس مركزاً للدراسات العربية، وكان ممن اتصل به رفاعة الطهطاوي.

– توماس أرنولد 1864–1930م إنجليزي، له الدعوة إلى الإسلام الذي نقل إلى التركية والأردية والعربية.

- غوستاف لوبون: مستشرق وفيلسوف مادي، لا يؤمن بالأديان مطلقاً، جاءت أبحاثه وكتبه الكثيرة متسمة بإنصاف الحضارة الإسلامية مما دفع الغربيين إلى إهماله وعدم تقديره.

- زيجريد هونكه: اتسمت كتابتها بالإنصاف وذلك بإبرازها تأثير الحضارة العربية على الغرب في مؤلفها الشهير شمس العرب تسطع على الغرب.

- ومن المعتدلين: جاك بيرك، أنا ماري شمل، وكارلايل، ورينيه جينو، والدتور جرينيه وجوته الألماني.

- أ. ج. أربري، من كتبه الإسلام اليوم صدر 1943م، وله التصوف صدر 1950م، وترجمة معاني القرآن الكريم.

• مستشرقون متعصبون:

- جولد زيهر 1850-1920م مجري يهودي، من كتبه تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي، والعقيدة والشريعة، ولقد أصبح زعيم الإسلاميات في أوروبا بلا منازع.

- جون مايناردِ أمريكي متعصب، من محرري مجلة الدراسات الإسلامية.

- ص م. زويمر مستشرق مبشر، مؤسس مجلة العالم الإسلامي الأمريكية، له كتاب الإسلام تحد لعقيدة صدر 1908م، وله كتاب الإسلام عبارة عن مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني سنة 1911م في لكهنئو بالهند.

- غ. فون. غرونباوم ألماني يهودي، درس في جامعات أمريكا، له كتاب الأعياد المحمدية 1915م ودراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية 1954م.

- أ. ج. فينسينك عدو للإسلام، له كتاب عقيدة الإسلام 1932م، وهو ناشر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي في لغته الأولى.

- كينيث كراج أمريكي متعصب، له كتاب دعوة المئذنة 1956م.

- لوي ماسينيون فرنسي، مبشر، مستشار في وزارة المستعمرات الفرنسية لشؤون شمال أفريقيا، له كتاب الحلاج الصوفي شهيد الإسلام 1922م.

- د. ب. ماكدونالد أمريكي، متعصب مبشر، له كتاب تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية 1930م، وله الموقف الديني والحياة في الإسلام 1908م.

- مايلز جرين سكرتير تحرير مجلة الشرق الأوسط.

– د. س. مرجليوث 1885–1940م إنجليزي متعصب، من مدرسته طه حسين وأحمد أمين، وله كتاب التطورات المبكرة في الإسلام صدر 1913م، وله محمد ومطلع الإسلام صدر 1905م وله الجامعة الإسلامية صدر 1912م.

– بارون كارادي فو فرنسي، متعصب، من كبار محرري دائرة المعارف الإسلامية.

– هـ. أ. ر. جب 1895–1965م إنجليزي، من كتبه المذهب المحمدي 1947م والاتجاهات الحديثة في الإسلام 1947م.

– ر. أ. نيكولسون إنجليزي، ينكر أن يكون الإسلام ديناً روحياً، وينعته بالمادية وعدم السمو الإنساني، وله كتاب متصوفوا الإسلام 1910م وله التاريخ الأدبي للعرب 1930م.

– هنري لامنس اليسوعي 1872–1937فرنسي، متعصب، له كتاب الإسلام وله كتاب الطائف، من محرري دائرة المعارف الإسلامية.

– دوزيف شاخت ألماني متعصب ضد الإسلام، له كتاب أصول الفقه الإسلامي.

– بلاشير: كان يعمل في وزارة الخارجية الفرنسية كخبير في شؤون العرب والمسلمين.

– ألفردجيوم إنجليزي، متعصب ضد الإسلام من كتبه الإسلام.

– الأفكار والمعتقدات:

• أهداف الاستشراق

– الهدف الديني:

كان هذا الهدف وراء نشأة الاستشراق، وقد صاحبه خلال مراحله الطويلة، وهو يتمثل في:

1) التشكيك في صحة رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم –، والزعم بأن الحديث النبوي إنما هو من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، والهدف الخبيث من وراء ذلك هو محاربة السنة بهدف إسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لأحكام الإسلام ولحياة الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته.

2) التشكيك في صحة القرآن والطعن فيه، حتى ينصرف المسلمون عن الالتقاء على هدف واحد يجمعهم، ويكون مصدر قوته، وتنأى بهم اللهجات القومية عن الوحي باعتباره المصدر الأساسي لهذا الدين (تنزيل من حكيم حميد).

3) التقليل من قيمة الفقه الإسلامي، واعتباره مستمداً من الفقه الروماني.

4) النيل من اللغة العربية واستبعاد قدرتها على مسايرة ركب التطور، وتكريس دراسة اللهجات لتحل محل العربية الفصحى.

5) إرجاع الإسلام إلى مصادر يهودية ونصرانية بدلاً من إرجاع التشابه بين الإسلام وهاتين الديانتين إلى وحدة المصدر.

6) العمل على تنصير المسلمين.

7) الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والأخبار الموضوعة في سبيل تدعيم آرائهم، وبناء نظرياتهم.

8) لقد كان الهدف الاستراتيجي الديني من حملة التشويه ضد الإسلام هو حماية أوروبا من قبول الإسلام بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحروب الصليبية.

- الهدف التجاري:

لقد كانت المؤسسات، والشركات الكبرى، والملوك كذلك؛ يدفعون المال الوفير للباحثين من أجل معرفة البلاد الإسلامية وكتابة تقارير عنها، وقد كان ذلك جلياً في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع والعشرين.

- الهدف السياسي يهدف إلى:

1) إضعاف روح الإخاء بين المسلمين، والعمل على فرقتهم لإحكام السيطرة عليهم.

2) العناية باللهجات العامية، ودراسة العادات السائدة لتمزيق وحدة المجتمعات المسلمة.

3) كانوا يوجهون موظفيهم في هذه المستعمرات إلى تعلم لغات تلك البلاد، ودراسة آدابها ودينها ليعرفوا كيف يسوسونها ويحكمونها.

4) في كثير من الأحيان كان المستشرقون ملحقين بأجهزة الاستخبارات لسبر غور حالة المسلمين، وتقديم النصائح لما ينبغي أن يفعلوه لمقاومة حركات البعث الإسلامي.

- الهدف العلمي الخالص:

بعضهم اتجه إلى البحث والتمحيص لمعرفة الحقيقة خالصة، وقد وصل بعض هؤلاء إلى الإسلام ودخل فيه، نذكر منهم:

1) توماس أرنولد الذي أنصف المسلمين في كتابه الدعوة إلى الإسلام.

2) المستشرق الفرنسي رينيه فقد أسلم، وعاش في الجزائر، وله كتاب أشعة خاصة بنور الإسلام مات في فرنسا لكنه دفن في الجزائر.

- الكتب والمؤتمرات والمجلات:

- تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان ت1956م.

- دائرة المعارف الإسلامية: ظهرت الطبعة الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية وقد صدرت في الفترة 1913-1938م، غير أن الطبعة الجديدة قد ظهرت بالإنجليزية والفرنسية فقط من عام 1945-م وحتى عام 1977م.

- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف والذي يشمل الكتب الستة المشهورة بالإضافة إلى مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل وقد وضع في سبعة مجلدات نشرت ابتداء من عام 1936م.

- لقد بلغ ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف قرن (منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين) ستين ألف كتاب.

- المؤتمرات والجمعيات:

- عقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس سنة 1873م.

- تتابعت المؤتمرات بعد ذلك حتى بلغت أكثر من ثلاثين مؤتمراً دولياً، فضلاً عن الندوات واللقاءات الإقليمية الكثيرة الخاصة بكل دولة من الدول كمؤتمر المستشرقين الألمان الذي عقد في مدينة درسدن بألمانيا عام 1849م، وما تزال تنعقد مثل هذه المؤتمرات باستمرار حتى الآن.

- يحضر هذه المؤتمرات مئات من العلماء المستشرقين، حيث حضر مؤتمر أكسفورد تسعمائة (900) عالم من خمس وعشرين دولة، وثمانين جامعة، وتسع وستين جمعية علمية.

- هناك العديد من الجمعيات الاستشراقية كالجمعية الآسيوية في باريس تأسست عام 1822م، والجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وايرلندا عام 1823م، والجمعية الشرقية الأمريكية عام 1842م، والجمعية الشرقية الألمانية عام 1845م.

• المجلات الاستشراقية:

للمستشرقين اليوم من المجلات والدوريات عد هائل يزيد على ثلاثمائة مجلة متنوعة، وبمختلف اللغات نذكر منها على سبيل المثال:

1) مجلة العالم الإسلامي أنشأها صموبل زويمر ت1952م في بريطانيا سنة 1911م وقد كان زويمر هذا رئيس المبشرين في الشرق الأوسط.

2) مجلة عالم الإسلام ظهرت في بطرسبرج عام 1912م لكنها لم تعمر طويلاً.

3) مجلة ينابيع الشرق أصدرها هامر برجشتال في فيينا من 1809 إلى 1818م.

4) مجلة الإسلام ظهرت في باريس عام 1895م ثم خلفتها عام 1906م مجلة العالم الإسلامي التي صدرت عن البعثة العلمية الفرنسية في المغرب، وقد تحولت بعد ذلك إلى مجلة الدراسات الإسلامية.

5) في عام 1910م ظهرت مجلة الإسلام.

الاستشراق وخدمة الاستعمار:

- كارل هنيريش بيكر ت1933م مؤسس مجلة الإسلام الألمانية، قام بدراسات تخدم الأهداف الاستعمارية في أفريقيا.

- بار تولد لآشقفاخمي ت 1930م مؤسس مجلة عالم الإسلام الروسية، قام ببحوث تخدم مصالح السيادة الروسية في آسيا الوسطى.

- الهولندي سنوك هرجرونجه 1857-1936م قدم إلى مكة عام 1884م تحت اسم عبد الغفار، ومكث مدة نصف عام، وعاد ليكتب تقارير تخدم الاستعمار في المشرق الإسلامي، وقد سبق له أن أقام في جاوه مدة 17 سنة، وقد صدرت الصور التي أخذها لمكة والأماكن المقدسة في كتاب بمناسبة مرور مئة سنة على تصويرها.

– معهد اللغات الشرقية بباريس المؤسس عام 1885م كانت مهمته الحصول على معلومات عن البلدان الشرقية، وبلدان الشرق الأقصى مما يكل أرضية تسهل عملية الاستعمار في تلك المناطق.

– وهكذا نرى أن مثل هؤلاء المستشرقين جزء من مخطط كبير هو المخطط الصهيوني الصليبي لمحاربة الإسلام، ولا نستطيع أن نفهمهم على حقيقتهم إلا عندما نراهم في إطار ذلك المخطط الذي يهدف إلى تخريج أجيال لا تعرف الإسلام، أو لا تعرف من الإسلام إلا الشبهات، وقد تم انتقاء أفراد من هذه الأجيال لتتبوأ أعلى المناصب، ومراكز القيادة والتوجيه لتستمر في خدمة الاستعمار.

آراء استشراقية خطرة:

– جورج سيل زعم في مقدمة ترجمته لمعاني القرآن 1736م أن القرآن إنما هو من اختراع محمد ومن تأليفه، وأن ذلك أمر لا يقبل الجدل.

– ريتشارد بل يزعم بأن النبي محمداً – صلى الله عليه وسلم – قد استمد القرآن من مصادر يهودية، ومن العهد القديم بشكل خاص، وكذلك من مصادر نصرانية.

– دوزي ت 1883م: يزعم أن القرآن الكريم ذو ذوق رديء للغاية، ولا جديد فيه إلا القليل، كما يزعم أن فيه إطناباً بالغاً ومملاً إلى حد بعيد.

– جاء في تقرير وزير المستعمرات البريطاني أومسبي غو لرئيس حكومته بتاريخ 9 يناير 1938م: أن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه، وليس الإمبراطورية وحدها بل فرنسا أيضاً، ولفرحتنا فقد ذهبت الخلافة وأتمنى أن تكون إلى غير رجعة.

– يقول شيلدون آموس: إن الشرع المحمدي ليس إلا القانون الروماني للإمبراطورية الشرقية معدلاً وفق الأحوال السياسية في الممتلكات العربية، ويقول كذلك: إن القانون المحمدي ليس سوى قانون جستنيان في لباس عربي.

– قال رينان الفرنسي: إن الفلسفة العربية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية.

– أما لويس ماسينيون فقد كان زعيم الحركة الرامية إلى الكتابة بالعامية وبالحرف اللاتيني.

– مما لا شك فيه أن للمستشرقين فضلاً كبيراً في إخراج الكثير من كتب التراث ونشرها محققة مفهرسة مبوبة.

– ولا شك أن الكثير منهم يملكون منهجية علمية تعينهم على البحث.

– ولا ريب في أن لدى بعضهم صبراً ودأباً وجلداً في التحقيق والتمحيص وتتبع المسائل.

– وما على المسلم إلا أن يلتقط الخير من مؤلفاتهم متنبهاً إلى مواطن الدس والتحريف ليتجنبها، أو ليكشفها، أو ليرد عليها لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، خاصة وأن الفكر الاستشراقي المعاصر قد بدأ يغير من أساليبه وقسماته من أجل المحافظة على الصداقة والتعاون بين العالم الغربي والعالم الإسلامي، وإقامة حوار بين المسيحية والإسلام، ومحاولة تغيير النظرة السطحية الغربية إلى المسلمين، وربما كمحاولة لاستقطاب القوى الإسلامية وتوظيفها لخدمة أهدافهم فلنكن حذرين.

الجذور الفكرية والعقائدية:

• لقد كان الاستشراق وليد الاحتكاك بين الشرق الإسلامي والغرب النصراني أيام الصليبيين، وعن طريق السفارات والرحلات، ويلاحظ دائماً أن هناك تقارباً وتعاوناً بين الثالوث المدمر: التنصير والاستشراق والاستعمار، والمستعمرون يساندون المستشرقين والمنصرين لأنهم يستفيدون منهم كثيراً في خططهم الاستعمارية.

• كان الدافع الأساسي هو الجانب اللاهوتي النصراني بغية تحطيم الإسلام من داخله بالدس والكيد والتشويه، ولكن الاستشراق بعد ذلك وفي الآونة الأخيرة بدأ يتحلل من هذا القيد نوعاً ما ليتوجه توجهاً أقرب إلى الروح العلمية.

الانتشار وأماكن النفوذ:

• الغرب هو المسرح الذي يتحرك فوق أرضه المستشرقون، فمنهم الألمان، ومنهم البريطانيون، والفرنسيون، والهولنديون، والمجريون، وظهر بعضهم في إيطاليا، وفي أسبانيا، وقد علا نجم الاستشراق في أمريكا وصارت له فيها مراكز كثيرة.

• لم تبخل الحكومات ولا الهيئات ولا الشركات ولا المؤسسات ولا الكنائس في يوم من الأيام في دعم حركة الاستشراق ومدها بما تحتاجه من مال، وتأييد وإفساح الطريق أمامها في الجامعات حتى بلغ عدد هؤلاء المستشرقين آلافاً كثيرة.

• لقد كانت حركة الاستشراق مسخرة في خدمة الاستعمار، وفي خدمة التنصير، وأخيراً في خدمة اليهودية والصهيونية التي يهمها إضعاف الشرق الإسلامي، وإحكام السيطرة عليه بشكل مباشر أو غير مباشر.

• استطاع المستشرقون أن يتسللوا إلى المجامع العلمية، وقد عين عدد كبير منهم أعضاء في هذه المجامع في سوريا ومصر، كما استطاعوا أن يؤثروا على الدراسات العربية والإسلامية في العالم الإسلامي من خلال تلاميذهم ومؤلفاتهم.

الخلاصة:

• إن الاستشراق تيار فكري يتجه صوب الشرق، لدراسة حضارته وأديانه وثقافته ولغته وآدابه من خلال أفكار اتسم معظمها بالتعصب، والرغبة في خدمة الاستعمار، وتنصير المسلمين، وجعلهم مسخاً مشوهاً للثقافة الغربية، وذلك ببث الدونية فيهم، وبيان أن دينهم مزيج من اليهودية والنصرانية، وشريعتهم هي القوانين الرومانية مكتوبة بأحرف عربية، والنيل من لغتهم، وتشويه عقيدتهم وقيمهم، ولكن بعضهم رأى نور الحقيقة فأسلم، وخدم العقيدة الإسلامية، وأثر في محدثيهم، فبدأت كتاباتهم تجنح نحو العلمية، وتنحو نهو العمق بدلاً من السطحية، وربما صدر ذلك عن رغبة من بعضهم في استقطاب القوى الإسلامية، وتوظيفها لخدمة أهدافهم الاستشراقية، وهذا يقتضي الحذر عند التعامل مع الفكر الاستشراقي الذي يتدثر الآن بدثار الموضوعية.

المصدر : http://www.khayma.com

===============

التربية الجهادية

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين•

وبعد:

فيقول الله عز وجل: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران:104).

ومما لا شك فيه أن الجهاد في سبيل الله تعالى ضرب مهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ لا بد منه للأمة التي تدعو إلى الله عز وجل وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؛ وذلك في مرحلة من مراحلها؛ وذلك إما بجهاد الدفع عندما تبتلى الأمة بمن يفتنها في دينها أو دمائها أو أعراضها فيفرض عليها المدافعة فرضًا حسب الإمكان وإلا الفناء والهلاك، أو بجهاد الطلب ونشر دين الله تعالى عندما تكون قادرة على ذلك؛ إذ إن من سنن الله تعالى أن يجد الدعاة أنفسهم وهم يتقدمون بالدعوة إلى الناس أن الطواغيت يحولون بينهم وبين وصول الحق إلى الناس وأن يكون الدين كله لله، فيشرع حينئذ جهاد المفسدين الصادين عن سبيل الله تعالى حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله تعالى• وهذا فرع عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي تقوم من أجله الدعوة وتبذل فيه التضحيات في سبيل الله تعالى•

وإن الأمة الإسلامية اليوم تمر بظروف عصيبة تكالب فيها الأعداء وتنادوا من كل صوب، وتداعوا على حرب الإسلام وأهله الصادقين؛ وذلك في حملة شرسة وحقد دفين يريدون من ورائه مسخ الإسلام في قلوب أهله، وجر المسلمين إلى التبعية للغرب الكافر• وساعدهم في ذلك المنافقون من بني جلدتنا؛ فجاءت الحرب شاملة من خارج الأمة ومن داخلها: (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (التوبة:32).

ومع إيماننا بحتمية الصراع بين الحق والباطل، ومع أن جهاد الكفار أصبح أمرًا مفروضًا على المسلمين دفاعًا عن الدين والعرض حتى لا تكون فتنة، إلا أن المسلم الناظر في أحوالنا اليوم وما هي عليه من ضعف إيمان، وركون إلى الدنيا، وترهل في الهمم والأجسام، ويأس وإحباط ليَشعُر بالخطر على نفسه وعلى أمته، ويفرض عليه ذلك المبادرة مع إخوانه في وضع برامج علمية وعملية لإعداد النفوس وانتشالها من نومها أو موتها، وإحياء الجهاد وتحديث النفس به. فلقد قال رسول الله: "من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من شعب النفاق"(1).

وتحديث النفس بالغزو ليس المراد منه خاطرة تمر في النفس ثم تدفن في أودية الدنيا وزينتها التي سيطرت على كثير منا؛ وإنما المراد به العزيمة الصادقة على ذلك، ومن علاماتها الأخذ بالأسباب، وإعداد العدة الشاملة للجهاد في سبيل الله تعالى علماً وعملاً وحالاً• قال الله تعالى: (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ...) (التوبة: من الآية46).

وفي المقابل لأحوال المفرّطين في إعداد العدة لجهاد الكفار وتربية النفوس على ذلك، توجد طائفة أخرى قد أفرطت وتعجَّلت في مواجهة الكفار والمنافقين بالصدام المسلح دون إعداد شامل لهذه المواجهة، وقبل أن يأخذ البلاغ العام للناس حقه كي تستبين لهم سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين، ويزول اللبس والاشتباه بينهما ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيَّ عن بينة•فنشأ من جراء ذلك مفاسد عظيمة على الدعوة وأهلها وعلى عامة المسلمين الذين لبس الأمر عليهم ولم يستبينوا سبيل المجرمين•

وعندما نذكر المستعجلين للجهاد قبل الإعداد له فإنما نقصد أولئك الذين بادروا إلى المواجهة مع الأنظمة الكفرية المستقرة المتمكنة قبل الإعداد لذلك، وقبل وضوح الراية الكفرية للناس في هذه الأمكنة• أما الساحات الجهادية التي قد اتضحت فيها رايات الكفار فهذا جهاد مشروع ومطلوب كما هو الحال في كشمير وأفغانستان والشيشان وفلسطين•

والمقصود مما سبق أن كلا الفريقين: سواء المهملون للتربية الجهادية في برامجهم ومناهجهم وسيطرة حياة الترف والترهل على حياتهم، أو المستعجلون للجهاد المسلح قبل استكمال عُدته في النفس والواقع؛ أن كلا الفريقين محتاج لإعداد العدة للجهاد في سبيل الله تعالى بمفهومه الشامل، وهو ما دفع إلى كتابة هذه الأوراق التي أرجو أن تكون فاتحة خير في هذا الموضوع المهم، ولعلها أن تفتح الباب للمهتمين بالدعوة والجهاد كي يدلوا بدلوهم في هذا المجال المهم من مجالات التربية والإعداد للجهاد ويكملوا ما نقص منه حتى يجد المربون فيه بغيتهم من البرامج العلمية والعملية لإعداد شباب الصحوة وبقية الأمة للجهاد في سبيل الله تعالى•

وقبل الدخول في ذكر الوسائل والبرامج التي تُحيي في النفوس الجهاد والاستعداد له يحسن الحديث عن بعض المقدمات المهمة التي تتعلق بالجهاد والغزو في سبيل الله تعالى•

المقدمة الأولى: المعنى العام للجهاد ومراتبه•

المقدمة الثانية: أقسام الجهاد في سبيل الله عز وجل•

المقدمة الثالثة: غاية الجهاد في سبيل الله عز وجل•

المقدمة الرابعة: ثمرة الجهاد في سبيل الله عز وجل في الدنيا والآخرة•

المقدمة الخامسة: مخاطر إهمال الجهاد في سبيل الله عز وجل وترك الاستعداد له•

المقدمة الأولى

المعنى العام للجهاد ومراتبه

المعنى اللغوي:

قال الراغب في مفردات القرآن: (الجَهْد والجُهْد: الطاقة والمشقة• وقيل الجَهْد بالفتح: المشقة، والجُهْد: الوسع)(2).

وقال ابن حجر: (والجهاد بكسر الجيم: أصله لغة: المشقة)(3).

المعنى الشرعي:

يدور المعنى الشرعي عند أغلب الفقهاء: على قتال المسلمين للكفار بعد دعوتهم إلى الإسلام أو الجزية ثم إبائهم•

فهو عند الأحناف: (بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك أو المبالغة في ذلك)(4).

وبأنه: (الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله)(5).

وعند المالكية هو: (قتال مسلم كافرًا غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله تعالى)(6).

وعند الشافعية كما قال الحافظ ابن حجر: (وشرعًا: بذل الجهد في قتال الكفار)(7).

وعند الحنابلة: (قتال الكفار)(8).

وكل هذه التعريفات يُرى أنها قد حصرت الجهاد في قتال الكفار، وهذا هو تعريف الجهاد عند الإطلاق• وهناك أنواع أخرى قد أطلق عليها الشارع اسم الجهاد مع خلوها من القتال كجهاد المنافقين، وجهاد النفس•

ولذا فإن لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى تعريفًا عامًا للجهاد قال فيه: "والجهاد هو بذل الوسع – وهو القدرة – في حصول محبوب الحق، ودفع ما يكرهه الحق"(9).

وقال أيضاً: "••• وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان"(10).

وتحت هذا المعنى العام للجهاد يدخل جهاد النفس في طاعة الله تعالى وترك معاصيه، وجهاد الشيطان وجهاد المنافقين، وجهاد الكفار، ومن ذلك جهاد البيان والبلاغ، ومدافعة الفساد والمفسدين؛ بل إن جهاد الكفار بالسنان إن هو إلا جزء من القيام بفريضة الأمر بالمعروف الأكبر – وهو نشر التوحيد – والنهي عن المنكر الأكبر – وهو الشرك بالله عز وجل والكفر به – وذلك بعد دعوة الكفار إلى التوحيد ورفضهم له أو لدفع الجزية•

ويبين الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى حقيقة الجهاد بمعناه العام وأنواعه فيقول: "لما كان الجهاد ذروة سنام الإسلام وقُبَّتَه، ومنازلُ أهله أعلى المنازل في الجنة، كما لهم الرفعةُ في الدنيا، فهم الأعلون في الدنيا والآخرة، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذِّروةِ العُليا منه، واستولى على أنواعه كلِّها فجاهد في الله حقَّ جهاده بالقلب والجَنانِ، والدعوة والبيان، والسيف، والسِّنَانِ، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد، بقلبه، ولسانه، ويده• ولهذا كان أرفعَ العالمين ذِكرًا، وأعظمهم عند الله قدرًا•

وأمره الله تعالى بالجهاد من حين بعثه، وقال: (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً) (الفرقان:51–52).

فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد الكفار، بالحُجة، والبيان، وتبليغ القرآن• وكذلك جهادُ المنافقين إنما هو بتبليغ الحُجَّة، وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام؛ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (التوبة:73).

فجهادُ المنافقين أصعبُ من جهاد الكفار، وهو جهادُ خواصِّ الأمة، وورثة الرُّسل، والقائمون به أفرادٌ في العالم، والمشارِكُون فيه، والمعاونون عليه، وإن كانوا هُم الأقلين عددًا، فهم الأعظمون عند الله قدرًا•

ولما كان من أفضل الجهاد قولُ الحقِّ مع شدة المُعارِضِ، مثلَ أن تتكلم به عند من تُخاف سَطوتهُ وأذاه، كان للرسلِ – صلواتُ الله عليهم وسلامُهُ – مِن ذلك الحظُّ الأوفَرُ، وكان لنبينا – صلوات الله وسلامه عليه – من ذلك أكملُ الجهاد وأتمُّه•

ولما كان جهاد أعداءِ الله في الخارج فرعًا على جهادِ العبد نفسه في ذاتِ الله؛ كما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (المجاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ في طَاعَةِ الله، والمُهاجِرُ مَنْ هَجَرَ ما نَهَى الله عنه)(11). كان جهادُ النفس مُقدَّماً على جهاد العدوِّ في الخارج، وأصلاً له؛ فإنه ما لم يُجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أُمِرَتْ به، وتترك ما نُهيت عنه، ويُحارِبها في الله، لم يمكنه جهادُ عدوه في الخارج، فكيف يُمكِنُهُ جهادُ عدوه والانتصاف منه، وعدوُّه الذي بين جنبيه قاهرٌ له، متسلطٌ عليه، لم يُجاهده، ولم يُحاربه في الله، بل لا يُمكنه الخروجُ إلى عدوه، حتى يُجاهد نفسه على الخروج•

فهذان عدوَّانِ قد امتُحِنَ العبدُ بجهادهما، وبينهما عدوٌّ ثالث، لا يمكنه جهادُهما إلا بجهاده، وهو واقف بينهما يُثَبِّطُ العبدَ عن جهادهما، ويُخَذِّلُه، ويُرجِفُ به، ولا يزالُ يُخَيِّل له ما في جهادهما من المشاق، وترك الحظوظ، وفوت اللذات، والمشتهيات، ولا يُمكنه أن يُجاهِدَ ذَيْنِكَ العدويْنِ إلا بجهاده، فكان جهادُه هو الأصل لجهادهما، وهو الشيطان؛ قال تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً)(فاطر: من الآية6). والأمر باتخاذه عدوًا تنبيه على استفراغ الوسع في محاربته ومجاهدته، كأنَّهُ عدو لا يفتر،ولا يُقصِّر عن محاربة العبد على عدد الأنفاس•

فهذه ثلاثة أعداء، أُمِرَ العبد بمحاربتها وجهادها، وقد بُلي بمحاربتها في هذه الدار، وسُلِّطت عليه امتحاناً من الله له وابتلاء، فأعطى الله العبد مدداً وعُدَّةً وأعوانًا وسلاَحًا لهذا الجهاد، وأعطى أعداءه مددًا وعُدَّةً وأعوانًا وسلاحًا، وبَلاَ أحدَ الفريقين بالآخر، وجعل بعضهم لبعض فتنة ليبلُوَ أخبارهم، ويمتحن من يتولاه، ويتولى رسله ممن يتولى الشيطان وحزبه؛ كما قال تعالى: (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً)(الفرقان: من الآية20) ، وقال تعالى: (ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ

وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ)(محمد: من الآية4)، وقال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) (محمد:31).

إذا عُرِفَ هذا فالجهاد أربع مراتب:

جهاد النفس – وجهاد الشيطان – وجهاد الكفار – وجهاد المنافقين•

فجهاد النفس أربع مراتب أيضاً:

إحداها: أن يجاهدها على تعلُّم الهُدى، ودين الحق الذي لا فلاح لها، ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها عِلمُه، شقيت في الدَّارين•

الثانية: أن يُجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرَّدُ العلم بلا عمل إن لم يَضُرَّها لم ينفعْها•

الثالثة: أن يُجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهُدى والبينات، ولا ينفعه علمُهُ، ولا يُنجِيه من عذاب الله•

الرابعة: أن يُجاهدها على الصبر على مشاقِّ الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمَّل ذلك كله لله• فإذا استكمل هذه المراتب الأربع، صار من الرَّبَّانِيينَ؛ فإن السلف مجمِعُونَ على أن العَالِمَ لا يستحقُّ أن يُسمى ربانيًا حتى يعرف الحقَّ، ويعمل به، ويُعَلِّمَه، فمن علم وعَمِلَ وعلَّمَ فذاك يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات•

وأما جهاد الشيطان، فمرتبتان:

إحداهما: جهادُه على دفع ما يُلقي إلى العبد من الشبهات والشكوكِ القادحة في الإيمان•

الثانية: جِهادهُ على دفع ما يُلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات• فالجهادُ الأول يكون بعُدة اليقين، والثاني يكون بُعدة الصبر؛ قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآياتِنَا يُوقِنُونَ) (السجدة:24).

فأخبر أن إمامة الدين إنما تُنال بالصبر واليقين؛ فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك والشبهات•

وأما جهاد الكفار والمنافقين ، فأربع مراتب:

بالقلب، واللِّسان، والمال، والنفس، وجهادُ الكفار أخصُّ باليد، وجهادُ المنافقين أخصُّ باللسان•

وأما جهاد أرباب الظلم، والبدع، والمنكرات، فثلاث مراتب:

الأولى: باليد – إذا قَدَرَ – فإن عَجَزَ انتقل إلى اللسان، فإن عَجَزَ جاهد بقلبه، فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد، و (من مات ولم يغزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بالغَزْوِ، مَاتَ عَلَى شُعبَةٍ من النفاق)(12).

وأكملُ الخلق عند الله، من كمَّلَ مراتِبَ الجِهاد كُلَّهَا، والخلق متفاوتون في منازلهم عند الله، تفاوتهم في مراتب الجهاد، ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله خاتمُ أنبيائه ورُسُلِهِ؛ فإنه كمَّل مراتبَ الجهاد وجاهد في سبيل الله حقهَ جهاده ••"(13).

وقال أيضاً: "لا ريب أن الأمر بالجهاد المطلق إنما كان بعد الهجرة، فأما جهاد الحجة فأمر به في مكة بقوله: (فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ) أي: بالقرآن (جِهَاداً كَبِيراً) (الفرقان:52) فهذه سورة مكية والجهاد فيها هو التبليغ"(14).

من هذا الكلام النفيس حول المفهوم العام للجهاد وأنواعه يمكن الخروج بالفوائد التالية:

الأولى: أن الجهاد بمفهومه العام يشمل جهاد النفس والشيطان في طاعة الله عز وجل وترك معصيته، كما يشمل جهاد الكفار والمنافقين بالحجة والبيان، وجهاد أهل البدع والمنكرات باليد أو باللسان أو بالقلب حسب الاستطاعة، كما يعني جهاد الكفار بالسيف والسنان إما جهاد دفع أو طلب وجهاد الكفار بالسيف هو الذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذروة سنام هذا الدين وهو المراد من الجهاد في سبيل الله عند الإطلاق•

الثانية: أن جهاد الكفار في المعارك هو قمة الجهاد وكماله، بل هو قمة الإيمان وهو ثمرة جهاد طويل مع النفس والشيطان وتربية لها على الصبر والتضحية وقوة الصلة بالله عز وجل، ولا يصبر على جهاد الكفار وينتصر عليهم إلا أولئك الذين انتصروا على أنفسهم والشيطان في جهادهم لهما وكان لهم نصيب من جهاد البيان وقول الحق والصبر على الأذى فيه؛ إذ إن معركة الجهاد مع الكفار إن هي إلا ساعات أو أيام حاسمة لكنها ثمرة لمعركة سبقتها مع النفس والشيطان، وجهاد بالعقيدة مع

الباطل بفضحه وبيان ما يضاده من الحق وقد يستغرق ذلك سنوات أو أجيال، وهذا أمر لا بد منه وهو ضرب من ضروب الجهاد وإعداد للجهاد الحاسم مع الكفار•

الثالثة: أن الكُمَّل من الناس في باب الجهاد من قام بمراتب الجهاد كلها وأعد نفسه بجميع متطلبات الإعداد للانتصار على النفس والهوى؛ والذي هو ممهد للانتصار على الكفار في ساحات الوغى، وممهد للدخول في ذروة سنام هذا الدين، والثبات أمام الأعداء، والاستجابة لداعي الجهاد، والتضحية في سبيل الله عز وجل بالمال والنفس عند النداء، لتكون كلمة الله هي العليا وليكون الدين كله لله، ولكن لا يسارع إلى ذلك إلا من كان له جهاد سابق مع نفسه وهواه وكان النصر له عليها•

وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "••• إن جهاد الهوى إن لم يكن أعظم من جهاد الكفار فليس بدونه؛ قال رجل للحسن البصري رحمه الله تعالى: يا أبا سعيد أي الجهاد أفضل؟ قال جهادك هواك• وسمعت شيخنا يقول: جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين؛ فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً حتى يخرج إليهم"(15).

المقدمة الثانية

أقسام الجهاد في سبيل الله

بعد أن تعرفنا على المعنى العام للجهاد ومراتبه نأتي فنتعرف على أقسام الجهاد مع الكفار حيث ينقسم إلى قسمين: جهاد الدفع، وجهاد الطلب•

1- جهاد الدفع: وهو جهاد الصائل والمعتدي - سواءً كان فردًا أو طائفة - ومنعه من فتنة المسلمين في دينهم والاعتداء على الأنفس والأعراض أو الاستيلاء على بلاد المسلمين•

وهذا القسم من الجهاد فرض عين على كل مسلم مكلف قادر؛ وذلك عندما يهاجم الكفار المسلمين في عقر دارهم أو يحصل الاعتداء من الصائل على مال المسلم أو عرضه، أو نفسه، وقد يكون الصائل كافرًا أو محاربًا مسلمًا، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون حرمته فهو شهيد)(16).

وعن مدافعة الصائل يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: "وهذا الذي تسميه الفقهاء "الصائل" وهو الظالم بلا تأويل ولا ولاية، فإذا كان مطلوبه المال جاز دفعه بما يمكن، فإذا لم يندفع إلا بالقتال قوتل، وإن ترك القتال وأعطاهم شيئًا من المال جاز، وأما إذا كان مطلوبه الحرمة – مثل أن يطلب الزنا بمحارم الإنسان أو يطلب من المرأة، أو الصبي المملوك أو غيره الفجور به – فإنه يجب عليه أن يدفع عن نفسه بما يمكن، ولو بالقتال، ولا يجوز التمكين منه بحال؛ بخلاف المال فإنه يجوز التمكين منه؛ لأن بذل المال جائز، وبذل الفجور بالنفس أو بالحرمة غير جائز• وأما إذا كان مقصوده قتل الإنسان، جاز له الدفع عن نفسه• وهل يجب عليه؟ على قولين للعلماء في مذهب أحمد وغيره• وهذا إذا كان للناس سلطان، فأما إذا كان – والعياذ بالله – فتنة، مثل أن يختلف سلطانان للمسلمين، ويقتتلان على الملك، فهل يجوز للإنسان، إذا دخل أحدهما بلد الآخر، وجرى السيف، أن يدفع عن نفسه في الفتنة، أو يستسلم فلا يقاتل فيها؟ على قولين لأهل العلم، في مذهب أحمد وغيره"(17).

وقد عد شيخ الإسلام مدافعة الصائلين ومقاتلة المحاربين من المسلمين من أنواع الجهاد في سبيل الله عز وجل وذلك بقوله: "لا يحل للسلطان أن يأخذ من أرباب الأموال جعلاً على طلب المحاربين وإقامة الحد، وارتجاع أموال الناس منهم، ولا على طلب السارقين لا لنفسه ولا للجند الذين يرسلهم في طلبهم، بل طلب هؤلاء من نوع الجهاد في سبيل الله فيخرج فيه جند المسلمين كما يخرج في غيره من الغزوات التي تسمى (البيكار) وينفق على المجاهدين في هذا من المال الذي ينفق منه على سائر الغزوات"(18).

ويفصل الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أقسام الجهاد فيقول: "فمن المعلوم أن المجاهد قد يقصد دفع العدو إذا كان المجاهد مطلوباً والعدو طالبًا، وقد يقصد الظفر بالعدو ابتداء إذا كان طالباً والعدو مطلوبًا، وقد يقصد كلا الأمرين، والأقسام ثلاثة يؤمر المؤمن فيها بالجهاد•

وجهاد الدَّفع أصعب من جهاد الطلب؛ فإن جهاد الدفع يشبه باب دفع الصائل، ولهذا أُبيح للمظلوم أن يدفع عن نفسه – كما قال الله تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا)(الحج: من الآية39).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من قُتِل دون ماله؛ فهو شهيد، ومن قُتِل دون دمه؛ فهو شهيد)(19) – لأن دفع الصائل على الدين جهاد وقربة، ودفع الصائل على المال والنفس مباحٌ ورخصة؛ فإن قتل فيه فهو شهيد•

فقتال الدفع أوسع من قتال الطلب وأعمُّ وجوبًا، ولهذا يتعيَّن على كل أحد أن يقوم ويجاهد فيه: العبد بإذن سيده وبدون إذنه، والولد بدون إذن أبويه، والغريم بغير إذن غريمه؛ وهذا كجهاد المسلمين يوم أحد والخندق•

ولا يشترط في هذا النوع من الجهاد أن يكون العدو ضعفي المسلمين فما دون؛ فإنهم كانوا يوم أحد والخندق أضعاف المسلمين، فكان الجهاد واجبًا عليهم؛ لأنه حينئذ جهاد ضرورة ودفع، لا جهاد اختيار، ولهذا تُباح فيه صلاة الخوف بحسب الحال في هذا النوع، وهل تُباح في جهاد الطلب إذا خاف فوت العدو ولم يخف كرَّته؟ فيه قولان للعلماء هما روايتان عن الإمام أحمد•

ومعلوم أن الجهاد الذي يكون فيه الإنسان طالبًا مطلوبًا أوجب من هذا الجهاد الذي هو فيه طالب لا مطلوب، والنفوس فيه أرغب من الوجهين•

وأما جهاد الطلب الخالص؛ فلا يرغب فيه إلا أحد رَجُلين: إما عظيم الإيمان يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كلُّه لله، وإما راغبٌ في المغنم والسبي•

فجهاد الدفع يقصده كل أحد، ولا يرغب عنه إلا الجبان المذموم شرعاً وعقلاً، وجهاد الطلب الخالص لله يقصده سادات المؤمنين، وأما الجهاد الذي يكون فيه طالباً مطلوباً؛ فهذا يقصده خيار الناس؛ لإعلاء كلمة الله ودينه، ويقصده أوساطهم للدفع ولمحبة الظَّفَر"(20).

وقد جعل أهل العلم جهاد الدفع فرض عين على كل مسلم ذكر مكلف حتى يندفع العدو عن ديار المسلمين•

المقدمة الثالثة

غاية الجهاد في سبيل الله تعالى

الجهاد في سبيل الله تعالى عبادة من العبادات العظيمة التي يتعبد لله تعالى بها، وهو كما ذكرت سابقًا يعد من لوازم القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإبلاغ التوحيد للناس وإزالة ما يضاده من الشرك•

فما أعظمه وأشرفه من عبادة؛ حيث لا ينحصر نفعها على القائم بها ولكنها تتعداه إلى الناس بهدايتهم إلى الخير والسعادة في الدنيا والآخرة وإنقاذهم بإذنه تعالى من الشر والشقاء في الدنيا والآخرة•

ويمكننا حصر الغاية من الدعوة والجهاد في الأهداف التالية:

1- التعبُّد لله عز وجل بهذه الشعيرة العظيمة؛ شعيرة الجهاد في سبيل الله تعالى؛ فشعور المجاهد أنه عبد لله عز وجل يحب ربه سبحانه، ويحب ما يحبه من الجهاد في سبيله، ويبغض ما يبغضه من الشرك والفساد، ويبغض من يبغضهم الله من أعدائه الكفرة، ويجاهدهم حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى• إن هذا الشعور لمن أعظم الدوافع إلى بذل الجهد والجهاد في سبيل الله تعالى• ولو لم يحصل الداعية في دعوته وجهاده إلا على شعوره بالعبودية لله عز وجل والتلذذ بذلك لكفى بذلك دافعًا وغاية عظيمة(21).

كما أن في مصاحبة شعور العبادة لله تعالى في جميع تحركات المجاهد أكبر الأثر في التربية على الإخلاص وتحري الحق والصواب واللذان هما شرطا قبول العبادة، وعلى العكس من ذلك عندما ينسى أو يغفل المجاهد أنه متعبد لله تعالى بدعوته وجهاده، فإنه بذلك يضعف إخلاصه وتبدأ حظوظ النفس والهوى يسيطران على القلب، مما ينتج عنه في نهاية الأمر فتور المجاهد أو مزلة قدمه عياذًا بالله تعالى•

وإن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل ليعد من أكبر العلامات على محبة الله تعالى ودينه، وعلى العكس من ذلك فيما لو تقاعس المسلم عن الجهاد في سبيل الله تعالى وبخل بماله أو نفسه عندما يوجد داعي الجهاد؛ فإن هذا دليل على ضعف المحبة لله تعالى ولدينه•

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فمن كان محبًا لله لزم أن يتبع الرسول فيصدقه فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، ويتأسى به فيما فعل، ومن فعل هذا فقد فعل ما يحبه الله، فيحبه الله• فجعل الله لأهل محبته علامتين: اتباع الرسول، والجهاد في سبيله؛ وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح؛ ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان وقد

قال تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ)(التوبة: من الآية24).

إلى قوله: (حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) فتوعد من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله بهذا الوعيد ••• والجهاد هو بذل الوسع – وهو القدرة – في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه الحق، فإذا ترك العبد ما يقدر عليه من الجهاد كان دليلاً على ضعف محبة الله ورسوله في قلبه• ومعلوم أن المحبوبات لا تنال غالبًا إلا باحتمال المكروهات، سواء كان محبة صالحة أو فاسدة؛ فالمحبون للمال والرئاسة والصور لا ينالون مطالبهم إلا بضرر يلحقهم في الدنيا مع ما يصيبهم من الضرر في الدنيا والآخرة لله(22).

وقال في موطن آخر: " والنصوص في فضائل الجهاد وأهله كثيرة، وقد ثبت أنه أفضل ما تطوع به العبد• والجهاد دليل المحبة الكاملة ••• فإن المحبة مستلزمة للجهاد؛ لأن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض محبوبه، ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضاه ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق له في ذلك، وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم؛ إذ هم إنما يرضون لرضاه ويغضبون لما يغضب له"(23).

2- الفوز برضوان الله تعالى وجنته في الدار الآخرة؛ وهذا هو ثمرة التعبُّد لله عز وجل السابق ذكرها، وهي الغاية العظمى التي وعد الله عز وجل بها عباده الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والمجاهدين في سبيله على بصيرة• ولقد تكاثرت الآيات في كتاب الله عز وجل التي تمدح المجاهدين في سبيله سبحانه والصابرين على ما أصابهم في سبيله وما أُعد لهم في الدار الآخرة من الرضوان والنعيم المقيم• وعندما ينْشَدُّ الداعية إلى هذه الغاية وتنجذب نفسه إليها فإنه يستسهل الصعاب ويمضي في طريقه بقوة وعزيمة وثبات، كما أنه عندما يتعلق بهذه الغاية العظيمة ولا ينساها، فإنه بذلك لا يلتفت إلى أعراض الدنيا الزائلة ولا ينتظر جزاء عمله ودعوته وجهاده في الدنيا، وإنما يروض نفسه ويربيها على أن تعطي من صبرها وجهدها وجهادها، ولا تأخذ منه شيئًا في الدنيا، وإنما تنتظر العطاء والثواب في الدار الآخرة

من ربها الكريم في دار النعيم المقيم• ولذلك فإن أصحاب هذه النفوس المخلصة لا يتطرق إليهم الوهن ولا الفتور الذي يتعرض له أصحاب الأغراض الدنيوية القريبة، الذين إن حصلوا على أهدافهم في الدنيا رضوا وواصلوا العطاء، وإن تأخرت عليهم فتروا وكلوا وتوقفوا•

أما أصحاب الغاية العظيمة فهم لا يفترون ولا يتوقفون، لأن وقت ومكان توفية الأجر ليس مجاله الدنيا وإنما في الآخرة – دار الحساب والجزاء – ولذلك فهم يعملون ويجاهدون حتى يأتيهم اليقين•

3- تعبيد الناس لرب العالمين عز وجل، وإنقاذهم – بإذنه تعالى – من الظلمات إلى النور، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ومن جور الأديان والمذاهب إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا وشقائها إلى سعتها وسعادتها، ومن عذاب النار يوم القيامة إلى جنات النعيم•

وهذا لا يتأتى إلا بإزالة الشرك وأربابه الذين يحولون بين الناس وبين أن يصل التوحيد إلى قلوبهم، ومن أجل ذلك شرع الجهاد لإزالة هذه الحواجز والعوائق التي تعترض طريق الحق وتمنعه من الوصول إلى قلوب الناس؛ وذلك حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله؛ قال الله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الأنفال:39).

وعندما يتذكر المجاهد هذه المهمة الجسيمة وهذا الهدف الأساس من دعوته وجهاده، فإنه يضاعف من جهده ولا يقر له قرار وهو يرى الشرك المستشري في الناس والفساد المستطير والظلم العظيم في حياتهم والذي يؤول بهم إلى الشقاء والعنت وكثرة المصائب في الدنيا وإلى العذاب الأليم في الآخرة• ولذلك فلا ترى المجاهد المدرك لهذه الغاية من جهاده إلا خائفًا على نفسه وعلى الناس من عذاب الله عز وجل في الدنيا والآخرة، ولا تراه إلا ناصحًا للعباد رحيمًا بهم يريد من دعوته وجهاده هداية الناس وإنقاذهم بإذن الله تعالى من الظلمات إلى النور ومن عذاب الله عز وجل في الدنيا والآخرة•

ولذلك فإن الجهاد في الإسلام إنما شرع رحمة بالناس، ولو كان فيه ما فيه من المشقة وبذل الأرواح والجراحات؛ فإن هذه المشقات والمكاره لا تساوي شيئًا في

مقابلة ما يترتب على الجهاد من المصالح العظيمة وذلك من نشر التوحيد وتعبيد الناس لربهم سبحانه، وإزالة الفتنة والشرك والظلم عنهم•

وبعد هذا التفصيل في غايات الجهاد يمكن القول بأنها كلها ترجع إلى غاية في الدنيا، وغاية في الآخرة•

فأما غاية الجهاد في الدنيا:

فهي نشر التوحيد وتعبيد الناس لربهم سبحانه، ورفع الفتنة والشرك عنهم؛ وذلك لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله وحده•

وأما الغاية من الجهاد في الآخرة:

فهي الفوز بمرضاة الله عز وجل وجنته، والنجاة من سخطه وعذابه•

والغاية من الجهاد في الدنيا إن هي في الحقيقة إلا وسيلة عظيمة لتحقيق الغاية العظمى في الآخرة؛ فعاد الأمر إلى غاية الغايات وهي رضوان الله وجنته•

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مقصود الجهاد وغايته فيقول: "والجهاد مقصوده أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين كله لله؛ فمقصوده إقامة دين الله لا استيفاء الرجل حظَّه، ولهذا كان ما يصاب به المجاهد في نفسه وماله أجره فيه على الله؛ فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة"(24).

وسواء كان الجهاد جهاد دفع أو جهاد طلب فإن المقصود من الجهادين واحد؛ فهو في جهاد الدفع لرفع الفتنة عن المسلمين المعتدى عليهم في ديارهم؛ لأن في استيلاء الكفار على ديار المسلمين تعريضًا للمسلمين للفتنة في دينهم وأعراضهم وأموالهم، وفيه علو لكلمة الكفر على كلمة التوحيد• إذًا فجهاد الدفع شرع حتى لا تكون فتنة على المسلمين فيكفروا بتسلط الكفار عليهم، وحتى لا تعلو شعائر الكفر في بلد كان يرفع فيه شعار التوحيد•

وأما جهاد الطلب فالأمر فيه واضح وجلي؛ حيث إن مقصود المسلمين في طلبهم للكفار وفتح ديارهم إنما هو لرفع الفتنة – وهي الشرك – عن الناس في بلدانهم وليكون الدين فيها لله عز وجل وليس للكافرين والمشركين والطواغيت الذين يستعبدون الناس ويظلمونهم ويدعونهم إلى عذاب النار•

شبهة وجوابها :

يثير بعض المهزومين روحيًا وعقليًا من أبناء المسلمين – وتحت ضغط الواقع اليائس وتحت الهجوم الاستشراقي الماكر – قولهم بأن الجهاد في الإسلام إنما شرع للدفاع عن النفس والأوطان وليس لإكراه الناس على الدخول فيه بالسيف والاستيلاء على ديار غير المسلمين بالقوة• ولقد ظهرت هذه الشبهة بشكل جلي في السنوات الأخيرة وبالأخص في هذه الأيام بعد الحملة الصليبية واليهودية على ديار المسلمين بحجة ما يسمى مكافحة الإرهاب، مما دفع بعض المهزومين من أبناء المسلمين بل – ويا للأسف – من بعض دعاتهم إلى أن يركزوا على أن الإسلام دين سماحة وسلام ومحبة للناس، وليس دين إرهاب ولا قتال ولا غلظة على الكفار، وصاروا يكررون الآيات والأحاديث التي فيها ذكر الصفح والسماحة والسلام، ويضربون صفحًا عن النصوص التي فيها جهاد الكفار والإغلاظ عليهم حتى يكون الدين كله لله، وحتى يسلم الكفار أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون•

وللرد على هذه الشبهة أورد جوابين: أحدهما مجمل والآخر مفصل:

أما المجمل :

فهو القول بأن دوافع الجهاد في الإسلام تختلف عن تلك الدوافع التي تنشأ عنها الحروب من أجل الملك فحسب؛ فالجهاد في الإسلام إنما شرع لتكون كلمة الله هي العليا وليكون الدين كله لله في جميع المعمورة، فمتى كان في المسلمين قوة وجب عليهم أن ينشروا هداية الله عز وجل في العالم، ولا يتركوا مكانًا تعلو فيه كلمة الكفر إلا فتحوه وأعلو كلمة التوحيد فيه• فإن لم يكن بهم قوة فلا أقل من أن يدافعوا عن بلادهم التي تحت أيديهم حتى لا يعلوا فيها الكفر ويفتن الناس في دينهم، مع إعدادهم لجهاد الفتح والطلب• وبناء على هذه الغاية الشريفة للجهاد تسقط كل بنود هيئة الأمم المتحدة الكافرة، وما يسمى بإعلان حقوق الإنسان التي تدعو إلى احترام حدود الغير، والسلام الدائم، والتعايش بين أصحاب الملل، وإلى حرية الاعتقاد لجميع الأفراد•

وأما الجواب المفصل :

فيكفينا فيه ما سطرته يد الداعية المجاهد سيد قطب رحمه الله تعالى في ظلال القرآن الكريم؛ حيث لم أعثر حسب اطلاعي القاصر على من تكلم في هذا الموضوع المهم بكل عزة وصراحة كما تكلم هذا الرجل عليه رحمة الله•

وفيما يلي مقتطفات متفرقة من رده الحاسم على هؤلاء المهزومين: يقول رحمه الله تعالى: "إن الذين يلجأون إلى تلمس أسباب دفاعية بحتة لحركة المد الإسلامي إنما يؤخذون بحركة الهجوم الاستشرافية في وقت لم تعد للمسلمين شوكة ••• فيبحثون عن مبررات أدبية للجهاد في الإسلام• والمد الإسلامي ليس في حاجة إلى مبررات أدبيه له أكثر من المبررات التى حملتها النصوص القرآنية (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (الأنفال:38-40).

إنها مبررات تقرير ألوهية الله في الأرض، وتحقيق منهجه في حياة الناس، ومطاردة الشياطين ومناهج الشياطين، وتحطيم سلطان البشر الذي يتعبد الناس، والناس عبيد لله وحده، لا يجوز أن يحكمهم أحد من عباده بسلطان من عند نفسه وبشريعة من هواه ورأيه! وهذا يكفي •• مع تقرير مبدأ: "لا إكراه في الدين" •• أي لا إكراه على اعتناق العقيدة بعد الخروج من سلطان العبيد والإقرار بمبدأ أن السلطان كله لله، أو أن الدين كله لله بهذا الاعتبار•

إنها مبررات التحرير العام للإنسان في الأرض، بإخراج الناس من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده بلا شريك •• وهذه وحدها تكفي •• ولقد كانت هذه المبررات ماثلة في نفوس الغزاة من المسلمين؛ فلم يُسأل أحد منهم عما أخرجه للجهاد فيقول: خرجنا ندافع عن وطننا المهدد! أو خرجنا نصد عدوان الفرس أو الروم علينا نحن المسلمين! أو خرجنا نوسع رقعتنا ونستكثر من الغنيمة!

لقد كانوا يقولون كما قال ربعي بن عامر، وحذيفة بن محصن، والمغيرة بن شعبة، – رضي الله عنهم – جميعًا لرستم قائد جيش الفرس في القادسية، وهو يسألهم واحدًا بعد واحد في ثلاثة أيام متوالية، قبل المعركة: ما الذي جاء بكم؟ فيكون الجواب: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى

سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام •• فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه، فمن قبله منا قبلنا منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه• ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو الظفر ••••

حقًا إنه لم يكن بد لهذا الدين أن يدافع المهاجمين له؛ لأن مجرد وجوده، في صورة إعلان عام لربوبية الله للعالمين، وتحرير الإنسان من العبودية لغير الله، وتمثل هذا الوجود في تجمع تنظيمي حركي تحت قيادة جديدة غير قيادات الجاهلية، وميلاد مجتمع مستقل متميز لا يعترف لأحد من البشر بالحاكمية؛ لأن الحاكمية فيه لله وحده •• إن مجرد وجود هذا الدين في هذه الصورة لا بد أن يدفع المجتمعات الجاهلية من حوله، القائمة على قاعدة العبودية للعباد، أن تحاول سحقه، دفاعًا عن وجودها ذاته• ولا بد أن يتحرك المجتمع الجديد للدفع عن نفسه•

هذه ملابسة لا بد منها؛ تولد مع ميلاد الإسلام ذاته، وهذه معركة مفروضة على الإسلام فرضًا، ولا خيار له في خوضها، وهذا صراع طبيعي بين وجودين لا يمكن التعايش بينهما طويلاً•

هذا كله حق •• ووفق هذه النظرة يكون لا بد للإسلام أن يدافع عن وجوده، ولا بد أن يخوض معركة دفاعية مفروضة عليه فرضًا••

ولكن هناك حقيقة أخرى أشد أصالة من هذه الحقيقة •• إن من طبيعة الوجود الإسلامي ذاته أن يتحرك إلى الأمام ابتداء؛ لإنقاذ "الإنسان" في "الأرض" من العبودية لغير الله• ولا يمكن أن يقف عند حدود جغرافية، ولا أن ينزوي داخل حدود عنصرية؛ تاركًا "الإنسان" •• نوع الإنسان •• في "الأرض" •• كل الأرض •• للشر والفساد والعبودية لغير الله•

إن المعسكرات المعادية للإسلام قد يجيء عليها زمان تؤثر فيه ألا تهاجم الإسلام إذا تركها الإسلام تزاول عبودية البشر للبشر داخل حدودها الإقليمية، ورضي أن يدعها وشأنها ولم يمد إليها دعوته وإعلانه التحريري العام! •• ولكن الإسلام لا يهادنها، إلا أن تعلن استسلامها لسلطانه في صورة أداء الجزية، ضمانًا لفتح أبوابها لدعوته بلا عوائق مادية من السلطات القائمة فيها•

هذه طبيعة هذا الدين، وهذه وظيفته بحكم أنه إعلان عام لربوبية الله للعالمين، وتحرير الإنسان من كل عبودية لغير الله في الناس أجمعين!

وفرق بين تصور الإسلام على هذه الطبيعة، وتصوره قابعًا داخل حدود إقليمية أو عنصرية، لا يحركه إلا خوف الاعتداء! إنه في هذه الصورة الأخيرة يفقد مبرراته الذاتية في الانطلاق!

إن مبررات الانطلاق الإسلامي تبرز بوضوح وعمق عند تذكر أن هذا الدين هو منهج الله للحياة البشرية، وليس منهج إنسان، ولا مذهب شيعة من الناس، ولا نظام جنس من أجناس!•• ونحن لا نبحث عن مبررات خارجية إلا حين تفتر في حسنا هذه الحقيقة الهائلة •• حين ننسى أن القضية هي قضية ألوهية الله وعبودية العباد •• إنه لا يمكن أن يستحضر إنسان ما هذه الحقيقة الهائلة ثم يبحث عن مبرر آخر للجهاد الإسلامي! •• والإسلام ليس مجرد عقيدة حتى يقنع بإبلاغ عقيدته للناس بوسيلة البيان• إنّما هو منهج يتمثل في تجمع تنظيمي حركي يزحف لتحرير كل الناس• والتجمعات الأخرى لا تمكنه من تنظيم حياة رعاياها وفق منهجه هو، ومن ثم يتحتم على الإسلام أن يزيل هذه الأنظمة بوصفها معوقات للتحرير العام• وهذا – كما قلنا من قبل – معنى أن يكون الدين كله لله؛ فلا تكون هناك دينونة ولا طاعة لعبد من العباد لذاته، كما هو الشأن في سائر الأنظمة التي تقوم على عبودية العباد للعباد!

إن الباحثين الإسلاميين المعاصرين المهزومين تحت ضغط الواقع الحاضر، وتحت الهجوم الاستشراقي الماكر، يتحرجون من تقرير تلك الحقيقة لأن المستشرقين صوروا الإسلام حركة قهر بالسيف للإكراه على العقيدة• والمستشرقون الخبثاء يعرفون جيدًا أن هذه ليست هي الحقيقة، ولكنهم يشوهون بواعث الجهاد الإسلامي بهذه الطريقة •• ومن ثم يقوم المنافحون – المهزومون – عن سمعة الإسلام، بنفي هذا الاتهام! فيلجأون إلى تلمس المبررات الدفاعية! ويغفلون عن طبيعة الإسلام ووظيفته، وحقه في "تحرير الإنسان" ابتداء•

وقد غشي على أفكار الباحثين العصريين – المهزومين – ذلك التصور الغربي لطبيعة "الدين" •• وأنه مجرد "عقيدة" في الضمير؛ لا شأن لها بالأنظمة الواقعية للحياة •• ومن ثم يكون الجهاد للدين، جهادًا لفرض العقيدة على الضمير!

ولكن الأمر ليس كذلك في الإسلام؛ فالإسلام منهج الله للحياة البشرية• وهو منهج يقوم على إفراد الله وحده بالألوهية – متمثلة في الحاكمية – وينظم الحياة الواقعية بكل تفصيلاتها اليومية! فالجهاد له جهادٌ لتقرير المنهج وإقامة النظام• أما العقيدة فأمرها موكول إلى حرية الاقتناع، في ظل النظام العام، بعد رفع جميع المؤثرات •• ومن ثم يختلف الأمر من أساسه، وتصبح له صورة جديدة كاملة•

وحيثما وجد التجمع الإسلامي، الذي يتمثل فيه المنهج الإلهي، فإن الله يمنحه حق الحركة والانطلاق لتسلم السلطان وتقرير النظام، مع ترك مسألة العقيدة الوجدانية لحرية الوجدان •• فإذا كف الله أيدي الجماعة المسلمة فترة عن الجهاد، فهذه مسألة خطة لا مسألة مبدأ، مسألة مقتضيات حركة لا مسألة مقررات عقيدة• وعلى هذا الأساس الواضح يمكن أن نفهم النصوص القرآنية المتعددة في المراحل التاريخية المتجددة، ولا نخلط بين دلالتها المرحلية، والدلالة العامة لخط الحركة الإسلامية الطويلة"(25).

ويقول في موطن آخر: "والمهزومون روحيًا وعقليًا ممن يكتبون عن "الجهاد في الإسلام"ليدفعوا عن الإسلام هذا "الاتهام!" •• يخلطون بين منهج هذا الدين في النص على استنكار الإكراه على العقيدة، وبين منهجه في تحطيم القوى السياسية المادية التي تحول بين الناس وبينه، والتي تعبد الناس للناس وتمنعهم من العبودية لله •• وهما أمران لا علاقة بينهما ولا مجال للالتباس فيهما •• ومن أجل هذا التخليط – وقبل ذلك من أجل تلك الهزيمة! – يحاولون أن يحصروا الجهاد في الإسلام فيما يسمونه اليوم: "الحرب الدفاعية" •• والجهاد في الإسلام أمر آخر لا علاقة له بحروب الناس اليوم، ولا بواعثها، ولا تكييفها كذلك •• إن بواعث الجهاد في الإسلام ينبغي تلمسها في طبيعة "الإسلام" ذاته، ودوره في هذه الأرض، وأهدافه العليا التي قررها الله؛ وذكر الله أنه أرسل من أجلها هذا الرسول بهذه الرسالة، وجعله خاتم النبيين، وجعلها خاتمة الرسالات ••

إن هذا الدين إعلان عام لتحرير "الإنسان" في "الأرض" من العبودية للعباد – ومن العبودية لهواه أيضاً وهي من العبودية للعباد – وذلك بإعلان ألوهية الله وحده – سبحانه – وربوبيته للعالمين •• إن إعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناها: الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها، والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض الحكم فيه للبشر بصورة من الصور •• أو بتعبير آخر مرادف: الألوهية فيه للبشر في صورة من الصور •• ذلك أن الحكم الذي مرد الأمر فيه إلى البشر، ومصدر السلطات فيه هم البشر، هو تأليه للبشر، يجعل بعضهم لبعض أربابًا من دون الله •• ترى لو كان أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم قد أمنوا عدوان الروم والفرس على الجزيرة أكانوا يقعدون إذن عن دفع المد الإسلامي إلى أطراف الأرض؟ وكيف كانوا يدفعون هذا المد، وأمام الدعوة تلك العقبات المادية من: أنظمة الدول السياسية، وأنظمة المجتمع العنصرية والطبقية، والاقتصادية الناشئة من الاعتبارات العنصرية والطبقية، والتي تحميها القوة المادية للدولة كذلك؟!

2- جهاد الطلب: وهو طلب العدو الكافر والظفر به وبأرضه حتى تخضع البلاد والعباد للإسلام، ويقضى على الشرك، ويكون الدين كله لله وتكون كلمة الله هي العليا•

وهو الذي قال عنه ابن القيم في الفقرة السابقة: "وجهاد الطلب الخالص لله يقصده سادات المؤمنين"•

بينما قال عن جهاد الدفع: "فجهاد الدفع يقصده كل أحد، ولا يرغب عنه إلا الجبان المذموم شرعًا وعقلاً)•

قال الله تعالى عن جهاد الطلب: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) (الأنفال: من الآية39).

وعند القدرة على جهاد الطلب فإنه يكون على الكفاية إلا إذا استنفر الإمام جميع المسلمين للجهاد فلا يسوغ لأحد أن يتخلف، بل يصبح الجهاد عينًا على كل مسلم•

ولا يعني كون جهاد الطلب كفائيًا أن يزهد المسلم فيه ويفرط في أن يكون من أهله؛ فإنه من شأن أولياء الله المتقين• ويكفي في فضل أهله وعلو منزلتهم على القاعدين

قولـه تعـالـى: (لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُـلّاً وَعَـدَ اللَّهُ الْحُسْـنَى وَفَضَّـلَ اللَّهُ الْمُجَاهِـدِينَ عَلَـى الْقَاعِـدِينَ أَجْـراً عَظِيمـاً) (النساء:95).

إنها سذاجة أن يتصور الإنسان دعوة تعلن تحرير "الإنسان" •• نوع الإنسان •• في "الأرض"•• كل الأرض •• ثم تقف أمام العقبات تجاهدها باللسان والبيان! •• إنها تجاهد باللسان والبيان حينما يخلى بينها وبين الأفراد؛ تخاطبهم بحرية، وهم مطلقو السراح من جميع تلك المؤثرات •• فهنا: "لا إكراه في الدين" •• أما حين توجد تلك العقبات والمؤثرات المادية، فلا بد من إزالتها أولاً بالقوة، للتمكن من مخاطبة قلب الإنسان وعقله؛ وهو طليق من هذه الأغلال!"(26).

تنبيه:

إن الحديث السابق عن غاية الجهاد في الإسلام لا يعني التغافل عن مراحل الجهاد ومدى قوة المسلمين وضعفهم وهل لهم شوكة وتمكين أو لا•

إن بيان غاية الجهاد لا يتعارض مع كف اليد في مراحل الاستضعاف، أو الاقتصار على جهاد الدفع في بعض الأمكنة أو الأزمنة؛ فهذا من باب السياسات الشرعية وترجيح المصالح أو المفاسد• وكل هذه الاعتبارات ما هي إلا أسباب مؤقتة يجب على المسلمين أن يتجاوزوها لينتقلوا من مرحلة إلى غيرها، وأن يأخذوا بالأسباب التي تؤول بالمسلمين إلى غايات الجهاد ومراحله الأخيرة التي يكون الدين فيها كله لله، ويخضع الناس لسلطان الإسلام، ويتحدد مواقف الناس فيها: إما مسلم مؤمن بدين الإسلام، وإما مسالم آمن يدفع الجزية، وإما محارب خائف•

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى –: "كان النبي صلى الله عليه وسلم في أول الأمر مأمورًا أن يجاهد الكفار بلسانه لا بيده فيدعوهم ويعظهم ويجادلهم بالتي هي أحسن •• وكان مأمورًا بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك، ثم لما هاجر إلى المدينة صار له بها أعوان أذن له في الجهاد، ثم لما قووا كتب عليهم القتال ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم؛ لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار،

فلما فتح الله مكة ووفدت إليه وفود العرب بالإسلام أمره الله بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت وأمره بنبذ العهود المطلقة"(27).

وهذا ما أوضحه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه القيم "زاد المعاد" وهو يستعرض مراحل الدعوة والجهاد منذ بعثته صلى الله عليه وسلم حتى نزلت سورة براءة حيث يقول: صلى الله عليه وسلم أول ما أوحى إليه ربه تبارك وتعالى: أن يقرأ باسم ربه الذي خلق وذلك أول نبوته فأمره أن يقرأ في نفسه ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ، ثم أنزل عليه (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ) (المدثر:1-2)؛ فنبأه بقوله: (اقْرَأْ) وأرسله بـ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)، ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين، ثم أنذر قومه، ثم أنذر من حولهم من العرب، ثم أنذر العرب قاطبة، ثم أنذر العالمين، فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته يُنذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية، ويؤُمر بالكف والصبر والصفح•

ثم أُذِنَ له في الهجرة، وأُذن له في القتال، ثم أمره أن يقاتل من قاتله، ويكف عمن اعتزله ولم يُقاتله، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله، ثم كان الكفارُ معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام: أهل صلح وهدنة، وأهل حرب، وأهل ذمة، فأمر بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم، وأن يوفي لهم به ما استقامُوا على العهد، فإن خاف منهم خيانة، نبذ إليهم عهدهم، ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد، وأُمِرَ أن يقاتل من نقض عهده• ولما نزلت (سورة براءة) نزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلها؛ فأمره فيها أن يُقاتل عدوَّه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية، أو يدخلوا في الإسلام، وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم؛ فجهاد الكفار بالسيف والسنان، والمنافقين بالحجة واللسان•

وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار، ونبذ عُهودهم إليهم، وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام: قسمًا أمره بقتالهم - وهم الذين نقضوا عهده، ولم يستقيموا له - فحاربهم وظهر عليهم، وقسمًا لهم عهد مُؤقت لم ينقضوه، ولم يظاهروا عليه، فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم• وقسمًا لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه، أو كان لهم عهد مطلق، فأمر أن يؤجلهم أربعة أشهر، فإذا انسلخت (فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ)(التوبة: من الآية2).

قاتلهم؛ وهي الأشهر الأربعة المذكورة في قوله: وهي الحُرُمُ المذكورة في قوله: (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ)(التوبة: من الآية5).

فالحرم هاهنا: هي أشهر التسيير، أولها يوم الأذان – وهو اليوم العاشر من ذي الحجة، وهو يوم الحج الأكبر الذي وقع فيه التأذين بذلك – وآخرُها العاشر من ربيع الآخر، وليست هي الأربعة المذكورة في قوله: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ) (التوبة: من الآية36) ؛ فإن تلك واحد فرد، وثلاثة سرد: رجبٌ، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحَرَّمُ• ولم يَسِرْ المشركين في هذه الأربعة؛ فإن هذا لا يمكن لأنها غير متوالية، وهو إنما أجلهم أربعة أشهر، ثم أمره بعد انسلاخها أن يقاتلهم، فقتل الناقض لعهده، وأجّل من لا عهد له، أو له عهد مطلق أربعة أشهر، وأمره أن يُتمَّ للموفي بعهده عهدَه إلى مدته، فأسلم هؤلاء كُلُّهم، ولم يُقيموا على كفرهم إلى مدتهم، وضَرَبَ على أهل الذمة الجزية•

فاستقر أمرُ الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد، وأهل ذمة، ثم آلت حالُ أهل العهد والصلح إلى الإسلام، فصاروا معه قسمين: محاربين، وأهل ذمة، والمحاربون له خائفون منه، فصار أهلُ الأرض معه ثلاثة أقسام: مسلم مؤمن به، ومسالم له آمن، وخائف محارب•

وأما سيرته في المنافقين: فإنه أُمِرَ أن يقبل منهم علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله، وأن يجاهدهم بالعلم والحُجَّة، وأمره أن يُعْرِضَ عنهم، ويُغلِظَ عليهم، وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم، ونهاه أن يُصلي عليهم، وأن يقوم على قبورهم، وأخبر أنه إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم؛ فهذه سيرته في أعدائه من الكفار والمنافقين"(28). ا.هـ.

ونخلص بعد هذا الكلام النفيس في بيان المراحل التي تنقل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته وجهاده إلى النتائج التالية:

1- أن الرسول صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية قد أُمِرَ بكف اليد وترك الجهاد المسلح مع كفار قريش، وأُمِرَ فيها بجهاد البلاغ والبيان، وتحمل في سبيل

ذلك هو وأصحابه رضي الله عنهم من الأذى أصنافًا كثيرة• ولا شك أن في الأمر بكف اليد في المرحلة المكية حكمًا وغايات عظيمة لعل من أبرزها:

– ضعف المسلمين وقلة عددهم بحيث لو تمت المواجهة مع المشركين فإن ذلك من شأنه أن يئد الدعوة في مهدها•

– ومنها: الإعداد والتربية للقاعدة الصلبة التي يقوم على كاهلها نشر الإسلام ونصرة الدين•

– ومنها: أن يأخذ البلاغ حقه، وتقوم الحجة على المشركين، ويتم البيان للناس عن حقيقة الإسلام وحقيقة سبيل المجرمين، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة•

وغير ذلك من الحكم(29).

2– أن الجهاد المسلح للكفار لم يؤذن فيه إلا بعد الهجرة بعد أن تهيأ للمسلمين المكان الذي يأمنون فيه وينطلقون منه ويفيئون إليه•

وجاء الإذن في أول الأمر لرفع الظلم، ثم تلا ذلك الأمر بجهاد المعتدي، ثم لمَّا قويت شوكة المسلمين بدأ جهاد الطلب حتى انتهى أمر الجهاد بعد آية السيف إلى أن لا يقبل من الناس إلا الإسلام أو الجزية أو الحرب•

وفي ضوء ما سبق عرضه من غايات الجهاد ومراحله يمكن مناقشة موقفين خاطئين من الجهاد اليوم أحدهما يقابل الآخر•

الموقف الأول:

هو من نظر إلى أحوال المسلمين اليوم وضعفهم وعجزهم عن مواجهة أعدائهم فرأى استحالة الجهاد في هذا الزمان، ورضي بالأمر الواقع ولم يسع للإعداد والاستعداد، وتجاوز تبرير ضعفه وموقفه إلى التشنيع على الحركات الجهادية التي قامت للدفاع عن المسلمين في بقاع الأرض؛ كما في كشمير وأفغانستان والشيشان وفلسطين وغيرها•

ويستند أصحاب هذا الرأي على هديه صلى الله عليه وسلم مع المشركين في مكة؛ حيث أُمِرَ بكف اليد والصبر• وهذا الاستدلال صحيح في حد ذاته فيما لو نظر أصحاب هذا الرأي إلى أنها مرحلة مؤقتة يسعون فيها إلى بذل الجهد في الدعوة

والإعداد لتغيير النفوس وشحذ الهمم وتربيتها على التضحية والبذل في سبيل الله عز وجل•

أما أن ينظر لهذه المرحلة وكأنها دائمة فيستسلم للواقع وتُستمرأ الذلة، وتفتر الهمم ولا يحصل الإعداد للجهاد في سبيل الله عز وجل؛ فهذا مخالف لهديه صلى الله عليه وسلم؛ حيث كان مع كف اليد يربي الصحابة على التوحيد الخالص، والصبر في سبيل الله عز وجل، ويعد النفوس للتضحية بالمال والوطن والنفس في سبيل الله عز وجل؛ وهذا مطلوب لذاته كما أنه من أعظم العدة والزاد لما يُنتظر من الهجرة والجهاد في سبيل الله عز وجل• ويلحق بأصحاب هذا الرأي أولئك المهزومون الذين سبقت الإشارة إليهم في الصفحات السابقة عند الحديث عن غاية الجهاد في سبيل الله؛ وهم الذين وقفوا مع المراحل الأولى للدعوة وفرضية الجهاد، وحاولوا تقييد النصوص التي تأمر بجهاد الكفار أينما ثُقِفُوا بنصوص المراحل السابقة التي فيها الأمر بجهاد الدفع ورد الأعداء فحسب•

وفي ذلك يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: "إن هذه النصوص التي يلتجئون إليها نصوص مرحلية تواجه واقعًا معيناً• وهذا الواقع المعين قد يتكرر وقوعه في حياة الأمة المسلمة• وفي هذه الحالة تطبق هذه النصوص المرحلية لأن واقعها يقرر أنها في مثل تلك المرحلة التي واجهتها تلك النصوص بتلك الأحكام، ولكن هذا ليس معناه أن هذه هي غاية المنى، وأن هذه هي نهاية خطوات هذا الدين •• إنما معناه أن على الأمة المسلمة أن تمضي قدمًا في تحسين ظروفها، وفي إزالة العوائق من طريقها حتى تتمكن في النهاية من تطبيق الأحكام النهائية الواردة في السورة الأخيرة، والتي كانت تواجه واقعًا غير الواقع الذي واجهته النصوص المرحلية"(30).

ولذلك فهم يتعاظمون مثل قوله تعالى: (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) (التوبة: من الآية5)، وقوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (التوبة:123).

ويحاول سيد قطب – رحمه الله تعالى – تفسير مواقف هؤلاء المهزومين، ولماذا تهولهم مثل هذه النصوص حتى يحاولوا تقييدها بالمراحل السابقة من أحكام فرض الجهاد فيقول: "إننا نعرف لماذا يهولهم هذا الأمر ويتعاظمهم على هذا النحو •• إنهم ينسون أن الجهاد في الإسلام جهاد في "سبيل الله" •• جهاد لتقرير ألوهية الله في الأرض وطرد الطواغيت المغتصبة لسلطان الله •• جهاد لتحرير "الإنسان" من العبودية لغير الله، ومن فتنته بالقوة عن الدينونة لله وحده والانطلاق من العبودية للعباد •• "حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله" •• وأنه ليس جهادًا لتغليب مذهب بشري على مذهب بشري مثله؛ إنما هو جهاد لتغليب منهج الله على مناهج العبيد! وليس جهاداً لتغليب سلطان قوم على سلطان قوم؛ إنما هو جهاد لتغليب سلطان الله على سلطان العبيد! وليس جهادًا لإقامة مملكة العبد؛ إنما هو جهاد لإقامة مملكة الله في الأرض •• ومن ثم ينبغي له أن ينطلق في "الأرض" كلها، لتحرير "الإنسان" كله؛ بلا تفرقة بين ما هو داخل في حدود الإسلام وبين ما هو خارج عنها •• فكلها "أرض" يسكنها "الإنسان" وكلها فيها طواغيت تُعَبِّد العباد للعباد!

وحين ينسون هذه الحقيقة يهولهم طبعًا أن ينطلق منهج ليكتسح كل المناهج، وأن تنطلق أمة لتخضع سائر الأمم •• إنها في هذا الوضع لا تستساغ! وهي فعلاً لا تستساغ! •• لولا أن الأمر ليس كذلك، وليس له شبيه فيما بين أنظمة البشر اليوم من إمكان التعايش! إنها كلها اليوم أنظمة بشرية؛ فليس لواحد منها أن يقول: إنه هو وحده صاحب الحق في البقاء! وليس الحال كذلك في نظام إلهي يواجه أنظمة بشرية؛ ليبطل هذه الأنظمة كلها ويدمرها كي يطلق البشر جميعًا من ذلة العبودية للعباد، ويرفع البشر جميعًا إلى كرامة العبودية لله وحده بلا شريك!

ثم إنه يهولهم الأمر ويتعاظمهم لأنهم يواجهون هجوماً صليبيًا منظمًا لئيمًا ماكرًا خبيثًا يقول لهم: إن العقيدة الإسلامية قد انتشرت بالسيف، وإن الجهاد كان لإكراه الآخرين على العقيدة الإسلامية وانتهاك حرمة حرية الاعتقاد!

وأخيرًا فإن صورة الانطلاق في الأرض لمواجهة من يلون المسلمين من الكفار تهول المهزومين روحيًا في هذا الزمان وتتعاظمهم؛ لأنهم يبصرون بالواقع من حولهم وبتكاليف هذا الانطلاق فيهولهم الأمر •• وهو يهول فعلاً! •• فهل هؤلاء الذين

يحملون أسماء المسلمين، وهم شعوب مغلوبة على أمرها؛ أو قليلة الحيلة عمومًا! هل هؤلاء هم الذين سينطلقون في الأرض يواجهون أمم الأرض جميعًا بالقتال، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله؟! إنه لأمر لا يتصور عقلاً •• ولا يمكن أن يكون هذا هو أمر الله فعلاً!

ولكن فات هؤلاء جميعًا أن يروا متى كان هذا الأمر؟ وفي أي ظرف؟ لقد كان بعد أن قامت للإسلام دولة تحكم بحكم الله؛ دانت لها الجزيرة العربية ودخلت في هذا الدين، ونظمت على أساسه• وقبل ذلك كله كانت هناك العصبة المسلمة التي باعت أنفسها لله بيعة صدق، فنصرها الله يومًا بعد يوم، وغزوة بعد غزوة، ومرحلة بعد مرحلة••• إن الناس لا يستطيعون أن يفهموا أحكام هذا الدين، وهم في مثل ما هم فيه من الهزال• إنه لن يفقه أحكام هذا الدين إلا الذين يجاهدون في حركة تستهدف تقرير ألوهية الله وحده في الأرض، ومكافحة ألوهية الطواغيت"(31).

الموقف الثاني:

وأصحاب هذا الموقف يرون أن آية السيف التي نزلت في سورة براءة قد نسخت كل مراحل الجهاد السابقة؛ سواء من كف اليد أو المسالمة مع الكفار، أو عقد صلح أو هدنة معهم •• إلخ، ونظروا إلى أن قتال الكفار والمرتدين اليوم فرض دون أن ينظروا إلى أحوال المسلمين وضعفهم، ودون أن ينظروا إلى تحقيق شرائط الجهاد من: القدرة، وإقامة الحجة على الناس بالبيان الكافي لسبيل المؤمنين، والتعرية التامة لسبيل المجرمين؛ حتى يكفر من كفر ويهلك من هلك عن بينة، ويؤمن من آمن ويحيى من حيى عن بينة، ودون أن يكون هناك الإعداد المعنوي الروحي للمجاهدين علمًا وعملاً وعبادة وأخلاقًا•

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى–: "فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذي أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون"(32).

وقد جاء هذا الموقف الذي لم ينظر إلا إلى المرحلة الأخيرة من مراحل فرض الجهاد في مقابل الموقف السابق الذي لم ينظر إلا إلى المرحلة الأولى – وهي كف اليد – ولم يُعِدّ للمراحل الجهادية التي تلت كف اليد والصبر على أذى الكفار•

وبين هذين الموقفين موقف ثالث نحسب أنه الموافق لهديه صلى الله عليه وسلم في الدعوة والجهاد؛ وهو الموقف الذي رأى أن واقع المسلمين اليوم وما يعيشونه من ذلة ومهانة وتسلط أعدائهم عليهم وذهاب دولتهم هو أشبه ما يكون بحال الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة؛ حيث الاستضعاف وتسلط الكفار• ولكن أصحاب هذا الموقف فارقوا الموقف الأول الذي رضخ للواقع في أنهم لم يرضوا بالاستسلام للواقع، ولم يرضوا بالذل والمهانة؛ بل قاموا باتباع أثر النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه الظروف حيث جاهد وصبر وبلَّغ التوحيد الخالص للناس، وربى أصحابه رضي الله عنهم على التوحيد ومقتضياته، وأعدهم علمًا وعملاً للجهاد والتضحية في سبيل الله تعالى؛ فصبروا وصابروا، وهجروا الخلان والأوطان، واستعذبوا ذلك في سبيل الله عز وجل؛ حتى إذا علم الله عز وجل صدق ذلك منهم هيأ لهم المراحل التالية من مراحل الجهاد في سبيله سبحانه، وهيأ لهم الأنصار والدولة التي ينطلقون منها للجهاد في سبيل الله عز وجل، ففتحوا الدنيا ونشروا أنوار التوحيد ورسالة الإسلام في كل مكان قدروا عليه حتى أصبح الدين كله لله، وصارت كلمة الله هي العليا وكلمة الكافرين هي السفلى•

كما فارقوا الموقف الثاني بالصبر وعدم العجلة في جهاد الطلب للكفار والمرتدين قبل الإعداد الشامل لذلك•

تنبيه:

ليس المعني في الموقف الثاني تلك الحركات الجهادية التي تدافع عن المسلمين في أفغانستان والشيشان وغيرها، وإنما المعني هم أولئك الذين يرون مواجهة الأنظمة الطاغوتية في بلدان المسلمين دون الحصول على الحد الأدنى من الإعداد والقدرة، وقبل وضوح راية الكفر في تلك البلدان للناس، ودون وضوح راية أهل الإيمان في مقابل ذلك؛ مما ينشأ عنه اللبس والتلبيس على الناس، فتختلط الأوراق ويجد هؤلاء المجاهدون المستعجلون أنفسهم وجهًا لوجه أمام إخوانهم المسلمين الذين غرر بهم

ولبس عليهم وقيل لهم بأن حكومتهم شرعية، وأن الخارجين عليها متطرفون إرهابيون مفسدون، ولم يجد الناس من يزيل عنهم هذا اللبس• فحينئذ تقع الفتنة بين المسلمين، ويقتل بعضهم بعضًا•

أما تلك الحركات الجهادية التي أعلنت جهادها على الكفار في مثل أفغانستان لمواجهة التحالف الصليبي أو في كشمير لمواجهة الهندوس الوثنيين، أو في الشيشان لمواجهة الملاحدة الشيوعيين، أو في فلسطين لمواجهة اليهود الغاشمين فإنها حركات مشروعة لوضوح الراية الكفرية، وزوال اللبس عن المسلمين في تلك الأماكن، كما أنه جهاد للدفاع عن الدين والعرض والمكان حتى لا ترتفع فيه راية الكفار•

أما جهاد الطلب فإنه لا يكون إلا بعد قيام دولة وكيان قوي للمسلمين ينطلقون منه ويفيئون إليه، ويهاجر إليه وتصب طاقات المسلمين فيه• وقبل قيام هذا الكيان القوي الآمن فإنه ليس أمام المسلمين إلا إعداد العدة لإقامة هذا الكيان، والقيام بجهاد الدفع فيما لو تعرض المسلمون إلى عدو كافر يريد صرفهم عن دينهم أو استباحة دمائهم وأموالهم وأعراضهم وديارهم•

المقدمة الرابعة

فضائل الجهاد في سبيل الله تعالى وثماره في الدنيا والآخرة

تقدم الحديث عن غاية الجهاد في سبيل الله عز وجل وثمرته الكبرى في الدنيا والآخرة، وأنه شرع لتعبيد الناس لرب العالمين، وحتى لا تكون فتنة ولا شرك ويكون الدين كله لله• هذا في الدنيا أما في الآخرة فرضوان الله وجنته والنجاة من سخطه والنار•

وقد نبه الله سبحانه إلى خيرية الجهاد في الدنيا والآخرة في قوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (البقرة:216).

وسيتم في هذه المقدمة تفصيل بعض الثمار والخيرات التي تترتب على الجهاد في سبيل الله عز وجل في الدنيا والآخرة، والتي هي فرع عن غاية الجهاد.

(أ) الثمار التي تظهر في الدنيا :

1- بالجهاد تظهر حقيقة المحبة لله عز وجل وصدق العبودية له، ويظهر الصادق فيها من الكاذب؛ فالجهاد في سبيل الله تعالى وتقديم الروح رخيصة لله تعالى من أقوى البيان على صحة دعوى المحبة لله تعالى ولدينه، وبالجهاد يمحص ما في القلوب ويبتلى به ما في الصدور ويتخذ الله عز وجل من شاء من عباده شهداء•

وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى؛ فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخليُّ حُرقَة الشَّجيّ• فتنوع المدعون في الشهود• فقيل: لا تُقبل هذه الدعوى إلا ببينة (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)(آل عمران: من الآية31).

فتأخر الخلق كلهم، وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأخلاقه، فطولبوا بعدالة البينة بتزكية (يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (المائدة: من الآية54).

فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون، فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم، فهلموا إلى بيعة (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ)(التوبة: من الآية111).

فلما عرفوا عظمة المشتري، وفضل الثمن، وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع: عرفوا قدر السلعة، وأن لها شأنًا• فرأوا من أعظم الغَبْن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس• فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي، من غير ثبوت خيار• وقالوا: "والله لا نقيلك ولا نستقيلك"•

فلما تم العقد وسلموا المبيع، قيل لهم: منذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كانت، وأضعافها معًا: (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (آل عمران: 169-170)(33).

وقد تقدم قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "•• والجهاد دليل المحبة الكاملة ••• فإن المحبة مستلزمة للجهاد لأن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض محبوبه، ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضاه، ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به، وينهي عما نهى عنه؛ فهو موافق له في ذلك •••)(34).

وقال أيضًا: "فإذا ترك العبد ما يقدر عليه من الجهاد كان دليلاً على ضعف محبة الله ورسوله في قلبه"(35).

وهنا يحسن الإشارة إلى مسألة مهمة تتعلق بعقيدة الولاء والبراء والحب في الله والبغض في الله؛ ألا وهي: أن هذه الشعيرة العظيمة التي هي صلب التوحيد وأسه المتين إنما تقوى وتصقل بالجهاد في سبيل الله تعالى، والدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أنها تضعف ويصيبها الوهن بترك ذلك أو ضعفه• وإن المتأمل في كتاب الله عز وجل وفي واقع الدعوة إلى الله عز وجل يرى أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين الدعوة إلى الله تعالى والجهاد في سبيله، وبين عقيدة الولاء والبراء في نفس الداعية•

فكلما قويت الدعوة وقوي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحب الجهاد في نفس العبد المخلص لربه قويت هذه العقيدة في نفسه وظهرت بشكل واضح في حياته ومواقفه ومحبته وعداوته؛ حتى يصبح على استعداد أن يهجر وطنه وأهله وماله إذا اقتضى الأمر ذلك•

بل إن هذه العقيدة لتبلغ ذروة السنام في قلب الداعية ومواقفه؛ وذلك في جهاد أعداء الله ولو كانوا أقرب قريب؛ قال الله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة:71).

والعكس من ذلك واضح ومشاهد؛ فما من داعية فترت همته عن الدعوة والجهاد ومال إلى الدنيا وأهلها إلا كان الضعف في عقيدة الولاء والبراء مصاحبًا لذلك•

والحاصل أن عقيدة الولاء والبراء ليست عقيدة نظرية تحفظ في الذهن المجرد، بل هي: عقيدة وعمل ومفاصلة ودعوة وجهاد وحب وبغض؛ فإذا أردنا أن تقوى هذه العقيدة فهذا هو طريقها: طريق الدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله تعالى، وكلما ابتعد العبد عن هذه الأعمال مؤثرًا الراحة عليها فهذا معناه هشاشة هذه العقيدة وتعرضها للخطر والاهتزاز•

وهذه إحدى ثمار الجهاد؛ حيث يميز صادق الولاء لله تعالى ولدينه من كاذبه، كما أنه في نفس الوقت يقوي هذه العقيدة ويصقلها• والصلة بين الجهاد وعقيدة الولاء

والبراء صلة تناسب مطرد متبادل؛ بمعنى أن الحماس للجهاد والتضحية في سبيل الله تعالى يقوى بقوة عقيدة الولاء والبراء في القلب، كما أن الولاء والبراء يقوى ويشتد بالجهاد في سبيل الله تعالى•

2- نشر التوحيد وشريعة الإسلام التي يهنأ الناس في ظلالها، وتسعد البشرية بها، ويرتفع عنها الظلم والشقاء بارتفاع الشرك الذي فيه استعباد الناس وظلمهم وقهرهم• والتاريخ يشهد بذلك؛ فما من أمة فشى فيها الشرك والكفر إلا وعانت من الظلم والشقاء وتسلط الطواغيت الشيء العظيم، وما من أمة دخلها الإسلام وحكمها بحكمه العادل القائم على توحيد الله عز وجل إلا صلح أمرها وعاشت هنيئة سعيدة تحت ظلاله الوارفه، فالجهاد إذن شرع رحمة بالعباد•

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والطاعة عاقبتها سعادة الدنيا والآخرة؛ وذلك مما يفرح به العبد المطيع؛ فكان فيما أمر به من الطاعات عاقبته حميدة تعود إليه وإلى عباده؛ ففيها حكمة له ورحمة لعباده؛ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (الصف:10-13).

ففي الجهاد عاقبة محمودة للناس في الدنيا يحبونها: وهي النصر والفتح، وفي الآخرة الجنة، وفيه النجاة من النار؛ وقد قال تعالى في أول السورة (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) (الصف:4) فهو يحب ذلك؛ ففيه حكمة عائدة إلى الله تعالى وفيه رحمة للعباد؛ وهي ما يصل إليهم من النعمة في الدنيا والآخرة"(36).

3- بالجهاد يُدفع عذاب الله عز وجل ونقمته في الدنيا والآخرة ويعيش المسلمون حياة طيبة عزيزة خالية من التذلل للكفار والبقاء تحت سيطرتهم وقهرهم• والعكس من ذلك يحصل حين يُترك الجهاد ويركن الناس إلى الدنيا؛ حيث يحل محل العزة ذل المسلمين واستكانتهم لأعدائهم يسومونهم سوء العذاب في أديانهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم•

وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا ظن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بهم بلاء، فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم)(37).

وواقعنا المعاصر أكبر شاهد على ذلك؛ حيث يعد عصرنا من أسوء العصور التي مرت بالمسلمين حيث بلغ المسلمون فيه من الذل والاستكانة والتفرق ما لم يبلغوه في أي عصر مضى، مما أغرى بهم أعداؤهم فتداعوا إلى بلدان المسلمين كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، وما ذاك إلا بترك طاعة الله عز وجل وحب الدنيا وكراهية الموت، وترك الجهاد في سبيل الله تعالى•

ولن يُرفع هذا الذل عن المسلمين إلا أن يراجعوا دينهم ويرفعوا عَلَم الجهاد على الكفار ويعدوا ما استطاعوا من قوة لقتالهم دفاعًا وطلبًا• وقبل أن يتم ذلك فلا نرجو عزة، ولا نطمع أن يكف الكفار شرهم عن المسلمين بمجرد المفاوضات السياسية أو عن طريق مجلس الأمن – أعتذر – مجلس الخوف، أو هيئة الأمم الكفرية الطاغوتية• كلا فلن يردع الأعداء المعاصرين إلا ما ردع أسلافهم المعتدين من قبل؛ إنه الجهاد في سبيل الله تعالى•

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (الأنفال:24) ، فتضمنت هذه الآية أمورًا أحدها أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله؛ فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل البهائم• فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهرًا وباطنًا؛ فهؤلاء الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان• ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول؛ فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة؛ فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول•

قال مجاهد: لما يحييكم يعني للحق•

وقال قتادة: هو هذا القرآن؛ فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة•

وقال السدي: هو الإسلام؛ أحياهم به بعد موتهم بالكفر•

وقال ابن إسحاق وعروة بن الزبير واللفظ له: لما يحييكم يعني للحرب التي أعزكم الله بها بعد الذل، وقواكم بعد الضعف، ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم•

وهذه كلها عبارات عن حقيقة واحدة، وهي: القيام بما جاء به الرسول ظاهرًا وباطنًا•

قال الواحدي: والأكثرون على أن معنى قوله لما يحييكم هو: الجهاد، وهو قول ابن إسحاق واختيار أكثر أهل المعاني•

قال الفراء: إذا دعاكم إلى إحياء أمركم بجهاد عدوكم، يريد أن أمرهم إنما يقوى بالحرب والجهاد؛ فلو تركوا الجهاد ضعف أمرهم واجترأ عليهم عدوهم• قلت: الجهاد من أعظم ما يحييهم به في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة"(38).

4- المجاهدون في سبيل الله تعالى من أهدى الناس إلى الحق، وأسعدهم بسبيل الله عز وجل عند اختلاف السبل؛ قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت:69).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ولهذا كان الجهاد موجبًا للهداية التي هي محيطة بأبواب العلم؛ كما دل عليه قوله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) ، فجعل لمن جاهد فيه هداية جميع سبله تعالى؛ ولهذا قال الإمامان عبدالله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما: إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ماذا عليه أهل الثغر فإن الحق معهم لأن الله يقول: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)(39) ا•هـ، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ) (محمد:4-5).

قرأها الجمهور: "قاتلوا" وقرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم: "قتلوا".

5- الجهاد في سبيل الله تعالى من أعظم وسائل التربية للنفس وتزكيتها باطنًا وظاهرًا: فكم من الأخلاق الفاضلة وأعمال القلوب الزكية لا يمكن إصلاحها والوصول بها إلى كمالها أو قرب كمالها إلا بالجهاد في سبيل الله تعالى• وبدون الجهاد ستبقى هذه الأعمال ضعيفة أو يصعب على العبد تكميلها وهو قاعد•

وهذا ما أشار إليه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في تعليقه على كون الجهاد ذروة سنام هذا الدين؛ حيث قال: "••• ولهذا كان الجهاد سنام العمل، وانتظم سنام جميع الأحوال الشريفة؛ ففيه سنام المحبة، كما في قوله: (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ) (المائدة: من الآية54). وفيه سنام التوكل وسنام الصبر؛ فإن المجاهد أحوج الناس إلى الصبر والتوكل؛ ولهذا قال تعالى: (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (النحل:41-42).

وقال تعالى: (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (لأعراف:128).

••• وفي الجهاد أيضاً: حقيقة الزهد في الحياة الدنيا، وفي الدار الدنيا، وفيه أيضًا: حقيقة الإخلاص؛ فإن الكلام فيمن يجاهد في سبيل الله، لا في سبيل الرياسة، ولا في سبيل المال، ولا في سبيل الحمية، وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة الله هي العليا• وأعظم مراتب الإخلاص تسليم النفس والمال للمعبود، كما قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ) (التوبة: من الآية111)(40).

6- وحدة صف المسلمين واجتماع كلمتهم: حيث إن استقراء التاريخ يدل على أن الجهاد في سبيل الله عز وجل يوحد صفوف المسلمين ويضيق أبواب الخلاف، وما من وقت كان المسلمون يقارعون فيه أعداءهم الكفار إلا وكانوا فيه في غاية الإخاء والاتحاد، وما كانوا ينتهون من غزوة أو معركة إلا ويدخلون في أخرى، ولم يجد الخلاف إليهم سبيلا، والعكس من ذلك يحدث عندما يعطل الجهاد وينشغل المسلمون بعضهم ببعض•

(ب) الثمار الأخروية للجهاد :

في الآخرة تتحقق الثمرة العظمى للجهاد في سبيل الله تعالى، والتي تنافس فيها المتنافسون، وضحى في سبيلها المجاهدون بأرواحهم رخيصة راضية بها نفوسهم، وكيف لا وهم يرجون رحمة الله تعالى ورضوانه وجناته؟! هذه الغاية الشريفة والثمرة العظيمة التي يرخص في سبيلها كل شيء•

وإن المتأمل في كتاب الله عز وجل والمتدبر لجميع الآيات التي ورد فيها ذكر الجنة وما أعد الله عز وجل فيها لأهلها من الرضوان والنعيم ليلفت نظره أمرٌ مهم وشيئ

عجيب؛ ألا وهو أن جل ما ورد من الآيات التي يذكر فيها سبحانه ما أعد لأوليائه من الجنة والرضوان يسبقها في العادة صفات الموعودين بذلك، وبالتأمل في أوصافهم تلك نجد أنها تكاد تنحصر في: المجاهدين، والصابرين، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر• وفيما يلي ذكر بعض الآيات التي يذكر الله عز وجل فيها ما أعد لعباده المجاهدين من الرحمة والنعيم والرضوان•

– الآية الأولى: قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (البقرة:218).

– الآية الثانية: قوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (البقرة:214).

– الآية الثالثة: قوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) (آل عمران:142).

– الآية الرابعة: قوله تعالى:)وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (آل عمران:157).

– الآية الخامسة: قوله تعالى: (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ) (آل عمران:169-172).

– الآية السادسة: قوله تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) (آل عمران:195).

– الآية السابعة: قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال:74).

- الآيـة الثامنـة: قولـه تعـالى: (الَّذِينَ آمَنُـوا وَهَـاجَرُوا وَجَاهَـدُوا فِـي سَـبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِـهِمْ أَعْظَـمُ دَرَجَـةً عِنْـدَ اللَّهِ وَأُولَئِـكَ هُـمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَـةٍ مِنْـهُ وَرِضْـوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (التوبـة: 20-22).

- الآيـة التاسـعة: قولـه تعـالى: (وَالْمُؤْمِنُـونَ وَالْمُؤْمِنَـاتُ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْـضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّـلاةَ وَيُؤْتُـونَ الزَّكَـاةَ وَيُطِيعُـونَ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـاتِ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة:71-72).

- الآيـة العاشرة: قولـه تعـالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَـهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّـةَ يُقَـاتِلُونَ فِـي سَـبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُـونَ وَيُقْتَلُـونَ وَعْـداً عَلَيْـهِ حَقّـاً فِـي التَّـوْرَاةِ وَالْإِنْجِيـلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَـى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِـرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِـهِ وَذَلِكَ هُـوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة:111).

- الآيـة الحاديـة عشـر: قولـه تعـالى: (وَالَّذِينَ قُتِلُـوا فِـي سَـبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِـلَّ أَعْمَـالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) (محمد:4-6).

- الآية الثانية عشر: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَـى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُـونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِـي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (الصف: 10-12).

وأما الأحاديث في فضائل الجهاد وما أعد الله للمجاهدين والشهداء في الآخرة فهي كثيرة جدًا والمتأمل في أحاديث الفضائل يجد أنه ما من عمل صالح جاء في فضيلته والترغيب فيه والثناء على أهله أحاديث كثيرة لم تأت لغيره من الصالحات كما جاء في شعيرة الجهاد؛ ومن هذه الأحاديث:

- قولـه صلى الله عليـه وسلم: (انتدب الله لمن خـرج فـي سبيله لا يخرجـه إلا إيمانٌ بي، وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجرٍ أو غنيمةٍ أو أدخله الجنة، ولولا أن

أشق على أمتي ما قعدت خلف سَرية، ولوددت أني أقتلُ في سبيل الله، ثم أحيا، ثم أُقتل، ثم أُحيا، ثم أُقتل)(41).

- وقوله صلى الله عليه وسلم: (مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المُجاهد في سبيل الله)(42).

- وقوله صلى الله عليه وسلم: (من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقةِ، وجبت له الجنة)(43).

- وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن في الجنة مائة درجةٍ أعدها الله للمُجاهدين في سبيل الله؛ ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سأَلتم الله فاسألُوهُ الفرْدَوس؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة)(44).

- وقوله صلى الله عليه وسلم لأبي سعيد: (من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً، وجبت له الجنة) فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعِدْهَا عليَّ يا رسول الله، ففعل، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وأُخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض) قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: (الجهادُ في سبيل الله)(45).

- وقوله صلى الله عليه وسلم: (من اغبرَّت قدماه في سبيل الله حرَّمه الله على النار)(46).

- وقوله صلى الله عليه وسلم: (من راح روحة في سبيل الله كان له بمثل ما أصابه من الغبار مسكًا يوم القيامة)(47).

- وقوله صلى الله عليه وسلم: (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)(48).

- وقوله صلى الله عليه وسلم: (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه وأمن الفتان)(49).

- وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف)(50).

– وقوله صلى الله عليه وسلم: (طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يُشَفَّع)(51).

ولأجل هذه الفضائل كان السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم ومَنْ بعدهم أحرص الناس على هذه الشعيرة العظيمة؛ فتسابقوا في بذل أنفسهم رخيصة في سبيل الله عز وجل راجين هذه الفضائل العظيمة، وعلى رأسها رضوان الله عز وجل ورحمته وجنته• وأسوق فيما يلي نماذج من حرص السلف على هذه الشعيرة العظيمة:

– عن حماد بن سلمة: حدثنا عليُّ بن زيد، عن ابن المسيِّب، قال: أقبل صُهيب مهاجرًا، واتبعه نفرٌ، فنزل عن راحلته، ونثل كِنانته، وقال: لقد علمتم أني من أرماكم، وأيمُ الله لا تصلون إليَّ حتى أرمي بكل سهم معي، ثم أضربُكم بسيفي، فإن شئتُم دللتُكم على مالي، وخلَّيتُم سبيلي؟ قالوا: نفعل• فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ربح البيعُ أبا يحيى!) ونزلت: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) (البقرة: من الآية207)(52).

– وقال الواقدي : حدثنا عبدالله بن نافع، عن أبيه عن ابن عمر، قال: رأيتُ عمارًا يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين، أَمِن الجنة تَفِرُّون، أنا عمارُ بن ياسر، هلمُّوا إليَّ! وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت، فهي تَذَبْذَبُ وهو يُقاتلُ أشد القتال"(53).

– وقال ابن الجوزي في ترجمة سعد بن خيثمة : يكنى أبا عبدالله، أحد نقباء الأنصار الاثنا عشر• شهد العقبة الأخيرة مع السبعين• ولما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ إلى غزوة بدر قال له أبوه خيثمة: إنه لا بد لأحدنا أن يقيم، فآثرني بالخروج وأقم مع نسائك• فأبى سعد وقال: لو كان غير الجنة آثرتك به، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا فاستَّهما فخرج سهم سعد فخرج فقتل ببدر(54).

– وعن ابن عُيينة عن ابن أبي خالد، عن مولى لآل خالد بن الوليد أن خالدًا قال: ما من ليلة يُهدى إليَّ فيها عروسٌ أنا لها مُحِبٌّ أحبّ إليَّ من ليلة شديدة البرد، كثيرة الجليد في سريَّةٍ أُصَبِّحُ فيها العَدُوَّ(55).

– وعن جُبير بن نُفَير قال : جلسنا إلى المقداد بن الأسود بدمشق وهو يحدثنا وهو على تابوت ما به عنه فضل، فقال له رجل: لو قعدت العام عن الغزو؟ قال: أبت البحوث – يعني سورة التوبة – قال الله تبارك وتعالى: (انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً) قال أبو عثمان: بحثت المنافقين(56).

– وعن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه قال : بعثني النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحد أطلب سعد بن الربيع، فقال لي: إنْ رأيتَه، فأقْرِه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله: كيف تجدك؟ فطفتُ بين القتلى، فأصبته وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة فأخبرته، فقال: على رسول الله السلام وعليك، قل له: يا رسول الله! أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيكم شفْر يطرف، قال: وفاضت نفسه رضي الله عنه(57).

– وعن حَمَّادِ بنِ سلمة، عن ثابت وعلي بن زيد، عن أنس: أنَّ أبا طلحة قرأ: (انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً) فقال: استنفرنا الله، وأمرنا شيوخنا وشبابنا، جهزوني• فقال بنوه: يرحمُك الله! إنك قد غزوت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعمر، ونحن نغزو عنك الآن• قال: فغزا البحر، فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونَه فيها إلاَّ بعد سبعة أيام، فلم يتغير(58).

– وعن أنس رضي الله عنه قال : "بعث النبي صلى الله عليه وسلم أقوامًا من بني سليم إلى بني عامر في سبعين فلما قدموا قال لهم خالي: أتقدمكم، فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلا كنتم مني قريبًا، فتقدم فأمَّنوه، فبينما يحدثهم عن النبي صلى الله عليه وسلم إذ أومؤوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه فقال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة• ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم إلا رجل أعرج صعد الجبل، فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم أنهم لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم ••"(59).

– وعن ثابت البناني عن ابن أبي ليلى، أن ابن أم مكتوم قال: أي ربِّ! أنزل عذري• فأنزلت (غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ) (النساء: من الآية95). فكان بعدُ يغزو ويقولُ: ادفعوا إليَّ اللواءَ، فإني أعمى لا أستطيع أن أفِرَّ، وأقيموني بين الصفين(60).

- وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : لما توجه النبيُّ صلى الله عليه وسلم من مكة حمل أبو بكر معه جميع ماله - خمسة آلاف، أو ستة آلاف - فأتاني جدِّي أبو قُحافة وقد عمِي، فقال: إن هذا قد فجعكم بماله ونفسه• فقلتُ: كلا، قد ترك لنا خيرًا كثيرًا• فعمدتُ إلى أحجارٍ، فجعَلْتُهنَّ في كوَّة البيت، وغطيتُ عليها بثوب، ثم أخذتُ بيده، ووضعتُها على الثوب، فقلتُ: هذا تركه لنا• فقال: أَمَا إذْ ترك لكم هذا فنعم(61).

- وروى عاصم بن بهدلة عن أبي وائل أظن قال: لما حضرت خالدًا الوفاةُ، قال: لقد طلبتُ القتل مظانَّه فلم يُقَدَّر لي إلا أن أموت على فراشي• وما من عملي شيءٌ أرجى عندي بعد التوحيد من ليلة بتُّها وأنا متترس، والسماء تهلّني ننتظر الصبح حتى نُغيرَ على الكفار• ثم قال: إذا متُّ فانظروا إلى سلاحي وفرسي، فاجعلوه عدة في سبيل الله• فلما تُوفي، خرج عمر على جنازته، فذكر قوله: ما على آل الوليد أن يَسْفَحْنَ على خالد من دمُوعهن ما لم يكن نَقْعًا أو لَقْلَقَةً(62).

- ومن ترجمة أبي عقيل عبدالرحمن بن ثعلبة - وهو بدري شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - روى ابن الجوزي عن جعفر بن عبدالله بن أسلم قال: لما كان يوم اليمامة واصطف الناس كان أول من جُرح أبو عَقِيل؛ رُمي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤادِه في غير مَقتل، فأخرج السهم ووهَن له شقَّه الأيسر في أول النهار، وجُرَّ إلى الرحل• فلما حمي القتال وانهزم المسلمون وجاوزوا رحالهم، وأبو عقيل واهن من جرحه، سمع معن بن عدي يصيح يا للأنصار! الله الله والكرّة على عدوكم• قال عبدالله بن عمر: فنهض أبو عقيل يريد قومه، فقلت: ما تريد؟ ما فيك قتال• قال: فد نوَّه المنادي باسمي قال ابن عمر: فقلت له: إنما يقول: يا للأنصار، ولا يعني الجرحى• قال أبو عقيل: أنا من الأنصار، وأنا أجيبه ولو حَبْوًا• قال ابن عمر: فتحزَّم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى، ثم جعل ينادي: يا للأنصار، كرَةً كيوم حُنين فاجتمعوا رحمكم الله جميعاً تقدّموا فالمسلمون دريئة دون عدوهم، حتى أقحموا عدوّهم الحديقة فاختلطوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم• قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عقيل وقد قُطعت يده المجروحة من المنكب فوقعتْ إلى الأرض وبه من الجراح أربعة عشر جرحًا كلها قد خلصت إلى مقتل، وقُتل عدو الله مسيلمة• قال

ابن عمر فوقفت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق فقلت: يا أبا عقيل! قال: لبيك – بلسان ملتاث (63)– لمن الدَبرَة(64).؟ قلت: أبشر قد قتل عدو الله• فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله• ومات يرحمه الله•

قال ابن عمر: فأخبرت عمر، بعد أن قدمت، خبره كله• فقال: رحمه الله؛ ما زال يسعى للشهادة ويطلبها، وإن كان – ما علمت – من خيار أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم وقديم إسلامهم رضي الله عنهم(65).

– ومن ترجمة واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: عن محمد بن سعد قال: أتى واثلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى معه الصبح• وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى وانصرف تصفح أصحابه• فلما دنا من واثلة قال: من أنت؟ فأخبره فقال: ما جاء بك؟ قال: جئت أبايع• فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيما أحببتَ وكرهتَ؟ قال: نعم• قال: فيما أطقت؟ قال: نعم• فأسلم وبايعه(66).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز يومئذ إلى تبوك فخرج واثلة إلى أهله فلقي أباه الأسقع فلما رأى حاله قال: قد فعلتها؟ قال: نعم• قال أبوه: والله لا أكلمك أبداً• فأتى عمه فسلم عليه، فقال: قد فعلتها؟ قال: نعم• فلامه أيسر من ملامة أبيه وقال: لم يكن ينبغي لك أن تسبقنا بأمر• فسمعت أخت واثلة كلامه فخرجت إليه وسلمت عليه بتحية الإسلام• فقال واثلة: أنىَّ لكِ هذا يا أخيّة؟ قالت: سمعت كلامك وكلام عمك فأسلمت• فقال: جهّزي أخاك جهازَ غَازٍ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم على جناح سفر• فجهزته فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم قد تحمَّل إلى تبوك وبقي غُبَّراتٌ(67) من الناس وهم على الشخوص(68) فجعل ينادي بسوق بني قينقاع: من يحملني وله سهمي؟ قال: وكنت رجلاً لا رِحلة(69) بي. قال: فدعاني كعب بن عُجْرة فقال: أنا أحملك عقبة بالليل وعقبة بالنهار ويدك أسوة يدي وسهمك لي• قال واثلة: نعم• قال واثلة: جزاه الله خيرًا لقد كان يحملني ويزيدني وآكل معه ويرفع لي، حتى إذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبدالملك بدومة الجندل خرج كعب في جيش خالد وخرجت معه فأصبنا فيئًا كثيرًا فقسمه خالد بيننا فأصابني ست قلائص(70) فأقبلت أسوقها حتى جئت بها خيمة

كعب بن عجرة فقلت: اخرج رحمك الله فانظر إلى قلائصك فاقبضها• فخرج وهو يبتسم ويقول: بارك الله لك فيها ما حملتك وأنا أريد أن آخذ منك شيئًا(71).

– وعن عبدالله بن قيس أبي أميَّة الغفاري قال: كنا في غزاة لنا فحضر عدوهم فصيح في الناس فهم يثوبون إلى مصافهم، إذا رجل أمامي، رأس فرسي عند عجز فرسه، وهو يخاطب نفسه ويقول: أي نفس ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي: أهلك وعيالك، فأطعتُك ورجعتُ؟ ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت: أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت؟ والله لأعرضنَّك اليوم على الله، أخذك أو تركك• فقلت: لأرمقنه اليوم• فرمقته فحمل الناسُ على عدوهم فكان في أوائلهم، ثم إن العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في حماتهم، ثم إن الناس حملوا فكانوا في أوائلهم، ثم حمل العدو وانكشف الناس فكان في حماتهم• قال: فوالله ما زال ذلك دأبه حتى رأيته صريعًا• فعددتُ به وبدابته ستين، أو أكثر من ستين طعنة(72).

– وعن ابن المبارك عن السري بن يحيى، حدثنا العلاء بن هلال أن رجلاً قال لصلة: يا أبا الصهباء! رأيت أني أعطيتُ شهدة، وأُعطيت شهدتين، فقال تستشهد وأنا وابني، فلما كان يوم يزيد بن زياد؛ لقيتهم التركُ بسجستان فانهزموا• وقال صلة: يا بُني ارجع إلى أمك• قال: يا أبة؛ تريدُ الخير لنفسك، وتأمرني بالرجوع! قال فتقدم، فتقدم، فقاتل حتى أصيب فرمى صلة عن جسده – وكان راميًا – حتى تفرقوا عنه فأقبل حتى قام عليه فدعا له ثم قاتل حتى قتل رحمه الله(73).

– وقال حماد بن سلمة : أخبرنا ثابت أن صِلَةَ كان في الغزو، ومعه ابنه، فقال: أي بُنَـي! تقدَّمْ، فقاتل حتى أَحْتَسبك، فحمل، فقاتل، حتى قُتِلَ، ثم تقدَّم صِلَةُ، فقُتل، فاجتمع النساءُ عند امرأته معاذة، فقالت: مرحباً إن كُنْتُنَّ جئتُنَّ لتُهنِّئنني، وإن كُنتُنَّ جِئتُنَّ لغير ذلك، فارجعْنَ(74).

سؤال وجوابه:

بعد ذكر هذه الفضائل والثمار العظيمة للجهاد والمجاهدين في سبيل الله عز وجل يتبادر إلى الذهن سؤال جدير بالجواب ألا وهو: لماذا هذه الفضائل العظيمة التي أُعدت للمجاهدين والشهداء في سبيل الله عز وجل دون غيرهم؟

الجواب – والله أعلم – يكمن في معرفة غاية الجهاد وبواعثه في نفس المؤمن• وقد مر بنا في مقدمة سابقة أنه تعبد لله تعالى ومحك حقيقي لمحبة الله عز وجل؛ فالجهاد في سبيل الله تعالى وبذل الروح رخيصة له سبحانه أكبر دليل على صدق المحبة والعبودية لله تعالى؛ والتي يستحق صاحبها هذه الفضائل العظيمة دون غيرها من الأعمال•

كما أن تقديم الروح في سبيل الله عز وجل لأجل أن ينتشر التوحيد والعدل في الأرض، ويكون الدين كله لله، وينجو الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد لهو أيضًا عمل شريف كريم عظيم يستحق صاحبه هذه الفضائل العظيمة؛ حيث بذل نفسه في سبيل الله تعالى حتى ينجو بموته فئام من الناس ويخرجون من الظلمات إلى النور ومن الجحيم إلى النعيم؛ فأكرم به من عمل وأعظم بها من غاية•

وفي هذا يستطرد الأستاذ المودودي رحمه الله تعالى حيث يقول: "ما سبب فضل الجهاد في سبيل الله، وسبب امتداحه بهذا الشكل؟ ولماذا يقال للمجاهدين في سبيل الله مرة بعد مرة إنهم هم الفائزون، وإن لهم الدرجات العليا؟ ولماذا وُجّه مثل هذا التحذير للقاعدين في بيوتهم لا يشاركون في هذا الجهاد؟

إن الإجابة على هذا السؤال تستلزم مراجعة النظر مرة ثانية في تلك الآيات التي ورد فيها ذكر حكم الجهاد وفضله، ومساوئ الفرار منه؛ ففي هذه الآيات لم يرد معنى الفوز والعظمة في أي موضع بالحصول على المال والثروة، والملك والسلطان مثلما كان كرشن يقول لأرجُن: "إذا فزت في هذا القتال فسوف تنال ملك الدنيا" (جيتا 2:73)، فمثل هذا لم يرد في القرآن، ولم يحث القرآن المجاهدين على القتال في سبيل الله لينالوا مقابله ثروة الدنيا وسلطانها، بل على العكس من هذا كلما ذكرت ثمار الجهاد في سبيل الله كان ذكرها مقترنا بمرضاة الله فقط، والحصول على مقام عالٍ عند الله، والنجاة من العذاب الأليم• وقد أرشد رب العزة عباده إلى أن الخروج في سبيل الله أفضل من سقاية الحاج وعمارة البيت – وكانتا من أكبر مصادر الدخل عند العرب، وأعظمها أثرًا ورسوخًا – ولم يذكر للجهاد من ثمرة سوى: "أعظم درجة عند الله"(75)، وفي مكان آخر أرشد عباده وعلمهم قاعدة من قواعد التجارة يظن منها أنه يذكر الثروة والمال، ولكن بعد قليل نلاحظ أن حقيقة هذه التجارة أو رأسمالها

هو التضحية بالروح والمال في سبيل الله، والثمرة – أي ثمرة هذه التجارة – هي النجاة من العذاب، وفي موضع آخر يحذر ويعنف الهاربين من القتال لأنهم أصبحوا أسرى لمحبة زوجاتهم وأولادهم، وأنهم يخشون على أموالهم التي كسبوها، ويخشون كساد تجارتهم، بينما المجاهدون في سبيل الله يقاتلون في هذه الدنيا وينتصرون ويفتحون البلاد، ويحصلون على أموال طائلة، وتزدهر تجارتهم، ويجدون مساكن يسلبونها من الأمة المغلوبة، إلا أن هذا ليس هو المقصود بالجهاد •• فإذا لم يكن المقصود من هذا الجهاد ثروة الدنيا وسلطانها فماذا ينال من هذا القتال حتى يعد عباده المقاتلين بالدرجات العليا؟ وماذا في هذا العمل الخطير حتى يجعل من أقدام المهرولين إليه المثيرة للغبار موردًا للطفه وعنايته؟ ثم أي نجاح وأي فوز يكمن فيه حتى يقال "مرة بعد مرة" عن المقاتلين في هذه الحروب الشديدة إنهم هم الفائزون (وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) (التوبة: من الآية20) ؟!•

إن الإجابة على جميع هذه التساؤلات تكمن في قوله تعالى: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) (البقرة: من الآية251)، (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) (الأنفال: من الآية73)؛ فالله لا يريد أن تنتشر الفتن وينتشر الفساد على أرضه، وهو لا يقبل أن يتعذب عباده دون ذنب، أو أن يحل بهم الدمار والبلاء، ولا يحب أن يأكل القوي الضعيف، وأن يسلبه أمنه وطمأنينته، أو أن يصاب عباده في حياتهم الأخلاقية والنفسية والمادية، وهو لا يرضى أن تنتشر أعمال السوء والشر في الدنيا، وأن ينتشر الظلم والإجحاف والقتل والغزو، كما لا يقبل أن يصبح عباده عبادًا لمخلوقيه من بقية العباد فيلطخوا شرفهم الإنساني بجراح الذلة والهوان، وبعد كل هذا فالجماعة التي تنهض لتطهير العالم من هذه الفتنة وتخلصه من الظلم، وتقيم العدل دون رغبة في نيل جزاء، وبغير أي طمع في ثروة أو في مال، وتضحي في سبيل هذا العمل الطيب بروحها وبمالها وبمصالحها التجارية وبحبها لأبنائها وآبائها وأخوتها، وبراحتها داخل بيتها •• أهناك من هو أحق منها بمحبة الله ومرضاته؟ ••

هذه هي فضيلة الجهاد في سبيل الله التي جعلته يحتل الدرجة العليا بين جميع الأعمال الإنسانية بعد الإيمان بالله"(76).

المقدمة الخامسة

مخاطر ترك الجهاد في سبيل الله

بعد أن تبين لنا في المقدمة السابقة فضل الجهاد وثمرته في الدنيا والآخرة فإنه يسهل علينا في هذه المقدمة الحديث عن مخاطر ترك الجهاد والاستعداد له، وما يترتب على ذلك من المفاسد والشرور والعواقب السيئة في الدنيا والآخرة•

ويكفي أن نعكس الفضائل والثمار السابقة لتظهر لنا تلك العواقب السيئة المضادة لتلك العواقب والثمار الحميدة، وقد عد أهل العلم ترك الجهاد العيني من كبائر الذنوب•

يقول ابن حجر الهيتمي في كتابه الزواجر: "الكبيرة التسعون والحادية والثانية والتسعون بعد الثلاثمائة: ترك الجهاد عند تعينه؛ بأن دخل الحربيون دار الإسلام أو أخذوا مسلمًا وأمكن تخليصه منهم، وترك الناس الجهاد من أصله، وترك أهل الإقليم تحصين ثغورهم بحيث يخاف عليها من استيلاء الكفار بسبب ترك ذلك التحصين"(77).

ولذلك كان ترك الجهاد وعدم الاستعداد له علامة على النفاق قال ": (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق)(78).

وقد عده الله عز وجل علامة على عدم الإيمان باليوم الآخر، أو ضعف اليقين به فقال تعالى: (لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ) (التوبة:44-46).

ويمكن تفصيل المخاطر والعواقب السيئة لترك الجهاد فيما يلي:

1- ترك الجهاد كما مضى كبيرة من الكبائر؛ لأن فيه تعريض النفس لسخط الله عز وجل وعقابه في الدنيا والآخرة•

قال تعالى: (إِلاّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (التوبة:39).

وقال تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) (التوبة:26).

ويصف الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى الذين يهملون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله بأنهم أقل الناس دينًا وأمقتهم إلى الله تعالى؛ فيقول: صلى الله عليه وسلموأما الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة لله ورسوله وعباده، ونصرة الله ورسوله ودينه وكتابه؛ فهذه الواجبات لا تخطر ببالهم فضلاً عن أن يريدوا فعلها، وفضلاً عن أن يفعلوها• وأقل الناس دينًا وأمقتهم إلى الله من ترك هذه الواجبات وإن زهد في الدنيا جميعها، وقَلَّ أن ترى منهم من يَحْمَرُّ وجهه ويمعره لله ويغضب لحرماته، ويبذل عرضه في نصرة دينه• وأصحاب الكبائر أحسن حالاً عند الله من هؤلاء"(79).

إذًا فترك الجهاد في سبيل الله سبب للهلاك في الدنيا والآخرة؛ وهذا ما يفهم من قوله تعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة:195).

قال ابن كثير: "وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران قال: حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه – ومعنا أبو أيوب الأنصاري – فقال أناس: ألقى بيده إلى التهلكة• فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية؛ إنما نزلت فينا؛ صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فلما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار نجيًا فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله – وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد – وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهم فنزل فينا: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى

التَّهْلُكَةِ) (البقرة: من الآية195). فكانت التهلكة: الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد"(80).

كما أن في ترك الجهاد إضعافًا لعقيدة الولاء والبراء؛ وذلك كما مر بنا سابقًا أن عقيدة الولاء والبراء تتناسب طردًا مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله عز وجل؛ فكلما ركن العبد عن الجهاد ضعفت عقيدة الولاء والبراء وأصابها الوهن؛ وكفى بذلك خطرًا•

2- بترك الجهاد يفشو الشرك والظلم ويعلو الكفر وأهله ويستعبد الناس بعضهم بعضًا، ولا يخفى ما في ذلك من الشقاء والتعاسة والفساد الكبير على الناس قال الله تعالى: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة: من الآية251)، وقال تعالى: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحج: من الآية40).

"فلولا أن الله يدفع الكافرين بجهاد المؤمنين، ويكبت الكفار ويذلهم لاعتلوا على المؤمنين، وإذا اعتلى الكافر جعل الناس يعبدونه هو من دون الله سبحانه وتعالى، وإذا عبد الناس من دون الله أحدًا فسدت حياتهم كلها؛ لأن الحياة لا تستقيم إلا إذا سارت على المنهج الذي رسمه الله؛ وهو المنهج الذي يحقق العبودية لله، ويحقق الأخلاق الرفيعة والفضائل الحميدة للبشر؛ فالذي رسم المنهج هو الله الذي خلق الحياة والأحياء العالم بما يصلحهم، أما إذا اعتلى كافر على الأرض وشرع للناس من عند نفسه فإنه لا يعلم جميع الأمور، وليس مبرأ من النقص والهوى، ولا يعلم ما الذي يصلح النفس البشرية فيتخبط خبط عشواء ويفسد الحياة كما هو الحال اليوم• ونظرة على الواقع الذي يعتلي فيه كافر كافية بتقرير هذه الحقيقة، ولولا تخاذل المسلمين عن الجهاد الذي أمر الله به لصلحت حياة الناس الذين يحكمون بشرع الله• لأجل هذا شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد حتى مع الإمام الفاجر الذي لم يصل إلى درجة الكفر؛ لأن بقاء الإسلام وأهله يحكمهم فاسق خير لهم من أن يحكمهم كافر يحكم بغير ما أنزل الله؛ فإن الحكم بغير ما أنزل الله هو سبب فساد الأرض"(81).

3- ترك الجهاد سبب للذل والهوان كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لئن تركتم الجهاد وأخذتم بأذناب البقر وتبايعتم بالعينة ليلزمنكم الله مذلة في رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا إلى الله وترجعوا إلى ما كنتم عليه)(82).

وهذا أمر مشاهد وبارز في عصرنا اليوم؛ حيث تسلط الكفار على بلدان المسلمين، وعاش المسلمون في مؤخرة الركب؛ يأكل الكفار خيراتهم، ويتدخلون في شؤونهم، ويتسلطون عليهم بأنواع الذلة والمهانة؛ وما ذاك إلا بتعطيل أحكام الله وترك الاحتكام إلى شرعه، ومن ذلك تعطيل شعيرة الجهاد•

وإن الكفار لن يلتفتوا إلى حقوق المسلمين ويراجعوا حساباتهم ويكفوا شرهم بمجرد الإدانات والشجب والكلام الأجوف، وإنما الذي يخيفهم ويجعلهم يكفون عن المسلمين وديارهم هو الجهاد في سبيل الله تعالى الذي فيه كبت للكفر وأهله، وفيه إعزاز وكرامة للمسلمين•

وهذا أمر يشهد له التاريخ كما يشهد له الواقع؛ فما من مكان علت فيه راية الجهاد إلا وشعر المسلمون فيه بالعزة، وخاف أعداء الله الكفرة من تكبيرات المجاهدين وتضحياتهم(83).

"فإذا وجد إحساس لدى أمة ما بضرورة دفع الشر عن نفسها، وضحت في سبيل ذلك براحتها ومتعها وثروتها ومالها، وبشهواتها النفسية، وبروحها وبكل عزيز لديها؛ فإنها لا يمكن أبدًا أن تظل أمة ذليلة مستضعفة، ولا يمكن لأية قوة مهما كانت أن تنال من عزتها أو شرفها• ويجب أن تتصف الأمة الشريفة العزيزة بأن تخفض الرأس أمام الحق، وأن تفضل الموت عن أن تخفض الرأس أمام الباطل، وإذا لم تتوافر لها القوة لإعلاء كلمة الحق ومساعدة الحق فلا بد على أقل تقدير أن تعمل للحافظ على الحق بكل شدة وبكل صلابة، وهذه أقل درجات الشرف"(84).

ويقول سيد قطب رحمه الله: "والذين يخشون العذاب والألم والاستشهاد وخسارة الأنفس والأولاد والأموال إذا هم جاهدوا في سبيل الله، عليهم أن يتأملوا ماذا تكلفهم الدينونة لغير الله في الأنفس والأموال والأولاد، وفوقها الأخلاق والأعراض •• إن تكاليف الجهاد في سبيل الله في وجه طواغيت الأرض كلها لن تكلفهم ما تكلفهم الدينونة لغير الله؛ وفوق ذلك كله الذل والدنس والعار!"(85).

4- وفي ترك الجهاد تفويت لمصالح عظيمة في الدنيا والآخرة؛ منها الأجر العظيم الذي أعده الله تعالى للمجاهدين والشهداء في الآخرة، ومنها الحياة العزيزة في الدنيا وإقامة شرع الله عز وجل، والشهادة والغنائم والتربية الإيمانية التي لا تحصل إلا في أجواء الجهاد ومراغمة أعداء الله تعالى•

5- إلقاء العداوة والفرقة بين المسلمين: وهذا أمر مشاهد؛ فما من وقت تركت فيه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا انشغلت بنفسها ووجه المسلمون حرابهم إلى صدور إخوانهم وانشغل بعضهم ببعض•

ونظرة فاحصة إلى أيام الفتن التي تلت مقتل عثمان رضي الله عنه تطلعنا على أثر ترك الجهاد في سبيل الله، وما يحدثه من الفتن والاختلاف والافتراق؛ فلقد توقف غزو الكفار طيلة تلك المدة، ولم يستأنف المسلمون فتوحاتهم إلا بعد أن اجتمعت الكلمة على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وهدأت الفتنة•

ذكر الذهبي – رحمه الله تعالى – في السير عن سعيد بن عبدالعزيز قال: "لما قتل عثمان رضي الله عنه ووقع الاختلاف لم يكن للناس غزو حتى اجتمعوا على معاوية رضي الله عنه، فأغزاهم مرات، ثم أغزى ابنه في جماعة من الصحابة برًا وبحرًا حتى أجاز بهم الخليج وقاتلوا أهل القسطنطينية على بابها ثم قفل"(86).

ونظرة أخرى إلى واقعنا المعاصر وما جرى فيه من تعطيل لشرع الله عز وجل – ومن ذلك الجهاد في سبيل الله – ترينا كيف حلَّ بالمسلمين من الفرقة والتحزب والاختلاف بين المسلمين حيث انشغل بعضهم ببعض• وما ذاك إلا من الانحراف عن المنهج الحق وتعطيل هذه الشعيرة العظيمة وما ترتب عليها من تسلط الكفار على بلاد المسلمين وتأجيجهم نار الخلاف والفرقة والتحريش بين المسلمين، وهذه سنة الله عز وجل في كل من أعرض عن شرعه سبحانه ونسي حظًا مما ذكر به قال تعالى: (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (المائدة:14)

التربية الجهادية

وجوانب الإعداد للجهاد في واقعنا المعاصر

بعد أن تعرفنا في المقدمات السابقة على معنى الجهاد العام والخاص، ومراتبه ومراحله، وغايته وأنواعه، وفضائله والمخاطر التي تترتب على تركه؛ يحسن بنا الآن أن ندخل إلى صلب موضوعنا؛ ألا وهو ذكر المجالات المختلفة للتربية الجهادية ووسائل الإعداد لذلك، والذي هو الدافع إلى كتابة هذا البحث، وذلك بعد ما رأيت من نفسي ومن كثير من العاملين في مجال الدعوة إلى الله عز وجل من التقصير الكبير في إعداد النفس للغزو والجهاد في سبيل الله تعالى، وما صاحب ذلك من الترف والركون إلى الدنيا والميل إلى زهرتها وزينتها• وقبل الدخول في تفاصيل هذا الموضوع أرى أنه لا بد من توصيف سريع لواقع المسلمين اليوم في ضوء المقدمات السابق ذكرها في الصفحات المتقدمة•

فأقول وبالله التوفيق:

- إن المسلمين اليوم يقاسون من الذلة والمهانة وتسلط الأعداء والغثائية الشيء العظيم؛ وما ذلك إلا من الإعراض عن الدين وحب الدنيا وترك الجهاد قال صلى الله عليه وسلم: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها) فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: (بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوَهْنَ) قالوا: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: (حب الدنيا وكراهية الموت)(87)، ومن ذلك أيضاً حديث العينة السابق ذكره(88).

- يواجه المسلمون اليوم في بعض الأقطار احتلالاً وغزوًا عسكريًا في عقر دارهم، وغزوًا فكريًا وأخلاقيًا في كل ديارهم، وساعد الأعداء في ذلك بطانة السوء والمنافقين من أبناء المسلمين الذين ربوا على عين الغرب وتسلطوا على أزمة الحكم في أكثر بلدان المسلمين وحكموا بقوانين الشرق والغرب ورفضوا الحكم بشرع الله عز وجل، ووالوا أعداءه وعادوا أولياءه•

- وفي ظل هذه الظروف لم يترك الله العزيز الرحيم الحكيم العليم هذا الغزو العسكري أو الفكري بلا مدافعة؛ بل اصطفى من عباده المؤمنين طائفة تقوم بالحق وتدافع الباطل على ضعفها وقلة إمكانياتها؛ وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم:

(لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)(89).

وهذه الطائفة منتشرة في الأرض ومتنوعة المهام فمنهم العلماء الربانيون الذين يصدعون بالحق ويعلمون الناس أمور دينهم•

ومنهم المربون والدعاة الذين يدعون الناس إلى الخير ويحذرونهم من الشر، ويجوبون القرى والمدن لنشر التوحيد والخير بين الناس، ويستخدمون في ذلك جميع الوسائل المتاحة التي تساعد على ذلك من: المحاضرات والندوات، والدورات الشرعية، والتأليف، والأشرطة النافعة، إلى غيرها من الوسائل•

ومنهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر الذين يحتسبون على الناس ويغيرون المنكرات بقدر استطاعتهم•

ومنهم المرابطون على الثغور الذين يجاهدون العدو الكافر الذي استحل ديار المسلمين ويدافعونه بقدر استطاعتهم• ومع وجود هذه الفئات التي تقوم كل واحدة منها بنوع من أنواع الجهاد إلا أن الفساد والباطل والغزو العسكري والفكري أكبر بكثير من جهد وإمكانات هذه الفئات، وقد تخلو بعض ديار المسلمين من هذه الفئات تمامًا•

– لقد حذرنا الله عز وجل من أعدائنا الكفار وبطانتهم من المنافقين بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (آل عمران:118–119)، وإن ما يدور منذ سنوات ولا سيما بعد أحداث (11 سبتمبر) من حملة صليبية صريحة على الإسلام والمسلمين لهو أكبر شاهد ومصدق لهذه الآية وغيرها من الآيات التي تحذر المسلمين من الكفار وعداوتهم مثل قوله تعالى: (وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) (البقرة: من الآية217).

.

وإن الحملة الصليبية على أفغانستان وما صاحبها من الدمار المروع الذي أهلك الحرث والنسل، وما زامن ذلك من أحداث فلسطين المروعة وتلويح الكفار بالتدخل في أي بلد إسلامي يوجد فيه من يرفض التبعية للغرب ويضع نفسه في صف المواجهة له؛ إن كل هذا يوجب على المسلمين – ولا سيما المتصدرين للدعوة والتربية والتعليم – أن يفكروا في جدية الموقف، وأن تبذل المساعي والمشاورات المستمرة في كيفية إحياء الأمة من سباتها وجعل المسلمين يدركون خطر الكفار المحدق بهم؛ فما يجري في بلدان المسلمين البعيدة والقريبة من عدوان على الدين والنفس والعرض والمال ليس ببعيد أن يحل بغيرهم• وإن لم يتحرك المخلصون من الدعاة والعلماء في إعداد الأمة لجهاد أعدائها الكفار والمنافقين فإنه لن ينفع الندم حين يفاجأ المسلمون بغزو الكفار لهم واستيلائهم لديارهم وإذلالهم لهم•

ولقد ذكر أهل العلم أن العدو إذا هاجم المسلمين في عقر دارهم فإن دفعه يصبح واجبًا على جميع المسلمين فهل أعددنا العدة الشاملة لذلك•

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "••• فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعه واجبًا على المقصودين كلهم، وعلى غير المقصودين لإعانتهم ••• وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله، مع القلة والكثرة، والمشي والركوب؛ كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق لم يأذن الله في تركه لأحد كما أذن في ترك الجهاد ابتداء لطلب العدو"(90).

وهذا الكلام في جهاد الدفع، وأسبابه اليوم منعقدة في بلدان المسلمين المعتدى عليها أما جهاد الطلب وغزو الكفار في عقر دارهم فهذا يسبقه قيام دولة وكيان للمسلمين وقدرة تمكنهم من فتح بلاد الكفار• ولذلك يجب الإعداد له بإقامة هذا الكيان أولاً، ثم تقويته وإعداد المجاهدين لقتال الكفار حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله•

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "•• وكما يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز؛ فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"(91).

– في ضوء السنن الربانية، وفي ضوء ما سبق يمكننا القول بأن الجهاد مع الكفار والصراع مع الباطل وأهله أصبح أمرًا حتميًا لا سيما جهاد الدفع حيث فرض على المسلمين فرضًا ولا مناص منه – كما هو الحاصل اليوم في أفغانستان والشيشان

وكشمير وفلسطين التي احتلها العدو الكافر – ووجب على أهل تلك الديار الدفاع عن دينهم وديارهم وأعراضهم بكل ما استطاعوا من قوة• كما وجب على المسلمين الذين يلونهم نصرتهم وعدم خذلانهم وإسلامهم لأعدائهم الكفار•

– ما دام أن جهاد الكفار وإخراجهم أو صدهم عن ديار المسلمين أصبح أمرًا مفروضًا – سواء ما كان من هذه البلاد محتلاً أو ما كان مهددًا بالاحتلال والغزو – فماذا يجب أن نعد لهذا الجهاد من الإعداد بمفهومه الشامل؟•

والجواب على هذا السؤال في الوقفات التالية:

الوقفة الأولى

الجهاد العام بمعناه لا يسقط عن المسلم المكلف

إن الجهاد بمعناه العام لا يسقط عن المسلم المكلف؛ فكما مر بنا في مراتب الجهاد أن جهاد النفس والشيطان ضرب من ضروب الجهاد – وهو الممهد لجهاد الكفار – والجهاد بهذا المفهوم لا يسقط عن أي مسلم•

بل إن جنس جهاد الكفار فرض عين إما بالقلب، وإما باللسان، وإما بالمال، وإما باليد والسنان – وذلك حسب القدرة والاستطاعة – وما وراء الجهاد القلبي ذرة إيمان• والجهاد القلبي يعني البراءة من الكفار، وبغضهم، والتربص بهم، وتحديث النفس بغزوهم، والإعداد لذلك؛ يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب، وإما باللسان، وإما بالمال، وإما باليد، فعلى كل مسلم أن يجهاد بنوع من هذه الأنواع•

أما الجهاد بالنفس ففرض كفاية(92)، وأما الجهاد بالمال ففي وجوبه قولان، والصحيح وجوبه لأن الأمر بالجهاد به وبالنفس في القرآن سواء؛ كما قال تعالى: (انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (التوبة:41)، وعلق النجاة من النار به، ومغفرة الذنب، ودخول الجنة؛ فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (الصف:10–12).

أي: ولكم خصلة أخرى تُحبُّونها في الجهاد، وهي: (نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ)(93).
وجهاد النفس والشيطان هما الأصلان لجهاد الكفار• والانتصار على الكفار في ساحات القتال هو نتيجة للانتصار على النفس والشيطان قبل ذلك• بل إن جهاد النفس والشيطان يستغرق العمر كله؛ إذ لا بد منه قبل منازلة الكفار، وأثناءها، وبعدها•

وعن أهمية هذا النوع من الجهاد يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) (العنكبوت: من الآية69). علق سبحانه الهداية بالجهاد؛ فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادًا، وأفرض الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا؛ فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد؛ قال الجنيد: والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لنهدينهم سبل الإخلاص• ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنًا فمن نُصِرَ عليها نُصِرَ على عدوه، ومن نُصِرَتْ عليه نُصِرَ عليه عدوه)(94).

وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى عند الحديث عن الإعداد الإيماني والمعنوي للجهاد في سبيل الله عز وجل•

الوقفة الثانية

الإعداد الإيماني قبل الجهاد لا يعني ترك جهاد الدفع

حتى يكتمل هذا الإعداد

إن القول بضرورة الإعداد الإيماني قبل جهاد الكفار لا يعني ترك جهاد الكفار وقتالهم في جهاد الدفع حتى يكتمل الإعداد الإيماني• إن هذا لا يقول به عاقل؛ بل إنه يصادم مقاصد الشريعة في حفظ الضرورات الخمس•

إن جهاد الدفع يجب أن يهب المسلمون له بالحالة التي هم عليها سواء كانوا في ضعف من الإيمان وتفريط في طاعة الله عز وجل أو كانوا في ضعف مادي؛ فإذا لم يندفع العدو عن الديار والحرمة والدين إلا بقتاله وجب ذلك على المسلمين بما تيسر من القوة دون اشتراط للقدرة، والقوة الإيمانية، إذ لا بد من التفريق بين جهاد

الطلب الذي يشترط فيه الإعداد المادي والمعنوي وبين جهاد الدفع الذي لا يشترط فيه ذلك•

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، فواجب إجماعًا؛ فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء: أصحابنا وغيرهم، فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم الكافر وبين طلبه في بلاده"(95).

ولا يعني عدم اشتراط العدة الإيمانية أو المادية في جهاد الدفع التفريط فيها، بل يجب الدفع بما تيسر منهما مع الاهتمام بهما أثناء القتال والسعي لتقويتهما قدر المستطاع؛ فقد يستمر الدفاع شهورًا أو سنوات، فحينئذ يجب السعي أثناء القتال لتوفير القدرة المادية وإعداد المقاتلين إيمانيًا بوضع البرامج العلمية والعملية لتقوية هذا الجانب؛ لأثره العظيم في الثبات والصبر ونزول نصر الله عز وجل، وهزيمة الكفار ودفعهم عن ديار المسلمين وحرماتهم• وإن الحاجة لتشتد في مثل الظروف الراهنة التي يهدد فيها الكفار بالهجوم على ما تبقى من ديار المسلمين•

ومما ينبغي التنبيه إليه أن أجواء الجهاد في سبيل الله عز وجل من أفضل البيئات التي يعد فيها المجاهدون إيمانيًا وتربية وزهدًا وتضحية، وهذا شيء مشاهد؛ فما حصل عليه بعض المجاهدين من التضحية وتزكية أعمال القلوب والزهد والإخلاص في سنة من سنوات الجهاد لم يحصل عليه غيرهم إلا في عدة سنوات•

الوقفة الثالثة

مواطن الاتفاق والاختلاف بين جهاد الطلب وجهاد الدفع

يتفق جهاد الطلب مع جهاد الدفع في أمور، ويختلف معه في أمور أخرى؛ وذلك كما يلي:

1- يتفق هذان النوعان من الجهاد في ضرورة الإعداد لجهاد الكفار سواء المادي أو الإيماني، ولكنهما يفترقان في أن جهاد الطلب وقته موسع فلا يسارع فيه قبل توفر شروطه والتي من أهمها:

(أ) القدرة في العدة والعتاد•

(ب) الإعداد الإيماني من جوانبه المختلفة؛ والذي سيأتي تفصيله قريبًا إن شاء الله تعالى•

(حـ) وجود الكيان والمكان الآمن الذي يحتمي فيه المجاهدون وينطلقون منه•

(د) إذا كان العدو منافقًا أو مرتدًا قد التبس أمره على المسلمين فلا بد أن يسبق ذلك جهاد البيان وفضحه للناس حتى يستبينوا سبيل المجرمين وتتضح راية الكفر للناس، وفي نفس الوقت يُعَرِّف المجاهدون أنفسهم للناس حتى يتبينوا حقيقة دعوتهم وأهدافهم، وأنهم لا كما يصورهم إعلام المجرمين بأنهم إرهابيون مفسدون خارجون على الشرعية• وسيأتي تفصيل هذه المسألة قريباً إن شاء الله تعالى•

أما جهاد الدفع فالغالب في القتال فيه أنه قتال مع الكفار المعتدين ورايتهم للناس واضحة، فلا يحتاج الأمر إلى جهد كبير في تعريف الناس بعدوهم كما هو الحال في المنافق الذي التبس أمره على الناس، ومن أمثلة ذلك اليوم ما يجري في أفغانستان أو كشمير أو الشيشان أو فلسطين•

كما أن جهاد الدفع لا يشترط أن يكون له كيان أو دولة تحميه، بل إنه ينطلق من الظروف والإمكانات المتاحة له؛ لأنه لا خيار للمسلمين في تركه، ولو وجد المكان الآمن فهو المفضل والمطلوب لكنه ليس بشرط•

2- كما أن جهاد الدفع يفترق عن جهاد الطلب في أن القيام به فرض عين على المسلمين ولو لم تتوفر الشروط لذلك من الإعداد المادي أو الإيماني؛ بشرط عدم انخرام أصل التوحيد والإيمان وقد سبق ذكر ذلك في الوقفة السابقة•

أما جهاد الطلب فعلى الكفاية إلا إذا استنفر الإمام جميع المسلمين فإنه يتعين حينئذ كما يتعين أيضاً إذا حضر المسلم الصف وتواجه مع العدو•

3- أما من حيث غاية النوعين من الجهاد فيشتركان في كونهما لرد الفتنة عن الناس في دينهم وحرماتهم؛ لكنها في جهاد الدفع لرد الفتنة عن المسلمين فيما لو استولى الكفار على البلاد، أما جهاد الطلب فهو لرفع فتنة الشرك والكفر والظلم عن الناس بعامة؛ وذلك في بلاد الكفار التي استعبد طواغيتها الناس وحالوا بينهم وبين وصول الدين الحق إليهم، فيأتي جهاد الطلب ليرفع فتنة الشرك عن الناس ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويكون الدين كله لله تعالى•

الوقفة الرابعة

معنى الإعداد الإيماني أو المعنوي للجهاد في سبيل الله

ماذا نعني بالإعداد الإيماني – أو المعنوي – للجهاد في سبيل الله عز وجل؟

والجواب أن يقال: لقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من شعب النفاق)(96).

وإن المتأمل في أحوالنا اليوم وطريقة تفكيرنا ومعيشتنا وتعاملاتنا ليرى ضعف العزيمة عندنا في إعداد النفس للجهاد وتحديثها بالغزو على جميع المستويات إلا من رحم الله تعالى؛ فمجرد نظرة سريعة إلى اهتماماتنا، وما يشغل قلوبنا نرى أنها ليست اهتمامات مجاهدين• وكذلك أسلوب معيشتنا وما يشتمل عليه من الترف والترهل، وحب الدعة والراحة، والركون إلى الدنيا، وضعف الصلة بالله تعالى؛ كل هذا لا يتفق مع حقيقة تحديث النفس بالغزو وإعدادها للجهاد، ومن كانت هذه حاله فهو من أول الفارين عن الجهاد عندما ينادى إليه•

إن "تحديث النفس بالغزو" الذي ينجي من شعب النفاق لا يكفي له أن يحدث الإنسان نفسه أنه سيغزو ويجاهد ويكتفي بهذا الحديث النفسي وهو متكئ على أريكته مشحون قلبه بدنياه، كلا ليس هذا هو التحديث المنجي• إنما تحديث النفس بالغزو يعني أمورًا عملية لا بد من العزيمة عليها من الآن، وهذا ما نعنيه بالإعداد الإيماني أو المعنوي•

إن الجهاد في سبيل الله عز وجل عبادة عظيمة تحتاج إلى صبر ومصابرة؛ لأن فيها من المشاق والتضحيات ما لا يوجد في عبادة غيرها لكنها خفيفة ولذيذة على من اصطفاهم الله لنصرة دينه وإعلاء كلمته• ولما كان الجهاد فيه ما فيه من المشاق وبذل المال والنفس في سبيل الله تعالى أصبح الاستعداد له بالإيمان والإخلاص والمتابعة والصبر وقوة الصلة بالله عز وجل أمرًا لا بد منه وإلا خارت القوى وانحلت العزائم• ومن ذلك أَمْرُ الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بقيام الليل الطويل استعدادًا لتحمل القول الثقيل وتبليغه للناس وتحمل أعباء الرسالة؛ قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) (المزمل:1-4).

كما أن الإعداد الإيماني قبل الجهاد ضروري لتحقيق النصر على الأعداء عند ملاقاتهم والثبات عند قتالهم؛ قال الله عز وجل: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً وَإِذاً لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً) (النساء:66-67).

والإعداد الإيماني علمًا وعملاً وحالاً يباعد بين المجاهدين وبين المعاصي والذنوب أو الميل إلى الدنيا والتي هي من أسباب الخذلان والهزيمة كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في مسيرة إلى غزو الفرس: "فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ••• [إلى قوله:] فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم؛ وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة"•

وذكر البخاري في كتاب الجهاد في صحيحه قال: "باب: عمل صالح قبل القتال، وقال أبو الدرداء: إنما تقاتلون بأعمالكم"(97).

وقال ابن حجر في فتح الباري: "جاء من طريق أبي إسحاق الفزاري عن سعيد بن عبدالعزيز عن ربيعة بن زيد أن أبا الدرداء قال: (أيها الناس عمل صالح قبل الغزو• إنما تقاتلون بأعمالكم) ثم ظهر لي تفصيل البخاري؛ وذلك أن هذه الطريق منقطعة"(98).

والأصل في الإعداد الإيماني للمجاهدين ما ذكره سبحانه في سورة التوبة من صفات المؤمنين المجاهدين الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة؛ قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة:111).

ثم عقب على هذه البيعة بصفات المؤهلين للجهاد الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله تعالى فقال سبحانه: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (التوبة:112).

وقال عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل قال له: أريد أن أبيع نفسي من الله فأجاهد حتى أقتل، فقال له: ويحك وأين الشروط؟ أين قوله تعالى: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)"(99).

وقد اشتملت هذه الآية على أصول الأعمال الباطنة والظاهرة التي يحبها الله عز وجل؛ يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآيات: "وإذا أردت أن تعرف قدر الصفقة، فانظر إلى المشتري من هو؟ وهو الله جل جلاله• وإلى العوض، وهو أكبر الأعواض وأجلها؛ جنات النعيم• وإلى الثمن المبذول فيها، وهو: النفس، والمال، الذي هو أحب الأشياء للإنسان• وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع، وهو أشرف الرسل• وبأي الكتب رقم، في كتب الله الكبار المنزلة على أفضل الخلق•

كأنه قيل: من هم المؤمنون الذين لهم البشارة من الله بدخول الجنات ونيل الكرامات؟

فقال: هم (التائبون) أي: الملازمون للتوبة في جميع الأوقات، عن جميع السيئات•

(العابدون) أي: المتصفون بالعبودية لله، والاستمرار على طاعته، من أداء الواجبات والمستحبات، في كل وقت؛ فبذلك يكون العبد من العابدين•

(الحامدون): لله في السراء والضراء، واليسر والعسر، المعترفون بما لله عليهم من النعم الظاهرة والباطنة، المثنون على الله بذكرها وبذكره، في آناء الليل، وآناء النهار•

(السائحون): فسرت السياحة، بالصيام، أو السياحة في طلب العلم•

وفسرت بسياحة القلب في معرفة الله ومحبته، والإنابة إليه على الدوام• والصحيح أن المراد بالسياحة: السفر في القربات، كالحج، والعمرة، والجهاد، وطلب العلم، وصلة الأقارب، ونحو ذلك•

(الراكعون الساجدون) أي: المكثرون من الصلاة المشتملة على الركوع والسجود•

(الآمرون بالمعروف): ويدخل فيه، جميع الواجبات والمستحبات•

(والناهون عن المنكر): وهي جميع ما نهى الله ورسوله عنه•

(والحافظون لحدود الله): بتعلمهم حدود ما أنزل الله على رسوله، وما يدخل في الأوامر والنواهي والأحكام، وما لا يدخل، الملازمون لها فعلاً وتركًا"(100).

ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى عن هذه الآيات: "هذا النص الذي تلوته من قبل وسمعته ما لا أستطيع عدة من المرات، في أثناء حفظي للقرآن، وفي أثناء تلاوته، وفي أثناء دراسته بعد ذلك في أكثر من ربع قرن من الزمان •• هذا النص – حين واجهته في "الظلال" أحسست أنني أدرك منه ما لم أدركه من قبل في المرات التي لا أملك عدها على مدى ذلك الزمان!

إنه نص رهيب! إنه يكشف عن حقيقة العلاقة التي تربط المؤمنين بالله، وعن حقيقة البيعة التي أعطوها – بإسلامهم – طوال الحياة؛ فمن بايع هذه البيعة ووفى بها فهو المؤمن الحق الذي ينطبق عليه وصف (المؤمن) وتتمثل فيه حقيقة الإيمان، وإلا فهي دعوى تحتاج إلى التصديق والتحقيق!

حقيقة هذه البيعة – أو هذه المبايعة كما سماها الله كرمًا منه وفضلاً وسماحة – أن الله – سبحانه – قد استخلص لنفسه أنفس المؤمنين وأموالهم؛ فلم يعد لهم منها شيء •• لم يعد لهم أن يستبقوا منها بقية لا ينفقونها في سبيله، لم يعد لهم خيار في أن يبذلوا أو يمسكوا •• كلا •• إنها صفقة مشتراة، لشاريها أن يتصرف بها كما يشاء، وفق ما يفرض ووفق ما يحدد، وليس للبائع فيها من شيء سوى أن يمضي في الطريق المرسوم، لا يتلفت ولا يتخير، ولا يناقش ولا يجادل، ولا يقول إلا الطاعة والعمل والاستسلام •• والثمن: هو الجنة •• والطريق: هو الجهاد والقتل والقتال •• والنهاية: هي النصر أو الاستشهاد ••• إن الحق لا بد أن ينطلق في طريقه، ولا بد أن يقف له الباطل في الطريق! بل لا بد أن يأخذ عليه الطريق إن دين الله لا بد أن ينطلق لتحرير البشر من العبودية للعباد وردهم إلى العبودية لله وحده، ولا بد أن يقف له الطاغوت في الطريق •• بل لا بد أن يقطع عليه الطريق •• ولا بد لدين الله أن ينطلق في "الأرض" كلها لتحرير "الإنسان" كله• ولا بد للحق أن يمضي في طريقه ولا ينثني عنه ليدع للباطل طريقًا! •• وما دام في "الأرض" كفر• وما دام في "الأرض" باطل، وما دامت في "الأرض" عبودية لغير الله تذل كرامة "الإنسان" فالجهاد في سبيل الله ماض، والبيعة في عنق كل مؤمن تطالبه بالوفاء وإلا فليس بالإيمان، "ومن مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق"(101). ولكن الجهاد في سبيل الله ليس مجرد اندفاعة إلى القتال، إنما هو

قمة تقوم على قاعدة من الإيمان المتمثل في مشاعر وشعائر وأخلاق وأعمال، والمؤمنون الذين عقد الله معهم البيعة، والذين تتمثل فيهم حقيقة الإيمان هم قوم تتمثل فيهم صفات إيمانية أصيلة: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) (التوبة:112). هذه هي الجماعة المؤمنة التي عقد الله معها بيعته، وهذه هي صفاتها ومميزاتها: توبة ترد العبد إلى الله، وتكفه عن الذنب، وتدفعه إلى العمل الصالح• وعبادة تصله بالله وتجعل الله معبوده وغايته ووجهته• وحمد لله على السراء والضراء نتيجة الاستسلام الكامل لله والثقة المطلقة برحمته وعدله• وسياحة في ملكوت الله مع آيات الله الناطقة في الكون الدالة على الحكمة والحق في تصميم الخلق• وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر يتجاوز صلاح الذات إلى إصلاح العباد والحياة• وحفظ لحدود الله يرد عنها العادين والمضيعين، ويصونها من التهجم والانتهاك•

هذه هي الجماعة المؤمنة التي بايعها الله على الجنة، واشترى منها الأنفس والأموال، لتمضي مع سنة الله الجارية منذ كان دين الله ورسله ورسالاته؛ قتال في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وقتل لأعداء الله الذين يحادّون الله؛ أو استشهاد في المعركة التي لا تفتر بين الحق والباطل، وبين الإسلام والجاهلية، وبين الشريعة والطاغوت، وبين الهدى والضلال•

وليست الحياة لهوًا ولعبًا• وليست الحياة أكلاً كما تأكل الأنعام ومتاعًا• وليست الحياة سلامة ذليلة، وراحة بليدة ورضى بالسلم الرخيصة •• إنما الحياة هي هذه: كفاح في سبيل الحق، وجهاد في سبيل الخير، وانتصار لإعلاء كلمة الله، أو استشهاد كذلك في سبيل الله •• ثم الجنة والرضوان ••"(102).

الوقفة الخامسة

جهاد النفس ومراتبه

بعد أن تبين لنا من آية التوبة صفات المؤهلين للجهاد اتضح لنا بذلك أهمية الإعداد الإيماني للمجاهدين حتى يلقوا عدوهم وهم مستعدون معنويًا وإيمانيًا لذلك، وفي هذه الوقفة الأخيرة سيتم تفصيل جوانب هذا الإعداد والوسائل المختلفة لتحقيقه حسب ما

يفتح الله عز وجل إنه هو الفتاح العليم، وهو المستعان وحده وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه•

فأقول وبالله التوفيق:

الأصل في الإعداد الذي يسبق جهاد الكفار هو جهاد النفس والشيطان• والمعركة معهما مستمرة ومتواصلة منذ بلوغ المسلم سن التكليف إلى أن يوافيه الأجل• فهو إذن جهاد لا يتقيد بوقت، بل هو مطلوب قبل ملاقاة العدو وأثناء ملاقاته وبعد ملاقاته• والنصر على الأعداء في معارك القتال مرهون بالانتصار على النفس والشيطان في معركة الجهاد معهما•

والمطلوب في الإعداد المتمثل في جهاد النفس: أربعة جوانب مهمة سبق ذكرها في أول البحث نقلاً عن الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى وأعيدها هنا لمناسبتها ولكونها أصول الإعداد الشامل التي بها ينجو العبد من الخسران في الدنيا والآخرة، ويثبته الله عز وجل بها في ميادين الجهاد وغيرها من المواقف(103).

يقول رحمه الله تعالى: "فجهاد النفس أربع مراتب أيضاً:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهُدى، ودين الحق الذي لا فلاح لها، ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها عِلمُه، شقيت في الدَّارين•

الثانية: أن يُجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجردُ العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها•

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهُدى والبينات، ولا ينفعُهُ علمُهُ ولا يُنجيه من عذاب الله•

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاقِّ الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، وبتحمَّل ذلك كله لله•

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الرَّبَّانيين؛ فإن السلف مُجمِعُونَ على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيًا حتى يعرف الحق، ويعمل به، ويُعلَّمه، فمن علم وعمل وعلَّمَ فذاك يدعى عظيمًا في ملكوت السماوات"(104).

وتحت كل مرتبة من هذه المراتب أمور تفصيلية وبرامج علمية وعملية لتحقيقها وتكميلها، ولذلك سأعيد هذه المراتب المذكورة آنفًا مصاغة بشكل تفصيلي؛ وذلك كما يلي:

المرتبة الأولى

مجاهدة النفس على تعلم الهدى ودين الحق

العلم بالشرع والبصيرة بالحق أمر لازم لكل مسلم فضلاً عن الداعية إلى الله عز وجل والمجاهد في سبيله تعالى؛ قال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف:108). فذكر الله سبحانه في هذه الآية أن الدعوة إليه – والجهاد من الدعوة – يجب أن يكون على بصيرة؛ أي على علم بأن ما يدعو إليه ويجاهد من أجله هو الحق الذي يحبه الله ويرضاه، وهو الموافق لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وبدون العلم بالشرع والفهم الصحيح للدين تفسد الدعوة ويتلوث الجهاد، ويتخلف شرط أساس من شروط قبول العمل عند الله عز وجل؛ ألا وهو المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم•

والعلم الذي يجب أن يستعد به المجاهدون في سبيل الله عز وجل نوعان: 1- عيني• 2- وكفائي•

أما العيني: فهو الذي يعنينا في هذا المقام وهو في حق المجاهد نوعان:

أ – نوع عام: يشترك فيه المسلمون جميعًا، وهو العلم بالفقه الواجب على كل مسلم، وهو: الفقه بالعقيدة، والفقه بالأحكام العينية، ومن ذلك فهم أصول الإيمان الستة على مذهب السلف الصالح، ومعرفة الإيمان والتوحيد وأنواعه، وما يضاده من الكفر والشرك والنفاق، والمعرفة المجملة بضوابط التكفير، وما يترتب على ذلك من الأحكام•

ومن ذلك معرفة أركان الإسلام علمًا وعملاً، والمعرفة الإجمالية بقواعد الأحكام ومقاصد الشريعة، ومعرفة المحرمات العينية والفروض العينية الواجبة على كل مسلم• كل هذا مما يجب العلم به قبل الجهاد، فإن فرض على المسلمين القتال قبل إتمامه، فإنه يحصله أثناء الجهاد ويكمل منه ما نقص• والمقصود أن لا يُقدم المسلم – فضلاً عن المجاهد – على أمر حتى يعلم حكم الشريعة فيه، فإن لم يعلم فليسأل

من يدله على حكم الشرع فيه؛ لقوله تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)(الأنبياء: من الآية7)، ومما يدخل في هذا: العلم بسبيل المجرمين، والبصيرة بواقع الكفار الذين يراد قتالهم•

ب – نوع خاص: وهو العلم بمشروعية الجهاد وأحكامه، ومعرفة الراية التي سيجاهد المسلم تحتها•

كل هذا مما يجب أن يعلمه المجاهد قبل الشروع في الجهاد؛ حيث أن الإخلاص لا يكفي وحده، بل عليه أن يعرف ما إذا كان الجهاد الذي ينوي الدخول فيه مشروع ومحبوب إلى الله عز وجل أم ليس كذلك• وهذا فرض واجب؛ لأن الجهاد فيه ذهاب الأنفس والأموال، والمسلم لا يملك إلا روحًا واحدة، فلا يجوز المخاطرة بها في أمر قد لا يكون مرضيًا لله عز وجل• وأسوق فيما يلي مثالين اثنين يوضحان حرص السلف الشديد على علمهم بمشروعية أي جهاد قبل الدخول فيه•

المثال الأول: المناظرة التي تمت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في قتال المرتدين حيث خفي على عمر رضي الله عنه مشروعية قتالهم وناظر أبو بكر رضي الله عنه في ذلك فبين له أبو بكر ذلك حتى انشرح صدر عمر لقتالهم• فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر، وكفر من كفر من العرب قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله)، قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتُهم على منعها• قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق(105).

المثال الثاني: روى الذهبي في السير قال: وقال حميد بن هلال: أتت الحرورية مطرف بن عبدالله يدعونه إلى رأيهم فقال: "يا هؤلاء، لو كان لي نفسان بايعتكم بإحداهما، وأمسكت الأخرى، فإن كان الذي تقولون هدىً أتبعتها الأخرى، وإن كان ضلالة هلكت نفس وبقيت لي نفس، ولكن هي نفس واحدة لا أغرِّر بها"(106).

ومما يلحق بالعلم بمشروعية الجهاد: العلم بالراية التي سيجاهد المسلم تحتها، وما غايتها؛ فهذا مما يجب العلم به، فلا يكفي أن يعلم هل قتال العدو واجب أم غير واجب، أم غير جائز، بل لا بد من معرفة الراية التي سيقابل العدو تحتها؛ قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ) (النساء: من الآية76). فمما ينافي القتال في سبيل الله: القتال تحت راية عمية؛ قال صلى الله عليه وسلم: (من قتل تحت راية عِمِّية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتلةٌ جاهلية)(107).

والمقصود أنه كلما كان المسلم على بينة من سبيل المؤمنين الذي يحبه الله عز وجل، وعلى بينة من سبيل المجرمين كان هذا أكبر دافع للجهاد في سبيل الله تعالى•

وأما العلم الكفائي: فيكفي أن يعلمه طائفة من المجاهدين؛ حيث يفرغ بعضهم لطلب العلوم الشرعية اللازمة لسد حاجات الدعوة والتعليم والإفتاء، ويكونوا من ذوي الاستعداد لذلك• وإذا وجد الحد الأدنى من الكفاية سقط الوجوب عن الآخرين• والأصل في هذا أن يكون قبل ملاقاة الأعداء؛ لأن أيام القتال أيام شغل، لكن إن فرض على المسلمين القتال قبل إتمام حد الكفاية من هذا العلم فينبغي إتمامه أثناء الجهاد قدر المستطاع•

والخلاصة:

أن العلم هو أساس العمل، وهو قبل القول والعمل• والجهاد من العمل، فإن لم يكن العلم صحيحًا موافقًا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فإن العمل سيكون باطلاً ومنحرفًا• ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة يعلم أصحابه أصول هذا الدين، ويعلمهم العقيدة وما تقتضيه من ولاء وبراء وإذعان وانقياد لله تعالى، كما يعلمهم الإخلاص وإرادة الدار الآخرة في جميع الأقوال والأعمال• فلما جاء الإذن بالجهاد، ثم فرضه ظهرت آثار هذا العلم في تضحياتهم العظيمة وفتوحاتهم المباركة• ولذلك وجب على المهتمين بأمور الدعوة وتربية الناس وتوجيههم وإعدادهم للجهاد في سبيل الله عز وجل أن يولوا هذا الجانب اهتمامًا كبيرًا، وأن يركزوا في برامجهم الدعوية وأنشطتهم المختلفة على تحقيق الحد الأدنى من العلم بسبيل المؤمنين – وهم أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح – انطلاقًا من

القرآن الكريم وتدبره، والسنة الصحيحة بفهم الصحابة رضي الله عنهم وأن يستفاد من كل وسيلة متاحة مشروعة لبناء العلم الشرعي في النفوس؛ سواء على هيئة دروس علمية عامة أو خاصة، أو بالاستفادة من الأشرطة العلمية المسجلة• والمقصود أن يهتم المربون بهذا الجانب المهم من الإعداد لأنه هو الأساس، فإن صلح صلح ما بعده، وإن فسد فسد ما بعده•

وأختم هذه المرتبة من جهاد النفس بكلام نفيس لأحد الصحابة رضي الله عنهم يتبين منه أهمية معرفة الحق والعلم به، وأنه ضروري للمجاهد في سبيل الله عز وجل، وأنه لا يكفي في المجاهد أن يكون مخلصًا لله تعالى في جهاده، بل لا بد أن ينضم إلى ذلك أن يكون جهاده على الحق• والحق لا يتبين إلا بالعلم الشرعي والبصيرة في الدين، والواقع• فقد روى ابن وضاح – رحمه الله تعالى – في كتابه "البدع والنهي عنها" بسنده: "قال: حدثنا أسد قال: حدثنا مبارك بن فضالة عن يونس ابن عبيد عن ابن سيرين قال: أخبرني أبو عبيدة بن حذيفة قال: جاء رجل إلى حذيفة بن اليمان – وأبو موسى الأشعري قاعد – فقال: أرأيت رجلاً ضرب بسيفه غضبًا لله حتى قتل أفي الجنة أم في النار؟ فقال أبو موسى: في الجنة• قال حذيفة: استفهم الرجل وأفهمه ما تقول• قال أبو موسى سبحان الله، كيف قلت؟ قال: قلت: رجل ضرب بسيفه غضبًا لله حتى قتل أفي الجنة أم في النار؟ فقال أبو موسى: في الجنة• قال حذيفة: استفهم الرجل وأفهمه ما تقول• حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فلما كان في الثالثة قال: والله لا تستفهمه، فدعى به حذيفة فقال: رويدك، إن صاحبك لو ضرب بسيفه حتى ينقطع فأصاب الحق حتى يقتل عليه فهو في الجنة، وإن لم يصب الحق ولم يوفقه الله للحق فهو في النار• ثم قال: والذي نفسي بيده ليدخلن النار في مثل الذي سألت عنه أكثر من كذا وكذا"(108).

المرتبة الثانية

مجاهدة النفس على العمل بالعلم بعد تعلمه

إن تعلم العلم والتزود به ليس مطلوبًا لذاته، وإنما هو مطلوب للعمل والسير في ضوئه إلى الله تعالى؛ بفعل ما يحبه ويرضاه واجتناب ما يسخطه وينهى عنه•

والأقوال والأعمال التي يحبها الله عز وجل كثيرة؛ منها الواجبات، ومنها المستحبات، وكذلك الأقوال والأعمال التي يبغضها الله عز وجل كثيرة• وليس المقصود حصرها وعدها في هذا المقام، وإنما المقصود التنبيه على ضرورة إعداد النفوس ومجاهدتها – قبل جهاد الكفار – على الانقياد لأوامر الله عز وجل والقيام بها، والانتهاء عما نهى الله عز وجل عنه•

وهذا مطلوب من المسلمين بعامة، ومن المجاهدين أو الذين يعدون أنفسهم للجهاد بخاصة؛ وذلك لما للأعمال الصالحة من بركة وتثبيت لأهلها، وكونها زادًا للمجاهد في مشاق الطريق، وسببًا لمحبة الله تعالى ومعيته الخاصة – وما أحوج المجاهدين إلى معية الله تعالى ونصره وتأييده – كما أن في اجتناب المعاصي والمحرمات بعدًا عن أسباب الهزيمة والخذلان؛ فما شيء أخطر على المجاهدين من ذنوبهم؛ قال الله تعالى: {أَّوّ لّمَّا أّصّابّتًكٍم مٍَصٍيبّةِ قّدً أّصّبًتٍم مٌَثًلّيًهّا قٍلًتٍمً أّنَّى" هّذّا قٍلً هٍوّ مٌنً عٌندٌ أّنفٍسٌكٍمً إنَّ پلَّهّ عّلّى" كٍلٌَ شّيًءُ قّدٌيرِ} [آل عمران: 165] ، وقال سبحانه عن بركة العمل الصالح والامتثال لأوامر الله تعالى: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً وَإِذاً لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً) (النساء:66–68).

وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه سبحانه في فضل التقرب إلى الله عز وجل بالفرائض والنوافل: (•• وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه •••)(109).

كما أن فعل محاب الله واجتناب مساخطه يورث التقوى في القلب، والتقوى تورث ثمارًا عديدة منها تفريج الكروب وتيسير الأمور؛ قال تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً) (الطلاق: من الآية2)، ومنها تأليف القلوب؛ قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً) (مريم:96). وكلما كثر في المجاهدين من يتصف بهذه الصفات كانوا أقرب إلى نصر الله تعالى• فلذلك وجب الاستعداد

بالأعمال الصالحة التي تؤهل لهذه المقامات الرفيعة التي ينصر الله عز وجل أهلها ويثبتهم ويستجيب دعاءهم•

ذكر الذهبي – رحمه الله – في ترجمته لمحمد بن واسع العابد الزاهد المجاهد رحمه الله تعالى• قول الأصمعي: "لما صافَّ قتيبة ابن مسلم للترك وهاله أمرهم، سأل عن محمد بن واسع فقيل: هو ذاك في الميمنة جامع على قوسه يبصبص بأصبعه نحو السماء• قال: تلك الأصبع أحب إلي من مائة ألف سيف شهير وشاب طرير"(110).

ومن الأعمال الصالحة التي ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها الصحابة في مرحلة الإعداد في مكة واستمر عليها في المدينة بعدما شرع الجهاد ما يلي:

أولاً : أعمال القلوب:

وهي الأصل في الأعمال الصالحة الظاهرة، فإذا فسدت فسدت الأعمال كلها وإذا صلحت صلح العمل كله؛ وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله؛ وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب)(111).

ومن الأعمال القلبية التي يجب أن يعتني بها المربون في الإعداد للجهاد ما يلي:

1- محبة الله عز وجل والحب فيه والبغض فيه:

المحبة هي أصل العبادة، وهي ثمرة معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته الحسنى، وهي مستلزمة لتوحيده وطاعته، وكلما قويت المحبة في قلب العبد ظهر أثرها في الانقياد التام لأمر الله عز وجل والتضحية في سبيله، وبغض أعدائه ومجاهدتهم وموالاة أوليائه ونصرتهم• كما يظهر أثرها في البعد عن الحزبيات المقيتة والرايات العصبية والمنافع الدنيوية؛ فلا ينقلب بغيض الله حبيبًا له بإحسانه إليه، كما لا ينقلب حبيب الله له بغيضًا إذا وصله منه ما يكرهه ويؤلمه؛ والمجاهدون في سبيل الله عز وجل أو من يعدون أنفسهم للجهاد أحوج من غيرهم إلى تزكية هذا العمل القلبي الشريف؛ وذلك حتى لا يتورط المجاهد في رايات عمية ولوثات حزبية أو وطنية أو قومية•

والتربية على هذا الأصل تأتي من الفهم الصحيح للعقيدة على مذهب السلف الصالح، ولا سيما عقيدة الولاء والبراء، مع القراءة في سير الصالحين والمحبين وتضحياتهم وجهادهم، وما تحلوا به من صدق في المحبة له سبحانه والمحبة فيه• كما أن للقدوات من المربين والموجهين والعلماء أثرًا في تقوية هذا العمل القلبي وتزكيته• وكما ذكرت في أول البحث من أن كثيرًا من الأعمال القلبية ستبقى ناقصة وضعيفة ولا يكملها ويقويها ويبلغ بها ذروة سنامها إلا الجهاد في سبيل الله عز وجل، فهو ذروة سنام هذا الدين وفي بيئته وأجوائه تصل كثير من أعمال القلوب إلى ذروة قوتها وكمالها(112).

2- الإخلاص لله عز وجل:

وهو من أعظم أعمال القلوب والتي لا يطلع عليها إلا الله عز وجل، وهو أن يريد الإنسان بقرباته وجه الله عز وجل والدار الآخرة، ومن ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل والذي يقدم فيه العبد أغلى ما عنده – وهي نفسه التي بين جنبيه – فإذا لم يكن قاصدًا بجهاده وجه الله عز وجل ورضوانه وجنته في الآخرة خسر خسرانًا مبينًا؛ ولذلك يجب إعداد المجاهدين قبل الجهاد بالإخلاص في أعمالهم والتجرد لله سبحانه في حركاتهم وسكناتهم•

وكما أن للإخلاص أثره في نيل رضا الله سبحانه وما أعده للمجاهدين الصادقين، فإن له أثرًا كذلك في الثبات أمام الأعداء لقوله تعالى: (فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً) (الفتح: من الآية18)، وإذا تمكن الإخلاص من القلوب أثمر التضحية والشجاعة في سبيل الله عز وجل، وأثمر الصبر، والزهد في الدنيا ومتاعها الزائل، وتوحد الهم في إعلاء كلمة الله تعالى وإقامة دين الله تعالى؛ وبذلك ترتفع الهمة ويعلو المقصد ويوجه إلى الله تعالى والدار الآخرة وما أعد الله فيها لعباده المجاهدين من الرضوان والنعيم ومرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا•

والإخلاص من أشرف أعمال القلوب التي يجب أن يعتنى بها في جميع الأعمال، ولا سيما في الإعداد للجهاد في سبيل الله تعالى؛ وذلك لما يتعرض له المجاهد من فتنة الشهرة، أو حب المدح، والثناء عليه بالشجاعة والبذل والتضحية•

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والجهاد مقصوده أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله؛ فمقصوده إقامة دين الله لا استيفاء الرجل حظه، ولهذا كان ما يصاب به المجاهد في نفسه وفي ماله أجره فيه على الله؛ فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة"(113).

ولذلك لا يكاد يذكر الجهاد في الكتاب والسنة إلا ويذكر بعده "في سبيل الله"• وكذلك من يقتل في القتال مع الكفار لا يسمى شهيدًا إلا إذا كان في سبيل الله• قال تعالى: (وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ) (البقرة:154).

أي الذين أخلصوا في جهادهم لله تعالى ولم يريدوا شيئًا من حظوظ هذه الدنيا الفانية.

ويعلق سيد قطب رحمه الله تعالى على هذه الآية بقوله: "ولكن من هم هؤلاء الشهداء الأحياء؟ إنهم أولئك الذين يقتلون "في سبيل الله" •• في سبيل الله وحده، دون شركة في شارة ولا هدف ولا غاية إلا الله• في سبيل هذا الحق الذي أنزله• في سبيل المنهج الذي شرعه• في سبيل هذا الدين الذي اختاره •• في هذا السبيل وحده، لا في أي سبيل آخر، ولا تحت أي شعار آخر، ولا شركة مع هدف أو شعار• وفي هذا شدد القرآن وشدد الحديث، حتى ما تبقى في النفس شبهة أو خاطر •• غير الله ••

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء. أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)(114) أخرجه مالك والشيخان•

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله: رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضًا من الدنيا؟ فقال: (لا أجر له) فأعاد عليه ثلاثًا• كل ذلك يقول: (لا أجر له)(115) أخرجه أبو داود•

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تضمن الله تعالى لمن خرج في سبيله؛ لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة• والذي نفس محمد بيده، ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم، لونه لون دم وريحه مسك• والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا، ولكن لا أجد

سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني• والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل)(116).

فهؤلاء هم الشهداء• هؤلاء الذين يخرجون في سبيل الله، لا يخرجهم إلا جهاد في سبيله، وإيمان به، وتصديق برسله•

ولقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتى فارسي يجاهد أن يذكر فارسيته ويعتز بجنسيته في مجال الجهاد: عن عبدالرحمن بن أبي عقبة عن أبيه – وكان مولى من أهل فارس – قال: شهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم أحدًا، فضربت رجلاً من المشركين، فقلت: خذها وأنا الغلام الفارسي• فالتفت إليّ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (هلا قلت: وأنا الغلام الأنصاري؟ إن ابن أخت القوم منهم، وإن مولى القوم منهم)(117).

فقد كره له " أن يفخر بصفة غير صفة النصر للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن يحارب تحت شارة إلا شارة النصر لهذا الدين• وهذا هو الجهاد، وفيه وحده تكون الشهادة وتكون الحياة للشهداء"(118).

ويقول في موطن آخر – رحمه الله –: "إنه لا جهاد، ولا شهادة، ولا جنة، إلا حين يكون الجهاد في سبيل الله وحده، والموت في سبيله وحده• والنصرة له وحده، في ذات النفس وفي منهج الحياة.

لا جهاد ولا شهادة ولا جنة إلا حين يكون الهدف هو أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن تهيمن شريعته ومنهاجه في ضمائر الناس وأخلاقهم وسلوكهم، وفي أوضاعهم وتشريعهم ونظامهم على السواء.

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية• ويقاتل رياء• أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)(119).

وليس هنالك من راية أخرى، أو هدف آخر، يجاهد في سبيله من يجاهد، ويستشهد دونه من يستشهد، فيحق له وعد الله بالجنة، إلا تلك الراية وإلا هذا الهدف• من كل ما يروج في الأجيال المنحرفة التصور من رايات وأسماء وغايات!

ويحسن أن يدرك أصحاب الدعوة هذه اللفتة البديهية، وأن يخلصوها في نفوسهم من الشوائب التي تعلق بها من منطق البيئة وتصور الأجيال المنحرفة، وألا يلبسوا برايتهم راية، ولا يخلطوا بتصورهم تصورًا غريبًا على طبيعة العقيدة•
لا جهاد إلا لتكون كلمة الله هي العليا؛ العليا في النفس والضمير، والعليا في الخلق والسلوك، والعليا في الأوضاع والنظم، والعليا في العلاقات والارتباطات في كل أنحاء الحياة• وما عدا هذا فليس لله ولكن للشيطان•وفيما عدا هذا ليست هناك شهادة ولا استشهاد• وفيما عدا هذا ليس هنالك جنة ولا نصر من عند الله ولا تثبيت للأقدام• وإنما هو الغبش وسوء التصور والانحراف"(120).
ويقول في موطن ثالث: "ولقد كان القرآن ينشئ قلوبًا يعدها لحمل الأمانة، وهذه القلوب كان يجب أن تكون من الصلابة والقوة والتجرد بحيث لا تتطلع – وهي تبذل كل شيء وتحتمل كل شيء – إلى شيء في هذه الأرض، ولا تنتظر إلا الآخرة، ولا ترجو إلا رضوان الله• قلوبًا مستعدة لقطع رحلة الأرض كلها في نصب وشقاء وحرمان وعذاب وتضحية واحتمال، بلا جزاء في هذه الأرض قريب• ولو كان هذا الجزاء هو انتصار الدعوة وغلبة الإسلام وظهور المسلمين ••حتى إذا وجدت هذه القلوب التي تعلم أن ليس أمامها في رحلة الأرض شيء إلا أن تعطي بلا مقابل، وأن تنتظر الآخرة وحدها موعدًا للجزاء •• وموعدًا كذلك للفصل بين الحق والباطل، وعلم الله منها صدق نيتها على ما بايعت وعاهدت، أتاها النصر في الأرض وائتمنها عليه، لا لنفسها، ولكن لتقوم بأمانة المنهج الإلهي وهي أهل لأداء الأمانة، منذ كانت لم توعد بشيء من المغنم في الدنيا تتقاضاه، ولم تتطلع إلى شيء من المغنم في الأرض تعطاه، وقد تجردت لله حقًا يوم كانت لا تعلم لها جزاء إلا رضاه• فالنصر ليس بالعدد وليس بالعدة، وليس بالمال والزاد؛ إنما هو بمقدار اتصال القلوب بقوة الله التي لا تقف لها قوة العباد"(121).
ومن ثمار الإخلاص في الدنيا أنه سبب من الأسباب القوية في سلامة القلوب، ووحدة الصف، وجمع الكلمة وائتلاف القلوب وقطع الطريق على من يريد التحريش بين المسلمين وإثارة الفرقة بينهم؛ لأن من أعظم أسباب الفرقة والاختلاف والتناحر بين الدعاة والمجاهدين بعضهم مع بعض ضعف الإخلاص، وتغلب الهوى وحظوظ

النفس، فإذا حصل الإعداد القوي والتربية الجادة على الإخلاص قبل الجهاد وأثناءه فإن هذا من شأنه أن يقضي على الفرقة والتناحر، وأن يوحد الصف ويجمع الكلمة على قتال الأعداء، وبهذا يُقضى على سبب خطير من أسباب الفشل والهزيمة؛ قال تعالى: (وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) (الأنفال: من الآية46).

وإن مما يقوي الإخلاص وينميه: صدق المحبة لله تعالى - والتي سبق ذكرها - وصدق التوحيد والعبودية لله تعالى واليقين الصادق باليوم الآخر، والقراءة في سير الصالحين المخلصين وكيف كان حرصهم على تحقيق الإخلاص في جميع أعمالهم، وخوفهم من الرياء والنفاق، وإخفاؤهم لأعمالهم، وحفظهم لها من كل ما يكون سببًا في إحباطها وإبطالها؛ فإن ذلك مما يشوق النفوس إلى أعمالهم واللحوق بهم•

كما أن وجود القدوات المخلصة التي تعلم وتربي وتوجه يعد من الأسباب المهمة في إعداد المجاهدين المخلصين، كما أن من أعظم أسباب الإخلاص الزهد في الدنيا والتخفف منها، والإكثار من ذكر الموت، والتطلع إلى الدار الآخرة، والطمع في رضوان الله تعالى ونعيمه فيها، والخوف من سخطه وعذابه• وهذا ما سيدور الكلام حوله في الفقرة التالية من أعمال القلوب•

3- الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة:

إن الركون إلى الدنيا وإشغال الهم والفكر بها وبمتاعها الزائل لهو من أعظم أسباب الغفلة وضعف كثير من أعمال القلوب والجوارح• ومتى ما امتلأ القلب بحب الدنيا وزخرفها لم يعد فيه مكان للأعمال الشرعية من المحبة والإخلاص والتوكل وغيرها، لأن التحلية بالأعمال الشرعية لا بد أن يسبقها تخلية مما يضادها من الأعمال المهينة والحقيرة والمشغلة عن الله عز وجل والدار الآخرة•

إن حب الجهاد في سبيل الله تعالى لا يحل في قلب مشحون بالدنيا مائل إليها؛ لأن من أهم مقومات الإعداد للجهاد في سبيل الله تعالى الزهد في الدنيا والاستعلاء عليها، والاستعداد للتضحية بها في أي وقت؛ فالدنيا في حس المجاهد خادمة لا مخدومة، ومملوكة لا مالكة•

وإن الناظر في حياتنا اليوم وما فيها من الترف والدعة والاهتمام الشديد بالتوسع في مراكبها ومساكنها ومآكلها ومشاربها، وكمالياتها ليرى الفرق الكبير والبون الشاسع بين

هذه الحياة وحياة المجاهدين؛ ولذا كان لزامًا علينا وعلى كل من أراد إعداد نفسه للجهاد، وعلى من يتولون إعداد الأمة للجهاد؛ علينا جميعًا أن ندرك خطر ما نحن فيه من الترف والترهل والركون إلى الدنيا(122)، وأن نبادر للتخفف منها ونبذل الأسباب التي تزهدنا فيها وترغبنا في الآخرة،وإلا نفعل تكن فتنة ومصيبة على أنفسنا وعلى أمتنا؛ إذ لو فاجأنا داعي الجهاد أو هاجمنا الكفار في عقر دارنا – وهاهم من حولنا – فإن أول من يقعد عن الجهاد فيذل للكفار ويستكين أو يفر منهم بجلده هم أولئك المترفون الغافلون السادرون الذين ملأت الدنيا قلوبهم وصارت هي همهم ومبلغهم من العلم• والترف: هو التوسع في النعمة والمباحات، وبذل الجهد والوقت والهمة في تحصيلها والتنافس فيها• ولم يرد ذكر الترف في القرآن إلا بمعرض الذم؛ فلقد ذكر الله عز وجل في أكثر من آية أنه سبب الكفر والإعراض عن الحق أو رده؛ قال تعالى عن أصحاب الشمال)إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ) (الواقعة:45)، وقال سبحانه: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) (سبأ:34–35)، وقال تعالى: (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ)(هود: من الآية116).

ولا يفهم من ذم الترف التهوين من شأن المال؛ فالمال عصب الجهاد في سبيل الله تعالى، ولكن المقصود التحذير من الإسراف في التنعم وجعل ذلك من أكبر الهم، وبخاصة للعاملين في حقل الدعوة والجهاد والإعداد؛ لما لذلك من آثار سيئة في حياة المنتسبين إلى الدعوة والجهاد• والواقع شاهد بذلك؛ فكم رأينا من الدعاة ومن كانوا مهتمين بالجهاد قد تخلوا عن الجهاد والإعداد له وركنوا إلى الدنيا بسبب الترف والتوسع في النعيم•

ويبين ابن خلدون رحمه الله مضار الترف على الأمم وأثره في زوالها، وأثر التقشف وخشونة العيش في الغلبة على الأعداء فيقول في مقدمته: "الفصل السادس عشر: في أن الأمم الوحشية أقدر على التَّغَلُّب ممن سواها: اعلم أنه لما كانت البداوة سببًا في الشجاعة كما قلناه في المقدمة الثالثة، لا جرم كان هذا الجيل الوحشي أشد شجاعة من الجيل الآخر؛ فهم أقدر على التغلب وانتزاع ما في أيدي سواهم من الأمم، بل الجيل الواحد تختلف أحواله في ذلك باختلاف الأعصار، فكلما نزلوا

الأرياف وتَفَنَّقوا(123) في النعيم، وألفوا عوائد الخصب في المعاش والنعيم، نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبداوتهم"(124).

وكلما تخفف المسلم من الدنيا ومتاعها وأصبحت في يده لا في قلبه هانت عليه وهان عليه فراقها والتضحية بها، وسهل عليه الجهاد والبذل، وقوي عنده الصبر على المصائب والبلايا•

ولذلك كان المتقللون من الدنيا هم أتباع الرسل، وهم الذين يلبون منادي الجهاد عند النداء، "والأمة المجاهدة لا تكون مترفة، والأمة المترفة لا تكون مجاهدة؛ فلا يجتمع ترف وجهاد؛ لأن الترف نعومة وراحة واسترخاء وإغراق في الشهوات والملذات يصعب على صاحبه مفارقة ما ألفه منه، بل إنه يعيش وهو يفكر في إضافة المزيد منه ويخاف أن يحال بينه وبين ذلك الترف والنعيم• والجهاد بذل وتضحية ومشقة وبعد عن الملذات والشهوات ومفارقة للمحبوبات واقتحام للمكاره والعقبات؛ المترف يخاف كل شيء يعكر عليه صفو ترفه، والمجاهد لا يخاف في الله لومة لائم، المترف يتلهف للفسق والفجور والفواحش، والمجاهد يتطلع لقيادة البشر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر• فالمترفون فاسقون والمجاهدون مصلحون•

ولهذا كانت سنة الله في المترفين الفاسقين تدميرهم، والتدمير قد يكون بالاستئصال بعذاب الله كما كان في الأمم الماضية، وقد يكون بإنزال البأس الذي يحول بين المترف وما كان يتمتع به من شهوات، وهو عذاب وتدمير، وقد يكون أشق عليه من مفارقة ترفه بالموت• والعقوبة تعم المترفين ومن لم يقف في وجه ترفهم؛ قال تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً) (الإسراء:16)"(125).

ويعلق سيد قطب رحمه الله تعالى على آية الإسراء فيقول: "والمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال ويجدون الخدم ويجدون الراحة، فينعمون بالدعة وبالراحة وبالسيادة حتى تترهل نفوسهم وتأس،ن وترتع في الفسق والمجانة، وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات، وتلغ في الأعراض والحرمات، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاثوا في الأرض فسادًا، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها وأرخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلاّ بها ولها، ومن ثم تتحلل

الأمــة وتســترخي، وتفقــد حيويتهــا وعناصــر قوتهــا وأســباب بقائهــا فتهلــك وتطــوى صفحتها• والآية تقرر سنة الله هذه •••"(126).

والحاصل التنبيه على خطورة الترف على حياة الداعية والمجاهد، وأن الجهاد والترف لا يجتمعان، وعلى من يعد نفسه للجهاد في سبيل الله عز وجل أن يربي نفسه على الزهد في الدنيا والتقلل منها، وتعويد النفس على شظف العيش وخشونته• وهذا يحتاج إلى مجاهدة للنفس الأمارة لأنها تميل إلى الدعة والراحة والتنعم•

كما لا ننسى دور المربين والقدوات الذين يربون الأمة ويعدوها للجهاد، فإن لم يكونوا مثالاً للزهد والبعد عن الترف بأشكاله كلها فإن التربية ستكون ضعيفة وهشة؛ لأن الناس لا ينظرون إلى أقوال الدعاة والمربين فحسب، بل إن نظرهم يتركز على أفعالهم وأحوالهم• ولنتصور شخصًا من الناس يحثه شيخه أو مربيه على الزهد في الدنيا ويحذره من الترف والتوسع في المباحات، ثم هو يرى شيخه في مركبه ومسكنه وملبسه ومطعمه في واد والزهد في واد آخر• فماذا سيكون حال هذا المتربي؟! إنه سيشعر بالاضطراب والازدواجية، وإن هذا لمما يعوق التربية والإعداد ويؤخرهما•

وإن مما يعين على ترك الترف والرضى من الدنيا باليسير والتضحية بها حين يتطلب الأمر ذلك: النظر في سيرة المربي العظيم سيد الزاهدين وإمام المرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، وكيف كانت حياته، وكيف كان يعد أصحابه رضي الله عنهم ويربيهم بقوله وعمله وحاله، ثم النظر في حياة الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان من سادات المجاهدين والزاهدين• إن الإطلاع على حياة السلف رحمهم الله لمما يعين على الاقتداء بهم وبذل الجهد في اللحوق بهم؛ وإذا كان النعيم أثَّرَ في بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته فكاد يحول بين بعضهم وبين النفير مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وحال فعلاً بين بعضهم وبين ذلك، ولم ينفعه من عقاب الله وسخطه وسخط رسوله صلى الله عليه وسلم إلا التوبة، فكيف بمن بعدهم؟•

فهذا كعب بن مالك رضي الله عنه يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ويعرض في سياق حديثه بعض الأسباب التي أغرته بذلك التخلف، منها المشقات التي استقبلت المجاهدين كما قال: (فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم

في حر شديد، واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا، واستقبل عدوًا كثيرًا، فجلَّى للمسلمين أمرهم •••)(127).

ومنها النعيم ووسائل الراحة المتاحة في المدينة التي كان يميل إليها كما قال: (وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا إليها أصعر)(127) أي أميل.

وأختم هذا الحديث عن الزهد وما يضاده من الترف بكلام نفيس للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى يوجه فيها الأنظار إلى كيفية الاستقامة بالزهد في الدنيا فيقول: "لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

نظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها وخستها، وألم المزاحمة عليها والحرص عليها؛ فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها، وهم في حال الظفر بها، وغم وحزن بعد فواتها• فهذا أحد النظرين•

النظر الثاني: النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها ولا بُد، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرَّات، والتفاوت الذي بينه وبين ما ههنا؛ فهي كما قال الله سبحانه: (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) (الأعلى:17).

فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة، فإذا تم له هذان النظران آثر ما يقتضي العقل إيثاره، وزهد فيما يقتضي الزهد فيه؛ فكل أحد مطبوع على أن لا يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة إلا إذا تَبَيَّن له فضل الآجل على العاجل وقويت رغبته في الأعلى الأفضل، فإذا آثر الفاني الناقص كان ذلك إما لعدم تَبَيُّن الفضل له، وإما لعدم رغبته في الأفضل"(128).

وإن مما يعين على الزهد وترك الترف محاولة الانتقال من حياة الدعة والترف ما بين الفينة والأخرى؛ وذلك كأن يخصص الداعية أيامًا أو أسابيع في السنة يفارق فيها أهله وبلده ضمن برنامج دعوي في بعض القرى أو الهجر أو الأماكن النائية في الجبال والغابات التي يقطنها كثير من الناس الذين لا يعرفون التوحيد ولا كيف يصلون ولا يصومون وتنتشر فيهم الأخلاق والعادات السيئة؛ فإن مثل هذه الأجواء

فيها تربية للداعية نفسه، وذلك بالتعود على حياة الخشونة والشظف، وفيها تربية وتعليم لسكان هذه الأماكن ما يجهلونه من أمر دينهم، ولا شك أن هذه الأعمال تحتاج إلى جهاد مع النفس بنقلها من حياة الدعة والترف التي تحبها إلى حياة الشظف والتعب التي تكرهها، كما أن في مثل هذه الأسفار بذلاً للمال في سبيل الله عز وجل ومجاهدة للنفس في حبها للمال والبخل به•

4- التوكل على الله عز وجل :

وهذا العمل القلبي من أفضل الأعمال وأنفعها للعبد، ولا سيما المجاهد أو من يعد نفسه للجهاد في سبيل الله تعالى، وحقيقة التوكل: هو غاية الاعتماد على الله سبحانه وغاية الثقة به، مع الأخذ بالأسباب المأمور بها وعدم الاعتماد عليها ولا التعلق بها• وهو عبادة عظيمة تجمع بين تفويض الأمور إلى الله تعالى، وإحسان الظن به، والرجاء في رحمته ونصرته، وعدم الخوف إلا منه سبحانه؛ فهو الذي بيده النفع والضر، وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها•

لذا وجب على المجاهد أن يقوي هذه العبادة في قلبه، ويسأل ربه صدق التوكل عليه، ويأخذ بالأسباب التي تحوِّل هذه العبادة من علم وعقيدة مجردة إلى عمل وحال يتحرك بها ويواجه الأخطار والمصائب والأعداء بها؛ لأن هناك فرقًا بين العلم بالتوكل والمعرفة به وبين كونه عملاً وحالاً•

وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "••• وكثير ما يشتبه في هذا الباب: المحمود الكامل بالمذموم الناقص ••• ومنه اشتباه علم التوكل بحال التوكل؛ فكثير من الناس يعرف التوكل وحقيقته وتفاصيله، فيظن أنه متوكل وليس من أهل التوكل• فحال التوكل أمر آخر من وراء العلم به•••"(129).

والتربية على التوكل تأتي من الاعتناء بالفقه بأسماء الله تعالى وصفاته الحسنى؛ فهو ثمرة هذا العلم الشريف؛ كالفقه بصفات العلم والقدرة والرحمة والحكمة والتعبد لله سبحانه بها؛ لأن من أيقن كمال علم الله تعالى وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون، وأنه القادر على كل شيء، وأن رحمته وسعت كل شيء، وأنه رحيم بالمؤمنين، وحكيم في أقضيته وأحكامه• من أيقن بهذا وتشرب به قلبه اعتمد على من هذه صفاته وفوض أمره إليه سبحانه•

ولا ينافي هذا الأخذ بالأسباب، لأن الله عز وجل أمر بالأخذ بالأسباب في قتال الأعداء فقال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) (لأنفال: من الآية60)، وأمر بأخذ الحذر من الكفار فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ) (النساء: من الآية71).

وظاهر الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أُحد بين درعين ولبس المغفر، وحفر الخندق؛ وهو سيد المتوكلين• ولكن قلبه لم يتعلق بهذه الأسباب بل فوض أمره إلى الله عز وجل، ودعا ربه بالنصر وإهلاك الكافرين• قال سبحانه: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) (الأنفال: من الآية17).

ولما ظن الصحابة رضي الله عنهم ترتب النصر على الأسباب وأعجبوا بها يوم حنين هزموا في أول المعركة، وقال تعالى: (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً) (التوبة: من الآية25).

فالأخذ بالأسباب من سنن المرسلين، والأخذ بها واجب وطاعة لله تعالى مع ترك الاعتماد عليها، بل الاعتماد على الله وحده لا شريك له في حصول المقصود بعد الأخذ بالأسباب• وقد تضيق بالعبد السبل وتنعدم الأسباب؛ وهنا ليس أمام العبد إلا عمل القلب وحده بصدق التوكل على الله عز وجل وصدق اللجوء والاضطرار إليه؛ كما لو أحاط العدو الكافر بالمجاهدين ولم يكن لهم حيلة في دفعه؛ قال الله تعالى عن المسلمين يوم أحد: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (آل عمران:173).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "والتوكل تارة يكون توكل اضطرار وإلجاء بحيث لا يجد العبد ملجأ ولا وَزَرًا إلا التوكل؛ كما إذا ضاقت عليه الأسباب وضاقت عليه نفسه، وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وهذا لا يتخلف عنه الفرج والتيسير البتة، وتارة يكون توكل اختيار وذلك: التوكل مع وجود السبب المفضي إلى المراد، فإن كان السبب مأمورًا به ذُم على تركه، وإن قام بالسبب وترك التوكل ذم على تركه أيضاً؛ فإنه واجب باتفاق الأمة ونص القرآن والواجب القيام بهما والجمع بينهما• وإن كان السبب محرمًا حرم عليه مباشرته وتَوَحَّد السبب في حقه في التوكل فلم يبق سبب سواه؛ فإن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المراد ودفع المكروه، بل هو

أقوى الأسباب على الإطلاق• وإن كان السبب مباحًا نظرت هل يُضعف قيامك به التوكل أو لا يضعفه؟ فإن أضعفه وفرق عليك قلبك وشتت همك فتركه أولى، وإن لم يضعفه فمباشرته أولى؛ لأن حكمة أحكم الحاكمين اقتضت ربط المسبب به فلا تعطل حكمته – [إلى أن قال] – وسر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده؛ فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله توكلت على الله مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به، فتوكل اللسان شيء وتوكل القلب شيء"(130).

وإن من لوازم التوكل على الله عز وجل: اليقين بمعية الله سبحانه ونصرته لعباده المؤمنين وتثبيتهم، وإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم الكافرين بعد الأخذ بالأسباب المأمور بها وبذل الوسع في ذلك•

والناس في التوكل على الله عز وجل والأخذ بالأسباب في قتال الكافرين طرفان ووسط:

الطرف الأول: الذين يرون أن الله عز وجل سينصر المسلمين بالآيات والجنود الذين يسخرهم للقضاء على الكافرين ولو لم يأخذوا بأسباب النصر أو لم يكملوها؛ فما داموا مسلمين وأعداؤهم من الكافرين فإن نصر الله عز وجل سينزل عليهم؛ لأنهم مسلمون وكفى• وهذا الفريق من الناس يفرِّط في العادة في الأخذ بأسباب النصر أو يستطول الطريق فلا يكملها، وإنما ينتظر خارقة وآية من الله عز وجل•

ولا يخفى ما في هذا القول من التفريط والغفلة عن سنن الله عز وجل في النصر والتمكين•

الطرف الثاني: وهو مقابل للطرف الأول، وقد يكون ردة فعل له، وذلك بقولهم بأنه لكي ينتصر المسلمون على أعدائهم ويمكن لهم في الأرض فلا بد أن يكونوا مكافئين لعدوهم في العدد والعتاد والسلاح والأخذ بالأسباب المادية، ومثل هؤلاء يغلبون الأسباب المادية ويتعلقون بها ويفرطون في الأسباب الشرعية،ولا يلتفتون إلى الآيات والمعجزات والإعانات التي ينصر الله سبحانه بها عباده المحققين لأسباب النصر متى شاء سبحانه وعلم أن عباده المؤمنين قد استفرغوا ما في جهدهم من الأخذ بأصول النصر وأسبابه• ومعلوم أن المسلمين في كل وقت – وبخاصة في هذا

الوقت – لم يصلوا ولن يصلوا ولم يكلفهم الله سبحانه بأن يصلوا إلى مستوى أعدائهم في القوة والصناعة والسلاح؛ لأنه ليس شرطًا في نزول النصر، ولا يخفى ما في هذا القول من تطرف وغفلة عن مسبب الأسباب ونسيان لقوة الله تعالى والتي لا يقف أمامها أي قوة في الأرض ولا في السماء، والتي ينصر بها عباده المؤمنين الذين أخذوا بأسباب النصر واستحقوا أن يسخر لهم جنود السموات والأرض•

الوسط: وهو الحق إن شاء الله تعالى، وهم الذين بذلوا كل ما في وسعهم في الأخذ بأسباب النصر السالفة الذكر، حيث بذلوا ما في وسعهم في الأخذ بالعلم النافع والعمل الصالح، وربوا أنفسهم على ذلك، وبلغوه للأمة قدر استطاعتهم حتى عرفتهم الأمة وما هم عليه من الحق، وعرفت أعداءهم وما هم عليه من كفر وفساد، وأخذوا بالأسباب المادية المباحة والمتاحة لهم• ومع أخذهم بهذه الأسباب فلم يعتمدوا عليها بل اعتمدوا على مسبب الأسباب ومن بيده ملكوت السموات والأرض، وانتظروا نصره المبين الذي وعد به عباده المؤمنين الذين أخذوا بأسباب النصر وبذلوا ما في وسعهم في ذلك، وانتظروا تأويل قوله سبحانه: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد: من الآية7)، ولم ينسوا قوله تعالى: (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) (الفتح:7)، وقوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) (المدثر: من الآية31)، بل هم موقنون بظهور قوة الله عز وجل، وظهور الآيات بعد أن يبذلوا وسعهم في الأخذ بالأسباب وإعداد العدة للجهاد، ولم يرهبهم حينئذ قوة أعدائهم من الكفرة والمنافقين مهما بلغت من القوة والدمار؛ لأن قوة الله عز وجل فوق قوتهم، ونواصيهم بيده سبحانه، ولو يشاء الله تعالى دمرها عليهم وأبطل مفعولها• ولكن هذا لا يكون إلا لمن حقق أسباب النصر والتمكين الشرعية والمادية ولا بد هنا من التفريق بين جهاد الدفع وجهاد الطلب في إعداد العدة كما سبق بيانه(131).

ثانياً : أعمال اللسان :

1- الذكر والدعاء :

الدعاء هو العبادة، وقد قال الله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر:60)، وفي الذكر ثناء وتمجيد

وتسبيح وحمد لله تعالى، وفي الدعاء تبرؤ من الحول والقوة وتعلق بقوة الله وحده؛ فهو في الحقيقة يعبر عن حقيقة التوكل والاستعانة بالله عز وجل وحده•

وقد مر بنا في صفات المجاهدين الذين اشترى الله تعالى منهم أنفسهم وأموالهم أن من صفاتهم أنهم (العابدون الحامدون)• والدعاء: هو العبادة، والحمد: هو ذكر الله عز وجل والثناء عليه بما له من الأسماء الحسنى والصفات العلا، وبما أنعم وأحسن على عباده•

وقد أمر الله عز وجل عباده المجاهدين أن يستعدوا للقاء عدوهم بكثرة الذكر والدعاء والتضرع فإنها من أسباب النصر؛ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (لأنفال:45).

وقد سن الرسول صلى الله عليه وسلم أدعية وأذكارًا في اليوم والليلة ينبغي للمسلم وخاصة المجاهد ومن يعد نفسه للجهاد أن يحفظها ويذكر الله بها في أوقاتها؛ فهي من أكبر العون في طمأنينة القلب وتوكله على الله وحده واستحضار معية الله سبحانه له؛ وذلك كما جاء في الحديث القدسي: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم •••)(132) الحديث•

وأعظم الذكر قراءة القرآن قال تعالى: (وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ) (الأنبياء: من الآية50)، وقال سبحانه: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر:9)، وإن مما ينبغي على الداعية والمجاهد أن لا يغفل عن كتاب الله عز وجل، بل يتعاهده حفظًا وتلاوة وتدبرًا، وأن يكون له حزب يومي لا يخل به مع كتاب الله عز وجل•

2- التوبة والاستغفار :

وقد ذكر الله عز وجل في آية التوبة أن من صفات المؤمنين المجاهدين الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم أنهم (التائبون)•

والتوبة: الرجوع إلى الله عز وجل والإنابة إليه والندم على فعل الذنب بعد الإقلاع عنه، وعدم الرجوع إليه• وحاجة المجاهد إلى التوبة والاستغفار شديدة؛ لأن المجاهد معرض أكثر من غيره للعجب بعمله الصالح مع دنو أجله وتعرضه للموت في كل لحظة ولأن أكثر ما يخذل المجاهدين في المعارك ذنوبهم؛ فبالتوبة والاستغفار تمحى

آثار الذنوب والمعاصي وتزول أسباب الهزيمة والخذلان، فضلاً عن أن التوبة عبادة عظيمة من العبادات التي يحبها الله عز وجل ويفرح بها•

والمجاهد بشر ليس بمعصوم، بل إنه معرض للذنوب، ولكنه لا يصر على الذنب، بل يسرع الرجوع ويستغفر ربه عندما تضعف نفسه وتزل قدمه؛ قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (الأعراف:201)، وقال سبحانه في الآيات التي سبقت قصة أحد في آل عمران: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران:135).

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم يكثر من الاستغفار ويقول: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) (133)، ويقول صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة)(134).

3- الدعوة إلى الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وسيأتي التفصيل فيها إن شاء الله تعالى في المرتبة الثالثة من مراتب جهاد النفس وهي جهادها على الدعوة والتعليم•

4- صدق الحديث، وطيب الكلام :

وهذا يحتاج إلى مجاهدة للنفس في تحقيقه، وليس المقام مقام تفصيل في فضل الصدق وأدلة ذلك، وإنما المراد أن الداعية والمجاهد في سبيل الله من أخص أوصافه أنه صادق لا يبطن خلاف ما يظهر، ولا يكذب على إخوانه في حديثه بل يصدقهم، وينصح لهم ولا يغشهم، وبهذا تصفو النفوس وتطيب القلوب•

ثالثاً: أعمال الجوارح، ومن أهمها في الإعداد للجهاد:

1- المحافظة على الصلوات فرضها ونفلها:

سبق وأن مر بنا في صفات المجاهدين المذكورين في سورة التوبة، والذين اشترى الله عز وجل منهم أنفسهم وأموالهم أن من صفاتهم: (الراكعون الساجدون)؛ وكأنها صفة لازمة لهم؛ لا تراهم إلا ركعًا وسجدًا يعبدون ربهم بهذه الشعيرة العظيمة، هي لذتهم ونور حياتهم وقرة عيونهم وسعادة قلوبهم، ولذلك لا يقدمون عليها مالاً ولا ولدًا ولا

مرادًا من مرادات النفوس؛ يلبون نداء الصلاة فور سماعهم للنداء، يحافظون على أدائها في جماعة مبكرين لها محافظين على إتقانها بأركانها وواجباتها وخشوعها• ويزيدون عليها بالسنن الرواتب، لا يفرطون فيها ويحافظون على النوافل الواردة من صلاة الضحى وقيام الليل، يحذرون الآخرة ويرجون رحمة الله عز وجل؛ كما قال الله عز وجل في وصفهم: (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً) (الفرقان:64)، وقال أيضاً عنهم: (كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) (الذريات:17)، وهم بذلك يرجون أن يكون لصلاتهم آثارها ومنافعها الدنيوية والأخروية•

وإن من الإعداد للجهاد الاهتمام الشديد بالصلاة فرضها ونفلها؛ وذلك لأنها أم العبادات، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، فضلاً عن كونها زادًا للمجاهد في طريقه الشاق الطويل؛ يستعين بها على ما يواجهه في جهاده من تكاليف ومشاق وقتل وقتال وهجر للمال والأولاد؛ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة:153). فمن لم يكن له زاد من الصلة بالله عز وجل فإنه لا يقوى على مواصلة الطريق، ولا على الثبات أمام الأعداء في ساحات الوغى• ثم لا ننسى الحديث القدسي الذي مر بنا قريبًا، والذي يبين أثر التقرب إلى الله عز وجل بالفرائض والنوافل في محبة الله عز وجل لمن هذه حاله• وأن العبد ما يزال يتقرب بذلك حتى يحفظه الله عز وجل في سمعه وبصره ويده ورجله؛ فلا تنطلق جوارحه إلا فيما يحب الله عز وجل• وكفى بحفظ الله تعالى حفظًا وقوة وثباتًا وجهادًا• ويعلق سيد قطب رحمه الله تعالى على آية البقرة الآنفة الذكر: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ...) فيقول: "وحين يطول الأمد ويشق الجهد، قد يضعف الصبر، أو ينفد إذا لم يكن هناك زاد ومدد ومن ثم يقرن الصلاة إلى الصبر؛ فهي المعين الذي لا ينضب، والزاد الذي لا ينفد• المعين الذي يجدد الطاقة، والزاد الذي يزود القلب؛ فيمتد حبل الصبر ولا ينقطع• ثم يضيف إلى الصبر، الرضى والبشاشة، والثقة، واليقين•

إنه لا بد للإنسان الفاني الضعيف المحدود أن يتصل بربه الأعلى، يستمد منه العون حين يتجاوز الجهد قواه المحدودة، حينما تواجهه قوى الشر الباطنة والظاهرة، حينما يثقل عليه جهد الاستقامة على الطريق بين دفع الشهوات وإغراء المطامع، وحينما

تثقل عليه مجاهدة الطغيان والفساد وهي عنيفة، حينما يطول به الأمد وتبعد به الشقة في عمره المحدود، ثم ينظر فإذا هو لم يبلغ شيئًا وقد أوشك المغيب، ولم ينل شيئًا وشرارة العمر تميل للغروب، حينما يجد الشر نافشًا والخير ضاويًا، ولا شعاع في الأفق ولا معلم في الطريق •• هنا تبدو قيمة الصلاة؛ إنها الصلة المباشرة بين الإنسان الفاني وربه القوي الباقي •• إنها مفتاح الكنز الذي يغني ويقني ويفيض• إنها الانطلاقة من حدود الواقع الأرضي الصغير إلى مجال الواقع الكوني الكبير، إنها الروح والندى والظلال في الهاجرة، إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود •• ومن هنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان في الشدة قال: (أرحنا بها يا بلال)(135) •• ويكثر من الصلاة إذا حزبه أمر ليكثر من اللقاء بالله•

إن هذا المنهج الإسلامي منهج عبادة• والعبادة فيه ذات أسرار• ومن أسرارها أنها زاد الطريق، وأنها مدد الروح، وأنها جلاء القلب، وأنه حيثما كان تكليف كانت العبادة هي مفتاح القلب لتذوق هذا التكليف في حلاوة وبشاشة ويسر •• إن الله سبحانه حينما انتدب محمدًا صلى الله عليه وسلم للدور الكبير الشاق الثقيل ، قال له: (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) (المزمل:1-5).

فكان الإعداد للقول الثقيل، والتكليف الشاق، والدور العظيم هو قيام الليل وترتيل القرآن •• إنها العبادة التي تفتح القلب، وتوثق الصلة، وتيسر الأمر، وتشرق بالنور، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان"(136) اهـ•

2- الصيام:

والصوم من العبادات الشريفة المحبوبة إلى الله عز وجل، وهو يعود صاحبه الصبر وقوة الإرادة والاستعلاء على شهوات النفس، فضلاً عن كونها عبادة يحبها الله عز وجل ويثيب عليها ثوابًا لا يضاهيه ثواب عبادة أخرى؛ كما جاء في الحديث القدسي: (الصوم لي وأنا أجزي به)(137).

والمراد بالصوم صيام الفرض أولاً وإتقانه وحفظه من المبطلات، ثم صيام أيام النفل؛ وهي كثيرة منها صيام يومي الاثنين والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر، وصيام

ست من شوال، ويوم عرفة، وعاشوراء؛ وكلها ورد في فضل صومها أحاديث صحيحة•

وأهمية الصوم في الإعداد للجهاد في أنه يقوي الإيمان ويزيد في التقوى التي تدفع العبد إلى امتثال الأوامر واجتناب المحرمات؛ قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة:183).

وقد ذكر الله سبحانه في صفات المجاهدين الذين ورد ذكرهم في سورة التوبة وأنه سبحانه قد اشترى منهم أنفسهم وأموالهم؛ ذكر من صفاتهم أنهم (السائحون)، وقد ذكر المفسرون أن من معانيها: الصائمين•

والمحافظة على نوافل الصلاة والصوم تحتاج من العبد مجاهدة وصبرًا، ويقينًا بمنافعهما العظيمة في الدنيا والآخرة، وقناعة بأهمية هذا الزاد في الإعداد للجهاد في سبيل الله تعالى• كما تحتاج إلى تعاون وتواص بين الدعاة، وأن تكون هناك البرامج العملية، والأجواء التربوية، والعيشة الجماعية التي تسهل على النفوس الأخذ بهذه العبادات ويكون فيها القدوات الصالحة التي تشد الناس بقولها وفعلها إلى هذه الأعمال وتحببها إلى النفوس•

3- الأخذ بمحاسن الأخلاق وترك مساوئها :

جاء الإسلام بمحاسن الأخلاق، وأرشد الناس إليها وحثهم على التحلي بها، ونفَّرَهم من مساوئ الأخلاق وقبحها وذم أهلها• وإذا كان المسلمون بعامة مأمورين بمحاسن الأخلاق والاتصاف بها ومنهيين عما يضادها، فإن الأمر بالأخذ بها يكون آكد وأوجب في حق الدعاة والمجاهدين لأنهم في موطن القدوة والصلاح والإصلاح• فضلاً عن أن الدعوة والجهاد يواجه أهلهما من المواقف والابتلاءات ما يحتاجون معه إلى الخلق الحسن والسلوك الجميل الذي يرغب الناس في الخير، ويدفع الداعية والمجاهد إلى الصبر والتحمل، والتحلي بالأخلاق الطيبة في تعامله وتصرفاته في المواقف؛ كما أن في اشتراك الدعاة والمجاهدين في برامج وأعمال مشتركة مجالاً لأن يظهر بينهم خلاف في وجهات النظر وتقدير المواقف• فإذا لم يكن هناك تربية أخلاقية وسلوكٌ إسلاميٌ قد تربى عليه المجاهد من قبل وإلا فقد تظهر بعض

الأخلاق السيئة الكامنة، والتي لم تتهذب من قبل، مما قد ينشأ عنه مفاسد من الافتراق والتناحر والتشاجر كما نسمع أحيانًا هنا وهناك•

وقد وصف الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم وهو قدوة الدعاة والمجاهدين بقوله: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم:4)، ولما سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم قالت: (كان خلقه القرآن)(138). وقال صلى الله عليه وسلم: (خياركم أحاسنكم أخلاقًا)(139). وقال أيضاً: (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)(140)، والأحاديث في فضل حسن الخلق كثيرة جدًا والأخلاق الفاضلة كثيرة•

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أصول الأخلاق الفاضلة وأنها تقوم على أربعة أركان فقال: "وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل•

فالصبر: يحمله على الاحتمال وكظم الغيط، وكف الأذى، والحلم والإناة والرفق، وعدم الطيش والعجلة•

والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء؛ وهو رأس كل خير، وتمنعه من الفحشاء، والبخل والكذب، والغيبة والنميمة•

والشجاعة: تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى، الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته• وتحمله على كظم الغيظ والحلم؛ فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عنانها، ويكبحها بلجامها عن النزغ والبطش• كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد: الذي يملك نفسه عند الغضب)(141). وهو حقيقة الشجاعة، وهي ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه•

والعدل: يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط؛ فيحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الإمساك والإسراف والتبذير، وعلى خلق الحياء الذي هو توسط بين الذل والقحة، وعلى خلق الشجاعة، الذي هو توسط بين الجبن والتهور، وعلى خلق الحلم، الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس•

ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة•••)(142) ا•هـ•

والأخلاق الفاضلة كثيرة أذكر منها في هذا المقام بعض ما هو لصيق بحياة الدعاة والمجاهدين، وما يكونون فيه أحوج إلى التحلي بها من غيرهم• ومن ذلك:

(أ) الكرم والجود والبذل في سبيل الله:

وهذه الأخلاق تنشأ من الشجاعة التي أشار إليه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى بأنها من أصول الأخلاق الحسنة؛ لأن الشجاعة تحمل صاحبها على البذل والندى الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته؛ بداية من بذل المال والجاه والعلم وغيرها من وجوه البذل والجود، ونهاية ببذل النفس والروح التي هي أعز وأغلى ما يملك الإنسان في سبيل الله عز وجل•

ولذلك فإن البخيل في العادة لا تجده إلا جبانًا خوارًا، والبخل والجبن قرينان، كما أن الكرم والشجاعة قرينان، وقد قرن النبي صلى الله عليه وسلم بين الجبن والبخل في دعائه حيث قال: (اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن)(143).

ولذلك يجب مجاهدة النفس على بذل ما تحبه، وتعويدها على الجود والإيثار وحب الخير للمسلمين، وبذل الجاه لهم بالمساعدة والشفاعة والسعي في حوائجهم• وهذا أمر يحتاجه المجاهد في سبيل الله لأن بيئة الجهاد بيئة بذل فكانت بالضرورة بيئة إيثار وتكافل وتعاون بين المجاهدين، وأجواء الجهاد والمجاهدين لا مكان فيها لأهل الأثرة والشح والأنانية والبخل•

ومما يساعد على تقوية خلق الكرم والجود ما سبق ذكره في أعمال القلوب من الإخلاص والزهد في الدنيا والرغبة فيما أعد الله لعباده المجاهدين المنفقين في الآخرة من النعيم والرضوان، ومما يساعد على ذلك أيضًا العيش في بيئات أهل العلم والزهادة والجهاد؛ لأن في رؤية القدوات من أهل السخاء والشجاعة والجود وطول صحبتهم أثرًا في التربية على هذا الخلق الكريم وغيره من الأخلاق، كما أن فيها التواصي والتذكير والحث على هذه الأخلاق•

كما أن في قراءة سير أهل الشجاعة والجود والكرم من سلف هذه الأمة وعلى رأسها سيرة سيد المجاهدين وبطل الأبطال وأكرم الخلق محمد – صلى الله عليه وسلم – دافعًا ومحفزًا للاقتداء بهم واتباع آثارهم•

(ب) العفو والصفح وكظم الغيظ :

وردت في الكتاب والسنة نصوص كثيرة تحث على هذا الخلق الكريم وتمدح أهله وتعدهم بالثواب الجزيل في الآخرة• قال الله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران:133-134).

وبالتأمل في هذه الآية نجد أن الله عز وجل قد ذكر قبلها آيات في غزوة أحد والاستعداد لها؛ وذلك في قوله: (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (آل عمران:121). ثم بعد أن ذكر تسع آيات في هذه الغزوة انتقل السياق إلى نهي المؤمنين عن أكل الربا، ثم حثهم على المسارعة إلى الجنة بالإنفاق في سبيل الله، والعفو عن الناس وكظم الغيظ، ثم عاد السياق مرة أخرى إلى مواصلة الحديث عن غزوة أحد بقوله: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ...) (آل عمران: من الآية137) فما معنى توسط هذه الآيات بين آيات الحديث عن غزوة أحد؟

يجيب عن ذلك سيد قطب رحمه الله تعالى بقوله: "••• وإذن فهذه التوجيهات الشاملة ليست بمعزل عن المعركة؛ فالنفس لا تنتصر في المعركة الحربية إلا حين تنتصر في المعارك الشعورية والأخلاقية والنظامية، والذين تولوا يوم التقى الجمعان في "أحد" إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا من الذنوب• والذين انتصروا في معارك العقيدة وراء أنبيائهم هم الذين بدأوا المعركة بالاستغفار من الذنوب، والالتجاء إلى الله، والالتصاق بركنه الركين• والتطهر من الذنوب إذن والالتصاق بالله والرجوع إلى كنفه من عدة النصر، وليست بمعزل عن الميدان! واطراح النظام الربوي إلى النظام التعاوني من عدة النصر؛ والمجتمع التعاوني أقرب إلى النصر؛ من المجتمع الربوي• وكظم الغيظ والعفو عن الناس من عدة النصر، فالسيطرة على النفس قوة من قوى المعركة، والتضامن والتواد في المجتمع المتسامح قوة ذات فاعلية كذلك"(144).

والأصل في العفو وكظم الغيظ وكف الأذى هو خلق الصبر الذي عدَّه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أحد الأركان الأربعة للأخلاق الفاضلة• وسيأتي الحديث عن

خلق الصبر إن شاء الله تعالى بشيء من التفصيل عند الحديث عن المرتبة الرابعة من مراتب جهاد النفس•

وإن التأكيد على إعداد المجاهدين وتربيتهم على هذا الخلق الكريم نابع من أن المجاهد في طريق الجهاد الطويل قد يتعرض لبعض الأذى والأخطاء من إخوانه المشاركين له في درب الجهاد، أو من إخوانه المسلمين الذين قد يؤذونه بكلام أو تخذيل أو غير ذلك؛ فإن لم يكن على مستوى من التربية الأخلاقية – ولا سيما خلق الحلم والعفو والصفح – فإنه قد لا يصبر على ما يرتكب في حقه من الأخطاء، وقد يتصرف بما لا يليق بالمسلم فضلاً عن المجاهد الذي يفترض فيه أنه قد استعلى على حظوظ نفسه وأغراضها، وجعل غضبه وانتقامه لله عز وجل وحده لا شريك له• ولا يخفى ما في الانتقام للنفس والانتصار لها من مفاسد على وحدة صف الدعاة والمجاهدين واجتماع كلمتهم، وأنه باب للإحن والأحقاد والشحناء.

وان التحمل والعفو وكظم الغيظ يحتاج إلى جهاد شديد مع النفس، وتعويدها على الصبر والإخلاص لله وحده؛ لأن الإخلاص من أسباب سلامة الصدر وخلو القلب من الغل والحقد؛ قال صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يغل عليهن قلب مسلم – وذكر منها – إخلاص العمل لله)(145).

كما أن في التربية الجماعية ورؤية القدوات من ذوي الحلم والأناة والعفو والصفح، والقراءة في سير المخلصين والعافين عن الناس الأثر الكبير في التحلي بهذه الأخلاق الفاضلة•

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "•• وفي الصفح والعفو والحلم من الحلاوة والطمأنينة، والسكينة وشرف النفس، وعزها ورفعتها عن تشفيها بالانتقام ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام"(146).

(ج) الأمانة وحفظ العهد والوعد :

لقد ذكر الله عز وجل أن من صفات المؤمنين المفلحين محافظتهم على أماناتهم، ورعايتهم لعهودهم؛ فقال في صدر سورة "المؤمنون": (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ) (المؤمنون:1-2) إلى قوله: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) (المؤمنون:8). وأمر بتأدية الأمانة في قوله عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا

الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) (النساء: من الآية58)، ونهى عن خيانة الأمانة فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الأنفال:27).
والأمانة إذا أطلقت فالمراد منها القيام بجميع التكاليف التي كلف الله عز وجل بها عباده؛ سواء ما يتعلق منها بحقوق الله تعالى أو ما يتعلق منها بحقوق الخلق وهذا هو المعنى الوارد في آية الأحزاب في قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْأِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) (الأحزاب:72).
وأما الأمانة بمعناها الخاص فالمراد منها جميع ما يُستَأمن عليه العبد من أموال أو أسرار أو مسؤوليات محددة أو عهود ومواثيق، أو غير ذلك من الأمانات؛ وذلك بحفظها وعدم الاعتداء عليها، أو التفريط فيها، أو الغش فيها وعدم إتقانها•
وحفظ الأمانة من الأخلاق الكريمة والمروءات النبيلة التي تدل على تقوى صاحبها وخوفه من الله وعفته ووفائه• ولذلك وجب الاهتمام بتقوية هذا الخلق في التربية بعامة، وفي الإعداد للجهاد بصفة خاصة؛ وذلك لما يتعرض له المجاهد من مواقف تتطلب منه إبرام عهد وعقد للقيام بمهام معينة في الجهاد، أو يستودع بعض الأسرار التي تتعلق بالجهاد، أو توكل إليه بعض أموال الجهاد قبضًا وإنفاقًا وحفظًا، وغير ذلك من المهمات التي تحتاج إليها الدعوة ويتطلبها الجهاد في سبيل الله•
كما يدخل في الأمانة تولية الأعمال للأكفاء وإسنادها إلى أهلها؛ فالولايات من الأمانات، وقد روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: (يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة)(147). وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة) قيل: وكيف إضاعتها• فقال: (إذا وسد الأمر إلى غير أهله)(148).
ونحن اليوم في زمن ضاعت فيه الأمانات، وضعفت في قلوب كثير من الناس حتى عز المتصفون بها• لذا وجب التركيز عليها في التربية والإعداد للجهاد، واستخدام الوسائل الشرعية لتقويتها؛ وذلك بتقوية أعمال القلوب السابق ذكرها من الإخلاص والزهد في الدنيا وأعراضها وأموالها ورئاساتها، وإنشاء هم الآخرة في النفس والخوف من الحساب•

ومما يدل على قلة الأمناء في هذا الزمان حديث حذيفة رضي الله عنه في الأمانة، والذي يشتكي فيه من نقص الأمانة ومنه قوله: (ولقد أتى عليّ زمان وما أبالي أيكم بايعت؛ لئن كان مسلمًا ليردنه عليَّ دينه، وإن كان نصرانيًا أو يهوديًا ليردنه عليَّ ساعيه• وأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانًا وفلانًا)(149). وقوله بايعت: من البيع والشراء؛ وهو يشير إلى رفع الأمانة ونقصها في الناس• فإذا كان حذيفة رضي الله عنه يشكو من ندرة الأمناء في زمانه فكيف بزماننا اليوم؟! والمقصود من ذكر حديث حذيفة هو قوله: (وأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانًا وفلانًا) وفيه الإشارة إلى تحري الأمانة في من يعاملون في بيع أو شراء أو يراد ائتمانهم على الأمانات•

المرتبة الثالثة

مجاهدة النفس على الدعوة إلى الهدى وتعليمه للناس

والدعوة واسعة ومجالاتها متعددة، لكن الحديث في هذه المرتبة سيكون عن الدعوة والبيان اللذَيْن يسبقان جهاد السنان،ويمكن تسمية هذا النوع من الجهاد بجهاد البيان وتبليغ الناس الدين الحق، وتعليمهم توحيد الله عز وجل وحقيقة العبودية، ومعرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته وكيف يعبدونه بمعرفة الأحكام العينية كأركان الإسلام وما لا تقوم إلا به، كما أن مما لا يتم البلاغ والبيان إلا به بيان سبيل الكافرين والمجرمين، وبيان ما يناقض التوحيد والإسلام الحق، وتعرية أهله للناس•

إذن فإنه يمكن القول في هذه المرتبة بأنها مجاهدة النفس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر•ولقد ذكر الله سبحانه في صفات المجاهدين الذين عقدوا البيعة مع الله عز وجل في قوله: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ...) (التوبة: من الآية111) الآية. ذكر من بين هذه الصفات أنهم: (الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) (التوبة: من الآية112). والجهاد في حقيقته فرع عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الغاية من الجهاد – كما مر بنا – هي إعلاء كلمة الله عز وجل بعلو المعروف الأكبر وهو التوحيد وعبادة الله وحده، وإزهاق المنكر الأكبر وهو الشرك وأهله•

ولكن لما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يبدأ بجهاد البيان والبلاغ للناس، وتعريفهم بحقيقة سبيل المؤمنين الموحدين، وحقيقة سبيل الكافرين والمجرمين، كان

لزامًا قبل جهاد الكفار والمرتدين أن يكون جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تأخذ الدعوة حظها من البيان والتعريف للناس بحقيقة دين الإسلام وشموله، وحقيقة المنافقين والمجرمين الذين يتسلطون على الناس ويستعبدونهم، ويستخدمون في ذلك جميع الوسائل الإعلامية التي يسيطرون عليها في نشر باطلهم وثقافتهم والتلبيس على الناس بأنهم أصحاب حق وشرعية، وتشويه سمعة الدعاة الصادقين، ووصفهم بالتطرف والسعي إلى الفتنة والفساد، والخروج على الشرعية!!

والحديث هنا منصب على جهاد الطلب في واقع لم يستبن فيه الناس سبيل المؤمنين ولا سبيل المجرمين، وإنما الوضع عندهم ملتبس أو منعكس؛ بحيث ينظرون إلى المجرمين على أنهم مصلحون وإلى المؤمنين على أنهم مفسدون•

أما جهاد الدفع، فكما أشرت في أكثر من مرة إلى أنه في الغالب تكون فيه راية الكفر قد اتضحت، وكذلك راية المؤمنين الذين يدفعون العدو عنهم وعن المسلمين، فلا لبس حينئذ ولا فتنة، وأما جهاد الطلب فإن من يتخطى فيه جهاد البيان إلى جهاد السنان سيجد نفسه متورطًا في مواجهة إخوانه المسلمين الذين يعيشون في ظل الأنظمة الكفرية التي لُبِّس أمرها على الناس فلم يعرفوا المجاهدين ولم تصل إليهم حقيقة دعوتهم، وليس عندهم إلا ما يتلقونه من إعلام المجرمين من تضليل وعكس للحقائق• وأما إذا أخذت الدعوة حظها من البيان والبلاغ، ووصل الحق إلى الناس وزال اللبس عنهم واتسعت قاعدة الدعوة، وحصل الحد الأدنى من تربية الناس على المفاهيم الصحيحة لهذا الدين وبيان حقيقة المجرمين المتسلطين، وبيان كفرهم وفسادهم؛ فإنه حينئذ يستطيع المجاهدون إذا ملكوا الحد الأدنى من القدرة المادية والإعداد الإيماني أن يواجهوا عدوهم الذي قد عرَّفوا الناس حقيقته وعرَّفوا حقيقة سبيل المؤمنين وأهدافهم النبيلة، فإذا اختار أحد من الناس سبيل المؤمنين أو سبيل المجرمين فإنه يكون قد اختاره عن علم ورضى واختيار، فحينئذ يزول الحرج الشرعي من قتال الكفار ومن هو في صفهم؛ لأن البينة قد تمت، والحجة قد قامت، وحينها يهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة•

وعندما يُؤكد على أهمية العلم بسبيل المؤمنين وسبيل المجرمين وتعليمهم ذلك فإنه يُفترض سلفًا أن الدعاة والمجاهدين قد فهموا وعلموا سبيل المؤمنين والمجرمين قبل

غيرهم؛ وإلا فكيف سيبينونه للناس وفاقد الشيء لا يعطيه• وقد مضى في المرتبة الأولى من مراتب جهاد النفس ذكر مجاهدتها على تعلم الهدى والدين الحق، ومعرفة ما يناقضه• وعلم أصحاب الحق بسبيل المجرمين ضروري في توقيه ومحاربته، والاندفاع الشديد لمجاهدته ومجاهدة أهله•

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فإن كمال الإسلام هو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتمام ذلك بالجهاد في سبيل الله، ومن نشأ في المعروف لم يعرف غيره فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند من علمه، ولا يكون عنده من الجهاد لأهله ما عند الخبير بهم؛ ولهذا يوجد الخبير بالشر وأسبابه إذا كان حسن القصد عنده من الاحتراز عنه ومنع أهله والجهاد لهم ما ليس عند غيره•

ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم أعظم إيمانًا وجهادًا ممن بعدهم، لكمال معرفتهم بالخير والشر، وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر، لما علموه من حسن حال الإسلام والعمل الصالح، وقبح حال الكفر والمعاصي، ولهذا يوجد من ذاق الفقر والمرض والخوف أحرص على الغنى والصحة والأمن ممن لم يذق ذلك• ولهذا يقال: والضد يُظهِر حُسْنَه الضِدُ)(150).

وقريب مما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله تعالى قد أشار إليه سيد قطب رحمه الله عند قوله عز وجل: (وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) (الأنعام:55) وذلك بقوله: "إن هذا المنهج هو المنهج الذي قرره الله – سبحانه – ليتعامل مع النفوس البشرية •• ذلك أن الله سبحانه يعلم أن إنشاء اليقين الاعتقادي بالحق والخير يقتضي رؤية الجانب المضاد من الباطل والشر، والتأكد من أن هذا باطل ممحض وشر خالص، وأن ذلك حق ممحض وخير خالص •• كما أن قوة الاندفاع بالحق لا تنشأ فقط من شعور صاحب الحق أنه على الحق؛ ولكن كذلك من شعوره بأن الذي يحاده ويحاربه إنما هو على الباطل •• وأنه يسلك سبيل المجرمين؛ الذي يذكر الله في آية أخرى أنه جعل لكل نبي عدوًا منهم: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ) (الفرقان: من الآية31). ليستقر في نفس النبي ونفوس المؤمنين أن الذين يعادونهم إنما هم المجرمون؛ عن ثقة، وفي وضوح، وعن يقين•

إن سفور الكفر والشر والإجرام ضروري لوضوح الإيمان والخير والصلاح• واستبانة سبيل المجرمين هدف من أهداف التفصيل الرباني للآيات؛ ذلك أن أي غبش أو شبهة في موقف المجرمين وفي سبيلهم ترتد غبشًا وشبهة في موقف المؤمنين وفي سبيلهم• فهما صفحتان متقابلتان• وطريقان مفترقتان •• ولا بد من وضوح الألوان والخطوط ••

ومن هنا يجب أن تبدأ كل حركة إسلامية بتحديد سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين؛ يجب أن تبدأ من تعريف سبيل المؤمنين وتعريف سبيل المجرمين، ووضع العنوان المميز للمؤمنين، والعنوان المميز للمجرمين، في عالم الواقع لا في عالم النظريات• فيعرف أصحاب الدعوة الإسلامية والحركة الإسلامية من هم المؤمنون ممن حولهم ومن هم المجرمون بعد تحديد سبيل المؤمنين ومنهجهم وعلامتهم، وتحديد سبيل المجرمين ومنهجهم وعلامتهم؛ بحيث لا يختلط السبيلان ولا يتشابه العنوانان؛ ولا تلتبس الملامح والسمات بين المؤمنين والمجرمين•

وهذا التحديد كان قائمًا، وهذا الوضوح كان كاملاً يوم كان الإسلام يواجه المشركين في الجزيرة العربية• فكانت سبيل المسلمين الصالحين هي سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه، وكانت سبيل المشركين المجرمين هي سبيل من لا يدخل معهم في هذا الدين •• ومع هذا التحديد وهذا الوضوح كان القرآن يتنزل، وكان الله سبحانه يفصل الآيات على ذلك النحو الذي سبقت منه نماذج في السورة – ومنها ذلك النموذج الأخير – لتستبين سبيل المجرمين! ولكن المشقة الكبرى التي تواجه حركات الإسلام الحقيقية اليوم ليست في شيء من هذا •• إنها تتمثل في وجود أقوام من الناس من سلالات المسلمين في أوطان كانت في يوم من الأيام دارًا للإسلام يسيطر عليها دين الله، وتحكم بشريعته •• ثم إذا هذه الأرض، وإذا هذه الأقوام تهجر الإسلام حقيقة، وتعلنه اسمًا• وإذا هي تتكر لمقومات الإسلام اعتقادًا وواقعًا – وإن ظنت أنها تدين بالإسلام اعتقادًا! – فالإسلام شهادة أن لا إله إلا الله •• وشهادة أن لا إله إلا الله تتمثل في الاعتقاد بأن الله – وحده – هو خالق هذا الكون المتصرف فيه، وأن الله – وحده – هو الذي يتقدم إليه العباد بالشعائر التعبدية ونشاط الحياة كله، وأن الله – وحده – هو الذي يتلقى منه العباد الشرائع ويخضعون لحكمه في

شأن حياتهم كله •• وأيما فرد لم يشهد أن لا إله إلا الله – بهذا المدلول – فإنه لم يشهد ولم يدخل في الإسلام بعد؛ كائنًا من كان اسمه ولقبه ونسبه• وأيما أرض لم تتحقق فيها شهادة أن لا إله إلا الله – بهذا المدلول – فهي أرض لم تدن بدين الله، ولم تدخل في الإسلام بعد• وهذا أشق ما تواجهه حركات الإسلام الحقيقية في هذه الأوطان مع هؤلاء الأقوام!

أشق ما تعانيه هذه الحركات هو الغبش والغموض واللبس الذي أحاط بمدلول لا إله إلا الله، ومدلول الإسلام في جانب؛ وبمدلول الشرك وبمدلول الجاهلية في الجانب الآخر ••

أشق ما تعانيه هذه الحركات هو عدم استبانة طريق المسلمين الصالحين، وطريق المشركين المجرمين، واختلاط الشارات والعناوين، والتباس الأسماء والصفات، والتيه الذي لا تتحدد فيه مفارق الطريق!

ويعرف أعداء الحركات الإسلامية هذه الثغرة فيعكفون عليها توسيعًا وتمييعًا وتلبيسًا وتخليطًا حتى يصبح الجهر بكلمة الفصل تهمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام! •• تهمة تكفير "المسلمين"!! ويصبح الحكم في أمر الإسلام والكفر مسألة المرجع فيها لعرف الناس واصطلاحهم، لا إلى قول الله ولا إلى قول رسول الله! هذه هي المشقة الكبرى •• وهذه كذلك هي العقبة الأولى التي لا بد أن يجتازها أصحاب الدعوة إلى الله في كل جيل!

يجب أن تبدأ الدعوة إلى الله باستبانة سبيل المومنين وسبيل المجرمين •• ويجب ألا تأخذ أصحاب الدعوة إلى الله في كلمة الحق والفصل هوادة ولا مداهنة، وألا تأخذهم فيها خشية ولا خوف، وألا تقعدهم عنها لومة لائم، ولا صيحة صائح: انظروا! إنهم يكفرون المسلمين! ••

••• أجل، يجب أن يجتاز أصحاب الدعوة إلى الله هذه العقبة، وأن تتم في نفوسهم هذه الاستبانة، كي تنطلق طاقاتهم كلها في سبيل الله لا تصدها شبهة، ولا يعوّقها غبش، ولا يميعها لبس؛ فإن طاقاتهم لا تنطلق إلا إذا اعتقدوا في يقين أنهم هم "المسلمون"، وأن الذين يقفون في طريقهم ويصدونهم ويصدون الناس عن سبيل الله هم المجرمون"(151) ا•هـ•

وإن المتدبر لهديه صلى الله عليه وسلم في مكة وكيف واجه الكفار فيها ليجد أن جهاده صلى الله عليه وسلم في تلك الحقبة من الدعوة كان جهاد بيان وبلاغ وتربية طيلة العهد المكي،ولم يعرف عنه عليه الصلاة والسلام أنه واجه المشركين بالسلاح، ولم يأذن لأصحابه في ذلك• وما ذاك – والله أعلم – إلا لتأخذ الدعوة حظها من البلاغ والقوة والتربية للقاعدة الصلبة• ولقد واجه عليه الصلاة والسلام في سبيل ذلك من الأذى والتعذيب لأصحابه الشيء العظيم حتى إذا استبانت سبيل المؤمنين واستبانت سبيل كفار قريش المجرمين، واتضحت السبيلان دون لبس ولا غموض، أذن الله عز وجل لرسوله والمؤمنين بالهجرة ثم الجهاد بعد أن تهيأ لهم الأنصار والمكان الذي يؤون إليه ويحتمون به وينطلقون منه، ولعل هذه هي إحدى الحكم التي من أجلها أُمر المسلمون أن يكفو أيديهم في مكة•

وعن هذه المرحلة وضرورة بيان سبيل المؤمن وسبيل المجرمين قبل مصادمة الكفار يتحدث محمد قطب وفقه الله تعالى فيقول: "نحتاج أن نقف وقفات طويلة نتأمل فيها نشأة الجيل الأول؛ لأن فيها زادًا كاملاً لكل من أراد أن يدعو، أو يتحرك بهذا الدين في عالم الواقع؛ فقد صُنع ذلك الجيل على عين الله سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه لموسى عليه السلام: (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه: من الآية39)، ونشأ على يدي أعظم مرب في تاريخ البشرية، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان جيلاً فريدًا في تاريخ البشرية كله، يوجهه الله بالوحي، ويتابعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتربية والتوجيه، فاكتملت له كل وسائل النشأة الصحيحة في أعلى صورة، فأصبح كالدرس "النموذجي"، الذي يلقيه الأستاذ ليعلّم طلابه كيف يدرّسون، حين يئول إليهم أمر التعليم•

ثم إن إرادة الله سبحانه وتعالى قد اقتضت أن يتم أمر هذا الدين على السنن الجارية – لا الخارقة – لحكمة أرادها الله، لكي لا يتقاعس جيل من الأجيال فيقول: إنما نصر الجيل الأول بالخوارق، وقد انقطعت الخوارق بعد رسول الله ،! وفيما عدا هذه الخارقة التي اختص بها أهل بدر، وفيما عدا ما يختص بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد جرت أمور الإسلام كلها على السنة الجارية؛ من استضعاف في المبدأ، وابتلاء وصبر وتمحيص، ثم تمكين على تخوف، ثم تمكين على استقرار

وقوة، ثم انتشار في الأرض• لذلك فإن الدروس المستفادة من نشأة الجيل الأول هي دروس دائمة، لا تتعلق بالنشأة الأولى وحدها، وإنما هي قابلة للتطبيق في كل مرة تتشابه فيها الظروف أو تتماثل؛ لأنها سنن جارية، وليست حوادث مفردة عابرة لا تتكرر•

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد وَجَّهَنَا في كتابه المنزل، لتدبر السنن الربانية ودراسة التاريخ – الذي هو في الحقيقة مجرى السنن في عالم الواقع – فنحن جديرون أن نعكف على دراسة النشأة الأولى؛ لنستخلص منها الدروس والعبر، ولتكون هاديًا لنا في كل تحرك نقوم به، ومحكًا لاستقامتنا على الطريق أو انحرافنا عنه ••• يقول سبحانه وتعالى: (وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) (الأنعام:55).

وكأن المعنى: نظل نفصل الآيات حتى تستبين سبيل المجرمين•

وورود هذا المعنى في آية مكية له دلالة واضحة، أو ينبغي أن تكون واضحة؛ فاستبانة سبيل المجرمين هدف مقصود، تبينه لام التعليل في قوله تعالى: (وَلِتَسْتَبِينَ). ونزول هذه الآية في الفترة المكية، معناه أن استبانة سبيل المجرمين هي من أهداف الدعوة، بل من لوازم الدعوة في الفترة الأولى التي يتم فيها نشأة الجماعة المسلمة•

فما الذي تحققه استبانة سبيل المجرمين للدعوة؟

إن استبانة سبيل المجرمين تتضمن أمرين:

أولاً: بيان من هم المجرمون؟ وثانياً: بيان السبيل الذي يسلكونه، والذي من أجله أصبحوا مجرمين•

فمَن هم المجرمون؟ وما سبيلهم؟ وما علاقة تفصيل الآيات باستبانة سبيلهم؟

لقد فصّلت الآيات قضية الألوهية، وهي القضية الأولى والكبرى في القرآن كله، والسور المكية بصفة خاصة•

فصلت الآيات أنه إله واحد لا شريك له، ولا يمكن أن يكون له شركاء في الخلق ولا في التدبير، ولا في أي شأن من الشؤون، وظلت الآيات تتنزل مبينة صفات ذلك الإله، وتنفي عنه الشركاء حتى صار المعنى واضحًا تمامًا، سواء لمن آمن أو لمن كفر؛ فقد كان الكفار قد أصبحوا على بينة تامة مما يريد منهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن يعلموه ويؤمنوا به، حتى قالوا كما روى الله عنهم: (أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) (صّ:5)... وعلى هذ فقد انقسم الناس فريقين اثنين: فريق المؤمنين، وهم الذين آمنوا أنه إله واحد، فعبدوه وحده بلا شريك، واتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم، وفريق المجرمين وهم الذين أبوا أن يؤمنوا به، وأن يعبدوه وحده، وأن يتبعوا ما أنزله إليهم•

وإذن، فأين تقع قريش في هذا التقسيم؟

لقد كانت قبل تفصيل الآيات هي صاحبة الشرعية، وكان المؤمنون في نظر قريش، وفي نظر الناس أيضًا، خارجين على الشرعية، فما الموقف الآن بعد تفصيل الآيات؟ وبعد ما رفضت قريش أن تؤمن بالله الواحد، وتعبده وحده بلا شريك، وتتبع ما أنزل الله؟ هل بقيت هي صاحبة الشرعية، وبقي المؤمنون هم الخارجين على الشرعية؟ أم تبدل الحال عند بعض الناس على الأقل، فأصبحت قريش وأمثالها هم المجرمين، وأصبح أصحاب الشرعية هم المؤمنين؟!

إنها نقلة هائلة في خط سير الدعوة، أن يتبين الناس من هم المجرمون، وما سبيلهم، ويتبينوا في المقابل من هم الذين على الحق، وما هو سبيل الحق•

ولقد كان الإشكال بالنسبة لقريش خاصة أنهم هم سدنة البيت، الذي يعظمه العرب جميعًا، فضلاً عن كونهم أصحاب ثروة وأصحاب جاه وحسب ونسب، فاجتمعت لهم بمقاييس الجاهلية كل مقومات الشرعية، ممتزجة ببقايا الدين المحرف الذي ينتسبون به إلى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام •• فلم تكن زحزحة الشرعية عنهم أمرًا هينًا، خاصة والخارجون على شرعيتهم ضعاف فقراء لا قوة لهم ولا مال، ولا سند من أحد من ذوي السلطان!

لقد كانت العقيدة الصحيحة وحدها هي التي يمكن أن تُجْليَهم عن شرعيتهم المدعاة، وتكشفهم على حقيقتهم؛ وهي أنهم مجرمون لا شريعة لهم، لرفضهم الإيمان بالله الواحد، وعبادته وحده بلا شريك، واتباع ما أنزل الله•

وهنا نسأل: لو أن المؤمنين في مكة دخلوا في معركة مع قريش، فهل كانت تستبين سبيل المجرمين؟ لو دخلوا المعركة وفي حس الناس أن قريشًا هي صاحبة الشرعية، وأن المؤمنين خارجون على الشرعية، فهل كان يمكن أن يستقر في خَلَد أحد – كما

استقر في خَلَد الأنصار – أن القضية لها معيار آخر غير سدانة البيت، وغير المال والجاه، وكثرة العدد، ورصيد العرف، ورصيد التاريخ؟ وأن هذا المعيار هو: لا إله إلا الله •• هو الإيمان بألوهية الله وحده بلا شريك، وما يترتب على ذلك من ضرورة اتباع ما أنزل الله، وأن هذا هو الحق الذي لا شيء بعده إلا الضلال، وأن هذه هي القضية الكبرى التي يُقاس بها كل شيء، وينبني عليها كل شيء؟

هل كان يمكن أن يصل الحق الذي يحمله المؤمنون إلى أفئدة فريق من الناس، كما وصل إلى أفئدة الأنصار، لو أن المؤمنين دخلوا معركة مع قريش، أم كان غبار المعركة يغشى على حقيقة القضية، وتنقلب القضية بعد قليل إلى قضية ضارب ومضروب، وغالب ومغلوب، وتصبح قضية "لا إله إلا الله" على هامش الصورة، إن بقي لها في حس الناس وجود على الإطلاق؟!

أظن الصورة واضحة ••• لقد كانت (كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ) هي سر الموقف كله!

كانت هي التي أتاحت لقضية لا إله إلا الله – وهي قضية الرسل جميعًا من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم – أن تبرز نقية شفافة واضحة، غير مختلطة بأي قضية أخرى على الإطلاق، فتنفذ إلى القلوب التي أراد الله لها الهداية صافية من كل غبش، فتتمكن من تلك القلوب، ويرسخ فيها الإيمان، كما تنفذ إلى القلوب التي لم يرد الله لها الهداية، صافية من كل غبش، فيكفر أصحابها كفرًا لا شبهة فيه؛ كفرًا غير مختلط لا بالدفاع عن النفس، ولا الدفاع عن المال، ولا الدفاع عن الأمن والاستقرار؛ إنما هو الرفض الصريح الواضح للا إله إلا الله •• وذلك توطئة لقدر قادم من أقدار الله، هو سنة من السنن الجارية: (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ) (الأنفال: من الآية42).

هذا الوضوح الذي أتاحته للقضية (كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ)، هو من مستلزمات الدعوة •• فبغير استبانة سبيل المجرمين، على أساس "لا إله إلا الله"، واستبانة سبيل المؤمنين في المقابل، على ذات الأساس، لا يمكن أن تتسع القاعدة بالقدر المعقول في الزمن المعقول، وتظل الدعوة تراوح مكانها، إن لم يحدث لها انتكاس بسبب من الأسباب•

وحين وضحت القضية على هذا النحو من خلال (كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ)، جاء الأنصار!

وحين جاء الأنصار اتسعت القاعدة، وحدث تحول في التاريخ!"(152).

والمقصود من كل ما سبق أن الأمر بالمعروف – وأوله المعروف الأكبر وهو التوحيد – والنهي عن المنكر – وأوله المنكر الأكبر وهو الشرك الأكبر – هو أمر ضروري يسبق الجهاد بالسنان، وهو من جهاد النفس على تبليغ وبيان ما تعلمته من الهدى والنور فتدعو الناس إليه، وما علمته من الشرك والضلال فتحذر الناس منه ومن سبيل أهله من المجرمين وهذا البيان ضروري لا يتم الجهاد بالسنان بدونه، وهو يحتاج إلى وقت وجهد وبذل وتضحية وصبر، وليس بالأمر الهين؛ لأن البيان محتاج إلى وسائل قوية للبلاغ تواجه وسائل المجرمين التي يصدون بها الناس عن سبيل الله تعالى ويلبسوا عليهم دينهم• كما تحتاج إلى التكاتف بين الدعاة وتوظيف طاقاتهم كل بحسب حاله وقدرته؛ فالخطيب على منبره، وإمام المسجد في مسجده وحيه، والكاتب والمؤلف بقلمه، والمحاضر في محاضرته، والشيخ والمربي مع طلابه في دروسهم•

كما لا ننسى وسائل الإعلام الحديثة وأثرها في توسيع قاعدة الدعوة وإيصالها إلى فئام كثيرة من الناس، وهذا يؤكد ضرورة تميز الدعاة والمجاهدين بمؤسساتهم الإعلامية المتميزة النظيفة التي يرى فيها الناس الحق ويسمعونه، ويرون القدوات والقادة من العلماء والدعاة الذين يصدرون عن مواقفهم ويستمعون توجيهاتهم، ويتبصرون بسبيل المجرمين فينفرون منها ومن أهلها•

كما لا ننسى دور المال في التعريف بسبيل المؤمنين وبسبيل المجرمين على نطاق واسع؛ فإذا لم يكن هناك ما يدعم الوسائل الإعلامية ويسهم في إنشائها فسيكون أثر البيان ضعيفًا• وهذا مما يعوق الدعوة ويؤخرها•

ومما يلحق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميته في الإعداد للجهاد في سبيل الله عز وجل التواصي بين المتآخين في طريق الدعوة والجهاد، وأن لا يشغلهم الأمر والنهي الموجهان للناس عن الأمر والنهي فيما بينهم؛ فإن كل بني آدم خطاء، ولا عصمة إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام• لذا فمن الطبيعي أن تظهر بعض الأخطاء والمنكرات في صفوف الدعاة ومن يعدون أنفسهم للجهاد• وحينئذ لا بد من الاحتساب بين الإخوان بأن يناصح بعضهم بعضًا، وأن يتواصوا بالحق والمعروف،

وينبه المقصر في الحق على تقصيره، وينصح المتلبس بالباطل حتى يقلع عن باطله•

وبهذا التناصح والتواصي وإشاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الدعاة والمجاهدين تقل المنكرات، ويفشو المعروف، وتقل المعاصي، وتكثر الطاعات، وتسود المحبة والألفة، وتتحقق بذلك أهم أسباب النصر على الأعداء؛ وهما طاعة الله عز وجل، والاجتماع والائتلاف؛ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال:45-46). ووحدة الصف واجتماع الكلمة من أعظم ما يستعد به للجهاد•

وما دمنا بصدد الحديث عن الاجتماع والفرقة فإنه من المناسب في الحديث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التركيز على خطورة الفرقة والاختلاف، وبخاصة من الدعاة والمجاهدين؛ فإنها من أعظم المنكرات التي تضيع بها ثمار الدعوة والجهاد، ولذلك يجب التصدي لها ومحاربتها، وأن يُسعى للتغلب على أسبابها والمراتب السابقة في الإعداد كفيلة بإذن الله تعالى - عندما يأخذ بها المربون - أن تقضي على جذور الفتنة والفرقة• وقد سبق الإشارة إلى أثر العلم وأعمال القلوب والأعمال الصالحة في القضاء على هذه الآفة الخطيرة التي تعوق الدعوة والجهاد وتؤخر نصر الله عز وجل• وهذا لا يعني أن لا يحصل اختلاف في وجهات النظر وبعض الاجتهادات بين الدعاة والمجاهدين، لكنها لا يجوز أن تؤدي إلى الافتراق والمنابذة، ولنا في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة؛ حيث اختلفوا في بعض المسائل لكنهم بقوا صفًا واحدًا وقلوبًا متآلفة فبارك الله فيهم وفي عملهم وجهادهم ودعوتهم• فالاجتماع أصل، والمسائل التي قد يختلف عليها فروع، فلا يجوز بحال أن نضيع الأصل وهو الاجتماع لنحافظ على فرع، وإلا كنا كمن يهدم مصرًا ليبني قصرًا•

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) (النساء: من الآية59). وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية، مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين• نعم من خالف الكتاب المستبين، والسنة المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافًا لا يعذر فيه، فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع"(153).

المرتبة الرابعة

جهاد النفس في الصبر على الدعوة وبيان الحق وأذى الخلق

وهذه المرتبة من جهاد النفس لا يستغني عنها المسلم في جميع مراتبه السابقة، وفي عمره كله• وبدون الصبر أو بضعفه لا يستطيع العبد أن يجاهد نفسه على تعلم الشريعة والتبصر في الدين، كما أنه يعجز عن العمل بما تعلمه، فضلاً عن أن يدعو إلى هذا الهدى ويبينه للناس، ويتحمل ما يلاقيه في سبيل ذلك• وإذا كان لا غنى عن الصبر لكل مسلم، فإنه في حق المجاهدين والذين يعدون أنفسهم للجهاد أشد وآكد؛ وذلك لبعد الشقة وطولها•

إذن فالصبر خلق عظيم رفيع الشأن لا بد من التزود به في أداء الطاعات واجتناب المحرمات، وفي مواجهة المصائب والمكروهات وفي مقاتلة الأعداء قال تعالى عن المتقين: (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ) (البقرة: من الآية177).

والحديث عن الصبر وأنواعه ومراتبه وفضله لا يتسع له المقام(154)، وليس هو غرضنا في هذه الدراسة• وإنما مقصودنا هو الإشارة إلى ضرورة توطين النفس على الصبر والتحلي به للاستعداد للجهاد في سبيل الله تعالى لأنه الزاد، وهو من أسباب النصر على الأعداء؛ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال:45–46)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران:200).

وما أحسن ما علق به سيد قطب رحمه الله تعالى على هذه الآية إذ يقول: "والصبر هو زاد الطريق في هذه الدعوة• إنه طريق طويل شاق، حافل بالعقبات والأشواك، مفروش بالدماء والأشلاء، وبالإيذاء والابتلاء •• الصبر على أشياء كثيرة: الصبر على شهوات النفس ورغائبها، وأطماعها ومطامحها، وضعفها ونقصها، وعجلتها

وملالها من قريب! والصبر على شهوات الناس ونقصهم وضعفهم وجهلهم وسوء تصورهم، وانحراف طباعهم، وأثرتهم، وغرورهم، والتوائهم واستعجالهم للثمار! والصبر على تنفج الباطل، ووقاحة الطغيان، وانتفاش الشر، وغلبة الشهوة، وتصعير الغرر والخيلاء! والصبر على قلة الناصر، وضعف المعين، وطول الطريق، ووساوس الشيطان في ساعات الكرب والضيق! والصبر على مرارة الجهاد لهذا كله، وما تثيره في النفس من انفعالات متنوعة من الألم والغيظ، والحنق، والضيق، وضعف الثقة أحيانًا في الخير، وقلة الرجاء أحيانًا في الفطرة البشرية؛ والملل والسأم واليأس أحيانًا والقنوط! والصبر بعد ذلك كله على ضبط النفس في ساعة القدرة والانتصار والغلبة، واستقبال الرخاء في تواضع وشكر، وبدون خيلاء وبدون اندفاع إلى الانتقام وتجاوز القصاص الحق إلى الاعتداء! والبقاء في السراء والضراء على صلة بالله، واستسلام لقدره، ورد الأمر إليه كله في طمأنينة وثقة وخشوع ••

والصبر على هذا كله – وعلى مثله – مما يصادف السالك في هذا الطريق الطويل •• لا تصوره حقيقة الكلمات• فالكلمات لا تنقل المدلول الحقيقي لهذه المعاناة• إنما يدرك هذا المدلول من عانى مشقات الطريق، وتذوقها انفعالات وتجارب ومرارات!

والذين آمنوا كانوا قد ذاقوا جوانب كثيرة من ذلك المدلول الحقيقي• فكانوا أعرف بمذاق هذا النداء؛ كانوا يعرفون معنى الصبر الذي يطلب الله إليهم أن يزاولوه •• والمصابرة •• وهي مفاعلة من الصبر •• مصابرة هذه المشاعر كلها، ومصابرة الأعداء الذين يحاولون جاهدين أن يفلوا من صبر المؤمنين •• مصابرتها ومصابرتهم، فلا ينفد صبر المؤمنين على طول المجاهدة• بل يظلون أصبر من أعدائهم وأقوى: أعدائهم من كوامن الصدور، وأعدائهم من شرار الناس سواء• فكأنما هو رهان وسباق بينهم وبين أعدائهم، يدعون فيه إلى مقابلة الصبر بالصبر، والدفع بالدفع، والجهد بالجهد، والإصرار بالإصرار •• ثم تكون لهم عاقبة الشوط بأن يكونوا أثبت وأصبر من الأعداء• وإذا كان الباطل يصر ويصبر ويمضي في الطريق، فما أجدر الحق أن يكون أشد إصرارًا وأعظم صبراً على المضي في الطريق!

والمرابطة: الإقامة في مواقع الجهاد، وفي الثغور المعرضة لهجوم الأعداء •• وقد كانت الجماعة المسلمة لا تغفل عيونها أبدًا، ولا تستسلم للرقاد! فما هادنها أعداؤها

قط، منذ أن نوديت لحمل أعباء الدعوة، والتعرض بها للناس• وما يهادنها أعداؤها قط في أي زمان أو في أي مكان وما تستغني عن المرابطة للجهاد حيثما كانت إلى آخر الزمان!"(155) ا•هـ•

والمواطن التي يحتاج الداعية والمجاهد أن يوطن نفسه فيها على الصبر كثيرة منها ما ذكره سيد قطب في النقل السابق، ومنها ما لم يذكره، ومن أهمها:

- الصبر على شهوات النفس ورغباتها وميلها إلى الراحة والترف والدعة•
- الصبر على ضعف النفس ونقصها وسرعة ملالها•
- الصبر على ضغوط الواقع وأذى الأعداء؛ فلا يتغلب اليأس ولا القنوط•
- الصبر على طول الطريق وشدة الابتلاء؛ فلا يدفع إلى العجلة والمواجهة قبل أوانها•
- الصبر على الناس وشهواتهم وجهلهم وسوء تصوراتهم، وانحراف طبائعهم، وإعراضهم عن الحق•
- الصبر على إخوان الدعوة والجهاد، وما يطرأ عليهم من ضعف أو ما يصدر منهم من بعض الأذى والأخطاء؛ فلا يؤدي ذلك إلى الفرقة والتنازع•
- الصبر على انتفاش الشر وانتفاخ الباطل، ووقاحة الطغيان، وقلة الناصر، وضعف أتباع الحق وقلة حالهم، وطول الطريق ووساوس الشيطان في ساعات الكرب•
- الصبر على ضبط النفس في ساعات القدرة والانتصار والغلبة، واستقبال ذلك بالتواضع والشكر لله عز وجل، وبدون خيلاء أو تجاوز في القصاص الحق إلى الاعتداء•
- الصبر على البقاء في صلة مستمرة مع الله عز وجل في السراء والضراء، والاستعانة به وحده، ورد الأمر إليه كله في طمأنينة وثقة•
- الصبر على مفارقة الأهل والأولاد والأوطان للدعوة والجهاد•
- الصبر على تخذيل المخذلين وإرجاف المرجفين، وشبهات المشبهين•
- الصبر في ساحات الوغى على قتال الكافرين، والمصابرة والمرابطة في ذلك•

والتربية على الصبر، وتوطين النفس عليه يحتاجان إلى جهد ومشقة وأخذ بالأسباب المعينة عليه• ومن أعظم الأسباب تقوية الصلة بالله عز وجل وكثرة ذكره وتسبيحه وكثرة العبادة• وهذا واضح من توجيه الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم في كتابه الكريم؛ حيث يغلب على الآيات التي يأمر فيها الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر أن تكون مقرونة بالأمر بالتسبيح والصلاة والاستغفار؛ قال الله عز وجل: (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى) (طه:130)، وقال سبحانه: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) (الحجر:97–99)، وقال عز وجل: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً) (الإنسان:24–26)، وقال تعالى: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) (الطور:49)، وقال عز وجل: (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) (قّ:39–40)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة:153). والآيات في هذا المعنى كثيرة• كما أن مما يعين على الثبات والصبر وعدم النكول والضعف ما ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في منزلة الصبر عن أنواع الصبر، وأن هناك شروطًا ثلاثة إذا حققها العبد في صبره حصل له الثبات، وإن تخلف واحد منها أو أكثر ضعف صبره وخذل• وملخص هذه الشروط ما يلي:

1– أن يكون الصبر بالله تعالى؛ وذلك بالتبرؤ من الحول والقوة والاعتراف بالضعف والهلكة لو وكل العبد إلى نفسه• وهذا ينبه على ضرورة الاستعانة بالله عز وجل وسؤاله الصبر والثبات؛ لأنه سبحانه هو المصبر والمثبت ولولاه لم يصبر الصابرون ولم يثبت المجاهدون•

2– أن يكون الصبر لله تعالى؛ بأن يكون الباعث على الصبر محبة الله عز وجل وإرادة وجهه، والتقرب إليه ورجاء ثوابه، لا لإظهار الشجاعة وقوة النفس والاستحماد إلى الخلق وغير ذلك من الأغراض•

3- أن يكون الأمر المصبور عليه مرضيًا لله تعالى ودائرًا مع مراده الديني وأحكامه الدينية صابرًا نفسه معها سائرًا بسيرها، يتوجه معها أين توجهت ركابها، وينزل معها أين استقلت مضاربها(156).

ونظراً لأهمية هذه الشروط في تحقيق الصبر وكماله كان لزامًا على من يعدون أنفسهم للدعوة والجهاد في سبيل الله عز وجل أن يعتنوا بهذه الأمور، ويبذلوا الأسباب العلمية والعملية في تقويتها في النفس، وأن يتواصوا بها؛ فما خذل عبد في موقف وضعف صبره فيه إلا بتخلف واحد أو أكثر من هذه الشروط•

تنبيه مهم:

ينظر كثير من الناس إلى أن ضعف الصبر لدى الداعية أو المجاهد إنما يتمثل في عدم تحمله لأعباء الطريق وأذى الأعداء مما يجعله يرجع إلى الوراء فيفتر أو يترك الدعوة والجهاد، أو يداهن الأعداء أو ييأس ويصيبه الإحباط•

وهذا لاشك أنه ضعف في الصبر والتربية، لكن ضعف الصبر لا ينحصر في هذا فقط، وإنما هناك نوع آخر من ضعف الصبر في طريق الدعوة والجهاد قد ينظر إليه في الوهلة الأولى أنه شجاعة وإقدام وقوة وصبر، ولكنه في الحقيقة إنما نشأ من ضعف في الصبر واستعجال للنتائج• وتتجلى أهمية هذا الأمر بخاصة في واقعنا المعاصر الذي يشهد من بعض الدعاة حماسًا مفرطًا واستعجالاً ومسارعة لمواجهة الأعداء قبل الإعداد والاستعداد لذلك علمًا وعملاً ودعوة وعدة وعتادًا•

وقد ينظر إلى هذه الممارسات - كما أسلفت - على أنها قمة الشجاعة والصبر والتحمل، لكنها - والله أعلم - قد تكون في أغلبها إنما نشأت من عدم الصبر على طول الطريق واستكمال جوانب الإعداد• وزاد في إذكائها أذى الأعداء وما يواجهون به الدعاة من السجن والتعذيب والتقتيل(157).

وهنا يحسن الاستئناس بآية (كف اليد) في مكة؛ حيث أُمِرَ المسلمون بذلك لحكمة عظيمة، وأحسب أن المقام مناسب لذكرها والوقوف عند مدلولاتها، وما مدى الاستفادة منها في ضوء الصراع القائم اليوم مع الكفار والمنافقين في داخل بلدان المسلمين•

يقول الله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً) (النساء:77)، وامتثل الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه أمر ربهم فكفوا أيديهم في مكة وصبروا على الأذى والتعذيب، وعلى كل الممارسات الاستفزازية، مع قدرتهم الفردية على الرد والانتقام، ووجه الرسول صلى الله عليه وسلم همه إلى البيان والبلاغ بدعوة التوحيد، وإلى التربية الجادة لمن دخل في الإسلام، مع الاستمرار على ضبط النفس، حتى أذن الله عز وجل لهم بعد ذلك في الهجرة ثم الجهاد• ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلموصبره وعدم عجلته في تلك الظروف العصيبة أسوة حسنة، وبخاصة من يعيش اليوم في ظل الأنظمة التي تدعي انتسابها إلى الإسلام في الظاهر بينما حقيقتها أنها عدوة للإسلام وأهله؛ حيث يحكم فيها بحكم الطاغوت ويوالى أعداء الله ويؤذى فيها أولياء الله عز وجل ودعاته المصلحون• فما أشبه واقع المصلحين اليوم في ظل هذه الأنظمة بواقع الرسول صلى الله عليه وسلم في ظل سلطة قريش، مع وجود فارق مهم يؤكد على ضرورة الصبر على الدعوة والبيان في هذا الزمان أكثر من أي زمان مضى؛ ذلك أن الأنظمة المعاصرة لا تعلن عداءها للإسلام صراحة ولا كفرها برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، بل تدَّعي الإسلام والإيمان زورًا وتلبيسًا• ولا يخفى ما في هذا من التلبيس والخداع الذي يحتاج فيه الدعاة والمجاهدون إلى وقت ليس بالقصير، وجهد ليس بالقليل ليصبروا ويكفوا أيديهم ويركزوا على إزالة هذا اللبس وبيان حقيقة الإيمان الحق، وحقيقة الكفر والنفاق، وحقيقة سبيل المجرمين مع الإعداد الشامل المذكور في المراتب السابقة•

ولو قفزت مرحلة البيان للناس والإعداد الإيماني للمجاهدين إلى مرحلة الصدام مع هؤلاء الزنادقة المعاصرين فلا يخفى على اللبيب المتتبع لسنن الله عز وجل، وسنن المرسلين، ورصيد التجارب في القديم والحديث ما نشأ وينشأ من جراء ذلك من المفاسد والفتن والشرور• وإنَّ السعيد لمن جنب الفتن واتعظ بغيره• ولعل من المفيد في هذا المقام أن نقف على بعض ما كتب حول آية (كف اليد) المذكورة آنفًا•

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: "كان المؤمنون في ابتداء الإسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة، ولم تكن ذات النصب، لكن كانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم، وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين، وكانوا يحترقون ويودون لو أمروا بالقتال ليشتفوا من أعدائهم، ولم يكن الحال إذ ذاك مناسبًا لأسباب كثيرة منها: قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم، ومنها كونهم في بلدهم وهو بلد حرام وأشرف بقاع الأرض، فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداءً لائقًا؛ فلهذا لم يؤمر بالجهاد إلا بالمدينة لما صارت لهم دار ومنعة وأنصار"(158).

ويعلق صاحب الظلال رحمه الله تعالى على هذه الآية بقوله: "إن أشد الناس حماسة واندفاعًا وتهورًا، قد يكونون هم أشد الناس جزعًا وانهيارًا وهزيمة عندما يجد الجد، وتقع الواقعة •• بل إن هذه قد تكون القاعدة! ذلك أن الاندفاع والتهور والحماسة الفائقة غالبًا ما تكون منبعثة عن عدم التقدير لحقيقة التكاليف، لا عن شجاعة واحتمال وإصرار، كما أنها قد تكون منبعثة عن قلة الاحتمال؛ قلة احتمال الضيق والأذى والهزيمة، فتدفعهم قلة الاحتمال، إلى طلب الحركة والدفع والانتصار بأي شكل؛ دون تقدير لتكاليف الحركة والدفع والانتصار •• حتى إذا ووجهوا بهذه التكاليف كانت أثقل مما قدَّروا، وأشق مما تصوروا• فكانوا أول الصف جزعًا ونكولاً وانهيارًا •• على حين يثبت أولئك الذين كانوا يمسكون أنفسهم، ويحتملون الضيق والأذى بعض الوقت، ويعدون للأمر عدته، ويعرفون حقيقة تكاليف الحركة، ومدى احتمال النفوس لهذه التكاليف• فيصبرون ويتمهلون ويعدون للأمر عدته •• والمتهورون المندفعون المتحمسون يحسبونهم إذ ذاك ضعافًا، ولا يعجبهم تمهلهم ووزنهم للأمور! وفي المعركة يتبين أي الفريقين أكثر احتمالاً؛ وأي الفريقين أبعد نظرًا كذلك!

وأغلب الظن أن هذا الفريق الذي تعنيه هذه الآيات كان من ذلك الصنف الذي يلذعه الأذى في مكة فلا يطيقه، ولا يطيق الهوان وهو ذو عزة• فيندفع يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأذن له بدفع الأذى، أو حفظ الكرامة• والرسول صلى الله عليه وسلم يتبع في هذا أمر ربه بالتريث والانتظار، والتربية والإعداد، وارتقاب الأمر في الوقت المقدر المناسب، فلما أن أمن هذا الفريق في المدينة، ولم يعد هناك أذى

ولا إذلال• وبعد لسع الحوادث عن الذوات والأشخاص لم يعد يرى للقتال مبررًا، أو على الأقل لم يعد يرى للمسارعة به ضرورة!

(فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ) (النساء: من الآية77).

وقد يكون هذا الفريق مؤمنًا فعلاً؛ بدليل اتجاههم إلى الله في ضراعة وأسى! وهذه الصورة ينبغي أن تكون في حسابنا؛ فالإيمان الذي لم ينضج بعد، والتصور الذي لم تتضح معالمه، ولم يتبين صاحبه وظيفة هذا الدين في الأرض؛ وأنها أكبر من حماية الأشخاص، وحماية الأقوام، وحماية الأوطان؛ إذ أنها في صميمها إقرار منهج الله في الأرض، وإقامة نظامه العادل في ربوع العالم، وإنشاء قوة عليا في هذه الأرض ذات سلطان، يمنع أن تغلق الحدود دون دعوة الله، ويمنع أن يحال بين الأفراد والاستماع للدعوة في أي مكان على سطح الأرض، ويمنع أن يفتن أحد من الأفراد عن دينه – إذا هو اختاره بكامل حريته – بأي لون من ألوان الفتنة •••"(159).

ثم عرج على بعض الحكم من كف اليد في مكة والأمر بالصبر فقال رحمه الله تعالى: "أما حكمة هذا فلسنا في محل الجزم بها؛ لأننا حينئذ نتألى على الله ما لم يبين لنا من حكمة، ونفرض على أوامره أسبابًا وعللاً قد لا تكون هي الأسباب والعلل الحقيقية• أو قد تكون، ولكن يكون وراءها أسباب وعلل أخرى لم يكشف لنا عنها، ويعلم – سبحانه – أن فيها الخير والمصلحة •• وهذا هو شأن المؤمن أمام أي تكليف أو أي حكم في شريعة الله لم يبين الله سببه محددًا جازمًا حاسمًا، وبهذا الأدب الواجب نتناول حكمة عدم فرض الجهاد في مكة وفرضيته في المدينة •• نذكر ما يتراءى لنا من حكمة وسبب •• على أنه مجرد احتمال •• وندع ما وراءه لله• لا نفرض على أمره أسبابًا وعللاً، لا يعلمها إلا هو •• ولم يحددها هو لنا ويطلعنا عليها بنص صريح!

إنها أسباب •• اجتهادية •• تخطئ وتصيب، وتنقص وتزيد، ولا نبغي بها إلا مجرد تدبر أحكام الله وفق ما تظهره لنا الأحداث في مجرى الزمان:

(أ) ربما كان ذلك لأن الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد في بيئة معينة لقوم معينين ••• ومن أهداف التربية في مثل هذه البيئات تربية النفس على الصبر وضبط النفس لأناس كانوا يثورون لأول وهلة ولا يصبرون على الضيم•

(ب) وربما كان ذلك لأن الدعوة السلمية أشد أثرًا وأنفذ في مثل بيئة قريش ذات العنجهية والشرف، والتي قد يدفعها القتال في مثل هذه الفترة إلى زيادة العناد وإلى نشأة ثارات دموية ••••

(جـ) وربما كذلك لما يعلمه الله عز وجل من أن كثيرين من المعاندين هم بأنفسهم سيكونون من جند الإسلام المخلصين •••

(د) وربما كان كذلك لقلة عدد المسلمين حينذاك وانحصارهم في مكة؛ فلو وقع القتال لمحيت الجماعة المسلمة وبقي الشرك•••

(هـ) لم يكن هناك حاجة للقتال؛ فقد كانت الدعوة تصل إلى الناس ويبلغها الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا هو المطلوب في هذه الفترة •••)(160).

ويشير الأستاذ محمد قطب وفقه الله تعالى إلى بعض هذه الأحكام فيقول: "من أشد ما استوقفني في مسيرة الجيل الأول، ذلك الأمر الرباني للمؤمنين أن يكفّوا أيديهم في مرحلة التربية بمكة، وأن يتحملوا الأذى صابرين، وقد أشار الله إلى هذا الأمر في قوله تعالى، مذكرًا به: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) (النساء: من الآية77).

وكان بعض الصحابة رضوان الله عليهم قد سأل الرسول صلى الله عليه وسلم حين اشتد الأذى بالمؤمنين: ألا نقاتل القوم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (ما أُمرنا بقتالهم)(161).

ولم يرد في النصوص – لا في الكتاب ولا في السنة – بيان لحكمة هذا الأمر الرباني، ومن ثم فالأمر متروك للاجتهاد لمعرفة الحكمة منه، وربما كان أيسر سبيل للتعرف على حكمته أن نفترض أن المؤمنين كانوا قد دخلوا في معركة مع قريش في ذلك الحين، فماذا كان يمكن أن يترتب على ذلك؟ ثم نتدبر الفوائد التي تحققت حين كفوا أيديهم ولم يدخلوا في معركة في ذلك الوقت•

أبسط ما يمكن أن يتصور من نتائج هذه المعركة غير المتكافئة أن تتمكن قريش من إبادة المؤمنين، وهم حينئذ قلة مستضعفة لا سند لها، فينتهي أمر الدعوة الجديدة في معركة واحدة أو عدة معارك متلاحقة، دون أن يتحقق الهدف، ودون أن يتعرف الناس على حقيقة الدعوة، ودون أن يكتب لها الانتشار•

ونفترض أن المعركة – على الرغم من عدم تكافئها – لم تؤد إلى إبادة المؤمنين كلهم، فثمة أمر آخر على غاية من الأهمية، يلفت انتباهنا بشدة، لاتصاله بما يجرى من أحداث في وقتنا الحاضر•

لمن كانت الشرعية في تلك المرحلة في مكة؟ لقد كانت في حس الناس جميعًا لقريش••!

وما وضع المؤمنين يومئذ؟ وضعهم أنهم خارجون على الشرعية••! ومن حق صاحب الشرعية – ولا شك – أن يؤدب الخارجين عليه!

وصحيح أن قريشًا تشتد في "التأديب" إلى حد الفظاظة والقسوة، وأن بعض الناس قد يتأذى لهذه الفظاظة، حتى ليحاول أن يبسط حمايته – أو جواره – على بعض المعذبين المستضعفين، ولكن يظل الأمر في حس الناس – من حيث المبدأ – أن قريشًا هي صاحبة الشرعية، وأن المؤمنين خارجون على الشرعية، وأن من حق صاحب الشرعية أن يؤدب الخارجين عليه!

فهل كان من مصلحة الدعوة أن يدخل المؤمنون يومئذٍ في معركة مع قريش، وهذا التصور هو السائد بين الناس؟!

كلا بالطبع! والآن فلننظر ماذا تم حين استجاب المؤمنون للأمر الرباني وكفوا أيديهم•

لقد تمت أمور كثيرة في الحقيقة ••••• ومن خلال (كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ) تكونت النواة الأم التي صنعت التاريخ!

ولو كان المؤمنون قد دخلوا في معركة مع قريش في مكة، لتأخر كثيرًا تكوّن النواة الأم، ولتغيرت كثيرًا صفاتها التي اكتسبتها، وذلك فوق الغبش الذي كان سيصيب قضية لا إله إلا الله، حين تتحول إلى قضية ضارب ومضروب،وغالب ومغلوب،

ولتأخر كذلك التجمع الصلب حول النواة الصلبة المصقولة المتينة البناء •• لقد تمت أمور على غاية من الأهمية في مسيرة الدعوة•

تم تحرير موضع النزاع، إن صح التعبير •• إنه قضية "لا إله إلا الله" دون غيرها من القضايا ••

ليس الصراع الدائر بين قريش وبين المؤمنين على سيادة أرضية، ولا على السلطة السياسية (وقد عُرضت السلطة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأباها، وأصرَّ على لا إله إلا الله، والمؤمنون من جانبهم لم يتحركوا حركة واحدة تهدف إلى الاستيلاء على السلطة) ••

ليس الصراع على "شرف" سدانة البيت، ولا "وجاهة" خدمة الحجيج ••

ليس على القوة الاقتصادية التي تملكها قريش وحدها دون المؤمنين، وتحارب المؤمنين من خلالها بالحصار والتجويع، والمؤمنون لا يتعرضون لها من قريب ولا بعيد•

الصراع كله على القضية الكبرى التي هي – والتي يجب أن تكون دائمًا – القضية الأولى، والقضية الكبرى في حياة الإنسان؛ قضية من المعبودُ؟ ومن ثَمَّ من صاحبُ الأمر؟ من المشرِّع؟ من واضع منهج الحياة؟ قريش تريدها حسب أهوائها وخيالاتها وموروثاتها وأعرافها، والمؤمنون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدونها لله•

وتم تركيز الجهد وتوفيره لتربية القاعد الصلبة، التي ستحمل البناء، وتم تحرير قضية "الشرعية"، بتفصيل الآيات واستبانة سبيل المجرمين•

وتم أخيرًا اتساع القاعدة بالجنود الذين استضاءوا بالنار التي اكتوى بها أهل النواة الأم، فتجمعوا بقدر من الله، وبحسب سنة من سنن الله، حول تلك النواة، مضيفين إليها قوة حقيقية في الصراع•

ثم تم أمر آخر بالغ الأهمية كذلك؛ وهو التجرد لله•

إن التجرد لله عنصر من أهم العناصر التي تحتاج إليها الدعوة، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، بالنسبة للقاعدة بصفة خاصة، وبالنسبة لجميع العالمين على وجه العموم•

ولقد تعمق التجرد لله في قلوب الصفوة المختارة، خلال فترة التربية في مكة، من خلال الآيات المنزلة من عند الله، تدعو إلى إخلاص العبادة لله، ومن خلال القدوة المباشرة في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، يعلمهم بالسلوك العملي كيف يكون إخلاص العبادة لله"(162).

والمقصود بيان أن الاستعجال في جهاد الكفار قبل الإعداد الإيماني المتمثل في التربية على العلم بالشرع ورسوخ العقيدة، والعمل الصالح، والدعوة والبلاغ للناس؛ فيه من المفاسد والشرور التي يتحتم على الدعاة والمجاهدين أن يدرءوها بالصبر وضبط النفس ومواصلة الإعداد الشامل حتى يهيئ الله عز وجل الظروف والأسباب التي يُمَكِّن الله بها لأهل الحق ويدمغ الباطل وأهله•

وإن الناظر اليوم في بعض الحركات المتعجلة التي أعلنت الجهاد قبل الإعداد والدعوة والبيان الكافية لتجلية سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين للناس، ليرى فتنًا ومفاسد قد ظهرت بسبب هذا الاستعجال وضعف الصبر على طول الطريق• وقد يتهم بعض المتحمسين لبدء الصدام مع الكفار والمنافقين إخوانهم الذين يرون التربية والإعداد والبدء بجهاد البيان قبل جهاد السنان بأنهم مخذلون، أو أنهم يريدون السلامة وعدم التعرض لأي شيء يؤذيهم ويكدر عليهم حياتهم•

وللرد على هذه التهمة يقال لهم: إن إخوانكم الذين يرون الصبر على جهاد النفس وجهاد البيان للناس إنما هم في جهاد ويشاركونكم الغاية والهدف، وهم بذلك يعدون العدة لجهاد الكفار وقتالهم في الوقت المناسب بعد الأخذ بأسباب النصر والتمكين• وهم بطرحهم هذا يؤدون واجب النصح لكم لما في قلوبهم من الشفقة عليكم، والحب والولاء لكم، ولكل من يهمه أمر هذا الدين ويسعى لنصرته؛ فهم يتواصون معكم بالحق والصبر وليسوا مخذلين•

أما القول بأنهم يسعون بطرحهم هذا إلى تجنيب أنفسهم البلاء والعناء، فلا شك أن السلامة والعافية مطلوبان، لكن الابتلاء والتمحيص سنة من سنن الله عز وجل في عباده وبخاصة الدعاة منهم والمجاهدين، قال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) (محمد:31). وقال تعالى: (الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) (العنكبوت:1-2).

وإن جهاد النفس، والبيان للناس ليس أمرًا هينًا• وأصحابه معرضون لأذى الأعداء وسجونهم وتعذيبهم؛ لأن جهاد البيان يقتضي بيان الحق، وفضح ما يضاده من الباطل، وهذا أمر لا يرضى به الكفار والمنافقون ومن ثم سيجندون وسائلهم المختلفة من تشويه، وترغيب وترهيب، وكل ما يستطيعون لإخماد صوت الحق وإسكات أهله• وهذا كله بلاء وفتنة يتعرض لها الدعاة الذين يعدون أنفسهم وأمتهم للجهاد، وليكون الدين كله لله•

وإن مما يؤسف له أن الخطاب الدعوي اليوم يفتقد إلى البلاغ المبين، بل إن كثيراً منه يعطي الشرعية للطاغوت إما ضمناً وهو الأكثر وإما تصريحاً؛ ولا يخفى ما في ذلك من التلبيس•

والواجب على رموز الدعوة أن يبينوا الحق والباطل للناس ويتجنبوا الخطابات السياسية التي تشوش وتلبس على الناس فهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لما سأله النجاشي عن قولهم في المسيح كان البيان منه واضحًا صريحاً• وكان هذا الجواب منه يمكن أن ينهي وجود المسلمين معه في الحبشة• لكن جعفرًا وأصحابه رضي الله عنهم قد تعلموا من مدرسة النبوة أن لا تنازل عن الثوابت والمحكمات حتى في مرحلة السلم والاستضعاف•

ويحسن بهذه المناسبة إيراد ما ذكره الإمام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – في أهمية وفضل جهاد البيان، وذلك في كتابه العظيم "منهاج السنة" وهو يرد على شبهة الرافضي في أن عليًا رضي الله عنه قد سبق الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في الشجاعة والجهاد في سبيل الله عز وجل• حيث أوضح – رحمه الله تعالى – عكس ذلك بقوله:

"ومما ينبغي أن يُعلم أن الشجاعة إنما فضيلتها في الدين لأجل الجهاد في سبيل الله، وإلا فالشجاعة إذا لم يستعن بها صاحبها على الجهاد في سبيل الله، كانت: إمّا وبالاً عليه، إن استعان بها صاحبها على طاعة الشيطان، وإما غير نافعة له، إن استعملها فيما لا يقرّبه إلى الله تعالى•

فشجاعة عليّ والزبير وخالد وأبي دجانة والبراء بن مالك وأبي طلحة، وغيرهم من شجعان الصحابة، إنما صارت من فضائلهم لاستعانتهم بها على الجهاد في سبيل الله؛ فإنهم بذلك استحقّوا ما حمد الله به المجاهدين•

وإذا كان كذلك، فمعلوم أن الجهاد منه ما يكون بالقتال باليد، ومنه ما يكون بالحجّة والبيان والدعوة•

قال الله تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً) (الفرقان:51-52) فأمره الله سبحانه وتعالى أن يجاهد الكفّار بالقرآن جهادًا كبيرًا• وهذه السورة مكيّة نزلت بمكة، قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم، وقبل أن يُؤمر بالقتال، ولم يؤذن له• وإنما كان هذا الجهاد بالعلم والقلب والبيان والدعوة لا بالقتال• وأما القتال فيحتاج إلى التدبير والرأي، ويحتاج إلى شجاعة القلب، وإلى القتال باليد• وهو إلى الرأي والشجاعة في القلب في الرأس المطاع أحوج منه إلى قوة البدن• وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما مقدّمان في أنواع الجهاد غير قتال البدن•

قال أبو محمد بن حزم: "وجدناهم يحتجون بأن عليًا كان أكثر الصحابة جهادًا وطعنا في الكفّار وضربا، والجهاد أفضل الأعمال• قال: وهذا خطأ، لأن الجهاد ينقسم أقساما ثلاثة: أحدها: الدعاء إلى الله تعالى باللسان• والثاني: الجهاد عند الحرب بالرأى والتدبير• والثالث: الجهاد باليد في الطعن والضرب• فوجدنا الجهاد باللسان لا يلحق فيه أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر ولا عمر• أما أبو بكر فإن أكابر الصحاب أسلموا على يديه، فهذا أفضل عمل، وليس لعليّ من هذا كثير حظ• وأما عمر فإنه من يوم أسلم عزّ الإسلام وعُبِدَ الله علانية، وهذا أعظم الجهاد• وقد انفرد هذان الرجلان بهذين الجهادين اللذين لا نظير لهما•

وبقي القسم الثاني، وهو الرأي والمشورة، فوجدناه خالصاً لأبي بكر ثم لعمر•

بقي القسم الثالث، وهو الطعن والضرب والمبارزة، فوجدناه أقل مراتب الجهاد ببرهان ضروري، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشك عند كل مسلم في أنه المخصوص بكل فضيلة، فوجدنا جهاده صلى الله عليه وسلم إنما كان في أكثر أعماله وأحواله بالقسمين الأوّلين من الدعاء إلى الله عز وجل والتدبير والإرادة، وكان

أقل عمله الطعن والضرب والمبارزة، لا عن جبن، بل كان أشجع أهل الأرض قاطبة نفساً ويَدًا، وأتمهم نجدة، ولكنه كان يؤثر الأفضل فالأفضل من الأعمال، فيقدمه ويشتغل به، ووجدناه يوم بدر – وغيره – كان أبو بكر معه لا يفارقه، إيثارًا من النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك، واستظهارًا برأيه في الحرب، وأُنْسًا بمكانه، ثم كان عمر ربما شُورك في ذلك، وقد انفرد بهذا المحل دون عليّ ودون سائر الصحابة، إلا في الندرة•

ثم نظرنا مع ذلك في هذا القسم من الجهاد، الذي هو الطعن والضرب والمبارزة، فوجدنا عليًا لم ينفرد بالسيوف فيه، بل قد شاركه فيه غيره شركة العيان، كطلحة والزبير وسعد، ومن قُتل في صدر الإسلام، كحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب ومصعب بن عمير، ومن الأنصار سعد بن معاذ وسماك بن خرشة – يعني أبا دجانة – وغيرهما، ووجدنا أبا بكر وعمر قد شاركاه في ذلك بحظ حسن، وإن لم يلحقا بحظوظ هؤلاء، وإنما ذلك لشغلهما بالأفضل مع ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤازرته في حين الحرب، وقد بعثهما على البعوث أكثر مما بعث عليًا، وقد بعث أبا بكر إلى بني فزارة وغيرهم، وبعث عمر إلى بني فلان، وما نعلم لعليّ بعثا إلا إلى بعض حصون خيْبر ففتحه• فحصل أرفع أنواع الجهاد لأبي بكر وعمر، وقد شاركا عليًا في أقل أنواع الجهاد، مع جماعة غيرهم"(163).

إذن فأمر الإعداد للجهاد بالإيمان والبيان ليس أمرًا سهلاً إذا أخذ بعزم وجد• وكم يحتاج من التضحيات والصبر والمصابرة وطول النفس• وقد يتعرض أهله فيه من البلاء والقرح والشدائد ما قد يفوق ما يتعرض له المجاهد في ساحات الوغى من المهالك والمتالف•

ونظرة سريعة إلى ما تعرض إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين في مكة من البلاء والتعذيب والحصار والتجويع والتشريد تعطينا دليلاً على أن جهاد التربية والإعداد والبلاغ والبيان يحتاج إلى صبر وتضحية واستعلاء على حب الراحة والسلامة لا يقل عن الصبر على قتال الأعداء•

إذن فالقول بأن الدعوة إلى الصبر على إعداد النفوس للجهاد وبيان الحق للناس، وعدم العجلة في منازلة الكفار قبل أوانها؛ بأنه هروب من الشدائد وإيثار للسلامة ليس صحيحًا ولامقبولاً لما قدمنا•

نسأل الله عز وجل العافية في ديننا ودنيانا وعاجل أمرنا وآجله•

تعقيبات

في ختام هذه الرسالة المتعلقة بالتربية الجهادية أورد بعض التعقيبات المهمة المتعلقة بالإعداد للجهاد أُضمن بعضها تتمات لمسائل لم تأخذ حظها من الإيضاح مع القناعة بأهميتها• وأضمن بعضها الآخر استدراكًا لبعض المسائل التي لها علاقة بالإعداد لكنني غفلت عن ذكرها في زحمة المسائل الأخرى•

التعقيب الأول : تداخل مراتب جهاد النفس بعضها مع بعض :

إن ما ذكر من جوانب الإعداد ومراتبه (العلم والعمل والدعوة والصبر) لا يعني البقاء في مرتبة بحيث لا ينتقل منها إلى التي تليها حتى تستكمل التي قبلها• إن هذا غلط وفهم خاطئ لتحقيق مراتب الإعداد• والمطلوب الأخد بالمراتب كلها وتكميل ما لم يكمل منها؛ فمجاهدة النفس وإعدادها بالتعلم والتبصر في الدين لا يعني ترك مجاهدتها بالعمل الصالح، ومجاهدتها بالدعوة إلى الهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على ذلك كله• وكلما علم العبد شيئًا من دين الله تعالى جاهد نفسه للعمل به والدعوة إليه والصبر على العمل والدعوة معًا• والمسلمون اليوم – وبخاصة من يهمهم أمر هذا الدين – لديهم رصيد لا بأس به من العلم يبدأون به الإعداد ويُحَوِّلون فيه هذا العلم إلى عمل ودعوة؛ أي إنهم لا يبدأون الإعداد العلمي وهم خلو منه؛ بل إن لديهم من العلم قدرًا جيدًا، وحينها يطالبون بالجهاد للعمل بهذا العلم وتكميل ما ينقصهم من العلم العيني لو وجد نقص في ذلك• والمقصود أن المربين لن يجدوا أنفسهم أمام أفراد لا علم عندهم، بل العلم موجود والحمد لله، والمطلوب تكميله في نفس الوقت الذي يحصل فيه المجاهدة بالعمل به والدعوة إليه•

التعقيب الثاني : تفاوت المتربين في تحصيل مراتب الجهاد، والعناية بالمبرزين منهم :

يتفاوت المتربون الذين يُعدون للجهاد في الأخذ بهذه المراتب وتكميلها وإتقانها، وليس مطلوبًا أن يكونوا في مرتبة واحدة، وإنما المطلوب التأكيد عليها والسعي لمجاهدة النفس في الأخذ بها• مع التأكيد على ضرورة العناية بطائفة من الذين يعدون أنفسهم للجهاد، والذين تظهر عليهم علامات الصدق والجد والإخلاص والهمة العالية لتكميل هذه المراتب؛ فهؤلاء وأمثالهم ينبغي أن يكون لهم شأن آخر في الإعداد، وأن لا يتسامح معهم كما يتسامح مع غيرهم، وإنما يطلب منهم تكميل هذه المراتب قدر الإمكان؛ حتى يكونوا على قدر من العلم بالشريعة والواقع يؤهلهم لتربية أنفسهم والتأثير على الناس، ويكونوا على قدر كبير من: العمل الصالح، والإخلاص، والصدق، والتوكل على الله عز وجل، والزهد في الدنيا، والتقرب إلى الله عز وجل بالطاعات فرضها ونفلها؛ حتى يتحملوا الشدائد ويكونوا قدوات لغيرهم في العلم والعمل، ويكونوا على قدر كبير من الدعوة والتأثير في الناس وبيان الحق والباطل لهم، وعلى قدر عظيم من الصبر يتحملون به ما يواجههم من الأذى والابتلاء من الكفار والمنافقين وأصحاب القلوب المريضة•

وهذه الفئة من الدعاة والمجاهدين ضرورية لأنها بمثابة القاعدة الصلبة التي يثبتها الله عز وجل عند الشدائد، ويثبت بها الصف الإسلامي من التفكك والإضطراب عند النوازل• وهذا هو الذي قام به النبي صلى الله عليه وسلم أثناء الدعوة والإعداد في العهد المكي؛ حيث قام بتربية هذه الفئة من المسلمين ورباها بالعلم والعمل والتجرد والإخلاص والصبر والتوكل على الله عز وجل، فصلب عودها وثبتت أمام البلاء والمحن، وكانت القاعدة الصلبة التي قام عليها سوق الدعوة والجهاد، وفتح الله عز وجل بها الدنيا، وحمى بها بيضة الإسلام من الأعداء المتربصين•

وعن أهمية إعداد القاعدة الصلبة يقول الدكتور/ عبدالله القادري حفظه الله تعالى: "كثير من الناس يستجيبون لنداء الحق ولتطبيق هذا الدين على أنفسهم فينفذون أوامر الله ويجتنبون ما نهى عنه، وقد يخلطون العمل الصالح بآخر سيء، ولكن قليل هم الذين يستجيبون لهذا الدين فيطبقونه على أنفسهم، ويحملون غيرهم من قريب أو بعيد على تطبيقه بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل المال

والجاه والمنصب في سبيل الله وتقديم النفس في ساح الوغى لجهاد أعداء الله وإعلاء كلمة الله•

هذا القليل يجب أن يأخذ حظًا أوفر من الدعوة والتوجيه والتزكية والتطهير والإعداد لتحمل أعباء الدعوة وتكاليفها، ويعنى به أكثر من غيره؛ لأن هذا الصنف هو الذي يثبت وقت الشدائد والمحن، وهو الذي يلتف حوله من لم يبلغ مثله في إيمانه وتحمله• ولولا أن الله تعالى يهيئ لعامة الناس رجالاً يلتفون حولهم ويقتدون بهم ويرون فيهم ما يجذبهم إلى الثبات معهم لما كان لأولئك العامة من شأن يذكر، بل لكانوا في مهب الرياح أينما تميلها تمل•

لذلك كان من الواجب على الدعاة أن يختاروا ذوي المواهب العالية في العلم والعمل والذكاء والقدرة على الاستيعاب، والصبر والجلد والقيادة؛ يولوهم من العناية ما يأخذ بأيديهم إلى المستوى اللائق بهم، ويدربوهم على تحمل مسؤولياتهم؛ كلٌّ فيما يظهر أنه أنفع فيه من غيره، وذلك هو الذي يضمن بتوفيق الله استمرار صفوف الدعاة إلى الله وقادتها؛ لأن القائد الواحد يربي قادة، والصف يربي صفوفًا؛ كلما ذهب قائد حل قائد آخر محله، وكلما ذهب صف تقدم إلى مكانه الصف الذي يليه، كما يضمن بقاء الروح الجهادية في النفوس ••• وهذا الإعداد يكون بتقوية الإيمان، وتزكية الأخلاق الفاضلة، وكثرة الطاعة لله ولرسوله، والبعد عن المعصية، والتوعية الكاملة والفقه في الدين ومعرفة مشكلات العصر وحلها، والتدريب العملي على البذل والإنفاق وإيثار الدعوة الإسلامية بالنفس والنفيس، والإخلاص الكامل والتجرد لله وحده•

وهذا الإعداد مع صعوبته وطول مدته التي تحتاج إلى صبر وجلد خير من العجلة في جمع جماهير ذوي عواطف تبهج النفس وتنعشها العواطف •••"(164).

وعن ضرورة تكوين القاعدة الصلبة والاعتناء بها ودورها في حماية الدين وأهله يتحدث سيد قطب – رحمه الله تعالى – عن القاعدة الصلبة من المهاجرين والأنصار فيقول: "إن هذه القاعدة الصلبة من المهاجرين الأوائل هي التي انضم إليها السابقون من الأنصار، ليكونوا القاعدة في المدينة – قبل بدر – وليكونوا هم الحراس الأقوياء الأشداء في فترة التخلخل التي أعقبت النصر في بدر، بالتوسع الأفقي الذي

جاء بأعداد جديدة لم تنضج بعد، ولم تتناسق مع القاعدة في مستواها الإيماني والتنظيمي•

وأخيراً فإن القاعدة الصلبة التي اتسعت أبعادها قبيل الفتح، حتى صارات تتمثل في المجتمع المدني بجملته، هي التي حرست الإسلام وصانته من الهزات بعد الفتح ثم من الهزة الكبرى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتداد الجزيرة عن الإسلام•

••• إنه ابتداء يجب توجيه الحرص كله لإقامة القاعدة الصلبة من المؤمنين الخلص، الذي تصهرهم المحنة فيثبتون عليها؛ والعناية بتربيتهم تربية إيمانية عميقة تزيدهم صلابة وقوة ووعياً •••"(165).

التعقيب الثالث : الحذر من اختراق المنافقين للصف المسلم، وتبوّئهم للمراتب العليا فيه :

وهو مرتبط بما قبله؛ وذلك من جهة التأكيد على ثمرة مهمة من ثمار الإعداد القوي للقاعدة الصلبة؛ ألا وهي تحصين الصف المسلم أثناء الإعداد وأثناء الجهاد من المنافقين الذين يظهرون الصلاح وحب الدعوة والجهاد حتى يخترقوا صفوف الدعاة والمجاهدين ويصلوا إلى مستويات متقدمة في التوجيه والتأثير، وهدفهم من الاختراق أمور خطيرة من أهمها: زعزعة الصف من داخله، وبث الشقاق والفرقة بين الدعاة والمجاهدين، ومن أخطر أهداف الاختراق: الاطلاع على خطط الدعاة وأسرار المجاهدين وإيصالها إلى أوليائهم من الطواغيت والكفرة حتى يقطعوا على الصف المسلم أهدافه ويعرضوا أهله للبلايا والمحن•

لذا وجب على المتصدرين للدعوة والإعداد والتربية الحذر الشديد من هؤلاء المنافقين الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر؛ قال الله عز وجل في التحذير منهم ومن غيرهم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ) (النساء: من الآية71).

وإن المتأمل في تاريخ المسلمين في القديم والحديث ليرى أنه ما من مأساة و انتكاسة أو محنة وقعت بالصف المسلم إلا وكان للمنافقين يد فيها، ولذا فإن من أهم ما ينبغي الحرص عليه في الإعداد للجهاد الحذر من المنافقين وتحصين الصف من اختراقهم•

ومن أهم وسائل التحصين الاهتمام بالقاعدة الصلبة، وحسن إعدادهم وتربيتهم ولو طال الزمان، وأن لا يصل إلى مستوى التوجيه والإعداد إلا من صهرته التربية وظهر صبره وفضله وتقواه وصدقه، وأن يحرص على التربية الجادة ودقة الاختيار، والحذر ممن كان له تاريخ في النفاق ولو صلح بعد ذلك، وكذلك الحذر من كل من ارتفع اسمه فجأة في أوساط الدعاة، ومعرفة السبب في اشتهاره هل هو عمله أم أن جهات أخرى تولت هذه المهمة؟! فينبغي الحذر من أمثال هؤلاء فلا تسند إليهم مسؤوليات مهمة في الدعوة والإعداد•

وعن خطر المنافقين في واقعنا المعاصر وضرورة تحصين الصف منهم يقول أحد الدعاة الناصحين: "مرت فترات من عصرنا الحديث اشتد فيها عود الجماعات الإسلامية، وقويت شوكتها، وعلا أمرها، وتحقق لها بعض أهدافها في أكثر من بلد من عالمنا الإسلامي الكبير•

وفي مثل هذه الأجواء يستغل المنافقون مبدأ التوبة إلى الله، فيترددون على المساجد، ويشهدون حلقات الذكر، ويكتبون المقالات التي يعربون فيها عن ندمهم على ما اقترفته أيديهم من ذنوب ومعاص، ويتبرأون من ماضيهم الأسود، ويشنون حربًا ضروسًا على رفاق دربهم القدامى من الفاسدين والعلمانيين•

ويرحب بتوبتهم الذين يأخذون الأمور على ظواهرها من الدعاة وبعض قادة الجماعات، وإذا قيل لهم: احذروا من هؤلاء الوافدين الجدد، ولا تسندوا إليهم مناصب قيادية، وتذكروا ظهور النفاق بعد غزوة بدر الكبرى، ولا تنسوا أنَّ تفشي هذه الظاهرة يكثر بعد انتصارات الدعاة والجماعات الإسلامية؛ قالوا: لم نكلف بالبحث عن نوايا الناس وما تخفيه قلوبهم، والذي نعلمه أن التوبة تجب ما قبلها، والله جل وعلا يغفر الذنوب جميعًا، إنه هو الغفور الرحيم•

ونحن لا نطلب من إخواننا الدعاة القادة البحث عن نوايا الناس، وما تكنه قلوبهم، ولا نريد منهم طرد من جاء تائبًا مستغفرًا؛ ولكن الذي نريده ونؤكد عليه ألا تسند لهؤلاء التائبين وظائف قيادية لأن علمهم الشرعي وماضيهم لا يسمحان بذلك•

وفي خضم هذه الأنشطة السياسية التي تنقصها التربية والإعداد تم اختراق معظم الجماعات الإسلامية من قبل أشخاص مشبوهين يقولون ما لا يفعلون، ويظهرون ما

لا يبطنون، أو من قبل أشخاص مترفين يظنون أن الدعوة إلى الله، والعمل من أجل تحكيم شريعته خالية من التمحيص والابتلاء وخشونة العيش ••• وإذا كانت معارك الموحدين الدعاة مع الطغاة دائمة ومستمرة، وشعار الحذر يجب أن يستمر مرفوعاً، فهناك مراحل تتضاعف فيها الحاجة إلى الحذر، ومنها هذه المرحلة التي مضى عليها أكثر من عقدين، وشهدنا فيها سقوط أصنام متعددة: شهدنا سقوط الصنم القومي، والصنم الثوري الاشتراكي، وشهدنا سقوط رائد القومية والتقدمية والوحدة، الصنم الذي عبده كثير من الجماهير من دون الله•

كفر الناس بهذه الأصنام كلها، وأيقنوا أن بعدهم عن الإسلام هو سبب هذه الهزائم المتكررة، وعاد الشباب إلى دين الله أفواجاً، وأصبحت الصحوة الإسلامية حديث الشرق والغرب، وقويت شوكة الجماعات الإسلامية، وكثر أنصارها ••• إن قوة الدعاة والجماعات الإسلامية مسألة تهدد كل طاغية وتنذر بزواله، فلا بد من تسخير جميع إمكاناتهم وتنسيق جهودهم من أجل وأد الصحوة في مهدها• ومن الأساليب التي يستخدمونها كما قلنا فيما مضى زرع جندهم داخل الصف الإسلامي، والعمل على ضرب هذا الصف من داخله، وهذه هي المرحلة التي تتضاعف فيها الحاجة إلى الحذر واتباع هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حيث كان يختار أمراءه وولاته من الصحابة الذين تنطبق عليهم الشروط الشرعية التي ينبغي أن تتوفر في أهل الحل والعقد، وكانت الأفضلية للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم، واستمر هذا النهج بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما كان في عهد أبي بكر رضي الله عنه وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذين كانا يتشددان في اختيار الولاة(166) وكانا في شخصيهما قدوة حسنة لكل مسؤول ••• أما القواعد والأسس التي يتم على أساسها اختيار المسؤولين فثابتة• وأهمها: الأمانة والتقوى، وأن لا يكون المسؤول ممن يسعى ويعمل من أجل الوصول إلى المنصب"(167).

ومن أجل هذا كان صف الصحابة رضي الله عنهم هو الصف المحصن الذي لم يخترق؛ وما ذاك إلا لكونهم القاعدة الصلبة الذين تعهدهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالتربية والتعليم وصقلتهم الشدائد والمحن؛ ولكونهم يملكون الموازين الشرعية

الدقيقة في وزن الرجال، ومن أجل ذلك صعب على المنافقين اختراقهم، حيث لم يعرف أن أحداً من المنافقين قد أسندت له مهمة قيادية سواء في السلم أو الحرب•

التعقيب الرابع : يقبل في مستويات التربية الجهادية من عموم المجاهدين ما لا يقبل من قادتهم :

إن المراتب السابقة من مراتب الإعداد للجهاد في سبيل الله لا تعني أن تتوفر بتمامها في كل الأفراد، ولكن المطلوب توفرها بقوة في القاعدة الصلبة الذين هم قادة الناس وقدواتهم، وهم أصحاب التوجيه والتربية•

أما من سواهم فإنه يقبل منهم الحد الأدنى، ولا يتشدد معهم في توفر كل صفات المجاهدين فيهم• نعم لو اكتملت هذه الصفات في الجميع لكان هو الأفضل والمطلوب، لكن طبائع البشر وما يتعرضون له من ضعف وفتور تأبى ذلك•

ومع ذلك فتستمر التربية والتزكية، والمقصود الإشارة إلى أنه مع التأكيد على ضرورة التربية والإعداد إلا أن ذلك لا يعني أن لا يشارك في الدعوة والجهاد في سبيل الله تعالى عندما يفرض على الأمة إلا من ليس عليه ملاحظات أو هفوات، بل قد يخرج للجهاد من هو متلبس ببعض الذنوب وبعض ما يقدح في كمال إيمانه الواجب لكنه يجاهد نفسه على ترك ذلك، ويستمر النصح والتوجيه له في جميع الأوقات بل إنه قد يخرج صاحب البدعة التي دون الكفر مع المجاهدين إذا احتاج المسلمون إلى ذلك؛ كأن يهاجَمون في عقر دارهم وهم على قلة من العدد والعتاد•

ولو لم يخرج للجهاد في سبيل الله تعالى إلا الكمل من الناس لتعطل الجهاد وتسلط الكفار على المسلمين وساموهم سوء العذاب، ولا يخفى ما في ذلك من المفاسد العظيمة•

وكذلك من هم في موطن التوجيه والقدوة والمسؤولية؛ فمع أنه لا يسعهم ما يسع غيرهم ممن هم دونهم إلا أنهم ليسوا معصومين، وصدور بعض الهفوات أو الذنوب لا يقدح فيهم ولا ينقص من منزلتهم إذا كانت ذنوبًا طارئة يرجعون منها ويتوبون ولا يصرون•؛ قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (لأعراف:201).

التعقيب الخامس : أنواع الإعداد المادي وضرورة وجوده بجانب الإعداد الإيماني :

ما سبق ذكره من جوانب الإعداد للجهاد إنما كان منصباً على الإعداد المعنوي أو الإيماني، ولم يشر فيما مضى إلى الإعداد المادي والجسدي• وسبب ذلك أن الإعداد الإيماني للمجاهدين يحتاج إلى جهد وزمن طويلين، وهو الأساس الذي ينطلق منه المجاهد وتحقق به غايات الجهاد، وهو ما ينقصنا اليوم؛ حيث نعيش حياة الترف والترهل، والركون إلى الدنيا، وضعف الإيمان، وضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضعف الصبر والتحمل• والانتصار على النفس في هذه المجاهدة والإعداد هو طريق النصر على الأعداء في ساحات القتال، والعكس صحيح•

أما الإعداد المادي والجسدي فإنه يتحقق في وقت يسير إذا قيس بالإعداد الإيماني• ونظرًا لما تعيشه بلدان المسلمين اليوم من تسلط الأعداء وتهديداتهم مما يجعل الجهاد أمرًا مفروضًا على المسلمين للدفاع عن الدين والمال والعرض؛ وذلك في البلدان التي يحتلها العدو الكافر، أو أنه قريب الحدوث في البلدان التي يهددها العدو الكافر ويلمح بغزوها واحتلالها•

إنه نظراً لذلك فلا بد من الإشارة إلى الإعداد المادي والجسدي بأن يكون له حظ من الإعداد؛ وذلك في خط موازي للإعداد الإيماني والمعنوي؛ يسيران جنبًا إلى جنب دون أن يقطع إحدهم الآخر أو يؤخره•

والأصل في الإعداد المادي قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) (لأنفال:60)، ومن أهم جوانب هذا الإعداد ما يلي:

1- الإعداد المالي:

وهو من أهم جوانب الإعداد المادي؛ فهو عصب الدعوة والجهاد، ولا تكاد تخلو آية من الآيات التي تحض على الجهاد إلا ويذكر الجهاد بالمال مع الجهاد بالنفس بل يقدم عليها• وإذا تأملنا آية الإعداد الآنفة الذكر وجدنا في خاتمتها ذكر النفقة، مما يدل على أهمية المال في الإعداد المادي للجهاد• والتفريط في توفير المال للجهاد في سبيل الله تفريط في الأخذ بأسباب النصر•

ولذا وجب السعي في توفير مصادر مالية ثابتة لدعم الجهاد والإعداد له؛ وذلك باقامة المؤسسات الاقتصادية، وبث روح البذل في الأمة وبخاصة الموسورن فيها، وإقامة المؤسسات الخيرية التي تعلم وتدعو وتدعم المحتاجين من المسلمين المهاجرين والمستضعفين•

2- الإعداد الإعلامي:

حيث لا يخفى على أحد ما للإعلام اليوم من أثر كبير في التعريف بالإسلام الحق والتعريف بأهله، وكذلك ما له من الأثر في فضح الباطل والتحذير منه ومن أهله؛ بحيث تستبين للناس سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين، وقد سبق التنويه على ضرورة المعرفة بالسبيلين للناس قبل المقاتله بالسنان• كما لا يخفى ما للإعلام من دور في التعريف بالجهاد والمجاهدين، ونقل أنباء انتصارات المسلمين وهزائم الكافرين، والاستفادة من الإعلام في الحرب النفسية ضد الكفار، ورفع معنويات المجاهدين والمسلمين بعامة؛ حيث إن أسلوب الحرب النفسية عن طريق الإعلام أصبح من الوسائل المهمة في تحطيم معنويات ونفسيات الأعداء وهزيمتهم•

فإذا لم يكن للمسلمين – سواء في إعدادهم للجهاد بالدعوة والبيان أو أثناء قتالهم الكفار – وسائل إعلامية قوية ومؤثرة فإن تفريطًا كبيرًا قد حصل في الأخذ بأسباب العدة للجهاد والانتصار على الأعداء•

3- الإعداد الجسمي:

المطلوب من المسلم أن يعتني بجسمه في جميع الأحوال؛ فيعتني بصحته وكل ما من شأنه تقوية الجسد وشدته وتحمله للمشاق وشظف العيش؛ (فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)(168) والقوة هنا تشمل قوة الإيمان والنفس والجسم، وقد تعوذ الرسول صلى الله عليه وسلم من العجز والكسل، فإذا كان هذا في الأحوال العادية، فكيف بمن يعد نفسه للجهاد؟ بل فكيف بمن غزاه الكفار في عقر داره أو حاموا حول دياره؟! كما هو الحال اليوم في أكثر بلدان المسلمين•

إن الأمر في حقه يكون آكد وأوجب؛ لأن الأجسام الضعيفة المترهلة المترفة التي أخلدت إلى الراحة والإسراف في أنواع الطعام والشراب والأثاث سوف لن تلبي نداء

الجهاد؛ وذلك لما فيه من الشدائد والجوع والجراحات، الأمر الذي لا تطيقه الأجسام المتنعمة المترهلة المترفة•

ووسائل تقوية الأجسام كثيرة ينبغي أن يهتم بها المربون والمهتمون بالإعداد للجهاد؛ منها:

(أ) تجنب فضول الطعام والشراب والنوم لما في ذلك من الترفه، ولما فيه من الأدواء والأمراض للأجساد والقلوب•

(ب) تقوية الجسم بأنواع الرياضة المشروعة؛ كالمشي الطويل وصعود الجبال، والسباق، والسباحة، وركوب الخيل، والدفاع عن النفس، وغير ذلك مما فيه تقوية الجسم وتعويده على تحمل الشدائد•

(جـ) تعويد النفس على صوم النفل؛ فهو في المقام الأول عبادة عظيمة محبوبة لله عز وجل، وفيها من المصالح والحكم ما ذكره الله عز وجل في كتابه من أنه يورث تقوى الله عز وجل، كما أن فيه تعويد النفس على الصبر والتغلب على شهواتها وتقوية إرادتها•

ووسائل تقوية الأجسام كثيرة، لكن هذا هو الحد الأدنى الذي ينبغي لمن يعد نفسه للجهاد أن يأخذ به في حال الأمن والسلام•

أما في حال الحرب والتهديد فلا بد من الأخذ بالفقرة التالية•

4- الإعداد بالتدريب على الرماية بأنواعها:

حيث قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا إن القوة الرمي - ثلاثًا)(169).

ويكون التدريب على الرماية واجبًا وفرض عين في حال ما يكون الجهاد عينيًا بأن يُهاجَم المسلمون في عقر دارهم•

وأما الإعداد لجهاد الطلب فيبقى كفائيًا تبعًا لحكم الجهاد الطلبي• ومعنى هذا أن البلاد التي غزاها الكفار اليوم يكون التدريب فيها واجبًا، والإعداد له متعينًا، وكذلك الحال فيمن هو مهدد بالغزو والاحتلال حتى لا يفاجأ المسلمون بعدوهم وهم على غير استعداد•

وقد يقال: إن المسلمين في مكة حيث كف اليد والتركيز على الإعداد الإيماني والمعنوي لم يتدربوا آنذاك ولم يأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالتدريب• والجواب

أن يقال بأن الناس في ذلك الوقت ليسوا محتاجين إلى تدريب وتعليم لأنهم أهل القتال والخبرة بهذا الفن لطبيعة العرب في ذلك الوقت؛ حيث إن السلاح والرماية جزء من حياتهم كما هو الحال اليوم في بعض البيئات والبلدان•

التعقيب السادس : أخطاء بعض المجاهدين لا تعني خطأ الجهاد، ونصحهم يكون مع الولاء لهم حتى لا يستغله المبطلون في رد الجهاد :

إن المجاهدين بشر كغيرهم يخطئون ويصيبون، ولا عصمة لأحد بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولكن ينبغي الحذر كل الحذر عندما يكون هناك حاجة إلى ذكر هذه الأخطاء والتناصح حولها أن لا تكون في منابر عامة قد يفهم منها التعريض بالجهاد والمجاهدين، وقد يكون إبرازها في المنابر العامة مقصود لذاته من قبل أعداء الدين وأعداء الجهاد والدعاة والمجاهدين؛ وذلك ليوظفوها في مخططهم الماكر في القضاء على الدعاة الصادقين وتعطيل شعيرة الجهاد والاحتساب• وفي عدم الانتباه لمآلات الكلام عن أخطاء المجاهدين مفسدة كبيرة قد يجد المتحدث نفسه متورطًا في الإسهام مع أعداء الدين في عرقلة الدعاة والمجاهدين في إحياء الأمة من سباتها• وقد يجد نفسه وهو لا يشعر في خندق الطواغيت من الكافرين والمنافقين•

ولو وجد الداعية نفسه مضطرًا للتعليق على بعض الأخطاء فيمكنه أن يتحدث عن ذلك بعبارة لا يستطيع الإعلام الماكر ومن وراءه أن يستفيدوا من ذلك في الوصول إلى مبتغاهم؛ وذلك كأن يثني على المجاهدين وأثرهم في إحياء الجهاد والعزة ودورهم في الدفاع عن بلدان المسلمين وأعراضهم، ودورهم في إرهاب الكفار، في الوقت الذي يتولى بالنقد والفضح تلك الأنظمة الطاغوتية التي تتولى الكفار وتضع نفسها في خندقهم في مواجهة الدعاة والمجاهدين• ثم يشير بعد ذلك إلى ما يراه من ملاحظات وأخطاء قد تصدر من بعض الطوائف الجهادية، وإن كان هناك ثمة عذر يشير إليه، وإن لم يجد فيضعها في حجمها الطبيعي، ويتوجه بالنصح للمجاهدين بعبارات مضمونها الود والشفقة والنصح والولاء•

إنه متى كان الحديث بهذه النفسية، وبهذا الحذر فلا أظن الإعلام الماكر سيسمح لأحد من الدعاة فضلاً عن أن يدعوه ويبرزه للناس ليقول هذا الكلام في منابره•

كما أن المجاهدين سوف لن تُجرح نفوسهم من هذا الداعية الذي هذا مقصده وهذا طرحه، ولن يتهموه بأنه من المخذلين أو أنه من الذين يعرضون بالمجاهدين ويشمتون بهم•

وبعد :

فهذا ما يسره الله عز وجل ووفق إليه من الكتابة في هذا الموضوع المهم الخطير ولا أزعم أني استوفيته أو قربت من تمامه، ففي الموضوع مسائل كثيرة تحتاج إلى العلماء العاملين ليبينوها للناس• وحسبي أني ساهمت ببضاعتي المزجاة وجهد المقل فما كان فيه من صواب فمن الله عز وجل وهو المان به وله الحمد والشكر. وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان واستغفر الله منه ومن جميع ذنوبي.

وأسأله سبحانه الإخلاص والصواب في القول والعمل. اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه وليك ويذل فيه عدوك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر ويرفع فيه علم الجهاد إنك سميع قريب وأنت على كل شيء قدير. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين•

الهوامش

(1) رواه مسلم: (1910).

(2) "المفردات": (ص99).

(3) "الفتح": (3/6).

(4) "بدائع الصنائع": (4299/9).

(5) "حاشية ابن عابدين": (121/4).

(6) "الشرح الصغير على أقرب المسالك": (267/2).

(7) "فتح الباري": (3/6).

(8) "مطالب أولي النهى": (497/2).

(9) "مجموع الفتاوى": (192/10، 193).

(10) "مجموع الفتاوى": (191/10).

(11) رواه أحمد: (21/6)، وقال محمقق زاد المعاد "الأرناؤوط": "سنده جيد، وصححه ابن حبان: (25)، والحاكم: (11/1)، ووافقه الذهبي.

(12) رواه مسلم: (1910) في الإمارة: باب ذم من مات ولم يحدث نفسه بالغزو، وأبو داود: (2502).

(13) "زاد المعاد" ت: الأرناؤوط: (3/12-5) مختصراً.

(14) "زاد المعاد": (3/71).

(15) "روضة المحبين": (ص478).

(16) أبو داود: (4/246)، وابن ماجة: (2/681)، وقد روى شطره الأول البخاري: (2480).

(17) "مجموع الفتاوى": (28/320).

(18) "مجموع الفتاوى": (28/321).

(19) تقدم تخريجه.

(20) "الفروسية" لابن القيم: (ص187-189).

(21) وعن شعور اللذة بالعبودية يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "... فقُرَّة عين المحب في الصلاة والحج وفرح قلبه وسروره ونعيمه في ذلك وفي الصيام والذكر والتلاوة وأما الصدقة فعجب من العجب، وأما الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله والصبر على أعداء الله سبحانه فاللذة بذلك أمر آخر لا يناله الوصف ولا يدركه من ليس له نصيب منه. وكل من كان به أقوم كان نصيبه من الالتذاذ به أعظم. ومن غلظ فهمه وكثف طبعه عن إدراك هذا فليتأمل إقدام القوم على قتل آبائهم وأبنائهم وأحبابهم، ومفارقة أوطانهم، وبذل نحورهم لأعدائهم". "طريق الهجرتين": (1/56) ط. دار الحديث.

(22) "مجموع الفتاوى": (10/193-191) باختصار.

(23) "مجموع الفتاوى": (10/58-57) باختصار.

(24) "مجموع الفتاوى": (15/170).

(25) "في ظلال القرآن": (3/1444-1440) باختصار.

(26) "في ظلال القرآن": (3/1436-1433) باختصار.

(27) "الجواب الصحيح": (1/74).

(28) "زاد المعاد": (3/161-159).

(29) انظر لمزيد من التفصيل عن هذه الحكم كتاب "في ظلال القرآن": (714/2، 715).

(30) "في ظلال القرآن": (1581/3).

(31) "في ظلال القرآن": (1739/3–1737) باختصار.

(32) "الصارم المسلول": (414/2).

(33) "مدارج السالكين: (9/3) ط الفقي.

(34) "مجموع الفتاوى": (57/10، 58) باختصار.

(35) "مجموع الفتاوى": (193/10).

(36) "مجموع الفتاوى": (36/8).

(37) أبو داود (3462)، وأحمد: (28/2) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: (2956).

(38) "الفوائد": (ص88).

(39) "مجموع الفتاوى": (242/28).

(40) "مجموع الفتاوى": (443/28–441) باختصار.

(41) البخاري في الإيمان باب الجهاد من الإيمان، ابن ماجة (2753).

(42) البخاري في الجهاد: باب أفضل الناس مجاهد بنفسه وماله (2787)، ومسلم (1878) واللفظ له.

(43) أبو داود (2541)، وابن ماجة (7292) وصححه الأرناؤوط في حاشية زاد المعاد (78/3).

(44) البخاري في الجهاد: باب درجات المجاهدين (2790)، وأحمد (335/2).

(45) مسلم: (1884)، والنسائي: (20/6–19).

(46) البخاري في الجمعة: باب المشي إلى الجمعة (907)، وأحمد (479/3).

(47) ابن ماجه: (2775) بسند حسن.

(48) البخاري في الجهاد: باب فضل رباط يوم في سبيل الله (2892).

(49) مسلم: (1913).

(50) قطعة من حديث رواه مسلم (1902)، وأحمد: (396/4).

(51) البخاري: (2887).

(52) "سير أعلام النبلاء":(23/2).

(53) المصدر السابق: (422/1).

(54) "صفة الصفوة": (468/1).

(55) "سير أعلام النبلاء": (375/1).

(56) "الجهاد" لابن المبارك: (88/1).

(57) "سير أعلام النبلاء": (319/1).

(58) "سير أعلام النبلاء": (34/2).

(59) البخاري: (2801).

(60) "سير أعلام النبلاء": (364/1).

(61) "سير أعلام النبلاء": (290/2).

(62) "سير أعلام النبلاء": (381/1). واللقلقة: الصوت الشديد المضطرب. والنقع: رفع الصوت وشق الجيب.

(63) بسان ملتاث: ثقيل بطيء في الكلام.

(64) الدَبَرة: النصر والغلبة.

(65) "صفة الصفوة": (466/1، 467).

(66) انظر "الطبقات الكبرى" لابن سعد: (232/1).

(67) غُبَّرات: الجماعة الباقية.

(68) الشخوص: المرتفعات.

(69) لا رحلة بي: ليس لديه بعير أو ظهر يرتحل عليه.

(70) قلائص: جمع قلوص وهي الناقة الشابة.

(71) "صفة الصفوة": (676/1–674).

(72) "صفة الصفوة": (421/4).

(73) "سير أعلام النبلاء": (499/3).

(74) "سير أعلام النبلاء": (498/3).

(75) المقصود هنا: أعظم الثمار وإلا فثمار الجهاد كثيرة كما مر بنا فيما سبق.

(76) "شريعة الإسلام في الجهاد": (ص31–32).

(77) "الزواجر عن اقتراف الكبائر" للهيتمي: (163/2).

(78) مسلم (1910).

(79) "عدة الصابرين": (ص121).

(80) "تفسير ابن كثير": (228/1)، وصحح الحديث ابن حبان (1667)، والحاكم: (275/2) ووافقه الذهبي.

(81) "أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية" د. العلياني: (ص252).

(82) "الفتح الرباني" لترتيب مسند أحمد: (44/15) وقال المحقق الساعاتي: سنده جيد.

(83) انظر إلى ما ذاقه الهندوس على أيدي المجاهدين الكشميريين، وانظر كيف تحركت قوافل اليهود للهجرة من فلسطين بعد أن عرفوا أن القتل ليس من نصيب المسلمين وحدهم، وفي أفغانستان كيف دفعت الإمبراطورية الروسية ثمناً باهظاً لعدوانها على المسلمين تفككت على إثره وتحولت إلى أمة متسولة لا تكاد تجد قوتها، ثم عادت لتدفع ثمناً غالياً لعدوانها على المسلمين في الشيشان. وفي البوسنة لما ولغ الكفار في دماء المسلمين وفرحت ملل الكفر بذلك لم يكبتوا ويكسروا إلا بعد نزول المجاهدين إلى أرض البوسنة.

(84) "شريعة الإسلام في الجهاد" للمودودي: (ص34).

(85) "في ظلال القرآن": (1941/4).

(86) "نزهة الفضلاء في تهذيب سير أعلام النبلاء": (242/1).

(87) رواه أبو داود في الملاحم: باب في تداعي الأمم على الإسلام: (4297)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: (3610).

(88) انظر الحديث: (ص54، 79).

(89) البخاري في التوحيد: (7460)، ومسلم: (1037).

(90) "مجموع الفتاوى": (358/28، 359).

(91) "مجموع الفتاوى": (259/28).

(92) هذا في جهاد الطلب، أما جهاد الدفع فإنه فرض عين على أهل البلد الذين يهاجمهم الكفار.

(93) "زاد المعاد": (72/3).

(94) "الفوائد": (ص59)، وقد مضى في (ص56) قول ابن المبارك والإمام أحمد رحمهما الله تعالى: "إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ماذا عليه أهل الثغر فإن الحق معهم"، وعلى هذا فإن قوله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا) يدخل تحته جهاد الهوى وجهاد الكفار بالسنان.

(95) "الاختيارات الفقهية": (ص309، 310).

(96) تقدم تخريجه.

(97) "فتح الباري": (29/6).

(98) المصدر نفسه: (30/6).

(99) "جامع الأصول": (580/2).

(100) "تفسير السعدي": (290/2).

(101) سبق تخريجه.

(102) "في ظلال القرآن" (1717/3-1716) باختصار.

(103) انظر تفاصيل هذه الأصول في رسالة "وقفات تربوية في ضوء سورة العصر" للمؤلف.

(104) "زاد المعاد": (10/3).

(105) البخاري: (1399، 1400)، ومسلم: (20).

(106) "سير أعلام النبلاء": (195/4).

(107) رواه مسلم: (1850).

(108) "البدع والنهي عنها" لابن وضاح: رقم الأثر (86) ص (75)، ت: عمر عبد المنعم.

(109) البخاري: (6502).

(110) "سير أعلام النبلاء": (121/6).

(111) البخاري (52)، ومسلم: (1599).

(112) انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية: (ص57).

(113) "مجموع الفتاوى": (170/15).

(114) البخاري في الجهاد: باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (2810)، مسلم (1904).

(115) أبو داود (2516) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم: (2196).

(116) مسلم (1876).

(117) أبو داود (5123)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (1096).

(118) "في ظلال القرآن": (144/1).

(119) البخاري: (123)، ومسلم: (1904).

(120) "في ظلال القرآن": (3288/6).

(121) "طريق الدعوة في ظلال القرآن": (ص361).

(122) ومما يدل على أن حياتنا ليست حياة من يعد نفسه للجهاد أنه لو طلب من بعضنا بذل ربع ماله أو عشره أو طلب منه الانتقال إلى بلد غير بلده لمصلحة الدعوة والجهاد لامتنع أو تردد وتلكأ. فكيف بما هو أكبر من ذلك كبذل النفس وهجر الأهل والأولاد والأوطان.

(123) تَفَنَّقوا: تنعموا؛ انظر: القاموس المحيط، مادة (فنق).

(124) "المقدمة" لابن خلدون: (ص138).

(125) "الجهاد في سبيل الله" (373/2)، د. عبد الله القادري.

(126) "في ظلال القرآن": (2217/5).

(127) البخاري: (4418)، ومسلم (2121)، وانظر: "الجهاد في سبيل الله" الدكتور/ عبد الله القادري (376/2).

(128) "الفوائد" لابن القيم: (ص94، 95) باختصار.

(129) "مدارج السالكين": (125/2).

(130) "الفوائد": (ص86، 87).

(131) انظر المنارة الثانية والعشرين من (منارات في الطريق) للمؤلف: (ص199).

(132) البخاري: (7405)، ومسلم: (2675).

(133) البخاري: (6307).

(134) مسلم: (2702).

(135) أبو داود: (4986)، وأحمد: (364/5) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: (4172).

(136) "في ظلال القرآن": (142/1،141) باختصار وتصرف يسيرين.

(137) البخاري: (7492)، ومسلم: (1151).

(138) مسلم: (746).

(139) البخاري: (3559)، ومسلم: (2321).

(140) أبو داود: (4798)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: (4013)، ورواه أحمد: (64/6).

(141) مسلم: (2609)، والبخاري في الأدب باب الحذر من الغضب.

(142) "مدارج السالكين": (308/2) ط. الفقي.

(143) البخاري: (6370).

(144) "في ظلال القرآن": (459/1).

(145) مسند أحمد: (183/5)، والترغيب والترهيب: (23/1)، وعزاه الألباني إلى الشافعي في مسنده وصحح إسناده، انظر "مشكاة المصابيح" الحديث (229).

(146) "مدارج السالكين": (319/2).

(147) مسلم في الإمارة باب كراهة الإمارة بغير ضرورة (1825).

(148) البخاري: (59).

(149) البخاري: (6497)، ومسلم: (143).

(150) "مجموع الفتاوى": (301/10).

(151) "في ظلال القرآن": (1107/2-1105) باختصار.

(152) "كيف ندعو إلى الإسلام": (ص 11-19) باختصار.

(153) "مجموع الفتاوى": (172/24).

(154) للتوسع في موضوع الصبر وما يتعلق به يمكن الرجوع إلى رسالة (وقفات تربوية في ضوء سورة العصر)، مبحث: "وتواصوا بالصبر" للمؤلف.

(155) "في ظلال القرآن": (551/1، 552).

(156) انظر "مدارج السالكين": (157/2).

(157) أكرر ما ذكرته سابقاً من أني لا أعني بذلك جهاد الدفع الذي يقوم به المجاهدون اليوم في ساحات الجهاد في أفغانستان والشيشان وكشمير وفلسطين وغيرها ضد المعتدين الكفرة؛ فهذا جهاد مشروع، ولكني أعني ما يقوم به بعض المتحمسين من جهاد الطلب في أماكن لم يتبين للناس فيها حقيقة المجاهدين، وحقيقة أعدائهم، مع ضعف في الاستعداد لذلك.

(158) "تفسير ابن كثير": عند الآية (رقم: 77) في سورة النساء.

(159) "في ظلال القرآن": (712/2، 713).

(160) "في ظلال القرآن": (715/2-713) باختصار شديد وتصرف.

(161) ورد هذا الجواب بلفظ مقارب في بيعة الأنصار البيعة الكبرى: انظر مسند أحمد: (462/3،460) وصحح إسناده الأرناؤوط في "زاد المعاد": (460/3).

(162) "كيف ندعو إلى الإسلام": (ص 14-23) باختصار.

(163) "منهاج السنة": (89/8-86).

(164) "الجهاد في سبيل الله": (349/2-347) باختصار.

(165) "في ظلال القرآن": (1577/3، 1578) باختصار.

(166) ومن ذلك ما ذكره ا بن كثير – رحمه الله تعالى – في "البداية والنهاية": (323/6) في ترجمة طليحة الأسدي بعد أن ذكر ردته وتنبأه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "وأما طليحة فإنه راجع الإسلام بعد ذلك وذهب إلى مكة معتمراً أيام الصديق واستحيا أن يواجهه مدة حياته وقد رجع فشهد القتال مع خالد. وكتب الصديق إلى خالد: أن استشره في الحرب ولا تؤمره – يعني معاملته بنقيض ما كان قصده من الرياسة في الباطن –وهذا من فقه الصديق رضي الله عليه عنه وأرضاه". ا.هـ.

(167) انظـر "مجلـة السـنة" الأعـداد: (31، 33، 35، 36، 37، 39، 41، 42) باختصار شديد وتصرف يسير.

(168) انظر نص الحديث في صحيح مسلم: (2664).

(169) رواه مسلم (917) في الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه.

=================

الطاعنون في السنة قديماً وحديثاً

إن التشكيك فـي مصـادر التلقي قديماً وخصوصـاً السنة منذ الصـدر الأول للإسـلام, وقد أخذت الآن طابع مؤسسي كالعقلانيين والحداثيين ومن قبلهم المستشرقين, ولهذا فإننا في هذا المقال نعرف بهولاء المشككين في القديم والحديث لكي يعرف المسلم الشر لا للشر لكن لتوقيه. إدارة الموقع * الطاعنون في السنة قديماً وحديثاً

أ- المعتزلة:

1- وهؤلاء ردوا كثيراً من السنة لمخالفتها للعقل.

2- لما ذكر لعمرو بن عبيد المعتزلي حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لو سمعت الأعمش- أحد الأئمة- يقول هذا لكذبته، ولو سمعت رسول الله لرددته يقول هذا: لرددته، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا.

3- والمعتزلـة- ردوا أحاديـث الشـفاعة- لمعارضـتها لأصـلهم فـي الوعيـد، وهـوأن مرتكب الكبيرة عندهم مخلد في النار؟

*كما ردوا أحاديث الصفات، لمعارضتها لأصلهم في نفي الصفات عن الله كماردُّوا حديث:"الشقي من شقي في بطن أمه "لمخالفته لأصلهم في القدر.

* إنكارهم لأحاديث رؤية الله في الجنة،ولأحاديث عذاب القبر...وغيرها.

4- طعنهم في الصحابة، رواة الحديث وحفظته.

أ- فهذا واصل بن عطاء يقول : لو شهدت عندي عائشة وعلي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم .

- وقال النظام عن عمر رضي الله عنه : (إنه شك يوم الحديبية،واتهم النظام عمر بأنه كتم الوصية لعلي وبايع أبا بكر).

- واتهم النظام ابن مسعود بالكذب لروايته حديث انشقاق القمر،وحديث: "السعيد من سعد في بطن أمه "،وطعن في غيره من الصحابة،وتلك سمة من سمات هؤلاء قديماً وحديثاً.

ب- الخوارج : سبق نقل قول أحد أساتذتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (هذه قسمة ما أريد بها وجه الله) والخوارج يعدلون جميع الصحابة قبل الجمل وصفين، ثم يكفرون- أو يفسقون- علياً وأصحاب الجمل وصفين والحكمين ومن رضي بالتحكيم.

- ولهذا ردوا أحاديث جمهور الصحابة بعد الفتنة.

وسنعرض- إن شاء الله- لرأي الخوارج المعاصرين،حينما نتكلم عن منكري السنة حديثاً.

ج- الرافضة : وهم شر الطوائف طعناً في الصحابة وسباً لهم ووضعاً للأحاديث:

1- وأخطر ما في الرافضة، وضعهم للأحاديث المكذوبة،ولقد كشف أئمة الحديث أمرهم قديماً:

فقد سئل الإمام مالك رحمه الله عنهم فقال:(لا تكلمهم ولا ترد عليهم فإنهم يكذبون).

ويقول شريك بن عبد الله- مع ميله لعلي رضي الله عنه-: (احمل عن كل ما لقيت إلا الرافضة،فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه ديناً).

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله: (ما رأيت في أهل الأهواء قوماً أشهد بالزور من الرافضة).

2- سبهم للصحابة وقولهم بردتهم جميعاً- إلا عدداً قليلاً-:

* روى الكليني- الرافضي- بإسناده إلى أبي جعفر أنه قال: ارتد الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة: المقداد وسلمان وأبو ذر.

* ورووا عن عبد الرحمن القصير قال: قلت لأبي جعفر: إن الناس يفزعون إذا قلنا: إن الناس ارتدوا. فقال: يا عبد الرحمن ! إن الناس عادوا بعد ما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل جاهلية، إن الأنصار اعتزلت فلم تعتزل بخير، جعلوا يبايعون سعداً وهم يرتجزون ارتجاز الجاهلية.

3- طعنهم في الصحابة- رواة الحديث-وطعنهم فى عدالتهم.

يقول شرف الدين الموسوي الرافضي: (إن أصالة العدالة في الصحابة مما لا دليل عليه،ولو تدبروا القرآن الحكيم لوجدوه مشحوناً بذكر المنافقين منهم، وحسبك منه سورة التوبة و الأحزاب .

4- وترتب على ذلك رفضهم للسنة الواردة عن طريق أهل السنة.

يقول حسين بن عبد الصمد العاملي الرافضي: (وصول الأخيار إلى أصول الأخبار) : (فصحاح العامة- يقصدون أهل السنة- كلها وجميع ما يروونه غير صحيح).

ولهذا،فالسنة عندهم مخالفة العامة أي أهل السنة، وقد عقدوا أبواباً وأوردوا روايات كثيرة في ذلك.

منها: ما يروونه- كذباً وزوراً- عن جعفر الصادق- رحمه الله- أنه قال:(إذا ورد عليكم حديثان مختلفان،فخذوا بما خالف القوم) وأنه قال: (ما خالف العامة ففيه الرشاد) وقوله عن أهل السنة:(والله ما بقي في أيديهم شيء من الحق إلا استقبال الكعبة فقط).

د- الزنادقة: وهؤلاء وضعوا أحاديث لتشويه سمعة المسلمين، وللتنقيص من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم :

ا- فمما وضعوه وكذبوه حديث:"ينزل ربنا عشية عرفة على جمل أورق يصافح الركبان ويعانق المشاة".

2- ومما وضعوه حديث: إن الله اشتكى عينيه فعادته الملائكة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

3- وغيرها كثير وكثير.

أعداء السنة في العصر الحديث:

أولاً: المستشرقون: وعلى رأسهم أستاذهم وأستاذ المستغربين من المسلمين (جولد تسيهر)، الذي ألف كتاباً قبل مائة عام بعنوان (دراسات إسلامية) .

حيث صار مصدراً لكل من أتى بعده، في الطعن في الإسلام وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة.

وبعده جاء (شاخت)...وغيره.

وليس بمستغرب على هؤلاء،ولا حاجة بنا إلى ذكرهم هنا،لولا أنهم صاروا مدرسة لكل طاعن في السنة النبوية الشريفة.
و(جولد تسيهر) طعن في الإمام الزهري واتهمه بوضع الأحاديث إرضاءً لبني أمية. ومن ذلك: زعمه أنه وضع لعبد الملك بن مروان حديث: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ومنها: الأقصى- حتى يصرف الناس إلى الأقصى بدل مكة التي كان فيها ابن الزبير.
ولما التقى السباعي بالمستشرق (شاخت) وناقشه في مفتريات أستاذه (جولد تسيهر) وتحريفاته- كان يجيب شاخت بالاعتذار عنه. فقال له السباعي: (إن جولد تسيهر هو مؤسس المدرسة الاستشراقية التي تبني حكمها في التشريع الإسلامي على وقائع التاريخ نفسه،فلماذا لم يستعمل مبدأه هنا حين تكلم عن الزهري؟!وكيف جاز له أن يحكم على الزهري بأنه وضع حديث فضل المسجد الأقصى،إرضاء لعبد الملك بن مروان ضد ابن الزبير، مع أن الزهري لم يلق عبد الملك إلا بعد سبع سنوات من مقتل الزبير؟).
يقول السباعي: (وهنا اصفر وجه (شاخت) وأخذ يفرك يداً بيد وبدا عليه الغيظ والاضطراب،وأنهيت الحديث معه...).
وإنما ذكرت هذا المثال؟ لأن كثيراً من العلمانيين والحداثيين في دراستهم للتراث- ومنه السنة- تشربوا هذا المنهج الاستشراقي التبشيري،وقد طعنوا في حديث الذباب ولطم موسى ملك الموت وغيرهما.
ثانياً: العقلانيون وأذنابهم : وهم تلاميذ المدرسة العقلية.
ولا يقولن قائل: إن المعتزلة انقرضوا،بل لا تزال أفكارهم ومنطلقاتهم باقية إلى اليوم- بل إن أحد أكبر دعاة هذا المنهج دعا في إحدى المناسبات الفكرية إلى أن يكون للمعتزلة تجمع، كما أن لغيرهم تجمعات. ا- فهذا أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام) خاض وماج في قضايا كثيرة،منها قضية السنة.
وقد ناقشه السباعي- رحمه الله- مناقشة مطولة في كتابه (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي).

2- وهذا محمد عمارة أشهر من يتبنى منهج الاعتزال والعقلانية المنحرفة. يقول في كتابه (الإسلام وقضايا العصر): (نحن مطالبون حتى نكون متبعين للرسول الله صلى الله عليه وسلم بالتزام سنته التشريعية- أي تفسير القرآن- لأنها دين .

أما سنته غير التشريعية، ومنها تصرفاته في السياسة والحرب والسلم والمال والاجتماع والقضاء ومثلها ما شابهها من أمور الدنيا، فإن اقتداءنا به يتحقق بالتزامنا بالمعيار الذي حكم تصرفه صلى الله عليه وسلم ، فهو كقائد للدولة كان يحكم فيها على النحو الذي يحقق المصلحة للأمة، فإذا حكمنا كساسة بما يحقق مصلحة الأمة وكنا مقتدين بالرسول صلى الله عليه وسلم حتى ولو خالفت نظمنا وقوانيننا ما روي عنه في السياسة من أحاديث، لأن المصلحة بطبيعتها متغيرة ومتطورة) .

ويقول أيضاً: (علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن ما كان ديناً فمرجعه الوحي والتنزيل وما كان دنيا بما فيها الدولة والسياسة فالمرجع فيها العقل والتجربة الإنسانية..) .

ويقول ما هو أدهى وأمر: (والفرق بين المسلمين وأهل الكتاب ليست من الخطر بحيث تخرج الكتابيين من إطار الإيمان والتدين بالدين الإلهي).

ثالثاً : الحداثيون : وهؤلاء- ليست القضية معهم- خاصة بهذا الموضوع،بل ما هو أشمل. وهو موقفهم من الدين الإسلامي ومصادره وأصوله كلها.

ولكن سأذكر نماذج من مواقفهم من السنة فقط،وإلا فموضوعهم طويل:

أ- يقول أحدهم- وأنزه المنبر من ذكر اسمه-: (أرضنا البيد غارقة، طوق الليل أرجاءها، وكساها بمسجده الهاشمي فدانته لعاداته معبداً).

2- ونشرت صحيفة- اليوم- بتاريخ 6/ 11/ 1406 هـ محاضرة لأحدهم ألقاها في المملكة العربية السعودية،ومما قاله المحاضر عن أمته: الإسلام ينسلخ من الجوهر بما فيه من المثل والقيم والمبادئ ليغرق في هامشيات، وأقول يغرق، لأنه- للأسف- مازال غريقاً حتى اليوم يغرق في ماذا؟ في تحريم أو استكراه لبس الجلباب وتقصيره إلى ما فوق الكعبين وضرورة الأكل باليمين، وكراهية استعمال الملعقة والشوكة والسكين واستحباب لعق الأصابع...إضافة إلى مسائل أخرى،منها: الاحتفال بمولد النبي والتوسل بالأولياء والصالحين).

3- بل بلغ بهم الاستهتار بالسنة أن قلد أحدهم منهج المحدثين وهو يتحدث عن أزمة الفن والغناء. فيقول: (حدثنا الشيخ إمام عن صالح بن عبد الحي عن سيد بن درويش عن أبيه عن جده قال: يأتي على هذه البلاد زمان إذا رأيتم فيها أن الفن أصبح جثة هامدة فلا تلوموه ولا تعذلوا أهله، بل لوموا أنفسكم.

قالها وهو ينتحب فتغمده الله برحمته وغفر له ذنوبه)،وهكذ ا...وهكذ ا...

رابعاً: الطاعنون من غير هؤلاء:

ا- أبو رية. تولى كبر الطعن في السنة، وقلد في طعونه من سبقه وألف كتابه (أضواء على السنة المحمدية)، وقد رد عليه: محمد عبد الرازق حمزة- رحمه الله- في كتابه ظلمات أبي رية) ، والمعلمي- رحمه الله- في كتابه: (الأنوار الكاشفة). والسباعي- رحمه الله- في كتابه: (السنة).

2- ثم ظهر في سنة 1974م في مصر كتاب يطعن فيه صاحبه- والمدعو صالح أبو بكر- في صحيح البخاري، سماه: "الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها"ذكر فيه- متابعة لشيخه أبي رية- للمستشرقين- أكثر من 120 حديثاً يرى وجوب تطهير صحح البخاري منها.

3- وجاء بعد هؤلاء كثير تنتشر طعوناتهم المختلفة في السنة النبوية؟كالغزالي وغيره.

خامساً: الرافضة المعاصرون والخوارج المعاصرون:

لم تتغير آراؤهم ومواقفهم من السنة. فالرافضة تابعوا أسلافهم وربما زادوا عليها في طعونهم في السنة،والخوارج الأباضية ردوا أحاديث الرؤية المتواترة،وأحاديث الشفاعة وخروج الموحدين من النار،بناء على مخالفتها لأصولهم العقدية المنحرفة.

الموقف من أعداء السنة:

ا- كشف أمرهم وفضحهم.

2- العناية بالسنة والاهتمام بنشرها.

3- تربية الأمة على احترام الرسول صلى الله عليه وسلم وتوقيره.

4- الاحتساب على كل متنقصي الرسول صلى الله عليه وسلم أو طاعن في السنة وعدم التساهل معهم.

5- الدعوة إلى تطبيق السنة في حياة الأمة أفراداً وأسراً ومجتمعاتٍ ودولاً.

والحمد لله أنه لا تخلو الأمة في كل عصر – ومنه عصرنا هذا– ممن يدافع عن السنة وينشر مخطوطاتها، ويعمل على خدمتها جمعاً وتحقيقاً وتخريجاً وشرحاً ورداً على خصومها وفضحاً لهم.

==============

الغزو الفكري وآثاره على الأفراد والمجتمعات 1 / 2

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ أما بعد :

فمنذ أشرقت شمس الإسلام وأعداؤه يكيدون له المؤامرة تلو المؤامرة ، فاستخدموا كثيراً من الوسائل ونوعوا العديد من الخطط ، فتارة بالقوة ، وتارة بالحيلة ، نجحوا أحياناً وفشلوا أحياناً أخرى ، وهكذا الصراع بين الحق والباطل.

وعصرنا الحاضر ما هو إلا حلقة في سلسلة التداول بين الإسلام وأعدائه ؛ إلا أن الأعداء هذه المرة ابتكروا أسلوباً جديداً ؛ حيث ابتعدوا عن الاعتماد على القوة وحدها ولجأوا إلى محاربة الإسلام بالفكر فكان ما يسمى بالغزو الفكري .

ولا شك أن لهذا الغزو الجديد خطورته ووسائله ، وله أهدافه و آثاره ، مما جعل الغيورين من أبناء المسلمين يتنادون بوجوب مجابهته ومحاربته ، وكشف زيفه وبيان مغازيه .

ومن المحاولات الرامية إلى مواجهة هذا الغزو عقد الندوات والمؤتمرات والمحاضرات الإرشادية ، وكتابة الكتب والمقالات ومنها هذه المقالات والتي هي بعنوان (الغزو الفكري وآثاره) .

أولا: تعريف الغزو الفكري :

الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام مما يتعلق بالعقيدة , وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط سلوك [1].

فالغزو الفكري إذاً مجموعة من المعتقدات والأفكار التي تدخل على الفكر الإسلامي هدفها السيطرة على هذا الفكر أو على الأقل حرفه عن وجهته الصحيحة.

نشأة الغزو الفكري:

بعد فشل الحروب الصليبية وعدم استطاعة الصليبين السيطرة على المسلمين بالوسائل العسكرية تنادى مفكروهم وقوادهم إلى ضرورة استحداث أسلوب آخر يكفل لهم تحقيق أهدافهم, فكان هذا الأسلوب المطلوب هو الغزو الفكري.

يقول لويس التاسع ملك فرنسا بعد أن وقع في الأسر وبقي سجيناً في المنصورة يقول(إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده, فقد هزمتم أمامهم في معركة السلاح ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم) [2].

وبالفعل بدأت الحملات الصليبية ولكن هذا المرة عن طريق الفكر وبالفكر, واستخدمت الوسائل المتعددة والأساليب الكثيرة لتحقيق ما يريدون, سواء كان ذلك عن طريق الوسائل التعليمية أو عن طريق الوسائل الاقتصادية أو عن طريق الوسائل الاجتماعية أو عن طريق الوسائل السياسية, مما سيأتي الكلام عنه مفصلا عند الكلام على وسائل الغزو الفكري.

ثانياً: أهداف الغزو الفكري:

- السيطرة السياسية على بلاد المسلمين:

قد ذكرت أن نشأة الغزو الفكري كان بعد فشل السيطرة العسكرية, فحتى يتم لهم ما يريدون من الاستيلاء على البلاد الإسلامية بدأوا بالغزو الفكري.

والسيطرة السياسية تنقسم إلى قسمين أو يمكن أن تأتى على وجهتين:

الوجهة الأولى:

الاحتلال المباشر لبلاد المسلمين كما حصل في وقت ما يسمى بالاستعمار, حيث تدخل الجيوش الغازية إلى البلد المسلم, وتبسط نفوذها عليه, كالاستعمار البرتغالي لمنطقة الخليج ثم انحساره عنها ليحل محله الاستعمار الهولندي ثم الاستعمار البريطاني, وكان هذا الاستعمار يهدف في ما يهدف إليه إعطاء الغطاء السياسي اللازم لحركات الغزو الفكري.

الوجهة الثانية:

الاحتلال غير المباشر لبلاد المسلمين بأن يجعلوا من حكامها تابعين لهم لا يخرجون عن أرادتهم وطوعهم ولا ينفذون إلا ما يريدون, وقد حدث هذا بعد خروج المحتل ولكنه أبقى نفوذه ووصايته, فبعد اكتشاف النفط في دول الخليج بادرت بريطانيا إلى

اخذ التعهدات من حكام تلك الدول ألا يمنحوا امتياز التنقيب عن النفط لشركات أو أشخاص دون مشورتها([3]).

- الاستغلال الاقتصادي:

لا تقوم البلدان إلا على اقتصاد قوي, والاقتصاد يحتاج إلى موارد اقتصادية, وبلدان العالم الإسلامي في الغالب تحتوي على موارد اقتصادية هائلة سال لها لعاب الدول الغربية مما جعلها تحاول جاهدة استغلال هذه الموارد, فكان في بداية الأمر أن فرضت الدول المستعمرة شروطا واتفاقيات تبيح لها التصرف في ثروات الشعوب الإسلامية سواء كانت هذه الاتفاقيات مفروضة بالقوة أو كانت بقوة غير مباشرة كمعاهدات الحماية بأن تتعهد الدولة القوية بحماية الدولة المسلمة الضعيفة مقابل ابتزازها اقتصادياً, ولأن القوة ربما تولد القوة والهجوم يولد الدفاع, لذا رأت الدول القوية أن منطق القوة قد لا يستمر لها وأن الدولة المسلمة ربما أفاقت وقاومت, لذا لجأت هذه القوى إلى الغزو الفكري الذي يحقق لهم ما يريدون دون إثارة حفيظة المسلمين وحنقهم.

- إبعاد المسلمين عن مصدر قوتهم وعزتهم:

أدرك الغزاه أن المسلمين وإن كانوا في ضعف وهوان وتشتت وانقسام إلا أنهم يملكون سلاحاً قوياً يستطيعون به الانتصار على عدوهم متى ما استخدموه لذا حرصوا اشد الحرص على إبعادهم عن هذا السلاح وعن مصدر قوتهم, فبدءوا بمحاربة العقيدة الإسلامية ومحاولة إبعادها عن حياة المسلمين, لا عن طريق ذمها في البداية وبشكل مباشر فهذا يثير المسلمين عليهم ويرجع المسلمين إلى عقيدهم, ولكن عن طريق دس السم في العسل كما يقال, وبطرق ملتوية غير مباشرة, فحاولوا التشكيك في العقيدة أو في جوانب منها فإن لم ينجحوا في ذلك فعلى الأقل عملوا على زعزعة ثقة بعض المسلمين بعقيدتهم.

وقد لجأوا في ذلك إلى أساليب كثيرة أحيانا تحت مسمى التدرج وعدم التعصب وأحيانا تحت مسمى البحث العلمي وأحيانا تحت مسمى التقارب العقدي للأديان وهكذا,,,,

وسيأتي الكلام عن الأساليب التي اتخذوها.

ثالثاً: وسائل الغزو الفكري:

- التدخل في مناهج التعليم:

من أخطر وسائل الغزو الفكري, لأنه على مناهج التعليم يتربى الجيل, ومناهج التعليم على قسمين:

القسم الأول:

قسم تتولى الدولة وضعه أو بمعنى آخر يضعه أناس ولكن تحت إشراف الدولة, ويتم الغزو الفكري في هذا القسم بما يبذله العلمانيون من جهد في تغيير المناهج ولهم في ذلك أساليب ووسائل يخادعون بها دولتهم ومجتمعهم, حتى يتم لهم ما يريدون, يقدمون التقارير ونتائج الندوات والمؤتمرات المبرمجة سلفاً لشيء معين وكلها تنصب في ضرورة التغيير, وأن المناهج الحالية لا تلبي حاجة المجتمع أو حاجة السوق كما يعبر عنه أحيانا, وأحيانا تتهم أنها سبب في توليد الإرهاب, وأنها تنمي الكراهة والبغض عند الطلاب ضد الكفار, الذين اصبحوا أصدقاء وأعوان, وهكذا, ولا بأس إذا أرادوا شيئاً معيناً أن يحركوا بعض الصحفيين ليكتبوا في الصحف عن ضرورة التغيير وعن حاجة المجتمع, وعن عدم قدرة المناهج الموجودة على مواكبة العصر.

وأحياناً يمكن أن يكون الغزو في هذا القسم تحت ضغوط مباشرة من الغزاة الحقيقيين, ويستخدمون لهذه الضغوط وسائل متعددة ليس المجال مجال ذكرها.

- القسم الثاني:

قسم لا تتولى الدولة وضعه ، وإشرافها عليه غير مباشر, وهذا يتمثل في الجامعات, وبعض المدارس الخاصة والمدارس الأجنبية.

ويتم الغزو الفكري فيها باختيار مناهج تضعف فيها المواد الدينية ويركز على غيرها, ثم هذه المواد تدرس بعيداً عن الدين, وربما كان فيها من الانحراف الفكري ما يشوش على أفكار الطالب ، وربما درست نظريات وأفكار لعلماء غربيين مليئة بالانحراف, دع عنك النظريات العلمية في مواد العلوم الطبيعية كما تسمى, وإنما نقصد العلوم الاجتماعية, كعلم الاجتماع ، و علم النفس, وغيرهما.

وربما درست للطلاب أشياء مخالفة للدين فيدرس الربا على أنه فوائد ، ويدرسون كيفية حساب الفائدة, حتى إنه يلقى في روع الطالب أن الاقتصاد لا يقوم إلا على الربا.

وربما يوكل للأستاذ الجامعي وضع المنهج وقد لا يكون على مستوى المسؤولية.

- المدارس الخاصة والأجنبية ، ومنها الجامعات الغربية المقامة في بلاد المسلمين : وذلك لأنها لا تخضع في مناهجها ومدرسيها للدولة بشكل مباشر, وبالتالي تكون مجالاً خصباً لبث ما يريدون, كما أن هذه المدارس قد تتعدد فيها الديانات ولاسيما المدارس الأجنبية مما يخفي عند الطالب المسلم عقيدة الولاء والبراء أو يضعفها ؛ لأنه يرى أستاذه نصرانياً وزميله كذلك وهو يعاشرهم ويعيش معهم مما يضعف البراء من الكفار.

كما أن هذه المدارس ربما تمارس أنشطة غير منهجية فيها مخالفات للدين.

من أخطر آثار هذه المدارس أنها تجذب الأنظار إليها بما تملكه من وسائل تعليمية عالية, وبما تتمتع به من تنظيم إداري فائق, كما أنها تهتم باللغات الأخرى ، مما يجعلها محط أنظار فئات خاصة من المجتمع, هذه الفئات تتخرج من هذه المدارس لتتولى المناصب في مجتمعاتهم ، مما يجعلهم سنداً بعد ذلك لقادة الغزو الفكري.

- تقليل الاهتمام بمواد الدين:

ويتم ذلك بما يلي:

- تقليصها في الجدول الدراسي.
- دعوى صعوبتها, وصعوبة فهمها.
- جعلها في آخر الجدول اليومي, مما يجعلها في وقت تعب وملل.
- التقليل من شأن مدرسها.
- دعوى أنها لا تلبي حاجة المجتمع.
- دعوى أن الطالب ربما يستفيدها من خارج المدرسة.
- جعلها مادة لا يترتب عليها نجاح الطالب, وإنما للفائدة فقط.
- جمع مواد الدينية كلها تحت مسمى واحد كأن تسمى مادة الثقافة الإسلامية مثلاً, أو مادة إسلامية, أو دين أو تربية إسلامية وهكذا.

- حصر الدين في المواد الشرعية وإخراج العلوم الأخرى كالاقتصاد والاجتماع وعلم النفس و العلوم الإدارية والعلوم التطبيقية.

- تدريس المواد غير الشرعية بعيداً عن الدين فالاقتصاد بعيد عن الإسلام أو فيه مخالفات شرعية كثيرة, وعلم الاجتماع كذلك , وعلم النفس كذلك , والعلوم التطبيقية لا تربط بقدرة الله ، وإنما الطبيعة هي كل شيئ ..

- تقسيم المدارس أو التخصصات إلى دينية وغيرها مما يولد الشعور عند الطالب أن الدين لا يصلح في التخصصات الأخرى.

- تهيئة الفرص الوظيفة لخريجي الأقسام غير الشرعية, وتقليل هذه الفرص بالنسبة لخريجي الأقسام الشرعية, مما يجعل الطالب لا يحرص على دخول هذه الأقسام.

- هدم اللغة العربية: ويتم هذا بما يلي:

- الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية بدعوى أن الحركات لا تكتب.

- الدعوة إلى العامية والبعد عن الفصحى.

- دعوى صعوبة اللغة العربية وعدم قدرة النشء على تعلمها.

- الدعوة إلى تعلم اللغات الأجنبية, وربما للصغار مما يفسد لغتهم الأصلية.

- تشويه التاريخ الإسلامي: ويتم هذا بما يلي:

- تصوير أن الإسلام لم يعش إلا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين, وما بعده انحرف المسلمون عن الإسلام.

- إبراز مظاهر الانحراف التي حدثت في عصور الإسلام, وجعلها هي الأصل والأساس ، وبالذات الانحرافات السياسية.

- إلصاق التهم السيئة بنوايا الفاتحين, وبنوايا المصلحين ، كاتهام الفتوحات الإسلامية بأنها نوع من الاستعمار.

- تمثيل المواقف الإسلامية أو المعارك بتشويه متعمد, فهذا القائد يحب ابنة الخصم أو يحب أخرى ، وعلاقات الحب تمثل مع عدم وجود مستند تاريخي لها ، وكتابات جورجي زيدان في التاريخ الإسلامي شاهد على ذلك.

- الاختلاط:

وهذا يكون في مسلك التعليم وفي غيرة, فأما في التعليم فيتم في البداية في الروضة ، وفي المختبرات في الجامعات ونحوها ، ثم في المراحل الأولية من الدراسة الابتدائية ، ثم يتطور بعد ذلك إلى ما هو أكثر.

هذا في المدارس الحكومية وأما المدارس الأجنبية فالأمر مختلف فالاختلاط فيها ظاهر سواء بين الطلاب والطالبات أو بين المدرسين والطالبات أو بين المدرسات والطلاب أو بين المدرسين والمدرسات.

وأما غير التعليم فالاختلاط يكون في المستشفيات ، وفي الحدائق ، وفي مطاعم العوائل ، وفي الأسواق ، وفي المنتزهات وغيرها.

- الابتعاث:

ويعني إرسال أولاد المسلمين إلى البلاد الكافرة للتعلم هناك وهذا قد تضطر له الدول الإسلامية لتتعلم العلوم التي سبقتنا فيها البلاد الكافرة, ولكن الإشكال حينما يفتح الابتعاث على مصراعيه لكل أحد ، وبدون ضوابط ولا عوامل حماية للمبتعثين, فيذهب المبتعث ويرجع بفكر غير الذي ذهب به.

- الدعوة إلى تعلم اللغة خلال الصيف في مدارسهم ومعاهدهم في بلادهم الكافرة, فيذهب الشاب إلى هناك ، وربما سكن مع عائلة كافرة ، مما يجعل فرصة تأثره بأفكارهم ومعتقداتهم سانحة, وربما احتقر بلاده وتعاليم دينه.

- نشر الأفكار الهدامة التي تدعو إليها بعض المؤتمرات والمنظمات والجمعيات العالمية.

- الحديث عن أعيادهم ، ونشر ما يحدث فيها كعيد الميلاد وعيد الحب.

- الدعوات إلى الفرق والأديان الباطلة.

- زعم التقريب بين الأديان, والدعوة إلى الندوات والمحاضرات والمؤتمرات لمناقشة هذه القضية.

- محاولة نشر الكتب أو الكتيبات أو النشرات التي تدعو إلى أديان باطلة أو تشكك في الدين الإسلامي.

- الدخول من باب الأدب لحرف الفكر الإسلامي, فتارة عن طريق الحداثة ، وتارة عن طريق القصص الغرامية, وتارة عن طريق فكر مخالف للدين بدعوى الحرية الفكرية.

- نشر الأدبيات المنحرفة وتمجيد أصحابها, سواء كان عن طريق القصة أو الشعر أو غيرها, وكتاب في جريدة شاهد على ذلك.

- ترجمة غير المفيد من اللغات الأخرى فلا تترجم الكتب العلمية المفيدة و إنما تترجم الغراميات ، أو التي تحمل الأفكار العلمانية أو الإلحادية.

- استغلال الإذاعة أو التلفزيون أو القناة الفضائية لبث الأفكار التي يريدون.

- استغلال العادات والتقاليد:

ويتم عن طريقين:

أ- استغلال واقع خاطئ يعيشه المجتمع المسلم أفرزته العادات والتقاليد البعيدة عن الإسلام, فيقوم هؤلاء باستغلال هذا الوضع ويهاجمونه هجوماً شديداً لا لرد الناس إلى الحق ولكن للشطوح بهم بعيداً عن الدين.

- الطريق الثاني:

الحرص على جعل تعاليم الإسلام عادات وتقاليد مما يهون من شأنها ويسهل تركها, كالحجاب مثلاً.

- إفساد المرأة:

والدعوة إلى تغريبها وسفورها واختلاطها ، ولهم في ذلك طرق كثيرة ودعوات مغرضة ؛ لأنهم يعرفون أهمية المرأة ودورها في المجتمع.

- استغلال النكبات في العالم الإسلامي بدعوى تقديم العون للمنكوبين المحتاجين ، وهم في الحقيقة لا يقدمون العون إلا مع تقديم أفكارهم ومعتقداتهم.

- السيطرة على مصارف النقد ومحاربة الاقتصاد الإسلامي لإضعاف المسلمين ، وبالتالي السيطرة عليهم.

- تكثيف الدراسات الاستشراقية ، والاهتمام بها ؛ لتسهل السيطرة على العالم الإسلامي .

- القيام بالعمليات التنصيرية ، ورصد الأموال الطائلة ، والجهود الكبيرة لإنجاحها .

- اختراع مصطلح العولمة لإذابة الفكر الإسلامي ، بل ليس سراً أن نقول إن العولمة هو المصطلح الجديد للغزو الفكري .

- الضغوط الخارجية على الحكومات المسلمة لئلا تقف في وجه الغزو الفكري.

- الدعم السياسي للغزاة المحليين ممن هم على شاكلتهم, ولذا ليس سراً صلة حركات التغريب بالاستعمار وبالدول الكافرة بعد الاستعمار.

1 واقعنا المعاصر ص195.

2 المرجع السابق ص196.

3 الخليج العربي دراسة في الجغرافيا السياسية ص281.

===============

مناهضة الفكر الاستشراقي

الثلاثاء:2004/08/24

(الشبكة الإسلامية)

علم الاستشراق يحتاج إلى تصدي

مثَّل الاستشراق، ولا يزال يمثل، تحدياً صارخاً أمام الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية، ونحن .كما ذكرنا في المقال السابق بعنوان "الفكر الاستشراقي.. وأثره على الدعوة" أمام هذا التحدي لا يكفي فقط أن نبدي الغضب والاحتجاج، الأمر الذي يعيبه علينا المستشرقون، بل ينبغي علينا أن نأخذ الأمر مأخذ الجد ونرد الصاع بالصاعين، وفي هذا أظننا بحاجة إلى أن نعمل في مسارين اثنين في آن واحد:

الأول: تنقية الذاكرة الغربية من مخلفات استشراق القرون الوسطى والتي تثبط همم الغربيين عن دراسة الإسلام ومبادئه.

والثاني: مناهضة المستشرقين أنفسهم مناهضة جادة وشاملة حتى يتهدم بنيان أفكارهم هدماً كاملاً ، بحيث لا يجد طريقاً للنهوض مرة أخرى .

ففي إطار الأمر الأول لا أظن أنه يكفي فيه مجرد الردود الكتابية، إذ إن مثل هذه الردود بذل الكثيرون فيها إلى اليوم مجهوداً مشكوراً ولكن رغم ذلك لازالت آثار الموقف المجافي للحقيقة، والذي ولدته كتابات العصور الوسطى في أوروبا، قائمة.

أما السبب في هذا الإخفاق في إزالة المفتريات الاستشراقية فأظن أنه يكمن في عزوف الإنسان الغربي عن قراءة الموضوعات الدينية وعن الاهتمام بكل ما هو ميتافيزيقي، بعد انتشار الفكر الإلحادي الذي ألقى الأديان كلها، من غير استثناء ، في سلة المهملات، فالبحوث الدينية التي ألفت في هذه الفترة، سواء أكانت تتعلق بالإسلام أم المسيحية أم غيرهما من الأديان لم تلق آذاناً صاغية في المجتمع الغربي، فلم يقرأها إلا العدد القليل؛ مما جعل الرؤى الاستشراقية عن الإسلام تظل باقية كعادتها في عقول الغالبية العظمى من الأوروبيين الذين يرثون تلك الرؤى خلفاً عن سلف.

بل الحال، كما أعتقد، يكمن- بالإضافة إلى إعداد كتب جيدة تعرض الإسلام بصورة موضوعية وتناقش المفتريات الاستشراقية بصورة علمية رصينة -في تحريك العمل الدعوى في العالم الغربي على نطاق أوسع بحيث لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا وقد طرقنا بابه ووضحنا لأصحابه حقيقة الإسلام والصورة الصحيحة التي كانت عليها حياة نبي الإسلام، وقبل هذا وذاك أن نخلق في الوعي الغربي أهمية التدين بإزالة ما به من شبهات إلحادية وتساؤلات لا دينية وذلك حتى ينصت الغربيون إلينا فيستمعوا إلى ما نود قوله بقلوب يقظة وعقول منتبهة.

أما في نطاق الأمر الثاني، وهو مناهضة المستشرقين وهدم بنيان أفكارهم، فينبغي علينا أن نضع في الاعتبار بأن أزمة الاستشراق هي أزمة المناهج، وليست أزمة التطبيق، أي أن المستشرقين بعد عصر النهضة بدؤوا يخضعون مصادر الإسلام – كما أسلفت ذكره – لقواعد المنهج الفيولوجي والتاريخي وعلوم الإنسان الاجتماع وكلها بمفاهيم غربية، مما جعل حقائق الإسلام تظهر في غير ثوبها بل تصبح مشوهة المظهر ، مبتورة الأطراف.

فالخطأ إذن، يكمن في مناهج البحث أو في طريقة توظيف تلك المناهج في سبيل الوصول، إلى أهداف معينة، مما يحتم علينا إذا أردنا مناهضة الاستشراق حقاً وحقيقة أن نغربل تلك المناهج غربلة دقيقة وأن نشير إلى مكامن الخطأ فيها، وأن نبرز كيف أن تلك المناهج استغلت استغلالاً مجحفاً في سبيل الوصول إلى مآرب معينة، فعلى سبيل المثال استغل طه حسين- المنهج التاريخي والفيلولوجي في

إبطال صحة الشعر الجاهلي ، بينما أثبت ناصر الدين الأسد، وباستخدام المناهج عينها صحة الشعر الجاهلي، مما يدل على أن الخطأ قد يكمن في طريقة توظيف واستغلال منهج ما وليس في المنهج عينة.

وأظن أن إبراز أخطاء المستشرقين في استخدام المناهج ثم إظهار الفكر الإسلامي وفقاً لمعايير المناهج المتقدمة ليس من الأمر المستحيل، غير أنه يبدو أننا في حين معارضة الاستشراق قد صرفنا معظم طاقاتنا في نقد التطبيقات الاستشراقية واكتفينا في حين تقديم الإسلام بالتزمت عند مناهج ينظر إليها المستشرقون نظرة الازدراء و يطلقون عليها بأنها (بالية) و(لا تاريخية)، وهناك بعض المستشرقين ممن لا يكتفون بهذا فقط بل يذهبون إلى أبعد من ذلك فيرفضون أن تكون لدينا مناهج معاصرة أصلا، فهذا المستشرق المعاصر "فرنسيسكو غابريلي" يقول بعد أن تبجح بما لديهم من المنهجيات والأدوات: (لا ينبغي على أصدقائنا الشرقيين أن يطلبوا منا دراسة ماضيهم وحاضرهم على ضوء علم التاريخ الحديث الشرقي، أو الفلسفة الحديثة الشرقية، أو علم الجمال أو علم الاقتصاد الشرقي، لماذا ؟ لسبب بسيط هو أن ذلك غير موجود حتى الآن)!!

تطوير مناهج البحث

فنحن، إذن، بحاجة إلى تطوير المناهج الموجودة أصلاً في تراثنا الغني، وكل ما نحتاج إليه هو إعادة إبراز تلك المناهج بقوالب معاصرة، وخلع الهيبة الأكاديمية الحديثة عليها، فما يتبجح به الغربيون من المناهج ليس إلا اقتباسات مما أبدعه العلماء العرب والمسلمون من المناهج في عصور الازدهار العلمي الإسلامي، فكل ما فعلوه هو تطوير تلك المناهج وإحداث بعض تعديلات طفيفة حتى يتساوق مع النسق الغربي في التكفير والتأمل ثم تجربة تلك المناهج في مجالات أوسع كما اقتضته طبيعة العصر.

فمسألة تطوير المناهج لكي تواكب مصطلحات العصر ليس من الأمر المستحيل، وأقل ما يمكن فعله في هذا الإطار هو القيام بعملية الغربلة والانتقاء، وإعادة صياغة ما يتوافر لدى الغرب من مناهج البحث والتفكير وفقاً للتوجهات والمفاهيم الإسلامية ثم قولبة الفكر الإسلامي وفقاً لخطوات ومصطلحات تلك المناهج الحديثة، وبهذه

الصورة أظننا نستطيع أن نقف في وجه المستشرقين ونبطل ما يبدونه من عنهجية ويمارسونه من تطفل وتشويش على الفكر الإسلامي النقي الذي هم بعيدون عن كل البعد، قلباً وقالباً.

إنشاء علم الاستغراب

وأمر آخر ينبغي فعله في إطار مناهضة الاستشراق وهو إنشاء علم (الاستغراب) في جامعاتنا ومعاهدنا المتخصصة بغية استيعاب الغرب واحتواء توجهاته وميوله الفكرية وكذلك كشف البنية التحتية للعقلية الغربية حتى تكون مناهضتنا للغرب والاستشراق الغربي متسمة بالدقة والإتقان ويكون خطابنا وردودنا نابعة عن موقف المسؤولية العقلية والنضج الثقافي وعلى مستوى الوعي الغربي والعقلية الغربية، ولعل إدوارد سعيد يمثل معلماً رائعاً في هذا الطريق.. فالرجل عربي فلسطيني حاول استيعاب الغرب وتوجهاته الاستشراقية استيعاباً أقل ما يمكن وصفه بأنه يتصف بكثير من الجدية والإتقان ، ثم هو بحكم معايشته الغربيين لمدة طويلة أتقن أسلوب مخاطبة العقلية الغربية مما جعل كتابه الذي أصدره عام 1978 ميلادي (بالإنجليزية) متناولاً فيه موضوع الاستشراق يحدث دوياً كبيراً في الساحة الثقافية الغربية بصورة عامة وفي محيط الاستشراق بصورة خاصة، وأظن أننا لو سرنا على خطى إدوارد سعيد وأسسنا دوائر متخصصة لإنجاز مثل هذه الأعمال فإننا سنحقق الكثير في سبيل الرد على التحدي الاستشراقي بجدارة وإتقان.

———

الدعوة إلى الله: "محمد شمس الحق"

==============

الفكر الاستشراقي.. وأثره على الدعوة

الثلاثاء:2004/08/17

(الشبكة الإسلامية)

مما لا شك فيه أن الاستشراق منذ نشأته في أوروبا القرون الوسطى، قد عمل جاهداً على مقاومة الدعوة الإسلامية وهدم قيم الإسلام وأسسه الفكرية وذلك عن طريق تشويه صورة الإسلام بمفتريات وأكاذيب تمجها الآذان وتتقزز منها المشاعر، وكانت

معظم هذه المفتريات ينصب بالدرجة الأولى على شخصية نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم بسبب يقين المستشرقين بأنه صلى الله عليه وسلم يمثل الأساس في الرسالة الإسلامية، إذ إنه هو الذي بلغ الإسلام عن الله، وامتثله في نفسه وكوَّن أمة عظيمة على عاتقه.فإذا استطاعوا إلقاء أغشية على شخصيته فإن ذلك سيكفل لهم عدم انتشار رسالته ثم إدخال كثير من الريب والشكوك في قلوب الذين اتبعوه وآمنوه به.

ومن ثمَّ قالوا عن نبي الإسلام الطاهر، الصادق الأمين، بأنه كان رديء الولادة والسمعة وأنه عاش بربرياً بين برابرة، وثنياً بين وثنيين، وأنه تعلم ما نشره من الدين من راهب فر إلى الجزيرة العربية واسمه "سيرجونز" الذي اعتقد محمد أنه الملك ((جبريل))، وأنه كان ذا شهوات جامحة، متعجرفاً في الحياة وأنه قبل الوفاة حاول أن يعمِّد نفسه ولكن الشياطين منعته من ذلك!! وعندما مات أكلته الخنازير التي تعتبر من الحيوانات القذرة.

بالإضافة إلى هذه الادعاءات الكاذبة التي افتراها مستشرقو القرون الوسطى على أعظم شخصية في التاريخ وأكثرها عفة وطهراً، اخترع المستشرقون مفتريات أخرى حاولوا أن يصِمُوا بها أقدس جماعة بشرية في التاريخ كله، الصحابة الكرام وكذلك المسلمين بصورة عامة، فقد قالوا عن الصحابة بأنهم: (زمرة من منتهكي الحرمات المقدسة، وقطاع الطرق والسالبين، والقتلة واللصوص)، وقالوا عن المسلمين بصورة عامة بأن سبب إسلامهم:

1- إما أنهم خدعوا بالشيطان بسبب سذاجتهم .

2- أو حذوا حذو أقربائهم ولو قاد ذلك إلى الخطأ.

3- أو للحصول على المنافع المادية.

وقالوا عن المسلمين أيضا بأنهم يعبدون محمداً في المساجد، وأنهم شعوب ينتمون أساساً إلى السيف.

أما عن الإسلام فقد قالوا عنه بأنه (مجموعة من العقائد المسيحية واليهودية والوثنية)، وأن العنف من مكوناته، وأنه لا يقبل الخلاف العقلاني، وأنه رمز للتعصب واللاإنسانية وأنه منبع المبالغات والانحرافات في أنظمة الفكر.

وقالوا عن القرآن الكريم بأنه غير منطقي وغير معزز بالمعجزات.

هذه بعض النماذج من الإفك الأثيم الذي أنتجه الفكر الاستشراقي وروجه في عرض العالم الغربي وطوله منذ العصور الوسطى. وإذا كان هذا الإفك الاستشراقي لم ينجح في طمس معالم الإسلام وزعزعة أركانه إلا أنه نجح إلى حد كبير في وقف أو على الأقل إبطاء انتشاره في العالم الغربي المسيحي على وجه الخصوص، إذ إن الإنسان الغربي كلما كانت تطرق إذنه لفظة الإسلام أو ما أسموه بـ (المحمدية) فإن تلك الصور البشعة والمرعبة كانت تتمثل أمام ناظريه، فيفر من الإسلام فرار الظبي من الأسد، ولا شك أن كثيراً من هذه الصور لا تزال عالقة في العقل الأوروبي إلى اليوم مما يجعله ينظر إلى الإسلام بكثير من الشك والريب والتوجس.

انعطافة في الفكر الاستشراقي

وإذا كان استشراق القرون الوسطى قد مارس هذا النوع المخزي من الهجوم ضد الإسلام بهدف حماية المسيحيين من التأثير الإسلامي – بسبب ما كان يجسده في تلك الفترة من قوة تبشيرية عارمة – ثم محاولة جعل المسلمين يعتنقون الإسلام فإن الاستشراق في نهاية القرون الوسطى قد أخذ ينحو منحى أخر. فقد أصبح الأوروبيون أكثر تقدماً في مجال الفلسفة والطب والعلوم الأخرى بعد أن كان المسلمون أساتذتهم فيها، وبدا لهم أن تحويل المسلمين عن دينهم لكي يعتنقوا المسيحية بهذا الأسلوب العنيف شيء مستحيل.

من هنا أصبحت تلك الخطابات الاستشراقية العنيفة في طور الانحدار والأفول، لتتخذ مكانها ممارسات استشراقية أقل عنفاً وأكثر ذكاء، ولعل عصر النهضة قد قدم للاستشراق آليات جديدة لممارسة المماحكات الهجومية المخفية والمختبئة خلف الجهاز الأكاديمي الثقيل، فقد قدم عصر النهضة التقنيات الفيلولوجية التي تم بلورتها من أجل دراسة النصوص اللاتينية والإغريقية والعبرية، كما قدم أنواعاً أخرى من المناهج في مجال البحث والدراسة والتي من أهمها منهج البحث التاريخي الذي تبلورت صورته الغربية على حساب خروج الغرب كلياً من الدوغماتية الدينية (ولم يخرج منها فقط بعض الأفراد أو بعض التيارات وإنما مجمل الأوساط العلمية بمن فيهم أعضاؤها المؤمنون أنفسهم) لقد انخرطوا جميعاً على طريق البحث الذي يحيد

تدخل الله في التاريخ ومسيرة المجتمعات وآليات مسيرتها، فأصبحوا يدرسون النصوص والقصص المقدسة عن طريق استبعاد أية سببية غير السببية المرتكزة على القوانين المشتركة لحركية المجتمعات البشرية أي أن دراسة الدين أصحبت تتم بعيداً عن فكرة الوحي، بل باعتبار أنه ظاهرة من الظواهر الاجتماعية التي تولدت بسبب عوامل اجتماعية وتاريخية.

الاستشراق الحاضر

وإذا غضضنا الطرف عن الصورة الاستشراقية الماضية ونظرنا إلى أيامنا الحاضرة فإننا نرى فيها منحى استشراقياً آخر للنيل من الإسلام وهدم أسسه، فكما هو معروف أن الاهتمام بالإسلام قد زاد في الغرب بصورة منقطعة النظير بعد الثورة الإيرانية عام 1979 ميلادي، فقد تكاثرت المقالات والبرامج الإذاعية والتلفزيونية وحملت معظمها في طياتها الغش والخداع والأخطاء مما جعل المعلومات الخاطئة تنتشر في كل مكان وكما يقول مكسم رودنسون فإن (مجمل صورة عالم الإسلام قد شوهت من خلال منظور مشوه إلى حد كبير) والسبب في ذلك ، على حد اعتقاد "مكسيم رودنسون"، هو التقدم الهائل في مجال وسائل الإعلام الجماهيري الذي استثار شهية الكثيرين، لكي يكتبوا عن الإسلام والعالم الإسلامي على الرغم من أنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء اكتساب الكفاءة العلمية التي تتطلب وقتاً طويلاً وتحضيراً حقيقياً، وقد أطلق عليهم "رودنسون" بأنهم طفيليون (الذين يتطفلون على العلم تطفلاً ويحدثونك موضوع الإسلام والعرب إلخ ... وكأنهم عارفون).

وخلاصة القول أن الاستشراق سواء بصورته القديمة أو الذي ظهر بعد عصر النهضة أو ذلك الذي نعايشه اليوم عمل على تشويه الإسلام وهدم مرتكزات المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية بصورة لا هوادة فيها، وقد اشترك في هذا العمل جيش عرمرم من المستشرقين الذين لا يسعني أن استثني منهم إلا عدداً ضئيلاً، وحتى أولئك الذين أعدوا المعجم المفهرس لألفاظ الحديث وألفاظ القرآن وأولئك الذين فهرسوا المخطوطات العربية وحققوا كثيراً منها وأظهروها إلى النور نكون مخطئين إذا اعتبرناهم ممن خدموا العلم وأنهم أرادوا خدمة الإسلام والمسلمين بنية خالصة، لا والله لم يكونوا ممن يحملون مثل هذه الروح الخيرة التي يطيب لكثير منا أن يتصورها

فيهم، بل إنهم عكس ذلك كانوا يريدون من خلال ما قاموا به من أعمال الفهرسة وطباعة المخطوطات وغيرها هو تسهيل عملية تداول الكتب الشرقية وتيسير الاطلاع على محتوياتها حتى يتمكن الرجل الغربي أن يستوعب الشرق وينفذ إلى أعماقه بسهولة ويسر. هذا ما نتأكد منه من خلال ما قال "جون مول" عام 1841 ميلادي بأنه (مهما كررنا وأعدنا فإننا لا نكرر بما فيه الكفاية أن طبع المخطوطات الشرقية الأهم هو الحاجة الأكبر والأكثر ضغطاً وإلحاحاً بالنسبة لدراساتنا، وبعد أن يكون العمل النقدي للعلماء قد مر على الأدبيات الشرقية، وبعد أن تكون الطباعة قد سهلت عملية تداول الكتب بعد ذلك فقط يمكن للعقل الأوروبي أن ينفذ فعلاً إلى أعماق الشرق) وكذلك من خلال ما قاله المستشرق المعاصر "مكسيم رودنسون" عن الفهارس البيلوغرافية والجداول الإحصائية، والقواميس وكتب النحو وغيرها، والتي تعب المستشرقون الأوائل في إعدادها، يقول عنها: (إنه لتدريب طويل وصعب ويستحق الإعجاب على كل حال، فنحن الذين نصرف كل هذا الوقت والعناء لجمع المعلومات التفصيلية المتراكمة منذ مائة وخمسين عاماً، في كتب متوافرة على طاولتنا، لا يمكننا إلا أن نشعر بالإعجاب والإكبار أمام "سيلفستر دوساسي" الذي كان مضطراً للبحث عنها في مخطوطات المكتبة الوطنية التي علاها الغبار، فهذه الكتب من تلك المخطوطات ولولا جهود المستشرقين الأوائل لما توافرت لدينا جاهزة). فالمجهود الاستشراقي المختص بالعالم الإسلامي، إذن ، في مجملة إلا ما شذ وندر، صرف ولا يزال يصرف، في سبيل مقاومة الدعوة الإسلامية وتحييد العالم الإسلامي من مواكبة تطورات العصر وبنائه.

وليس من شك في أن الاستشراق قد نجح في تحقيق بعض مستهدفاته على أصعدة مختلفة، فقد تمكن من جهة من إيقاف المد الإسلامي إلى الدول الغربية وذلك عن طريق ترويج تلك الصورة الشائبة عن الإسلام والتي اقتنع بها الإنسان الغربي مع مرور الأيام فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من الإرث الفكري الذي ينقله كل جيل إلى الذي يليه دونما وعي مما نجم عنه أن الإسلام أصبح أكثر الأديان كرهاً في المحيط الغربي، ومن جهة أخرى تمكن الاستشراق من زعزعة ثقة كثير من المسلمين بموثوقية مصادر دينهم وبإخلاص نبيهم، وذلك عن طريق إثارة الشبهات والشكوك

ومحاولة فهم النصوص المقدسة بوضعها في بعد بشري معزول عن أية علاقة بالوحي.

فالاستشراق، إذن ، قد مثل ولا يزال يمثل، تحدياً صارخاً أمام الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية، ونحن أمام هذا التحدي لا يكفي فقط أن نبدي الغضب والاحتجاج، الأمر الذي يعيبه علينا المستشرقون، بل ينبغي علينا أن نأخذ الأمر مأخذ الجد ونرد الصاع بالصاعين.. وهو ما تجده في المقال التالي بعنوان (مناهضة الفكر الاستشراقي).

ــــ

الدعوة إلى الله: "محمد شمس الحق"

=============

الاستشراق والإسلام بين الموضوعية والتزييف

الاربعاء:2003/08/13

(الشبكة الإسلامية) دمشق . غادة الجوابرة

أثارت الظاهرة الاستشراقية وما زالت تثير جدلاً حامياً بين مؤيديها ومعارضيها، بل إننا نستطيع الجزم بأنها أكثر المسائل إثارة للجدل والنقاش، وسوف تستمر هكذا ولأحقاب لاحقة، حتى يتم فهم هذه الظاهرة فهماً علمياً بعيداً عن التعصب والولاء.

وقد وجدت تعريفات عديدة تحدد مفهوم الاستشراق وتحاول أن تعطيه أبعاده، و نوه الشيخ بسام عجك إلى أن تعريف الاستشراق مجملاً " هو دراسات وأبحاث قام بها غربيون .. تهدف إلى دراسة العالم الشرقي ولاسيما الإسلامي، ديناً وتاريخياً وحضارة وعادات وشعوباً، بهدف فهم حقيقة الإسلام، وقد نشأت منذ أكثر من ألف سنة في العالم الغربي، ومازالت موجودة حتى يومنا هذا، إلا أنها في الفترات الأخيرة بدأت تأخذ أشكالاً أخرى في الظهور، باسم مستشارين اقتصاديين أو سياسيين أو لغويين يتبعون وزارات الخارجية والاقتصاد والمال والحربية في العالم الغربي، ومهمة هذه الدراسات فهم طبيعة العالم الإسلامي وتوجهات المسلمين، وذلك من أجل التعامل الغربي معهم".

بداية الاستشراق

ومعروف أن أول ترجمة غربية للقرآن الكريم كانت إلى اللغة اللاتينية، وقد تمت بإشراف رئيس دير كلوني بجنوب فرنسا سنة 1143 م، وقد أخفيت هذه الترجمة في الدير المذكور إلى سنة 1543 م حيث أظهرت، وطبعها لأول مرة تيودور بيلياندر، ثم اعتمدت واعتبرت الأساس الذي يترجم عنه إلى اللغات الأوربية.

وكانت الدراسات التي يجريها المستشرقون ولازالت تتم في مؤسسات لها مسحة أكاديمية، وقد انتشرت هذه المؤسسات في صور مراكز استشراقية تابعة لجامعات أوربية وأمريكية عديدة، وأصبحت هذه المراكز تحت أسماء وعناوين إسلامية.

والدراسة الموضوعية والمتأنية لكتابات المستشرقين في العصر الحديث منذ القرن التاسع عشر حتى الآن لتؤكد غلبة موقفهم المهاجم والمعادي من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن القرآن الكريم .

وأكثر هذا نلمحه في كتاب تاريخ الإسلام لجامعة كامبردج، وهو كتاب ضخم اشترك في تأليفه عدد كبير من المستشرقين المعاصرين، صدر في جزأين سنة 1970 يردد ما يزعمه جميع المستشرقين منذ نشأة الاستشراق حتى اليوم، وهو أن الإسلام مزيج ثقافي مستعار من عدة ثقافات أخرى : يهودية، ونصرانية ، يونانية، وفارسية، بالإضافة إلى ثقافة بيئته الأصلية، وهي البيئة الجاهلية.

وطبعاً، كثير هم المستشرقون الذين هاجموا الإسلام، ونذكر على سبيل المثال المستشرق صموئيل مرجليوث في كتابه عن محمد وظهور الإسلام (1905 م) يزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم بادعائه الوحي قد ضلل الناس عمداً .

لكن هل من بين هؤلاء المستشرقين من اتصف بالموضوعية والإنصاف؟

في الحقيقية أن بعض المؤلفات الإسلامية المعاصرة تظهر بعض المستشرقين في العصر الحديث بأنهم موضوعيون أو منصفون، و تصف دراساتهم بأنها محاولات جادة نحو فهم الإسلام، وتقول بأنهم قاموا بتلك الدراسات دون تأثير عوامل سياسية أو اقتصادية أو دينية ، بل لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم.

تيارات ثلاث

وهنا تقول أستاذه التاريخ د. نجاح محمد في موضوعية الاستشراق: " لا نستطيع أن نقول إن الاستشراق موضوعي بمجمله، كذلك لا نستطيع أن نقول بأنه مغرض

بمجملـه أيضـاً، فالاستشـراق لـنحكم عليـه تمامـاً يفتـرض أن نضـعه ضـمن سـياقه التاريخي، وعبر هذه الرؤية نجد أنه احتوى على ثلاثة تيارات، الأول هو استعماري مغرض، يـرتبط ببحـث الاستشـراق الاستكشـافي، وبمـا يريـده الغـرب المسـتعمر مـن الشـرق، والمصـالح المـأمول الحصـول عليهـا مـن الشـرق، وقـد دخـل هـذا الغـرض الاسـتعماري فـي كـل مـا يتعلـق بـأمور الشـرق إلـى أن وصـل إلـى التـدخل فـي تحديد مصـطلح الاستشـراق نفسـه، فقد زعـم الغـرب فـي البدايـة أنـه يريـد استكشـاف الشـرق ليعطيـه رسـالته الحضـارية، كونـه أكثـر حضـارة، فـي الوقـت الـذي كـان الشـرق يـرزح تحت نير التخلف، وبالتأكيد هذا القول هو ليبرر الاستعمار أمام شعوبه و حروبه وتحركاتـه الوحشـية البعيـدة عـن الإنسـانية عبـر رسـالة إيديولوجيـة تمـس المشـاعر الإنسانية، لذلك ادعى أنه صاحب رسالة حضارية، وأخذت بالتالي ممارساته صفة المشروعية، وكان أن جاء المضمون الاستشراقي ليخدم الاستعمار ومصالحه، فظهر عـدد كبيـر مـن المستشـرقين قـاموا بالتشـويه المتعمـد بهـدف نشـر الإيديولوجيـة الاسـتعمارية، إذ جـاءت دراسـاتهم بعيـدة عـن الدقـة و الموضـوعية، وأخـذت موقـف الإنكار للرسالة والتكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم وإثارة الشبهات حول الإسلام بوجه عام، وحول القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم بوجه خاص.

لكن الحقيقة بأن هذا أحد جوانب الاستشراق، إذ هنالك جوانب أخرى هامة تتعلق بـالغرض الثـاني للاستشـراق، وأصـحابه ذوو الاتجاهـات الموضـوعية، وأصـنفهم بـين تيارين اثنين للاستشراق، الأول: هو التيار المعتدل التوفيقي الذي يوفق بين المصالح القومية، التي أصبحت مهيمنة لبلاده وبين الموضوعية العلمية.

أمـا التيـار الثـاني: هـو الموضـوعي تمامـاً، فالحضـارة الإنسـانية تـرتبط حتمـاً بالموضوعية، التي تستوجب العقل الحر القادر على إنتاج القيم والأحكام الحرة، غير المرتبطـة بمصـالح شخصـية أو دينيـة أو سياسـية أو اقتصـادية، وتيـار المستشـرقين الموضوعيين اتسم بأنه أعطى الفكر الحر القادر على الحكم الموضوعي، فقدم صورا رائعة ترصد الحضارة العربية والإسلامية وما قدمته من علوم ومعارف للعالم أجمع عبـر التـاريخ، وعنـدما أقـرأ لهـؤلاء المستشـرقين أصـاب بالدهشـة لمـدى الدقـة والموضوعية التي اتصفوا بها، فقد استطاعوا الكتابة عن الشرق بما عجز عن كتابته

بنفسه، وهنا أخص بالذكر المستشرق الفرنسي بيير روسي في كتابه " مدينة ايزيس التاريخ الحقيقي للعرب" ، الذي قال فيه:

" الثقافة كانت عربية منذ بداياتها، تحت شلال نور آسيا المتدفق، ومن السماء التي تظلل نهر النيل كتبت جميع الدفقات القوية التي ولدت منها الحضارة العربية الكبرى التي بسطت منذ فجر الزمان معرفتها وآداب سلوكها".

وعن حالة التزوير والتشويه التي تعرضت لها الحضارة العربية حتى قبل ظهور الإسلام ذكر روسي: "إننا باختصار في جهل مطبق، جهل علمي متفق عليه، وإن الأمر سيكون بسيطاً جداً فيما لو أننا تكلمنا بدلا من الساميين الأبطال المختلقين من أصل خيالي، لو أننا تكلمنا عن العرب ذلك الشعب الحقيقي، والذي يمتلك وجوداً اجتماعياً مستمراً وجوداً ثقافياً ولغوياً يعطي حياة وتوازناً لهذا البحر المتوسط منذ عدة آلاف من السنين".

كما أخص بالذكر المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة المختصة بالحضارة الإسلامية والتي قدمت كتاب " شمس العرب تسطع على الغرب" رسمت فيه صورة رائعة عن الحضارة الإسلامية.

إذ قالت في كتابها: " لقد وجدت اللغة العربية تجاوباً من الجماعات، وامتزجت بهم وطبعتهم بطابعها، وكونت تفكيرهم ومداركهم وشكلت قيمهم وثقافتهم، وطبعت حياتهم المادية والعقلية، فأعطت للأجناس المختلفة في القارات الثلاث وجهاً واحداً مميزاً، حتى السلاجقة والأتراك والمماليك والتتار عندما وصلوا إلى الحكم ظلوا بقلوبهم رعايا مخلصين للثقافة العربية وللغتها، بل ولأساليب الحياة العربية وفكرها، حقاً إن قدرة هذه العقلية العربية على طبع الشعوب لرائعة".

الاستشراق والاستغراب

وأكدت د. نجاح أحمد أنه كي نفهم الاستشراق لابد من فهم المصطلح المقابل له وهو الاستغراب، أي علينا فهم العلاقة التاريخية بين الشرق و الغرب، المرتبطة بدورها بجدلية الداخل والخارج من حيث حجم القوة، فقالت: " طوال العصور القديمة والوسطى كان العرب القدماء أصحاب النظام العالمي، المتميز عن النظام الغربي الحالي بأنه كان إعمارياً، فأينما ذهب العرب شيدوا حضارة كاملة أكثر ما تجلت في

الإعمار والبناء، وفي تعليم الزراعة والحرف والتجارة وقدموا الأبجدية التي هي نتاج حضارة متكاملة، وكانوا بحق أصحاب رسالة، وليس عبثاً ما يقال بأن مصر أم الدنيا، وسورية مهد الحضارات، والعراق الأصل البشري والحضاري، ومكة المكرمة مركز الكون.

شُكل النظام العالمي القديم من ثلاثي مصري . سوري . عراقي، هذا المثلث الحضاري كان المسيطر اقتصادياً وثقافياً وحضارياً، فعلم الحضارة للعالم في العصور القديمة والعصور الوسطى، ثم جاءت الدولة الإسلامية مؤلفة من المثلث نفسه إضافة إلى شبة جزيرة العرب، وأصبح هنالك نظام عالمي إسلامي مسيطر على العالم شرقاً وغرباً، يقوم على أساس جدلية الداخل والخارج ، حيث كان الداخل العربي قوياً سياسياً واقتصادياً، فأعطى العالم من إشعاع حضارته ونورها أكثر مما أخذ، وأثر فيه أكثر مما تأثر به، وانعكس ذلك على علاقة الاستشراق والاستغراب في العصور القديمة والوسطى، فكان الشرق هو المعطي والغرب هو المتأثر بحضارتنا، هذا لا يعني نفي مساهمة كل شعوب العالم في الحضارة، ولكن عندما نأخذ المعطيات ونجري المقارنة نجد أن العرب كانوا أصحاب اليد الأولى في هذه الحضارة والتيار المعتدل والموضوعي، يقول إن أصل النهضة الأوربية هي من المنطقة العربية، لكن في الفترة التالية حصلت متغيرات عالمية انتقل من بعدها مشعل الحضارة والنظام العالمي من العرب إلى أوربا. بعد أن قطع الأسبان والبرتغال الاحتكار العربي للطرق الاقتصادية العالمية بين الشرق والغرب، بمعرفتهم طريق رأس الرجاء الصالح عام 1488 واستعانتهم بابن ماجد للوصول إلى الهند، وكان ذلك بعد عشر سنوات،.. ثم جاء الاحتلال العثماني الذي هز الاقتصاد العربي في حين كان الغرب يعيش الثورة الصناعية والتقنية، وبالتالي أصبح الداخل العربي ضعيفا ومهلهلا، في حين كان الخارج الغربي يملك القوة، والأقوى يعطي أكثر مما يأخذ، فأصبح العرب متلقين للحضارة ومنفعلين غير فاعلين، وتعرضوا لهجمات تشوه حضارتهم وبعيدة عن مبادئهم، وأصابهم الإحساس بالدونية أمام القوة الغربية، في حين صار الغرب ينظر إلى المجتمع العربي بتعال، وهذا انعكس على مفهوم المستشرقين تجاه العرب الذين تخلفوا عن الركب الحضاري".

وبالتالي هل للاستشراق دور في نشر الإسلام والدعوة الإسلامية في العالم الغربي؟
يقول الشيخ بسام عجك : " قام الاستشراق في مرحلته الأولى، ومرحلة الانبهار بالحضارة العربية والإسلامية التي شهد أثرها في الأندلس، فقام بدراسة العالم الإسلامي من خلالها وعندها ترجم الكثير من الكتب التي تبين عقيدة المسلمين وتاريخهم وأفكارهم وتقاليدهم إلى العالم الغربي، ويمكن أن نقول إن المستشرقين نقلوا صورة العالم الإسلامي من وجهة نظرهم إلى العالم الغربي، وكانت الكنيسة هي المسيطرة على حركة الاستشراق، إذ إن الاستشراق بدأ بأهداف ودوافع دينية بحته، ناتجة من خوف الكنيسة الغربية من الانتشار السريع للدين الإسلامي في كافة أرجاء العالم القديم، فبدأت بدراسة الإسلام في محاولة جادة لإيقاف زحفه، ثم كثرت مقاعد الدراسات الشرقية والعربية واللغوية واللغات الشرقية في العالم الغربي، في جامعاتها ومعاهدها ومدارسها ومراكزها البحثية، فقام المستشرقون خلال هذه الفترة الطويلة زمنياً بترجمة الكثير من تراث المسلمين في كل مجالات سواء كانت الدينية أو الثقافية أو التاريخية أو الفلسفية أو الاجتماعية أو العلوم التقنية العملية كالكيمياء والفيزياء والطب والرياضيات وغيرها، هذه الترجمة أدت إلى نوع من التوعية غير المباشرة للعالم الغربي، بأن هناك مجموعة كبيرة من البشر المسلمين، لهم ثقافتهم وتراثهم وتوجهاتهم، مع أنه يجب أن نذكر أن تلك الدراسات كانت تحذيراً للغربيين من خطر مخيف بالنسبة لهم وهو خطر الإسلام، هكذا كانت الصورة تعرض، ويمكن لنا أن نذكر بوضوح تام أن المستشرقين كانوا على ثلاثة أصناف، منهم المتعصبون الذين كانوا يكتبون بروح عدائية حاقدة، وكتاباتهم كانت تتسم بالهجومية الدائمة ضد الإسلام والمسلمين ومحاولة إلصاق أي تهمة سلبية بالمسلمين أو تحريف مقاصد الشريعة الإسلامية، أو فهم النصوص فهماً خاطئاً، ويمكن لنا أن نذكر على سبيل المثال المستشرق اليهودي الأصل جولد زيهر وغيره من المستشرقين المتعصبين الذين كتبوا بروح عدائية لأن منطلق البحث عندهم كان منطلقاً عدائياً بالدرجة الأولى، إذ إنهم انطلقوا من نظرية أن الإسلام يريد أن يلغي وجود العالم الغربي، فبدؤوا يكتبون تجاهه بهذه النظرة العدائية، وهناك نوع آخر من

المستشرقين المعتدلين، أو لنقل الإيجابيين الذين كتبوا بروح غربية، لكن كانوا أقرب إلى الموضوعية والنزاهة العلمية في بحثهم، وربما لم يسلم بعضهم، ويمكن لنا أن نذكر على سبيل المثال المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه " حضارة العرب " ، وهو الذي قدم كتابه بهذه العبارة التي قال فيها " لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب المسلمين ".

وهناك من المستشرقين من تأثر بالإسلام والمسلمين فاهتدى إلى دين الله عز وجل وأسلم وجهه لله سبحانه وتعالى، ولقد كتب من بين المستشرقين المعتدلين أو لنقل الإيجابيين أصحاب النظرة الموضوعية أو أقرب للموضوعية، المؤرخ الشهير صاحب كتاب " تاريخ الدعوة إلى الإسلام" السير توماس آرنولد، ويعد هذا الكتاب من أفضل الوثائق التي يمكن أن يستفيد منها الباحثون في تاريخ نشر الدعوة الإسلامية ، فهو أولاً كتب بأيد غربية، أي لم يكتبه المسلمون، بالتالي لن يتهم المسلمون بأنهم كتبوا بنوع من التعصب أو الانحياز للإسلام والمسلمين، وهذه الأقلام الغربية اعتمدت على مصادرها وعلى كتبها، وعلى أسلوبها في البحث والدراسة، وهو يعد وثيقة تاريخية تؤكد كيف انتشر الإسلام في العالم القديم، وعلى أن الإسلام انتشر بالكلمة الطيبة والحكمة والموعظة الحسنة، وأن شخصية الدعاة وقدوتهم الحسنة للناس من حولهم هو ما أثر في دخول الناس أفواجاً في دين الله عز وجل، ويذكر نماذج رائعة لهذا الانتشار السلمي للدعوة الإسلامية في العالم القديم، في بلاد "الملايو وإندونيسيا" وفي جمهورية السودان وحتى المحيط الأطلسي غرباً، هذه البلاد كلها دخلت في دين الله أفواجاً دون قوة السيف، وإنما بالكلمة الطيبة والقدوة الحسنة التي كان يمارسها الدعاة في نشر الإسلام بهذه الطريقة السلمية التي كانت تعتمد على قول الله عز وجل: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة".

بالتالي يمكن أن نذكر أن هنالك من حاول نقل التراث الإسلامي بترجماتهم ودراساتهم للإسلام والمسلمين إلى العالم الغربي، وهذا بطبيعة الحال هو نوع من تعريف الآخرين بالإسلام، وإن كتب الكثير منه بروح سوداوية حاقدة على الإسلام والمسلمين ، لكننا لا يمكن أن ننسى أن الكثير منه أيضاً كتب بروح أقرب إلى الحيادية، واتسم بالموضوعية والعلمية في الدراسة.

===============

الاستشراق والإسلام بين الموضوعية والتزييف

الاحد :2003/08/10

(الشبكة الإسلامية) دمشق . غادة الجوابرة

أثارت الظاهرة الاستشراقية وما زالت تثير جدلاً حامياً بين مؤيديها ومعارضيها، بل إننا نستطيع الجزم بأنها أكثر المسائل إثارة للجدل والنقاش، وسوف تستمر هكذا ولأحقاب لاحقة، حتى يتم فهم هذه الظاهرة فهماً علمياً بعيداً عن التعصب والولاء.

وقد وجدت تعريفات عديدة تحدد مفهوم الاستشراق وتحاول أن تعطيه أبعاده، و نوه الشيخ بسام عجك إلى أن تعريف الاستشراق مجملاً " هو دراسات وأبحاث قام بها غربيون .. تهدف إلى دراسة العالم الشرقي ولاسيما الإسلامي، ديناً وتاريخياً وحضارة وعادات وشعوباً، بهدف فهم حقيقة الإسلام، وقد نشأت منذ أكثر من ألف سنة في العالم الغربي، ومازالت موجودة حتى يومنا هذا، إلا أنها في الفترات الأخيرة بدأت تأخذ أشكالاً أخرى في الظهور، باسم مستشارين اقتصاديين أو سياسيين أو لغويين يتبعون وزارات الخارجية والاقتصاد والمال والحربية في العالم الغربي، ومهمة هذه الدراسات فهم طبيعة العالم الإسلامي وتوجهات المسلمين، وذلك من أجل التعامل الغربي معهم".

بداية الاستشراق

ومعروف أن أول ترجمة غربية للقرآن الكريم كانت إلى اللغة اللاتينية، وقد تمت بإشراف رئيس دير كلوني بجنوب فرنسا سنة 1143 م، وقد أخفيت هذه الترجمة في الدير المذكور إلى سنة 1543 م حيث أظهرت، وطبعها لأول مرة تيودور بيلياندر، ثم اعتمدت واعتبرت الأساس الذي يترجم عنه إلى اللغات الأوربية.

وكانت الدراسات التي يجريها المستشرقون ولازالت تتم في مؤسسات لها مسحة أكاديمية، وقد انتشرت هذه المؤسسات في صور مراكز استشراقية تابعة لجامعات أوربية وأمريكية عديدة، وأصبحت هذه المراكز تحت أسماء وعناوين إسلامية.

والدراسة الموضوعية والمتأنية لكتابات المستشرقين في العصر الحديث منذ القرن التاسع عشر حتى الآن لتؤكد غلبة موقفهم المهاجم والمعادي من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن القرآن الكريم .

وأكثر هذا نلمحه في كتاب تاريخ الإسلام لجامعة كامبردج، وهو كتاب ضخم اشترك في تأليفه عدد كبير من المستشرقين المعاصرين، صدر في جزأين سنة 1970 يردد ما يزعمه جميع المستشرقين منذ نشأة الاستشراق حتى اليوم، وهو أن الإسلام مزيج ثقافي مستعار من عدة ثقافات أخرى : يهودية، ونصرانية ، يونانية، وفارسية، بالإضافة إلى ثقافة بيئته الأصلية، وهي البيئة الجاهلية.

وطبعاً، كثير هم المستشرقون الذين هاجموا الإسلام، ونذكر على سبيل المثال المستشرق صموئيل مرجليوث في كتابه عن محمد وظهور الإسلام (1905 م) يزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم بادعائه الوحي قد ضلل الناس عمداً .

لكن هل من بين هؤلاء المستشرقين من اتصف بالموضوعية والإنصاف؟

في الحقيقية أن بعض المؤلفات الإسلامية المعاصرة تظهر بعض المستشرقين في العصر الحديث بأنهم موضوعيون أو منصفون، و تصف دراساتهم بأنها محاولات جادة نحو فهم الإسلام، وتقول بأنهم قاموا بتلك الدراسات دون تأثير عوامل سياسية أو اقتصادية أو دينية ، بل لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم.

تيارات ثلاث

وهنا تقول أستاذه التاريخ د. نجاح محمد في موضوعية الاستشراق: " لا نستطيع أن نقول إن الاستشراق موضوعي بمجمله، كذلك لا نستطيع أن نقول بأنه مغرض بمجمله أيضاً، فالاستشراق لنحكم عليه تماماً يفترض أن نضعه ضمن سياقه التاريخي، وعبر هذه الرؤية نجد أنه احتوى على ثلاثة تيارات، الأول هو استعماري مغرض، يرتبط ببحث الاستشراق الاستكشافي، وبما يريده الغرب المستعمر من الشرق، والمصالح المأمول الحصول عليها من الشرق، وقد دخل هذا الغرض الاستعماري في كل ما يتعلق بأمور الشرق إلى أن وصل إلى التدخل في تحديد مصطلح الاستشراق نفسه، فقد زعم الغرب في البداية أنه يريد استكشاف الشرق ليعطيه رسالته الحضارية، كونه أكثر حضارة، في الوقت الذي كان الشرق يرزح

تحت نير التخلف، وبالتأكيد هذا القول هو ليبرر الاستعمار أمام شعوبه و حروبه وتحركاته الوحشية البعيدة عن الإنسانية عبر رسالة إيديولوجية تمس المشاعر الإنسانية، لذلك ادعى أنه صاحب رسالة حضارية، وأخذت بالتالي ممارساته صفة المشروعية، وكان أن جاء المضمون الاستشراقي ليخدم الاستعمار ومصالحه، فظهر عدد كبير من المستشرقين قاموا بالتشويه المتعمد بهدف نشر الإيديولوجية الاستعمارية، إذ جاءت دراساتهم بعيدة عن الدقة و الموضوعية، وأخذت موقف الإنكار للرسالة والتكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم وإثارة الشبهات حول الإسلام بوجه عام، وحول القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم بوجه خاص.

لكن الحقيقة بأن هذا أحد جوانب الاستشراق، إذ هنالك جوانب أخرى هامة تتعلق بالغرض الثاني للاستشراق، وأصحابه ذوو الاتجاهات الموضوعية، وأصنفهم بين تيارين اثنين للاستشراق، الأول: هو التيار المعتدل التوفيقي الذي يوفق بين المصالح القومية، التي أصبحت مهيمنة لبلاده وبين الموضوعية العلمية.

أما التيار الثاني: هو الموضوعي تماماً، فالحضارة الإنسانية ترتبط حتماً بالموضوعية، التي تستوجب العقل الحر القادر على إنتاج القيم والأحكام الحرة، غير المرتبطة بمصالح شخصية أو دينية أو سياسية أو اقتصادية، وتيار المستشرقين الموضوعيين اتسم بأنه أعطى الفكر الحر القادر على الحكم الموضوعي، فقدم صورا رائعة ترصد الحضارة العربية والإسلامية وما قدمته من علوم ومعارف للعالم أجمع عبر التاريخ، وعندما أقرأ لهؤلاء المستشرقين أصاب بالدهشة لمدى الدقة والموضوعية التي اتصفوا بها، فقد استطاعوا الكتابة عن الشرق بما عجز عن كتابته بنفسه، وهنا أخص بالذكر المستشرق الفرنسي بيير روسي في كتابه " مدينة ايزيس التاريخ الحقيقي للعرب" ، الذي قال فيه:

" الثقافة كانت عربية منذ بداياتها، تحت شلال نور آسيا المتدفق، ومن السماء التي تظلل نهر النيل كتبت جميع الدفقات القوية التي ولدت منها الحضارة العربية الكبرى التي بسطت منذ فجر الزمان معرفتها وآداب سلوكها".

وعن حالة التزوير والتشويه التي تعرضت لها الحضارة العربية حتى قبل ظهور الإسلام ذكر روسي: "إننا باختصار في جهل مطبق، جهل علمي متفق عليه، وإن

الأمر سيكون بسيطاً جداً فيما لو أننا تكلمنا بدلا من الساميين الأبطال المختلقين من أصل خيالي، لو أننا تكلمنا عن العرب ذلك الشعب الحقيقي، والذي يمتلك وجوداً اجتماعياً مستمراً وجوداً ثقافياً ولغوياً يعطي حياة وتوازناً لهذا البحر المتوسط منذ عدة آلاف من السنين".

كما أخص بالذكر المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة المختصة بالحضارة الإسلامية والتي قدمت كتاب " شمس العرب تسطع على الغرب" رسمت فيه صورة رائعة عن الحضارة الإسلامية.

إذ قالت في كتابها: " لقد وجدت اللغة العربية تجاوباً من الجماعات، وامتزجت بهم وطبعتهم بطابعها، وكونت تفكيرهم ومداركهم وشكلت قيمهم وثقافتهم، وطبعت حياتهم المادية والعقلية، فأعطت للأجناس المختلفة في القارات الثلاث وجهاً واحداً مميزاً، حتى السلاجقة والأتراك والمماليك والتتار عندما وصلوا إلى الحكم ظلوا بقلوبهم رعايا مخلصين للثقافة العربية وللغتها، بل ولأساليب الحياة العربية وفكرها، حقاً إن قدرة هذه العقلية العربية على طبع الشعوب لرائعة".

الاستشراق والاستغراب

وأكدت د. نجاح أحمد أنه كي نفهم الاستشراق لابد من فهم المصطلح المقابل له وهو الاستغراب، أي علينا فهم العلاقة التاريخية بين الشرق و الغرب، المرتبطة بدورها بجدلية الداخل والخارج من حيث حجم القوة، فقالت: " طوال العصور القديمة والوسطى كان العرب القدماء أصحاب النظام العالمي، المتميز عن النظام الغربي الحالي بأنه كان إعمارياً، فأينما ذهب العرب شيدوا حضارة كاملة أكثر ما تجلت في الإعمار والبناء، وفي تعليم الزراعة والحرف والتجارة وقدموا الأبجدية التي هي نتاج حضارة متكاملة، وكانوا بحق أصحاب رسالة، وليس عبثاً ما يقال بأن مصر أم الدنيا، وسورية مهد الحضارات، والعراق الأصل البشري والحضاري، ومكة المكرمة مركز الكون.

شُكل النظام العالمي القديم من ثلاثي مصري . سوري . عراقي، هذا المثلث الحضاري كان المسيطر اقتصادياً وثقافياً وحضارياً، فعلم الحضارة للعالم في العصور القديمة والعصور الوسطى، ثم جاءت الدولة الإسلامية مؤلفة من المثلث نفسه إضافة إلى

شبة جزيرة العرب، وأصبح هنالك نظام عالمي إسلامي مسيطر على العالم شرقاً وغرباً، يقوم على أساس جدلية الداخل والخارج ، حيث كان الداخل العربي قوياً سياسياً واقتصادياً، فأعطى العالم من إشعاع حضارته ونورها أكثر مما أخذ، وأثر فيه أكثر مما تأثر به، وانعكس ذلك على علاقة الاستشراق والاستغراب في العصور القديمة والوسطى، فكان الشرق هو المعطي والغرب هو المتأثر بحضارتنا، هذا لا يعني نفي مساهمة كل شعوب العالم في الحضارة، ولكن عندما نأخذ المعطيات ونجري المقارنة نجد أن العرب كانوا أصحاب اليد الأولى في هذه الحضارة والتيار المعتدل والموضوعي، يقول إن أصل النهضة الأوربية هي من المنطقة العربية، لكن في الفترة التالية حصلت متغيرات عالمية انتقل من بعدها مشعل الحضارة والنظام العالمي من العرب إلى أوربا. بعد أن قطع الأسبان والبرتغال الاحتكار العربي للطرق الاقتصادية العالمية بين الشرق والغرب، بمعرفتهم طريق رأس الرجاء الصالح عام 1488 واستعانتهم بابن ماجد للوصول إلى الهند، وكان ذلك بعد عشر سنوات،.. ثم جاء الاحتلال العثماني الذي هز الاقتصاد العربي في حين كان الغرب يعيش الثورة الصناعية والتقنية، وبالتالي أصبح الداخل العربي ضعيفا ومهلهلا، في حين كان الخارج الغربي يملك القوة، والأقوى يعطي أكثر مما يأخذ، فأصبح العرب متلقين للحضارة ومنفعلين غير فاعلين، وتعرضوا لهجمات تشوه حضارتهم وبعيدة عن مبادئهم، وأصابهم الإحساس بالدونية أمام القوة الغربية، في حين صار الغرب ينظر إلى المجتمع العربي بتعال، وهذا انعكس على مفهوم المستشرقين تجاه العرب الذين تخلفوا عن الركب الحضاري".

الاستشراق والدعوة الإسلامية

وبالتالي هل للاستشراق دور في نشر الإسلام والدعوة الإسلامية في العالم الغربي؟

يقول الشيخ بسام عجك : " قام الاستشراق في مرحلته الأولى، ومرحلة الانبهار بالحضارة العربية والإسلامية التي شهد أثرها في الأندلس، فقام بدراسة العالم الإسلامي من خلالها وعندها ترجم الكثير من الكتب التي تبين عقيدة المسلمين وتاريخهم وأفكارهم وتقاليدهم إلى العالم الغربي، ويمكن أن نقول إن المستشرقين نقلوا صورة العالم الإسلامي من وجهة نظرهم إلى العالم الغربي، وكانت الكنيسة هي

المسيطرة على حركة الاستشراق، إذ إن الاستشراق بدأ بأهداف ودوافع دينية بحته، ناتجة من خوف الكنيسة الغربية من الانتشار السريع للدين الإسلامي في كافة أرجاء العالم القديم، فبدأت بدراسة الإسلام في محاولة جادة لإيقاف زحفه، ثم كثرت مقاعد الدراسات الشرقية والعربية واللغوية واللغات الشرقية في العالم الغربي، في جامعاتها ومعاهدها ومدارسها ومراكزها البحثية، فقام المستشرقون خلال هذه الفترة الطويلة زمنياً بترجمة الكثير من تراث المسلمين في كل مجالات سواء كانت الدينية أو الثقافية أو التاريخية أو الفلسفية أو الاجتماعية أو العلوم التقنية العملية كالكيمياء والفيزياء والطب والرياضيات وغيرها، هذه الترجمة أدت إلى نوع من التوعية غير المباشرة للعالم الغربي، بأن هناك مجموعة كبيرة من البشر المسلمين، لهم ثقافتهم وتراثهم وتوجهاتهم، مع أنه يجب أن نذكر أن تلك الدراسات كانت تحذيراً للغربيين من خطر مخيف بالنسبة لهم وهو خطر الإسلام، هكذا كانت الصورة تعرض، ويمكن لنا أن نذكر بوضوح تام أن المستشرقين كانوا على ثلاثة أصناف، منهم المتعصبون الذين كانوا يكتبون بروح عدائية حاقدة، وكتاباتهم كانت تتسم بالهجومية الدائمة ضد الإسلام والمسلمين ومحاولة إلصاق أي تهمة سلبية بالمسلمين أو تحريف مقاصد الشريعة الإسلامية، أو فهم النصوص فهماً خاطئاً، ويمكن لنا أن نذكر على سبيل المثال المستشرق اليهودي الأصل جولد زيهر وغيره من المستشرقين المتعصبين الذين كتبوا بروح عدائية لأن منطلق البحث عندهم كان منطلقاً عدائياً بالدرجة الأولى، إذ إنهم انطلقوا من نظرية أن الإسلام يريد أن يلغي وجود العالم الغربي، فبدؤوا يكتبون تجاهه بهذه النظرة العدائية، وهناك نوع آخر من المستشرقين المعتدلين، أو لنقل الإيجابيين الذين كتبوا بروح غربية، لكن كانوا أقرب إلى الموضوعية والنزاهة العلمية في بحثهم، وربما لم يسلم بعضهم، ويمكن لنا أن نذكر على سبيل المثال المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه " حضارة العرب " ، وهو الذي قدم كتابه بهذه العبارة التي قال فيها " لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب المسلمين ".

وهناك من المستشرقين من تأثر بالإسلام والمسلمين فاهتدى إلى دين الله عز وجل وأسلم وجهه لله سبحانه وتعالى، ولقد كتب من بين المستشرقين المعتدلين أو لنقل

الإيجابيين أصحاب النظرة الموضوعية أو أقرب للموضوعية، المؤرخ الشهير صاحب كتاب " تاريخ الدعوة إلى الإسلام" السير توماس آرنولد، ويعد هذا الكتاب من أفضل الوثائق التي يمكن أن يستفيد منها الباحثون في تاريخ نشر الدعوة الإسلامية ، فهو أولاً كتب بأيد غربية، أي لم يكتبه المسلمون، بالتالي لن يتهم المسلمون بأنهم كتبوا بنوع من التعصب أو الانحياز للإسلام والمسلمين، وهذه الأقلام الغربية اعتمدت على مصادرها وعلى كتبها، وعلى أسلوبها في البحث والدراسة، وهو يعد وثيقة تاريخية تؤكد كيف انتشر الإسلام في العالم القديم، وعلى أن الإسلام انتشر بالكلمة الطيبة والحكمة والموعظة الحسنة، وأن شخصية الدعاة وقدوتهم الحسنة للناس من حولهم هو ما أثر في دخول الناس أفواجاً في دين الله عز وجل، ويذكر نماذج رائعة لهذا الانتشار السلمي للدعوة الإسلامية في العالم القديم، في بلاد "الملايو وإندونيسيا" وفي جمهورية السودان وحتى المحيط الأطلسي غرباً، هذه البلاد كلها دخلت في دين الله أفواجاً دون قوة السيف، وإنما بالكلمة الطيبة والقدوة الحسنة التي كان يمارسها الدعاة في نشر الإسلام بهذه الطريقة السلمية التي كانت تعتمد على قول الله عز وجل: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة".

بالتالي يمكن أن نذكر أن هنالك من حاول نقل التراث الإسلامي بترجماتهم ودراساتهم للإسلام والمسلمين إلى العالم الغربي، وهذا بطبيعة الحال هو نوع من تعريف الآخرين بالإسلام، وإن كتب الكثير منه بروح سوداوية حاقدة على الإسلام والمسلمين ، لكننا لا يمكن أن ننسى أن الكثير منه أيضاً كتب بروح أقرب إلى الحيادية، واتسم بالموضوعية والعلمية في الدراسة.

=============

تطور مدارس الاستشراق الألماني في القرن العشرين

الاثنين :2001/04/09

(الشبكة الإسلامية)

إن كلمة استشراق لم تعد تستعمل في ألمانيا اليوم بعد صدور كتاب ادوارد سعيد (الاستشراق) الذي يمزج بين الاستشراق والاستعمار. فالمصطلح المستعمل اليوم في ألمانيا هو الاستعراب والدراسات الإسلامية.

والاستشراق موضوع واسع ومتشعّب يتناول كل ما له علاقة بالشرق من حيث اللغة والأدب والتاريخ والدين والحضارة وما إلى ذلك. والشرق يقسم إلى ثلاثة اقسام: الأدنى – والأوسط – والأقصى . ونحن لا يهمنا منه هنا سوى ما له علاقة باللغة العربية ، والتراث العربي ، وبالإسلام.

لم تكن ألمانيا الدولة الأوروبية الأولي التي اهتمت بالدراسات العربية والإسلامية، إذ سبقتها دول أوروبية أمثال فرنسا وإنكلترا وهولندا.

ولعل الصفة البارزة للاستشراق الألماني أنه لم يزدهر نتيجة للاستعمار – كما هي الحال مع فرنسا وإنكلترا وهولندا التي كانت تستعمر أكبر دولة إسلامية هي أندونيسيا – أو يرتبط بأهداف دينية تبشيرية كسواه. والاستشراق الألماني يمتاز بالموضوعية والعمق. وساهم المستشرقون الألمان أكثر من سواهم بجمع ونشر وفهرسة المخطوطات العربية ، وخصوصاً كتب المراجع والأصول المهمة.

يقول الدكتور صلاح الدين المنجّد: "إن المستشرق الألماني وستنفلد نشر من تراثنا القديم ما يعجز عنه مجمع علمي" .

وإلى نشر المخطوطات، فإن أهم ما قام به المستشرقون الألمان وضع المعاجم العربية . فقد وضع فرايتاغ (1788– 1861) المعجم العربي – اللاتيني في أربعة أجزاء ، ثم وضع فيشر (1865– 1949م) معجماً للغة العربية الفصحي. وقاموس استاذي هانس فير (1909– 1981م) العربي – الألماني للغة العربية المعاصرة. وقاموس شراكل (1923م) الألماني – العربي الذي صدر سنة 1974م ، والقاموس الضخم للغة العربية الفصحى الذي عمل عليه اولمان (1931–) في جامعة توبنغن . ولما زرته سنة 1980م كان وصل إلى حرف الكاف (ك) ، واليوم وبعد عشرين سنة انتقل العمل على هذا القاموس إلى جامعة ميونيخ ووصل إلى حرف الميم (م) . وأن العمل على هذا القاموس سيستغرق مائة سنة ونيّف على رغم الإمكانات التكنولوجية والمادية المتوافرة ، وعلى رغم أن الذي يعمل على هذا القاموس هو فريق عمل.

عندما نعرف ذلك ندرك كم هو عمل ابن منظور (630– 711هـ) واضع قاموس لسان العرب في (15) مجلداً وما يزيد على (8) آلاف صفحة – عمل مُعجز.

كما قام بعض الأساتذة من المستشرقين الألمان البارزين بالتدريس في بعض الجامعات العربية وخصوصاً في جامعة القاهرة أمثال: ليتمان وبرجستريسر وشاده وشخت . كما أن أول مدير للمكتبة الخديوية في القاهرة كان المستشرق الألماني شتيرن. وعُيّن بعض المستشرقين الألمان أعضاء في مجامع اللغة العربية ؛ تقديراً لما قدّموه من خدمات للغة العربية والدراسات الإسلامية.

لا بد لمن يتناول الاستشراق الألماني أن لا يُهمل ثيودور نولدكه (1836– 1930م) ، الذي اهتم بالأبحاث القرآنية ، إلى جانب اهتمامه بالشعر العربي القديم وخصوصاً المعلقات. وكذلك كارل بروكلمان (1868– 1956م) ، الذي اهتم بتاريخ الأدب العربي ، ووضع كتابه الشهير تاريخ الأدب العربي ، الذي ظهر الجزء الأول منه أواخر القرن التاسع عشر ، الذي عمل عليه طوال نصف قرن من الزمن ، ونقله إلى العربية بتكليف من جامعة الدول العربية ، عبدالحليم النجار ، ونشرته دار المعارف في مصر في ثلاثة أجزاء. وكتاب آخر مهم تركه لنا "بروكلمان" هو (تاريخ الشعوب والدول الإسلامية) ، الذي ظهر سنة 1939م ، ونقله إلى العربية نبيه أمين فارس ، ومنير بعلبكي سنة (1949– 1951م). وكتابه الرائد (قواعد اللغات السامية) في مجلدين ضخمين 1961م .

ويجب ألا ننسى أنّ وليتمان (1875– 1958م) ، الذي ترجم كتاب (ألف ليلة وليلة) إلى الألمانية في ستة مجلدات بأسلوب رائع ، وهي أول ترجمة كاملة لهذا الكتاب الهام ، الذي كان له تأثير كبير في اوروبا .

الاستشراق لا ينتهي بنهاية القرن ولا يتوقف . هو عملية مستمرة تتطور وتمر بفترات من الضعف والتراجع . ففي الثلاثينات من القرن العشرين أُصيب الاستشراق الألماني بانتكاسة عند مجيء النازية إلى الحكم ، وترك ألمانيا المستشرقون اليهود ، وبعض الألمان ، وذهب القسم الأكبر منهم إلى الجامعات الأميركية ؛ مما أعطى الدراسات العربية والإسلامية فيها دفعاً قوياً. وفي فترة الحرب العالمية الثانية أصاب الاستشراق الألماني ركوداً ؛ لانشغال بعض المستشرقين بالحرب ، ومقتل البعض منهم فيها.

ولكن بعد الحرب العالمية الثانية أخذ الاستشراق الألماني يستعيد نشاطه. وهنا حصل شيء جديد جاء نتيجة لتقسيم المانيا إلى قسمين: الغربية والشرقية. ففي ألمانيا الشرقية DDR سابقاً أخذ الاستشراق منحى جديداً ، وأصبح يركز على الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعقائدية ، وعلى مواضيع حديثة لم يكن الاستشراق الألماني التقليدي يوليها كبير اهتمام.

جمعية المستشرقين الألمان هذه الجمعية تعد من أبرز الجمعيات الاستشراقية في العالم ، أسسها المستشرق فلايشر سنة 1845م في مدينة هالّه على غرار الجمعيتين الآسيويتين الفرنسية والبريطانية. وما زالت حتى اليوم تواصل نشاطها في جمع شمل المستشرقين الألمان ، وإقامة المؤتمرات الدورية ، ودراسة التراث العربي ، ونشر كنوزه. وانتقل مقرها بعد الحرب العالمية الثانية أي سنة 1948م من مدينة هالّه إلى مدينة ماينس ، ولكنها عادت بعد أن توحدت ألمانيا إلى مقرها القديم في مدينة هالّه. وبدأت في عقد اجتماعها الثامن والثلاثين في 26– 30 آذار – مارس الجاري. وهذه الجمعية تنشر مجلة مهمة تُعنى بالدراسات الشرقية ، هي مجلة المستشرقين الألمان ZDMG منذ سنة 1847م . يسهم فيها كبار المستشرقين الألمان وتصدر مرتين في السنة. يتولى الإشراف عليها المستشرق تلمان ناغل 1942م الأستاذ في جامعة غوتنغن.

وتضم جمعية المستشرقين الألمان اليوم أكثر من (600) عضو ، منهم أعضاء من غير الألمان ممن درسوا في الجامعات الألمانية وتفاعلوا مع الدراسات الشرقية.

ومن بين أعضائها أعضاء شرف ، منهم إحسان عبّاس ، ونقولا زيادة. ولا بد لنا من ذكر مجلة الإسلام التي أسسها الأستاذ بيكر سنة 1910م في هامبورغ ، وتُعنى بعرض أبرز المؤلفات المتعلقة بالتاريخ والأدب والمجتمع الإسلامي.

وهناك أيضاً مجلة عالم الإسلام التي أسسها كامبفماير في برلين سنة 1913م وهي تُعنى بالعالم الإسلامي عموماً. ومجلة أوريانس أسسها الأستاذ ريتر في اسطنبول سنة 1948م ، وتُعنى بالدراسات العربية. وهناك مجلات أخرى لا يتسع المجال لتناولها.

المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت

تأسس هذا المعهد سنة 1961م ، وهو تابع للجمعية الألمانية للدراسات الشرقية ، وهو أول معهد يجري تأسيسه خارج ألمانيا.

كان صاحب فكرة تأسيس هذا المعهد أستاذي هانس فير ، الذي كان أمين سر جمعية المستشرقين الألمان وكان يود أن يؤسس هذا المعهد في دمشق ؛ على اعتبار أن دمشق أقدم عاصمة عربية ، وهي مدينة عربية عريقة. يومها كانت الوحدة بين سورية ومصر. ولما تقدمت ألمانيا بطلب الموافقة على إنشاء هذا المعهد في دمشق اشترطت حكومة الجمهورية العربية المتحدة أن يعين مدير عربي إلى جانب المدير الألماني ، ولما كانت جمعية المستشرقين الألمان لا ترى ضرورة لذلك ؛ لأن هذا المدير المحلّي لن يكون له أي عمل يقوم به ، عندئذ تقدمت الحكومة الألمانية بالطلب إلى الحكومة اللبنانية التي لم تشترط مثل هذا الشرط فتقرر إنشاء المعهد في بيروت. وتأسس في 1961/5/1م ، وكان يُشغل شقة في الطابق الثاني في بناية الصمدي ، شارع مدام كوري بالقرب من فندق البريستول – وهي البناية التي سكن في الطابق الأول منها الشاعر الكبير عمر أبو ريشة – ثم انتقل إلى مركزه الحالي في فيلا مود فرج الله ، في زقاق البلاط شارع حسين بيهم.

أول مدير للمعهد كان هانس روبرت رويمر (1915– 1997م) ، ثم تعاقب على إدارته عشرة مستشرقين ، من بينهم مستشرقتان ويتولّي إدارته اليوم الأستاذ الدكتور مانفرد كروب. وبسبب الأحداث في لبنان اضطر العاملون فيه إلى تأسيس مركز في اسطنبول ، أصبح منذ سنة 1987مفرعاً مستقلاً .

وهذا المعهد الذي يضم مكتبة ضخمة ، ويهيّئ الجو للباحثين الألمان للعمل فيه ، يقوم بنشر سلسلة من الكتب تعرف بـ نصوص ودراسات بيروتية ، صدر أولها سنة 1964م ، وهو دراسة لي عن اللهجة اللبنانية ، هي الأولى باللغة الألمانية – وفاق عددها الـ75 كتاباً .

ويُعنى المعهد كذلك بإصدار المكتبة الإسلامية ، وصدر منها ما يزيد على الخمسين كتاباً.

يجب ألا نتوقع أنه بنهاية القرن العشرين طرأ تغير جذري على الدراسات العربية والإسلامية في ألمانيا. في الواقع استمرت هذه الدراسات ناشطة ، وإن يكن من جديد

طرأ عليها فهو التخصص من جهة ، وكثرة عدد الشبان والشابات الذين أخذوا يهتمون بها ويُقبلون عليها اليوم مما استوجب تأسيس جامعات جديدة. إذ يوجد في ألمانيا اليوم أكثر من (25) جامعة تُعنى بالدراسات العربية والإسلامية . وأن هذه الجامعات أخذت تهتم إضافة إلى المواضيع القديمة ، بالمواضيع الحديثة مثل دراسة اللهجات العربية المحكية ، والأدب العربي المعاصر من شعر ونثر، وبالقضايا السياسية ، والتيارات الفكرية وبالقضية الفلسطينية ، وبالمجتمع العربي والإسلامي .

ما هو مستقبل الاستشراق الألماني؟

يعتقد البعض أن الاستشراق إلى ضمور، أنا لا أرى أن الاستشراق سيضعف ، بل إنه سينمو ويتطور ويتناول مواضيع جديدة .

ففي السنوات الأخيرة أخذ الاستشراق الألماني يركّز على العالم العربي المعاصر ، ودراسة اللغة المعاصرة ، واللهجات العربية ، إلى جانب اللغة الفصحى واللغات الساميّة، ويهتم بمتابعة التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد العربية، ومن هنا كثر هذا النوع من الدراسات الاجتماعية والسكانية والجغرافية .

أضف إلى ذلك الاهتمام بالأدب الحديث ، وبالدراسات اللغوية المعاصرة ، وهو ما يعرف بالألسنية .

ولكن ذلك لا يعني أن الاستشراق سيتخلى عن الدراسات القديمة ، كاللغة ، والتراث ، والإسلام ، والتاريخ القديم .

وبتنا نجد شيئاً من التخصص في هذا الحقل ؛ إذ أن بعض الجامعات باتت تُعنى ببعض الجوانب ، وتركز عليها من دون سواها .

كما أن عدد الجامعات التي تُعني بالدراسات العربية والإسلامية أخذ يتزايد . ففي العقود الأخيرة تأسست جامعات عدة أخذت تلبي حاجات الطلاب الذين يُقبلون على الدراسات الاستشراقية ، ويمكن تصنيفهم إلى ثلاث فئات:

1- الطلاب الألمان الذي يتخصصون باللغة العربية والإسلام.

2- الطلاب الألمان أو العرب الذين يدرسون العربية كمادة فرعية إلى جانب تخصصهم بالعلوم السياسية والاقتصادية أو سواها.

3- أولاد المهاجرين المسلمين ، وفي غالبيتهم من الأتراك الذين ولدوا في ألمانيا ممن يقدمون على دراسة اللغة العربية والإسلام للإطلاع على دينهم .
هذه لمحة سريعة عن الاستشراق الألماني المُشرق ، الذي سيبقى في يقيني محافظاً على تفوّقه وتفرّده
صحيفةالحياة:العدد13

=============

في دائرة الضوء

مجلة البيان - (ج 87 / ص 100)
نهاية الاستشراق القديم وبداية عهد جديد
محمد حامد الأحمري

هناك من يحبون استدبار الحوادث إذا استقبلتهم، فيقررون الغياب عن الزمان والناس والأفكار مرعوبين من الجديد، ليعيشوا في زمن معروف، ومع أقوام معروفين، وأفكار معروفة، وهم إن عادوا إلى تلك المدارس والأشخاص وجاؤوا بجديد فلا تثريب عليهم، ولكن اللوم على أولئك الذين يعيدون الهجرة إلى الماضي القريب ويريدون أن نذهب معهم مرة أخرى إلى عوالم معروفة لنا ولهم، مدروسة، مكرورة، مملولة، ثم هم لا يبدعون في رؤيتهم جديداً، ولا يمتعون عقولنا وأذواقنا بشيء، يزعمون أن جهدهم الجهد وقولهم الفصل . وإن كان قد دُرِسَ حتى دَرس ..
إن تكن طالت عليك المقدمة، فقد أودعتها جزءاً من القضية؛ لأن جمعاً من قومنا لفتوا الانتباه هذه الأيام إلى العودة لأعمال الحركة الاستشراقية فيما قبل قرن . يزيد أو ينقص قليلاً .، ويعيدون الحديث عن الأسماء نفسها، والكتب ذاتها، ويختصرون أو يشرحون كلام المعقّبين على الحركة تلك، ويقولون ما قاله عمر فروخ أو الخالدي أو العقاد أو الجندي، بل وللأسف ليس لبعض هؤلاء المتحدثين اليوم اطلاع الناقدين السابقين، ولا يملكون الوسائل اللازمة لدراسة الاستشراق، وأولها لغاته ومناهجه.
وتكتب كتب، وتعقد دراسات، وتقام ندوات... بلا جديد، ويشتغل طلاب الجامعات العربية الإسلامية في اجترار الماضي بلا زيادة.

ولـم لا يسـأل هـؤلاء المسـتغرقون فـي الأبحـاث القديمـة.. لـم لا يسـألون أو يهتمـون بحركـة الاستشراق الجاريـة الآن، هل هنـاك استشراق اليوم؟! ما هو؟ ومـاذا فيـه؟ ما قديمه وما جديده؟ ومن هم رواده؟ وماذا يريدون؟!.

وهذه هـي المحاولـة أو المغامرة العسيرة علـى عقول ومعـارف كُتّابنـا، بعضـهم ليسـوا كتاباً ولا باحثين.. إنهم قُراء قديم بلا مواهب، أفلا يكتفون بأن يكونوا قراءً وكفى!، ونعْم العمل، أمّا أن يقنعونـا أنهم عرفوا مـا كتب قبـل خمسين عامـاً أو تزيـد، عرفـوا الاستشـراق ودرسـوه، فهـذا لا جديـد فيـه، ولا يسـتحق أن يقنعونـا بـه أو يقولـوا لنـا إن بعض قومنا قديماً تأثروا بالاستشراق . أو لم يتأثروا . ويعيدوا علينا الاعتراضات نفسها والسياقات القديمة عينها.

كـان الأولـى بنـا أن نـدرس ظـاهرة الاستشـراق المعاصـر، ونحـددها فـي مسـتجداتها، وندرس أعمالها مباشرة، وأعمالها اليوم بخاصـة . دون إغراق فـي قديمها . وألا نخشى من التحول إلى دراسة ما جد عندهم كما درسوا هم ما جد عندنا.

الجديد في الاستشراق:

والذي طرأ على تلك المدرسة في العقود الأخيرة تطور مهم، فإن ما يسمى استشراقاً أو مدرسة استشراقية ذات اهتمام علمي ثقافي في غالبه،وسياسي اجتماعي في بعض جوانبه . كما عهدناه .، قد انتهت كثير من تلك الجوانب ولم تعد أولوية في الاستشراق الحديث، بل تحول اليوم إلى عمل سياسي اجتماعي متخصص يهتم بمراقبة ودراسة الأوضاع السياسية والأشخاص والأحزاب والأفكار السياسية والعوامل الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية دراسة وافية، ووضع حلول لها!!.

فقد قـرر المستشـرقون منذ قرابـة عشـرين عامـاً أنّ العمـل العلمـي الثقـافي فـي بـلاد المسلمين وتراثهم لـيس بذي جدوى ولا أهميـة، بـل هـو ضـياعٌ للوقت والجهد، فلـيس لدى العرب والمسلمين أفكار ولا كتب ولا آداب تستحق الدراسة والجهد، والقليل الذي يحتـاجون لـه نقلوه إلـى لغـاتهم . وبخاصـة الإنجليزيـة . كتـاريخ الطبري، ومقدمـة ابـن خلـدون، ورسـالة الشـافعي وأعمـال المتصـوفة! والفلاسـفة والشـعراء الكبـار.. ونحوهـا، والكتـاب المعاصـرون العرب لـيس لـديهم ما يستحق القراءة، وإذا حـدث فسـوف يكـون عملـه مترجمـاً بلغـة غربيـة فـي زمـن قياسـي، والمؤلـف العربـي يحـرص علـى ترجمـة

أعماله إلى لغات غير العربية، وهذا يسهل عمل من يتابع أفكارنا منهم، وهم يترجمون ما يحتاجونه حتى بعض الأشرطة السمعية، فلماذا يضيعون وقتاً طويلاً في دراسة الكتب الإسلامية القديمة مع معاناة مشكلة اللغة العربية؟.

لذا: اتجهوا اتجاهاً سياسياً عارماً، وقطعوا الاهتمام . أو أغلبهم . بالقضايا العلمية والفكرية إلا بمقدار ما تحقق أثراً سياسياً مباشراً.

واليوم: شخص مثل برنارو لويس اليهودي المؤرخ الشهير الذي كتب عن الشرق الأوسط، والحشاشين، والأتراك، وترجم عن العربية مقتطفات تاريخية وأعمالاً عديدة ذات طابع علمي، ولّى وجهه منذ زمن نحو السياسة، وأشرف على معهد الدراسات اليهودية في جامعة (برنستون)، ثم تفرغ للكتابة السياسية، ويكتب عن: العرب والإسلام، واللغة السياسية في الإسلام، والإسلام والغرب، وصياغة المشرق الإسلامي الجديد،ويعمل لإعداد جيل من السياسيين اليهود الأمريكيين ليُخترق العالم العربي بشكل أكبر، ويقدم محاضرات سياسية واستشارات في الهدف نفسه متخذاً من قضية أمته وقومه اليهود قضيته، ورمى بالتاريخ إلى الوراء، ولا قيمة للتاريخ عنده إلا دوره في الحاضر والمستقبل . وهذه أهم مهمة للتاريخ حقاً .، وهو من أصحاب النظرية المركزية اليهودية في غرب آسيا، حيث يرى أن على إسرائيل أن تحكم منطقة وسط وغرب آسيا، من الجمهوريات الإسلامية إلى النصف الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، وأن على الغرب أن يترك هذه المنطقة لها وحدها؛ فإسرائيل هي القادرة عقلياً وسياسياً ومالياً وعسكرياً على القيام بذلك في إدارة يسندها تحالف أمريكي مباشر ويربط هذا باستراليا . كما شرح في مقال له شهير عن مستقبل المنطقة، ونشره في مجلة الشؤون الخارجية ..

ومثل آخر هو: جون إسبوزيتو ، يتجه لدراسة الإسلام المعاصر والحركات الإسلامية المعاصرة، ويقيم علاقات مباشرة مع الإسلاميين وجمعياتهم وزعاماتهم ليدرسها عن قرب، ويقدم الكتب من أمثال التهديد الإسلامي، أسطورة أو حقيقة، وبدأت أعداد كبيرة من الشباب تهتم بهذه الموضوعات. ويقدم هؤلاء الاستشارات والتوجيهات للحكومات الغربية كما كان يفعل السابقون في زمانهم.

ولعل أعمالاً سابقة كعمل مالك بن نبي وحديثه عن المستشرقين من معاصريه، أو عملاً كعمل السباعي عن مستشرقي زمانه ومقابلاته لهم: كانت أعمالاً حية مواكبة للحركة في وقتها، مؤثرة في قرائها آنذاك ولم تزل، ولكنها لا تصلح لتكون مادة دراسة الحركة في زماننا هذا . ولا القادم . لأنها أصبحت في معظم مادتها تاريخاً فكرياً لا فكراً معاصراً جارياً.

اليوم يطلب الأساتذة في الجامعات الغربية أن تكون الأبحاث في الجامعات عن الحركة الإسلامية المعاصرة!، عن الأفكار الجديدة والمؤثرة على الشباب في العالم الإسلامي وتطلعاته، ولعل من اطلع على كتاب انتقام الله الذي ترجم بعنوان يوم الله للكاتب الفرنسي جيل كيبل وكتابه النبي والفرعون يلاحظ مدى المتابعة للوعي الإسلامي في بلادنا، والكتب التي يقرؤها الشباب المسلم، والأشرطة التي يستمعونها، عن الرجال المؤثرين فيهم، المواقف التي تستفز الشباب المسلم!!، وكيف يمكن أن يواجه ويُغوى عن هدفه ويُشغل بمعارك هامشية جانبية تؤكد غياب الأمة عن دورها وعن قضاياها وتغرق فيما يتمنى لها عدوها، وللأسف يقع بعض المسلمين . عن قناعة أو جهل . في شباك الإغواء أو النقاش البيزنطي الذي غدا مثلاً، ليس لأنه في ذاته خطأ فقط، وإنما لأنه أيضاً زمنياً خطأ أكبر، كان ملهاة عن الجيوش الغازية على الأبواب، كان مشغلة عن المعركة، ونحن نختار أحياناً إحياء الطريقة البيزنطية نفسها . ولكن لا نسميها جدلاً بيزنطياً أو جدلاً لا فائدة منه . مع أننا منهيون عنه، ولأنه هو البديل عن العمل: فقد نضفي على جدلنا هالات من الأهمية والخطورة والمنهجية، فتكسب نقاشاتنا أهميتها من الألقاب التي نلقيها عليها، وليس من حقيقتها ولا من مكانتها في الدين أو السياسة أو المجتمع أو التاريخ، وهذه مضيعة للوقت والجهد، وسبب في صرف اهتماماتنا عن معرفة حال المسلمين الذين هم بأشد الحاجة إلى الالتفات لمصائبهم ولأعدائهم المحدقين بهم، ولتصحيح أفهامهم وأفكارهم وعقائدهم، فهم لا يدرسون حياة الشعوب المجاورة لهم، ودورها في حياتهم، ولا يدرسون الإسلام بالطريقة التي بعثت الحياة في قلوب السابقين من الأمة، إذ كان الإسلام لأتباعه: طريق عزة وكرامة للفرد وللأمة، واستقلالاً عن ضغط الأعداء،

وعدالـة فـي الـداخل، ووحـدة فـي التوجـه، وتكـاملاً فـي التخصصـات، وحيويـة غـامرة، وتطلعاً لمعالي الأمور وذروة سنامها.

التفكير عند سلف الأمة ليس إغراقاً في تاريخ كسرى وقيصر ولا في جاهلية العرب وأقوالهم، ولـيس تمحكاً وتحكيكاً وافتعـالاً للخـلاف الـداخلي بـين المسـلمين أشخاصـاً وأفكـاراً، وكتـب الملـل والنِحَـل لـم تكـن همّ المسـلمين وهدفهم، بـل كـان عملهـم دعـوة الناس وهدايتهم، عملهم هداية من ترون من أعماق الصين إلـى نهاية الغرب، ولـيس لكـلام زال وزال تـأثيره ماضـياً كـان أو معاصـراً، بـل معرفـة بالـدين، ثـم معرفـة بالحـال الحالّة بأنفسهم وعدوهم وكيف يواجهونها، وبذل الطاقة والجهد لهذا، لا لعـلاج مشكلة ماضية، ولا لتوهم أو افتراض مشكلة في داخل الأمـة.. ثم البحث عن حل مفترض كذلك. هذه السلبية فـي الهروب من مواجهـة الحيـاة والعدو طريـق العـاجزين ومنحـى الجاهلين، لأن كل شيء منها سهل ممكن النقاش مدروس سابقاً، أو هو طعن للأمـة من الخلف لا يكلف سوى استثارة وإيهام بشبهة أو ترويـع مـروع، فيجن خوفاً وهلعاً ويضـحي بأهل داره خوفاً من عدو متخيل من الـداخل، وإذا كـان قد ولـى أولئك أو تركوا ما كان يسمى استشراقاً في عمومه واختصوا بعمل محدد . عمل سياسي مجرد .، فإن مواقعهم الآن احتلها مجموعة من العرب الذين نشؤوا عرباً في بلاد عربيـة . بغض النظـر عـن أصـلهم .، ولكونهم غربـاء فـي المجتمـع العربـي، لـن يجدوا موقعـاً سياسياً يتناسـب مـع معرفتهم بـالعرب، فقد قـاموا بالعمـل التشـويهي نفسـه، بـل أسـوأ بكثيـر ممـا كـان يعملـه المستشرقون؛ فهـا قد رأينـا مستشرقين أمثـال عزيـز العظمـة و أركون، وهؤلاء المستشرقون العرب توفرت لهم إمكانـات لم تتوفر للطبقة الاستشراقية الغربية المعاصرة؛ فمهارتهم في العربية . التي كانت تقف عائقاً لكثير من الغربيين . لم تعد اليوم عند هؤلاء مشكلة، ثم: أزمة عقدتهم الفكريـة والسياسية . حيث لا يجدون مـن يحتـرم كتابـاتهم فـي العـالم الغربـي . تزيـد مـن حقدهم علـى الإسـلام والمسـلمين والسخط على الأمة وتشويه تاريخها واحتقار تفكيرها وقراءته بعين غربية حاقدة، وثم: عقدة كونهم مستغربين علـى هامش الغرب يزيدهم محاولـة إثبـات أنهم غربيون أكثـر من الغرب، فتجعلهم عقدة النقص هذه أشد ضـرراً علـى المسـلمين من المستشرقين الغربيين.

والأولى بنا أن نعلم أن الاستشراق ليس تاريخاً ماضياً، ولكنه أيضاً سياسة قائمة يومية متجددة.. نجد أنفسنا وثقافتنا فيها من خلال لغاتها مباشرة، وأعمالها ومؤتمراتها وأبحاثها وقرارات الحكومات المبنية عليها.

ونحن لو اتجهنا نحو هذه المدرسة بهذه القناعة، أو على الأقل واجهناها بهدف معرفتها ومتابعتها عن قرب . متابعة مؤلفاتها ومقالاتها ودراساتها وتقاريرها .، لوجدنا في الحاضر ما يغني عن كثير مما قيل في الماضي، ولساعدنا ذلك على فهم العالم الذي نعيش فيه، ولساهمت هذه الدراسة الواعية والمراقَبة الجادة في تطوير العقول والعلوم والأفهام وإنضاج مجتمعنا سياسياً، وإنضاج أساتذة الجامعات لدينا والشباب المسلم ليخرج واعياً لعصره، فاهماً لصديقه وعدوه، يعرف كيف يتعامل مع مفكري عصره وعالَمهم، لأن تدريس الاستشراق بالطريقة الفكرية التاريخية الموجودة الآن قد تساهم في عمل تغفيلي غير مقصود، ولكنه يساعد في عملية تركيز الجهل بالحاضر والإغراق في الماضي، وإقرار الخروج عن مسار العمل والفكر المعاصر، والعودة إلى عهد المِلَل والفرق الهالكة، يجعله يناقشهم وكأنهم فرقة إسلامية انتهت منذ العصر العباسي، ولا يتعامل معهم كبشر وفكر يعمل ويعيش معه في نفس الزمن، يناقشه ويكيد له ويحاربه ويصالحه ويخادعه في نفس الوقت.

لا بأس من دراسة تمهيدية للاستشراق مثل دراسة محمود حمدي زقزوق الجيدة، أو دراسة قاسم السامرائي تكون البداية منها، ثم بعد ذلك تكون المتابعة لما يحدث الآن.

طريقة المواجهة:

وهل يمكن أن تقوم محاولة جادة لاختراق وعي الحاضر الغربي والصورة الموجودة للإسلام والمجتمعات الإسلامية هناك؟، وهل يمكن أن تعطي أعمالنا وكتبنا تصوراً عنا نحدده نحن . ولا يُحَدد لنا . وحسب ما نريد؟، على فهمنا: فليسوا كلهم حاقدين، وليسوا كلهم صليبيين مغرضين، بل منهم من يريد الحقيقة كما أن منهم من أسلم في الماضي، ولكن.. هل نملك القدرة أيضاً على صرف النظر عن التفكير من خلال التهم والدفاع عن ذاتنا! بطرق مباشرة أو غير مباشرة؟.

وإذا كان المقصود الهداية . هداية مجتمعاتهم . فهل بإمكاننا غزو المكتبة الغربية بكتب جديدة مترجمة أو مؤلفة يقرؤها هؤلاء المستشرقون ويقرؤها المجتمع الغربي

عموماً؟، وسوف تعين هذه الكتب بالدرجة الأولى هذه الجماهير المسلمة التي تعيش وتفكر من خلال مكتبة غربية حاقدة ومضادة، ونحن نملك بعض! المعرفة الجيدة في الإسلام، فلم لا نحولها إلى عمل جاد في اللغات الأخرى، يحيي صورة الإسلام الحقيقي، وينشر الوعي به، ويقلل من تيار الهجوم العنيف ضده وضد أهله؟ ونتخلص من عقدة ماذا قالوا عنا قبل قرن أو قرنين؟! ولنجعلهم يسمعوا لنا الآن، ثم: ألا نقوم بدراسة جادة للفكر الغربي مباشرة بلا وسائط ونجعله مادة دراسة؟، لم لا نفكر في قلب الموضوع وتغيير الاتجاه؟، لماذا نحن خائفون فزعون من دراسة ما عندهم وبخاصة النخبة منا؟، لم لا نتحدث عما لديهم عن خرافات وأكاذيب.. وإيجابيات قد تكون مفيدة؟ وبخاصة أن الإغراق في الاستشراق لا يقدم فائدة، فهؤلاء المستشرقون . غالباً . نكرات في بلادهم وفي ثقافتهم، ميزتهم كتابة تقارير عنا.. وماذا تصنع تجاه كاتب التقارير؟!، هل تصرف جهدك لكتابة تقرير عنه، أم تتصرف لعملك وهمك؟ وإذا فهمت ماذا كتب عنك، فهذا كل الذي تريد حتى تعرف ما هو موقع قدمك في عمل دائم جاد ومؤثر ومهم. فمعرفة الاستشراق أداة وليست غاية.

إن علماء الإسلام . عبر القرون . درسوا التوراة والإنجيل وعقائد الفرق الأخرى، وحاجّوا علماءهم، بل أسلم بعضهم بعد نقاشات ودراسات ومجادلات أدت بأن يؤلف بعضهم . الذين أسلموا . كتباً في نقد ديانة قومهم، لماذا ألجأنا الخوف والضعف الفكري إلى الانكماش وضرب أسوار الحديد حتى على القادرين!!

دراسة الاستشراق بالطريقة الموجودة طريقة عقيمة لا فائدة منها، فنحن في حاجة إلى متابعة جادة للجديد ومواجهته بموقف من جنسه، وهذه الدراسة غير مسموح بها في أكثر مناطق العالم الإسلامي، فأين الدولة التي تسمح لجامعاتها بدراسة السياسة والمجتمع الغربي، ثم بناء سياسة ذلك البلد الإسلامي مع الآخر بناءً على معرفة علمية وسياسية صادرة عن جامعة عربية أو مركز للدراسات المستقبلية؟!، وما دام هذا الأسلوب العلمي غير مسموح به في بلاد العالم الإسلامي فقد يكون الحل هو دراسة فكر الغرب ودياناته ونقدها بلغتنا، وهذا هو الرد العملي الموازي للاستشراق؛ إن كتاب الدكتور حسن حنفي عن الاستغراب والذي هدف إلى نقل المواجهة إلى ساحتهم قد يكون مثالاً لجانب من جوانب المعرفة بالفلسفة الغربية، ولكنه لم يَخْلُ من

شطحات فلسفية وتلمذة لمدارسهم، وليس عندنا إلى الآن أعمال نقدية للفكر الغربي مشابهة لما يخرج عندهم ينقد أفكارهم، أما ضياع الجهد في اتهام المستشرقين وتلاميذهم وإثبات انحرافهم وخداعهم فحسب فلا فائدة منه، إن علينا أن نتخلص من عقدة الخوف من فكرهم ومن ثقافتهم، وأن نواجه ثقافتهم بتنمية ثقافة جادة لنا، وناقدة لخصومنا، وننقل ميدان النقاش إلى هناك، ونتخلى عن عقدة النقص حين نضع دائماً ديننا وأمتنا مادة للنقاش والاتهامات، ولا يعني هذا أن نكتب هجاءً سطحياً لهم كما فعل كثير من المستشرقين تجاهنا، بل ليكن عملنا علمياً، مفيداً لنا ولهم، ومنقذاً لهم من الضلال..، وكل هذا لا يعني عدم معرفة الاستشراق، بل نريد المعرفة التي تسوق وتدفع إلى مواجهة ثقافة بثقافة وعلم بعلم.

==============

البيان الأدبي

مجلة البيان - (ج 111 / ص 46)

حوار

حوار مع د. حسن الأمراني

حول مرجعيات الاستشراق المعاصر

أجرى الحوار: محمد بن عمر

توطئة:

تعد ظاهرة الاستشراق من أبرز الظواهر الثقافية التي تبقى مفتوحة للسؤال والقراءة؛ لأن أغلب الأسئلة التي تؤسس هذه الظاهرة الثقافية هي من نوع الأسئلة التي يغلب عليها طابع الإثارة والإغراء بالمتابعة.

لكن أكثر أسئلة الاستشراق إثارة واستفزازاً هي تلك الأسئلة التي اختارت التعايش مع لحظة السقوط الحضاري وتجربة الانهيار الغريب التي عاشتها الأمة الإسلامية.

لقد كانت نية الاستشراق من هذا التوجه: العمل على تكريس هذه التجربة واستمراريتها في نسيج الثقافة الإسلامية المعاصرة.

فالاستشراق توجّه خاصة إلى ثقافة السقوط، وبالمقابل أغفل ثقافة البناء، كل ذلك تحت غطاء البحث العلمي والفضول الفكري والمعرفي.

إنـه انطبـاع أولـي استخلصـناه مـن نـص الحـوار الـذي أجرينـاه مـع الـدكتور (حسـن الأمرانـي)(1) الـذي أنجـز عمـلاً جامعيّـاً اختـار لـه عنـوان: (المتنبـي فـي كتابـات المستشرقين الفرنسيين) (2)، وقد أثار في هذه الدراسة كثيراً من القضايا التي تمس الاستشراق بشكل مباشر، ومن أهم هذه القضايا: الاستشراق: الموضوع، المنهج، المرجع،...

ومن أهم المحاور والقضايا التي تستوقف الباحث والقارئ لهذا البحث: قضية اشتغال الاستشراق الفرنسي بشعر وأدب المتنبي، من حيث هو لحظة تاريخية وحضارية تعبر عن السقوط والانهيار، وتنشد البناء، وتبحث عن السبل الكفيلة بالخروج من هذا السقوط والانهيار الحضاري.

وهذا الاعتناء بهذه اللحظة بالذات، أدى بالاستشراق إلى إغفال الجوانب الأخرى المُشَكِّلة لأدب المتنبي، خاصة الفني... وهذا الإغفال له ما يبرره إذا أدركنا النوايا والخلفيات التي كانت توجه قراءة المستشرقين للتراث العربي الإسلامي.. وهذا نص الحوار:

أ- من الأفكار التي راجت كثيراً في فضائنا الثقافي مؤخراً: فكرة نهاية الاستشراق؛ لأن المعطيات الثقافية والحضارية التي كانت من وراء نشأة هذه الظاهرة لم تعد مستمرة في هذا الفضاء، وهذا ما حَوّل الاستشراق من ظاهرة ثقافية إلى ظاهرة تاريخية.. ما هو تعليقكم على هذا الفهم؟.

- قد ينتهي الاستشراق مصطلحاً، ولكنه لا ينتهي فكرة، ولعله اليوم أشد ما يكون ارتباطاً بالمؤسسات الغربية وخدمة لمصالحها، فمنذ نشأة الاستشراق كان همه المعرفة المرتبطة بالغلبة والهيمنة، ولئن كان في فترة من الفترات مرتبطاً أشد الارتباط بالكنيسة، ولا سيما منذ قرار مجمع (فيينا الكنسي، 1311م . 1312م)، فإنه ما فتئ يغير جلده دون أن يغير أهدافه ومقاصده.

إن المستشرقين كانوا أول من دعا إلى تدمير آليات الاستشراق التقليدي؛ لشعورهم بأنه استنفذ أغراضه، ولا بد له . إن أراد أن يستمر في الحياة . من أن يغير أدواته، وتلك كانت الأغراض من وراء صيحة (ماكسيم رودنسون)، إن عزوف المستشرقين منذ فترة عن هذا المصطلح، ورفضهم أن ينعتوا به، واكتشافهم بدائل أخرى كـ

(الاستعراب).. لم يكن الهدف من ورائه الدقة العلمية . كما يريدون أن يوهمونا بذلك . بقدر ما كان تخلصاً ممّا يحمله المصطلح القديم من ظلال استعمارية وتحكمية.
وإن وجود فئة من المستشرقين المعتدلين أو الموضوعيين أو حتى المتعاطفين مع القضايا الإسلامية لا ينفي القاعدة بقدر ما يؤكدها، لأن أولئك يمثلون استثناء، والشاذ لا حكم له كما يقال.
وهل يشك عاقل في أن الذين يخدمون (الإمبريالية الغربية) تحت اسم (الخبراء) هم مستشرقون من نوع جديد؟، إن ما قدّمه (برنار لويس) وأضرابه مثلاً لا يقارن بما قدمه أسلافهم.
ب –الدكتور حسن الأمراني: لقد أنجزتم أطروحة جامعية حول الاستشراق الفرنسي وكلفكم هذا الإنجاز زيارة كثير من مكتبات فرنسا، نود أن تقدموا للقارئ أهم المستويات المعرفية التي تؤسس الاستشراق الفرنسي وتميزه عن غيره من أنواع الاستشراق .
– يجب ألا ننسى أن فرنسا وبريطانيا تمثلان حالة متفردة في علاقتهما بالعالم الإسلامي، فهما (الإمبراطوريتان) الاستعماريتان اللتان بسطتا سلطانهما على معظم العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر الميلادي والنصف الأول من هذا القرن، كما أن ماضيهما مرتبط أكثر من غيرهما من دول الغرب بالحروب الصليبية، ولذلك: كانت العلاقة بين هاتين الدولتين والعالم الإسلامي علاقة احتكاك حربي وتدافع ومغالبة أكثر مما كانت علاقة تواصل حضاري.
ولقد انعكس هذا الإرث الثقيل على التراث الاستشراقي لهما، ولذلك: تجد أن الذين يصنفون عادة ضمن المتعاطفين مع التراث الإسلامي من المستشرقين، من أمثال (ماسينيون) كانوا من أشد الناس ولاءً للفكر الاستعماري، ولذلك: كان (ماسينيون) نفسه مستشاراً لشؤون الاستعمار، كما إنه كان من أشد الدعاة إلى إحياء اللهجات المحلية في البلدان الإسلامية وإحلالها محل العربية، أي إنه كان يدفع . ببحوثه وكشوفاته . في اتجاهين اثنين لا يتعارضان في نهاية المطاف: الاتجاه الأول هو: تمجيد الشخصيات الفلسفية في تاريخ الإسلام وبعثها نموذجاً ومثالاً ينبغي أن يحتذى، والاتجاه الثاني: تشجيع النزاعات التفتيتية والتفكيكية داخل المجتمع

الإسلامي، فما بالك إذا تجاوزنا (ماسينيون) إلى سواه من المستشرقين المعروفين بعدائهم السافر للمجال الحضاري الذي يتخذونه مرتكزاً لدراساتهم.

أما المعتدلون منهم، من أمثال (جيل كيبل)،و (أندريه ميكال)، فإنهم يحسون بغربة قاتلة داخل مجتمعاتهم، ويشعرون بأن أصواتهم لا تكاد تسمع، لا في الغرب ولا في العالم الإسلامي.

ج- هناك ظاهرة تبدو غريبة في استنتاجات المستشرقين، ذلك بأن أغلب المستشرقين نعتوا الثقافة الإسلامية بأنها حضارة نص!، بماذا تفسرون هذا الاستنتاج؟.

- بدلاً من أن نتساءل: هل الحضارة الإسلامية حضارة نص أم ليست كذلك؟: لا بد أن ندرك طبيعة المعرفة الاستشراقية، هذه المعرفة التي ظلت تفتقد إلى العمق والشمولية، وهذه السمة هي التي ما تزال عالقة بما يمكن تسميته: الاستشراق الدائري، الذي يعتبر (محمد أركون) علماً بارزاً من أعلامه.

لقد كانت المعرفة الاستشراقية . في منطلقها . معرفة خبرية، تقوم على ما يصل إلى المؤسسة الاستشراقية من أخبار لا تخلو من أوهام، يسوقها بعض الرحالة، أو نسجها الخيال الشعبي، ومما لا شك فيه أن المعرفة الخبرية من مقومات العلم في الإسلام، ولكن شرطها: الصحة، وهو الشرط المفقود في المعرفة الاستشراقية، ويكفي أن نقرأ (أنشودة رولان) لندرك طبيعة تلك المعرفة المشوهة التي تجعل المسلمين . بزعمه . وثنيين مشركين، يؤمنون بثلاثة آلهة: (أبولون، وترافاكان، ومحمد).

وقد كان يغذي هذا الاتجاه ما ظهر عند طلائع المستشرقين، من أمثال (جيوم بوستل) (1510 . 1581م)، الذي قيل عنه إنه كان من دعاة الوحدة بين المسلمين والمسيحيين!، ومع ذلك لم يستطع أن يتخلص من النظرة التي ترى أن من فوائد تعلم العربية أنها تعين على مجادلة أعداء المسيح من المسلمين!!.

ثم تحولت هذه المعرفة إلى معرفة نصيّة عندما قام (ديربيلو ((1625 . 1695م) بتأليف كتابه (المكتبة الشرقية)، هذا الكتاب الذي يعد أول كتاب غربي يضم معارف عن الشرق الإسلامي في شكل موسوعة معجمية، وبذلك انتقلت المعرفة، مع (ديربيلو (، من الخبر إلى النص، أي: إلى استنباط المعرفة المتعلقة بالشرق الإسلامي، من كتب المشارقة أنفسهم.

وستمر فترة من الوقت قبل أن يُضاف إلى هذا المصدر المعرفي مصدر آخر هو المصدر العيني.

وكان الفرق بين هذه المرحلة وسابقتها: أن إحداهما كانت غارقة في الماضي، بينما جمعت الأخرى بين الماضي والحاضر.

وقد كان الاستشراق الحديث والمعاصر بحاجة إلى جهد كبير لتخليص المعرفة الاستشراقية مما علق بها من قصور، نتيجة قصور مصادر المعرفة.

د- الأستاذ حسن الأمراني، تتزعون في الكتابة نحو مجالات مختلفة: الإبداع . النقد . الكتابة الفكرية.. لكن الذي جمع هذه الكتابات هو أنها تعبير عن زمن السقوط وتشخيص للحظة الانهيار الفكري والحضاري الذي تعيشه الأمة الإسلامية.. من خلال هذا المُعطى نود منكم كلمة أخيرة لقراء مجلة (البيان)؟.

- لا أدري أي هاجس دفع بي . وأنا أعد دراستي عن المتنبي في دراسات المستشرقين . إلى أن أُعْنَى عناية خاصة بلحظة من التاريخ فيه من واقعنا المعاصر تشابه كبير، فقد تبين لي أن تلك اللحظة هي لحظة الانهيار الحضاري التي قام المتنبي في وجهها صارخاً مستصرخاً باحثاً عن الفتى الذي يستطيع أن يحقق معه رسالته، فكان (سيف الدولة) [على ما فيه] أقرب ما يكون إلى الصورة المثال التي كان يحلم بها الشاعر، فلذلك ربط مصيره بمصيره، وقد عني المستشرقون بهذه اللحظة بالذات أكثر مما عنوا بدراسة الجانب الفني من شعر أبي الطيب، وذهبوا في تفسير تلك اللحظات مذاهب شتى لم تكن تخلو من الشطط.

ولا يشك أحد أننا نعيش لحظة من أشد لحظات الانهيار الحضاري الذي يواكبه تغطرس الاستكبار التدميري، وأمام هذا الواقع لا مفر من صيحةٍ تنبه الغافلين، وتستل من الظلمة فجراً، فلا عجب إذن أن يكون هنالك خيط جامع . عندي . بين الإبداع والإنتاج الفكري، وهذا الخيط هو صرخة الألم التي قد تكون من جهة المصدر كصرخة ابن أبي موسى الغساني في غرناطة، ولكنها من جهة الأثر . بحكم كونها صرخة جماعية لا فردية . قد تكون كصرخة قطز في (عين جالوت).. ولعلها . كما قال (الكواكبي)(*) .: كلمة حق وصيحة في واد، إن ذهبت اليوم مع الريح، فقد تذهب غداً بالأوتاد.

الهوامش :

1) الدكتور حسن الأمراني كاتب من القطر المغربي، يشتغل أستاذاً للنقد الأدبي القديم بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة (المغرب)، وهو واحد من رواد الأدب الإسلامي المعاصر، ورئيس تحرير مجلة المشكاة.

2) صدرت هذه الدراسة عن مؤسسة الرسالة، عام 1994م. *) لمعرفة من هو (عبد الرحمن الكواكبي) وتقويم فكره: انظر كتاب (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر)، د/محمد محمد حسين.

*) لمعرفة من هو (عبد الرحمن الكواكبي) وتقويم فكره : انظر كتاب (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر)، د/ محمد محمد حسين

- البيان -

=============

الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري

المؤلف : الدكتور محمود حمدي زقزوق

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة فصول : يتناول الأول منها نظرة تاريخية لنشأة الاستشراق وتطوره، ثم يدرج المؤلف إلى تفصيل موقف المستشرقين من الإسلام في الفصل الثاني، أما الفصل الأخير فيوضح موقف المسلمين من الاستشراق.

المختصر المفيد للكتاب: يشكل الاستشراق الجذور الحقيقية التي كانت ولا تزال تقدم المدد للتنصير والاستعمار، وتغذي عملية الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، وتشكل المناخ الملائم من أجل فرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامي وإخضاع شعوبه، فالاستشراق هو المنجم والمصنع الفكري الذي يمد المنصَّرين والمستعمرين بالمواد يسوِّقونها في العالم الإسلامي لتحطيم عقيدته، وهدم عالم أفكاره، وقد جاء هذا الغزو الثقافي ثمرة لإخفاق الغزو العسكري وسقوطه، ولتربية جيل ما بعد الاستعمار .. لقد تطورت الوسائل وتعددت طرق المواجهة الثقافية الحديثة، ففي القارة الأمريكية وحدها حوالي تسعة آلاف مركز للبحوث والدراسات ، منها حوالي خمسين مركزاً مختصاً بالعالم الإسلامي، ووظيفة هذه المراكز تتبع ورصد كل ما يجري في العالم، ثم دراسته وتحليله مقارناً مع أصوله التاريخية ومنابعه العقائدية، ثم

مناقشة ذلك مع صانعي القرار السياسي، ومن ثم تُبنى على أساس ذلك الخطط والاستراتيجيات، وتحدد وسائل التنفيذ. لقد أصبح كل شيء خاضعاً للدراسة والتحليل، ولعل المختبرات التي تخضع لها القضايا الفكرية والدراسات الإنسانية أصبحت توازي تلك المختبرات التي تخضع لها العلوم التجريبية، إن لم تكن أكثر دقة حيث لا مجال للكسالى والنيام والعاجزين الأغبياء في عالم المجدين الأذكياء. لقد اكتفينا بمواقف لرفض والإدانة للاستشراق

والتنصير، اكتفينا بالانتصار العاطفي للإسلام، وخطبنا كثيراً ولا نزال في التحذير من الغارة على العالم الإسلامي القادمة من الشرق والغرب دون أن تكون عندنا القدرة على إنضاج بحث في هذا الموضوع، أو إيجاد وسيلة صحيحة في المواجهة، أو تحقيق البديل الصحيح للسيل الفكري والغزو الثقافي من هناك.. إلا من رحم الله من جهود فردية لا تفي بالغرض، فإذا كنَّا لا نزال في مرحلة العجز عن تمثل تراثنا بشكل صحيح حيث يحاول بعضنا الوقوف أمامه للتبرك والمفاخرة دون أن تكون لدية القدرة على العودة من خلاله إلى أصولنا الثقافية المتمثلة في الكتاب والسنة، ويحاول آخرون القفز من فوقه ضاربين بعرض الحائط فُهوم علماء وجهود أجيال، بدعوى التناول المباشر، دون امتلاك القدرة على ذلك، فكيف يمكننا ، وهذا واقعنا وموقعنا، أن نواجه معركة الصراع الفكري، ونقدم فيها شيئاً؛ وإذا كان الكثير منا ما يزال يعيش على مائدة المستشرقين لفقر المكتبة الإسلامية للكثير من الموضوعات التي سُبقنا إليها، وإذا كانت مناهج النقد والتحليل، وقواعد التحقيق، ووسائل قراءة المخطوطات من وضعهم، كما أن الكثير من المخطوطات الإسلامية لم تر النور إلا بجهودهم على ما فيها ، فأنّى لنا الانتصار في معركة المواجهة العقائدية ؟ ! .

ويمكن لنا إذا تجاوزنا جهود علمائنا الأقدمين في تدوين السنة ووضع ضوابط النقل الثقافي، وقواعد الجرح والتعديل، وتأصيل علم مصطلح الحديث الذي حفظ لنا السنّة إلى جانب بعض الدراسات الجادة في هذا الموضوع، فإننا لا نكاد نرى شيئاً يذكر، فقد اقتصر عمل معظم المشتغلين بالحديث والسنة عندنا على تحقيق بعض الأحاديث، تضعيفاً أو تقوية لإثبات حكم فقهي أو إبطاله، أو إثبات سنّة ومواجهة بدعة، وهذا العمل على أهميته يبقى جهداً فردياً فكرياً دون سويّة الأمر المطلوب

الذي يمكن من الانتفاع بكنوز التراث .. وأين هذا من عمل المستشرقين في إعداد المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، كعمل ضخم وكدليل علمي لا يستغني عنه أي مشتغل بالحديث .. لقد نجحت العقلية الأوربية بداية في السيطرة على مصادر التراث العربي الإسلامي، وعن طريق الاستشراق والمستشرقين إلى التحقيق والتمحيص والطبع والنشر لمجموعة من أكبر وأهم المصادر التراثية، وعلى الرغم من أن بعض الدراسات كانت تقترب من صفة النزاهة والحياد إلاّ أنها في النهاية وبكل المقاييس تبقى مظهراً من مظاهر الاحتواء الثقافي . ولقد نجحت العقلية الأوروبية، كما أسلفنا ، في فرض شكلية معينة من التحقيق والتقويم والنقد، وأوجدت القدوة والأنموذج، ويمكن القول: إن معظم الكتابات العربية المعالجة للتراث قد سارت على هذا النهج ولم تتجاوزه إلا في القليل النادر، إلى درجة إيجاد ركائز ثقافية عربية معبرة ومتبنية لوجهة نظرها، ومدافعة عن المواقع الثقافية التي احتلتها؛ حتى في الجامعات والمؤسسات العلمية لا يزال الخضوع والاحتكام للقوالب الفكرية التي اكتسبها المثقفون المسلمون من الجامعات الأوروبية ..ونستطيع القول: إن آثار الاستشراق وإنتاج المستشرقين لا يزال يحتل الكثير من مواقعنا الثقافية، وسوف لا يفيدنا في المواجهة مواقف الرفض والإدانة أو الهروب من المشكلة، من هنا تأتي أهمية هذا الكتاب في أنه لا يقتصر على تشخيص العلَّة ورصد آثارها فقط، وإنما يتجاوز ذلك إلى تحديد الأسباب التي أوجدتها، ومن ثم يصف العلاجيون الخطة التي لا مناص من التزامها في معركتنا الفكرية التي تستهدف وجودنا حيث نكون أو لا نكون .. وميزة هذا الكتاب الذي نقدمه اليوم أن له صفة الأكاديمية، فقد اعتمد مؤلفه المنهج العلمي الوثائقي في التناول، وناقش المقدمات، وعقد المقارنات، وانتهى إلى النتائج، وقدم الحلول اللازمة بعيداً عن الانفعال والارتجال، لذلك نقول: إنها لا تكفي القراءة للكتاب بل لا بد من الدارسة له .. ومن ميزاته أيضاً أنه يُمكن أن يصل بالمثقف بشكل عام، والمثقف المسلم غير المخصص بشكل خاص إلى حد الكفاية في هذا الموضوع حيث إن الاطلاع على هذا القدر من المعلومات عن الاستشراق ومناهج المستشرقين يشكل ضرورة لكل مسلم، يبصره بالساحة الثقافية التي يتعامل معها، والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.. خاصة وأن مؤلفه الأخ الدكتور محمود

حمدي زقزوق يمكن أن يعتبر إلى حد بعيد متخصصاً في هذه القضية الهامة، بعد أن عَرَف المستشرقين واطلع على إنتاجهم عن قرب بطبيعة متابعة دراساته العليا في الغرب، وأنه كان مقرراً للندوة التي دعت إليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في القاهرة لمناقشة إعداد موسوعة الرد على المستشرقين، وأعد التقرير عن المنهج العلمي الواجب اتباعه في إعداد الموسوعة .. وتبقى حاجة المكتبة الإسلامية قائمة لمجموعة من الكتب التي تعرض للقضايا الفكرية التي يعاني منها عالم المسلمين ، وتصل إلى حد الكفاية بالنسبة للمسلم غير المتخصص على حو هذا الكتاب بعيداً عن الانفعال والعاطفية وإثقال ذهنه بما ينفع وما لا ينفع. بقلم الدكتورعمر عبيد حسنة

============

الاستشراق

الأستاذ أنور الجندي

لقد تبين من الدراسات الواعية المتعددة مدى خطر الاستشراق على الفكر الإسلامي، ولم تبق إلا دعوى "الدور الذي قاموا به في تحقيق التراث الإسلامي" ومنها تبويب بعض كتب السنة وغيرها. ولا ريب أن الاستشراق يعمل على إيجاد حصيلة واسعة من مفاهيم الإسلام بدأها بترجمة القرآن والحديث النبوي وبعض الكتب المعروفة، والهدف هو إحكام الرد على ما في هذه من قضايا معارضة للمسيحية من ناحية أو معارضة للنفوذ الأجنبي من ناحية أخرى والحقيقة أن هذه الأعمال لم تكن خاصة لوجه العلم وهل بالرغم من ضآلتها بالنسبة لعمل الاستشراق الواسع في ابتعاث كتب التراث المتصلة بالفلسفة والتصوف الفلسفي والفرق المتصارعة والباطنية وغيرها فإنها عمل مشكور لهم ولكنه لا يشكل ظاهرة يمكن أن تحول دون الغرض الحقيقي للاستشراق بما يخدع به دعاة التغريب ذوي النيات الجسنة منقومنا.

وهذه مجموعة من الحقائق:

أولاً: المستشرقون يدرسون قضايا الإسلام (لغته وتاريخه وشريعته وتراثه) بروح غير علمية، تقوم إما على سوء الفهم أو سوء النية، وهم لا يتصورون أي شيء إلا في حدود مفاهيمهم المسيحية اليونانية وعقليتهم الغربية التي تعودت على ربط الظواهر

الإنسانية بالجنس واللغة القومية والبيئة في حدود المفهوم المادي القائم على المحسوس ومن هنا كان الإنسان عندهم ظاهرة قومية نشأت عن ظروف اقتاصدية ومن شأن هذا التصور أن يجعل كا أحكامهم على تاريخ الإسلام وشريعته وقيمه خائطة ومنحرفة لأن الإسلام يقوم على تصور جامع بين الروح والمادة والعقل والقلب.

ثانياً: قدم المستشرقون كتابات أعطوها صفة العلم في مختلف المسائل الإسلامية تدرس في بعض الجامعات على أنها صورة صحيحة لما جاء في الشريعة الإسلامية من أحكام وقواعد، جاء بعضها محرفاً وبعضها لا يقيد حكمة الشارع ثم بولغ في تحريف مدلولاتها ومعانيها على نحو يتعذر معه فهم أحكام الإسلام على وجهها الصحيح.

ثالثاً: أخضع المستشرقون تاريخ الإسلام لمفهوم المسيحية وتفسيراتها ثم أخضعوها لتفسيرات المادية الغربية ثم التفسيرات الماركسية.

رابعاً: دخل المستشرقون إلى مجامع اللغة وحولوا أهدافهم إلى مناهج براقة سواء في أحياء العامات أو الدعوة إلى تعديل النحو أو اللغة الوسطى أو الكتابة العربية المعاصرة وكلها محاولات ترمي إلى إيجاد فجوة بين لغة القرآن ولغة الكتابة.

ومن قبل ذلك تسللوا للبحث عن العاميات ولبسوا ملابس التجار والدبلوماسيين وصاروا يعملون بشتى الوسائل لجمع الأمثال العامية والمواويل بهدف مسموم هو القول بأن العامية لغة لها تراث.

وقد أولوا اهتماماً شديداً لدراسة اللهجات في البلاد العربية وعقدوا مؤتمراً خاصاً لذلك في مدينة ميونخ بألمانيا 1957 م وكتب المستشرقون في ذلك كتباً منها: كتاب في لغة الغجر في البلاد العربية ودراسات في اللهجات الأمهرية. السحرية والقطرية وغيرها من اللهجات المستعملة في جنوب الجزيرة العربية وعلى أطرافها.

والهدف في التركيز على اللهجات العامية واضح فهم الذين قدموا تلك الفلسفة الضالة التي تقول إن العامية أقدر على تصوير المشاعر، مع أن هذه المشاعر التي تصورها العامية هي المشاعر الساذجة ومشاعر طفولة البشرية أين منها ذلك الشعر الرصين والبيان العربي الذي يحمل صور المجتمع الإسلامي والنفس

الإسلامية في مراحل الرشد الفكري والهدف هو إضعاف لغة القرآن وتمييعها بالتحريض على استعمال اللهجات وتحطيم قواعد اللغة باسم التيسير.

خامساً: أثار الاستشراق دعوات مسمومة للتشكيك في الإسلام والطعن في مبادئه وتشويه الحضارة الإسلامية. ومن ذلك دعوتهم إلى رفع لواء الإنسلاخ من الماضي والتراث وإحياء النزعات القديمة كالفرعونية والفينيقية والآشورية وأمثالها والغض من شأن الشعوب الملونة في العالم الإسلامي ووصفهم بأنهم أقل قدرة من الجنس الأبيض (الأوربي) في مجال السياسة والمدنية والعلم والفن. والعمل على فصل الدين عن الدولة وإبطال فريضة الجهاد وإثارة الشبهات حول القرآن بطرح سموم على أيدي مسلمين وتوحي ببشرية القرآن للتشكيك في أنه من الله تبارك وتعالى والقول بتأثر الثقافة الإسلامية بالعقلية الإغريقية والفارسية، وهم في سبيل ذلك يعملون على انتزاع نصوص معينة من سياق المصادر لتأييد وجهة نظرهم ويعملون على إثارة التناقضات بين النصوص والمصادر.

سادساً: المبالغة في تمجيد الحضارات الشرقية القديمة السابقة للإسلام والإدعاء بأن الإسلام أخذ منها والبحث عن الأثر الغربي والأوربي في الفكر الإسلامي والمبالغة في تحديده وإكباره وجعله شيئاً أساسياً بالرغم من أنه أقل من ذلك ومحاولة إرجاع العلوم العربية إلى أصول يونانية.

سابعاً: دراسة الحركات المضادة للإسلام والتوسع فيها كالفتن الأهلية والخلافات المذهبية ومظاهر التفسخ والانقسام والإدعاء بأنها أبرز ظواهر تاريخ الإسلام مع أن تاريخ الإسلام حافل بالإيجابيات ومراحل القوة والتمكن وأن هذه الصور قليلة جداً وموجودة في تاريخ جميع الأمم والحضارات.

ثامناً: يدرس الاستشراق خصائص الفكر الإسلامي بروح خصومه وبفكرة مسبقة قائمة على أحكام قوامها سوء نية وعجز عن الإنصاف، ويعجز الاستشراق عن أن يتخلص من عواطفه الخاصة وهو يدرس مجتمعاً مختلفاً ومنهجاً متبايناً مع فكره ومنهجه.

تاسعاً: توسعة شقة الخلافات المذهبية بين المسلمين، بينما أن هذه الخلافات لم تصل إلى ما وصلت إليه بين فرق الأديان الأخرى وخاصة المسيحية لا في طبيعتها

ولا في مداها فلا يوجد خلاف بين المسلمين على المبادئ الأساسية للإسلام مثل وحدانية الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم والاعتقاد في أن القرآن الكريم هو كلام الله والإيمان باليوم الآخر. وإنما وجد الخلاف في الأمور التفصيلية فيما يعد أمراً طبيعياً في مجتمع إنساني يضم أناساً من مختلف هذه الخلافات اختلافات مذهبية لأنها ليست إلا خلافات فقهية محصورة في إطار ديني وقانوني عريض.

عاشراً: حاول الاستشراق الغض من عظمة الدعوة الإسلامية بإثارة شبهات متعددة منها محاولة الإدعاء بوجود صلة بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني (وقد كشفت البحوث عكس دعوى الاستشراق فإن القانون الروماني الحديث مأخوذ من مذهب مالك نقله نابليون معه إلى أوربا) كذلك التشكيك في عالمية الرسالة الإسلامية بالقول بأن الآيات جاءت بعد استقرار الرسالة، والحقيقة أن آيات عالمية الرسالة كلها مكية، كذلك أثار الاستشراق الشكوك حول الكتب التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك وزعموا أنها وضعت في صورتها الأولى بعد قرن من حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقد كذبتهم البحوث العلمية الحديثة التي أثبتت صحة هذه الرسائل.

حادي عشر: يذهب المستشرقون إلى أبعد حدود المغالطة حين يواجهون تاريخ الإسلام بأهوائهم فهم معجبون ببني أمية لأن أحدهم (أبا سفيان) كان عدو الرسول (ما كتبه هنري لامانس عن معاوية ويزيد).

أما عهد العباسيين فالدولة الإسلامية خرجت من يد العرب.

أما المغرب فيسمونها بلاد البربر وهذه التسمية دسيسة تافهة لأن أهل المغرب عرب وبربر ولكنهم مسلمون أولاً.

وهم لا يتحدثون عن الملوك الذين وطدوا الدولة بل عن الخارجين (بني رستم الخارجين أيام عبد الرحمن الداخل وبني مدرار أصحاب سلجمار) ويقولون عن المأمون أن دولته فارسية ونهضة العلوم في عصره نهضة غير عربية، ولا يتحدثون عن الرشيد إلا عن نكبة البرامكة وينقلون رسالة مذوبة عن أبي يوسف إلى ابن المقفع في معاملة أهل الذمة لكي يؤكدوا ما يدعيه المستشرقون من سوء حالتهم في ظل الإسلام ويهتمون بمدرسة حران الفلسفية ويقفون طويلاً عند المعتزلة وينقلون

عنهم رأي المسعودي دون غيره ويتحدثون عن المعتصم والأتراك، ويتخيرون فقرأت من رسالة الجاحظ في فضلهم لا يوردون فقرة واحدة عن فضل العرب. أما القرامطة فهم عندهم طلاب عدل وإصلاح ويروون قصة مصرع الخليفة المتوكل برواية الطبري وتفاصيل فتنة الزنج في جنوب العراق بواية النويري وقصة القرامطة برواية الطبري ويأتي بخطاب أحمد القرمطي إلى الخليفة المقتدر وهو خطاب يصورهم في صورة طلاب عدالة وإصلاح وعندما يتحدثون عن الدول المنشقة التي انتهت بالقضاء على وحدة الدولة العباسية: الصفاريين والسلمانيين والطاهريين والبوهيين ويطلبون الوقوف عندهم لأنهم دول فارسية، في كتابة تاريخ المغرب حاولوا الوقيعة بين البربر والعرب وفي المشرق حاولوا الإيقاع بين العرب والفرس. ويعجبون بالفاطميين لأن مذهبهم لم يلق قبولاً من جماعة المسلمين وعندما يتحدثون عن الصليبيين يفخرون بأنهم قتلوا عندما دخلوا القدس 65 (ألفاً) من المسلمين.

ثاني عشر: وضعوا أساس الشبهات ثم نسبوها إلى كتاب عرب ومسلمين فالشعر الجاهلي والأدب الجاهلي أساسهما بحث عن انتحال الشعر لمرجليوث، وكتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق أساسه كتاب عن الخلافة الإسلامية لمرجليوث. ومع المتنبي لطه حسين أساسه بحث لبلاشير، و...

ثالث عشر: غلبة التفسير المسيحي على التحليل والعرض، فدرمنجم يقول أن تعاليم أهل الكتاب هي التي لفتت نظر سيدنا محمد إلى الكمال الروحي والمثل الأعلى وجعلته يتحنث في الغار وهذا كذب صراح، كما يحاولون تصور أن القرآن جاء من الكتب السابقة وأن الهجرة كانت إلى الحبشة لأنها مسيحية، والحقيقة أن الدافع الحقيقي ليس لأن النجاشي مسيحي بل لأنه كان عادلاً قال النبي: لأن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق) ولذلك فليس للعاطفة الدينية أثر في تصرفاته وحاول درمنجم أن يستدل بأن الله رضي للناس الإسلام ديناً مع بقاء سائر الأديان التي سبقت وحدة مندمجة.

وهذا غير صحيح، لأن الإسلام جاء خاتماً للرسالات وداعياً أهل الكتاب للدخول فيه لأن دين الله الحق وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن متصلاً بأهل الكتاب.

ويدعي مرجليوث أن النبي محمداً كان يعرف القراءة والكتابة ويتخذ من آية (اقرأ) مع أن اقرأ لا تعني قراءة المكتوب وإنما تعني قراءة ما يوحي إليه.

ومن أخطائهم إدعاؤهم بأن العرب كانوا قبل الإسلام على استعداد للملك والنهضة وأن دور النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن أكثر من قيادة جماعة مهيأة، وذلك باطل صراح فإن العرب في مكة أمضوا ثلاثة عشر عاماً في محاربة الدعوة الإسلامية والإصرار على عبادة الأصنام حتى هاجر النبي إلى مجتمع آخر هو الذي تقبل دعوته. ولقد كانت دراستهم لأحوال العرب قبل الإسلام هو الذي شكل للعرب وجودهم الحقيقي، وأن دعوة الإسلام غلى التوحيد كانت شيئاً جديداً بالنسبة للوثنية العربية.

وهذه محاولة مضللة في الاهتمام بالغساسنة والمناذرة وإعلاء الجاهلية واعتبار الإسلام اقتباساً منها.

ومن ذلك إنكار الوحي للوصول إلى القول بأن القرآن من عمل محمد صلى الله عليه وسلم.

وكل محاولات الاستشراق في القول بأن الأفكار الأساسية للإسلام مستقاة من الكتاب المقدس، أو أن طابع الإنجيل موجود في القرآن أو ان هناك أصلاً يهودياً للإسلام (بروكلمان – فون كريمر – مونتجمري وات) أو بروكلمان فكل هذا باطل.

ذلك لأن مصدر الأديان السماوية واحد ولذلك فلابد أن تكون هناك علاقة مشتركة لأن الدين كله من عند الله وهو التوحيد ولكن رؤساء الأديان حرفوه، أما الإسلام فقد حفظه الله تبارك وتعالى.

وقد عجز المستشرقون مع الأسف – كما يقول محمد أسد (ليوبولد فابس) عن استيعاب خصائص التصور الإسلامي ومقوماته الأساسية ومن ثم فإنهم لا يستطيعون أن ينفذوا إلى أعماق الحياة الإسلامية ويستحيل على المستشرق أن يفهم الوحي، أو الهجرة، أو ينفذ إلى أعماقها لأنه بعيد بحكم تكوينه النفسي وتفكيره عن هذا النظام.

ولهذا اعتبر (توينبي) الهجرة مبدأ التدهور في تاريخ الرسالة المحمدية ويزعم مونتجمري وات حين يتحدث عن المعاهدة التي عقدها بين المسلمين واليهود بعد

الهجرة أن كلمتي إسلام ومسلم لم تكن مستعملة في الفترة المبكرة من العهد المدني ويرجع هذا إلى أنه تجاوز في الترجمة وحرف.

ومن الشبهات التي يثيرها المستشرق فون كريم الإدعاء بأن الإمامين الأوزاعي والشافعي وقد ولدا في سوريا كانا على علم بكثير من قواعد القانون الروماني البيزنطي وقد ثبت أن هذا القول مجرد أسطورة فمن الثابت أن مدرسة بيروت لم تكت موجودة عند الفتح الإسلامي للشام وأن الشافعي والأوزاعي لم يعرفا القانون البيزنطي.

رابع عشر: أن القول بأن مصادر النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن هي التوراة والإنجيل من المسائل التي يكاد الاستشراق يجمع عليها ويرددها من كانوا من مستشرقي اليهود أو النصارى والواقع أن هذا الاتهام باطل بدليل واحد أن مفهوم القرآن للتوحيد يختلف عن مفهوم التوراة المكتوبة بأيدي الأحبار أو الأناجيل الموجودة في أيدي الناس الآن فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم وحمل القرآن لواء الدعوة إلى التوحيد المطلق، كما يقول الدكتور عبد الجليل شلبي: إله العالم كله واحد. إله مجرد من المادة وعن التركيب. كان الإله عند اليهود (يهوه) وهو الههم وحدهم وقد ظلوا على ذلك ردحاً من الزمن حتى جاء النبي (إليجا) أول من جهر بأنه إله العالم كله وظهر بشيء غريب أيضاً على اليهود هو أن حكم الله يجري على الملوك كما يجري على أبناء الشعب ولهذا لم تكن الديانة اليهودية موحدة بالمعنى الحقيقي وإنما كانت ديانة توحيد بالنسبة لجيرانها فقد كان لدى الآخرين آلهة متعددة للزرع والمطر والخصوبة والنجوم كل له إله خاص، وإذن فالتوحيد الإسلامي نوع فريد في كل ما أعلن من صفات الله خالق الكون سبحانه.

المسألة الثانية: أن القرآن لم يذكر قط قصص الإسرائيليين بل ذكر قصص داود وصالح والخضر وشعيب وسبأ، أما الكتاب المقدس فقد اقتصر على ذكر شعيب المختار وتاريخه وهو لم يتم بوضعه الحالي إلا بعد القرن الثاني الميلادي.

ولأنهم ينكرون الوحي السماوي فإنهم يبحثون عن مصدر معلومات الثرآن ولا يزالون مختلفين. قال مونتجمري وآت: أن محمداً نال معلومات ممتزجة من اليهودية والمسيحية معاً، وبذل جهداً واسعاً في سبيل الاستدلال على ذلك، كذلك فعل

(درمنجم) ولكن الوقائع في المقارنة بين القرآن من ناحية وبين التوراة والإنجيل تكذبهم في هذا الإدعاء العريض.
خامس عشر: في محاولة لتأييد النفوذ الأجنبي الذي فرض القانون الوضعي كانت حملة الاستشراق على الشريعة الإسلامية، جولدزيهر وشاحت وغيرهم الذين كانوا ينشرون دعياتهم الرامية إلى القول بأن الفقه الإسلامي جامد ولم يتطور وسيبقى جامداً إلى الأبد وأنه لا يحتوي على قواعد عامة وإنما يتناول النوازل الخاصة.
وذهب بعضهم إلى القول بأنه لا يوجد فكر سياسي إسلامي، وإنما الذي عرفه المسلمون هو الفكر الفارسي واليوناني وقد كذبت الحقائق الناصعة دعاوي الاستشراق وكتب كثيرين كاشفين عن عظمة الشريعة الإسلامية وقدرتها على الاستجابة للعصور والبيئات وكيف أن للمسلمين فكرهم السياسي الخاص ومن أبرز هذه الدراسات كتابات الدكتور ضياء الدين الريس.
كذلك فإن مؤتمرات دولية من رجال القانون عقدت خلال القرن الرابع عشر الهجري شهدت بأصالة واستقلال وعظمة الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي، وأكدت أنها شريعة قائمة بنفسها ليست مأخوذة من غيرها وأنها خلافاً لما قال خصومها حية وقابلة لمسايرة الحياة الاجتماعية في إطار القواعد الثابتة وأن مبادئها لها قيمة حقوقية تشريعية لا مراء فيها.
سادس عشر: كذبت الحقائق دعاوي الاستشراق في أن التصوف الإسلامي أخذ من الافلاطونية الحديثة أو مذاهب المسيحية أو أن البلاغة العربية أخذت من كتاب الخطابة لأرسطو أو أن الفقه الإسلامي أخذ من مدونة جوستنيات.
كذلك كذبت الوقائع دعاوي الاستشراق وأتباعهم عن إسقاط الرواية الإسلامية لشعر عصر البعثة النبوية وما كان منه طعناً على الإسلام وهجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإن الإسلام لم يصادر هذا الأدب والدليل ما رواه ابن إسحاق في السيرة النبوية من قصائد المشركين واليهود وهي لا تقل في الإحصاء عن قصائد الشعراء مع النبي وخاصة في موقعتي بدر وأحد.
سابع عشر: ليس أدل على سوء نية الاستشراق في البحث من إصرار لويس ماسنيون على متابعة آثار الحلاج خلال أربعين سنة حتى نشر ذلك المجلد الضخم

في 1400 صفحة ثم أخذ يتتبع متروكاته فطبع ما ورد عنه في الفقرات النثرية ثم نشر ديوانه الشعري وقد جمعها قطعاً من نحو مائة مؤلف بين مخطوط ومطبوع.

وقد ركز اهتمامه على المقاطع التي يوضح بها الحلاج اتحاده بالله بل معادلته له به (جل شأن الله عن ذلك وعلاً) كذلك ما حرص الاستشراق وأتباعه من إبراز الشخصيات المعادية للسنة وللإسلام مثل أبحاثهم عن مسيلمة الكذاب، وعن عيلان الدمشقي والإشادة بهما أو كذاب اليمن الأسود العنسي ووصف كل منهم بالبطولة مع أنهم جميعاً خارجون عن مفهوم الإسلام الصادق.

ثامن عشر: لقد تجمع في تحرير دائرة المعارف الإسلامية أخبث وأخطر رجال الاستشراق من يهود وغيرهم ممن يكنون الكراهية للإسلام ولذلك فقد حرصوا على صنع مواد الدائرة بمفاهيم كنسية ويهودية وتأخذ دائرة المعارف الإسلامية القصة اليهودية للعهد القديم في خلق آدم عليه السلام فيحيلها مصدراً لقصة آدم في دائرة معارف إسلامية.

كذلك فهم يأخذون وجهة نظر اليهود في إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويزيفون مفهوم فلسطين وعروبتها ويحاول الاستشراق اليهودي إعطاء فكرة للعالم أن فلسطين كانت يهودية قبل الإسلام.

ويعمل رونسون في ركتابه عن الرأسمالية والإسلام تشويه التاريخ الإسلامي ورفع العنصر اليهودي على حساب العرب.

تاسع عشر: حرص الاستشراق على تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف العصور وخاصة في العصر الأول على أنه مجتمع متفكك تقتل الأنانية رجاله، وهم في كل محاولاتهم المسمومة للانتقاص من الإسلام ولغته وتاريخه وتراثه يخضعون النصوص للفكرة التي يفرضونها مع تحريف حين لا يجدون مجالاً للتحريف وتجمهم في المصادر التي ينقلون منها فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخه الفقه ويصححون ما نقله الدميري في كتاب الحيوان (وهو ليس ذا قيمة علمية صحيحة) ويكذبون ما يرويه مالك في الموطأ كل ذلك انسياقاً مع الهوى وانحرافاً عن الحق.

وهم يستخدمون كتب التراث استخداماً خبيثاً فيبرزون كل ما يفرق ويخفون كل ما يجمع ويغلب عليهم سوء الظن وسوء الفهم والهوى.

العشرون: يحاول كل من الاستشراق المسيحي خطة والاستشراق الشيوعي خطة مختلفة والاستشراق الصهيوني خطة ثالثة، كل منها يهدف إلى تحقيق غرض خاص ولكنها جميعاً تطبق على الإسلام بالعداوة والخصومة والحقد الدفين.

===============

كيف دخل اليهود من بوابة الاستشراق ؟

طارق حسن السقا ...

كثيرة هي الدراسات الحديثة التي تناولت قضية الاستشراق والمستشرقين بأبعادها المختلفة . وكثيرة هي الأبحاث التي رصدت دور المستشرقين ورصدت أعمالهم, وخدماتهم, وإنجازاتهم, و إيجابياتهم, وسلبياتهم . غير أن الملاحظ في كثير مما كتبت عن الاستشراق عدم وضوح الدور اليهودي في هذه العملية. وهذا يفرض سؤالا -:

هل ترك اليهود مجال الاستشراق ولم يتدخلوا فيه؟

الثابت تاريخيا أن اليهود كان لهم دورهم الخطير في عملية الاستشراق . ولقد ظهرت بوادر هذا التدخل منذ زمن بعيد يرجعه المؤرخون إلى القرن الثاني عشر على يد رجل يهودي اعتنق المسيحية وأخفى اليهودية . وفعل ما فعل .أنه يوحنا الإشبيلي الذي ظهر في منتصف القرن الثاني عشر .

والحقيقة التي أردت أن أبرزها هنا هي أن اليهود نجحوا في التسلل إلى حقل الاستشراق المغري لهم , والأكثر تمشيا مع فكرهم المشؤوم بهذه الخدعة التي ابتدعها يوحنا الاشبيلي ألا وهي خدعة (الإخفاء والارتداء) أي إخفاء ديانتهم اليهودية . وارتداء كل ما من شأنه توصيلهم إلى أهدافهم. فالثابت تاريخيا أن " كل المستشرقين اليهود قد استطاعوا أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا جزء من الحركة الاستشراقية الأوروبية وليصبحوا عنصرا أساسيا في إطار الحركة الاستشراقية الأوروبية النصرانية . فقد دخلوا المجال بوصفهم الأوروبي لا بوصفهم اليهودي . "(1)

لقد مكنتهم هذه الخدعة التاريخية , التي هي أصل ملازم للشخصية اليهودية عبر السنين من تنفيذ أكبر قدر من الدس والهدم والتحطيم . لأنهم يدركون أن في الإفصاح عن الهوية اليهودية ما سيثير الحفائظ ضدهم. مما سيؤدي إلى عزلهم. وبالتالي يقل أثرهم الهدام . لذلك دخل اليهود مجال الاستشراق بإخفائهم الدائم للديانة اليهودية وارتدائهم لأثواب مختلفة . فلقد ارتدوا ثوب الجنسية الأوروبية تارة . و ثوب النصرانية تارة , وثوب الإسلام تارة أخرى . وأثوابا أخرى كلها تصب في اتجاه تحقيق أهدافهم الخبيثة .

إن خدعة الإخفاء والارتداء هذه هي أشهر ما استخدمه اليهود في صراعهم التاريخي ضد المسلمين . استخدموها في كل ما من شأنه تلويث المناخ الفكري الملوث الذي يعيشون فيه . وإذا كانت آثار القنبلة الذرية التي ألقيت على المدن اليابانية في أغسطس 1944 م ظل ملموسا في عشرات الأجيال اللاحقة . فإن أثر المناخ الفكري الملوث لأي أمة من الأمم يظل أثره السيئ ملموسا في عشرات الأجيال اللاحقة بعد ذلك . وهذا ما ينتهجه اليهود معنا في لعبة الصراع الحضاري الدائر بين القوتين . كما أن وسيلة الإخفاء والارتداء هذه هي أشهر الوسائل التي حققت لليهود هذه الأهداف. لقد تعلموا هذه الدسيسة على ايدي حكماءهم . فلقد جاء في أحد بروتوكولات حكمائهم ما نصه :

" عليكم ألا تظهروا.. وألا تعرفوا الناس علينا . .عليكم ألا تستخدموا كلمة يهودي . " - (2)

انظر إلى الآثار المدمرة التي عاشها المسلمون في عهد الخليفة عثمان بن عفان. وكيف نجح اليهود في تنفيذ هذه الخديعة على يد رجل يهودي من أهل صنعاء في اليمن هو عبد الله بن سبأ – الذي أخفى يهو ديته وارتدى عباءة الإسلام نفاقا . ثم انظر كيف تنقل بين بلاد المسلمين يحاول إضلالهم وإفساد عقيدتهم . وانظر كيف حاول نقل ضلالات الفكر اليهودي إلى واقع حياة المسلمين . وانظر كيف نجح بالفعل في تلويث المناخ الفكري للمسلمين . ونتج عن هذا المناخ الفكري الملوث مقتل الخليفة الشهيد ذي النورين عثمان بن عفان . وفتح باب الفتنة في عهد الإمام علي – رضي الله عنه – وقيام الخلاف المستحكم في السياسة الإسلامية . ونشأت

المتاعب في ذلك . وفي ظل هذه الفتن نبت المذهب الشيعي (الذي أخذ من اليهودية أكثر مما أخذ من الفارسية) . وفي صدى هذه الفتن التي استمدت طيلة عهد الإمام علي – كرم الله وجهه – نبت مذهب الخوارج– أيضا. (3)

وكلها بقع سوداء على ثوب التاريخ الإسلامي نتجت من جراء استخدام اليهود لهذه الخدعة .

" ولقد أكثر اليهود من استعمال هذه الخدعة بعد طردهم من البرتغال و أسبانيا و قيام المجلس التفتيش عليهم بالعذاب المعلوم , وهكذا كان إسلام اليهود الذين جاءوا إلى المملكة العثمانية بعد القرن الخامس عشر فأسلموا وسُموا بالدونمة أي المهتدين " (4) وليس بخاف على أحد ما أحدثه هؤلاء الدونمة في وتاريخ الخلافة الإسلامية التي تظاهروا عليها وأسقطوها عام 1924 م . ولم يتخلص العالم الإسلامي حتى اليوم من كثير من الأفكار الملوثة التي صدرها يهود الدونمة إلى عقول المثقفين في عالمنا الإسلامي . وكانت أسباب كل هذا إجادتهم لخدعة الإخفاء والارتداء .

إن هذه الحيلة واحدة من السمات التي لازمت الشخصية اليهودية عبر السنين . وهي واحدة من الخدع التي استخدموها معنا مرات ومرات .

يقول ا / سليمان ناجي

" في معظم الأحيان يستر اليهود يهوديتهم حينما يقومون بحملات الغزو الخبيث للأديان . إذ ينادون بإلغاء الأديان كلها , ويهاجمونها جميعا , ويضعون وكلاءهم وحراسهم في شتى ميادين العمل الإنسانية , ويحاولون ألا تفلت ثغرة واحدة منهم دون أن يرسلوا فيها بعض وكلائهم أو أجرائهم أو يشتروا من الأفراد بعض ضعاف الإدارة , أو بعض ضعاف العقل مهما كلفهم الثمن . وغالبا ما يكون الثمن زهيدا . " (5)

و من الثغرات التي لم تفلت منهم مجال الاستشراق. ومن الوكلاء الذين أرسلوهم في هذا المجال صموئيل زويمر. فحين يذكر اسم زويمر في كثير من المحافل الثقافية عندنا فيتبادر إلى الذهن أنه المستشرق الذي كتب عديدا من المؤلفات الإسلامية . وهو الذي أسس مجلة العالم الإسلامي عام 1911 م . وهو أحد كبار المستشرقين الذين لعبوا دورا في المنطقة العربية . كما أنه الشخص الذي رأس وأدار عديدا من مؤامرات التبشير من إدنبرة في إنجلترا –في أقصى الغرب–إلى لكنو في الهند – في

أقصى الشرق – وهو الرجل الذي آزره في كل هذا فريق من المنصرين الذين كانوا يعملون في المنطقة وكان من بينهم أخوه بيتر وزوجته: إي– لو– زويمر"(6)

ولكن العجيب أن " صموئيل زويمر " وعائلته كانوا يهودا . وأن " صموئيل زويمر " نفسه مات على اليهودية عام 1952م . ولكن كيف استطاع هذا اليهودي أن يعتلي المناصب الهامة والأكثر خصوصية عند النصارى؟ كيف حظي هذا اليهودي بثقة الكنيسة الإصلاحية الأمريكية ؟ويتلقى كامل دعمها ؟

يقول د\ عبد الله التل:

أخبرني راهب من أصدقائي أيام معركة القدس أن الكنيسة تحتفظ بهذا السر المذهل ولا تبوح به حتى لا تنكشف حيل اليهود الذين يتظاهرون باعتناق النصرانية . وحتى لا ينكشف إخفاق جمعيات التبشير التي تبذل الملايين عبثا , وتنخدع بمكر اليهود وخططهم الخبيثة لبث الفتن بين الإسلام والمسيحية " (7)

ولقد نجح اليهود بهذه الخدعة في الدخول من بوابة الاستشراق. وأحدثوا الكثير من حالات الفوضى والهرج والمرج في تاريخنا الإسلامي . لقد ذاقت امتنا بهذه الحيلة – من الهزائم والنكبات و الضربات الموجعة ما أنهكها, وأضعفها. بهذه الحيلة استطاع صموئيل زويمر وآخرون أن يلوثوا المناخ الفكري للمسلمين. ولقد ظهرت آثار هذا المناخ الملوث بادية للعيان حتى بعد مرور اكثر من نصف قرن . ففي مؤتمر القدس التبشيري عام 1935م وقف صموئيل زويمر "يقول

" مهمة التبشير التي تربيكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية, فإن في هذا هداية لهم وتكريما. وإنما مهمتك هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوق لأصله له بالله ،وبالتالي لأصله له بالأخلاق التي تعتمد عليه الأمم في حياتها "

وفي أحد أشهر كتبه –العالم الإسلامي اليوم – كتب يقول :–

تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لان الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها .

وفي موضوع آ خر من نفس الكتاب قال مخاطبا المستشرقين :–

إنكم أعددتم نشأ لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء ألنشء طبقا لما أراده الاستعمار لا يهتم بعظائم الأمور ويجب الراحة و الكسل فإذا تعلم فللشهرة وإذا تبوأ أسمي المراكز فالشهرة ففي سبيل الشهرة يجود بكل شيء "

هذه كلها ما هي إلا حثالات الفكر الصهيوني والتي رضعها زويمر من بروتوكولات أجداده .بل واستطاع أن يحملها في حقيبة أنيقة ويدخل بها من بوابة الاستشراق في ظل غياب حراس الفضيلة من جند الله المخلصين . ثم نجح في تسريبها الي واقع الأمة الإسلامية حتى أصبحت هذه الحثالات روح تسري, وفكر يعتنق, أثر يلمسه القاصي والداني دون عناء . وإذا ما نظرت بعين الاعتبار إلى أفكار زويمر هذه ., وإلى واقع الأمة اليوم ستجد أن المستهدفات التي وضعها هؤلاء قد تم تحقيقها بنسبة مزعجة . وان كل ما حققوه و أنجزوه إنما تحقق وأنجز بفضل إجادتهم لسياسة الإخفاء والارتداء .

.ولكن لماذا دائما كان يفضل اليهود التخفي وراء القناع المسيحي ؟

يقول الدكتور علي إبراهيم النملة :

" يخفي اليهود انتماءاتهم اليهودية وينخرطون في أعمال دينية تصل أحيانا إلى حد التظاهر بالإسلام قصدا إلى الإسهام في مصادرته . والتظاهر بالنصرانية من باب أولى لما لنصارى من قبول في المجتمع المسلم اكثر من قبوله لليهود "

وحينما يذكر أمامنا اسم غ . فون جرونباوم فإن الظاهر عنه أنه مستشرق ألماني. درس في العديد من الجامعات الأمريكية . كان أستاذًا بجامعة (شيكاغو)، ا لف عديدا من الكتب الإسلامية منها :(الأعياد المحمدية 1951م) –(دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية 1954م) وغيرها . وعند هذا الحد فمن الممكن أن تكون هذه الشخصية مقبولة في المجتمع المسلم . وكذلك كتاباته , وأفكاره , وإبداعاته . أما حينما نعلم أن هذا المستشرق يهودي متعصب. كان من ألد أعداء الإسلام . .كان غزير الإنتاج . امتلأت كتبه بالاعتداءات الصارخة علي الإسلام والمسلمين.بل وكانت وسيلة لدك حصون المجد الإسلامي . فلطالما اعتدى على مقدسات المسلمين وقيم المسلمين وتاريخ المسلمين . لقد أخفى يهوديته وارتدى القناع الأوروبي فسهل

عليه المساهمة في تلويث المناخ الفكري للمسلمين. ولقد ظهر اثر هذا المناخ الملوث في أجيال عديدة تربت على موائد هؤلاء اللئام .وللأسف كان هذا المستشرق إماما ومثلا أمام كثير من المستشرقين بل وكان له الكثير من المعجبين من المستشرقين أنفسهم .

.

وحينما يذكر لنا التاريخ اسما له بريقه في هذا المجال ألا وهو (جولد زيهر – 1850م : 1920 م) . فإننا لا نعرف عنه غير أنه المستشرق المجري . نعم المجري !! . وأنه زعيم علماء الإسلاميات في أوروبا بلا منازع . وأن كتبه ومؤلفاته تحظى بالتقدير الأعظم , والاحترام الفائق من كل فئات المستشرقين . وأن كتابه تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي . يعد أشهر المراجع المعترف بها عند الأوروبيين . كل هذا قد لا يلفت الانتباه . أما حين نعرفه أن زعيم علماء الإسلاميات بلا منازع هو يهودي متعصب . وأنه اتخذ من جنسيته المجرية قناعا لهدم العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين . كما ساهم في تلويث المناخ الفكري في العالم الإسلامي فالأمر أظن يختلف .

وقد يفسر لنا هذا سر وقفة جولد زيهر المؤيدة والمدافعة عن الفكر البهائي (8) أو البلاء البهائي. ذلك الفكر الذي جاء بضلالات وافتراءات عن الإسلام ونبيه وقرآنه . وجاء بصلاة جديدة , وصيام جديد , وحج جديد , وادعاءات بأن القيامة لم يعرفها محمد – صلى الله عليه وسلم – ولا أصحابه , ولا أئمة المسلمين من بعد . لقد وقف جولد زيهر موقف المؤيد والمدافع عن كل هذه الافتراءات بل وباركها وأيدها. ولم يكتف بذلك بل أضفى على أنصار هذا الفكر ألقاب البطولة وبخاصة قائد تهم قرة العين (1230 – 1269 هـ) وهي امرأة منحرفة السلوك فرت من زوجها . وراحت تبحث عن المتعة . وأعلنت عن نسخ الشريعة الإسلامية في مؤتمر برشت 1269 هـ . وقد أعدمها الشاه في نفس العام . (9)

وحينما يذكر أمامك اسم جو زيف شاخت فهو أحد كبار اليهود المستشرقين . دخل المجال مخفيا ليهوديته . وسار على نهج أسلافه – وبخاصة أستاذه جولد زيهر – في الحط من الشريعة الإسلامية . وادعى بأن الشريعة الإسلامية لا تختلف عن

أعراض الجاهلية . وساهم مع غيره في تسميم الأجواء العامة أمام أجيال تأثرت بمثل هذه الأفكار ووقعوا فريسة الفكر الشيطاني أو الفكر الاستشراق . وخرجوا علينا بسفيه الأفكار التي لا يقبلها لا منطق ولا عقل ولا دين .

وتطول القائمة التي تحوي العشرات من المستشرقين المغتصبين الذين أهالوا التراب على مجدنا الإسلامي العظيم . ولكننا لا نعرف عنهم غيرهذا الإنجليزي أو ذاك الإيطالي وهكذا . ولكن وراء هذه الجنسيات تقبع كثير من الأسماء التي اتخذت من وسيلة الإخفاء والارتداء قناعا وذريعة لتحقيق أهداف الصهيونية كفكرة أولا وكدولة ثانيا .

يقول د / محمود حمدي زقزوق :

" لم يرد اليهود أن يعملوا داخل الحركة الاستشراقية بوصفهم مستشرقين يهود حتى لا يعزلوا أنفسهم . وبالتالي يقل أثرهم . ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوربيين , وبذلك كسبوا مرتين : كسبوا أولا فرض أنفسهم على الحركة الإستشراقية كلها , وكسبوا ثانية تحقيق أهدافهم من النيل من الإسلام وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية النصارى . " (10)

لم يكتف هؤلاء المسترقين بتلويث المناخ الفكري للمسلمين ا. ولكنهم نجحوا في دس رجال وزعامات للكيد لهذه الأمة بالمئات والألوف . هؤلاء الرجال كانوا دسيسة في العالم الإسلامي . والعشرات من هذه الشخصيات المدسوسة على الأمة الإسلامية في صور أبطال مصنوعين على عين الصهيونية يؤدوا لأعداء الإسلام من الخدمات ما لا يملك هؤلاء الأعداء أن يؤدوها ظاهرين . (11)

إن هناك ا من علماء المسلمين ومفكر يهم ممن عاشوا وعايشوا هذا المناخ الفكري الملوث . ومنهم من دَرَسَ أو درس. ومنهم من قرأه وتأثر به . ولقد ساهم هذا المناخ الفكري الملوث في تشكيل عقلية هؤلاء . كل هذا ساهم أيضا في أن يخرج علينا كثير من هؤلاء الاتباع بإنتاج فكري ملوث أيضا . فشجرة الحنظل لا تثمر إلا حنظلا - لا تينا ولا زيتونا - .

ومازالت أمتنا الإسلامية حتى هذه اللحظة تعيش آثار هذا المناخ الفكري الملوث الذي صوبه نحونا الاستشراق والمستشرقون . ولا سيما اليهود منهم . وما تزال أمتنا

الإسلامية تعاني من خدع اليهود وقدراتهم على التخفي وراء الجنسية أو وراء اعتناق ديانة غير ديانتهم . وما تزال أمتنا الإسلامية تعاني من قدرة هؤلاء على تجنيد صبيانهم وتصيد الأجراء من حين لحين . وما تزال كل هذه الوسائل الخطيرة هي أكبر تحد أمام الأجيال القادمة في عالمنا الإسلامي . وما تزال هذه الخدعة " خدعة الإخفاء والارتداء " هي أخطر سهام اليهود المصوبة نحونا بغية محو الطابع الإسلامي عن مجتمعاتنا . وبالتالي إفساد عقيدتنا الإسلامية . وتكون النتيجة الطبيعية لذلك هي تفكيك وحدة المسلمين . وصرفهم عن قضاياهم الإسلامية .

فاللهم بصر شباب المسلمين بعواقب الأمور كلها حتى لا يُساء بهم صديق . ولا ينتصر عليهم عدو . ولا أن يُلدغوا من نفس الجحر مرة أخرى .

طارق حسن السقا

@hotmail.com22alsaqa

============================

المراجع :

1- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري . د/ محمود حمدي زقزوق

2- بروتوكولات حكماء صهيونية . عجاج نويهض

3- تاريخ المذاهب الإسلامية . الإمام محمد أبو زهرة

4- بروتوكولات حكماء صهيونية . عجاج نويهض

5- مكائد يهودية . سليمان ناجي

6- جذور البلاء . عبد الله التل

7- المرجع السابق

8- البهائية : حركة نشأت(1260: 1844هـ) تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية . والاستعمار الانجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية تفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية وكان اليهود وراء انتشار وانتعاش الفكر البهائي في بلاد المسلمين .

9- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة .

10- الاستشراف والخلفية الفكرية للصراع الحضاري . د/ محمود حمدي زقزق

11–معركتنا مع اليهود –سيد قطب .

=================

#الثقافة الإسلامية في عصر العولمة(2-1)

سهيلة زين العابدين حمَّاد 1424/9/3

2003/10/28

إنَّ الموضوع الذي نحن بصدده جد خطير وهام؛ إذ لابد من هذه الوقفة مع واقع الثقافة في عالمنا الإسلامي الذي يواجه الآن كل تحديات أنواع العولمة (الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأدبية، واللغوية، والفكرية، والثقافية).

ومما لاشك فيه أنَّ هذه المجالات جميعها تكون عقيدة وفكر وثقافة الأمة التي من خلالها يتحدد سلوك أفرادها، وقرارات قاداتها.

وقراءة منا لواقع الثقافة في عالمنا الإسلامي، وحال مثقفيها نجد أنَّنا –للأسف الشديد– مهيئين تماماً لقبول العولمة، بل والذوبان في الآخر، وهذه ليست نظرة تشاؤمية، ولكن حاضرنا الثقافي هو الذي يشهد بهذا، فنحن منذ ظهور الإسلام حتى وقتنا الراهن كنا فريسة لمخططات الغرب التي أوصلتنا إلى هذه المرحلة، ولابد لنا أن نكون صريحين وواقعين حتى لانخدع أنفسنا ونوهمها بحسن نية الآخر تجاهنا، وحتى لا نعطي للآخر حجماً أكبر من حجمه، أو نستهين بما يخططه ضدنا للتظاهر بأننا لسنا من ذوي نظرية التآمر التي نجح الغرب في أن يجعل عددًا كبيرًا من مثقفينا يعتنقها ليخطط ويحقق أهدافه دون أن توجه إليه أصابع الاتهام، ولنتقبل ما يخطط لنا دون إدراك أبعاد وخطورة هذه المخططات كما هو حاصل الآن، علينا أن نقرأ التاريخ، ونتعرف على حقيقة علاقة الشرق بالغرب، وأبعاد هذه العلاقة وأهدافها، ونتوقف عند علاقة الغرب بالإسلام وموقفه منه، ومخططاته لمواجهته، ونظرته للمسلمين عامة وللعرب بصورة خاصة، وما يفعله الآن معنا.

إنَّ ما يحدث ليس وليد التسعينيات من القرن العشرين ولكنه حصيلة قرون عديدة تصل إلى ما قبل عصور التاريخ، ومما ينبغي علينا أن نحذر من الغرب؛ لأنه يريد طمس هويتنا ومسخ شخصيتنا واقتلاعنا من جذورنا وإحلال ثقافته ودينه وعقيدته وأمراضه وانحلاله محل ديننا وثقافتنا وقيمنا وأخلاقياتنا، مع فرض هيمنته السياسية

والاقتصادية والعسكرية علينا، وحرماننا من حق المعارضة وإبداء الرأي، والدفاع عن حقوقنا الشرعية. وجعلوا منا من أصبح يناهض كل ما هو إسلامي، ويطالب بإلغاء ثوابت الإسلام، وإسقاط الإسلام من دساتير الدول الإسلامية، وقصره على العبادات، ومنا من فقدوا ثقتهم في العقلية الإسلامية، وشككوا في قدرات المسلمين، ونسبة إنجازات المسلمين للغرب، ووصفوا الإسلاميين بسرقة أفكار الغربيين ونسبتها إليهم، بل نجد اللغة الإنجليزية قد أصبحت هي الأساسية في الدراسات الجامعية في جامعاتنا، ليس في العلوم التجريبية فقط، بل أصبحت لغة دراسة الاقتصاد والإدارة أيضاً.

كما نجد الغرب قد نجح في نسبة الإرهاب إلى الإسلام بشرائه لمجموعة من الأفاكين مستغلين حبهم للمال وحاجتهم إليه للقيام بأعمال إرهابية، ونسبتها إلى جماعات إسلامية، هم في الغالب وراء إيجادها وتكوينها، حتى أصبحت الحكومات الإسلامية تخشى من كل ما هو إسلامي.

أليس هذا هو واقعنا الآن؟

قد يقول قائل: الخطأ خطؤنا ونحن أوصلنا أنفسنا إلى ما نحن عليه الآن، وأنا أتفق مع هذا القائل، ولكن لكي نكون واقعيين لابد لنا أن نضع أيدينا على الأسباب التي أوصلتنا إلى الحال هذه، ومن وراءها؛ علَّنا نستطيع تلافيها. وهنا يتطلب منا أن نطرح هذه الأسئلة:

متى تعَّرف الغرب إلى الشرق؟ وماذا كانت طبيعة هذه العلاقة؟ وما أهدافها وغاياتها؟ وكيف كانت نظرة الغرب إلى الشرق؟ وما هو تأثيرها على الثقافة العربية والإسلامية؟

وسأبدأ بالإجابة عن السؤال الأول:

متى تعرَّف الغرب إلى الشرق:

لقد تعرَّف الغرب إلى الشرق عبر قرون طويلة، وعن طريق عدد كبير من الكتَّاب والرَّحالة والجغرافيين والمؤرخين، وقد اختلفت وسائل اتصال أوربا بالشرق باختلاف أهدافها وبواعثها من وراء هذا الاتصال، وقد بدأت بعلاقات تجارية ترجع إلى أيام الكنعانيين، ثمَّ تلتها علاقات حرب واحتلال في زمن الإسكندر الأكبر في أواخر

القرن الرابع قبل الميلاد الذي وقف علماؤه لدراسة الشرق ليتمكن من غزوه. وهذه تعد البداية الحقيقية للاستشراق.

صورة الإسلام في أوربا من خلال الكنسية وكتابات المستشرقين:

وعندما ظهر الإسلام كثّفت الكنيسة جهودها لمهاجمة الإسلام والنبي محمَّد –صلى الله عليه وسلَّم–، ولقد ظهرت آراء ومواقف فظة ومشوبة بالعصبية في العقيدة الإسلامية، وقد أوضح المستشرق البريطاني ريتشارد سوذرن في كتابه "صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى"، وكذلك نظيره نورمان دانيال في كتابه "العرب وأوربا في العصور الوسطى" تلك المواقف الفظة المشوبة بالعصبية ضد الإسلام ونبيه –محمّد صلى الله عليه وسلم–، وإلحاق فعال وصفات به هو منزه عنها، ولا تمت إلى الحقيقة والواقع بصلة، فقط ليشوهوا صورته وليصرفوا الناس عن الإيمان برسالته وبنبوته، وليفرغوا حقدهم عليه، والمجال لا يتسع لذكر ما نسبوه إليه باطلاً، ولكن يبين لنا هذا أنهم في تعاملهم معنا يخرجون عن جميع مبادئ وأسس الحوار العلمي الموضوعي المنطقي الذي يتظاهر به الغرب في نقاشه وحواره معنا.

قد يقول قائل إن طريقتهم اختلفت مع مشارف القرن العشرين، ولا سيما في العقود الأخيرة منه، وأقول هنا من خلال دراستي للاستشراق، ولبعض المدارس الاستشراقية –وأهمها المدرسة البريطانية والفرنسية والألمانية، وغيرها– وموقفها من السيرة النبوية؛ وجدتها لم تخرج عن الإطار الذي رسمه المستشرقون الأوائل الذين كان معظمهم من رجال الكنيسة، وعند دراستي لمصادرهم وجدت أن كتابات أولئك المستشرقين هي مصادرهم الأساسية، أمَّا المصادر الإسلامية فما هي إلاَّ مجرد إطار لوضع الصورة التي رسمها المستشرقون الأوائل مع تخفيف حدة الهجوم المباشر بتغليفه بغلاف يوحي بالمنهجية العلمية والموضوعية، ولكن عندما تتفحص في المحصلة والنتيجة تجد أنها لا تخرج عن الصورة التي رسمها أولئك المتعصبون الحاقدون على الإسلام ونبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم، وتؤكد ما أقوله أهداف الدراسات الاستشراقية ونتائجها.

أهداف الاستشراق ونتائجه:

نتيجة لكشف بعض الباحثين العرب– في مقدمتهم الدكتور إدوارد سعيد، والأستاذ عبد النبي أصطيف، والدكتور أنور عبد الملك– أمام الرأي العام العالمي أهداف ومناهج المستشرقين مبينين مثالبه وعيوبه فلقد تخلى المستشرقون رسمياً عن مصطلح "مستشرق" في المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للمستشرقين الذي عقد في باريس صيف عام 1973م، وقال المستشرق الصهيوني البريطاني الأمريكي برنارد لويس: "فلنلق بمصطلح مستشرق في مزبلة التَّاريخ"، لكنهم لم يتخلوا عن مناهجهم، وقد أعلنوا هذا في ذات المؤتمر، واتخذوا من مراكز المعلومات مصطلحاً جديداً للاستشراق الذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية لتمارس من خلاله على الشرق ولاسيما الشرق الإسلامي ودول العالم الثالث نوعاً جديداً من الاستعمار، وهو أخطر أنواع الاستعمار ولم يسبق للبشرية أن رأت مثيلاً له، وهذا الاستعمار هو "العولمة".

هذا وللاستشراق أهداف دينية وتنصيرية، وأهداف سياسية، وأهداف استعمارية عسكرية، وأهداف علمية، والحديث عن هذه الأهداف طويلة جدًا، لذا سأوجز الحديث عنها في الحلقتين القادمتين إن شاء الله.

توقفتُ في الحلقة الأولى من هذه المقالة عند أهداف الاستشراق التي سوف أوجزها في الآتي:

أولاً: الأهداف الدينية والتنصيرية:

1– لقد أسهمت الدراسات الاستشراقية في إيجاد الأرضية في كثير من بلاد المسلمين للدعوة التنصيرية، وقد كتب بعض المستشرقين ونظَّروا لكيفية التَّنصير مع المسلمين، مثل ما قام به المستشرق المُنصِّر القس صموئيل زويمر في معهده الذي أنشأه باسمه من قبل المؤتمر التَّنفيذي ليكون مركزاً للأبحاث مهمته إعداد الأبحاث وتدريب العاملين في صفوف المسلمين لتعزيز قضية تنصير المسلمين، وكذلك المستشرق البريطاني وليم موير، ويشهد على ذلك كتابه " شهادة القرآن على الكتب اليهودية والمسيحية " فهو كتاب تنصيري في المقام الأول. ومسلسل التنصير لم ينته بعد فلقد أعلن البابا في المجمع المسكوني الثاني الذي عقد عام 1965م خطته لتنصير العالم واقتلاع الإسلام مع قدوم الألفية الثالثة بحيث يتم استقبالها بلا إسلام، ولعل حملات التنصير المكثفة التي شهدتها إندونيسيا تعطينا مؤشراً لذلك، بل الأخطر من هذا

وجود بعض المدارس التنصيرية في بعض دول الخليج العربي، ولعل كتاب " الغزو التبشيري النصراني في الكويت" لأحمد النجدي الدوسري يكشف أبعاد هذا المخطط، أيضاً النشاط التنصيري المكثف في الجنوب السوداني لإيجاد دولة مسيحية سودانية تمهيداً لاقتلاع الإسلام من السودان، وقد شرعوا بالفعل لتنفيذ هذا المخطط، كما نجحوا في تفتيت وحدة إندونيسيا، وقسَّموا تيمور إلى شرقية وغربية، بينما نجدهم وحَّدوا برلين الشرقية والغربية.

إنَّ مخطط تجزئة الدول الإسلامية وشطرها إلى شطرين: مسيحي وإسلامي، أو تقسيمها على أساس مذهبي أو عرقي كما هو مخطط للعراق، وغيرها من دول المنطقة، كل هذا يؤكد أنَّ هدف الغرب القضاء على الإسلام، وأن أساس الصراع بيننا وبين الغرب هو الدين الإسلامي في المقام الأول ويظهر هذا بوضوح في الحروب الصليبية، إذ خشي الغرب من المد الإسلامي، وعندما فشلت هذه الحملات، ولم تحقق أهدافها نشأ الاستشراق الذي ركَّز هجومه على القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه الإسلامي والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، واللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم، وكذلك دراسة الأدب العربي، والعمل على إحياء الفرق المنحرفة في تاريخ المسلمين كالباطنية، وقضوا السنوات في إخراج كتب ليؤثروا في المفاهيم الأساسية للإسلام، وذلك بثنائهم على البهائية والقاديانية، وقد أوجد الاستعمار البريطاني القاديانية، إذ أشاد بها لأنها –كما زعم– جاءت بآراء حرة مستقلة ووصفها بالعقلانية، والاستنارة والتجديد ليخدع بها بعض المسلمين، وليشوه تعاليم الإسلام، وللأسف هناك أقلية من المسلمين تأثرت بفكر هذه الفرق المنحرفة واعتنقت عقائدها.

كما أسهم المستشرقون بقدر كبير في إحياء القوميات في العالم العربي خاصة في النصف الأول من القرن العشرين، فقد نبَّش المستشرقون في الحضارات الجاهلية القديمة؛ لإحياء معارفها من ذلك: بعث الفرعونية في مصر، والفينيقية في سوريا، والآشورية في العراق، والفارسية في إيران، والطورانية في تركيا، أمَّا الجزيرة العربية فلقد بحثوا في آثار السَّابقين، وأسموا دراستهم " التاريخ الحضاري للعرب قبل الإسلام "، وتعمدوا بذلك إظهار الحضارات القديمة ليطفئوا نور الإسلام، وأنَّ الإسلام ليس وحده هو الذي قدَّم الحضارة الإنسانية، وترتب على مثل هذه الدراسات الآتي:

ا–تحسين سمعة الجاهلية القديمة، وتمجيد رجالها.
ب–بث النعرات الانفصالية في الأمة الإسلامية.
ج–محاولة قطع صلة الأمة الإسلامية بماضيها الحقيقي الذي بدء بظهور الإسلام.
د– تهيئة بعض المسلمين لتقبل قيام حضارة لهم غير مهتدية بهدي الإسلام، كما نشأت في تلك الحضارات القديمة.
– كما سعى المستشرقون في نشر بعض الأيدلوجيات الأجنبية في الأراضي الإسلامية كالشيوعية، فلقد أشاد المستشرق " بندلي جوزي" بالقرامطة، وأدعى أنَّهم والإسماعيلية الشيوعيين الأولون في الإسلام، وذلك في كتابه "من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام "، كما زعم المستشرق الفرنسي "جاك أوستري" أنَّ هناك بعض الشَّبه بين الإسلام والشيوعية من حيث عالميتها وتساميها على القوميات والعنصريات، وقد شبَّه كذلك نظام الدَّولة في الإسلام بنظام الدَّولة في النِّظام الشيوعي، وقد تأثر بهذه الكتابات بعض الكتاب المسلمين، وعملوا على نشرها مثل الكاتب الكبير "توفيق الحكيم" في سلسلة مقالاته التي نشرت في الأهرام "دفتر الجيب"، وذلك في الفترة من 21إبريل حتى 15سبتمبرعام 1981م، وقد قرَّر في هذه المقالات أنَّ الشيوعية تسير على مبدأ الإسلام في قوله تعالى (وفي أموالهم حق معلوم* للسائل والمحروم)، وأراد أن يثبت أنَّ المادة قد طغت على الإسلام عند تطبيقه لنظمه؛ ليجعل الإسلام لا يختلف عن الشيوعية من ناحية طغيان المادة، واتخذ من الإسلام وسيلة للدعوة لتطبيق الاشتراكية، والأخذ بالشيوعية، بل قال في كتابه شجرة الحكم السياسي صفحة 507: " أنَّ الرسول محمَّد صلى الله عليه وسلَّم كان يسارياً هو وسائر الأنبياء " ، ونسمع الآن عن الإسلام اليساري الذي يتزعم دعوته الأستاذ حسن حنفي.
– كما شجَّع الاستشراق على نشر الليبرالية الغربية وتبعيتها في بلاد المسلمين، وقد حاول بعض المستشرقين أن يخدعوا بعض المسلمين، بأنهم إذا أرادوا التقدم واللحاق بركب الأمم الصناعية ما عليهم إلاَّ أن يتبنوا المنهج الأوربي الذي قام وفُرِض بعد نقض كتب العهد القديم والعهد الجديد " ، وهي أقدس كتب لديهم وهم بهذا يريدون من المسلمين التجرؤ على كتاب الله ونقده، وللأسف فقد تأثر بعض الأساتذة

المسلمين بهذه الدعوة في مقدمتهم الأستاذ الدكتور طه حسين، إذ دعا طلبته في كلية الآداب إلى نقد القرآن الكريم بوصفه كتاباً أدبياً، وأثار الشبهات حول كلمة كتاب وقرآن، وقال إنَّ الكتاب غير القرآن، وأنَّه كان موجوداً قبل نزول القرآن، وإنَّ القرآن صورة عربية منه، وأنَّه أخذ صوراً من الكتب التي قبله، ويقول: "إنَّ هناك قرآناً مكياً له أسلوب، وقرآنا مدنياً له أسلوب آخر، وإنَّ القسم المكي يمتاز بالهروب من المناقشة والخلو من المنطق، أمَّا القسم المدني فيمتاز بمناقشة الخصوم بالحجة الهادئة، وهذا القول هو ما يردده المستشرقون، وفي مقدمتهم المستشرق اليهودي البريطاني دافيد صموئيل مرجليوث في كتابه "مقدمة الشعر الجاهلي" الذي ترجمه الدكتور طه حسين ونسبه إلى نفسه، مسمياً كتابه " الشعر الجاهلي"، والذي قال فيه بخلق القرآن، ثمَّ تراجع عن ذلك عندما وجد اعتراضاً على ذلك.

- قيام بعض المستشرقين برصد الحركات الإسلامية المعاصرة، ودراسة أحوالها وأوضاعها ليمكنوا صناع القرار في البلاد الغربية من مكافحتها، وبذل كافة الوسائل لإطفاء نورها، وهناك عدد من المستشرقين مثل: "هاملتون جيب"، و"ميشيل ريتشارد"، و"ألفريد سميث" وغيرهم كتبوا عدة دراسات عن هذه الحركات، ومن أحدث الدراسات عن هذه الحركات أعدها المستشرق الأمريكي جون سبوزيتو عن ظاهرة الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي، وهي على صلة وثيقة بالبيت الأبيض الأمريكي.

إنَّ رجال الحكم الغربيين والإعلاميين حريصون على معرفة الحركات وزعمائها، وفي شهر مايو سنة 1992م صرَّح نائب الرئيس الأمريكي في حفل الأكاديمية البحرية بولاية ماريلاند "بأنهم في هذا القرن أي القرن العشرين قد أخيفوا بثلاث تيارات: الشيوعية، والنَّازية، والأصولية الإسلامية، وقد سقطت الشيوعية والنَّازية ولم يبق أمامهم سوى الأصولية الإسلامية"، فمن أخطر دراسات المستشرقين عن الإسلام وأهله الدراسات التي تحذر الغرب من قدرات الإسلام الكامنة، وتنبيه الغربيين إلى ثروات المسلمين الهائلة ليخطط الغرب مواصلة سيطرته على بلاد المسلمين، ومن أخطر الدراسات الاستشراقية تلك التي أعدها المستشرق الألماني "باول شمتز" باسم "الإسلام قوة الغد العالمية".

إنَّ مقولة نائب الرئيس الأمريكي عن الإسلام في التسعينيات من القرن العشرين تعيد إلى أذهاننا مقولة رئيس الوزراء البريطاني "جلاد ستون" في أواخر القرن التاسع عشر، أي قبل حوالي قرن من الزمان؛ إذ أعلن رئيس الوزراء البريطاني في مجلس العموم البريطاني وقد أمسك بيمينه كتاب الله عزَّ وجل، وصاح في أعضاء البرلمان وقال: "إنَّ العقبة الكؤود أمام استقرارنا بمستعمراتنا في بلاد المسلمين هي شيئان، ولابد من القضاء عليهما مهما كلفنا الأمر، أولهما هذا الكتاب، وسكت قليلاً، بينما أشار بيده اليسرى نحو الشرق وقال: هذه الكعبة ".

أليس هذا أكبر دليل على أنَّ الغرب لم ولن يغير موقفه من الإسلام والمسلمين؟

إنَّ دور المستشرقين لم يتوقف عند هذا الحد، إذ نجدهم مهدوا وساعدوا على الاستعمار منذ عصر الإسكندر الأكبر، ونابليون بونابرت، حتى أواخر القرن التاسع عشر، والقرن العشرين، سواء كانوا رحالة أو قناصل أو جواسيس، أو منصِّرين.

ثانياً: الأهداف السياسية والاستعمارية والعسكرية:

ممَّا ينبغي التوقف عنده والتأكيد عليه أنَّ نشاط المستشرقين والخبراء الأمريكيين بشؤون الشرق الأوسط يشكل جزءًا رئيساً من نظام التخطيط للعمل الإسرائيلي والأمريكي في المنطقة العربية، وهذا ينبهنا إلى حقيقة هامة، وهي أنَّ الاستشراق يقوم في عصرنا الراهن على مخطط تحدده المصالح الأمريكية والصهيونية في الشرق الأوسط، كما لعب الاستشراق الأوربي من قبل، والاستعمار الإنجليزي بدور في خدمة الأهداف الصهيونية بإنشاء صندوق اكتشاف فلسطين، وإعلاء شأن اليهود مع التقليل من شأن العرب المسلمين، والذي سهَّل للصهيونية تحقيق أهدافها من خلال الاستشراق وجود أكثر من أربعين يهودي في المدارس الاستشراقية الأوربية والأمريكية، ومن أكبر مستشرقيها مثل: جولد تسهير، وشاخت، وكارل بروكلمان، ولويس ماسينون، ومكسيم ردونسون، ومرجليوث، وبرنارد لويس.

ولا ننسى أنَّ بعض المستشرقين أوجدوا النظرية العرقية ليبرروا الاستعمار، ووصفوا العقلية العربية بأنَّها عقلية ذرية غير قادرة على التجميع والقيادة، وممن قالوا بهذا القول المستشرق البريطاني هاملتون جيب، وملف الاستشراق حافل بهذه المواقف التي تدين الحركة الاستشراقية، والتي بسببها أصبح مصطلح الاستشراق مشبوهاً،

وأعلن المستشرقون تخلصهم منه ورميه في مزبلة التاريخ، واستبداله بمراكز المعلومات التي تقوم بنفس دور الاستشراق القديم، ولكن في ثوب جديد.

ثانياً: الأهداف العلمية والتمهيد للعولمة الثقافية:

ومما ينبغي لفت الانتباه إليه أن الاستشراق قام بدور كبير في التمهيد للعولمة الثقافية باحتواء كثير من المسلمين ثقافياً عن طريق خدمة المستشرقين للتراث وتحقيقه ونشره وفهرسته، وما إلى ذلك حيث أصبح كل باحث مسلم لا يستغني عن بعض جهودهم في أبحاثه ومكتباته، فيعتمد عليها أو يتناولها بالدراسة، وتأثر بها شعر أو لم يشعر، ويرجع هذا إلى نجاح الاستشراق في السيطرة على مصادر التراث العربي الإسلامي، وعلى الرغم من أن بعض الدراسات كانت تقترب من صفة النزاهة والحياد إلاَّ أنها في النهاية، وبكل المقاييس تبقى مظهراً من مظاهر الاحتواء الثَّقافي، وقد نجم عن هذا الاحتواء الآتي:

أ–شعور كثير من المسلمين بضعفهم، ونقص إمكاناتهم، وتأخرهم عن غيرهم في العصر الحديث، ونسبة كل الإيجابيات إلى الغرب.

ب–تبعية كثير من الكتَّاب والباحثين فكرياً لهم، ودفاعهم عن مبادئهم ومناهجهم.

ج– وضع أسس لمنهج البحث والتفكير المادي، فكتبوا وبحثوا ونقدوا في ضوء هذا المنهج، كما نجدهم قد طبَّقوا المناهج الفكرية المادية على كثير من علومنا الإسلامية سواءً في التفسير المادي للتاريخ، أو في كتاباتهم عن القرآن الكريم والرسول –صلى الله عليه وسلَّم– فدَّعموا شهادتهم في هذه الجوانب الفكرية باسم المنهج العلمي، ممَّا أدى إلى رواجها واستسلام كثير من الكتاب لها ودفاع بعض المسلمين عنها.

د– لقد رسَّخ المستشرقون مبدأ العلمانية وصدَّروه إلى عالمنا الإسلامي سواء في الجانب الفكري والسياسي، فأصبح من المسلمين من تبنوا مبدأ العلمانية، بل نجد هناك بعض الدول الإسلامية قد تبنت العلمانية، وأعلنت أنَّها دولة علمانية، أو هناك من المسلمين من ينادي بعلمانية السياسة، ونحن لو رجعنا إلى أصل نشأة هذه الدعوة نجد أنَّ المستشرقين ممن روَّجوا لها ودعوا إليها، ولا ننسى أثر ميكافلي في ترسيخ العلمانية السِّياسية، وتجريد السياسة من معاني الدِّين والأخلاق وتبرير الوسائل باسم الغايات.

هـ–دعوة المستشرقين إلى الحرية الفكرية المزعومة التي دعوا إليها، ولم يلتزموا بها في بحوثهم وكتاباتهم؛ إذ نجدهم صوروا المفكرين الإسلاميين مجرد نقلة للتراث اليوناني الفلسفي بناءً على نظرتهم العنصرية المقسمة للشعوب إلى: ساميين، وآريين. فالساميون ومنهم العرب لا قدرة لهم على التفكير الفلسفي، وتناول الأمور المجردة بخلاف الشعوب الآرية، كما صرَّح بذلك رينان في كتابه " تاريخ اللغات السامية "، وكذلك "جوتيه" في كتابه " المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية ".

و–كان الاستشراق وراء طرح ونشر مصطلحات متعددة في الجانبين الأدبي والنقدي مثل "الحداثة" و " البنيوية" و "الأبستولوجيا المعرفية" و "والوجودية" و "النثرية" في مجالات الأدب، ولقد كشفت الباحثة البريطانية فرانسيس ستونور سوندرز في كتابها "بعنوان "التكاليف؟ –الصادر في يوليو عام 1999م– قيام الحكومة الأمريكية عبر وكالة المخابرات المركزية لإيجاد مدارس وتيارات ثقافية كاملة ومنها تيار الحداثة، ودعم مجلة الحوار العربية وغيرها، فتجرأ بعض الأدباء والشعراء على الذات الإلهية، فأدونيس كتب قصائد بعنوان " الإله الأعمى، و " الإله الميت "، ويقول في هذه القصيدة: " وبدلت إله الحجر الأعمى وإله الأيام السبعة بإله ميت "

(1) ، وأعلن كرهه لله، بل ادعى الألوهية في قصيدة " الخيانة "

وأنا ذاك الإله

الإله الذي سيبارك أرض الجريمة

وصلاح عبد الصبور قال في شعره " الشيطان خالقنا ليجرح قدرة الله العظيم "

(2) ، وقال في قصيدة " الإله الصغير" :

ورقصنا وإلهي للضحى خداً...لخد

ثمَّ نمنا وإلهي بين أمواج وورد

ويقول ذات الشاعر في قصيدة " الناس في بلادي ":

كم أنت قاس موحش يا أيها الإله

(3)وأمل دنقل مجَّد الشيطان فقال في قصيدة له :

المجد للشيطان ......معبود الرياح

من قال " لا " في وجه من قالوا " نعم "

من علّم الإنسان تمزيق العدم
من قال " لا " فلم يمت
وظلّ روحاً أبدية الألم.

والأمثلة كثيرة لا حصر لها، ولكن ما ذكرته يبين لنا سمة الشعر الحداثي، ومقومات الحداثة القائمة على فصل العقيدة عن الفكر والأدب آخذة بمذهب " الفن للفن، متبنية مذاهب فكرية لا تمت للدين الإسلامي بصلة، بل تدعو إلى الإلحاد وإلغاء العقل، وإحياء فكر الفرق الباطنية من دعاة الحلولية والتناسخ، كما أوجد المستشرقون في الساحة مصطلح "الأصولية " و " السلفية " لتغييب اسم الإسلام.

ز –لم يقتصر المستشرقون في بحوثهم على علم واحد، وإنَّما تناولوا مختلف العلوم، وللأسف لم يلتزموا بالحيدة والموضوعية في أغلب بحوثهم، إذ نجدهم سلكوا سبل التحريف والتشويه في دراساتهم عن القرآن الكريم والطعن في مصدره، وكذلك الطعن والتشكيك في السنة المطهرة وصحتها، وامتد التشويه إلى نبي الإسلام محمَّد –صلى الله عليه وسلَّم–، وحسبنا قول المستشرق البريطاني وليم موير: "إنَّ سيف محمَّد والقرآن هي أكثر الأعداء الذين عرفهم العالم حتى الآن عناداً ضد الحضارة والحرية الحقيقية " .

ح–تأليف الكتب والمراجع والموسوعات العلمية في موضوعات مختلفة عن الإسلام ونظمه مع التحريف الخفي، والتزييف المتعمد في الوقائع التاريخية، وفي نقل النصوص من القرآن والسنة، وبيان سيرة الرسول صلى الله عليه وسلَّم، وإصدار النشرات الدورية والمجلات العلمية الخاصة ببحوثهم عن الإسلام والمسلمين، وإلقاء المحاضرات والخطب في الجمعيات العلمية، وفي كل مكان، ونشر مقالات وبحوث في الصحف والمجلات الواسعة الانتشار، وخاصة في أوساط المثقفين، وترجمة كتبهم ومراجعهم وموسوعاتهم إلى اللغة العربية، ويكفي أن نعرف أنَّ هناك وأقسام عديدة مستقلة للدراسات الشرقية في الجامعات العلمية في الغرب كله، وأنَّ في القارة الأمريكية وحدها حوالي تسعة آلاف مركز للبحوث والدراسات الشرقية عامة، ومنها حوالي خمسين مركزاً خاصاً بالعالم الإسلامي، وأنَّه منذ مئة وخمسين عاماً، وحتى الآن يصدر في أوربا بلغاتها المختلفة كتاب كل يوم عن الإسلام، فقد صدر ستون

ألف كتاب بين سنة 1800–1950م.أي عبر قرن ونصف، ويصدر المستشرقون الآن ثلاثمائة مجلة متنوعة بمختلف اللغات في تراث الإسلام، وأنَّ المستشرقين عقدوا خلال قرن واحد ثلاثين مؤتمراً مثل: مؤتمر "أكسفورد" الذي ضمّ تسعمائة عالم.

وما هذا إلاَّ خطة لتهيئة الرأي العام لقبول الغزو العسكري والاقتصادي والثقافي الغربي لبلاد الإسلام من جهة، ولدراسة أحوال العالم الإسلامي، وكل ما يتعلق بشؤونه ليساعدهم ذلك على السيطرة وبسط النفوذ من جهة أخرى.

كل هذا كان إعداداً وتمهيداً لتقبلنا لما هو آت، وهو " العولمة " ، بل لخضوعنا لما تفرضه علينا العولمة، وعدم إعطائنا فرصة للقبول أو الرفض، فنحن ما بين عشية وضحاها وجدنا أنفسنا أمام العولمة الدينية –من خلال فرض الحوار الإسلامي المسيحي– والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتقنية في آن واحد، ووجدنا أنفسنا قد فقدنا القدرة حتى على شجب ما تتعرض له الأمة الإسلامية من عدوان ومحاولات إبادة، بعدما فقدنا القدرة عن المشاركة في القتال للدفاع عن ما يتعرض له المسلمون من غزو، فلقد شوهوا مفهوم الجهاد في الإسلام، فصوروا الجهاد في سبيل الله ومقاومة الاحتلال والعدوان إرهاباً، وقتلوا روح الجهاد في نفوس المسلمين بعد اتفاقية كامب ديفيد، وخداعنا بأسطورة السلام مع الذين لا يعرفون السلام، ولا يحترمون العهود والمواثيق، ولا يلتزمون بها.

أخطار العولمة السياسية

والطَّامة الكبرى أن "العولمة" السياسية سوف تلغي دور الدولة والحكومة، وأنَّ النظام الاقتصادي العالمي الجديد المفروض علينا سوف يجعل البلاد النامية التي نصنف نحن ضمنها مراكز للتلوث الصناعي، إذ يخطط الكبار نقل مصانعهم إلى بلادنا لحماية بيئاتهم من التلوث الصناعي، مع استغلال العمالة في هذه البلاد لرخصها، ولكن دون أن تنقل لنا تقنية الصناعة أو جعلها في أيدينا، وهذا ما تدرسه الآن بريطانيا لطلبتها وتعِدُّهم لتنفيذه، كما أنَّ النظام المالي الجديد سيتيح المجال أمام المضاربين لضرب اقتصادنا كما حصل في إندونيسيا وماليزيا، كما أنَّ النظام الاقتصادي الجديد سوف يفتح باب الاستثمار على مصراعيه، وهذا يعني أن الصهاينة سيدخلون أسواقنا ويتحكمون في اقتصادنا كما دخلوا بيوتنا من خلال

التمويل الأجنبي للجمعيات النسائية الأهلية، والاتفاقيات الدولية –كاتفاقية إزالة أشكال التمييز ضد المرأة التي وقع عليها عدد من الدول الإسلامية–، ومؤتمرات المرأة العالمية، وأصبحوا يفرضوا علينا الخروج عن ثوابت الإسلام مع توعدهم لعلماء الدين إن اعترضوا على ما يفرض علينا من توصيات مؤتمرات المرأة العالمية بسن قوانين دولية تطبق على الجميع، وخاصة القوانين التي تسمح بالانفلات الجنسي تحت مسمى " الصحة الجسدية " أو " الصحة الجنسية"، والتي تتضمن إقرار الإجهاض كوسيلة من وسائل منع الحمل إلى جانب الحرية الجنسية الانفلاتية.

1- ديوان أدونيس : المجلد الأول،ص346 .

2- ديوان صلاح عبد الصبور :قصيدة الحزين، ص 38.

3- قصيدة كلمات سبارتكوس لأمل دنقل

=============

#في ثقافة الديموقراطية.

عرض ونقد د/ مصطفى بكري السيد 1424/9/22

2003/11/16

الكتاب: ثقافة الديموقراطية.

المؤلف : جورج طرابيشي

الناشر : دار الطليعة ، بيروت.

الطبعة : الطبعة الأولى ، تموز 1998 .

1- مختارات من الكتاب:

" في جميع الأنظمة الأخرى يكون الإنسان مخلوقا للقانون ، بينما في الديموقراطية وحدها يكون القانون مخلوقا للإنسان " ص62 .(الكاتب التشيكي الأصل النمسوي المهجر (فرانز كافكا، 1882–1924).

"والحال أن السياسة هي انطلاق من معرفة الواقع : علم عقلنة الواقع" ص44.

"السياسة فن صيانة الوجود وحفظ الحق في الحياة والفرحة" ص60.

"السياسة مسألة بشرية ودنيوية خالصة" ص 108.

" كيف نتغير في عالم متغير ونبقى نحن؟ أو بتعبير أكثر تناقضاً : كيف يمكن أن نتغير بدون أن نتغير؟ " ص147.

1-تقديم:

في رواية (خريف البطريق) للروائي الكولومبي العالمي ماركيز يسأل القس الكاثوليكي – القادم من روما داعيةً للنصرانية – يسأل أحد حكام إحدى دول أمريكا الجنوبية عن تاريخ وصوله إلى الحكم، يستعين الحاكم بذاكرته فتخذله ولا تسعفه ، لأنه لطول مدة حكمه طال عليه الأمد فنسي متى ابتدأ فقال غير عابئ بصمت ذاكرته – لم يتعود أن يعبأ بشيء – منذ مئة سنة أو مئتين إلا ثلاثين عاما!!!

ولو عكسنا السؤال منذ متى لم يحكم الإسلام أكثر هذه الأرض لما كان الجواب بعيدا عن المدة التي بدأ فيها الحاكم فترة حكمه في إحدى دول أمريكا الجنوبية.

ليس وارداً هنا الحديث عن حكم الشخص بل عن حكم النص أو نص الحكم المؤسس لشرعيته الذي انتهى أو تآكلت أجزاء كثيرة من شرعيته بسقوط الدولة العثمانية في نهاية الربع الأول من القرن الماضي، هذا السقوط الذي وضع العرب المسلمين أمام تجربة غير مسبوقة لشرعية الدولة، وذلك عندما ارتأى كل تيار أن يوجد دولة تكون على مقاسه، وأن يكون حضور الإسلام – أحد أهم أعمدة الشرعية للدولة العثمانية – أن يكون حضوره – كليا أو جزئيا – حسب ظروف ومصلحة الحكم الداخلية والإقليمية والعالمية.

ولكن ما أن يستقر الحكم على النموذج الذي يريده الحاكم حتى يطلق العنان لورش الحكم المختلفة لحشد أدلة التراث والمعاصرة كيما تمنح الشرعية الإسلامية أو الدستورية – أو كليهما – للنموذج المقترح.

وما أن يتحقق ذلك حتى يسدل الستار على المقومات الشرعية أو الدستورية، فلا تنقح ولا تراجع ، بل تنقل إلى المدارس لتحفظ ، وإلى وسائل الإعلام لتمجد ، وإذا ما استجدت ظروف تدعو إلى التطوير أو التغيير في الوسائل والأساليب ردّ حزب الحكم قائلا:

أيها الناس: اتهموا عقولكم ، فهذه مسائل لا مجال للاجتهاد فيها وستظل قابلة للتطبيق دون أن تمس حتى يوم القيامة!!!

ولئن كان التغيير من داخل التراث عصيا، كان ذلك ولم يزل ، فما بالكم بالتغيير من خارج التراث وتجربته التاريخية كالدعوة إلى الديموقراطية مثلا.
إن هذه الأوراق تدعو القراء إلى قراءة متأنية لهذه الكلمة ابتغاء أن يكون الموقف منها على علم فلا نقرأ عنها فقط ، بل أيضا تقتضي منا التسلح بالمعرفة ، وأن نكون مدججين بالثقافة للدفاع عن المبادئ الثابتة التي تشكل منها هويتنا، إن المبادئ ثابتة، ولكن سبل الدفاع عنها متغيرة، ولعل من أعظم سبل الدفاع عنها تحريرها ممن يريد اختزال نصرتها بالرصاص الذي يخترق جسم الضحية ليستقر في قلب واقع الدعوة ومستقبلها.
هذه الأوراق استراحة للقارئ لتعريفه ببعض ما قد يفيده عن هذا المصطلح ليكون الموقف منه – سلباً أو إيجاباً – قائما على المعرفة ونابعا من القراءة.
2-تمرينات ومقاربات للديموقراطية:
يـورد الكاتـب فـي مواضـع مختلفـة السـياقات تعريفـاً أو تقريبـاً لمكونـات كلمـة الديموقراطية.
يقول ص 10:
" الديموقراطية تعريفا هي بكل تأكيد حكومة العدد الأكبر ، أو بتعبير أدق الحكومة التمثيلية للعدد الأكبر".
" أعطيت الأولوية في تعريف الديموقراطية لمعيار الحد من السلطة، وجاء تحديدها في الغالب تحديدا سلبيا باعتبارها نقيض الدكتاتورية " ص 37.
وفي ص41 " إن الديموقراطية قابلة للتعريف بأنها: إرادة التركيب بين الفكر العقلاني والحرية الشخصية والهوية الثقافية ".
وفي ص51/50 "الديموقراطية تتحدد بأنها مجهود للمؤالفة بين الوحدة والتنوع بين الحرية والاندماج".
" ليست هي أحسن أنظمة الحكم فحسب،بل أكثرها عقلانية واستجابة لشروط الوجود الإنساني" ص60.
" أول ما تعنيه هو أن الحكم ليس للشعب بما هو كذلك ، بل لممثلى الشعب المنتخبين" ص78.

وفــي ص86-87: " الديموقراطيــة نظــام لتبــادل الســلطة، وأول بنــد فــي العقــد الديموقراطي هو أن يحتفظ الخصم لخصمه بالحق في الوصول إلى السلطة بدوره".

"وصحيح أن العيب الكبير للديموقراطية التمثيلية أنها تختزل سلطة المحكومين، ولكن ميزتها الكبرى أنها تحد على الأخص من سلطة الحاكمين" ص92.

" الحاكم الديموقراطي حصراً :

هو من يستطيع الذين يحكمهم أن يضعوا حدا لخدماته شاكرين أو غير شاكرين، وهذا دون أن يضطروا إلى العنف أو للخروج على القانون" ص103.

ويقول عن المقاومة المدنية بوصفها إحدى ثمار الديموقراطية ص131:

" لا تهدف إلى أن تنتزع من الطغاة شيئا بقدر ما تحاول أن تمتنع عن إعطائهم شيئا، إنها القدرة على الرفض وقول : لا ".

3-أكلاف الديموقراطية:

والكاتب لا يقدم الديموقراطية وصفة سحرية أو وجبة سريعة تخرج المجتمعات من مآزقها كلمح بالبصر وبثمن بخس من التضحيات والضحايا.

" لا تعد بأي فردوس ، ولا تندر الحالات التي تكون فيها ممارستها جهنمية " ص 9.

ويرى أنها يجب أن تكون ثقافة عامة وخياراً شعبياً وإلا " فليس لشعب أن يكون ديموقراطياً رغماً عن ألفه" ص 15.

إذن هي لا تسقط بالبراشوت " المظلة" ولا تكون بثرثرة بعض أمشاج المثقفين ؛ لأنها ما " في الرؤوس وليس فقط في صناديق الاقتراح ، وثقافة الديموقراطية لا تستقر في الرؤوس دون ثمن باهظ ، ولو أن التعبير بات ممجوجاً لتكلمنا عن ضرورة ثورة ثقافية فهي لا يمكن أن تكون نظاما للحكم دون أن تكون نظاماً للمجتمع ، وليس لها أن تسيّر العلاقات بين الحكام والمحكومين دون أن تسيّر العلاقات بين المحكومين أنفسهم ، ولئن تكن الحرية الديموقراطية تنتهي لا محالة إلى صندوق الاقتراع ، فإن الصندوق الأول الذي تنطلق منه هو جمجمة الرأس " 17/16.

وإذا أردننا الديموقراطية مجاناً فنحن نستهلها ونريد وردتها بلا شوكتها – ومن الاستسهال – كما من الاختزال – ما قتل " ص 18.

4- مأخذ وتعقيب:

لم يكن الحديث عن الديموقراطية ممكناً دون الحديث عن الأصولية والأصوليين ، وإذا كان الكاتب قد أورد نماذج لمن حاول استقلال الديموقراطية عن دعاتها ولم يُحابِ الديموقراطيات الكاذبة والديموقراطيين المزيفين فهو لم يتخل عن المنهج عينه مع الأصوليين.

وابتداءً لا بد من التفريق بين الأصوليين والإسلام ، فإذا كانت طوائف شتى تستظل بهذا الاسم فإن من يحمل الإسلام عقيدة صحيحة ومقاصد مخلصة ووعي بالذات والواقع المحلي والعالمين ، إن من يفعل ذلك قلة في العالم ، وهذا مثال هجوم الكاتب على الأصوليين " فأي تهافت منطق في موقف من يعتبر المرأة بنصف عقل ودين ومن يصر على حرمانها من نصف حقها في الإرث(1)وفي الأهلية القانونية ويطالب لها مع ذلك بحق التصويت تاماً غير منقوص ولا مشروط ص 20.

المشكلة مع هذا المنهج في الكتابة أن الكاتب يخلط بين آراء من يسميهم " الأصوليين " وبين الأحكام الشرعية ، يسوس المسيحية – في حرية رفض ما يشاء عنها – بالإسلام متغافلاً عن تحريف الأولى مراجع ونسخها شرائع.

ولم يقبل من البابا أن يستغل موقفه الكاثوليكي للدعم المطلق لحركة التضامن البولندية بقيادة ليخ فاونسا وجعل كنسية " فر صوفيا " منبراً للثقافة الديموقراطية ، ويصف مجتمعاتنا بأنها " تخضع لغزو صحراوي وأصولي توظف فيه دولارات النفط بتمويل مكتبات " الثقافة الصفراء " ص 23.

هل يريد أن نوظف الدولارات لنشر "الثقافة الخضراء" ؟.

إننا نخشى كما قال الباكستاني المسلم ثم الأمريكي جنسية إقبال أحمد " يُطلب من المسلمين التخلي عن دينهم ليكسبوا الحضارة ، أخشى أن نخسر ديننا وألا نكسب الحضارة".

الكاتب يمثل بكتابته إحدى مشكلات الفكر العربي الحديث وهي افتقار دعاة هذا الفكر أكثرهم إلى فهم الإسلام بعيداً عن النظارة الشيوعية والمجاهر الاستشراقية وكذلك افتقار أكثر دعاة الفكر الإسلامي الحديث إلى الاحتكاك العميق المنهجي بالفكر الحديث.

إن تبادل الإدانات لا يفضي إلى شيء أما تيار الأفكار فإنه يفضي إلى المستقبل ، وتجسير الجسور بين الحضارات لبحث إمكانات التلاقي والتلاقح البناءين ، إن الوظيفة الأسمى للكتابة أن تعمل بوصفها مجسات لاكتشاف مواطن القصور والتصدع للعمل على إعادة تأهيلها وتفعيلها.

5- خاتمة:

كنت أدرّس طلبة التخرج في قسم الأدب في الجامعة لمحات عن الإبداع الروائي وقراءة الرواية ، فرأيت بعض الطلبة تمعرت وجوههم فقلت لهم:

"لكم مطلق الحريّة أن تقبلوا مضمون هذه الرواية أو ترفضوه وأن تقدموا الشعر وتؤثروه ،ولكن لا عذر لكم -بوصفكم طلاب أدب-أن تتجاهلوا أصول الرواية وطرائق قراءتها تجاهل الديموقراطية أو جهلها الأمران كلاهما ممنوع،أما قبولها ورفضها فإن أبسط صور الديموقراطية لا تمنح الحق بذلك فحسب بل وتضمنه أيضاً"(1) للأسف فقد سف محمد عباد الجابري ، وذكر مثل هذا الهراء

============

#موقف الغرب من الإسلام

سهيلة زين العابدين حمَّاد 1424/3/10

2003/05/11

لقد وقف الغرب من الإسلام موقفاً عدائياً عبر التاريخ، ويظهر هذا العداء بجلاء ووضوح في الآتي:

1-الحروب الصليبية:

حارب الغرب الإسلام، والحروب الصليبية التي شنها على الإسلام -مدى قرنين من الزمان- أكبر دليل على هذا .

الحركة الاستشراقية:

عندما فشلت هذه الحروب في تحقيق أهدافها، احتضنت الكنيسة الاستشراق الذي استمر على مدى ثمانية قرون يهاجم الإسلام، وينال من التشريعات القرآنية، ومن سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن النبي الكريم، لتشويه الإسلام، وسيرة نبيه -صلى الله عليه وسلم- للحيلولة دون إسلام النصارى، ولتنصير المسلمين،

وللسيطرة على المسلمين سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واحتوائهم علمياً وفكرياً، ولا تزال الحركة الاستشراقية مستمرة حتى يومنا هذا، وقد تغير مسماها، إذ أصبحت تحمل مسمى الدراسات (الشرق أوسطية) ملقية بمصطلح (الاستشراق) في مزبلة التاريخ – بعدما كُشفت أغراضه وأهدافه– مركزة على هذه المنطقة التي تضم المقدسات الإسلامية، وباعتبارها محور الصراع، مع سيرها على ذات المنهج. ولقد صرَّح المستشرق اليهودي الفرنسي (مكسيم ردنسون) أنَّهم لن يتخلوا عن مناهجهم إرضاءً للعرب .

3–دعوة البابوية استقبال الألفية الثالثة بلا إسلام:

والإسلام ظل –وسيظل– مخيفاً لأعدائه الذين يخططون للقضاء على كل ما هو إسلامي، ويرهبهم الجهاد في سبيل الله للدفاع عن الأوطان وتحريرها، فعملوا على تغييب الجهاد واعتباره إرهاباً، وملاحقة المجاهدين في فلسطين وغيرها كإرهابيين لتصفيتهم والقضاء عليهم، والحملة الحالية الموجهة ضد الإسلام، وضد المملكة ليست وليدة أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وإنَّما مخطط لها منذ سنين طويلة، فلقد أعلن (بابا الفاتيكان) في المجمع المسكوني عام 1965م أنهم سوف يستقبلون الألفية الثالثة بلا إسلام، ففي شهر مايو عام 1992م صرَّح نائب الرئيس الأمريكي في حفل الأكاديمية البحرية الأمريكية بولاية (ماريلاند) أنَّهم قد أخيفوا في هذا القرن بثلاثة تيارات هي: الشيوعية، والنازية، والأصولية الإسلامية، وقد سقطت الشيوعية والنازية، ولم يبق أمامهم سوى الأصولية الإسلامية.

4– إعلانهم في مؤتمر التنصير –الذي عقد في (كلورادو) بالولايات المتحدة– أنّ الحضارة الإسلامية شرّ برمتها، ويجب العمل على اقتلاعها من جذورها، وأنَّ كلمة (مسجد) و (مسلم) تستفزهم.

4–إعلان جورج بوش حرب صليبية ثانية على الإسلام:

فما أعلنه الرئيس الأمريكي أنَّ حرب الإرهاب هي حرب صليبية على الإسلام لم تكن زلة لسان، وكل الأحداث التي حدثت –والمخطط لها– تؤكد أنَّ هناك حرباً شرسة على الإسلام على مختلف الجبهات، وعلى كل الأصعدة، والحملة المكثفة على المملكة العربية السعودية تؤكد ذلك؛ لأنَّ المملكة مهد الإسلام، ولأنَّها أكثر الدول

الإسلامية اهتماماً بتحفيظ القرآن الكريم للجنسين، وبتدريس المواد الدينية من تفسير للقرآن الكريم، وحديث وتوحيد وفقه في جميع المراحل الدراسية، وذلك لينشأ أبناؤها على أسس سليمة من العقيدة.

والغربيون يدركون تماماً أنّ الدين الإسلامي والتاريخ الإسلامي يخلوان من الحقد الديني الذي يمتلئ به التاريخ الأوروبي، وتلمود اليهود وتشريع التوراة المحرفة، وتاريخ اليهود الصهاينة في فلسطين.

والذي يؤكد ما أقوله إنَّ التلمود يبيح دماء وأعراض وأموال غير اليهود، ويسب سيدنا عيسى –عليه السلام– ويشتمه، وإسرائيل قائمة على أساس الدين بكل ما تحمله عقيدتهم من استعلاء على الشعوب، وأنَّهم شعب الله المختار، وإسرائيل بكل ما تقوم من حرب إبادة لشعب بأكمله –وهو أعزل– وتضربه بالطائرات والصواريخ والدبَّابات، وتجرف الأراضي، وتهدم المنازل، وتقتل الأطفال والنساء والشيوخ، وتروع الآمنين، وتمثل بجثث القتلى من الأطفال، وتنزع منها أعضاءها، هذا كله لا يعد إرهاباً في نظر الغرب، بل اعتبروا جهاد الشعب الفلسطيني ومقاومته للاحتلال الصهيوني إرهاباً، مع أنهم قاوموا هم من احتل أراضيهم، فأمريكا قاومت الاستعمار البريطاني، وفرنسا قاومت الاحتلال الألماني لأراضيها.

والواضح أنّ نجاح انتفاضة الأقصى –فيما ألحقته من خسائر لإسرائيل– جعلت الصحف الإسرائيلية –الآن– تتحدث عن انهيار إسرائيل، وقد أصبح الآن عدد النازحين من إسرائيل من اليهود أكثر من المهاجرين إليها، إضافة إلى الخسائر المالية التي تكاد تشل اقتصاد إسرائيل، فهذا ضاعف من جنون الغرب، –ولا سيما أمريكا– الموجه حملاته ضد الإسلام، وكل ما هو إسلامي، وتجفيف منابع الجمعيات الخيرية التي تدعم الشعب الفلسطيني بصورة خاصة؛ لإجهاض الانتفاضة والقضاء عليها .

وينبغي ألا ننسى أنَّ هذه الحملات التي تحركها وتصعدها الصهيونية العالمية؛ لأنهم مستفيدون منها إلى حد كبير، كما لا يخفى على الجميع مدى سيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام الغربية، من صحافة وإذاعة وتلفزيون وسينما ومسرح، وشركات إعلان، وكذلك على مصادر الخبر، وهي وكالات الأنباء، فجريدة (النيويورك تايمز)

–التي تقود حملة شعواء على المملكة– صاحبها يهودي، والكاتب الصحفي بها – المتحامل على الإسلام– يهودي صهيوني، وهذا يجعلنا ندرك أبعاد هذه الحملة

===============

#صراع الحضارات أكذوبة غربية

التحرير 1424/2/26

2003/04/28

– ما يمر به الاسلام اليوم حلقة جديدة في سلسلة لن تتوقف

– المرأة تمتلك أخطر دور في بناء الأمة الإسلامية القوية

– الحرب على الإسلام لم تتوقف منذ ظهوره من أجل القضاء عليه

المفكر الإسلامي الدكتور مصطفى الشكعة يرى أن الإسلام والمسلمين يتعرضون حالياً لحملة هجوم شرسة لم يتعرضوا لها من قبل، فالغرب يشن عليهم حربًا بكل ألوان العدوان البارد والساخن، ويؤكد أن المسلمين يعيشون مرحلة زمنية تعيسة، ولكنهم لا بد أن يتمسكوا بدينهم ووحدتهم؛ لأن تلك سنة الله، فمنذ أن ظهر الإسلام علي الأرض وهو يمر بمراحل متعددة من الهجوم، لكن أبطاله استطاعوا أن ينتصروا على عدوهم في كل المرات.

وينادي الدكتور مصطفى الشكعة الأستاذ بجامعة عين شمس بضرورة تمسك المرأة المسلمة بالرسالة التي حددتها لها الشريعة الإسلامية؛ لأن دورها في بناء الأسرة والمجتمع الإسلامي مهم جداً ،وخاصة في ظل كفالة المبادئ الدينية لحقوقها، بعدما كانت كماً مهملا ضمن ممتلكات الرجل، ويحذر الدكتور الشكعة من خطورة الاستشراق فهو السم المدسوس في العسل.. تفاصيل عديدة حول القضايا الساخنة في هذا الحوار الذي أجراه موقع الإسلام اليوم.

صورة مشوهة

سؤال: ما تعليقكم على الهجمة الشرسة التي يتعرض لها الإسلام هذه الأيام ؟

جواب: الهجمة الشرسة التي يتعرض لها الإسلام ليست وليدة اليوم، ولكنها حلقة جديدة في سلسلة لن تتوقف، وتتغير حسب موازين القوى الدولية ووحدة العالم الإسلامي، فالغرب يشن حربه التي بدأت بتشويه صورة الإسلام والمسلمين في شتى

وسائل الإعلام الغربي، فأصبح هناك عقيدة راسخة في عقول الشعوب المعادية للإسلام في أمريكا ودول أوروبا بأن الرجل المسلم شخص عدواني متخلف، قبيح المنظر بدائي، يمسك في إحدى يديه بكتاب الله وفي اليد الأخرى السلاح، يرتدي جلبابه الأبيض القصير.. أما الصورة الأخرى للمسلم فهو رجل يجمع حوله النساء والخمر والطرب والأموال ولا يفكر فكل ما يعنيه هو ملذات الدنيا المادية ويبدد في سبيل ذلك كل شيء..أما الصورة الأشد قسوة فهي تلك التي تصور هذا المسلم بالعداوة للإنسانية والشذوذ، بحيث يتم عرض صورته في هيئة شخص يعتدي على الأطفال الأبرياء ويمزق براءتهم.. هذه الصورة المشوهة هي القاعدة التي انطلقت منها كل الحروب ضد الإسلام وشعوبه، سواء كانت بالحرب الاقتصادية تارة أو بالسلاح تارة أخرى، وهو ما حدث في البوسنة والهرسك وأفغانستان وما حدث في السودان والصومال، ولم يزل في فلسطين مستمرا وكذلك كشمير وغيرها من المناطق الإسلامية، وما يتعرض له العراق الآن وإيران ولبنان، كل ذلك هو نفس سيناريو الهجوم، لكن كلما اشتدت الأزمات بالمسلمين لا بد أن يزداد تمسكهم بدينهم، وتقوى وحدتهم لأن العدو الذي يتربص بهم – دائما – يجد فرصته في فرقة الأمة لتحقيق أهدافه الاستعمارية.

محنة المسلمين

سؤال: ما هو تقييمك للوضع الحالي للأمة الإسلامية ؟

جواب: الأمة الإسلامية تعيش في محنة ما يطلق عليه الغرب بالأصولية أو ما يطلقون عليه "التطرف الإسلامي"، ولا بد أن نعرف أن أصولية الإسلام ذات معنى يختلف تماما عن الأصولية النصرانية، فالأصولية عندهم ترتبط بالكنيسة وحرق العلماء، بينما الأصولية الإسلامية ترتبط بكل معاني الإنسانية والحياة السلمية .

وقد طوع الغرب هذه المغالطة الكبرى بصورة سيئة، فأصبحت المادة العلمية التي يتلقاها الأطفال والشباب الذين يتلقون تعليمهم في مدارسهم يحصلون على مادة علمية تحتوي على مادة مشوهة وكريهة، فهم يعلمونهم كيف يكرهون الإسلام، أما المصيبة الكبرى فتكمن فيما تصدره بعض الهيئات الحكومية في بلاد المسلمين، وتحمل هجوما شرسا على الإسلام، فما أقبح أن تكون يد الهجوم على الإسلام من

بلاد المسلمين ومن وسائل إعلام ليست غربية، كذلك بعض الكتب التي هاجم أصحابها الإسلام ثم أعلنوا توبتهم وبراءتهم منها، ثم نجد بعد ذلك قيام بعض الهيئات الحكومية في بلادنا الإسلامية تعيد طباعتها مما يخدم الأطماع الغربية، وتثير عددا كثيرا من علامات الاستفهام، أما المناهج التعليمية في العديد من المدارس بالدول الإسلامية فقد تعرضت لعملية تجهيل للقضايا الإسلامية وكل ما يربط التلاميذ بدينهم، حتى الحصص القليلة التي خصصتها وزارات التعليم للدين الإسلامي فكثيرا ما يتم إلغاؤها وتحويلها لتدريس مواد أخرى، لكن على النقيض تماما فبرامج أقسام اللغات الأجنبية في الجامعات وما شاكلها تقوم بتدريس روايات بعضها إباحي مائة بالمائة، والبعض الآخر فيه طعن في الإسلام، والأبشع من ذلك أن الروايات العربية التي يتم تدريسها في أقسام اللغة العربية كلها فاحشة، وكل ذلك من أساليب الهجوم على الإسلام .

الحرب على الإسلام

سؤال: ما تحليلك للحروب التي تعلن عنها الولايات المتحدة الأمريكية بدعوى مكافحة الإرهاب و إنقاذ الأمة العربية والإسلامية ؟

جواب : الحروب الوهمية التي تعلن عنها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وتحشد العالم من أجل المشاركة فيها تحت مسميات الشرعية الدولية تارة، ومكافحة الإرهاب تارة أخرى، كل ذلك يدور في نفس فلك الحرب ضد الإسلام، فما حدث في البوسنة والهرسك من عمليات إبادة للمسلمين وما يدور على الأرض المحتلة في فلسطين كان أدعى لسرعة التدخل الدولي من أجل إنقاذ الضحايا، لكن ما حدث هو غض الطرف عن السفاحين حتى ينتهوا من تنفيذ جرائمهم ضد المسلمين، وبعد ذلك يتم التدخل بصورة تعد ورقة توت يحاول ما يسمى بالمجتمع الدولي أن يستر بها عورته، وعلى النقيض تماما يكون التصرف مع الدول الإسلامية، فحين بدأت أفغانستان والسودان وإيران في بناء قواعد لدول إسلامية حقيقية، تم اختلاق الحجج من أجل القضاء عليها كي تضمن دول محور الحرب على الإسلام استمرار نفوذها في العالم الإسلامي...

أما المهزلة التي يشهدها بلد مسلم كالعراق فهي مسألة لا علاقة لها بالقضاء على أسلحة الدمار الشامل، لأن هذا النوع من السلاح بدأت ولادته في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الكبرى، ولم يصل للدول الأخرى إلا بعد أن طورت الدول الكبرى هذه الأسلحة أو ابتكرت ما هو أخطر منها، والمسألة برمتها تدور في إطار تحقيق المصالح الخاصة لأمريكا وبريطانيا، كذلك تعطي الفرصة لتمكين الحكومة الدموية في إسرائيل من تحقيق مخططاتها تجاه الشعب الفلسطيني المجاهد، فأي عدالة دولية هذه التي ترى في امتلاك دولة ذات سيادة على أرضها لسلاح ما خطورة على العالم ؟

في حين لا ترى الخطورة نفسها في امتلاك دولة معتدية بل إنها ترفض نداء المجتمع الدولي بالتوقيع على اتفاقيات نزع هذا النوع من السلاح الخطر، المسألة واضحة ولا تحتاج لعناء في كشف أبعادها الاستعمارية.

الداء والدواء

سؤال: هل هناك تصور من وجهة نظرك للخروج من هذه المحنة ؟

جواب: لست يائساً من الوصول إلى طريق الخروج من هذه المحنة فالمسلم لا ييأس، لكن لا يمكن أن نصل إلى الدواء بدون معرفة الداء، والذي ينبع من البلاد الإسلامية نفسها، هذا الداء يكمن في الهجوم على الإسلام في بلاد المسلمين، وملاحقة كل من يتمسك به، وكذلك الفرقة والصراعات التي أصبحت تحكم معظم علاقات الدول الإسلامية، وغياب المشروعات الكبرى التي من شأنها توحيد كلمتهم وإثراء عملية التمسك بدينهم، كذلك اختفاء القدوة التي من خلالها انتشر الإسلام، فالتجار المسلمون في بداية الدعوة كانوا أمناء في تعاملاتهم، صادقين في علاقاتهم الاقتصادية، يقيمون الصلاة في أوقاتها، فأسلم الكثيرون ومن خلال هذه القدوة وعن طريقها يتربى الطفل وينشأ على الفضيلة، وبها يمكن تحصين المجتمعات الإسلامية من التيارات الفكرية و الثقافية الوافدة التي تدمر عقول الشباب وتهدم بناء المجتمع، هذا بالإضافة إلى استغلال الثروات الضخمة التي يتمتع بها العالم الإسلامي، سواء أكانت بشرية أو طبيعية أو صناعية، ورفع اليد الاستعمارية من السيطرة عليها، كما لابد أن نكون أشد حذرا من عمليات الاستشراق التي بدأت تحت رايتين، الأولى راية

الكنيسة المعادية للإسلام، والراية الأخرى هي راية الاستعمار الذي يرى أن كل ما يملكه المسلمون حلال لهم، ولذلك يلجأون للتدليس وقلب الحقائق؛ حتى يتمكنوا من تحقيق أهدافهم .

هذه النقاط التي كانت سببا في داء الضعف الذي أصاب العالم الإسلامي لو تم القضاء عليها لتغيرت الصورة إلى النقيض، وعادت لنا قوتنا من جديد .

صدام الحضارات

سؤال: ماذا عن رأيكم فيما يعرف بتصادم الحضارات، وتأثير ذلك على الإسلام ؟

جواب: الحضارة في أي مكان بمعناها الراقي الرفيع هي ملك لكل الإنسانية وكذلك المعرفة، لذلك فإن الحصول على المعرفة والبحث عنها واقتنائها والسفر إليها هي أمر مطلوب من كل الحضارات، وصدام الحضارات ثم صراعها لا وجود له في الحضارة الإسلامية التي لا تصارع أحد من جانبها، وهنا نذكر بقول الإمام ابن رشد – الذي أهدر بعضنا قيمته العلمية والدينية – " أننا نقرأ ما يكتبه الآخرون فإن اتفق مع ديننا وعقيدتنا وآدابنا أخذناه وشكرناهم، وإن اصطدم مع معتقداتنا الدينية والحضارية انصرفنا عنه وشكرناهم أيضا" .. لذلك فالحضارات لا بد ألا تصطدم بعضها البعض على أي حال، بشرط أن تكون نافعة للبشر والعقل الإنساني وليس للتشكيك فيه وهدم المعتقدات الدينية السليمة، فالحضارات لا تصطدم وتتصارع لكنها تتفاعل من أجل الإنسانية، شريطة أن تكون بعيدة عن تغيير فطرة الخالق أو هدم العقائد السماوية .

طعنات مسمومة

سؤال : هل يرى فضيلتكم أن هناك أزمة حقيقية في العقل المسلم، وما تفسيرك للاتهامات التي ترد في هذا الشأن ؟

جواب : ما يدعيه البعض ويروج له من وجود أزمة في العقل المسلم مغالطة لا وجود لها، فمادة "يعقلون" و"أولي الألباب " في آيات القران الكريم لا تحصى فكيف يكون هناك أزمة في عقل المسلم.

إن الأزمة موجودة في العقول المريضة التي تلصق بالإسلام الأزمات، فأعداء الإسلام يختلقون التعبيرات والمفاهيم الخاطئة عن الإسلام، ويطعنونه بها، والهدف

من ذلك هو إحداث بلبلة في عقول المسلمين من أجل صرفها عن الاهتمام بواقعها والتفكير في مستقبلها، والشيء المؤسف أن الأعداء نجحوا إلى حد كبير في تحقيق أهدافهم، فهناك العديد من المسلمين لا يعلمون شيئا عن دينهم ولا مشاكل مجتمعاتهم الإسلامية .. فكيف نطلب منهم أن يعملوا عقولهم لحلها.

إن الأزمة الحقيقية هي محاولة تغييب العقل المسلم، ومحو طاقته الفكرية والإبداعية، وللقضاء على هذه الأزمة لا بد أن تتكاتف كل المؤسسات الإسلامية داخل مجتمعاتنا المسلمة، بحيث توضح روح الإسلام الحقيقية لكل من يشوب عقله أي نقص في جانب من جوانب الإسلام، وهذا يتطلب وضع خطة متكاملة للنهوض بالعمل الإسلامي داخل هذه المجتمعات.

صلاح المرأة المسلمة

سؤال: ما رأيك في دعوة المساواة بين الرجل والمرأة، والتي يروج لها البعض هذه الأيام ؟

جواب: المرأة قبل الإسلام كانت مخلوقاً مضطهداً من قبل الرجل في شتى المجتمعات، لكن مع ظهور نور الإسلام حصلت علي حقوقها كاملة، وتم فك القيود التي كانت تحيط بعنقها، وللمرأة دور أساس في بناء الأسرة التي تعد اللبنة الأولى للمجتمع، وصلاح المرأة المسلمة ينتج عنه صلاح المجتمع الإسلامي، فدورها لا يقل بأي حال عن دور الرجل، وما يجب عليها فقط أن تؤدي رسالتها بالصورة التي رسمها لها الإسلام وقواعده؛ حتى لا تتحول إلى مخلوق ثالث لا هي حافظت على كونها امرأة ولا استطاعت أن تصير رجلا.

ولا بد أن تعي ما يريده أعداء الإسلام من توجيه أسلحتهم لهذا الجانب المهم من البناء الإسلامي، فهم يرغبون في خروجها عن آداب دينها وإفسادها عن طريق شعارات المساواة وغيرها، ونجاحهم في ذلك يعني نجاحهم في إفساد اللبنة الأولى في بناء المجتمع المسلم بما يعني النجاح في إفساد كل المجتمع، كما يجب على الرجل منحها حقوقها كاملة كما كفلها لها الإسلام، ولا يعود بها إلى عصور الجاهلية .

================

الإستشراق والإعجاز في القرآن الكريم[2/1]

د. علي بن إبراهيم النملة(*) 1428/3/26

2007/04/14

المدخل

نقل المعلومة الشرعية

العناية بكتاب الله تعالى

الدافع لترجمة معاني القرآن

المدخل:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محَمَّد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه,

وبعد:

فهذه وقفات حول النقد الذاتي للاستشراق, تتمحور حول نظرات الأوائل من المستشرقين حول القرآن الكريم, من حيث كونُه كلامَ الله تعالى, منزَّلاً على رسوله محَمَّد بن عبدالله -صلى الله عليه وسلم-, من خلال وسيلة هي جبريل -عليه السلام-, ومحاولات طلائع المستشرقين إنكار أنْ يكونَ القرآن الكريم كتابًا منزَّلاً من عند الله تعالى, ومن ثمَّ إنكار أنْ يشتمل على أيِّ نوع من أنواع الإعجاز, بالإضافة إلى الادِّعاء بأنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد استعان, في "تأليف" هذا الكتاب المجيد, ببعض معاصريه من أهل الكتاب. وسعى هذا البحثُ إلى التركيز على ردِّ المستشرقين على المستشرقين, فيما يمكن أنْ يدخُل في مفهوم النقد الذاتي للاستشراق.

تأتي هذه الوقفاتُ استجابةً لدعوةٍ كريمةٍ مشكورة من الأستاذ الدكتور محَمَّد عبدالرحيم محَمَّد عميد كلِّية دار العلوم بجامعة المنيا بجمهورية مصر العربية, رئيس المؤتمر الدولي الثالث عن العلوم الإسلامية وقضايا الإعجاز في القرآن والسنَّة بين التراث والمعاصرة, الذي يُعقد في رحاب جامعة المنيا, كلِّية دار العلوم.

آمل أنْ أكون قد وفِّقت في إثارة هذا الموضوع, بما يفتح المجال إلى مزيد من التركيز, من قبَل الباحثين العرب والمسلمين, على نظرة المستشرقين المعاصرين لأسلافهم من طلائع المستشرقين, في مواقفهم من الإسلام والقرآن الكريم والسنَّة

النبوية الشريفة, وما طرأ على هذه النظرة من تطوُّر أملته الحالة الثقافية المعولمة, التي برزت في الزمن المعاصر, دون اللجوء إلى التعميم في الأحكام, الإيجابية أو السلبية, على الاستشراق, وبما يكْفُل قدرًا من الإنصاف والاعتدال, في ضوء هذا التلاقُح الثقافي والحضاري بين الأمم, مما يستدعي قدرًا غيرَ مستهانٍ به من التسامُح والعدل في الأحكام العلمية وصنوف التعامُل الأخرى.

نقل المعلومة الشرعية

من وسائل نشر المعلومة الشرعية نقلُها لغويًا, من اللغة العربية إلى لغات أخرى, يتحدَّثها من لا يتحدَّثون العربية, من المنتمين للإسلام، ومن غير المنتمين إلى الإسلام. وتسمَّى هذه الوسيلة بالنقل والترجمة(1).

وأوَّل ما يتبادر إلى الذهن في مسألة ترجمة المعلومة الشرعية ترجمة معاني القرآن الكريم من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى(2).

القرآن الكريم كلامُ الله تعالى, المنزَّلُ من عنده, بواسطة جبريل –عليه السلام– إلى محَمَّد بن عبدالله–صلى الله عليه وسلم– النبيّ الأمِّيّ, لا يرقى إليه كلامُ المخلوقين, من حيث الصياغةُ والمعنى والمدلولُ والديمومةُ، وفيه ألفاظ ودلالات لا مقابلَ لها في اللغات الأخرى, ولا تتهيَّأ ترجمته إلى أيّ لغة أخرى ترجمةً حرفية غير ميسورة, مهما قامت المحاولات, قديمًا وحديثًا, ولذا كانت هناك محاولات للتعامُل مع هذه الاستحالة بتفسير القرآن الكريم بلغات أخرى, كما اصطلح المسلمون على محاولات الترجمة, خروجًا من هذا الحرج, بأنَّها تعامُلٌ مع المعنى(3).

من سمات الإعجاز في القرآن الكريم إعجازه العلمي, بالمفهوم العلمي العام الذي لا يقتصر على العلوم التطبيقية والبحتة, إذ لا بُدَّ من التوكيد على توسيع رقعة المفهوم العلمي, من حيث كونُه إعجازًا قرآنيًا ليشمل السمات العلمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية والتربوية, التي جاءت إشارات لها في كتاب الله تعالى, دون الاقتصار فقط على العلوم التطبيقية (التجريبية) والبحتة.

يختلف التفسير العلمي للقرآن الكريم عن الإعجاز العلمي لكتاب الله, إذ إنَّ التفسير العلمي «هو الكشف عن معاني الآية في ضوء ما ترجَّحت صحَّته من نظريات العلوم الكونية. أما الإعجاز العلمي: فهو إخبار القرآن الكريم بحقيقة أثبتها العلم

التجريبي أخيرًا, وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول –صلى الله عليه وسلم–»(4).

تعالج هذه الصفحات موقفَ بعض المستشرقين من الإعجاز في القرآن الكريم, مع التركيز على نقد جهود المستشرقين في التعاطي مع القرآن الكريم بصفته وحيًا منزَّلاً على سيِّدنا رسول الله محَمَّد ابن عبدالله –صلى الله عليه وسلم–, بما في ذلك نقد جهود هؤلاء المستشرقين في مصدرية القرآن الكريم, من حيث نزولُه وحيًا من عند الله تعالى, في مقابل كونه تأليفًا من رسول الله محَمَّد بن عبدالله –صلى الله عليه وسلم–, أعانه عليه قوم آخرون.

العناية بكتاب الله تعالى

منذ أنْ ختم الله تعالى الأديان كلَّها بالإسلام, وختم الأنبياء والرسُل كلَّهم بمحَمَّد بن عبدالله –صلى الله عليه وسلم–, وختم الكتبَ السماويةَ كلَّها, بالقرآن الكريم، وهذا الكتاب المنزَّل هو محطُّ اهتمام المسلمين, وغير المسلمين, بالتفسير والتحليل, والسعي إلى فهمه وتمثُّله من المسلمين, والوقوف على أسرار تأثيره في النفوس من غير المسلمين(5).

تَعرَّفَ كثيرٌ من المستشرقين الأوائل على النصِّ القرآني من خلال ترجمة المستشرقين أنفسهم لمعانيه إلى اللغات الأوروبية, التي اعتمد لاحقها على سابقها, مما كان سببًا من أسباب الالتفات عن الإعجاز في القرآن الكريم. ويمكن القول إنَّه من تعرَّض لنصِّ القرآن الكريم, من المستشرقين والعلماء الغربيين, بلغته العربية كانت له مواقفُ أكثر نزاهةً ممَّن تعرَّضوا للنص القرآني مترجَمًا من مستشرقين.

الذين تعرَّضوا للقرآن الكريم من منطلق أدبي كانوا أكثر تركيزًا على إعجاز القرآن الكريم. ولا تكاد دراسات المستشرقين عن أدب العصر الجاهلي تخلو من التعرُّض للقرآن الكريم, على اعتبار أنَّ القرآن الكريم معجزٌ بلاغةً, كما أنَّه معجز من نواحٍ أخرى مختلفة(6).

لا يتوسَّع هذا البحث للحديث عن الإعجاز نفسه, فمنذ أنْ درس المسلمون الإعجاز البياني في القرآن الكريم, منذ علي بن عيسى الرمَّاني الإخشيدي الورَّاق (276 . 384هـ) في كتابه: الجامع لعلم القرآن, وحمد بن محَمَّد بن إبراهيم بن الخطَّاب

البُستي "الخطَّابي" (319 . 388هـ) في كتابه: إعجاز القرآن, ومحَمَّد بن الطيِّب بن محَمَّد بن جعفر بن القاسم البصري الباقلَّاني (338 . 403هـ), في كتابه: إعجاز القرآن, والإنتاج العلمي في هذا المجال يزداد مع الزمن(7).

يمكن القول, دون تعميم: إنَّ دراسات المستشرقين الأوائل حول المعلومة الشرعية لا تكاد تخلو من الخلل, إمَّا أن يكون غير مقصود, أو يكون متعمَّدًا. ذلك أنَّ هؤلاء الدارسين للمعلومة قد افتقدوا إلى عاملين مهمَّين؛

أوَّلهما: الافتقار إلى الانتماء إلى هذه المعلومة, وما تمثِّله من ثقافة، ومن ثمَّ أعطاهم عدمُ الانتماء الجرأةَ في الحكم والتحليل, دون النظر إلى التأثير, ولو كان هذا التأثير سلبيًا.

العامل الثاني: هو افتقارهم إلى الإلمام باللغة التي جاءت بها المعلومة الشرعية، وهي, هنا, اللغة العربية، رغم محاولاتهم الجادَّة للسيطرة عليها(8).

هذا العامل الثاني أخفُّ بكثير من العامل الأوَّل، ولكنَّ تأثيرَه بدا واضحًا, من خلال اضطرار المستشرقين إلى الاستعانة بالضليعين باللغة العربية من العلماء والأدباء العرب, يقرأون لهم, وينسخون ما يكتبون. وقد حرصوا على أصحاب الخطوط الجميلة, في ضوء تعميم المطبعة ووسائل الاستنساخ الحديثة, ومن هؤلاء العلماء والأدباء (مرتَّبة أسماؤهم هجائيًا): إبراهيم شيُّوخ, وابن أبي شنب, وأحمد تيمور, وأحمد زكي, وأحمد عبيد, وإحسان عبَّاس, والقاضي إسماعيل الأكوع, وحسن حسني عبدالوهَّاب, وحمد الجاسر, وصلاح الدين المنجِّد, والشيخ طاهر الجزائري, والعابد الفاسي, وعبدالحيّ الكتَّاني, وفؤاد سيِّد, والفقيه التطواني, وقاسم الرجب, وكوركيس عوَّاد, ومحَمَّد إبراهيم الكتَّاني, ومحَمَّد رشاد عبدالمطَّلِب, ومحَمَّد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي, ومحَمَّد المنوني, ومحَمَّد يوسف نجم, ومحمود محَمَّد الطناحي(9).

يقول رشيد رضا في كتابه: الوحي المحَمَّدي: «إنَّ ترجمات القرآن التي يعتمد عليها الإفرنج في فهم القرآن كلها قاصرة عن أداء معانيه التي تؤدِّيها عباراته العليا وأسلوبه المعجز للبشر. وهي إنما تؤدِّي بعض ما يفهمه المترجم له منهم, إنْ كان يريد بيان ما يفهمه. وإنَّه لمن الثابت عندنا أنَّ بعضهم تعمَّدوا تحريف كلمه عن مواضعه. على

أنَّه قلَّما يكون فهمهم تامًّا صحيحًا. ويكثر هذا فيمن لم يكن به مؤمنًا, بل يجتمع لكلٍّ منهم القصوران كلاهما: قصور فهمه وقصور لغته»(10).

يعترف المستشرق الفرنسي المعاصر جاك بيرك أنَّ محاولته ترجمة معاني القرآن الكريم «ليست غير محاولة لتفسير معاني القرآن الكريم؛ لأنَّ الترجمة الحقيقية للنصّ القرآني مستحيلة, فألفاظ وعبارات القرآن الكريم لها مدلولات ومؤشّرات عميقة, ولا تستطيع اللغة (القابلة) أنْ تنقلها بكلّ ما تحتويه من معانٍ ظاهرة وخافية»(11).

يقول مصطفى عبدالغني: «إنَّ مراجعة ترجمة جاك بيرك, هنا, تشير إلى أنَّه ـ مثل عدد من المستشرقين ـ رغم استخدامه لعدد من المناهج الغربية الجديدة على النصّ, فإنَّه ما زال يحمل رواسبَ تاريخيةً واجتماعيةً خاصَّةً في التفسير أكثر من محاولة صارمة في المنهج»(12).

اصطَلَح المسلمون على أنْ يطلقوا على عملية نقل القرآن الكريم, وترجمته من اللغة العربية إلى أيّ لغة أخرى, ترجمة معاني القرآن الكريم(13), ويتحرَّج المسلم العالِمُ من إطلاق الترجمة على القرآن الكريم, دون أن تكون مقيَّدةً بترجمة المعنى(14).

كان هذا مخرَجًا حفِظَ للقرآن الكريم مكانته, بلغته العربية، ودفع كثيرين من غير العرب إلى تعلُّم اللغة العربية, ليستطيعوا تذوّق القرآن الكريم, باللغة التي نزل بها. كما أنَّه كان مخرجًا لتعدُّد ترجمات المعاني في اللغة الواحدة, على أيدي أبنائها وغير أبنائها، بل ربَّما تعدَّدت ترجمة المعاني باللغة الواحدة على يد مترجم واحد، حيث يتبيَّن له دائمًا التقصير الذي يعتريه, مع كل ترجمة للمعاني. وهذا من طبع البشر(15).

يقول عبدالله بن عبدالمحسن التركي في مقدِّمته للتفسير الميسَّر: «كان غير العرب ـ بمجرَّد دخولهم في الإسلام ـ يتعلَّمون لغة العرب, ليقرؤوا القرآن ويفهموه ويعملوا به. وحينما انحسر المدُّ الإسلامي, وضعُف المسلمون, وقلَّ الاهتمام بالعلوم الإسلامية ولغتها العربية, ظهرت الحاجة إلى ترجمة معاني كتاب الله لمن لا يتكلَّم اللغة العربية ولا يفهمها, إسهامًا في تبليغ رسالة الإسلام للناس كافَّة, ودعوةً لهم إلى هدي الله وصراطه المستقيم.

وتعدَّدت الترجمات, ودخل في الميدان من ليس أهلاً له, بل قام بذلك أناسٌ من غير المسلمين, ممَّا جعل الحاجة ملحَّةً إلى أنْ يعتني المسلمون بتوفير ترجمات صحيحة لمعاني كتاب الله, وبيان ما في بعض الترجمات من أخطاء وافتراء ودسٍّ على كتاب الله الكريم, ورسالة نبيّنا محَمَّد –صلى الله عليه وسلم–»(16).

الاهتمام بالقرآن الكريم من قبل الغربيين أدَّى إلى ترجمتهم لمعانيه إلى لغاتهم, وهم غربيون, بمفهوم أنَّهم غير مسلمين. ورغم كثرتها إلا أنَّ أبرزها ترجمة المستشرق الإنجليزي جورج سيل (1697 . 1736م) إلى اللغة الإنجليزية, التي وضع لها مقدِّمة, قرَّر فيها أنَّ سيِّدنا محَمَّد بنَ عبدالله –صلى الله عليه وسلم– هو الذي ألَّف القرآن الكريم . كما سيأتي ذكره . وإنْ كان لم يستبعد أنْ يكونَ قد عاونه أحد من حكماء عصره, من بني قومه, أو من اليهود والنصارى! (17) "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ" [النحل: 103].

أعقب ذلك نقولٌ أخرى عن هذه الترجمة. وكان هذا التأثير سلبيًا، ولعلَّه كان مقصودًا؛ لصرف الآخر عن التعلُّق بالإسلام, من خلال تقديم المعلومة الشرعية الصحيحة, بالترجمة الدقيقة للمصدر الأوَّل لهذه المعلومة. هذا في ضوء غياب جهود المسلمين القادرين على تقديم المعلومة الصحيحة, من خلال الترجمة الدقيقة لمعاني القرآن الكريم, وانشغال المسلمين, في حينها, بالنظر في مشروعية النقل والترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى.

لا شكَّ في أنَّ هذا الموقف من المعلومة الشرعية كان له, في مجتمع هؤلاء الدارسين, تأثيره السلبي عليها، إذ أسهم هذا الأسلوب في إبعاد الناس عن المعلومة الشرعية الصحيحة، بما في ذلك الالتفات إلى الوقفات العلمية الكونية القائمة وقت نزول الوحي على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–, أو تلك الحقائق العلمية التي تحقَّق بعضها بعد نزول الوحي, أو تلك التي لا تزال تخضع للاكتشاف المتواصل مع التقدُّم العلمي والتقاني.

هذا الالتفات عن هذا الجانب الحيوي في كتاب الله تعالى أسهم في ضعف فهم الإسلام, أو في سوء فهمه من قبل الغربيين، مما كان له تأثيره على الإقبال على هذا الدين, الذي يقوم على المعلومة الشرعية الصحيحة.

التركيز, هنا, مخصَّص لمحاولات فهم الجانب الإعجازي في القرآن الكريم من أولئك الذين لا ينتمون إليه، ولا يتحدَّثون لغته العربية، ممَّا أدَّى إلى قيام محاولات لترجمة معانيه إلى لغاتهم, تعود إلى القرن السادس الهجري (سنة 536هـ), الثاني عشر الميلادي (سنة 1141م), حينما بدأ بطرس المحترم الكلوني هذا الجهد، وتولَّى الترجمة له الراهب الإنجليزي روبرت (روبرتوس كيتينيسيس) الكلوني, وكان, هو والراهب الآخر هيرمان الدالماتي, الذي ترجم النبذة المختصرة, ملمِّين باللغة العربية, وكانت هذه الترجمة «تزخر بأخطاء جسيمة, سواءٌ في المعنى أو في المبنى, ولم يكن أمينًا, إذ أغفل ترجمة العديد من المفردات, كما لم يتقيَّد بأصل السياق, ولم يُقم وزنًا لخصوصيات الأدب», كما يقول يوهان فوك(18).

يُضيف عبدالرحمن بدوي إليهما كلاً من روبرت كينت, وعربي مسلم يُدعى محَمَّدا, «ولا يُعرف له لقب ولا كنية ولا اسم آخر»(19). ويذكر محَمَّد عبدالواحد العسري أنَّ من التراجمة أحدَ المسلمين المنقلبين عن دينهم الأصلي إلى النصرانية(20). كما يذكر محَمَّد عوني عبدالرؤوف «أنَّ أحد المغاربة من المتفقِّهين في التفسير والدين كان يمُدُّ له يدَ المساعدة دائمًا»(21).

ومع هذا فلم تكن هذه الترجمة أمينةً, «فقد كانت تعاني من نقص شديد في مواطنَ كثيرةٍ, فهي شرح للقرآن أكثر من كونها ترجمةً. لم يُعنَ بأمانة الترجمة ولا بتركيب الجملة, ولم يُعِر البيانَ القرآنيَّ أيَّ التفات, بل اجتهد في ترجمة معاني السور وتلخيصها, بصرف النظر عن موضوع الآيات التي تعبِّر عن هذه المعاني بالسورة نفسها»(22).

إلا أنَّ هذه الترجمة لم يتمّ طبعها إلا بعد أربع مئة سنة من ترجمتها, أي في منتصف القرن العاشر الهجري, (سنة 950هـ), منتصف القرن السادس عشر الميلادي (سنة 1543م), حيث طبعت في بازل بسويسرا, إذ تولَّد جدل لدى رجال الدين في الكنيسة حول جواز نشر القرآن الكريم بين رعايا الكنيسة, ومدى تأثيره على مشروع حماية

النصارى من الإسلام(23). ثمَّ صدرت الطبعة الثانية منها, في بازل بسويسرا, كذلك, سنة 957هـ/1550م(24). تلاها, مباشرة, محاولة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية، وقام بها جمعٌ من رهبان ريتينا. وقيل إنَّ هذه الترجمة قد أُحرقت(25).

تعاقبت الترجمات, مستندة إلى ترجمة روبرتوس الكلوني, وعلى أيدي المستشرقين, فقد صدرت أقدمُ ترجمة إلى الإيطالية سنة 954هـ/1547م, ثم صدرت عن الترجمة الإيطالية ترجمة ألمانية سنة 1025هـ/1616م, على يد سالومون شفايجر, وعن الألمانية صدرت ترجمة إلى الهولندية سنة 1051هـ/1641م, غير معلومة اسم المترجم, ثم إلى الفرنسية, حيث ترجمها رير سنة 1057هـ/1647م(26). وكلُّها كانت عالةً على ترجمة روبرتوس, حتى ظهرت ترجمة لودفيجو ماراتشي إلى الإيطالية سنة 1110هـ/1698م, «التي لا سبيل إلى مقارنتها, من حيث صحَّتُها, مع أيِّ ترجمة أخرى قبلها»(27).

الدافع لترجمة معاني القرآن

يُعيد الدارسون ترجمةَ معاني القرآن الكريم, المتقدِّمة تاريخيًا, إلى دوافع تنصيرية بالدرجة الأولى، وهذا مبني على القول بأنَّ الاستشراقَ قد انطلق من الدافع التنصيري، والديني بصورة أعمَّ.

يقول ريجي بلاشير عن بوادر ترجمة معاني القرآن الكريم التي انطلقت من بطرس المحترم سنة 536 . 538هـ/1141 . 1143م: «كانت المبادرة قد انبثقت عن ذهنية الحروب الصليبية. هذا ما تثبته الرسالة التي وجَّهها بطرس المحترم إلى القدِّيس برنار, مرفقةً بنسخة من الترجمة التي كانت قد أُعِدَّت, كما انبثقت في الوقت ذاته عن الرغبة الشديدة لإزالة كل أثر للإيمان الأول, من أذهان المسلمين المهتدين. وفي رأينا أنَّ الأهميَّة التي اتَّخذها القرآن في هذا المجال قد تجلَّت في الروح العسكرية التي استمرَّت حميَّتها حتَّى بداية القرن الرابع عشر, دليلنا على ذلك في الحماسة التبشيرية عند ريمون لول المتوفَّى في بورجي سنة 1315م»(28).

يقول يوهان فوك, حول هذا الارتباط, أيضًا: «ولقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربية. فكلَّما تلاشى الأمل في تحقيق نصر نهائي بقوَّة السلاح, بدا واضحًا أنَّ احتلال البقاع المقدَّسة لم يؤدِّ إلى

ثني المسلمين عن دينهم, بقدر ما أدَّى إلى عكس ذلك, وهو تأثُّر المقاتلين الصليبيين بحضارة المسلمين وتقاليدهم ومعيشتهم في حلبات الفكر»(29).

تنطلق ترجمة معاني القرآن الكريم, بعد أفول حملات الفرنجة (الصليبيين)، وبالتحديد من دير كلوني, بأمر من رئيس الدير بطرس المحترم/الموقَّر, كما مرَّ ذكره(30).

ويؤكِّد محَمَّد ياسين عريبي في كتابه: الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، ارتباط ترجمات معاني القرآن الكريم بالتنصير(31). كما يؤيِّده في هذا محَمَّد عوني عبدالرؤوف في أنَّ «الفكرة من الترجمة إذًا قد كانت من الكنيسة بعد أنْ اقتنعت أنَّ النصر لن يكون بالسلاح»(32).

يؤكِّده, كذلك, الباحثُ الدكتور محَمَّد بن حمَّادي الفقير التمسماني, في بحث له بعنوان: تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل المستشرقين ودوافعها وخطرها. حيث يجعل «حملات التبشير النصرانية, أحد أسباب بداية نشأة الاستشراق»(33).

يؤيِّده على هذا التوجُّه الأستاذ الدكتور محَمَّد مهر علي, في بحث له بعنوان: ترجمة معاني القرآن الكريم والمستشرقون: لمحات تاريخية وتحليلية ، حيث يؤكِّد الأستاذ الباحث أنَّ ترجمات معاني القرآن الكريم من قبل المستشرقين لم تلقَ إقبالاً إلا لدى الدوائر التنصيرية(34).

يؤيِّدهما, كذلك, الدكتور عبد الراضي بن محَمَّد عبدالمحسن في بحث له بعنوان: مناهج المستشرقين في ترجمات معاني القرآن الكريم: دراسة تاريخية نقدية، الذي يرى أنَّ التنصيرَ كان وراء ترجمة معاني القرآن الكريم، حيث انطلقت الترجمة في رحلتها الأولى والثانية من الأديرة, وعلى أيادي القسُس, وأنَّ فكرة التنصير كانت وراء ترجمة معاني القرآن الكريم(35).

هذا يؤكِّد أهمية اضطلاع المسلمين أنفسِهم بمهمَّة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغات العالم، كما قام به بعض أبناء هذه الأُمَّة مؤخَّرًا، وكما تقوم به مؤسَّسات علمية عربية وإسلامية, لها اعتباراتها المرجعية, ومنها, على سبيل المثال, الأزهر الشريف ومجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنوَّرة, حيث وصلت ترجمات

معاني القرآن الكريم الصادرة عن هذا المجمَّع إلى أكثر من أربعين لغة. وهذا جهد يذكر ويشكر.

الأصل أنْ تكون هناك ترجمة واحدة, قابلة للمراجعة ومعتمدة, لمعاني القرآن الكريم لكلِّ لغة، قصدًا إلى الحيلولة دون الاختلاف في المعنى باختلاف اللفظ، يأتي هذا في ضوء وجود أكثر من مئة وعشرين (120) ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى لغات العالم، بعضها مكرَّر في لغة واحدة، قام بها عدد من المستشرقين، وبعض المسلمين, كالإنجليزية, التي زادت عدد الترجمات بها عن 80 ترجمة(36). وصلت طبعاتُها سنة 1423هـ/2002م إلى ما يزيد عن 890 طبعة, بعد أنْ كانت قد وصلت سنة 1400هـ/1980م إلى ما يزيد عن 269 طبعة, «سجَّلت تفاصيلَها المرجعيةَ بدقَّة الببليوجرافيا العالميةُ لترجمات معاني القرآن الكريم: الترجمات المطبوعة»(37).

ثم تتركَّز الترجمة في اللغة الواحدة بترجمة واحدة, بفضل من الله تعالى, الذي تكفَّل بحفظ هذا الذكر العظيم؛ "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" [الحجر: 9]. ثمَّ إلى هذه الثُّلَّة من علماء المسلمين, مدعومين من الحكومات العربية والإسلامية, ومن المعنيين بالشأن العلمي والثقافي والفكري ممن أقاموا مراكز الدراسات والبحوث الإسلامية؛ خدمةً لهذا الدين الحنيف.

|2|1|

(*) أستاذ المعلومات والمكتبات.

(1) انظر في مناقشة قضية النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية: علي بن إبراهيم النملة. النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية. ـ ط 3. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية, 1427هـ/2006م. ـ 204 ص.

(2) انظر في مناقشة هذه القضية: إبراهيم بن صالح الحميدان. مواصفات الترجمة المعدَّة للاستعمال في مجال الدعوة. ـ 69 ص.

في: ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم للماضي, وتخطيط للمستقبل. ـ المدينة المنورة: مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, 1423هـ/ 2002م.

(3) انظر, مثلاً: عُبادة بن أيُّوب الكبيسي. إمعان النظر في فواتح السوَر. ـ مجلَّة الدراسات الإسلامية. ـ مج 25 ع 2 (1410هـ). ـ ص 5 ـ 42. وانظر, أيضًا: عبد

الفتاح عطية يونس. سر إعجاز القرآن الكريم في فواتح السور. . منار الإسلام. . مج 5 (5/ 1409هـ . 12/ 1988م). . ص 6 . 15.

(4) انظر: عبدالله بن الزبير بن عبدالرحمن. تفسير القرآن الكريم: مصادره واتِّجاهاته. . مكَّة المكرَّمة: رابطة العالم الإسلامي, 1423هـ. . ص 139. . (سلسلة دعوة الحقِّ؛ 202).

(5) تتَّكئ هذه الوقفات, في أصلها ومقدِّمتها, على دراسة للباحث حول القرآن الكريم والمستشرقين, تنشرها مجلَّة البحوث والدراسات القرآنية الصادرة عن مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنوَّرة. . ع 3 (محرَّم 1428هـ . فبراير 2007م).

(6) انظر: عبدالرحمن بدوي. دراسات المستشرقين حول صحَّة الشعر الجاهلي. . ط 2. . بيروت: دار العلم للملايين, 1986م. . 327 ص. وتعرَّض مرجليوث للإعجاز البياني في مقالته: أصول الشعر العربي, كما تعرَّض له جوستاف فون جرونباوم في: دراسات في الأدب العربي, وله, كذلك, نقد الشعر في إعجاز القرآن للباقلاَّني, وأنجليكا نويفرت في مقالتها: طريقة الباقلاَّني في إظهار إعجاز القرآن.

(7) انظر مقدِّمة المحقِّق السيِّد أحمد صقر. . ص 5 . 95.

في: الباقلاَّني, أبو بكر محَمَّد بن الطيِّب. إعجاز القرآن/ تحقيق السيِّد أحمد صقر. . ط 5. . القاهرة: دار المعارف, 1981م. ـ 395 ص.

(8) انظر مناقشة البعد اللغوي لترجمةٍ من آخر ما ظهر لمعاني القرآن الكريم لدى: مصطفى عبدالغني. ترجمة جاك بيرك للقرآن: من القراءة إلى التفسير. . الاجتهاد. . ع 49 (شتاء 2001م . 1422/1421هـ). . ص 129 . 135.

(9) انظر: محمود محَمَّد الطناحي. مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف. . القاهرة: مكتبة الخانجي, 1405هـ/1984م. . ص 223 . 224.

(10) انظر: محَمَّد رشيد رضا. الوحي المحَمَّدي. . ط 6. . القاهرة: مطبعة نهضة مصر, 1375هـ/1956م. . ص 24.

(11) انظر: مصطفى عبدالغني. ترجمة جاك بيرك للقرآن: من القراءة إلى التفسير. . الاجتهاد. . مرجع سابق . ص 115 . 137. والنصُّ من ص 119, نقلاً عن: سعيد اللاوندي. محاكمة جاك بيرك: إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم. . مخطوطة.

(12) انظر: مصطفى عبدالغني. ترجمة جاك بيرك للقرآن: من القراءة إلى التفسير. . الاجتهاد. . مرجع سابق. . ص 129.

(13) انظر: مصطفى صبري. مسألة ترجمة القرآن. . القاهرة: المطبعة السلفية، 1351هـ.

(14) انظر: محَمَّد سليمان. كتاب حدث الأحداث في الإسلام: الإقدام على ترجمة القرآن. . القاهرة: مطبعة جريدة مصر الحرَّة، 1355هـ.

(15) انظر: محَمَّد صالح البنداق. المستشرقون وترجمة القرآن الكريم: عرض موجز بالمستندات لمواقف وآراء وفتاوى بشأن ترجمة القرآن الكريم مع نماذج لترجمة تفسير معاني الفاتحة في ستٍّ وثلاثين لغة شرقية وغربية. . ط 2. . بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1403هـ/ 1983م. . 338 ص.

(16) انظر: عبدالله بن عبد المحسن التركي, مشرف. التفسير الميسَّر/ تأليف نخبة من العلماء. . المدينة المنوَّرة: مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, 1418هـ. . ص و.

(17) انظر: عبدالحكيم فرحات. إشكالية تأثُّر القرآن الكريم بالأناجيل في الفكر الاستشراقي الحديث. . 23 ص.

في: ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية المنعقدة في مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنوَّرة في المدَّة من 16 . 1427/10/18هـ الموافق 7 . 2006/11/9م. . المدينة المنوَّرة: المجمَّع, 1427هـ/2006م.

(18) انظر: يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبَّا حتَّى بداية القرن العشرين/ تعريب عمر لطفي العالم.ـ ط 2.ـ دمشق: دار قتيبة, 1417هـ/1997م.. ص 18.

(19) انظر: انظر: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.ـ ط 4.ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر, 2003م.. ص 441.

(20) انظر: محَمَّد عبدالواحد العسري. الإسلام في تصوُّرات الاستشراق الإسباني. ـ مرجع سابق. ـ ص 122.

(21) انظر: محَمَّد عوني عبدالرؤوف. فريدريش ريكرت عاشق الأدب العربي. ـ ط 2. ـ القاهرة: مكتبة الآداب, 2006م. ـ ص 67.

(22) انظر: محَمَّد عوني عبدالرؤوف. فريدريش ريكرت عاشق الأدب العربي. ـ المرجع السابق. ـ ص 67.

(23) انظر: قاسم السامرَّائي. الطباعة العربية في أوروبا. ـ ص 45 ـ 108.

في: ندوة تاريخ الطباعة العربية حتَّى انتهاء القرن التاسع عشر, 28 ـ 29 جمادى الأولى 1416هـ/22 ـ 23 أكتوبر (تشرين الأول) 1995م. ـ أبو ظبي: المجمع الثقافي, 1996م.

(24) انظر: يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص 15 ـ 20.

(25) انظر: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. ـ مرجع سابق. ـ ص 438 ـ 445.

(26) انظر: محَمَّد عوني عبدالرؤوف. فريدريش ريكرت عاشق الأدب العربي. ـ مرجع سابق. ـ ص 67.

(27) انظر: يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص 20. وانظر: ص 97 ـ 98.

(28) انظر: بلاشير. القرآن: نزوله, تدوينه, ترجمته وتأثيره/ نقله إلى العربية رضا سعادة, أشرف على الترجمة الأب فريد جبر, حقَّقه وراجعه محَمَّد علي الزعبي. ـ بيروت: دار الكتاب اللبناني, 1974م. ـ ص 15.

(29) انظر: يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص 16 ـ 17.

(30) انظر: معلوف, أمين. الحروب الصليبية كما رآها العرب/ ترجمة عفيف دمشقية. ـ الجزائر: المؤسَّسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار, 2001م. ـ 352 ص.

(31) انظر: محَمَّد ياسين عريبي. الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي. ـ الرباط: المركز القومي للثقافة, 1411هـ/1991م. ـ ص 144 ـ 148.

(32) انظر: عبدالرؤوف, محَمَّد عوني. فريدريش ريكرت عاشق الأدب العربي.. . مرجع سابق. . ص 67.

(33) انظر: محَمَّد حمَّادي الفقير التمسماني. تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل المستشرقين ودوافعها وخطرها. . 51 ص.

في: ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم للماضي, وتخطيط للمستقبل. . مرجع سابق.

(34) انظر: محَمَّد مهر علي. ترجمة معاني القرآن الكريم والمستشرقون: لمحات تاريخية وتحليلية. . 50 ص.

في: ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم للماضي, وتخطيط للمستقبل. . المرجع السابق.

(35) انظر: عبدالراضي بن محَمَّد عبد المحسن. مناهج المستشرقين في ترجمات معاني القرآن الكريم: دراسة تاريخية نقدية. . 64 ص.

في: ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم للماضي, وتخطيط للمستقبل. . المرجع السابق.

(36) انظر: عادل بن محَمَّد عطا إلياس. تجربتي مع تقويم ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية. . 28 ص.

في: ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم للماضي, وتخطيط للمستقبل. . المرجع السابق.

(37) انظر: عبدالرحيم القدوائي. مقدِّمة في الاتِّجاهات المعاصرة في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية/ ترجمة وليد بن بليهش العمْري. . مجلَّة البحوث والدراسات القرآنية. . مج 1 ع 1 (1427/1هـ . 2006/2م). . ص 217 . 229. والنصُّ من ص 218.

============

الإستشراق والإعجاز في القرآن الكريم[2/2]

د. علي بن إبراهيم النملة(*) 1428/4/1

2007/04/18

محَمَّد –صلى الله عليه وسلم– والقرآن الكريم:

إدراك الإعجاز

الخاتمة: الخلاصة والنتيجة

محَمَّد –صلى الله عليه وسلم– والقرآن الكريم:

توالت ترجمات معاني القرآن الكريم, دون تدخُّل مباشر, بالضرورة, من الأديرة والكنائس والمنصِّرين، ولكن بقدر من الإيحاء الذي أملته العودة إلى الترجمات السابقة. حتى يأتي جورج سيل سنة 1149هـ/1734م, الذي وصف, لاهتمامه البالغ بالإسلام, بأنَّه «نصف مسلم»,(1) حيث أثنى على القرآن الكريم, وترجم معانيه إلى اللغة الإنجليزية ، لكنه نفى أنْ يكون وحيًا من عند الله، بل أكَّد على أنَّه من صنع محَمَّد بن عبدالله –صلى الله عليه وسلم–, حيث يقول: «أمَا أنَّ محَمَّدا كان, في الحقيقة, مؤلِّف القرآن المخترع الرئيسي له, فأمرٌ لا يقبل الجدل, وإنْ كان المرجَّح . مع ذلك . أن المعاونة التي حصل عليها من غيره, في خطَّته هذه, لم تكُن معاونةً يسيرة. وهذا واضح في أنَّ مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك»(2).

وفي نصٍّ آخر للترجمة ينقله علي علي علي شاهين في كتابه: الإعلام بنقض ما جاء في كتاب مقالة في الإسلام: «ومما لا شكَّ فيه ولا ينبغي أنْ يختلف فيه اثنان أن محَمَّدا هو في الحقيقة مصنِّف القرآن وأوَّل واضعيه. وإنْ كان لا يبعد أنْ غيره أعانه عليه كما اتَّهمته العرب, لكنَّهم لشدَّة اختلافهم في تعيين الأشخاص الذين زعموا أنهم كانوا يعينونه وَهَتْ حجَّتهم, وعجزوا عن إثبات دعواهم. ولعلَّ ذلك لأنَّ محَمَّدا كان أشدَّ احتياطًا من أن يترك سبيلاً لكشف الأمر».(3) "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ" [النحل: 103].

يقول نجيب العقيقي عن هذه الترجمة: «وقد نجح في ترجمته, فذكرها فولتير في القاموس الفلسفي. وأُعيد طبعها مرارًا, إلاَّ أنَّها اشتملت على شروح وحواشٍ ومقدِّمة مسهبة, هي في الحقيقة بمثابة مقالة إضافية عن الدين الإسلامي عامَّة حشاها بالإفك واللغو والتجريح».(4) وجاءت ترجمات معاني القرآن الكريم التالية له, في

معظمها, عالةً عليه, متأثِّرة به, بحيث نظر الآخرون إلى القرآن الكريم بعد جورج سيل بعينيه, ولم ينظروا إليه بعيونهم.

كون القرآن الكريم من تأليف رسول الله محَمَّد بن عبد الله –صلى الله عليه وسلم–, سواء أعانه على تأليفه نفرٌ من اليهود والنصارى والحنيفيين المعاصرين له أم لم يعاونه عليه أحدٌ, أدَّى إلى المزيد من الصدِّ والالتفات عن الجانب الإعجازي في القرآن الكريم؛ إذ لا يتوقَّع القائلون بأنَّ هذا من تأليف ذلك العبقري العربي, الذي عاش في القرنين السادس والسابع الميلاديين, أنْ تكون له نظرات علمية, سواء أكانت متحقِّقةً في زمانه أم أنَّها داخلةٌ في نطاق ما يأتي من الزمان, وهو الناشئ في بيئة أمِّية, وهو نفسه كان أمِّيًّا. فلم تساعد هذه النظرة إلى كتاب الله تعالى على مجرَّد التفكير بأنَّه كتاب معجز(5).

الادِّعاء أن القرآن الكريم من تأليف رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هي فرية استشراقية قديمة في إطلاقها, ولكنها أثَّرت كثيرًا على تأثير القرآن الكريم على قرَّاء ترجمة المعاني باللغة الإنجليزية, دون شكٍّ. بل إنَّ التأثير قد امتدَّ إلى قرَّاء ترجمة المعاني باللغة الفرنسية, عندما تبنَّى المستشرق البولوني ألبر كازميرسكي (1216 . 1295هـ/1801 . 1887م) نقل ترجمة المعاني من اللغة الإنجليزية إلى اللغة الفرنسية (سنة 1256هـ/1840 . 1841م), بالأسلوب الذي ترجمها به جورج سيل, حيث «تعوزها بعض الأمانة العلمية», كما يقول نجيب العقيقي(6).

يقول محَمَّد خليفة حسن: «أدَّت وفرة الترجمات الاستشراقية في اللغات الأوروبية إلى نتيجة سلبية في الدراسات القرآنية عند المستشرقين, وهي أنَّ معظم هذه الدراسات اعتمدت على الترجمات, ولم تعتمد على النصِّ العربي للقرآن الكريم»(7).

على أيِّ حال فالبحث في تأريخ الترجمات, التي قام بها الرهبان, ثم الرهبانُ المستشرقون، ثم المستشرقون من غير الرهبان, بحثٌ شائق، وليس هذا مجال التوسُّع فيه، إلا أنَّه غلب على ترجمات معاني القرآن الكريم, من قِبل غير أهله, أنَّها ترجمات اتَّسمت بالنظرة السلبية تجاه الوحي، وتجاه من نزل عليه الوحي, سيِّدنا محَمَّد بن عبدالله –صلى الله عليه وسلم–.

هذه النظرة التي قال عنها واحد منهم، وهو روم لاندو: «إنَّنا لم نعرف إلى وقت قريب ترجمةً جيِّدة استطاعت أنْ تتلقَّف من روح الوحي. والواقع أنَّ كثيرًا من المترجمين الأوائل لم يعجزوا عن الاحتفاظ بجمال الأصل فحسب, بل كانوا إلى ذلك مُفعمين بالحقد على الإسلام, إلى درجة جعلت ترجماتهم تنوء بالتحامُل والتغرُّض. ولكن حتَّى أفضل ترجمة ممكنة للقرآن في شكل مكتوب لا تستطيع أنْ تحتفظ بإيقاع السور الموسيقي الآسر على الوجه الذي يرتِّلها به المسلم. ولا يستطيع الغربي أنْ يدرك شيئًا من روعة كلمات القرآن وقوَّتها إلا عندما يسمع مقاطعَ منه مرتَّلةً بلغته الأصلية»(8).

يعلِّق مصطفى نصر المسلاَّتي على هذا النصِّ بقوله: «إنَّ اعتراف روم لاندو R. Landauلَيعطي فهمًا مبدئيًّا بأنَّ بعضًا من المستشرقين عندما حاولوا ترجمة القرآن, في أفضل ترجمة ممكنة, أفقدوا القرآن روعته, وأساؤوا إليه, سواء عن قصد أو عن غير قصد.

إنَّنا نشير هنا إلى أنَّ جولدزيهر Goldziherقد تمسَّك بروايات شاذَّة جاء بها دليلاً وبرهانًا على أنَّ القراءات السبع عندما نشأت كانت أصلاً عن طريق الكتابة وعدم نطقها. وقد علم المسلم . بما لا يدع مجالاً للشكِّ . أنَّ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم– كان قد أقرأ صحابته بعدَّة وجوه, وليس بوجه واحد»(9).

الوقفات النقدية لرؤى جولزيهر في القراءات خاصَّةً من خلال كتابه: مذاهب التفسير الإسلامي كثيرة, يُرجع منها إلى مناقشات عبدالفتَّاح عبدالغني قاضي, (رئيس لجنة مراجعة المصحف الشريف الأسبق), في مجلَّة الأزهر في أعداد متواليةً, من العدد 9 المجلد 42 إلى العدد 1 من المجلد 45 (1390/11هـ . 1393/1هـ الموافق 1971/1 . 1973/2م), ثم جمعها في كتاب, طُبِع طبعاتٍ عدَّة(10).

إدراك الإعجاز

تنطلق هذه الوقفة من الإيمان المطلق بأنَّ هذا القرآن الكريم كلام الله تعالى, وأنَّ هذا الكون الفسيح بمخلوقاته وبماضيه وبحاضره وبمستقبله هو خلق الله, ومن ثمَّ فمن المتحقِّق أن يكون هذا الكتاب العزيز شاهدٌ من شواهد الإعجاز في هذا الكون.

من هذا المنطلق تتلمَّس هذه الوقفة ردود المستشرقين والعلماء الأوروبيين المعاصرين على المستشرقين الأوائل في قولهم بأنَّ القرآن الكريم من تأليف محَمَّد -صلى الله عليه وسلم-, ومن ثمَّ تفضي هذه الردود إلى الالتفات إلى الجوانب الإعجازية في كتاب الله تعالى(11), فيقول المستشرق شيبس: «يعتقد بعض العلماء أنَّ القرآن كلام محَمَّد, وهذا هو الخطأ المحضُ, فالقرآن هو كلام الله تعالى الموحى على لسان رسوله محَمَّد. وليس في استطاعة محَمَّد, ذلك الرجل الأمِّي في تلك العصور الغابرة أنْ يأتينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء ويهدي به الناسَ من الظلمات إلى النور. وربَّما تعجبون من اعتراف رجلٍ أوروبِّي بهذه الحقيقة, لا تعجبوا فإنِّي درستُ القرآن فوجدتُ فيه تلك المعاني العالية والنظم المحكمة. وتلك البلاغة التي لم أرَ مثلها قطُّ, فجملة واحدةٌ تغني عن مؤلَّفات»(12).

وهذه لورا فيشيا فاغليري تقول في كتابها: دفاع عن الإسلام: «كيف يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محَمَّد وهو العربي الأمِّي الذي لم ينظم طوال حياته غير بيتين أو ثلاثة أبيات لا ينمُّ منها عن أدنى موهبة شعرية؟

وعلى الرغم أنَّ محَمَّدا دعا خصوم الإسلام إلى أن يأتوا بكتاب مثل كتابه, أو على الأقلِّ بسورةٍ من مثل سُوَره "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" [البقرة: 23]. وعلى الرغم من أنَّ أصحاب البلاغة والبيان الساحر كانوا غير قلائل في بلاد العرب, فإنَّ أحدًا لم يتمكَّن من أنْ يأتي بأيِّ أثر يضاهي القرآن. لقد قاتلوا النبيَّ بالأسلحة, ولكنَّهم عجزوا عن مضاهاة السموِّ القرآني»(13).

وهذه ديبرا بوتر, الصحفية الأمريكية التي اعتنقت الإسلام سنة 1400هـ/1980م تقول: «كيف استطاع محَمَّد الرجل الأمِّي الذي نشأ في بيئة جاهلية أنْ يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم, والتي لا يزال العلم الحديث حتَّى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟ لا بُدَّ إذنْ أنْ يكون هذا الكلام هو كلام الله عزَّ وجلَّ»(14).

واشتهر الطبيب الفرنسي موريس بوكاي بوقفاته الموضوعية العلمية مع الكتب السماوية, وخرج من دراسته هذه بعدد من النتائج ضمَّنها كتابه المشهور القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم, أو دراسة الكتب المقدَّسة في ضوء المعارف الحديثة, إذ

يقول: «كيف يمكن لإنسان ـ كان في بداية أمره أُمّيًّا ـ ثمَّ أصبح فضلاً عن ذلك سيِّد الأدب العربي على الإطلاق, أنْ يصرِّح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن في مقدور أيِّ إنسان في ذلك العصر أنْ يكونها, وذلك دون أنْ يكشف تصريحه عن أقلِّ خطأ من هذه الوجهة؟»(15).

وكتب المستشرق الفرنسي إميل درمنغم عن حياة محَمَّد -صلى الله عليه وسلم-, وقال: «كان محَمَّد, وهو البعيد من إنشاء القرآن وتأليفه ينتظر نزول الوحي أحيانًا على غير جدوى, فيألم من ذلك, كما رأينا في فصل آخر, ويودُّ لو يأتيه المَلَكُ متواترًا»(16).

وتقول يوجينا غيانة ستشيجفسكا, الباحثة البولونية المعاصرة في كتابها: تاريخ الدولة الإسلامية: «إنَّ القرآن الكريم مع أنَّه أُنزل على رجل عربي أمِّي نشأ في أمَّة أمِّية, فقد جاء بقوانين لا يمكن أنْ يتعلَّمها الإنسان إلا في أرقى الجامعات. كما نجدُ في القرآن حقائقَ علميةً لم يعرفها العالم إلاَّ بعد قرون طويلة»(17).

وهذه الليدي إفيلين كوبولد, النبيلة ألإنجليزية التي أسلمت, تقول في كتابها: الحجُّ إلى مكَّة, أو البحث عن الله: «وذكرتُ أيضًا ما جاء في القرآن عن خلق العالم وكيف أنَّ الله سبحانه وتعالى قد خلق من كلِّ نوعٍ زوجين, وكيف أنَّ العلم الحديث قد ذهب يؤيِّد هذه النظرية بعد بحوث مستطيلة ودراسات امتدَّت أجيالاً عديدة»(18).

وهذا القس المستشرق المعاصر مونتوجمري واط يعود عن أقواله السابقة التي ضمَّنها كتابَه: محَمَّد النبي ورجل الدولة من أنَّ «الوحي لم يكن من عند الله, ولكنه كان من الخيال المبدع. وكانت الأفكار مختزنة في اللاوعي عند محَمَّد, وهي أفكارٌ حصَّلها من المحيط الاجتماعي الذي عاش فيه قبل البعثة. ولم يكن جبريل إلا خيالاً نقل الأفكار من اللاوعي إلى الوعي. وكان محَمَّد يسمِّي ذلك وحيًا»(19).

يرجع مونتجمري واط عن قوله هذا, فيقول عن القرآن الكريم في كتابه المتأخِّر: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر: «إنَّ القرآن ليس بأيِّ حال من الأحوال كلامَ محَمَّد, ولا هو نتاج تفكيره, إنَّما هو كلام الله وحده, قصد به مخاطبة محَمَّد ومعاصريه, ومن هنا فإنَّ محَمَّدا ليس أكثرَ من «رسول» اختاره الله لحمل هذه الرسالة إلى أهل مكَّة أوّلاً, ثمَّ لكلِّ العرب, ومن هنا فهو قرآن عربي مبين. وهناك

إشارات في القرآن إلى أنَّه موجَّهٌ للجنس البشري قاطبةً. وقد تأكَّد ذلك عمليًّا بانتشار الإسلام في العالم كلِّه, وقبله بشرٌ من كلِّ الأجناس تقريبًا»(20). ويمضي مونتوجمري واط في توكيد ذلك في أكثرَ من موضع من كتابه سالف الذكر(21).

يذكر وحيد الدين خان في كتابه: الإسلام يتحدَّى أنَّ الآية الكريمة: "وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ "[فاطر: 28], قرئت على الأستاذ جيمس جينز أستاذ الفلك في جامعة كامبردج, «فصرخ السير جيمس قائلاً: ماذا قلت؟ إنَّما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ؟ مدهش! وغريب, وعجيب جدًّا! إنَّ الأمر الذي كشفتْ عنه دراسة ومشاهدة استمرَّت خمسين سنةٍ من أنبأ محَمَّدا به؟ هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة؟ لو كان الأمر كذلك فاكتب شهادة منِّي أنَّ القرآن كتاب موحى من عند الله. ويستطرد السير جيمس جينز قائلاً: لقد كان محَمَّد أمِّيًّا, ولا يمكنه أنْ يكشف عن هذا السرِّ بنفسه, ولكن «الله» هو الذي أخبره بهذا السر. مدهش! وغريب, وعجيبٌ جدًّا»(22).

يقول إبراهيم خليل أحمد, وكان قِسًّا عمل على تنصير المسلمين فاهتدى: «القرآن الكريم يسبق العلم الحديث في كلِّ مناحيه: من طبٍّ وفلك وجغرافيا وجيولوجيا وقانون واجتماع وتاريخ ... ففي أيامنا هذه استطاع العلم أنْ يرى ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف»(23).

وهذا ميلر بروز, أستاذ الفقه الديني الإنجيلي بجامعة ييل يقول: «إنَّه ليس هناك شيء لا ديني في تزايُد سيطرة الإنسان على القوى الطبيعية, هناك آيَّة في القرآن يمكن أن يستنتج منها أنَّه لعلَّ من أهداف خلق المجموعة الشمسية لفت نظر الإنسان لكي يدرس علم الفلك ويستخدمه في حياته: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" [يونس: 5]. وكثيرًا ما يشير القرآن إلى إخضاع الطبيعة للإنسان باعتباره إحدى الآيات التي تبعث على الشكر والإيمان: "وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ [الزخرف: 12 – 13]. ويذكر القرآن . لا تسخير الحيوان واستخدامه فحسب . ولكن

يذكر السفُن أيضًا. فإذا كان الجمل والسفينة من نعم الله العظيمة, أفلا يصدُق هذا أكثر على سكَّة الحديد والسيَّارة والطائرة؟»(24).

الخاتمة: الخلاصة والنتيجة

يمكن تلخيص الوقفات الخمس التي وردت في هذا البحث في النقاط الآتية:

1. تأخَّر المسلمون في نقل المعلومة الشرعية, ومنها تقديم القرآن الكريم إلى الأقوام الأخرى, عن طريق ترجمة معانيه. وكان هناك جدلٌ بين علماء المسلمين حول مشروعية ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى غير اللغة العربية,

2. تردَّد رجال الكنيسة في قبول ترجمة معاني القرآن الكريم, خوفًا من انتشار الإسلام, وحُبست أوَّل ترجمة لمعانيه في الكنيسة لأربعة قرون (536 . 950هـ/1411 . 1543م), وأُحرقت بعض الترجمات, لاسيَّما المحاولة الثانية التي قام بها جمع من رهبان ريتينا,

3. رغبةً في الحدِّ من انتشار الإسلام بين النصارى على حساب العقيدة النصرانية, انطلقت ترجمات معاني القرآن الكريم من الكنائس والأديرة, ولم تكن الدوافع لهذه الترجمات, بالضرورة, علمية أو موضوعية,

4. اتَّسمت الترجمات الأولى لمعاني القرآن الكريم التي قام بها المستشرقون بالطعون في كتاب الله تعالى, وفي كونه كتابًا منزَّلاً على نبي مرسل, ومن ثمَّ فقد ظهر الزعم بأنَّ هذا الكتاب الكريم من تأليف محَمَّد –صلى الله عليه وسلم–, أعانه عليه قوم آخرون, من معاصريه من اليهود والنصارى والحنيفيين,

5. كان لهذا الزعم بأنَّ القرآن الكريم من تأليف محَمَّد –صلى الله عليه وسلم– أثرُه في التعامي عن الجوانب المعجزة من كتاب الله تعالى, تستوي في ذلك الجوانب الإعجازية في العلوم التطبيقية والبحتة والعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية, مما يعني عدم التركيز في الجوانب الإعجازية من كتاب الله تعالى على العلوم التطبيقية والبحتة فقط.

6. منطلق النظرة إلى إعجاز القرآن الكريم قائم على القاعدة بأن القرآن الكريم من كلام الله والكون كلُّه من خلق الله, فكان من المنتظر أنْ يكون الإعجاز من سمات هذا الكتاب الكريم المنزَّل على رسول الله محَمَّد بن عبدالله –صلى الله عليه وسلم–,

الذي "لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ" [فصلت: 42].

7. الذين تلقَّوا القرآن الكريم, من غير المسلمين, مترجمًا مباشرة عن طريق المسلمين كانوا أكثر تأثُّرًا به, وبإعجازه, ممن تلقَّوه عن طريق ترجمات المستشرقين الأولى, ومن ثمَّ انبرى مستشرقون وعلماء أوروبِّيون متأخِّرون إلى إنصاف كتاب الله تعالى بما احتوى عليه من جوانب إعجازية, ومن ثمَّ استبعاد أنْ يكون هذا القرآن الكريم من صنع البشر,

8. يحتِّم هذا اضطلاع المسلمين بنقل المعلومة الشرعية من منطلق انتمائي, بما في ذلك نشر ترجمات معاني القرآن الكريم التي يُعدُّها المسلمون أنفسهم, واضطلاع مراكز علمية وبحثية بذلك, على غرار ما يقوم به الأزهر الشريف بجمهورية مصر العربية ومجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنوَّرة بالمملكة العربية السعودية, وغيرهما من المراكز الموثوقة في العالم الإسلامي, بل في بلاد العالم بأسره, حيث انتفت الجِهوية لهذا الدين الحنيف.

والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل.

|1|2|

(*) أستاذ المعلومات والمكتبات.

(1) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. . الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية, 1405هـ/1985م. . ص 83. . (سلسلة كتاب الأمَّة؛ 5).

(2) انظر: إبراهيم اللبَّان. المستشرقون والإسلام. . القاهرة: مجلَّة الأزهر, 1390هـ/ 1970م. . ص 44. . (ملحق مجلَّة الأزهر).

(3) انظر: علي علي علي شاهين. الإعلام بنقض ما جاء في كتاب مقالة في الإسلام. . القاهرة: المؤلِّف, 1418هـ/ 1998م. . ص 189.

(4) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون: موسوعة في تراث العرب, مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتَّى اليوم. . 3 مج. . ط 4. . القاهرة: دار المعارف, 1980م. . 2: 47.

(5) للوقوف على ردٍّ مستفيض لمزاعم جورج سيل المتعدِّدة انظر: علي علي علي شاهين. الإعلام بنقض ما جاء في كتاب مقالة في الإسلام. ـ مرجع سابق. ـ ص 159 ـ 591. وسمَّاه جرجس سال.

(6) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ 2: 498 ـ 499.

(7) انظر: محَمَّد خليفة حسن. دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدَّس. ـ 66 ص. والنصُّ من ص 45.

في: ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية المنعقدة في مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنوَّرة في المدَّة من 16 ـ 1427/10/18هـ الموافق 7 ـ 2006/11/9م. ـ مرجع سابق.

(8) انظر: روم لاندو. الإسلام والعرب/ نقله عن الإنجليزية منير البعلبكي. ـ ط 2. ـ بيروت: دار العلم للملايين, 1977. ـ ص 36 ـ 37.

(9) انظر: مصطفى نصر المسلاتي. الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين. ـ طرابلس: إقرأ, 1986م. ـ ص 58.

(10) انظر: عبدالفتَّاح عبدالغني القاضي. القراءات في نظر المستشرقين والملحدين. ـ القاهرة: دار السلام, 1426هـ/2005م. ـ 174 ص.

(11) الاستشهاد بالأقوال الإيجابية للمستشرقين والأوروبيين حول طبيعة القرآن الكريم لا يتنافى مع ما صدر عن هؤلاء المستشرقين والعلماء الأوروبيين من وقفات سلبية للمستشرق أو العالِم الأوروبي نفسه تجاه كتاب الله تعالى وسنة رسوله محَمَّد بن عبدالله –صلى الله عليه وسلم– ودين الله الإسلام. كما لا يتنافى مع الملحوظات على النصِّ المنقول نفسه, مع الأخذ في الاعتبار أنَّ معظم النقول جاءت عمَّن لا يؤمنون بهذا الدين, فلا تتوقَّع منهم الإيجابية التامَّة.

(12) انظر: محَمَّد أمين حسن محَمَّد بني عامر. المستشرقون والقرآن الكريم. ـ إربد: دار الأمل, 2004م. ـ ص 223. ـ نقلاً عن محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني. سيرة سيِّد المرسلين. ـ القاهرة: دار نهضة مصر, . ـ ص 18 ـ 19.

(13) انظر: لورا فيشيا فاغليري. دفاع عن الإسلام/ نقله إلى العربية منير البعلبكي. ـ ط 5. ـ بيروت: دار العلم للملايين, 1981هـ. ـ ص 57 ـ 58.

(14) نقلاً عن: عماد الدين خليل. قالوا عن الإسلام. . الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي, 1412هـ/1992م. . ص 55.

(15) انظر: موريس بوكاي. دراسة الكتب المقدَّسة في ضوء المعارف الحديثة. . ط 4. . القاهرة: دار المعارف, 1977م. . ص 150.

(16) انظر: إميل درمنغم. حياة محَمَّد/ نقله إلى العربية عادل زعيتر. . ط 2. . بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر, 1988م. . ص 277.

(17) نقلاً عن: عماد الدين خليل. قالوا عن الإسلام. . مرجع سابق. . ص 68.

(18) نقلاً عن: عماد الدين خليل. قالوا عن الإسلام. . المرجع السابق. . ص 81.

(19) انظر: رجب البنَّا. المنصفون للإسلام في الغرب. . القاهرة: دار المعارف, 2005. . ص 79.

(20) انظر: محَمَّد عمارة. الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء. . القاهرة: دار الشروق, 1425هـ/2005م. . ص 162.

(21) انظر: مونتجمري وات. الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر/ ترجمة عبدالرحمن عبدالله الشيخ. . القاهرة: مكتبة الأسرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب), 2001م. . نقلاً عن محَمَّد عمارة. الإسلام في عيون غربية. . مرجع سابق. . ص 159 . 178.

(22) انظر: وحيد الدين خان. الإسلام يتحدَّى/ ترجمة ظفر الإسلام خان, مراجعة وتقديم عبدالصبور شاهين. . ط 8. . القاهرة: المختار الإسلامي, 1984م. . ص 133 . 134.

(23) انظر: إبراهيم خليل أحمد. محَمَّد في التوراة والإنجيل والقرآن. . ط 2. . القاهرة: مكتبة الوعي العربي, 1965م. . ص 47 . 48.

(24) انظر: عماد الدين خليل. قالوا عن الإسلام. . مرجع سابق. . ص 51

==============

#مرتكزات الأمن الفكري الإسلامي

د.عبد الحكيم الفيتوري 1424/7/4

2003/09/01

قال تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن)
لا يخفى أن الأمة الإسلامية عبر تاريخها التليد استطاعت أن تترك بصماتها الحضارية بكافة إشكالها وألوانها على مساحة شاسعة من البلاد والعباد شرقاً وغرباً لا ينكرها إلا ظلوم جهول.

والآن وفي ظل غمرة اشتداد الهجمات الضارية الموجهة ضد ثقافة العالم الإسلامي والرامية بشتى السبل إلى طمس الهوية الإسلامية ومحو المعالم الحضارية الّتي تميّزت بها الحضارة الإسلامية عبر تاريخها المجيد؛ لابدّ للعالم الإسلامي بشكل عام وللمفكرين والمهتمين بشؤونه من استشعار خطورة هذه الهجمات العنيفة المركزة المدروسة، والتفكير الجاد الواعي في التصدي لها باستخدام كافة الإمكانات المتاحة الّتي لا نعتقد أنها قليلة أبداً.

فالغزو الثقافي غزو شرس، والحرب الفكرية حرب لا هوادة فيها، وهما أشد خطراً من عمليات الغزو المسلّح والحروب العسكرية لأنهما موجهان لتحطيم الهيكلية الثقافية الفكرية الإسلامية، وتقويض صرح الحضارة الإسلامية السامق، وبعبارة أخرى أن الأمن الثقافي الفكري الإسلامي مهدد تهديداً حقيقياً، وها هي معاول الثقافة الهدامة تعمل فيه ليلاً و نهاراً دون أن يثير ذلك . وللأسف . فزع الكثيرين، أو يحرك فيهم ردة فعل ما؛ بل هناك من انحاز إلى الجانب المعادي ورفع عقيرته منادياً بضرورة الأخذ بالثقافة الغربية والانسجام معها، ناسياً أنّ ذلك يعني الانسحاق الثقافي والانتحار الحضاري، والنهاية الحقيقية لهذه الأمة الّتي علا نجمها بتوحيد الله وعدم الإشراك به سبحانه، وإقامة نظامه الرباني.

مخاطر الغزو الفكري الثقافي

يعدّ الغزو الفكري الثقافي أضرى وأشد في تأثيراته من أية عملية غزو أخرى. فالغزو العسكري عادة يثير في الأمة حالة من الانتفاض ويلهب فيها الشعور بضرورة الدفاع والتصدي، ويضخ فيها حالة من الحماس والاندفاع والإقدام؛ ولهذا فطالما فشلت الحروب المسلحة في إسكات أصوات الأمم حتّى وإن أخضعتها لفترة من الزمن.

أمّا الغزو الفكري وانطلاقاً من طبيعته التدريجية وأسلوبه الصامت في النفوذ، والطريقة العلمية المدروسة الّتي يوجَّه بها من قبل الجهات الخارجية، فلا يثير في

المغزوين تلك الحالة الّتي يثيرها الغزو الحربي، ولا يخلق لديهم ردة فعل معاكسة كتلك الردّة الّتي يخلقها الغزو الأول، وهو بذلك "يقضي على قوة الصمود في الأمة، لأنه يخرجها من دائرة كيانها الخاص، بما يمثله من قيم وعادات وتراث إلى دائرة أخرى تنتمي إلى الدولة الباغية، ومن ثمّ تفقد الأمة المستعمرة أصالتها الذاتية وحريتها الحقيقية، وتصبح تابعة لغيرها، وإن لم يكن في أرضها تسلط عسكري أو وجود أجنبي". (1)

وهذا يعني الانسحاق الحضاري الكامل في نهاية المطاف، وذوبان تلك الأمة في بحر الثقافة الغازية، وإلغاء وجودها الفكري والثقافي المتميز ودورها الحضاري.

فبعد الفشل الذريع الّذي منيت به الحملات الصليبية الثمان منذ عام 1096 وحتّى 1291، وطرد الفرنجة تماماً من الأراضي الإسلامية في أواخر القرن الثالث عشر، وبعد فشل الاستعمار السياسي في تحقيق مآربه الّتي تجسدت في ابتلاع العالم الإسلامي بأسره أرضاً ووجوداً وحضارة، أدرك الغرب أن الإسلام هو العقبة الوحيدة الّتي تقف في طريقه بما لديه من قيم ومثل وتشريعات ترفض كافة ألوان الظلم والاستغلال والتبعية، وما تضخه هذه المفاهيم في نفوس المسلمين من حالات تصدّ ومقاومة للبغاة والجائرين، وكل من يحاول فرض هيمنته على العالم الإسلامي والبشرية جمعاء.

لقد أدرك العالم الغربي ماذا يعنيه الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية، ومدى تأثيرهما على المسلمين، بعد أن كانا السبب الأول والأخير في كافة حلقات الفشل والهزائم المتلاحقة الّتي مني بها في حروبه الصليبية، وما تلاها من عمليات غزو سياسي تحت شعار الاستعمار.

وبناءً على ذلك فقد توصل الغرب إلى قناعة بضرورة تشويه العقيدة الإسلامية، وتهشيم الفكر وسحق الثقافة الإسلامية، ولكن ليس عن طريق الغزو المسلّح .كما فعل خلال حرب الصليب .، ولا عن طريق الإخضاع السياسي والاقتصادي المباشر . كما كان عليه حال البلدان الإسلامية في العهد الاستعماري .؛ بل عبر عملية غزو فكري ثقافي منظمة ومدروسة لا تثير ردود فعل واضحة ومحسوسة وتمتلك رصيداً

عظيماً من النجاح، لاسيّما إذا رافقتها حالة تأنّ وصبر وعدم استعجال في قطف ثمار النصر المرجو.

وكان البيان الأول في هذا الغزو الجديد التشكيك في الدّين الإسلامي، وتشويه صورته الناصعة، ورسم علامات الاستفهام حول القيم والمفاهيم الإسلامية، والتأكيد من جانب آخر على المثل الغربية والبناء الحضاري الغربي الجديد، وما قطعه الغرب من أشواط علمية بعيدة، وتطور تقني هائل، يعني في جملة ما يعنيه وجوب التجدد والتحديث والانفصام عن الماضي السحيق الّذي لم يعد الالتزام بمفرداته منسجماً مع الحالة العصرية الراهنة؛ بل إنّ الالتزام بها يعني الرجعية والتخلف عن مواكبة عجلة التطور وحركة العلم!.

وكان تركيز عملية الغزو الجديد على أبناء الإسلام الدارسين في الجامعات والمعاهد الغربية، حيث تمكنت من إجراء عملية غسل أدمغة للكثيرين منهم، فعادوا إلى بلدانهم محملين بالأفكار الغربية ومكتسين بثقافة الغرب المتعارضة مع الثقافة الإسلامية، فكانوا يداً ولساناً وقلماً لعملية الغزو الفكري الحضاري، وحلقة مهمة من حلقاتها؛ لكونهم في تماس مباشر مع المجتمع الإسلامي، ولتعاملهم مع الشرائح المثقفة في غالب الأحيان، لا سيما طلبة الجامعات، ممّا يعني توفر الشروط الموضوعية اللازمة لنجاح عملهم في النيابة عن القائمين على عملية غزو المسلمين فكرياً وثقافياً.

وراح هؤلاء المتغربون يضمون أصواتهم إلى أصوات الغرب، ويلهجون بما تلقوه من تلقينات في وجوب الانسلاخ عن الثقافة الإسلامية وارتداء جلابيب الثقافة الغربية، وقطع أية صلة ثقافية وفكرية بالإسلام، خاصة وأن الإسلام ـ من وجهة نظرهم ـ ليس إلاّ طقوساً عبادية وشعائر لا تتعدى إطار علاقة ثنائية بين المسلم وربّه !!

وأخذ هؤلاء يثيرون ـ وطبقاً للإيحاءات الغربية ـ قضية التناقض بين الدين والعلم، والماضي والحاضر، ويثيرون سلسلة من الاشكالات على القرآن الكريم والسنة النبوية، ويطرحون المؤاخذات على كل ما له صلة بالإسلام؛ كالفقه الإسلامي والتفسير الإسلامي ومختلف النظريات والطروحات الإسلامية، والتأثير على نقاط

الضعف والقضايا السلبية الّتي يحملها التاريخ الإسلامي، والّتي هي في معظمها مدسوسة.

وقد سبق دعوات دعاة الحداثة وتزامن معها نشاط هائل للمبشرين والمستشرقين الغربيين، ذلك النشاط الّذي امتدّ إلى سائر أرجاء العالم الإسلامي، بل وشمل العالم غير الإسلامي أيضاً. ولعبت الحركة التبشيرية دوراً خطيراً في عملية الغزو الثقافي الفكري، وذلك لاستتارها خلف براقع الأعمال الإنسانية والتعليمية والصحية وغيرها، فاستطاعت من خلال ذلك النفوذ إلى المجتمعات الإسلامية وشق طريقها إليه لتبث أفكارها الهدامة، وتسيء إلى الإسلام ومفاهيمه وقيمه عبر مبشريها المعدين لهذا الغرض.

"وفاقت الحركة الاستشراقية في خطورتها الحركة التبشيرية؛ لأنها تعامت بشكل مباشر مع المفردات الإسلامية، فأخذت تشوه وتحرف ما استطاعت، وراحت تقدم لنا التاريخ الإسلامي والشخصيات الإسلامية كما ترغب وتشاء. كما أنها راحت تقدم التراث العربي الإسلامي عبر قطع مبعثرة لا رابطة بينها سوى تناقضات تاريخية وفكرية سببها حجب الكثير من الكتب القيمة المتممة الّتي بقيت خارج إطار النشر والتداول لتبرر هذه التناقضات" .(2)

وأخذنا وللأسف نتعرّف على تاريخ الإسلام بل وحتّى على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والفكر الإسلامي في بعض الأحيان من خلال ما كتبه المستشرقون، الأمر الّذي يعني نجاح الجناح الاستشراقي في عملية الغزو الثقافي المدارة من خلال أجنحة عديدة تؤدي غرضاً واحداً، يصبّ في صالح الأيادي الخفيّة الّتي تحرك هذه الأجنحة.

وممّا يزيد من خطورة الهجمة الراهنة غياب الإسلام عن الساحة السياسية في مجمل البلاد الإسلامية، وانتماء حكام المسلمين سياسياً وفكرياً إلى المعسكر الغربي، ممّا يعني مساهمتهم إزاء ما يتعرض له العالم الإسلامي من غزو فكري ثقافي شرس.

إنّها حقاً عملية غزو رهيبة ومنظمة، وتزداد في حدتها وشراستها يوماً بعد آخر، ولهذا فنحن مدعوون إلى التحرك السريع الفاعل لوضع خطة عمل مبرمجة واضحة

وقائمة على أسس علمية وتربوية لصيانة أمننا الثقافي الفكري، وتحصين جيلنا الإسلامي حصانة تعجز أسلحة هذا الغزو الجديدة عن اختراقها.

(1): دكتور محمد دسوقي ، مجلة المنطلق ، العدد 21، 1983، ص 62

(2): الأستاذ حسن الزين، مجلة العرفان، العدد 4، ص 28.

==============

#الغزو الفكري

مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي 1425/10/21
2004/12/04

مجلة المجمع (ع 7، ج4 ص 311)

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره السابع بجدة في المملكة العربية السعودية من 7-12 ذي القعدة 1412هـ الموافق 9 – 14 أيار (مايو) 1992 م ،

بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع الغزو الفكري، والتي بينت بداية هذا الغزو وخطورته وأبعاده وما حققه من نتائج في بلاد العرب والمسلمين، واستعرضت صوراً مما أثار من شبه ومطاعن، ونفذ من خطط وممارسات، استهدفت زعزعة المجتمع المسلم ووقف انتشار الدعوة الإسلامية، كما بينت هذه البحوث الدور الذي قام به الإسلام في حفظ الأمة وثباتها في وجه هذه الغزو وكيف أحبط كثيراً من خططه ومؤامراته، وقد اهتمت هذه البحوث ببيان سبل مواجهة هذه الغزو وحماية الأمة من كل آثاره في جميع المجالات وعلى كل الصعد، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حول هذه البحوث،

يوصي بما يلي:

أولاً : العمل على تطبيق الشريعة الإسلامية واتخاذها منهجاً في رسم علاقاتنا السياسية المحلية منها والعالمية .

ثانياً : الحرص على تنقية مناهج التربية والتعليم والنهوض بها بهدف بناء الأجيال على أسس تربوية إسلامية معاصرة وبشكل يعدّهم الإعداد المناسب الذي يبصرهم بدينهم ويحصنهم من كل مظاهر الغزو الثقافي .

ثالثاً : تطوير مناهج إعداد الدعاة من أجل إدراكهم لروح الإسلام ومنهجه في بناء الحياة الإنسانية بالإضافة إلى اطلاعهم على ثقافة العصر ليكون تعاملهم مع المجتمعات المعاصرة عن وعي وبصيرة .

رابعاً : إعطاء المسجد دوره التربوي المتكامل في حياة المسلمين لمواجهة كل مظاهر الغزو الثقافي وآثاره وتعريف المسلمين بدينهم التعريف السليم الكامل .

خامساً : رد الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام بطرق علمية سليمة بثقة المؤمن بكمال هذا الدين دون اللجوء إلى أساليب الدفاع التبريري الضعيف .

سادساً : الاهتمام بدراسة الأفكار الوافدة، والمبادئ المستوردة، والتعريف بمظاهر قصورها ونقصها بأمانة وموضوعية .

سابعاً : الاهتمام بالصحوة الإسلامية ودعم المؤسسات العاملة في مجالات الدعوة والعمل الإسلامي لبناء الشخصية الإسلامية السوية، التي تقدم للمجتمع الإنساني صورة مشرقة للتطبيق الإسلامي، على المستوى الفردي، والجماعي، وفي كل مجالات الحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية .

ثامناً : الاهتمام باللغة العربية والعمل على نشرها، ودعم تعليمها في جميع أنحاء العالم، باعتبارها لغة القرآن الكريم، واتخاذها لغة التعليم في المدارس، والمعاهد، والجامعات، في البلاد العربية والإسلامية .

تاسعاً : الحرص على بيان سماحة الإسلام، وأنه جاء لخير الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة . وبحيث يكون ذلك على المستوى العالمي وباللغات الحية جميعها .

عاشراً : الاستفادة الفاعلة، والمدروسة من الأساليب المعاصرة في الإعلام، مما يمكّن من إيصال كلمة الحق والخير إلى جميع أنحاء الدنيا ودون إهمال لكل وسيلة متاحة .

حادي عشر : الاهتمام بمواجهة القضايا المعاصرة بحلول إسلامية والعمل على نقل حلول الإسلام لهذه المشكلات إلى التنفيذ والممارسة، لأن التطبيق الناجح هو أفعل طرق الدعوة والبيان .

ثاني عشر : العمل على تأكيد مظاهر وحدة المسلمين وتكاملهم على كل الأصعدة، وحل خلافاتهم ومنازعاتهم فيما بنهم بالطرق السلمية وفق أحكام الشريعة المعروفة،

إفساداً لمخططات الغزو الفكري في تفتيت وحدة المسلمين وزرع الخلافات والمنازعات بينهم .

ثالث عشر : العمل على بناء قوة المسلمين، واكتفائهم الذاتي اقتصادياً، وعسكرياً .

رابع عشر : مناشدة الدول العربية والإسلامية مناصرة المسلمين الذين يتعرضون للاضطهاد في شتى بقاع الأرض، ودعم قضاياهم، ودرء العدوان عنهم بشتى الوسائل المتاحة .

ويوصي أيضاً بما يلي :

استمرار الأمانة العامة للمجمع بالاهتمام بطرح أهم قضايا هذا الموضوع في لقاءات المجمع وندواته القادمة نظراً لأهمية موضوع الغزو الفكري، وضرورة وضع استراتيجية متكاملة لمجابهة مظاهره، ومستجداته، ويمكن البدء بقضيتي التنصير والاستشراق في الدورة القادمة . والله الموفق

==============

#وباء العنصرية واضطهاد المسلمين في هولندا

السيد أبو داود 1425/10/22

2004/12/05

يعيش في هولندا ما يزيد عن (945) ألف مسلم، حسب الإحصائيات الرسمية الصادرة عن المركز القومي للإحصاء الهولندي العام الماضي ، ويبلغ عدد المسلمين من أصول عربية حوالي (400) ألف، وما زال يمثل الجيل الأول من الوافدين الأغلبية، من 55 إلى 60%، في حين تمثل النساء 47% من الوافدين.

وقد شهد العقد الأخير تزايدًا لعدد المسلمين من حاملي الشهادات الجامعية، ويرجع ذلك لتمكن عدد من أبناء الوافدين المسلمين من دخول الجامعات، وقدوم عدد آخر لمواصلة تعليمهم في الجامعات والمعاهد العليا الهولندية. وقد بلغت نسبة الملتحقين الذين تتراوح أعمارهم بين(19) و(22) سنة بالجامعات والمعاهد العليا 11% من طلبة الثانويات للسنة الدراسية م2002–2003م. كما لم تخلُ الجامعات الهولندية من الطلبة الوافدين المسلمين القادمين إليها على الرغم من محدوديّة اللغة الهولندية ونطاقها الضيق. فعدد منهم يأتي في شكل بعثات، وآخرون يحملون طموحًا وأملاً

لاكتشاف ومعرفة مدرسة الاستشراق الهولندي، كما أن هناك مَن اضطرتهم الظروف السياسية والإنسانية لدولهم الإسلامية للهجرة ليجدوا من مؤسسة دعم اللاجئين الطريق للوصول إلى أهدافهم العلمية. وقد بلغ عدد الذين دُعموا لإتمام دراستهم (2444) طالبًا للسنة الدراسية 2002–2003م. ويمثل العراقيون والإيرانيون والأفغان حوالي 60% من هؤلاء الطلبة الذين استقطبتهم المعاهد العليا والجامعات الهولندية.

وقد اشتهرت هولندا على مدار التاريخ الحديث، بأنها أول بلد يعرف معنى الحرية الفكرية والتسامح الديني بالإضافة إلى إنجلترا. وبالتالي فهي منارة حضارية منذ ثلاثة قرون. ففي القرن السابع عشر مثلاً عندما كانت فرنسا لا تزال أصولية كاثوليكية متعصبة ، كانت هولندا تعترف بحرية جميع المذاهب والأديان وحقها في ممارسة طقوسها وشعائرها. هولندا سجلت في دستورها الأول عام 1579م(أي منذ أكثر من أربعمائة سنة) أن حرية الضمير مضمونة فيما يخص الشؤون الدينية والعقديّة. في ذلك الوقت كانت فرنسا تشن حرب إبادة على أتباع المذهب البروتستانتي على الرغم من أنهم نصارى ويؤمنون بالإنجيل والمسيح مثل الأغلبية الكاثوليكية. لكن كانت لهم تفسيراتهم العقديّة المختلفة عن مذهب الأغلبية، ولهم طقوس مختلفة أيضًا في بعض الجوانب. لذلك تم تكفيرهم واعتبارهم مجرد هراطقة. وقام لويس الرابع عشر بأكبر محاولة لاستئصالهم من المملكة الفرنسية التي ينبغي أن تظل طاهرة مذهبيًّا ولا تشوبها شائبة.

إحراق المساجد والمدارس الإسلامية

وأثار فيلم (فان جوخ) الأخير 'الخضوع' (Submission) موجة من الغضب بين مسلمي هولندا، نظرًا لأنه عمد إلى التشويه المتعمد لحياة المسلمين من خلال تجسيده شخصية امرأة مسلمة تتعرض للاغتصاب على يد عمها! ثم يجبرها أهلها على الارتباط برجل آخر يقوم بضربها بقسوة بعد الزواج!

وقد تلقى (فان جوخ) تهديدات بالقتل بعد عرض فيلم 'الخضوع' في وقت سابق هذا العام ، واستعان (فان جوخ) الذي كان مسلمًا وارتدّ عن الإسلام في إخراج الفيلم بسياسية هولندية تدعى (أيان هيرسي علي) وهي لاجئة صومالية حصلت على الجنسية الهولندية بعد فرارها من أهلها بالصومال قبل اثنتي عشرة سنة.

وتخضع "أيان" التي تسمي نفسها 'مسلمة سابقة'! لحراسة الشرطة بعد أن تلقت تهديدات بالقتل بعد عرض الفيلم على شاشة التلفزيون الهولندي.

وذكرت بعض وسائل الإعلام الهولندية أن (فان جوخ) تعرض لتهديدات بالقتل إن لم ينته عن تشويه صورة المسلمين في كتاباته وأفلامه.

وتعرضت عدة مساجد ومراكز اجتماعية تابعة للجالية الإسلامية في هولندا لاعتداء من قبل بعض المتطرفين بعد مقتل المخرج السينمائي الهولندي (فان جوخ) المعادي للمسلمين على يد شخص قيل: إنه من أصول مغربية.

وقد تعرضت مساجد في مدن روتردام وبريدا وهويزن لأضرار, وحاول مجهولون إشعال حرائق في بعضها.

وقالت مصادر أمنية: 'إنها اعتقلت شخصًا يبلغ من العمر 24 عامًا لمحاولته إحراق مسجد في روتردام, وقيامه بوضع صور خنازير في محراب المسجد, فيما اعتقلت ثلاثة مشتبه فيهم كانوا يستعدون لإشعال النار في مسجد النصر في هويزن بغرب البلاد.

وفي بريدا بجنوب البلاد أشعل مجهولون النار في أحد المساجد لكن المسلمين الذي يسكنون على مقربة منه أخمدوا الحريق قبل أن تصل الشرطة.

وتزامنًا مع هذه الهجمة, اعتدى مجهولون في مدينة 'أتريخت' على مراكز وجمعيات مغربية وإسلامية وعربية أخرى مستخدمين مواد الطلاء في تشويه هذه المساجد والمراكز.

وكانت قد وجهت لشاب هولندي من أصل مغربي اتهامات بقتل المخرج (فان جوغ) وبالانتماء لجماعة 'ذات نوايا إرهابية', وهو ما دعا الحكومة الهولندية إلى الإعلان عن عزمها شن حملة واسعة على من تسميهم 'المتطرفين الإسلاميين'.

خوف من موجة العداء للإسلام

تقوضت سمعة هولندا كأرض للتسامح خلال الأسبوعين الماضيين منذ مقتل المخرج المثير للجدل (تيو فان جوخ) واعتقال مسلم للاشتباه في ارتكابه الجريمة، فمنذ وقع ذلك الحادث في يوم الثاني من نوفمبر/تشرين الثاني وقع هناك (20) حادث حريق لمساجد وكنائس في أعمال انتقامية متبادلة.

وقد ربط رئيس بلدية المدينة (ألكسندر ساكرز) بين هذا الاعتداء واغتيال المخرج الهولندي المنتقد لتعاليم الإسلام (ثيو فان غوخ) في أمستردام بأيدي شاب هولندي من أصل مغربي.

وفي وقت سابق هددت جماعة التوحيد الإسلامية في بيان بثته على الإنترنت بشن هجمات في هولندا ردًا على سلسلة من الاعتداءات على مبان إسلامية هناك, وطالبت بوقف الاعتداءات على المساجد والمدارس الإسلامية، مشددة على أن أبناء الجالية المسلمة في هولندا يطالبون باعتذار رسمي.

وتشير استطلاعات الرأي إلى أن أغلبية الشعب الهولندي غير مرتاحة أو أنها تشعر بالخطر من الأجانب فيما ترتفع شعبية اليمين المحافظ من ورثة السياسي المعادي للهجرة (بيم فورتيون).

وما يفكر فيه جميع المسلمين في هولندا هو شعورهم بالذعر بسبب ردود الأفعال على مقتل المخرج السينمائي.

ويقول البعض إن العنصرية في تصاعد منذ صعود حزب (فورتيون) في انتخابات 2002م بعدما قتله أحد الناشطين في مجال الدفاع عن حقوق الحيوانات.

ولم يقل أحد أبدًا أنه مع قتل المخرج (فان جوخ) إلا أن كثيرين يعتقدون أن فيلمه القصير "خضوع" بشأن العنف ضد المرأة في المجتمع الإسلامي زاد من المشاعر المناهضة للمسلمين رغم أن قليلين فقط في هولندا هم الذين شاهدوه.

تحديات للمسلمين في هولندا

وأظهر استطلاع للرأي في هولندا ان 40 % من الهولنديين يرغبون في ألا يشعر (900) ألف مسلم يقيمون في هولندا من أصل (16) مليون نسمة عدد سكان البلاد، "في أنهم في بلادهم بعد الآن" إثر اغتيال المخرج (تيو فان غوغ) بنيران هولندي يحمل الجنسية المغربية أيضًا.

ورغم الإدانات القاطعة للاغتيال الصادرة عن المسلمين في هولندا تكاثرت ردود الفعل السلبية ضد المسلمين في هذا البلد.ويرى 80% من الهولنديين أن إجراءات أكثر صرامة يجب أن تتخذ في إطار دمج المهاجرين؛ إذ يعتبر البعض أن عملية

الاغتيال على يد مسلم هو الدليل على فشل سياسة الدمج المتعددة الثقافات في هولندا.

ورغم الصورة التي يعكسونها في العالم "يواجه الهولنديون صعوبات أكثر من غيرهم لقبول الناس الذين يندمجون بشكل جيد في المجتمع لكن لديهم لون مختلف أو من ديانة أخرى" على ما يقول الأستاذ (هان اينتزينير) الخبير في شؤون الهجرة والاستيعاب في جامعة ايراسموس في روتردام. ويضيف "نحن في الحقيقة مجتمع مغلق جدًا".

ويوضّح أن الهولنديين عاشوا لفترة طويلة "الواحد إلى جانب الآخر لكن ليس معًا" باسم المعاملة المتساوية التي يجب أن يحظى بها البروتستانت والكاثوليك. لكنه يعتبر أن "من المبالغ به القول: إن الدمج الاجتماعي قد فشل .. لا يمكن الاستنتاج بالاستناد إلى عمل ناجم عن متطرف واحد يبدو أنه مختل- أن عشرين عامًا من سياسة الدمج قد فشلت. هذا لا يتفق مع الوقائع".

وأظهر تقرير برلماني العام 2003 أعد بعد مئات اللقاءات وأشهر طويلة من الأبحاث أن دمج المهاجرين في هولندا "ناجح نسبيًا".

ويعتبر مايندريت فينيما خبير الشؤون السياسية في جامعة امستردام أن كوْن "محمد بويري" القاتل المفترض ولد وترعرع في امستردام رغم أنه يحمل الجنسية المغربية أيضًا، يجعل هذه المسألة تندرج في إطار الجدل حول الدمج في المجتمع.

وأظهر تقرير لأجهزة الاستخبارات الهولندية أن عدة عشرات من الهولنديين الشباب المسلمين الذين يعتبرون أنهم لم يندمجوا بشكل جيد، حساسون تجاه خطاب الإسلاميين الأصوليين.

ويقول (فينيما): إن "هذه الظاهرة تطال هولندا بسبب الطريقة التي أدرنا فيها النقاش حول دمج المهاجرين أكثر منها عملية الدمج بحد ذاتها" وينتقد خصوصًا المواقف السابقة للبلاد التي "منعت أي إمكانية لانتقاد سياسة الدمج" وذلك بسبب الهوس بارتكاب أي تجاوزات غير أخلاقية.

لكن ما أن كُسِرت المحرمات مع ظهور الزعيم اليميني المتطرف (بيم فورتاين) قبل سنتين وعبارته الشهيرة "طفح الكيل".

ويضيف (فينيما) "الجميع مدعو الآن إلى التفوه بألفاظ نابية ضد المسلمين (كما كان يفعل تيو فان غوخ) وإذا قلنا: إنه يمكن التحدث باحترام أكبر نوصف بأننا من أتباع السياسة القديمة ويتم انتقادنا".

وتمنى جميع هؤلاء الخبراء نقاشًا محترمًا ورفضوا وضع حدود في النقاش حول الهجرة وشددوا على ضرورة تبادل وجهات النظر لا سيما حول موقع الإسلام في الغرب خلال القرن الحادي والعشرين.

ويرحب هؤلاء برد فعل المسلمين لكنهم يدعونهم إلى المشاركة بشكل أكبر في النقاش وخصوصًا وأن عدة شخصيات سياسية بينهم النائبة من أصل صومالي "أيان هيرسي علي"، تلقت تهديدات بالقتل بعد انتقادها الشديد للإسلام الراديكالي

==============

العولمة وأثرها على الهوية[2/1]

د. خالد بن عبد الله القاسم 1427/5/2

2006/05/29

- تعريف العولمة

- تعريف الهوية وأهميتها

- الآثار السلبية للعولمة على الهوية

* تعريف العولمة

العولمة كظاهرة بدأ انطلاقها في بداية هذا القرن الهجري في الثمانينات الميلادي وهي مرتبطة بثلاث أحداث كبرى سياسية،وتقنية، واقتصادية.

1- السياسية: حيث انتهاء المواجهة بين الشرق والغرب، وانهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك المعسكر الشرقي.

2- التقنية: وهي الثورة المعلوماتية، حيث شهدت هذه الفترة طفرة تقنية هائلة في مجال الاتصالات الإلكترونية وانتقال المعلومات، حيث ساهمت مساهمة فعالة في حدوث العولمة. .

3- الاقتصادية: وظهور منظمة التجارة العالمية عام 1995م، ومقرها جنيف لتخلف الاتفاقية العامة للتعريفة الجمركية (الجات) وكتتويج لانتشار مذهب التبادل الحر

واقتصاد السوق الذي بات أيديولوجية تسيطر على العالم شرقه وغربه، وهو ما وافق عليه قادة العالم عام 1998م، أثناء مشاركتهم في الاحتفال بمرور 50 عاماً على الجات(1)، وظهور الشركات متعددة الجنسيات.

لم توجد العولمة في السابق مع سيطرة أمم عسكرياً واقتصادياً كالحضارة اليونانية والرومانية والإسلامية وبريطانيا ولكن في الوقت الحاضر اجتمع سيطرة القطب الواحد مع التقدم المذهل في الاتصالات والمواصلات ..

تختلف تعاريف العولمة بين المفكرين حيث يركز كثير من الكتاب على الجانب الاقتصادي وينبه على خطورتها من هذا الجانب بزيادة الفقر وتكدس الأموال وخدمة الشركات الكبيرة واضمحلال الصغرى أو إيجابيتها من انفتاح الأسواق وزوال الحواجز عن الأيدي العاملة، ومنهم من يبشر بها باعتبارها تحرر من الدول المغلقة وانطلاق نحو العالمية والتقدم.

ومنهم من يركز على الجانب الثقافي وأضراره، ومنهم من يأخذها بمفهومها الشامل، وهذا الاختلاف بسبب ذكر كل واحد جانباً من الموضوع وهو يذكرنا بمثل الذين دخلوا على الفيل في غرفة مظلمة فكل منهم عرفه بما لمسه منه.

ومع اختلاف تعريفات العولمة إلا أنها تأخذ عدة ظواهر:

– التقدم الهائل في وسائل الاتصال، لا سيما ظهور الإنترنت والقنوات الفضائية.

– هيمنة الغرب لا سيما أمريكا وسقوط المعسكر الشرقي، وتأخذ هذه الهيمنة أبعاداً عسكرية واقتصادية وثقافية وسياسية.

– بروز المؤتمرات المؤسسات الدولية والشركات متعددة الجنسيات.

وهذه التعريفات تتباين في درجة قبولها وخطورتها، حيث نجد أن أكثر المفكرين المسلمين ينبه على خطورتها مع التركيز على الاقتصادي كما فعل د. سعد البازعي حيث يقول: "العولمة هي الاستعمار بثوب جديد، ثوب تشكله المصالح الاقتصادية ويحمل قيماً تدعم انتشار تلك المصالح وترسخها، إنها الاستعمار بلا هيمنة سياسية مباشرة أو مخالب عسكرية واضحة. إنها بكل بساطة عملية يدفعها الجشع الإنساني للهيمنة على الاقتصادات المحلية والأسواق وربطها بأنظمة أكبر والحصول على أكبر قدر من المستهلكين، وإذا كان البحث عن الأسواق والسعي للتسويق مطلباً

إنسانياً قديماً وحيوياً ومشروعاً، فإن ما يحدث هنا يختلف في أنه بحث يمارس منافسة غير متكافئة وربما غير شريفة من ناحية ويؤدي من ناحية أخرى إلى إضعاف كل ما قد يقف في طريقه من قيم وممارسات اقتصادية وثقافية"(2).

بينما يركز آخرين على الجانب الثقافي وربما سموها اختراقاً كما فعل الدكتور محمد عابد الجابري حيث قال: "أن العولمة تعني: نفي الآخر، وإحلال الاختراق الثقافي .. والهيمنة، وفرض نمط واحد للاستهلاك والسلوك"(3). أو فرض النموذج كما يصفها الدكتور محمد سمير المنير حيث يقول: "فالغرب يريد فرض نموذجه وثقافته وسلوكياته وقيمه وأنماطه واستهلاكه على الآخرين، وإذا كان الفرنسيون يرون في العولمة صيغة مهذبة للأمركة التي تتجلى في ثلاثة رموز هو سيادة اللغة الإنجليزية كلغة التقدم والاتجاه نحو العالمية، وسيطرة سينما هوليود وثقافتها الضحلة وإمكاناتها الضخمة، ومشروب الكوكاكولا وشطائر البرجر والكنتاكي .. "(4). أو غزو شامل كما اعتبرها أسعد السحمراني حيث قال: إن العولمة/الأمركة غزو ثقافي اجتماعي اقتصادي سياسي يستهدف الدين والقيم والفضائل والهوية، كل ذلك يعملون له باسم العولمة وحقوق الإنسان(5).

والتصريح بأنها أمركة تصريح صحيح باعتبارها المؤثر الأقوى وقد أكد على أن جوهر العولمة هو النمط الأمريكي، الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش، حين قال في مناخ الاحتفال بالنصر في حرب الخليج الثانية: إن القرن القادم سيشهد انتشار القيم الأمريكية، وأنماط العيش والسلوك الأمريكي(6).

وربما تكون صهينة لا سيما واستثمار اليهود الذين يقودون الغرب وأمريكا تحديداً للعولمة للسيطرة على العالم من الاستعمار إلى الاستحمار (ركوب الأمم واستغلالها دون القضاء عليها) (7).

بينما نجد البعض يجعلها مجرد انتماء عالمياً، كما عرفها الدكتور صبري عبدالله حيث قال: "بأنها ظاهرة تتداخل فيها أمور الاقتصاد والثقافة والاجتماع والسلوك، ويكون الانتماء فيه للعالم كله، عبر الحدود السياسية للدول"(8).

بل إن البعض يجعل العولمة الثقافية مجرد خدعة لإلهاء الشعوب عن الغزو والمصالح الاقتصادية، حيث يقول حسن حنفي "يتم تصدير صراعات الحضارات

للنطق بما كان مسكوتاً عنه سلفاً ولتحويل العالم إلى دوائر حضارية متجاورة، ومتصارعة على مستوى الثقافات لإخفاء الصراع حول المصالح والثروات، وإلهاء الشعوب الهامشية بثقافاتها التقليدية، بينما حضارات المركز تجمع الأسواق، وتتنافس في فائض النتاج عوداً إلى النغمة القديمة، مادية الغرب وروحانية الشرق، الحضارة اليهودية المسيحية، في مواجهة الحضارة الإسلامية البوذية الكنفوشوسية"(9).

ونجد سمير الطرابلسي ينبه إلى خطورة العولمة التي تشكلها الولايات المتحدة بجميع جوانبها المهمة حيث يعرفها بأنها الرؤية الاستراتيجية لقوى الرأسمالية العالمية، وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية، والرامية إلى إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها، وأطماعها، سائرة نحو ذلك الهدف على ثلاثة مسارات متوازية: الأول: اقتصادي وغايته ضغط العالم في سوق رأسمالية واحدة، يحكمها نظام اقتصادي واحد، وتوجه القوى الرأسمالية العالمية (الدول الصناعية السبع والشركات المتعددة الجنسيات والمؤسسات الاقتصادية العالمية، صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، ومنظمة التجارة العالمية) وتضبط حركته قوانين السوق وآلياته. والثاني: سياسي ويهدف إلى إعادة بناء هيكليات أقطار العالم السياسية في صيغ تكرس الشرذمة والتشتت الإنسانيين، وتفكك الأوطان والقوميات إلى كيانات هزيلة قائمة على نزعات قبلية عرقية أو دينية طائفية أو لغوية ثقافية، بغية سلب أمم العالم وشعوبها القدرة على مواجهة الزحف المدمر للرأسمالية العالمية والتي لا تستقر إلا بالتشتت الإنساني. وأخيراً المسار الثقافي الذي يهدف إلى تقويض البنى الثقافية والحضارية لأمم العالم، بغية اكتساح العالم بثقافة السوق التي تتوجه إلى الحواس والغرائز، وتشل العقل والإرادة، وتشيع الإحباط والخضوع، وتشهد منطقتنا العربية ترجمة لهذه التوجهات من خلال مشاريع الشرق أوسطية والمتوسطية(10).

وفي تقديري أن هذا أفضل تعريفات العولمة التي وقفت عليها، وبالإمكان القول أن العولمة:- وصف لظواهر متعددة يجمعها جعل العالم متقارباً مثل التقدم المذهل في وسائل الاتصال والمواصلات والفضائيات والإنترنت، والانفتاح المعلوماتي، مع سلطة القطب الواحد (أمريكا بقيادة صهيونية) الذي يسعى لعولمة اقتصادية وعسكرية

تحقق مصالحه كما يسعى لعولمة ثقافية بفرض قيمه وثقافته (وهذه النقطة هي ما تعنينا) حول عولمة الثقافة المهدرة للهوية.

العولمة نموذج من مخططات الاستعمار التي نبه عنها وكتب فيها، الأمير شكيب أرسلان رحمه الله، وهذا قبل ظهور مصطلح العولمة، وقد كتب يقول: غوليامو فرير الفيلسوف الكاتب الإيطالي الشهير في علم الاجتماع والتاريخ لا في إيطاليا فحسب بل في أوروبا بأجمعها، وإذا كتب كتاباً أو نشر مقالة تجاوبت لها أصداء الشرق والغرب وتركت دوياً. نشر الفيلسوف المؤرخ المشار إليه كتاباً أخيراً باسم "وحدة العالم" لا يزيد على مئات معدودات من الصفحات طاف فيه على جميع الحوادث الجارية على سطح الكرة الأرضية، ودقق في مصادرها وأسبابها، فذهب إلى أنها مع تناقضها وتصادمها بعضها ببعض سائرة في الحقيقة على نظام ثابت مستقيم، ووصل إلى هذه النتيجة وهي:

أن مشروع الفتح والامتداد الذي يتابعه العالم المتمدن "أي الأوروبي" منذ أربعة قرون، والذي بدأ بطيئاً وانقلب سريعاً في آخر الأيام، يظهر للمتأمل أنه آيل إلى "توحيد العالم الإنساني" ولم يكن هذا "التوحيد" ليتم بدون جهد وبدون بلاء، لأن البشر خلقوا أطواراً، وبينهم من التدابر والتقابل ما يؤذن بالأخذ والرد والعكس والطرد، وهناك أسباب عديدة للحب والبغض والقرب والبعد، مع هذا كله تجد العالم سائراً إلى الوحدة، فإذا نظرنا إلى كيفية النظام السائد الآيل إلى هذه الوحدة وجدناها: بالإنجيل، وبالسيف، وبالإفناء، وبتبادل المساعدات، وبتبادل طلقات المدافع ....

ثم يقول: هذه خلاصة نظريات الفيلسوف الإيطالي فريرو، وظاهر أنه يقصد بالإنجيل "الثقافة الغربية" التي هي وحدها تمشي في آسيا وأفريقيا وفي يدها الواحدة "السيف" وفي الأخرى "ضماد للجرح"، وهي وحدها تفتنُّ في رق استئصال البشرية، وفي طرق توفير صحة البشر، تجمع في وقت واحد بين الضدين، وهي التي بين يديها الجندي من جهة، والقسيس من جهة أخرى(11).

وبعد هذه الجولة في ماهية العولمة وحدودها لا سيما الثقافية؛ نسأل: هل العولمة أمر حتمي؟ فالجواب: نعم ولا، نعم باعتبار ما وصلنا إليه، ولا باعتبار إمكانية مقاومتها والحد من آثارها السلبية، وهذا ما سنتناوله في الفصل الثالث.

* تعريف الهوية وأهميتها

ما هي الهوية: الهوية مأخوذة من "هُوَ .. هُوَ" بمعنى أنها جوهر الشيء، وحقيقته، لذا نجد أن الجرجاني في كتابه الذائع الصيت "التعريفات" يقول عنها: بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب(12).

فهوية الإنسان .. أو الثقافة .. أو الحضارة، هي جوهرها وحقيقتها، ولما كان في كل شيء من الأشياء –إنساناً أو ثقافة أو حضارة– الثوابت والمتغيرات .. فإن هوية الشيء هي ثوابته، التي تتجدد لا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة(13).

"إن هوية أية أمة هي صفاتها التي تميزها من باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية"(14).

والهوية دائماً جماع ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى(15).

اللغة هي التي تلي الدين، كعامل مميز لشعب ثقافة ما عن شعب ثقافة أخرى(16).

ثم يأتي التاريخ وعناصر الثقافة المختلفة في صنع الهوية.

وأهم عناصر الهوية الدين حيث في الحروب تذوب الهويات متعددة العناصر، وتصبح الهوية الأكثر معنى بالنسبة للصراع هي السائدة، وغالباً ما تتحدد هذه الهوية دائماً بالدين(17).

وبالنسبة لمن يواجهون احتياجاً لتحديد "من أنا؟"، "ولمن أنتمي؟"، يقدم الدين إجابات قوية، وتوفر الجماعات الدينية مجتمعات صغيرة عوضاً عن تلك التي فقدت أثناء عملية التمدين.

والهوية في غاية الأهمية ومنها تنطلق المصالح حيث الناس لا يمكنهم أن يفكروا أو يتصرفوا بعقل في متابعة مصالحهم الخاصة إلا إذا عرفوا أنفسهم، فسياسة المصالح تفترض وجود الهوية.

وإذا كانت هذه هي الهوية وهذه أهميتها لكل أحد فإن الهوية عند المسلمين أكثر أهمية، والإسلام بعقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته ولغته هو هوية مشتركة لكل مسلم، كما أن اللغة التي نتكلم بها ليست مجرد أداة تعبير ووسيلة تخاطب، وإنما

هي: الفكر والذات والعنوان، بل ولها قداسة المقدس، التي أصبحت لسانه بعد أن نزل بها نبأ السماء العظيم، كما أن العقيدة التي نتدين بها ليست مجرد أيديولوجية وإنما هي: العلم الكلي والشامل والمحيط، ووحي السماء، والميزان المستقيم، والحق المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهي منظومة القيم التي تمثل مرجعيتنا في السلوك، فهي ليست نسبية ولا مرحلية(18).

وقد أدرك الأعداء ذلك حيث أن الصليبية والشيوعية والصهيونية اليوم ترى أن استعادة المسلمين لهويتهم الإسلامية وانتمائهم القرآني هو أكبر الأخطار، ومن ثم فإن كل قوى التغريب والغزو الثقافي ستطلق في هذا الاتجاه، ويقوم الاستشراق والتنصير بدور كبير(19).

كما أن الغرب أحرص ما يكون على هوياتهم، وعلى ذوبان المسلمين المهاجرين في مجتمعاتهم، بل إن هناك مؤسسات ووزارات خاصة للاندماج وتذويب الهويات.

وأوروبا ترفض تركيا بسبب الهوية ليس إلا، وكما قال الرئيس أوزال في سنة 1992م: سجل تركيا بالنسبة لحقوق الإنسان سبب ملفق لعدم قبول طلب انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي، السبب الرئيسي هو أننا مسلمون وهم مسيحيون(20).

فالقوى الأوروبية يظهرون صراحة أنهم لا يريدون دولة إسلامية (تركيا) في الاتحاد الأوروبي، ولا يسعدهم أن تكون دولة إسلامية أخرى (البوسنة) أنها حرب هويات كما يقول هنتجنتون حيث نجد تركيا تعيد تأكيد دورها كحامية للبلقان وتدعم البوسنة، في يوغوسلافيا السابقة، وروسيا تساند الصرب الأرثوذكسية، وألمانيا تساعد كرواتيا الكاثوليكية، والدول الإسلامية تهرع لمساعدة الحكومة البوسنية، والصرب يحاربون الكروات ومسلمي البوسنة ومسلمي ألبانيا(21).

* الآثار السلبية للعولمة على الهوية

انطلاقاً من الفصل الأول من أن العولمة وصف لظواهر متعددة كالتقدم المذهل في وسائل الاتصال والانفتاح المعلوماتي وذهاب الحواجز بين الدول مع سلطة القطب الواحد الذي يسعى للهيمنة الاقتصادية والعسكرية والثقافية والسياسية.

وهذا ما حدا بالبعض إلى أن يسميها الأمركة، وللأسف إن أمريكا لا تهدف إلى تطبيق قيمها فحسب، بل إنها تنطلق من مصالحها الذرائعية المجردة من المبادئ

والتي تكيل بمكيالين والتي تشكل خطورة عظيمة على القيم والأخلاق والهويات لا سيما الإسلامية.

وهذه أمثلة:

يحرم الشيشان من الإنفصال عن روسيا .. ويجبر أهل تيمور على الانفصال من اندونيسيا بتدخل من استراليا ودعم من الغرب ..

وكذلك تنفصل تماماً دول البلطيق وجورجيا من روسيا بينما الدول الإسلامية فاستقلالها غير كامل.

ودية الأفغاني الذين قتلوا في عرس 200 دولار وقد اعترفت أمريكا بالخطأ بينما من قتل في لوكربي 10.000.000 دولار أي 50.000 ضعف.

العولمة أن تُهاجَم دولة ذات سيادة حتى دون إذن من الأمم المتحدة لشبهة أسلحة الدمار الشامل، وتُترَك دولة قريبة منها تمتلك أسلحة دمار شامل وتحتل أرض غيرها مخالفة لقرارات الأمم المتحدة ..

أمريكا تمارس دوراً منفرداً حيث تدعم إسرائيل، وترفع الفيتو بعد الآخر لتتمكن من العدوان، وتعتدي على العراق بحجج واهية وحتى دون موافقة مجلس الأمن التي لها أكبر نفوذ فيه، وتأخذ المعتقلين من أفغانستان إلى قوانتنامو دون محاكمة عادلة، وتحارب الجمعيات الإسلامية وترهبها وتجمد أموال من تريد منها دون أدلة ..

المنظمات الفلسطينية المقاومة للاحتلال ارهابية، والمحتل مدافع عن نفسه، والجماعات الإسلامية في أفغانستان المقاومة للاحتلال الأمريكي وحكومته ارهابية، بينما نفس الوضع كان إبان الاحتلال السوفيتي ولكن تلك الجماعات كانت مقاومة مشروعة مدعومة، مما يعني وجود اختلال حاد في موازين العالم تحت إمرة الحضارة الغربية الصليبية الصهيونية.

وهذا صمويل هنتجنتون في صدام الحضارات والذي يدعو للتعصب للحضارة الغربية ومحاربة ما عداها لا سيما الإسلامي، وهو في كتابه مرة بعد مرة يمارس تحريضاً على الإسلام وتخويف الأوروبيين منه، للإنضواء تحت أمريكا والغرب وإشعال فتيل التعصب الديني.

وهذا ما حدا بتوم فريدمان للقول: نحن أمام معارك سياسية وحضارية فظيعة، والولايات المتحدة قوة مجنونة، نحن قوة ثورية خطرة، وأولئك الذين يخشوننا على حق(22).

وفي آخر سنة 2003م كانت استطلاعات الرأي في أوروبا أن أمريكا ثم إسرائيل تمثل أكبر خطورة على السلام العالمي.

فالعولمة هجمة صهيونية شرسة لا تتقيد بالمبادئ، وفي أحسن أحوالها أمركة وتغريب ما لم نقم بدور فعال لتخفيف آثارها والتأثير فيها، وهي حتى لكثير من الغربيين ليست خير للعالم حتى في الجانب الاقتصادي الذي يبشر به البعض، حيث نجد أن هانس بيتر مارتين في كتابه الشهير (فخ العولمة) والذي ركز على العولمة الاقتصادية، يؤكد أن العولمة فخ كبير مليء بالأكاذيب وهي في النهاية تزيد الفقراء، ونجد في الفصل الخامس من الكتاب على سبيل المثال عنوان (أكاذيب ترضي الضمير: أسطورة الميزة على استقطاب الاستثمارات وخرافة العولمة العادلة) (23) كما أن الشعوب حتى الغربية تخرج في مظاهرات شعبية عارمة معارضة لكل مؤتمرات العولمة لما يرونه من إضرار بهم.

ونجد أن الغرب لا يسعى لنشر قيمه الاجتماعية فحسب رغم عدم الاقتناع الواسع بها كقيم، بل إنه يفرضها عبر المؤتمرات الدولية والضغط على الدول التي لا تستجيب، حيث توالت مؤتمرات المنظمات الدولية بهذا الخصوص، مثل مؤتمر نيروبي عام 1985م، مؤتمر القاهرة عام 1994م، ومؤتمر بكين عام 1995م، ومؤتمر اسطنبول عام 1996م، ثم مؤتمر نيويورك عام 1999م، ثم مؤتمر بكين، ثم نيويورك أيضاً عام 2000م، ومحور هذه المؤتمرات يدور حول الأسرة والمرأة والطفل، مركزاً على الحقوق الجنسية، والحق في الإنجاب والإجهاض، والشذوذ، وقضية المساواة بين الرجال والنساء، والمساواة في الميراث .. إلخ، وكل هذا من منظور الثقافة الغربية العلمانية المادية الإباحية(24) التي تبيح الزنى واللواط وتمنع تعدد الزوجات.

وفي الفصل السابع من وثيقة مؤتمر السكان يتحدث عن هذه الإباحية الجنسية، فيقول: إنها حالة الرفاهية البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة، المنطوية على أن يكون الأفراد (لاحظ تعبير الأفراد) من جميع الأعمار أزواجاً وأفراداً (كذا) فتياناً

وفتيات، مراهقين ومراهقات، قادرين على التمتع بحياة جنسية مرضية ومأمونة (لاحظ عدم اشتراط الحلال والشرعية) هي كالغذاء، حق للجميع، ينبغي أن تسعى جميع البلدان لتوفيره في أسرع وقت ممكن، في موعد لا تجاوز عام 2015م. أي أنه أكثر من مباح، فالسعي لتحقيقه بجميع البلدان في أسرع وقت ممكن، وقبل سنة 2015م، واجب على جميع البلدان بل ولا تكتفي هذه الوثيقة بذلك، وإنما تتجاوز إباحة هذه الإباحية إلى حيث تدعو للتدريب والترويج والتعزيز لهذا السلوك الجنسي المأمون والمسئول(25).

بل ونجد ممارسات منفردة، حيث نجد أن أمريكا تضغط تارة باسم حقوق الإنسان (والتي أهدرته في أبو غريب وجوانتامو ومذابح أفغانستان وقصف الفلوجة) وتارة باسم الديمقراطية والحرية لتمرير ما تريد على دول العالم التي لا توافقها.

بينما الحرية والديمقراطية الغربية والقانون الدستوري جعل الغرب يسقط نتائج الانتخابات في تركيا والجزائر ونيجيريا (مشهود أبيولا) لأن الناجحين إسلاميين!!

للأسف أن الغرب حريص على فرض قيمه الاجتماعية والثقافية وعولمتها والتي تمثل أسوأ ما عنده بينما لا يسعى إلى عولمة العلم والتقدم حيث يجب الاحتفاظ به.

إن مما يزيد خطورة العولمة ضعف العالم الإسلامي وهزيمته أمام الغرب وهذا ما يزيد اختراق العولمة الثقافية للهوية، كما قال ابن خلدون "المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه وسائر أحواله وعوائده"(26).

فضلاً أن العولمة تحمل فكرة استبداد القوي الذي يسخر إرادات الشعوب الضعيفة لصالحه، وتكمن في فكرة سيطرة المهيمن على الاقتصاد العالمي والقوة العسكرية والإدارة السياسية على شعوب العالم الفقيرة، بل والسعي لإفقار ما ليست فقيرة، وتكمن كذلك في فكرة الإذابة التي يقوى عليها من يمتلك أدوات الاتصال والتحكم بها، وبالمعلومات وبإنتاجها، وتدفقها دونما مراعاة لثقافات الشعوب وحاجاتها وخصوصياتها وإمكاناتها(27).

كما أن مما يزيد خطورة العولمة ذراعها الإعلامي الخاضع للسيطرة الصهيونية والتي تمسك بخيوطها، تسير هذه القوة في السيطرة مع القوة الغاشمة العسكرية في فرض العولمة على الآخرين، فوظيفة المنظومة الإعلامية هي أن تتسلى وتتلهى وتعلم

وترسخ القيم والمفاهيم والمعتقدات وأنماط السلوك الأمريكي على الآخرين، كما يرى أحد الخبراء الأمريكين، ولتحقيق ذلك صارت ميزانية الإعلام موازية تماماً لميزانية الدفاع في بعض الدول، فإحصاءات عام 1986م تقول إنه بلغ رقم اقتصاد الإعلام فـي الغـرب والاتصـالات مبلـغ (1175) بليـون دولار تقريبـاً منهـا (505) بلايـين للولايات المتحدة الأمريكية، و (267) بليوناً للجماعة الأوروبية، و (253) بليوناً لليابان، و (150) بليوناً فقط للآخرين في العالم .. هذه الميزانيات الضخمة للإعلام في الشمال جعلته يتحكم بقوة في الإعلام المتدفق، في اتجاه الجنوب الأمر الذي أحدث خللاً في المنظومة الإعلامية، وقد فشلت جميع الجهود والمبادرات التي بذلت في إطار الأمم المتحدة لوضع أسس لقيام نظام إعلامي جديد يحقق التوازن بين الشمال والجنوب(28).

وهناك الدراسات الكثيرة التي تبين معاناة شعوب شرقية (ليست إسلامية) وسائرة في الفلك الغربي كاليابان وكوريا الجنوبية من العولمة ومن الدراسات الميدانية التي تمت لمعرفة تأثير المواد التلفزيونية الأمريكية على الشباب الكوري الجنوبي قام بها Kang & Morgan ومن نتائج هذه الدراسة أن هذه المواد أدت إلى تأثير بالغ على القيم التقليديـة الكوريـة، فأصـبحت الفتيـات الكوريـات أكثـر تحـرراً مـن القـيم الأسـرية والأخلاقية، ويعتقدن أنه لا حرج من الممارسة الجنسية خارج الزواج، وأن ذلك من قبيـل الحريـة الجنسـية، وأصـبحن يرتـدين الملابـس الأمريكيـة، ويحتقـرن العقيـدة الكونفوشيوسية(29).

كما أننا نجد دولاً كالفلبين وهي دولة تصنف أنها نصرانية سائرة في الفلك الأمريكي حيث نجد فـي دراسـة أجريت علـى (255) طالبـاً فلبينيـاً وجد أن التعـرض للمـواد التلفزيونية الأمريكية قد ارتبط إيجابياً بتأكيد هؤلاء الطلاب على قيمتي: "المنفعة والمادية"، باعتبارهما القيمتين الأكثر أهمية في حياتهم، في حين تدنت لديهم قيم فلبينية أصيلة مثل: الصفح، والتسامح، والتضحية، والحكمة(30).

وإذا كانت بعض دول الغرب نفسه أو من هو قريب منها يشكو من عولمة الثقافة على الهوية، حيث نجد أن فرنسا مع أنها غربية نصرانية، ولكن بسبب اختلاف اللغة فإنهـا أكثـر الـدول الغربيـة تشـكو مـن عولمـة الثقافـة ومـن هيمنـة اللغـة الإنجليزيـة،

والخوف على الهوية الفرنسية ولذلك لجأ الفرنسيون إلى وضع الثقافة في خانة الاستثناء، لأنهم تنبهوا إلى أن قوة الإنتاج الثقافي الأمريكي تؤدي إلى التغيير التدريجي في معايير السلوك وأنماط الحياة(31).

بل أن هناك دراسة في استراليا وهي بلد غربي نصراني يتحدث الإنجليزية أي مشارك للولايات المتحدة في الهوية تقريباً يشكو من مواد التلفزة الأمريكية على الأطفال، لأنها تؤدي إلى فقدان الانتماء وإلى أزمة أخلاقية وغربة ثقافية(32)، وكذلك كندا حيث عبرت وزيرة الثقافة الكندية شيلا كوبي عن انزعاجها من الهيمنة الثقافية الأمريكية، وتداخلها قائلة: من حق الأطفال في كندا أن يستمتعوا بحكايات جداتهم، ومن غير المعقول والمقبول أن تصبح (60%) من برامج التلفزيون الكندي مستوردة، وأن يكون (70%) من موسيقانا أجنبية، وأن يكون (95%) من أخلاقنا ليست أمريكية(33).

وهذه الأمثال توفرها مئات الدراسات في أنحاء العالم من خوف المثقفين على هوية شعوبهم من العولمة الأمريكية، ألا يحق لنا كمسلمين ونحن نحمل أعظم عقيدة وخير لسان نزل به القرآن، وأعظم تاريخ بالإضافة إلى القيم الحضارية العالية أن نخشى على تلك الجواهر من أثر العولمة على الهوية إن أخطر ما تحمله العولمة تهديدها لأصل العقيدة الإسلامية، لما تدعو له من وحدة الأديان، وهي دعوة تنقض عقيدة الإسلام من أساسها، وتهدمها من أصلها،لأن دين الإسلام قائم على حقيقة أنه الرسالة الخاتمة من الله تعالى للبشرية، الناسخة لكل الأديان السابقة التي نزلت من السماء، ثم أصابها التحريف والتغيير، ودخل على أتباعها الانحراف العقائدي. "كما أن العولمة تسعى لإعادة تشكيل المفاهيم الأساسية عن الكون والإنسان والحياة عند المسلمين، والاستعاضة عنها بالمفاهيم التي يروج لها الغرب ثقافياً وفكرياً، فالكون في نظر العولمة الثقافية والفكرية لم يخلق تسخيراً للإنسان، ليكون ميدان امتحان للناس لابتلائهم أيهم أحسن عملاً!!، والإنسان لم يخلق لهدف عبادة الله تعالى !! وهذه المفاهيم الأساسية للعقيدة الإسلامية، ليست في نظر العولمة الفكرية والثقافية سوى خرافة"(34).

إن هذا العالم المادي لا يعرف المقدسات أو المطلقات أو الغائيات، وهدف الإنسان من الكون هو عملية التراكم والتحكم هذه، التي ستؤدي في نهاية الأمر إلى السيطرة على الأرض وهزيمة الطبيعة(35).

إن المنظومة المعرفية الغربية المادية الحديثة بدأت بإعلان موت الإله باسم مركزية الإنسان، وانتهت بإعلان موت الإنسان باسم الطبيعة، والحقيقة المادية، وهذه هي الواحدية المادية: أن تصبح كل المخلوقات خاضعة تماماً لنفس القانون المادي الصارم وأن يسود منطق الأشياء على الأشياء وعلى الإنسان، وهذا هو حجر الزاوية في المشروع المعرفي الغربي، ثمة قانون واحد وثقافة واحدة وإنسانية واحدة تكتسب وحدتها من كونها جزءاً من النظام الطبيعي، ولذا فإن ثمة نموذجاً واحداً للتطور، ويلاحظ أن حركة البناء الفكري المادي تتجه دائماً نحو تصفية الثنائيات التي نجمت عن الثنائية الدينية (الخالق / المخلوق) وعن الثنائية الهيومانية (الإنسان / الطبيعة) (36).

وإذا انتقلنا من العقائد التي هي أصل الهوية إلى اللسان واللغة التي هي أداة التفاهم والتواصل، وهي وعاء الفكر وقالبه الحي، وما نراه اليوم من طغيان الثقافة الغربية، حيث تشكل اللغة نسبة عالية من الإسهام في نقلها، ولا أدل على ذلك من أن (88%) من معطيات الأنترنت باللغة الإنجليزية، و(9%) بالألمانية، و(2%) بالفرنسية، و(1%) يوزع على باقي اللغات(37).

ويبين هنتجنتون في كتابه صدام الحضارات أهمية اللغة في الصراع حيث أن توزع اللغات في العالم عبر التاريخ يعكس توزع القوة العالمية فاللغات الأوسع انتشاراً: الإنجليزية، الماندارين، الأسبانية، الفرنسية، العربية، الروسية. إما أنها أو كانت لغات دول إمبراطورية جعلت شعوباً أخرى تستخدم لغتها. كما أن التحولات في توزع القوة، تؤدي إلى تحولات في استخدام اللغات، حيث قرنان من القوة البريطانية والأمريكية الاستعمارية والتجارية والصناعية والعلمية والمالية، تركا ميراثاً ضخماً في التعليم العالي والتجارة والتقنية في أنحاء العالم(38).

أن إحصاءات منظمة اليونسكو عن الوطن العربي تشير إلى أن شبكات التلفزيون العربية تستورد ما بين ثلث إجمالي البث كما في سوريا ومصر، ونصف هذا

الإجمالي كما في تونس والجزائر، أما في لبنان فإن البرامج الأجنبية تزيد على نصف إجمالي المواد المبثة إذ تبلغ (58.2%)(39). ومعلوم أثر هذه البرامج على العقائد والقيم والأخلاق والعادات واللغة.

أما إذا انتقلنا إلى السلوك والأخلاق فإن المبادئ الأخلاقية التي تتهاوى في الغرب يوماً بعد يوم حيث سيادة المصالح والمنفعة واللذة و تعظيم الإنتاج والاستهلاك.

هذه الحضارة ابتداءً من حربيها العالميتين (أي الغربيتين) وانتهاءً بمشاكلها المتنوعة الكثيرة مثل تآكل مؤسسة الأسرة، وانتشار الإيدز والمخدرات، وتراكم أسلحة الدمار الكوني، والأزمة البيئية، وتزايد اغتراب الإنسان الغربي عن ذاته وعن بيئته(40).

كما تسوق العولمة لوهم المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة. "ومن خلال العولمة يروج للشذوذ الجنسي، ويحاول الغرب استصدار قوانين لحماية الشذوذ الجنسي في العالم، ومن أحدث محاولات العولمة: محاولة فرض مصطلح جديد يطلق عليه Gender بدل كلمة Sex"(41).

والتأثير الأخلاقي هو أسرع من غيره، وقد أشارت دراسة في السعودية (لناصر الحميدي) إلى أن التأثير على الجوانب الأخلاقية يأتي في الدرجة الأولى، مثل: الترويج للإباحية، والاختلاط، وما إلى ذلك مما يخالف القيم الإسلامية، وإغراء النساء بتقليد الأزياء الغربية وأدوات الزينة، وكذلك التأثير على الروابط الأسرية(42).

علماً أن العرب هم أكثر الشعوب مشاهدة للتلفاز(43).

بل حتى في الجانب الاقتصادي فالإنسان الغربي الذي لا يشكل سوى نسبة ضئيلة من سكان الكرة الأرضية (20%) يستهلك ما يزيد على (80%) من مواردها الطبيعية(44).

|2|1|

(1) انظر: مجلة حصاد الفكر، العدد 135، جماد الأول 1424هـ – 2003م، عرض لكتاب بدائل العولمة للدكتور سعيد اللاوندي، عرض عبدالباقي حمدي، ص: 36.

(2) سلسلة كتاب المعرفة (7) نحن والعولمة من يربي الآخر، بحث للأستاذ سعد البازعي بعنوان المثقفون والعولمة والضرورة والضرر، الطبعة الأولى 1420هـ 1999م، ص: 73.

(3) العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التميمي، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م، ص: 29.

(4) العولمة وعالم بلا هوية، د. محمود سمير المنير، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م، ص: 129.

(5) سلسلة كتاب المعرفة (7) نحن والعولمة من يربي الآخر، بحث للأستاذ أسعد السحمراني، أستاذ بكلية الإمام الأوزاعي بلبنان، بعنوان تسويق الاستهلاك وترويج الكاوبوي والهامبرجر، الطبعة الأولى 1420هـ - 1999م، ص: 129.

(6) المصدر السابق، ص: 28، نقلاً عن الأسبوع الأدبي، العدد 602، ص: 19، بتاريخ 1998/3/14م.

(7) انظر مجلة البيان، العدد 136، ص 91، مقالة العولمة حلقة في تطور آليات السيطرة لـ خالد أبو الفتوح.

(8) العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التميمي، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م، ص: 28.

(9) الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية، حسن حنفي، بحث ضمن كتاب العولمة والهوية، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون، منشورات جامعة فلادليفيا، الطبعة الأولى 1999م، ص: 33.

(10) سلسلة كتاب المعرفة (7) نحن والعولمة من يربي الآخر، الطبعة الأولى، رجب 1420هـ - 1999م، مقال للأستاذ سمير الطرابلسي بعنوان العرب في مواجهة العولمة ص: 51-52 .

(11) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، محمد محمود الصواف، دار الاعتصام، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1399هـ - 1979م، ص: 198-199.

(12) انظر: التعريفات، الشريف الجرجاني، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ - 1987م، ص: 314.

(13) انظر: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د. محمد عمارة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، فبراير 1999م، ص: 6.

(14) ندوة الهوية العربية عبر حقب التاريخ، للمدة 25-1997/6/26م، المجمع العلمي بغداد، الكلمة الافتتاحية للندوة، ص: 7.

(15) انظر: العولمة وعالم بلا هوية، محمود سمير المنير، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م، ص: 146.

(16) صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، تأليف صامويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح قنصوة، الطبعة الثانية 1999م، ص: 116.

(17) صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي، تأليف صامويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح قنصوة، الطبعة الثانية 1999م، ص: 103.

(18) انظر مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د. محمد عمارة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، فبراير 1999م، ص: 46.

(19) انظر حتى لا تضيع الهوية الإسلامية والانتماء القرآني، أنور الجندي، دار الاعتصام، سلسلة الرسائل الجامعة، (د. ط. ت)، ص: 7.

(20) صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي، تأليف صامويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح قنصوة، الطبعة الثانية 1999م، ص: 433.

(21) انظر: صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي، تأليف صامويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح قنصوة، الطبعة الثانية 1999م، ص: 204-205.

(22) العولمة وأثرها على اقتصاد الدول، ص: 28، نقلاً عن جريدة الشرق الأوسط بتاريخ 1997/3/2م.

(23) فخ العولمة، هانس بيتر مارتن، هارالد شومان، ترجمة: د. عدنان عباس علي، مراجعة وتقديم: رمزي زكي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1419/1998هـ، ص: 253.

(24) العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها، د. إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1421هـ - 2001م، ص: 27.

(25) انظر وثيقة برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية المنعقد بالقاهرة 5-1994/9/15م، الترجمة العربية الرسمية، الفصل الثامن الفقرات 31-35. نقلاً عن مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د. محمد عمارة، ص: 27.

(26) جعل هذا عنوان للفصل الثالث والعشرون من الفصل الثاني، انظر مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ص 147، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، د. ت.

(27) انظر العولمة والهوية، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون 4-1998/5/6م، كلمة عميد كلية الآداب أ. د. صالح أبو ضلع، منشورات جامعة فلادليفيا، الطبعة الأولى، 1999م، ص: 11.

(28) انظر العولمة وعالم بلا هوية، محمود سمير المنير، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م، ص: 130-131.

(29) مجلة الرائد، تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا، العدد (236) ربيع الأول 1424هـ/ مايو 2002م، دراسة بعنوان العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق، د. عمار طالبي، ص: 11.

(30) العولمة والتحدي الثقافي، د. باسم علي خريسان، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م، ص: 132.

(31) مجلة الرائد، تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا، العدد (236) ربيع الأول 1424هـ/ مايو 2002م، دراسة بعنوان العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق، د. عمار طالبي، ص: 12 .

(32) مجلة الرائد، تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا، العدد (236) ربيع الأول 1424هـ/ مايو 2002م، دراسة بعنوان العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق، د. عمار طالبي، ص: 11.

(33) نحن والعولمة من يربي الآخر، مقال للأستاذ أنور عشقي، بعنوان: الشياطين تختبئ في التفاصيل، كتاب المعرفة (7) الطبعة الأولى، 1420هـ 1999م، ص: 177.

(34) انظر: العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التميمي، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م، ص: 274-275.

(35) العالم من منظور غربي، د. عبدالوهاب المسيري، منشورات دار الهلال، فبراير 2001م، ص: 129.

(36) العالم من منظور غربي، د. عبدالوهاب المسيري، منشورات دار الهلال، فبراير 2001م، ص: 127.

(37) العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التميمي، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م، ص: 111.

(38) صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي، تأليف صامويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح قنصوة، الطبعة الثانية 1999م، ص: 103.

(39) العرب والعولمة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، تعقيب نبيل الدجاني، الطبعة الثانية، 1998م، ص: 335.

(40) العالم من منظور غربي، د. عبدالوهاب المسيري، منشورات دار الهلال، فبراير 2001م، ص: 220.

(41) العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التميمي، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م، ص: 276-279.

(42) مجلة الرائد، تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا، العدد (236) ربيع الأول 1424هـ/ مايو 2002م، دراسة بعنوان العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق، د. عمار طالبي، ص: 10.

(43) ضياع الهوية في الفضائيات العربية، د. عائض الردادي، كتيب المجلة العربية، العدد السابع والثلاثون، محرم 1421هـ، ص: 7.

(44) العالم من منظور غربي، د. عبدالوهاب المسيري، منشورات دار الهلال، فبراير 2001م، ص: 217.

=============

العولمة وأثرها على الهوية[2/2]

د. خالد بن عبد الله القاسم 1427/5/9

2006/06/05

- سبل مقاومة الآثار السلبية

- سبل الاستفادة من العولمة في الحفاظ على الهوية

سبل مقاومة الآثار السلبية

مقاومة الآثار السلبية للعولمة على الهوية يأخذ أبعاداً متنوعة:

أولها: تعزيز الهوية بأقوى عناصرها، وهو العودة إلى الإسلام، وتربية الأمة عليه بعقيدته القائمة على توحيد الله سبحانه، والتي تجعل المسلم في عزة معنوية عالية "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ" [المنافقون: من الآية8]، وبشريعته السمحة وأخلاقه وقيمه الروحية وتقوية الصلة بالله سبحانه وتعالى واليقين بنصره وتمكينه للمؤمنين إذا استجابوا لربهم وقاموا بأسباب النصر، فالهزيمة الحقيقية هي الهزيمة النفسية من الداخل حيث يتشرب المنهزم كل ما يأتيه من المنتصر، أما إذا عززت الهوية ولم تستسلم من الداخل فإنها تستعصي ولا تقبل الذوبان.

ثانيها: العناية باللغة العربية في وسائل الإعلام ومناهج التعليم وتسهيل تدريسها وتحبيبها للطلاب، ومن العناية باللغة العربية تفعيل التعريب والترجمة والتقليص من التعلق باللغات الأخرى إلا في حدود الحاجة اللازمة.

ثالثها: إبراز إيجابيات الإسلام وعالميته وعدالته وحضارته وثقافته وتاريخه للمسلمين قبل غيرهم، ليستلهموا أمجادهم ويعتزوا بهويتهم.

"إن الرد الحقيقي على الطاغوت الحالي الذي يسمى العولمة، هو إبراز النموذج الصحيح الذي يجب أن يكون عليه الإنسان، لكي يصدق الناس -في عالم الواقع- أنه يمكن أن يتقدم الإنسان علمياً وتكنولوجياً واقتصادياً وحربياً وسياسياً وهو محافظ على إنسانيته، محافظ على نظافته، مترفع عن الدنايا، متطهر من الرجس، قائم بالقسط، معتدل الميزان"(1) "لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ" [الحديد: من الآية25].

إن العولمة يجب أن تكون – من أجل الإنسان– في العلوم والتقنيات والتعامل والتعاون الذي يحترم فيه البشر بعضهم، أما الديانات والثقافات والتقاليد فهي حضارات الشعوب ملك لهم تشكل تنوعاً غير ممل بشرط ألا يتعدى أحد على الآخر.

وأن نعلم أن هويتنا وذاتيتنا بعمقها الديني والحضاري لا بديل لها من أية حضارة أخرى مهما بدا في زينتها. فثقافتنا عالمية، أبدعت وأضافت وأعطت، ورغم خصوصيتها كانت إنسانية شاملة، لا بتراثها الإسلامي –وهو ذروة عطائها– ولكن بما تجاوزته من عناصر الحضارات الأخرى، وبلغتها العربية وفنونها وآدابها. وكما صنعت الأمة ثقافتها، صنعتها ثقافتها، وحافظت على هويتها عبر أداتها التعبيرية لغة القرآن، فلا تكاد تملك لغة من اللغات ما تملكه اللغة العربية من تراث فكري مكتوب، لا في الكم، ولا في النوع، ولا في النسق اللغوي المتماسك(2).

رابعها: العمل على نهوض الأمة في شتى الميادين دينياً وثقافياً سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وتقنياً، ومحاربة أسباب التخلف والفساد، نغير ما بأنفسنا من تخلف وتقاعس، فإن من سنن الله سبحانه وتعالى التغيير "إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ" [الرعد: من الآية11]، وقد نبه القرآن الكريم على أهمية العمل "وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" [التوبة: من الآية105].

خامسها: مواجهة مساوئ العولمة بالتعليم والتدريب والتثقيف والتحصين ورفع الكفاءة وزيادة الإنتاج ومحاربة الجهل وخفض معدلات الأمية المرتفعة عند المسلمين.

سادسها: تقليص الخلافات بين المسلمين حكومات وشعوب وجماعات بالاعتصام بكتاب الله عز وجل "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا" [آل عمران: من الآية103] ثم التعامل معها إن وجدت بثقافة إيجابية فاعلة ناصحة حتى لا يجد الأعداء ثغرة من خلالها.

سابعها: ضمان الحرية الثقافية وتدعيمها، حيث أن حرية الثقافة، وإن كانت تنبع من العدالة في توزيع الإمكانات والإبداعات الإنسانية على الأفراد، فإنها في الوقت نفسه عامل أساسي في إغناء الحياة الثقافية وزيادة عطائها. ولكن لا يجوز فهم الحرية

على أنها فتح للباب أمام كل تعبير، وقبول كل فكر، ولكن الحرية المقصودة هي الحرية المنضبطة بضوابط(3).

ثامنها: أن نتعرف على العولمة الثقافية، والكشف على مواطن القوة والضعف فيها، ودراسة سلبياتها وإيجابياتها برؤية إسلامية متفتحة، غايتها البحث والدراسة العلمية(4)، وإدراك وفهم التناقضات التي تكتنف فكرة العولمة وكشف الزيف الذي تتستر قواها خلفه(5).

ولكن لابد أن يواكب عملية النقد الكلية للحضارة الغربية، عملية أخرى هي عملية التخلص من الإحساس بمركزية الغرب ونزع صفة العالمية والعلمية والمطلقية عن حضارته وتوضيح أن كثيراً من القوانين العلمية التي يدافع عنها دعاة التغريب باعتبارها تصلح لكل زمان ومكان هي في واقع الأمر نتيجة تطور تاريخي وحضاري محدد وثمرة تضافر ظروف فريدة في لحظة فريدة، فإذا كان الغرب قد تحول إلى مطلق، فإنه يجب أن يستعيد نسبيته، وإذا كان يشغل المركز فإنه يجب أن يصبح مرة أخرى عنصراً واحداً ضمن عناصر أخرى تكِّون عالم الإنسان(6).

تاسعها: التنسيق والتعاون بصورة متكاملة في وزارات التربية والتعليم، والتعليم العالي والثقافة والإعلام، و الأوقاف والشئون الإسلامية، والعدل، للمحافظة على الهوية الإسلامية من أي مؤثرات سلبية عليها.

عاشرها: أن تقوم وسائل الإعلام بواجباتها في الحفاظ على الهوية ودعمها، فضلاً عن استيراد البرامج التي تهدم الهوية دون نظر أو تحميص، كما أن على الدول والعلماء وقادة الرأي ورجال الأعمال الضغط على وسائل الإعلام الخاصة كل بما يستطيع لمراعاة هوية الأمة وقيمها.

حادي عشر: أن يقوم التعليم بتعزيز الهوية وكشف العولمة ومضارها، ويتحتم على الإعلام التربوي استخدام كافة الوسائل والأساليب والطرق المتاحة كي ينجح في تأصيل القيم والمهارات والمعارف والمعلومات في مؤسسات المجتمع ومنظماته، وبما أن البث المباشر يهدد هويتنا بتنشئة صغارنا على قيم وعادات تخالف فكر أمتهم وثقافتها فإن التربويين والإعلاميين مطالبين بتحصين الأطفال ضد ثقافة الاستهلاك والتغريب، ونحن نريد من الإعلام التربوي أن يتحدث عن المسائل التربوية المهمة

واللصيقة بحياة المجتمع، كما نريد منه تقديم مادة غنية ثرية تحدث أثراً إيجابياً، وتترك صدى قوياً بنفس الصغير والتلميذ والطالب والشاب وتساعد على اكتشاف ما يملك من طاقات ومهارات(7).

ثاني عشر: تنشيط التفاعل والحوار الثقافي العربي مع ثقافات الأمم الأخرى(8). وأن نثري ثقافتنا العربية الإسلامية بما نراه ينفعنا ولا يضرنا من الثقافات الكونية الأخرى، وفي الوقت نفسه نعرف تلك الثقافات العالمية بما لنا من تراث وتقاليد وقيم اجتماعية عريقة(9).

وفي دراسة علمية عن العولمة في ضوء العقيدة الإسلامي كان من التوصيات(10):

- ضرورة الانفتاح على الآخرين والاستفادة من فرص العولمة والتقدم العلمي والتقني، وتطوير ثقافتنا وتحسين أوضاعنا.
- أن من أهم التحصينات الثقافية لأمتنا قيم الانفتاح والتسامح والعدل والشورى.
- تطوير مشروع الإسلام الحضاري المتكامل.
- إعادة بناء الوحدة الإسلامية على أساس شرع الله تعالى.
- إنشاء السوق الإسلامية المشتركة.
- إعادة بناء وصياغة النظم التعليمية والتعاون في التعليم.
- الاهتمام بالإعلام.

ثالث عشر: تشجيع المؤسسات الدعوية داخل البلاد الإسلامية وخارجها على ممارسة عملها ودعمها بكل طريق مادياً ومعنوياً وتوجيهياً، وعدم السقوط في فخ الأعداء بتصيد أخطااها وتشويه سمعتها عند حدوث خطأ ما، وإنما بالنصيحة الإيجابية الفاعلة، وما نراه بفضل الله تعالى من مؤسسات إسلامية ودعوية مساعدة للمسلمين للحفاظ على هويتهم لا سيما خارج الدول الإسلامية، سواء كانت مراكز أو مدارس إسلامية أو وسائل إعلامية، كمواقع الإنترنت أو شركات الإنتاج أو إذاعات القرآن الكريم، أو مكاتب دعوة الجاليات التي تتميز بها المملكة العربية السعودية، وأثمرت آلاف المسلمين الجدد كل عام، أو مدارس تحفيظ القرآن الكريم، إلى غير ذلك من هذه المؤسسات، لتسهم ضد تأثيرات العولمة على الهوية، لذا لا نعجب من

أن تكون هذه المؤسسات الخيرية أحد استهدافات العولمة، ومحاولة لرميها بالإرهاب بكل طريق بمحاربة أنشطتها وتشويه سمتعتها وتجفيف مواردها(11).

هذه بعض الأفكار وغيرها كثير في سبيل مواجهة العولمة وهي وإن فرضت علينا واقعاً ليس من اختيارنا، لكنها لا تستطيع منعنا من العمل.

والطريف المضحك المبكي أن يتحدث بعض النفر من مثقفينا عن العولمة، كقضاء وقدر، يجب إسلام الذات الثقافية له، في ذات الوقت الذي يتمردون فيه على القضاء والقدر، إذا كانا من الله، ولقد كتب أحدهم في أحد المؤتمرات التي عقدت عن العولمة يقول: إن العولمة هي ظاهرة التوحد الثقافي والاقتصادي، التي يشهدها العالم اليوم، مع عدم إغفال النواحي السياسية والاجتماعية، وإن الحداثة الغربية عموماً والعولمة المعاصرة خصوصاً، وما أفرزت من ثقافة في طريقها إلى أن تصبح ثقافة عالمية أو كونية شاملة بكل ما في الكلمة من معنى، فلا شيء قادر على الوقوف في طريقها، ولن تستطيع الثقافات التقليدية أن تصنع شيئاً أمام ثقافة العولمة التي لا تصدها الحدود، أحببنا ذلك أو كرهنا، وافقنا أو رفضنا(12).

وأخيراً مادمنا مقاومين فاعلين قائمين بما أمرنا الله به فإننا موقنين ليس بحماية هويتنا فحسب، بل حتى في التأثير على غيرنا بنفس وسائل العولمة، وهذا هو الفصل القادم.

– سبل الاستفادة من العولمة في الحفاظ على الهوية

هل العولمة شر محض فنحصر أمورنا في الوقاية منها ومقاومتها؟ أم أنه يمكن التأثير من خلال العولمة، إن موقف نقد لا يعني حرمان النفس من إمكانيات الاستفادة من الفرص التي يتيحها، وذلك للتأثير الإيجابي أو على الأقل التخويف من مخاطر السقوط في الهرم والرثاثة(13).

وإذا كان البعض يشبه العولمة بالقطار إما أن تركب إذا أردت التقدم والوصول أو البقاء في المكان مع التعرض للمخاطر ويفوتك الركب، والقطار يسير إلى قدر محتوم معلوم كما ذكره فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ وتأثر به كثير من الكتاب فإن هذا المثال غير صحيح لأن العولمة تتجاذبها قوى متعددة يمكن التأثير فيها.

وسنضرب بعض الأمثلة:

أولاً: إن من مظاهر العولمة وسائل الاتصال من الإنترنت والفضائيات وأن هذه الوسائل من الممكن تسخيرها لخدمة البشرية عبر نشر الحقائق الإسلامية فالأمة العربية والإسلامية تملك أعظم مشروع حضاري .. إنها تملك الوحي الإلهي المعصوم، الذي ينظم العلاقة بين العباد وخالقهم "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" [الذريات:56] ، وبين العباد بعضهم وبعض "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات:13) ، ومع سائر المخلوقات "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ" [البقرة:30]، وهو في النهاية يؤدي إلى السعادة الدنيوية والأخروية للعالم، هذه الرسالة العظيمة يجب أن تحملها البشرية وأن تستثمر كل أدوات العولمة المشروعة لإيصال رسالتنا "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ" [آل عمران:110].
وثقافتنا وهويتنا قابلة للنمو والاعتناء أكثر من الإذابة والتبعية، لذا نؤمن بالتفاعل والتبادل الذي يتيح لثقافتنا فرصة النمو والانتشار لا الإذابة والتبعية(14).
بل إن الإسلام بعقائده الفطرية وشريعته العادلة القائمة على المساواة هو أكثر المستفيدين من العولمة إذا تساوت الفرص وخدمه أبناؤه فالإسلام بقيمه العالمية بخلاف العولمة التي هي فرض قيم وحضارة خاصة، بينما الإسلام يتجه نحو العالمية منذ نزوله، ويحث على التعايش والسلم، وعايش فعلاً في تاريخه مختلف الديانات وتسامح معها تسامحاً واضحاً بشهادة المؤرخين المنصفين، كما أنه مؤهل بتعاليمه الأخلاقية أن يشارك في وضع أخلاق جديدة لهذه العولمة المنفلتة لحد الآن، وهو يعترف بالقيم المشتركة بين الحضارات، ولا شك أن الدعوة إلى الفهم المتبادل للقيم الحضارية الشرقية والغربية من سمات الإسلام الرئيسية، فقد دعا إلى الحوار مع ديانات أخرى، منذ نزول القرآن، ونادى بالحوار بين الأديان وأزاح الغبار عما طرأ على بعض الديانات من خرافات وتحريفات، ودعا إلى الأصل المشترك بينها جميعاً، " "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ

شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" [آل عمران:64]، فعلى المسلم اليوم أن يحدد رسالته نحو العولمة ويبني موقفه على الفهم الصحيح للإسلام، وأن ميزانه ميزان أخلاقي (التقوى) حيث يتحاور ويتعاون مع البشرية في العالم إذا ألغي ميزان العصبية واللون، والطبقة والثروة، وجعل عمارة الكون والإحسان إلى العالمين من مبادئه ومقاصده، وكذلك المشاركة في توفير الخير للناس، وحفظ الحقوق، ومنع الظلم وإن كان مع عدو أو مخالف في الدين، " "وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى" [المائدة: من الآية8] ، وعد القرآن الكريم اختلاف اللغات والألوان من آياته سبحانه: "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِلْعَالِمِينَ" [الروم:22] (15).

فإنتاج البرامج التلفزيونية للتعريف بالإسلام وكذلك المواقع في الإنترنت، ونشر الحقائق الإسلامية وبيان دين الإسلام، والرد على الشبهات المثارة، فتلك الوسائل يستفيد منها بالدرجة الأولى أهل الحق، فهي فرصة لكشف فريق الباطل.

وكذلك الاستفادة من السياحة في منطقتنا الإسلامية لاطلاع القادمين على ديننا وثقافتنا وتاريخنا، وكما أن المؤسسات الخيرية والدعوية الإسلامية التي تعاني الآن من هجمة العولمة واتهامها بدعم الإرهاب لها فرصة الاستفادة من وسائل العولمة لنشر الإسلام.

ثانياً: إن أدوات العولمة ربما ساعدت في الحفاظ على الهوية حيث يتاح للمسلم في الغرب الحفاظ على هويته وتقويتها عبر مواقع الإنترنت الإسلامية بل ويتفاعل معها وكذلك الفضائيات، وقد نشاهد جماعة من المهاجرين الأتراك مثلاً في ألمانيا يقتصرون على مشاهدة البرامج التركية وهم مقيمون في ألمانيا، ينقلون هويتهم معهم، ولا تنقطع الصلة بينهم وبين مجتمعهم الأصلي، وكذلك يفعل المهاجرون المسلمون في فرنسا، والأكراد في ألمانيا.

ثالثاً: العولمة المعاصرة أفرزت تهديداً ثقافياً، وهذا التهديد الثقافي والديني قد يؤدي أيضاً إلى فرار الناس إلى الدين، يلوذون به، ويحتمون بعقائدهم لدرجة التعصب والعنف والقتال، لأنهم يشعرون أنهم مهددون في أعز شيء عندهم، ولشدة خوفهم

من الاستئصال والانسلاخ قصراً عن معتقداتهم، لأن الصراع يسهل أن ينشأ عندما يشعر الإنسان أنه مهدد في جانب من ذاتيته(16).

يقول برنارد لويس: "في العالم الإسلامي يوجد ميل متواتر لدى المسلمين في أوقات الأزمة، لأن يبحثوا عن هويتهم الأساسية وانتمائهم في المجتمع الإسلامي"(17).

ويقول هنتجنتون: في عالم اليوم أدى التحسن الذي حدث في مجالات الانتقال والاتصال إلى تفاعلات وعلاقات أكثر تكراراً واتساعاً وتناسقاً وشمولاً بين شعوب من حضارات مختلفة، ونتيجة لذلك أصبحت هوياتهم الحضارية أكثر بروزاً. الفرنسيون والألمان والبلجيك والهولنديون يتزايد تفكيرهم في أنفسهم كأوروبيين، مسلمو الشرق الأوسط يتوحدون ويهرعون لمساعدة البوسنيين والشيشان، الصينيون في آسيا كلها يوحدون مصالحهم مع مصالح البر الرئيسي، الروس يتوحدون مع الصرب والشعوب الأرثوذوكسية الأخرى ويدعمونها، هذه الحدود الأوسع للهوية الحضارية تعني وعياً أعمق بالاختلافات الحضارية والحاجة إلى حماية ما يميز "نحن" عن "هم"(18).

رابعاً: إن من إيجابيات العولمة القضاء على الحداثة بمعناها المعادي لكل ما هو قديم، وذلك هو مأزق الحداثة الفاضح عربياً، وذلك بعد عقود من مساعي الحداثيين إلى علمنة الثقافة والمجتمع، يكتسح الإسلام ساحة الفكر والعمل في غير بلد عربي، وفيما يصر أهل الحداثة على إحداث ثورة في الفكر الديني أو في العقل اللاهوتي، على غرار ثورة لوثر أو فولتير أو كنت، توضع الحداثة غربياً على مشرحة النقد والتفكيك بكل عناوينها ومسلماتها، بعد أن شهدت انفجاراتها المفهومية في أكثر فروع المعرفة والثقافة(19).

المراجع

1- القرآن الكريم.

2- التعريفات، الجرجاني، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ - 1987م.

3- الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية، حسن حنفي، بحث ضمن كتاب العولمة والهوية، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون، منشورات جامعة فلادليفيا، الطبعة الأولى، 1999م.

4- ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، د. برهان غليون ود. سمير أمين، دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الأولى 1420هـ/ 1999م.
5- حتى لا تضيع الهوية الإسلامية والانتماء القرآني، أنور الجندي، دار الاعتصام، سلسلة الرسائل الجامعة.
6- حديث النهايات، فتوحات العولمة ومأزق الهوية، علي حرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م.
7- نحن والعولمة من يربي الآخر، سلسلة كتاب المعرفة (7)، مجموعة مقالات، مقالة للأستاذ سعد البازعي بعنوان المثقفون والعولمة والضرورة والضرر، الطبعة الأولى 1420هـ/ 1999م.
8- صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي، تأليف صامويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح قنصوة، الطبعة الثانية، 1999م.
9- صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، د. محمد الشبيني ، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 2002م.
10- ضياع الهوية في الفضائيات العربية، د. عائض الردادي، كتيب المجلة العربية، العدد السابع والثلاثون، محرم 1421هـ.
11- العالم من منظور غربي، د. عبدالوهاب المسيري، منشورات دار الهلال، فبراير 2001م.
12- العرب والعولمة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، تعقيب نبيل الدجاني، الطبعة الثانية، 1998م.
13- العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها، د. إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1421هـ/2001م.
14- العولمة وأثرها على اقتصاد الدول،نقلاً عن جريدة الشرق الأوسط بتاريخ 1997/3/2م.
15- العولمة، دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية، ماجد بن علي الزميع، رسالة ماجستير قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، 1422هـ، لم تطبع.

16- العولمة والتحدي الثقافي، د. باسم علي خريسان، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
17- العولمة وعالم بلا هوية، د. محمود سمير المنير، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م.
18- العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التميمي، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م.
19- العولمة والهوية، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون 4-1998/5/6م، منشورات جامعة فلادليفيا، الطبعة الأولى، 1999م.
20- فخ العولمة، هانس بيتر مارتن، هارالد شومان، ترجمة: د. عدنان عباس علي، مراجعة وتقديم: رمزي زكي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1419هـ - 1998م.
21- القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب، د. محمد بن عبدالله السلومي، كتاب البيان، الرياض، الطبعة الأولى، 1242هـ
22- ماضي المستقبل صراع الهوية والوطنية في عالم يتعولم، د. رجب بو دبوس، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2001م.
23- مجلة البيان، العدد 136، مقالة: العولمة حلقة في تطور آليات السيطرة، للأستاذ خالد أبو الفتوح.
24- مجلة حصاد الفكر، العدد 135، جماد الأول 1424هـ - 2003م، عرض لكتاب بدائل العولمة للدكتور سعيد اللاوندي، عرض عبدالباقي حمدي.
25- مجلة الرائد، تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا، العدد (236)، ربيع الأول 1423هـ/ مايو 2002م. دراسة بعنوان العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق، د. عمار طالبي.
26- مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د. محمد عمارة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، فبراير 1999م.
27- المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، محمد محمود الصواف، دار الاعتصام، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1399هـ - 1979م.

28- مسئولية الإعلام في تأكيد الهوية الثقافية، د. ساعد العرابي الحارثي، نشر المجلة العربية، د. ط. ت.

29- المسلمون والعولمة، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى 1421هـ، 2000م.

30- مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، د. ت.

31- الهوية العربية عبر حقب التاريخ، ندوة علمية للمجمع العلمي ببغداد، 25-1997/6/26م.

The Cultural Globalization and its Impact on the Islamic Identity

Dr. Khalid Ibn Abdullah al-qassim
Associate Prof. Dept. of Islamic Culture
College of Education, King Saud University
.Riyadh, Saudi Arabia

:Abstract: The research tries to answer the following questions

What is Globalization in general and the cultural Globalization in particular? Is it an inevitable issue? What is identity? What are the impacts of Globalization on it? How to deal with Globalization in a way that protects the islamic identity? Is it ?possible to make use of Globalization for boosting the identity

The study is divided into an introduction and five chaptres, as :follows

.Chapter one: Definition of Globalization

.Chapter two: Definition of Identity

Chapter three: The Negative Impacts of Globalization on the .Muslim Identity

Chapter four: The Most Important Meansof Resisting the .Negative Influences of Globalization on the Identity

Chapter five: How to Make Use of Globalization to Protect the .Identity

|2|1|

(1) المسلمون والعولمة، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى 1421هـ، 2000م، ص: 49.

(2) العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التميمي، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م، ص: 318.

(3) انظر: العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التميمي، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م، ص: 263.

(4) صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، د. محمد الشبيني ، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 2002م، ص: 251.

(5) العولمة والهوية المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون، 4-1998/5/6م، بحث للدكتور حسين علوان حسين بعنوان العولمة والثقافة العربية، منشورات جامعة فلادليفيا، الطبعة الأولى، 1999م، ص: 125.

(6) العالم من منظور غربي، د. عبدالوهاب المسيري، منشورات دار الهلال، فبراير 2001م، ص: 253-254.

(7) مسئولية الإعلام في تأكيد الهوية الثقافية، د. ساعد العرابي الحارثي، المجلة العربية، د. ط. ت ص: 30.

(8) العولمة والهوية المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون، 4-1998/5/6م، بحث للدكتور حسين علوان حسين بعنوان العولمة والثقافة العربية، منشورات جامعة فلادليفيا، الطبعة الأولى، 1999م، ص: 126.

(9) صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، د. محمد الشبيني ، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 2002م، ص: 251.

(10) العولمة، دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية، ماجد بن علي الزميع، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، 1422هـ لم تطبع، ص 444 - 458.

(11) انظر: كتاب القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب على المؤسسات الإسلامية، د. محمد بن عبدالله السلومي، كتاب البيان، الرياض، الطبعة الأولى، 1424هـ.

(12) القائل: تركي الحمد، انظر: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د. محمد عمارة، ص: 38، نقلاً عن تركي الحمد هوية لا هوية، نحن والعولمة، بحث في مؤتمر القاهرة إبريل سنة 1998م عن العولمة وقضايا الهوية الثقافية، انظر: صحيفة المدينة السعودية، ملحق الأربعاء في 15 إبريل سنة 1998.

(13) انظر: ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، د. برهان غليون ود. سمير أمين، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر المعاصر دمشق، الطبعة الأولى 1420هـ 1999م، ص: 187.

(14) انظر: العولمة والهوية، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون 4-1998/5/6م، كلمة عميد كلية الآداب أ. د. صالح أبو ضلع، منشورات جامعة فلادليفيا، الطبعة الأولى، 1999م، ص: 11.

(15) انظر: مجلة الرائد، تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا، العدد (236) ربيع الأول 1424هـ/ مايو 2002م، دراسة بعنوان العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق، د. عمار طالبي، ص: 15.

(16) العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق، د. عمار طالبي، مجلة الرائد، تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا، العدد (236) ربيع الأول 1424هـ مايو 2002م، ص: 10.

(17) صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي، تأليف صامويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح قنصوة، الطبعة الثانية 1999م، ص: 161.

(18) صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي، تأليف صامويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب وتقديم/ د. صلاح قنصوة، الطبعة الثانية 1999م، ص: 210.

(19) حديث النهايات، فتوحات العولمة ومآزق الهوية، علي حرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م، ص: 178.

============

صورة المسلمين والعرب في العالم2/1

إعداد: خلود العيدان * منيرة الدهش 1426/3/11

2005/04/20

لماذا (صورة المسلمين والعرب في العالم) كانت قضيتنا الأولى؟!

إن حماسنا للبحث في هذه القضية..

كان للإجابة عن تساؤلات تشغل فكر الفرد المسلم العربي تجاه..

صورته، حقيقته، هويته، ولماذا هو مشوه في عيني الآخر؟

وتساؤلات شتى تملأ سماء الفكر العربي (الغض) في هذه المرحلة الحرجة من تاريخه.

كما أن حقيقة أن (لا دخان بلا نار) تلح بشدة للبحث عن الحقيقة أياً كان مذاقها.

فإن كان بهتاناً فلم الاستمرار..ولم لم نوقفه؟

وإن كان حقيقة فإلى متى؟ ولماذا لا نشرع بالتغيير.

ورغم هذه المقدمة المشحونة بعلامات الاستفهام..

إلا أن عذوبة الفهم القرآني لأبجديات البحث في هذا الكون تمنحنا هدوءً ونفساً عميقاً لنشرع في قضيتنا..

فلنتأمل الآية الـ(16) من سورة (لقمان):

(يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير)

ولك أن تعلو وتسمو بجمالية المعنى و(تتأمل) لـ(تفهم) ما الذي يجري في زمن اختلطت فيه (الحقائق)؟!

لنشرع الأبواب المغلقة:

لقد وضعنا بين أعيننا الهدف الأسمى الذي يحركنا كشباب مسلم عربي والمسؤولية التي أوجدتنا على هذه الأرض..فوجدنا أن..

(معرفتنا للآخر تمنحنا أفقاً أوسع لإمكانية (فهمه) فـ(تفهيمه)، ولمعرفة واقعنا لـ(تغييره)..)

كان اختيارنا لهذه القضية من واقع (الأزمة) التي يمر بها عالمنا الإسلامي والعربي لعلنا نكون إحدى المفاتيح لأبواب مستقبل إسلامي عربي مختلف.

ما سبب التأخير؟ وهل عقارب الساعة في حساباتنا!

لاشك أننا نصحو ونغفو ونحن نرى صورنا مجسدة في شاشات التلفزة أو تشبعها أراء المحللين (التلفزيونيين) ركلاً وضرباً إن صح التعبير..إن رد الفعل الذي (أضحى) طبيعياً! هو المسارعة في (إلقاء القبض) على جهاز التحكم و(اتخاذ القرار) بتغيير القناة لـ(يسجل) التاريخ الإنجاز الأعظم لتلك (اليد الناعمة)!

إن التأخير في إنقاذ صورتنا الإسلامية والعربية في عيني الآخر لاشك تحمل أسباب عدة قد يكون أهمها:

القناعة بمبدأ (أن ما باليد حيلة)! ويصاحبها أن (هم) من فعلوا وأخطئوا و،،،

بغض النظر إن كان (هم) عائدة على الآخر أو المسؤول.

نحن هنا لا نغفل الطرف الثاني أياً كان ولكن أنحمله كل العبء؟!!

* تحت المجهر و بعدسة الآخر كيف نبدو!

نظر الأوروبيون إلى حياة المسلمين الأخلاقية نظرة مزدوجة، إذ نظروا إلى حجاب المرأة المسلمة كتعبير عن "السرية والقهر" والفصل بين الرجل والمرأة، وفي نفس الوقت نظروا إليه على أنه مصدر "فجور واستباحة أخلاقية مستترة" خلف الحواجز والأسوار.

وقد انتقلت هذه الصورة المشوهة كما يرى (جون إسبوزيتو) أستاذ دراسات الأديان والعلاقات الدولية بجامعة جورج تاون الأميركية في كتاب "التهديد الإسلامي.. حقيقة أم أسطورة؟" الصادر عام 1992.. انتقلت إلى بعض أهم قادة الإصلاح الفكري والديني في أوروبا وعلى رأسهم زعيم حركة الإصلاح البروتستانتي مارتن لوثر الذي نظر إلى الإسلام على أنه:

"حركة عنيفة تخدم أعداء المسيح لا يمكن جلبها للمسيحية لأنها مغلقة أمام المنطق، ولكن يمكن فقط مقاومتها بالسيف".

كما يقول المستعرب الياباني (نوبوآكي نوتوهارا) في كتابه (العرب وجهة نظر يابانية):

"سافرت إلى البلدان العربية وكنت قد تجاوزت الثلاثين من عمري ورأيت وقرأت وتحدثت إلى الناس في كل مكان نزلت فيه.لقد عاينت بنفسي غياب العدالة

الاجتماعية وتهميش المواطن واذلاله وانتشار القمع بشكل لايليق بالإنسان.وغياب كل أنواع الحرية كحرية الرأي السلوك والمعتقد وغيرها.

كما عرفت عن قرب كيف يضحي المجتمع بالأفراد الموهوبين والأفراد المخلصين،ورأيت كيف يغلب على سلوك الناس عدم الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع وتجاه الوطن".

المفاهيم الإسلامية عالمياً:

اعتمد البناء المفاهيمي للإسلام عالمياً على وجود مكثف في الخطاب الإعلامي لـ(تصنيفات) على شاكلة "الإرهاب الإسلامي"، "المحاربين الإسلاميين"، "الإرهابيين الإسلاميين"، "الديكتاتور الإسلامي"، "الهجمات الإسلامية"، و"الإرهاب الإسلامي المتشدد"،"الظاهرة الإسلامية".

كما جاء في تعريف العربي أبان المرحلة الستينيات والسبعينيات في القاموس الأمريكي المسمى روجيت ثيساورس Roget Thesaurus بكونه "جلف، نذل، أخرق، مخادع، ساذج". ولم تحذف هذه النعوت القبيحة إلا بعد جهود وضغوط بذلتها المنظمات العربية في أمريكا.

***

الصورة ، الألوان، الظلال ،،، (نحن والآخر) وما الذي قيل؟!

* على المسلمين أن يتوصلوا إلى حل لإشكاليات كثيرة داخلية قبل أن يطالبوننا بصورة أكثر توازنا.

(ناثان كاردلس رئيس تحرير خدمة لوس انجلوس تايمز الأمريكية)

* إنه لم تشوه سمعة جماعة دينية أو ثقافية أو قومية ويحط من قدرها بشكل مركز ومنظم كما حدث للعرب.

(نيكولاس فون هوفمان الصحفي بجريدة "واشنطن بوست")

*: إن المنطقة العربية ليست راكدة، إنها مكان حيوي. وأمر آخر عن هذه المنطقة إذا نسينا، لقد اجتزنا ثورات، لقد مررنا بثورة الكومنولث والثورة الصناعية لقد اجتاز الغرب صدمات هائلة قبل أن يصل لما هو عليه اليوم، فهل من المتوقع أن يصبح المسلمون بعصا سحرية مستنيرين في غضون سنوات قلائل؟

(حمزة يوسف عمل مستشارا للبيت الأبيض وللجامعة العربية للشؤون الإسلامية، وهو مؤسس معهد الزيتونة في كاليفورنيا، وهو أمريكي المولد واعتنق الإسلام)

*من المستحيل أن نتوقع أي تقدم أخلاقي وفكري ومادي أينما يسود المحمديون.

(الرئيس الأميركي ثيودور روزفلت)

*إذا كان الإسلام قد عانى من جاهلية العرب ربع قرن ، فقد ظل يعاني من جاهلية الغرب قروناً طوالاَ !

وقد تأثر الإعلاميون الغربيون بشكل فاضح بالروح العدائية التي نفخها المستشرقون ومعظمهم من اليهود.

(كتاب " ربحت محمّداً ولم أخسر المسيح")

* هناك من يريد تشويه صورة الإسلام ونحن، رجال الدين، علينا مسؤولية تصحيح ذلك...إن المثقفين المسلمين أخفقوا في المساهمة بشكل ملحوظ في العلوم وغيرها من الميادين في القرنين الماضيين.

(جورج كيري كبير أساقفة الكنيسة الأنجليكانية)

* أنه لابد أن نعمل في الداخل الإسلامي، كما لابد علينا أيضا أن نعمل في الخارج لأنه لم يعد هناك حواجز وفواصل بين الداخل والخارج.

(د/علي جمعة مفتي الديار المصرية)

* المسلمون القدامى كانوا يتعاملون مع الغرب من منطلق الندية والقدرة على الانتقاد والانتقاء، بعكس الفنانين والمثقفين قبل الثورة الذين تعاملوا مع الغرب من منطلق الإحساس بالدونية.

(تقول ذيبا مير حسيني/مخرجة إيرانية)

* أكد (ناثان كاردلس رئيس تحرير خدمة لوس انجلوس تايمز الأمريكية):

أنه كصحفي أمريكي لايملك من معلومات عن الإسلام إلا ما ينقله الصحفيون والساسة المسلمون أنفسهم!

* إن الصحفي الغربي اعتاد علي التفكير بمنطق السياسة والاجتماع و ليس التفكير بمنطق الدين و العقيدة كما اعتاد الإعلامي العربي والمسلم .

(خوسيه لويس برسبال من راديو كووب الاسباني)

* توجد مساحة ضخمة في وسائل الإعلام الغربية تهاجم الإسلام والمسلمين وتسخر منهم، وتصف "الإرهاب" بأنه إسلامي، في حين أنها لا تصفه بأنه مسيحي أو يهودي أو بوذي.
(د/علي جمعة مفتي الديار المصرية)
* لقد كانت هناك عنصرية ضد المسلمين هنا(فرنسا) من قبل غير أنها زادت سوءا بسبب الخلط اليوم بين الإسلام والمسلمين والإرهاب. إن الجدل الدائر حول حظر الحجاب في المدارس يتذرع بعلمانية المجتمع، بينما في الواقع هو يتشكك بالإسلام.
(يوسف معمري من المجلس الإسلامي لمارسيليا (بفرنسا)
* لدينا بلهاء في الغرب يزعمون أن المسلمين شياطين وبالمثل لدينا بلهاء بين المسلمين يزعمون أن الغرب شيطان.أنا آسف.
البشر كلنا فينا الخير والشر. هناك أشخاص طيبون في الغرب وهناك أشخاص طيبون في العالم الإسلامي – وهناك أشرار في الغرب وهناك أشرار في العالم الإسلامي، ومعظم الناس فيهم خليط من الخير والشر يعتمل داخلهم. إننا لا نعيش في القرون الوسطى. حينما يخرج مليون بريطاني في مظاهرات ويقولون لا تخوضوا الحرب باسمنا ويعتصمون وقوفا وجلوسا في البرد القارس لخمس ساعات، رأيت ذلك في هايد بارك، لا يمكنك أن تقول هؤلاء صليبيون ولا يمكنك أيضا أن تبرر تفجير منازلهم، إنهم أشخاص خيرون يعبأون فعلاً.
(حمزة يوسف عمل مستشارا للبيت الأبيض وللجامعة العربية للشؤون الإسلامية، وهو مؤسس معهد الزيتونة في كاليفورنيا، وهو أمريكي المولد واعتنق الإسلام)
*إن العقل المسلم قد أغفل السنن الإلهية الكونية والأسباب الطبيعية المباشرة لحدوث الأشياء والتوصل للنتائج وقد أعفى نفسه من التدقيق في اتباع كل سبب بعينه لما يريد أن يتوصل إليه (متوهماً) أن الله سبحانه وتعالى سيحقق له كل شئ بإرادته وهو متقاعس لا لشئ إلا لكونه مسلماً وهذا فهم خاطئ لحقيقة الدين.
(د/محمد جابر الأنصاري)
*أن نظرة الغرب الحديثة للإسلام ولدت في فترة كانت علاقة أوروبا بالإسلام فيها علاقة خوف وقلق، مما دفع الأوروبيين لتعريف الإسلام تعريفا "ضيقا كاريكاتوريا"

كدين يملؤه "العنف والشهوة" يقوم على "الجهاد العنيف" في الحياة الدنيا و"الملذات الحسية الموعودة" في الآخرة.

(دانيال فيتكس –وهو أستاذ آداب بجامعة ولاية فلوريدا الأميركية)

* أن معرفة الغرب للإسلام في هذه المرحلة كانت بغرض السيطرة عليه وليس فهمه، وأن عمليه المعرفة هذه تمت بشكل منظم نسبيا تعاونت فيه مؤسسات الفكر والمعرفة الأوروبية تعاونا وثيقا مع مؤسسات الاستعمار الأوروبية الرسمية بهدف مدها بالمعرفة اللازمة للسيطرة على المجتمعات المستعمرة.

(إدوارد سعيد)

*أن "فهم مواجهات أميركا مع الشرق الأوسط بعد عام 1945 يتطلب فهم الخلفية الثقافية والصور النمطية العنصرية التي يعتقد بها غالبية الأميركيين" تجاه الشرق الأوسط والعالم الإسلامي.

(دوغلاس ليتل في كتاب "الاستشراق الأميركي.. أميركا والشرق الأوسط منذ 1945" الصادر عام 2002)

* وبعد الحرب العالمية الثانية والهولوكوست خفت موجة العداء للسامية إلى حد ما –في أميركا– بعدما بدأ الأميركيون في النظر إلى اليهود على أنهم "غربيون" بينما استمروا في النظر إلى المسلمين على أنهم "شياطين" و"إرهابيون معادون للغرب".

(دوغلاس ليتل في كتاب "الاستشراق الأميركي.. أميركا والشرق الأوسط منذ 1945" الصادر عام 2002)

* هناك جرائم لا نتحمل مسؤوليتها مباشرة ، أي لم نشارك فيها، ولكن لا بد أن نتحمل مسؤوليتها...لذلك فالعالم مسؤول عن الجريمة التي ارتكبت بحق الشعب الفلسطيني)

(المستعرب الياباني نوبوأكي نوتوهارا)

* إننا نجني اليوم الثمار المرة للإهمال العربي و الإسلامي.

(د/ عبد القادر طاش رئيس تحرير صحيفة البلاد السعودية سابقاً)

سجل التاريخ عربياً كان أم غربي فهل نقرأ:

– نيغاتيف الصورة:

وضح ديفد بلانكس ومايكل فراستو في مقدمة كتاب لهما صدر عام 1999 عن "رؤية الغرب للإسلام في العصور الوسطى"،
فيقول الكاتبان:
(إن الأوروبيين في تلك الفترة كانوا محاصرين بحضارة أكثر قوة وتقدما وهي حضارة الإسلام، وأنهم فشلوا في هزيمة هذه الحضارة خلال الحروب الصليبية كما رفضوا فهمها، لكنهم شعروا دائما بتهديدها الحضاري والديني لهم، لذا لعب الإسلام دورا أساسيا في تشكيل الهوية الأوروبية ومن ثم الغربية الحديثة.)
ويرى المؤلفان (أن الإسلام لعب دورا شبهاه "بنيغاتيف الصورة" في تشكيل رؤية الأوروبي المسيحي المثالية لنفسه، إذ عمد الأوروبيون إلى تشويه صورة منافسيهم (المسلمين) كأسلوب لتقوية صورتهم الذاتية عن أنفسهم وبناء ثقتهم في مواجهة عدو أكثر قوة وتحضرا).
- لم يكن لفهمه!:
يرى إدوارد سعيد في سلسلة من مؤلفاته على رأسها "الاستشراق" الصادر عام 1978 أن معرفة الغرب للإسلام في هذه المرحلة كانت بغرض السيطرة عليه وليس فهمه، وأن عمليه المعرفة هذه تمت بشكل منظم نسبيا تعاونت فيه مؤسسات الفكر والمعرفة الأوروبية تعاونا وثيقا مع مؤسسات الاستعمار الأوروبية الرسمية بهدف مدها بالمعرفة اللازمة للسيطرة على المجتمعات المستعمرة.
وخلال هذه المرحلة نظر الغرب إلى الشرق -بما في ذلك العالم الإسلامي- بأسلوب أصبح الآن نموذجا يدرس عن التشويه المتعمد الذي يمكن أن تقوم به حضارة ما لصورة حضارة أخرى. ومن أهم عناصر هذا الأسلوب ما يلي:
1. النظر إلى الشرقي أو إلى المسلم على أنه الآخر المستقل تماما عن الأنا أو الذات الأوروبية.
2. تنظيم علاقة الأوروبي مع الآخر عبر سلسلة من الثنائيات الفكرية يضع كل منها الآخر الشرقي أو المسلم في مقابل الأنا الأوروبي على طرفي نقيض في مختلف جوانب الحياة، فمثلا تم النظر إلى الشرقي على أنه متخلف وحشي في

مقابل الغربي المتقدم المتحضر، أو على أنه جاهل فقير في مواجهة الغربي المتعلم الثري، أو على أنه داكن ضعيف في مقابل الغربي الأبيض القوي.

3. وقفت المؤسسات الاستعمارية خلف التقسيم الثنائي السابق لدعمه سياسيا واقتصاديا وثقافيا على أرض الواقع من خلال مساعيها لربط الشرق –بما في ذلك العالم الإسلامي– بأوروبا من خلال روابط مؤسساتية استعمارية تضمن بقاء الشرق الطرف الأضعف على طول الخط في علاقته بالإمبراطوريات الأوروبية. ولذا سعى الاستعمار لتكريس استغلاله واستنزافه الاقتصادي للشرق، وإضعاف اللغات والأديان والثقافات الشرقية الأصلية، ومحاربة ظهور الحركات السياسية والاجتماعية الوطنية في الشرق والعالم الإسلامي على مدار عقود الاستعمار.

4. وقف الغرب موقفا منزعجا ومتشددا وأحيانا انتقاميا تجاه الجماعات الشرقية أو المسلمة التي خرجت عن التقسيم الثنائي السابق وحاولت امتلاك أدوات القوة الغربية مثل اللغة وقوة الاقتصاد وفهم السياسة والقانون وأساليب العمل الإعلامي للتقريب بين مواقف المجتمعات الشرقية المستضعفة والغرب المستعمر.

5. النظرة السابقة لعبت دورا مزدوجا خطيرا في تشكيل صورة الإسلام والمسلمين لدى الغرب: الأول تشويه هذه الصورة، والثاني تبرير الاستعمار الأوروبي واستنزاف أوروبا المنظم لثروات الشرق والعالم الإسلامي تحت عنوان تحريره ومساعدته على الرقي والتحضر.(وهل يذكرنا هذا بعراقنا الحالي!)

– هل شاركنا في التشويه؟!

إن وضعنا كفتي ميزان معتدلة بين أعيننا فسنرى في مقابل كل تقدم من طرفهم تراجع من طرفنا لا مواجهة سريعة ونبذ لتلك الأخطاء التي أودت بصورتنا عالمياً..

وكما قال الأستاذ علاء بيومي مدير الشؤون العربية بمجلس العلاقات الإسلامية الأميركية (كير):

(إن الخلفية الثقافية والحضارية لصورة الإسلام في الولايات المتحدة ليست السبب الوحيد لما يشوب علاقة أميركا بالعالم الإسلامي في الفترة الحالية من توتر، فهناك عوامل أخرى عديدة تساهم في ذلك من بينها التصرفات المشينة التي تقوم بها بعض الأطراف المسلمة أو الأميركية ضد الطرف الآخر، وتراث الأفكار النمطية السلبية

التي يمتلكها كل طرف عن الآخر، ودور المصالح المادية في إشعال الخلاف بين الطرفين.)

***

الجاليات الإسلامية والعربية (هناك) ما الذي يجري؟!

الجاليات المسلمة في العالم ما بين السلب والإيجاب:

- يبدو أن هناك حالياً عوامل تتحكم في التعامل السلبي للغرب مع الجاليات الإسلامية وأبنائها . رغم تفاوت ذلك من دولة إلى أخرى . ويمكن الإشارة إلى بعضها فيما يلي :

*من يدفع الثمن؟

إن الحكم المسبق على الإسلام؛ والاعتماد على الروايات الشاذة لدعم الأفكار الخاطئة التي تجعل الإسلام في موضع الإدانة كل ذلك عمل على تكريس تلك الصورة القاتمة التي نراها اليوم.

والتي يدفع ثمنها الجاليات المسلمة خارج نطاق العالم الإسلامي.

وعلى الرغم من أن بعض الدول الأوروبية قد خطت خطوات مهمة باعترافها بالإسلام، وتم بالفعل في بعض الدول الأخرى إعطاء حقوق مدنية للمهاجرين.

فإنه لا تزال هناك عراقيل ومعوقات كثيرة لتطبيق ذلك في باقي دول العالم.

كما أن هناك استمراراً في اعتبار بعض المظاهر الإسلامية، كالحجاب مثلاً، رمزاً للتعصب والتحجر الفكري، وهناك من يرفض السماح بدراسة المحجبات بدعوى الحفاظ على مبادئ علمانية المدرسة الأوروبية.

كما أن نظرات الآخر تحاصره في كل مكان، وفي بعض الأحيان تقترن بالإذلال والكراهية والعنصرية المكشوفة.

* أشقائنا في مواجهة الآخر..في أي الاتجاهات يسيرون؟!

- الآثار المترتبة على التوجه الإعلامي الشديد اللهجة تجاه المسلمين:

إن طريقة نقل وسائل الإعلام العالمية للأحداث التي تجري في العالم الإسلامي وخصوصاً متابعتها لبعض الخلافات والحروب، تخلف آثاراً واضحة على تعامل الآخر مع المسلمين هناك.

فغالباً ما يعيش العالم اليوم تحت تأثير كابوس الخوف الذي يثيره اهتمام الإعلام الغربي بظاهرة التشدد والتطرف المرتبط بـ(الإسلام) ووصفها بأنها أخطر ما يتهدد قيم الغرب المعاصر.

– الآثار المترتبة على صورة العربي المسلم في المناهج الدراسية في العالم:

العربي المسلم خارج حدود أرضه مغترب شاء أم أبى..فالغربة حقيقة لا مفر منها.. إلا أن هذا الإحساس الذي يصاحبها لا يمنع من أن ذلك الفرد يمارس حياته بكافة مناشطها..ينجح ويخفق..

ينتمي للمكان،يألف الصحبة، يحسن السباحة في محيطه الجديد،يجلس بجانب الآخر على ذات المقعد ويتلقى التعليم نفسه. ويسمع ويقرأ صورته بأعينهم..

فالنظرة له من قبل مجتمعه المدرسي لاشك تترك أثراً عميقاً يتدخل في انتمائه ومغالطات في تكوين هويته الإسلامية والعربية بل ربما تجاوزت ذلك في تذبذب قناعته تجاه دينه وهويته.

* دور الجالية الإسلامية في الإساءة إلى صورة الإسلام في العالم :

وهنا لا بد من التأكيد على أنه تحت تأثير الغربة والتهميش ساهم بعض أفراد الجالية المسلمة أنفسهم في الإساءة إلى صورة الإسلام بالغرب.

ويمكن الإشارة إلى أهم السلبيات في هذا الباب :

ـ استغلال العاطفة الدينية القوية لدى الشباب الذين يبحثون عن انتمائهم، لإثارة مشاعر التعصب والتطرف لديهم.

ـ تعدد المرجعيات الدينية التي تتجاذب بعض القيادات الإسلامية وتؤدي إلى صراعات وقلاقل لا تخدم في شيء صورة الإسلام بالغرب.

ـ استغلال المناخ الملائم للعمل السياسي بالغرب، وتسخير الإسلام لخدمة أهداف سياسية ومصلحية زائلة.

*ماذا عن الصورة الإيجابية التي رسموها هناك؟!

قطعاً هناك نماذج يفخر لصداها كل نبض مسلم عربي..

وهي السند الذي مازالت صورتنا في العالم تحاول الاستناد عليه..

ولكن علينا تدعيم ذلك (السند) لكيلا يحترق (الغصن) الذي سنزرع بفضله إن شاء خالقنا..

مروجاً إسلامية وعربية يتغنى بمرآها العالم أجمع..

إن دعمنا لأشقائنا وتواصلنا معهم لاشك يمهد الطرق للوصول للهدف.

***

(نحن) في مناهجهم!

(المصـ)در،(المصـ)داقية..

كلمتان اجتماعهما مطلب في توثيق المعلومات التي تقدم في المناهج الدراسية أياً كانت الأرض ولكنهما أضحيا مجرد كلمتين تربطهما بدايات الحروف فحسب.!

أين؟!

هذا ما يتضح في بعض المناهج لدول مختلفة حول العالم..

ولنكن أكثر وضوحاً فالإسلام،المسلمين والمجتمعات العربية مادة تفتقد للمصدر (الموثوق) في تلك المناهج..

لماذا؟!

(من جانبهم):

تشكل كتب المستشرقين رغم إغفالها للحياد العلمي المصدر الرئيسي إن لم يكن الرسمي في إعداد المناهج خارج نطاق العالم الإسلامي والعربي على أفضل تقدير!

ويمتد بنا إدوارد سعيد إلى جذور الاستشراق قائلاً في كتابه "الاستشراق":

(أن معرفة الغرب للإسلام في هذه المرحلة كانت بغرض السيطرة عليه وليس فهمه، وأن عمليه المعرفة هذه تمت بشكل منظم نسبيا تعاونت فيه مؤسسات الفكر والمعرفة الأوروبية تعاونا وثيقا مع مؤسسات الاستعمار الأوروبية الرسمية بهدف مدها بالمعرفة اللازمة للسيطرة على المجتمعات المستعمرة.)

(من جانبنا):

أين هي المراجع الإسلامية التي تحاور الطرف الآخر؟!

وأين المسلمين أصحاب (القلم،الفكر،التأريخ والحقيقة) ليمنحوا العالم مصدراً (أصيلاً).

وليضيفوا بلون التوثيق بريق الحقيقة في صورة الإسلام بين دفتي كتاب.

ولن نغفل عن أن المناهج العربية تحظى بنصيب الأسد بالقصور الشديد في إعداد الفرد لفهم الآخر.

وللحقيقة أيضاً جانب:

إن صورة الإسلام في المناهج حول العالم تتفاوت بين اعتدال وبين تشويه بين حقيقة وبين افتراء تبعا لعوامل شتى منها ضعف الجالية الإسلامية ومدى قوة اللوبي الصهيوني داخلها ولا شك مصالح الدولة أولاً وأخيراً!

جولة مع (صورتنا) في المناهج الدراسية حول العالم :

*البرازيل:

يوجد في المناهج الدراسية ما يقارب من أربع إلى خمس صفحات تقدم معلومات خاصة عن الإسلام .

يركزون فيها على قضايا المرأة وإجبارها على الزواج من قبل ولي أمرها و تحكمه في مهرها.

حتى إن بعض الكتب تتحدث عن أن المرأة في الإسلام ليست بشرا!

و لا يوجد لها روح وبعضها يتحدث عن مكة وأن الذي بناها هو محمد صلى الله عليه وسلم وبعض من صناديد العرب!

وخصص كتاب الأدب البرازيلي للصف السادس درسا كاملا عن الإسلام بعنوان " الإسلام اليوم" "ص132" ومن أهم ما قالوه عن الإسلام في هذا الدرس:

"إن الإسلام دين مهم على الأرض العربية ...وإن المسلمين ليسوا من العرب فقط فهناك مسلمون في آسيا وأوروبا وأفريقيا ومصر وباكستان وتركيا. والإسلام الذي أسسه محمد هو الأكثر انتشارا في العالم اليوم".

وهنا تتضح الرؤية لأساسيات الفهم للإسلام في المناهج البرازيلية ولكن لابد من أخطاء تيكمها المصدر الغير موثوق كما يحكمها الفهم الخاطئ لحيثيات المعلومة وإن كانت صحيحة.

فمن أهم المسائل التي يحتج عليها الغرب –كما يقول الكتاب–:

التعصب والمعاملة السيئة للمرأة مثل: إجبارها على الحجاب.

منعها من المشاركة مع أي نشاط مع الأجانب من الرجال.
في حالة السفر يحتجن إلى الإذن من الأب أو الزوج.
يستعملن مداخل مخصصة لهن في البيوت.
عند المرض يجب عليهن الذهاب إلى طبيبة.
معرضات للرجم في حالة الزنا.
وهذه المعاملة التي تعامل بها المرأة – كما يقول الكتاب– تستحق الثورة لأنها تجرح الحقوق الأساسية للإنسان ولا نستطيع أن نقول أن هذه المعاملة موجودة في كل البلاد الإسلامية.
*كوريا:
تتسم المناهج الكورية باعتدال الصورة إلى حد كبير..وتعرض المناهج الدراسية أصل الإسلام وكيف بدأت الدعوة الإسلامية على يد النبي صلى الله عليه وسلم "محمد".
وتعرض الأحداث بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حيث اختار العرب خليفة لهم من أتباعه ويتمتع الخليفة بسلطات سياسية ودينيه قويه ومدد واسع من النفوذ الإسلامي من خلال قتال غير المسلمين ومن خلال الفتوحات السلمية .
ولم يجبر المسلمون أي خاضع لهم (ضحية) على تغيير ديانته مادام التزم بدفع الجزية (الضرائب).
بشكل عام معظم الكوريين لا يعرفون الإسلام على النحو الصحيح..
يعرفون أن المسلمين يؤمنون بالله وإن لم يعرفوا معنى كلمة " الله" ويعتقد الكوريون أن "الله" إله مختلف.. والمسيحيون منهم يعتقدون أن محمد مؤسس دين الإسلام!ولا يعرفون حتى كلمة"رسول الله". ويعتقدون أن المسيح هو الرب وممثل الرب باعتباره في رأيهم ابن الله..
والبعض يفهم الإسلام على أنه: " يد ترفع القرآن وأخرى تمسك السيف"..(!)
ألمانيا:
, Verlag Moritz Diesterweg 8/7Kursbuch Religion,Neuausgabe
1991Verlag, Frankfurt ammain, أحد كتب مادة التربية الدينية المقررة على الصفين السابع والثامن في إحدى الولايات الألمانية..

يعـرض الإسـلام علـى أن " كـل مسـلم مكلـف بمقاتلـة أعـداء الإسـلام، الـذين لا ينصاعون للقرآن، تبعا لمبدأ الجهاد ، حتى تكون كلمة الله هي العليا، وحتى يمكن تحقيق الهدف السياسي المتمثل في جمع المسلمين العرب في دولة واحدة"

ومن المعلومات الساذجة اعتبار أن "أهداف الحج هي تقبيل الحجر الأسود والحق في ارتداء عمامة خضراء أو حمل لقب حاج كما أن موسم الحج ينتهي بوجبة فاخرة في مكان تدعى (ميكا)"!

وفـي كتـاب آخـر اسـمه: Lesehefie Ethik, Wertc und Normen, Philossophie Islam; Prof. Dr. Dr.Peter Antes und Manfred 1990.Aufl., 1Popperl, Ernst Klett Verlag, Stuttgart,.

نرى الكاتب يسوق في ص10 حوارا في منتهى السخف بين ألماني وبين شابة تركية عفيفة ترتدي الحجاب وتلتزم بخلق الإسلام، يحاول فيه الألماني إقناعها بأن الحجاب دليل على التخلف، وقمع الرجل للمرأة، وأنه يحرمها من الذهاب إلى السينما وحياة الشباب.

والكتاب ينسب إلى طائفة الأحمدية التي يعتبرها إحدى طوائف الإسلام،كما يتوجب الإيمان " برسل الله كلهم، نوح وإبراهيم، وموسى وعيسى وبوذا وكريشنا ومحمد"؟!

وأخيرا نجد في كتاب: Lehreband Cawer 8/7Kursbuch Religion , 1999Verlag, Stuttgart, Dicsterweg Verlag, Frankfurt a. M.,.

وهو يختلف عن غيره، لأنه كتاب المعلم، بحيث نتعرف على ما يجب على المعلم تحقيقه في الدرس، لنجد تأكيد فكرة انتشرت أخيرا في ألمانيا، وهي " لا وجود لإسلام واحد، بل هناك أنماط كثيرة لهذا الدين، تختلف عن بعضها البعض بشدة". وتحذير المعلم من تأكيد أن "إلهنا وإلهكم واحد" لان المسلمين لا يقبلون بذلك، ويعتبرون هذا القول إهانة للذات الإلهية؟

وزعم –الكتاب– أن للشيخ في المسجد مكانة لا تسمح لأحد أن يعترض على تفسيره للآيات القرآنية!

وأشار إلى أهميه الصلاة بالقول" إن محمدا طالما شدد على ذلك بقوله أقيموا الصلاة في القرآن"

وهنا يتضح لنا الخلط إن لم يكن التجاهل بأن القرآن ليس من عند الله (سبحانه وتعالى)!

روسيا:

كان العرض السوفيتي للتاريخ وللمسلمين قريب من الموضوعية خاصة في تناوله للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، ولكن حين انتهى العهد السوفيتي أصبح الإعلام روسيا تحت سيطرة شبه كاملة للوبي الصهيوني ونجد هذه الصورة جلية في المناهج الدراسية والتربوية في المدارس الروسية، وخصوصا في كتب التاريخ، وبالرغم من وجود مؤرخين و مربيين حافظوا على قدر من الموضوعية إلا أن الغلبة كانت للتيار المنحاز الذي غدت كلمة "عربي" أو "مسلم" صنوا للتخلف والتزمت وممارسة العنف والإرهاب.

ويقر مكسيم براندت مؤلف كتاب " تاريخ القرون الوسطى" للصف السادس بأهمية رسالة التوحيد ودورها في نقل العرب من حال الجاهلية ودركها إلى حال زاهرة لاحقا. إلا أن كتاب يكاترينا اغيبالوفا وغريغوري دونسكوي عن المرحلة ذاتها يحفل بالمغالطات وإخفاء الحقائق . إذ أن المؤلفين يحاولان (ص72–73) اعتماد مبدأ "التبسيط الافتراضي" إن صح التعبير فيقولان: إن الإسلام " يعد المؤمنين بالشبع والمرح" في الجنة ويتوعد الكفار بـ " نار جهنم" ، وفي مكان آخر يزعمان " أن الإسلام يدعو إلى محاربة أبناء الديانات الأخرى" من دون كلمة واحدة كما ورد في القرآن عن احترام أهل الكتاب. ويزعم الكاتبان أن أهل السنة يختلفون عن الشيعة في كونهم" يعتقدون بوجود كتابين مقدسين هما القرآن والسنة".

ويحمل المؤلف العرب مسؤولية " السعي لتدمير دولة إسرائيل" ويرى أن ذلك سببا لاندلاع حرب 1948م التي قال : إن إسرائيل في أثرها " وسّعت بعض الشيء أراضيها!!" فالتلميذ سيعتقد أن الحديث يدور عن بضعة دونمات تم "غنمها" عقابا للعرب " المعتدين" ويظل جاهلا بان إسرائيل كادت تضاعف مساحة الأرض التي تحتلها.

وهكذا تتكون ملامح صورة العربي: الثري المتخلف والجاهل البعيد عن المدينة والطارئ على الحضارة، وتزداد الصورة قتامة عند مقارنتها بخصوم العرب من

المستعمرين البريطانيين والفرنسيين الذين سعوا إلى "تمدين" المنطقة ولكنهم جوبهوا بـ" الجحود".

الهند:

أصدرت منظمة R.S.S (منظمة الخدمات القومية الهندوسية المتطرفة) عدة مؤلفات منها:

"سيدات المغول"، "تراث الحكم المسلم" و "نظم الحكم الإسلامي". وكانت عامرة بالمغالطات!

وأضحت هذه المؤلفات مصدرا أساسيا لواضعي المناهج الدراسية للمدارس الحكومية من قبل الوزارة أو المجلس القومي للبحث والتربية.

ومن النماذج التي تعكس صورة العرب والمسلمين في تلك الكتب :

- كتاب باللغة الهندية ذكر أن الرسول –محمد صلى الله عليه وسلم- حينما بعث كان عمره 48 سنة، والكلمات والنصائح التي كان يوجهها الرسول إلى أتباعه سجلوها ثم جعلوها صحيفة سموها "القرآن"

- وفي كتاب التاريخ لتعليم الثانوية، جاء فيه أن محمدا –صلى الله عليه وسلم- فر من مكة إلى المدينة

خوفا، فجعله (فرارا) وليس هجرة، وتلك إهانة وخسة.

- وورد في كتاب آخر في التاريخ لتعليم المتوسط: أن السلطان أورنك زيب (الذي عده الأستاذ علي الطنطاوي رحمه الله خامس الخلفاء الراشدين) جاء بأعمال معادية للهنادك. واتهموه بأنه قطع جسم أحد البراهمة "كوكل" إربا إربا، و أجبر أسرته لاعتناق الإسلام!

وكذلك أمر بقتل زعيم السيخ "كو بند سنكه" لأنه رفض أن يدخل الإسلام!

وأصدر أمره بأن يبلط ابناه بالجدران لعدم اعتناقهما الإسلام.

وبسبب هذه الإساءة إلى الشعب الهندي عامة والمسلمين خاصة، اجتمع المفكرون وأعضاء هيئة التدريس في المدارس والكليات والجامعات وأيدهم رجال الدين والمحركات الثقافية والتعليمية من المسلمين والبوذيين والمسيحيين والسيخ وغيرهم،

وقدموا احتجاجهم الشديد وأصدروا قرارات رفعوها إلى وزارة التعليم والحكومة، ولم يعودوا إلا بالوعود بالتفكير!

إيطاليا:

تقول الدكتورة كورسيللي– والتي قضت فترة تقترب من عشرين عاما في تدريس المناهج المقررة على الطلاب الإيطاليين في المدرسة الإيطالية بالقاهرة– عن صورة الشخصية العربية: "إنها بصفة عامة تقدم بشكل سيء، وأن الانطباع العام الذي يمكن أن يخرج به الطالب من المناهج المدرسية هو أن العربي شخص متخلف حضاريا، وبعيد كل البعد عن أنماط التفكير الحديثة".

وتضيف أن المناهج الثابتة مثل التاريخ والجغرافيا، فهي تحتاج إلى تحديث، فلا تزال هذه الكتب تتحدث عن الصحراء وسكانها من البدو والحياة البدائية التي يعيشونها، متجاهلة ما طرأ على هذه الحياة من تقدم في جميع المجالات، وخصوصا في مجالات يعمل فيها الإيطاليون أنفسهم، مثل: البترول والكيماويات.

وتقول: يمكن أن نلحظ تقدما في المعالجة الغربية للمجتمع العربي، فمن قبل كان ينظر إليه من المنظور الاقتصادي فقط، باعتباره رجل بترول ثريا ماليا متخلفا فكريا وحضاريا، أما الآن فهناك اتجاه لفهم التكوين الثقافي العربي ولدراسة اللغة العربية، وهناك أقسام للغة العربية في الجامعات الأوروبية حاليا، كما أن هناك جماعات من منظمات ومدارس وكليات تأتي لدراسة اللغة العربية في البلاد العربية. وكل هذا يصب في محاولة فهم العرب على نحو أفضل. ويمكن القول إن الثقافة أصبحت قبل الاقتصاد كمنظور للرؤية الأوروبية للعرب حاليا.

أسبانيا:

في مناهج التعليم الأساسي القديم في أسبانيا، كان يعرف الإسلام بما يلي: "هو الدين الذي ابتدعه محمد، يسمح بتعدد الأزواج ويأمر بقتل غير المسلمين، ويحرم الخمر والخنزير، لأن محمدا كان ثملا ذات يوم فعضه الخنزير، ولما استفاق حرم الخمر والخنزير معا"

من أكثر الأمثلة بشاعة حينها ما ورد في قاموس Tcsoro de la Lengua Castellana

يعرف القرآن بما يلي: "هو ذاك الكتاب اللعين المليء بالسخافات الذي ألفه محمد بمساعدة الأريسي الكافر يحيى الأنطاكي وعالم الرياضيات اليهودي أشكول! وهذا ما يجمع عليه المؤرخون الذين تناولوا حياة ذاك الشرير الفاسد المسمى (محمد)".
وحدث التغير والتصحيح الذي لم يصل بعد لبقية مناهج العالم..
حيث كانت المناهج المدرسية القديمة تذكر أن القرآن :"لاُ يعرف على وجه الدقة إن كان محمد مؤلفه أو ناقله"،وأن "النسخة المعتمدة هي من عمل سكرتيره زيد بن ثابت".
أما الآن فإن المناهج الحديثة تتحدث عن القرآن الكريم بموضوعية من حيث إنه كتاب المسلمين المقدس، وعن بدء الوحي، وجمع القرآن، وتقسيم نزوله....
لم تعد الأوصاف القذعية ترى في كتب المناهج الدراسية عن محمد –صلى الله عليه وسلم– مثل: "المجنون، الذي ظن أنه تلقى وحيا من السماء، والذي ألف القرآن" بل حلت محلها أوصاف جديدة مثل: "الداعي إلى المثل الأخلاقية، الذي أوجد مدرسة متوافقة مع العقلية العربية".
– أما بالنسبة للجهاد، فقد قيل: "الحرب المقدسة هي أهم ما يأمر به الدين المحمدي"، فما زال التعريف للجهاد هو الأمر الوحيد الذي لم ينله تطوير المناهج الدراسية الإسبانية، وسبب ذلك هو أن العقلية الغربية تفرق بين الدين والدولة، فالدولة من حقها شن الحروب، أما الدين فلا.
فرنسا:
لا تفرق نصوص الكتب المدرسية في كتب القراءة الفرنسية في المرحلة الابتدائية بين مفردتي: "البدو" و"العرب" وتستخدمها بغير تمييز للدلالة على الشخصيات نفسها. وتتسم شخصيات "العرب"أو"البدو" في القصص بطابع الدونية إذا كانوا تابعين، أو بطابع عدائي إذا نجحوا في الهرب من نطاق نفوذ الشخصيات الفرنسية. ويبدو نقص الشخصيات العربية أو البدوية خلقيا وعقليا واقتصاديا ومهنيا حينما يتم مقارنتهم بصفات أو أدوار لشخصيات فرنسية في هذه القصص أو الكتب.
إن الصورة التي يمكن استخلاصها للعرب من تحليل كتب القراءة للمرحلة الابتدائية تولد لدى التلاميذ صورة مزيفة عن الآخرين وعن أنفسهم، فهي توحي للتلاميذ

الفرنسيين اقتباسا من الماضي بإحساس التفوق الطبيعي، كما توحي للتلاميذ من ذوي الأصل العربي بإحساس سلبي ناشئ عن تحقير شأنهم وتشويه صورتهم.

وتصف كتب التاريخ الفرنسية أداء أوائل الأبطال الوطنيين الفرنسيين بالدفاعي البطولي المنتصر، بينما تميز العرب بمجموعة من الأفعال المعبرة عن التوسع أو العدوان.

أما كتب التاريخ الفرنسية للمرحلة الثانوية، فتتفق على تقديم مضمون الوحي الإسلامي والمبادئ الأساسية للإسلام، وتخصص لها مكانا مهما، ولكن لا يذهب أي كتاب إلى أبعد من هذا التقديم الشكلي للدين الإسلامي

ويجدر الإشارة إلى أن الكتب المدرسية للجمهورية الفرنسية الثالثة (1914–1870 م) كانت تصف الإسلام بأنه "دين مسخ ابتكره محمد الذي ادعى أنه نبي", لكن الكتب المدرسية الحالية تبدي احتراما أكبر للإسلام وتقدمه على اعتبار أنه دين توحيدي عالمي.

أمريكا:

رصدت اللجنة العربية لمكافحة التمييز (ADC) مجموعة من الصور النمطية السلبية الموجودة داخل مناهج التعليم الأمريكية عن المسلمين والعرب.

وقد قسمت اللجنة صور المسلمين والعرب النمطية السلبية إلى سبع مجموعات رئيسة، وهي:

– أولا: الصور النمطية العامة، وتصف هذه المجموعة العرب جميعا بأنهم "راكبو جمال"، "يضعون نشافات على رؤوسهم"، "عبيد الرمال"، "كل العرب مسلمون وكل المسلمين عرب"، "القبيلة"، "البدو"، "الواحة"، "الجمال"، "الصحراء"، "الحريم"، "الشيخ".

– ثانيا: صور نمطية عن العالم العربي، وتصور هذه المجموعة العالم العربي على أنه "ساحة تنافس يعيش فيها الأبطال الغربيون مغامراتهم العاطفية"، "ألف ليلة وليلة"، "الجن"، "البساط السحري"، "الأميرات"، "وزير شرير ظالم".

– ثالثا: صورة نمطية عن المسلمين، وتصور هذه المجموعة المسلمين على أنهم "سفاحون"، "إرهابيون"، "محاربون"، "مضطهدون للمرأة"، "الجهاد"، "الحرب المقدسة".

– رابعا: صور نمطية عن الفلسطينيين، وتصور هذه المجموعة الفلسطينيين على أنهم "يحاولون تدمير إسرائيل وإغراقها في البحر"، "مفجرو طائرات"، "إرهابيون".
– خامسا: صورة العرب الصالحين، وهؤلاء ينظر إليهم على أنهم "شخصيات ثانوية دونية"، "سلبيون"، "قلما يكونون أبطالا".
– سادسا: صورة الرجل العربي، وينظر له على أنه "شيخ بترول"، "ثري جدا"، "مسرف"، "يريد شراء أمريكا بماله"، "طماعون"، "غير متعلمين"، "غير أمناء"، "ديكتاتور"، "فاسد"، "عنيف"، "بربري"، "يكره اليهود والأمريكيين"، "غير عقلاني"، "عصبي المزاج"، "يخطف النساء والشقراوات الغربيات"!.
– سابعا: صورة المرأة العربية، وينظر لها على أنها "مضطهدة من الرجال العرب والمسلمين"، "حريم مترفات"، "راقصات عاريات"، "سيدات جميلات يقعن في حب الرجل الغربي الذي ينقذهن من شر الرجل العربي"!، "أسيرات منازل"، "سلبيات"، "غير متعلمات"، "بلا وجوه ولا شخصيات ولا أصوات"!.
ولكن تناول هذه الصورة النمطية لا يكفي وحده لتقديم صورة منصفة عن الجهود التي تبذلها المنظمات الأمريكية المختلفة، الخاصة منها والحكومية لمكافحة تحيز المناهج التعليمية الأمريكية ضد أبناء الجماعات العرقية والدينية المختلفة بما في ذلك المسلمون والعرب. فمن الواضح أن في الولايات المتحدة حركة كبيرة وناجحة لمكافحة التمييز ونشر التعددية الثقافية.
وقد اكتسبت هذه الحركة زخما جديدا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر خصوصا فيما يتعلق بتعاملها مع قضايا التحيز ضد المسلمين والعرب في مناهج التعليم الأمريكية. ويمكن رصد هذا الزخم على مستويين أساسيين،
أولهما: اهتمام بعض أكبر المنظمات التعليمية الأمريكية بتطوير أبحاث ومناهج وبرامج دراسية تعالج مشكلة التحيز ضد المسلمين والعرب في المناهج التعليمية الأمريكية بعد أحداث سبتمبر 2001 م.
وثانيهما: اهتمام المؤسسات التعليمية الأمريكية المختلفة على شتى المستويات اهتماما كبيرا بدراسة أحداث الحادي عشر من سبتمبر من حيث أسبابها وأبعادها وآثارها، إلى الحد الذي دفع جامعة مثل جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس

((UCLA إلى وضع 49 مادة بحثية متعلقة بهجمات سبتمبر، الأمر الذي أدى إلى زيادة اهتمام هذه المؤسسات بتدريس المواد التعليمية التي تتناول المسلمين والعرب والإسلام والعالم الإسلامي.

تقول الباحثة مارفين وينجفيلد والباحث بشرى كارمان في دراسة لهما بعنوان "المعلمون الأمريكيون والصور النمطية عن العرب":

يتعلم الطلاب المسلمون والعرب في المدارس الأمريكية العديد من الأفكار الإيجابية عن تاريخ وثقافة جماعات أخرى عديدة، ولكنهم يفتقدون هذه الخبرة التعليمية الإيجابية عند الحديث عن الحضارتين العربية والمسلمة.

وقد وجه إدوارد سعيد نقدا واسعا للمؤسسات الأكاديمية الأميركية فيما يتعلق بأسلوب دراستها للإسلام في كتابه "تغطية الإسلام.. كيف يحدد الإعلام والخبراء رؤيتنا لبقية العالم؟" الصادر عام 1997، إذ يقول إن برامج دراسات الإسلام بالجامعات الأميركية تحددها في الغالب "الضغوط المعاصرة الملحة" المسيطرة على العلاقة بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي، كما يهيمن عليها عدد من الأفكار العامة المنعزلة عن الواقع وعما يدور في العلوم الاجتماعية الأميركية الأخرى.

ويرى سعيد أن الأوضاع السابقة جعلت من "المقبول أن يقال عن الإسلام (بالجامعات الأميركية) ما لا يقبل قوله عن اليهودية أو عن الآسيويين أو عن الأفارقة، وجعلت من الممكن أن تكتب دراسات (أميركية) عن التاريخ والمجتمعات الإسلامية تتجاهل جميع المبادرات الكبرى في نظريات التفسير الاجتماعي".

اسرائيل:

قبل أن نقوم بتقديم بعض من الكتب المقررة،أردنا أن نورد بعضا مما جاء في كتاب (المرتكزات والقيم التربوية الصهيونية):

- اعتبار فلسطين والهضبة السورية (الجولان) أرضا يهودية، والأقطار العربية المحيطة بها دولا أجنبية، لا علاقة لها بفلسطين قوميا، وعقائديا، وتاريخيا.

- اعتبار العرب -أصحاب الأرض الشرعيين- محتلين في قلب وطنهم فلسطين، واعتبار الفتح الإسلامي احتلالا، وغزوا تاريخيا للأرض التي تعتبر في نظر اليهود ملكا لهم.

- تعمد إغفال التاريخ العربي، والعربي الإسلامي في فلسطين في مختلف العصور.
- الادعاء المتواصل بوجود أرض وممتلكات لليهود خارج حدود فلسطين، في حوران وجنوب الجولان وفي الأردن.
- تحميل العالم بأسره مسؤولية ما جرى لليهود دون تمييز.
- اعتبار سائر المعابد والكنائس والمساجد أماكن أثرية يهودية، بنى المسلمون والمسيحيون دور عبادتهم ومؤسساتهم على أنقاضها، زاعمين أن الحرم المقدس الشريف أقيم على أنقاض هيكل سليمان.

وفي إطار هذه المرتكزات، والأهداف التي وضعها المؤلف –بتكليف من وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية– قام عدد من المؤلفين الإسرائيليين بوضع الكتب الدراسية لمختلف المراحل. نورد بعضا منها، ومما جاء فيها:

كتاب: هذا موطني، تأليف/ ش. شكيد:

كل ما مر بالقدس ليس سوى غزوات عابرة حتى سعدت بعودتنا لتصبح عاصمة إسرائيل مرة أخرى.

شرق الأردن جزء من أرض إسرائيل.

عن طريق استخدام القوة، يتعلم العرب بسرعة كيف يحترمون الحارس اليهودي.

وأيضا كتاب: وقائع شعب إسرائيل من ظهور الإسلام حتى استقلال الولايات المتحدة، تأليف/ ب.أحياه – و– م.هرفاز:

وهذا الكتاب مقرر للصف السابع ابتدائي. ويبرز فيه الحقد على الإسلام، وتزوير التاريخ العربي، وتنتشر فيه المغالطات الصارخة.

مثلا:

اعتبار الإسلام دين المحاربين، والزعم بأن اليهود قد أثروا في العرب، وأن الإيمان الذي جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم– إنما كان استلهاما من اليهود. ويزعمون أن الرسول حاول اجتذاب اليهود إليه، فأمر أتباعه أن يتوجهوا في صلاتهم إلى القدس، وأن يصوموا يوم الغفران، وأن اليهود قابلوا ذلك بالسخرية، وعندما أدرك أنهم بعيدون عنه، غير موقفه تجاههم، وأخذ يقسو عليهم، وألغى صوم يوم الغفران، وعين صوما آخر يستمر شهرا يدعى رمضان، كما غير القبلة من القدس إلى مكة.!!!

وكتاب: علم التربية المدنية، تأليف/ شالوم أبخر، لطلاب المدارس الثانوية. والذي ورد فيه الكثير من الافتراءات على العرب، بهدف ترسيخ العداوة والحقد في نفوس الطلاب اليهود. ومن ذلك:

العرب يعدون لحرب إبادة ضد إسرائيل بحيث يقذفون بالسكان اليهود في البحر.

أغراض العرب الظاهرة والمعلن عنها ليس فقط احتلال المنطقة الإسرائيلية، بل أيضا الإبادة الشاملة للاستيطان اليهودي، لذلك فإن القتل الجماعي (المحتمل) الذي تتعرض له إسرائيل لا مثيل له في أي مكان آخر في العالم.

كما تدخل قصص الأطفال للطلبة اليهود ضمن الحرب النفسية التي تقوم بها السلطات الصهيونية لتقوية نفوس أبنائها، وتعزيز موقفها وغرس روح العداء والتفوق والاستعلاء في نفوس الأطفال.

لذا فقد عمدت السلطات الإسرائيلية إلى إصدار سلاسل من القصص لتحقيق غايتها. ومنها: سلسلة قصص "داني دين". وهو شخصية أسطورية، خارقة، متفوقة قادرة على هزيمة العرب مهما كانت قدرتهم العسكرية.

وقد سأل البروفيسور (اديركوهين –أستاذ آداب الأطفال بجامعة تل أبيب) بعض الأطفال الإسرائيليين عن نوايا العرب تجاههم، فجاءت غالبية العبارات كالتالي "العرب يريدون قتلنا واحتلال مدننا وإلقاءنا في البحر" وهي العبارات التي انعكست وظيفيا في سلوك الأطفال الإسرائيليين في تعبيرهم عن الرغبة في التخلص من وجود العرب في فلسطين باعتباره وجودا لأجانب خطيرين يجب التخلص منهم، أولا إثباتا للحق اليهودي في الأرض، وثانيا لتجنب الخطر العربي.

===============

#لقاء الشيخ سلمان العودة مع موقع الساخر الإلكتروني

الاسلام اليوم – خاص 1424/1/3

2003/03/06

أيها الأحبة !

الإسلام من أقوى الأديان حضوراً نعم! ففي كل ناحية من وسائل الإعلام نجد حديثاً عن الإسلام بغض النظر عن هويته وهدفه . سواء كان يهودياً أو مسيحياً . بالشتم

تارة وبالتحذير أخرى أو بالتخطيط والتكتل؛ لكن هذا مؤشر قوي لفعالية هذا الدين وقوة حضوره.

ولا شك أن الكثيرين فقدوا حيادهم المزعوم أمام المدّ الإسلامي وأصبح عندهم قراءة ومناقشة انتقائية إقصائية كالحة الوجه .

ـ لكن الحقيقة المرّة – أيضاً – أننا نحتاج إلى يقظة نتغلب بها على حالة العجز الإسلامي عن استثمار التقنية الإعلامية لطرح بديل إسلامي في خضم سيل الأطروحات الزائفة التي يزعمها الآخرون.

ولعمري! إذا كنا غير قادرين على مخاطبة أنفسنا بشكل صحيح . وهذا واقع . فكيف سنخاطب الآخرين ؟! هل رأيتم فاقداً لشيء يعطيه لغيره !

بإمكاننا . أيها الأخوة . أن نصنع كثيراً لهذا الدين كلٌ بحسب إمكانياته وطاقاته. ونستفيد من رغبة العالم القوية في سماع أو معرفة أي شيء عن هذا الدين.

بإمكاننا توضيح أن هذا الدين جاء ليعزز جوانب الحق في الأديان الأخرى ويمحو ما بها من باطل)وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ((المائدة: من الآية48)

بإمكاننا أن نثبت للعالم أن في ديننا جانباً إنسانياً يصنع الحضارة والتاريخ ويقوم بأكبر المنجزات ولا يضعها عائقاً أمام التحديث والإبداع.

بإمكاننا . أيها الإخوة . أن نعالج قضايانا المصيرية إذا حاولنا أن نفرغ من نزاعاتنا البينية .

ـ البعض منا لا يحسن الإبداع إلا في خلق مشكلات وهمية ما إن ينتهي من مناقشتها حتى يعيد تصنيعها ليعالجها مرة أخرى؛ مما يغيّبه عن مشكلاتنا الجادة التي تستحق منا المعالجة الحقيقية لا الوهمية.

. متى يأتي اليوم الذي نستطيع أن نقول فيه بصدق: هذا هو الإسلام.

سؤال:منهجية التغيير هل تبدأ بتغيير الواقع الذي يظهر على سلوكيات وتصرف الأفراد والمؤسسات؟؟ أم نحن بحاجة إلى تغيير الأفكار والرؤى والتي على ضوئها تتغير سلوكيات البشر.؟

لا شك أن الأمة تمر بأزمة... فهل ترى أن التركيز على بيان سلبيات المجتمع في الخطب والدروس والمحاضرات مع إغفال الجوانب الإيجابية وعدم تبصير الناس بها يؤدي إلى إضعاف الهمم وإحباط العاملين في حقل الدعوة..؟؟ وما الطريق الأمثل في نظركم هل هو البدء بتغيير السلبيات والاهتمام بها أم نشر الخير وزيادة العناصر الإيجابية باعتبار ذلك كفيلا بطمس السلبيات دون التركيز عليها مباشرة؟؟

جواب:. بلا شك؛ أن فكرة التغيير هي من الإشكالات عند البعض. ذلك لأننا نتخيل أن مستقبل هذا الدين لن يتحقق إلا بصعود قوى عظمى تمثل الإسلام وهبوط قوى تعاند الإسلام كأمريكا مثلاً. وكأن مستقبل الإسلام لن يتحقق إلا بهذه الصورة التي ربما تكون بعيدة والتي تحتاج إلى أمد بعيد يحتاج إلى: صبر ومجاهدة !

ـ كذلك الذي ينظر إلى حال العالم الإسلامي اليوم وتفوق الغرب عليه من الناحية التقنية وأنه أصبح هو الهدف للغرب ولا حليف أو نصير له – قد يصاب بحالة يأس أو قنوط أو إحباط .

عموما: علينا أن ندرك – تماماً – أن ثمة شروطاً وأسباباً إذا عملنا بها؛ حصلنا على المراد والله تعالى (لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) .

ـ كما يجب أن نضع في أنفسنا: أن معطيات الواقع العالمي ليست كلها مسدودة بحيث يستحيل الدخول إليها؛ بل كل ما حولنا من واقع مليء بالمداخل والثغرات التي يمكن توظيفها بشكل جيد وإيجابي لمصالح الأمة والدعوة إليها.

ـ إن القدرات الذاتية للأمة والدعوة هي الفيصل الحازم في أي تغيير أو تطوير أو تحسين. وكما يقال:

حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وإذا وضعنا في أنفسنا أننا قادرون على إنتاج أي شيء؛ فهذا في حد ذاته جيد فالقوى العظمى لا تهب فجأة ولا تمشي إلى الواقع أو إلى المنصة بسرعة الصاروخ !

. وأعتقد أنه لابد من تغيير الأفكار والرؤى دون مساس بثوابت الشريعة. إذ من الخطأ أن نعتقد: أن رؤيتنا هي الصواب وأنها هي التي يجب أن تكون مشروعاً سرمدياً نلاحق من خلالها الآخرين وننظر من خلالها نظرة انتقائية إقصائية .

. ومع تغيير الأفكار والرؤى يتزامن معها تغيير السلوكيات والمعاملات على مستوى الفرد والمؤسسات.

وكما قلت ينبغي أن ننهي معاركنا الداخلية، التي يظنها البعض نوعاً من البناء والمجاهدة والتأصيل ثم نلتفت إلى مشكلاتنا الحقيقية.

دعونا نتفاءل قليلاً ونقول: إن طاقة الأمة في الاستعصاء والمقاومة لا بأس بها. وقدرتها على تجاوز الأزمات الطارئة قائمة بحمد الله؛ لكن مشكلتنا في الأزمات المقيمة المستقرة المنبعثة من داخل الأمة والتي تحتاج معها إلى تغير الرؤى والأفكار والسلوكيات. وتحتاج – أيضاً – إلى ترك النظرة الفردية والرمزية وتحويل ذلك إلى مؤسسات أممية تعنى بالشمول والواقعية.

– والاعتدال في معالجة الواقع مهم؛ فتناول السلبيات لا يجب أن يكون من حيث هي سلبيات؛ بل للتأمل فيها: أسباباً وعلاجاً. فالواقع مليء بفرص تدعو للتفاؤل ومعالجة الواقع بروح مرتفعة وعالية.

وكما قيل:

وللهِ أوس قادمون وخزرج

ومشروعنا هو مشروع الإسلام نفسه ندعو إليه غضاً طرياً بلا إفراط ولا تفريط منطلقاً من الواقع الذي نعيشه بإيجابياته وسلبياته مستوعباً لكل شرائحه التي استوعبها في زمنه الأول إيماناً أن الإسلام لكل زمان ومكان على وجه المعمورة.

سؤال:تمر الأمة بأحداث قوية بين الفترة والأخرى..، ومن المعروف سلفا أن التجارب التي تمر بها الأمة يجب أن توظفها في إحيائها من جديد.. ترى كيف يمكن لنا أن نستفيد من هذه الأحداث في بناء الوعي .؟ ماذا يجب علينا أن نفعل؟

جواب:ـ لا يخفى على أحد سقوط دعوى الغرب العريضة التي ادعى فيها: تحقيق الرفاهية للعالم . فالواقع والأحداث يكذب هذا.

وقد قيل :

ودعوى القوي كدعوى السباع ... ...

من الناب والظفر برهانها

إن الغرب يقتل ويدمر لكنه لا ينسى أن يضع على صدر الجثة لافتة بعنوان: لقد كنا في حالة دفاع عن النفس!!

ولا يخفى – أيضاً – أهداف الغرب التوسّعية التي يستثمرون فيها الأحداث ويوظفونها لصالحهم بجدارة.

أولاً: ديننا يعلمنا كيف نستفيد من كل حدث ونوظفه لخدمة هذا الدين ويعلمنا أيضاً أن الله لا يخلق شراً محضاً وأن النوازل التي تقع على هذه الأمة قد يكون فيها جوانب خير ومصلحة؛ تخفى على قوم وتبَين لآخرين وقد تظهر اليوم أو غداً.

ومن الخير أن تفتح الأحداث أبواباً من المقاومة على مستوى أفضل وعلى التوجه نحو الاهتمامات الفاضلة والمقاصد العليا بدلاً من الاسترسال وراء الجزئيات ومواطن الخلاف .

وقد كانت الآيات تنزل في مناسباتها حرباً وسلماً نصراً وهزيمة حادثة فردية أو جماعية أو أسرية أو شخصية وذلك لتربية المسلمين من خلال الحدث كما حدث في غزوة أحد وفي سورة الحشر مع اليهود.

وفي قوله تعالى: (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) تنبيه أن اليسر مع العسر وليس بعده كما يظن البعض!

ومن اليسر أن يعمل كلٌ على شاكلته في أعماله الصالحة وفي أعماله الدنيوية أيضاً وهذا لا يتنافى مع احترام الشعور بالحزن والغضب لما يجري من أحداث وهذه وصفة نبوية " إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة؛ فاستطاع أن يغرسها فليغرسها "؛ فالحياة مستمرة والدعوة قائمة والجهاد مستمر والعلم قائم والناس عاملون هذا في دنياه وهذا في أخراه وهذا في زرعه وهذا في بره وهذا في بحره وهكذا (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ)(الإسراء: من الآية84) .

ثانياً : يجب علينا الاستفادة من الأحداث باتجاه بناء الوعي ويجب أن يثمر الحدث وعياً وإدراكاً سليماً وتصوراً جيداً.

ووسائل الإعلام سلاح ذو حدين في تنمية الوعي وفي قتله وتغييبه. وكم من تصورات وخيالات تبنى في العقول لأجل خبر متغير قد لا يكون له مصداقية؛ فالمعلومات الموثقة الكاملة غير المجتزأة مهمة في بناء التصورات.

ثالثاً : يجب – أيضاً – الاستفادة من الحدث في إحياء المفاهيم الشرعية لمفهوم الولاء والبراء الولاء للمسلمين وما يترتب عليه والبراءة من الكافرين وما يترتب عليه. (إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)(الممتحنة: من الآية4).

نحن في الشدائد نحتاج إلى قيم الصبر والحلم والتلاحم والتفاؤل والبِرّ.

رابعاً : يجب الاستفادة من الأحداث بتوظيفها باتجاه الفاعلية الإيجابية ونسأل أنفسنا ما هي واجباتنا؟ وما هو الممكن منها؟ وماذا نستطيع تقديمه من هذا الممكن؟

من الأخطاء أن نتحول إلى منظرين نوزع المسؤوليات والتبعات على الآخرين؛ بل واللائمة على هذا أو ذاك من حكام وأعداء وشيطان وعلماء ومفكرين؛ لكي نخرج أنفسنا من المسؤولية نفسها وكأننا لسنا من هذه الأمة والقرآن يقول: (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ)(آل عمران: من الآية165).

خامساً: الاستفادة من الأحداث في كسر الحواجز بيننا وبين جميع شرائح الأمة؛ فلا يكون تعاملنا مع شريحة واحدة فقط نظن أنها هي الأولى بالخطاب أو المشروع الذي نفرضه.

سادساً: من أفضل أنواع استغلال الأحداث هو التنبه للقضاء على معاركنا الداخلية نزاعاً وخصاماً وتقاطعاً في كل شيء حتى في أبسط المسائل الفروعية الفقهية والتي يبني عليها البعض قناعات يقصي بها الآخرين.

ـ يجب أن نعمم روح الشورى والقضاء على النمطية الفردية ومحورية الرمز في التعامل .

ـ أخيراً يجب أن نعرف أين نحن؟ وعلى من ستدور اللعبة القادمة ؟! ولنحذر أن نكون في شباكها ونحن لا ندري!

سؤال:أرى أن الحركات الإسلامية تركز على فتح دورات لأعضائها حول الفقه والنحو .. وما إلى ذلك، وينسون المسائل الإدارية والقيادية والقرآن والحديث والفكر والاستشراق والاقتصاد الإسلامي.. فما رأيك في تشجيع الشباب على تعلم العلوم الاجتماعية بجانب العلوم الشرعية وحفظ كتب التراث؟

جواب:ذكرت أن العالم الإسلامي يملك مقومات تفوقه وإبداعه من: ثروات وعقول مفكرة وسهولة الحصول على التقنيات؛ ومع ذلك نعاني من خلل في الجانب التقني والإداري !! ولذا: من المهم تنمية هذه الجوانب الإدارية والقيادية والاجتماعية وفتح مجالاتها للشباب وتعميق الفهم فيها بالدورات والندوات ففي ذلك خير كثير.

وهناك جفوة لا مبرر لها تستوحش من هذه العلوم إما بسبب عدم الفهم لها أو بسبب ما هي عليه من الخلط!

والإسلام دين جامع تنمو في أحضان دولته كل المصالح والحقائق والعلوم ويكفي أن يكون أول خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ).

ولعل الأخ السائل يراجع المادة الصوتية المسجلة بعنوان (القراءة أولاً).

سؤال:في هذا الوقت وفي الظروف المعاصرة ما الأرجح؟ نظرية صدام الحضارات أم حوار الحضارات..وذلك وفق معطيات الأحداث التي تمر بها الأمة حاليا..؟؟

جواب:صدام الحضارات: هو عنوان الكتاب الذي ألفه المفكر الأمريكي (صموئيل هنتجتون) وتوقع فيه الصدام الحضاري بين الغرب وقوى أخرى منها الإسلام. وقد ظلت هذه الدراسة محل بحث ومناقشة منذ سنوات عدة ومن الواضح أن هناك مؤيدين للصدام بين الحضارات في كل من الغرب والعالم الإسلامي.

وهناك من يرفع شعار (صدام المصالح والسياسات) ويحتج بالحروب التي دارت بين الأوروبيين أنفسهم ودامت قروناً عدة.

وكذلك الحروب التي اندلعت داخل الحضارات (الكونفوشية) كما حدث بين الصين وفيتنام أو بين اليابان وكوريا أو بين فيتنام وكمبوديا أو بين اليابان والصين .

كما أن هناك من يرفع شعار (صدام الجهالات) كما يفعل إدوارد سعيد وقد يكون الأمر في الواقع مزيجاً من ذلك كله.

إن الإدارة الأمريكية على وجه الخصوص تخضع لابتزاز يهودي ولتأثيرات دينية يمينية علماً أن السياسة الأمريكية تجاه العالم الإسلامي وقضاياه لم تكن يوماً من الأيام إلا نموذجاً للانحياز والظلم والاستعلاء؛ ولهذا فلا غرابة أن تتفاقم مشاعر الكراهية والعداء للأمريكان في الأرض الإسلامية وكيف لا يكرهونها وهم يرون صنع يديها في فلسطين وأفغانستان والعراق ؟!

وأمريكا إذا أمعنت ستفقد الكثير إن خسائر الشركات الأمريكية بسبب المقاطعة تقارب الـ50% !

سؤال:العولمة ... مصطلح رائج في الأوساط الثقافية والإعلامية... هل العولمة حتمية... وضرر ماحق لا مصرف عنه وكيف يمكن أن نفهمها في ظل ثوابت الإسلام ؟كيف نتصدى للعولمة ؟

جواب:إن العالم بدون شك يسير باتجاه إلغاء الحدود والفواصل القائمة بين الأفراد والمجتمعات والثقافات والدول.

والعولمة ليست بالضرورة إلغاء خصوصية شعب بعينه أو أمة بعينها وذاتها الداخلية ولكنها إلغاء للحدود بين الأشياء المحلية وبين الأشياء العالمية .

إن العولمة عبارة عن دخول في منافسة شديدة بين الأمور العالمية وبين القضايا المحلية سواء كانت اقتصاداً أو ثقافة أو إعلاماً أو غير ذلك فهل لدينا القدرة على المنافسة ؟!

الذي يكتب الحل لا يلزم أن يكون هو الذي يملك الحل؛ فكثير من الإسلاميين أو الدعاة والعلماء قد يطرحون حلولاً للعالم الإسلامي تجاه هذه العولمة؛ لكن يبقى السؤال المعلق: من الذي يستطيع أن ينفذ هذه الحلول ؟!

ومن يستطيع أن يقوم بها ؟

ومن يحولها من كتابه على ورق أو تنظير فكري إلى واقع ممكن ولو كان هذا الواقع صغيراً ومتواضعاً ؟!

إن ثمة حلولاً كثيرة والإسلام نفسه له عولمته الخاصة (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء:107) (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (ص:87) والنبي – صلى الله عليه وسلم – يقول في الحديث الصحيح : " بعثت إلى الناس كافّة " ولكي نحول هذا النمط الشرعي وهذا النظام العام الإسلامي إلى حلول واقعية يحمي المسلمين على الأقل وحتى نكون أكثر واقعية يحمي بعض مكاسب المسلمين ويقلل من خسائرهم لذلك يجب :

1 . المحافظة على الثوابت الشرعية والأخلاقية لهذه الأمة.

2 . بناء التكتلات الاقتصادية سواء تكتلات دول أو شركات ضخمة .

3 . الاستفادة من آليات التحديث المعاصرة .
4 . الاستجابة للتحديات المستقبلية واستخدام الأساليب الذكية؛ من أجل الاستفادة فإن كل أزمة هي في الوقت نفسه فرصة إذا أحسن الناس استخدامها.
5 . توفير مناخ الحريات واحترام حقوق الإنسان وحقوق المرأة ومراعاة المبادئ التي تتلاقى مع الثوابت الشرعية.
6 . تحديث أنماط التفكير والنظر التي تحكم الفرد والمجتمع والجماعة في العالم الإسلامي وتربية الناس على الرؤية الصادقة المعتدلة مع إتاحة الفرصة للتعددية في الرأي إذا كانت ضمن إطار الشريعة.
7 . إزالة الحدود الخاصة بين الأفراد والجماعات والشعوب الإسلامية .

سؤال:ما نعانيه نحن رواد منتديات الشبكة من العلمانيين والليبراليين بل والملحدين أحياناً ومن أبناء جلدتنا ووطننا للأسف كيف نواجههم...؟

جواب:بل كيف السبيل للحوار معهم وهم كثيراً ما يتهكمون ويسخرون منا حتى أن البعض صار يتحرّج من مسمى سلفي أو مذهب السنة والجماعة ... هل نتركهم في افتراءاتهم وكذبهم يعمهون أم نستمر بالرد عليهم في كل شاردة وواردة ..وهي في غالبها أكاذيب وافتراءات..؟

العلمانية ليست بالضرورة: أحزاباً أو أشخاصاً؛ بل هي: نظم وأنماط سلوك واتجاهات تفكير . يعمل الغرب المنتصر على فرضها والتمكين لها .

ولا توجد منطقة دون أخرى تعتبر عصية على العلمانية خاصة إذا كانت تريد حصتها من الاقتصاد وتحاذر العزلة بأي ثمن .

ومن أخص المعارك في العصر الحديث هي معركة الإسلام والعلمانية .

والعلمانية في الأصل تقوم على: تنحية الدين عن السياسة ثم تنحية الدين عن الاقتصاد ثم عن العلم والتقنية ثم عن قيم المجتمع وأخلاقه. بل عن الحياة كلها؛ مفترضة أن هذه التنحية تطلق قوى الإبداع والعقل الحر كما يقولون!!

ـ ونحن نجد أن العلمانية – التي فرضت وجودها في معظم رقعة العالم الإسلامي وكان لها قوة سياسية وإعلامية وسلطوية وثقافية – أنها هي التي مارست طريقة التهميش والفكر الأحادي والنظرة الانتقائية وحجرت على كثير من أصحاب

الأطروحات التي لا تتفق معها بحجة الجمود أو التخلف أو الرجعية أو أي شيء آخر. ولذلك أي دعوة انطوت جوانحها على ما سبق فهي تملك مقومات سقوطها وإن ازدهرت إلى حين. هذا من ناحية.

من ناحية أخرى: لئن كان الغرب طرح مشروع العلمانية في زمن منصرم وأمكن إنجاحه في كثير من البلاد الإسلامية؛ فقد ظلت أكثر المجتمعات الإسلامية – بحمد الله – لا تعترف بالتطبيق العلماني في واقعها ولا يخفى على أحد أن كثيراً ممن طبقوا مشروع العلمانية عند الأزمات وخوف انصراف الناس عنهم يلوحون بنصوص الدين ويرفعون أعلامه (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) .

ولا يخفى على أحد الإشكالات التي تواجهها العلمانية والتي منها:

. إخفاقها حينما تتعامل مع الإنسان بوصفه إنساناً.

. ومنها أنها تنظر للإنسان أنه جزء من كل هذا الكون ولابد أن يخضع لقوانينه وهذا يعني إلغاء الإنسان فالإنسان في النموذج العلماني يبدأ في المركز وينتهي بالإعدام.

والواقع أن تقوى الله هي مصدر الرزق (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) .

ومن التقوى إشاعة الفضيلة بين عبادة والأخلاق والحكم بالشريعة وحسن التخطيط وتنسيق الجهود واستثمار الطاقات.

ومن المهم أن ننمي عندنا الوعي بالأخطار المحدقة بنا من كل جانب وضرورة التكتل العلمي وتنظيم الصفوف والتخلي عن معاركنا الوهمية التي لا تثمر إلا نكداً ونشر العلم وتحكيم الشرع على أنفسنا قبل أن نطالب به الآخرين.

سؤال:الشيخ سلمان العودة أحد أهم الذين تبنوا فكر التغيير وترشيد الصحوة، في مواجهة التحديات ..!! هل مازال العودة بقناعاته القديمة أم أن هناك تجارب غيرت من نظرته وطريقته في التغيير خصوصاً بعد فترة تجربة السجن ...؟ هل تغير الشيخ سلمان ؟

جواب:من تأمل الشريعة علم أنها بفضل الله جاءت صالحة لكل زمان ومكان وهذا يمنحنا مزيداً من الوعي والتجديد مع الحفاظ على ثوابت الشريعة وأصولها التي لا جدال فيها ولا مساومة .

وليس من الصوابية أن يجتهد أحدنا فيما يسمح فيه الشرع بالاجتهاد ثم ينزل اجتهاده منزلة الأصول والمرجعية والعصمة الشخصية بينما مجتهدو الزمن الأول المبارك قصارى قولهم عن اجتهادهم: إنه صواب يحتمل الخطأ .

ومن تأمل الأحوال الأممية للدول الكبرى الراسخة وجدها تخضع سياستها وبرامجها للتجديد والتطوير والتغيير بحسب متطلبات الموقف .

والدعوة سبيلها العمل الاجتهادي يجتهد فيها فرد أو جماعة مقابلة لأوضاع متغيرة. ولكل موقف ومرحلة زمنية عبادتها. ألا ترون أن المسلم يدعو في كل صلواته أمام ربه " (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) والمسلم في ميزان الشرع مهتدٍ لكنه يطلب المزيد من هداية العلم والتوفيق فيما اختلف فيه من حوله من السائرين إلى ربهم " اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك " .

ومن المهمات نبذ التعصب والآراء الشخصية والتقليد خاصة تقليد الإنسان لنفسه " إني والله لا أقسم على شيء فأرى غيره خيراً منه إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير ".

إن التجارب الدعوية تُحفظ لتطور وتجدد والمراجعة والتصحيح ضرورة لكل عمل .

قال الخليفة الراشد عمر لأبي موسى: ولا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس ثم بدا لك فيه أن تراجع الحق فإن الحق قديم .

وكما أسلفت: فإنه من الواجب علينا ألا نعتبر تجاربنا . خاصة التي هي محل اجتهاد ـ مشروعاً سرمدياً لا يقبل التجديد ولا التغيير على الأقل في طريقة طرحه وتسويقه وليس مضمونه . فإن الشيئين اللذين لا يقبلان التجديد ولا التغيير هما الوحيان .

سؤال:هل التغيير عبر الجهاد هو الحل الأمثل خلال الفترة القادمة..؟؟

جواب:من يتقن صناعة الحياة فإنه يتقن صناعة الموت وليس محبوباً أن يموت الخيرون ليتركوا الحياة يعبث بها الأشرار ! وعمر المسلم لا يزيده إلا خيرا فخيركم من طال عمره وحسن عمله لكن حين يترتب على موت الفرد حياة الجماعة ورفع الذل والمعاناة عن الأمة؛ تكون المصلحة أرجح. وهذه واحدة من مسائل تغليب المصالح على المفاسد لا غير .

أما مفهوم (الجهاد) فهو مفهوم حياتي واسع لا يختص بالمواجهة المسلحة مطلقاً .

وفي نصوص الكتاب الكريم نجد :
الجهاد بالقرآن (فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً) (الفرقان:52)، وهذا يعني: الدعوة والحجة والبيان والمجادلة بالحسنى .
جهاد النفس (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت:69) ؛ فيدخل في معنى الآية : مجاهدة النفس على الخير والتزكية والإيمان، وكفها عن الشر والشهوة والفتنة.
ومثله قوله تعالى : (وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (العنكبوت:6) .
3- الجهاد بالمال، وهذا يعني: صرفه في مصارف الخير المتنوعة . ويشمل ذلك: صرفه للمقاتلين في سبيل الله، وهذا ورد في عدة مواضع من القرآن الكريم .
4- الجهاد بالنفس، هذا يشمل: الأعمال الصالحة التي يقوم بها المؤمن، كالقتال المشروع في سبيل الله والتعليم والدعوة و غيرها.
ومن المدركات التاريخية المقررة: أن أكبر بلد إسلامي اليوم – من حيث عدد السكان – (إندونيسيا) دخلها الإسلام ليس عن طريق الحرب ، بل بالرسالة الأخلاقية .
وبالرغم من انحسار السلطة الإسلامية عن مناطق كثيرة حكمها الإسلام تاريخياً؛ إلا أن أهلها الأصليين ظلوا مسلمين، وحملوا رسالة الحق ودعوا إليها وتحملوا الأذى والتعذيب والظلم في سبيلها؛ كما نجده في:بلاد الشام ومصر والعراق والمغرب والقوقاز، والبلقان وأسبانيا التي أقيمت للمسلمين فيها محاكم التفتيش وهذا يدل على أن تأثير الإسلام فيهم كان أخلاقياً إقناعياً، بخلاف الاستعمار الغربي الذي أخرج بالقوة من البلاد الإسلامية ولا يتذكر الناس عنه إلا المآسي والآلام والقهر والتسلط.
إن من الخطأ الفادح أن يتصور البعض: أن كلمة الجهاد هي رديف لكلمة:(القتال) أو (الحرب) والتي لا تعني إلا جزءاً خاصاً من مفهوم الجهاد .
إن الإسلام تحت اسم الجهاد يدعو إلى حماية المجتمعات من الظلم والتسلط والدكتاتورية التي تصادر الحقوق والحريات، وتلغي نظام العدل والأخلاق وتمنع الناس من سماع الحقيقة أو اعتناقها، أو تضطهدهم في دينهم.

كما أنه تحت الاسم ذاته يسعى إلي الإيمان بالله وعبادته وتوحيده ونشر قيم الخير والفضيلة والأخلاق بالحكمة والموعظة الحسنة كما قال سبحانه (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل: من الآية125) .

كما يدعو إلى الإصلاح الاجتماعي في مقاومة الجهل والخرافة والفقر والمرض والتفرقة العنصرية .

ومن أهدافه الأساسية: حماية حقوق المستضعفين الخاصة والعامة من تسلط الأقوياء والمتنفذين .

وفي القرآن الكريم : (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً) (النساء:75) .

قال الزجاج : أي: ما لكم لا تسعون في خلاص هؤلاء المستضعفين ؟

وهذا قول ابن عباس وغيره من أئمة التفسير .

وبهذا يكون من صور الجهاد في الإسلام: مقاومة الظلم ومقارعته (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا)(النساء: من الآية75) فهو يضمن حق الأمم في مدافعة الظالمين المعتدين .

ويحرم الإسلام الظلم حتى للمخالف في الدين؛ كما قال سبحانه: (وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) (المائدة: من الآية8).

ويقول للمؤمنين في شأن قريش التي منعتهم من دخول المسجد الحرام بمكة:(وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا)(المائدة: من الآية2) والشنآن هو البغض والعداوة أي: لا تحملكم بغضاء وعداوة شعب أو أمة على أن تعتدوا عليهم أو تظلموهم وتصادروا حقوقهم .

وفي الحديث عن أنس – رضي الله عنه– عن النبي صلى الله عليه وسلم (اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب) رواه الإمام أحمد في مسنده وهو حديث صحيح الإسناد.

كما أن من صور الجهاد مقاومة الدكتاتوريات التي تريد المحافظة على الخرافة والجهل، وعدم إعطاء مساحة لقيم الإيمان بالله، والأخلاق في الحركة الاجتماعية .

الإسلام والقتال :

وفي موضوع القتال يمكن أن نرسم بعض الحقائق المهمة في التصور الإسلامي، ومن بينها ما سبق: أن الجهاد وإن كان أوسع من مفهوم القتال، فإنه يبقى من الوضوح أن نقول: إن الإسلام يعترف بالقتال حين يكون خياراً لمعالجة المشكلات أو مواجهة الظلم والعدوان والدفاع عن الحريات والحقوق الخاصة، وحين نؤكد اعتراف الإسلام بالقتال والدفاع والحرب فهذا جزء من منظومة القيم في الإسلام كما نفهمها ويمكن لكل منصف أن يدرك معقولية مثل هذا القرار في الإسلام .

لقد دخل المسلمون في تاريخهم الطويل في معارك وحروب تحت هذا المبدأ .

ومع أننا ندرك تماماً أنه: ليس ضرورياً أن ما يصنعه مجموعة من المسلمين فهو إملاء إسلامي شرعي في نظر الآخرين، وأن التاريخ الإسلامي ليس دائماً سجلاً للفضائل المحضة، ولكن دعونا نتذكر:

كم قتل المسلمون من المدنيين في القرن المنصرم ؟!

وكم قتلت الشيوعية ؟!

وكم قتلت المجموعات والدول الغربية ؟!

ومن الذي أشعل أكبر حربين عالميتين خلال نصف قرن، وجرّ إليها القريب والبعيد ؟!

إن العالم يتذكر بمرارة ضرب المدنيين بالأسلحة النووية في هيروشيما وناجازاكي، ويتذكر المجازر الدموية في البوسنة والهرسك والتباطؤ الدولي عن إيقاف نزيف الدماء هناك ولقد قتل في إندونيسيا – عام 1965م في إثر انقلاب مدعوم من الولايات المتحدة – مئات الألوف غالبهم من الفلاحين ولم تُخف الصحافة الوطنية في الولايات المتحدة اغتباطها بما يحدث كما قتل مئات الآلاف في العراق من الأطفال في ظل الحصار الدولي منذ عام 1991م.

ويشاهد العالم بعينيه ما تفعله القوة الغاشمة الإسرائيلية – المدعومة من الولايات المتحدة – بالعزّل في فلسطين الذين تحتل ديارهم وتعامل حتى مواطنيها منهم معاملة عنصرية سافرة.

وإذا كـان هـؤلاء – الـذين رسـموا فـي العصـر الحـديث مـذابح جماعيـة – يشـعرون بمبررات في داخلهم؛ فهذا يدل على عمق المشكلة الأخلاقية التي تواجه العالم.

إن الإسـلام حـين يـدعو لاعتمـاد خيـار القتـال؛ فهـذا يـأتي ضـمن نظـام يتّسـم بالدقـة والعدالـة، وإعطاء فرصـة للسـلام فهنـاك مجموعـة من الشروط ترسم نظـام القتال الذي يشرعه الإسـلام للمسلمين وهـو هنا إحدى صـور الجهاد؛ لكن من الواضـح أنـه ليس عـدوانياً علـى أحـد بـل يقـوم لحمايـة الحقـوق ونصـر المستضـعفين ومحاربـة الظلـم والتعسف ونشر قيم العدل أمام رفض مجموعات الدكتاتوريـة الانفتاح علـى الآخرين والسماح للفرد في المجتمع باختيار القيم الفاضلة .

وفي هذه الدائرة يمكن أن نفهم صورة القتال في الإسلام كنظام لنشر وحماية الحريات المدنيـة والحقوق. والمسلمون حين يشـاركون فـي هذا القتـال؛ فـإنهم يتمتعـون بعلاقـة روحية في داخلهم تجعلهم الأكثر كفاءة من الناحية المعنوية .

وإذا كان المثل يقول: إن الأخلاق تُعرف حال القوة والقدرة – وهذا في نظرنا صـحيح – فـإن الإسـلام حـال قوتـه ونفوذه كـان يرسـم قيمـاً أخلاقيـة عاليـة حتـى مـع الـذين يضطر إلى محاربتهم.

وفـي أمثلـة سـريعة يـرد أبـو عبيـدة إلـى أهـل حمـص المـال الـذي أخـذه مـنهم مقابـل الحماية؛ خشية ألا يقدر على حمايتهم، وهو يقوم بها في الوقت ذاته.

ويأمر الخليفـة عمر بن عبد العزيـز بتشكيل محكمـة ميدانيـة للنظـر فـي دعوى أهل سمرقند بعدم صـحة إجراءات الحرب، فتأمر المحكمـة الجيش الإسلامي بالانسحاب الفوري، وهكذا كان ينسحب الجيش وسط دهشة أهل المدينة وذهولهم.

وهـذه الحـرب العادلـة محكومـة وفـق الشـريعة الإسـلامية بالنظـام الأخلاقـي الـذي لا يسـمح بالتجـاوز حتـى نجـد فـي وصـية الخليفـة الأول الصـديق – رضـي الله عنـه– ليزيد: لا تقتل امرأة ولا صبياً ولا هرماً .

وكذلك كان عمر – رضـي الله عنـه – يوصـي جيشـه ويقول: لا تقتلوا امرأة ولا صبياً ولا شيخاً هِمّاً، يعني: كبيراً .

وكان أبو بكر يوصـي بعدم قتل الرهبان في الصوامع .

وقال عمر: اتقوا الله في الفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب. وهذا باب تطول قراءته ويعرف في مواضعه من كتب الفقه الإسلامي.

لقد كان لفقدان المسؤولية في تصنيف الإرهاب أثر في رفع روح التوتر ضد الولايات المتحدة ليس بين المسلمين فحسب بل حتى لدى شعوب أخرى في العالم ..

قد يبدو للأقوياء أن من السهل والمناسب إسقاط المشكلات على الضعفاء تحت مجموعة من الذرائع وهذا ما نقرؤه في اتجاه بعض الدوائر في الغرب في جعل الطرف الرئيس في مشكلة الإرهاب المسلمين وليس غيرهم .

الدين في مفهوم المسلمين :

يبقى مفهوم الدين واضحاً في عقل المسلم البسيط أنه: عبارة عن عبادة الله وتحقيق قيم الخير والعدل التي شرعها الإسلام؛ لإقامة حياة أفضل في الدنيا، وسعادة أبدية في الآخرة.

إن الدين لم يكن يوماً ما مشكلة عند المسلمين؛ لأنه مفهوم واسع يمكن أن يستوعب في رسالة الإسلام كل شؤون الحياة، ويمثل الإسلام في هذا المقام انفتاحاً واسعاً لصناعة نظام أخلاقي يمكن أن يعيش تحته الآخرون في أمن واستقرار.

الدين في الإسلام ليس قضية شخصية أو مجرد رمزية في دائرة محدودة من دوائر الحياة بل يعني: صناعة الحياة ليس للمسلمين فقط بل لكل من يكون مستعداً للسلام والعدل واحترام الحقوق، ويمكن أن نقول ببساطة إنه يعني: البحث عن السعادة والأمن والتكامل الأخلاقي.

وتحت هذا المفهوم يبقى أن المسلمين ليسوا بحاجة إلى العلمانية لسبب بسيط: أنه لا توجد مشكلة لهم مع الدين. إن الفرد في الغرب قد يفهم الدين في دائرة معينة تتعلق بالجانب التعبدي المحض بين الإنسان وبين الله؛ بينما هو في الإسلام معنى شمولي ينظم سير الحياة كلها وفق قواعد عامة وأصول مرنة، تكفل إمكانية الإفادة من الجديد في العلوم والتقنيات والتسهيلات المادية وغيرها، وتحافظ في الوقت ذاته على تميز المسلم وأنموذجه الثقافي الخاص .

نتصور أن من مشاكلنا مع الغرب: أنهم لا يفهموننا كما يجب وكما هي الحقيقة.

ومن المؤسف أن تكون مجموعات من الأسوياء في العالم تقع تحت تصوير ساذج يفتقد الأمانة في رسم هوية المسلم أو تحديد مفهوم الدين عند المسلمين .

إن من أسس الدين في الإسلام: أنه يعطي مساحة لفهم الذات واحترام المبادئ والحريات الخاصة، كما يرفض الإسلام محاولة تحويل الدين إلى أداة لتبرير الأخطاء أو صناعة العدوان .

وربما كانت مشكلة فهم كلمة (دين) وكلمة (جهاد) والربط بينهما من إشكاليات الفهم لدى بعض الغربيين.

وإذا تحقق فهم الدين بهذا المعنى الواسع وفهم الجهاد بذاك المعنى الواسع أيضاً؛ زال كثير من الالتباس في الباب.

وهكذا تحدث الانتقائية – أحياناً – في التقاط جزئية خاصة ومعالجتها كما لو كانت هي الإسلام فقط مع عزلها عن المنظومة الثقافية التي تنتمي إليها. يحدث هذا في المجال السياسي والاجتماعي والثقافي على السواء.

نلاحظ أحياناً أن بعض الدوائر في الغرب تجامل في إعلان احترام الإسلام كديانة؛ لكن لا نجد مساحة لهذا الإعلان في التعامل مع المسلمين، وكأن بعض هذه الدوائر تريد أن تفهم الإسلام كما يحلو لها !

هناك فرق بسيط هو: أن المسلم العادي يشعر أن الإسلام نظام شامل للحياة، والفرد في المسيحية لا يجد هذا الشعور بل يبقي الدين دائرة ضيقة في نظر المسيحيين، وهنا قد لا يستوعب الفرد في الغرب العلاقة عند المسلمين بين الدين والدافع الذي يحرك الإنسان في أي اتجاه في الحياة .

إن الدين يبقى في نفوس المسلمين الملاذ الآمن والأكثر فعالية لمقاومة كل أشكال التحديات .

وهنا! يمكن أن نقول للعالم كله: إن تصعيد التحدي ضد المسلمين– من قبل أي قوة في العالم – سيجعل من الصعب في الأخير أن تتمتع هذه القوة بالهدوء والاستقرار؛ لأن المسلم العادي يمكن أن يستوعب المحرك الديني في داخله لمقاومة العدوان ومن المؤكد أن هذا المحرك سيجعل من الفرد أكثر مرارة، وسيكون أكثر فعالية في صناعة الأفراد من كل أنظمة التدريب النظامية، وفي الوقت نفسه فإن المحرك

الديني سيجعل من الفرد العادي في الإسلام أنموذجاً لصناعة الخير والسلام واحترام الحقوق والحريات في ظل نظام العدالة.

والمسلمون يعلمون جميعاً أن نبيهم محمداً r نبي الرحمة ونبي الملحمة أي: القتال. والأصل في دعوته ورسالته الرحمة لكنه يتحول إلى القتال حين تقف بعض القوى في صف رفض الرحمة والأخلاق وحرمان الآخرين منها أو محاولة سلب الحقوق ومصادرة الحريات الخاصة؛ فإن الإسلام يمكن أن يعبئ في أقل من أربع وعشرين ساعة الملايين من المسلمين المستعدين للتضحية في سبيل الدفاع عن الإسلام دون أي علاقة اتصال تجري بين هؤلاء، واليوم نعلم- ونحن على ثقة في قراءتنا للعقل المسلم العادي – أن عشرات الملايين من المسلمين سيبدون استعداداً للدفاع عن فلسطين والمسجد الأقصى لو افترضنا وضع استفتاء في العالم الإسلامي، وهذه النتيجة التي نعلمها ستكون تجاوباً عفوياً مع حالة الظلم الممارسة في الأرض الفلسطينية، وهذا أحد مبادئ الإسلام التي رسمها في علاقة المسلمين بعضهم مع بعض مهما كان قدر الفوارق السياسية والاجتماعية والعرقية التي يمكن أن تختصر وتمحى بشكل مفاجئ أمام حركة الدين الروحية التي تضمن التجاوب بين المسلمين .

وحين نتحدث عن هويتنا الخاصة؛ فإن الدين يعد في الأساس عند المسلمين قيمة روحية عالية ونرى أن تعلقهم به هو الأقوى مقارنة بغيرهم لأسباب تتعلق بالإسلام ذاته، ومن السذاجة التفكير في تجريد المسلمين منها، وهذه القيمة تتجه في الأساس إلى السلام لكن يمكن أن تكون قوة مضادة لكل محاولات التعدي التي تواجه المسلمين أو مجموعات منهم .

إن المسلم الذي لا يُعطى مساحة كافية للتدين؛ معرض لردة الفعل القوية ضد من يشعر بعداوتهم له أكثر من المسلم المستقر في سلوكه أو المنتمي إلى مدرسة إسلامية أو معهد شرعي ولهذا فمن الطيش توجيه الاتهام إلى المدارس الإسلامية أو المناهج الشرعية في العالم الإسلامي وأقل ما يقال: إن العلم الشرعي يضبط العداوة وينظمها ويحافظ على أخلاقيتها وهدوئها.

سؤال:قال لي شخص غير مسلم ذات مرة بأن البحث عن الحقيقة هو أهم ما يجب على الشخص فعله في حياته فافترض كوني غير مسلم – لا سمح الله – ولم يكن لدي أي اتصال بالمسلمين فهل يمكن لي أن أسلم في حالة وقوعي في أحد الديانات الأخرى؟ ..نقطة النقاش كانت تدور حول التلقين الذي يوجد في جميع المجتمعات مما يجعل الإسلام " دين آبائنا الأولين " أكثر من كونه الحقيقة التي يجب علينا إيجادها؟ إني أجد الحيرة في الرد على مثل هذا السؤال!؟؟

جواب:لو افترض أن إنساناً نشأ في بيئة إسلامية ووجد نفسه مسلماً ؛ فهو من فضل الله عليه. ولو نشأ في بيئة كافرة لم يصلها الإسلام ووجد نفسه كافراً فهذا من عدله سبحانه وتعالى فهو الحكم العدل: (لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) (الأنبياء:23) فكون الإنسان نشأ على الكفر ولم تبلغه شرائع الإسلام هذا عدل محض من خالقه سبحانه وتعالى إذ هو عالم بما كان عليه .

لكن اختلف أهل العلم في مآل ومصير هؤلاء في الآخرة وذكروا فيهم أقوالاً .

وممن فصل في هذه المسألة ابن القيم في (أحكام أهل الذمة) وإن كان بحثه في الأصل في أولاد المشركين . وقد ذكر – رحمه الله – في المسألة عشرة أقوال. آخرها : أنهم يمتحنون في الآخرة، ويرسل الله تعالى إليهم رسولاً، وإلى كل من لم تبلغه الدعوة، فمن أطاع الرسول دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار. وعلى هذا فيكون بعضهم في الجنة، وبعضهم في النار .

وهذا قول جميع أهل السنة والحديث، حكاه الأشعري عنهم في كتاب الإبانة؛ وذكره ابن فورك؛ وأبو قاسم ابن عساكر في تصانيفه؛ وحكاه محمد بن نصر المروزي في الرد على ابن قتيبة، وذكر حججه .. وقد سردها الإمام ابن القيم؛ ومال إلى تقويتها، وعززها بنحوٍ من عشرين وجهاً، قال في الوجه الثامن عشر، بعد كلامٍ: هؤلاء لا يحكم لهم بكفر ولا إيمان؛ فإن الكفر هو جحود ما جاء به الرسول، فشرط تحققه بلوغ الرسالة، والإيمان هو تصديق الرسول فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، وهذا أيضاً مشروط ببلوغ الرسالة، ولا يلزم من انتفاء أحدهما وجود الآخر إلا بعد قيام سببه ، فلما لم يكن هؤلاء في الدنيا كفاراً ولا مؤمنين، كان لهم في الآخرة حكم آخر غير حكم الفريقين 0

فـإن قيـل: فـأنتم تحكمـون لهـم فـي الـدنيا بأحكـام الكفـار، مـن التـوارث، والولايـة، والمناكحة، قيل: إنما نحكم لهم بذلك في أحكام الدنيا، لا في الثواب والعقاب 0
ثم قال: الوجه الثاني: سلّمنا أنهم كفار، لكن انتفاء العذاب عنهم لانتفاء شرطه، وهو قيام الحجة عليهم، فإن الله تعالى لا يعذب إلا من قامت عليه الحجة .. إلى آخر كلامه رحمه الله 0

أمـا معنـى قيـام الحجـة، فهـو أن تبلغـه رسـالة الإسـلام كمـا أنزلهـا الله، باللغـة التـي يفهمها، ويدرك معناها، ولا معنى لبلوغ حجة لم يفهمها، فإن ما لا يفهم لا ينتفع بـه، كما لـو تكلم بلغةٍ غير لغتـه، أو تكلم مـع ضـعيف الفهم قليل الإدراك بلغـةٍ راقيـةٍ لا يستوعبها، أو لم يحسن عرض حجته، والله تعالى أعلم بالصواب .

ولـو استعرضـنا خارطـة الأديـان الوضـعية والسـماوية المحرفـة كلهـا مـن: يهوديـة ونصرانية وهندوسية إلى غير ذلك واستعرضنا ما فيها من عقائد وقناعات وأصول وثوابت – لذي عقل وفطره سليمة؛ لحكم بأن الإسلام من بينها هو المنفرد بمخاطبة العقل والوجدان فـي آن واحد فـلا توجد فيـه إشكالات الأديـان الأخـرى التـي يطـول الكلام عليها وتقرأ فـي مظانها من كتب المِلل والنحل وسيجد أن الإسلام لا تناقض فيه (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً)(النساء: من الآية82) .

ويا ليتنا بدلاً من الجدل المحتدم حول دقائق بعض المسائل نجتهد في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وتشجيعهم على اكتشاف الحق الذي جاء به، ورفع الشبهات والأباطيل التي ألصقها به الشانئون المغرضون، والجهالات التي ألحقها به الضـالون والمبتدعون، حتى يجلى لهم دين الله تعالى واضحاً كالشمس ليس دونها سحاب، إذاً لا نجفلوا إليه مسرعين، وأقبلوا نحوه مهطعين، وتشربوا هدايته تشرب الظمآن للماء البارد ....

فكم من أسيرٍ رمته الحياة ... ...
رأى أنها قيده فانتحر
يريد السعادة في موته ... ...
ولم يدر ماذا وراء القدر
علينا إذاً إخوتي ذنبهم ... ...

سنسأل عنهم .. فهل نعتذر ؟

إن الإسلام اليوم محجوب بمساوئ أهله. وشعوبه صارت أمثولة يتسلى بها الإعلام في كل مكان، فإن أرادوا التمثيل على قلة الاهتمام، أو التبذير، أو الدموية، أو الشهوانية، أو التخلف، فأقرب وسيلة لذلك السحنة العربية الإسلامية، واللباس العربي، واللسان العربي 0

إن الإعلام الغربي – ربما – لا يبالغ أكثر وأكثر في هذه الصورة حتى لا يسبب الفزع أو القلق للأطفال، أو لعله يعرض ذلك في الأوقات التي ينصرفون فيها عن التلفاز 0

فنسأل الله أن يعيد المسلمين إلى دينهم الحق، وأن يرزقهم صدق الاستمساك به، وأن يجعلهم لسان صدقٍ يعبر عنه، وأن يلهمهم تحقيقه في واقع حياتهم الفردية والاجتماعية، حتى يكون ذلك خير ردٍ على الصورة القاتمة التي يتلقاها الناس عنهم في كل مكان، والله المستعان

أهداف الحملة الأمريكية

سؤال:لا تخفى عليكم الحملة الأمريكية الشعواء الآن على العراق وأنها لا تستهدفها فقط بل تستهدف المنطقة بأسرها. فهل توضحون لنا أهدافها الحقيقية وواجب المسلمين تجاه هذه الحملة وذلك لأن الأمة وشباب الصحوة خاصة يعيشون حالة من فقدان الوزن تجاه الموقف المفترض في اتخاذه ... وفقنا الله وإياكم .

جواب:الحمد لله ...

في اعتقادي . والله أعلم . أن الحملة العسكرية الداعمة للحملة السياسية ذات أهداف متعددة ولا شك أن أهم أهداف هذه الحملة هي:

1- إسقاط الحكم في العراق وإقامة حكومة بديلة عميلة .

2- السيطرة على منابع النفط لدعم الاقتصاد الأمريكي وتأمين مستقبله.

3- إقامة نموذج للدولة التي يريدونها في المنطقة لتكون قدوة لجيرانها :

أ- دولة مرفهة (نسبيا) .

ب- الحريات متاحة، خصوصاً التحرر من القيم والفضيلة، مع قدر من الحرية السياسية التي لا تخرج عن إطار المصالح الأمريكية .

جـ - النفوذ الاستخباراتي الذي يمكن من خلاله أن تكون دولة العرب والمسلمين في نطاق معلوماتها وتحرياتها.

4- حماية أمن إسرائيل ومصالحها وضمان سيطرتها وتفوقها وإقامة مشروع السلام وفق المعايير الشارونية المتطرفة.

5- تدشين ما يسمى بـ (القرن الأمريكي الجديد) الذي يشكل امتداداً لعصور الاستعمار بشكل أو بآخر ويكفي أنه يحكم العراق حاكم أمريكي ليكودي !

6- ممارسة نفوذ وضغط فاعل على دول الجوار خاصة في مجال (التعليم) و (المرأة) و (الإصلاح السياسي) و (الإصلاح الاقتصادي) و (حقوق الأقليات) و (الحرية الدينية)، كما في مصطلحات القوم وربما تشهد دول الخليج كالكويت وقطر والسعودية مزيداً من الضغوط لتغيرات هائلة خصوصاً بعد الحرب ومن ذلك تشريع حقوق المرأة السياسية في الترشيح والانتخاب والممارسة الاجتماعية ... الخ .

7- القرب من المنطقة يتيح لهم رعاية التغيير الذي قد يتم بشكل تلقائي .

8- ومن المهم جداً أن تتم هذه الأهداف دون تضحيات كبيرة، ويقوم بتقديم التضحيات الأطراف المحلية (العميلة) أو (الغبية) .

التوصيات :

1- التوبة والرجوع إلى الله .

2- تحقيق معاني الأخوة الشرعية بصدق .

3- التسامح وإحسان الظن .

4- عدم السماح بالتناقضات الموجودة داخل المجتمع أن تطل برأسها مهما كان نوعها .

5- تقديم الأولويات، وعدم خلط الأمور .

6- مطالبة الدول بتحكيم الشريعة ونشر العدل بين الناس .

7- مطالبة الدول بالتجنيد الإجباري .

8- إقامة المؤسسات الإصلاحية الجادة التي تساهم في بناء المجتمع، وتوظف جهود الشباب في عمل خير فعال .

9- تفهم الظروف والوعي الحاذق بها مما يمهد الوصول إلى حالة (التوازن) التي تمنع من الاستسلام للضغوط، وتمنع من أن تتحول الضغوط إلى سبب للصدام بين أطراف المجتمع، وكلا الأمرين مفيد للخصم.

10 . وإن كان لي من نصيحة أزجيها لأحبتي من شباب الإسلام ممن يعلم أنني والله أحمل لهم خاصة وللمسلمين عامة الحب والإشفاق والرحمة والصدق والله حسيب الجميع فهو: التحذير بعد التحذير على حرمة الدماء وألا ننقل المعركة إلى أرضنا الإسلامية ولا نستحل دماء إخواننا المسلمين فهذا الباب لا يقبل فيه عذر ولا تأويل بعد وعيد الله ورسوله بنار جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً لمن قتل مؤمناً متعمداً وبعد قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث:(إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار) (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً) (النساء:93) ، وعند البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً) وعند أبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يزال المؤمن معنقاً صالحاً ما لم يصب دماً حراماً فإذا أصاب دماً حراماً بلّح) وعنه – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : (كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً أو مؤمن قتل مؤمناً متعمداً) وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قتل مؤمناً فاعتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً) قال خالد بن دهقان سألت يحيى بن يحيى الغساني عن قوله : اعتبط بقتله قال : الذين يقاتلون في الفتنة ؛ فيقتل أحدهم فيرى أنه على هدى لا يستغفر الله . يعني: من ذلك . قال أبو داود : فاعتبط يصب دمه صباً.

لا عذر أبداً لا عذر أبداً لا عذر أبداً بل الحرج والإثم وخسار الدنيا والآخرة لمن باء بقتل مسلم كائناً من كان.

ووالله لا يفلح من كان سبباً في قتل مسلم تحت أي تأويل أو شعار فالمسألة محكمة واضحة جلية ويعلم ربنا سبحانه أن الحامل على مثل هذا التأكيد هو استشعار شيء من المسؤولية والتخوف على حاضر هذه الأمة ومستقبلها وعلى أهل ملتنا وديننا .
فالله الله أيها الأحبة! في الانضباط وعدم الانجرار إلى معارك يخسر فيها الجميع ألا هل بلغت اللهم فاشهد!
وهذا يصدق على حرمة دم المسلم في العراق أو في الكويت أو في السعودية أو في اليمن أو في أي زمان أو مكان فاللهم احفظ دماء المسلمين وأديانهم وحقق وحدتهم واهد قلوبهم.
سؤال:هل تعتبر المقاطعة بعد مضي هذه الفترة من تجربتها حلا ذا جدوى، وهل تتوقعون نجاحها..؟؟ وما مدى فاعليتها في التحدي الراهن..؟؟
جواب:سلاح المقاطعة الاقتصادية من أهم الأسلحة الفعالة خصوصا في العصر الحديث، حيث تتعاظم قيمة الاقتصاد.
ولذلك نلحظ أن ا لولايات المتحدة استماتت في تدمير المقاطعة العربية والإسلامية للبضائع اليهودية، وللشركات المتعاملة مع اليهود.
وبالفعل فقد تهتكت المقاطعة شيئاً ما، وصارت في بعض المناطق أثراً بعد عين، بسبب أن منظمة التجارة العالمية عملت على محو الحدود بين الدول، وفي هذا الإطار تأتي إزالة الحدود الجمركية، ورفع الدعم عن السلع المحلية.
لكن الشيء الذي يمكن أن يحدث هو المقاطعة الشعبية، بمعنى أن ترتفع وتيرة الوعي لدى الشعوب الإسلامية، بحيث يختار المشتري البضائع والسلع العربية والإسلامية، أو حتى أية بضاعة أخرى غير إسرائيلية ولا أمريكية.
إنه لا أحد يستطيع أن يجبر المواطن العادي على شراء سلعة بعينها، غير أنه من الناحية الواقعية لكي يكون هناك مقاطعة حقيقية وليس شعاراً يرفع لمجرد الاستهلاك، فلا بد من توفر الأسباب التالية :
أ – الوعي الشعبي الشامل، بحيث لا تكون هذه أفكار شريحة خاصة، أو نخبة معينة، ويكون الناس بمعزل عنها، هذه مسؤوليات يتحملها الإنسان العادي، وما لم يكن لديه الوعي والإدراك والقناعة، فلن يكون ثمة مقاطعة.

ب – وجود مؤسسة متخصصة لهذا الغرض، تتولى التذكير الدائم بهذا الموضوع، وتقدم للناس قوائم مستمرة بالسلع المطلوب مقاطعتها، والبدائل التي تقوم مقامها، وتتولى إقناع المشترين بالمميزات الموجودة في السلعة البديلة، وتربط ذلك بالهدف الكبير المتعلق برفع الدعم الشرائي عن السلع الأمريكية واليهودية .

جـ – المرحلية إذ إن الاستغناء عن جميع تلك السلع يعتبر أمراً غير واقعي بالنظر إلى جماهير الناس، وسرعة ركون الناس إلى الرخاء والرفاهية، وعدم جدية الدعوة إلى المقاطعة؛ لذا يمكن ترتيب المقاطعة في مرحليات، على سبيل المثال :

المرحلة الأولى: مقاطعة السلع والبضائع الإسرائيلية، خصوصا في الدول التي تتعامل اقتصادياً مع إسرائيل.

المرحلة الثانية: مقاطعة الشركات التي تتعاون وتدعم الكيان اليهودي، أيا كانت جنسيتها.

المرحلة الثالثة: مقاطعة الشركات الأمريكية المتعاطفة مع اليهود خصوصا الشركات الكبرى والشركات التي يوجد لها بدائل جدية، كشركات السيارات، وشركات الملابس والأغذية الأثاث ولي مقالة بعنوان " المقاومة السلبية هل تنجح " نرسلها إليكم.

سؤال:السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

فضيلة الشيخ حفظك الله سؤالي هو: ما موقفنا تجاه الفتن الموجودة وما يحاك للإسلام والمسلمين..؟؟ على مستوى الأفراد والأسر ..؟؟

جواب:الواجب على المسلم في الفتنة إذا وقعت أن يدرأ عن نفسه ما استطاع .

والفتن إما أن يُعلم وجه الصواب فيها وإما أن تكون فتنة عمياء لا طاعة فيها ولا رجوع إلى رأي رشيد.

والأُولى يدرأ المسلم عن نفسه ويدعو إلى الحق ويعتصم بالكتاب والسنة .

والثانية هي التي يعتزل فيها المسلم وهي التي لا يدري وجه الصواب فيها.

والفتنة تتشابه وتتلاحق ويخفى كثير من خصائها وينبغي على المسلم التروي وعدم التسرع في إطلاق الإحكام والسماع لكل أحد .

وينبغي الرجوع إلى أهل العلم الثقات) وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُم)(النساء: من الآية83)

- عدم الانخداع بالخائضين في الفتنة)وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) (الإسراء:36) .

- أن يشغل المسلم نفسه بالأعمال الصالحة النافعة .

- أن يعلم المسلم أن النصر لأوليائه وتأخير النصر هو من حكم الله عز وجل في خلقه.

عدم الخوض في أعراض العلماء والطعن فيهم واستغلال المواقف للنيل منهم .

الدعاء والابتهال إلى الله عز وجل في كل حين أن يجيرنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

الإقبال على العبادة والشأن الخاص (العبادة في الهرج كهجرة إلي) وعليك بخاصة نفسك وأهل بيتك ومن يلزمك .

وفي خضم التحديات المعاصرة وتكاثر الفتن .. بدأت الأمة تنظر إلى المستقبل من زاوية أحاديث الفتن والملاحم وخروج المهدي والسفياني وقراءة أحداث العصر وفق الأحاديث الكثيرة في الفتن والملاحم وربطها بها!!

وكذلك كثر تأويل الأحلام والرؤى بشكل ملفت للنظر...!!بما يخدم القضية والواقع ما جدوى مثل هذه الأعمال التي تلبس لباس العلمية والفقه في الدين ... وما توجيهك حيالها..؟؟

((وهل صحيح أن المهدي لا يوجد دليل ثابت لظهوره ...؟؟))

ورد في شأن المهدي أحاديث، ربما تزيد على مائة، ما بين موضوع ، وضعيف، وحسن. وربما يكون فيها الصحيح، وهو قليل جداً .

منها : حديث علي بن أبي طالب ، مرفوعاً (المهدي مِنّا - أهلَ البيت - يصلحه الله في ليلة) رواه أحمد، وابن ماجه، وحسّنه بعضهم لكن سنده ضعيف .

وأحاديث أبي سعيد الخدري، جاء عنه ثلاثة أحاديث في هذا الباب ، خرَّجها الحاكم، وخرَّج بعضها أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وغيرهم .

منها حديث: "يخرج في آخر أمتي المهدي"؛ وهو عند الحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، وفي سنده اختلاف.

ومنها حديث: "المهدي منّي أجلى الجبهة، أقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يملك سبع سنين " رواه أبو داود.

ومنها حديث: (الرايات السود) عن ثوبان – رضي الله عنه – مرفوعًا "إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قبل خراسان فأْتوها ولو حبواً، فإن فيها خليفةَ الله المهدي"؛ رواه الحاكم وأحمد وهذا الحديث جاء من طرق كلها ضعيفة، ولا يصح فيه شيء، وإن كان بعضهم تسامح، وصححه بمجموع طرقه، وقد تمسك بهذا الحديث أقوامٌ في دعوى أن المهدي من ولد العباس، وأن الدولة العباسية كان فيها المهدي، وكان هناك من تسمَّى بهذا من خلفائهم ؛ ولذلك قال ابن حزم – وهو أُمويُّ الهوى–:

ومذ لاحت الراياتُ سوداً تبينت ... ...

جموع الهدى أن لا سبيل إلى الرشد

وكانت رايات بني العباس سوداً، وليس ببعيد أن يكون هذا الحديث الضعيف قد وضع بِرُمّته؛ أو حُرِّفَ لفظه بسبب التعصب لدولة بني العباس.

وحديث أم سلمة – رضي الله عنها – (المهدي من عترتي ، من ولد فاطمة) رواه أبو داود (4284)، وابن ماجه (4086)، وسنده ضعيف، ورجَّح المنذري أنه من كلام سعيد بن المسيَّب .

وهناك أحاديث كثيرة ثابتة في جملتها، وإن كان غالبها لا يصل إلى درجة الصحيح، بل ربما لا يصل إلى درجة الصحيح منها إلا حديث واحد، والحسن فيها قليل – أيضاًً–، وغالبها ضعيف .

وقد كتب كثير من العلماء في موضوع المهدي، منهم نعيم بن حماد في كتاب: (الفتن) ونعيم – وإن كان إماماً في السنة – إلا أنه كثير الوهم، وقد ذكر هذا الدارقطني، والذهبي، وابن حجر، بل قال مسلمة بن القاسم: له أحاديث منكرة في الملاحم، تفرَّد بها .

وصنَّف أبو نعيم الأصفهاني كتاباً في المهدي، ويوسف بن يحيى السلمي كتابا مطبوعاً اسمه : " عقد الدرر " وصنف ابن كثير، والسيوطي، والسخاوي، والصنعاني، والشوكاني، وغيرهم، وخلق من المعاصرين في هذا.

وقد ذكر ابن خلدون في المقدمة : أن المشهور بين الكافة من المسلمين إثبات المهدي، وهذا لا شك أنه هو الصحيح؛ فإن جماهير أهل العلم والأئمة قالوا بثبوت أحاديث المهدي، من حيث الجملة، وإن كان غالب الأحاديث فيها لا يخلو من مقال، وهناك من نصَّ على تواتر هذه الأحاديث – أيضاً–، خصوصاًَ من المتأخرين، كما أن هناك من نُقل عنه إنكار أحاديث المهدي كلها .

فقد نقل عن مجاهد إنكار هذا، وادعاء أن المهدي هو المسيح ابن مريم, وجاء في هذا حديث (لا المهدي إلا عيسى ابن مريم) عند ابن ماجه، والحاكم وهو ضعيف، وكذلك نقل عن الحسن البصري، كما أن ابن خلدون ممن أنكر هذا ونفاه.

وأما من المتأخرين، فالشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ عبد الله بن زيد آل محمود, ومحمد محي الدين عبد الحميد وغيرهم.

وخلاصة ما مضى: أنه جاء في السنة أحاديث كثيرة جداً، مترددة ما بين الموضوع والضعيف، والحسن، ويقلُّ فيها الصحيح، وأن الإيمان بخروج المهدي وظهوره أمر ثابت في الجملة .

وأهل السنة يؤمنون برجل من آل بيت النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – يخرج في آخر الزمان خروجاً طبعياً، يولد كما يولد غيره، ويعيش كما يعيش غيره، وربما يقع منه الخطأ، ويحتاج إلى إصلاحٍ مثل غيره من الناس، ثم يكتب الله على يديه خيراً كثيراً، وبرًّا، وصلاحاً للأمة، وعدلاً، ويجمع الله به شمل المسلمين.

ليس هناك أكثر من هذا؛ كما هو وارد في الأحاديث .

ولم يرد في أيِّ نص من النصوص أننا متعبدون بانتظاره، أو ترقُّبه، بل لا ينبغي لأي مسلم أن يقبل مثل هذا الادعاء بمجرد الاشتباه؛ حتى تقوم الأدلة الكافية فإن المدعين كثير، منذ فجر التاريخ.

والمسلم مطالب بالتثبت، والتحري، والأناة، وألا يستعجل الأمور بمجرد الرغبة أو الهوى النفسي.

ولا يتوقف على خروجه أي شعيرة شرعية نقول إنها غائبة حتى يأتي الإمام المهدي، فلا صلاة الجمعة ، ولا الجماعة ، ولا الجهاد ، ولا تطبيق الحدود ، ولا الأحكام ، ولا شيء من ذلك مرهون بوجوده ؛ بل المسلمون يعيشون حياتهم ، ويمارسون عباداتهم

، وأعمالهم ، ويجاهدون ، ويصلحون ، ويتعلمون ، ويُعلِّمون ، فإذا وُجد هذا الإنسان الصالح ، وظهرت أدلته القطعية – التي لا لَبْس فيها – اتّبعوه . وعلى هذا درج الصحابة والتابعون لهم بإحسان ، وتتابع على هذا أئمة العلم على تعاقب العصور . ففكرة سيطرة الترقب ، والانتظار ، والمبالغة بهذا أمر حادث .

وقد كتبت حول هذا الموضوع ثلاث حلقات , يمكن مراجعتها في موقعنا (الإسلام اليوم) (islamtoday.net) بعنوان (الانتظار عقدة أم عقيدة) .

سؤال:وسائل الدعوة مهمة جدا في مرحلة التحدي التي نعيشها ... ما السبب في بقاء وسائل الدعوة الإسلامية على بدائتها القديمة وعدم وجود هيئات خاصة للتطوير والابتكار واقتحام تقنيات العصر الحديث بمهارة واقتدار وتخريج مخرجين ومذيعين ومنظرين وشعراء وخطباء ورسامين ...إلخ يحملون الهم الإسلامي ويقدمون الحلول..؟؟

جواب:لا شك أننا الآن في عصر المعلوماتية , أصبحت المجتمعات فيه مكشوفة بلا حدود . والعالم كله كأنه في حلبة سباق يبدو فيها العالم الإسلامي غير مؤهل للمنافسة .

ولذلك بالنسبة للدعوة ؛ فيجب العناية بتكريس الخصائص الإسلامية العقدية منها والسلوكية , ودعم هذه الخصائص من خلال العمل المؤسسي الاقتصادي , والإعلامي , والتربوي الموجه لجمهور الأمة , الواصل إلى عمقها , فلا يصح أن يكون خطابنا حديثاً مع النفس , ولا مهامسة من شريحة منتخبة .

. نحن ملزمون بقراءة الواقع قراءة صحيحة , وأن نتعامل معه تعاملاً شرعياً , يعتمد على الأصول والقواعد ومحكمات النصوص , لا على الذوق والعاطفة وحكم الطبع .

نحن ملزمون برعاية أدب الخلاف , وحفظ الحقوق , ومراعاة طبيعة الموقف الذي يتهيأ له المسلمون , والذي يطلب من الغيورين تقديم جوانب الجمع القائمة في المنهج الشرعي الواحد على جوانب التفريق والتخالف . وأن نحكم أصول الشريعة التي يجتمع عليها , ونفصلها عن ساحة الاجتهاد في التوعيات والوسائل والأساليب التي تقبل التنوع والتعددية .

ووسائل الاتصال , والإعلام والمعلومات , والتقنية يجب أن تكون طيعة في أيدي المؤمنين لو أرادوا وصمموا , لكن الملاحظ مع كون العالم الإسلامي يملك ثروات هائلة , ومع كون هذه التقنية سهلة التحصيل إلا أن توظيفها لا يزال ضعيفاً بالمقارنة بالأعمال الإغاثية أو بناء المساجد .

وفي تقديري: أن العمل الدعوي والتربوي والتعليمي هو الأساس الذي يتفرع عنه ما سواه .

وأدوات الدعوة خاضعة لقسمة العبادات في الشريعة , فكما أن العبادات منها ما هو قُرَبٌ محضة , يصلح لها دين الناس , وهذه توقيفية , كلاً وتفصيلاً كالصلاة مثلاً . ومنها ما هو عادات وعبادات تصلح بها الدنيا , وهذه عفوية بشرية , الأصل فيها الإذن والإباحة " (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) (يونس:59) ولهذا كانت دائرة المباح أوسع دوائر الشريعة .

والوسائل والأدوات جملة من هذا النوع , فلا حظر فيها إلا بدليل .

وكلما تفتقت الأذهان عن عبادة جديدة , فهو الابتداع , أو عن وسيلة جديدة فهو الإبداع . وقديماً قال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز : يجدُّ للناس من الأقضية بقدر ما يجدّ لهم من الفجور .

سؤال:المؤامرة...!! إلى أي مدى لعبت دورها في تحريك مشاعر المسلمين ، وتعبئة طاقات الغضب والحذر، وهل كانت فكرة تعميمها صحية ، أم أنها أدت إلى غرس بذرة الخوف والعجز والخمول الفكري في رد كل ظاهرة إلى سببها الحقيقي...؟

وهل العداء بين الإسلام واليهود والنصارى أزلي وديمومي ، وهل هو شامل لكل من انتسب لهذه الديانات ..؟؟ كيف يمكن للعقل المسلم أن ينظر في مثل هذه القضية نظرة معتدلة ووسطية تمكنه من التصرف السديد والقويم.؟؟ بعيدا عن الغفلة القاتلة والاندفاع الأهوج؟؟

جواب:من الواجب علينا أن نفرق دائماً بين (الوعي) وبين (الإحساس بالمؤامرة) .

فالوعي موقف ذهني صادق , مبني على شواهد ويقينيات , ومعرفة الإنسان موقعه

على خارطة الأحداث . والإحساس بالمؤامرة شعور نفسي يقصد فيه صاحبه تبرئة نفسه واتهام العدو .

وفي تقديري أننا لو ألفنا موسوعات , وأقمنا مؤسسات , هدفها اتهام العدو ؛ فإننا لم نصنع شيئاً أكثر من الإمعان في الخطأ والسلبية , لأننا لن نصحح , ما دمنا لم نعترف بخطئنا وتقصيرنا , وعدم مراجعتنا لا تراجعنا .

والقرآن كما هو معروف يثبت طرائق الأعداء وكيدهم ومكرهم , ولكنه يؤكد أنها تذهب هباء منثوراً , ولا تضر شيئاً عندما تواجه بمسلمين يصبرون ويتقون . وتقرر معنا سابقاً أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

الخطاب الإسلامي المعاصر ، هل يفتقر إلى الدقة في توصيف الظواهر ووضع الحلول الواقعية ..؟ ولماذا يقع في بعض الأحيان في شرك التصنيف والعمومية ..؟؟

وهل لدور ومحاضن التربية دور في تخريج جيل لايرى إلا فكر من تربى على أيديهم ، وأصبحت كلمات من مثل " علماني " و " حداثي " و " قومي " سهلة لوصف أي شخص يخالفهم بها..؟

وكيف لنا أن نعيد ترتيب أوراقنا التربوية للخروج من هذه الإشكالية التي بات يرددها كثيرون ممن لهم حوارات مع الصحوة..؟؟

بالنسبة للخطاب الإسلامي فكثيراً ما يتهم بالاختزالية والعاطفية والسطحية وغير ذلك .

ومن البدهيات أن أصحاب الخطاب الإسلامي هم بشر من الناس , لم يحرمهم الله عز وجل من التفكير , ونعمة العقل وخص به غيرهم ؛ بل نحن على قناعة أن من تشبع بهذا الدين وثوابته وأصوله وحقائقه يملك مقدرة في تحليل ما حوله , بما عنده من هذه المعطيات الحقّة , بيد أن ثمت عوامل تؤثر في الاهتمامات وترتيب الأولويات منها :

حجم المتغيرات , ونضج التجربة العلمية والعملية , ومدى الشعور بالمسئولية , وقدر المصداقية مع الله ومع النفس ومع الناس . وهذه العوامل من شأنها أن تؤثر على أي تصور أو تعديل أو تصحيح لدى أي فرد أو جماعة أو حتى دولة .

والخطاب الإسلامي يعاني في بعض الأحيان من العمومية والإطلاقات والانتقائية بل والمثالية التي خرجت عن الواقع ولذلك فملاحظاتي حول الخطاب الإسلامي تتلخص فيما يلي :

1 . من المفترض أن يكون لدى أصحاب الخطاب الإسلامي وضوح في المنهج , ومعرفة المقاصد الكبرى للإسلام , والبعد عن الرمزية ومحدودية التفكير . والوعي بحقيقة الدعوة وتفهم السنن الشرعية والكونية في مناهج التغيير والإصلاح .

2 . من المتعين أن نكون على وعي بإدراك الإمكان الشرعي والواقعي الذي نعيش فيه , وأن يكون القدر الذي يريده أصحاب الخطاب الإسلامي متناسباًَ مع واقع من يخاطبون , وليس مثالياً متعالياً يولد أزمة عن محاولته .

3 . من الأساسيات: العناية ببناء الإيمان في القلوب , والتأسيس للعمل الصالح , ولغة الأمر بالمعروف ينبغي أن تكون هي الأصل في خطابنا مع العناية بأصول الإسلام , وعِصَمِه الكبار , هذا هو الأهم تحقيقه من عباد الله .

4 . في الحديث الذي رواه مسلم : "الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة " وهذا المعنى على مستوى التطبيق للأمر الشرعي أيضاً , لذلك من المهم أن ندرك أن الأمة وإن كان فيها نزّاع من الأخيار الأبرار , وطبقة من أهل العلم إلا أن جمهورها يغلب عليه الجهل والتقصير مع خير كثير , ولذا ينبغي وضع ذلك في الحسبان وألا يكون الخطاب لشريحة منتقاة دون غيرها .

5 . عندما يكون صاحب الخطاب الإسلامي مدركاً أنه لا يستعمل الأوراق الأخيرة والنفس النهائي عند إصلاحه للواقع ؛ فهو . هنا . يتخلص من كثير من الأخطاء التي تكتب النهاية للعمل قبل البدء فيه .

6 . أيضاً من الحكم الشرعية . فيما أرى . أن يتخلص الخطاب الإسلامي من اللغة الواحدة , فيختزل أزمات الأمة كلها في الواقع السياسي فقط , أو الاقتصادي فقط . ونمط آخر خص خطابه الإسلامي بأهل الخير والصلاح لأنهم متفاعلون , وهذا النوع قد يؤدي إلى فصل المجتمع الإسلامي إلى طبقات , تعيش العزلة والصراع الشعوري أحياناً . بين أهل الصحوة وباقي المجتمع المسلم الذي يتمتع بالخيرية أيضاً .

7 . إنه من المهم على محاضن التربية أن تربي الشباب وسواد المسلمين عموماً على قواعد الشرع الصحيحة .

وأصوله وكلياته ومقاصده العظام . وعلى توقير واحترام كل من جعل هذا الدين همه , وقصد هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته حسب ما أمكنه .

ومن المهم أن يعلم شباب الصحوة أن أهل العلم ليس ممكناً ألا يقولوا إلا صواباً , فهم ليسوا معصومين . لكن لا يجمع الله الأمة على خطأ , ومن أكبر مقاصد الشريعة جمع القلوب على الدين والهدى .

8 . علماء الإسلام الكبار يعلم لهم قدرهم لكن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم , فكل كلام سوى كلام المعصوم صلى الله عليه وسلم يقبل النظر والمراجعة والخطأ , وما زال علماء الملة يتراجعون ويختلفون .

لكنهم كانوا أبعد شيء عن فساد العبارة , أو رداءة اللغة , أو التمرس على أسلوب المصادرة والتكفير والتخوين وهذه سيرهم وحياتهم وأقوالهم ... وفي عصرهم كان الكفر قائماً والنفاق موجوداً , بل في محكم التنزيل (مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ). وفيه قال (اعدل يا محمد) وأستأذن أحد الصحابة في قتله فقال – صلى الله عليه وسلم –: لعله أن يكون يصلي ... فما بال بعض إخواننا اليوم أصبح التكفير لغة دارجة عندهم , وهو شر من القتل , ففي الصحيح : " لعن المؤمن كقتله ..." فما بالك بتكفيره إذاً ؟

سؤال:ما رأي فضيلة لشيخ فيمن يرى أن الأحداث الأخيرة التي مرت بالمسلمين أدت إلى تغيير طريقة تعاملهم مع غير المسلمين إلى استخدام اللين والحوار، والانتقال في فنيات التعامل إلى الحوار بدلا من التكفير والهجوم المباشر.,؟؟ وهل هو الطريق الأمثل في التحديات المعاصرة.؟

جواب:منذ بزوغ فجر الرسالة والمسلمون يتلون قوله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)(النحل: من الآية125) وقوله : " (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الممتحنة:8) , ويتلون قوله تعالى : " (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)

(المائدة:78) وقوله تعالى : " (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ) (البقرة:120) فاللين والحوار موجود ويقدر بقدره , كذلك الحرب والدفاع عن النفس موجود وله تقديراته أيضاً .

لكن تستطيع أن تقول إن الأحداث وسعت دائرة سؤال الغرب عن الإسلام , ونهمهم إلى معرفة أي شيء عنه , وهذه فرصة كبرى للمسلمين لبيان هذا الدين الشامل المانع , وبيان محاسنه لا أن نظهر منه جانباً واحداً فقط .

سؤال:هناك من ينادي بالتقارب بين المذاهب الإسلامية عن طريق الحوار من أجل وحدة الكلمة ما رأي فضيلتكم بهذا وما هي الطرق التي يمكن أن يكون فيها تقارب بين المذاهب الإسلامية..؟؟وهل تفرقها سبب في ضعف الأمة..؟؟

جواب:لا أدري هل المقصود بالمذاهب الإسلامية : المذاهب الفقهية ؛ الحنابلة والشافعية والأحناف والمالكية أم تقصد الشيعة والإباضية وغيرها . إن كانت الأولى فالخلاف بين المذاهب الفقهية إنما هو خلاف في الفروع الذي يسعنا فيه ما وسعهم ولم يوجب ذلك بينهم تقاطعاً ولا تدابراً ولا إحناً . وإن كنت تقصد الثانية فقد سبقت إجابة سابقة عن الشيعة , ووجوب الدعوة والنصح لكل مسلم من أهل القبلة .

ومسائل الاعتقاد ليست قضايا تجارية يتخلى كل طرف عن جزء من المال ليتم اللقاء في منتصف الطريق , لكن المجادلة والمناظرة العلمية الهادفة هي أسلوب من أساليب الدعوة والبيان .

سؤال:لماذا هذا التأليب على الشيعة والدعوة إلى الطائفية من بعض المشايخ أليسوا مسلمين والتعايش الأخوي معهم أفضل لأننا جميعا من وطن واحد ودين واحد والتعايش الأخوي معهم فيه أمن لوطننا واستتباب لأمننا وبالتالي تفرغ لمشاكلنا الأكبر؟ وهل الحوار مع الشيعة عبر المنتديات ، والرد عليهم طريقة سليمة..؟؟

جواب:هناك نقاط مهمة عن الشيعة يجب التنبيه لها :

. الشيعة من أسمائهم : الرافضة والإمامية , وغالب الشيعة اليوم هم من الإمامية .

. الاثنا عشرية أساس اعتقادهم القول بعصمة أئمتهم وهم على باطل لا ينضبط .

ومن أسس مذهبهم سب الصحابة وذمهم , وكثير منهم يكفرونهم , والسب له صور :

ـ سب هو كفر , كرمي الصحابة بالنفاق أو الردة .
ـ سب يستحق صاحبه التفسيق أو التعذير .
ـ ومنه صورة مترددة بين ذلك .
لكن تكفير جميع الصحابة كفر .
ومما ينبغي التنبيه له أن الحكم على المقالة ليس بالضرورة حكماً على المنتسبين إليها . ولا غرابة في ذلك لماذا ؟
ـ لأنه يوجد في كتبهم أقوال متناقضة متباينه كالقول بتحريف القرآن , ويوجد أيضاً القول بكفر من قال بتحريف القرآن .
والحكم على الطائفة والفرد المعين مبني على معرفة كونهم يقولون بهذا ويعتقدونه أم لا ؟
ـ كثير من أصحاب المذاهب قد يجهلون مذهبهم ولا يعرفون تفاصيله بل ولا جمله وقواعده أحياناً . وقد يندهشون عندما تخبره أن هذا المعتقد مثلاً من عقائدهم , فيندهش لذلك ويستبشعه . ومن هنا يأتي سؤال الكثير منهم لماذا تعادون وتجادلون الشيعة وهم إخوانكم ؟!
والحكم على المعين بالكفر يجب أن يتوفر فيه الشروط وتزول الموانع كما قرر ذلك ابن تيمية رحمه الله.
والدعوة إلى الله واجبة قدر الاستطاعة لقوله تعالى :)ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)(النحل: من الآية125) .
وغيرها من الآيات هذه الآيات) وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ)(الحج: من الآية67))يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)(المائدة: من الآية67) .هذه الآيات تدل على دعوة الناس كافة مسلمين وكفار ولا يملك أحد أن يستثني من هذا العموم , أو يخصص فئة بأنها لا توجه إليهم الدعوة .
إذا تقرر هذا فالدعوة لا تجامع الهجر , وتستدعي المجالسة , والمحادثة والصبر , والمعاملة بالحسنى ؛ رجاء فتح القلب , ومن تأمل دعوة الرسول علم ذلك .
ويمكن القول بوجود ثلاثة أصناف في أهل البدع : (مسلمون , ومنافقون, وكفار)

– فالمسلمون هم الملتزمون بأصول الإسلام , وإن كان عندهم مخالفات وبدع لكنها ليست مكفرة , كتفضيل عليّ على عثمان .

– والمنافقون هم الموافقون للمسلمين ظاهراً , ويبطنون الكفر , كمن يبطن تكفير الصحابة أجمعين , ويظهر عدم ذلك.

– والفئة الثالثة هم: الكفار المعلنون بعقائد كفرية صريحة كألوهية على بن أبي طالب .

فهذه العقائد إن ثبتت على شخص ونطق بها , وجب استتابته , فإن أصرّ بعد بيان الحجة عليه , فهو خارج مرتد عن اسم الإسلام

===================

#السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام

عماد السيد الشربيني 1423/9/5

2002/11/10

اسم الكتاب : السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها

اسم المؤلف : عماد السيد الشربيني .

الناشر : دار اليقين /مصر .

عدد الصفحات : 506 في جزأين .

التعريف بالكتاب:

قسم الباحث هذا الموضوع إلى مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة .

المقدمة ضمنها سبب اختيار الموضوع ، وأهميته ، وخطة البحث ومنهج البحث فيه.

أما التمهيدفعرف فيه بالسنة في مصطلح علمائها ثم ذكر شبهة حول التسمية ورد عليها،وذكر أن الحديث النبوي بالسند المتصل من خصائص الأمة الإسلامية كما أن دراسة الحديث ضرورة لازمة لطالب العلم.

أما الأبواب ففي الأول منها عرف بأعداء السنة النبوية لغةً وشرعاً. ثم أتبعه بذكر أعداء السنة النبوية من أهل الأهواء والبدع قديماً (الخوارج،والشيعة،والمعتزلة) ،ثم أعداء السنة النبوية من المستشرقين ، ثم أعداء السنة النبوية حديثاً (العلمانية ،

والبهائية ، والقاديانية)،وفي أخري هذا الباب ذكر أهداف أعداء الإسلام قديماً وحديثاً في الكيد للسنة النبوية المطهرة .
وفي الباب الثاني ذكر وسائل أعداء السنة قديماً وحديثاً في الكيد للسنة النبوية المطهرة من التشكيك في حجية خبر الآحاد،و الطعن في رواة السنة المطهرة،وفي الإسناد وعلوم الحديث ،و الطعن والتشكيك في كتب السنة المطهرة،وأخرها الاعتماد على مصادر غير معتبرة في التأريخ للسنة ورواتها .
وأما الباب الثالث فعنون له بنماذج من الأحاديث الصحيحة المطعون فيها والجواب عنها. بدأه بطبيعة نقد الأحاديث الصحيحة عند أعدائها ،وطبيعة الأحاديث الصحيحة المطعون فيها ،ثم ذكر نماذج من الأحاديث الصحيحة المطعون فيها والجواب عنها كحديث (إنما الأعمال بالنيات) ،وحديث (أنزل القرآن على سبعة أحرف)،وأحاديث (رؤية الله) و(محاجة آدم موسى عليهما السلام) و (الشفاعة)،وأحاديث (ظهور المهدي) و(خروج الدجال) و(نزول المسيح عليه السلام) ،وحديث عذاب القبر ونعيمه ،و أحاديث (خلوة النبي بامرأة من الأنصار)،و(نوم النبي عند أم سليم، وأم حَرَام)،وحديث رضاعة الكبير ، وحديث وقوع الذباب في الإناء .
وفي أخري هذا الباب ذكر الباحث مضار رد الأحاديث النبوية الصحيحة .
وفي الخاتمة ذكر نتائج الدراسة ، والمقترحات ، والتوصيات التي خرج بها الباحث ،ومن هذه النتائج:
1- أن مؤامرة التشكيك في حجية السنة المطهرة ومكانتها التشريعية أخذت طريقها إلى عقول بعض الفرق في الماضي ، كما أخذت طريقها إلى عقول المستشرقين ، ومن استمالوهم من أبناء المسلمين في الحاضر .
2- أن معركة أعداء الإسلام مع السنة المطهرة تتسم من جهة أعدائها بالدقة ، والتنظيم ، والكيد المحكم ، كما تتسم من جهة المسلمين بالبراءة ، والغفلة ، والدفاع العفوي ، دون إعداد سابق أو هجوم مضاد .
3- أن القواعد التي ينطلق منها أعداء السنة قديماً وحديثاً في الكيد لها واحدة فشبهات القدماء هي نفسها شبهات المعاصرين .

4- تأثر الفرق الكلامية بالفلسفة اليونانية ، وأعطوها صبغة إسلامية ليستعينوا بها على نظرياتهم وجدلهم ، فكان ذلك ذا أثر بالغ في در النصوص بالعقل ، وفتح باب شر عظيم على أمة الإسلام ، دخل منه كثيرون من أعداء الإسلام ، وتأثر بذلك بعض أبناء المسلمين.

5- مخالفة الفرق الكلامية منهج السلف في فهم النصوص ، وعجز عقولهم عن الفهم الصحيح لها ، أدى بهم إلى الاضطراب ، وعدم الاستقرار المنهجي .

6- أن أهل السنة والجماعة هي الفرقة الوحيدة التي حالفها الصواب والسداد في فهم النصوص من الكتاب والسنة حيث لم يقدموا العقل على نصوص الوحي ، ولم يلغوا عمله ،بل وقفوا به عند حده الذي حده الله له، فاعملوه حيث جاز له أن يعمل ووقفوا به حيث حق له أن يقف .

7- فساد منهج المستشرقين في دراستهم للإسلام ، مهما حاولوا إدعاء المنهجية العلمية التي يزعمونها ، وسبب ذلك عدم تخلصهم من العصبية والعداء للإسلام وأهله .

8- نجاح الاستشراق في استقطاب كثير من أبناء الإسلام الذين انخدعوا بأفكاره وآرائه وتأثروا بثقافاته ومناهجه ، وكثير منهم يمثلون رموزاً بارزة في بلدانهم ، فكان لذلك أثر بالغ في نشر تلك الأفكار بين المسلمين ، وانخداع السذج منهم بها ، وتفلت كثير منهم بسببها من التمسك بالشرع ، فكان خدرهم أعظم وفسادهم أكبر ؛ لأنهم يهدمون السنة من داخلها .

9- أظهر البحث بما لا يدع مجالاً للشك ، أنه لو سلمنا جدلاً أنه يكفي الاستناد على القرآن وحده في تحليل ، الحلال وتحريم الحرام ... ولم نعبأ بالسنة أبداً ، وتركنا القرآن يخطئ فيه المخطئون ، ويعتمد فيه الكذابون ، ويتلاعب فيه الملحدون ، و يخوض فيه المنافقون بما تسوله لهم نفوسهم ، وتمليه عليهم رؤساءهم وشياطينهم ، فإن الخلاف بين الناس لا يزول كما هو معلوم بالضرورة ، وإنما سيزيد ويستفحل ، ويصل بهم إلى مدارك الهاوية ، ويتفرق بهم في دروب التيه .

10- أكد البحث أن عدم الأخذ بالسنة دعوة إلحادية ، يريد أصحابها لنا الإعراض عن هدى النبوة ، ويسنون أنهم يتمسكون بتشريعات واهية ، لا أساس لها تقوم عليه ،

ولو سلمنا لهم جدلاً أنه يجب إبطال السنة ، مع صحة نقلها بالإسناد المتصل ؛ الذي هو منّة عظيمة خص الله بها الأمة الإسلامية دون سائر الأمم ، لكان لزاماً علينا من باب أولى أن نبطل جميع التشريعات المتداولة في الدنيا مهما كان مصدرها سماوياً أو وضعياً لان من المسلَّم أن بالبقاء للأصح سنداً ، والأصدق رواية .

11- قرر البحث أن السنة ضرورة دينية ، وأن كثيراً من المسائل المعلومة من الدين بالضرورة ، والتي أجمع عليها الفقهاء ؛ متوقفة على حجيتها .

12- إن الأدلة الشرعية جميعها متوافقة متآلفة متلائمة ، لا اختلاف ، ولا تنافر ، ولا تضارب بينها .

13- إن دعوى وجود عقليات مخالفة للشرع ، لا حقيقة لها عند الاعتبار الصحيح ، بل هي أوهام وخيالات ، وشبه عارية عن الصواب ، إضافة إلى أنه لا ضابط عند من يرد النصوص بالقرآن والعقل يفرق به بين ما يرد ، وما لا يرد.

14- رد النصوص عقلاً أو جد أثراً بالغاً في زعزعة كثير من العقائد ، وعدم احترام نصوص الوحي الاحترام اللائق ، والتهوين من شأنها .

15- أن جميع ما يتناقله الشيعة الرافضة ، وأهل البدع في كتبهم من المطاعن العامة والخاصة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يعرج عليها ولا كرامة ، فهي أباطيل وأكاذيب مفتراة إذ دأب الرافضة ، وأهل البدعة رواية الأباطيل ، ورد ما صح عن السنة المطهرة ، والتاريخ.

16- وجدت من خلال صحبتي لبعض خصوم السنة ، أنهم جميعاً من أصحاب الترف والكبر ، الذين لزموا البيوت ، ولم يطلبوا العلم من مظانه ، ومن أهله ، فهم كما تنبأ بهم المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله" لا ألفينَّ أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه

=================

#الاستشراق الجديد

سهيلة زين العابدين حمّاد 1423/11/23

2003/01/26

لقد تعرَّف الغرب بالشرق عبر قرون طويلة عن طريق عدد كبير من الكتاب والرحالة والجغرافيين والمؤرخين، والشرق الذي عرفته أوروبا قديماً يمتد من سواحل البحر المتوسط غرباً إلى البحار الشرقية النائية، وقد اختلفت وسائل اتصال أوروبا بالشرق باختلاف أهدافها وبواعثها من وراء هذا الاتصال .

وكانت بداية هذه العلاقات ترجع إلى أيام الكنعانيين، وكانت علاقات تجارية، ثُمَّ تلتها علاقات حرب واحتلال، إذ قامت الحرب الفارسية اليونانية (449–499ق.م)، وكانت الغلبة في البداية للفرس ثُمَّ أخرجهم اليونان من بلادهم.

وفي أواخر القرن الرابع "قبل الميلاد" قام الإسكندر المقدوني باحتلال آسيا الصغرى، وبعض أواسط آسيا، واستمر في حربه حتى وصل أبواب الصين، وقد عاجلته المنية، ولم يتعد عمره ثلاثين عاماً، وتوفي عام 323ق.م .

وعندما اجتاح الإسكندر المقدوني الشرق فكَّر في احتلال الجزيرة العربية، بعدما تمَّت له الغلبة على مصر والهلال الخصيب ؛إذ كان وقتها في بابل، فأرسل بعثة استطلاعية تتسقط له المعلومات اللازمة؛ تمهيداً للاستيلاء على هذه الأصقاع المليئة بالغموض والأسرار الصعبة الاختراق، فبنى أسطولاً قوياً، واتخذ مدينة بابل قاعدة للانطلاق، وأمَّر على أسطوله قائده "أرخياس "Archias الذي عبر الخليج العربي، وصل إلى جزيرة البحرين الحالية، وكان يطلق عليها في ذلك الوقت اسم "أيلوس" وقدَّمت البعثة البحرية وغيرها من البعثات الأخرى تقارير وافية عن المناطق التي وصلت إليها، تناولت السكان والإنتاج والمبادلات التجارية، والوصف "الطبوغرافي" للأرض، والطرق السهلة التي يمكن لجيش جرار المرور منها في صحراء قاحلة خالية من الماء، ومن كل الوسائل المريحة التي يحتاج إليها جيش مقبل على احتلال أصقاع لم يخترقها أحد قبل ذلك التاريخ .

فأخذ المهتمون بهذه الحملات تسجيل العديد من المعلومات عن الأرض الشرقية التي احتلوها، ودَّونوا كثيراً من الروايات الشفهية والسماعية عن أرض أخرى كان في نية الإسكندر ابتلاعها .

بداية الاستشراق:

من وجهة نظري فإن بداية الاستشراق كانت من عهد الإسكندر المقدوني، وكما رأينا فإنه قام لأهداف السيطرة والاحتلال، ومنذ هذا التاريخ كان المستشرقون المهتمون بالدراسات الشرقية مبعث اهتمامهم بهذه الدراسات يعود في المقام الأول إلى خدمة أهداف بلادهم في السيطرة على الشرق، وعند ظهور الإسلام أضيف إلى هذا الهدف هدف آخر هو محاربة الإسلام بتشويه صورته، وصورة نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– في الشرق والغرب، وتاريخ الاستشراق الطويل يشهد بهذا.

كشف حقيقة الاستشراق:

وقد كشف القناع عن حقيقة الاستشراق بعض الباحثين العرب مثل الأستاذ "أنور عبد الملك" الذي نشر مقالة له بعنوان " الاستشراق في أزمة" ونشر بالفرنسية في مجلة "ديوجين" سنة 1963م في العدد رقم 44ومن المستشرقين الذين ردَّوا عليه المستشرق الإيطالي "فرانسيسكو جابوبيلي" في مقالة نشرت له في مجلة "ديوجين" العدد "50" سنة 1965م كما رد عليه المؤرخ الفرنسي اليهودي "كلود كاهين" في نفس المجلة والعدد، وكذلك المستشرق الفرنسي اليهودي "مكسيم ردونسون" ،حيث رد عليه ضمنياً في كتابه "جاذبية الإسلام".

ثُمَّ أعقبه كتاب الاستشراق للدكتور "إدوارد سعيد" أستاذ الأدب الإنجليزي والأدب المقارن في جامعة كولومبيا في نيويورك، وقد صدر بالإنجليزية عام 1978م ،وكانت له أصداء واسعة ،وقد ردَّ عليه كل من المستشرق اليهودي الفرنسي مكسيم ردونسون ،وكلود كاهين ،والمستشرق اليهودي البريطاني الأمريكي "برنارد لويس"، وكذلك " ألان ردسون"، كما كان لبحوث عبد النبي أصطيف، وهو يعمل بكلية سانت أنتوني بجامعة أكسفورد ،وممن عقَّب على كتاباته "ألان ردسون".

هذه البحوث والدراسات والمقالات قد زلزلت الأوساط الاستشراقية وجعلتهم يقررون في المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للمستشرقين الذي عقد في باريس بمناسبة الذكرى المئوية لأول مؤتمر دولي للمستشرقين في صيف عام 1973م أن يقذفوا بمصطلح "مستشرق " في مزبلة التاريخ على حد تعبير " برنارد لويس"، ولكن في الوقت نفسه أعلنوا عن تمسكهم بمناهجهم التي اتبعوها في دراساتهم، وأنَّهم لن يتخلوا عنها لإرضاء العرب.

الاستشراق الأمريكي الجديد:

وهكذا نجد أنَّهم قد تخلوا عن المصطلح، ولكنهم لم يتخلوا عن المنهج والأهداف والأغراض، لذا نجدهم استبدلوا كلمة "استشراق" "بمراكز المعلومات"، أو "دراسات الشرق الأوسط".

وهذا هو الثوب الجديد للاستشراق الجديد، ولا سيما الاستشراق الأمريكي .

ومن هنا نجد بعض الباحثين المسلمين قد انخدع بهذا المصطلح الجديد، وهو الأستاذ "مرسي سعد الدين" الذي يرى أنَّ هذا النوع من الاستشراق يدخل في إطار جمع المعلومات، وهو ناتج عن رغبة حقيقية في البحث نابعة من ذات المستشرق، وليس بإيعاز من أجهزة المخابرات، ويرى أنَّ هذا النوع من الاستشراق يمثله الاستشراق الأمريكي الجديد، ويضيف قائلاً : " وإن كانت هذه الدراسات تساعد أمريكا مثلاً على رسم سياستها تجاه دول المنطقة، ويؤكد على أنَّ دراسات المستشرقين الأمريكان الجدد عن مصر الفرعونية، ومصر الإسلامية، وعن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الظروف الحالية، وعن الحركة العمَّالية، والمجتمع الريفي، ووضع المرأة والطبقة الوسطى أنَّها لم تكتب لغرض استعماري ،وإنَّما هي بحوث نتيجة لتجارب كتابها.

وقد كتب هذا في مقال نشر في الأهرام في 1999/8/24م، بعنوان "الاستشراق الجديد" والأستاذ "مرسي سعد الدين" متفائل جداً، فهو يجزم أنَّ هذه الدراسات بإيعاز من أجهزة المخابرات، وليس لأغراض استعمارية، مع أنَّ ما ذكره من نوعية الدراسات يؤكد لنا أنَّ الغرض استعماري.

أهداف الاستشراق:

فالاهتمام بمصر الفرعونية هذا من أهداف الاستعمار؛ إذ يسعون لإحياء القوميات الجاهلية القديمة في العالم الإسلامي، فقد نبَّش المستشرقون خاصة في النصف الأول من القرن العشرين في الحضارات الجاهلية القديمة، وإحياء معارفها لسلخ المسلمين من دينهم، من ذلك بعث الفرعونية في مصر، والفينيقية في سوريا، والآشورية في العراق، والفارسية في إيران، والقومية الطورانية في تركيا، أمَّا الجزيرة

العربية فلقد بحثوا في آثار السابقين، وأسموا دراساتهم "التاريخ الحضاري للعرب قبل الإسلام"، وذلك ليطفئوا نور الإسلام، وأنَّ الإسلام ليس وحده هو الذي قدم الحضارة الإنسانية، وليقطعوا صلة الأمة الإسلامية بماضيها الحقيقي الذي بدأ بظهور الإسلام.

أمَّا دراساتهم عن العصور الإسلامية فهي لا تخلو من الدس والتشويه، وأمريكا تريد القضاء على الإسلام والسيطرة على البلاد الإسلامية، ففي شهر مايو سنة 1992م، صرَّح نائب الرئيس الأمريكي في حفل الأكاديمية البحرية الأمريكية بولاية ماريلاند أنَّهم قد أخيفوا في هذا القرن بثلاثة تيارات هي : الشيوعية، والنازية، والأصولية الإسلامية، وقد سقطت الشيوعية والنازية، ولم يبق أمامهم سوى الأصولية الإسلامية، وما حملتها الآن على ما تسميه إرهاباً ومحاربتها له إلاّ للقضاء على الإسلام، وبسط نفوذها وهيمنها على الشعوب والدول الإسلامية ولا سيما العربية .

أمَّا عن الدراسات المعاصرة للأحوال الاجتماعية والاقتصادية فمعروف أنَّ المستشرقين المعاصرين في الولايات المتحدة قد أولوا عناية فائقة بدراسة الأوضاع القائمة في المنطقة العربية منذ قيام إسرائيل وحتى الآن، وذلك في إطار تجنيد هؤلاء المستشرقين والعملية الاستشراقية الأمريكية إجمالاً لتلبية احتياجات وتطلعات السياسة الأمريكية في هذه المنطقة، واحتل الاهتمام بإسرائيل مكانة خاصة في الاستشراق الأمريكي المعاصر، انطلاقاً من الدور الوظيفي الذي تؤديه إسرائيل في تنفيذ الاستراتيجية الأمريكية، فانصبت غالبية نشاطات المستشرقين الأمريكان في مجالات الأبحاث الصراعية باتجاه تعزيز المواقع الإسرائيلية على جبهة المواجهة مع العرب، ومن المستشرقين الأمريكان الذين يسعون لخدمة الصهيونية "برنارد لويس" وهو يهودي بريطاني الأصل، ومنذ سنة 1973م انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ أصبح عضواً دائماً في معهد الدراسات المتقدمة، وفي الجمعية الفلسفية الأمريكية، وشغل منصب أستاذ الدراسات الشرق أوسطية في جامعة برنستون، وانتقال "برنارد لويس" إلى الولايات المتحدة الأمريكية منذ سنة 1973م يبين لنا أنَّ هذا المستشرق انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية لهدف يسعى إلى تحقيقه من خلال الدور الأمريكي في الدعم الصهيوني، خاصة بعد حرب أكتوبر عام 1973م التي قلبت

موازين الاستراتيجية الصهيونية والأمريكية، إضافة إلى إدراكه أنَّ الدور البريطاني في الدعم الصهيوني قد ضعف أمام قوة الاستراتيجية الأمريكية وأنَّ الصهيونية قد حصلت من بريطانيا ما تريده منها ،فلقد أدت بريطانيا دورها ، والدور الآن على الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق بقية الحلم الصهيوني باعتبارها أكبر دولة في العالم،وإسرائيل هي الدولة المدللة لديها.

ولم يتوقف الاستشراق الأمريكي على خدمة الأهداف الصهيونية، بل نجده قد تعاون مع المخابرات المركزية الأمريكية لخدمة مصالح أمريكا في الشرق الأوسط، وذلك من خلال "مركز دراسات الشرق الأوسط " في جامعة هارفارد . ومن المستشرقين اليهود الأمريكان الذين تعاونوا مع جهاز المخابرات الأمريكية " ندَّاف سفران" الذي عمل مديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة "هارفارد" حتى إقالته عام 1985م حيث تمَّ كشف النقاب عن تعاون "ندَّاف سفران" مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وكان هذا الكشف فضيحة في الأوساط الأكاديمية حيث قبض سفران مبلغاً وقدره 45ألف دولار من المخابرات الأمريكية لتمويل ندوة في جامعة هارفارد حول " نمو المشاعر الإسلامية في الشرق الأوسط"، وتبين كذلك أنَّ المخابرات الأمريكية قد دفعت 107ألف دولار مقابل قيام سفران بتأليف كتاب عن المملكة العربية السعودية، ويتضمن هذا الكتاب الذي تعهد سفران بتنفيذه دراسة عن حجم القوى الإسلامية في هذا البلد بهدف الإجابة عن سؤال مهم هو : كيف يمكن السيطرة على هذه القوى ؟ وكيف يمكن أو هل يمكن لهذه القوى أن تسيطر على زمام الحكم هناك ؟.

وقد كلَّف سفران أحد أساتذة الجامعة العبرية في القدس "البروفسور آفير" بإجراء بحوث ميدانية بالتعاون مع الطلبة العرب، ودراسة الصحف الصادرة في البلد المعنية بالدراسة المتوفرة في معهد "ترومان" لأبحاث الشرق الأوسط التابع للجامعة العبرية، إلاَّ أنَّ الطلاب العرب في الجامعة المذكورة رفضوا التعاون مع البروفسور الإسرائيلي، وبعد افتضاح الأمر أجرت جامعة "هارفارد" تحقيقات مع سفران، وأقيل على إثرها، لكن سفران ادعى أنَّه هو الذي قدَّم استقالته بسبب الحساسية التي سببتها تحقيقات الجامعة معه، وأخذ يدافع عن ارتباطه بوكالة المخابرات المركزية مؤكداً أنَّ

علماء كثيرين جداً يعملون في جامعة هارفارد، ويقيمون علاقات وطيدة مع الوكالة يتلقون منها المساعدات المالية، وأنَّ الجامعة لا تكتفي بإجازة هذه العلاقات،بل تشجعها، ولم تنف جامعة هارفارد هذا الأمر.

وهذه المؤشرات في قضية سفران تبرهن خلاف ما ذهب إليه الأستاذ "مرسي سعد الدين" بأنَّ دراسات الاستشراق الأمريكي الجديد بعيدة عن أجهزة المخابرات الأمريكية والأغراض الاستعمارية، وهذه وقائع حدثت لم آت بها، وإنَّما واردة مصادرها في الهوامش، وبالإمكان الرجوع إليها.

تعريف الاستشراق :

والذي أريد قوله : إنَّه علينا ألاَّ ننخدع بالمصطلحات الجديدة، فالاستشراق حديثه مثل قديمه لا يخرج عن كونه مؤسسة غربية بالغة القوة قائمة على دراسة الشرق بشتى جوانبه، مع التركيز على الجزء الإسلامي منه برؤية غربية قائمة على التفوق العرقي والثقافي بهدف سيطرة الغرب على الشرق، وتشويه الإسلام في الشرق والغرب

==========

#علماء الإسلام يطالبون الغرب بفض الاشتباك بين الإرهاب والمقاومة

الإسلام اليوم – خاص 1423/4/12

2002/06/23

فرضت القضية الفلسطينية ومقاومة الاحتلال الإسرائيلي نفسها على مائدة مؤتمر الشؤون الإسلامية في دورته الرابعة عشرة الذي عقد بالقاهرة مؤخرًا تحت عنوان (حقيقة الإسلام في عالم متغير) واستمر أربعة أيام متتالية شارك فيه وفود من 64 دولة و 6 منظمات عالمية ، منها منظمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي كما شارك فيه 22 وزيرًا للأوقاف والشؤون الإسلامية كما قُدّم للمؤتمر 60 بحثًا منها 46 باللغة العربية و 11 بالإنجليزية و 3 بحوث بالفرنسية وبحث واحد بالإسبانية .

وجاءت توصيات المؤتمر انعكاسًا للضرورة اللازمة اليوم لدعم الشعب الفلسطيني في مواجهة قوى الاحتلال الغاشمة، التي تمارس الإرهاب ضد شعب أعزل بانحياز أمريكي واضح وصمت دولي غير معلن ، وسلبية رسمية في العالم الإسلامي .

من هنا جاء تحذير علماء المسلمين من المخططات الغربية الصهيونية التي تستهدف تفتيت الأقطار العربية والإسلامية باستغلال ورقة الأقليات، والتدخل في شؤون المسلمين تحت شعار حماية الأقليات .

ولذلك كان تأكيد العلماء على أن الأقليات الدينية التي تعيش في المجتمعات الإسلامية تحصل على حقوقها وتمثل جزءًا من النسيج الاجتماعي مشيرين إلى أن هذه الأقليات لم تتعرض طوال التاريخ الإسلامي للظلم أو الاضطهاد ؛ لأن الإسلام هو الذي حررها من استعباد غير المسلمين .

وجاء تأكيد علماء المسلمين على النقطة السابقة للانطلاق منها إلى المحور الثاني الذي ركَّز عليه المؤتمر وهو ضرورة حماية الأقلَّيات المسلمة في دول العالم ، والتي تتعرض للظلم والاضطهاد ، وتعاني من التهميش وعدم الحصول على حقوقها . وفي هذا السياق جاءت مطالبة العلماء بضرورة حصول هذه الأقليات المسلمة على حقوقها وضرورة مساندتها من أجل الحياة الكريمة وممارستها للدعوة إلى الله – عز وجل– في البلاد التي تعيش فيها .

"مخطط غربي يستهدف الإسلام "

ومن هنا جاء تأكيد فضيلة الشيخ إبراهيم صالح الحسيني مفتي نيجيريا على أن الإسلام وأهله في جميع أنحاء العالم يتعرضون لمخطط ، وهذا المخطط أكبر بكثير مما يظنه الناس ، بدأت خططه الحديثة في أفغانستان ثم في فلسطين . وقال هذا المخطط يترافق مع المخططات السابقة للغرب بالعداء للإسلام ، وخاصة الساسة منه .

وقال الشيخ الحسيني إن أبعاد هذا المخطط واضحة حاليًا في فلسطين، والحصار الذي تشهده حاليًا على أيدي قوات الاحتلال الإسرائيلي لم يشهد التاريخ له مثيل ، وأن الهدف من ذلك كله هو محاربة الإسلام بوجه عام والعرب بوجه خاص .

و يدعو الشيخ يحيى بالا فنستي مدير الطائفة الإسلامية بإيطاليا إلى ضرورة إيجاد قنوات اتصال جديدة لتوضيح الصورة الحقيقية للإسلام التي يسعى الغرب إلى تشويهها ، والتأكيد على القيم النبيلة لهذا الدين العظيم ، وأنه يحترم التعددية الثقافية والدينية للآخرين ، في الوقت الذي لا يحترم فيه الآخرون القيم الإسلامية .

ويقول : إن الإسلام صاحب حقيقة روحية تدعو إلى توثيق العلاقات مع الآخرين، وإلى المعرفة ولا يدعو مطلقا إلى العنف في الوقت الذي يمارس فيه الآخرون العنف ضد المسلمين، وتشويه صورة الإسلام من خلال حملة إعلامية شرسة في محاولة لربطه بالإرهاب .

وعن جهود الأقلية الإسلامية في إيطاليا لمواجهة هذه الحملة يؤكد أن هناك جهود حثيثة لصد هذه الهجمة وشرح حقيقة الإسلام السمحة .

وأضاف الشيخ يحيى قائلاً: لقد قمنا بالاتصال بالمسؤولين الإيطاليين وبوسائل الإعلام لدحض كل الادعاءات الموجهة ضد الإسلام الذي يدعو إلى السلام والعدل والمعرفة، مشيرًا إلى أننا نبرز إدانة المحاولات التي تهدف إلى الإساءة للإسلام .

" ازدواجية الغرب "

ومن جانبه اعتبر الدكتور أحمد الطيب مفتي الديار المصرية أن أسباب هذه الحملة الغربية الموجهة إلى تشويه الإسلام هي الازدواجية التي يتعامل بها الغرب مع قضايا المسلمين في فلسطين والشيشان والبوسنة والعراق وغيرها لا تأتي عرضًا ، وإنما فلسفة يؤمن بها الغرب يطبقها ويقدم لها مبرراته .

وأضاف الدكتور الطيب قائلا إن تسامح الحضارة الإسلامية مع الآخر يقابله تسلط من الغرب ضد كل ما هو شرقي ، فالغرب اختلس الحضارة الإسلامية ونسبها إليه ثم أنكر ذلك ، في المقابل لم يأخذ المسلمون علما إلا ونسبوه إلى صاحبه واعترفوا بفضله .

وعرض الشيخ عبد الرشيد قارئ مفتي أوزبكستان وضع الإسلام في بلاده قائلا : إن عدد المساجد في أوزبكستان في تزايد مستمر ، ووصل إلى أكثر من ألفى مسجد ، وتم أخيرا افتتاح الجامعة الإسلامية في مدينة طشقند لتعليم أبناء البلاد فيها تعاليم الإسلام وتراثه ، كما أن أعداد الدعاة الذين يخدمون دينهم ومجتمعهم بالإضافة إلى وجود 10 مدارس إسلامية ومعهد تجاري يدرس فيها حوالي 2500 طالب وطالبة .

وأشار إلى أن هذه الجهود تعمل من أجل تحسين صورة الإسلام ومواجهة الافتراءات التي تثار ضده ، وإبراز حقيقة الإسلام السمحة وأنه لا يخشى الحوار مع الآخر ، في الوقت الذي تسعى فيه القوى الغربية إلى دخول في حوار وفق ما ترغبه هي ،

فضلاً عن أن حوار الولايات المتحدة دائما هو حوار القوة وفرض الهيمنة وتفويض إسرائيل للقيام بهذا الدور في داخل فلسطين المحتلة .

وقال الشيخ عبد الرشيد إن هذا الكيان الصهيوني الذي زرعه الغرب في بلاد المسلمين استهدف تفتيت الشرق العربي والإسلامي من خلال اللعب بورقة الأقليات الدينية والمذهبية والقومية ، وإغرائها باختيار الطريق الصهيوني وعض اليد العربية والإسلامية والارتباط بالهيمنة الاستعمارية الغربية ، والعمل على الميول الانعزالية لهذه الأقليات، وتوجيه الأقليات المسيحية إلى المطالبة بالاستقلال والتحرر من الاضطهاد الإسلامي المزعوم !

" توحيد الصف الإسلامي "

فيما أشار الشيخ شمس الدين الندوي مستشار الرئيس السنغالي إلى أن العالم الإسلامي يواجه ظروفًا قاسية ودعاية مضادة تصف المسلمين بأنهم أعداء للحضارة، موضحًا أن تشويه صورة الإسلام ظاهرة قديمة منذ الحرب الصليبية وبداية الاستشراق وانتهاءً بالإعلام في الوقت الحاضر .

وقال : إن الهجوم الإعلامي المعاصر على الإسلام هو أخطر المراحل التي نمر بها، حيث تقدم هذه الوسائل الأفكار الخاطئة والأحكام المسبقة ، وتعتمد المقولة الإعلامية الغربية على ما أرساه المستشرقون والصليبيون من شبهات ضد الإسلام .

وأضاف أن الدول الاستعمارية الجديدة أحكمت قبضتها على العالم الإسلامي ، وأدخلت بلادنا في ديون وهمية ، بالإضافة إلى ربط الإسلام بالإرهاب مشيرًا إلى ضرورة أن يواجه المسلمون هذه التحديات ، وأن يوحدوا صفوفهم ضد الغرب والصهيونية .

" توصيات تحتاج إلي تنفيذ "

ووفق الآراء السابقة جاءت توصيات المؤتمر لتؤكد على ضرورة حماية الأقليات الإسلامية من محاولات التشويش والتزييف التي تتعرض لها في الغرب، وتناشد الدول غير الإسلامية تمكين الأقليات الإسلامية من ممارسة مختلف الحقوق والحريات الواردة في المواثيق الدولية وتطبيق نظمهم الإسلامية في الأحوال الشخصية، فيما لا يتعارض مع النظام العام للدولة .

ودعا علماء الإسلام الغرب إلى فض الاشتباك بين الإرهاب والمقاومة المشروعة في مقاومة الاحتلال لدحره عن أراضيه ، والدفاع عن نفسه ومقدساته

================

رداً على ما جاء في بيان المثقفين الأمريكان :

على أي أساس نُقتل ونُحارب؟!

سهيلة زين العابدين حمَّاد 1423/3/7

2002/05/19

لقد ركَّز معهد القيم بالولايات المتحدة الأمريكية في بيانه الذي وقَّع عليه ستون مثقفاً أمريكياً ،والذي أعطاها هذا العنوان " على أي أساس نُقَاتل؟" تبرير حرب الإدارة الأمريكية على ما أسمته إرهاباً أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م بأنَّها حرب أخلاقية تستهدف الحفاظ على المبادئ والقيم الخمسة التي يؤمن بها الموقعون على البيان ،طالبين من المسلمين رجالاً ونساءً أن ينضموا معهم في تأييد هذه الحرب وتبني القيم الأمريكية .

هذا ولمّا كان البيان قد كشف مدى تضليل الإعلام الغربي الذي تسيره الصهيونية العالمية للمثقفين الأمريكان ممن وقَّعوا على هذا البيان الذي حوى على كثير من المغالطات والمتناقضات رأيتُ من واجبي كمثقفة مسلمة وصاحبة فكر وحاملة أمانة القلم أن أفتح باب الحوار مع موقعي هذا البيان ،ومع أي مثقف أمريكي أو أوربي يريد أن يتحاور معي حول مبادئ الإسلام وقيمه وعلاقة الغرب به ،لأصحح له الرؤى ،وأوضح له معالم صورة الإسلام التي عكف الاستشراق الغربي على مدى ثمانية قرون ،والصحافة الصهيونية على مدى قرن من الزمان على تشويهها وتضييع معالمها .

وأتمنى أن يكون ردي على بيان مثقفي أمريكا بمثابة بيان مثقفي العرب والمسلمين في كل مكان ،فمن يجد في هذا الرد من مثقفي الأمة يمثل رأيه فإنَّني أدعوه أن يضم توقيعه إلى توقيعي .

والنقاط التي سوف نناقشها في هذا البيان هي :

أولاً :المرتكـزات الأساسـية التـي تقـوم عليهـا القـيم التـي نـؤمن بهـا نحـن المسـلمين والمنبثقة من أسس العقيدة الإسلامية.
ثانياً : القيم الأمريكية والمبادئ الخمسة التي يدافعون عنها .
ثالثاً : أحداث سبتمبر ،وإعلان الغرب الحرب على كل ما هو إسلامي،والتي وصفها البيان الأمريكي بالحرب العادلة والحرب الأخلاقية،وأنَّها لصالحنا نحن المسلمين.
رابعاً : موقفنا من سياسة الإدارة الأمريكية تجاه إسرائيل ،وتجاه الدول الإسلامية بما فيها الدول العربية،وفي حربها على ما أسمته بالإرهاب.
خامسـاً : النظـام الإسـلامي فـي الحكم،ودعـوة البيـان إلـى فصـل الـدين عـن الدولـة ،والحكم بالحكم العلماني الوضعي.
أولاً: المرتكزات الأساسية للقيم التي نؤمن بها والمنبثقة من العقيدة الإسلامية :
1- الإيمـان بـأنَّ الله هـو الخـالق الـرازق المحيـي والمميـت ،وهـو الحـي الـذي لا يموت،وهو الواحد (الأحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لـه كفواً أحد) (ليس كمثلـه شيء وهو السميع البصير) فنحن هنا نختلف مع استناد مؤسسي الولايات المتحدة إلى دعوى دينية أساسية أنَّ جميع البشر خلقوا على صورة الله،فالإنسان خلق بنفحة من روح الله ،ولكنه لم يخلق على صورة الله.كما نؤمن بأنَّ الله هو القاهر فوق عباده ،وليس أية قوى بشرية ،فأية قوة بشرية مهما بلغت من قوة فلن تكون فوق قوة الله فتستبد معتقدة بأنَّها هي القوة الأوحد (وهو القاهر فوق عباده) (فعَّال لما يُريد) فنحن نؤمن إيمانـا كـاملاً بـأنَّ الحيـاة والموت والـرزق ،وكـل شـئ بيـد الله وحده ،ولا يستطيع أي كائن كان مهما بلغ من قوة وبطش أن ينزع الحياة والرزق منَّا بدون إرادة الله ،فالإسـلام قـد حـرَّر الإنسـان مـن عبوديـة الخلـق الـذي ظـل عبـداً لأسياده ألـوف السنين ،ولم يذق طعم الحريـة إلاَّ بالإسلام ،انظروا إلـى أحوال شعوب الأرض قبل بـزوغ فجـر الإسـلام كـم عانـت مـن اضـطهاد وظلـم واسـترقاق البشـر مـن حكـام وإقطـاعيين! فالعـالم لـم يعرف العدالـة والحريـة والمسـاواة إلاَّ من الإسـلام، ولـذا فنحن نحب خالقنا الذي حررنا من كل أنواع وصنوف العبودية للخلق، ولا نخشى ولا نخاف إلاَّ إيَّاه الذي جعل العزة للمؤمنين كما جعلها لـه ولرسوله ،إذ قال عزَّ وجل ((ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)) (المنـافقون :8)،فالمسلم الحق لا يرضـى بالـذل والخنـوع

والخضوع ،إنَّه يرفضُ الضيم،فعلاقة الإنسان في الإسلام بربه علاقة جد وثيقة قائمة على العبادة له طاعةً ومحبةً ومراقبته في كل قول وعمل خوفاً من عقابه ،وطمعاً في رحمته وثوابه،ورغبة برؤيته يوم القيامة والفوز بالجنة.

2- الإنسان كائن مكلف وصاحب رسالة ،يقول تعالى : ((وإذْ قَال رَبُّكَ للمَلاَئِكِةِ إنِّي جَاعِلٌ فِي الأْرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِد فِيها وَيَسْفِكُ الدَّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّح بَحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إنِّي أَعْلَمُ مَالاَ تَعْلَمُونَ)) (البقرة 30)،ويقول تعالى : ((إنَّا عَرَضنَا الأَمانةَ عَلى السَّمَاوَاتِ والأْرْضِ والجِبَال فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشَفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَها الإِنْسانُ إنَّه كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)) (الأحزاب :72). والإنسان لا يكون ظلوماً جهولاً إلاّ إذا كان ذا عقل ،فيعرف به أعباء هذه الأمانة ،ومع هذا يتعدى حدودها ؛إذ ظلم نفسه بتحمل أعباء يعرفها ويتعدى حدودها ،وجهول لأنَّه يتعدى تلك الحدود لجهله بها. وهنا يتضح لنا سبب اختيار الله للإنسان لمسؤولية الاستخلاف . فالعقل والتفكير مناط التكليف ؛ لذا اشترط التكليف بالعقل ،فإن انعدم العقل سقط التكليف ،لذا نجده سقط عن الصغير والمجنون والمعتوه ،فالإنسان مكلف بعمارة الأرض ،وبأمانة الاستخلاف لأنَّه ذو عقل ،ووجود عقل يعني وجود فكر ،ودور العقل في هذه القضية جد عظيم ،وهو موضع اعتبار الإسلام وتعظيمه ليكون في الدرجة الأولى من الأهمية والفعالية والعطاء ،ومن الوصول بالإنسان إلى مداخل الحق والخير ،وتمكينه من استيعاب الحقائق التي تملأ أرجاء هذا الكون المعمور ،وفي طليعتها حقيقة الإيمان بالله الذي يملأ وجوده الكون وما فيه لتكون له الهيمنة المطلقة التي تحيط بأرجاء الوجود من أطرافه ،ومن أقصاه إلى أقصاه ،وقد ورد ذكر العقل في القرآن الكريم ومشتقاته ثمان وأربعين مرة ؛إذ يدعو فيها أن يتفكر العقل في ملكوت الله ،وفي خلائقه المنتشرة ،وفي تركيبة هذا الكون الزاخر المعمور حتى يصل العقل إلى التصديق المطمئن بوجود الإله الخالق المهيمن الأعظم.

3- عبادة الله هي المهمة العليا لهذا الإنسان ،وقد بيَّن هذا قوله تعالى : ((ومَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاَّ ليَعْبُدُون)). فالإنسان خلق لعبادة الله ،ولتحقيق أمانة الاستخلاف وعمارة الأرض ،فهذه الآية والآيتان السابقتان عن أمانة الاستخلاف

تدحض العبثية الوجودية التي تقول بعبثية الخلق ،وأنَّ الإنسان مادام سيموت فلا هدف من حياته ،ولا قيمة لأي عمل يعمله.

4- أنَّه مسيّر ومخيَّر ،ومميز أي لديه القدرة على التمييز بين الخير والشر ،فالنفس البشرية كما تعرف الله بالفطرة ،فهي تعرف الخير والشر بالفطرة .. مصداقاً لقوله تعالى : ((وَنفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فألْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاها)) (الشمس : 8) ،ويقول تعالى : ((وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْن))،وهنا يأتي الاختيار فمادام الإنسان قادراً على التمييز بين الخير والشر ،فهو حر الاختيار ؛إذ بيّن الله جلَّ شأنه له لخير والشر ،وطريق كل منهما ،وله أن يختار أيهما يسلك ثُمَّ يتحمَّل مسؤولية اختياره فيثاب ويجازى خيراً على الخير ،ويعاقب في الدنيا والآخرة إن سلك طريق الجريمة والشر ،وهنا يأتي دور المجتمع في معاقبة من أجرم في حق العباد وفي حق المجتمع.،فالإنسان في التصور الإسلامي مسيَّر ومخيَّر ،مُسيَّر في بعضِ جوانب حياته وفق طبيعته التي خلقه عليها ،فهو مسير بخضوعه لسنن الكون التي لا يستطيع الخروج عنها كقوانين الجاذبية ،والضغط الجوي ،وقوانين الجسم من الهضم والدورة الدموية ،وقوانين الحرارة ،وغيرها من السنن الكونية ،وهذا من رحمة الله بالإنسان ؛إذ لو لم يكن مسيراً في قوانين الجسم كيف يستطيع أن يُسيِّر أجهزة جسمه لتؤدي وظائفها وهو نائم؟،فالإنسان في بعض جوانب حياته مسيَّر ؛بخضوعه لسنن الكون ،ولكنه من جهة أخرى له قدرة وإرادة حرة تختار ما تريد من الأفعال والتصرفات ،ولكنها مسؤولة عن هذا الاختيار ،وهنا الفرق بين حرية الإرادة في التصور الإسلامي ،وحرية الإرادة في الوجودية الملحدة ،الفرق هو العقوبة على من يتجاوز حدود الاختيار فيظلم نفسه ،أو يظلم غيره ،وحدود الاختيار محددة في الحلال والحرام ،وعلى الإنسان أن يختار الحلال ،فإذا ارتكب محرماً عوقب على قدر جريمته فإن سرق أكثر من ثلاث مرات قطعت يده ، وإن شرب الخمر جلد ،وإن ارتكب فاحشة الزنا إن كان محصناً أي متزوجاً يُرجم حتى الموت ،وإن كان غير متزوج يجلد مائة جلدة ، ،ومن قتل يقتل ،بقول تعالى : ((يا أَيُّها الذين آمنوا كتبَ عليكمُ القِصَاصُ في القَتْلى)) (البقرة : 178) .ومن ارتد عن الإسلام يستتاب ،فإن لم يُتب يقتل لقوله صلى الله عليه وسلم (أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه ،فإن عاد ،وإلاَّ فاضربه عنقه ،صحيح أنَّه((لا

إكراه في الدين)) كما قال تعالى،فالإنسان حر في اختيار دينه وعقيدته ،ولكنه مادام قد اختار الإسلام ديناً وهو خاتمة الأديان السماوية نولا دين سماوي بعده فعليه الالتزام به ،ويتحمل مسؤولية هذا الاختيار ،وإلاَّ فإنَّ ارتكب معصية أو جريمة يحرمها الإسلام ؛يدَّعي هرباً من العقوبة أنّه ارتد عن الإسلام فراراً من العقوبة ،فيصبح المجتمع في فوضى بكثرة الجرائم إن لم تكن هناك عقوبة رادعة للمرتد،وترْون أنه لا توجد عقوبة في اليهودية لمن تركها ،لأنَّه سيأتي دين سماوي بعدها هو المسيحية ،فمن ترك اليهودية واعتنق المسيحية فلا عقوبة عليه في الديانة اليهودية ،ولا توجد عقوبة في الديانة المسيحية لمن تركها لأنه سيأتي دين سماوي بعدها هو الإسلام،فمن ترك اليهودية أو المسيحية واعتنق الإسلام فلا عقوبة عليه،بل عليه الدخول في الدين الإسلامي لأنَّه خاتمة الأديان ،ولم يجبر الإسلام يهودياً ولا نصرانياً الدخول في الإسلام فالذين أسلموا منهم أسلم من تلقاء نفسه بعد اقتناع بأنه الدين السماوي الخاتم وأنَّه الدين الحق ،فالإسلام دخل في شرق ووسط وغرب أفريقيا ،وفي شرق وجنوب شرق آسيا عن طريق التجَّار ،إذ أسلم أهالي تلك البلاد عندما وجدوا في التجار المسلمين الصدق والأمانة وعدم الغش،والوفاء بالعهد،وغيرها من الأخلاق الحميدة ،وهي صفات أوجبها عليهم الإسلام ،فالإسلام دين الأخلاق ،فالرسول صلى الله عليه وسلم قال : (إنَّما بُعثتُ لأتمم الأخلاق) ،وقد وصفه الله عزَّ وجل في قوله تعالى ((وَإنَّك لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم))فالمستشرقون الذين زعموا أنَّ الإسلام انتشر بحد السيف زعمهم باطل ،يدحضه الوقائع والحقائق التاريخية .ويؤكد هذا قوله تعالى لنبيه الكريم : ((ادْعُ إلى سَبيلِ رَبَّكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وَجَادِلهُمْ بالتي هي أحسنُ إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِين)) (النحل: 125)،وقوله لرسوله الكريم أيضاً ((لو كُنْتَ فَظَّا غَلِيظَ القَلْبِ لا نفَضُّوا مِنَّ حَوْلِكَ))

فالإسلام هو خاتمة الأديان السماوية ،لذا كانت هناك عقوبة على المرتد عنه بعدما اختاره ديناً بلا إكراه، ألا تعلمون أنَّ الإدارة الأمريكية تتدخل في هذه الأمور الشرعية ،وتطالب بعض الدول الإسلامية بعدم تنفيذ عقوبة المرتد على المرتدين عن الإسلام تمهيداً لتنفيذ مخطط تنصير المسلمين ؟

كما حرَّم الإسلام الانتحار ،لأنَّ فيه اعتراضاً على قضاء الله وقدره ،وفيه قتل نفس التي حرَّم الله قتلها إلاَّ بالحق ،والإنسان مسؤول عن صيانة نفسه وحمايتها، يقول تعالى : ((ولاَ تَقْتُلُوا أَنْفَسَكُم إنَّ اللهَ كانَ بِكُمْ رَحِيما))

هذه الجرائم الكبرى التي يعاقب عليها الإسلام حماية للأنفس والأعراض والأموال ،والمجتمعات الإباحية لا تعتبر الزنا جريمة لأنَّهم لا يؤمنون بالإنسانية المترفعة عن مستوى الحيوان.

ولقد ساوى الإسلام بين المرأة والرجل في الحدود والعقوبات ،كما ساوى بين جميع الناس في الحقوق المدنية ،وشؤون المسؤولية والجزاء والعقاب ،يقول صلى الله عليه وسلم (لا تفلح أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي) ،وقال (إنَّما أهلك الذين من قبلكم أنَّهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ،وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ،وأيم والله لو فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها) ،ويقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه في أول خطبة له بعد مبايعته بالخلافة : (ألا إنَّ أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ،وأضعفكم عندي من القوي حتى آخذ الحق منه .) وحرص على تكرار هذا المعنى نفسه أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه في أول خطبة له بعد توليه الخلافة : (أيها الناس ! إنَّه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ،ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه) ،وجاء في رسالة عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري ،وهي الرسالة التي جمع فيها معظم أحكام الإسلام في القضاء : (آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك . أي سو بين المتقاضين في جميع هذه الأمور . حتى لا يطمع شريف في حيفك ،ولا ييأس ضعيف من عدلك) . ويقول في وصيته للخليفة من بعده : (اجعل النَّاس عندك سواء ،لا تبال على من وجب الحق ،ثُمَّ لا تأخذك في الله لومة لائم ،وإياك والمحاباة فيما ولاَّك الله) .

5- إنَّ الإنسان مسؤول عن اختياره ليثاب إن أحسن ويعاقب ويجازى إن أخطأ،والرجل والمرأة متساويان في الجزاء والثواب ،كماهما متساويان في الإنسانية وفي تحمل أمانة الاستخلاف، وفي القصاص والحدود والعقوبات،يوضح هذا قوله تعالى : ((مَنْ عَمِلَ صَالِحَاً مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُون) وهو هنا يرد القرآن الكريم على ما أثير من تساؤلات في أحد المجامع الكنسية بروما التي منها :

هل المرأة إنسان ذو روح خالدة ؟ وهل هي أهل لأن تتلقى الدين ،وهل تصح منها العبادة ؟ وهل يتاح لها أن تدخل الجنة في الآخرة ؟؟

ثُمّ قرَّر المجتمعون (أنَّ المرأة مجردِ حيوان نجس لا روح له ولا خلود ،ولكن يجبُ عليها العبادة والخدمة ،كما يجب تكميم فمها كالبعير وكالكلب العقور لمنعها من الضحك والكلام لأنَّها أحبولة الشيطان)

6- الإنسان في الإسلام مادة وروح معاً ،فهو قبضة من طين ونفخة من روح الله ،يقول تعالى : ((إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذ سوَّيته ونفختُ فيه من روحي فقعوا له ساجدين)) (سورة ص :71-72)

وقد وازن الإسلام بين الروح والجسد فلم يبخس للجسد حقاً ليوفي حقوق الروح،فيحرم المباح ،ولم يبخس للروح حقاً ليوفي حقوق الجسد، فيبيح المحرمات ،ويتضح هذا التوازن في قوله تعالى : ((وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)) (القصص : 77) ،هذا التوازن عجزت عن تحقيقه سائر الأديان والفلسفات ،وهنا تتجلى معجزة الإسلام فالإنسان في التصور الإسلامي موحد من حيث طبيعته بين النواحي المادية والروحية والحاجات النفسية.فالإسلام لا يؤمن بحيوانية الإنسان أي ماديته "كالداروينية"التي نشأت عنها المذاهب المادية كالماركسية والفرويدية القائمة على التفسير الجنسي الحيواني للسلوك الإنساني ،وغير ذلك من المذاهب القائمة على مادية الإنسان وحيوانيته ،والتي شملت كل اتجاهات الفكر الغربي،كما لا يؤمن برهبانية الإنسان كالبوذية والهندوكية التي تمخَّضت عنها الفلسفة المثالية كفلسفة أفلاطون في العصور القديمة وفلسفة هيجل في القرن التاسع عشر،وإنَّما يؤمن الإسلام بأنَّ الإنسان مادة وروح لا يمكن فصل هذين العنصرين عن بعضهما البعض.

والإنسان مخلوق مكرَّم ((ولقد كرَّمنا بني آدم)) (المائدة : 33) ،ومن مظاهر هذا التكريم:

- العلم : ((وعلَّم آدم الأسماء كلها ثُمَّ عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين)) (البقرة:31) ،وقال جلّ شأنه ((علَّم الإنسان مالم يعلم))(العلق:5) ،كما علَّمه البيان ((الرحمن .علَّم القرآن .خلق الإنسان. علَّمه البيان)) (الرحمن :1-4)،وقد زوَّد الخالق جلَّ شأنه الإنسان بأهم أدوات التعلم وهي العقل والسمع والبصر والفؤاد ،وعلى الإنسان أن يُحسن استخدامها ،وإلاَّ فهو والأنعام سواء يقول تعالى : ((ولقدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاّ يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُم أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُون بِها وَلَهُم أَذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِها أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمُ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُون))بل حثه على استخدام المنهج العلمي باستخدام أدوات البحث العلمي في قوله تعالى ((ولا تقفُ ما ليس لك به علم إنَّ السمعَ والبصرَ والفؤاد كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عنْه مسؤولا)) ولقد تحدى القرآن الكريم العقائد الموروثة والأفكار الجاهلية بالمنهج العلمي فقال جلَّ شأنه ((قل هاتوا بُرهانكم إنْ كُنْتُم صادقين)) (البقرة:170)وقوله تعالى : ((قُلْ هَلْ عِنْدَكُم مِنْ عِلمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إنْ تَتبِعُونَ إلاَّ الظَّن وإنْ أَنْتُمْ إلاَّ تخْرُصُون)) (الأنعام : 148) فالمنهج العلمي أول ما جاء به الإسلام وطبَّقه الحسن بن الهيثم في بحوثه وكشوفه العلمية قبل فرنيسس بيكون الذي نُسب إليه المنهج العلمي . ولأهمية العلم فلقد جعله الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة ،ألا تعلمون أنَّ أول كلمة في القرآن نزلت هي كلمة "إقرأ"التي جاء فيها قوله تعالى ((إقرأ باسم ربِّك الذي خلق .خَلَقَ الإنْسَان مِنْ عَلَقْ. أقرأ ورَبُّكَ الأَكْرَم. الَّذي عَلَّم بِالقَلَمِ.عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم)) (العلق:1_5)،وألا تعلمون أنَّ الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم قد جعل فداء كل أسير من أسرى المشركين في غزوة بدر ،وهي أول معركة بين المسلمين ومشركي قريش هو تعليم عشرة من الصبيان في المدينة المنورة ؟ إنَّه دين حضاري وإنساني قائم على العلم واحترام أهل العلم وتكريمهم ،فقلد جعل العلماء ورثة الأنبياء ،وهم أكثر خشية لله لأنَّهم على علم بقدرته عارفون به ،يقول تعالى ((إنَّمَا يخشى اللهَ منْ عِبَادِه العُلَمَاءُ)) وبين أنَّ أهل العلم لا يتساوون مع الذين لا يعلمون ،يقول تعالى : ((قُلْ هَلْ يسْتَوِي الذينَ يَعْلَمُون وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُون)) (الزمر : 9)،بل يرفع الله أهل العلم درجات ،يقول تعالى : ((يَرْفَعُ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُم والَّذِينَ أُوتُوا العِلَم دَرَجَاتٍ))(المجادلة : 11) ،وقد حثَّ الإسلام على طلب

العلم وجعله طريقاً إلى الجنة ،فلقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن طريق أبي هريرة رضي الله عنه ،أنَّ رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم قال : (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة)،فهذا فضل العلم والعلماء في الإسلام ،والذي ينكرونه عليه متهمينه بأنَّه ضد العلم ،وأنَّه يدعو إلى التخلف والرجعية ،فليتبصروا ويتأملوا في هذه الآيات القرآنية ،وفي واقع الأمة الإسلامية عندما تمّسكت والتزمت بالإسلام أية حضارة شيّدتها ،وأي علم وصلت وارتفعت إليه؟فموقف الإسلام من العلم وتشجيعه عليه ،ورفع مكانة العلماء ،ومساواة البشر جميعاً في طلبه فجَّر في المسلمين طاقات الإبداع ،وأضاف مفهوماً جديداً إلى مفهوم العلم لم يكن يلقى اهتماماً عند اليونانيين ،وهو استخدام العلم في كشف أسرار العالم الطبيعي ،وقهر الإنسان للمادة ،والسيطرة عليها ، واستخدم المسلمون الرياضيات في حل المشكلات الواقعية التي تواجه الإنسان ،وبرعوا في استخدام الأرقام ووضع علم الحساب ،واكتشاف الصفر في كتابة الأرقام ،واخترعوا علم الجبر ،وتفوقوا في الهندسة التحليلية ،وابتكروا حساب المثلثات ،وكانت هذه أول مرة تستخدم فيها الرياضيات للتعبير عن قوانين العالم الطبيعي ،وفي علم الطبيعة ابتكر ابن الهيثم علم الضوء ،كما اكتشف ابن سيناء الجاذبية الأرضية قبل إسحاق نيوتن بسبعة قرون ،وللأسف الغرب نسب هذا الاكتشاف إلى إسحاق نيوتن ،وفي مجال الطب فلقد اكتشف ابن النفيس الدورة الدموية الصغرى ،كما عرف العرب التغذية عن طريق شق العلوم بالحقن ،وهم أول من عرف الخدمة السريرية ،والتعقيم وانتقال العدوى في بعض الأمراض ،وعرفوا الجراثيم وطرق وقايتهم من الأمراض شبيهة بطرق الوقاية المعروفة اليوم .وفي علم الصيدلة فلقد اجمع مؤرخو العلوم أنّ علماء العرب والمسلمين هم الذين وضعوا قواعد علم الصيدلة وفصلوها عن الطب ؛إذ كان الطب والصيدلة مهنة واحدة.ورجع تفوق للعلماء المسلمين في علم الصيدلة إلى تفوقهم في الكيمياء وعلم النبات. هذا ويعتبر جابر بن حيَّان هو مؤسس علم الكيمياء ،وحتى أصبح في أوربا في العصور الوسطى يطلق على علم الكيمياء " علم جابر "،أو "بصنعة جابر" وكتابه "الخالص" كان يدرس في أوربا لعدة قرون ،وممّا لاشك فيه فإن إنجازات

العلماء المسلمين في علم الكيمياء كان لها أثر كبير في صناعة الأدوية ،وفي كثير من الصناعات منها صناعة الأسلحة.أمَّا إنجازات المسلمين في علمي الفلك والجغرافيا فقلد ساعد على تطور علوم لأرض والفضاء.

إنَّ إنجازات المسلمين في كل العلوم لا تعد ولا تحصى ،وما ذكرناه على سبيل المثال لا الحصر لنبين لكم أنّ الإسلام هو الذي دفع بالمسلمين إلى كل هذه الاكتشافات العلمية لأنّ هؤلاء العلماء أول شيء يتعلمونه هو العلوم الدينية من حفظ القرآن الكريم ،ودراسة تفسيره ،ومن حفظ الأحاديث النبوية ،ودراسة الأحكام الفقهية الشرعية ،ثُمَّ ينطلقون في دراساتهم للعلوم التي يرغبون في دراستها ،ومعهم الذخيرة النفيسة من العلم التي ترشدهم وتلهمهم وتؤهلهم لطرق كل العلوم ،والنبوغ فيها فأسهموا في إنشاء حضارة فريدة تميّزت على كل الحضارات ،وأصبح المسلمون يمثلون أكبر قوة في العالم ،فمثلاً : ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع وعلم العمران،وصاحب العديد من النظريات الاقتصادية التي سبق بها آدم سميث استقى نظرياته الاجتماعية والعمرانية والاقتصادية من القرآن الكريم ،ومن السنة الشريفة ،وقد كان عالماً فقيهاً ،وقاضياً تولى القضاء في مصر .فالعالم لم يعرف الحضارة العلمية إلاَّ عن طريق الإسلام الذي دفع بالمسلمين إلى ذلك ،فالعلوم الدينية تخرج العلماء والمفكرين والمخترعين لمن يدرسها حق دراستها ،ولا تُفرِّغ الإرهاب ،كما تزعم الحملة على الإرهاب التي وصفها بيانكم بأنَّها حرب أخلاقية!

والذي يُفرّغ العنف والإرهاب أفلام العنف والإرهاب التي تنتجها سينما هوليود التي يسيطر عليها اليهود الصهاينة،فلمَ لا يوجه الانتقاد إلى تلك الأفلام التي تعرض في محطات التلفاز الأمريكية؟أيضاً لماذا لم يقدَّم الانتقاد للمناهج الدراسية الدينية في إسرائيل التي تدعو إلى إباحة أعراض ودماء وأموال غير اليهود من الأميين ،والتي تغرس في نفوس صغارها على التمايز على سائر الأمم ،وأنَّهم شعب الله المختار ، وأنَّ دولة إسرائيل الكبرى تمتد من النيل إلى الفرات ،بل حتى مناهج الحساب يُحرِّضون فيها على قتل الفلسطينيين ،فمن المسائل الحسابية التي تدرس للطلبة في إسرائيل مثلا : يوجد ثمانية فلسطينيون فكم فلسطينياً ينبغي أن تقتلهم ليبقى ثلاثة أحياء؟

– من مظاهر التكريم الإلهي للإنسان أنَّه خلقه سوي الخلقة ،يقول تعالى : ((لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم))

– من هذا التكريم أنَّه سخَّر له ما في الكون ،يقول تعالى : ((وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جمِيعاً مِّنه إِّن فِي ذلك لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون)) . فهذا التصور الذي يحمله الإسلام للإنسان من تسخير الكون له وليس العكس .فإنَّ الطبيعة هي المسخَّرة للإنسان ،وليس هو المسخَّر لها ،فالقول بأنَّ الإنسان سخر للوجود أدَّى إلى استعباد الإنسان ،فأصبح الكون بالنسبة للإنسان سيداً معبوداً . وإقرار هذه الحقيقة أنّ الكون مسخر للإنسان فيه تحرر الإنسان من عبودية الخلق.فالمبدأ الأساسي الذي تقوم عليه العقيدة لإسلامية هو أنّ الله وحده هو المعبود ،وليس أحد سواه ،فلا الشمس ولا القمر ،ولا الليل ولا النهّار ،ولا البحار ،ولا المال ولا الحيوان ولا النار ،ولا القوم ،ولا العشيرة ،ولا الوطن ،ولا الإنسان المعبود ،فليس في الكون شيء معبود ،بل الكل ،كل الكائنات الموجودة في هذا الكون عابد له يدين له بالتعظيم ،ويقر له بالألوهية والوحدانية والعبودية ،يقول تعالى : ((وَهُوَ اللهُ لاَ إِلَه إِلاَّ هُوَ لَهُ الحَمْدُ فِي الأُولى والآخِرةِ ولَه الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون)) (القصص : 70). وهكذا كرَّم الله الإنسان ؛إذ حرَّره من عبودية الخلق ليكون عبداً للخالق جلَّ شأنه ،وهي عبودية تشريف وتكريم وإعزاز لأنَّه بهذه العبودية يرتفع ويسمو وتتبثُ في نفسه الطمأنينة ،ويتطهر جسده من أردان الرذائل والخبائث ،ويرتقي بآدميته إلى الفضائل والعفاف ،فلا يخشى إلاَّ الله ،ولا يذل نفسه إلاَّ لله ،ويجعل عمله خالصاً لله ،فيتحرر من الخديعة والكذب والنفاق والرياء ،ويراقب الله في أعماله وأقواله ،فلا يخون ،ولا يسرق ،ولا يزني ،ولا يقتل فيعيش سعيداً عزيزاً مكرماً مطمئن النفس قرير العين ،فيسلم من آفات وأمراض هذا الزمان ،وكل زمان ؛إذ يتخلص بإخلاص العبودية لله ممَّا تعاني منه البشرية أفراداً وجماعات من الويلات والنكبات التي تنصب على رأسها صباً كالقلق والخوف ،والهم ،والاكتئاب ، والانتحار ، والأنانية ،والجشع ، وسُعار الجنس ، والطلاق ، والاغتصاب ، والإرهاب ،وتفسخ الأسرة وتفككها ، وانحلال المجتمع ،كل هذه الأمراض والمفاسد تعاني منها البشرية الشاردة عن دين الله ،والتي تعلق العصيان على الله سبحانه وتعالى ،وذلك لتصورها المخبول القاصر

أنَّها تستطيع أن تحظى بالسعادة والخير بانفرادها بالتشريع وانفصالها عن صراط الله في شرعه ودينه ،لهذا كانت الغاية العليا من خلق الإنسان عبادة الله جلَّ شأنه ، يقول تعالى : ((وما خلقتُ الجن والإنس إلاَّ ليعبدون))

7- أنَّ الحياة الدنيا دار امتحان وابتلاء ،يمر بها الإنسان ليصل إلى الآخرة ،وأنَّ الحياة الآخرة هي الحياة الدائمة لا موت فيها ،ولقد وصف الحياة الدنيا : بأنّها حياة لهو ومملوءة بالزينة والزخرف والشهوات((اعلموا أنَّما الحيَاةُ الدُّنَيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْـنَكُمْ وَتَكَـاثُرٌ فِـي الأمْـوَال والأَوْلادِ)) (0الحديـد :20) ،وأنَّهـا متـاع مؤقـت ،ومكان عبور لا يجوز اتخاذها غاية ،يقول تعالى : ((إذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إنْ لَبِثْتُمْ إلاَّ يَوْمَاً)) (طه : 104)،وأنَّها دار تعب وكدح وجد ،يقول تعالى : ((يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحَاً فَمُلاَقِيه)) (الانشقاق : 6)

8- الإيمـان أنَّ الكـون ميـدان للنشـاط الإنسـاني ؛إذ يسـتخدم فيـه الإنسـان طاقاتـه وإمكاناتـه ويسـخره لمنفعتـه ،وأنَّ إرادة الله وراء مـا يحـدث فـي هذا الكـون ،وأنّ الكـون مسير ومدبر دائماً بقدرة الله ،يقول تعالى : ((ومِنْ آياتِـهِ أنْ تَقُومَ السَّمَاءُ والأَرْضُ بِأمْرِهِ)) ،وأنَّ الكون كله قانت لله : ((تُسَبّحُ لَـهُ السَّمَاواتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَيءٍ إلاَّ يُسَبّحُ بِحَمْدِهِ)) (الإسراء : 44)،وأنَّ كثيراً مما في هذا الكون سخر للإنسان ،يقول تعالى : ((هو الذي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الأَرْضِ جَمِيعَاً ثُمَّ اسْتَوى إِلى السَّمَاءِ)) (البقرة: 29)

هذه أهم المرتكزات التي تمثل عقيدتنا الإسلامية ،والتي تنبثق منها قيمنا ومبادئنا ولعلكم تجدون فيها إجابة إلى كثير من التساؤلات منها البحث عن الحقيقة في مقصد الحياة ومصيرها .

ثانياً:القيم الأمريكية والمبادئ الخمسة التي تدافعون عنها:

في البداية فنحن نتفق معكم في أنَّ الاستهلاكية كطريقة حياة ،وتصور الحرية على أنَّها تعني عدم وجود قيود ،والتصور السائد أنَّ الفرد مستقل قائمٌ بذاته ،فليس له مسؤولية كبيرة نحو الآخرين والمجتمع ،وضعف العلاقة الزوجية والحياة الأسرية ،من القيم الأمريكية المضرة وغير الجميلة ،وأنَّ وسائل هائلة للتسلية والإعلام تعظِّم هذه القيم ،وتنشرها بدون توقف في جميع أنحاء العالم سواءً لقيت هذه القيم الترحيب أم لا

،ولكن الذي نضيفه بهذا الصدد ،وقد فاتكم الإشارة إليه ،أنّ هذه القيم الضارة ،وغيرها كالعلاقات غير الشرعية ،وما ينجم عنها من حمل غير شرعي تقوم بفرضه مؤتمرات المرأة العالمية التي تنظمها الأمم المتحدة ،وما يتمخض عنها من اتفاقات دولية كاتفاقية إزالة كافة أشكال التمييز بين الرجل والمرأة ،والتي يضغط على دول العالم الثالث ،الذي ندرج نحن ضمنه على التوقيع عليها وتنفيذها ،ومثل هذه الاتفاقية تلزم الدولة على جعل أنظمة العمل لديها تلزم المرأة العمل في المحاجر والمناجم ،وفي الأعمال الليلية ،ممَّا يعرض المرأة إلى الابتزاز الجنسي ،ويحرم أفراد أسرتها منها في وقت هي أمس الحاجة إليها ،وهذا يؤثر تأثيراً كبيراً على كيان الأسرة ،وقد يخلخله ويضعفه ،وقد يؤدي أيضاً إلى انهياره.

بل الأكثر من هذا فإنّ الممولين الأجانب للجمعيات الخيرية النسائية ذات التوجه العلماني ،وهم في أغلبهم يهود صهاينة يتسترون في جنسيات أمريكية وأوربية ،بل منهم من يتبع الحكومة الأمريكية مباشرة يدفعون بالقيادات النسائية في هذه الجمعيات المطالَبة بالخروج عن ثوابت الإسلام في العلاقات الأسرية كإلغاء قوامة الرجل ،وإلغاء العدة والاكتفاء بالكشف الطبي ،وإلغاء حد الزنا ،وعدم تطليق الزوج لزوجته عند اكتشافها غير بكر ،وغير ذلك من الأمور التي تشيع الفاحشة في المجتمعات ،وتدعو إلى الانفلات الجنسي.ومن هذه الهيئات الأمريكية الممولة : هيئة المعونة الأمريكية (A.I.D)،وأموال المعونة الأمريكية التي تأتي مرة باسم (U.N.I)ومرة باسم (سيريا) ،ومرة باسم ((A.I.Dتتبع جميعها الحكومة الأمريكية مباشرة،وهناك مؤسسات أمريكية أخرى لا تندرج تحت اسم المعونة الأمريكية A.I.D))،ولكنها تتبع الحكومة الأمريكية مثل المنحة المحلية للديمقراطية في واشنطن التي تقول عنها مديرة قسم برامج الشرق الأوسط : " أنَّه تمَّ تكوينها بناءً على مبادرة من إحدى لجان الكونجرس ".

وإن كان من مبادئكم الخمسة التي تدافعون عنها حرية الاعتقاد والحرية الدينية من الحقوق غير القابلة للانتقاص جميع البشر ،فمن باب أولى أن يعطى لهذا الإنسان الحرية في العمل الذي يمتهنه ويحترفه ،ولكن ما رأيكم في أنَّ منظمة العمل الدولية رفضت إقرار نظام العمل في مصر الذي رفضت فيه النساء العمل في المحاجر

والمناجم ،وفي الأعمال الليلية مبينات أسباب رفضهن هذه الأعمال بأنَّها تعرضهن للتحرش الجنسي ،وأنَّ أسرهن في أمس الحاجة إليهن في تلك الأوقات،كما لو اطلعتم على وثيقة بكين تجدون فيها فرض القيم التي قلتم عنها أنَّها قيم ضارة ،بل الأكثر منها ضرراً تقرها هذه الوثيقة لتعمل بها دول العالم الثالث ،كما تجد منظمو مؤتمر السكان الذي عقد في القاهرة في التسعينيات من القرن الماضي حاولوا أن يوصوا بإقرار الإجهاض ،لولا أن تصدى لهذه التوصية علماء الدين في الأزهر ،وفي عالمنا الإسلامي.

لقد نظَّم الإسلام العلاقات الأسرية ،وجعل الزوجية تقوم على أركان ثلاث هي : السكن والمودة والرحمة ،يقول تعالى ((ومِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُم أَزْوَاجَاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَل بَيْنَكُم مَوَدَةً وَرَحْمة إنَّ ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون)) (الروم : 21) وجعل للزوجة مثل ما للزوج من حقوق وما عليهما من واجبات تجاه الآخر ،يقول تعالى ((ولَهُنَّ مثل الذي عليهِنَّ بالمعروف))،وألزم الرجل بالنفقة على زوجه ولو كانت غنية ،ومقابل ذلك جعل له القوامة ،وهي تكليف عليه مسؤوليات وتبعات والتزامات ،ومن مسؤوليات القوامة تحقيق الأمن والأمان ،وتقديم النصح والإرشاد ،فهي لا تعني الاسترقاق والاستعباد ،كما فهمها البعض،وأثار بعض المستشرقين حولها الكثير من الشبهات ،فهي مبنية على والتفاهم على أمور البيت والأسرة،وليس منشؤها تفضيل عنصر الرجل على عنصر المرأة ،ثُمَّ أنَّ جميع الأديان والأعراف في جميع المجتمعات جعلت القوامة للرجل باستثناء مجتمع شاذ هو مجتمع التبت ،فلماذا كل هذا التحامل على القوامة في الإسلام ؟ ،يقول تعالى : ((الرِّجَال قَوَّامُون عَلى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهم)) (النساء : 34)

وأمر أن تكون العشرة الزوجية بالمعروف ،يقول تعالى : ((وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيَئَاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرَاً كَثِيرَاً))(النساء: 19)،فإن استحالت الحياة الزوجية بين الزوجين يكون الطلاق بمعروف ،يقول تعالى : ((الطَّلاُقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحَسَان)) (البقرة 229)،والطلاق هو أبغض الحلال عند الله ،وقد شرِّع الطلاق في الإسلام لئلا يعيش الزوجان معاً بالإكراه،فتتحول حياتهما إلى شجار وخناق ،وينعكس ذلك على الأولاد ،ولئلاّ يدفع

ذلك الزوج إلى خيانة زوجه ،ويرتكب الفواحش ،وقد يدفع ذلك بالزوجة إلى فعل ما حرَّمه الله .وتتضح هذه الحكمة أمامنا في المجتمعات الغربية التي تحرم الطلاق ؛إذ كثرت فيها الخيانات الزوجية ،فالزوجة تخون زوجها ،والزوج كذلك ،والنتيجة اختلاط الأنساب ،ووجود أطفال غير شرعيين ،وإباحة جنسية ،وانهيار الأخلاق والقيم والفضائل.

وهناك أيضاً حملات من بعض المستشرقين على الطلاق في الإسلام !

والروابط لأسرية والعائلية قوية في الإسلام ،فالإسلام يحث على الترابط الأسري ،وينهى عن قطع الأرحام ،وأوصى بالبر إلى الوالدين ،وقرنه بعبادته ،بل نهى عن التأفف منهما ،يقول تعالى : ((وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إِيَاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانَاً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وّقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمَاً .وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً)) (الإسراء : 23–24)،فهل يوجد سمو ورقة في المشاعر الإنسانية مثل هذه المشاعر؟

فلقد ألزم الأولاد بالبر بالوالدين والإحسان إليها ورعايتهما والإنفاق عليهما إن احتاجا إلى ذلك ،كما ألزم الأب بالإنفاق على أولاده وبناته ،إلى أن يعمل الأولاد بعدما يتمُّون تحصيلهم العلمي ،وينفق على البنات إلى أن يتزوجن،ولا يحق للأب إكراه ابنته على الزواج ،ولا يصح عقد الزواج إلاَّ بموافقة ورضا المتزوج بها ،بل يعد عقد الزواج باطلاً إذا أكرهت الفتاة على الزواج .

إنَّ النظام الأسري في الإسلام وضعه وشرَّعه الخالق ،ولا يرقى أي نظام إليه ،فلمَ يتدخل الآخر الغربي في نظامنا الأسري ؟ويريد أن يصدِّر إلينا قيمه الضارة وغير الجميلة كما وصفها بيانكم؟

في العقد الثاني من القرن العشرين أصدر " أسوالد اشبنغلر "كتاباً بعنوان " تدهور الحضارة الغربية" ،فإن كان حال الحضارة الغربية قبل ثمانين عاماً في طريها إلى الانهيار ،فما هي حالها الآن ؟

ولماذا يحاول الغرب أن يفرض علينا انهيار حضارته،بكل ما فيها من قيم ضارة ،فنسير وفق ما يسير ،ونفكر مثل ما يفكر ،ونعتقد مثل ما يعتقد ،ونسلك ذات السلوك الذي يسلكه بفرض العولمة علينا ؟

نعود إلى ذات المبدأ ،وهو : "حرية الاعتقاد والحرية الدينية من الحقوق غبر القابلة للانتقاص لجميع البشر" هل تروْن أنّ هذا المبدأ ملتزمون به مع كل الأديان؟

نحن نرى أن هناك انتقاصاً من العالم الغربي لمعتقدي الديانة الإسلامية ، فدماؤنا تهدر ،وأعراضنا تنتهك ،وأراضينا تُغتصب، وأموالنا تصادر وتجمد ،وأسرانا لديكم يعاملون معاملة أدنى بكثير من الحيوانات ،ولا يحق لنا أن نقول "لا " لمغتصبينا ،بل لا يحق لنا أن ندافع عن أراضينا التي اغتصبت ،ولا عن أعراضنا التي انتهكت ،ولا عن دمائنا التي هدرت في مذابح دير ياسين وجنين والخليل ونابلس ،وبيت لحم ورام الله في فلسطين ، ومدرسة بحر البقر في مصر ،وفي مخيمات صبرا وشاتيلا ،وقانا في لبنان هذه المذابح التي قام بها اليهود الصهاينة،فلو قمنا بذلك أصبحنا إرهابيين ،لقد أصبح حق المقاومة المشروعة للدفاع عن الأرض المغتصبة في عرفكم إرهاباً في الوقت ذاته أعطيتم لأنفسكم حق إعلان الحرب على من أوهمتكم إدارتكم بأنهم هم الذين قاموا بتفجيرات الحادي عشر من سبتمبر ،ووصفتم هذه الحرب بأنَّها حربٌ أخلاقية عادلة ،ولكن مقاومة الفلسطينيين للصهاينة الذين احتلوا أراضيهم ،وهدَّموا بيوتهم على سكانها ،وجرَّفوا أراضيهم ،وضربوهم بالصواريخ والقنابل ،وبالدبابات ،وكلها أسلحة أمريكية،وقتلوا النساء والأطفال والشيوخ ،وحاصروهم في بيوتهم ،ومنعوهم من التجول إلا ساعات قلائل بعد عدة أيام ليشتروا حاجاتهم الضرورية من الطعام،وحالوا دون إنقاذ الجرحى وإسعافهم ،بل حالوا دون دفن الشهداء ،وحرقوا المساجد والكنائس ،وقتلوا الرهبان وقارع أجراس كنيسة المهد مهد المسيح عليه السلام ،وحاصروا كنيسة المهد أربعين يوماً ،ودمروا فيها ما دمَّروا ،وحرقوا فيها ما حرقوا ،ومع هذا يوصف قائدهم من قبل الرئيس "جورج بوش " بأنَّه رجل سلام ،ولم تطبق أية عقوبة على إسرائيل ،مع أنَّها نقضت الاتفاقيات التي وقعتها معها السلطة الفلسطينية ،ورغم عدم امتثالها لقرارات الأمم المتحدة ،ورفضها دخول لجنة تقصي الحقائق في جنين التي تكونت بقرار من الأمم المتحدة ،وما كان من الأمين العام

للأمم المتحدة كوفي عنان إلاَّ أن يعلن حل اللجنة دون أن تطبق أية عقوبة على إسرائيل في حين أنَّ العراق فقد مليون طفل من جراء الحصار الاقتصادي الذي فرضته عليه الولايات المتحدة منذ أحد عشر عاماً بدعوى أنَّها تمتلك أسلحة الدمار الشامل ،وأنَّها لم تسمح للمفتشين الدوليين القيام بأعمالهم ،في حين نجد إسرائيل تملك سلاحاً نووياً ،وأسلحة الدمار الشامل ،وتضرب بالقوانين الدولية ،والاتفاقيات التي أبرمتها عرض الحائط،ولا تطبق عليها أية عقوبة ،بل يوصف شارون بأنّه رجل سلام ،ويوصف العراق بأنَّه محور شر !

هل ترون أنَّ المبدأ الأول الذي أعلنتموه في بيانكم ،وجميع القيم التي أعلنتموها تطبق على جميع الناس دون تمييز ،أم أنَّ المسلمين بصورة خاصة مستثنون ،فهم محرومون منها ،بدليل أنَّ العقوبات الدولية مطبقة فقط على الدول العربية والإسلامية مثل العراق وليبيا والسودان ،والباكستان التي رفع عنها الحصار مقابل السماح للولايات المتحدة الأمريكية بجعل لها قواعد عسكرية في الباكستان ،وأن تتعاون الباكستان مع الولايات المتحدة في القضاء على طالبان ،في حين إسرائيل إلى الآن لم تطبق عليها أية عقوبة دولية ،وهي أكثر دول العالم انتهاكاً لحقوق الإنسان ،وأكبر دولة إرهابية ،وهي رأس الشر في العالم فهي محتلة أرضاً لاحق لها ولا في بوصة منها كما أعلن ذلك الحاخام " ديفيد وايس" الناطق الرسمي لحركة "ناطوري كارتا"،والذي صرَّح أنَّ قيام دولة إسرائيل غير شرعي لأنَّها ضد الله ،فالله حكم على اليهود بعدم إقامة دولة لهم عقاباً لهم على ما ارتكبوه من خطايا وذنوب ،وصرَّح أيضاً أنَّ أرض فلسطين بأكملها من حق الفلسطينيين ،وأنَّه لن يكون هناك سلام مع إسرائيل ،وأنَّ إسرائيل ينبغي أن تزول ليعم السلام في المنطقة ،وأنَّ اتفاقيات السلام لن تجدي مع إسرائيل لأنَّها دولة صهيونية ،والصهيونية قائمة على الدم ،وأنَّ ما تقوم به إسرائيل مع الفلسطينيين من قتل وتدمير وتخريب لأراضيهم وممتلكاتهم جرائم كبرى ،فهذه شهادة من حاخام يهودي ،وأدلتنا على وعروبة فلسطين والقدس ،وعدم شرعية قيام دولة إسرائيل ،وأنَّه لا حق لها ولا في شبر من الأراضي الفلسطينية أدلة كثيرة منها : أنَّ التوراة التي يزعمون أنَّ الله وعدهم فيها بفلسطين ،وأنَّها أرض الميعاد ،لقد حرَّفها اليهود ،فالتوراة المتداولة كتبها عزرا الوراق ،وكهنة اليهود على مدي

1100 عام ،وقد ثبت تحريفها بتناقضها عندما وضعها علماء الديان الغربيون تحت مجهر النقد التاريخي ،وأدلة تناقضها كثيرة لا حصر لها ،وقد بَّين الدكتور موريس بوكاي بعض هذه التناقضات عندما قارن بعض الأحداث في التوراة والإنجيل والقرآن ،ووجد أنَّ القرآن الكريم يخلو من المتناقضات فاعتنق الإسلام .

ولو فرضنا جدلاً أن هذا الوعد قد أُعطي لهم ،فقد كتب الله عليهم عدم إقامة دولة ،وهذا ورد في توراتهم ،وهو ما تستند عليه جماعة "ناطوري كارتا" بعدم شرعية قيام دولة إسرائيل ،وأنَّها دولة ضد الله ،ثُمَّ أين هم بنو إسرائيل ؟ فلقد أثبتت دراسات علم الإنسان

التي قام بها العالم الأنثربولوجي البريطاني "جيمس فنتون" عن يهود بني إسرائيل أنَّ95% من اليهود ليسوا من بني إسرائيل التوراة،وإنَّما هم أجانب أو مختلطون ،وقراءة منا في تأريخهم الأنثروبولوجي توضح لنا هذه الحقيقة ،،وتوضح لنا أنَّ ال 5% الباقية هي مختلطة بجنسيات أخرى بالتزاوج ! ثُمَّ أنَّ الحق التاريخي أسقطه القانون الدولي بالتقادم ،فلو فرضنا جدلاً أنَّ لليهود حقاً تاريخياً في فلسطين ،فلماذا لم يسقطه القانون الدولي ،وقد مضى على ما يدعونه من حق ألوف السنين ؟

ألا ترون أنَّ المجتمع الدولي يُبيح لليهود ما يُحرَّمه على غيرهم؟

هذا ونحن إذا قرأنا تأريخ اليهود نجد أنَّهم أمة بلا أرض ولا وطن ،ولذا سمُّوا بالعبرانيين ،وهم لم يؤسسوا ولا مدينة في فلسطين و في غيرها ،واسم أورشليم،وتعني مدينة السلام ،وشكيم"نابلس"،وسبسطية "السامرة ،وغزة "حبرون" وصهيون،اسم تل كنعاني بنيت عليه القدس ،وغيرها من الأسماء ليست أسماء عبرية ،وإنَّما هي أسماء كنعانية عربية ،وإن وردت في التوراة فلا يعني هذا أنَّها عبرية ،واللغة العبرية ذاتها مأخوذة من الآرامية ،وهي من اللغات العربية ،فحتى اللغة العبرية ليست في أصولها يهودية ،فتاريخ اليهود يقول إنَّهم أخذوا كل شئ حتى اللغة التي يتكلمون بها ،والحروف التي يكتبونها بها ،فهم لم يسهموا بشيء سوى السطو على ما ليس لهم ،ومنهم.

إنَّ الحق التاريخي الذي يدَّعونه باطل، ،ويؤيد بطلانه شهادة الحاخام " وايس "بأنَّ ليس من حق اليهود ولا في بوصة من أرض فلسطين ،وأنَّ أرض فلسطين بأكملها من حق الفلسطينيين.

هذا ونؤكد لكم بأنَّه لو قامت السلطة الفلسطينية بمحاصرة كنيسة المهد . وهي لن تفعل ذلك لأنَّ ديننا يحترم الديانات السَّماوية . لقام العالم المسيحي بأسره بإعلان حرب صليبية ثانية على العالم الإسلامي ،ولكن اليهود متميزون ،ولو قاموا بهدم كنيسة المهد ،فلن يعمل العالم المسيحي أي شيء ،وأحداث كنيسة المهد تؤكد هذا القول ،لذا فأنا أدعوكم أن تراجعوا مع إدارتكم مبادئكم قبل أن تعلنوا أنَّها مطبقة على جميع الناس بلا تمييز ،كما أود أن أذكركم بسكان أمريكا الأصليين " الهنود الحمر " هل حفظ مؤسسو الولايات المتحدة حقوقهم في الحرية والمساواة ،وفي العيش بأمان في بلادهم ،أم قضي عليهم وصُوروا في أفلام "رعاة البقر" بأنَّهم متوحشون وقطَّاع طريق ،وقتلة ولصوص،تماماً كما يحاول الإعلام الصهيوني لديكم أن يُصوِّر الفلسطينيين بذلك ،وهاهم يصورون المجاهدين الفلسطينيين الذين لجأوا إلى كنيسة المهد ،وأُبعِدوا من بلادهم بناءً على طلب إسرائيل المدللة لدى الغرب بأسره يعاملون كإرهابيين ومجرمين شديدي الخطر ؟؟؟!

وهل مؤسسو الولايات المتحدة التزموا بمبدأ احترام حقوق جميع البشر في الحرية والمساواة عندما اختطفوا الرجال والنساء من الإخوة الأفارقة ،واستخدموهم كعبيد أرقاء وأذلوهم الإذلال كله حتى قامت في الجنوب ثورة الزنوج؟

فهنا نرجوكم للمرة الثانية أن تراجعوا هذه العبارة التي وردت في بيانكم " فمؤسسو الولايات المتحدة أكدوا أنَّ جميع الأفراد يستوون في الاحترام والحرمة ،وأنَّ هذا المعنى ثابت بعلم ضروري " .

لقد جاء من ضمن مبادئكم الخمسة قولكم "إنَّ القتل باسم الله مخالف للإيمان بالله ،وهو أعظم غدر لشمولية معنى الإيمان لدى البشر"

ونقول لكم: هناك فرق كبير بين قتل النفس بغير حق ،وبين قتال عدو يقاتلك وهو مغتصب لأرضك أو يريد اغتصابها منك ،وعليك أن تدافع عن نفسك ،فقتل النفس

بغير حق محرم في كل الأديان ،وقد حرَّم الله قتل النفس بغير حق ،يقول تعالى : ((ولا تَقتلوا النفسَ التي حرَّم الله إلاَّ بالحق)) (الأنعام :151)

وقتل المدنيين الأبرياء في أفغانستان والعراق والصومال والفلبين وفياتنام ،وأمريكا اللاتينية ،وشن حروب على تلك الدول بلا مبررات شرعية ،وإنَّما لفرض الهيمنة والسيطرة عليها،هو المخالف للإيمان بالله. ولكن في حالة الاعتداء على أراضي المسلمين وأوطانهم ومقدساتهم وجب على المسلمين الجهاد والقتال في سبيل الله دفاعاً عنها ،وباسم الله ،وعندئذ يكون القتال باسم الله مردداً "الله أكبر" من صميم الإيمان وليس مناهضاً للإيمان،يقول تعالى : ((وقاتلوا في سبيلِ اللهِ الذين يُقَاتِلونكم ولا تعتدوا إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المعْتَدِين)) (البقرة : 190)،وبيَّن الله عزَّ وجل أنَّ القتال فرض علينا وهو كره لنا ،ولكن لا بد من الدفاع عن ديننا وأنفسنا وممتلكاتنا وأعراضنا ،يقول تعالى : ((كُتبَ عليكمُ القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم)) (البقرة :216)،كما نهانا عن عدم موالاة من قاتلنا وأخرجنا من ديارنا أو من يناصر على إخراجنا من ديارنا ،ووصف من يواليهم بالظالمين ،في حين جعل البر والإحسان إلى من لم يقاتلنا ويخرجنا من ديارنا أساس العلاقة بيننا وبينهم ،يقول تعالى : ((لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عنِ الذين لمْ يُقَاتِلوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أنْ تَبـرُّوهُم وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِم إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسُطِين.إنَّما يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذِّينَ قَاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلى إِخْرَاجِكُمَ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون.)) 0الممتحنة :8)

وما يقوم به الفلسطينيون اليوم من مقاومة للاعتداء الصهيوني هو جهاد في سبيل الله دفاعاً عن المسجد الأقصى ،وعن أراضيهم ووطنهم المغتصب ،وليس إرهاباً كما تصفه الإدارة الأمريكية والدولة الصهيونية،وإنَّ كل فلسطيني يقتله اليهود كأنهم بقتله قتلوا الناس جميعاً فقد كتب الله هذا عليهم . إن كانوا من بني إسرائيل كما يدَّعون . يقول تعالى : ((كّتَبْنا على بني إسرائيل أنَّه من قَتَلَ نَفْسَاً بغير نفس أو فسادٍ في الأرضِ فَكَأنَّما قتل النَّاسَ جميعاً ومن أحياها فكَأَنَّما أحيا النَّاسَ جَمِيعاً))(المائدة : 32)

أمَّا الذين يجاهدون في سيبل الله ويقتلون ،فهم شهداء أحياء عند ربهم مثواهم الجنة خالدين فيها،يقول تعالى : ((وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتَاً بَلْ أَحَيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون .فَرِحِينَ بِمَا أَتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ)) (آل عمران : 169_170) .

إنَّ القتال في الإسلام يقوم على أسس أخلاقية عادلة ،فلا يأخذ العدو على غرة ،ونهى عن قتل النساء والأطفال والشيوخ والمدنيين ،فلقد روى رباح بن ربيعة أنَّه خرج مع رسول الله صلى الله علية وسلم في غزوة غزاها ،فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بامرأة مقتولة فوقف أمامها ثمَّ قال : (ما كانت هذه لتقاتل ! ثُمّ نظر في وجه أصحابه وقال لأحدهم (الحق بخالد بن الوليد فلا يقتلن ذرية ولا عسيفاً . أي أجيراً . ولا امرأة) رواه مسلم.

ولقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشه في غزوة مؤتة،وهو يتأهب للرحيل : (ألا تقتلنَّ امرأة ولا صغيراً ضرعاً . أي ضعيفاً . ولا كبيراً فانياً ،ولا تحرقنَّ نخلاً ولا تقلعنَّ شجراً ولا تهدموا بيتاً) ،وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه : أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث جيوشه قال : (لا تقتلوا أصحاب الصوامع)

وقد أوصى أبو بكر رضي الله عنه . أول خليفة للمسلمين . قائده أسامة بقوله : (لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ،ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ،ولا شيخاً كبيراً ،ولا امرأة ، ولا تقهروا نخلاً ولا تحرقوه ،ولا تقطعوا شجرة مثمرة ،ولا تذبحوا شاة ،ولا بقرة ،ولا بعيراً إلاَّ لمأكلة)

كما حرَّم الإسلام الإجهاز على الجرحى والتمثيل بجثث القتلى،وعدم إصابة المدنيين ،كما حثَّ على الإحسان في معاملة الأسرى ،وجعل الإحسان إليهم علامة الإيمان ،يقول تعالى : ((ويُطْعِمون الطَّعام على حبِّهِ مِسْكِينَا وَيَتِيمَاً وَأَسِيرَاً .إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُم جَزاءاً وَلاَ شُكُوراً)) (الإنسان: 8-9)،ولا يجوز قتلهم ،ولا جرحهم ،ولا تعذيبهم ،وحثَّ على إطلاقهم بالمن عليهم أو فدائهم بينما نجد لم تظهر اتفاقيات أو معاهدات دولية لتنظيم معاملة الأسرى إلاَّ في أواخر القرن الثامن عشر ،وبالتحديد في سنة 1875م،وقد استقي معظمها من الإسلام.

ويرتفع الإسلام بالمسلم إلى ذروة الإنسانية وأكرم آفاقها حين يأمره بأن يعمل على توفير الأمن للمشرك الخائف ،وحمايته ،وإيصاله إلى بلده ومأمنه ،وفي ذلك يقول

جلَّ شأنه : (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُون) (التوبة : 6)

وقد أعطى الإسلام المرأة حق إجارة لمحارب مثلها مثل الرجل تماماً ، وقصة إجارة أم هانئ رضي الله عنها لاثنين من المحاربين يوم فتح مكة تبيّن ذلك،فعندما أراد أخوها سيدنا علي كرَّم الله وجهه قتلهما ،ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت له ، فقال لها عليه الصلاة والسلام " ما كان له ذلك ،قد أجرنا من أجرت وأمنَّا من أمّنتِ"

هذه أحكام الإسلام في القتال، وهي أحكام .كما ترون . أخلاقية عادلة ،ولا توجد أية شريعة تضاهيها خلقاً وعدالة ،ومع هذا نجد هناك محاولات من الغرب إسقاط الجهاد وإلغاؤه ووصفه بالإرهاب ،وإلغاء حق المقاومة المشروع ليعم قانون الغاب ،فيعتدي القوي على الضعيف ،ولا يحق للضعيف الدفاع عن نفسه،لأنّه عندئذ سيصبح إرهابياً ،وبالتالي يعم العالم الظلم والغبن والقهر.

في حين يسكت العالم بأسره عن جرائم اليهود في فلسطين ،أتعلمون ما هي أخلاقيات الحرب لدى اليهود وفق التوراة الذي حرَّفوه وفق أهوائهم ،والتلمود الذي كتبه كهنتهم ،وقدسوه وعدَّوه جزءاً من التوراة؟

إنَّ فكرة الحروب عند اليهود فكرة أساسية تعبر عن علاقتهم بغيرهم من الأمم ،وهم يعتقدون أنَّهم أرقى الشعوب،وأنَّ هذه منحة ربَّانية ،أعطاهم الرب إيَّاها : (أنتم أولاد الرب إلهكم ،لأنَّكم شعبٌ مقدس للرب إلهك،وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب على جميع الأرض) "سفر التثنية :14"

ومن ثمَّ فإنَّ حروبهم تدميرية لم يحظرها دينهم الذي حرَّفوه عليهم ،بل أباحها ومجَّدها ،ولم يضع القيود عليها ،فإذا حاربوا استباحوا أعداءهم ،فقتلوا الرجال ،واستعبدوا النساء والأطفال وأحرقوا البيوت (فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحُرِّمها،بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف .تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها ،وتُحرق بالنار المدينة ،وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلاً إلى الأبد لا تبنى بعد)"التثنية :إصحاح13: 16-17"

وجاء في الإصحاح العشرين من نفس السفر : (حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح ،فإن أجابتك إلى الصلح ،وفّتحت لك ،فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً ،فحاصرها ،وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ،وأمَّا النساء والأطفال والبهائم ،وكل ما في المدينة غنيمة تغنمها لنفسك ،وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك)

هذه أخلاقيات الحرب عند اليهود،وشتَّان بين أخلاق القتال عند المسلمين وعند اليهود! ومع هذا لم توصف اليهودية قط بالإرهاب ، واليهود بالإرهابيين ،ولم يحارب التوراة والتلمود،كما يحارب القرآن الكريم والسنة النبوية ،ولم يحارب القتال عند اليهود ،بينما يحارب الجهاد في الإسلام ،ويعمل على إسقاطه ،وتغييبه حتى تدخل الغرب في توصيات أحد المؤتمرات الإسلامية وحذف كلمة جهاد منها.

فالحرب على الجهاد في الإسلام تستهدف قتل روح الجهاد لدى المسلمين ،ليستسلموا لمن يريد السيطرة عليهم ،وعلى ثرواتهم دون أدنى مقاومة ،وليحقق اليهود الصهاينة مخططهم في تكوين دولة إسرائيل الكبرى التي تمتد من النيل إلى الفرات ومن لبنان إلى الجزيرة العربية ،تمهيداً لتحقيق سيطرتها على العالم ،كما جاء في بروتكولاتهم ؛ إذ جاء في البروتوكول الرابع عشر "حينما نمكن لأنفسنا سنكون سادة الأرض لن نبيح قيام أي دين غير ديننا، أي الدين المعترف بوحدانية الله الذي ارتبط باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالم، ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إننا ملحدون، فلن يدخل هذا في موضوعنا: ولكنه سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التي ستصغي إلى تعاليمنا على دين موسى الذي وكل إلينا بعقيدته الصارمة . واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا" وليتسنى لهم تقويض الأديان يسعون للسيطرة على المقدسات الدينية للإسلام والمسيحية. كما تبين لنا أن بروتوكولات صهيون هي امتداد لتعاليم التلمود والتوراة المحرفة، وكما جاء في بروتوكولات صهيون أنهم ليحكموا العالم لابد أن يعملوا على تقويض الأديان ومن هنا كانت بداية لمخططها التلمودي الماسوني الصهيوني لهدم الأديان.

عداء اليهود للمسيح والمسيحية:

ولنتأمل نظرة التلمود إلى المسيح عليه السلام، مما جاء في التلمود عن المسيح عليه السلام الآتي:

1. إن يسوع الناصري موجود في لجات العسكري بندرا بمباشرة الزنا .

ومما جاء فيه أيضاً "يسوع المسيح أرتد عن الدين اليهودي وعبد الأوثان وكل مسيحي يتهود فهو وثني عدو الله لليهودي"

ومع هذا فبنو إسرائيل الذين أرسل الله إليهم عيسى لم يؤمنوا به كما لم يؤمنوا بنبي قبله، وكادوا لعيسى وحاربوه وطاردوه ووشوا به وجاء في التلمود "قتل المسيحي من الأمور الواجب تنفيذها وان العهد مع المسيحي لا يكون عهداً صميماً يلتزم به اليهودي... إن الواجب أن يلمس اليهودي ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يظهرون العداوة ضد بني إسرائيل" وجاء في التلمود عن الكنائس "إن الكنائس النصرانية بمقام قاذورات وأن الواعظين فيعها أشبه بالكلاب النابحة."

ولهذا نجدهم لم يحترموا الكنائس ،فحاصروا كنيسة المهد،حيث ولد المسيح عليه السلام ،وقتلوا الراهب ،وقارع الأجراس بها ،وخمسة عشر شهيداً ،فإسرائيل لا تحترم المقدسات الدينية ؛لذا فهي ليست أهلاً أن تستولي على القدس ،بينما المسلمون يحترمون كل الأديان ،وكما رأينا كيف أنَّ الله جل شأنه بيَّن لنا في القرآن الكريم أنَّ لمعابد اليهود وكنائس وصوامع المسيحيين حرمة المساجد ،فالمسلمون هم أقدر على صيانة وحماية كل المقدسات ،وتاريخهم عبر العصور يشهد بذلك . ويكفي أنْ أذكر كيف أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعطى أهل بيت المقدس أماناً على معابدهم وكنائسهم وعقائدهم وأموالهم ،وممَّا جاء نصه في هذا العهد الآتي : (بسم الله الرحمن الرحيم .هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان . أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها .إنَّه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقض منها ،ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ،ولا يسكن بإلياء معهم من اليهود)

هذا بعض ما جاء في عهد الأمان الذي أعطاه خليفة المسلمين الراشد عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لأهل القدس.

ثالثاً : أحداث سبتمبر ،وإعلان الحرب على كل ما هو إسلامي:

أحداث سبتمبر التي ورد ذكرها في بيانكم عشر مرات،وتبريركم بأن الحرب التي أعلنتها الولايات المتحدة الأمريكية على ما أسمته بحرب الإرهاب ؛ بأنَّها حرب لابد منها ،وأنها حرب عادلة وأخلاقية ، مما حدا بأحد المثقفين العرب أن يصف بيانكم بأنَّه " بيان حرب"،ونحن نتفق معه في تسميته بهذه التسمية .

لقد سلَّمتم بأنَّ هذه الأحداث قد دبَّرها وخطط لها ونفذها تنظيم القاعدة ،رغم أنَّه إلى الآن لم توجد أدلة أكيدة تدينهم ،وأشرطة الفديو التي عُرضت لقائد التنظيم وبعض أعضائه أشرطة مزورة ،كما جاء في البيان الذي أعلنه الخبير الفني فؤاد علاَّم في القاهرة الذي أخضع تلك الأشرطة للتحليل المخبري الفني .

هذا وكما يبدو فقد استخدمت وسائل التقنية الحديثة ،كاستخدام بصمات الصوت في عمل هذه الأشرطة ،وقد ألصقت تهمة هذه الأحداث بهذا التنظيم في الساعات الأولى من حدوث الحادث من قبل القيام بأية تحقيقات ،نحن هنا لا ندافع عن تنظيم القاعدة ،ولكن الذي نقوله إنَّ هذه الأحداث تفوق إمكانية التنظيم المتواضعة،بدليل أنَّه عندما هوجم من قبل الطائرات الأمريكية لم يبد أية مقاومة ،فلقد كانت الطائرات الأمريكية تصول وتجول في الأجواء الأفغانية ،مما ينفي عن القاعدة امتلاكها لأسلحة نووية وبيولوجية وكيماوية كما ذكرتكم في بيانكم ،فإن كانت تلك الأسلحة بحوزتهم لمَ لم يستخدموها في معركة حاسمة بالنسبة لهم ،وهي معركة وجود؟

إنَّ الإدارة الأمريكية أعطت لهذا التنظيم حجماً أكبر من حجمه بكثير.

ونتيجة لهذا الحادث قد تعرض الملايين من المسلمين الذين يعيشون في أمريكا وأوربا أبَّان الأحداث إلى غضب العامة ومضايقتهم ،بل بعضهم تعرَّض للقتل ،والبعض إلى تخريب ممتلكاته ،فقد عاشوا في رعب وخوف وقلق ،وبات معظمهم ملازمين منازلهم ،ولا يخرجون منها إلاَّ للضرورة ،ولا يستطيعون استخدام وسائل المواصلات العامة،إضافة إلى تعرض أي عربي يسافر إلى بلد أوربي أو أمريكي ،أو

حتى آسيوي إلى الاعتقال والاستجواب ،أي أصبح جميع العرب ولا سيما السعوديين عرضة إلى الاعتقال والاستجواب!

إنَّ أحداث الحادي عشر من سبتمبر متورطة فيها المخابرات الأمريكية مع الموساد ،وألصقوها بتنظيم القاعدة لينفذوا المخطط الذي وضع قبل أحداث سبتمبر ،وبالتحديد عام 1993م ، أي منذ إعلان بريماكوف وزير خارجية روسيا ؛إذ كشف أحد المحللين السياسيين العرب أبعاد المخطط الأمريكي للسيطرة على أفغانستان ،فقال: لقد أعلن "بريماكوف وزير خارجية روسيا أنَّه بعد سقوط الاتحاد السوفيتي لابد من إنشاء تحالف استراتيجي بين روسيا والصين والهند للقضاء على تغلغل الولايات المتحدة في آسيا،وكلها دول نووية ،فرأت الإدارة الأمريكية أنَّه لابد من السيطرة على أفغانستان قلب هذا المثلث هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنَّ الثروة النفطية التي ظهرت في بحر قزوين وآسيا الوسطى وأفغانستان،وقد صرَّح وزير الطاقة الأفغاني في حكومة طالبان السيد " أحمد جان" بأنَّه توجد في أفغانستان إمكانات نفطية وغاز طبيعي ،فدعته شركة النفط الأمريكية " يونوكال"،لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية ،واهتمت به لإقناعه بإعطائها حق التنقيب ، ومد خط أنابيب البترول ،ولكن الملاَّ عمر رفض إعطاء هذا الحق لشركة أمريكية ،فرأت الإدارة الأمريكية إزالة حكم طالبان ،والإتيان بحكومة عميلة لها ،فتنقب الشركات الأمريكية عن البترول وتمد خط أنابيب البترول،والأمر الثالث فإن أأمن الطرق وأقصرها لخط أنابيب بترول بحر قزوين يمر بأفغانستان وينتهي بشواطئ باكستان .

لهذه الأسباب جميعها إضافة إلى محاربة الإسلام والقضاء عليه ،كانت أحداث سبتمبر ،وكان إعلان الإدارة لأمريكية الحرب ضد الإرهاب والبدء بأفغانستان ،وأيضاً لتكون لها قواعد عسكرية في المنطقة التي بها دولاً تملك سلاحاً نووياً وهي الصين والهند والباكستان ،وأيضاً لتكون قريبة من إيران وكوريا الشمالية اللتين اعتبرتهما الإدارة الأمريكية من قوى الشر الثلاثة في العالم،ولتقضي تماماً على البقية الباقية في العراق بضربها بالطائرات والصواريخ إلى أن تضمن عدم وجود مقاومة فتنزل بربع مليون جندي لينتشروا داخل العراق لتفتيته إلى دويلات صغيرة على أساس عرقي ومذهبي لتتناحر فيما بينها،وهذا ما ذكره السيد "جورج جلاوي" G.Gallaway

عضو البرلمان البريطاني في حديث له لقناة الجزيرة ،ولتقوم أمريكا بحملتها على الإسلام والقضاء على حزب الله في لبنان بدعوى أنَّه إرهابي،والقضاء على الجمعيات الخيرية الإسلامية ،وتجفيف مصادرها بتجميد أموالها في البنوك معلنة حرباً شرسة على الإسلام تنفيذاً لمخطط وضع في الستينيات من القرن الماضي عندما أعلن بابا الفاتيكان في المجمع المسكوني الذي عقد عام 1965م باستقبال الألفية الثالثة بلا إسلام ،وقد أعلن نائب الرئيس الأمريكي في حفل الأكاديمية البحرية بولاية ماريلاند عام 1992أنهم أخيفوا في هذا القرن من ثلاث تيارات،وهي النازية والشيوعية والأصولية الإسلامية ،وتمكنوا من الخلاص من النازية والشيوعية ،ولم يبق أمامهم سوى الأصولية الإسلامية،فما أعلنه الرئيس الأمريكي أعقاب الأحداث قيام حرب صليبية على الإسلام لم تكن زلة لسان ،وإنَّما هي بالفعل حرباً صليبية ثانية على الإسلام ،وكل الشواهد والأحداث تثبتُ ذلك ،هذا من جهة أهداف الولايات المتحدة الأمريكية من افتعال تلك الأحداث .

أمَّا من جهة الموساد والصهيونية العالمية ،فاليهود والصهاينة يخططون لتقويض الأديان ليسيطروا على العالم وفق ما جاء في بروتوكولاتهم ،وما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية من محاربة كل ما هو إسلامي ،حتى التدخل في المناهج الدينية في البلاد الإسلامية لإلغائها يحقق هذا الهدف الصهيوني ،وأيضاً ما حدث من اجتياح شارون لأراضي السلطة الفلسطينية في أواخر شهر مارس عقب قمة بيروت بحجة محاربة الإرهاب والقضاء عليه دليل كاف ،فما قام به أرائيل شارون في فلسطين من تنفيذ مخططه في تصفية جميع عناصر المقاومة في فلسطين بدعوى أنَّهم إرهابيون يجب القضاء عليهم ،ومحاصرة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات،ولا يُفك حصار الرئيس عرفات إلاَّ بأمر من الرئيس الأمريكي يؤكد أنَّ هناك مخططاً مرسوماً شارك فيه الصهاينة مع المخابرات الأمريكية،ولعلّ ما أثير مؤخراً في الولايات المتحدة حول علم الرئيس بوش بتعرض الولايات المتحدة الأمريكية لعمليات إرهابية يؤكد أنَّ هذه العملية مدبرة ،وممّا يؤكد ذلك أيضاً الآتي :

1- عدم مساءلة وزير الدفاع الأمريكي ورئيس المخابرات الأمريكية ،ورئيس الولايات المتحدة نفسه ؛إذ كيف يضرب مبنى وزارة الدفاع،وبعد ثلث ساعة من ضرب البرجين

،ولم تتخذ وزارة الدفاع أية إجراءات دفاعية تجاه الطائرة المتجهة إلى مبناها ،مع أنَّها منطقة محظور الطيران فيها ،ولم تتنبه أجهزة الرادار ،ولم تعلم بالعملية المخابرات الأمريكية ،معنى هذا أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية بكل ثقلها وهيمنتها وقوتها لا تملك القدرة على صد أي هجوم عليها ،فهي تقف على أرض هشة ! ألا يستدعي هذا مساءلة كل الأطراف المعنية ؟وإقالة وزير الدفاع الأمريكي ورئيس المخابرات الأمريكية ،بدلاً من أن يسند إلى الأخيرة التحقيق في هذه الأحداث ؟ هل فضيحة الرئيس الأمريكي جونسون في وتر جيت التي أدت إلى استقالته من الحكم أخطر على الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية من أحداث سبتمبر؟ وهل فضيحة الرئيس كلنتون مع مساعدته في البيت الأبيض " مونيكا" أخطر على أمن الولايات المتحدة الأمريكية من أحداث الحادي عشر من سبتمبر حتى يقدم الرئيس كلنتون للمساءلة بشأنها ،في حين لم يُساءل الرئيس الأمريكي "جورج بوش" عن القصور الذي حدث نتيجة هذه الأحداث ؟

نحن في بلادنا عندما حدث حريق في أحد مدارس البنات المتوسطة بمكة المكرمة ،ومات على إثره ثلاثة عشر طالبة أحيل الرئيس العام لتعليم البنات إلى التقاعد ،وألغيت الرئاسة العامة لتعليم البنات ،ودمج تعليم البنات مع وزارة المعارف المسؤولة عن تعليم البنات !

وفي مصر عندما حدث حريق في بعض عربات قطار الصعيد وتوفي حوالي ثلاثمائة وخمسين راكباً ،أُقيل على إثره وزير المواصلات !بينما يتعرض أكبر برجين تجاريين في العالم مع مبنى وزارة دفاع أكبر قوة في العالم إلى مثل ذاك الهجوم ،ولا يقال وزير الدفاع الأمريكي من منصبه ،وكذلك رئيس المخابرات الأمريكية الذي لم يُحقق معه ،وإنَّما يسند إليه التحقيق في الحادث ؟؟

هذه تساؤلات ينبغي أن نتوقف عندها .

2- ما كشفه أحد المواقع الفرنسية في الإنترنت عن تورط 120 إسرائيلياً في عملية تجسس على الولايات المتحدة الأمريكية متخفين في هيئة رسَّامين تشكيليين ،وتبيَّن تورط بعضهم في أحداث سبتمبر ،ولم تتخذ السلطات الأمريكية حيالهم أية إجراءات قانونية ضدهم ،واكتفت بإخراجهم سراً من البلاد .

3- عدم حضور أكثر من أربعة آلاف يهودي يعملون في المركزين التجاريين يوم الحادث ،يؤكد أنَّ الحادث مدبراً من قبل الموساد.

4- ما أعلنه أحد المسؤولين الأمريكان في محاضرة حضرها ألف أمريكي أثبت فيها أنَّ الحادث مدبراً ،وأنَّ العرب والمسلمين لا دخل لهم فيما حدث.

5- السعوديون الذين نسب لهم المشاركة في عمليات التفجير ،وأنهم هم الذين قادوا تلك الطائرات ثبت ما أعلنته المخابرات الإيرانية من أن بيانات شركات الطيران بأسماء ركاب للطائرات المختطفة لم يكن بها أسماء لركاب سعوديين ،ثم أضيفت فيما بعد إلى قوائم الركاب أسماءٌ لسعوديين الذين وُجّهتُ لهم الاتهامات،وتبيَّن أنَّ من هؤلاء من توفاه الله قبل الحادث بسنوات ،ومنهم من يعيش في السعودية أثناء الحادث ،وأنَّ هؤلاء قد فقدوا جوازات سفرهم ،وهذا يؤكد أنَّ جوازات سفرهم سرقت منهم لإلصاق العملية بهم ،والهدف من جعل تسعة عشر سعودي يقومون بهذه العملية ،هو الادعاء أنَّهم ينتمون إلى تنظيم القاعدة الذي يديره ويرأسه "أسامة بن لادن" الذي كان يحمل الجنسية السعودية ليقضوا على هذا التنظيم هذا أولاً ، وليتمكنوا من أفغانستان هذا ثانياً ،وليبرروا هجومهم السافر على الإسلام هذا ثالثاً ،وليبرروا أيضاً الهجمة الشرسة التي شنتها الصحافة الأمريكية الصهيونية على المملكة العربية السعودية ،هذا رابعاً ،وليعطوا لأنفسهم الحق في التدخل في المناهج الدينية التي تدرس في المملكة بدعوى أنَّها تفرغ الإرهاب ،هذا خامساً.

6- تبين من تقارير خبراء الطيران ،أنَّ الطيران في منطقة ناطحات السحاب بصورة خاصة تحتاج إلى مهارة خاصة في الطيران ،لكثرة التعريجات والمنحيات التي ينبغي على الطائرة تلافيها ،إضافة إلى ما أكَّده زعيم عربي ،وهو طيَّار حربي سابق ،أنَّ ضرب البنتاجون على هذا المستوى المنخفض يحتاج إلى طيَّار حربي ماهر وتدريب خاص على المنطقة ذاتها أو ما يشابهها ،والتقارير التي أعلنتها الإدارة الأمريكية عن السعوديين والعرب الذين اتهموا بتورطهم في الأحداث تبين أنهم لم يبلغوا العشرين ربيعاً ،كما تبين مدى تواضع التدريبات التي تلقوها على الطيران ،وكذلك تواضع نوعية الطائرات التي تدربوا عليها ،بل ذكرت في بعض التقارير أنَّ الواحد منهم كان يتلقى تدريبه ،ثمَّ يقوم هو بتدريب زملائه.

7- وجود في الطائرات المختطفة طيَّارين أمريكيين ممن شاركوا في الحرب الفياتنامية،فلم لم يوجه إلى هؤلاء تهمة التفجيرات ؟ ثُمَّ لماذا وجد هؤلاء الطيارون الأربع في الطائرات المختطفة ؟ هل كان وجودهم بمحض الصدفة ؟

8- اختفاء الصناديق السوداء للطائرات المختطفة ،أو القول بتلفها بعدما أعلن عن العثور عن بعض ما في تلك الصناديق . في حين لم تتلف جوازات سفر السعوديين الذين اتهموا بالتفجيرات ،وكذلك لم تتلف الأوراق المكتوب فيها بعض الأدعية .

9- لقد صدر مؤخراً كتاب في فرنسا جاء فيه أنَّ البرجين قد فجرا "بالرمونت كنترول ،وأنَّ المتفجرات كانت موجودة في أسفل البرجين لأنَّه لو تفجَّرت من أعلى لما تفجر الجزء السفلي،وهذه النظرية يؤيدها ما حدث للبرج الذي اخترقته الطائرة الإيطالية في نابولي ،فالمبنى لم يدمر فيه ولا طابق ،وكان الدَّمار الذي لحق به ،هو مجرد تحطيم واجهات جزء من المبنى ،وتحطيم زجاج ،نوافذ ذلك الجزء.

10- عجز الإدارة الأمريكية عن تقديم أدلة وبراهين تثبت أنّ من العرب والمسلمين متورطين في هذه الأحداث ،أمَّا عن الأشرطة المرئية التي نسبتها إلى بن لادن وتنظيمه، فهي أشرطة مزيفة كما قرر الخبراء المختصون،وقولها بوجود أدلة سرية قول مردود ،لا توجد أدلة سرية في أية قضية من القضايا ،وخاصة كقضية دولية مثل هذه القضية التي ترتب عليها إشعال فتيل الحرب على دول وشعوب مستضعفة لا حول لها ولا قوة ،ولا ذنب لها في كل ما تخططه الولايات المتحدة الأمريكية وربيبتها إسرائيل للقضاء على الإسلام والسيطرة على مدخرات الشعوب العربية والإسلامية ،ومساعدة اليهود في تحقيق مخطط دولتهم التي تمتد من النيل إلى يتبع>>>1- ينفي القرآن الكريم هذه الفرية: يقول تعالى (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين)

الفرات ،ومن الأرز إلى النخيل.وأمَّا الذين يتساءلون كيف تدمر الولايات المتحدة الأمريكية أكبر مركزين تجاريين لديها ،وتقتل الآلاف ،وتضرب مبنى وزارة دفاعها؟ ،نقول هنا إنها ضحت بالقليل من أجل الكثير ،فهي تريد بترول الخليج وبحر قزوين ،ومناطق نفوذ في آسيا الوسطى ،وإيجاد حكومات عميلة لها ولإسرائيل في فلسطين والعراق ،وغيرهما من الدول العربية المخطط ضربها ،وفي سبيل القضاء على

الإسلام ،ألم يقل الحاخام اليهودي رابي ديفيد وايس الناطق الرسمي لحركة ناطوري كارتا في برنامج "بلا حدود " في قناة الجزيرة أنّ الصهاينة يفجرون المعابد اليهودية بأنفسهم ،وينسبون ذلك إلى العرب والفلسطينيين ليقولوا لليهود وللعالم أنَّ العرب إرهابيون يكرهونهم وأنهم يدمرون معابدهم.

ولعلَّ تفجير المعبد اليهودي في تونس من تدبير الموساد،وإلصاق هذه العملية بالعرب ،وأنَّها عملية إرهابية لصرف الأنظار عن حصار وضرب شارون لكنيسة المهد وقتل الرهبان،ولتأليب الرأي العام العالمي ضد الفلسطينيين والعرب بعدما أبدى تعاطفه معهم؟فهذا دأبهم ،وهذا ديدنهم.

نحن هنا ندعوكم أن تتأملوا في هذه الأسباب ،وأن تفكروا فيها بجدية ،وأنَّكم قبل أن تعلنوا أنَّ الحرب المعلنة على الدول الإسلامية لمقاومة الإرهاب . وكأن العالم كله يخلو من الإرهاب ،ولا يوجد إرهاب إلاَّ في دول الإسلام . بأنَّها حرب أخلاقية عادلة ولابد منها أن تطالبوا بمساءلة هؤلاء المسؤولين ،فأين هم حتى تتعرض أكبر قوة في العالم إلى مثل هذا الهجوم ،وكأنَّها دولة نائمة ضعيفة لا تملك أية وسيلة لحماية نفسها من أي هجوم تتعرض له ،وهجوم من قبل أفراد وليس دول،وكأنِّي بها حكومة طالبان التي لم تقاوم الصواريخ والطائرات الأمريكية !!!

ونود هنا أن نصحح لكم معلومة ،وهي أن تنظيم القاعدة لم يؤسس منذ عشرات السنين كما ذكرتم في بيانكم،وإنَّما لم يمض علية عقدين من الزمان ،وكانت الولايات المتحدة وراء تكوين هذا التنظيم ودعمه لأنَّه كان يخدم أهدافها في القضاء على الاتحاد السوفيتي ،وبعدما نفذّ مهمته،وأصبح يشكل خطراً على مصالحها ،أصبح تنظيماً إرهابياً ،بل أصبح العدو الأول للولايات المتحدة الأمريكية.

كما ندعوكم مراجعة ما جاء في بيانكم عن وصف حرب الولايات المتحدة الأمريكية على الإرهاب أنها حرب عادلة .

فأين العدل في هذه الحرب ،وقد أعلنت على الشعب الفلسطيني الأعزل ،وهل مقاومة الاحتلال ،والجهاد في سبيل التحرر يعد إرهاباً ؟إن كان كذلك فهذا يعني أنَّ كفاح الشعوب ضد الاستعمار والاحتلال إرهاب أي أنَّ كفاح الشعب الأمريكي للتحرر من الاستعماريْن البريطاني والفرنسي إرهاب ،وكفاح الشعب الفرنسي ضد الاحتلال

النازي إرهاب أيضاً،وبهذا المنطق الأمريكي يكون الأمريكان أنفسهم والفرنسيون في مقدمة الإرهابيين وبالتالي يعني أيضاً إباحة الاحتلال والاستعمار !!
وأين العدل في محاربة الإرهاب ،وهناك جماعات إرهابية مسيحية ،ويهودية في داخل الولايات المتحدة ،وفي بريطانيا ،وفي اليابان ،وفي إيطاليا،وفي أسبانيا ،وفي كثير من الدول الأوربية ،فلماذا الدول الإسلامية هي المستهدفة ؟ أليس هذا يؤكد أنَّ أحداث سبتمبر مفتعلة؟
وأين العدل في ترويع الملايين من الأفغان،وخروجهم من بلادهم في البرد القارص ليعيشوا في خيام كلاجئين وتقفل أمامهم كل الحدود،وقتل الألوف من المدنيين الأفغان من شيوخ وأطفال ونساء ،وهم لا يعلمون من هو بن لادن ،ومن هي أمريكا ؟ إنَّ 70% من الشعب الأفغاني أميون لا يقرأون ولا يكتبون ،وكفاهم معاناة من حروب على مدى 25 عاما ،وجاءت الحرب الأمريكية التي وصفتموها بالأخلاقية والعادلة لتقضي على البقية الباقية من هذا الشعب الفقير الذي بات لا يجد اللقمة التي يأكلها.
إنّ الدين الإسلامي المتهم بالإرهاب من قبل الصحافة الغربية التي تسيرها الصهيونية العالمية ،ومن قبل أحد موقعي هذا البيان ، يُحرِّم في حالة الحرب قتل المدنيين من النساء والأطفال والشيوخ وهدم البيوت وقطع الأشجار ،ويحرَّم قتل أصحاب الصوامع ، كما سبق الإسلام القانون الدولي كثيراً في أحكام الحروب ،كعدم مباغتة العدو وأخذه على غرة فلقد ثبت أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقاتل قوماً قبل أن يدعوهم إلى الإسلام ،أو دفع الجزية ،فإن امتنعوا قاتلهم ،وكذلك عدم قتال المدنيين من النساء والشيوخ والأطفال من أهالي المحاربين لهم ،وعدم تدمير منازلهم وحرق نخيلهم ،وقد سبق الإشارة إلى ما أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم جيشه في غزوة مؤتة ،وكيف حرَّم الإسلام الإجهاز على الجرحى والتمثيل بجثث القتلى،وعدم إصابة المدنيين ،كما حثَّ على الإحسان في معاملة الأسرى ،وجعل الإحسان إليهم علامة الإيمان ،فكيف تكون الحال في السلم؟
لقد أمرنا أن تكون مناظراتنا مع أهل الكتاب بالتي هي أحسن ،يقول تعالى : ((ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاَّ بالتي هي أحسن))

ونهانا عن سب عقائد المخالفين لديننا ،يقول تعالى : (ولاَ تَسُّبُّوا الَّذين يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُّبُّوا اللهَ عَدْوَاً بِغيْرِ عِلم)

وجعل لأماكن عبادات اليهود والمسيحيين حرمة كحرمة المساجد يجب حمايتها والدفاع عنها،وليس ضربها بالطائرات والصواريخ كما فعلت أمريكا بضربها المساجد في أفغانستان يقول تعالى : (وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيها اسْمُ اللهِ كثيراً)

وقد حفظ الإسلام لأهل الذمة حقوق المواطنة والجنسية ،والذميون أولئك الذين كانوا من سكان البلاد التي فتحها المسلمون ،وفضَّلوا البقاء فيها فدخلوا في ذمة المسلمين ،وقد حفظ الإسلام لهم حريتهم في ممارسة عباداتهم وعقائدهم ،ولهم أن يتمتعوا بكل الحقوق في العلم والعمل والتجارة والكسب والتنقل مثلهم مثل المسلمين تماماً.

وأوجب الإسلام حماية الذِّمي ،فدمه وماله مصونان ،وحريته وكرامته محترمتان ،وقد أكَّد الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا في أحاديث منها : (من آذى ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة ،ومن خاصمته خصمته.)

كما أنَّ الخليفة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه كان يسأل عمال أوَّل من يسألهم عن أحوال أهل الذمة ،وكيف أنَّه أمر بضرب ابن والي مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه لأنَّه أساء إلى ذمي ،ثُمَّ قال قولته الخالدة (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟)

فهذه أخلاق الإسلام وقيمه في تعامله مع أهل الكتاب في السلم والحرب الذي يُتهم بالإرهاب والعنف .

فأين العدل في ضرب القوات الأمريكية المساجد في أفغانستان ،وانتهاك حرمات بيوت الله ،وقتل المصلين بها ؟

أين العدل في معاملة الأسرى ،فالمتهم الأمريكي يحاكم محاكمة عادلة في الولايات المتحدة الأمريكية بذات التهمة المتهم فيها الأسرى المسلمون في جوانتنامو ،الذين يعاملون معاملة أدنى من معاملة الحيوانات،بل الحيوانات المفترسة مكرَّمة لديكم أكثر منهم ،ويجعلونهم منكسي الرؤوس إذلالاً لهم ،ولم تطبق قوانين معاملة الأسرى عليهم ،نحن لسنا مع تنظيم القاعدة ،ولكن هؤلاء الأسرى بشر ومسلمون ،ومنهم أولاد لأسر

عربية ومسلمة ،فهم مسلمون في النهاية ،كما نحن بصدد عدالة الحروب وأخلاقياتها ،فالرسول صلى الله عليه وسلم الذي وصفه السيد صموئيل هنتنتجتون . وهو أحد موقعي بيانكم . بالقسوة والعنف لقد أحسن معاملة أسرى بدر ،وهم من كفار قريش الذين اضطهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين ،وعذَّبوهم ،وحاصروا الرسول عليه الصلاة والسلام وبني هاشم رجالهم ونساءهم وأطفالهم ثلاثة سنوات، وأخرجوهم من ديارهم وأجبروهم على الهجرة إلى الحبشة ،وحرَّضوا القبائل على الرسول ثم هاجر الرسول والمسلمون من مكة إلى المدينة بعدما تآمروا على قتل الرسول عليه الصلاة والسلام تاركين أموالهم وممتلكاتهم،وجعل فداء الأسرى أن يقوم كل أسير ممن يعرف الكتابة تعليم عشرة من فتيان المدينة الكتابة ،فلم يعذبهم ،ولم يضطهدهم ،مع أنَّهم وثنيون لا يؤمنون بالله .

وأين العدل والأخلاق عندما قتلت القوات الأمريكية مع القوات البريطانية في5 نوفمبر م العام المنصرم في قلعة "جانجي " في مزار شريف في أفغانستان 450أسيراً مكبلين من خلف ظهورهم ،وهؤلاء قد سلَّموا أنفسهم للأمم المتحدة وليس للولايات المتحدة وقد نقلت صورهم القناة الثانية الفرنسية ،وشهد هذه المذبحة بعض مراسلي الصحف منهم مراسل"سندي تايميز الذي وصفها بأنها كانت على قدر كبير من الوحشية ،وقد اعتبر هذه المذبحة السيد رمزي كلارك وزير العدل الأسبق الأمريكي بأنّها جريمة حرب،وذكر أنَّه لم يحقق في هذه الجريمة لأنّ الكل يخشى أن يوصف بالإرهاب إن دافع عن حقوق هؤلاء الأسرى؟

وأين العدل والأخلاق عندما قتلت الإدارة لأمريكية في حربها لأفغانستان في الفترة من 7أكتوبر إلى3 ديسمبر عام 2001م (3767)قتيلاً من الأطفال والنساء والشيوخ والعزل من المدنيين ،هذا ما ذكره البروفسور الأمريكي "مارك دبليو هيرالود من جامعة نيوهامسشير "،إضافة إلى تدمير آلاف القرى ،وهدم المنازل ،وخروج الملايين من بلادهم بحثاً عن الأمان؟

لقد قلتم في بيانكم إنَّ المبرر الأخلاقي للحرب هو صيانة الأبرياء من الضرر الأكيد،وهنا نسأل ما ذنب الملايين من الأبرياء الذين سيذهبون ضحية لهذه الحرب

التي لا يعلم مداها إلاَّ الله ،والتي كما يبدو من بيانكم أنَّها ستشمل الدول الإسلامية التي يوجد بها تنظيم القاعدة ؟

إنَّ الولايات المتحدة في حروبها السابقة قد قتلت أكثر من سبعة ملايين من البشر ، منهم ثلاثة مليون ونصف في كوريا الشمالية ، ومليون في الفلبين،ويقال أنها حرب مع أسبانيا ،ولكنَّها كانت مع الفلبينيين ،ومليون في فيتنام ومليون ونصف في العراق أكثرهم من الأطفال في سن الخامسة،،وأنَّ الولايات المتحدة كان لها أكثر من75 تدخلاً عسكريا في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية منذ عام 1945إلى الآن ، هذا ما صرَّح به وزير العدل الأمريكي الأسبق السيد رمزي كلارك الذي أمضي 25 عاماً وهو يتنقل بين دول العالم التي كانت ضحية حروب أو حصار الولايات المتحدة الأمريكية ،وذلك في حديث له في قناة الجزيرة،وقال أيضاً :" لقد أعلنت الإدارة الأمريكية أنَّ القتلى في بنما أقل من مائة بينما كانوا 2500 ،كذلك القتلى في جراندا كان العدد أكبر مما ذكرتهم ،فما تقوم به الإدارة الأمريكية هو أعمال انتقامية ضد السكان ،وأصبح الآن لا يوجد بلد في العالم يشعر بالأمان، لأنّ الإدارة الأمريكية لا تحترم القوانين. "

فيا ترى كم من ملايين البشر سيكونون ضحية هذه الحرب من بني الإسلام ،وذلك في سبيل القضاء على عدو مبهم غير معروف؟وكم من المليارات من الدولارات التي سوف تخسرها الشعوب الإسلامية من الدمار الذي سوف تلحقه بها هذه الحروب ؟وكم من ملايين البشر الذين سوف يصابون بأمراض خطيرة كالسرطان من جراء ما ستحدثه هذه الحروب من تلوث بيئي نتيجة آلاف الأطنان من المتفجرات التي سوف تقذف في أراضيها ؟ وكم من ملايين البشر الذين سوف يصابون بأمراض نفسية من جراء ما ستخلفه هذه الحروب من مآسٍ ؟وكم من المليارات من الدولارات التي سيدفعها الشعب الأمريكي من قوت يومه في هذه الحرب، ولن تنجح في القضاء على هذا العدو المبهم ،فهي الآن لم تتمكن من زعيم التنظيم ،ومن رئيس طالبان ،كما سبق وأن فشلت في القضاء على صدام حسين ،وهي الآن تبرر ضربها للعراق لإسقاط نظام صدام ،مع أنَّ هذا الأمر يعد شأناً داخلياً ،ويخالف القوانين الدولية ،ولكن الإدارة الأمريكية هي وإسرائيل سواء يعتقدان أنَّهما فوق القانون.

وبعد كل هذا هل تعتقدون أنَّ حرب الإرهاب التي أعلنتها الإدارة الأمريكية ،والتي تستهدف إعلان الحرب على الإسلام والدول الإسلامية هي حربٌ لصالحنا نحن المسلمين؟وأنَّها حرب عادلة ،وحرب أخلاقية ،وأنَّ مبرراتها ذات جدوى ومقنعة لذوي الفكر والرأي أمثالكم؟

ألا تعلمون أنَّ مائتين من أساتذة القانون الأمريكان من جامعة " ييل "قدَّموا مذكرة تعبر عن عدم رضاهم عما تقوم به الإدارة الأمريكية في حربها على الإرهاب ،مبينين أن في ذلك مخالفة للقوانين الدولية، في حين أنّكم تصفونها بأنها حرب أخلاقية عادلة؟

وهل تعتقدون أنَّ المثقفين المسلمين إلى هذه الدرجة من السذاجة والبلاهة والغباء حتى يقتنعوا من أنَّ الحرب الأمريكية على الإسلام والمسلمين لتحقيق مصالحها بدعوى محاربة الإرهاب لصالحنا،وكل هذه الحقائق مكشوفة أمامهم ؟؟

للأسف أنّكم ضحية إعلام مضلل تسيره وتسيطر عليه الصهيونية العالمية ،لأنّ هذا يخدم مصالحها ،يقول السيد رمزي كلارك في حديثه لقناة الجزيرة حول هذا الموضوع : " إنَّ الشعب الأمريكي ضحية تلاعب وسائل الإعلام الأمريكية ،إنَّ المجتمع الأمريكي مجتمع مادي ،ويخشى كل واحد أن يفقد وظيفته ،فنخاف ونصدق ما تقوله الحكومة لنا من أنَّها ضد الشر والإرهاب ،والإعلام يدفع إلى الجنس والعنف ،والشعب الأمريكي لا يدرك ما هو حاصل ،وكثر هم الذين لا يريدوا أن يعرفوا لأنَّهم لو عرفوا فسوف يتألمون ،يقال إنَّنا دولة ديمقراطية ،ولكن الحقيقة ليست كذلك، فالفرد يشعر بالعجز والتحجيم بسبب تركز القوة الاقتصادية في يد فئة معينة".

رابعاً: موقفنا من سياسة الإدارة الأمريكية تجاه إسرائيل ،وتجاه الدول الإسلامية ما فيها الدول العربية ،وفي حربها على ما أسمته بالإرهاب:

" لقد جاء في بيانكم لا تشرع الحرب في مواجهة الخطر أو القليل المشكوك فيه ،ولا في مواجهة الخطر الذي يمكن إزالته بطريقة المفاوضة أو الدعوة إلى العقل أو الشفاعة أو غيرها من الطرق السلمية ،لكن عندما يكون الخطر على حياة الأبرياء خطراً حقيقياً يقينياً فحينئذ يكون اللجوء إلى استخدام القوة مبرراً أخلاقياً لا سيما

عندما يكون الدافع للمعتدي هو العداوة المتصلبة حيث لا يستهدف الحوار ،ولا الامتثال لأمر ما ،وإنَّما يهدف الدمَّار"

وهذه حال الشعب الفلسطيني مع إسرائيل ففي اليوم التالي الذي أعلنت فيه قمة بيروت اعتماد المبادرة السعودية للسلام ،ردَّت إسرائيل باجتياح أراضي السلطة الفلسطينية ومحاصرة الشعب الفلسطيني ورئيسه ،وقتل الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ وهدم البيوت على سكانها ،ويعتبر الشعب الفلسطيني بأكمله من المدنيين ،فهو شعب أعزل لا يملك سلاحاً ،والذي يهرَّب له السلاح من إخوانهم العرب من الدول المجاورة يتعرضون للسجن ويحاكمون ،ويحكم عليهم بالسجن سنين طويلة ،ولكنكم للأسف الشديد في الوقت الذي تبيحون لدولتكم حربها ضد ما أسمته إرهاباً تُحرِّمون على الشعب الفلسطيني حق الدفاع عن نفسه ،وتصفون جهاده ومقاومته بالإرهاب ،وتمارس الإدارة الأمريكية ضغوطها على الحكومات العربية لتدين العمليات الاستشهادية في فلسطين ،وهي تكاد الوسيلة الوحيدة التي يمتلكها الشعب الفلسطيني في مقاومته ،فهو لا يمتلك ولا دبابة واحدة أمام مئات الدبابات التي يجتاح بها أراضيه عدوه المغتصب أرضه ،ولا يمتلك طائرة مروحية واحدة أمام ألوف المروحيات التي يمتلكها عدوه ،والتي يقذف منها مئات القذائف،وهو لا يملك السلاح الذي يصدها به ،ولا يملك صاروخاً واحداً ،وإسرائيل،تملك ألوف الصواريخ ،وهي تحارب الفلسطينيين بأسلحة أمريكية،فلم يجد أطفالهم وسيلة للمقاومة إلاّ الحجارة ،ولم يجد شبابهم من النساء والرجال سوى جعل أجسادهم قنابل بشرية تفجر نفسها في العدو ،وقد أجمع علماء الإسلام وفقهاؤه أنَّ هذه العمليات هي أعلى مراتب الاستشهاد.

إنَّ اليهود في إسرائيل جميعهم مغتصبي أراضي وديار الفلسطينيين ،وقد جاءوا من شتى بقاع العالم وهم يعلمون بأنَّ لا أرض لهم ولا دار ،وأنهم سيأخذون الأراضي والديار من فلسطينين يقتلون أو يطردون ويبعدون من أراضيهم وبيوتهم،فاليهودي أتى إلى فلسطين وهو يعلم بأنَّه لص ،جاء إلى فلسطين ليسرق بيت وأرض الفلسطيني ، وأيضاً جاء وهو يعلم أنَّه سوف يجند في الجيش الإسرائيلي ،وأنَّه سيكون في أية لحظة جندياً في هذا الجيش ،فلا يوجد مدنيون يهود في فلسطين كلهم عسكريون

نساءً ورجالاً في ملابس مدنية وفي أية لحظة سوف يدعون للقتال ،سيخلعون الملابس المدنية ويرتدون الملابس العسكرية ،أقربها العشرون ألف احتياطي الذين دعاهم شارون للقتال عند اجتياحه الأخير لأراضي السلطة الفلسطينية ، هؤلاء الجنود قبل الاستدعاء كانوا يرتدون الملابس المدنية ،وبعدها بساعات تحولوا إلى عسكريين بارتدائهم الملابس العسكرية ،فهم لصوص يجوز قتلهم ،إنَّ أي واحد منكم لو داهم بيته لصاً ليسرقه ،ويستولي على بيته هل يقاتل هذا اللص ،أم يستسلم له ،ويقول له خذ داري وأرضي فانعم بها ،أما أنا فأعيش مشرداً ذليلاً ،لأنَّني لا أستطيع قتالك، فقتلي لك يعد إرهاباً ،وهذه جريمة كبرى في نظر الإدارة الأمريكية يعاقبني المجتمع الدولي عليها بأمر من تلك الإدارة !!

هل هذا منطق ؟

إنَّه منطق الغاب ،وهو الذي تريد إدارتكم أن تفرضه على العالم باعتبارها القوة الأوحد،وفاتها أنَّ الله عزَّ وجل ،وهو الأقوى منها ،وقادر في أقل من طرفة عين أن يذهب بكل قوتها،كما فعل بكل الطغاة المتجبرين.

إنَّ الإدارة الأمريكية تُدعم بالأموال والسلاح حروب إسرائيل ضد الفلسطينيين وقتلهم من قيمة الضرائب التي يدفعها الشعب الأمريكي ليقدم له العلاج والتعليم ،وكل الخدمات التي يحتاجها والذي يوجد 35 مليون منه تحت خط الفقر،وتدفع أمواله لإسرائيل لتقتل بها الفلسطينيين الأبرياء!

إنَّ الإدارة الأمريكية في تدخلاتها العسكرية دائما تناصر الطغاة والديكتاتوريين على شعوبهم المستضعفة،وقد كشف عن هذه الحقائق السيد رمزي كلارك ،وزير العدل الأمريكي الأسبق في حديثة للجزيرة؛إذ قال "في عام 1953م أعدنا الشاه إلى الحكم ،وكانت مأساة عظيمة للشعب الإيراني ،،وفي الكونغو وجنوب وسط أفريقيا جعلنا موبوتو في الحكم الذي حرم الشعب من ثرواته 37 عاماً،،وفي شيلي أسهمنا في قتل سليفادور ،وأمسكنا الحكم للجنرال "بنشي" السلطة حكم البلاد بقبضة من حديد وأسميناه معجزة ،لأنَّه كان يخدم مصالحنا الاقتصادية،وفي الفلبين أعدنا ماركوس الدكتاتوري للحكم "

وهاهي الآن تناصر إسرائيل ،وتصف شارون الذي أحدث مذابح " صبرا وشاتيلا،في الثمانينات من القرن الماضي ،ومذابح نابلس والخليل وبيت لحم ورام الله وجنين في الأيام الماضية بأنَّه رجل سلام ؟؟

إنَّ انحياز الإدارة الأمريكية الدائم تجاه إسرائيل،هي والدول الأوربية واستخدامها حق الفيتو لصالح إسرائيل يعرقل عملية السلام في المنطقة ،ولن يجعل أمام الشعوب العربية في نهاية الأمر سوى استخدام القوة ،وحينئذ وفق ما جاء في بيانكم "سيكون استخدام القوة مبرراً أخلاقياً لاسيما عندما يكون الدافع للمعتدي هو العداوة المتصلبة حيث لا يستهدف الحوار ولا الامتثال لأمر ما ،وإنَّما يهدف إلى الدمار " وهاهي إسرائيل ترفض قيام دولة فلسطينية بعدما صفَّت المقاومة الفلسطينية وقتلت عناصرها النشطة ،ولم تستجب لاتفاقيات مدريد وأسلو التي وقعتها ،وكذلك لم تستجب لرغبة الإدارة الأمريكية في إقامة دولة فلسطينية !

فهل يا ترى ستوقع الولايات المتحدة عقوبة على إسرائيل لخرقها هذه الاتفاقيات ،ورفضها الإذعان لرغبة الإدارة الأمريكية ،كما تفعل مع أي دولة عربية أو إسلامية ؟

أشك في ذلك ،فالذي أراه أنَّ إسرائيل هي التي باتت القوة العظمى في العالم ،فلم تعمل للولايات المتحدة ،ولا للمنظمات الدولية ،و لا للاتحاد الأوربي أي حساب!!

ويرجع هذه في رأيي إلى الأسباب التالية :

1- سيطرة التراث اليهودي على العقلية المسيحية ،وعلى المسيحيين أن يتحرروا من سيطرة التراث اليهودي عليهم، هذه الحقيقة يدركها مفكرو الغرب وعلماؤه ومؤرخيه، وقد حلل المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي الشخصية اليهودية ومدى سيطرة الفكر اليهودي على الإنسان المسيحي، ويوضح هذا في كتابه "مشكلة اليهودية العالمية" فيقول: "وهم يعتبرون غيرهم أقل منهم منزلة، وأنهم الشعب المختار، أما شعوب العالم فهي في مركز منحط يطلقون علي أفرادها كلمة "الأمميين" وهم بتعبير الشاعر البريطاني كبلينج Kippling سلالات دنيا لا شريعة لها" ثم يقول:

"وتقبلت الكنيسة المسيحية دون مناقشة تفسير اليهود لتاريخهم كما ورد في التوراة، بما تضمه بين طياتها من المطاعن ضد الشعوب التي احتكوا بها كالفينيقيين،

والفلسطينيين، والآرمويين ، والموابين، والمعموريين، والدمشقيين، وانفرد اليهود في هذا الميدان بإقدامهم على رفع سجل تاريخهم إلى منزلة التقديس، ونجاحهم نجاحاً لا يبارى في إيهام مئات الملايين من البشر على مدى الأحقاب، أو يناقشه مناقشة علمية عقاب الله في الدنيا والآخرة، ومن الناحية الأخرى لا يوجد لأعداء اليهود القدامى من ينهض للدفاع عن قضيتهم إلا أصوات العلماء والباحثين الخافتة، وتعتبر المذاهب المسيحية على اختلافها التاريخ اليهودي تاريخاً مقدساً للمسيح، ومهما يكن نصيب الفرد المسيحي من الاستفادة الفكرية، ومقدار تحرره الذهني، فيصعب عليه بمكان أن يتخلص من التراث اليهودي في المسيحية، لأنه كامن في شعوره الباطني، ويوجه مسار تفكيره، وبالتالي فإذا كانت الكشوف الأثرية تهدم ادعاءات اليهود، وتلقي أضواء صادقة على المجتمعات الأخرى، فما برحت جمهرة المسيحيين تأخذ التاريخ اليهودي كما ورد في التوراة قضية مسلماً بها"

2-سيطرة اللوبي الصهيوني على اقتصاد وإعلام الدول الغربية ،ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية وتغلغله في المنظمات والمؤسسات الحكومية والدولية،وبات المستقبل السياسي لأية شخصية أمريكية مرهوناً بمدى دعمها لإسرائيل ،بل بات من يريد أن يضحي بمستقبله السياسي ،بل وبعمره فليؤيد الفلسطينيين أو يبدي تعاطفاً معهم ،وإلاَّ ما تفسيركم لقتل الرئيس جون كنيدي في الستينيات ؟

وما تفسيركم أيضاً لإعلان السيد كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة حل لجنة تقصي الحقائق في جنين المكونة بموجب قرار من الأمم المتحدة لأنَّ شارون رفض التعاون مع هذه اللجنة ،دون أن يتخذ أي قرار ضد إسرائيل ،وأنا أدعوكم أن تقرأوا كتاب " اليهودي العالمي " للمليونير الأمريكي " هنري فورد " لتروا بأنفسكم مدى تغلغل اللوبي الصهيوني في بلادكم،ومدى سيطرته على القرار السياسي فيها ،وتوجيه دفته حيث يريد،ولتروا بأنفسكم دناءة الوسائل التي يستخدمها الصهاينة في سبيل تحقيق أهدافهم ،من تلك الوسائل ،القتل والاغتيال لكل من يرونه يشكل خطراً عليهم حتى العلماء المسلمين الذين لديهم اكتشافات أو بحوث علمية تهدد مصالحهم ،ولا سيما إن كانت في الذرة . ولعلكم تذكرون حادث اغتيال الوزير اللبناني السابق بعدما أعلن أنَّ لديه أدلة تدين شارون في مذابح صبرا وشاتيلا ،وأنَّه سوف يقدِّم تلك الأدلة

للمحكمة في بلجيكا حيث رفعت قضية لمحاكمته ،فالصهاينة هم أكبر كيان إرهابي في العالم ،وإن كنتم جادون حقاً في مكافحة الإرهاب فابدأوا بمكافحة الصهيونية ،ونحن عندئذ سنكون معكم .

3- الاعتقاد أنَّ إسرائيل تحمي مصالح الغرب الأمريكي والأوربي في منطقة الشرق الأوسط،وهذا اعتقاد خاطئ ،فإسرائيل هي التي تستخدم الولايات المتحدة ،والدول الأوربية لخدمة مصالحها هي،ومصالح الغرب الأمريكي والأوربي مع الشعوب العربية والمسلمة ،وليس مع اسرائيل.

إنَّ مبادئ الحرية والعدل والمساواة التي تنادون بها لن تكون على أرض الواقع مالم تتحرروا من سيطرة الصهيونية ،والتراث الفكري اليهودي ،والمطامع في خيرات الآخرين ،والعداء للإسلام ومحاربته تحت مسميات أخرى كالإرهاب.

خامساً:النظام الإسلامي في الحكم ،ودعوة البيان إلى فصل الدين عن الدولة ،والحكم بالحكم العلماني الوضعي :

قلتم في بيانكم أنَّكم دولة علمانية ،وأشرتم إلى مقولة "إبراهام لنكولن"الرئيس العاشر للولايات المتحدة الأمريكية في خطاب التنصيب الثاني عام 1865م " لله شؤونه الخاصة "ولعلكم تهدفون من هذه الإشارة إلى إبعاد الدين الإسلامي عن الحكم .

هذا وإن كان أحد مؤسسي الولايات المتحدة اختار النظام العلماني ليكون نظام الحكم في دولته ،فنحن لا نتدخل في اختياره ،وإن كنا ندرك أنَّ وجود النظام العلماني ،هو الذي أحدث هذا الخلل في ميزان العدل في العالم ،وهو الذي قلب الموازين،فينصر الظالم على المظلوم ،وجعل الغاصب المحتل مرتكب المذابح البشرية في صبرا وشاتيلا ،وفي نابلس وجنين رجل سلام ،ووصف الذين يدافعون عن أراضيهم المغتصبة ويقاومون المحتل بحجارة صغيرة ،وبتفجير أنفسهم في عدوهم لعدم امتلاكهم سلاحاً يقاتلون به بالإرهابيين،ويُعاملون كإرهابيين.

وكلنا يدرك أنَّ النظام العلماني جاء في الغرب المسيحي كردة فعل لتسلط الكنيسة ورجالها ،وهذه مسألة خاصة بالديانة المسيحية لا تنطبق على الإسلام ،زيادة إلى أنَّ الديانة المسيحية ديانة عبادية ،تقتصر تشريعاتها على تنظيم علاقة الإنسان بربه ،وليست بشمولية الإسلام،باعتبار الإسلام هو خاتمة الأديان السماوية ،فجاء

تشريعاته كاملة ومتكاملة شاملة جميع شؤون الحياتين الدنيوية والأخروية للأفراد والجماعات ،والشعوب والحكومات ،كما نظَّم علاقة الأفراد والجماعات بمن لا يدين بدينهم ،ولم يترك هذا التشريع صغيرة ولا كبيرة في حياة الأفراد والجماعات إلاَّ ونظَّمها ،فلقد نظَّم علاقة الفرد بوالديه وبزوجه وبأولاده ذكور وإناث ،وبأقاربه وبجيرانه ،وبخدمه ،وبحكَّامه ،وبمن من لا يدين بدينهم لذا جاء قوله تعالى في آخر آية نزلت في القرآن الكريم ((اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً))

والمسلمون لا يستطيعون أن يتخلوا عن الإسلام كنظام حياة في جميع شؤونهم الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والعلمية والتعليمية والإعلامية والثقافية والفكرية ،إنَّ لسان الإنسان المسلم لا ينقطع عن ذكر الله منذ لحظة يقظته في الصباح إلى لحظة منامه ،في مأكله ومشربه ،في حله وترحاله ،بل حتى عندما يعطس يذكر الله ،فديننا علمنا ماذا نقول في كل خطوة نخطوها ،فكيف نستطيع أن نتخلى عن تنظيمه لمور حياتنا ،صحيح أنَّ الغرب قد صدَّر إلينا العلمانية والماركسية والاشتراكية والوجودية،وغيرها من المذاهب والفلسفات الفكرية القائمة على الإلحاد ،وإنكار وجود الله،كما صدَّر لنا الهامبرجر والجينز وأصبح من المسلمين من يؤمن بهذه المذاهب،ولكنه في النهاية كمسلم لا يخلو كلامه من ذكر الله .

ثُمَّ ما يضير الغرب تطبيق النظام الإسلامي في الحكم ؟

الغرب يوجه انتقاداً إلى الحكومات الإسلامية بأنها حكومات غير ديمقراطية ،ألا تعرفوا بأن الإسلام هو أول من نادي بالديمقراطية ،وطَّبقها في الحكم ؟

سأوضِّحُ لكم هذا من خلال توضيح الأسس التي يقوم عليها الحكم في الإسلام :

1- الحرية : ولقد حرَّر الإسلام الإنسانية من كل ألوان العبودية للخلق عندما أعلن أنَّ الله هو المعبود الوحيد ولا معبود سواه ،ولعل مقولة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لابن والي مصر عندما ضرب القبطي : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) كانت بمثابة ميثاق لأسس الحرية الإنسانية وتخليصها من كل أصناف العبودية للخلق ،وقد احترم لإسلام الحرية الدينية ،وحرية الملكية ،وحرية اختيار الحاكم ،وحرية مراقبته وإبداء الرأي .

2-الشورى :وهي من الدعائم الأساسية التي يرتكز عليها نظام الحكم في الإسلام ،وقد أوجب الشورى على أولي الأمر ،وذلك في الوحي المكي والمدني ،ففي القرآن الكريم سورة سميت باسم "سورة الشورى" ،وهي سورة مكية يقول تعالى فيها : ((والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم وممَّا رزقناهم ينفقون)) (آية 38) ففي هذه الآية قرن الله نظام الشورى بالصلاة ولصدقة ليدل على أنَّ الشورى بين ولاة الأمر من أسس الإسلام ،وأنَّ الاستبداد ليس من شأن المؤمنين.وفي الوحي المدني ركَّزَّ جلَّ شأنه على مبدأ الشورى وألزم رسوله الكريم بالالتزام به ،وفي هذا إشارة إلى أنَّه مهما بلغ قدر الحاكم وعلمه ومكانته فهو ملزم بالشورى مادام نبي الله قد ألزم بالشورى وهو يوحى إليه فيقول تعالى مخاطباً رسوله : ((فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر))(آل عمران : 159)وقد ثبت أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان دائم التشاور مع أصحابه ،وكثيراً ما نزل عند رأيهم ،من ذلك : استشارته لهم في اختيار المكان الذي ينزل فيه المسلمون يوم بدر ،وأخذه برأي الحباب بن المنذر ،واستشارته لهم فيما يعمل بشأن الأسرى في الغزوة ذاتها ،فوافق على رأي أبي بكر رضي الله عنه الذي أشار عليه بالفداء ،ونزوله على رأي الشباب بالخروج في يوم أحد ،كما أخذ رأي زوجه أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها في موقف الصحابة رضوان الله عليهم من صلح الحديبية ،وفي هذا تأكيد على أنّ الشورى من حق المرأة كما هي من حق الرجل ،والخطاب القرآني في الآيتين الكريمتين جاء في صيغة العموم شاملاً الذكور والإناث معاً ،كما هو معتاد في مجمل الأحكام والتشريعات،وأكد عليه أخذ الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطّاب رضي الله عنه برأي المرأة عندما جمع المسلمين ليأخذ رأيهم في تحديد المهور ،فحاجته امرأة قرشية بالآية القرآنية رقم 20 في سورة النساء ((وإنْ أَردتمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئَاً أَتَأخذُونَهُ بُهْتَانَاً وإِثْمَاً مُّبِينَا)) فاعتلى المنبر معلناً على الملأ قولته الشهيرة : (أخطأ عمر وأصابت امرأة)

3-البيعة:وهي من الأسس الأولية في نظام الحكم في الإسلام يقول تعالى : ((إنَّ الذين يُبَايعونك إنَّما يُبَايِعُون اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهم فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ على نَفْسِهِ وَمنْ أَوْفى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ الله فَسَيُؤتِيهِ أَجْرَاً عَظِيماً)) (الفتح : 10)،كما أعطى للمرأة

حق البيعة وخصَّها بالبيعة تأكيداً على إعطائها هذا الحق الأساسي ، يقول تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّنَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ المؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللهِ شّيْئَاً وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسَتَغْفَرَ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) (الممتحنة: 12)،وهنا نرى أنَّ الإسلام أعطى للمرأة حقوقاً سياسية قبل جميع الأنظمة السياسية ،فلقد ساوى بين المرأة والرجل في هذا الحق السياسي الخطير الذي يعد من أهم ركائز نظامه السياسي ،وقد طبَّق هذا الرسول صلى الله عليه وسلم وقد بايعته الأنصاريات في العقبة ،كما بايعنه عندما قدم المدينة المنورة.

4- العدل: هو هدف وغاية الحكم الإسلامي ، يقول تعالى : ((إِنَّ اللهَ يأمركم أنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إلى أَهْلِها وإِذا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنَ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إَنَّ اللهَ نِعماً يَعِظَكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعَاً بَصِيراً)) (النساء : 58)،ويقول تعالى : ((وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُم بِالقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِين)) (المائدة : 42)،وأمثلة تطبيق العدل في الإسلام كثيرة لا حصر لها منها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر يمشي بين الصفوف لتعديلها ،وفي يده قدح ،فمرّض برجل خارج عن الصف فطعنه بالقدح في بطنه ليعتدل فقال الرجل ،وهو سواد بن زمعة ،لقد أوجعتني يا رسول الله وقد بعثك الله بالحق والعدل فاستخلص لي حقي منك ،فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هذا بطني فاقتص منه :فاعتنقه الرجل ،وقبَّل بطنه ،فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم ما الذي دفعك إلى هذا يا سواد ؟ فقال : أحببت أن يكون آخر عهدي بالدنيا هو ملامسة جلدي لجلدك ،فدعا له رسول الله.والناس سواء في تطبيق العدل على اختلاف ألوانهم ودياناتهم من ذلك : حدث أنَّ ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه فاتح مصر وواليها من قبل الخليفة عمر بن الخطّاب قد نازع شاباً من دهماء المصريين الأقباط المسيحيين في ميدان سباق ،فأقبلت فرس المصري فحسبها محمد بن عمرو فرسه وصاح : "فرسي ورب الكعبة" ،ثُمَّ اقتربت وعرفها صاحبها فغضب محمد بن عمرو ووثب على الرجل يضربه بالسوط ويقول له : خذها وأنا ابن الأكرمين ،وبلغ ذلك أباه فخشي أن يشكوه المصري فحبسه زمناً ..ومازال محبوساً حتى أفلت وقدم إلى الخليفة لإبلاغه شكواه...

قال أنس بن مالك راوي القصة : فوالله ما زاد عمر على أن قال له أجلس ...ومضت فترة إذا به في خلالها قد استقدم عمراً وابنه من مصر فقدما ومثلا في مجلس القصاص ،فنادى عمر رضي الله عنه :" أين المصري ؟ ...دونك الدرة فاضرب بها ابن الأكرمين"

فضربه حتى أثخنه ،ونحن نشتهي أن يضربه .فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه ،وعمر رضي الله عنه يقول : اضرب ابن الأكرمين ! ..ثُمَّ قال : " أجلها على صلعة عمرو ! فوالله ما ضربك ابنه إلاَّ بفضل سلطانه ...قال عمرو رضي الله عنه فزعاً : يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت ، وقال المصري معتذراً : يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني ..فقال عمر رضي الله عنه :"أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى يكون أنت الذي تدعه .والتفت إلى عمرو مغضباً قائلاً له تلك القولة الخالدة :" أيا عمرو ! متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)

وهناك قصة سيدنا علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه مع اليهودي الذي وجد درعه عنده الذي فقده وهو متجهاً إلى صفين ،ولما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة وجده في يد يهودي ،فقال نصير إلى القاضي ،فتقدم علي رضي الله عنه فجلس إلى جنب القاضي شريح ،وقال : " لولا أنَّ خصمي يهودي لاستويت معه في المجلس ،ولكني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أصغروهم من حيث أصغرهم الله "فقال شُريح قل يا أمير المؤمنين ،فقال :" نعم هذه الدرع التي في يد هذا اليهودي درعي لم أبع ولم أهب ،فقال شُريح : إيش تقول يا يهودي ؟ قال: "درعي وفي يدي ،فقال شريح: ألك بينة يا أمير المؤمنين ؟ قال : "نعم ،قنبر والحسن يشهدان أنَّ الدرع درعي ،فقال شُريح: شهادة الابن لا تجوز للأب ،فقال علي رضي الله عنه : " رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :"الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ،فقال اليهودي : " أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه ،وقاضيه قضى عليه ،أشهد أنَّ هذا هو الحق ،وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أنَّ محمداً رسول الله ،وأنَّ الدرع درعك)

ومن أعظم فضائل الإسلام أنّه أوجب العدل مع الأعداء ،وقال تعالى : ((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِين للهِ شُهَداءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُم شَنْآن قَومٍ على أَلاَّ تِعْدِلُوا اعدْلوا هُوَ أَقْرَبُ للتقْوى وَاتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون)) (المائدة : 8).

5-المساواة : كان التمايز بين الناس ولا يزال سائداً في بعض جهات العالم،فاليهود زعموا أنَّهم وحدهم شعب الله المختار ،وفرَّقوا في تشريعاتهم بين اليهود وغيرهم ،فحرَّموا الربا بشدة بينهم ،وأباحوه مع غيرهم ،كما أباحوا دماء وأعراض غير اليهود ،وبعض الأديان تقر نظام الطبقات كالديانة البراهمية التي تقسم الأمة إلى أربع طوائف ،وفي فرنسا قبل الثورة الفرنسية كان يوجد عدم مساواة في توزيع المناصب العمومية ،وعدم وجود رقابة عليها،والثورة الفرنسية إن نادت بمبدأ المساواة فهي أخذته من الإسلام وجميع حركات الإصلاح الديني التي شهدتها أوربا كانت من تأثرها بالإسلام الذي عرفته عن طريق الأندلس والحروب الصليبية وصقلية.ولكن النزعة العنصرية لا تزال موجودة في أوربا وأمريكا ،فألمانيا النازية قبل الحرب العالمية الثانية أسرفت في الدعوة إلى العنصرية فقسمت الجنس البشري إلى طبقات ،وجعلت الجنس الآري في مقدمتها ،وأمريكا التي تزعم أنها دولة قامت على الديمقراطية قد اضطهدت الهنود الحمر السكان الأصليين لأمريكا ،كما اضطهدت الزنوج الذين اختطفوا من بلادهم ليكونوا عبيداً وأرقاء للبيض حتى قامت ثورة الزنوج احتجاجاً على التمييز العنصري.

ونحن إذا نظرنا إلى ما شرَّعه الإسلام من مبدأ المساواة،رأينا أنَّه لم يصل أي تشريع سماوي أو وضعي في مبلغ الحرص على مبدأ المساواة إلى ما وصل إليه الإسلام ،فقد قرر الإسلام مساواة الناس أمام القانون ،ومساواتهم في الحقوق العامة المدنية والسياسية والاجتماعية ،فلا فضل لعربي على عجمي ،ولا أبيض على أسود ،ولا لغني على فقير ،ولا لوجيه على صعلوك ،وبذلك قضى الإسلام على نظام الطوائف ،وأساليب التفرقة بين الطبقات في الحقوق والواجبات ،ولذلك جعل الخالق جلّ شأنه " التقوى" أساس التفاضل: ((يا أيها النَّاس إنَّا خلَقْناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم)) (الحجرات: 13)

وقد ساوى الإسلام بين المرأة والرجل في الإنسانية رداً على ما أثارته المجامع الكنسية من تساؤلات هل المرأة إنسان ،فقال تعالى : ((هو الذي خَلَقَكُم مِّنْ نفسٍ واحِدة وجعل منها زَوْجَها)) (الأعراف :189)،وجعلها شقيقة الرجل ،كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(إنَّما النساء شقائق الرجال)وكرَّمها كأم وزوجة ،وأخت وابنة ،وجعل الإحسان إلى بنتين أو ثلاث ،أو أختين أو ثلاث الجنة ،بل جعل من كانت له ابنة لم يهنها ولم يئدها ولم يؤثر ولده عليها دخل الجنَّة ،وألزم الرجل بالنفقة على المرأة ولو كانت غنية ،كما ساوى بينها وبين الرجل في والعبادات والحدود والعقوبات،وفي الجزاء والثواب ،وساوى بينها وبين الرجل في حق التعلم والعمل ،إذ لم يُحرِّم عليها العمل لأنَّها قد تحتاج إليه ،ولم يوجبه ،وفي نفس الوقت لم يستحسنه ويحبذه ،وذلك لأنَّه سيكون على حساب زوجيتها وأمومتها ،وتربية أولادها، واعترف بأهليتها الحقوقية المالية الكاملة مثلها مثل الرجل تماماً ،ولا يحق للزوج التدخل في تصرفاتها المالية،كما حافظ على شخصيتها ،فلا تفقد اسمها واسم عائلتها بالزواج ؛إذ تظل منتسبة لأبيها ،وأزال عنها تهمة الخطيئة الأزلية التي ألحقتها بها الأديان والتشريعات القديمة في قوله تعالى : ((وعصى آدم ربَّه فغوى))،كما ساوى بينها وبين الرجل في كثير من الحقوق السياسية كحق البيعة والشورى والولاية ،وإجارة المحارب ،والمشاركة في القتال أن دعت الحاجة ،والمشاركة أيضاً في الغنائم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وعمارة الكون ،وإن كانت المرأة المسلمة لم تحصل على بعض حقوقها ،فهذا يرجع إلى تحكم العادات والأعراف والتقاليد ،وليس إلى الإسلام.

وقد أكَّد رسول الله صلى الله علي وسلم على مبدأ المساواة بأقواله وأفعاله الكثيرة فمن أقواله (الناس سواسية كأسنان المشط)،وقال في حجة الوداع : (أيها الناس : إنَّ ربكم واحد ،وأباكم واحد ،ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ،ولا لأسود على أحمر ،ولا لأحمر على أسود إلاَّ بالتقوى)،فهنا ألغى التفاخر بالأنساب والتعاظم بالأباء والأجداد ،فأبوهم جميعاً واحد هو آدم عليه السلام ،وألغى التفرقة العنصرية والتمايز بالألوان ،فلم يفرق في الحقوق والمعاملات بين أبيض وأسود ،ولا بين حر ومولى ،فقد ولى بلالاً على المدينة،وفيها كبار الصحابة ،وبلال رضي الله

عنه مملوك أسود سابق أشتراه أبو بكر رضي الله عنه وأعتقه ،كما أنّ النبي صلى الله عليه وسلم ولى "باذان" الفارسي لى اليمن ،ولمَّا مات ولى ابنه مكانه .

ولقد سار على نهجه الخلفاء الراشدون من بعده ،وقد سبق وأن ذكرنا أمثلة لذلك.

وهكذا نجد كيف وضع الإسلام حقوق الإنسان وطبَّقها واحترمها ،قبل أن ينادي بها فلاسفة الغرب الذين وضعوا ميثاق حقوق الإنسان بأربعة عشر قرناً ،والتي أصبحت هذه الحقوق تنهك من قبل القوى العظمى التي تَتخذها ذريعة للتدخل في شؤون الدول الصغرى والضعيفة لبسط السيطرة والنفوذ عليها ،وليس لحماية حقوق الإنسان.

6-الحرص على العمران وعدم الفساد: ولقد نهى الله المسلمين إذا تولوا الحكم عن الفساد في الأرض ،يقول تعالى : ((فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم .أولئك الذين لعنهم الله فأصَّمهم وأعمى أبْصارهم)) (محمد : 22-23)هذا والمتتبع لغزوات الرسول صلى الله عيه وسلم ،ثُمَّ للفتوحات الإسلامية لم يجد فيها تدميراً أو تخريباً للبلاد المفتوحة ،كما رأينا من قبل في جيوش الأمم الأخرى كاجتياح الجماعات الجرمانية في أوربا ،والقوط في الأندلس ،والتتار في المشرق الإسلامي،ولعل هذا من أهم أسباب إسلام أهالي البلاد المفتوحة.فالإسلام دين بناء وحضارة ،وليس دين هدم وتخريب وتدمير خلاف ما نراه اليوم مما يحدثه اليهود الصهاينة في الأراضي الفلسطينية من قتل وتدمير وحرق وتخريب وتجريف الأراضي ،واقتلاع لأشجار الزيتون في الأراضي الفلسطينية وجنوب لبنان .

7-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : وهذا من الأسس والركائز الأساسية في الحكم ،يقول تعالى : ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)) (آل عمران : 104)والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حق للرجل والمرأة معاً ، يقول تعالى : ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهَوْن عن المنكر)) ولقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك عدة وصايا منها قوله : (الدين نصيحة) فسأله الصحابة لمن : قال (لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)

وقد سار الخلفاء الراشدون على هذا المنهج من ذلك قول أبي بكر في أول خطبة ألقاها يوم توليه الخلافة ؛إذ قال : (قد وليت ولستُ بخيركم ،فإن رأيتموني على حق

فأعينوني ،وإن رأيتموني على باطل فسددوني ،أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم ،فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم)،ويقول عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه (أيها الناس فمن رأى فيَّ اعوجاجاً فليقوِّمه)وتقدم إليه رجل وقال : (لو رأينا فيك اعوجاجاً لقوَّمناه بسيوفنا)،فرد عليه عمر رضي الله عنه قائلاً (الحمد لله أن كان في أمة عمر من يقوِّم اعوجاج عمر بالسيف)

هذه هي الديمقراطية في الإسلام ،وهذه الحرية في إبداء الرأي ،وفي مراقبة الحاكم ومحاسبته إن أخطأ.

وهذه هي الركائز الأساسية لنظام الحكم في الإسلام ،فهي قائمة على العدل والشورى والبيعة والمساواة والدعوة إلى احترام العمران والنهي عن الفساد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وهو كما يتضح من أسسه نظام واضح يجمع بين الدين وأمور الحياة الدنيا فالدين الإسلامي دين ودولة.

وكما تبيَّن لكم أنَّ الأقليات التي تعيش في كنف الإسلام ،وبين رعايا الدول الإسلامية لا يخشى على كافة حقوقها المدنية والقانونية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ،وأكبر دليل عهد الأمان الذي أعطاه عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لأهل بيت المقدس ،كذلك ولو ذهبنا إلى مصر نجد أنَّ العرب المسلمين أعطوا الحرية الدينية للقبط ،يؤيد ذلك ما فعله عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد استيلائه على حصن بابليون ،إذ كتب بيده عهداً للقبط بحماية كنيستهم ،ولعن كل من يجرؤ من المسلمين على إخراجهم منها ،وكتب أماناً للبطريق بنيامين ،وردَّه إلى كرسيه بعد أن تغيب عنه زهاء ثلاث عشرة سنة ،وأمر عمرو رضي الله عنه باستقبال بنيامين عندما قدم الإسكندرية أحسن استقبال ،وألقى على مسامعه خطاباً بليغاً ضمنه الاقتراحات التي رآها ضرورية لحفظ كيان الكنيسة ،فتقبلها عمرو رضي الله عنه ، ومنحه السلطة التامة على القبط والسلطان المطلق لإدارة شؤون الكنيسة .

ولم يفرق العرب في مصر بين الملكانية واليعاقبة من المصريين ،الذين كانوا متساوين أمام القانون ،والذين أظلهم العرب بعدلهم وحموهم بحسن تدبيرهم ،وقد ترك العرب للمصرين ،وأخذوا على عاتقهم حمايتهم ،وأمنوهم على أنفسهم ونسائهم وعيالهم ،فشعروا براحة كبيرة لم يعهدوها منذ زمن طويل ،بل كانوا يعانون من ظلم

البيزنطيين الذين كانوا يضطهدون الياعقبة لأنهم يختلفون معهم في المذهب ،يوضح هذا قول المستشرق البريطاني سير توماس أرنولد في كتابه " الدعوة إلى الإسلام " : (يرجع النجاح السريع الذي أحرزه غزاة العرب قبل كل شيء إلى ما لقوه من ترحيب الأهالي المسيحيين الذين كرهوا الحكم البيزنطي ،لما عرف به من الإدارة الظالمة ،وما أضمروه من حقد مرير على علماء اللاهوت ،فإنَّ الياعقبة الذين كانوا يكونون السواد الأعظم من السكان المسيحيين عوملوا معاملة مجحفة من أتباع المذهب الأرثوذكسي التابعين للبلاط ،الذين ألقوا في قلوبهم بذور السخط والحنق الذيْن لم ينسهما أعقابهم حتى اليوم)

كما أنَّ السلطان محمد الفاتح أعطى . حين دخل القسطنطينية فاتحاً . لبطريرك المدينة السلطان الداخلي على رعيته من النصارى ،بحيث لا تتدخل الدولة في عقائدهم ولا عباداتهم.

كما يروي لنا التاريخ أنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية طلب إلى أمير التتار إطلاق سراح الأسرى ،فأجابه الأمير التتاري إلى إطلاق سراح أسرى المسلمين وحدهم دون المسيحيين واليهود فأبى شيخ الإسلام رحمه الله ذلك وقال : " لا بد من إطلاق سراح الذميين من أهل الكتاب ، فإنَّهم أهل ذمتنا ،لهم ذمة الله ورسوله ،فأطلق الأمير سراحهم جميعاً .

وأيضاً اعتراف الحاخام اليهودي " ديفيد وايس " الناطق الرسمي لحركة "ناطوري كارتا "إنَّ الدول الإسلامية أحسنت استضافة اليهود،وأود أن أشير هنا إلى أنَّ اليهود وصلوا إلى منصب الوزارة في الدولة المرينية في المغرب ،فاليهود في المغرب كان لهم دور كبير في الحياة السياسية في الدولة المرينية ،فكان خليفة بن ميمون ابن زمامة حاجباً للسلطان في عهد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ،وتولت أسرة بني وقَّاصة اليهودية قهرمة القصر السلطاني في عهد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ،وفي عهد آخر سلاطين بني مرين ،السلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني تولى منصب الوزارة اثنان من اليهود هما هارون وشاويل ،وقد أدى تحكم اليهود في الدولة عن طريق هذين الوزيرين إلى مقتل السلطان عبد الحق المريني وسقوط الدولة المرينية،وهذا يبن مدى غدر اليهود بمن يحسن إليهم .

وتصريح البابا "شنودة" أنَّه يفضل العيش في كنف الحكومة المسلمة في مصر على أن يكون تحت رعاية دولة مسيحية في مصر ،وذلك لأنَّ هناك مخطط لتجزئة مصر وتفتيتها إلى دولة نوبية في الجنوب ،ودولة مسيحية في صعيد مصر ،ودولة إسلامية في شمال الدلتا ،وهو مخطط كبير لتفتيت العالم الإسلامي ،وقد وضع هذا المخطط المستشرق اليهودي البريطاني الأمريكي " برنارد لويس "

فما الذي يضير من تطبيق الحكم الإسلامي الذي يحفظ حقوق كافة البشر؟

هذا النظام الذي وضعه الخالق ،وهو أعلم بما يصلح لهم ،فهو أدرى بشؤون خلقه،وبما يصلح لهم،يقول تعالى : ((إنَّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما)) (النساء : 105)

الخاتمة :

وكما تروْن فنحن أمة تدعو إلى الخير والبر والإحسان والتسامح ،وديننا دين سماوي حضاري يدعو إلى الحرية والعدل والمساواة ،وينبذ التمييز العنصري ،ويحترم الحرية الدينية للآخرين ،ونحن أمة تحترم الأديان السماوية وأنبياءها وكتبها ،ولم ينل مسلم من أي نبي من الأنبياء فأيماننا لا يكمل إلاَّ بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله باليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، في حين نجد كثيراً من المستشرقين يهود ومسيحيين قد نالوا من نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ووصفوه بما لا يليق ،وقالوا عنه أنَّه كاهن وساحر،ومجنون ،وقاطع طريق ،وغير ذلك من الصفات ، بينما نحن ننزه أنبياء الله ورسله بمن فيهم النبي موسى عليه السلام ،والنبي عيسى عليه السلام مما وصفهم به اليهود في التوراة المحرفة بما لا يليق بهم .

ونحن أمة ليست لها مطامع في أراض الغير ،ولا في خيراتهم ،وتريد أن تعيش حرة كريمة وذات سيادة على أراضيها ،ولا سلطان للغير عليها ،وتريد أن تبني نفسها وتنمي مجتمعها وتسهم في بناء الحضارة الإنسانية على قيم سامية تسمو بالنفس الإنسانية ،وترتقي بها إلى مراتب عليا من السلوك الإنساني القائم على احترام آدمية الإنسان وإنسانيته وحريته وكافة حقوقه مع مراعاة الجانب الروحي في النفس الإنسانية ،وتحقيق أمانة الاستخلاف في عمارة الأرض ،والغاية العليا من خلق الله للإنسان وهو عبادته ،وتريد أن تقيم علاقاتها بالأمم الأخرى على الأسس القويمة

التـي وضـعها الإسـلام ،ولكـن لازال هنـاك مـن تلـك الأمـم الأخـرى مـن يطمـع فـي أراضينا وما فيها من خيرات ،ويريد أن يبسط نفوذه علينا تارة بالقوة العسكرية ،وتارة أخـرى بالتهديـد ،وبالضـغوط الدوليـة ،وتـارة ثالثـة بإثـارة الخلافـات فيمـا بيننـا اتباعـاً لسياسة فرِّق تسد ،ونحن هنا نستساءل :

لماذا نُحارب ؟ لماذا نُقتل ؟ لماذا أصبح قانون الغاب هو السائد في العالم في القرن الحادي والعشرين ،وكأنَّنا في بدء الخليقة ؟ لماذا أصبح القوي يأكل الضعيف ويذله ويمتهنه ،ويفرض هيمنته عليه بالقوة العسكرية أو بالتهديد بها ؟ لماذا أصبح المجتمع الدولي ينصر الظالم على المظلوم ؟ ينصر الغاصب المحتل على المسلوب أرضه وكرامته ؟ لماذا أصبح الضعيف محروماً من حق الدفاع عن نفسه ،عن بلده عن أرضه ووطنه ،وإن فعل بات مجرماً إرهابياً يُقتل أو يُحاكم ويُسجن أو يُبعد ويُطرد من بلده ؟ لماذا كل هذه الحرب على الإسلام ،وهو دين سماوي منزل من رب الكون وخالقه ،وهو دين شامل وكامل يهدف خير البشرية ،وأنزل للناس كافة رحمة للعالمين،وفيه حل لكل ما تعانيه البشرية من تيه وشتات وخوف وقلق وطمع وجشع،وقتل وسفك دماء،واغتصاب للأعراض ،وانتهاك للحرمات،وتدمير للعمران،وتشريد للنساء والشيوخ والأطفال ،ومن سيطرة المادة على كل ألوان الحياة ،والمبدأ الميكافلي " الغاية تبرر الوسيلة"؟

لماذا أصبح الإنسان المسلم منا الملتزم بالإسلام خلقاً وعملاً يعد إرهابيا ؟ولكي ينفي عن نفسه تهمة الإرهاب يعلن أنه ليبرالي ،أو علماني أو شيوعي ..الخ،المهم ألاَّ يكون إسلامياً؟

لماذا باتت كل الأبواب في عالمنا الإسلامي تفتح للعلمانيين وتغلق أمام الإسلاميين؟

وأخيراً لمَ لا يدعنا الآخر نعيش في أمن وأمان واطمئنان نعبد الله الواحد الأحد ونحكم في بلادنا بما أنزل الله و نعمر هذا الكون ،ونبني ونشيد لنؤدي رسالتنا في هذه الحياة ؟

ليتكم تجيبون عن هذه التساؤلات

===========

#ماذا قال فوكوياما آنفا؟

ادريس الكنبوري 1423/1/11
2002/03/25

في عصر هيمنة الاقتصاد الأمريكي ونمط الإنتاج الأمريكي،فإن الأفكارتتحول إلى سلعة تخضع لنفس قوانين البضائع، والقاعدة في هذا النمط الرأسمالي هي الإثارة وتحريك الغرائز، وهي نفسها مواصفات الاقتصاد الأمريكي الحديث، فعن طريق الإثارة وتحريك الغرائز يتم إقناع المستهلك بأهمية السّلعة وبعد تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر، أصبحت أكثر الأفكار انتشارًا وقبولاً وسط الأمريكيين والأوربيين هي تلك التي تحترم هذه القاعدة،وتعمل على إثارة القارئ المتلقي وحفز غرائزه الحيوانية التي تقدس البقاء، لذلك لاغرابة أن نجد أكثرالكتابات انتشارًا كتابات أولئك الذين يقرعون جرس الإنذار من الخطر الإسلامي العالمي، ومن بين هذه الكتابات كتابات " صامويل هانتنغتون" و" فرانسيس فوكوياما" و " توماس فريدمان".

اندفع " فرانسيس فوكوياما"، الياباني الأصل الأمريكي الجنسية والموطن، إلى الواجهة في بداية التسعينيات, إثر طرح نظريته حول "نهاية التاريخ و الإنسان الأخير" في مقال طويل بإحدى المجلات الأمريكية، ومافتئ هذا المقال أن أصبح كتابًا وا سع الانتشار بسبب الأفكارالواردة فيه.

وبالرغم من أن هذه النظرية لم تكن جديدة حتى ذلك الوقت، إلا أن بعثها من جديد على يد "فوكوياما" في ظروف دولية دقيقة اتسمت بانهيار المعسكر الشيوعي بعد سبعة عقود من المواجهة الصامتة مع العالم الرأسمالي الذي تقوده الولايات المتحدة، منحها قوة التأثير وسحر المناسبة، فقد قال " بنهاية التاريخ" فيلسوف فرنسي من القرن الثامن عشر هو " الكسندر كوجيف " ، كما أن الفيلسوف الألماني "فريدريك هيجل" قال بها، غير أن هذين الرجلين أبقيا نظريتهما حبيسة كتاباتهما الفلسفية النظرية، بينما وظفها " فوكوياما" سياسيًا في مرحلة عالمية دقيقة، كما أن هذا الياباني وجد بين يديه آلة قوية لم تكن متوفرة للفرنسي " الكسندر كوجيف" والألماني "هيجل"، وهذه الآلة هي بكلمة واحدة: الإعلام.

ونظرية "نهاية التاريخ" كما صاغها "فوكوياما" قبل عشرسنوات شائعة ومعروفة، حتى ليبدو مملاً التذكير بها في هذا المقال، ويمكن تلخيصها في جملتين: بعد انهيار

الشيوعية فإن الليبرالية الرأسمالية هي التي ستهيمن على مقاليد الأمور في العالم، ولم يتحدث "فوكوياما" في كتابه مطولا عن الإسلام، ولكنه اكتفى بالقول إن الإسلام لايمتلك القدرات الذاتية ليكون نموذجًا منافسًا، وهذه هي النقطة التي انطلق منها "صامويل هانتنغتون" في نظريته حول "صدام الحضارات"، إذ قال بالعكس، ورأى أن الإسلام والكونفوشيوسية قادران على أن يشكلا نموذجًا منافسا للحضارة الغربية، ومن ثم فإن سيناريو "صدام الحضارات" يبدو غير ممكن تجنبه. وينبغي التذكير بأن نظرية "صدام الحضارات" أنهت نظرية نهاية التاريخ وأثبتت فشلها بالنسبة للثقافة الأمريكية، وهذه أيضًا قاعدة في منظومة التداول الاقتصادي, ذلك أن العملة الحقيقية تطرد العملة الزائفة، إلى أن يثبت زيف الأولى، وهكذا وفق مبدأ المنافسة الرأسمالية. لكن "فوكوياما" عاد قبل أسابيع بمقال نشره في"نيوزويك" الأمريكية، ليكتب عن الفاشية الإسلامية، والحركة الإسلامية في العالم الإسلامي، ويعيد التذكير بنظريته مع إدخال تعديل عليها يجعلها مقبولة اليوم بعد تجاوزها، وما أضافه إليها في حقيقة الأمر "قوضها" من الأساس، فقد بدأ بالقول: إن النموذج الحضاري الغربي أصبح هو النموذج الأوحد بغير منافس بسبب زوال الشيوعية، وانتهى إلى القول بأن هذا النموذج يواجه تحديًا جديدًا هو الإسلام بسبب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، إن هذا يؤكد أن النظرية لم تكن مؤسسة على قاعدة صلبة، وإنما كانت رد فعل سياسيًا وإيديولوجيا استجابة لشروط معينة، ولم يكن مفاجئًا أن تتلقى تلك النظرية ضربة قاضية أخرى بعد الحادي عشر من سبتمبر من طرف الكثير من المفكرين الأمريكيين أنفسهم، وكتب الأمريكي ذو الأصل العربي فريد زكريا في "نيوزيك" مقالاً تحت عنوان "نهاية نهاية التاريخ" The end of the end of History عدد 24سبتمبر 2001.

انطلق "فوكوياما" من أن فرضيته حول "نهاية التاريخ" ما زالت صحيحة رغم الأحداث التي تلت الحادي عشر من سبتمبر، فالحداثة التي تمثلها الولايات المتحدة وغيرها من الديمقراطيات المتطورة ستبقى القوة المسيطرة، ولكنه يقع في تناقض حاد وسط المقال حين يقول :"سيكون من السذاجة الشديدة الظن بأن الثقافة الأمريكية الشعبية مهما كانت درجة إغرائها ستسود العالم قريبا",ويستدرك قائلا:" إن هجمات

الحادي عشر من سبتمبر تمثل حركة ارتجاعية عميقة يائسة ضد العالم الحديث الذي يبدو كأنه قطار شحن سريع لمن لا يريد ركوبه"، ويضيف: "لكننا بحاجة لأن ننظر بجدية إلى التحدي الذي نواجهه، وذلك لأن وجود حركة تملك القوة لإحداث خراب هائل في العالم الحديث حتى وإن مثلت عددًا قليلاً من الناس فحسب يطرح أسئلة حقيقية حول قدرة حضارتنا على البقاء"، ويعبر "فوكوياما" عن خشيته من أن تتحول التكنولوجيا ذاتها ضد الغرب بشكل لايستطيع هذا الأخير وقفها، وهو ما أصبح يشكو منه الكثيرون في الغرب، إلى درجة أن "توماس فريدمان" كتب قبل أيام يدعو إلى وضع نظام يقضي بأن يركب مسافرو الطائرات حفاة عراة حتى لا تتسرب الأسلحة والمتفجرات إلى الطائرات !!

إن اعتبار هجمات سبتمبر حركة ارتجاعية عنيفة ويائسة ضد العالم الحديث لايعبر عن الحقيقة كاملة، ولكنه يعكس وهمًا لدى "فوكوياما" عن أن خط التطور العالمي كان يسير بشكل مستقيم قبل وقوع الارتجاع، أي أن ما دعاه بـ"الحداثة" التي تمثلها الولايات المتحدة كانت ذات اتجاه عالمي واحد، وهو مالم يقل به أحد، فقد تعرضت هذه الحداثة المزعومة إلى عدة ضربات قاتلة حتى من داخل البيت الأوروبي المسيحي الحداثي نفسه، بسبب الغطرسة الأمريكية ونزعة الانفراد بالهيمنة، فقد تلقت أمريكا قبل الهجمات ضربات على يد أوروبا نفسها عندما لم تصوت عليها هذه الأخيرة في لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، وهي المرة الأولى التي تجد أمريكا نفسها خارج هذه اللجنة، وتعرضت لانتقادات واسعة بسبب إصرارها على مشروع "الدرع الصاروخي"، وبسبب التجسس على الدول الأوروبية، ثم بسبب عدم توقيعها على اتفاقية "كيوتو" الخاصة بالحد من الارتفاع الحراري الناتج عن تضخم الغازات الصناعية في الكون، رغم توقيع دول كاليابان وروسيا ممن رفضوا التوقيع قبلها. وقبل أسابيع قليلة فقط من الحادي عشر من سبتمبر كشفت الولايات المتحدة عن وجهها الحقيقي كدولة عنصرية بغيضة حين انسحبت تضامنا مع الكيان الصهيوني العنصري من مؤتمر "دوربان" حول العنصرية الذي انعقد في جنوب افريقيا، هذا علاوة على تأييدها المطلق للاحتلال الصهيوني لفلسطين وجرائمه ضد الشعب الفلسطيني إبان الانتفاضة، واستعمالها حق الفيتو ضد قرار إرسال قوات

دولية لحماية الفلسطينيين مرتين متتاليتين في ظرف شهور قليلة، وتوجيه الأسلحة المتطورة إلى الجيش الصهيوني للقضاء على الانتفاضة، في ذات الوقت الذي تدعو فيه إلى التفاوض والسلام. فهذه المواقف الشاذة التي تجمعت في خلال سنة واحدة فقط كانت كفيلة بأن تضع الولايات المتحدة في قفص الاتهام أمام أعين العالم كله، وأن تعزلها تدريجيا، لولا أحداث الحادي عشر من سبتمبر. ويذهب الكثير من المحللين حتى الأمريكيين منهم إلى أن هذه الأحداث أنقذت الولايات المتحدة في لحظة دقيقة، حتى إنها لو لم تقع لصنعتها، ذلك أن الفوائد التي جنتها من وراء تلك الأحداث تفوق بكثير الأضرار التي ترتبت عنها، فقد أعادت التفاف أوروبا حول سياستها، وأحدثت تقاربًا روسيا معها، وأوصلت قواتها إلى منطقة بحر قزوين, وأدخلتها إلى دهاليز الأسرار النووية الباكستانية لقد حققت في شهر واحد ما عجزت عنه منذ الحرب العالمية الثانية خلال نصف قرن.

الحداثة

يتحدث "فوكوياما" عن الحداثة وكأنها قالب جامد وموحد، معتقدا أن الحداثة في صورتها الغربية والأمريكية هي الوحيدة السائدة, بينما ينسى . وهو ياباني – النموذج الياباني للحداثة الاقتصادية والسياسية والثقافية المغاير للنموذج المذكور, إن الحداثة الغربية عمومًا والأمريكية خصوصًا تأسست على العلمانية في الأصل، بل هناك من يقول من الغربيين إن انخراط أوروبا في العلمانية كان بداية الدخول في الحداثة، أي أن العلمانية والحداثة وجهان لعملة واحدة، بينما انطلقت الحداثة اليابانية من تفجير القيم الكونفوشيوسية، أي الدينية، لامن تجاوزها، أو من القطع معها، وحتى في داخل الحداثة الغربية فهناك حداثات لاحداثة واحدة، وهي تسير بسرعات متفاوتة من موقع لآخر، كما أن الصراع بينها قائم، ويمكن هنا أن نستشهد بمثال واحد فقط، وهوالرفض الأوروبي لتحرير الثقافة والاتصال ضمن الاتفاقية العامة للتعرفة الجمركية والتجارة "الغات" بسبب الخشية من هيمنة النموذج الحداثي الأمريكي.

ويرد " فوكوياما" على تصريحات "جورج بوش" الرئيس الأمريكي التي قال فيها بأن الحرب ضد الإرهاب التي أعلنتها واشنطن ضد أفغانستان ليست حربًا ضد الإسلام، ويقول إن الصراع ضد الإرهاب فيه مسائل حضارية واضحة تلعب دورًا فيه . وفي

حقيقة الأمر، فإن "فوكوياما" يلتقي مع "بوش"، حتى وإن كان هذا الأخير لا يقول نفس الكلام،لأنه يفعله، فقد رسمت الإدارة الأمريكية خطة واسعة ضد التعليم الديني في البلدان العربية والإسلامية، وضغطت وتضغط على باكستان وتركيا واليمن ومصر والسعودية وغيرها لتغيير المناهج التعليمية الإسلامية ومحاربة المدارس الدينية وكتاتيب تحفيظ القرآن، معتبرة أن ما تسميه "بالتطرف والإرهاب" يأتي من هذه المؤسسات والمدارس، أي من الأفكار والقناعات التي تغذيها، وهذا بالتحديد مايقوله "فوكوياما". إن هذا الأخير لا يعبر سوى عن قناعات ومواقف الإدارة الأمريكية منذ أن طرح نظريته حول " نهاية التاريخ"، فهو واحد من المثقفين الأمريكيين الذين يحاولون إيجاد التبرير الايديولوجي والفكري لقرارات هذه الإدارة، وهو بالتالي نموذج مثقف السلطة والحكم في الولايات المتحدة ، إن " فوكوياما" يدعو بصريح العبارة إلى شن حرب شعواء ضد هذه العناصر الثابتة في الحضارة الإسلامية بهدف القضاء على بذور "الإرهاب"، وهي دعوة يسانده فيها الكثيرون في أوروبا وأمريكا، بل يطبقها كما سبق القول رئيس الإدارة الأمريكية "جورج بوش"، ولكن أليس هذا إرهابًا حضاريًا متطورًا؟ أليس هذا محاولة جديدة لإبادة ثقافة أمة بكاملها، بعد إبادة شعوب بكاملها مع ثقافاتها في أمريكا؟! وهل من حق المسلمين أن يطالبوا مثلا بتغيير المناهج الأمريكية والأوروبية لأنها مليئة بالأفكار الاستشراقية الخاطئة عن الإسلام والشرق؟ إن الكيان الصهيوني يحشو مناهجه التعليمية بدعوات عدوانية إلى إبادة "الأغيار" وذبْح الفلسطينيين وقتل العرب وإفراغ فلسطين، ماذا سيكون موقف الغرب كله لو قام العرب والمسلمون مطالبين بحذف هذه المناهج؟.

تنطلق أفكار "فوكوياما" وأمثاله من رؤية استعمارية خطيرة تعتبر الغرب " أعلى نموذج" وصلته الإنسانية، والآخرين " أدناها "، وهي رؤية ناتجة عن عقدة "التفوق الغربي" و"التمركز الحضاري"حول الذات، لكنها تؤشر إلى صراع حضاري كبير يدفع ثمنه الغرب نفسه، يقال: " إن الامبراطوريات عندما تتسع ولا تجد أمامها ما تتوسع إليه تلتف حول نفسها لتأكل أطرافها"، وقال ابن خلدون قبل أكثر من عشرة قرون" إن الحضارة عندما تصل درجة أكبر من المدنية والرفاه تنقلب إلى التوحش والإغارة،

فيكون في ذلك نهايتها، فهل يكون "فوكوياما" وغيره أداة هدم الحضارة الأمريكية بدفعها إلى هذا الحد غير المقبول من التوحش والسطوعلىالشعوب الأخرى؟.

خراب الحداثة الغربية

تعني عبارة "العالم الحديث" في مقال "فرانسيس فوكوياما" عالم الغرب الحديث منذ بروزه على المسرح العالمي في القرن الخامس عشر الميلادي. هذا هو التاريخ "الرسمي" لنشأة الحداثة الغربية في عرف المؤرخين والمثقفين الغربيين وغير الغربيين، و" فوكوياما" مقتنع بأن انخراط العالم غير الغربي وغير المسيحي في العصر يمر بالضرورة عبر اعتناق الحداثة وقيمها وقناعاتها. وهو يدافع عن فكرة مفادها أن استمرار الحداثة رهين بمحاربة "الإرهاب"، وبعبارة أخرى: يجب أن تبقى الحداثة ليبقى الغرب، أو أن يبقى الغرب لتبقى الحداثة. ومن أجل ذلك ينبغي أن تستمر سياسة الإبادة الغربية تجاه الشعوب الأخرى وثقافاتها. لكن لننظر أولا إلى جذور الحداثة الغربية في القرن الخامس عشر لنعرف جيدا الثمن الذي يجب دفعه من طرف شعوب العالم كي تستمر؟ .

عندما هبط كولومبوس على شواطئ أمريكا سنة 1492 ? لنتذكر أن هذا هو تاريخ خروج المسلمين من الأندلس ? كان يوجد حوالي أربعمائة مليون نسمة على وجه الأرض، عشرون منهم يعيشون في الأمريكتين (خمسة وعشرون مليون في المكسيك وجميعهم من الهنود الحمر)، وبعد ومائة وخمسين سنة لم يبق من هؤلاء سوى عشرة ملايين ?مليون فقط في المكسيك?، لقد قضى القتل الجماعي على أزيد من 90 إلى 100 ألف في جامايكا ?، في إبادة جماعية ضخمة من طرف الأوروبيين الغزاة حاملي "الحداثة" إلى الشعوب الأصلية "البدائية"، حتى إن الناس كانوا ينتحرون لكي لا تصل إليهم أيدي الأوروبيين، وكانت الأمهات يقتلن أطفالهن قبل أن يقتلهم الغزاة البيض. وفي إفريقيا قضى الأوروبيون على نحو ستين مليون نسمة من ثمانين مليون نسمة هم عدد سكان افريقيا في ذلك الوقت، وتحول الباقون إلى عبيد في خدمة الأوروبيين المتحضرين. لكن الأوروبيين (الذين سيصبح جزء منهم أمريكيين فيما بعد) لم يقضوا على البشر والحجر فقط، بل دكوا الحضارات والثقافات. في القرن الخامس عشر كان هناك حوالي أربعة آلاف ثقافة مختلفة، ألف منها موجودة في

الأمريكتين قبل غزو البيض، وبعد مرور خمسة قرون لم تعد هناك سوى خمسمائة ثقافة إنسانية منها مائة فقط في الأمريكتين، وهذا يعني القضاء على 88 في المائة تقريبًا من التنوع الثقافي في العالم. المبرر الذي يسوقه الأوروبيون دائما هو أن هؤلاء كانوا من الشعوب المتوحشة التي تعيش على القتل والغصب وسفك الدماء، وأن ثقافاتهم غير صالحة لإنتاج حضارات ؟!

لنقارن هذه الأرقام المرعبة بالرقم الصغير جدًا الذي يدعيه اليهود حينما يروجون أطروحة (الهولوكوست) والإبادة الجماعية، والذي يصل بالكاد إلى رقم خمسة ملايين، ومع ذلك يتحرك الغرب كله، ضد هذه الإبادة "اللاإنسانية"، كأن الإبادات الأخرى إنسانية. هذه هي الحداثة الغربية اليهودية المسيحية!!. كلمة "متوحشة" اختفت اليوم لتحل محلها كلمة "إرهابيون"، وتحت هذه الكلمة الأخيرة تمت إبادة ملايين البشر من أمريكا اللاتينية إلى أمريكا الوسطى وآسيا والعراق وأفغانستان ؟!

وفي حقيقة الأمر، فقد آمن الغرب بصراع الحضارات، ومارسها منذ مئات السنين، حتى لا نعتقد بأن صراع الحضارات لم يبدأ سوى مع "صامويل هانغتغتون"، فهذا الأخير لم يبتكر شيئا، ولكن ابتكر "المقولة" فقط، إن إبادة ملايين السكان في القرون الأخيرة كان الهدف منه اجتثاث الحضارات غير الغربية، وقتل الملونين، حتى تبقى الطريق سالكة أمام الغرب شعبًا وثقافة وحضارة دون غيره؟

العلمانية والديمقراطية والمسيحية

يقول "فوكوياما" في مقاله:" إن الديمقراطية الحديثة نسخة علمانية للمبدأ المسيحي في المساواة الإنسانية عالميًا، إلا أن المؤسسات الغربية كالأساليب العلمية، التي وإن كانت قد اكتشفت في أوروبا فإن لها تطبيقات عالمية" هذه الكلمات الخطيرة تعري حقيقة نظرة الغرب إلى العالم وإلى نفسه. إن أطروحة المركزية الغربية أو التمركز الغربي حول الذات واضحة في هذه الفقرة، ومن الخطر تصديق هذه المقولات التي تسعى إلى تنميط العالم وقولبته وفق قالب الغرب المسيحي- واليهودي (والاثنان مترابطان في اللاوعي الغربي حول الحضارة الغربية والحداثة).

إن أطروحة المركزية الغربية غارقة في العنصرية، لأنها تركز على أن الغرب هو السيد الوصي الذي بإمكانه إصدار الوصفات الطبية للعلاج، ولقد ترسخت هذه

الأطروحة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مع فلاسفة الغرب والمستشرقين والمؤرخين الغربيين، وراج في فترة معينة أن شعوب المناطق الساخنة المسلمون في الجزيرة العربية لا يستطيعون إنشاء حضارة بسبب المعطيات المناخية والصحراء، كما هو الحال مع شعوب المناطق الباردة في أوروبا?، دون أن يتساءل هؤلاء كيف انبعث الإسلام من هناك وبنى الحضارة.وتغيرت هذه المقولة الطبيعية لتترك مكانها للمقولة العرقية، فجاء الفيلسوف الألماني "هيجل" وقال بأن خط التطور الكوني يسير نحو الكمال في النموذج البروسي الألماني?، ومهد بذلك لأطروحة التفوق "الآري" والنازية، ثم جاء "كارل ماركس"، ودافع عن الاستعمار في الهند الصينية والجزائر لأنه سيخرج هذه الشعوب في اعتقاده من البدائية والتوحش إلى الرأسمالية المتطورة التي هي الحلقة الأخيرة ما قبل الشيوعية، وجاء آخرون ووضعوا العالم الإسلامي والعالم الثالث عمومًا خارج الغرب الرأسمالي تحت "نمط الإنتاج الآسيوي" أو الشرقي المتخلف، والذي يقابل "نمط الإنتاج الرأسمالي" أو الغربي. ولم تتوقف هذه الأطروحات المركزية في الغرب، وظلت تغذي الثقافة الغربية وتحاول إجراء "غسيل مخ" لمثقفي الشعوب غير الغربية، ونجحت في ذلك إلى أبعد الحدود للأسف?!

أما أطروحة "فوكوياما" الحالية حول الترابط العضوي بين الديمقراطية والرأسمالية والمسيحية، من جهة، وبين المسيحية والعلمانية من جهة ثانية، فهي ليست جديدة. ففي بداية القرن العشرين نشر "ماكس فيبر" كتابه المعروف"الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية"، ومفاد أطروحة "فيبر" أن البلدان الأكثر تقدما منذ القرن الثامن عشر هي البلدان التي اعتنقت المسيحية البروتستانتية، وبخاصة الفرقة الكالفينية ضمن الديانة البروتستانتية، وسبب ذلك عنده ميل هذه الديانة نحو العقلانية في السياسة والاقتصاد، وذهب "فيبر" أبعد من ذلك ليقول بأن نشأة الرأسمالية لم تكن بسبب الثروات الضخمة التي حصلت عليها أوروبا عبر نهب الشعوب الفقيرة، بل بسبب الأخلاق البروتستانتية التي تقدس العمل والكسب والاجتهاد، والسؤال هو: هل من الضروري أن تؤدي قيم العمل والكسب والاجتهاد إلى الرأسمالية المتوحشة؟

وحين يشير " فوكوياما" إلى الارتباط بين المسيحية والديمقراطية والرأسمالية ينسى لماذا فشلت المسيحية في عشرين قرنًا مضت في إبداع الديمقراطية والرأسمالية?، ولماذا تأخر ذلك إلى القرن الثامن عشر؟

ثم إن الفكر الغربي الحديث يؤسس لمرجعية الديمقراطية في أثينا اليونانية، والكلمة ذاتها لها جذور في اللغة الإغريقية وتعني "حكم الشعب نفسه بنفسه"، فلماذا نشأت الديمقراطية في أثينا الوثنية، وهي غير مسيحية؟!

يتبين إذن أن أفكار "فوكوياما" هذه مهزوزة منذ البداية، وهي أقرب إلى الكليشيهات الجاهزة للتسويق أكثر من كونها أطروحات متماسكة لها ما يسندها، لكن "فوكوياما" يبني على هذه المغالطات مغالطة أخرى، وهي أن المؤسسات والمبادئ الغربية مثلها مثل الأساليب العلمية صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، وهذه أطروحة واضح عوارها ولا تستحق الرد، لأنها ترد على نفسها؟!

ديمقراطية خارج الدين، أو ديمقراطية اللادين

إن الفكرة الرئيسية التي تدور حولها أطروحة "فوكوياما" هذه هي أن الديمقراطية الغربية ذات قيم كونية تستعصي على الخصوصيات، لأنها تتجاوزها، ومرجع هذه الأطروحة يوجد في فلسفة التمركز الغربي حول الذات التي تقول بأن ما هو صالح للغرب صالح لغير الغرب. إن الديمقراطية ليست شرا كلها، ولم يقل المسلمون بذلك، سوى فئات معزولة عزلها جمودها عن التطور ومسايرة السنن، لكن حتى هؤلاء كان لمواقفهم تلك ما يبررها، فقد نشر الغرب حول مفهوم الديمقراطية ظلالا من الايديولوجية والعلمانية بحيث إن الكلمة لم تعد تعني الآليات السياسية والمسطرية لتنظيم الحياة السياسية، بل صارت محشوة بقيم ومضامين جعلت الكثيرين يعتقدون أن الديمقراطية تؤدي أوتوماتيكيا إلى السقوط في الغربنة وتحولتٌ إلى "دين"، ودليل ذلك أن الغرب لم يقبل بأي تطبيق للديمقراطية في آسيا وإفريقيا والعالم الثالث عمومًا خارج ما هو مطبق لديه، وهو ما يعني أن الغرب يرفض باستمرار أن يكون الدين جزءاً من الحياة الديمقراطية، أو الناظم للممارسات الديمقراطية في هذه البلدان، فالغرب ينظر إلى الديمقراطية على اعتبار أنها لا تتم إلا في مجتمع حقق درجة نوعية من العلمانية، وطرد الدين من السياسة.

غير أن هذا الكلام هو مجرد كلام نظري فقط، لأن الواقع هو أن الغرب يرفض الديمقراطية في العالم الثالث، سواء عبر أو من دون علمانية، فهو لا يرفض أن تتدين هذه الشعوب أو أن لا تتدين، ولكن يرفض أن تأخذ بزمام الحياة السياسية السليمة وأن يكون لها حضور فاعل في الحضارة المعاصرة، لأن ذلك يمس بمصالحه، ويفتح أعين هذه الشعوب على حقيقة النهب الغربي المستمر لها، وهذا ما يدعو إليه الرئيس الأمريكي الأسبق "ريتشارد نيكسون" في كتابه "الفرصة السانحة" الذي صدر في أوائل التسعينيات علانية، فهو يقول إن الديمقراطية في العالم الإسلامي إذا تم ترك الحبل على الغارب ستكون لمصلحة المتطرفين?، وينادي صراحة بالحفاظ على الوضع القائم في العالم الإسلامي، أي وضع عدم الاستقرار السياسي، ويجب التذكير بأن نيكسون كان ينظر إلى سقوط الاتحاد السوفياتي كفرصة سانحة للولايات المتحدة لبسط سيطرتها على العالم الإسلامي.إن وجود العدوالصهيوني في قلب العالم الإسلامي وحده كفيل بدفع الغرب إلى منع الديمقراطية فيه، فمن يضمن ألاّ يصل إلى السلطة أعداء إسرائيل؟ ومن يضمن ألاّ يصل إلى السلطة أعداء الغرب ليتحكموا في منابع النفط؟ إن هذه هي الأسباب الحقيقية لامتناع الديمقراطية في العالم الإسلامي، وليس تلك الآراء السخيفة التي ترد هذه الموانع إلى الدين أو الثقافة أو التقاليد، فهذه الآراء مجرد تبرير لتظل الديموقراطية في العالم العربي والإسلامي ذلك المستحيل غيرالممكن، وغيرالممكن المستحيل ، لسبب بسيط هو أن الغرب يعرف جيدا أن اقتلاع الإسلام مستحيل، وهكذا يرتبط مستحيل بآخر، لا يذهب الإسلام ، ولا تأتي الديموقراطية، وتبقى الخصومات بين المسلمين لتشل قوتهم وتفتح للغرب المنافذ وتعطل السير: هذا"علماني"، وهذا "طالباني".

إن العدو الأول والأخير للديمقراطية في العالم الثالث هو الغرب نفسه، إن تاريخ إفريقيا وأمريكا الوسطى وأمريكا اللاتينية وآسيا والعالم الإسلامي مليء بالأدلة التي تثبت تورط الغرب في قتل أي بروز للديمقراطية في هذه البلدا، ويورد " ناعوم تشومسكي" في كتابه "ردع الديمقراطية" عشرات الأدلة التي تبين أن أيادي واشنطن ملطخة بالدماء لمنع الشعوب من حق تقرير مصيرها، حتى وإنه يكتب ساخرا بأن

الذي خرج فائزًا في انتخابات نيكاراغو في 1987 هما "جورج بوش" و "رونالد ريغان"؟!، لأن الأول كان مدير الاستخبارات الأمريكية، وكان الثاني رئيسًا في البيت الأبيض، ويضيف تشومسكي بأن الناخبين ذهبوا إلى صناديق الاقتراع "وفوهات المسدسات موجهة إلى رؤوسهم" وإجهاض الديمقراطية في الجزائر وتركيا شاهدان على ذلك أيضا.

============

#صورة الإسلام في الغرب

د. عبدالقادر طاش(*) 1423/11/26

2002/02/09

أثارت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م التي وقعت في الولايات المتحدة الأمريكية وما نتج عنها من تداعيات خطيرة مسألة الصورة المشوهة للإسلام في المجتمع الغربي على نحو صارخ وغير مسبوق في تاريخ العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب.

وعززت الحملات المنكرة على الإسلام في بعض وسائل الإعلام الغربية من الشكوك المستترة في نفوس قطاع عريض من العرب والمسلمين بأن الحرب التي تتزعمها الولايات المتحدة وحلفاؤها في الغرب ضد ما يسمى الإرهاب" إنما تستهدف النيل من الإسلام عقيدة وحضارة و تسعى إلى إعادة ترتيب خريطة النظام الدولي الجديد وتحجيم موقع الدول الإسلامية فيها.

ولذلك يحسن بنا أن ننظر إلى مسألة الصورة المشوهة للإسلام في الإعلام الغربي بجدية تامة وأن لا نعدها قضية هامشية لا قيمة لها، وقد نبه كثير من الباحثين والمختصين من الطرف الإسلامي ومن الطرف الغربي على حد سواء إلى خطورة هذه المسألة وتأثيراتها السلبية على العقل الغربي والسلوك الغربي منذ سنوات عديدة.

ويشير الباحث الإعلامي الأستاذ/مصطفى المصمودي – الذي تولى وزارة الإعلام في تونس لعدة سنوات – إلى دراسة أصدرتها لجنة من الخبراء والإعلاميين العرب في سنة 1980م حول مظاهر التشويه في الصورة العربية بأوروبا وأمريكا، وخلصت تلك الدراسة التي أعدت تنفيذاً لتوصية من وزراء الإعلام لدول الخليج العربية إلى

القول :"إن تلك الصورة تعاني في أذهان الشعوب الغربية من تشويه شديد، وإن علاقات الأمة العربية مع هذه الشعوب تعاني من ضبابية محزنة تحول دون إقامة علاقات من التفاهم والصداقة بين المجموعتين، وإن الأجهزة الإعلامية العربية، بصورة عامة، لم تكن حاضرة على الساحة الدولية بالمستوى المطلوب لتصحيح الأوضاع".

وسجلت تلك الدراسة في خاتمتها أن لدى السفراء العرب والأصدقاء الغربيين شعورا بالأسى لعجز المال والذكاء العربيين عن اقتحام حواجز الكراهية والتعريف بالجوانب الحضارية والثقافية للأمة العربية لدى شعوب الغرب، وان التحركات على الساحة الدولية لم تكن فعالة بالقدر الكافي.

واستنتجت الدراسة أن هناك حاجة ماسة إلى القيام بعمل سريع لسد الثغرة القائمة بين العرب وشعوب أوربا وأمريكا لأن من شأن هذه الثغرة إذا ما استمرت أن تؤدي إلى أخطار جسيمة لا تهدد العلاقات بين هذه الشعوب فحسب ولكنها قد تهدد استقلال البلاد العربية وأمنها ومقومات وجودها.

والآن، وبعد مرور أكثر من عشرين عاماً على ذلك الاستنتاج الخطير الذي توصلت إليه دراسة الخبراء العرب. حق لنا أن نتساءل بكل حرقة وألم : ألسنا نجني اليوم الثمار المرة للإهمال العربي والإسلامي لتصحيح صورتنا في الغرب وتقاعسنا الكبير وتقصيرنا الفادح في استغلال العديد من الفرص التي أتيحت لنا للسعي الجاد نحو تجسير الفجوة الاتصالية بيننا وبين شعوب الغرب ؟ إن من المؤكد أن الغرب نفسه يتحمل قسطا وافرا من مسؤولية صنع تلك الصورة الكريهة عن الإسلام والمسلمين في مجتمعاته، ومن المؤكد أيضا أن وسائل الإعلام الغربية أسهمت إسهاماً كبيراً في إعادة إنتاج تلك الصورة والعمل على الترويج لها وترسيخها بشتى الطرق في العقل الجمعي للشعوب الغربية.

إن صنع الصور النمطية المسيئة للإسلام والعرب وترسيخها في العقل الغربي ظاهرة قديمة متجددة، ويمكننا القول – دون مبالغة أو تجن : إن الإسلام كان – ولا يزال – أكثر الأديان تعرضا للإساءة في الغرب، كما أن العرب المسلمين هم أكثر شعوب الأرض حظا من التشويه والتجريح في المجتمعات الغربية كما أشار إلى ذلك الرئيس

الأمريكي السابق نيكسون فهذه الصورة في الوجدان الأمريكي أشد سوءاً وقبحاً من صورة العينيين في أذهان الأمريكيين!!

ويدلنا الرصد التاريخي لتطور تلك الظاهرة على أن ساسة الغرب وقادة الرأي فيه كانوا ينظرون دائما إلى الإسلام باعتباره يمثل تهديدا لهم، فاللاهوتيون في العصور الوسطى كانوا قلقين مما أسموه ب"تأثير القيم الإسلامية على القيم المسيحية تأثيرا تدميريا" ولذلك رأى هؤلاء فيما بعد أن حماية المسيحية من الإسلام لا تكون إلا بضربه عسكريا والاستيلاء على أرضه وٌإقناع معتنقيه باتخاذ المسيحية ديناً !!

وكان هدف الحملات العسكرية الصليبية في المرحلة التالية مواجهة ما أسموه "التهديد الإسلامي " قبل أن يغزو ديار الغرب. ولذلك عمل الصليبيون على تسميم العقل الغربي ضد العالم الإسلامي عن طريق تفسير التعاليم والمثل العليا الإسلامية تفسيرا خاطئا ومتعمدا.

ولم يختلف موقف الغربيين في حقبة الاستعمار من الإسلام عن موقفهم منه في الحقبتين اللتين سبقتهما، لقد كانت حركة الاستشراق – في مجملها – أداة من أدوات مواجهة التهديد الإسلامي المزعوم. فقد كان المطلوب من هذه الحركة أن تستكشف معالم العقلية الإسلامية وفهمها فهما جيداً لتسهيل الإدارة الاستعمارية للشعوب الإسلامية.

وتتسق نظرة الغربيين المعاصرين للإسلام مع تلك المنظومة من الرؤى المعادية التي ورثها العقل الغربي من التراكمات التاريخية التي حفل بها تاريخه الكنسي الصليبي والاستشراقي الاستعماري. فالإسلام يمثل تهديداً للغرب كما هو واضح من نظرية (زبجنيو برجنسكي) عن "هلال الأزمات " مروراً بنظرية (برنارد لويس) عن " عودة الإسلام" وانتهاء بنظرية (صامويل هانتجنتون) عن "صدام الحضارات". فنهضة الإسلام – بالنسبة إلى هؤلاء جميعا – تعني : نهاية الحضارة الغربية لا باعتبار الإسلام مجرد منافس إيديولوجي فحسب، بل لأنه أيضا بمثابة تحد حضاري بالغ الخطر ولأنه البديل الإنساني للحضارة الغربية التي لاتقيم وزناً للقيم الإنسانية الرفيعة التى يعلي من شأنها الإسلام فتحقق له السعادة ويشعر في ظلالها بالأمان والأطمئنان.

ونحن اليوم لسنا إزاء حالة عداء غربي محدود النطاق والتأثير، عن الواقع المعاصر يشهد ما أسماه الباحث البريطاني (فريد هاليداي) ظاهرة " معاداة الإسلامية "، إذ يرى أن هذا الاتجاه المعادي للإسلام والمسلمين أخذ يتسع في العالم – وليس في الغرب وحده – مع أواخر الثمانينيات كنتيجة لعدد من العوامل منها : انتهاء الحرب الباردة، وذيوع فكرة حلول الإسلام عدوا للغرب عوضا عن الشيوعية، وصعود التيار اليميني المتطرف في أوربا وأمريكا.

إن من الواضح أن صناعة الصورة الكريهة للإسلام والمسلمين والترويج لها عبر وسائل الإعلام تعد سلاحا من الأسلحة الفعالة التي يستخدمها ساسة الغرب وقادة الرأي فيه لتكريس ظاهرة "معاداة الإسلامية " ليحققوا من خلال ذلك أهدافهم العسكرية والسياسية والاقتصادية ويحكموا سيطرتهم وهيمنتهم على العالم تحت دعاوى الانفتاح والعولمة.

وهنا يثور السؤال الملح : إذا كان الأمر كذلك، لماذا – إذا – نهتم بصورتنا لدى الغرب، وما الذي يدعونا إلى البحث في مكونات تلك الصورة وتفكيكها، وما الذي سنجنيه من وراء محاولاتنا لتغييرها أو تصحيحها ما دمنا نعرف النتيجة سلفا؟.

ومع اعترافنا بأن تغيير صورتنا في الغرب مهمة بالغة الصعوبة بسبب ذلك التراث الغربي المتراكم عبر القرون من العداء الديني والسياسي لنا إلا أننا لا نستطيع التسليم بعدم جدوى المحاولة فنحن – أولاً – أمة ذات رسالة عالمية لا يمكن لنا تبليغها للناس كافة طالما بقيت تلك الصورة المشوهة عن ديننا وثقافتنا تصدهم عن الإسلام. ونحن – ثانياً – ليس بمقدورنا أن نعيش بمعزل عن العالم فقد تداخلت المصالح بين أممه وزالت الحدود بين أجزائه.

وينطبق هذا الأمر على علاقة المسلمين بالغرب أكثر مما ينطبق على علاقتهم بأي أمة أخرى، فالإسلام موجود في الغرب، كما أن الغرب موجود في الإسلام، كما يقول عالم الاجتماع الفرنسي (جيل كيبل) فالتدفق الإعلامي والمعلوماتي الغربي يغزونا في بيوتنا ويشكل كثيراً من تصوراتنا. كما أن الإسلام حاضر في المجتمعات الغربية وينتشر فيها بسرعة مذهلة حتى أصبح جزءاً معتبراً من نسيجه الفكري وتكوينه الديمغرافي وحراكه السياسي، لذلك لا يمكن لنا أبدا تجاهل هذه العلاقة المتداخلة بين

الغرب والإسلام، ولا يمكن لأحد التهوين من الأثر الذي تحدثه الصورة المشوهة للإسلام في العلاقة بينهما سلبا وإيجاباً.

إذا، ماذا علينا أن نفعل ؟ وهل نملك الآن فرصة حقيقية لاستدراك تقصيرنا السابق وتحقيق المكاسب ؟ وما هي ميادين العمل التي لابد من التركيز عليها ؟ وما الإمكانات التي نحتاج إليها لكي تثمر جهودنا لتصحيح صورتنا في المجتمعات الغربية ؟ ومن المسؤول عن أداء هذه المهمة ؟ وهل سنتتج فعلا ؟

إن نجاح جهودنا في السعي نحو تصحيح صورة الإسلام والمسلمين في المجتمعات الغربية مرهون بعاملين اثنين، أولهما : وجود الاقتناع التام من المسلمين بضرورة العمل الجاد من أجل تغيير تلك الصورة، ومن المؤكد أن هذا الاقتناع موجود قبل الأحداث الأخيرة ولكنها تعززت أكثر بعد الأحداث، ولذلك تنادى الكثيرون على مختلف المستويات الرسمية والفكرية والشعبية على بذل الجهود في هذا الميدان، وبدأت بعض المؤسسات الإسلامية الناشطة في المجتمعات الغربية، وبخاصة في الولايات المتحدة، تنظيم برامج ونشاطات تستهدف الرد على الحملات المعادية للإسلام وتوضيح الصورة الصحيحة عنه.

ونشير هنا، على سبيل المثال، إلى ما يقوم به مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (Cair) من دور ملحوظ في مواجهة محاولات تشويه صورة الإسلام والمسلمين من قبل الوسائل الإعلامية والدوائر السياسية في أمريكا، وفي توعية الرأي العام الأمريكي بقضايا الإسلام والمسلمين وتحسين صورته، وينشط المجلس الآن في صنع الأخبار اليومية للمسلمين وتوزيعها على وسائل الإعلام الأمريكية والغربية عن طريق شبكة (Islam-info.net) وهي من أكبر شبكات الاتصال المسلمة في الغرب، كما يساهم المجلس في الرد على ما كتب ضد الإسلام والمسلمين في الصحف الغربية، وبخاصة الأمريكية.

وبالإضافة إلى ذلك ينظم المجلس حملات تعريفية بالإسلام والمسلمين وقضاياهم لفئات مخصصة كالصحفيين والمعلمين ورجال الأمن، كما يقوم بإعداد بحوث ودراسات ميدانية وتوجيه رسائل للشعب الأمريكي على هيئة كتب ونشرات. ولا يهمل المجلس الاتصال المباشر بصناع القرار السياسي: مثل أعضاء الكونجرس ،

ومسؤولي الإدارة الأمريكية والقادة المحليين في الولايات ؛ لإيصال أصوات المسلمين إليهم وتفعيل قنوات التواصل معهم.

واستأثر موضوع الرد على حملات الإساءة للإسلام وتشويه صورة المسلمين باهتمام الاجتماع الوزاري الثالث لوزراء الثقافة في الدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي الذي عقد مؤخراً في الدوحة ، واتخذ الاجتماع عدداً من التوصيات في هذا الصدد. كما صادق على مشروع إنشاء قناة فضائية إسلامية تبث برامجها بأربع لغات. وحدد مشروع هذه القناة عددا من الأهداف المراد تحقيقها في البث الموجه لغير المسلمين من برامجها وتتمثل في الرد على المغالطات ودحض الاتهامات والافتراءات التي توجه للإسلام والمسلمين وتصحيح الكثير من المعلومات الخاطئة التي تروج حول الإسلام والمسلمين.

أما العامل الآخر من العوامل التي يعتمد عليها نجاح جهودنا في تصحيح الصورة في وجود بيئة قابلة للتغيير في الغرب، وتدل بعض المؤشرات الجديدة على أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر فتحت أعين الكثيرين في المجتمع الأمريكي على حقيقة جهلهم وعدم معرفتهم بالإسلام فبدؤوا يتساءلون عنه إما بدافع الرغبة الحقيقية في المعرفة أو بدافع الفضول أو بدافع التعرف على العدو.

وتفيد تقارير متعددة أن هناك رواجاً كبيرا للكتب التي تتحدث عن الإسلام في السوق الأمريكية. وتقول شركات أمريكية أنها تسعى لتلبية الطلبات المتزايدة بعدما نفد ما لديها من نسخ القرآن الكريم وترجمات معانيه. ويقول مسؤول في إحدى المكتبات بمقاطعة أر وانج كانوتي بولاية كاليفورنيا أن مكتبته باعت أكثر من ثلاثة آلاف نسخة خلال ثلاثة أسابيع من كتاب "اكتشاف الإسلام" مقارنة بمائتي نسخة فقط خلال العام الماضي بأكمله.

وسجلت الجامعات الأمريكية زيادة ملموسة في عدد الطلاب الذين يسجلون لحضور دروس حول الإسلام والعالم العربي منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر. ويقول (راستي روك) مساعد مدير مركز الدراسات حول الشرق الأوسط بجامعة شيكاغو : عن عدد الطلاب في السنة الأولى لتعليم العربية زاد مرتين أو ثلاث مرات وأن

الجامعة اضطرت إلى توظيف أساتذة جدد. وفي جامعة (هارفارد) زاد عدد الطلاب الملتحقين بالدروس الخاصة بمجتمع الشرق الأوسط بنسبة تزيد عن الضعف.
وتخصص وسائل الإعلام الغربية الرئيسية مساحة معتبرة للحديث عن الإسلام والمسلمين. وقدمت شبكات تلفزيونية مرموقة مثل (السي إن إن CNN)و(البي بي سي BBC) وبعض المحطات الأمريكية برامج تعريفية بالإسلام وحضارته اتسمت بكثير من الإيجابية والموضوعية. كما استثمرت شركة نشر وإعلام ضخمة للأطفال فرصة الإقبال الأمريكي للتعرف على الإسلام فقامت بتضمين مجلاتها الأسبوعية التي توزع على نحو خمسة وعشرون مليون طفل في كل مدارس أمريكيا بمعلومات كثيرة عن المسلمين وحثت قراءها من الأطفال على التسامح ويقول (ديفيد جودي). رئيس تحرير مجلات "سكولاستيك" :"تلقينا آلافا مؤلفة من الطلبات من مدرسين وطلبة يريدون كميات ضخمة من المواد ولبينا الطلب".
وتدل إحصاءات نشرت حديثا على أن المواطنين الأمريكيين أبدوا اهتماماً ملحوظاً بدعوة الرئيس الأمريكي (جورج بوش) للتسامح تجاه المسلمين، وأنه نتيجة لذلك فان وجهات النظر المؤيدة للمسلمين الأمريكيين في داخل أمريكا قد ارتفعت من 45 % في شهر مارس الماضي إلى 59 % بعد أحداث سبتمبر. وأوضحت الدراسة التي أجراها مركز "بيو" لدراسات اتجاهات الرأي العام تحت عنوان "الاتجاهات بعد 11 سبتمبر : الدين أكثر بروزاً والمسلمون الأمريكيون أكثر قبولا "، أنه على الرغم من التحسن في صورة المسلمين الأمريكيين فإن القليل من الأمريكيين فقط هم الذين يعرفون الكثير عن العقيدة الإسلامية. وقالت الدراسة إن 38 % فقط قالوا إنهم يعرفون بعض المعلومات عن الدين الإسلامي وشعائره في حين قال 31 % إنهم يرون وجود أرضية مشتركة بين عقيدتهم وبين الدين الإسلامي.
إن عدم المعرفة بالإسلام، بسبب نقص المعلومات عنه أو عدم الاهتمام المسبق به يعد عنصراً مساعدا على التغيير ويسهل مهمتنا كثيراً. ويعترف القس والأستاذ الجامعي الإسبانى (إميليو غاليندر) أن أول ما يتعين على الغربيين فمهه كي يفهموا الإسلام هو تأهيل أنفسهم لكي يكونوا قادرين على تحقيق مثل هذا الفهم. وقد أدلى (غاليندر) – الذي يدير مركز الدراسات الإسلامية المسيحية في مدريد – بهذا

التصريح بعد أن اكتشف أن الغالبية الكبرى من قساوسة وراهبات الكنيسة الكاثوليكية يجهلون الإسلام تماما. وقد أفادت نتائج استقصاء للرأي أجراه المركز الذي يديره أن 53 % من الكنسيين رجالا ونساء لم يقرؤوا في حياتهم أي دراسة عن الإسلام كما أن نسبة الذين قرؤوا القرآن منهم لم تتجاوز الـ5% فقط. ولذلك دعا القس غاليندر رجال الكنيسة ولعاملين في وسائل الإعلام إلى قراءة القرآن الكريم ودراسته قبل إصدار آراء عن الإسلام والمسلمين مليئة بالأخطاء والتهكم والطعن.

لم يكن لنا عذر في السابق ، وليس لنا عذر الآن في إيلاء مسألة تغيير الصورة عنا في المجتمعات الغربية ما تستحقه من عناية قصوى. وهاهي الفرصة الذهبية باتت سانحة الآن، ولابد من اهتبالها قبل أن تضيع كما ضاعت فرص أخرى من قبل، وعلينا أن ننظر إلى المستقبل أكثر من عيشنا في الماضي.

إن الأحداث الأخيرة وتداعياتها وفرت بيئة ملائمة للعمل من خلال هذا الاستعداد والقابلية للتعرف على الإسلام وتفهم قضايا المسلمين لدى الشعوب الغربية وبخاصة في أمريكا. كما أن رياح الانفتاح العالمي التي نتجت عن التطور المذهل في تقنيات الاتصالات الحديثة بشتى أشكالها، بالإضافة إلى مقتضيات العولمة الإعلامية والاقتصادية والثقافية، تساعدنا على الوصول إلى الجماهير الغربية بيسر وسهولة.

إن علينا الآن أن نتحرك ونصل إلى وسائل التأثير المتعددة في المجتمعات الغربية لنتحدث إلى الناس ونصحح ما لديهم من معلومات خاطئة ومموهة عن الإسلام وقد شكا الصحفي الأمريكي (ديفيد لامب) من صحيفة "لوس انجلس تايمز" قبل سنوات من أن العرب والمسلمين يضيعون جهودهم في الحديث اليومي مع بعضهم بعضاً، وفي التذمر من دور وسائل الإعلام الأمريكية في تشويه صورتهم، عوضاً عن نقل هذا التذمر والامتعاض بشكل دقيق ومعلوماتي للإعلام الأمريكي. وهو محق فيما قاله ؛ فليس المهم ما يفعله الغرب لتشويه صورتنا، ولكن المهم هو ما سنفعله نحن لتغيير تلك الصورة، علينا أن نتحرك وفق رؤية مستقبلية واضحة المعالم تنبثق عنها خطط ونشاطات عملية منظمة.

إن تلك الرؤية المستقبلية لابد أن تراعي الأسس التالية :

أولا : أن تعتمد نظرتنا الاستراتيجية للتغيير على ما يمكن تسميته "صناعة الصورة البديلة" عوضا عن الانشغال بردود الأفعال ومحاولات الترقيع. فبدلاً من الإغراق في تفنيد المغالطات وملاحقة مروجيها علينا أن نقدم المعلومات الصحيحة وفق منظومة متكاملة ومستمرة غير منقطعة. وعلينا أن نسلك سياسة النفس الطويل ولا نرتهن للعمل الوقتي الذي قد ينجح في تسجيل هدف في مرمى الخصم ولكنه لن يحقق الفوز النهائي في المباراة!!

ثانيا : أن تتوجه جهود صناعة الصورة البديلة إلى القاعدة الشعبية العريضة في المجتمعات الغربية ولا تقتصر أو تركز على الساسة وصناع القرار. فإن الشعوب الغربية تبدي – كما رأينا – استعداداً وقابلية للتغيير. ولم يعد من الصعوبة اليوم الوصول إلى الجماهير عبر العديد من وسائل الإعلام وشبكات المعلومات وقنوات الاتصال الشخصي. كما أن العديد من المؤسسات المدنية في المجتمعات الغربية توفر لنا ساحة ملائمة لإيصال رسائلنا إلى قطاعات متنوعة من الأفراد والجماعات.

ثالثا : أن يستند النشاط الفعال لصناعة الصورة البديلة إلى مزيج من العمل الإعلامي والعمل الثقافي والعمل الدبلوماسي والاتصال الشخصي، فتغيير الصورة المشوهة وإحلال صورة بديلة مكانها لا يكفي لتحقيقه الاعتماد على نوع واحد من هذه النشاطات. بل نحتاج إلى الحركة في جميع هذه الجبهات. علينا أن نصل إلى وسائل الإعلام المؤثرة في الغرب وننشط علاقتنا مع الإعلاميين المميزين ونوثق صلتنا بالمؤسسات الإعلامية ذات النفوذ. ولاشك أن هذه العلاقات والصلات متى ما نمت ونضجت فستساهم في تثقيف أولئك الإعلاميين وتصحيح مفاهيمهم وتصوراتهم عن الإسلام وذلك عن طريق تزويدهم بالمعلومات والتعبير لهم عن الآراء حول القضايا والموضوعات التي تتعلق بالدين الإسلامي او تتناول شؤون العالم الإسلامي وهموم المسلمين.

وعلينا أن نمارس ألوانا متعددة من النشاط الثقافي عبر وسائل متنوعة مثل: توزيع الكتب والنشرات وإقامة المعارض والمهرجانات، وتقوية برامج التبادل الثقافي بين الدول الإسلامية والمؤسسات الغربية. وينبغي التركيز على المؤسسات التعليمية

والجامعية بالعمل على تصحيح المناهج الدراسية وتكثيف الصلات العلمية مع مراكز البحوث والدراسات وهيئات التدريس في الجامعات الغربية.

ولابد من استثمار وجود الهيئات الدبلوماسية الرسمية للدول العربية والإسلامية في المجتمعات الغربية للإسهام في برامج صناعة الصورة البديلة وذلك من خلال توجيه هذه الهيئات على ما يمكن تسميته "الدبلوماسية الشعبية " التي تكثف صلتها وتواصلها مع شرائح ومؤسسات المجتمع المدني بدلاً من الاكتفاء بالصلات الرسمية مع الدوائر الحكومية فحسب.

كما أن نشاط الأفراد والمؤسسات الخاصة في مجال الاتصال الشخصي له دور فعال في تكوين الصور الذهنية وتغييرها. وتوافرت اليوم لنا وسائل وقنوات لم نكن نحلم بها من قبل مثل شبكات المعلومات وأنظمة البريد الإلكتروني وغيرها بالإضافة إلى رحلات العمل التجاري والحركة السياحية التي تضاعفت مرات عديدة خلال سنوات الأخيرة.

رابعا : أن يكون العرب والمسلمون المقيمون في البلدان الغربية في مقدمة الصفوف لرسم سياسات صناعة الصورة البديلة وتنفيذ خططها في الواقع العملي. فهم أكثر دراية ومعرفة بواقع المجتمعات التي يعيشون فيها. وهم أكثر مصداقية منا في التعامل مع مواطنيهم الغربيين ، ولربما كان عملهم أكثر قبولا لدى الغربيين. ويمتلك العرب والمسلمون في الغرب اليوم عدداً من المؤسسات الفاعلة التي تحتاج إلى دعم ومساندة لتؤدي دوراً أكبر وأكثر تأثيراً وهناك طاقات وإمكانات إسلامية متناثرة في عدد من المجتمعات الغربية تحتاج إلى إن تراجع نفسها وتعيد حساباتها لتكون أفضل أداء ونشاطا مما هي عليه الآن.

إن علينا في العالم الإسلامي، حكومات ومؤسسات وأفراداً أن نشجع المجتمعات الإسلامية الموجودة في الغرب على مزيد من الاندماج الإيجابي في المجتمعات التي يعيشون فيها ليكونوا جزءا فاعلا من النسيج الفكري والاجتماعي والسياسي لتلك المجتمعات. وعلينا في العالم الإسلامي أن نساعدهم على ذلك ونبذل لهم ما نستطيعه من دعم وتأييد، وأن نسعى دوماً لحمايتهم وكف الأذى عنهم سواء أكان من الغرب أم من العالم الإسلامي. إن هؤلاء المسلمين هم طليعة التغيير في تلك

المجتمعات وعليهم يقع العبء الأكبر من المسؤولية فعلينا أن نعمل على تقويتهم ؛ لأن في تلك قوة لنا. وعلينا أن نساندهم لتعزيز وجودهم لأن في ذلك عزة لنا.

خامسا : أن نصوغ لنا خطابا إسلاميا جديدا لمخاطبة الغرب يحل محل الخطاب القديم. فلم يعد مستساغاً ولا مقبولا أن نخاطب الغرب بخطاب استعدائي يوغر الصدور بدلا من أن يقربها. إن خطابنا الإسلامي الجديد عليه أن يراعي خصائص الجماهير المستهدفة وظروفهم الفكرية والاجتماعية والسياسية وان يتشبع بروح إيجابية فيقدم الإسلام للغرب بوصفه خياراً حضارياً يمكن أن يسهم في إثراء القيم الإنسانية التي يؤمن بها الغرب نفسه، وبوصفه تحدياً فكرياً جديراً بالدراسة والتأمل العقلي. وعلينا ألا نقدم الإسلام للغرب بوصفه منازعاً ومناطحاً إيديولوجيا له بل بوصفه رسالة هادية ورحمة للناس ومستودع علاج لكثير من مشكلات العالم.

إننا إذا ما قدمنا الإسلام بهذه الصورة المضيئة، وهي صورته الحقيقية التي أرادها الله تعالى له، فإننا سنكسب كثيراً حاضراً ومستقبلا، فلماذا لا نجرب ذلك ؟

(*)رئيس تحرير صحيفة البلاد السعودية

والمقال ورقة عمل مقدمة لندوة "صورة العالم الإسلامي في الإعلام الغربي بين الإنصاف والإجحاف"التي نظمتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو)في الرباط (10-9 يناير 2002 م)

============

#بعد الحادي عشر من سبتمبر:
هل دخل العالم عهد الاستعمار الجديد؟

إدريس الكنبوري 1423/11/8

2002/01/22

برزت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية والحرب الهمجية ضد أفغانستان معالم مرحلة جديدة دخلها العالم ، تتميز في الكثير من عناصرها ومكوناتها عن المراحل السابقة، وهي مرحلة يمكن نعتها بمرحلة "ما بعد الاستعمار" أو "الاستعمار الجديد"، الأكثر تطورا من الاستعمار التقليدي القديم الذي عانت منه الشعوب العربية والإسلامية ودول العالم الثالث المستضعفة، ويمكن نعت

المرحلة المتطورة من الاستعمار بأنها "العصر الأمريكي" أو "عصر الصهيونية" كما وصفه محمد حسنين هيكل، عصر يبرز فيه التحالف الأمريكي- الصهيوني والتحالف المسيحي- اليهودي والتقارب الأوروبي- الأمريكي، والروسي- الغربي، بشكل أقوى من السنوات الماضية، وبشكل يتجاوز الجغرافيات السياسية التي اعتادها العالم حتى اليوم، لصالح الاستراتيجية الجديدة التي تحاول الولايات المتحدة كزعيمة للعالم وضعها.

لقد حدد الرئيس الأمريكي جورج بوش بعد تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر التصور الأمريكي للمرحلة الجديدة، من خلال حديثه عن قيم غربية عرضة للخطر، وعن الإرهاب الذي يستهدف العالم الحر كما قال، وعن قيم الليبرالية الاقتصادية والديمقراطية والحرية بالمفاهيم الغربية التي ينبغي على التحالف الدولي العريض الدفاع عنها، وذهب بعيدا للحديث عن "حرب صليبية" ، رغم كونه تراجع عنها في اللحظة الأخيرة، وقسم العالم إلى قسمين بالطريقة المانوية: القسم الخير الذي يقف في صف أمريكا، والقسم الشرير الذي يقف في الصف الآخر الذي وضعه تحت كلمة واحدة هي صف الإرهاب، كما تحدث عن "الشر" الذي ينبغي اجتثاثه حتى ينتصر الخير !!

ويذكرنا هذا الخطاب الأمريكي الجديد الذي نشأ عقب الحادي عشر من سبتمبر بالخطاب الاستعماري التقليدي السابق للقوى الغربية العظمى، مثل الدفاع عن حقوق الأقليات وتمدُّن الشعوب المتخلفة وإدخال الحضارة إلى أدغال إفريقيا البائسة، وإخراجها من القرون الوسطى والبدائية إلى الحضارة والتمدن، ونعرف المصير الذي دخلته هذه الشعوب بعد المد الاستعماري في ذلك الوقت، والنتائج الوخيمة التي لا تزال تجرها خلفها بسبب الإرث الاستعماري المظلم الذي كبل حركة سيرها، أما الفارق بين العهد الاستعماري القديم والعهد الجديد فهو في غياب تنافس القوى الكبرى على بقية العالم، واعتراف أوروبي وروسي بالهيمنة الأمريكية كل من زاوية مصالحه السياسية والاستراتيجية الخاصة، وحضور نوع من الترابط المتقدم بسبب العولمة السياسية قبل الاقتصادية، وجنوح هذه العولمة نحو عولمة عسكرية تقودها الولايات المتحدة الأمريكية، وتحول مفهوم القانون الدولي إلى "قانون أمريكي"، واختفاء دور

الأمم المتحدة بشكل أكبر، وبعد هذا كله ومعه، ظهور منظومات فكرية عنصرية جديدة تحاول إقناع الغرب بوجود "صدام بين الحضارات" و"نهاية التاريخ" التي تتضمن في طياتها القول بنهاية تاريخ الشعوب غير الغربية، وانتصار النموذج التاريخي الغربي والرأسمالية الليبرالية المتوحشة.

أمريكا و"الفرصة السانحة"

قبل سنوات كتب الرئيس الأمريكي الأسبق (ريتشارد نيكسون) كتابه "الفرصة السانحة"، ليبشر الولايات المتحدة بزعامة العالم بعد اختفاء الاتحاد السوفياتي والشيوعية, وقد كان نصيب العالم العربي والإسلامي الأوفر حظاً في هذا الكتاب، لحاجة واشنطن إلى اختراقه بشكل أكبر بعد زوال القطبية الثنائية الدولية التي كانت تقضي بالمحافظة على بعض التوازنات. حدد (نيكسون) في مؤلفه ما يشبه برنامجا شاملا لكيفية التعامل الأمريكي مستقبلا مع المنطقة العربية والإسلامية، ووضع "الإرهاب" الإسلامي على رأس قائمة الأولويات التي على واشنطن التعاطي معها.

ولاشك أن (نيكسون) لم يكن يعبر عن أفكار شخصية، بقدر ما كان يعكس آراء تيار عريض من صناع القرار الأمريكي، ونجد أن جزءاً كبيرا من أفكار كتابه تم تطويره في نظريات "نهاية التاريخ لفوكوياما", و"صراع الحضارات لهنتنغتون" فيما بعد.

إن أحداث الحادي عشر من سبتمبر تعتبر من هذه الناحية "الفرصة السانحة" للولايات المتحدة الأمريكية من أجل "استكمال" ما بدأته في بداية عقد التسعينيات من القرن الماضي، و"إتمام" صرح النظام الدولي الجديد و"عولمة" النموذج الأمريكي. فزوال الاتحاد السوفياتي لم يكن كافيا ليطلق حرية واشنطن في تسيير شؤون العالم بالكيفية التي ترغب فيها، لأن زواله كشف عن طموح روسي للتوسع والهيمنة على شؤون المنطقة في آسيا الوسطى ومغالبة النفوذ الأمريكي، ومالت أوروبا الشرقية سابقا نحو أوروبا الأم الرأسمالية لتبرز هذه الأخيرة قطبا جديدا يبحث عن موقع في ساحة التنافس الدولي مع الولايات المتحدة الأمريكية، أما اليابان، فلا تبرز كخطر جدي بالنسبة لواشنطن أكثر من أنها منافس اقتصادي ضخم، لا يطرح تحديا عسكريا معقولا. ويبقى التنين الصيني، إد تحاول واشنطن التغلب على تململه بإدراجه ضمن مسار العولمة الغربية، وتشجيع نهج الإصلاح الليبرالي الاقتصادي والسياسي

فيه، وفتح الطريق أمامه لدخول حيز منظمة "التجارة العالمية"، بهذه الطريقة تكون الصين تحت المراقبة، ولكن إلى حين.

لقد رأينا السرعة الكبيرة التي حدث بها التحول الأوروبي والروسي إلى جانب الرغبة الأمريكية في تشكيل تحالف دولي تحت مظلة واشنطن، حين التحقت أوروبا سريعا بأمريكا وقدم "حلف الناتو" جميع المساعدات المطلوبة، وتخلت روسيا عن مواقفها العدائية السابقة تجاه واشنطن لتنضم إلى التحالف راغبة في الحصول على تأييد أمريكي وغربي لسياستها في الشيشان وداغستان، وجميع النقاط الساخنة في القوقاز وآسيا الوسطى، وأصبح أمام واشنطن مجال واسع للتحرك دون رادع من قوة أو قطب دولي. وجاء التحول الأكبر مع القرار الذي تبناه مجلس الأمن الدولي بشأن مكافحة الإرهاب، والذي غلب الرؤية الأمريكية للإرهاب، ومنح صلاحيات واسعة للدول الخمس الدائمة العضوية ، والمالكة لحق "الفيتو" في مجلس الأمن لتطبيق ما تراه مناسبا من أجل القضاء على الإرهاب كما تفهمه وتحدد معاييره.

حقبة جديدة

هكذا بات العالم أمام تحول جديد يعطي للولايات المتحدة المبادرة الأولى والأخيرة في القضاء على "الإرهاب"، ويضع في يدها المبرر القانوني الدولي والشرعية الدولية والوسائل العسكرية الغربية للسير في نهجها الاستعماري الجديد، ويعلن (بوش) والمسؤولون الأمريكيون في البيت الأبيض والبنتاغون أن الحرب ضد الإرهاب لن تتوقف بعد أفغانستان، وأن هناك محطات أخرى ستلي هذا البلد، مما يعني أن المغامرة العسكرية الأمريكية لن تتوقف، وأن الجيش الأمريكي سيجوب العالم لضرب كل ما تراه أمريكا مرادفا للإرهاب، سواء بالضرب المباشر أو بتحريك جماعات من المرتزقة لنفس الغايات والأهداف. إن الأهداف المعلنة هي مكافحة الإرهاب، ولكن الهدف غير المعلن هو استئصال كل من يقف في طريق الهيمنة الأمريكية وزعامتها المطلقة على العالم، وما يضر بمصالحها ويشكل خطرا عليها حاضرا أو مستقبلا، أي أن الهدف الأخير هو "إرغام الآخرين" على دخول "بيت الطاعة الأمريكي" بتعبير المفكر واللساني الأمريكي (ناعوم تشومسكي)، فالذين يعادون القيم الأمريكية، ويستهدفون مصالحها، وحتى أولئك الذين يريدون البحث عن استقرارهم الداخلي

الـوطني والحفـاظ علـى المصـالح العامـة لمواطنيهـا، ولكـن يمـس ذلـك بالمصـالح الأمريكيـة بطريـق غيـر مباشـر، هؤلاء ستجري ملاحقتهم عسكريا وفـرض الحلـول الأمريكية عليهم من الأعلى، حتى لو كانت تلك الحلول ستجر الخراب والفوضى على بلدانهم!!

وهذا هو التصور الجديد للاستعمار الجديد أو حقبة ما بعد الاستعمار. لقد كان الاستعمار القديم يروج شعار "الحضارة" في مقابل "التخلف والبداوة"، لتبرير سياسات النهب والقتل والتدمير، أما الاستعمار الجديد فهو يرفع شعار "السلام الأمريكي" والقيم الغربية في مقابل "الإرهاب والعنف"، لتبرير نفس السياسات القديمة المتجددة. وسوف لن تكون هناك قوى دولية متعددة، ولكن قوة عالمية واحدة يحقق الآخرون مصالحهم بمقدار الإقتراب منها، لأن العالم سيكون أمامه خياران اثنان لا ثالث لهما، كما صرح بذلك (جورج بوش) أمام الكونغريس الأمريكي، وهما : خيار الاصطفاف وراء الولايات المتحدة، أو خيار الوقوف في الصف المقابل.

إن عنوان الحقبة الجديدة هو "الفوضى المتوحشة ، وقانون الغاب ، وسلطة الأقوى، والمزيد من التفتيت للكيانات الوطنية واصطناع التجزئة وضرب الدول الضعيفة ببعضها, وفرض قيم الغرب ، وعولمة الخيار العسكري الأمريكي"!!

العالم الإسلامي... محور الاستعمار الجديد

أما موقع العالم الإسلامي، ومنه العالم العربي، فسيكون في قلب هذا التحول العالمي الخطير. إن تصريح (بوش) الذي حدد فيه طبيعة الحرب ضد الإرهاب بأنها "حرب صليبية" لم يكن مجرد "زلة لسان" كما قيل، كما أن تصريحات الرئيس الإيطالي (بيرلوسكوني) حول الإسلام وحضارته لم تكن سهواً أو خطأ ديبلوماسياً. مثل هذه التصريحات ينبغي أن تؤخذ على محمل الجد, وأن ينظر إليها كتعبير عن النوايا الدفينة لأصحابها. وتصريحات (بوش) المتكررة التي قال فيها بأن الإرهاب مصدره "الشر" الكامن في النفوس (لافي السياسات الدولية والعوامل الخارجية) هي تصريحات تشير إلى المضمون والأبعاد التي تعطى لمفهوم "الإرهاب" لدى الولايات المتحدة الأمريكية!!

إن هذا التحديد لمصدر الإرهاب يعني أن الإرهاب ليس نتاجا للظلم العالمي ، والاحتلال والعدوان العسكري ، والسياسات الأمريكية والغربية تجاه الدول والشعوب، بل نتاج الثقافات والعقليات والأفكار والقوالب الحضارية والهوية، لقد أصبح "الشر" يتجه إلى نفسيات الشعوب وأساليب التربية والتنشئة الاجتماعية والسلوك، في مقابل "الخير" الذي تعبر عنه الحضارة الغربية بثقافتها وأساليبها التربوية والعقليات والأفكار الغربية والأمريكية.

يلتقي هذا المفهوم العنصري البغيض تماما مع مضمون نظرية "صدام الحضارات"، وفي جذور هذه النظرية وغيرها من نظريات الاستشراق الغربي ينبغي إيجاد تفسير ل "زلة لسان" الرئيس الأمريكي وتصريحات الرئيس الإيطالي، لا في شيء آخر خارجها. أما ذلك التمييز التكتيكي الذي حاول الزعماء الأوروبيون والأمريكيون وضعه بين الإسلام والإرهاب فليس سوى طريقة للخداع، وما يؤكد ذلك هذه الحملات "المسعورة" ضد الجمعيات والمنظمات الإسلامية الخيرية والفكرية والثقافية عبر مجموع دول العالم الغربي، والدعوات والمطالب الموجهة إلى الدول العربية والإسلامية بمحاربة الجمعيات الإسلامية الخيرية والدعوية وتجفيف منابعها، فهذا يؤكد أن الغرب لا يضع فرقا بين ما يسمى إرهابا، وبين الإسلام في تعبيراته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المختلفة، وأن الإسلام هو المستهدف أولا وآخراً. وأن اللوائح التي وضعتها واشنطن بأسماء المنظمات والجمعيات المتهمة بالإرهاب لا تترك مجالا للشك حول النوايا "الصليبية" والاستعمارية للولايات المتحدة والغرب من ورائها، فما يجمع بين أسماء هذه المنظمات كونها لا تحظى برضا واشنطن، ولا نستغرب بعد هذا إذا وضعت أمريكا حركة حماس والجهاد الإسلامي وحزب الله في إحدى هذه اللوائح، لأن منطق الاستعمار الجديد لا يفرق بين "الإرهاب" وبين "المقاومة المشروعة" ، ولأنه أيضا منطق مقلوب، يتعامل مع الاحتلال باعتباره واقعاً تاريخياً وسياسياً وجغرافياً ثابتاً ، ومع المقاومة ضده باعتبارها خرقاً للاستقرار !

===========

الإسلام وأسطورة المجابهة

الدين والسياسة في الشرق الأوسط

أحمد عبدالله 1423/9/18

2001/12/03

اسم الكتاب: الإسلام وأسطورة المجابهة

الدين والسياسة في الشرق الأوسط

المؤلف: فراد هاليدي

سنة النشر: 2000

عرض:أحمد عبدالله

يعالج المؤلف في الفصل الأول قضية اعتقاد الكثيرين بأن الشرق الأوسط ينفرد ببعض السمات عن سواه من المناطق في العالم، فالبعض يذهب إلى القول بأن منطقة الشرق الأوسط شهدت أكبر عدد من الصراعات بين الدول بعد عام 1945م، تتمثل في الحروب العربية الإسرائيلية، وحربي الخليج الأولى والثانية.

ولا يعتقد (هاليداي) أن هذه خاصية تنفرد بها دول الشرق الأوسط، بل يرى أن منطقة الشرق الأقصى عرفت عدداً من النزاعات الأكثر دموية واستنزافاً للاقتصاد والموارد الطبيعية، فحربا كوريا وفيتنام مثالان ناطقان على ذلك.

الشرق الأقصى وليس الأوسط هو الذي عرف بعد 1950م أكبر الانتفاضات السياسية (خاصة في الصين)، وأعظم التحولات الاقتصادية.

ويرى المؤلف أن فهم أحداث منطقة الشرق الأوسط يتطلب الجمع بين منظورين: الأول يدرس مجتمعات الشرق الأوسط باعتبارها مجتمعات تتميز ببعض الخصائص.

والثاني يحاول فهم هذه المجتمعات كجزء من مجتمعات العالم الثالث. ويعترف المؤلف بالوحدة الثقافية بين شعوب الشرق الأوسط، ويقر بأنها أقوى من الوحدة الثقافية بين كل شعوب آسيا وأفريقيا.

وينتقد (هاليداي) هؤلاء الذين يقولون إن ظاهرة الإرهاب تتميز بها شعوب الشرق الأوسط، فالروس الفوضويون والجمهوريون الإيرلنديون والهندوس المتطرفون واليهود الصهيونيون والقبارصة واليونانيون... كلهم مارسوا الإرهاب. ويخلص في هذا الفصل

إلى التأكيد على انه لا يمكن تفسير أحداث المنطقة وسياستها بإرجاعها فقط إلى معطيات إسلامية.

أما الفصل الثاني فيخصصه الكاتب لتحليل أحداث الثورة الإيرانية.

ويرى أنها لا تتشابه مع الثورات التي وقعت منذ القرن الثامن عشر في عدة أمور، منها: أنها لم تناد بتحسين الجوانب المادية لبني البشر، ولا هي أكدت على أهمية الديمقراطية، ولا هي أعطت أهمية للهاجس القومي عند الشعب الإيراني، وإنما هي أول ثورة معاصرة يكون الدين هو العامل الرئيسي الموجِّه لها.

ويستعرض الكاتب في الفصل الثالث أحداث حرب الخليج 1991م، التي تلت غزو العراق للكويت، فيعتبر أزمة هذه الحرب أخطر أزمة دولية لما بعد الحرب العالمية الثانية.

ويختلف المؤلف مع الغربيين الذين يدعون أن الإسلام تهديد للغرب، بل يعتقد (هاليداي أن التهديد يأتي من الدول الصناعية الجديدة في كل من الشرق الأقصى وأمريكا اللاتينية.

ويستهل المؤلف الفصل الرابع من كتابه بالتأكيد على أن صورة الإسلام كعامل مجابهة وتهديد للغرب صورة يعتقد بها كل من العالم الغربي والعالم الإسلامي.

ولكن (هاليداي) يرى أن واقع الأمور أكثر تعقيداً من ذلك، فمن جهة لا تمثل الشعوب الإسلامية خطراً حقاً على العالم الغربي، إذ إنها لا تملك القوة النووية الهدامة، ولا يتفق الكاتب مع القائلين في الغرب بأن الإسلام والديمقراطية لا يلتقيان، فمثل هذا الإدعاء هو من قبيل الأسطورة، إذ إن التعامل مع الديمقراطية في العالم الإسلامي لم يكن تعاملاً متجانساً، بل إن للعوامل الاجتماعية والسياسية للمجتمعات الإسلامية تأثيرها القوي في طبيعة التعامل مع الديمقراطية.

وينعى هاليداي على الذين يتهمون البلاد الإسلامية بسبب مزجها بين السياسة والدين، مشيراً إلى أن هذا ليس خاصية تنفرد بها العقيدة الإسلامية، فالمجتمع الأمريكي له باعه من التطرف المسيحي، كما أن للهند نصيبها من التطرف الهندوسي الذي له آثاره في الأحداث السياسية في المجتمع الهندي المعاصر.

وبرغم موقف المؤلف المتفتح إزاء فهم مشاغل العالم الإسلامي فإنه لا يتردد في التنديد بالحركات الإسلامية في المجتمعات الإسلامية وخارجها، فيدعو الغرب إلى اتخاذ موقف صارم ومتشدد من الإسلاميين، لأنهم في نظره خطر على حقوق الإنسان.

وفي الفصل الخامس يعالج المؤلف مسألة حقوق الإنسان في الإسلام، فيختصرها في الأمور التالية:

حقوق المرأة، حقوق غير المسلمين، حقوق المرتدين، ومسألة العقوبات التي تدعو إليها الشريعة الإسلامية في بعض القضايا والسلوكيات. ويرى أن المسلمين اتخذوا خمسة مواقف في تعاملهم مع موضوع حقوق الإنسان:

-لا خلاف بين الإسلام والتصور العالمي لحقوق الإنسان.

-للدولة الإسلامية ملف أفضل من غيرها في التعامل مع حقوق الإنسان.

-تدعي الدول الإسلامية أن ظروفها التاريخية والحضارية تعطيها خصوصية ذاتية، ومن ثم فهي لا تقبل انتقادات الآخرين لملفها في حقوق الإنسان.

-يرفض المسلمون الثقافة الغربية لحقوق الإنسان وينادون بتطبيق الشريعة الإسلامية مكانها.

-تتعارض المعايير العالمية لحقوق الإنسان مع الرؤية الإسلامية.

وفي الفصل السادس يعالج الكاتب ظاهرة العداء للمسلمين قديماً وحديثاً، فيبدأ بذكر العداء للأتراك المسلمين من طرف الغرب والإغريق الذين ينتسبون إلى المسيحية الأرثوذكسية. أما كره الهندوس في الهند للمسلمين فيلخصه المؤلف في موقف الحركة اليمينية للهندوس القائلة بأن هناك مكانين للمسلمين هما (باكستان) أو (القبر).

أما العداء للمسلمين في الغرب فالحروب المتواصلة بينهما امتدت من القرن الثامن إلى القرن السابع عشر الميلاديين. وبتقدم الأتراك في غزو الأراضي الأوروبية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ازداد العداء ضد المسلمين، ولكن هذا الشعور العدائي للمسلمين يختلف في الغرب من بلد إلى بلد آخر، فبارتفاع ثمن البترول في السبعينيات ازداد شعور العداء ضد العرب والمسلمين.

ويختم صاحب الكتاب تحليله لظاهرة العداء ضد المسلمين بالتعرض إلى هذه الظاهرة بين الإسرائيليين أنفسهم، فهو يرى أن العداء بين اليهود والعرب المسلمين ذو جذور تاريخية بعيدة. وبرغم ذلك، يعترف (هاليداي) أن علاقات الدول الإسلامية باليهود كانت أفضل من نظيراتها بالمسيحية.

وفي الفصل السابع يتناول الكاتب موضوع الاستشراق، الذي يعرفه بأنه مجموعة الكتابات الغربية حول منطقة الشرق الأوسط خلال القرنين الماضيين.

ويعتبر المؤلف أن انتقادات ردونسون للمؤلفات الأوروبية حول الشرق الأوسط هي الأكثر متانة وتعمقاً على المستوى الأوروبي، أما نقد إدوارد سعيد للاستشراق فقد ساعده على ذلك استعماله المنهجية الأدبية النقدية ونظريات الخطاب والقوة للفيلسوف الفرنسي (ميشال فوكو).

وينهي هاليداي آخر فصل من كتابه بالتشديد على مقولته الرئيسة في هذا الكتاب، القائلة إن مجتمعات الشرق الأوسط ليست بالمجتمعات ذات السمات الفريدة المتجانسة بين مجتمعات المعمورة، بل هي في نظره مجتمعات متنوعة مثلها مثل بقية المجتمعات البشرية الأخرى. ويستشهد المؤلف في آخر هذا الفصل بالآية القرآنية التي تبرز واقع التنوع والاختلاف بين التجمعات البشرية: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

وللمؤلف تصوره للظروف والعوامل التي تشجع على قيام ظاهرة المواجهة بين الشعوب والأمم. ويمكن صياغة هذا التصور كالتالي:

تقوم المواجهة بين الأمم والشعوب إذا توافر أحد شرطين أو هما معاً: أحدهما يهدد وجود وسلامة كينونة الآخر، والثاني أن يهدد أحدهما مصالح الآخر اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً.

ومن هذا المنطلق فإن استعمال هذين الشريطين لا يسمحان بالحديث عن وجود مواجهة بين الغرب والعالم الإسلامي ككل، فهذا الأخير لا يمثل تهديداً لوجود وسلامة المجتمعات الغربية؛ إذ إن الدول الإسلامية لا تملك السلاح النووي الذي هو في حوزة دول أخرى غير مسلمة وغير مسيحية، مثل إسرائيل والصين، ومن ثم فإن

حالة المواجهة تنتفي في رأي هاليداي، معتبراً أن الحديث عنها إنما هو من قبل الأسطورة.

أما تهديد العالم الإسلامي لمصالح المجتمعات الغربية، فإن نظرة واقعية تفيد بأن مصالح الغرب في المجتمعات الغربية والإسلامية تتمتع بنصيب قوي، خاصة منذ التسعينيات وسقوط الاتحاد السوفيتي والشيوعية في شرق أوروبا، فالمصالح البترولية للغرب في الشرق الأوسط عززت صيانتها حرب الخليج الثانية. وباستثناء ليبيا وإيران – لسوء علاقتهما مع الولايات المتحدة – فإنه لا يجوز الحديث عن مواجهة بين الغرب والإسلام، تهدد مصالح المجتمعات الغربية في المجتمعات العربية والإسلامية.

لكن عند فحص طبيعة العلاقة بين العالم الغربي والعالم الإسلامي، على مستوى الانتساب الحضاري الثقافي لهاتين المجموعتين من الشعوب والأمم، فإننا سنجد شيئاً من عدم التناغم بينهما: فمن جهة يرى الغرب أن المسيحية واليهودية هما الأساسان الرئيسان المكونان لهويته الحضارية الثقافية، ولا تقتصر معالم هذه الهوية على الجانب الديني المسيحي اليهودي، بل تضم أيضاً رصيد الثقافة اليونانية ورصيد ما يسمى بالثقافة النيرة لعصر النهضة؛ فمن خلال هذه الهوية الحضارية الثقافية ينظر الغرب ويتعامل مع الشعوب والأمم الأخرى (كآخرين)، فالشعب الصيني والشعب الهندي والشعب العربي تعتبر من طرف العالم الغربي شعوباً ذات هوية جماعية تختلف عن الهوية الغربية الجماعية المنتسبة إلى الحضارة الثقافة المسيحية اليهودية. وهكذا يمكن القول إن العالم الغربي ينظر إلى الهوية الجماعية الإسلامية لشعوب الشرق الأوسط على أنها هوية تختلف عن الهوية الجماعية المسيحية اليهودية للشعوب الغربية. ونظراً لتقدم العالم الغربي وهيمنته في العصر الحديث، فقد نشأت عنده النظرة الدونية لبقية الشعوب المختلفة. وما الفكر الاستشراقي، في رأي الكثيرين، إلا محاولة غربية لإرساء تصور معرفي أكاديمي لرمي الشعوب الإسلامية في الشرق الأوسط بالدونية، ونشر عقلية غربية تحقيرية لأهل هذه المنطقة. وبالإضافة إلى هذه الرؤية الاستشراقية فإن أحداث التاريخ القديمة بين الغرب والعالم الإسلامي تجعل الغرب متخوفاً من المسلمين؛ إذ إن احتلال المسلمين الأوائل لشبه

الجزيرة الإيبيرية لمدة سبعة قرون، واحتلال الأتراك المسلمين في مرحلة ثانية لعدد من الأراضي الأوروبية، كلاهما يذكر الأوروبيين – على مستوى الشعور واللاشعور– بأن خطر المسلمين ينبغي ألا يُنسى ويُمحى من الذاكرة، إذ إنه لا الصين ولا الهند ولا اليابان– حيث تدين أغلبية السكان بغير المسيحية – قد هددت الغرب في عقر داره، فالعرب المسلمون انفردوا بتهديد الأقطار الغربية في أوروبا.

فالموقف الغربي من المسلمين ليس بالموقف الذي يُكن لهم الكثير من الاحترام، بل هو موقف يتصف بتحقيرهم والتخوف منهم وعدم الاطمئنان لهم في نفس الوقت.

ويمكن القول إن العلاقة بين العالم الغربي والعالم الإسلامي المعاصرين هي علاقة يتخللها الكثير من ملامح التوتر والتخوف وعدم الاطمئنان

================

#موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية

الأمين الصادق الأمين 1423/3/28

2002/06/09

اسم الكتاب:موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية

المؤلف :الأمين الصادق الأمين

الناشر :مكتبة الرشد / شركة الرياض

عدد الصفحات: 1096 في جزأين

التعريف بالكتاب :

قسم الباحث هذا الموضوع إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة .

التمهيد تناول فيه الحديث عن السنة النبوية من حيث تعريفها ، وحجيتها ومنزلتها من القرآن الكريم. ثم تناول العلاقة بين الشرع الإسلامي والعقل ، وبين فيه أهمية العقل في الإسلام كما تناول الصلة التي يجب أن تكون بين الشرع والعقل ، وأوضح أن العقل لا يمكن أن ينافي نصاً صحيحاً .

وأما الباب الأول :

فهو عن موقف المدرسة العقلية القديمة(المعتزلة) من السنة النبوية ، تناول فيه موقفها من العقل وعلاقة ذلك بالأصول الخمسة عندهم ، و أثر ذلك الموقف في رد

الأحاديث الصحيحة ، و مثل لذلك بعدة أمور: صفات الله تعالى ، رؤية الله سبحانه وتعالى ، أفعال العباد، صاحب الكبيرة ، الشفاعة ، عذاب القبر .

وأما الباب الثاني :

فهو عن موقف المستشرقين من السنة النبوية ، مهد له بالحديث عن صلة المستشرقين بالفكر الإسلامي وأثر تلك الصلة في إثارة الشبهات حول السنة النبوية . وضمن ذلك الحديث عن مفهوم الاستشراق ، وتاريخه وأهدافه ، ومنهجه . ثم عرض شبهاتهم حول الوحي النبوي ، مع الإجابة عنها ، ثم تعرض لموقف المستشرقين من صحةِ الحديث النبوي .

وأما البابُ الثالث :

فهو عن موقف المدرسةِ العقليةِ الحديثةِ من السنة النبوية.

فذكر علاقة المدرسة العقلية الحديثة بالمدرسة العقلية القديمة ، وأثرُ تلك العلاقة في ردِّ الأحاديث النبوية ، وتناول ذلك من خلال مجموعةٍ من الأحاديث التي ردها هؤلاء بعقولهم مع اختيار ثلاثةٍ منها للدراسة حتى يتبين منهجُ هذه المدرسة وتنكشف حقيقته .

ثم ذكر تأثر المدرسة العقلية الحديثة بالمستشرقين ، وأثر ذلك في إثارة الشبه حول السنة ، و أورد تلك الشبهات و ذكر الجواب عنها .

وأما الخاتمة :

فذكر فيها أهمَّ النتائج التي توصل إليها من خلال البحث

==============

#فلسفة التاريخ في خدمة الحرب

تركي الزميلي 1423/8/22

2001/11/07

"ما من مجتمع آخر، أنتج مجموعة من الشعراء، والفلاسفة، والدبلوماسيين، المؤمنين بالعنصرية، كتلك التي أنتجتها الطبقة الحاكمة الأوروبية والأمريكية. وما من مجتمع آخر شابَهُ، في الربط بين قيمه الدينية والخلقية

والاجتماعية والشخصية، وبين العنصرية، بهذا الرباط الوثيق" كافين رايلي، "الغرب والعالم".
"الاولوية للأرباح والقوة، أما الديموقراطية التي تتعدى الشكل فهي خطر يجب تجنبه، وأما حقوق الإنسان فهي ذات قيمة ذرائعية، في خدمة الأهداف الدعائية لا أكثر" تشومسكي، "الغزو مستمر"
عاد فوكوياما مرة أخرى على صفحات الجارديان والوول ستريت جورنال بالتزامن في الثلاثاء الماضي إلى تأكيد فكرة نهاية التاريخ، تحت عنوان: "الغرب ينتصر"، مع عنوان فرعي يقول: "الإسلام الراديكالي لا يستطيع هزيمة الديموقراطية والرأسمالية. إننا لم نزل عند نهاية التاريخ." وإذا كان الذي دفع فوكوياما إلى الكتابة هو الرواج الذي حظيت به مقولة "صراع الحضارات"على حساب فكرة "نهاية التاريخ"، بعد أحداث ثلاثاء أمريكا الأسود، فإن المسار الذي اتخذه المقال لا يمكن أن يقرأ خارج إطار التمركز الغربي العنصري على الذات. غير أن الأسوأ هنا هو الانحياز، والنقص البارز في المعلومات والتحليل، عن قصد، أو عن جهل بالعالم الاسلامي وشؤونه. فالممانعة ضد الغرب، ممثلةً هذه المرة في العداء لأمريكا ليس سببُها سياسات أمريكا العدائية، والداعمة للاحتلال، والقاتلة لمليون طفل عراقي في عقد واحد، ونهب ثروات المنطقة بكل الوسائل الضاغطة، وترهيب الشعوب والحكومات معا، وتشجيع الطبقة السياسية على قمع شعوبها، وبخاصة كلما ظهر فيها نزعة رفض للهيمنة الغربية، وجعل ذلك بطاقة النجاة الوحيدة لها ولبقائها، لا يستحق كل هذا بالنسبة لفوكوياما أن يكون سبباً مقنعاً لتفسير مظاهر المعاداة لأمريكا.
يقول فوكوياما: "هذا البغض العريض والكراهيه ربما يمثلان شيئا أكثر عمقا من مجرد مقاومة السياسات الامريكية، من مثل دعم اسرائيل او الحصار على العراق..." وحين يقدم ما يراه المسبب الأرجح لهذا الكره الشعبي فإنه يقول: " ربما يكون هذا الكره مولودا من رحم الاستياء من النجاح الغربي وإخفاق العالم الاسلامي".
وبالتالي فإن كل هذه الشعوب قد اختصرت في لافتة واحدة مبسطة وقابلة للرواج ومريحة للضمير الغربي "الحر" صاحب "العدالة المطلقة"، فالأمر كله مواجهة مع

"الحسد". هذه هي الحقيقة كما توصل إليها فوكوياما الباحث العميق في فلسفة التاريخ، والناطق باسم "الإنسان الأخير".

ثم إن العالم الاسلامي كله غير مؤهل لدخول نهاية التاريخ، ماعدا النموذج التركي الذي منحه فوكوياما إمكانية شغل إحدى شقق نهاية التاريخ، لأن حكومته الديموقراطية وهي النموذج التركي الوحيد. وطبعا الدليل على ذلك حكومة العسكر التي تحرم وتسجن آلاف الطالبات وأساتذة الجامعات لمجرد إصرارهن على حقهن في تغطية شعر الرأس داخل الجامعة وخارجها. لقد كان الظن بأن هذا النوع الخاص من الديموقراطية التي تحمل أقسى أنواع الديكتاتورية والقمع إنما هي نموذج يروجه الخط السياسي الرسمي من السياسة الأمريكية والغربية، لكن يبدو أن فوكوياما لا يخرج عن إطار الامتداد المعاصر لخبراء الاستشراق الذين قدموا النظريات المعرفية والتبريرات الأخلاقية للمستعمر على مدى قرون متتابعة.
لقد قدمت نظرية نهاية التاريخ من عقد مضى، غطاء دعائيا، قادما من فلسفة التاريخ، عبر إعادة قراءة لهيجل، تجعل من النصر الرأسمالي على الشيوعية عبورا نهائيا إلى سيادة الشق الرأسمالي الليبرالي الديموقراطي، على حركة التاريخ البشري، في يقين ديني مطلق، يغلق "الباب الدميقراطي" فلسفياً في وجه كل خيار حضاري آخر. وبالطبع فإن هذا لا يدخل في الانغلاق، ورفض الآخر، ومصادرة التنوعات الحضارية في هذا العالم، لأن العالم ببساطة هو العالم الغربي ومن يواليه، والإنسان هو فقط الانسان الغربي، ومن يخدمه ويسالمه ويقلده ويخضع له، والأرض بسكانها كلهم لا تظهر ففي الخطابات الرائجة في العالم الغربي، وفي الخطاب الأكثر انتشارا فيما يكتبه الغربيون عن أننفسهم وعن الاخرين؛ إلا من خلال ثنائية المركز الغربي، المتحضر، الإنساني، الغني، والهامش غير الغربي من المتوحشين المتخلفين المعوزين، ويأتي العالم الاسلامي كله في القلب من هذا الهامش، حيث ينشط الارهاب ومنابعه. والسياسيون الرسميون لا يألون جهدا في تجسيد هذه الرؤية، فلا مكان لهذا الهامش في عصر نهاية التاريخ إن لم يقبل بوظيفة التابع التي حددها له "الانسان الاخير" صانعُ نهاية التاريخ. وليس لساكنيه أن يشغلوا أي مكان أو مكانة،

خارج الوظيفتين المحددتين، اللتين التي يمكن أن نستعير لتسميتهما ووصفهما مصطلحي مالكولم إكس : " عبيد الحقل" و "عبيد المطبخ" وبالطبع مع التنويعات اللازمة داخل إطاريهما، والتي تفرضها طبيعة الأعداد الهائلة لأناس الهوامش غير الغربية، والمساحة الجغرافية التي تغطي أكثر الكوكب، والتنوعات الثقافية والاجتماعية التي تستقي من جذورها الضاربة في عمق التاريخ، ولكن كل هذا لا معنى له، فالجميع يجري توزيعهم في ذهنية التعامل الغربي على الوظيفتين:

"عبيد الحقل"، وهم السواد الاعظم من الشعوب والأوطان، التي تشغل في التفكير الغربي دوراً خدمياً فحسب، فهي تقدم الموارد الأولية، والعمل الرخيص، والأسواق الاستهلاكية، وفرص الاستثمار، ومؤخرا استقبال التلوث، ويؤمّن سكانُها فيما يؤمِّنون الوظائفَ منخفضة الأجور لهوامير الشركات الغربية، وقد كان المطلوب دائما أن تعيش الغالبية من هذه الشعوب، على العوز والذل والاحتلال المباشر، أو المقنَّع تحت الدكتاتوريات المحمية، مع هامش من الاقتصادات الضعيفة هنا وهناك، لتمنع الثورة، وبشرط ألا تجمع الثروة المنافسة، أو تزرع المعرفة التقنية القادرة على توطين التقنيات المعاصرة، ومن ثم تحدي بقاء العالم الغربي مهيمنا حقيقيا على النمط المتقدم منها دائما. والمجموعة الثانية "عبيد المطبخ" الذين يتم دعمهم وحراستهم وترهيبهم معا على يد السيد، كما يجري تذكيرُهم دائما بأن استمرارهم مرهون بقدر إخلاصهم في ضبط التطورات عند عبيد الحقل، وحصرها في الصراخ الذي لا يؤذي، بشرط أن يكون متقطعا ومقموعا، ومن غير آمال في تحقيق أي تطور عملي، في الخروج من هيمنة السيد الغربي ومخططاته. وسيكون من نصيبهم أن يتمتعوا بأوضاع تشبه أوضاع عبيد المطبخ في مزارع المستعمرات الأمريكية في القرن الماضي، الذين كان السيد يمن عليهم بالسماح لهم بفتات الأكل في مطبخ السيد ومشاركته طاولة الطعام، وهي شكليات يتكرم بها السيد الغربي ما دامت تعود عليه باعظم كسب وأقل جهد. وتطبيقاته متعددة وذاكرة تاريخ العلاقة بين الغرب والعالم متخمة بها وقد غزت بريطانيا الصين اواسط القرن التاسع عشر بـ90% من المحليين عبيد المطبخ، و10% فقط من القوات البريطانية، وحتى معركة اليوم نرى فيها كيف يتبنى قتل المئات من الافغان ودك المدن الفقيرة على ساكنيها بمختلف

أنواع الاسلحة بما فيها المحرمة دوليا كالقنابل العنقودية مرتزقةُ تحالف الشمال، وبقايا عملاء الروس من الأفغان الشيوعيين السابقين أمثال دوستم، الذين سيكون الغزو البري من مهامهم الأساسية، في المرحلة التالية للقصف الجوي، وبهدف التقليل ما أمكن من سفح قطرات الدم الأزرق النبيل على يد المتوحشين البرابرة من عبيد الحقل، وإذن فليقم عبيد المطبخ بالمهمة.

ورغم ان هذا النموذج المثالي للهيمنة لم يعد ممكنا استمرار تحققه في صورته الفجة، وبكل الحرفية المطلوبة، ومع كل الأمم غير الغربية، الا أن الرغبة والعمل يستمران جاريين على تحقيق أكبر نسبة منه، وبقدر ما تسمح به ظروف القوة وأخطار اشتعال الوعي بين الشعوب من إمكان، ولا مانع من وجود "بيض شرف" أحيانا حينما يصبح السماح لهم أو عدم السماح خارجا عن إطار الخيارات الغربية، فلا أقل من حفظ ماء الوجه، وإعطاء الوهم بأن الذي سمح لهم هو تسامح "الإنسان الاخير" إنسان نهاية التاريخ، وهو ما انطبق على اليابان اقتصاديا، ثم على الصين التي هي في طريقها الى فرض تأثيرها عسكريا وسياسيا واقتصاديا معا.

تبقى الاشارة الى أن هذا هو الخطاب المهيمن على مسار الفكر والفعل في تعامل الغربيين مع الحضارات الأخرى، وأن الخطاب المتبني للعدل، والناقد لوحشية الهيمنة وعدم أخلاقيتها خطاب هامشي هكذا كان الحال حينما دخل الفيلسوف الشهير برتراند رسل السجن البريطاني وجُرد من شهادة كيمبرج التي يحملها بسبب نزعته السلمية في 1918 ودخل السجن الأمريكي في 1961 لمشاركته في "الحملة من أجل نزع السلاح النووي" ، وهكذا هو الحال نفسه اليوم حين يحرم تشومسكي أشهر عالم لسانيات في العالم من الظهور والكتابة في كبريات شبكات التلفزة وكبريات مطبوعات الصحافة الأمريكية "الحرة".

وبالطبع فإن هذه مجرد قراءة لبعض المنطوق به، أما ما يتوارى تحته من مسكوت عنه في خطاب نهاية التاريخ، فإن القابعين تحت القصف الإسرائيلي ودك المنازل , المستمرَّين في فلسطين المحتلة، والمتساقطين تحت القصف الأمريكي في أفغانستان، ما بين قتلى أو جرحى بلا أدوية، وقافلة الموت المستمرة من عشر سنوات في العراق... الخ، هي التي تنطق بالمسكوت عنه، وتهزأ من كل خطباء "الاستقامة

السياسية" من رعاة الأوهام، ومثقفي القمع بالوكالة، ممن يتسابقون على حجز المقاعد في مطبخ السيد العظيم.

============

#رؤى وسياسات في الإعلام يحتاجها اليوم كل إنسان

إبراهيم غرايبة 1428/4/12

2007/04/29

ترجح الأزمات والأحداث، الكبرى منها واليومية تقديراً عاماً متكرراً بإخفاق الإعلام العربي في استيعاب التحولات الجارية والتعامل مع الأحداث والقضايا في التأثير في الرأي العام العالمي وخدمة المواطنين العرب والمسلمين في إدارة قضاياهم وأولوياتهم، ويظل سؤال دائم ملح عندما تنتهي كل أزمة، ما هي أزمة الإعلام العربي؟ بل إننا نتحول في كثير من الأحيان في التفكير والاهتمام إلى وسائل الإعلام وإدارتها ومواقفها بدلاً من قضايا الساعة وتطوراتها، بدءاً من فلسطين والعراق والرسوم المسيئة للرسول في الإعلام الدنمركي والانتفاضة والمقاومة ومؤتمرات القمة والقضايا العامة الوطنية والإقليمية من الاستثمار والتنمية والعمل والبطالة والبيئة والجريمة والتعليم والادخار وحقوق الإنسان والحريات والثقافة إلى حياتنا اليومية ومشكلاتنا وقضايانا الاجتماعية والثقافية.

هذا الإخفاق المرجح وحتى في حالة النجاح يتكون لدينا شعور عام بالفشل والحيرة والارتباك يدعو إلى البحث والتفكير في التعامل مع الإعلام الذي يغرق الفضاء وشبكات الإنترنت والاتصال؛ فالإعلام اليوم يغوي ويستدرج الناس، العامة والمثقفين والمفكرين والقادة والمسؤولين إلى مواقع من التضليل والغيبوبة وغياب الرؤية والفهم الصحيح.

فهذا التدفق المعلوماتي الهائل من الفضائيات والإنترنت والصحف وأدوات الاتصال يحتاج في الوقت نفسه إلى مؤهلات وأدوات منهجية جديدة يجب امتلاكها للخروج من الحصار الذي تفرضه على الأفراد والمجتمعات بل والدول والمؤسسات، إلى درجة لا تكاد تختلف عن الحصار بالتكتم والحظر، وكما يقول المفكر نعوم تشو مسكي: "نحتاج إلى سلوك طريق الدفاع الفكري عن النفس لحماية أنفسنا من الخداع

والسيطرة، فالحكم سواء كان ديموقراطياً أو استبدادياً يقوم على الرأي، وكذلك الإنتاج والاستهلاك".
ونحتاج إلى قدر كبير من التمحيص والذكاء في التعامل مع الطوفان الإعلامي والمعلوماتي الذي تغرقنا به وسائل الإعلام المتنوعة، ليس فقط من أجل تمييز الصواب من الخطأ والكذب من الصدق فيها، ولكن لتجنب حالة خطرة تُستدرج إليها المجتمعات والحكومات والمؤسسات العاملة في الإصلاح والتنمية وحتى الأفراد أيضاً، وهي أن تخضع الاهتمامات والبرامج والاتجاهات والفتاوى والمواقف والأفكار على مستوى الأمم والأفراد والمجتمعات والحكومات في العمل والتفكير والترويج والإنتاج والاستهلاك والتجارة والرأي وأنماط الحياة والتفكير والطعام واللباس والسكن حتى في الدواء والعلاج لاتجاهات إعلامية ذات دوافع هي ابتداءً سياسية أو احتلالية أو ترويجية، فيتحول الإعلام إلى مصدر أساس للسياسات واشتقاق البرامج والخطط، وتغيب حينها القضايا والأولويات الكبرى والمهمة؛ لأنها لا تملك الاهتمام الإعلامي أو لأنها تخضع لحرب من التجاهل والصمت.
ولعل أسوأ أنواع الحروب الإعلامية على القضايا والأولويات المهمة التي تتطلع إليها الأمم والمجتمعات هي تجاهلها بالصمت وعدم النشر حولها، فذلك يقلل أهميتها ويبعدها عن الاهتمام، ويحولها إلى قضية ثانوية أو مجهولة، ويشغل الناس بغير أولوياتهم واحتياجاتهم.
ويحتاج الناس لمواجهة هذا الطوفان الدعائي إلى استخدام ذكائهم العادي، وتفحّص الطوفان الإعلامي بالحس السليم العادي والذكاء المتشكك، وربما لا يلزمنا أكثر من دقيقة، ونحن نراقب محطات التلفاز ونتصفح وسائل الإعلام للتفكير ببساطة وبداهة: ماذا يجب أن نعرف؟ وماذا يريدون لنا أن نعرف أو لا نعرف؟
إن المعرفة هي جوهر السلطة، والاحتلال بوصفه سلطة هو في الأساس عملية ثقافية ومعرفية أكثر مما هي عسكرية، وقد ارتبطت بالاحتلال والاستعمار الحديث علوم ومعارف وتطورات مصاحبة له، فالاستشراق وفق المفكر العربي الأميركي إدوارد سعيد هو "أسلوب غربي للسيطرة على الشرق، واستطاعت الحضارة الغربية عن طريقه أن تعيد إنتاج الشرق سياسياً واجتماعياً وعسكرياً وعقائدياً وتخيلياً". وكان

للاحتلال بأشكاله وصيغه المختلفة المباشرة وغير المباشرة أدواته المعرفية والثقافية وأهمها بالطبع المناهج التعليمية وأوعية البث الإعلامية المختلفة التي تصوغ وتنظم الأمم والدول والنخب والرأي العام، وتحدد مواقفه وذوقه وسلوكه.

ورافق الاحتلال في الواقع عمليات إعمار وتنمية، فقد فتحت مدارس وجامعات وطرق ومطارات، وبُنيت مؤسسات إدارية وبيروقراطية وجيوش وأجهزة شرطة، ولكنها على الرغم مما قدمته من خدمات وتطوير، أعادت بناء وصياغة المجتمعات والدول على نحو يكاد يظن المحلل أنه لا فكاك معه من الاحتلال.

صحيح أن الفضائيات العربية أظهرت قدرة غير متوقعة لمنافسة الإعلام الغربي الذي كان في العادة يجول في الميدان وحده ويحتكر المعلومة والصورة، ولكنها فضائيات مازالت أسيرة عقل باطن بعيد عن وعي الذات، ويشغله وعي آخر مزيف، وكانت القدرات التقنية الهائلة على المتابعة ونقل الأحداث وتصويرها في نفس اللحظة وبثها إلى العالم كله مصدراً للتضليل والإغراق وافتعال التفاؤل، ولا بأس بالتراجع بعد أيام قليلة، فالناس تنتظر دائماً ما تعتقد أو تأمل أنه جديد، ولا بأس من الاستجابة لهذا التطلع ولو بالوهم والحيل والتضليل.

يقول جيمي كولينغ الباحث في معهد أبحاث السياسة العامة في لندن: "هناك حاجة ماسة كي تبقى مبتهجاً ومتفائلاً باستمرار". ويقول روجر مورتيمور المحلل السياسي في مؤسسة (موري) بلندن: إن المسؤولين البريطانيين والأمريكيين يتعرضون للضغط لإصدار بيانات، وهم غالباً ما يفعلون ذلك دون أدلة كافية.

"إنهم غدوا مثلنا" جملة رُددت بفخر واعتزاز في معظم الصحف والمحطات الإذاعية والتلفازية العربية، فهم أي الإعلام الغربي وبخاصة الأمريكي يكذبون ويلفّقون ويبالغون مثل الإعلام العربي، وعلى الرغم من طرافة التعليق فإنه يوضح أن المتلقي العربي مازال غير مكترث أساساً بالاحتراف والنوعية والتنافس وكسر الاحتكار.

انظر مثلاً الاقتراح الذي صوّت عليه الكونغرس الأمريكي بغالبية ساحقة (90%) أي بجمهوريه وديموقراطييه ليوم صيام وصلاة في الولايات المتحدة لنصرة الجندي الأميركي!

ويتساءل إعلامي عربي (مارك صايغ) معلقاً على المشهد: هل هذه الحرب ستعيد الحضارة عقوداً إلى الوراء؟

الأحداث تقدم مناسبة لاستذكار كتب ودراسات سابقة تساعد على الفهم والتحليل، وتذكر الناس بمقولات وآراء عما يجري لم تجد فيها مفاجأة، وعلى الرغم من أن منهجية البحث عن أدلة وشواهد لفكرة جاهزة ومعدة يضلل الفهم، ويستدرج الناس إلى غير الحقيقة، وبخاصة عندما تحشد إمكانات معرفية كبيرة ومتقدمة لحشر هذه الفكرة في أذهان الناس وتأكيدها في عقولهم، فإن بعضاً من هذه التقاليد تساعد على الفهم وتنبه على "التلاعب بالعقول" الذي يمارس بدهاء وتحت غطاء من الديموقراطية والحياد والموضوعية والحرية الإعلامية والسياسية.

وربما يساعد على فهم فلسفة الإعلام والحرب استحضار كتابين في الموضوع هما "قصف العقول"، تأليف فيليب تايلور، وقد صدر الكتاب مترجماً في سلسلة عالم المعرفة الكويتية، وكتاب "المتلاعبون بالعقول" من تأليف هربرت شيللر أستاذ الإعلام والاتصال بجامعة كاليفورنيا والذي نشره أيضاً المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت الذي يبدو اليوم أكثر أهمية على الرغم من التطور الإعلامي الكبير، ولكنها تطورات تؤكد مقولة الكتاب وفكرته عن التلاعب بالعقول الذي تمارسه وسائل الإعلام الأمريكية.

وقد يساعد هذا العرض على فهم كثير مما يجري الآن من أداء صحفي وإستراتيجيات إعلامية، مع الأخذ بالاعتبار أن الصحافة مصطلح يُستخدم كثيراً، ويُقصد به كل وسائل الإعلام وبخاصة الأخبار والتحليلات.

كانت أحداث 11 سبتمبر/ أيلول فرصة لتيار التفرد بالهيمنة العالمية وشركات التصنيع لحشد الرأي العام والتأييد الشعبي للمساعي الأمريكية نحو الهيمنة وعدم السماح حتى للقوى الصديقة والمؤيدة مثل أوروبا بالمنافسة أو المشاركة في القيادة العالمية، ومرّرت وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) صفقة قيمتها مائتا بليون دولار مع شركة لوكهيد لتصنيع ثلاثة آلاف طائرة مقاتلة من طراز إكس 35.

وتبدو مقولة إنه ينبغي السماح للرأي بأن يتطور بشكل طبيعي دون أي تدخل خارجي وهما في الدول الديموقراطية كما في الدكتاتورية، فالرأي العام ظل دائماً

توجهه وتتدخل فيه آلة الحرب والعسكريون، وما نعرفه عن الدول في كثير من الأحيان سواء ما تبثه وسائل الإعلام أو الدراسات أو المناهج المدرسية هو تعبير عن التوجهات الدفاعية.

وفي كثير من الأحيان كانت الحرب الإعلامية بديلاً للحرب العسكرية، وهذا ما حدث تماماً في الحرب الباردة بين المعسكر الشيوعي والمعسكر الرأسمالي، فقد انتصرت الولايات المتحدة بالضربة القاضية، وانهار الاتحاد السوفييتي بدون حرب عسكرية ولكن بفعل الدعاية والتأثير الإعلامي.

ويكاد التاريخ يكون دعاية، فقد أثبتت دراسة حديثة عن الكتب المدرسية في ألمانيا واليابان أن كتب التاريخ في هذين البلدين تقول عن الزمن الذي كُتبت فيه أكثر مما تقوله عن الماضي، ولن يساور أحداً الشك بهذا الشأن فيما يتعلق بنظام كالنظام النازي الألماني أو النظام الستاليني، ولكن أيضاً درجة الاختلاف في إعادة كتابة تاريخ روسيا الحديثة بعد انهيار الشيوعية أبقت على التلاعب بالحقيقة التاريخية، وإن نظرة على كتب التاريخ الأمريكي التي تتناول الخمسينيات أو على الكتب المؤلفة في بريطانيا في ذروة عصر الإمبراطورية تؤكد على الجانب الدعائي والتعبئة المستخدمة في صياغة الرأي العام والمناهج التدريسية.

والدعاية صارت علماً قائماً بذاته من العلوم الإعلامية وهي فن الإقناع، الذي تقوم قواعده على كسب مظهر الصدق (ليس بالضروة أن تكون الرسالة صادقة) لكسب ثقة الجمهور المتلقي المراد إقناعه، والبساطة والتكرار للوصول إلى أذهان الناس بسرعة، والنفاذ إلى ذاكرتهم التي لن تتذكر إلاّ ما استوعبته بسهولة وكثرة، واستخدام الرموز وضرب الأمثلة؛ فالذاكرة البشرية يسهل أن تختزن وأن تستدعي الصور ذات الدلالة المرتبطة بمخزون الذاكرة الموروثة أو المكتسبة، ويكاد لا يكون ثمة فرق يُذكر في وسائل العمل الدعائي بين الدول الديموقراطية والدكتاتورية، فقد لجأت جميعها إلى أساليب التأثير والعواطف وتحريك الحماس والحقد والكراهية والتمجيد، لا فرق في ذلك بين النازيين في الحرب العالمية الثانية أو الشيوعيين البلاشفة في مخاطبة العمال والمثقفين والفقراء أو الرأسماليين الأمريكيين الذي يدعون إلى الليبرالية

والحرية، أو الثوار الفرنسيين، إنها دائماً عند أصحابها وسيلة لتحقيق هدف والعبرة بالمحصلة، ولا بأس بإخفاء الحقائق أو التدخل في تفسيرها أو حتى قلبها.

لقد تحولت الحرب الإعلامية في العصر الحديث من استهداف الجنود والمقاتلين سلباً أو إيجاباً للتوجه إلى المجتمعات والأمم، ويمكن ملاحظة ذلك في الغزو الفكري والثقافي وتعميم أنماط الحياة والاستهلاك والطعام والأزياء وقصات الشعر، وصار الإعلام حرباً شاملة على ثقافات الأمم وحضاراتها وتاريخها وتراثها، بل لقد اختفت ثقافات ولغات كثيرة ولم تعد موجودة ولا يعرفها حتى أصحابها، وباتت لغات وثقافات أخرى مهددة بالانقراض.

وبذلك يمكن القول بحق إن الدعاية صارت أهم الاستعدادات الحربية، وتُعدّ جزءاً رئيساً من المجهود الحربي، فهي كما يقول تايلور: قذائف من الكلمات التي تُختار بعناية، وتُصاغ بحساب دقيق مستهدفة تشكيك شعب دولة العدو وجنوده في قضيتهم، وهدم ثقتهم بقيادتهم، وفي حكومتهم وفي قدرتهم على تحقيق النصر، أو هي كما يعبر عنها عنوان الكتاب "قصف العقول"

وقد يبدو انتشار القنوات الفضائية العربية وجعلها جزءاً من السياسة ومن حياة الناس، و يبدو تشكيل آرائهم وأفكارهم ومواقفهم أمراً جيداً، وأنها أوقفت الوصاية الرسمية على ما يشاهده العرب، فقد كانوا قبل ذلك ملزمين بمتابعة ومشاهدة التلفاز الرسمي في بلدهم، الذي كان يختار لهم الأخبار والمعلومات والأفلام والمسلسلات والأغاني والثقافة، أو ما يعتبره كذلك، مستغلاً حالة الاستسلام اللذيذ لدى الناس للصورة؛ ليصوغهم في مسار واحد من التفكير والرؤية، أو ليمنع عنهم ما لا يريده من الدنيا المحيطة بهم.

فيبلغ عدد القنوات الفضائية العربية اليوم بالمئات، ولكن ذلك لم يكن المشهد كله؛ فما زالت الحكومات العربية تسيطر على الفضائيات حتى التجارية منها، أو التي تبدو مستقلة وتعمل في الخارج، بل إنها أتاحت للحكومات وسائل جديدة في الهيمنة والاحتكار في مجال الصورة والإعلام أكثر ذكاء ودهاء وأقل التزاماً بالمعايير الرسمية الثقافية والأخلاقية والسياسية، ولم يكن رجال الأعمال والمستثمرون

الإعلاميون سوى واجهات لغسيل السياسات الرسمية، ولم يكونوا سوى وكلاء لحكام أكثر قسوة منهم، وأكثر التزاماً بالتعليمات والسياسات الرسمية.

ولم تكن العولمة وتسهيلاتها الجديدة في الاتصالات والمعلومات وشبكيتها سوى فرصة إضافية للحكومات لتحقق مزيداً من الإرهاب والهيمنة، واكتشفنا نحن الإعلاميين والمشتغلين في العمل العام خارج الإطار الرسمي أننا لا نملك في العمل سوى الحيلة والتسلل والتملق الذي نقاوم به الخوف من الجوع، أو نشبع تطلعاتنا إلى حياة زاهية مليئة بمتعة الاستهلاك، والتغابي الذي نحسبه ذكاء.

وبصراحة مخزية كنا مثل قنافذ محاصرة في حديقة حيوان صغيرة لا تملك من أمرها شيئاً، فتحولنا إلى حديقة شاسعة مفتوحة، قد تكون في سعتها أكبر من الغابة، وقد لا نستطيع الإحاطة بها، ولكنا بقينا في المسار المصمم لنا، ولا تبدو شراستنا ومعارضتنا سوى لعبة مسلية لأصحاب الحديقة وزوارها، وديكوراً مدهشاً يجلب التذاكر والمتعة والترفيه، ويرضي ضمائرنا على نحو مزيف صنعناه لأنفسنا وصدّقناه.

==============

#الانبعاث الحضاري الإسلامي ومستقبل العالم

أ. د. عماد الدين خليل 1427/10/21

2006/11/12

إن الانبعاث الحضاري المرجو للأمة يقودنا بالضرورة إلى قضية مستقبل العالم، والمشاركات الإسلامية المحتملة في المصير.

لا ريب في أن انعكاس المبادئ والقيم الإسلامية على مساحات واسعة من النشاط الحضاري عبر التاريخ، منحه خصائصه النوعية المتميزة التي يمكن أن تمثل ليس مسوّغ استمراره في العالم فحسب، بل قدرته على اقتحام وإغناء شبكة النشاط المعرفي للحضارة الراهنة، والقدرة الفعالة على الإسهام المستقبلي فيه.

وإذا كان هدف العقيدة تكوين الإنسان المؤمن المتبصر المتوازن السعيد، فإن النشاط الحضاري المنضبط بالرؤية الإيمانية يجيء إعانة على تحقيق هذا الهدف. ونحن

نستطيع أن نتصور القيمة الحقيقية لنشاط كهذا بمجرد أن نتذكر ما الذي فعلته الحضارات اللادينية بالإنسان والجماعة البشرية.

ليس هذا مجال الحديث عن هذه المسألة وإنما التأشير عليها فحسب، فإن ما يعانيه الإنسان في البيئات التي رفضت الإيمان، أو عزلته عن مجرى الحياة الواقعة، من تعاسة وازدواج وتمزق وشقاء نفسي وروحي وعاطفي واجتماعي، على الرغم من ارتفاع منحنيات الإنجاز المادي، أمر ملحوظ ينطق به واقع الحال هناك، وتؤكده شهادات المفكرين وإعلامهم، الذي يمكن للمرء أن يلتقي به صباح مساء في عصر التواصل السريع.

ثم إن هذا النشاط المنشق عن مطالب الإيمان اندفع باتجاه إغراءات القوة والتسلط ونداء الأنانيات العرقية والدولية والمذهبية، ومضى أبعد من هذا باتجاه كل ما هو لا أخلاقي في السلوك البشري لكي يحوّل المنجزات والكشوف المعرفية إلى سلاح يُشهر بوجه الإنسان وليس لصالح الإنسان.

إن إنتاج القنابل الذرية والهيدروجينية والنيوترونية والأسلحة الجرثومية .. الخ واستعمالها في اللحظات الصعبة . كما حدث في هيروشيما وناغازاكي . ليؤشر بشكل واضح على الكارثة التي يمكن أن يُساق إليها الإنسان والبشرية إذا أُتيح للمعرفة أن تظل على جموحها، على خروجها عن مطالب الإيمان العليا، على عدم انضباطها بالقيم والموازين الإلهية العادلة التي تجعل القوة والحكمة . دوماً . في كفتي ميزان.

هذا إلى أن المعرفة المؤمنة، على خلاف المعرفة اللادينية أو الملحدة، تسعى لأن تمنح أكلها للناس كافة، لا تحكمها أنانية الحفاظ على السر، وحجب الاكتشاف . بدافع براغماتي . عن الآخرين. إن الإنسان، مطلق إنسان، هو المستفيد في نهاية الأمر من المعرفة المؤمنة، وبالمقابل فإن عشرات من الأمم والشعوب لم تحرم بالمعرفة اللادينية من حقها المشروع في الإفادة من ثمار هذه المعرفة فحسب، وإنما وُجّهت نتائجها وكشوفها إلى أسلحة فتاكة لتدمير هذه الجماعات واستعبادها والهيمنة على مقدراتها.

إن الدلالة المعاصرة والمستقبلية لمغزى الحضارة الإسلامية، كما تحققت في التاريخ، تتكشف أكثر فأكثر بالمضي في متابعة الخصائص التي أشرنا عليها في مقالين

سابقين، والتي تُعدّ بوضعها في حالة تقابل مع خصائص الحضارات الأخرى، والغربية الراهنة منها على وجه الخصوص، إضافة، أو بعبارة أدق، تعديلاً ضرورياً لمسير هذه الحضارة؛ لأنها قديرة على تقديم البدائل المناسبة لحالات الخطأ والجنوح التي تعاني منها.

إن الخصوصية الإيمانية للحضارة الإسلامية . مثلاً . تقف بمواجهة التوجه المادي المتزايد للحضارات الأخرى، والتزامها يلجم تفلّتها الآخذ بالاتساع من منظومة القيم الخلقية، وواقعيتها تحد من شطط تنظيراتها الفكرية باتجاه طوباويات الحلم والخيال، وأصالتها تمنح المسار البشري طعماً جديداً متميزاً،وشموليتها، وقدرتها على موازنة الثنائيات ولمّها،

توقف اندفاع المعارف والثقافات الأخرى، وميلها إلى هذا الجانب أو ذاك على حساب الجوانب الأخرى التي قد لا تقل أهمية وإلحاحاً .. وإنسانيتها تتجاوز بها حواجز العرق واللون والجغرافيا والمذهب.. وميزتها التحريرية ستنقذ الإنسان في نهاية الأمر من كافة الضغوط والصنميّات التي أذلت عنقه وهبطت به درجات عن مستوى بشريته كمخلوق متفرد في هذا العالم وسيد على مخلوقاته وموجوداته.

وهكذا، ومن أجل توخي الإيجاز يمكن إحالة القارئ إلى منظومة الخصائص التي أشرنا عليها في مقالين سابقين لكي يتولى بنفسه مهمة المقارنة بين النمط الإسلامي والأنماط الأخرى للنشاط الحضاري؛ لكي يصل إلى ما تتضمنه نتائج المقارنة من مغزى يؤكد قيمة الدلالة المعاصرة والمستقبلية للحضارة الإسلامية في شبكة النشاط الحضاري للبشرية جميعاً.

والباحثون الغربيون أنفسهم انتبهوا إلى هذا، وقدموا شهاداتهم بهذا الخصوص، والتي تجيء كاعتراف حر مدعم بالقناعات العقلية، وموثّق بالرؤية المقارنة لما تتضمنه حضارة الإسلام من قيم وخصائص متميزة، وفعّالة، يمكن أن تمارس دورها في صياغة حاضر الإنسان ومستقبله.

إن هذا الدين، كما يقول (بوازار)، رجل القانون الفرنسي المعاصر: "يعود إلى الظهور في العالم المعاصر بوصفه أحد الحلول للمشكلات التي يطرحها مصير الإنسان والمجتمع"(1)، ولطالما أعرب عن اقتناعه "بأن في وسع العالم الإسلامي .

من بين عوالم أخرى . أن يقدم مشاركة أساسية في تكوين المجتمع الدولي المرتقب"(2) وأنه "يبدو أحد العوامل الممكنة الهامة في الإنسانية العالمية الحديثة .. وهو مستمر في البحث عن الأشكال الكفيلة بالتعبير بصورة ملائمة عن تطلعاته"(3). والمسلمون، كما يؤكد الرجل "لا يشكون على الإطلاق في أن التعاليم المنزلة والقيم المتراكمة عبر العصور كفيلة بتقديم حل لمعضلات العالم المعاصر"(4).

ولم يفت (بوازار) أن يشير إلى أن التقدم العلمي المادي لا يكفي وحده ما لم تضبطه القيم الخلقية، فتوجهه بالتالي لصالح الإنسان. ومن خلال هذه الرؤية الأخلاقية للنشاط المعرفي المادي يمكن للإسلام "أن يؤدي دوراً حقيقياً في تنظيم العالم المعاصر" عندما يتقدم إليه "بمفهومه السامي للقيم الخلقية"(5).

وأهمية المشاركة الإسلامية تبدو أيضاً في نظر (بوازار) في التوازن الذي يمنحه الإسلام، بما أنه تعبير عن روح ديني، لمسيرة المجتمع البشري، بين التقدم المادي (التقني) وبين المطامح الروحية والإنسانية عامة .. لا سيما وأن "الانخراط في المجتمع التكنولوجي، والمواجهة بين الإسلام والثورة التقنية لا تدفع المسلم إلى إنكار موقفه الديني بل إلى تعميقه

أمام العالم وأمام الله، متوجباً عليه .. محاولة إدراك الإمكانيات بشكل أفضل في إطار إسلامي شامل.."(6).

إن (بوازار) يضع يده ها هنا على واحدة من أهم خصائص المنظور الإسلامي للنشاط الحضاري.. إنها معادلة التوازن الملح والمطلوب بين الديني والدنيوي، بين السماء والأرض، وبين الروح والجسد، فليس ثمة إيمان متحقق في واقع الحياة إن لم يعبر عن نفسه في إطار نشاط تتداخل فيه وتتوحد وتتناغم كافة الثنائيات. والمواجهة بين الإسلام والثورة التقنية بالتالي، ليست مواجهة أضداد متقابلة بل هي مقاربة واحتواء وتوظيف للقدرات والإمكانات التقنية من أجل تكوين حياة إسلامية أكثر أصالة وتقدماً. إن القناعة الدينية كما يستنتج (بوازار) "تفرض نفسها حكماً مطلقاً على كل المستويات، ولا يمكن بدونها، أو بالحري على النقيض منها، مواجهة أي تغيير اجتماعي ولا أي تجديد مادي"(7).

وهذا الارتباط المحتوم بين الدين والتكنولوجيا في المنظور الإسلامي لا يعني البتة أن الحضارة الإسلامية ستقود "تطورها داخل أنبيق" ، وبمعزل عن العالم، بل على العكس تماماً، فإن هذه الحضارة " المتسامحة والمنفتحة بشكل طبيعي .. تتطلع إلى العمل بصفة شريك فعّال في الحياة الدولية .."(8) ويكفي أن نتذكر الجنوح المادي الذي تعانيه حضارة الغرب، يكفي أن نفكر في احتمالاته المنذرة بالخطر، المتوعدة لأماني الإنسانية، وللإنسان ذاته، لكي نعرف أن دخول الإسلام إلى الساحة وإعادته الأمر إلى نصابه بتحقيق التوازن المطلوب، ليس مجرد مشاركة فعّالة، وإنما هو عملية إنقاذ للوضع البشري المنحرف عن الصراط.

وإذ يؤكد (بوازار) ما يقدمه القرآن الكريم في هذا السياق من "ثقة مطمئنة وحافز قوي في وقت معاً" فإنه يحذر من "أن إسلام المستقبل ودوره في العلاقات الدولية" لا تجيء به الأماني والأحلام وإنما هو "رهن بما يصنعه المسلمون أنفسهم"(9).

وما قاله (بوازار) عن احتمالات الدور التوازني للحضارة الإسلامية في مستقبل العالم، وما يمكن أن تفعله القاعدة الدينية لهذه الحضارة والتزاماتها القيمية في ضبط وتوجيه النشاط المعرفي لصالح الإنسان، يمكن أن نلحظه . كذلك . لدى ليوبولد فايس (محمد أسد) وبمزيد من التفاصيل والمقارنات؛ فهو يشير إلى أننا "قد نكون، نحن المحدثين، بحاجة إلى تلك الرسالة بأكثر مما احتاج إليها الناس في أيام محمد(. إنهم كانوا يعيشون في بيئة أبسط كثيراً من بيئتنا نحن، وكانت مشاكلهم ومصاعبهم أسهل حلاً وأيسر إلى حد كبير. لقد كان العالم الذي كنت أعيش أنا فيه . كل ذلك العالم يترنح بسبب من فقدان أي اتفاق على ما هو خير وما هو شر روحياً، وبالتالي اجتماعياً واقتصادياً أيضاً. إنني لم أكن أؤمن بأن الإنسان الفرد كان بحاجة إلى (الخلاص)، ولكنني كنت أؤمن فعلاً بأن المجتمع الحديث كان بحاجة إلى الخلاص. لقد شعرت أكثر من أي وقت مضى، بأن عصرنا هذا كان بحاجة إلى أساس أيديولوجي لمستوى اجتماعي جديد: بحاجة إلى إيمان يجعلنا نفهم بطلان الرقي المادي من أجل الرقي نفسه، ومع ذلك يعطي الحياة الدنيا حقها. إيمان يبين لنا كيف نقيم توازناً بين حاجاتنا الروحية والجسدية، وبذلك ينقذنا من الهلاك الذي نندفع إليه برعونة وتهور"(10).

إن القضية بإيجاز هي أن يكون للحياة البشرية معنى أكبر وأعمق من مجرد التكاثر بالأشياء، وأن على المسلمين إذا أرادوا . بحق . أن يقوموا بدور في المستقبل، ألاّ يسمحوا للأشياء بأن تجرهم بعيداً عن جذورهم الروحية وقيمهم الأخلاقية التي منحهم الإسلام إياها "فلو أنهم احتفظوا برباطة جأشهم وارتضوا الرقي وسيلة لا غاية في ذاتها، إذن لما استطاعوا أن يحتفظوا بحريتهم الباطنية فحسب، بل ربما استطاعوا أيضاً أن يعطوا إنسان الغرب سرّ طلاوة الحياة الضائع"(11).

لقد اندفعت الحضارة الغربية بعين واحدة، وبمرور الوقت أخذت تفقد قدرتها على إبصار كل ما هو روحي وأخلاقي، وبما أن هاتين القيمتين ترتبطان بالوجود البشري ارتباطاً صميماً وتميزانه عن بقية الخلائق والموجودات، فإن التقدم المادي الذي يمضي بعيداً عنهما لن يخدم الإنسان في نهاية الأمر، ولن يأمن من عواقب الاندفاع الذي لا تضبطه قيم ولا توجهه معايير ولسوف تكون النتائج في المستقبل أشد خطراً لأن التراكم المادي يتزايد بحسابات مذهلة لمتوالية هندسية ويبعد أكثر فأكثر عن أي كابح أخلاقي أو استبصار روحي لمغزى الحركة ومعناها الأخير. من ثم فإن أحداً لا يمكن أن يتهم مفكرا كـ (جورج سارتون)، غرق في دراسة تاريخ العلوم حتى شحمة أذنيه بالمبالغة وهو يحكم على "التقدم المادي الخالص" بأنه أمر "مدمر" وأنه "ليس تقدماً على الإطلاق بل تأخر أساسي" ذلك "أن التقدم الصحيح . ومعناه تحسين صحيح لأحوال الحياة . لا يمكن أن يُبنى على وثنية الآلات ولا على العتلات، ولكن يجب أن يقوم على الدين وعلى الفن، وفوق ذلك كله على العلم، على العلم الخالص، على محبة الله، على محبة الحقيقة، وعلى حب الجمال وحب العدل. وهذا يبدو لنا جلياً حينما نلقي نظرة واحدة إلى الوراء .. إن ما نراه واضحاً هناك يجب أن يكون واضحاً أيضاً حينما نمد نظرنا إلى الأمام فيهدي خطانا إلى المستقبل"(12).

والمدنية، كما يؤكد (سارتون) "ليست مرضاً، ولكن من الممكن أن تنقلب شراً وفساداً"(13) وذلك بمجرد أن تفقد بطانتها الروحية وتتنازل عن ضوابطها الأخلاقية، فتغدو مجرد محاولة للتكاثر المحض لا هدف لها ولا مغزى. ثم إن المدنية ليست حكراً على بيئة دون أخرى، إنها بتعبير (سارتون) "ليست شرقية ولا غربية، وليس مكانها في واشنطن أكثر مما هو في بغداد، إنها يمكن أن تكون في كل مكان يكون

فيه رجال صالحون ونساء صالحات يفهمونها، ويعرفون كيف يستفيدون منها من غير أن يسيئوا استعمالها. والشرق الأوسط كان مهد الثقافة، ومنه جاءت أسباب إنقاذ العالم في أثناء العصور الوسطى حينما بدأ الستار الحديدي في أوروبا يشطر العالم شطرين: الأرثوذكسي والكاثوليكي. وها نحن اليوم ننظر إلى ماضي الشرق الأوسط بعين من عرفان الجميل، ثم نرنو إلى مستقبله بعين من الأمل الحلو"(14) وليس ذلك بالأمر المستحيل كما قد يخيل للبعض فإن "شعوب الشرق الأوسط قد سبق لها أن قادت العالم في حقبتين طويلتين.. وليس ثمة ما يمنع تلك الشعوب من أن تقود العالم ثانية في المستقبل القريب أو البعيد"(15).

ولن تكون ممارسة الدور من خلال قدرات يتفوق فيها الغير بطبيعة الحال، إنما بالتحقق بشيء كبير لا يملكه (الآخر) أو يعرف عنه شيئاً، فإن الحضارة المادية لن تجعل الغرب يخلي الزمام لمن هم أقل شأناً في ميادينها كافة، ولكنها العقيدة التي تحتوي النشاط الحضاري وتمنح المسيرة البشرية المغزى والهدف .. تعيد إلى الغربيين أنفسهم ما فقدوه: "سر طلاوة الحياة الضائع" إذا استعملنا عبارة (ليوبولد فايس).

وتؤكد (جميلة قرار)، النمساوية التي اعتنقت الإسلام أن هذا الدين "هو في الحقيقة حركي" وأنه يستطيع "بفضل جهود المسلمين أن يشكل قوة ثورية تحرر الإنسان من العبودية للقوة، وخاصة القوة المدمرة المهلكة، وأن تقوده إلى التقدم البنّاء، وتمكّنه من تطوير قدراته وإمكاناته الإيجابية المختلفة"(16). وهي تدعو "المسلمين المستنيرين" إلى أن يبينوا لغير المسلمين "أولئك الذين يبحثون عن غايات جديدة وقيم لحياتهم، إن الإسلام هو نقطة البدء الجديدة أمام الإنسانية جمعاء"(17). وهذا لا يعني بالتأكيد أيما قدر من التنازل عن المكتسبات المادية، والمدنية عموماً، ذلك "أن الإسلام بصفته ديناً عالمياً وعقيدة كونية يعتبر مناسباً لكافة مراحل تطور الحياة الإنسانية في المستقبل. فهو ينسجم مع منجزات الإنسان الحديثة في كافة مجالات النشاط الإنساني"(18).

ويشير (كويلر يونغ) إلى الإسهام الفعال للثقافة الإسلامية "في الحضارة العالمية المعاصرة .. فليس من المعقول لثقافة حية كثقافة الإسلام.. ألاّ يكون لها تأثير بالفعل أو بالقوة "(19) في معطيات المعرفة الراهنة وتشكلها في المستقبل. هذه

المشاركة التي يؤكدها (در منغم) بصيغة تحقيق للتواصل بين الغرب والشرق، وإرفاد لعالم المستقبل "بادخار العالم القديم"(20) ، ويراها (اتيين دينيه) تبشر "بمستقبل حافل بأعظم الآمال وأعلاها شأناً" وبإسهام حضاري فعّال، وبتكشف متزايد لنا الإسلام الحقيقي ..(21)

أما المؤرخ البريطاني المعاصر (مونتغمري وات) فيؤمل بأن المسلمين سوف ينجحون، على الرغم من المصاعب "في جهدهم للتأثير على الرأي العام العالمي، على الأقل فيما يتعلق بالمبادئ الأخلاقية. وربما أمكنهم في ميدان الأفكار الدينية الأوسع أن يساعدوا على إغناء العالم؛ لأنهم احتفظوا بقوة كبرى في التعبير عن بعض الأفكار كحقيقة الله (سبحانه)، تلك الأفكار التي أُهملت ونُسيت في كثير من الطوائف والأديان الأخرى الموحدة "(22).

ونصل في نهاية المطاف إلى (غارودي)، فإن كتابه (وعود الإسلام) يُعدّ بملاحظات خصبة عن المشاركة العالمية للحضارة التي شكلها هذا الدين. إن عنوان الكتاب يحمل بعداً مستقبلياً، وبالتالي فإن مادته القيمة ستصب هناك لكي ترسم للإنسان المعاصر، الحائر،

الممزق، ما يمكن أن تقدمه له الخبرة الإسلامية.

تتحرك ملاحظات (غارودي) حول المشاركة الإسلامية على عدد من المحاور أهمها، ولا ريب: توازن الإسلام ووسطيته، قيمه الأخلاقية، ثم رؤيته الشمولية وقدرته الفذة على منح المغزى لمسيرة الحياة البشرية في هذا العالم.. "إن الإسلام يجد من جديد فرصة تاريخية لإظهار أن عقيدته وقصدياته هي إجابة على قلق عالم قاده النموذج الغربي للنمو إلى التفكك الاقتصادي والسياسي والأخلاقي، كما في أيام نشوئه ثم زمن انتشاره، إن الإسلام قدم جواباً على تفتت الإمبراطوريات"(23).

هناك البطانة أو القاعدة الأخلاقية ما يتيح للحضارة الإسلامية مشاركة أشد فعالية في مستقبل العالم الذي أفلتت من بين يديه مؤشرات وضوابط القيم، فاندفع، بما يشبه الجنون، مشدوداً إلى هدف واحد: المزيد من التكاثر بالأشياء، والمزيد من القوة، بغض النظر عن أي قدر من التساوق أو الانسجام بين هذين الهدفين وبين التزامات القيم الخلقية من أجل صالح الإنسان. إن هذه المشاركة الأخلاقية كما يلحظ

(غارودي) ضرورية جداً لوقف الاندفاع المجنون وتجنيب البشرية "الهلاك المحتوم" الذي يسوق إليه "الضلال الغربي"(24).

ونحن نعرف جميعاً، انطلاقاً من هذه الرؤية، ما الذي فعله ويمكن أن يفعله العِلم الغربي المنفصل عن ضوابط القيم وذلك بتعبده للتكاثر والقوة، وما الذي فعله، ويمكن أن يفعله العلم الإسلامي المنضبط بالأخلاق وبالغايات الدينية في نهاية الأمر" لم نشدد على الوجوه التي لعب بها العلم الإسلامي باكتشافاته دور (الرائد) للعلم الغربي الحالي، وإنما على صفاته الخاصة في تبعيته وخضوعه للوسائل الإنسانية ذات الغايات الإلهية. في هذا المنظور، على القرن العشرين، والقرن الحادي والعشرين، أن يتعلما كثيراً من الإسلام "(25).

أيضا فإن الحضارة الإسلامية بتقديمها فكرة التسامي (الأخلاقي) للإنسان كواحدة من أهم مرتكزات الإسلام العقدية، التسامي الذي يكون المؤمن فيه في حالة صيرورة متواصلة

نحو الأحسن والأعلى.. هذه الفكرة لهي واحدة من أهم ما يمكن أن يقدمه المسلمون "لخلق مستقبل إنساني في عالم جعل استبعاد السمو منه، وسيطرة نموذج جنوني من النمو.. لا يمكن أن يُعاش"(26).

أما الرؤية الشمولية للحضارة الإسلامية، والمغزى الذي تضفيه على الحياة البشرية، فتكاد تكون أهم إسهاماتها المقبلة، إذا ما تذكرنا كيف يتزايد الإحساس العالمي بالعبث واللا جدوى وكيف تفقد الحياة البشرية يوماً بعد يوم طعمها ومعناها، وكيف يتحوّل السعي المعرفي إلى نشاط تجريدي منفصل عن الإنسان، نقيض . أحياناً . لمطالبه ومطامحه.. وكيف تتفكك الوشائج بين أقطاب الكون وموجوداته، فيعيش الإنسان في عزلة مخيفة قد يكفي لتذكر مراراتها وأحزانها أن نلقي مجرد نظرة سريعة على آداب العصر وفنونه وفلسفاته "لقد فقد الإنسان الغربي كل وحدة في علاقاته مع الطبيعة والمجتمع والله. انفصل عن الطبيعة التي اعتقد أنه سيدها ومالكها.. ولم تساعد المسيحية الإنسان مع حذرها الأول بإزاء الطبيعة ومع تراجعاتها المتتالية، منذ عصر النهضة، أمام (علموية) تدعي الإجابة على جميع مشاكل الحياة، على الحفاظ على هذا البعد الكون ، على هذا الاتحاد الحميم لجميع الكائنات .. والإسلام

عندما لا يكون قد أفسدته الرؤية الغربية المباشرة التي فرضها عليه الاستعمار، يستطيع أن يساعدنا على أن نعي هذه الوحدة التي هي عقيدته المركزية الأولى"(27).

وبإيجاز شديد فإن "عقيدة الإسلام وقصدياته" لهي الإجابة على قلق العالم الحديث الذي يصنعه ويقوده النموذج الغربي(28)، هذا النموذج الذي إن كان له أن يتباهى بما صنعته يداه فليس

له أن يشير إلاّ إلى العلم والتقنية اللتين بلغ بهما. والحق يُقال . مرتقى صعباً.. ولكن حتى ها هنا، حيث لا يمكن للعلم أو التقنية أن تنفردا بمصير الإنسان بعيداً عن ارتباطاتها بفكرة ما، بفلسفة أو عقيدة تؤطر حركتهما، وتربطها بالإنسان نفسه، وتمنحها المعنى والهدف والمغزى،

حتى ها هنا فإن الإسلام وحده يمكن أن يمنحنا الجواب.. إن غارودي يتساءل: "ماذا يستطيع الإسلام أن يقدم لنا ليعدنا للإجابة على المسؤوليات التي تفرضها قدرة العلم والتقنية على جميع البشر اليوم؟" وما يلبث أن يجيب: "إن المشكلة كونية، ولا يمكن للجواب إلاّ أن يكون على المستوى الكوني"(29).

إنها إذن "قضية مستقبلنا، قضية مستقبل جميع البشر" ومن ثم فإن (وعود الإسلام) ليس كتاباً في التاريخ، كما يؤكد صاحبه "لكنه اقتراب جديد من الإسلام، ومن وراء الإسلام كقوة حية ليس فحسب في ماضيه، وإنما في كل ما يستطيع أن يسهم به في ابتكار المستقبل"(30).

حقا إن (الإسلام) والحضارة التي تعبر عنه بالضرورة، ليحملان "بذور تغيير جذري على مستوى الإنسانية "(31).

(1) إنسانية الإسلام، ترجمة د. عفيف دمشقية، دار الآداب، بيروت . 1980 م، ص 431.

(2) المرجع نفسه، ص 439.

(3) المرجع نفسه، ص 387.

(4) المرجع نفسه، ص 330 . 331.

(5) المرجع نفسه، ص 369.

(6) المرجع نفسه، ص 387 . 388.

(7) المرجع نفسه، ص 388.

(8) المرجع نفسه، ص 388.

(9) المرجع نفسه، ص 389.

(10) المرجع نفسه، ص 323 . 324.

(11) المرجع نفسه، ص 376.

(12) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، تعريب د. عمر فروخ، مكتبة المعارف، بيروت . 1952 م، ص 72 . 73.

(13) المرجع نفسه، ص 74.

(14) المرجع نفسه، ص 74 . 75.

(15) المرجع نفسه، ص 79.

(16) عرفات كامل العشي، رجال ونساء أسلموا، دار القلم، الكويت . 1973 . 1983 م، الطبعة الثالثة، 4/ 108 . 109.

(17) المرجع نفسه، 4/ 109.

(18) المرجع نفسه، 4/ 108.

(19) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، تأليف جماعة من الباحثين، جمع وتقديم محمد خلف الله ، القاهرة . 1962 م، الطبعة الثانية، ص 255.

(20) حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب، القاهرة . 1949 م، الطبعة الثانية، ص 371 . 372.

(21) محمد رسول الله، بالاشتراك مع سليمان الجزائري، ترجمة د. عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم محمود، الشركة العربية ، القاهرة . 1959 م، الطبعة الثالثة، ص 345 . 346.

(22) محمد في المدينة، تعريب شعبان بركات، المكتبة العربية، صيدا . بيروت . بدون تاريخ، ص 509.

(23) وعود الإسلام، ترجمة ذوقان قرقوط، الوطن العربي، القاهرة . بيروت . 1984 م، ص 208 . 209.

(24) د. محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، سلسلة كتاب الأمة، الدوحة . 1404 هـ ، ص 144 . 145 (عن محاضرة ألقاها غارودي في جامعة قطر في كانون الثاني . 1983 م، بعنوان: الإسلام وأزمة الغرب).

(25) وعود الإسلام، ص 111.

(26) المرجع نفسه، ص 36.

(27) المرجع نفسه، ص 64.

(28) المرجع نفسه، ص 208 . 209.

(29) المرجع نفسه، ص 67.

(30) المرجع نفسه، ص 187.

(31) المرجع نفسه، ص 156.

==============

#جامعاتنا والتصنيف .. ربّ ضارة نافعة

سارة الراجحي 1427/10/27

2006/11/18

عرفت أوروبا الجامعات في القرون الوسطى، وكان ذلك نتيجة لعدة عوامل مهدت لها، منها الحاجة الملحة لتلبية متطلبات الحياة، والاحتكاك بالمسلمين والعرب، و ظهور المدن، والحركة المدرسية التي سبقتها.. وعلى الرغم من كون هذه الجامعات قد تولّدت عن مدارس تابعة للكاتدرائيات والأديرة، إلاّ أنّها استطاعت استيعاب العلوم الشائعة آنذاك، و نشر الثقافة والفكر والندوات والمحاضرات، و اقتحام السياسة واللاهوت، والتدخل في مهاجمة البابوية...

بل ويُرجع إليها كرأي علمي في الاختلافات.. ليس هذا فحسب بل إنها قد منحت طلابها امتيازات رجال الدين فأُعفوا من الخدمة العسكرية، وأُعفي أيضاَ الطلاب والأساتذة من الضرائب، وأغدقت عليها المنح، وخصت بعضها بأعضاء يمثلونها في المجالس النيابية للدولة.. منها جامعة اكسفورد و كامبردج وباريس.. فإذا كان ماسبق

حالها في القرون الوسطى.. فلا غرابة فيما هي عليه الآن.. بل الغرابة تكمن في وجود جامعات دولة نفطية في آخر ركب جامعات العالم..!

إن نصيب الجامعات السعودية في التصنيف الأخير (Webometrics Ranking ofWorld (Universities الذي كانت تتذيله مع دولتين – لديهما المسوّغات الكافية لذلك – مع التصنيفات السابقة كتصنيف(Shanghai Jiao Tong University) ، ولأفضل (500) جامعة في العالم، و تقرير T Times Higher Education Supplement)) حول أفضل (200) جامعة لم يكن مفاجأة لدى الكثيرين؛ فمستوى جامعاتنا التي تئن من الهزال ومن القيود كان مصدر امتعاض لكثير ممن بين أروقتها بغض النظر عن هذه التصنيفات التي مهما شُكك في موضوعيتها ومصداقيتها إلاّ أنها تبقى قائمة على معايير ذات أهمية بمكان؛ بحيث لا يبقى مجال واسع للتشكيك، أو لنظرية المؤامرة.. كمعيار تقييم زملاء التخصص، و الجهات الموظفة لخريجي الجامعات، والطلبة الدوليين، و الإسهام البحثي للجامعة وقدرتها على استقطاب نخب الباحثين.. فأين جامعاتنا من هذه المعايير مثلاً..؟ قد نتفهم صعوبة بعض المعايير كأحد معايير (شانغهاي جياو تونغ) الذي يرصد 30% من الدرجات للجامعة التي ينال أحد منسوبيها أو خريجيها على جائزة نوبل.. لكننا نتساءل عن المعايير التي من المفترض أن تكون عفوية في أي بناء يُطلق عليه "جامعة.."!

وبعيداً عن تلك التصنيفات ومعاييرها.. فإن الجامعات بشكل عام تُناط بها مسؤوليات أبرزها: نشر العلم عن طريق إعداد الكوادر، وتنمية العلم وتطويره عن طريق البحث العلمي، وتوظيف العلم عن طريق الفاعلية في المجتمع وخدمته.. وإذا ما نظرنا إلى جامعاتنا فسنجد أن هناك خللاً كبيراً في كل ما سبق.. فمثلاً نشر العلم يُعدّ الهدف الأساسي لدينا عادة، في حين تعد الكثير من الجامعات الغربية أن تطوير العلم وتغييره هو الهدف الأساسي.. وإذا ما تأملنا هذه العلاقة فسنجد أن البحث وإن كان يستند إلى العلم، إلاّ أنه في ذات الوقت سيؤدي إلى علم، أما الاكتفاء بالعلم السابق فمعرض للوهن والجمود واجترار إنتاج الماضي، و بالتالي الحاجة إلى التطفل على موائد الآخرين بسبب "أنيميا" الإنتاج والإبداع..!

إن الثروة العلمية التي توصّل لها العالم الآن جاءت عن طريق البحث العلمي، و هو أهم مقياس لدور الجامعة الحيوي، كما أنه مرتبط كثيراً بسمعتها، وقد تنامى الاهتمام بـه إلـى درجـة أن بعـض الجامعـات الأمريكيـة اتجهـت إلـى تفضـيله علـى النشـاط التعليمـي التقليـدي.. بينمـا البحـث العلمـي فـي جامعاتنـا يعـاني مـن ضـعف الـدعم اللوجسـتي المتمثـل فـي قواعـد البيانـات، ودعـم البيانـات، مـع قبضـة البيروقراطيـة المحكمـة، و قلـة الإمكانيـات والاعتمـادات الماليـة المخصصـة لـه، وضـعف القناعـة بأهميتـه مـن قبـل الجامعـات ذاتهـا قبـل قطاعـات المجتمـع الأخـرى، حتـى غـدا غالبـاً وسيلة لنيل الدرجات العلمية، مما أدى إلى التشابه والتكرار و الاجترار.. وهذا الواقع المأزوم يفسر لنا سبب ضعف إنتاجية مراكز البحث العلمي في جامعاتنا كماً وكيفاً، و المقدرة بـ(75) مركزاً بحثياً كان إنتاجها خلال أربعة أعوام من 1999–2003 ما يقارب (1650) بحثاً فقط – بحسب موقع مشروع آفاق– و بحسبة بسيطة جداً فإن عدد البحوث في العام الواحد (412) بحثاً فقط لأكثر من (17465) عضو تدريس، وبحسبة بسيطة أيضاً فإن هذا يعني أن من بين كل (42) عضواً من هيئة التدريس عضو واحد فقط هو من يقدم بحثا.. !

ثم نتساءل: أين جامعاتنا ..؟!

جامعاتنا التي تعاني أيضاً من الغياب الاجتماعي، والقدرة على التأثير.. على الرغم من وجود النخبة فيها، فلا أثر رسمياً أو حتى شعبياً يُذكر لأي جامعة على المستوى المحلـي، فضـلاً عن مستوى المجتمع العربـي المسلم.. بينما في دول أخرى نجد أن الجامعات لها ثقلها في بعض القضايا.. بل ولها مساهمات خيرية في المجتمع تمثل توظيف العلم.. وقد نُصـاب بشـيء مـن الخيبـة إذا عرفنـا أن الجامعـات الإسـرائيلية الحديثة النشأة، و التي احتلت مراكز متقدمة، لها جهود ثقافية واضحة كالتي تهدف إلـى التطبيـع الثقـافي مـع العـرب، وقبلهـا الجامعـات الأوروبيـة التـي خصصـت بـرامج لدراسـة مجتمعاتنـا، وترجمـة تراثنـا، و تبنـت "الاستشـراق" الـذي كـان كثيـر منـه بهـدف التشـويه وشـن الحمـلات المعاديـة لثقافتنـا.. .. فـأين دور جامعاتنـا التـي لا تقبـل إلا النسـب المئويـة المرتفعـة، والتـي رفضـت بعضـها حتـى التسـعينية منهـا.. ومـا هـي جهودها الواضحة ومشاركاتها الواعية تجاه المستجدات و القضايا المعاصرة؟!

نحن بحاجة إلى إعادة النظر في الثقافة العلمية السائدة لدينا، فإن من شأنها تحديد مسار وطبيعة أي عملية تعليمية وتربوية، فالثقافة العلمية السليمة الإيجابية تستحث البحث العلمي، وتشجع الابتكار والإبداع، و تعزز توظيف العلم في المجتمع، بينما الثقافة العلمية المشوّهة تحيد بجامعاتنا عن طريقها المأمول، وتمنعها من إنجاز مسؤولياتها ومهماتها على الوجه اللائق، وتحرمها من دورها الاجتماعي.. ومن أبرز الأمثلة على هذا الثقافة السلبية: فكرة متجذّرة لدى كثير من الطلبة والطالبات، وهي أن الجامعات ليست إلا أداة لشهادة يهشون بها حوائج الزمن، وبالتالي لا قيمة لإتقان فهم العلم وتوظيفه أو البحث العلمي، فما يهم حقيقة هو المسجل رسمياً نهاية الفصل من علامات.. وحتى أولئك الطلبة أو الطالبات الذي تمكنوا من تجذير الثقافة العلمية المحكمة بدواخلهم، يعانون من عدم توفر المعطيات التي تعينهم على المضي قدماً نحو الإبداع، كالمختبرات اللازمة، و مراكز البحث، وتوفر المراجع العلمية اللازمة.. لا سيما وأن بعض فروع الجامعات، وجل الكليات تكون مكتباتها مفتوحة في أوقات معينة، تتزامن كثيراً مع أوقات المحاضرات.. وهنا لا يفوتني أن أُذكّر بمعاناة طلبة وطالبات المدن الصغيرة والمحافظات، التي ربما توضع في قائمة خاصة بجامعات وكليات كوكب المريخ.. !

إن على جامعاتنا أن تقود حركات تغيير وتصحيح للثقافة العلمية، وأن تقوم بدور ثقافي جدّي عن طريق تعزيز العلاقات بين الثقافة والعلم بمختلف مجالاته، والإنماء الثقافي الذي يتخلص من المفاهيم السلبية، ويشكل المفاهيم الإيجابية على الأقل على مستوى حرم الجامعة، حتى يكون مركز إشعاع لما حوله.. فإذا كان الضعف ظاهرة عامة لدينا، والتخلّف ملمح في كثير من مناحي حياتنا، نتيجة عوامل متراكمة ومتداخلة، إلاّ أن الجامعات ليست معفية من مسؤولية معالجة ذلك، وقبله الإسهام فيه، ذلك بصفتها معاقل العلم، و مخرجة حامليه، ومحضن الشباب عماد أي مجتمع و أمة.. و أيضاً عادة ما تكون مناصب القيادة تحت من تخرّج من نفس الجامعات، وهذا يعني أن هناك حلقة مفرغة تحتاج إلى الكسر.. والتي من أسبابها الميل إلى إبقاء كل شيء على حاله والتهيب من التجديد من أولئك الذين رضوا بالتأخر، وباتوا جزءاً منه.. وقبل ذلك ضعف إدراك أهمية دور الجامعات الحقيقي والاهتمام بمسألة

الكم لا الكيف.. نعم هناك مخلصون، ومبدعون، فضلهم على الجامعة أكبر من فضلها عليهم، وهناك عطاءات جميلة، ولكنها تبقى غالباً جهوداً فردية أو محصورة تحتاج إلى برامج متكاملة تقوم بتنظيمها وإشاعتها وتنويعها ..

فإذا لم تستطع الجامعات التخلص من العوائق الخارجية فليس أقل من مشاريع الإصلاح الداخلية، وإلاّ فليس من المنطقي أن تتحمل وزارة الخدمة المدنية أو وزارة المالية تلك الممارسات الخاطئة المنتشرة كالتي – مثلاً – تحرم الطلاب من ممارسة حقهم في حرية النقاش والتعبير عن الرأي، وتنظر إلى المحاور منهم ككائن ينشط هوامات القلق والإزعاج.. خاصة أن هذه المرحلة يُفترض أن يُشكل فيها الشخص آراءه من منبع ذاته لا من سُقيا غيره.. مما أدى إلى أن تحولت كثير من العقليات إلى نسق من قوالب ذات نمط واحد تتسم أحياناً بالخواء أو التصلب الفكري.. لاسيما وأن القدرات العقلية تركد وتأسن وتفقد القدرة على التطور، ما لم تكن في وضعيات مخالفة و مواجهة مع مستويات معرفية وفكرية مختلفة، تشكل مجالاً خصباً للاحتكاك والتكامل، وتعلّمهم مبدأ الحوار في الحياة عامة، بدلاً من تراكمات أجيال لا تحسن التعامل مع رأيها و الرأي الآخر..

كما أنه ليس من المنطقي أن تُعزى أسباب التخلف إلى ضعف التمويل، بينما هناك دول أضعف اقتصاداً بمراحل، لكنها سبقتنا في التعليم العالي بمراحل.. نعم الإمكانيات المادية جزء مهم لا ينبغي إغفاله، لكن حسن الإدارة والتخطيط هو القاعدة التي لو لم تُحكم لكان ما يُبذل هدراً ليس إلاّ.. مع ضرورة الالتفات إلى مطالب أعضاء هيئة التدريس في الجامعات، وتفهم معاناتهم والتخفيف من مثبطات إبداعاتهم كانخفاض الأجور، وتدني فرص المشاركة في المؤتمرات، وعدم وجود تأمينات صحية وسكنية، وعدم جزل مكافآت الأبحاث العلمية في حين أن زملاءهم في الجامعات المتقدمة ينالون مردوداً اقتصادياً جيداً، وتبحث عنهم الشركات وتتنافس في احتضانهم.. مما جعل الجامعات بيئة غير خصبة للطموح والروح الإبداعية، فعزف الكثير منهم عن البحوث والمشاريع إلى كتابة المقالات في الجرائد، و منتديات الإنترنت بأسماء مستعارة ..

أخيراً نقول: رب ضارة نافعة، فلربما كانت التصنيفات سبب وقفة صارمة لتحسين الأوضاع، ووضع الخطط اللازمة للّحاق بركب العالم، وحجز مقاعد معقولة بدلاً من (2998) .. فعلى وزارة التعليم العالي والجامعات إعادة النظر في كل ما سبق– وغيره بالتأكيد– ومواجهة الواقع المُخجل بدلاً من إضاعة الوقت في محاولات التبرير التي لن تصنع مجداً.

==========

#الإسلام الفرنسي المُتخيّل

الرباط. إدريس الكنبوري 1428/4/11

2007/04/28

المؤلف: توماس ديلتامب

الناشر: منشورات لا ديكوفيرت. باريس.

الطبعة الأولى: ديسمبر 2005

عدد الصفحات: 381 من القطع الكبير.

. الإعلام الفرنسي أطلق على الخميني لقب"بابا الإسلام".

. كاتب فرنسي مخوفاً من المهاجرين المسلمين: هل سنبقى فرنسيين بعد(30)عاماً؟

. دخول فرنسيين في الإسلام أثار مخاوف من"غزو" إسلامي لفرنسا في الثمانينيات.

. صحافي جزائري يلفق التحقيقات عن الإسلاميين في فرنسا دفاعاً عن الجيش.

. التغطية الإعلامية للإسلام وقضايا المسلمين في فرنسا لا تزال تهيمن عليها العقلية الاستعمارية.

. لا فرق بين اليسار واليمين في فرنسا عندما يتعلق الأمر بالإسلام.

يُعدّ هذا الكتاب الذي ألفه الكاتب والصحافي الفرنسي (توماس ديلتامب) الأول من نوعه في المكتبة الفرنسية حول صورة الإسلام في الميديا (وسائل الإعلام) الفرنسية طيلة ثلاثين عاماً، تتبع خلالها المؤلف أهم المحطات التي طبعت نسج وتطور وبناء هذه الصورة في وسائل الإعلام الفرنسية المرئية والمسموعة والمكتوبة، ومن تم ثم في المتخيل الفرنسي، ليخلص إلى نتيجة. يسجلها منذ المقدمة. تقول بأن الصورة التي

رسخت في العقل الفرنسي عن الإسلام والمسلمين ليست هي الصورة الحقيقية، وإنما الصورة التي أراد الإعلام أن يرسخها في أذهان الجمهور الفرنسي.

الكتاب استُقبل استقبالاً جيداً في أوساط المهاجرين العرب والمسلمين في فرنسا، وحظي باهتمام كبير في المغرب والجزائر اللتين تتوفران على نسبة هجرة كبيرة ينتمي إليهما معظم المهاجرين في المجتمع الفرنسي. ولا شك أن صدوره في هذا التوقيت الذي يُثار فيه موضوع المشاركة السياسية للمهاجرين في الانتخابات الفرنسية المقبلة، وفي سياق الجدل الدائر حالياً في فرنسا حول الهجرة القادمة من العالم العربي ومن المغرب العربي بالتحديد، ومضاعفات وذيول انتفاضة الضواحي الباريسية في العام الماضي، سوف يزيد من أهمية الكتاب في التعرف على كيفية صناعة صورة الإسلام في فرنسا، والطرق الخفية التي تتم بها.

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام كبرى، يرى الكاتب أنها المحطات الثلاث الرئيسة التي مرت منها بها صناعة صورة الإسلام في الإعلام الفرنسي: الفصل الأول بعنوان"أسلمة الرؤى"، ويمتد من نهاية السبعينيات من القرن الماضي مع وقيام الثورة الإيرانية إلى 1989. وقضية "التشادور" أي اللباس الشرعي للمرأة، والفصل الثاني بعنوان"ضبط الأقلية المسلمة"، ويمتد من عام 1990 مع أحداث الجزائر، وغزو العراق للكويت إلى عام 2000، أما الفصل الثالث الذي حمل عنوان "تطويق العدو غير المرئي" فيمتد من تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر 2001 إلى العام 2005، وجاءت الخاتمة تحت عنوان "الإسلام المتخيّل والقطيعة الاستعمارية".

في المقدمة التي حملت عنوان "الجمهورية والتلفاز و(مسلموهما)" يتساءل المؤلف: عن أي إسلام نتحدث؟ ويبين أن صورة الإسلام في فرنسا لم تكن معروفة جيدا قبل نشأة التلفاز، لكن هذا الأخير لم يصبح جزءاً من الحياة العائلية في المجتمع الفرنسي إلاّ في النصف الثاني من سبعينيات القرن الماضي، ففي العام 1960 كان هناك 13% من الفرنسيين فقط يملكون جهاز تلفاز، وفي العام 1975 ارتفعت هذه النسبة إلى 84%. لكن في هذه الفترة لم يتم التعرف على صورة المسلمين والإسلام وإنما بدرجة أولى على الهجرة والمهاجرين بشكل أساسي، وإن ظلت صورة الجزائريين

شائعة بين الفرنسيين وترتبط لديهم بالعرب والمسلمين، لكن بفضل التلفاز بات الفرنسيون يعرفون أن المهاجرين هم"الآخرون"، وأن الفرنسيين يختلفون عنهم.
ويقول الكاتب: إنه "لكي ندرس العلاقة بين المسلمين والتلفاز يجب أن نتحرر من النظرة التي يريد الإعلام أن ينقلها إلينا عن الإسلام"، داعياً إلى اتخاذ مسافة ضرورية بين ما يقدمه هذا الإعلام وبين الصورة الحقيقية التي نريد التعرف إليها.
ويشير الكاتب أيضاً إلى أن الإعلام الفرنسي كان دائماً يستعمل مفردات وكلمات عن الإسلام والمسلمين توجد التشوش والارتباك لدى الجمهور أكثر مما تعمل على توضيح الصورة لديه، مثال ذلك إطلاق كلمة"مسلم" على الشخص الذي ينضبط بضوابط الإسلام السلوكية والتعبدية، وعلى الشخص المنحدر من بلد إسلامي، حتى وإن لم يكن ينضبط بتلك الضوابط، مما يؤدي بالمواطن الفرنسي . حسب المؤلف . إلى التساؤل: ما هو الإسلام بالفعل؟ ومن هو المسلم حقا؟
إن الإسلام الفرنسي، بوصفه"مادة إعلامية"، قد كان دائماً ينظر إليه من خلال أحداث غير مرتبطة بفرنسا نفسها، أي بقضايا لا تهم المواطن الفرنسي، ولا تتعلق بالمسلم الذي يعيش في فرنسا، مثل الثورة الإيرانية أو حرب العراق أو تفجيرات نيويورك وواشنطن أو غيرها من الأحداث والوقائع الدولية خارج المسرح الفرنسي، ومن وجهة نظر المؤلف فإن هذه الإستراتيجية الإعلامية معروفة الأهداف؛ إذ تحاول ترويج مقولة: إن"المسلمين كلهم سواء"، سواء في فرنسا أو خارجها، وبالتالي فإن ما حصل بعيداً عن فرنسا يمكن أن يحدث فيها.
أسلمة الرؤى(1978- 1989)
حتى بداية عقد السبعينيات من القرن الماضي كان الإسلام بالنسبة لفرنسا"ديناً غريباً"، لكن الثورة الإيرانية التي حصلت العام 1979 غيرت كل شيء فأصبح الإسلام منذ تلك اللحظة في قلب الأحداث المهمة بالنسبة للإعلام الفرنسي، بل دخل موضوع الإسلام إلى النقاشات العائلية في البيوت، حيث سمحت تلك الثورة . كما يوضح المؤلف . ببروز مصطلحات كانت مجهولة من قبل لدى الفرنسيين مثل: "السنة" و"الشيعة" والحجاب" و"التشادور"و"الشريعة" و"آية الله" و"الفقيه".

ويرى المؤلف أن تلك المرحلة كانت فاصلاً عما قبلها في تصور الفرنسيين للإسلام، إذ من قبل كان الإسلام مرتبطاً بمجموعة من"الكليشيهات" أو التصورات الجاهزة والمعلبة التي كرسها المستشرقون عن العالم الشرقي "الغارق في التخلف والجهل والمطبوع بالحريم" وتعدد الزوجات والجهاد ضد المسيحيين الكفار وغرائب كتاب"ألف ليلة وليلة"، لتبدأ صورة أخرى جديدة أقرب إلى الواقع. وعلى الرغم من حصول الثورة الإيرانية ظل الإعلام الفرنسي طيلة تلك الفترة يدير ظهره لها خلال ذلك العام إلى أن غادر الشاه إيران، فانكب الإعلام الفرنسي على تقديم تحاليل وتعليقات حول الإسلام والمسلمين, وظهرت أسماء كانت مغمورة من قبل أمثال المستشرقين الفرنسيين (ماكسيم رودنسون) و(جاك بيرك).

ويشير المؤلف إلى أن الإعلام الفرنسي والخبراء الذين كانوا يقومون بالتعليق على الثورة الإيرانية والدين الإسلامي لم يكونوا يفهمون جيداً حقيقة الإسلام، فبسبب تزامن ثورة الخميني مع انتخاب البابا جان بول الثاني في سبتمبر 1978، أطلق هؤلاء لقب"بابا الإسلام"على الخميني؛ إذ حاولوا أن يعكسوا ما يحصل في المسيحية على ما حصل في إيران، وزاد من ذلك أن عودة الخميني إلى إيران واستقباله بالهتافات تزامنت مع زيارة البابا في نفس العام إلى المكسيك واستقباله من طرف الجماهير، مما كرس تلك الصورة.

وقد دفع حادث السفارة الأمريكية في طهران المحللين الفرنسيين إلى ربط الإسلام بالحرب ضد الغربيين، حيث خصصت مجلة(لونوفيل أوبسرفاتور) عدداً خاصاً في تلك السنة للحادث عنونته بـ"الإسلام:أمريكا محاصرة"، أما (الإكسبريس) فخصصت غلافها للموضوع بعنوان"الإسلام:الحرب"، ويعلق الكاتب على ذلك قائلاً :"من دون أن يأخذوا بعين الاعتبار أن الإسلام ليس سوى ما يريدون تصويره وما يراد إبرازه، كان هؤلاء المحللون والمعلقون يبدون وكأنهم مقتنعون بأنه يمكنهم معرفة حقيقة الإسلام".

لقد تزامنت هذه المرحلة في فرنسا مع بروز ظاهرة الهجرة من بلدان المغرب العربي بالخصوص التي كانت محتلة سابقاً من قبل باريس، ومع ظهور موضوع الإسلام كواحدة من القضايا المهمة في الإعلام، صارت قضية الهجرة لا تنفصل في أذهان

الفرنسيين عنه، وسرعان ما أصبح التركيز يجري على المهاجيرين القادمين من المنطقة المغاربية فقط وليس على المهاجرين الآخرين القادمين من إسبانيا وإيطاليا وبولونيا وغيرها من البلدان الأوروبية، وبات يُنظر إليهم كتهديد للمجتمع الفرنسي بسبب ديانتهم الإسلامية. وقد احتل الجزائريون الصدارة بسبب هذا الاهتمام، نظراً للارتباط الطويل بين فرنسا والجزائر طيلة مرحلة الاستعمار الذي دام أزيد من قرن، فانبعث موضوع الحرب الجزائرية الذي كان حتى ذلك الوقت موضوعاً منسياً أو مسكوتاً عنه، وأنشأ الإعلام الفرنسي نوعاً من الترابط بين موضوع الهجرة وحرب الجزائر.

ويثير المؤلف نقطة مهمة في هذا الفصل، وهي أن الفرنسيين اكتشفوا هويتهم الخاصة والمتميزة ليس بالنظر إلى تاريخهم بل بالنظر إلى المهاجرين الآخرين القادمين من بلدان العام العربي، فقضية الهجرة جعلت الجميع يفتح نقاشاً عمومياً حول"الهوية"الفرنسية والطابع المسيحي لها، خاصة بعدما ظهرت قضية "الإدماج" للمهاجرين في المجتمع الفرنسي، حيث بدأ البعض يدق ناقوس الخطر من خطورة إذابة الهوية الفرنسية في هويات المهاجرين الأجانب، وتساءل أحد الكتاب ما إن كان الفرنسيون سيظلون فرنسيين خلال الثلاثين عاما المقبلة.

ركز الإعلام الفرنسي في هذه المراحل على عدة قضايا تتعلق بالإسلام والمسلمين والغرب، من بينها مواضيع الحرية الغربية مقابل الاستبداد في العالم العربي والإسلامي، وحرية المرأة في فرنسا مقابل خضوعها للزوج في العالم العربي، والحداثة مقابل التخلف، والديموقراطية مقابل سيطرة التقاليد الدينية، لكن المؤلف الذي ينتقد تلك الصور النمطية عن الإسلام يقول بأنه"يمكننا أن نستغرب من الحماسة الكبيرة التي كان يثير بها الصحافيون الفرنسيون قضايا أكثر حساسية مثل هذه، وميلهم إلى التقليل من أهمية أي شيء لا يساير رغبتهم في وضعه أمام مرآة الغرب، والمقابلة بين إسلام يُقال عنه إنه مختلف وظلامي وغريب هو بالضرورة حداثي ومتحرر".

لقد قاد الانفتاح على الإسلام نسبياً في المجتمع الفرنسي ورواج الحديث عنه في الإعلام والأوساط العائلية عدداً من الفرنسيين إلى اختيار الدخول في الإسلام خلال مرحلة الثمانينات، مثل الفيلسوف المعروف روجيه غارودي والكاتبة (إيفا دي فيتراي)

والفنانين (موريس بيجات) و(كات استيفنس) وهو يوسف إسلام، وقد أكدت تلك الحالات للجميع أن الإسلام لم يعد موضوعاً غريباً عن المجتمع الفرنسي بل دخل في عمقه وأصبح جزءاً منه؛ إذ دخل في الإسلام حتى العام 1986 أزيد من مائة ألف فرنسي من جميع الأوساط والفئات الاجتماعية، بينما ضاعفت القناة التلفازية الفرنسية الثانية هذا الرقم عام 1988. إثر ذلك أخذ الإعلام الفرنسي يثير المخاوف من "غزو" فرنسا من طرف المسلمين الوافدين والمسلمين الجدد، وظهر نقاش جديد موضوعه:هل الإسلام جيد أم لا؟ هل الإسلام أفضل من المسيحية؟

ويعتبر المؤلف أن قضية الكاتب البريطاني من أصل هندي سلمان رشدي صاحب"آيات شيطانية" كانت حادثاً فاصلاً في حياة مسلمي فرنسا، وفي طريقة معالجة الإعلام الفرنسي لموضوع الإسلام، فعندما أثيرت القضية عام 1989 بعد فتوى الخميني ضد الكاتب البريطاني خرج مسلمو فرنسا في تظاهرات في الشارع منددة برواية رشدي، وقد اختلفت معالجة الإعلام الفرنسي لتلك التظاهرات، بعضهم اعتبرها "تظاهرة إسلامية"، وبعضهم وصفها بـ"التظاهرة المتطرفة"، والبعض وصفها بالإرهابية، كما اختلفت طريقة تغطية صور التظاهرات من قناة لأخرى، حيث ركز بعضها على مشاهد النساء والفتيات اللواتي تضعن الحجاب، بينما ركز بعضها الآخر على جلابيب الرجال ولحاهم، دون النفاذ إلى عمق المشكلة.

وقبل أن ينهي الكاتب هذا الفصل يتطرق لقضية الحجاب في فرنسا التي برزت عام 1989 هي الأخرى لتشكل بداية الاحتكاك المباشر للفرنسيين بالإسلام في الشارع والمدرسة والجامعة. يوضح الكاتب هنا أن الإعلام الفرنسي كان لديه خلط بين كلمة"التشادور"الإيرانية بسبب التركيز على الثورة الإيرانية، وبين"الحجاب" في المجتمعات السنية، كما أن البعض كان يطلق عليه اسم"اللباس الإسلامي"، والبعض اسم"اللباس القرآني". وقد أثيرت هذه القضية في أكتوبر 1989 عندما منعت ثلاث فتيات مسلمات من دخول إحدى المدارس، في سابقة أولى، فانتقل النقاش إلى البرلمان الفرنسي ووسائل الإعلام.

ضبط الأقلية المسلمة(2000–1990)

خلال هذه المرحلة . يقول المؤلف . تراجعت صورة إيران كممثل للإسلام لتحل محلها عراق صدام حسين أثناء غزوه للعراق للكويت ، والجزائر التي ظهرت فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وأصبح الإسلام يجسد في الذهنية الفرنسية ووسائل الإعلام"العدو" المضاد للغرب. لقد كانت الحالة الجزائرية أكثر تأثيراً في فرنسا من إيران التي لم تكن العلاقات معها قوية بما يكفي، ذلك أن الجزائر ذات ارتباط كبير بماضي فرنسا الاستعماري في شمال إفريقية، وهناك علاقات سياسية واقتصادية ولغوية متشابكة معها، جعلت التركيز يتم بشكل أكبر عليها، وقد حاول الإعلام الفرنسي أن يصور ما حصل في الكويت وفي الجزائر بأنه انعطاف تاريخي كبير في العالم العربي، وبداية بروز الإسلام على المسرح الدولي، على الرغم من أن صدام حسين كان دائماً في نظر الفرنسيين يمثل الحاكم العربي العلماني المعادي للإسلاميين، و"صديق فرنسا"الدائم. ويصف الكاتب التناول الإعلامي للإسلام في هذه المرحلة بكونه كان تناولاً قاصراً ومتحيزاً، ويقول بأن تلك المرحلة"كانت مرحة التوظيف الإعلامي والخلط المتعمد على جميع المستويات".

ويروي المؤلف أن الإعلام الفرنسي، ومن أجل محاولة تفسير الجبهة الإسلامية للإنقاذ للفرنسيين، رجع إلى التصورات الاستشراقية الأولى عن الإسلام والنبي محمد –صلى الله عليه وسلم– وقضية المرأة"المحجبة"و"المقموعة" و" المضطهدة " في العالم الإسلامي، وفي هذه المرحلة عادت بعض الأسماء المهتمة بالإسلام في الغرب للظهور على الواجهة الإعلامية، أبرزهم (برنارد لويس) الأمريكي؛ إذ تم بعث بعض كتاباته الخاصة بالموضوع، خصوصاً ما كتبه عام 1964 عندما وضع مصطلح"صدام الحضارات"لأول مرة، وراج في الإعلام الفرنسي أن الفجوة بين الغرب والإسلام ماضية في الاتساع أكثر فأكثر بشكل لم يسبق له مثيل من قبل.

في بداية التسعينيات أيضاً عادت قضية الهجرة لتحتل الواجهة الإعلامية، لكن بشكل مختلف عن المرحلة السابقة، حيث ظهرت عبارة"انتفاضة الضواحي" لتوصيف حالة المهاجرين القادمين من شمال إفريقية الذين يقيمون في أحياء شعبية تنعدم فيها شروط الحياة الكريمة، وصار الإعلام الفرنسي يسلط الضوء أكثر على هذه الأحياء واصفاً إياها بـ"الغيتوهات" و"المناطق الخارجة عن القانون"، وصار يطلق على

ســــاكنيها كلمـــات مثل"المســـلمون"، "الأجانـــب"، "المؤمنـــون"، "المغـــاربيون" و"البور"(المهاجرون المغاربيون المولودون في فرنسا)، وقد تعبأت وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة لمتابعة هذه القضية، ونظمت في القنوات التلفازية جلسات حوارية بعضها كان موضوعه: هل ينبغي على المسلمين الفرنسيين التخلي عن الإسلام من أجل اندماج أفضل وضبط أحسن للإسلام في فرنسا؟ ويقول الكاتب: إن المسلمين في فرنسا وجدوا أنفسهم مضيقاً عليهم الخناق بسبب هذه المعالجة الإعلامية التي حاصرتهم.

لكن القضية الجزائرية تطورت بشكل مثير خلال العام 1992 بعدما انقلب الجيش الجزائري على فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ في البلديات، حيث أصبح هناك تخوف من الانعكاسات السلبية لذلك التحول على فرنسا والمهاجرين المسلمين فيها. ويرى الكاتب هنا أن ما تحكم في الصحافيين والإعلاميين الفرنسيين هو تلك الصور النمطيــة القديمــة الموروثــة عــن الاســتعمار الفرنســي لشــمال إفريقيــة، بعيــداً عــن الموضوعية والعقلانية، حيث في الغالب كان يتم التركيز على بعض الحوادث العرضية والصور والمشاهد المعزولة لتقديمها وكأنها تمثل الإسلام أو المسلمين، مثل العراك بين جزائريين في الشارع، أو ارتداء سيدة جزائرية أو عربية للحجاب، أو مشهد شخص ملتحٍ يحمل بندقية، ولكي تكتمل الصورة في الذهنية الفرنسية، أطلق الإعلاميون والصحافيون على ما يحصل في الجزائر اسم"حرب الجزائر الثانية"، لمقارنتها بالحرب الجزائرية الأولى في الخمسينات من القرن الماضي ضد الوجود الفرنسي.

وقد شهد شه غشت شهر أغسطس من العام 1994 حادثاً بارزاً تمثل في اغتيال ثلاثة دركيين فرنسيين واثنين من مستخدمي القنصلية الفرنسية في الجزائر، ونُسب الحادث إلى عناصر من"الجيش الإسلامي للإنقاذ"، لكن فرنسا لم تتحرك لإجراء تحقيق في القضية؛ إذ حسب كاتبين فرنسيين في كتاب مشترك لهما عن العلاقات الجزائرية . الفرنسية فإن تلك الجريمة قام بها الجيش الجزائري بهدف توريط فرنسا مباشرة في الحرب ضد الجبهة الإسلامية وضمان مساندتها. لكن إثر ذلك الحادث شرع وزير الداخلية آنذاك (شارل باسكوا) في شن حرب على الجمعيات الإسلامية

التي يشرف عليها مسلمون وجزائريون، بدعوى أنها تعتبر "طابوراً خامسا" للإسلاميين الجزائريين الراديكاليين، وفتح الإعلام صفحاته وبرامجه (لباسكوا) وأصحاب هذا الرأي، وصار هناك تطابق تام بين الإسلام كدين والإسلاميين، فكل مسلم أصبح مشكوكاً في ولائه للإسلاميين الحركيين.

لكن تفجيرات صيف 1995 باريس واختطاف طائرة "الإيرباس" أحدثت تحولاً جديداً في التصورات عن الإسلام والمسلمين والجزائر خاصة، بعدها بأسبوعين تم اغتيال الشيخ الصحراوي الجزائري في قلب باريس، أحد الوجوه البارزة في تلك الفترة في الجبهة الإسلامية للإنقاذ. ويقول المؤلف: إن اغتيال الصحراوي شكل موضوعا رئيسياً لوسائل الإعلام الفرنسية التي اكتشفت فجأة أن هناك تيارين داخل الإسلاميين، التيار المعتدل والتيار المتشدد، ونتيجة لذلك أخذت وسائل الإعلام تميز بين الجبهة الإسلامية وبين الجيش الإسلامي للإنقاذ بعد سنوات من الخلط بينهما.

بعد وصول حركة طالبان إلى الحكم في أفغانستان عام 1996، وبروز الإسلاميين في تركيا، بدأ الإعلام الفرنسي يتجه بعيداً عن المسلمين الفرنسيين ليركز على قضايا أخرى مرتبطة بالإسلام بعيداً عن الجزائر ومنطقة المغرب العربي، ليخف الضغط الإعلامي عليهم لفترة معينة. غير أن هذه المرحلة شهدت نوعاً من الاتجاه نحو الموضوعية والصراحة في انتقاد طريقة تناول الإعلام الفرنسي للإسلام وقضايا المسلمين، فبدأ بعض الصحافيين والباحثين يستعملون عبارات "شيطنة الإسلام" و"المتخيل المعادي للمسلمين"، ووصل البعض إلى حد استعمال عبارة "الإسلاموفوبيا" أو نزعة معاداة الإسلام.

تطويق العدو غير المرئي(2005–2001)

كانت تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر حدثاً فاصلاً .كما يقول المؤلف .في تعاطي الفرنسيين مع الإسلام، "لقد دخلنا بعد الحادي عشر من سبتمبر في عصر جديد وغير مسبوق، أصبح الغرب فيها مستهدفاً في كيانه". وبعد ظهور أسماء زكريا الموساوي والفرنسي (جيروم كورتايلي) الذي اعتقل في هولندا بتهمة علاقته بتنظيم القاعدة، والبريطاني (رتشارد ريد)، أصبح الحديث الرائج في فرنسا هو عن "المؤامرة" التي تستهدف الجاليات المسلمة في فرنسا، وخاصة أبناء الضواحي، من

أجل تجنيدهم وإرسالهم إلى الحرب في أفغانستان مع تنظيم القاعدة، وهذا أدى إلى سيطرة"العقلية الأمنية"داخل الدولة في التعاطي مع المسلمين، فأصبحت المساجد والخطب ولقاءات المسلمين وجمعياتهم تخضع للرقابة الشديدة من طرف وزارة الداخلية ورجال المخابرات.

ويقول المؤلف إن هذه المرحلة كانت أخطر المراحل في المعاجلة الإعلامية للإسلام وشؤون المسلمين في فرنسا، فأصبح الشك هو الأصل في المسلمين، ويُطلق على تلك المعالجة تسمية"المعالجة الافتراضية" التي تنحرف عن الواقع باسم تدارك الخطر قبل وقوعه، مما أدى إلى حصول"انزلاقات"، كما حصل في حادث انفجار أحد المعامل في مدينة تولوز بعد أسابيع من تفجيرات نيويورك وواشنطن، حيث اتجهت أصابع الاتهام مباشرة إلى"إسلاميين"، وكانت أول قصاصة إخبارية لوكالة الأنباء الفرنسية فور الحادث تشير إلى وجود متطرفين إسلاميين وراء الحادث، قبل أن تلحق بها كافة وسائل الإعلام والصحف الأخرى، ليتأكد في الأخير أن ذلك كان مجرد شائعات لا أساس لها من الصحة، وتكررت نفس العملية مع حادث مطار (رواسي) عام 2003.

أهم ما طبع هذه المرحلة ـ حسب المؤلف ـ هو انتشار تحقيقات و(روبورتاجات) "ملفقة" في وسائل الإعلام الفرنسية التي كانت تقدمها البرامج الأكثر مشاهدة على القنوات، وقد برز اسم صحافي جزائري يدعى محمد سيفاوي الذي كان مرتبطاً بالجنرال خالد نزار وتيار في الجيش الجزائري، جاء إلى فرنسا قبل سنوات للعمل مع مجلة فرنسية هي(ماريان)، وبعد تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر بدأ يقدم نفسه كمتخصص في الإسلام مما جعل وسائل الإعلام تفتح له أبوابها، ثم أخذ يعد تحقيقات مصورة ملفقة يصور فيها نفسه وكأنه نجح في اختراق بعض الإسلاميين المتشددين، وتمكن من تصويرهم بكاميرا خفية والتقاط بعض تصريحاتهم المثيرة، مثل ذلك الشاب الذي صرح له أن فرنسا ستكون الهدف التالي بعد أمريكا، وعلى الرغم من كل تلك التلفيقات ـ يقول الكاتب ـ أكل الصحافيون والإعلاميون الفرنسيون الطعم؛ لأن سيفاوي كان يهدف إلى تشويه صورة الإسلاميين الجزائريين ودفع الفرنسيين إلى الحقد عليهم لتقديم خدمة للتيار الاستئصالي في المؤسسة العسكرية الجزائرية.

وخلال الفترة ما بين 2003 و2004 عادت قضية الحجاب مجدداً إلى الساحة الإعلامية، خاصة بعد التظاهرات المعارضة لطرد محجبات من المدارس، وقد نتج عن ذلك أن النقاشات حول الإسلام والحجاب في وسائل الإعلام أصبحت "أكثر تطرفاً وتشدداً"، إلى درجة أن أحد البرامج التلفازية في قناة (تي إف 1) في أكتوبر 2003 صُوّر مشهد لطالبات مسيحيات محجبات بلباسهم الكنسي في مدرسة كاثوليكية بمارساي ومشهد صليب معلق على جدار مدرسة أخرى ليؤكد أن"العلمانية موجودة في فرنسا"، دون أن يسأل نفسه لماذا ترفض هذه العلمانية حق مسلمات في ارتداء الحجاب.

في ختام الكتاب يؤكد المؤلف أن التغطية الإعلامية للإسلام وقضايا المسلمين في فرنسا لا تزال تهيمن عليها العقلية الاستعمارية، ويشير بنوع من المرارة إلى ظاهرة لافتة في الحياة السياسية الفرنسية: لقد كان اليمين واليسار الفرنسيان دائماً في صراع وتطاحن خلال الحرب الجزائرية، حيث كان الأول مؤيداً للاستعمار الفرنسي والثاني معارضاً له، لكن هذين التيارين التقيا فيما بينهما عندما تعلق الأمر بالإسلام، ويُطلق على هذه الحالة تسمية"مأزق الجمهورية الفرنسية".

==============

#الهلع الفرنسي من الحجاب... لماذا ؟

د. ليلى بيومي 1424/11/9

2004/01/01

إن ضعف الوازع الديني، وانتشار التحلل الأخلاقي، وتآكل دور الكنيسة في الغرب عموماً غير خاف على أحد، فلم يعد الوازع الديني يحرك أوروبا، بقدر ما أصبحت تحركها خريطة الجغرافيا السياسية والاستراتيجيات المتوسطة والبعيدة المدى، في ظل احتكار الولايات المتحدة لقيادة الحلف الأطلسي.

والرأي العام الغربي حيل بينه وبين المعرفة الكاملة بالعالم الإسلامي، وتولي الإعلام المغرض صناعة صور مشوهة مقلوبة لتحولات الإحياء الإسلامي، بالتمييز المصطنع بين مسلمين علمانيين ومسلمين متشددين.

هذه نقاط هامة نحتاجها ونحن نتحدث عن أزمة الحجاب في فرنسا هذه الأيام.

والحضور الإسلامي في ديار العلمانية لم يتجاوز قرابة خمسين عامًا من الزمان، فقد توجه إلى البلدان الغربية أفواج من المهاجرين منذ الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، بحثًا عن عمل يرفع مستواهم المادي والاجتماعي، أو سلوكًا لطريق علم تجريبي أو إنساني ينفع النفوس والمجتمعات، أو هروبًا من استبداد سياسي واحتماءً بالديمقراطية والحرية.

لكن الإسلام تحول من الجيل الثاني والثالث، من مهاجر غريب، إلى مواطن أوروبي يسعى إلى التخلص من جذوره الثقافية والسياسية الأولى، ليندمج في الثقافة الغربية والحياة السياسية العامة، وبذلك أصبح هذا الإسلام الأوروبي رقمًا صعبًا داخل المعادلات الداخلية والدولية، بالنظر إلى الصحوة الدينية المتزايدة للعالم الإسلامي، والنزعات التوسعية للولايات المتحدة، والصراع العربي الصهيوني حول فلسطين المحتلة والشرق العربي الإسلامي.

صورة الإسلام في الضمير الفرنسي:

استقبل الغرب بعامة، وفرنسا بخاصة، هجرة الإسلام إلى أوروبا بذاكرة مشحونة بالمعارك الحربية والمواجهات السياسية بين العالم الإسلامي والعالم النصراني في حوض البحر الأبيض المتوسط.

وبالإضافة إلى الذاكرة المشحونة تزاحمت في المنطقة الدماغية البصرية صور ذهنية سيئة للإسلام والمسلمين، ومرة أخرى كان الإعلام المهيمن والاستشراق المتحيز وراء صناعة التحريف والتخويف.

الحالة الفرنسية لها علة أخرى في مواجهة الإسلام تتعلق بماضيها الاستعماري وما عانته مع المقاومة وجيوش التحرير، وبخاصة في الجزائر، وذلك ما سماه بعض المتخصصين بعقدة "ما بعد الاستعمار"، وتفسيرها أن فرنسا تحتضن مسلمين ذوي أصول جزائرية يذكرونها وهم على ترابها بهزيمتها وانهيار إمبراطوريتها الاستعمارية.

فالهزيمة الفرنسية في الجزائر كانت سياسية أكثر من كونها عسكرية، وتركت جرحًا غائرًا في الشخصية الفرنسية الوطنية (سيزاري: التمثلات الفرنسية للإسلام، في كتابها: "هل يجب الخوف من الإسلام؟").

ويكفي استقراء البرامج التلفزيونية الفرنسية خلال السنوات العشر السابقة لإدراك صعوبة تجاوز الذاكرة الفرنسية للهاجس الجزائري، ومن الطبيعي أن تتحفز النفس الفرنسية، وهي تستقبل الجزائريين والمغاربة القادمين إليها من المستعمرات السابقة، وتلجأ إلى الرفض بطرق ملتوية، منها الحذر الشديد من الإسلام، ولو كان فرنسيا!، وتخشى فقدان الهوية الأصلية والانتماء، وترى في القادمين الجدد والدين الجديد تهديدًا للجوهر والأصل.

محطات فرنسية بارزة في قضية الحجاب:

قضية الحجاب التي تختزل قضية الحضور والمستقبل الإسلامي في فرنسا والغرب، شهدت شوطين كبيرين وساخنين، الأول عام 1989 والثاني عام2003.

وقد اعتبر بعض الكتاب الفرنسيين سنة 1989م سنة إسلامية لكثرة قضايا الحجاب في فرنسا وأوروبا وتركيا، ففي تلك السنة التهبت فرنسا وأوروبا بصدى الثورة الإيرانية، وظهور الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالجزائر وانفجار "الآيات الشيطانية" لسلمان رشدي، وتحول كثير من شباب ضواحي المدن الفرنسية نحو الإسلام.

وفي خريف تلك السنة تفجرت قضية الحجاب بفرنسا واحتلت كل شاشات التلفزيون الفرنسي رغم انشغال أكثر من 53% من الفرنسيين بانهيار حائط برلين وسقوط المعسكر الشيوعي وإسقاط الطاغية الشيوعي الروماني "تشاوشسكو".

وبدأ الانفجار في جريدة "لوكوريبه بيكاريو" في الثالث من أكتوبر، بعد أن أقدمت إدارة ثانوية "دوكريبه" على طرد ثلاث تلميذات محجبات, لتتوالى الأحداث من بعد ذلك؛ ابتداء من احتجاج أسر التلميذات، وانتهاء بالموقف الذي اتخذته يومذاك "دانييل ميتيران" زوجة الرئيس الفرنسي المتوفى "فرانسوا ميتران"، مرورًا بمواقف جمعيات مناهضة للتمييز العنصري وجمعيات مسلمي فرنسا مثل "الدعوة والتبليغ" و"اتحاد المنظمات الإسلامية" و"الفيدرالية الوطنية لمسلمي فرنسا".

ومنذ ذلك التاريخ وقضية الحجاب تسخن وتبرد حسب درجة حرارة الأحداث, إلى أن جاءت قضية تمثيلية المسلمين وتنظيم أنفسهم لتعيين مخاطب للحكومة.

أما سنة 2003 فهي سنة الاعتراف الرسمي بالإسلام في فرنسا، إذ تأسس فيها المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية، المجلس الذي يعد المخاطب الرئيس في قضايا

المسلمين بفرنسا؛ اجتهد وزراء سابقون في تأسيسه، إلى أن كللت جهود وزير الداخلية الحالي "نيكولا ساركوزي" بالنجاح بعد أن استطاع جمع جميع المسلمين في هيئة واحدة تنطق باسمهم وتنظم أمورهم وتدافع عنهم وتحظى بالاعتراف الرسمي من لدن الحكومة الفرنسية.

وبالموازاة مع مداولات التأسيس هبت حملة إعلامية جديدة حول هذا الأمر، وحول الحجاب الإسلامي من جديد. في هذا السياق الساخن شكّل الرئيس الفرنسي لجنة ستازي، وإلى جانبها تشكلت اللجنة البرلمانية برئاسة رئيس البرلمان دوبري. اللجنة الأولى تشكلت من 20 من "الحكماء" وعملت لمدة 6 أشهر عقدت فيه 120 جلسة اجتماع. ويوم 11 ديسمبر الأخير قدمت تقريرها للرئيس مقترحة فيه مجموعة من المقترحات حول الحجاب وحماية العلمانية وإدماج المسلمين، وكان الرئيس الفرنسي قد صرح في تونس يوم الجمعة 6 ديسمبر بأن الحجاب يشكل عدوانًا على العلمانية.

تناقضات الحرية الفرنسية:

العجيب أن فرنسا بلد الحرية تخاف وترتعد من غطاء رأس نساء المسلمين، الحرية الفرنسية يتمكن منها العراة والشواذ وتستميت الهيئات السياسية والحقوقية الأممية والقطرية في الدفاع عنهم بجميع المحافل والمنتديات، والضغط بكل وسيلة ممكنة لضمان حرية التعري والشذوذ، في حين أن المتدينين لا حرية ولا حقوق لهم، وليس لهم من يحميهم ويدافع عنهم إلا الله وأهل الإنصاف والتعقل والضمير الحي، وقليل ما هم.

ففي الغرب عمومًا، الشاذ جنسيًّا لا حرج عليه، ويجد من يدافعون عنه، بل هناك رجال دين يلقون الخطب والمواعظ "البليغة" ويرشدون الناس إلى الأعمال الصالحة والمعاملات الحسنة، ومع ذلك هم شواذ وفضائحهم تملأ الآفاق.

وما دامت الحرية مصونة مضمونة للشذوذ الجنسي، فلماذا لا يصبح رجال التربية والتعليم من الشاذين جنسيا؟ وما المانع؟ ليس هناك أي مانع! فليعلنوا إذًا عن شذوذهم وتجمعاتهم، وليناشدوا رجال الحق والقانون أن يدافعوا عنهم، ورجال الصحافة والإعلام أن يسلطوا الأضواء على "محنتهم واضطهادهم".

وهكذا فمن عجائب الدهر أن للشذوذ الجنسي مشروعية الوجود، وقانونية الحماية والدفاع، وإمكانية الانخراط في كل مجال وقطاع، أما الحجاب الإسلامي فلا شيء له من ذلك، ويخشى أن يصبح جريمة ومخالفة يعاقب عليها القانون! ولم العجب وقد قال رئيس الجمهورية الفرنسية في قلب العاصمة التونسية وفي يوم جمعة "إن الحجاب الإسلامي بمثابة عدوان على العلمانية"؟!.

تحالف بين الغرب والعلمانيين المسلمين:

عندما بدأت مظاهر الصحوة الإسلامية تدب في العديد من بلدان العالم وانتشر الحجاب في بلاد المسلمين ووسط بناتهم في الدول الغربية ارتعد الغرب ومعه العلمانيون العرب والمسلمون، وبدؤوا في محاربة الحجاب الإسلامي حرباً لا هوادة فيها، ووصفوا الحجاب بأنه يغطي على عقل المرأة وأنه جزء من اضطهاد الإسلام لها ونعتوا المحجبات بنعوت لا تليق، ورموهن بالتخلف والرجعية والاستسلام لسطوة الرجل وغيرها مما ينعق به الناعقون.

اتخذت هذه الحملة أشكالاً عديدة فمرة نسمع من يقول إن الحجاب يعزل المرأة عن بقية شرائح المجتمع ويحرمها من دورها وظهر من يدعو إلى (تحرير) المرأة وغيرها من الدعاوى المتهافتة، ونسي هؤلاء الذين لا هم لهم إلا تحرير المرأة من قيمها واحترامها لنفسها أن الإسلام ما شرع الحجاب إلا صوناً للمرأة المسلمة وتكريما لها وإعلاءً لقدرها وتقديراً لدورها في المجتمع إذ أن المرأة المحجبة تكون بمنأى عن مشاكسات الذئاب البشرية ومصانة ممن لا يريدون لها إلا أن تكون متاعاً ومكاناً لتفريغ الشهوات.

وعندما يشعر هؤلاء أن ما ساقوه من حجج يتساقط من تلقاء نفسه نسبة لضعفه وعدم موضوعيته نجدهم يلجؤون إلى الاستشهاد برأي بعض علماء الدين، الذين باعوا دينهم بدنياهم، فيلوون لهم أعناق الحقائق ويستشهدون بأدلة ليست في مكانها ويفسرون الأحكام الإسلامية حسب هواهم متوهمين أن هذه الافتراءات سوف تنطلي على الأمة الإسلامية، وما دروا أن علماء الأمة الأمناء على دينها واقفون لهم بالمرصاد مفندين حججهم ودعاواهم.

عجز العلمانية الفرنسية:

لا ينبغي النظر إلى دلالات التوجه الفرنسي إلى منع الحجاب وباقي المظاهر الدينية خارج سياق عجز العلمانية الفرنسية عن التكيف مع المتغيرات الاجتماعية والثقافية والفكرية التي تطرحها العولمة كتحد على المجتمع الفرنسي في وقت لا تزال تشهد البلاد فيه دعوات إلى الانفصال على أسس إقليمية أو قومية كما هو الحال في كورسيكا، الأمر الذي يعني أن المركزية في الدولة الفرنسية باتت تتحول تدريجيا إلى الحد من الفيدرالية وفي الوقت نفسه فإن العلمانية كمصلحة عليا للدولة – تتحول إلى ضد الدين وليس الفصل عنه، وبالتالي تعجز الدولة عن استيعاب تعبيرات الهوية الاجتماعية للجماعات الدينية على اختلافها، وهو الأمر الذي أشارت إليه وزيرة التنمية الفرنسية تقيه صيفي «مسلمة من أصل جزائري» عندما قالت عقب خطاب شيراك الذي دعا فيه إلى منع المظاهر الدينية:

«إن خطاب الرئيس شيراك يساعد على النهوض بسياسة إدماج المهاجرين العرب والمسلمين في النسيج الوطني الفرنسي» الأمر الذي يعني أن المسألة لا تشير إلى خلل في العلمانية الفرنسية فقط؛ بل إلى وجود إشكالية اجتماعية سياسية تتعلق أساسًا بالجالية الإسلامية في البلاد دون التقليل من تأثير الجماعات الدينية ونفوذها وتهديدها للعلمانية في الوقت نفسه.

لعل ما يهم العالم العربي والإسلامي هنا هو ما يتعلق بالجالية العربية والإسلامية في فرنسا أولاً، وثانيا: علاقة التشريع المنتظر صدوره في فرنسا بالتجارب العلمانية الجارية في بعض الدول العربية والإسلامية مثل تركيا وتونس وغيرهما من الدول التي تعاني من أوضاع اجتماعية ودينية مشابهة لجهة علاقة النظام بالمجتمع وهويته الإسلام

============

#أمريكا والإصلاح السياسي العربي

عمان / محمد أبو رمان 1427/6/24

2006/07/20

لم تكن الدعوة الأمريكية للإصلاح في العالم العربي، عقب أحداث أيلول، وما رافقها من خطاب تحريضي في الدفع باتجاه الديموقراطية سوى لحظة خاطفة في السياسة

الخارجية الأمريكية، التي وضعت دوما (فيتو) على وصول إسلاميين إلى الحكم، وعملت باستمرار على مساعدة النظم العربية في التصدي للحركات الإسلامية سواء المعتدل والسياسي منها أم المتطرف.

ما يدلل على خطورة العامل الخارجي، على مسار الإصلاح السياسي العربي، أنه في اللحظة التي رُفع فيها الغطاء الأمريكي عن النظم العربية، ومُنحت الفرصة للحركات الإسلامية والمعارضة بالتحرك تحرك المشهد السياسي العربي بأسره وظهرت النظم العربية بلا حول ولا قوة أمام قوة الدفع الشعبي باتجاه الإصلاح السياسي، إلى أن أعادت الإدارة الأمريكية تجديد الصفقة مع النظم على حساب المعارضة وعمودها الفقري الحركات الإسلامية – بفعل أزمتها في العراق، مع نتائج الانتخابات في مصر وفلسطين، والبرنامج النووي الإيراني– .

أقدّم بهذه الملاحظة في سياق مناقشة مقال "الإسلاميون واختطاف الديموقراطية في الشرق الأوسط" لـ(توماس فريدمان) – الكاتب الأمريكي الصهيوني المعروف – الذي يحيل فيه مسؤولية تعطل التحول الديموقراطي العربي إلى سيطرة الحركات الإسلامية، المعادية للولايات المتحدة، على الشارع. يقول (فريدمان):

"بالنظر إلى ضحالة جذور شجرة الديموقراطية في هذه المنطقة، مصحوبة بإضعاف الأكثريات المعتدلة وترهيبها، فقد أفرز لنا العالم العربي الإسلامي أسوأ ما في التجارب الديمقراطية على الإطلاق". ويصل (فريدمان)، في خاتمة المقال، إلى أنّ الديمقراطية "لا تصلح للتطبيق في كل مكان".

بعيداً عن مساءلة مشروع الإسلام السياسي، في المشرق العربي تحديداً، فإن مقال (فريدمان) هو تأكيد للاتجاه الغالب في الأوساط السياسية والإعلامية الأمريكية التي تدعو إلى وقف الدعوة الأمريكية للإصلاح بدعوى أن الشروط الثقافية والاقتصادية– السياسية في المنطقة لم تنضج بعد لتطبيق الديموقراطية، فتقدم تياراً ليبرالياً عقلانياً بديلاً عن الحالة القائمة، بحيث تمثل العقلانية، في هذا السياق، الموالاة المطلقة للسياسة الأمريكية والاحتلال الإسرائيلي والتنكر لمختلف مشاريع "المقاومة".

(فريدمان) لا يكتفي بالاعتراف أنّ نتائج الانتخابات وصناديق الاقتراع تأتي بما لا يتوافق مع مصالح العم سام ومشروعه في الهيمنة على المنطقة، لكنه يريد أن يتذرع

بأنّ هذه الأحزاب تتخذ الديموقراطية كحصان للوصول إلى أهدافها المتمثلة بأسلمة المجتمعات العربية، بينما الأكثرية العربية، كما يصورها (فريدمان)، تخشى مواجهة "الأصوليين"؛ إذ إنّ من يعارض حزب الله وحماس يجري النظر إليه وكأنّه دمية في يد الأمريكيين.

من الواضح أنّ رؤية (فريدمان) تخلط الحابل بالنابل، لكنها في الوقت نفسه تبين حجم الوهم الذي يقع فيه المنظور الاستشراقي الجديد عند قراءته للواقع العربي، والإصرار على تجاهل دور السياسة الأمريكية والاحتلال الصهيوني في منح الإسلام السياسي، الذي يشكو منه (فريدمان)، الذرائع الفكرية والسياسية والقاعدة الاجتماعية الساخطة على الظلم الذي تراه ليل نهار، بحيث أوجدت الولايات المتحدة داخل كل منا إنساناً "متطرفاً" تحت طائلة همجية سياساتها والظلم التاريخي الذي تضعه على كاهل المجتمعات والشعوب العربية والمسلمة.

لن أُتعِب (فريدمان) في استقراء الواقع العربي ليجد أيدي أميركا وإسرائيل مغموسة في كل طامة كبرى تعيشها المنطقة، بما في ذلك صناعة العداء لها، وبما في ذلك أيضاً المنظمات المعادية بقوة للسياسة الأمريكية، وإلاّ فما هو سر نفوذ القاعدة وقوة تأييدها في الأوساط الشعبية والشبابية العربية. بالتأكيد ليس فكرها السياسي والديني بالدرجة الأولى، الذي تختلف معه شرائح سياسية وفكرية بل وإسلامية واسعة، إنّما لأنها الجماعات الوحيدة التي تقف-عسكرياً- في وجه الجيوش الأمريكية، فأصبحت "القاعدة" ماركة مسجلة عالمياً بفضل العم سام وسياساته.

كما وعدْتُ (فريدمان)، لن أجهده في قراءة الواقع العربي، لكنني أود التوقف عند المشهد العراقي؛ فقد بشّرنا (فريدمان) نفسه قبيل احتلال العراق بأنّ الولايات المتحدة ستحوله إلى نموذج للديموقراطية في المنطقة العربية، فماذا فعلت به السياسة الأمريكية؟! أحيل (فريدمان) هنا إلى كتاب "العراق.. منطق الانسحاب" للكاتب الأمريكي (أنتوني أرنوف)، فقط لنقرأ معاً الوحشية والهمجية التي مارسها الأمريكيون بالعراق، على حد تعبير (أرنوف). عن ماذا نتحدث: عن الفساد المالي والشركات الخاصة الأمريكية التي نهبت العراق! عن الفوضى والقتل لمجرد الاشتباه! عن اغتصاب الفتيات وتعذيب همجي في السجون بمعرفة وتغطية من بوش ورامسفيلد!

عن التعبئة النفسية للجندي الأمريكي التي تقدم له العربي كحيوان يمكن تعذيبه بل قتله بدم بارد! عن ذبح وحدة العراق على مسلخ مصالح وأوهام المحافظين الجدد! عن المجازر اليومية بحق أبناء العراق...!

لا ننكر أنّ لدينا أزمة ثقافية في العالم العربي، ولا نوافق بعض الحركات الإسلامية على أجندتها السياسية والفكرية كاملةً، ولسنا بحاجة إلى معرفة أثر داء الاستبداد والاستعباد الذي تمارسه علينا حكوماتنا، لكننا نعرف قبل هذا وذاك أنّ السياسة الأمريكية والاحتلال الصهيوني يمثلان، دوماً أحد أبرز كوابح الديموقراطية في العالم العربي، فما عليك يا (فريدمان) – لتتأكد من ذلك – إلاّ أن تسأل أي طفل في الشارع العربي عن موقفه من السياسة الأمريكية

============

#نحو تأصيل التخطيط العمراني

قراءة: عبد الحق بوقلقول 1427/9/19

2006/10/12

عنوان الكتاب جوهر التمدن الإسلامي: دراسات في فقه العمران

المؤلف د. مصطفى بن حموش

حجم الكتاب 207 صفحة مقاس 'A4'

الناشر دار قابس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ثم دار البصائر بالجزائر

صدر قبل فترة قليلة عن دار قابس للطباعة و النشر والتوزيع ببيروت، كتاب جديد بعنوان "جوهر التمدن الإسلامي: دراسات في فقه العمران" للمؤلف الدكتور مصطفى بن حموش الذي يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً بكلية الهندسة في جامعة البحرين.

الكتاب في عمومه، عبارة عن مجموعة مقالات علمية محكمة نُشرت في مختلف المجلات العربية خلال السنوات العشر الأخيرة، و هي تتعرض بصفة عامة إلى أهم الركائز النظرية التي قام عليها التمدن الإسلامي، و لقد عززها المؤلف بعدد معتبر من الصور البديعة عن فن العمارة و فلسفة العمران عبر التاريخ الإسلامي.

من خلال هذا الكتاب، يهدف المؤلف بالدرجة الأولى إلى عرض جوهر التمدن الإسلامي عبر استقراء ثنائي: بين النص الإسلامي و البيئة الحضرية القديمة، و يردّ

في ذات الوقت على بعض التهم الموجهة إلى المدن الإسلامية التي يقول عنها المؤلف إن الفوضى و العشوائية تغلبتا عليها.

ينطلق الكاتب من مصطلح التمدن، و هو ما يرادف العمران أو اجتماع الناس و تكوّن المستوطنات البشرية. و قد آثر الباحث عدم استعمال كلمة المدينة لأسباب كثيرة منها: أن هذا المفهوم أصبح في يومنا يقتصر على نوع معين من المستوطنات، و يمنع غيرها من الدخول في المفهوم العام للتمدن، و كذلك لشيوع هذه الكلمة في الكتب و اختلاف المفاهيم فيها مما جعلها مائعة و غامضة التعريف.

يعتقد الدكتور بن حموش أن للتمدن الإسلامي جوهراً و مظهراً؛ فقد حاول كثير من الباحثين الغوص في ماهية التمدن الإسلامي قصد استخراج خصوصياته. و الحقيقة أن كثيرين من بينهم، انتهى المطاف إلى بعض الخصوصيات الشكلية مثل استعمال الأقواس و الزخارف و القبب و الواجهات الصماء أو المشربيات و استعمال الأحواش للمباني و الشوارع المتعرجة و التكاثف في المباني ... إلى غيرها من الأوصاف التي تشترك فيها المدن الإسلامية العتيقة. هذه العناصر و إن كانت صحيحة وثابتة، مثلما يقول المؤلف، إلاّ أن التوقف عندها يجعل من التمدن الإسلامي شكلاً محدداً و طرازاً عمرانياً يقتصر على الجانب المادي، و تراثاً تاريخياً مرتبطاً بالزمان و المكان الذي تطور فيه.

لأجل ذلك فإن الكاتب ارتأى تجاوز ذلك المظهر في سبيل أن نستشف جوهر هذا التمدن الذي يتمثل في المقاصد و الغايات المستمدة من الشريعة و العقيدة و الأخلاق التي يقوم عليها هذا التمدن و التي هي من صلب الإسلام. و من هذه المقاصد مسألة القرابة و النسب، و حفظ الأعراض، و حدود استعمال السلطة العامة بعيداً عن الاستبداد أو الإهمال، و مبدأ الحرية الفردية أو الولاية الخاصة، و مبدأ عدم الضرر، و عدم الفساد في الأرض أو المحافظة على البيئة.

فالاعتقاد بديمومة الإسلام يدفع إلى ضبط هذه المقاصد لتكون مرجعاً ثابتاً لكل معنيٍّ بميدان التمدن و العمران. فكونها تتجاوز حدود الزمان و المكان، يتطلب أن يُعاد صياغة تمدننا المعاصر وفقها حتى لا يكون في تناقض مع تحدّيات العصر المتميز بهيمنة السيارة و تكنولوجيا التحكم في البيئة و ثورة الاتصالات.

هنا يصل الكاتب إلى طرح هذا التساؤل المحوري: ما هو الموقف من التراث العمراني المتمثل في المدن القديمة و المباني العتيقة؟ إنه ببساطة يمثل كيفية استجابة المسلمين لمقاصد الإسلام و غاياته العامة في فضاءات زمانية و مكانية محددة. و لذلك وجب حفظه كشاهد لتلك الرابطة بين الإسلام و البيئة الحضرية و مدى نجاح عقل المسلم في إقامة تلك الرابطة.

و لذلك فإن الاهتمام بجوهر التمدن الإسلامي لا يعني الدعوة إلى نسف التراث الحضري أو الحط من قيمته، إنما هو توظيفه للغايات الأسمى للبشرية –في عمارة الأرض– وفق ما جاء بها الإسلام.

و هنا نلحظ أن هذه النظرة، تلتقي مع أفكار المدارس العمرانية التي تدعو إلى إعادة الاعتبار للتاريخ الحضري كمصدر استنباط بدل المدارس 'العصرانية' التي تقوم على نكران الماضي و الهروب دوماً إلى المستقبل. فقد اكتسبت البشرية خبرات متراكمة في كيفية إنشاء المدن و تطويرها و إدارتها على مر القرون الطويلة بطول عمر الظاهرة العمرانية، و هي خبرات يجب عدم التفريط فيها بأي حال. و نحن كمسلمين– كما يقول الباحث– اشتركنا في هذا الإرث البشري لعدة قرون من خلال إضافتنا إلى نحو (450) مدينة إلى رصيده. و بالتالي فإن مساهمتنا المستقبلية، تكون بقدر اجتهادنا في صياغة جوهر التمدن الإسلامي في الميدان المعاصر وفق معطياته الحضارية الحالية. فليست هناك –وفق فلسفة كارل بوبر– حتمية تاريخية تشفع لنا، و تضمن لنا العودة إلى دورة الحضارة و لعب دور رئيس فيها، و إنما هو إعادة الاعتبار لهذا الجوهر بتحدينا للظروف المحيطة بنا، و اجتهادنا المستمر في تطبيقه و تقديمه في صورة لائقة للعصر.

من ناحية عرض الكتاب فإن محتواه ينقسم إلى ثلاث مجموعات. فالمجموعة الأولى تتمحور حول بعض القيم السلوكية التي كان لها الأثر المباشر في تشكيل المدن. و يدور الفصل الأول منها حول مسألة القرابة و أثرها على هندسة المدن الإسلامية و تركيبها الفضائي؛ إذ قد أخذت القرابة صوراً مادية في المدن الإسلامية تمثلت في تكوّن الأحياء السكنية و الطوائف الحرفية، و في التدرج الفضائي الحضري، و في تداخل المباني فيما بينها.

أمـا الفصــلان الثـاني و الثالـث فيطرحـان مشـكلة الاطـلاع و التكشـف فـي مـدننا المعاصرة التي نتجت بسبب تبني نماذج المباني العصرية المفتوحة، و التي تأسست علـى قيم سلوكية غربيـة انتشرت فـي البلدان الإسـلامية ابتداء، بفعل الاحتلال، ثم تكرّست بفعل قوانين التخطيط و العمارة و اللوائح التنظيميـة المعمول بها حالياً. و لذلك يقدم لنا تراثنا سواء المادي عبر بقايا مدننا العتيقة، أو الفكري من خلال كتب التـاريخ و الفقـه والقضـاء، مـادة صـالحة لدراسـة المسـألة المطروحـة و معرفـة كيفيـة الاستجابة لهذا المطلب الاجتماعي و الثقافي.

أما الفصل الرابع فيُعنى بمجموعة القيم الروحية التي يحملها العمران الإسلامي، و التي تنتظم في ثلاث كليات هي الكلية الربانية و الكلية الإنسانية و الكلية البيئية. و يكشف الباحث فيه عن أسس هذه الكليات المبثوثة في العقيدة و الأخلاق و التشريع، ثم يتتبع أثرها المادي في تشكيل المدن.

أمـا المجموعـة الثانيـة فهـي تسـتعرض أطروحـات حـول مسـألة السـلطة و الإدارة فـي المدن الإسلامية التي تندر المراجع فيها، و التي ظلت تعاني من النظرة الاستشراقية الأولى إلى المدن الإسلامية بكونها تفتقد إلى النظام الهندسي و بالتالي إلى الإدارة. فالفصل الخامس يلقي الضوء على العلاقة الثنائية الموجودة بين مفهوم السلطة و المدينة، و ذلك من خلال مصطلح الولاية. فقد أقرّت الشريعة الإسلامية مبدأ حرية التصـرف فـي المـال بمـا فـي ذلـك العقـارات للأفـراد و الجماعـات فـي إطـار مبـادئ معيّنة، كما أصّل الفقهاء لمبدأ الولاية العامة التي تتكفل بالمصلحة العامة. و لذلك فـإن كـلا الطـرفين مـن معادلـة الولايـة كـان لـه دوره فـي تشـكيل المـدن الإسـلامية و صياغة هندستها الحضرية.

و يعود الفصل السادس إلى مناقشة مفهوم السلطة من المنظور العصري؛ إذ يرتكز علـى إسقاط نظريـة ابـن خلـدون التـي تقرر أن: "الظلم مؤذن بخراب العمـران" علـى واقعنا المعاصر. فالكثير من المشكلات التي تعانيها مدننا المعاصرة التي تظهر من خـلال رداءة المحيط الحضري يعود سببها إلـى فقدان التوازن الموجود بين مختلف أوجه السلطة. و لذلك فإن تحسين البيئة الحضرية يكون عبر إعادة هذا التوازن في الهياكل الإدارية التي تسيّر المدن.

أما المجموعة الثالثة فتتعلق بمستوى التشريع العمراني الذي وصلت إليه الإدارة في المدن الإسلامية القديمة؛ إذ في وسعنا أن نقرأ في الفصل السابع ما يمكننا القول إنه عرض تاريخي لأهم مراحل التشريع العمراني الإسلامي و تنوعه بحسب الاجتهاد المذهبي. في حين أن الفصل الثامن فيه عرض لأهم المعايير التخطيطية و الهندسية التي طوّرها المسلمون من خلال تجاربهم في إنشاء المدن و إدارتها اليومية أو من خلال اقتباسها من الحضارات السابقة أو باستقائها مباشرة من نصوص الشريعة.

============

#الزنداني: هذه وصاية على سكان الأرض

حوار: عبدالفتاح الشهاري 1425/1/10

2004/03/01

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر والتتابع الهجومي الشرس ملحوظ من الإدارة الأمريكية على العمل الإسلامي وقياداته في كل مكان، متخذة في سبيل ذلك أوهى الحجج وأوهنها، ومتكئة على قائمة مزعومة تسمى قائمة الإرهاب، والتي لا يُعرف مصدرها القانوني، أو مدى شرعيتها الدولية، وقد نالت هذه القائمة عددًا من الجمعيات والمؤسسات والقيادات الإسلامية في كل مكان، فأُقفل بسببها عدد من المؤسسات، وصودر كثير من الممتلكات، وأوقف من أجلها الكثير من الدعاة والعلماء، وكان آخرهم، فضيلة العلامة اليمني الشيخ (عبد المجيد الزنداني) مؤسس وصاحب جامعة الإيمان، التي تم إنشاؤها في عام 1414هـ بموجب قرار حكومي معتمد من وزارة التربية والتعليم، عضو اتحاد الجامعات العربية، تهدف – كما جاء في أدبياتها – إلي تخريج العلماء الأتقياء الربانيين من الجنسين، القادرين على الاجتهاد المؤهلين لحمل رسالة الإيمان في مختلف التخصصات قولاً وعملاً، وتضم (26) قسمًا علميًّا في أربع كليات. كما تمتاز الجامعة بأقسام لم يسبقها إليها كثير من الجامعات مثل أقسام (التزكية)، (الإيمان)، (العلوم الكونية والإعجاز العلمي)، (الحسبة)، (الإعلام الإسلامي)، (الاستشراق)، (السياسة والسياسة الشرعية)، وتمتاز الدراسة في الجامعة بأنها عشر سنوات بعد الثانوية تشترط التفرغ التام للعلم الشرعي

وتوفر الجامعة للدارس السكن والكتب الدراسية والمختبرات والتغذية، والرعاية الطبية، والمواصلات، والوسائل التعليمية، وتقوم الجامعة على مبدأ فصل الطالبات عن الطلاب وتنقل المحاضرات المشتركة عبر دوائر تلفزيونية مغلقة، وتعتمد الجامعة في تمويلها على التبرعات والأوقاف والزكوات، وقد منحت الحكومة اليمنية الجامعة أرضًا تقدر مساحتها (577.200)م2

ورغم حرص الشيخ الزنداني على عدم إجراء أي لقاء إعلامي إلا أنه خصَّ موقع (الإسلام اليوم) وقراءه بهذا الحوار المقتضب، والذي كنا نأمل أن يطول كثيرًا ويكون شاملاً لولا الوضع الحرج الذي يمر به الشيخ مما اضطره إلى اختصار الكثير من الأسئلة.. فنسأل الله لشيخنا التوفيق والسداد، ولقراء (الإسلام اليوم) الفائدة..

في بداية هذا اللقاء نرحب بفضيلة الشيخ عبدالمجيد الزنداني، وننقل له باسم جميع إخوانه المسلمين أسفهم على ما تناقلته وكالات الأنباء من ضمكم إلى قائمة ممولي الإرهاب، فنسأل الله لنا ولكم الثبات..

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، ففي هذه الظروف الملبدة بغيوم الهجوم على الإسلام والمسلمين؛ فإني أحسست بدفء الأخوة ومؤانسة الرفيق في الطريق المستقيم الموصل إلى مرضاة ربنا جل وعلا وأشكركم على اهتمامكم ويسرني أن أجيب عن أسئلتكم..

فلنبدأ من الأخير ونتساءل عن وقع ما تناقلته وسائل الإعلام من ضمكم إلى قائمة ممولي الإرهاب.. تساؤلات عديدة تتضارب تجاه هذا الخبر. ولكن بداية ما وقع هذا الخبر عليكم؟ وهل كنتم تنتظرون مثل هذا الإجراء الأمريكي؟

لا أقول إلا أني استغرب واستنكر هذه الدعاوى التي لا أساس لها من الصحة.

هل ينتظر منكم تحرّكًا تجاه هذا القرار؟

هذا العدوان الموجه إليّ من دولة كبرى، والرد عليه يجب أن يكون من الدولة التي أنا مواطن فيها، والاستنكار يجب أن يكون من أمة مسلمة أنتمي إليها طلب منها رسولها –عليه الصلاة والسلام– أن تكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

ما موقف الإصلاح واللقاء المشترك والحكومة اليمنية مما يدور الآن حول مسألة إدراجكم التعسفي ضمن هذه القائمة المزعومة؟

لقد اهتز جميع أبناء الشعب اليمني لهذا الخبر حكومة وشعبًا، وتنادت قيادات الإصلاح لدراسة الموقف من هذه الادعاءات الكاذبة وطالبوا الحكومة بالقيام بواجبها في دحض تلك الافتراءات ونأمل من أحزاب اللقاء المشترك وسائر الأحزاب اليمنية والقوى السياسية أن تتخذ نفس الموقف وأن تستنكر هذا الابتزاز، كما نأمل أن تتصدى الحكومة اليمنية لهذا الهجوم الأمريكي على مواطنيها.

فضيلة الشيخ السؤال الذي يطرح نفسه بقوة: ما هي شرعية تلك القائمة التي تحتفظ الإدارة الأمريكية بإضافة من شاءت فيها وشطب من شاءت منها؟

هذه وصاية على سكان الأرض تتجاوز حقوق الإنسان التي يطبلون لها بأفواههم ويخالفونها بأعمالهم وتتجاوز استقلال البلدان ومواثيق الأمم المتحدة وتعتمد على ما يسمى بالأدلة السرية التي لم يعرف لها مثيل في التاريخ. والظلم لا يتحمله الإنسان وقد حرمه الله على نفسه وهو الملك لكل شيء وجعله بين عباده حرام وعواقبه سيئة.

فضيلة الشيخ يبدو واضحًا الآن تصيُّد وتربُّص أمريكي واضح لكل الرموز الإسلامية التي لها تأثيرها على الشباب والدعوة، فما الذي تتوقعونه حيال هذا الأمر؟

أتوقع منهم الثبات على الحق وعدم الاستسلام لهذا الابتزاز. والحق ما وافق الكتاب والسنة والباطل هو ما خالفهما.

إلى أي مدى يمكن أي يؤثر هذا القرار الأمريكي في مسار جامعة الإيمان؟ وهل من المتوقع أن تستغل الحكومة اليمنية هذا الأمر لكي يكون مبررًا لها لإلغاء الجامعة؟

لقد أشار القرار إلى جامعة الإيمان واتهمها اتهامات باطلة، وأن الذي قتل الثلاثة المبشرين في جبلة طالب جامعة الإيمان، وهذا كذب وافتراء؛ فالذي قام بهذا الأمر لا صلة له بجامعة الإيمان البتة وليس من طلابها؛ ولكنها الادعاءات بغير برهان، وجامعة الإيمان جامعة يمنية تخضع لدستور اليمن وقوانينها وقد وضع حجر الأساس لها رئيس الجمهورية وأثنى عليها ودافع عنها عدة مرات.

ما موقف فضيلتكم من قضية الشيخ المؤيد؟

قضية الشيخ المؤيد – فرج الله عنه – وعن أسرى المسلمين هي صورة للدعاوى الكاذبة والتواطؤ الظالم بين دول على الباطل ضد أفراد أبرياء، وحتى الآن لم تتمكن الحكومة الأمريكية من تقديم أي دليل أمام القضاء.

أخيراً فضيلة الشيخ عبدالمجيد الزنداني ربما لن نستطيع المرور في هذا الحوار السريع دون أن نعرج بدافع الفضول إلى أن تخصوا قراء موقع الإسلام اليوم بما أثير عن دعوتكم لزواج فريند؟

بارك الله فيكم وأشكركم على اهتمامكم بنا وجزاكم الله خيرًا، وبما أنه قد كثر الحديث عن هذا الزواج وأثيرت عليه ضجة أخرجته عن مساره الذي أردناه.. فأنا لم أناد إلى صيغة جديدة للزواج، بل هي الصيغة المقرة عند علماء الإسلام بأركانها وشروطها المعتبرة، كما أن الزواج الميسر الذي اقترحته لا يتفق مع زواج المتعة الذي يقوم على التوقيت، ولا يترتب عليه استحقاق الإرث بين الرجل والمرأة ولا ينهى بالطلاق المشروع إلى غير ذلك من أوجه اختلاف بين الزواج الشرعي وزواج المتعة.

وأما الاسم الذي أطلق على الفكرة فكان من باب المشاكلة عند المناقشة (بوي فريند، وزوج فريند) وتعرض الاسم "زوج فريند" للتحريف الإعلامي إلى "زواج فريند" مما أوهم أنه صيغة جديدة للزواج، وأنا لا أدعو إلى مصطلحات غير شرعية، وأرى أن يكون مسمى هذه الصورة (الزواج الميسر للمسلمين في الغرب) بدلاً عن مصطلح "زواج فريند".

==========

#البديل الإسلامي في مجال الإعلام

د. عبد القادر طاش 1425/2/15

2004/04/05

تتميز رسالة الإسلام بأنها منهج شامل للحياة بامتدادها الدنيوي والأخروي: (قُل إنَّ صَلاَتي ونُسُكِي ومَحْياي ومماتي للهِ ربِّ العالمين، لا شَريكَ له وبذلك أمِرتُ وأنا أوَّل المُسلمين) (سورة الأنعام : 162 – 163). ولقد اعتورت المسلمين في حياتهم الحاضرة أسباب الضعف والتفكك، وعوامل الانحراف والتفلت حتى ذبل في نفوسهم

وسلوكهم الفردي والاجتماعي ذلك التصور الشمولي للإسلام باعتباره منهجاً للحياة، ودستوراً لحركة الإنسان والمجتمع في هذا الكون.

ولعل من نعمة الله علينا – نحن المسلمين – أن تشهد الساحة الإسلامية في الآونة الأخيرة صحوة إسلامية مباركة، تنطلق من الإحساس بالحاجة إلى تطوير مناهج الإصلاح في حياة المسلمين، بما يتوافق مع أصالة المنهج الإسلامي باعتباره صالحاً لكل زمان ومكان أولاً، وبما يستوعب متغيرات المرحلة الراهنة التي يعيشها المسلمون ثانياً، وبما يتواءم مع الاستجابة الواقعية المبصرة للتحديات التي تواجه التطبيق العملي المتكامل للمنهج الإسلامي في واقع الحياة المعاصرة أخيراً.

وإن من المنطق – ونحن نشهد هذه الصحوة المباركة – أن ننادي بتحويل الإحساس بالحاجة إلى شمولية الإصلاح، وتكامل التطبيق للمنهج الإسلامي، إلى برنامج عمل واضح المعالم، مفصل الجوانب، يقدم البدائل الإسلامية في مختلف مجالات الحياة.

وتكتسب المطالبة بإيجاد البديل الإسلامي في ميدان الإعلام – بجانبيه النظري والتطبيقي – أهمية بالغة لما تتمتع به وسائل الاتصال الجماهيرية اليوم من مكانة خطيرة في توجيه عقليات الجماهير، وتشكيل سلوكياتها في الحياة، في عالم تحول إلى (قرية كونية)، قصرت وسائل الاتصال الالكترونية المسافات بين أجزائه، وربطت شبكةً معقدة من الاتصالات بين دوله وشعوبه، بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الإنسانية كله.

إن وسائل الاتصال الجماهيرية تعد اليوم الجهاز المركزي الذي يوجه الفرد والمجتمع، ولذلك فإنَّ صياغة منهج للإعلام الإسلامي يعمل على سد الفراغ الهائل في منظومات المنهج الإسلامي ليعتبر ضرورة ملحّة، حتىّ يمكن بلورة أنموذج جديد للإصلاح الإسلامي يقوم على الشمول والتكامل والواقعية.

وهذه الإضاءات المتواضعة محاولة لطرح بعض التساؤلات الحيوية حول الإعلام الإسلامي، ومفهومه، ودوره ومسؤوليته، في وقتٍ نحن في مسيس الحاجة فيه إلى جلاء صورته، وتحديد معالمه، والكشف عن كنوزه وذخائره، والتخطيط من أجل تحويله إلى واقع حيّ، يتعانق فيه القولُ مع العمل، وتتلاحم فيه النظرية بالتطبيق.

وتتركز الإضاءات التي أحاول تسليطها حول ثلاثة تساؤلات هي:

- لماذا نحتاج إلى الإعلام الإسلامي؟
- وما الإعلام الإسلامي الذي نريد؟
- وكيف نصل إلى الإعلام الإسلامي؟

لماذا الإعلام الإسلامي؟

إنَّ المطلب القّيم لا بد أن تتوافر له مبرّرات قوية ومقنعة، تسّوغ تبنيه بإخلاص، وتدفع إلى الدعوة إليه بإلحاح، وتقوي العزائم في سبيل تحقيقه في الواقع بلا توانٍ أو هبوط. وتستند المطالبة بأسلمة الإعلام وصياغته صياغة إسلامية إلى مبررات ثلاثة هي:

1- المبرّر المنطقّي:

لقد جاء الإسلام – كما ذكرنا سابقاً – ليكون منهجاً شاملاً للحياة كلها بجميع جوانبها ومجالاتها. وقد رسم الإسلام للإنسان معالم لنظمه الاجتماعية المختلفة، لتتوافق هذه النظم مع الغاية الرئيسة لوجوده، وهي استخلاف الله له في الأرض لعمارة الكون وفق منهج الله وتحقيق عبادته وحده.

وارتباط المسلم بإسلامه ليس ارتباطاً عاطفياً روحياً فحسب، بل هو – إلى جانب ذلك – ارتباط واقعي عملي من خلال تطبيق شرائع الإسلام وهديه وتعاليمه السامية وتوجيهاته الربانية في مجموعة من النظم الإسلامية التي حكمت حياة المسلمين في شؤونهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمدنية والعسكرية.

وعندما ضعف التزام المسلمين بمبادئ دينهم، وتكالبت عليهم القوى الاستعمارية التي استهدفت خلخلة التصور الشمولي للإسلام وتطبيقه في حياتهم، تحوّل ارتباط معظم المسلمين بالإسلام في العصر الحاضر إلى مجرد ارتباط عاطفي محدود، يكتفي فيه المسلم بإقامة شعائره والتعبديّة، وتزكية نفسه بالرياضيات الروحية والأخلاقية الفردية.

وقد نتج عن هذا المفهوم المغلوط لحقيقة الالتزام الإسلامي أن حفلت حياة المسلمين بصور الازدواجية والتناقض بين الارتباط العاطفي بالإسلام في ميدان العباد والأخلاق الفردية، وبين الارتباط العلمي الواقعي بالمذهب المناقضة للإسلام في ميدان النظم والتشريعات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

إنّ حياة المسلمين المعاصرة لن تتحقق لها الصبغة الإسلامية إلا عندما ينسجم ارتباطها العاطفي بالإسلام في الجانب العقدي والروحي والفردي مع ارتباطها العلمي والواقعي بالإسلام في الجانب التشريعي والتنظيمي. ومن هنا تكتسب الدعوة إلى صياغة المعارف والنظم في حياة المسلمين صياغة إسلامية أهمية بالغة. بل إنَّ تحقيق هذا الهدف يعتبر التحدي الحقيقي الذي ينبغي على الأمة الإسلامية أن تواجهه في وقتها الراهن.

ويعتبر الإعلام فرعاً مهماً من فروع المعرفة العلمية والتطبيقية، التي تحتاج إلى العناية بتأصيل مفاهيمها ومناهجها وتهذيب أساليب وطرق ممارستها الواقعية وفقاً لهدي الإسلام وتوجيهاته. وتتعاظم أهمية صياغة النظام الإعلامي: فلسفة وغاية ومنهجاً وممارسة، صياغة إسلامية في ضوء إدراكنا لأهمية الإعلام في حياة المجتمعات، وخطورة ما يقوم به في التأثير على الأفراد والجماعات سلباً كان هذا التأثير أو إيجاباً.

إنَّ المبرر المنطقي للمطالبة بصياغة الإعلام صياغة إسلامية، يؤكد على أن هذه الصياغة نتيجة منطقية لشمول المنهج الإسلامي وتكامله.

2- المبرّر الواقعي:

يواجه المسلمون اليوم في مختلف أقطارهم ومواطنهم غزواً فكرياً وثقافياً وحضارياً رهيباً. ولم يَعُد هذا الغزو الحضاري الشامل مقصوراً على الوسائل التقليدية للغزو من كتب استشراقية، أو مذاهب هدّامة، أو مؤامرات استعمارية مكشوفة. لقد انتهى عصر الغزو الاستعماري الاستشراقي المباشر. إن الغزو الحضاري الذي تواجهه الأمة الإسلامية يستخدم وسائل جديدة، وأساليب جديدة. إن الرسالة الغازية تعبر إلى الأجيال الصاعدة، بل إلى العقول المثقفة، عن طريق الخبر الذي تبثه وكالة الأنباء، والتحليل السياسي، أو الاقتصادي الذي تكتبه الصحيفة والصورة التي ترسلها الوكالات المصورة. والرسالة الغازية تعبر إلى العقول المثقفة عن طريق الفيلم التلفازي المدهش، وعن طريق شريط الفيديو، وعن طريق البرنامج الإذاعي المشوق. والرسالة الغازية تعبر إلى الأجيال الصاعدة عن طريق فيلم الكرتون المتقن. والرسالة

الغازيـة تعبـر إلـى العقول المثقفة والأجيال الصـاعدة عبـر النظريـات المدسوسـة فـي مناهج التربية والتعليم، معللة بدعاوى العلم والتقدم والاكتشافات الحديثة !!

ولقد أعجبتني كلمة معّبرة لأحد المثقفين يقول فيها: (إن الغزو الثقافي الخطر اليوم لـم يَعُـد يأخـذ صـورة مبشَّـر فـي كنيسـة يُقنـع (المحلّيـين الهمـج) باعتنـاق (ديانـة متحضـرة) وإن كانـت النشـاطات التبشـرية فـي بعـض أنحـاء العـالم الثالـث لا تـزال مصدر تهديد ثقافي لا يستهان به، والغزو الثقافي الخطر اليوم يَعُد يتخذ شكل مؤامرة استعمارية تستهدف تشكيك شعب ما في تاريخه وأخلاقه وديانته، وإن كان الحديث لا ينقطـع عـن مـؤامرات كهـذه، حقيقيـة أو وهميـة. إن أخطـر مـا فـي الغـزو الثقـافي المعاصر أنه أصبح ذا دافع ذاتي تلقائي، يتم دون مجهود من الجهات الغازيـة، ويتم دون أن يدرك ضحية الغزو أنـه معرض لأي خطر، فيقدم، في حماسةٍ وبلاهة، لا على قبول الغزو فحسب، بل إلى اعتناقه واحتضانه. هنا مكمن الخطر).

إن هـذا الغـزو الحضـاري الرهيـب يعمـل علـى زعزعـة مبـادئ الإسـلام وقيمـه وهـدم أخلاقياتـه ومثلـه فـي نفوس أبنـاء المسلمين لينشـأوا فـي غُربـةٍ عن دينـهم وحضـارتهم وتراثهم، ويصبحوا فريسة سائغة للأفكار الغربية ونمط الحياة الغربية بكل ما فيها من انحرافات ومفاسد وأوبئة. ولقد وصل هذا الغزو إلى منازلنا ولم يعد أمامنا مفر من مواجهتـه، المواجهـة الصـحيحة التـي لا تكتفـي بالتنديـد والصـراخ والـدعاء بالويـل والثبور، بل بتطوير استراتيجية مُحكمة تعتمد على هدفين :

الأول: توجيـه الإعـلام فـي الـدول الإسـلامية نحـو الأصـالة والذاتيـة النابعـة مـن قيم الإسلام ومبادئه، وتوفير الجو الملائم والدعم المناسب لصنع البدائل الإسلامية التي تقف في مواجهة ما يقدمه الغرب.

والثـاني: تنقيـة الإعـلام – إلـى جانـب التعلـيم – مـن المـؤثرات الغربيـة العلمانيـة والإلحادية، وتفنيد ما تقدمه وسائل الإعلام الغربية من مفاسد وانحرافات وبيان عوارها وتهافتها بمنطق مقنع وبوسائل مكافئة.

وهذه المواجهة الواقعية للغزو الفكري والثقافي في صورتها الشاملة المتكاملة المتكافئة لن تتحقق إلاَّ عندما تتبلور في أذهان المسلمين الصورة الحقيقية للإعلام الإسلامي، وتتوالى معطياته الواقعية وثمراته العملية في واقعهم المعاصر، إذ لا يمكن أن يهزم

الباطل الزائف إلا الحقُّ الأصيل: (بَل نَقذفُ بالحَقِّ الباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فإذا هُوَ زاهِقٌ) (الأنبياء: 18).

3- المبّرر الإنساني:

وسائل الإعلام، لسان هذا العصر. وقد أدرك أصحاب الديانات والمذاهب والأفكار أهمية استغلال هذه الوسائل في سبيل إيصال أفكارهم وعقائدهم ومذاهبهم إلى الناس. وكان النصارى الصليبيون أكثر الناس إدراكاً لهذه الأهمية، وأسبقهم إلى استخدامها في مجال التنصير.

وفي الوقت الذي ينشط فيه أصحاب الديانات المحرّفة والمذاهب الفاسدة لاستغلال وسائل الإعلام لخدمة أغراضهم، نجد المسلمين غائبين عن الساحة الإعلامية إلاّ بعض جهود محدودة لا أثر لها.

والبشرية اليوم قد سئمت من الدين المحرّف، وانصرفت عن المذهب الفاسد، وهي تعيش ضياعاً وقلقاً واضطراباً. وقد أثقل كاهل الإنسانية في وقتها الراهن كابوس الإلحاد والعلمانية، والفساد الخلقي، والظلم والاستبداد السياسي، والاستغلال الاقتصادي، والتفكك الاجتماعي، وتعالت الصيحات تبحث عن مصدر للأمان والعدالة والحياة الكريمة، فأين سيجدون كل ذلك إلاّ في الإسلام ؟!!

إن البشرية اليوم بحاجة إلى الإسلام أكثر من أي وقت مضى. والمسلمون مطالبون – وفقاً للتوجيه الإسلامي بمخاطبة الناس بلغتهم ووسائلهم– بأن يستخدمون وسائل الاتصال والإعلام في سبيل الدعوة إلى الإسلام، وتوضيح صورته الناصعة، وإبراز محاسنه وثمراته للناس في كل مكان. إنَّ تبليغ رسالة الإسلام العالمية، وإيصال دعوته إلى البشرية كلها مبّررً إنساني عظيم للدعوة إلى صياغة الإعلام صياغة إسلامية حتى يمكن أن يؤدي هذا الإعلام دوره في الحياة الإنسانية.

ما هو الإعلام الإسلامي الذي نريد ؟

تختلف نظرات الناس حول الإعلام الإسلامي ما بين النظرة الجغرافية، والنظرة التاريخية، والنظرة الواقعية التجزيئية. فالنظرة الجغرافية تفهم الإعلام الإسلامي على اعتبار أنه الإعلام الصادر من دول العالم الإسلامي، أو الجهات التي تنتسب إلى الإسلام. وتكاد هذه النظرة أن تكون النظرة السائدة في الدراسات الأجنبية عن

الإعلام الإسلامي. ولذل تصنف هذه الدراسات إعلام الدول التي تقع في إطار العالم الإسلامي ضمن الإعلام الإسلامي بمفهومه الجغرافي الرسمي، دون تمييز في المنهج أو الغاية أو الممارسة.

والنظرة التاريخية للإعلام الإسلامي تكاد تحصر الإعلام الإسلامي في إطار زمني ضيق، فتوحي بأن الإعلام الإسلامي مفهوم تراثي، وممارسة محدودة في فترة زمنية معينة، مثل تلك الدراسات التي تتناول الإعلام ووسائله في عهد النبوة أو الخلفاء الراشدين.

أما النظرة الواقعية التجزيئية للإعلام الإسلامي، فتستند إلى صورِ الممارسة الواقعية لبعض جوانب الإعلام الإسلامي المحدودة، وتفهم هذا الإعلام باعتباره إعلاماً (دينياً متخصصاً). ولذلك يغلب على من ينحو هذا المنحى أن يفهم الإعلام الإسلامي في حدود الصفحات الدينية، وركن الفتاوى، والخطب المنبرية، في الصحافة اليومية، أو في حدود تلك الصحف والمجلات التي تسمّى نفسها بالإسلامية، أو في حدود البرامج والأحاديث الدينية في الراديو، أو في حدود البرامج والأفلام والمسلسلات التاريخية والدينية، التي يشاهدونها عبر الشاشة التلفازية أو السينمائية !!

ورغم أن هنالك بعض جوانب الصحة في هذه النظرات المختلفة للإعلام الإسلامي، إلاً أنها لا تعبر عن حقيقة الإعلام الإسلامي بشموله وتكامله، ولا تمثل جوهره الأصيل، وخصائصه النظرية والتطبيقية. فالنظرة الجغرافية توهم الإعلام الصادر من دولة مسلمة يكتسب الشرعية الإسلامية بمجرد انتسابه إلى الدولة المسلمة، دون اعتبار لغاية ذلك الإعلام ومنهجه، ودون اعتبار لمضمونه وأساليب ممارسته. والمؤسف أن واقع الإعلام المعاصر في كثير من دول العالم الإسلامي لا يصور أبداً حقيقة الإعلام الإسلامي. والتحليل العلمي الموضوعي يكشف لنا أن كثيرا من منطلقات الإعلام، ومضامينه، وأساليب، ممارسته، وقواعد تنظيمه في كثير من الدول المسلمة يسير في ركب التقليد والتبعية للأنماط الغربية أو الشرقية في الإعلام، ويفتقد الهوية الإسلامية الواضحة !!

والنظرة التاريخية للإعلام الإسلامي، نظرة قاصرة، إذ تحجّم هذا الإعلام وتصوّره على أنه إعلام تراثي عتيق، ينفصل عن الواقع، ويبتعد عن معالجة قضايا العصر والاستفادة من معطياته ومنجزاته. والحقُّ أن الإعلام الإسلامي ليس مرتبطاً بفترة زمنية، وليس محدوداً ببقعة مكانية محدودة، بل هو منهج يتجاوز حدود الزمان والمكان، ويحمل في طياته بذور الملائمة لكل زمان ومكان.

أما النظرة الواقعية التجزيئية للإعلام الإسلامي، فهي نظرة مجحفة، غير منطقية، وهي مثل سابقتيها تحجم هذا الإعلام، وتفصله عن الواقع، وتخصّص له جزءاً محدودا من النشاط الإعلامي الحافل. وهذه النظرة ذات أثر خطير في حياة المسلمين، لأنها تفصل الإعلام بنشاطاته الواسعة وممارساته المتنوعة، عن الهدى الإسلامي،ن وتكتفي بتحكيم الإسلام في جزءٍ من النشاط الإعلامي، ثم لا تبالي أن يناقض الإعلام مبادئ الإسلام وأخلاقه ويتعدى حدوده وضوابطه في الأجزاء الأخرى التي يطلق عليها (الإعلام العام) !! وكأن هذا المفهوم يقترب من المفهوم الغربي العلماني في فصل الدين عن الحياة، واعتبار الدين شأناً فردياً وعقيدة مكنونة، يخصص له جزء من النشاط الإنساني، ولا سلطان له على الواقع، ولا هيمنة له على الحياة الاجتماعية ونشاطاتها العامة.

إنَّ المفهوم البديل، بل المفهوم الحقّ للإعلام الإسلامي هو المفهوم المنهجي، الذي لا يجعل مقاييس إسلامية الإعلام مبنية على أساس الحدود الجغرافية والمكانية، أو الوضعية التاريخية المحدودة، أو الممارسة الواقعية الخاطئة للإعلام في الحياة، بل يبني تلك المقاييس والمعايير على أساس المنطلقات الرئيسة والأطر الفكرية والاجتماعية والإنسانية المنبثقة من روح الإسلام وتصوراته الكلية وقيمه السامية، وعلى أساس الضوابط الشرعية التي ينبغي أن يسير الإعلام على هدي منها، ويلتزم بها في نشاطاته المختلفة وممارساته الواقعية.

إن الإعلام الإسلامي – بهذا المفهوم المنهجي – روح تسري في النشاط الإعلامي كله، تصوغه، وتحركه وتوجهه منذ أن يكون فكرةً إلى أن يغدو عملاً منتجاً متكاملاً، مقروءاً كان أو مسموعاً أو مرئياً. وبذلك يصبح الإعلام الإسلامي منهجاً قويماً تسير وفقه جميع النشاطات الإعلامية في كافة الوسائل والقنوات دون أن يحيد نشاط واحد

منها عن الطريق، أو يتناقض مع النشاطات الأخرى سواء في الوسيلة الواحدة أو الوسائل المتعددة. وبذلك – أيضاً – يصبح الإعلام الإسلامي حكماً موضوعياً تتحاكم إليه جميع هذه النشاطات الإعلامية ثم لا يجد نشاط منها حرجاً في التسليم لحكمه والإذعان لتوجيهه.

وفهم الإعلام الإسلامي بهذه الصورة الشاملة، ينسجم مع الحقيقة الأصلية لهذا الدين، وهي أنه منهج شامل للحياة، وليس منهجاً جزئياً يعالج جانباً من جوانب الواقع الإنساني، ويهمل الجوانب الأخرى. وهذا المفهوم للإعلام الإسلامي، يحقق في حياة الأمة الإسلامية على الدوام الاستقرار والتوازن، ويخلصها من آثار الازدواجية والتناقض والصراع التي تعاني منها الأمة، كلما ابتعدت عن منهج الله. والنشاط الإعلامي المعاصر يعاني من هذه الأمراض الخطيرة، حيث تجد الازدواجية والتناقض في الوسيلة الواحدة فضلا عن وجودهما في الوسائل المتعددة، حيث تستمع إلى برنامج (ديني) يحث على الفضلة، فيعقبه مباشرة برنامج آخر يغري بالرزيلة، أو أغنية ماجنة تزين السقوط بصورة مشوقة !! وتشاهد في التلفاز برنامج (دينيا) يبنى في نفوس المشاهدين معاني الرجولة والصلاح والخير، ثم لا تلبث أن تصدم في الوسيلة نفسها بفيلم مثير، ينقض كل ما بناه البرنامج (الديني) ويهدمه!! والأنكى من ذلك أن يقدم البرنامج (الديني) في أسلوب جاف وإخراج رتيب، فلا يجذب المشاهد ولا يجوز على رضاه، بينما يخدم الفيلم غير الديني خدمة فائقة، فيقبل عليه الصغار والكبار، ويتحلق حوله الشباب والشابات في رغبةٍ وحماس!!

ولو نظرنا إلى واقع النشاط الإعلامي والنظم الإعلامية في المجتمعات المختلفة التي لا تدين بالإسلام لوجدنا ذلك النشاط في مجتمع ينبع أصلاً من التصورات العقدية والأيديولوجية للمجتمع، وينطبع بالقيم والتقاليد والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة فيه، ولوجدنا أن النظام الإعلامي يخدم أساساً الغايات والأهداف البعيدة والقريبة التي يسعى المجتمع إلى تحقيقها. فالإعلام في الدول الغربية (اللبرالية) العلمانية ينطلق من غايات المذهب (اللبرالي) العلماني، وفلسفته، ويروج بطرق مباشرة وغير مباشرة للنمط العلماني الغربي للحياة الذي يفصل الدين عن واقع الحياة، ويجمد الحرية الفردية، ويعلي من قيمة الأنانية، والإنجاز الشخصي، ويعمق

روح المادية والاستهلاكية. والإعلام في الدول الشيوعية يصطبغ بفلسفة الأيديولوجية الماركسية، وينطلق من غاياتها، ويروج بطرق مباشرة وغير مباشرة للنمط الإلحادي الماركسي للحياة الذي يصور هذه الحياة بأنها صراع بين الطبقات، ويجعل الحزب (ديكتاتوراً) متسلطاً ومهيمناً على الناس، ويوظف الإعلام ليكون خادماً للسلطة ومجرد أداة لتحقيق رغبات الحزب وشهواته !!

وللإسلام – دون شك – فلسفته الإعلامية الخاصة به. وفي ضوء هذه الفلسفة المستقاة من المصادر الأصلية للمنهج الإسلامي، تتحدّد معالم النشاط الإعلامي داخل المجتمع الإسلامي وخارجه. ولقد وضع الإسلام أصولاً عامة وقواعد كلية لكافة جوانب العملية الإعلامية. ولكن هذه الأصول والقواعد مبثوثة في المصادر الإسلامية المتمثلة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وفي اجتهاد فقهاء المسلمين وعلمائهم عبر العصور المتعاقبة. والإعلام اليوم غداً علماً منظماً. ولذلك فإن المسلمين بحاجة ماسة إلى صياغة منظومة إعلامية ذاتية لهم، تحدّد معالم الهدى الإسلامي في النشاط الإعلامي من حيث :

أ – فلسفته الأساسية، وإطاره الفكري العام المبني على التصوّر الإسلامي للكون والحياة والإنسان وغاية الوجود الإنساني.

ب – غايته الكبرى، ومنهجه الأصيل في تحقيق تلك الغاية.

ج – وظائفه العامة والخاصة، ومدى ارتباط هذه الوظائف بالحاجات الواقعية لأفراد المجتمع، ومقدار استجابته للظروف المحيطة بهم.

د – أساليبهُ وطرقه في تقديم المضمون إلى الناس، ومدى مراعاة هذه.

الأساليب لخصائص الجمهور المتلقي للرسالة الإعلامية، وكيفية تفاعله معه.

هـ– وسائله وقنواته المتنوعة سواء التقليدية منها والحديثة، وخصائص

الوسائل الخاصة بالإعلام الإسلامي والتي ينفرد بها عن غيره من المذاهب الإعلامية الوضعية كقنوات الاتصال الشخصي المنظم، وألوان الاتصال الجمعي والدولي المتميزة، وكيفية استثمارها وتوظيفها لخدمة أهداف المجتمع المسلم وغاياته.

و– نظمه وسياساته العامة والخاصة والأسس والضوابط التي يضعها الإسلام لتقنين تلك النظم وصياغتها، وترشيد السياسات الإعلامية التي يتبناها.

وهذا العمل الذي يستهدف صياغة منظومة إعلامية إسلامية للمجتمع الإسلامي لن يتحقق إلا خلال اجتهاد عصري يقوم به علماء يمتلكون زاداً متيناً من العلم الشرعي، ويمتلكون أيضاً زاداً متيناً من العلم الإعلامي في جانبيه النظري والتطبيقي. ولا بد من أن يعتمد هذا الاجتهاد العصري على تلاحم عنصرين هامين هما:

أولاً: دراسة المصادر الأساسية للإسلام دارسة إعلامية علمية لاستنباط الأسس والقواعد التي تنظم العملية الإعلامية أو ترشد إليها. ويردف هذه الدراسة محاولة الكشف عن ذخائر التراث الإسلامي عبر العصور مما له صلة بالممارسة الإعلامية.

ثانيا: دراسة نتاج البحوث والدراسات والممارسات الإعلامية المعاصرة واستيعابها، ثم استلهام روح التشريع الإسلامي ونتائج الدراسة الإعلامية العلمية لمصادر الإسلام وتراث المسلمين للوصول إلى رؤية واضحة لما ينبغي أن يكون عليه الإعلام الإسلامي في الجوانب النظرية والتطبيقية التي ذكرتها آنفاً.

كيف نصل إلى الإعلام الإسلامي ؟

إنَّ تحقيق ثمرة هذا التصور النظري للإعلام الإسلامي، بشموله وتكامله، لن يكون إلاّ بمحاولة الإجابة على هذا التساؤل الملحّ: كيف نصلُ إلى الإعلام الإسلامي؟.

وفي تصوّري أنَّ الوصول إلى الإعلام الإسلامي يحتاج منّا العمل الدؤوب في أربعة ميادين رئيسة هي:

1- ميدان الإعداد والتأهيل البشري:

إنَّ أهم الوسائل للوصول إلى تحقيق الإعلام الإسلامي في واقع الحياة وأنجعها هو إعداد الكفايات البشرية المتخصصة في الإعلام، وتأهيلها فكرياً، وخُلُقياً، وعملياً، ومهنياً. إن الإنسان هو العنصر الأول في إحداث أيّ تغيير مقصود. والعناية بإعداد الإعلاميين الإسلاميين، وتأهيلهم حتى يكونوا قادرين على تحمل هذه المسؤولية الضخمة، ليس أمراً سهلاً قليل التكاليف، بل هو عمل كبير، يتطلب منا جهوداً عظيمة وطاقات عديدة. إن الطبيب – وهو يطّبب الأبدان– يمر بفترة صعبة ومكثفة وطويلة من إعداد والتأهيل، فما بالك بالإعلامي، وهو المعلم، والمربي، والقائد، والموجه، وصانع الرأي في المجتمع ؟! إن مهمّته– ولا شك – أعظم، ومسؤوليته

أكبر، فهو يطّبب النفوس، ويؤثر في العقول، ويسهم في صياغة مواقف الناس وسلوكهم. ومن ثم، وَجَبَ أن يكون تأهيلُه موازياً لهذه المسؤولية المنوطة به ولابدّ لإعداد الإعلامي الإسلامي وتأهيله من أن يتكامل المنهج العلمي والعملي في الجوانب التالية:-

أ - الإعداد الأصولي والفكري، حيث يتعرّف الطالب على الأصول العقدية والفكرية والتشريعية للإسلام من خلال مجموعة مختارة من المقررات الشرعية والفكرية في القرآن الكريم، والتوحيد، والتفسير، والحديث، والفقه، والثقافة الإسلامية.

ب - الإعداد اللغوي والتذوقي، فاللغة وسيلة الإعلامي، بل هي وعاء الفكر والثقافة، ولذلك لا بد له من أن يدرس بعض المقررات في اللغة العربية نحواً وصرفياً وفقهاً، وأن يسعى إلى التمكّن في فنون القول، والبيان والأسلوب، والتعبير، والتذوق الأدبي.

ج - الإعداد التخصصي والمهني، وهذا الإعداد لا بد أن يتكامل فيه الجانب النظري والجانب العملي التطبيقي حتى لا تصبح دراسة الإعلام دراسة نظرية بحتة. ولا بد من اكتساب الطالب للمهارات العملية والمهنية المطلوبة منه في واقع الممارسات الميدانية.

د - الإعداد الثقافي العام، وهذا يتطلب الإلمام بالواقع الذي يعيش فيه، من حيث قضاياه ومشكلاته، وأحداثه، وتياراته، كما يتطلب الإلمام ببعض المعارف والعلوم المُعنية له على فهم هذا الواقع وتحليله، وهي علوم وثيقة الصلة بالإعلام كعلم النفس والاجتماع، والعلوم السياسية والاقتصادية، واللغة الأجنبية.

ولا بد من التأكد هنا على أن من مستلزمات هذا الإعداد الصارم للإعلاميين الإسلاميين، أن يخضع الطلاب الذين يقبلون في أقسام الإعلام لشروطٍ موزونة سواء في المجال العلمي أو الأخلاقي. ولا بدّ أن يتوافر فيهم الحدّ الأدنى من الموهبة، والاستعداد النفسي. كذلك لا بد من التأكيد على أن يتوافر لهؤلاء الطلاب في المحيط الأكاديمي جوّ من العلاقة الحميمة بينهم وبين أساتذتهم، المبنية على الثقة والاحترام والتهذيب التربوي والتوجيه الأخلاقي عبر القدوة الصالحة التي يجدها الطلاب في أساتذتهم وموجهيهم. ويعد الجانب التربوي والأخلاقي ذا أهمية بالغة في مجال إعداد

الإعلامي الإسلامي نظراً للصعوبات الجمّة والتحديات العديدة والمغريات المتنوعة التي تصادف الإعلامي الإسلامي في حياته العملية.

2- ميدان التأصيل والتنظير العلمي:

ما يزال الاهتمام بتأصيل قواعد الإعلام وأصوله وممارساته من وجهة النظر الإسلامية، محدوداً ومتناثراً. والمطلوب أن يتصاعد الاهتمام العلمي بالإعلام الإسلامي تأصيلاً وتنظيراً، وأن يركز على النوعية. وينطلقُ هذا الاهتمام من خلال إنشاء ودعم معاهد ومراكز البحوث الإعلامية، التي تهتم بالإعلام الإسلامي، واستقطاب الباحثين والدارسين الذين يتميزون بالإخلاص والوعي الإسلامي، والخلفيَّة الشرعية، والاستيعاب العلمي للتخصص الإعلامي، إلى جانب تمتعهم بالمنهجية في التفكير، والتمكن من أساليب البحث العلمي ووسائله.

ولعل من الأهمية بمكان أن تسير هذه الجهود العلمية التأصيلية وفق خطة مدروسة وتصّور سليم للأولويات، وأن تعتمد على أسلوب فرق العمل الجماعية بدلاً من الأعمال والاجتهادات الفردية المحدودة. ولا بد من أن تتوافر لهذا العمل التأصيلي العلمي إمكانية بشرية ومادية ملائمة، كما لا بد من توافر قنوات علمية تُسهم في تحريكه وبلورته وانضباطه كالندوات العلمية، والحلقات الدراسية، والمشايع البحثية، والمؤتمرات واللقاءات، التي تتلاقح فيها الأفكار، ويتبادل فيها الباحثون والدارسون الآراء، ويتناقشون فيها حول نتائج بحوثهم ومؤلفاتهم.

3- ميدان الإصلاح الواقعي :

والمقصود بهذا: الإسهام الإيجابي في إصلاح أوضاع المؤسسات الإعلامية القائمة في العالم الإسلامي، الرسمية منها وغير الرسمية، وتنقيتها من الشوائب وترشيد مسارها الإعلامي، سواء ببذل النصح والمشورة، أو دعم الأعمال التي تخدم الإعلام الإسلامي، أو المشاركة العلمية في تلك المؤسسات والهيئات في ميادينها القيادية والإنتاجية والتقويمية.

ويبدأ الإصلاح الواقعي بمحاولة إيجاد قنوات تواصل وتعاونٍ بين المهتمين بشؤون الدعوة والإرشاد والإعلام الإسلامي من جهة، وبين العاملين في المجال الإعلامي من جهةٍ أخرى، وذلك من أجل تضييق الفجوة بينهم. ولقد عانت الأمة من جرّاء

انعزال العلماء وذوي الاتجاهات الإسلامية عن الوسائل الإعلامية، وعدم توثيق صلاتهم وعلاقاتهم بالعاملين في هذه الوسائل. وإنَّ السعي من أجل تنظيف الإعلام من الانحرافات والتشوّهات هدف نبيل ويحتاج إلى تحمل وصبر واقعي للظروف التي يعيش فيها الإعلام. وإنَّ انتهاج أسلوب التدرج في الإصلاح ضرورة لازمة في ضوء معرفتنا أنَّ كثيرًا من المفاسد والانحرافات التي تحيط بوسائل الإعلام قد استغرق نشرُها وتكريسها زمناً ممتداً، وإصلاحها أو تخليص الإعلام منها يحتاج إلى زمن ممتد أيضاً، وما أسهل الهدم وما أصعب البناء !!

ولا أعتقد أنَّ من الإيجابية في شيء أن ننساق وراء الدعوة إلى عدم الاستجابة لضغط الواقع في المطالبة بإنتاج البدائل الإسلامية، والغياب عن الساحة الإعلامية، بدعوى انتظار نضوج الرؤية النظرية للإعلام الإسلامي، أو بدعوى أن الإنتاج الإعلامي الإسلامي والمشاركة المحدودة في وسائل الإعلام القائمة لن تجد نفعاً خضم التيار الجارف، وأنها ستكون صرخة هائمة في وادٍ سحيق. إن هذا الاتجاه السلبي- في نظري- لن يحقق ما يصبو إليه المخلصون للإعلام الإسلامي. والجهود الصغيرة المتواضعة عندما تجتمع وتتراكم وتتواصل، لا شك أنها ستثمر -بإذن الله تعالى- ثمرات يانعة تفيد الناس وتبقى في المجتمع: (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. ومثل كلمة خبيثة كشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرارٍ) (إبراهيم : 24-25).

4- ميدان الإنتاج العملي المتميز:

إنّ صناعة البدائل الإسلامية في مجال الإعلام بمختلف فنونه وضروبه وألوانه، تحتاج إلى المبادرة إلى إنشاء مؤسسات وشركات إسلامية للإنتاج والتوزيع الإعلامي في مختلف المجالات، من طباعة، وصحافة، ونشر، وتلفاز، وفيديو، وتسجيلات صوتية، وشرائح مصورة، وأفلام سينمائية وغيرها. وإنشاء مثل هذه المؤسسات يتطلب طاقات بشرية عديدة، ويتطلب تكاليف مادية ومالية باهظة. ولكن الاستثمار في هذا النوع من الإنتاج سيحقق مكاسب معنوية ومادية لا نظير لها.

ولكن ينبغي التنبيه إلى أهمية أن يتولّى مثل هذا الإنتاج العملي الإسلامي المميّز طاقات ذات إخلاص وتقوى، وأن يستعان فيه بأهل الخبرة والمعرفة وان تكون الأعمال المنتجة، متقنةً من حيث جوانبها الفكرية والفنية، حتى لا تشوّه الإنتاج الإسلامي البديل وتعطي صورةً سيئة عنه. ولذلك لا ينبغي الاستعجال في هذا الجانب إلاّ بعد استكمال العدّة : تصوراً ومضموناً، وتوافر العناصر البشرية: إخلاصاً وتمثلاً، وإتقان العمل فنياً وحرفياً.

إن صياغة الإعلام- نظرياً وتطبيقياً- صياغة إسلامية، ليست مشروعاً سهلاً سريع التنفيذ. بل هو مشروع عملاق يمثل صورة من صورة التحدي الحضاري الشامل الذي تواجهه الأمة الإسلامية في حاضرها ومستقبلها. وإن توافر الجو السياسي والاجتماعي الملائم، والدعم المعنوي والمادي المناسب لتنفيذ مثل هذا المشروع العملاق، يُعدُّ ركيزةً أساسية للانطلاق نحو تحقيقه في واقع الأمة الإسلامية.. فالنشاط الإعلامي مرتبط دائماً بالبيئة السياسية والاجتماعية التي يعيش فيها، ويتأثر بها، سلباً وإيجاباً.

ولكن لا ينبغي أن يصيبنا اليأس أو الإحباط بسبب ضخامة التكاليف المعنوية والمادية، بل ينبغي أن يكون ذلك دافعاً قوياً لنا لنروّي الأمل المتفتح في قلوبنا وواقعنا بماء الإخلاص، والعزيمة الصادقة، والتخطيط المدروس، والعمل الجادّ، والسعي الدؤوب المتواصل حتى يثمر الأمل ويتحقق الحلم. وقد يكون من المناسب أن نلقي نظرة على واقع الإعلام العالمي والإعلام العربي المعاصر، والمأمول الذي نتطلع إليه حتى يؤدي الإعلام العربي الإسلامي دوره ويبلغ رسالته إلى الإنسانية

============

الأمة بين سنتي الابتلاء والعمل (5/1)

د. علي بن عمر با دحدح عضو هيئةالتدريس بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

1425/4/8

2004/05/27

لماذا يتحمس الشباب؟

وهل الحماس في الشباب عيب؟ أو شيء طارئ أو أمر غريب؟

نقول: إن الحماسة في الشباب أمر طبيعي لعناصر كثيرة منها:

1. الحيوية والقوة

أن الشباب فيه حيوية وقوة والله سبحانه وتعالى كما جاء في التقديم قال:

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً}(الروم: 54).

فالشباب قوة بين ضعفين وانطلاقة بين هدوءين أو سكونين وحركة واندفاع بين جانبين فيهما من الهدوء والسكينة ما فيهما وحتى من الناحية الطبية نعلم أن الفئة العمرية في فترة البلوغ ما يزال الخلايا والأعضاء تزيد وتنمو وتعظم وتتكاثر وهذا أمر بين وإذا رجعنا حتى إلى اللغة تسعفنا هذه المعاني بشكل واضح لأن الاشتقاق اللغوي لأصل شب وهو أصل الشين والباء في اللغة يدل على نماء الشيء وقوته في حرارة تعتريه وهذا يدلنا على طبيعة الامتزاج بين الحيوية والحرارة والقوة وطيعة الشباب ومن ذلك قولهم: شبت النار أو شببت الحرب ثم كما يقول ابن فارس ثم اشتق الشباب منه وهو النماء والزيادة في قوة جسمه وحرارته ولذلك نرى هذا الأمر واضحا وأن من طبيعة الشباب الفطرية بل والخلقية البدنية أو ما يسمى بالبيولوجية أي الطبيعية الفيزيائية أنه بطبيعة خلقته في هذه الفترة العمرية فيه نمو وزيادة وشيء مما يزداد قوة ويزداد ..

ومن هنا فالحماسة قرينة الشباب بدون أن يكون هناك افتعال لها أو تكلف فيها أو تطلب لأسبابها بل هي قرينة الشباب من هذا الوجه.

2- الإرادة والتحدي :

جانب آخر في طبيعة الشباب في مقتبل العمر وهو قضيةالإرادة والتحدي: من طبيعة هذه الفترة العمرية أن فيها عزيمة صلبة وإرادة قوية من خصائص الشباب قبول التحدي بل والتعرض له والبحث عنه والثبات عليه ولو أننا أردنا أن نأخذ أمثلة والأمثلة اعذروني ستكون دائما محدودة لأننا لو تشعبنا فيها يضيق المقام عن ذكر ما وراء ذلك.

قصة لابن مسعود وأنتم تعرفون ابن مسعود كان من صغار الصحابة وشبابهم وكان إلى ذلك نحيل الجسم دقيق الساقين كان الصحابة يضحكون من دقة ساقيه في الفترة

المكية العصيبة التي كانت فيها المواجهة قاسية وشديدة وشاملة من قريش ضد المسلمين وفي جلسة بين بعض المسلمين كانوا يتداولون فيما بينهم من يمكن أن يقرأ القرآن ويصدع به في نوادي قريش وهي عملية تحد كبيرة وعملية تحتاج إلى قوة إرادة وصلابة عزيمة فانتدب لذلك ابن مسعود الشاب النحيل وذهب إلى منتدى قريش في البيت الحرام وصدع بآيات القرآن يقرؤها بين ظهرانيهم وإذا به كما هو متوقع ولم يكن هو يظن أن ذلك سيعجبهم بل كان يعرف ما يترتب على ذلك عمدوا إليه وضربوه وأثخنوه بالجراح ولعلنا نقول بعد هذا الحدث أنه قد أخذ درسا كافيا لكن ما الذي حصل؟ في اليوم الذي يليه عندما تداول المسلمون تلك الحادثة قال: (أما لو شئتم لأعاودنهم بها) فهي طبيعة الإرادة القوية والتحدي لأن نفس الشاب دائما فيها هذه الحيوية التي تأبى في الجملة أن تلين أو أن تهادن أو أن تتراجع بل تريد دائما أن تثبت نفسها وأن تظهر قوتها وأن تصر على رأيها وأن تثبت على مبدئها وأن تكون نموذجا ينسجم مع طبيعة التفاعلات والمشاعر النفسية والعواطف الجياشة التي تمور بها النفس وكذلك:

3-الأمل والطموح:

لأن الشباب في مقتبل العمر فما زالت الصورة ممتدة والأفق واسعا قد يرسم طريقا في تخيله في آماله وطموحاته في مجال العلم وأنه سيحصل فيه وأن سيكون له كذا وكذا وكذا وقد يرسم طريقا في مجال حياته الاجتماعية أو في حياته العملية لكن لو أننا تصورنا المرأة في الخمسين أو في الستين لا شك أن الأمل موجود لكنه قطعا سيكون محدودا ولن يكون له مثل طبيعة هذا الأمل الممتد العريض كالشباب في حياتهم وطموحاتهم ولو أردنا أن نأخذ أمثلة لوجدنا كذلك هذه الأمثلة في فتى الرابعة عشر الذي كان النبي عليه الصلاة والسلام في جملة تربيته لأصحابه يعرف كيف يصقل هذه النفوس وكيف يذكي تلك الآمال وكيف يشحذ تلك الهمم ربيعة بن كعب الذي مان يبيت إلى جوار بيوت النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا قام من الليل قام يصب له وضوءه عليه الصلاة والسلام فأراد النبي أن يكرمه كما هو معروف في قصته فقال: (يا ربيعة سلني ما شئت؟) والقائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم المجاب الدعوة فقال: انظرني يا رسول الله، وعندما نقول الآن للشباب ماذا تريد؟ ما

هو أملك؟ ما هو رجاؤك؟ اطلب ما سنحققه لك ويطون رهن إشارتك وبين يديك؟ فربما نعرف اليوم أنه ربما يطمح إلى هذا أو ذاك من أمور الدنيا وشؤونها لكن ربيعة بعد أن تريث وتأنى قال مقالة عظيمة رائعة فريدة لو اجتمعت لها عقول الشيوخ الكبار والعلماء العظام لربما قصروا عن أن يصيبوا مثل ما قال فأوجز وأبلغ في أمله وطموحه فقال: أسألك مرافقتك في الجنة، فلم يسأل الله الجنة بل سأل مرافقة الرسول في الجنة ليكون سؤاله في أعلى وأعظم مطلب فماذا قال له النبي عليه الصلاة والسلام؟ وهذه هي التربية لكي يبقى الأمل ممتدا والطموح متواصلا (أعني على نفسك بكثرة السجود) ونعلم قوله لعبد الله بن عمر يوم أول رؤياه قال: (نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل) والأمر في هذا واضح وجلي وكثير.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يعطي لكل ما كان يناسبه حتى يمتد في مجاله وميدانه الذي تتعلق به نفسه وأمله كما هو معروف في الحديث لذي رواه الترمذي عندما عدد النبي عليه الصلاة والسلام الصحابة وذكر في كل منهم خصيصة يتميز بها قال: (أقرؤهم أبي وأفرضهم زيد وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ) إلى آخر ما ذكره عليه الصلاة والسلام.

4- تنوع الخيارات:

مازال في مقتبل العمر هل يتزوج الآن؟ هل يكمل دراسته؟ هل يدخل ميدان العمل؟ أما من قد طويت صفحات عمره فإن الخيارات في غالب الأحوال تكون محدودة وربما نرى نحن أننا نضيق الآن المجال فلا يبقى مساحة إلا لكم معاشر الشباب الذين تدخلون في جميع التعريفات أما من له تعريف واحد يتيح له أن يدخل في الشباب وتعريفات أخرى تخرجه منه يبدأ تضييق الدائرة عليه كما قلنا فلذلك لما كانت هذه الحماسة من طبيعة الشباب فنحن نرحب بها ولا نعارضها ولا نقول إنها شيء شاذ أو أمر غريب ولكننا نوصل أيضا في مدح هذه الحماسة وبيان ثمراتها وبعض فوائدها ليكمل لنا حينئذ الصورة الإيجابية في هذه الحماسة بإذن الله عز وجل.

ثمرات الحماسة :

الحماسة تورث خلالا كثيرة وسمات عديدة:

1- الهمة والعزة:

فهذه الحماسة تجعل الهمة عالية والعزيمة ماضية والعزة أبية والروح فتية بحيث أن هذه المشاعر تترجم إلى مواقف وإلى سمات شخصية تعد من مظاهر القوة الإيجابية ليس في الشباب رخاوة وليس في الشباب ضعف وإن كان حالنا اليوم أو حال بعض شبابنا قد جعلت لهم صورة أخرى في الشباب هي صورة الدعة والترف والرخاء ولكننا نقول إن الأصل في طبيعة الشباب في التربية الصحيحة في الأجواء النقية أن يكون لهم همتهم القوية وعزتهم الأبية التي تجعلهم دائما في قصب السبق والتقدم كما سيأتي في المراحل التالية ولعلنا نريد أن نصور بعض هذه الهمم في سير الشباب من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام والأمثلة محدودة كما قلت بحكم الوقت هذا نموذج رده النبي عليه الصلاة والسلام إلى الاعتدال لكننا نرى كيف كانت القوة في أصل هذا النموذج عند البخاري في الصحيح من حديث النبي عليه الصلاة والسلام مع عبد الله بن عمرو بن العاص قال له عليه الصلاة والسلام: (ألم أخبر أنك تصوم فلا تفطر وتصلي فلا تنام وتقرأ القرآن في كل ليلة) فقال: بلى يا رسول الله، هذا الخبر بلغه عن عبد الله بن عمرو انظروا إلى همته وطاقته المتدفقة كيف كان على حال لا يفطر ولا ينام ليله ويختم في كل ليلة نعم رده النبي النبي عليه الصلاة والسلام إلى الاعتدال المعروف في الحديث لكن الشاهد عندنا هو هذه الهمة العالية القوية التي كانت عنده ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مقتبل عمره وفي بداية دعوته كانت له المواقف العظيمة في مثل هذا.

2- العمل والإنتاج:

الهمة والعزة تتحول إلى عمل مثمر وإلى تواصل في الإنجاز وحرق المراحل لكي يكون هناك ثمرة ظاهرة ونتيجة باهرة من خلال هذه الهمة لأن صاحب الهمة لا يرضى بالقعود ولا يرضى بالكسل والخمول ولا يرضى إلا أن تكون كل ثانية من ثواني حياته مملوءة بما يتناسب مع طبيعة هذه المشاعر المتدفقة والعواطف المتأججة في نفسه ولذلك نرى كيف كان شباب الصحابة والشباب في مراحل التاريخ الإسلامي كلها في الأجواء الصحيحة والتربية الجادة كيف كانوا دائما يأتون بالعجائب والإنجازات الباهرة حتى في مجالات مختلفة لعلي أذكر مثالا في قصة زيد بن ثابت رضي الله عنه وهو الذي كان غلاما صغيرا في نحو السادسة عشر من

عمره فقال له النبي النبي عليه الصلاة والسلام كما في المسند عند الإمام أحمد: (اقرأ حرف يهود) يعني حتى يقرأ له أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعلم اللغة حتى يقرأ للنبي صلى الله عليه وسلم ما يأتيه عفوا فتعلم السريانية في بعض الروايات أنه تعلمها في خمسة عشر يوما فكان يقرأ للرسول وكان يكتب له وفي بعضها في سبعة عشر يوما وبالمناسبة أيضا زيد بن ثابت كانت له المهمة الفريدة التي جعل من مؤهلاتها الشباب في صحيح البخاري الحديث المشهور في جمع القرآن (قال أبو بكر عندما استدعى زيد بن ثابت: إنك شاب عاقل لا نتهمك كنت تكتب الوحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وأول هذه الخصائص أنه شاب مهمة ثقيلة تحتاج إلى قوة تحتاج إلى عمل متواصل أسندت إلى هذا الشاب الفتي مع ما عنده من الأمانة والعلم والخبرات السابقة كما يقال ثم كلفه بجمع القرآن وكتابته ومع أن الذي كان يحدثه أبو بكر خليفة المسلمين ومعه عمر وزيره وهما أفضل الصحابة وأكبرهما سنا إلى غير ذلك مع ذلك كله قال بكل رباطة جأش وهمة تناسب الشباب قال: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟) وهذا يدل على قوة هذه الشخصية لكن بعد أن جاءت المراجعة وانشرح صدره لذلك قال: فوالله لو كلفني نقل جبل من مكانه لكان أهون علي ثم انطلق وبدأ في هذه المهمة وأعانه عمر ووضع الشروط والضوابط والشهادة المطلوبة على كل وهو مكتوب أنه ثبتت كتابته بأمر النبي عليه الصلاة والسلام أو بحضرته وأتم هذه المهمة على أدق وأحكم وأمتن صوة ما كانت لتكون لولا هذه الفتوة والحيوية والحماسة والقوة في حياة الشباب والأمر في هذا كما قلنا يطول الحديث عنه.

3- الثبات والإصرار:

كثير من الأعمال لا تعطي ثمرتها إلا مع طول الزمن ومع استمرارية العمل وذو النفس التي ليست فيها هذه الحماسة غالبا ما ينقطع نفسه وينقطع عمله وينقطع بعد ذلك أثره ويطوى خبره لأن المسألة تحتاج إلى مثل هذا كما سنشير من مزايا الشباب في الحماسة: أنها تعطيهم قوة وثباتا بشكل منقطع النظير أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وهو أمير على الكوفة ظل يقرئ القرآن في مسجدها أربعين عاما كل يوم وهو أمير وهو يتولى الحكم لكنه كان في صفته وسمته يدل على هذا العطاء

المستمر والثبات على العمل ليست قضية ردود أفعال ولا سحابة صيف تنقشع ولا أمرا أثارته بعض العواطف المهيجة ثم جاء غيرها ونرى بعض الشباب وهو يتموج ويذهب يمنة ويسرة مع بعض هذه التقلبات لعاطفية وخاصة نحن في عصر عولمة وإعلام وكوكبة وموجات متدفقة هنا وهناك تعبث بالعقول والعواطف عبثا كبيرا وحبيب بن زيد رضي الله عنه وهو من أمثلة الشباب كيف ثبت لما أرسله النبي عليه الصلاة والسلام إلى مسيلمة الكذاب فكان يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله يقول مسيلمة: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن مسيلمة رسول الله يقول: لا أسمع لا أسمع وإذا بمسيلمة بعد ذلك يبدأ في تقطيعه يقطع أذنه يجدع أنفه ويقطع إربا إربا وهو ثابت على هذا النهج الذي كان عليه مصعب بن عمير الشاب المدلل المترف المعطر الذي قال فيه النبي عليه الصلاة والسلام: (ما رأيت فتى أحسن لمة في أهل مكة من مصعب بن عمير) لما دخل الإيمان في قلبه وتمكن وأعطى عاطفته كلها لهذا المعتقد والمبدأ ووجه بكل أنواع الحصار والتضييق وشظف العيش لم تلن له قناة ولم يتغير له موقف ولم يتراجع في أي صورة من الصور التي أخذ بها رضي الله عنه وأرضاه حتى كانت بعد ذلك قصة استشهاده مضرب مثل بل موضع عبرة لكبار الصحابة أبكتهم سنواتا طوالا بعد مصعب بن عمير رضي الله عنه كما ورد في الصحيح من حديث عبد الرحمن بن عوف عند البخاري أنه كان صائما في يوم خميس وأتي له بطعام الإفطار وكان فيه صنفين من الطعام نوعين من الطعام فقط نوعين فبكى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فتعجب الناس قالوا: ما يبكيك؟ قال: ذكرت مصعب بن عمير مات يوم أحد يوم مات ولم نجد ما نكفنه به إلا بردة إن غطينا رأسه بدا قدماه وإن غطينا قدماه بدا رأسه وأخشى أن نكون قد عجلت لنا طيباتنا، بقي موقف مصعب في ثباته الفريد يوم قطعت يده اليمنى فرفع الراية بيسراه فقطعت فضمها بعضديه حتى خر واستشهد رضي الله عنه على هذه الصورة من الثبات الرائع في قوة الحماسة والثبات على المنهج والمبدأ .

4- نجدة وإعانة :

وينتج عن هذه الحماسة في الجلة أيضا نجدة وإعانة لأن المتحمس يأبى أن يرى الضيم ويسكت يأبى أن يرى المحتاج وهو واقف لا تستجيشه تلك العاطفة إلى أن

يمد يد العون وإلى أن يسابق وإلى أن يكون في الصفوف الأول في كل هيعة وفي كل ميدان من ميادين العطاء والنجدة ولعل قصة حنظلة بن أبي عامر غيل الملائكة الذي دخل على زوجه وعروسه في ليلة عرسه ثم أصبح على ظهر الخيل مجاهدا في سبيل الله ناسيا أن يغتسل من جنابته حتى غسلته الملائكة فيما بين السماء والأرض كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم تلك هي روح الحماسة المتدفقة في ميدانها الصحيح وفي عطائها الإيجابي.

5- امتنان وانتفاع :

وبعد ذلك لا شك أن هذا كله تتسع به دائرة الامتنان في الأوساط التي يعيش فيها الشباب بهذه الروح وبهذا العطاء وانتفاع من حولهم بهم بدلا من أن يكون ما قد يكون من عكس ذلك مما قد نعرج عليه في حديثنا هذا.

حسرات الحماسة :

هنا انعطافة لننظر إلى الصورة الأخرى وإلى الشق الآخر حتى تكتمل الرؤية من جوانبها المخلفة لأنه ليس من مصلحتنا في شيء دائما أن نسمع من الناس ما نرغبه وما نحبه بالعكس الإنسان يستفيد أكثر ممن قد يكون له وجهة نظر أخرى وممن قد يكون له من بيئته ومن تنشئته ومن معرفته ما قد لا يتفق معك فحينئذ يحصل نوع من التبادل والتكامل والامتزاج النافع والمفيد نحن لا نريد ولا ينبغي أن نفرح عنما نجد من يطبطب على ظهورنا ويؤيد مواقفنا في كل شيء وربما نجد أن طبيعة العاطفة تدعو إلى ذلك من هو الذي نحبه ونأنس به؟ هو ذلك الذي يوافقنا في كل ما نقول ويسايرنا في كل ما نعمل ويعطينا الدعم المعنوي والإيجابي في كل مبدأ أو رأي أو موقف نتخذه دون أن يكون عنده أدنى تحفظ حتى ولو أخطأنا أو حتى توقع في مستقبل الأمر أن تكون هناك احتمالات لوجود عواقب أو مخاطر أو نحو ذلك لا لابد أن نأخذ هذا الجانب مرة أخرى في صورة مغايرة عما سبق أول هذه الحسرات.

1- الفتور والإحباط :

عندما تكون الاندفاعة قوية أكثر من اللازم وغير مستوعبة للواقع ولا مدركة للإمكانيات ولا متهيئة في الأخذ بالأسباب فإن هذه الإندفاعة تمضي فلا تحقق نتيجتها فيرتد حينئذ بعد تجربة وثانية وثالثة إلى فتور يترك معه كل عمل وكل حيوية

وكل نشاط وكل إيجابية بل يرتد حينئذ إلى نفسية محطمة مهزومة لم تعد عندها أدنى درجات الثقة بالنفس التي يمكن أن تكون أساسا للإنطلاق أو العمل ولعلي أضرب مثالا يدور أو يفع في صفوف الشباب كثيرا في بعض الجوانب الحياتية على سبيل المثال ربما يسمع كثير من الشباب الحث على العلم وطلب العلم وفضيلة العلم وتأتي هذه النصوص وتلك المحاضرات فتلهب في نفسه الحماسة وإذا به ولم تكن له سابق تجرة ولم يأخذ خبرة من صاحب تجربة يندفع اندفاعة من الناحية المنهجية غير صحيحة ومن الناحية التي تناسب طبيعته وقدرته غير متطابقة معها فإذا به لا يلوي على شيء ذكر البغوي في كتاب العلم شرح السنة عن الزهري رحمه الله قال: من رام العلم جملة فقده جملة، وهذه طبيعة ونحن نرى كيف يقبل كثير وهذه ظاهرة موجودة الشباب يقبلون ويريد أن يدرس هذا العلم وذاك العلم ويحفظ هذا المتن اندفاعة ليست متكاملة فكثيرا ما يؤول به الأمر إلى أن يترك ذلك كله أو حتى في جانب الالتزام الشخصي والأخذ بأمور الفرائض والعبادات والتطوعات يندفع فيها بغير ما يتناسب مع طاقته أو ظرفه ويكون فقط تحت تأثير عاطفي مؤقت ثم يرجع إلى ما وراء ذلك ونجد في هذا كما قلت من الناحية الواقعية أمثلة كثيرة والتجربة فيه واضحة حتى نستطيع إنشاء الله أن نواصل هذه المعاني.

2- تعطيل إعاقة :

كثيرا ما تدفع الحماسة إلى عمل متهور تفسد به كل تلك الرؤى التي كانت تبنى عليها الآمال وتقام عليها الأحلام لمواصلة في عمل ما لأن الإندفاع الشديد والخروج عن المسار الصحيح لا شك أنه سوف يفعل ردود أفعال كثيرة وهذه ردود الأفعال سوف تكون تعطيل ومنع وإعاقة وواقع الشباب المسلم في المجتمعات الإسلامية أيضا فيه أمثلة كثيرة من ذلك ونحن نعرف في كثير من بلاد المسلمين كيف كانت ثورات من الإندفاع في بلاد كثيرة أدت إلى منع خير كثير وإلى سد أبواب من الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل إلى تغييرات أعمق وأشد تأثيرا بدلا من ذلك الخير الذي كان ينشده بنسبة محدودة وإذا به ينقلب إلى كثير من العوائق والموانع والسدود التي تمنع كثيرا وكثيرا من الخير عليه وعلى آلاف مؤلفة من ورائه ولعلنا أيضا لا يخفى علينا مثل هذا فيما جرى في كثير من البلاد التي

انفرط فيها عقد أمنها واختلت فيها الموازين وكثر فيها الهرج والمرج مما سيأتي أيضا ذكر بعضه فيما نأتي به في هذه النقاط:

3- موت وإتلاف:

يعني قد يبلغ الأمر إلى هذا المبلغ ونحن نعرف أن الحماسة المتمكنة في النفس أحيانا قد تصل إلى شيء من تغييب العقل وعدم النظر حتى في الضوابط والأحكام الشرعية ونحن نحب أن نؤكد هنا على أمر مهم وهو أن المنطلقات التي تحكم المسلم ليست منطلقات العاطفة ولا الشعور ولا ردود الأفعال ولا الانتصار للذات الذي يحكمنا أمران هما الأساسيان في تصرفاتنا كلها:

الأول: هو حكم الشرع من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فما كان واجبا أمضيناه وما كان محرما تركناه ويلحق به ويكمله

الثاني : مراعاة المصلحة الشرعية في تنزيل الحكم الشرعي على الواقع المعاصر فإن من الأمور ما قد يكون واجبا أو قد يكون مباحا لكن إيقاعه في هذا الوقت أو في هذا المكان قد تترتب عليه مفاسد أعظم وقد يكون فعله في هذا الموطن محرما وإن كان في أصله واجبا وهذه موازنات معروفة في مقاصد الشريعة الكلية التي ينبغي مراعاتها وفي القواعد الفقهية المستقاة والمستنبطة من الأدلة الكلية والفرعية في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مثل: (لا ضرر ولا ضرار) وغير ذلك من القواعد المعروفة فهناك ما قد يصل إلى هذا مما يقع به إزهاق الأرواح وإتلاف الأموال وإفساد كثير من الأصول الثابتة التي لابد من معرفتها ولعلي هنا أيضا أركز في هذا المعنى لأن بعض الأفهام تتجاذبها عواطف ولا تكاد تفهم حقائق النصوص وإذا تأملنا في هذا الجانب ثمة أمر مهم نحن نذكره لأنه من دين الله ولابد أن نفقه ديننا وأن نعرف أن الأصل أننا متعبدون بشرع الله عز وجل وأنه لابد لنا أن نتأمل في حكمة الشارع لأن الشارع معصوم سواء كان ذلك في كتاب الله أو ما ثبت من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولعلي أخص هنا موضعا محددا من هذه المواضع التي أصبحت فيها الفتنة عامة في كثير من مجتمعات وبلاد المسلمين.

طائفة كبيرة كثيرة من أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام صحيحة في النقل وصريحة في النص في قضية ما يتعلق بالانحراف أو الفساد في ولي الأمر أو

الحاكم المسلم وكيف يكون التعامل في هذا الشأن ولعلي وأنا أستطرد هنا قليلا لا أقول إن هذا الحديث وهذه المحاضرة قد أعدت من قبل وإن كانت متطابقة ربما مع أحداث مؤسفة ومحزنة وقعت البارحة وفي الفترات الماضية، نقول الذي يتحدث بهذا هو سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ليست القضية كما قلت عاطفية يذكر عليه الصلاة والسلام جملة من الأحاديث لو ذكرتها لطال بنا المقام هذه الأحاديث فيها ضبط شديد وفيها تحوط كبير وفيها ربما في صورتها الظاهرة كأنما تأتي معاكسة لما ينبغي أن يكون فيقول على سبيل المثال عليه الصلاة والسلام في بعض ما صح من هذه الأحاديث قال: (من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر) وفي رواية أخرى من حديث حذيفة قال: (وإن جلد ظهره وأخذ ماله) وفي رواية ثالثة عند مسلم في تفصيلات لهذا الحديث لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عن الفتنة قال حذيفة رضي الله عنه في هذا الحديث يعني قال لرسول الله: أرأيت إن أتي به إلى الصفين قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: (فليدق سيفه) يعني فليتلف سيفه حتى لا يخوض في هذه الفتنة أو في ذلك القتال ونجد بعض هذه الأحاديث يفهمها ربما بعض الناس على أنها سلبية مطلقة وعلى أنها لا تتفق مع ما يظنه من عوميات أخرى في دين الإسلام ولو أننا تأملنا هذه النصوص لعرفنا حكمة عظيمة للشارع نقل ابن حجر رحمه الله عن ابن بطال في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة وفيه أحاديث عظيمة من مثل هذا قال يعني في مثل هذه الأوامر قال: فيه تسكين الدهماء وحقن الدماء لأن الأمر إذا انفرط عقده عظمت الفتنة وكبرت البلية وصار من الفساد على أمور الدين كلها ما لم يكن موجودا بمثل هذا الأمر ولا يعني ذلك بالطبع والقطع أن أي انحراف يقر وتصبغ عليه الشرعية كلا دين الله عز وجل واضح لا يضيعه أحد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يملك أحد تغييره ولا تبديله وذلك من فضل الله ونعمته علينا فينبغي أن نعرف أننا متعبدون بالشرع وانظروا إلى هذه الأمثلة:

حذيفة بن اليمان في قصته المشهورة في يوم الأحزاب لما طلب منه النبي أن يذهب ليرى خبر القوم الأحزاب أبو سفيان ومن معهم من قريش والقبائل فتسلل حذيفة في حادثة مشهورة ويصف هو يقول: وكان أبو سفيان في مرمى سهمي إلا أني ذكرت

قول النبي عليه الصلاة والسلام: (لا تحدث شيئا حتى ترجع) أبو سفيان رأس الكفر وهو قائد الأحزاب وكان في مرمى سهمه ونباله لكنه امتثل ذلك الأمر والأمر قطعا كانت فيه حكمة وهو إرشاد ووحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم:
{ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى } (النجم:3،4).
ومجزأة بن ثور السدوسي رضي الله عنه في معركة أخرى مع الروم عندما كلفه قائد المسلمين سعد وأتته رسالة بعد أن طال الحصار ولم يستطيعوا أن يقتحموا رسالة من بعض الروم تدلهم على منفذ تحت الأرض نفقي فيه ماء فانتدب قال سعد لمجزأة: انظر لي رجلا من قومك خفيفا جريئا شجاعا، قال: اجعلني أنا ذلك الرجل أيها الأمير ، وقال له: لا تحدث شيئا، قال: وخلصت حتى رأيت الهرمزان ونازعتني نفسي في قتله إلا أني ذكرت قول سعد فرجع وأخذ ثلاثمائة وكلهم خاضوا ودخلوا وفتحوا من الداخل، ليست القضية اندفاعات عاطفية وإنما هي انضباطات شرعية ومراعاة مصلحية ومنهجية في الأولوية ينبغي أن نعرفها.
4- الضياع والخسارة:
كم من الشباب يندفعون في جوانب مختلفة ثم لا يرمون على شيء لأنهم لم يرشدوا تلك الحماسة ولم يجعلوها في برامج عملية وتدرج فيمضي الوقت ولا تحصل الثمرة، وتنفق الجهود أو الأموال ولا تحصل النتيجة وذلك أيضا كما قلت حتى لا نطيل يزيد في الأمر ولعلي أضرب مثالا في قضية العلم مرة أخرى:
بعض الشباب في هذه الحماسة العلمية يتتبعون مسائل الخلاف وتجد الواحد بعد يوم أو يومين من بداية عنايته بالعلم أو بعنايته بالالتزام إذا به يسمع هذه المسائل الخلافية ويتحدث بها، فلان مخطئ فلان كذا ويبدد الجهود في تتبع الأخطاء وفي حفظ الأحاديث الضعيفة والموضوعة وهو لم يعرف الصحيحة بعد ولم يحفظها ولم يكون من ذلك نظرة علمية واضحة يستطيع بها أن يميز بعد ذلك الخطأ الذي قد يكون في هذه المنهجيات المختلفة.
وقد قال ابن القيم رحمه الله كما ورد في الفوائد قال: من تتبع شواذ المسائل يعهني التي فيها الخلافات فقط يتتبعها، يقول: منهج أهل السنة والجماعة أخذ أصول العلم قال: وغيرهم يتتبع شواذ المسائل وهو يقول عن تجربة: وقل من رأيته يفلح في

هؤلاء، ما يصل إلى ثمرة لأنه إذا صح التعبير يأخذ من كل بحر قطرة وينتهي بعد ذلك إلى ولا قطرة، ليست هناك يعني هذه الصورة الإيجابية التاي بتجميع هذه الجهود نصل إلى ثمرة هناك ضياع وخسارة.

5- التضخيم والاختلال:

هناك نقاط صغيرة يمكن بالمكبرات أن ترى وهي مئات أضعاف حجمها من حماسة الناس أحيانا إذا تحمس لأمر جعله هو كل شيء هو مبتدأ الأمر ونهايته وهو أوله وغايته وهو الذي لايمكن أن ينشغل أحد بسواه وإذا انشغل أحد بغيره فهو ضائع وتافه ومضيع للأمور وهكذا تندفع العاطفة تماما هي العاطفة بطبيعتها حتى لو اندفعت العاطفة كما نعرف عند العشاق والمحبين تختصر الدنيا كلها في المعشوق والمحبوب كما قال المجنون ولا بأس أن يكون هذا التفريع للشباب، يقول:

إذا قيل للمجنون: ليلى تريد *** أم الدنيا وما في طواياها

لقال غبار من تراب نعالها *** أحب لنفسي وأشفى لبلواها

يقول ابن الجوزي معلقا: وهذا مذهب المحبين بلا خلاف فمن أحب الله ورسوله كان أدنى شيء منهما أحب إليه من كل هذه الدنيا وما فيها.

فالمسألة الاندفاعية في العاطفة هذه قضية عظيمة ومن أمثلتها: التقديس والتبخيس والتهوين والتهويل: من أحببناه جعلناه ذلك الرجل الذي كأنما هو ملك مبرأ من كل عيب أما علمه فغزير وأما رأيه فسديد وأما منطقه ففصيح وأما تصرفه فحكيم، كأنما لم يكن فيه عيب مطلق ونحن حينئذ نقول: هو الأول وهو الآخر وهو الذي ينبغي أن يكون ... أين هذا من ذلك الاتزان حتى النبي عليه الصلاة والسلام يقول لأصحابه: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم) ويقول: (قولوا بقولكم أو ببعض قولكم) يعني يجعل هذا الاعتدال في شخصه عليه الصلاة والسلام وهو من هو في عظمته ومكانته عند ربه سبحانه وتعالى ولذلك مما رواه أبو هريرة وهو من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان الرسول صلى الله عليه وسلم أحب شيء إلينا رؤيته فإذا أقبل علينا لم نقم له لأنا نعرف كراهيته لذلك.

وأحيانا إذا انتقصنا إنسانا وكان غير مقنع لنا فلا نكاد نرى له حسنة من الحسنات:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وهذه قضية واضحة ونعرف الأمثلة في هذا قصة سلمان رضي الله عنه ولا أريد أن أطيل.

إذن هل نحن الآن مع الحماسة؟ وإلا فترت حماستنا للحماسة والمتحمسين لكننا نقول: لا للتهور، الحماسة التي قلناها باقين على عهدنا بها وعلى تأييدنا لها.

الحماسة المتهورة :

ثم نمضي مرة أخرى إلى الحماسة المتهورة: ما أسباب هذا الذي رأيناه من قبل؟ لابد أن نعرف العلل من خلال أسبابها وبداياتها حتى نجتنبها وحتى نتقيها فالوقاية خير من العلاج أول هذه الأسباب:

1- قصور في العلم:

مشكلة الجهل هي آفة الآفات ومن الجهل: جهل بسيط وجهل مركب كما تعلمون، الجهل الذي نقصده هناك غياب كثير من الأصول العلمية المهمة:

معرفة النصوص الشرعية في كثير من الميادين الحياتية والمسائل الآنية المستجدة، معرفة القواعد الشرعية كما قلت التي هي خلاصة إستقراء للأدلة النصية ، معرفة المقاصد الشرعية التي هي خلاصة غايت هذا الدين وأهدافه، معرفة السنن الربانية في طبيعة هذه الحياة وطبيعة قيام الدول وسقوطها وطبيعة مآل المتقين وعاقبة المكذبين والكافرين قضايا كثيرة لابد أن ندركها ونعرف أنها سنن ماضية لا تتبدل:

{ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً } (فاطر: من الآية43).

لابد أن يكون عندنا يقين ومعرفة وتشرب لهذه المعاني حتى لا نندفع مع العاطفة بعيدا عن هذه الأصول العلمية المهمة وكما قلت الأمثلة قد تطول ولكنني أذكر عندما نتلو قول الله سبحانه وتعالى:

{ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ } (محمد: من الآية7).

عندما نقول:

{ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ } (هود: من الآية49).

{ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ } (الروم:60).

هذه معاني مهمة النبي عليه الصلاة والسلام طبقها والصحابة على سبيل المثال بعض الأمثلة.

في سنن أبي داود نفر من الصحابة كانوا في سفر شج أحدهم أصابته الجنابة استفتى أصحابه، قالوا: لا لابد أن تغتسل الجو بارد والرجل مشجوج، قالوا: لابد أن تغتسل، فاغتسل فمات، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (قتلوه قتلهم الله، أ فلا سألوا إذ لم يعلموا؟ إنما شفاء العي السؤال) كم من القضايا الضخمة الهائلة والمسائل الكبيرة التي من المفترض أن لا يتكلم فيها إلا أكابر العلماء مجتمعين وإذا بك تجد ذلك الشاب في مقتبل العمر يتناول الحديث فيها ويفتي فيها ويعطي القول الحاسم والجازم ويرفض كل ما يخالف رأيه وقوله وهذا في غالب الأحوال ليس عن أساس علمي وإنما هي عن اندفاعات عاطفية وخليط ومزيج من هذه التجاذبات التي تجتمع لدى هذا أو ذاك وكما قلت المسائل كثيرة.

2- النقص في الوعي:

والوعي هو: إدراك المسائل من جميع جوانبها ومعرفتها من كل وجوهها، كثيرا ما تكون النظرة إلى جانب واحد تذكرنا بالقصة المشهورة للعميان الثلاثة الذين اتفقوا هل رأوا الفيل؟ فأحدهم وقعت يده على خرطومه، والآخر وقعت يده على أذنه، والثالث فكل عندما وصف إنما وصف الجزئية التي رآها وكان الوصف أبعد ما يكون عن الحقيقة لأنه لم تكتمل الأجزاء حتى تتكامل الصورة بشكل واضح معرفة الواقع أصل مهم في تنزيل الحكم الشرعي على هذه المسائل وهذه مسألة طويلة وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد فصولا نفيسة في هذه المسألة وقال: إن كل عالم ينبغي أن يكون عالما بالشرع وبصيرا بالواقع حتى يستطيع أن ينزل هذا على ذاك نقص لوعي لما وراء هذه الأمور وم يترتب عليها من المفاسد والمصالح والرؤية التكاملية إذا غابت فإنها في غالب الأحوال يقع لها يعني بها مثل ذلك الذي أشرنا إليه.

3- الضعف في التربية:

كثيرة أجيال الشباب الذين لم يتلقوا تربية متكاملة منهجية على الأصول الإسلامية كثيرون منا كنا في أوقات ليس عندنا أحد يرشدنا أو ربما لقد كنا سرنا في طرق من التسيب أو التفلت أو تجاوز المحارم أو نحو ذلك ثم بعد ذلك عدنا أو كانت لنا ثقافات خليطة ثم بعد ذلك حاولنا أن تكون لنا ثقافة أصيلة هذا الخليط فيه ضعف في التربية ليس فيه تعود على منهجية متكاملة على سير واضح على تخطيط بين

على صبر وانضباط كثيرا ما يكون عبارة عن هذه الردود الانفعالية وكثيرا ما نرى الجوانب المتضادة فمن أقصى اليمين إلى أقصى اليسار بغير أن تمر أو بغير أن يكون هناك مرور على منطقة الوسط وهذا مشاهد في كثير من الجوانب.

4- إحباط في الشعور:

وهو لعله من أخطرها وأكثرها تأثيرا في الشباب الذين يتهورون وهو: الإحباط في مشاعرهم من نواح عدة أول هذه النواحي:

تسلط الأعداء وهيمنتهم على أحوال وأوضاع بل وبلاد الأمة الإسلامية في عجز فاضح وتخاذل واضح وسلبية مؤلمة ومحزنة:

هذه عند الشباب المتحمس يرى ذلك فتغلبه عاطفته وتتقد حماسته وربما عند غياب ما سبق تضيع الرؤية وطيش العقل وينعدم الرأي السديد المبني على العلم الصحيح وهذا نحن نعرف واقعه ونعرف كم هي بلاد الإسلام التي احتلها الأعداء وتسلطوا عليها ليس لسنة ولا سنتين ولا لعقد ولا عقدين بل لما هو أكثر من ذلك ولعل فترات الزمن الأخيرة كان فيها كثير مما يعد هزائم وتراجعات المسلمين على مستويات عدة بل على المستويات الحضارية والعلمية وهذا عند من تتقد نفسه غيرة وحمية لابد أن يكون لها أثر فإذا زاد حجم هذه القوة حجم هذا العدوان وحجم هذه الهزائم أصبحت أكبر من أن تحتملها نفسه فيخرج إلى غير حد اعتدال وإلى غير تصرف الاتزان وهذا أمره أيضا واضح.

الأثر الثاني في إحباط الشعور: أيضا كثرة الانحراف والخلل والتجاوز في مجتمعات المسلمين نفسها في حدود الله عز وجل:

نحن نعرف كم في بلاد المسلمين من هذه التجاوزات كم في بلاد المسلمين من إقرار المنكرات والقيام بها وإعلانها وتبنيها، كم فيها مما هو مخالف لشرع الله ويمنع شرع الله ويبيح ما يخالف شرع الله وهذ قضية لا شك أن كل ذي غيرة وإيمان يضيق صدره بها وتغلي نفسه ويشتعل قلبه حزنا وألما ورغبة في أن لا يكون مثل ذلك لكن عندما تفقد بعض هذه الصور يكون أيضا ما ذكرناه.

وجانب ثالث: وهو سوء المعاملة والظلم في التعامل مع هؤلاء الشباب:

سواء كان في بيئة التعليم من أساتذتهم أو من قد يكونون في موقع التربية ولا يجدون منهم إلا تخطئتهم وإتهامهم بالنزق والطيش أو كذا أو حتى في الدائرة الأسرية وعجز الآباء عن تفهم ما قد يكون عند الشباب من عواطف فيها أخطاء لكنها تحتاج إلى توجيه وربما كذلك أحيانا في المعالجات والمعاملات الأمنية عل مستوى الدول كثيرا ما كانت هذه هي بذور لتلك الانحرافات بشكل أو بآخر ونحن في عصر تتجدد أحداثه وتتفاقم بشكل كبير وهذه قضية مهمة.

5- رداءة في الاستيعاب:

هذه الطاقة المتدفقة والحماسة المتألقة أين تصرف؟ أين مجالها الصحيح؟ كيف نضعها على خط القطار ليمشي إلى الوجهة التي ينتهي إليها ليصل إلى غاية محددة ومعروفة عندنا أمران: إما أنها مسنفذة في أمور تافهة وضائعة فكم مستنفذ من حماس الشباب في الرياضة على سبيل المثال، كم من حماسة وقوة وربما صراع وربما أعصاب ويعني قدرات تتفجر في هذا الجانب بهذه الضخامة أو في جوانب أخرى أيضا ليست في الاستثمار الصحيح الرياضة جيدة ربما حتى التشنيع في أصله ليس على هذا ليس شيئا مذموما لكن هذه المبالغات تجعل في آخر الأمر أنها لا تقنع وأنها في الأخير ترتد إلى فراغ يرجع إلى بحث عن بديل آخر ، وإما أيضا: أنه هناك غياب وقلة وندرة في المحاضر الاستيعابية لطاقة هؤلاء الشباب وحماستهم.

حماسة الأكياس:

لعلي أصل إلى نقطة أخيرة وإنها نقطة مهمة وكما قلنا لا للتهور نقول: لا للمتهورين وتسألون الآن: ما الذي تريد؟ وأين سنصل؟ ما بين حماسة مدحتها ثم عدت ونقضت أصولها وهنا نكمل بالشق الثاني لعنواننا ونقف هذه الوقفة الأخيرة في: حماسة الأكياس:

1- التعقل والاتزان :

وطبعا ليست الأكياس الأكياس إنما الأكياس من ذوي العقول، هنا جمعنا بين الأمرين نريد هذه الحماسة والحقيقة أن الإنسان بدون الحماسة والحيوية النفسية في الحقيقة هو أقرب إلى الجماد وإلى الموات منه إلى الإنسان الذي بطبيعته هو حيوي والتفاعلات الحيوية في جسم الإنسان في الثانية الواحدة تقوم عمليات ضخمة وهائلة

في جسم الإنسان ثم هو بعد ذلك يكون خاملا وقاعدا وكسولا هذا لا يتطابق لذلك نقول: صفة الحماسة إذا أضفنا إليها هذا الخليط والمزيج من الكياسة أصبحت الحماسة الإيجابية هي التي نمدحها ونريدها وترشدها تلك النظرة العقلية المتزنة فتأتينا هذه الصورة التي نريد أن نعطي فيها وصف لهذه الحماسة الكيسة أو الكياسة المتحمسة أو كما ذكر في كلمات جميلة الأستاذ البنا يقولا: ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول وأنيروا أشعة العقول بلهيب الحماسة.

وهي كلمات جميلة تبين أننا نحتاج لمزج ذلك العقل الذي دائما يتحفظ يتحفظ ولا يريد أن ينطلق يحتاج إلى بعض الحماسة حتى تفك عنه بعض تلك القيود التي يبالغ فيها وربما تلك الحماسة المندفعة تحتاج إلى بعض القيود العقلي حتى يرشدها فلذلك التعقل والاتزان مهم جدا الاتزان لا يجعل هناك طغيان جانب على جانب كما قلنا ونستحضر كما قلنا في قصة سلمان وأبي الدرداء: لما جاء سلمان إلى أبي الدرداء شكت أم الدرداء، قالت: أخوك أبو الدرداء لا حظ له في الدنيا وكذا وإنما هو صائم نهاره أو قائم ليله فنزل ضيفا عليه أراد أن يصلي قال: لا، كان صائما وقدم لسلمان الطعام قال: كل معي، قال أنا صائم قال: أفطر وجعله يفطر ثم أراد لما جاء الليل أن يصلي قال: نم ، ثم قام يريد أن يصلي، قال: نم، حتى انتصف الليل قال: قم فصلي، ثم جادله في ذلك فلما بلغ الأمر الرسول صلى الله عليه وسلم قال له: (إن لأهلك عليك حقا وإن لزورك عليك حقا "لضيوفك يعني " وإن لنفسك عليك حقا فأعطي كل ذي حق حقه).

موقف أيضا لعثمان بن عفان رضي الله عنه لما كان في فترة خلافته تعرفون ما بدأ بعض المرجفين يشيعونه من انتقادات على عثمان رضي الله عنه فلما جاء موسم الحج كان عثمان رضي الله عنه من أخيار الصحابة يريد أن يبين للناس خطأ ما يقولونه ويفند فقال: لأقومن في الناس مقاما لا أدع شاردة وواردة إلا أتيت عليها يريد أن يبين للناس، قال عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاع الناس ورب كلمة يطيرها عنك مطير، عقول لا تستوعب عامة الناس تذكر قضايا وإذا بها بعد ذلك تتطيش وهذا يأخذها يمينا وذاك يأخذها يسارا وهذا يفهمها على وجه وذاك يفهمها على وجه آخر الكلام في موضعه جعله الشاطبي

رحمه الله من السنة وجعل الكلام في غير موضعه جعله من البدع كما ذكر ذلك في الاعتصام استدلالا بحديث النبي عليه الصلاة والسلام في حديث علي عند البخاري: حدثوا الناس بما يعرفون أ تحبون أن يكذب الله ورسوله؟ وحديث ابن مسعود في مسلم قال: ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة ، وهذا أمره واضح.

في الحديبية موقف جميل للنبي عليه الصلاة والسلام لما أرادوا أن يكتبوا قال: (اكتب محمد رسول الله) قال: سهل بن عمرو لو كنا نعلم أنك رسول الله ما جادلناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، ولما قال: (اكتب بسم الله الرحمن الرحيم) قال: لا، لا نعرف ما الرحمن ولا الرحيم، اكتب باسمك اللهم، الرسول يقول لعلي بن أبي طالب: (اكتب) وعلي غير قابل لهذا يعني لا يرى ذلك المسألة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أوسع نظرا وعقلا دع هذه الصغيرة من الأمور فقال: (اكتب) فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (أرينيها؟) فمسحها الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات بنفسه، قال لعلي: (اكتب) دعك من هذه القضية الصغيرة فإن هناك ما هو أكبر منها لا تجعل هذه المسألة أكبر من حجمها وبالتالي تجعل كل توجهك ومواجهتك وقوتك وطاقتك واعتراضك لهذه القضية فتستنفذ أو تقيم فيها معركة ضخمة هائلة كما نرى من بعض الشباب الآن عندما يذكرون أمرا من الشرع وسنة من السنن لكن يجعلون النفير عليها كأنها أصل الدين كله وربما جعلوا من ذلك كما يخرجون به إلى تفسيق أو تبديع أو تكفير من غير مثل هذا الذي ننبه الناس إليه.

2- الضبط والإحكام :

وقد ذكرت في هذا ما هو مهم جدا ولعلنا نستحضر مثالا واحدا:

في بيعة العقبة بعد أن بايع الصحابة رضوان الله عليهم بل قبل أن يبايعوا انظروا كيف كانت روح الحماس جاء أبو التيهان وفي رواية غيره قال: اعلموا أنكم إنما تبايعون الرجل على حرب الأحمر والأسود فإن رأيتم أنكم تسلمونه فمن الآن، أراد أن يفاصلهم وينبههم وأن يستشعر حميتهم، فبايعوه فقال العباس بن عبيد بن نضلة رضي الله عنه: قال: يا رسول الله لو شئت أن نميل على أهل الوادي ميلة واحدة لفعلنا في منى هذا الكلام في الفترة المكية، قال: لو تريد غدا أن نناجز القوم ونقاتلهم

انتهى قال صلى الله عليه وسلم: (إنا لم نؤمر بذلك) ولما جاءه الخباب في الفترة المكية وقد اشتد الأذى: يا رسول الله ألا تدعو لنا ألا تستنصر لنا؟ قال: (إنه كان في من كان قبلكم من يحفر في الأرض ثم يوضع فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع في مفرق رأسه فينشر حتى ينفلق إلى نصفين ما يصده ذلك عن دينه وإنه كان يؤتى بالرجل فيمشط بأمشاط من حديد ما بين لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه) ثم قال: (والله ليبلغن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون).

3- التدرج والاستثمار:

لهذه العاطفة: لو أننا تدرجنا لوجدنا أننا نحصل أكثر مما نحصل بالسرعة التي ليس فيها مراعاة للواقع ولطبيعة الإنسان وإمكانياته من أحسن الأمثلة في هذا:

عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لما تولى أبوه الخلافة ونعرف عمر كيف كان عندما تولى الخلافة ورعا وزاهدا وكان يعني يأخذ بالجد في الأمور، جاءه ابنه عبد الملك ينكر عليه ويقول: كيف تلقى الله عز وجل وفي هذا كذا وكذا، فقال له: ألا ترضى أن لا يمر على أبيك يوم إلا وهو يميت بدعة ويحيي سنة، ذاك الشاب يريد أن يغيرها كلها في يوم واحد، وهذا لحكمته وأيضا قوة إيمانه وحماسته يريد أن يجعلها في منهجية تحصل بها النتيجة ويقع بها الأثر المطلوب.

ونعرف ما كان من شأن النبي عليه الصلاة والسلام: في عمرة القضاء في العام السابع من الهجرة طاف النبي صلى الله عليه وسلم حول الكعبة والأصنام حولها ستون وثلاثمائة صنم، والرسول يطوف بها بعد صلح الحديبية، ولم يشتمها ولم يتعرض لها أبدا لأن له مجال آخر بعد عام واحد فقط في العام الثامن فتح مكة جاء ومعه محجنه عليه الصلاة والسلام يطعن هذه الأصنام وهي تتهاوى ويقول:

{ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً } (الإسراء:81).

كل شيء بأوانه الإنسان يجتهد ويعد عدته ويفكر ويدبر ويستشير ويستعين بالله عز وجل ويستخير ولكن هذا التعجل لا ينبغي أن يكون .

4- الدوام والاستمرار :

هو طبيعة ذلك التدرج (خير الأعمال أدومها وإن قل) (أحب الأعمال إلى الله ما كان ديمة) وحتى النية لكي نحافظ على هذه الحماسة تأتينا ثمرتها نحن الآن لانريد العواطف التي تصل بنا إلى العواصف القاصمة وإنما نريد العمل الذي يدوم ويستمر.

ابن عباس يذكر قصة له مع صاحب من الأنصار في سنه، قال: لما مات الرسول صلى الله عليه وسلم قلت لصاحبي من الأنصار: اغد بنا إلى أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم نطلب العلم، قال له: ومن ينظر إليك يابن عباس وفي القوم أبو بكر وعمر وفلان، قال: فانطلقت وتركته وضللت أتتبع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخذ عنهم وتدرج وتدرج حتى أصبح ابن عباس بعد فترة قصيرة من الزمن بهذه المواظبة والاستمرارية هو حبر الأمة وترجمان القرآن رضي الله عنه وأرضاه.

والنبي عليه الصلاة والسلام رأى حبلا متدليا كما في الصحيح، قال: (ما هذا؟) قالوا: حبل لزينب، تصلي فإذا تعبت تعلقت به، قال: (مه، عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا، ليصل أحدكم نشاطه فإذا تعب فليرقد) خذ أمرا تستطيع أن تواصل فيه .

5- التنامي والانتشار :

وهذا أيضا من الأمور المهمة وينتج عن هذا لو أننا أخذنا بذلك سوف تنمو هذه الحماسة وتنتشر وتعم هذه الإيجابية بشكل مهم وأساسي ولعلنا وقد تجاوزنا الوقت نقول:

إن الذي نريده حماسة ولكنها مشوبة بهذه الكياسة نحن نقول: لا للتهجين والترويض ولكننا أيضا نقول: لا للإثارة والتهييج، نحن نريد أن يكون لنا طريق إلى هذه الحماسة الراشدة من خلال ما قلناه في تلك الجوانب السلبية بعكسه إيجابيا:

علم بالشرع وبصر بالواقع وصبر في المعالجة وعدالة في المواقف وأناة في الممارسة والله سبحانه وتعالى قال:

{ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً } (الكهف:58).

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

====================

#لأمة بين سنتي الإبتلاء والعمل [5/2]

عمر بن عبد الله المقبل (*) 1425/4/22

2004/06/10

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن مثل هذه التساؤلات، والآهات التي تنفثها صدور كثير من شباب الأمة، لهي والله بشير خير، كيف لا؟ وقد أتى على أكثر شباب قبل ثلاثة عقود من الزمان تقريباً، ولا هم لهم إلا الحديث عن الفن والكرة ونحوها من الأمور التي شغلوا بها ردحاً من الزمن!

لقد مرّت فترة على أكثر الشباب ،وأحدهم ربما بكى لأن فريقه الكروي انهزم ، أو مطربه المفضل مات، واليوم نرى كثيراً من شبابنا –ولله الحمد–ترتقي هممهم ،ليكون بكاؤها على ما يستحق البكاء.. ألا وهو البكاء على ما يحل بالمسلمين من ظلم وقتل واغتصاب من قبل أعدائهم.

وفرحتنا بهذا التحول في الاهتمامات ،وبهذه التساؤلات والآهات –لكي تكتمل –يجب أن نستثمرها استثماراً إيجابياً حتى لا تفتر هذه العزمات المتطلعة لنصر الأمة.

أما النواح والبكاء دون عمل، فليس هذا من هديه – صلى الله عليه وسلم –، ولك أن تعلم مقدار حزنه العظيم الذي كاد يفلق كبده على شهداء أحد، ومع ذلك لم يمنعه ذلك المشهد – الذي بقي معه إلى أن مات– من الاستمرار في الجهاد لهذا الدين، وتبليغه.

وإذا تحدثنا عن أهمية استثمارها ، فإننا نؤكد على أهمية ترشيد هذه التساؤلات حتى لا يساء استخدامها في أمور قد يُظَن أنها نافعةٌ وليست كذلك، والسبيل إلى ذلك إنما يكون بترشيدها، وهذا يمكن تحقيقه بعدة أمور:

1– يجب أن لا نغفل . في زحمة الأحداث، وشدة وطأتها على قلوبنا . عن السنن الإلهية في ابتلاء أهل الإيمان، فلقد ابتلي من هومنا، وكم في الإبتلاءات من

الألطاف الخفية لربنا تعالى ،والتي قد تعجز عقولنا عن تصورها،فضلاً عن الإحاطة بها.

أين أنت أخي عن قوله تعالى لخير جند مشوا على وجه الأرض : محمد – صلى الله عليه وسلم – وصحابته؟ الذين قيل في حقهم –لما ابتلوا بما ابتلوا به يوم أحد –: "وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ" قال غير واحد من السلف: أي: ليختبر الذين آمنوا، حتى يخلصهم بالبلاء الذي نزل بهم، وكيف صبرهم ويقينهم.

وقيل لهم أيضاً: "وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ"، أي : يختبركم بما جرى عليكم ليميز الخبيث من الطيب، ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس في الأقوال والأفعال .

أخي: كم في الأمة من العلل؟ وكم فيها من الدخلاء ؟ وكم فيها ممن يدعي الحرقة والأمر ليس كذلك؟!

هل نسيت أيها المبارك ما وقع لنبيك – صلى الله عليه وسلم– يوم أحد ؟ أو يوم الأحزاب؟!.

إن هذه الأحداث التي أقلقتك وأزعجتك ، إنها تحت سمع الله وبصره، والله –تعالى– أغير من خلقه أن تنتهك حرمات عباده ،وتغتصب نساء أوليائه ،ويُعرض عن دينه ،ويحارب حزبه ،ولكنها السنن – أيها الأخ الكريم – التي ربّى النبي – صلى الله عليه وسلم– عليها أصحابه حين اشتكوا إليه شدة ما يلقون من المشركين ، ومنهم خباب – كما في البخاري – قال: شكونا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وهو متوسد بردةً له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: "كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون".

وهذه الجملة الأخيرة، يجب ألا تغيب عن الأذهان، ونحن نبحث ونتلمس النصر لهذا الدين..

ويجب ألا تغيب ونحن نسمع أو نعلم عن إخوان لنا في السجون قد يموت أحدهم في سبيل الله ، ويجب أن ندرك أن الأمر كما قال الشاعر:

فتلك سبيلٌ ، لست فيها بأوحد

2 . ومع استحضار سنة الابتلاء، فإننا يجب أن نتذكر أن هذا الطغيان والاستبداد الذي تراه من أمم الكفر، هو أيضاً لا يخرج عن سنة أخرى من سنن الله تعالى في الأمم، وهي أن هذا في الحقيقة تمهيد لمضي سنة أخرى من سنن الله تعالى، ألا وهي محق الكفار.

يقول ابن القيم –رحمه الله– وهو يتحدث عن العبر من غزوة أحد في (زاد المعاد) (222/3): ومنها . أي من دروس غزوة أحد . أن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم ، قيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم ، ومن أعظمها – بعد كفرهم – : بغيهم وطغيانهم، ومبالغتهم في أذى أوليائه، ومحاربتهم وقتالهم، والتسلط عليهم، فيتمحص بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم، ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محقهم وهلاكهم، وقد ذكر سبحانه وتعالى ذلك في قوله: "ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين * إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين * وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين"، فجمع لهم في هذا الخطاب بين تشجيعهم، وتقوية نفوسهم، وإحياءِ عزائمهم وهممهم، وبين حسن التسلية، وذكر الحكم الباهرة التي اقتضت إدالة الكفار عليهم، فقال: "إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله" فقد استويتم في القرح والألم، وتباينتم في الرجاء والثواب، كما قال: "إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون" فما بالكم تهنون وتضعفون عند القرح والألم؟! فقد أصابهم ذلك في سبيل الشيطان وأنتم أصبتم في سبيلي وابتغاء مرضاتي.

ثم أخبر أنه يداول أيام هذه الحياة الدنيا بين الناس، وأنها عرض حاضر يقسمها دولاً بين أوليائه وأعدائه، بخلاف الآخرة فإن عزها ونصرها ورجاءها خالص للذين آمنوا.

ثم ذكر حكمةً أخرى، وهي: أن يتميز المؤمنون من المنافقين ، فيعلمهم علم رؤية ومشاهدة ، بعد أن كانوا معلومين في غيبه.

ثم ذكر حكمة أخرى، وهي: اتخاذه سبحانه منهم شهداء، فإنه يحب الشهداء من عباده، وقد أعد لهم أعلى المنازل وأفضلها، وقد اتخذهم لنفسه، فلا بد أن ينيلهم درجة الشهادة " انتهى.

وكان قال قبل ذلك ـ رحمه الله ـ مقرراً هذا الأصل (18/3): والمقصود أن الله سبحانه اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس ويبتليها ، فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكراماته ومن لا يصلح، وليمحص النفوس التي تصلح له، ويخلصها بكير الامتحان، كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا بالامتحان، إذ النفسُ في الأصل جاهلةٌ ظالمةٌ، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية" اهـ .

3- علينا -أيضاً- أن ندفع هذه السنة بسنة أخرى، وهي سنة العمل للدين، فإن الله تعالى قادرٌ أن ينصر دينه بأيسر الأسباب ،ولكن اقتضت حكمته أن لا يتم النصر إلا على أيدي رجالٍ ينذرون أنفسهم لنصرة دينهم بالغالي والنفيس، وبكل ما يقدرون عليه.

ألم تر -أخي الكريم- كيف ترك المهاجرون ديارهم وأموالهم، بل أخرجوا منها رغماً عنهم، وقبلوا بذلك، وما أرخصه إذا كان الثمن رضوان الله والجنة، فأعقبهم الله تعالى- بعد سنوات من الدعوة والجهاد- بأن عادوا إليها فاتحين، وقبل ذلك وبعده أن الله تعالى رضي عنهم، وعن إخوانهم من الأنصار.

إذن، نحن بحاجة إلى أن نخرج من دائرة النواح والبكاء، لننزل إلى ميادين العمل، وما أكثرها في هذا الزمن!

ومن المهم -أيضاً- في هذا المقام أن لا نختصر مجالات النصرة، وسبل رفع الذلة عن هذه الأمة في عملٍ واحد، فإن نبينا - صلى الله عليه وسلم- الذي جاء بالتوحيد، هو الذي أمر بإماطة الأذى عن الطريق، وهو الذي أمر بالإحسان إلى الحيوان ويجب أن لا نستهين بأي عملٍ فاضل، وأن لا يعيب المشتغل بالعلم تعلماً وتعليماً من نذر نفسه في ميادين الدعوة إلى الله، أو في ساحات الجهاد ، والعكس صحيح، فإن الجميع يكمل بعضهم بعضاً، ولا غنى للأمة عن أي عملٍ صالح.

نعم! ليست الميادين في تأثيرها وقوتها بدرجة واحدة، لكن مقصودي هو التحذير من اختزال أسباب النصر في سبب واحدٍ أو سببين، فإن الله تعالى قال: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ".

فلنسع إلى نصرة ديننا جهدنا، ولنكن ممن لبى نداء ربه الذي قال:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ".

وقد سألت أيها الفاضل عن كيفية السعي لنصرة هذا الدين؟ وسأل آخر عن كيفية القيام بواجبه الدعوي؟ ومن الصعب في مثل هذه العجالة أن أفصل لك ماذا تعمل، لكن يمكنك الانطلاق من خلال الخطوات التالية:

1- قم بحصر للمنكرات في محيطك الذي حولك.

2-ابدأ بعلاج المنكر الأكبر ، فإن لم تستطع فانتقل للذي بعده.

3- تواصل وتشاور مع أهل العلم والدعاة . إن وجدوا في بلدك . لبحث كيفية علاج هذه المنكرات أو التخفيف منها، وإلا فانتقل للذين بعدهم وهكذا، وأرجح ألا تبتعد في السؤال عن أهل بلدك، لأنهم أعلم بحال بلدك من غيرهم، فإن عدموا . ولا أظن ذلك . فبإمكانك أن تتواصل مع غيرهم.

4- ديننا قائم على: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمع ممارسة النهي عن المنكر، يجب أن نقدم للمجتمع المعروف، بل البدء به هو الأصل، فليس صحيحاً ألا يسمع المجتمع منا إلا نبرة الإنكار فقط، بل من نشر المعروف، بالدروس والمواعظ، أو على الأقل عن طريق خطب الجمعة، كل ذلك بحسب الطاقة.

فإن منعنا من ذلك كله، فلن نعجز أن نري المجتمع منا صدقاً في الالتزام بهذا الدين، نتمثله بالصدق في أقوالنا وأفعالنا ، فتلك –وربي– ليست بهينة ، فقد كسب بها النبي ج أنصاراً لدينه بسبب صدقه وأمانته، وشمائله الطيبة التي جعلت الناس يقولون: ما كان هذا ليكذب على ربه وهو لا يكذب في حديث الناس.

4- ونحن نرى ما نرى من الإبتلاءات والشدائد، يجب أن نفتح أعيننا على الجوانب المشرقة التي تحققت للأمة في العقدين الأخيرين، على مستوى الشعوب على الأقل؟!

فمن ذا الذي ينكر هذا الخير العميم الذي انتشر في بلاد الإسلام؟

ومن الذي يكابر في هذه الأفواج الكبيرة العائدة إلى الله، أو الداخلة في دين الله تعالى؟!

كم هم حفظة القرآن؟ كم هم المشتغلون بحفظ السنة؟.

ألم تر عينك أفواج الشباب التي تعتكف في الحرمين في العشر الأواخر من رمضان؟

ألم تسمع عن أخبار المجاهدين الذين رووا أرض الجهاد بدمائهم في فلسطين، وأفغانستان، والشيشان، وكشمير، والعراق؟!

متى كان الشباب يعلنون أن أغلى أمانيهم أن يموت أحدهم شهيداً؟!

كم هن النساء اللاتي عدن إلى الحجاب، وهن في وسط الفتن، رغم قوة الصوارف والمغريات؟!

إن هذه –أخي الفاضل– مكاسب كبرى، يجب أن تكون رافعةً لهمتنا، ومبشرةً لنا بأن عمل من سبقنا من المصلحين – رغم ضعف إمكانياتهم، وقلة اتصالاتهم– آتى ثماراً يانعة.

إن بشائر النصر تلوح في الأفق، وهي –بمقياس الزمن الطويل– ليست ببعيدة بإذن الله، ولكننا –أحياناً – نستعجل، وربنا لا يعجل لعجلتنا.

يقال هذا، وتذكر هذه البشائر، ونحن جميعاً نعلم أن في الأمة جوانب كثيرة، تحتاج إلى إصلاح، نعم ..لكن لماذا نستمر في جلد ذواتنا ،وتحطيمِ ما شُيِّد من جهود كبيرة، وكأننا لا نملك أي بصيص من الأمل ؟!

5– قلب نظرك –أخي – في صفحات التاريخ ، فستجد أن الأمة مر بها أنواع من الفتن والإبتلاءات، أضعفتها، وأنهكتها فترة من الزمن، ولكنها عادت بعد ذلك قويةً.

وحسبي هنا أن أشير إلى إحدى الإبتلاءات الكبار التي تعرضت لها الأمة، وهي غزو التتار، وسأسوق لك كلام عالمين أرّخا ورصدا مشاعر الأمة في تلك الفتنة العمياء الصماء، أحدهما أدرك أولها، والآخر أدرك آخرها.

أما الذي أدرك أولها فهو العلامة ابن الأثير . في كتابه "الكامل" 399/10 –حيث يقول –في أحداث سنة 617هـ: "لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها،كارهاً لذكرها، فأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه نعي

الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسياً منسياً، إلا أني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها، وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً، فنقول: هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى، التي عقمت الأيام عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم وإلى الآن،لم يبتلوا بمثلها ،لكان صادقاً ،فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها.

ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بختنصر ببني إسرائيل من القتل وتخريب البيت المقدس وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس، وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج، وأما الدجال فإنه يبقي على من اتبعه ويهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"

وهذا الوصف من ابن الأثير وهو بعد لم يدرك تلك الفاجعة العظمى والنكبة الكبرى لسقوط بغداد، ونهاية الخلافة الإسلامية الكبرى.

يقول ذلك وهو لم يعلم بتجاوز التتر بلاد العراق إلى بلاد الشام، وما تبع ذلك من مآس ومصائب، والتي وصفها إمام آخر وقف على أحداثها، يصفها ويشخص فيها أحوال الناس، ويصور مشاعرهم ومواقفهم بدقه وخبرة، شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حين يقول: " فينبغي للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه في عباده ودأب الأمم وعاداتهم، لاسيما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طبق الخافقين خبرُها، واستطار في جميع ديار الإسلام شررها، وأطلع فيها النفاق ناصية رأسه، وكشر فيها الكفر عن أنيابه وأضراسه، وكاد فيها عمود الكتاب أن يجتث ويخترم، وحبلُ الإيمان أن ينقطع وينصرم، ودارُ المؤمنين أن يحل بها البوار، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار، وظن المنافقون والذين في قلوبهم مرض أنْ ما وعدهم الله ورسوله إلا

غرورا، وأن لن ينقلب حزب الله ورسوله إلى أهليهم أبدا، ونزلت فتنة تركت الحليم فيها حيران، وأنزلت الرجل الصاحي منزلة السكران، وتركت اللبيب لكثرة الوساوس ليس بالنائم ولا اليقظان، وتناكرت فيها قلوب المعارف والإخوان، حتى بقي للرجل بنفسه شغل عن أن يغيث اللهفان، وميز الله فيها أهل البصائر والإيقان من الذين في قلوبهم مرض أو نفاق أو ضعف إيمان، ورفع بها أقواماً إلى الدرجات العالية، كما خفض بها أقواماً إلى المنازل الهاوية، وكفّر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة، وحدث من أنواع البلوى ما جعلها قيامه مختصرة من القيامة الكبرى... وفرّ الرجل فيها من أخيه، وأمه وأبيه، إذْ كان لكل امرئ منهم شأن يغنيه، وكان من الناس من أقصى همته النجاة بنفسه، لا يلوي على ماله ولا ولده ولا عرسِه... وبليت فيها السرائر، وظهرت الخبايا التي كانت تكنها الضمائر، وتبين أن البهرج من الأقوال والأعمال يخون صاحبه أحوج ما كان إليه في المآل "انتهى كلامه رحمه الله.

6 . لا بد أن نعلم أن من حكم الابتلاء: تمحيص الصفوف، تكفير الذنوب، وهذا أمرٌ بين، فكم هم الدخلاء على الصف الإسلامي، الذين لا يعرفهم إلا الندرة من الناس، فإذا جاءت مثل هذه المحن والابتلاءات ميّزت الطيب من الخبيث، وشرح ذلك يطول جداً.

7 . هذا دين الله الذي تكفّل بنصره، وأمرنا بأن نسعى لذلك، ولم يكلفنا أن نحصد ثمرة النصر، بل هذه لم تطلب من النبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام..

تأمل أخي.. لقد مات النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو لم يفتتح من بلاد الإسلام القائمة اليوم إلا ما يشكل الربع تقريباً أو أقل، ولكن تابع أصحابه والتابعون لهم بإحسان الفتوحات، فوصلوا إلى حدود الصين شرقاً، وإلى جنوب فرنسا غرباً، وكل ذلك محسوب ومضاف إلى رصيده.

فالواجب علينا أن نتبنى مشروعات دعوية، تقوم على العمل المؤسسي . إن أمكن . لأن ذلك أدعى لاستمرارها وبقائها، إذ لن يؤثر عليها موت شخص أو سجنه، بل هي تسير وفق خطة وسياسة واضحة، يتلقها اللاحق عن السابق، وما منظمة حماس إلا نموذج حي للعمل المؤسسي الذي لا يتوقف بموت قائد أو مؤسس.

7- إنـي لأعجب من مسلم يقرأ قولـه تعالى:"وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ *وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ" كيف يدب اليأس إلى قلبه؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : . فيما نقله عنـه ابن عبدالهادي فـي "اختيارت ابن تيمية ص(71-70) .: ((وهـذا يشـكل علـى بعـض النـاس، فيقـول: الرسـل قـد قتـل بعضـهم، فكيف يكونون منصورين؟

فيقال: القتل إذا كان على وجهٍ فيه عزة الدين وأهله كان هذا من كمال النصر، فإن الموت لا بد منه، فإذا مات ميتةً يكون بها سعيداً في الآخرة، فهذا غاية النصر، كما كان حال نبينا ج، فإنـه استشـهد طائفة من أصحابه فصاروا إلى أعظم كرامة، ومن بقي كان عزيزاً منصوراً، وكذلك كان الصحابة يقولون للكفار: أخبرنا نبينا أنّ من قتل منا دخل الجنة، ومن عاش منّا ملك رقابكم.

فالمقتول إذا قتل على هذا الوجه كان ذلك من تمام نصره، ونَصْرِ أصحابه.

ومن هذا البـاب حديث الغـلام . الـذي رواه مسلمٌ . لمـا اتبـع دين الراهـب، وتـرك دين الساحر، وأرادوا قتله مرة بعد مرة، فلم يستطيعوا حتى أعلمهم بأنه يقتل إذا قال الملك: باسم الله رب الغلام، ثم يرميه، ولما قتل آمن النـاس كلهم، فكان هذا نصراً لدينـه)) انتهى كلامه:.

8- فـي ظـل هـذه الفتن، وتتـابع هـذه المصـائب، يجـب ألا تشـغلنا هـذه الفتن عـن عباداتنـا الخاصـة بيننـا وبين ربنـا، فالضـرورة تتأكد بوجوب العنايـة بإصـلاح القلـب، وهذا يتحقق بأمور:

أ . التعلق بالله -عز وجل- دائماً، واللجأ إليه، وكثرة الإلحـاح عليه بالدعاء، فإن الله تعالى نعى على قومٍ أصيبوا بالضراء، فلم يكن ذلك سبباً في تضرعهم، قال تعالى: "وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ".

فمـا أحوجنـا إلـى اللجـأ، والتضـرع إلـى ربنـا فـي كشـف ضـرنا، وإصـلاح أحوالنـا، والاستغاثة به في طلب النصر، وكبت العدو وخذلانه.

ب- لا بد لكل واحدٍ منا من عبادة يلازمها، ويكثر منها، مع العنايـة ببقيـة العبادات، فإن للعبادة أثراً عظيماً في سكون القلب، واستقرار النفس.

ولئن كان هذا مطلوباً في كل حين، فهو في أوقات الفتن آكد وأعظم، فإن النبي ج يقول –كما روى ذلك مسلمٌ في صحيحه من حديث معقل بن يسار س –: "العبادة في الهرج، كهجرةٍ إليَّ".

وسبب ذلك –والله أعلم – أنه في زمن الفتن يخف أمر الدين، ويقل الاعتناء بأمره، ولا يبقى لأحد اعتناء إلا بأمر دنياه، ومعاشه، ونفسه وما يتعلق به.

فمن فتح عليه في نوافل الصلوات، أو في الصيام، أو في الصدقة، أو في قراءة القرآن، أو في غيرها من العبادات، فليلزمها، وليكثر منها، فإنها من وسائل الثبات بإذن الله تعالى.

ج – الإقبال على قراءة القرآن بتدبر، وقراءته قراءة المستشفي به، الطالب للهدى منه، المحرك لقلبه به، فإن ذلك من أعظم الأدوية وأنفعها للقلب خصوصاً في هذه الأزمنة التي انفرط عقد الفتن ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا ما تيسر تحريره، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(*) عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

============

الأمة بين سنتي الإبتلاء والعمل [5/3]

د. رياض بن محمد المسيميري(7) 1425/4/22

2004/06/10

الحمد لله، وأصلي وأسلم على رسول الله وآله وصحبه ومن سار على هداه، وبعد:

فلا ريب أنّ الأمة تمر بظروف عصيبة مؤلمة، وتعاني ويلات فتن خطيرة في دينها وعقيدتها وأخلاقها، وتواجه تحدياً حضارياً عالمياً بل حرباً صليبية صهيونية تستهدف في كيانها ووجودها.

ومن الخطأ الجسيم أن نتغافل أحصل الصراع بين المسلمين وأعدائهم من يهود ونصارى، وأنه في أصله صراع عقدي ديني سيما وقد صرّح العدو نفسه بدوافع الصراع ومنطلقات الحرب في أكثر من مناسبة.

ومن الخطأ البيِّن كذلك أن يتناول هذه القضية الخطيرة بشيء من الارتجالية والاستعجال أو بدوافع من العاطفة والحماس غير المنضبط.

لا بد أن نعترف أن ما يمارس اليهود والصليبيون كل يوم في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وغيرها هو استفزاز خطير لمشاعر الأمة المسلمة بعامة ولشبابها الغيور على وجه الخصوص.

ولا يمكن أن نتصور بقاء الشباب المسلم مكتوفي الأيدي إلى الأبد أمام تلك الممارسات الدموية الظالمة وتلك الحرب "الصهيوصليبية" فمن حقه أن يغار، بل من واجبه أن يغار لدينه ودماء إخوانه، بل من وأحق أن يهتم لنصرة دينه، وإعلاء كلمة لله بكل وسيلة مشروعة أسُّها ورأسها الجهاد في سبيل... بيد أن الجهاد في سبيل الله قد لا يتيسر لكل أحد سيما والأبواب مؤصدة والموانع كثيرة.

فما العمل إذاً والحالة هذه؟ هل نكتفي بسبّ اليهود وشتم النصارى؟ أم يكون الحل ببث الأحزان، وسكب العبرات، وندب الزمان؟!.

إنَّ الحلَّ العملي الواقعي لمشكلاتنا وصراعاتنا مع أعدائنا يجب أن يتضمن في نظري الأمور التالية:

(1) العودة الجماعية الجادة إلى الدين عودة صادقة، وتحكيم شريعته تعالى تحكيماً فعلياً في سائر الأقطار الإسلامية بلا مساومة أو مزايدة، فالدساتير الوضعية وإقصاء الوحيين الشريفين هي أعظم النوازل وأكبر المصائب التي آلت بالمسلمين إلى ما ترى وهي التي جرأت العدو على استباحة أرضهم والعبث بقيمهم وإملاء مشروعه الحضاري عليهم.

(2) لا بد أن نعترف بوجود مظاهر كثيرة تصادم الإسلام في جوهره وروحه، وفي أخلاقه وقيمه في معظم ديار المسلمين، فبنوك الربا وحانات الخمور وملاهي الليل، ودور الفاحشة تعمر كثيراً من بلاد الإسلام، وهذه المظاهر الآثمة لا بد أن تظهر منها بلاد المسلمين وإلا من أين سينزل النصر؟ قال سبحانه: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم".

(3) إنَّ على علماء الأمة الصادقين كسر حاجز النفرة بينهم وبين شباب الأمة على وجه الخصوص واسترجاع ثقتهم المفقودة من خلال ممارسة دور إيجابي فاعل في قيادة الصحوة وترشيدها، ومن خلال صدعهم بكلمة الحق وتحذير أمتهم من الويلات

المحدقة بها وتنفير مجتمعاتهم من كل المظاهر المنافية والمصادمة لشريعة الله – سبحانه–.

إن على العلماء دوراً، وأي دور، في احتضان الشباب والرفق بهم، وتهدئة روعهم، وتلمس احتياجاتهم العلمية والتربوية وإشباعها بالعلم الصحيح والتربية الجادة مصطحبين تقوى الله فيما يأتون ويذرون ويفتون ويوجهون، وبغير هذا سيبحث الشباب عمن يستقل حماسهم، ويستوعب قدراتهم في غير إطارها المشروع.

(4) إن على الجميع أن يدركوا أن الجماهير المسلمة لا ترضى أن تُمَسَّ ثوابتها أو تهمش أصولها، فالجهاد في سبيل ذِروة سنام الإسلام، والبراءة من الكفار أصل عظيم من أصول الملة الإبراهيمية والمحمدية، فلا مجال لتمييع هذه الأصول وإلا كانت ردة الفعل كافية في تشتيت جهود الأمة وبعثرة أوراقها وإغراقها في دوامة جديدة من الصراع الذاتي، يعيقها عن مسيرة بناء نفسها، إعداد كوادرها للبناء الحضاري بكافة مجالاته.

(5) علينا جميعاً أن نسعى جاهدين لوحدة الصف وتأجيل خلافاتنا الهامشية والفرعية التي لا تمس الأصول والثوابت، لنتأهب لمواجهة العدو بكل قوة متاحة، وعلينا ألا ننشغل عن إعداد العُدة الجادة لمواجهة أي أخطار محدقة، وأن نستوعب أن أقوياء العالم لا يرحمون الضعفاء، وأن المراهنة على جمعيات حقوق الإنسان والهيئات الدولية مجازفة ذات ثمرات مرة لا زلنا نتجرع غصصها في أفغانستان والشيشان وفلسطين والعراق.

أيها الشباب: إننا نثمن لكم غيرتكم ونخوتكم الإسلامية الشريفة، ونقدّر أنفتكم من تلك الأوضاع النشاز التي تعيشها مجتمعات المسلمين، كما نحيّ شجاعتكم ورغبتكم بالبذل والعطاء والثأر لدماء إخوانكم في البلاد الإسلامية المحتلة، بَيْدَ أنَّ ثمة موانع كثيرة قد تحول بينكم وبين الجهاد في سبيل الله لا ذنب لكم فيها.

فنصيحتي ألا نبقى أسرى الأحزان، وبث الأشجان؛ بل علينا أن نبذل الوسع والطاقة في تعلم العلم الشرعي حتى نعرف أين نضع أقدامنا، وكيف نحددُّ مسارنا الصحيح وسط هذه البحار المائجة من الفتن.

ثانياً: وبعد العلم الشرعي يأتي واجب الدعوة إلى الله، فإنَّ ثمة جموعاً هائلة من أبناء الأمة يعيشون حياة اللهو والعبث، وتتخطفهم الأهواء والسبل، فمن يستنفذ هؤلاء ويعيد لهم هويتهم الإسلامية؟ ومن يبصرهم بدينهم، ويعرفهم بالأخطار المحدقة بهم؟ إن لم تقوموا بالمهمة أنتم أيها الشباب على علم وبصيرة وبتوجيه من علماء الأمة العالمين؟

(3) علينا كذلك أخيراً أن نثق بوعد الله –تعالى– وأن هذه الأمة منصورة بحول الله وقوته مهما تكالب عليها أعداؤها ومهما كادوا لها وبكروا بها شريطة أن تنصر ربها، وتعظم سنة نبيها – صلى الله عليه وسلم– مع الأخذ بالأسباب المادية اللازمة والممكنة وعلى رأسها إعداد الجيوش المسلمة المجاهدة المتسلحة بسلاح الإيمان بالله، وحسن التوكل عليه المتطلع للشهادة في سبيله تعالى فضلاً عن أخذ زمام المبادرة في النهضة الاقتصادية والعمرانية والثقافية وغيرها بعيداً عن تأثير الكفار واستغلالهم؛ قال الله جل ذكره: "إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم"، وقال سبحانه: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل". وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه.

(*) عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

============

الأمة بين سنتي الإبتلاء والعمل [5/4]

د. عبد الله بن عبد العزيز الزايدي(*) 1425/4/22

2004/06/10

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله، وبعد:

سؤالك –أخي الكريم– يدل على قوة في إيمانك، وغيرة على دين الله وحرمات المسلمين، وإحساسك بوجوب العمل لنصرة هذا الدين، جعلنا الله وإياك من أنصار دينه:

أما ما ينصح به تجاه هذه الأزمة التي تمر بها الأمة:

1 – أن تدرك أن الله لا يكلف الله نفسا إلاّ وسعها، وهل تكون أغير من الله على دينه وعباده؟ فمادام أنه قد حيل بينك وبين نصرة إخوانك المسلمين بهذه الحدود

والسدود، ومحاولة النصرة فحسب قد تدفع بالجهات المسؤولة في بلادك لتعذيبك وأذاك إلى حد القتل أو الجنون أحيانا، فإن الله لم يكلفك ما لا تطيق، فأربع على نفسك، وهدئ من روعك، وقم بما تستطيع من العمل الصالح، ولن يسألك الله إلاّ ما تستطيع من العمل، وأنت تعلم أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– كان يشاهد المؤمنين يعذبون بأنواع العذاب في مكة ويمر عليهم ولا يملك إلا أن يوصيهم بالصبر .

2- الارتباط بأهل العلم والدعوة في بلادك ممن عرف بالعلم بالدين والعمل به إذ يوجد في كل بلد من بلاد المسلمين عدد وافر من أهل العلم المتصفين بالعلم والغيرة والرغبة الصادقة في نصرة هذا الدين مع التزام الحكمة في القول والعمل، ويلتف حولهم عدد من الناس يستفيدون منهم ويحضرون دروسهم ويسترشدون بتوجيهاتهم، ومثل هؤلاء غالبا، لا يحصل لمن يتصل بهم أذى جسدي أو سجن وتعذيب؛ لكونهم معروفين لدى السلطات بعدم تبنيهم مبدأ العنف في التعامل مع الدولة، فمثل هؤلاء بإمكانك الاتصال بهم وحضور دروسهم و محاضراتهم، وعرض ما يمر بك من مشكلات عليهم، والحرص على طلب العلم الشرعي والاستمرار في ذلك .

3- المساهمة بما يمكنك في الإصلاح والدعوة في بلادك بما لا يترتب عليه أذى لا تستطيع احتماله، ومن ذلك أن تكون قدوة في الاستقامة على الخير محافظا على الصلوات، مجتنبا للكبائر، مستغفرا من الصغائر، صاحب أخلاق عالية، متحليا بالصبر، كاظما للغيظ، قدوة في علمك وعملك، داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ساعياً في صلاح من حولك من المسلمين.

4- ألا تحتقر الدعوة والإصلاح للأفراد والمجتمع، فإن ذلك من أعظم ما ترغم به أعداء الدين، فإن أعظم أهدافهم وأقصى أمانيهم رد المسلمين عن دينهم؛ كما قال تعالى عنهم: "ود كثير من أهل الكتاب لو يردوكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق".

5 – إدراك أن ما يحدث بقدر الله وأنه نوع من الابتلاء يرفع به الله المؤمنين درجات ويعذب به الكافرين، وهذا الابتلاء سنة ماضية، فقد قتل عدد من الأنبياء على يد كفرة بني إسرائيل قال تعالى: "ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون"، وليس المجاهدون في

فلسطين بأكرم على الله من أنبيائه – عليهم السلام– وقد قتلوا زكريا بنشر رأسه وقدم لبغي زانية من زواني بين إسرائيل، و أن أهل الكتاب من بني إسرائيل عاشوا تحت قهر فرعون وجنوده وهم مؤمنون بالله وفرعون ملحد يدعي الألوهية، ولهذا قال بنوا إسرائيل لموسى: "قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا".

و نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه واجهوا أنواعا من الأذى والتعذيب على مدى عشر سنوات أو تزيد وهم مؤمنون، والمعذبون لهم مشركون، ومع ذلك لم يقدموا على عمل تكون مضرته أكثر من منفعته، وكان بإمكانهم أن يغتالوا أباجهل أو أبا سفيان أو غيرهما من زعماء المشركين في مكة، بل حين بايع الأنصار بيعة العقبة قال بعضهم للنبي –صلى الله عليه وسلم –: (إن شئت لنميلن على أهل منى بأسيافنا، فقال عليه الصلاة والسلام: "لم نؤمر بذلك").

فالحاصل أن القيام بأعمال غير مسؤولة من باب الغيرة والحماس ليست من منهج الأنبياء وأهل العلم والحكمة.

6 – ويمكنك أن تقدم ما تستطيع من الدعم المادي إخوانك في فلسطين والعراق عن طريق بعض المشايخ الموثوقين الذين يستقبلون التبرعات، أو الهيئات الموثوقة إن وجدت في بلادك.

7 – أكثر من الدعاء الصادق لإخوانك المسلمين المستضعفين بالنصر والتمكين وأن يكف الله عنهم بأس الذين كفروا .

8– إعداد نفسك وتحصينها بالعلم وكثرة العبادة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "العبادة في الهرج كهجرة إلي".

9– الإكثار من الدعاء بالثبات فإن الرسول –صلى الله عليه وسلم– يكثر من الدعاء بقوله: "اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك".

10– إن استطعت الهجرة للعمل في بلد أقل مشكلات من بلدك كالسعودية أو بعض دول الخليج ففي ذلك عون لك في دينك ودنياك .

(*) عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

============

الأمة بين سنتي الإبتلاء والعمل [5/5]

د. خالد بن عبد الله القاسم 1425/4/22

2004/06/10

التحديات التي تواجهها الثقافة الإسلامية وسبل مواجهتها

أولاً: القوة العسكرية

عانت الأمة الإسلامية هجمات عسكرية ظالمة استهدفت الأمة بثقافتها الإسلامية ففي السابق الحروب الصليبية الشرسة التي استهدفت الشام ومصر وأدت إلى انشغال الأمة بها قرن من الزمان.

ثم الهجرة التتري على العراق والشام وإسقاط الخلافة العباسية وتدمير الكتب وقتل العلماء.

ثم الاستعمار الأوروبي للبلدان الإسلامية في القرن الماضي ومحاولته لمسخ الثقافة الإسلامية واستنزاف خيرات الأمة لمصلحته.

ثم الغزو الشيوعي على البلدان الإسلامية في القرن الماضي في آسيا الوسطى ونشر الإلحاد ثم غزو أفغانستان والشيشان واستباحة دماء المسلمين واستعمار بلدانهم ونهب خيراتهم.

وما نشهده الآن من هجمة صهيونية شرسة زرعها الغرب في قلب العالم الإسلامي شرذمة من اليهود اجتمعت من أ،حاء العالم باختلاف لغاتهم وعرقياتهم في هجرات متتابعة بمساعدة غربية مباشرة حيث سلمت لهم بريطانيا الأمر في فلسطين ثم دعمت الولايات المتحدة عدوانهم عسكرياً ومالياً وسياسياً في طرد الفلسطينيين من بلدهم ومصادرة أملاكهم ورفع الفيتو أمام العالم لعدم إدانة اعتداءاتهم المتكررة على المدنيين بل وتجاوز العدوان على البلدان العربية حتى غير المجاورة حيث دمر المفاعل النووي العراقي، وجرى الاعتداء على الفلسطينيين في تونس.

وكان هذا الجسم الصهيوني بالمساعدة الغربية عاملاً مهماً في تأخر الأمة وإشغالها.

وما جرى من احتلال لأكثر من بلد إسلامي بحجج وهمية ظاهرة فقد دمرت أفغانستان وألقي على المدن والقرى آلاف الأطنان من القنابل ومات آلاف الأبرياء ونفس الأمر في العراق بحجج أسلحة الدمار الشامل الذي تبين أنها كذبة لاحتلال بلد إسلامي والسيطرة على خيراته وتهديد سائر البلدان الإسلامية التي لا تخضع لهم

وزامن ذلك إصدار الأوامر للدول الإسلامية بضرورة التغيير الثقافي والمقصود منه تجفيف منابع الثقافة الإسلامية.

كما زامن ذلك محاربة الجمعيات الإسلامية الخيرية ورميها هي أيضاً بالإرهاب (مع أنها أوضح وسائل المجتمع المدني الذي ينادون به في الدول الإسلامية)، وما ذاك إلا لمحاربة الإسلام فتلك الجمعيات تدعوا إلى الإسلام وتكفل الأيتام وتقيم المستشفيات وتحفر الآبار وتعين الفقراء وتقيم المدارس وتصب في خدمة الإسلام والمسلمين وخدمة الثقافة الإسلامية.

وهذه التحديات العسكرية لن تقضي على دين الله –تعالى– فقد أخبر المولى سبحانه "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ" [التوبة:33].

وقال عليه السلام: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة".

وإن من حكم المولى سبحانه أن تقع هذه التحديات عقوبة للمعرضين ليعودوا " وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" [السجدة:21].

كما أنها بلاء للمؤمنين لرفعة الدرجات وتكفير السيئات " ألم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ" [العنكبوت:1-2] إنها تنقي الصف وتكشف المافقين "وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ" [العنكبوت:11].

ثانياً: الغزو الفكري:

وهو غزو مسلح غزو للأفكار والعقول، بعد أن أدرك الأعداء أن الغزو المسلح لا يكفي لإضعاف الثقافة الإسلامية، بل وأجدى منه غزو العقول والأفكار لتحقيق هدف عام وهو إضعاف الإسلام والمسلمين، ويتحقق ذلك بوسائل متعددة منها:

(1) تشويه الإسلام وإثارة الشبهات حول القرآن الكريم والسنة النبوية وعقيدة الإسلام وشريعته، وما يحدث الآن من محاولة لربط الإسلام بالإرهاب هو جزء من هذه الحملة.

(2) مهاجمة اللغة العربية تشجيع اللهجات المحلية في مسعى لإضعاف اللغة العربية التي اختارها الله لكتابه "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" [يوسف:2].

(3) تفريق المسلمين وإزالة الوحدة الإسلامية والدعوة إلى القومية، وقد كانت الرابطة التي تجمع الشعوب الإسلامية هي الرابطة الإسلامية، فشجع الغرب الصليبي الشعوب المختلفة على المناداة بالقوميات التي تنتسب إليها الأمم المختلفة، فنادى العرب بالقومية العربية، والأتراك بالتركية الطورانية، ونادى الأكراد بالكردية، وبذلك تفسخت عرا الرابطة الواحدة التي كانت تجمع هذه الأمة وتوحدها، وقد كان ظهور هذه الدعوات سبباً في إزالة الخلافة العثمانية وتحطمها.

وقد أغرق دعاة الضلال في دعوتهم عندما أحيوا الحضارات القديمة لإيجاد مزيد من الانقسام والفرقة، فرأينا الدعوة إلى الفرعونية، والدعوة إلى البابلية، والآشورية.. وغيرها(1).

إن الإسلام يشجع الوطنية الحقة والقومية الهادفة القائمة على التعاون على البر والتقوى ويحارب العصبيات والنعرات الجاهلية المنافية للوحدة الإسلامية وقد قال – صلى الله عليه وسلم–: (ليس منا من دعا إلى عصبية) إن أي وطنية وقومية يجب ألا تتعارض مع الوحدة الإسلامية أو تكون بديلاً عنها بل يجب أن تسخر لجمع كلمة المسلمين ووحدتهم، والعرب لم يجتمعوا إلا بالإسلام وقد أعزهم الله بإنزال القرآن الكريم بلغتهم وجعل الحرمين في بلادهم، واختار النبي صلى الله عليه وسلم منهم.

إن الرابطة الحقيقة بين المسلمين هي رابطة العقيدة وجميع الروابط الأخرى هي فرع منها كرابط الجوار والقرابة والقبيلة والوطن.

(4) إقصاء الإسلام من الحكم وتشجيع العلمانية في البلاد الإسلامية وهذا الأسلوب تذل الكفار في سبيل تحقيقه الكثير من الجهد والمال والفكر، وقد أقنعوا به كثيراً من الحكام في الديار الإسلامية، وقد تبنت دولة الخلافة في آخر عهدها كثيراً من القوانين الكافرة، وفرضت القوانين الفرنسية على الشعب المسلم في مصر في عام 1882م ولم ينتصف القرن الرابع عشر الهجري حتى أقصيت الشريعة الإسلامية في أكثر الديار الإسلامية، باستثناء أحكام الزواج والطلاق والممات(2).

(5) منع الإسلام من الانتشار ومحاربة الجمعيات الخيرة الإسلامية ورميها بالإرهاب ومصادره ممتلكاتها في الوقت الذي تعثو فيه الجمعيات التنصرية في كثير من بلاد المسلمين.

(6) استخدام وسائل الإعلام حيث استغل الغربيون والمستغربون وسائل الإعلام المختلفة لحرب الإسلام، حيث أصبح المدافع عن أرضه وبلده إرهابياً والمحتل مدافع عن نفسه ونظرة سريعة إلى وسائل الإعلام ترينا مدى البلاء الذي تصبه ليل نهار لتشويه الإسلام والمسلمين والإساءة إلى معتقداتنا وشعائرنا وسلفنا وعلمائنا، سيل من الشبهات التي تشكك في الدين وأحكامه، وسيل آخر من الأفلام والتمثيليات والمسرحيات التي تتهكم بالإسلام، وتقوم بعرض نماذج من أنماط الحياة تضاد الإسلام في كل شيء تمجد الجريمة ، وتدعو إلى الفسق والفجور، وتكره في الحياة المستقيمة الفاضلة، وتتهكم بالمسلمين والمسلمات، وتتخذ الدين هزواً، وتعرض ما حرّم الله : الرقص الفاضح، وشرب الخمر، والكذب والدجل، وقد قامت للتافهين أسواق ضخمة في كل مكان باسم الفن(3).

(7) إفساد التعليم حيث يهدف الأعداء من مستشرقين ومن مستغربين كلما سنحت لهم الفرصة إلى إضعاف التعليم الإسلامي ومدارس القرآن الكريم والمناداة بعلمنة لتعليم والدعوة إلى التعليم المختلط(4).

(8) الاستشراق، وهو دراسة للغربيين للشرق وعلومه وأديانه خاصة الإسلام لأهداف مختلفة شتى، ومن أهمها تشويه الإسلام وإضعاف المسلمين(5).

ومن أهم نتائج المستشرقين في القرن العشرين (دائرة المعارف الإسلامية التي صدرت بثلاث لغات: الإنجليزية والفرنسية والألمانية وصدرت في عدة طبعات وترجمت إلى عدة لغات وقد اشترك في تأليفها أكثر من 400 مستشرق وبلغت أكثر من 3000 مادة في أكثر من 10.000 صفحة احتوت على معلومات مهمة عن الشرق والإسلام بالذات، كما أنها اشتملت على شبه ومطاعن متفرقة حول القرآن والعقيدة والشريعة الإسلامية وأعلام المسلمين بلغت أكثر من (300) مطعن وانتقاصاً للعقيدة الإسلامية (6).

وهو أمر ظاهر باعتراف كثير من المستشرقين ، يقول برنارد لويس: "لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات العديد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية (7).

بـل إن المستشـرقين كـانوا أداة للاسـتعمار تخلـو عـن أمـانتهم العلميـة لتأييـد المحتـل، يقول مراد هوفمان سفير ألمانيا في الغرب وقد هداه الله للإسلام: "والحق أن معظم المستشرقون عن وعـي أو غيـر وعـي كـانوا أداة لخدمـة الاسـتعمار، وإن كـان بعـض أولئك كانوا جواسيس للغرب بالفعل"(8) وتتعاون المخابرات الغربية لاسيما الأمريكيين مـع مراكـز الدراسـات الاستشـراقية، لاسـيما فيمـا يتعلـق بالحركـات الإسـلامية. وبلـغ أعضـاء رابطـة دراسـات الشرق الأوسط (9)الاستشراقية في أمريكـا إلـى قرابـة 1600 عضـو سـنة 1986م ووصـلت أعـداد العنـاوين للموضـوعات المنشـورة عـن الشـرق الأوسـط فـي الـدوريات المتخصصـة سـنة 1987م إلـى نحـو 71 ألـف مـادة بـل إن المستشـرقين ينظـرون إلـى الشـرق والإسـلام نظـرة اسـتعلائية وقـد سـاق إدوارد سـعيد المفكـر الفلسـطيني رغـم أنـه نصـراني ولكنـه منصـف الشـواهد العديـدة لـذلك فـي كتابـه الشهير الاستشراق.

(9) التنصير؛ على الرغم من أن الأمم النصرانية تبتعد عن النصرانية، وعلى الرغم مـن بـيعهم للكنـائس فـي ديـارهم، إلا أنـهم حريصـون علـى تنصـير المسلمين، وبنـاء الكنائس في ديارنـا، وقد رصدوا لذلك مئات الملايننن من الدولارات، وأرسلوا البعثات التبشيرية مجهزة بكل ما يمكن أن يحقق الهدف الذي قامت من أجله، وعلـى الرغم مـن الصـعاب التـي تقـف فـي طـريقهم، إلا أنهـم ماضـون فـي هـذا الطريـق، وهـم يصطادون المسلمين الجهلة، وينشبون أنيابهم في فقراء المسلمين، حيث يقدمون لهم بعض ما يحتاجون إليه مقابل تركهم لدينهم وعقيدتهم (10).

(10) إفسـاد المـرأة؛ وقـد حـرص الكفـار علـى إفسـاد المـرأة، لأن فسـادها يفسـد الأبنـاء والأزواج، فأخرجوها من بيتها، وهتكوا حجابها، وزينوا لها التمرد على دينها بمختلف الأساليب، وزعموا أن تحضرها وتقدمها لا يكون إلا إذا سارت مسيرة المرأة فـي أوروبـا (11) وأفغانستان مثال حي حيث عندما احتلت لم ينقلوا لنا التقدم الصنـاعي والتقنـي وإنما بدأوا بإسقاط حجاب المرأة وإنشاء دور السينما.

(11) العولمـة الثقافيـة والتغريـب؛ وللعولمـة وجوهـا مفيـدة فـي التقنيـة والاتصـال، ولكـن لـه وجوهاً خطيرة في الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية الثقافية.

ويهمنا هنا ما يؤثر على الثقافة الإسلامية بدرجة كبيرة وهو الهيمنة الثقافية وفرض القيم الغربية وتغريب المجتمعات المسلمة عن طريق استغلال التفوق التقني والسياسي والاقتصادي والعسكري لاختراق الثقافات الأخرى ومصادرة ثقافات الشعوب وفرض الأنماط الغربية .

نجد أن الغرب لا يسعى قيمه الاجتماعية فحسب رغم عدم الاقتناع الواسع بها كقيم، بل إنه يفرضها عبر المؤتمرات الدولية والضغط على الدول التي لا تستجيب، حيث توالت مؤتمرات المنظمات الدولية بهذا الخصوص، مثل مؤتمر نيروبي عام 1985م، مؤتمر القاهرة عام 1994م، ومؤتمر بكين عام 1995م، ومؤتمر اسطنبول عام 1996م، ثم مؤتمرنيويورك عام 1999م، ثم مؤتمر بكين، ثم نيويورك أيضاً عام 2000م، ومحور هذه المؤتمرات يدور حول الأسرة والمرأة والطفل، مركزاً على الحقوق الجنسية، والحق في الإنجاب والإجهاض، والشذوذ، وقضية المساواة بين الرجال والنساء، والمساواة في الميراث... الخ، وكل هذا من منظور الثقافة الغربية العلمانية المادية الإباحية(12) التي تبيح الزنى واللواط وتمنع تعدد الزوجات.

وفي الفصل السابع من وثيقة مؤتمر السكان يتحدث عن هذه الإباحية الجنسية، فيقول: إنها حالة الرفاهية البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة، المنطوية على أن يكون الأفراد (لاحظ تعبير الأفراد) من جميع الأعمار أزواجاً وأفراداً (كذا) فتياناً وفتيات، ومراهقين ومراهقات، قادرين على التمتع بحياة جنسية مرضية ومأمونة (لاحظ عدم اشتراط الحلال والشرعية) هي كالغذاء حق للجميع، ينبغي أن تسعى جميع البلدان لتوفيره في أسرع وقت ممكن، في موعد لا تجاوز عام 2015م، واجب على جميع البلدان بل ولا تكتفي هذه الوثيقة بذلك، وإنما تتجاوز إباحة هذه الإباحية إلى حيث تدعو للتدريب والترويج والتعزيز لهذا السلوك الجنسي المأمون والمسئول(13) .

وها هو المستشرق الألماني هاملتون جب يجعل هدف كتابه "وجهة الإسلام" قضية التغريب، ويتساءل إلى أي حد وصلت حركة تغريب الشرق؟، وما هي العوامل التي تحول دون تحقيق هذا الهدف؟(14).

إن هدف عدونا ذوبان الشخصية وذلك بالقضاء على مقومات كيانها وعلامات القوة فيها واحتوائها بأخلاق الضعف والإنحلال والإباحية حتى لا تقوى على مواجهة التحديات وذلك أخطر أهداف العدو، فبناء أجيال ضعيفة لا تؤمن بحقها ولا تؤمن بربها ولا تستطيع أن تصمد أمام الخطر وأمام التحدي.

وقد أخبر المولى سبحانه بخطورة طاعة الكافرين والإنسياق معهم فقال سبحانه: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ" [آل عمران:100]، وأنهم لن يرضوا منا بالتنازلات المحدودة وبعض الطاعة إنما باتباع ما مهم عليه "وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ" [البقرة:120].

سبل مواجهة التحديات الثقافية

سبل مواجهة التحديات الثقافية تأخذ أبعاداً متنوعة:

أولها : تعزيز الهوية بأقوى سلاح، وهو العودة إلى الإسلام، وتربية الأمة عليه بعقيدته القائمة على توحيد الله سبحانه، والتي تجعل المسلم في عزة معنوية عالية " وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ" [المنافقون:8]، وبشريعته السمحة وأخلاقه وقيمه الروحية وتقوية الصلة بالله سبحانه وتعالى واليقين بنصره وتمكينه للمؤمنين إذا استجابوا لربهم وقاموا بأسباب النصر، فالهزيمة الحقيقية هي الهزيمة النفسية من الداخل حيث يتشرب المنهزم كل ما يأتيه من المنتصر، أما إذا عززت الهوية ولم تستسلم من الداخل فإنها تستعصي ولا تقبل الذوبان "الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" [آل عمران:173].

ثانيها: ثانيها: العناية بثقافتنا الإسلامية، وباللغة العربية في وسائل الإعلام ومناهج التعليم وتسهيل تدريسها وتحبيبها للطلاب، ومن العناية باللغة العربية تفعيل التعريب والترجمة والتقليص من التعلق باللغات الأخرى إلا في حدود الحاجة اللازمة.

ثالثها: إبراز إيجابيات الإسلام وعالميته وعدالته وحضارته وثقافته وتاريخه للمسلمين قبل غيرهم، ليستلهموا أمجادهم ويعتزوا بهويتهم.

رابعها: العمل على نهوض الأمة في شتى الميادين دينياً وثقافياً سياسياً وعسكرياً، واقتصادياً وتقنياً، ومحاربة أسباب التخلف والفساد، وعلينا أن نغير ما بأنفسنا من تخلف وتقاعس، فإن من سنن الله –سبحانه وتعالى– " إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ " [سورة الرعد:11].

خامسها: مواجهة التحديات بالتعليم والتدريب والتثقيف والتحصين ورفع الكفاءة وزيادة الإنتاج ومحاربة الجهل وخفض معدلات الأمية المرتفعة عند المسلمين.

سادسها: تقليص الخلافات بين المسلمين حكومات وشعوباً وجماعات بالاعتصام بكتاب الله –عز وجل– "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا" [آل عمران:103]، ثم التعامل معها إن وجدت إيجابية فاعلة ناصحة حتى لا يجد الأعداء ثغرة من خلالها.

سابعها: ضمان الحرية الثقافية وتدعيمها، حيث أن حرية الثقافة، وإن كانت تنبع من العدالة في توزيع الإمكانات والإبداعات الإنسانية على الأفراد، فإنها في الوقت نفسه عامل أساسي في إغناء الحياة الثقافية وزيادة عطائها. ولكن لا يجوز فهم الحرية على أنها فتح للباب أمام كل تعبير، وقبول كل فكر، ولكن الحرية المقصودة هي الحرية المضبطة بضوابط الشرع(15).

ثامنها: أن نتعرف على الآخرين وثقافاتهم، والكشف على مواطن القوة والضعف في الثقافات المختلفة لا سيما الغربية، ودراسة سلبياتها وإيجابياتها برؤية إسلامية متفتحة، غايتها البحث والدراسة العلمية(16).

وأن يواكب ذلك عملية أخرى هي عملية التخلص من الإحساس بمركزية الغرب، ونزع صفة العالمية والعلمية والمطلقية عن حضارته(17).

تاسعها: أن تقوم وسائل الإعلام بواجباتها في الحفاظ على الهوية ودعمها، فضلاً عن استيراد البرامج التي تهدم الهوية دون نظر أو تحميص، كما أن على الدول والعلماء وقادة الرأي ورجال الأعمال الضغط على وسائل الإعلام الخاصة كل بما يستطيع لمراعاة هوية الأمة وقيمها.

عاشرها: أن يقوم بتعزيز الهوية وكشف العولمة والتغريب، ويتحتم على الإعلام التربوي استخدام كافة الوسائل والأساليب والطرق المتاحة كي ينجح في تأصيل القيم، والمهارات، والمعارف، والمعلومات في مؤسسات المجتمع ومنظماته، وتحصين

الأطفال ضد ثقافة الاستهلاك والتغريب، وتقديم مادة غنية ثرية تحدث أثراً إيجابياً، وتترك صدى قوياً بنفس الصغير والتلميذ والطالب والشاب وتساعد على اكتشاف ما يملك من طاقات ومهارات(18).

حادي عشر: تنشيط التفاعل والحوار الثقافي العربي مع ثقافات الأمم الأخرى(19). وأن نثري ثقافتنا العربية الإسلامية بما تراه ينفعنا ولا يضرنا من الثقافات الكونية الأخرى، وفي الوقت نفسه نعرف تلك الثقافات العالمية بما لنا من عقيدة وقيم وتراث وتقاليد اجتماعية عريقة(20).

ثاني عشر: تشجيع المؤسسات الدعوية داخل البلاد الإسلامية وخارجها على ممارسة عملها ودعمها بكل طريق مادياً ومعنوياً، وعدم السقوط في فخ الأعداء بتصيد أخطاءها وتشويه سمعتها عند حدوث خطأ ما، وإنما بالنصيحة الإيجابية الفاعلة، وما نراه بفضل الله –تعالى– من مؤسسات إسلامية ودعوية مساعدة للمسلمين للحفاظ على هويتهم لا سيما خارج الدول الإسلامية، سواء كانت مراكز أو مدارس إسلامية أو وسائل إعلامية، كمواقع الإنترنت أو شركات الإنتاج أو إذاعات القرآن الكريم، أو مكاتب دعوة الجاليات التي تتميز بها المملكة العربية السعودية، وأثمرت آلاف المسلمين الجدد كل عام، أو مدارس تحفيظ القرآن الكريم، إلى غير ذلك من هذه المؤسسات، لتسهم ضد التحديات الثقافية، لذا لا نستعجب من أن تكون هذه المؤسسات الخيرية أحد استهدافات الأعداء، ومحاولة لرميها بالإرهاب بكل طريق ومحاربة أنشطتها وتشويه سمعتها وتجفيف مواردها.

(1) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان– الأردن، الطبعة السادسة 1418هـ–1997م، ص:5.

(2) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان– الأردن، الطبعة السادسة 1418هـ–1997م، ص:5.

(3) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان– الأردن، الطبعة السادسة 1418هـ–1997م، ص:62–64.

(4) انظر: غزو غزو في الصميم، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية،

1405هـ، ص: 200.

(5) العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية، د. خالد بن عبد الله القاسم، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، ص: 25

(6) العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية، د. خالد بن عبد الله القاسم، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، ص: 30-50.

(7) العرب والتاريخ، برنارد لويس، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1954م، ص: 63.

(8) الإسلام كبديل، مراد هوفمان، مؤسسة بافاريا للنشر ومجلة النور الكويتية، الطبعة الأولى، 1413هـ.

(9) مصطلح الشرق الأوسط مصطلح غربي لطمس الهوية العربية والإسلامية ولإدخال إسرائيل فيه.

(10) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان – الأردن، الطبعة السادسة 1418هـ - 1997م ، ص:63-64.

(11) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان – الأردن، الطبعة السادسة 1418هـ - 1997م ، ص:62-63.

(12) العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها، د. إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1421هـ - 2001م، ص: 27.

(13) انظر وثيقة برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية المنعقد بالقاهرة 5-1994/9/15م، الترجمة العربية الرسمية ، الفصل الثامن الفقرات 31-35، نقلاً عن مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د. محمد عمارة، ص: 27

(14) أنور الجندي، شبهات التغريب، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1398هـ، ص:12.

(15) انظر: العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التيميم، الطبعة الأولى 1422هـ -2001م، ص: 263.

(16) صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، د. محمد الشبيني، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 2002م، ص: 251.

(17) العالم من منظور غربي، د. عبد الوهاب المسيري، منشورات دار الهلال، فبراير 2001م، ص: 253.

(18) مسئولية الإعلام في تأكيد الهوية الثقافية، د. ساعد العرابي الحارثي، المجلة العربية، د. ط. ت. ص: 30.

(19) العولمة والهوية المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون، 4-1998/5/6م، بحث للدكتور/ حسين علوان حسين بعنوان: العولمة والثقافة العربية، منشورات جامعة فلادليفيا، الطبعة الأولى، 1999م، ص: 126.

(20) انظر: صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، د. محمد الشبيني ، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 2002م، ص: 251.

================

#متوالية السقوط الكبير للمحافظين الجدد

محمد سليمان أبو رمان 1425/4/24

2004/06/12

كانت سيطرة المحافظين الجدد على البيت الأبيض بمثابة العلامة الفارقة في التاريخ السياسي الأمريكي ، وعلى الرغم من البداية المتعثرة – نوعا ما – للرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش ، إلا أن أحداث أيلول جاءت لتكون الفرصة المناسبة والمحفز الاستراتيجي الذي استثمره المحافظون الجدد لتمرير مشاريعهم الأيدلوجية وإعادة تشكيل وصوغ المجال السياسي الأمريكي ، بما في ذلك السياسة الخارجية ، بما يتوافق مع هذه الرؤى والمشاريع . وقد وصل حجم التغوّل الكبير الذي مارسه القادة الجدد إلى الدرجة التي وصف فيها بعض المفكرين والكتاب الأمريكان الأمر" بأن المحافظين الجدد قد اختطفوا البيت الأبيض" .

لم يعبأ هذا التيار – الذي سيطر على كثير من مراكز الدراسات والإعلام والسياسة الرئيسية في الولايات المتحدة – بكل الانتقادات وعلامات الاستفهام التي صدرت من هنا وهناك ضد تصوراتهم ورؤاهم المتطرفة ، بل تم تفسير " نزعة معاداة الأمريكية "

، التـي اجتاحـت كثيـرا مـن دول العـالم بمـا فيهـا دول حلفـاء واشـنطن الأوروبيـة ، ومظـاهر العـداء الشـديد ، وكـل المسـيرات والاحتجاجـات والحركـات المعارضـة لسياساتهم، بأنها نتيجة مشاعر الحقد والكراهية الناشئة عن الغيرة والحسد لما وصلت إليه القوة الأمريكية ، وهذا هو شأن الإمبراطوريات الكبرى ، كما كان الأمر بالنسبة للإمبراطورية الرومانية ، وقد عبر عن هذه الرؤية بوضوح فؤاد عجمي في مقاله " زيف العداء لأمريكا في العالم " في مجلة السياسة الخارجية .

لقد كانت منطقة الشرق الأوسط من المناطق التي اندفع المحافظون الجدد لإجراء تغييرات كبيرة فيها ، وإعادة صوغ المجال الجيو – استراتيجي لها بما يخدم مشاريع الهيمنة الأمريكية والإسرائيلية، ورؤى تيار الليكود الحليف الوثيق للمحافظين الجدد .

ورأى عدد كبير من السياسيين والكتاب الأمريكان أن حرب العراق هي حرب إسرائيل التـي شنتها الولايات المتحدة بالوكالـة عنهـا ، وكانـت هذه الحـرب – وفقا لتصـورات المحـافظين الجـدد – بمثابـة " المفتـاح الـذهبي " الـذي سيفتح البـاب لريـاح التغييـر المطلوبة ، ليبدأ تحرير العالم العربي – على الطريقة الأمريكية – من بغداد ! .

إلاّ أن النصـر العسكري السريع والحاسم الذي حققتـه الآلـة العسكرية الأمريكيـة ضد النظـام العراقـي السـابق لـم يكـن سوى بدايـة السقوط الذريع والكبير لـرؤى المحـافظين الجدد ، ليكون العراق – بحق – الفخ الكبير الذي سقط فيه هذا التيار ، وأظهر عقم وهشاشـة كثيـر مـن تصـوراته ورؤاه الأيدلوجيـة ، إلـى الدرجـة التـي بـات فيهـا كثيـر مـن الكتاب والباحثين يتحدثون عن نهاية المحافظين الجدد في العراق .

بـدأت ملامـح المـأزق العراقـي منذ نهايـة الحـرب العسـكرية ، وقامـت الإدارة الأمريكيـة بتعديل مخططاتهـا فـي العـراق أكثـر مـن مرة للتعامـل مـع تعقيدات الوضـع العراقـي ، ومع المتغيرات الخطيرة هناك، وخاصـة المقاومـة المسلحة ، وكانت الدعاية السياسية الأمريكية تتهاوى بشكل كبيـر وصـارخ أمـام حقـائق الواقـع العراقـي ، وتـم التخلـي عـن كثيـر من الأحلام السابقة ، ثم بدأت الإدارة الأمريكية تبحث عن مخرج – من المأزق – يحفظ ماء الوجـه ، حتـى لـو كـان مـن خـلال الأمـم المتحدة أو قوات عربيـة بديلـة ، أو أي حل يُخرج القوات الأمريكيـة من العراق بعد أن أصبح العراق نقطـة الضـعف الرئيسية للرئيس بوش وهو يخوض الانتخابات القادمة .

بيد أن فظائع سجن " أبو غريب" كانت هي الباب الذي دخلت منه الشرور على مصراعيها على القادة الأمريكان ، وأصبح العراق بمثابة الكابوس الذي يلاحق قادة البيت الأبيض في كل مكان . فمنذ انكشاف فظائع أبو غريب وهناك حالة من التهافت الكبير بادية على المحافظين الجدد وصقور الإدارة الأمريكية ، الذين بدؤوا بإلقاء اللوم على بعضهم ، وبالتنصل من المسؤوليات عن كثير من السياسات في العراق ، وكشفت أحداث أبو غريب عن وجود تيار أمريكي عريض يعارض رؤى المحافظين الجدد ويرفض كثيرا من مواقفهم وسياساتهم على المستويين الداخلي والخارجي ، بل وكان واضحا من كثير من الدراسات والتحقيقات الصحفية أنّ التيار المعارض للإدارة الحالية بدأ بالتحرك داخل المؤسسات الأمريكية من الداخل والخارج ، بما في ذلك البنتاغون ووكالة الاستخبارات الأمريكية ووزارة الخارجية ، وتحول حمائم الإدارة وفي مقدمتهم كولن باول من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم والقوة .

كما بدأت حملة واسعة من الانتقادات الداخلية ضد المحافظين الجدد ، والذين لم يعودوا يملكون الحجج ولا البراهين التي يدافعون بها عن أنفسهم ، فلا العراق المحرر الأمريكي الديمقراطي موجود ، ولا الديمقراطية وحقوق الإنسان التي يبشرون بها لها قيمة بعد أحداث أبو غريب ، بل وكثير من التصورات الاستشراقية – التي قامت عليها رؤيتهم للعالم العربي المستمدة من أفكار أستاذهم برنارد لويس – ثبتت ضحالتها وسطحيتها في العراق ، وخاصة في التعامل مع الثورة المسلحة .

لقد كشفت مصادر إعلامية أمريكية – مقربة من وزارة الخارجية – أنّ عملية اقتحام قوات أمريكية وعراقية لمكتب أحمد الجلبي تمت دون علم رامسفيلد وصقور البنتاغون ، بل إنهم فوجئوا بعملية الاقتحام ، وكان الجلبي من الشخصيات الأولى التي حاولت الإدارة الأمريكية تقديمها ككبش فداء ثمنا لخطاياها في العراق ، واتهم بالتضليل والكذب والخداع ، كما اتهم بعلاقاته مع إيران ، ثم جاءت استقالة مدير وكالة المخابرات جورج تينت وما أحاط بها من غموض لتعمق أزمة المحافظين الجدد قبيل الانتخابات ، وتضعف موقفهم ، وما تزال هناك دعوات كبيرة ومتصاعدة داخل الولايات المتحدة تطالب بمحاسبة رامسفيلد عن كثير من الأخطاء ، وتدعو إلى إقالته .

يبدو واضحا أن هناك ثورة مضادة متصاعدة داخليا تدفع باتجاه التخلي عن مشروع المحافظين الجدد واليمين الأمريكي المتطرف ، تنطلق هذه الحملة من مساحات متعددة ومختلفة في الحركة السياسية الأمريكية ، وتجتمع جهود المعارضين لترمي عن قوس واحدة صقور الإدارة الأمريكية : فهناك حمائم الإدارة ، وهناك المحافظون القدامى ، وهناك تيار من الخبراء العسكريين الحاليين والمتقاعدين معارض لسياسات رامسفيلد ، وهناك الحزب الديمقراطي ، ومؤسسات المجتمع المدني ، وينضم إلى هذه القوى عدد كبير من الخبراء والمنظرين الأمريكان الكبار - والذين لهم وزن معروف في صوغ التصورات الاستراتيجية الأمريكية - يرون بأنّ سياسات المحافظين الجدد قد أضرّت بالولايات المتحدة وقوتها داخليا وعالميا وفي مقدمة هؤلاء الخبراء بريجنسكي ، وكلارك ، وانتوني زيني ، ووصفت مجلة [النيوزويك] الإدارة الحالية بأنها " أخرق قيادة مدنية في تاريخ أمريكا الحديث " ، في حين عبر عن هذه الحالة باتريك سيل في مقالته " هل يتخلى بوش عن المحافظين الجدد " (في صحيفة الحياة 4 حزيران 2004) :- " تواجه الولايات المتحدة . رغم تردد إدارة بوش بالاعتراف بذلك . أسوأ أزمة عرفتها البلاد منذ الحرب العالمية الثانية ، إنها أزمة قيادة وأزمة سمعة وأزمة قدرات عسكرية وهيبة معنوية " .

شتان شتان ما بين طموح المخططات الأمريكية قبل الحرب لـ " عراق ما بعد صدام " وما بين الواقع الحالي ، بل ما بين قوة وزخم المحافظين الجدد قبل الحرب وبين واقعهم اليوم ، قد يتمكن الرئيس بوش من الفوز بالانتخابات القادمة ، لكنه بالتأكيد لن يكون سعيدا في البقاء مع الفريق الحالي في إدارته ! .

=============

#د. مازن مطبقاني : هذه حقيقة الفاتيكان

حوار : عبد الله بن محمد الرشيد 1425/5/10

2004/06/28

(مثل هذه الحملة ليست مستغربة إطلاقاً ولا جديدة على الفاتيكان) هكذا يكشف ضيفنا حقيقة الفاتيكان الذي يقوم بحملة شعارها (مليون ضد محمد) ، مؤكّداً أنّ ذلك ينبع من الحقد المتأصّل في نفوس النّصارى ضد المسلمين ، مشيراً إلى ألاعيب

السياسة وراء هذه الحملة التي تتعاون مع دول الإرهاب للحرب على الإرهاب ، ويرى الدكتور مازن مطبقاني أنّ هذه الحملة ليست موجّهة للنّصارى فقط ، بل هي لجميع شعوب العالم ومنها الشعوب الإسلاميّة ، مؤكّداً أنّ المدّ الاستشراقي يلعب دوراً مهماً في تحريك مثل هذه الهَجَمات .

ويقول الدكتور مازن في ختام حديثه: "إنّه لا ينبغي أنْ نعوّل كثيراً على دور الحكومات العربيّة؛ فهي مشغولة بتثبيت حكمها، وتحقيق أدنى قبول شعبي لها ، وكيف نعوّل عليها وهي التي تفتح أراضيها لإرساليّات التنصير؟!

ويعزو الدكتور "ضعف التفاعل الشعبيّ العامّ" مع هذه القضية إلى وسائل الإعلام العربيّة التي ما فتئت تحارب ما يسمّى " بالأصوليّة الإسلاميّة "، وتروّج لأفكار الانحلال والانحراف .

والدكتور مازن صلاح مطبقاني أستاذ مشارك بعمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حصل على درجة الدكتوراه في الدّراسات الإسلاميّة من قسم الاستشراق بكلية الدّعوة بالمدينة المنورة عام 1415هـ، وحصل قبلها على الماجستير في التاريخ الحديث من قسم التاريخ بجامعة الملك عبد العزيز بجدة عام 1406هـ. ويشرف حالياً على موقع في الإنترنت حول الاستشراق هو مركز المدينة المنوّرة للدّراسات وبحوث الاستشراق وعنوانه هو: www.mazen-m.com8center.

وله عدد من المؤلفات في دراسة الاستشراق والتنصير منها : الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام ، و الاستشراق والاتجاهات الفكريّة في التاريخ الإسلامي ، و أصول التنصير في الخليج العربي(ترجمة عن الإنجليزية)

وحضر عدداً من المؤتمرات الدوليّة منها : المؤتمر الدولي حول الاستشراق والدراسات الإسلاميّة ، في تطوان بالمغرب عام 1997م ، و المؤتمر الدولي حول الاستشراق: الخطاب والقراءة بجامعة وهران عام 2001م وغيرها .

نشرت صحيفة "فليت إم زونتاج" الألمانيّة في عددها الصادر بتاريخ 30 مايو من عام 2004 م، مقالا بعنوان (مليون ضد محمد) ذكرت فيه أنّ للفاتيكان منظمةً اسمها "رابطة الرهبان لتنصير الشعوب" هي من أقدم منظمات الفاتيكان وأكثرها نفوذا

وأقلّها شهرة، إنّها تعمل في كل مناطق العالم بما في ذلك المناطق التي يسمّونها مناطق "الصّمت"؛ كالسعوديّة واليمن والصين وفيتنام وكمبوديا . بداية نودّ أنْ نعرف مدى الامتداد التاريخي لهذا الهجوم العلنيّ ضد المصطفى صلى الله عليه وسلم من قبل رؤوس الدّيانة المسيحيّة؟ و بماذا تفسر تبني الفاتيكان لها وهي المرجعيّة الدينيّة الأولى لنصارى اليوم ؟وهل هذه العمليّة مستغربة وجديدة في تاريخ الفاتيكان كمؤسسة؟

يجب ألا يغيب عن بالنا لحظةً ما ورد في القرآن الكريم حول موقف النصارى من الإسلام والمسلمين، ومن ذلك قول الله عز وجل(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبعَ ملتهم) [البقرة:120] وقوله تعالى (يُرضُونكم بأفواههم وتأبى قلوبُهم)[التوبة:8] (قد بدت البغضاءُ من أفواههم وما تُخفي صدورُهم أكبر) [آل عمران:118]

إنّ جهود التنصير في محاربة الإسلام وأهله قديمة، وقد اتخذت عدة أشكال منها: العسكري،و الفكري، والثقافي، والاجتماعي. أمّا الفكري والثقافي فقد بدأ منذ وقت مبكر حين ظهر" يوحنا الدمشقي" يناظر المسلمين ويطعن في الإسلام ومعتقداته. واستمر النصارى يكتبون الكثير حول الإسلام، حتى إنّ الإنتاج الفكريّ في العصور الوسطى(الأوروبية) كثرت فيها هذه الكتابات، وكانت على درجة من السوء والتحيّز والتعصّب حتى كتب في ذلك "ريتشارد سوذرن" كتابه المشهور عن صورة الإسلام في القرون الوسطى، ثم جاء بعده "نورمان دانيال" في كتابه (الإسلام والغرب) وفيه نقد قويّ لما كتبه النصارى حول الإسلام في تلك الفترة.

وظهرت ترجمات لمعاني القرآن الكريم قام بها قساوسة وباحثون أوروبيّون كانت نماذج للحقد والكراهيّة. وقد صرّح الكثيرون منهم أنّهم بحثوا عن أسوأ الأوصاف والنعوت وأطلقوها على الرّسول صلى الله عليه وسلم. ومن نماذجهم القريبة القس البلجيكي- الذي عاش في لبنان- "هنرى لامانس" الذي نعت الرّسول صلّى الله عليه وسلم بشتى النّعوت البذيئة التي لا يليق بعالم أنْ يتلفظ بها لا أنْ يكتبها.

واستمرّت الهجمة على الإسلام والمسلمين وعلى شخصيّة الرّسول الكريم صلى الله عليه وسلم حتى عصرنا الحاضر الذي تنشط فيه الكنائس الغربيّة ومؤسسات

التنصير المختلفة، حتى إنّ بابا الفاتيكان الحالي قام بجولة في عدد من دول أفريقيا لتشجيع البعثات التنصيريّة على العمل وحدّد لهم الهدف بأنْ يعملوا على جعل أفريقيا قارة نصرانيّة بحلول العام 2000م، ولكن خاب ظنّه وتخطيطه. وقد مرّت ثلاث سنوات ونصف على هذا التاريخ ومازال الإسلام قوياً في أفريقيا، ويزداد الإقبال عليه. ولعلهم أدركوا استحالة تحقيق هذا الهدف، فغاظهم فقرروا خُطة جديدة لعلها تكون هذه الخُطّة التي نتحدث عنها الآن.

ومثل هذه الحملة ليست مستغربة إطلاقاً ولا جديدة على الفاتيكان الذي حرّض النصارى في القديم على القيام بالحَمَلات الصليبيّة، والذي تعاون مع قوى الاحتلال حديثاً، فلا يستغرب منه مطلقاً أن يشنّ الحملة تلو الحملة ضد الإسلام والمسلمين.

بحكم تخصصكم، ما هي دوافع هذه الحملة ضدّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ؟ وهل تنطلق من منطلق دينيٍ بحت ؟ أم أنّ هناك دوافعَ سياسيةً في الموضوع؟

دوافع هذه الحملة وما قبلها من حملات هو الحقد المتأصل في نفوس النصارى ضد الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم. ومع الدّوافع العقديّة من حقد دفين على الإسلام فهناك الدوافع السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة. فإن كان الأوروبيون يزعمون أن جذور الفكر الغربي هي الجذور اليهودية–النصرانية فإن ما يقف ويقاوم هذه الجذور الفكريّة وينال القبول في أنحاء العالم هو الإسلام؛ لذلك لا بد من الحَمَلات المحمومة التي نحن بصددها وما سيتلوها، والتي لا تخرج أهدافها عن السّعي إلى هدم الإسلام والقضاء عليه، وذلك من خلال تشويه هذا الدين ومعتقداته وشريعته، وتشويه صورة نبيّه عليه الصلاة والسلام. وهذه الحملات تتوجه بالخطاب ليس للنصارى فحسب، ولكن لكل شعوب العالم ومنها الشعوب الإسلاميّة.

أما عن الدوافع السياسيّة لهذه الحملة فأمر مؤكد ذلك؛ لأن الارتباط بين التنصير والاستعمار قديم في حملات الكنائس وارتباطها بالحكومات الغربية. فأوروبا تؤكد على علمانيّتها في الداخل ولكنها تدعم كل نشاط تنصيريّ بالخارج؛ وبخاصة في بلاد المسلمين. وما زلت أذكر الكتاب الذي وفقني الله عز وجل لترجمته حول البعثة "العربية" التنصيرية التي كانت بقيادة صموئيل زويمر وزملائه الأربعة التي وصلت إلى الجزيرة العربية عام 1317هـ (1889م) واستمرت حتى عام 1394هـ(1974).

وكانت هذه البعثة تعمل تحت حماية بريطانيا وأمريكا، حتى إنّ أحد مسؤولي الخارجيّة الأمريكيّة خاطب أحد رؤساء الدول في الخليج العربيّ بفظاظة وقسوة لعدم السماح للبعثات التنصيريّة بالعمل في بلاده!!

وهل هذه الحملة تخدم وتدعم المخطط التنصيريّ ؟ أم أنها تسبب تخريباً له بسبب نفرة المسلمين ممن يتهجّم على نبيّهم ؟

لا بد أنّهم درسوا هذه الحملة دراسة عميقة ودقيقة قبل أن تنطلق، فلا شك أنها ستخدم أهدافهم وتحقّق لهم ما يريدونه؛ لأن الإعلام العربيّ الإسلاميّ منشغل باللهو والترفيه والتسلية في غالبه. ففي الوقت الذي تتعدّد القنوات الفضائيّة التنصيريّة ومحطات الإذاعة نجد أن الإعلام الإسلاميّ منحصر في عدد محدود من القنوات الفضائيّة وما يتبقى من خُطّة برامج المحطات الرسميّة العربيّة والإسلاميّة. فالقنوات الفضائيّة العربيّة التجاريّة تصبّ جامّ غضبها على الإسلام والدعاة المسلمين؛ لأنها تسير في رِكاب الإعلام الغربيّ في محاربته للإسلام، ولأنّ هذا الإعلام ارتبط الإسلام عنده بـ" التطرّف" و "العُنف" و "الأُصوليّة" مع أن الدّعاة المسلمين والحركات الإسلاميّة "في غالبيتها العظمى" تدعو إلى العودة الصحيحة إلى الإسلام وتطبيقه في شؤون الحياة كلها: العقديّة والتشريعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة.

أمّا أن الحملة سوف تسبّب تخريباً للمخطّط التنصيري لأن المسلمين ينفرون ممن يتهجّم على نبيهم فأمر يمكن أن يحدث لو كان المسلمون يدركون هذه الحملات ويعرفونها، ولو أنّ الإعلام الإسلاميّ يفضح ما يقولونه بالتفصيل. وإنْ حدث تخريب للمخطط التنصيري؛ فلأنّ هذا الدين محفوظ بحفظ الله له؛ ولأنّ الله عز وجل وعد بانتصاره (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون) [الصف:8]

توقيت هذه الحملة برأيك هل يحمل دِلالات معينة ؟ وهل لها علاقة بالحرب على ما يسمى "بالإرهاب" بحيث تكون هذه الحملة جانباً من جوانب هذه الحرب ؟

يجب أن ندرك أنّ الغربيين –عموماً– لا ينطلقون في أي عمل من أعمالهم إلا بعد دراسة وتنسيق، والتنسيق موجود بين الفاتيكان وقادة الدول الغربيّة، ولعلّ من آخر

رؤساء الدول الغربية لقاءً للبابا هو الرئيس الأمريكي (بوش). وربْط الإسلام بالإرهاب أمر اتفق الغربيّون وبعض المتغرّبين عليه. ولو عدنا إلى الحملة التي انطلقت بعد الحادي عشر من سبتمبر لتأكّد لنا هذا الأمر، ولكنّهم وجدوا أنّ الإقبال على معرفة الإسلام وحتى الدخول فيه قد ازداد بعد هذه الحَمَلات؛ لذلك فكّروا في حملة جديدة للهجوم على شخصيّة الرّسول صلى الله عليه وسلم. وقد بدأها قساوسة ورؤساء كنائس في الولايات المتحدة الأمريكيّة. وها هو الفاتيكان يشاركهم في هذه الحَمَلات.
هل يمكننا أنْ نقول: إنّ هذا التحامل على النبي صلى الله عليه وسلم متركز أكثر في المذهب الكاثوليكيّ ؟ أم أنّه متأصل لدى المذاهب المسيحيّة الأخرى ؟
إنّ دارسي الاستشراق وبخاصة الفرنسي منه يؤكدون على أنّ الاستشراق الفرنسيّ الكاثوليكي هو أشد المدارس الاستشراقية قسوة وتطرّفاً وعنفاً في الهجوم على الإسلام وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم. ولو رجعنا إلى المواجهات بين العلماء المسلمين والمستشرقين الكاثوليك في الدول التي كانت خاضعة للاحتلال الفرنسي لأدركنا حجم الخُبث الكاثوليكي الاستشراقي في هجمته على الإسلام. ويكفي مراجعة صحف ومجلات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر.
لقد وصل الأمر بالمحتلين الفرنسيين أو ما كان يُطلق عليهم (المعمّرين) أنّهم كانوا يطلقون على الخادمة اسم (فاطمة) فمن أراد أنْ يبحث عن خادمة يقول: إنّه يبحث عن (فاطمة).
والأمر لا يختلف بالنسبة للمذاهب النصرانيّة الأخرى فيكفي الرجوع إلى كتابات "مارتن لوثر" مؤسس البروتستانت لنعرف حجم الحقد والكراهيّة للإسلام والمسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم. وممّا يؤكد على العداء البروتستانتي هو ما نشاهده من بحوث ودراسات تقوم بها مؤسسات بروتستانتيّة ومراكز بحوث وأقسام علمية في هذه المؤسّسات لدراسة أوضاع المسلمين في أوروبا وأمريكا. فهناك دراسات واسعة قام بها مدير مركز العلاقات النّصرانيّة الإسلاميّة بجامعة "بيرمنجهام" ببريطانيا حول المسلمين في أوروبا. وكذلك ما قامت به جامعة نيويورك من عقد دورات لدراسة المسلمين في أوروبا. وقد عقد معهد دراسة الأديان بجامعة "ليدن" بهولندا مؤتمره

السنويّ بعنوان (التغيرات الدينيّة في سياق متعدد) تركزت العديد من بحوثه حول المسلمين في أوروبا.

كيف ترى هذه المفارقة : منظمة يعمل تحت لوائها 85 ألف قسيس ، و 450 ألف جمعية دينية ، وأكثر من مليون مدرس يجوبون العالم كله، قرية قرية، ومدينة مدينة، وهي تملك 42 ألف مدرسة، و1600 مستشفى، و 6000 مؤسسة لمساعدة المحتاجين، و780 ملجأ لمرضى السرطان، و12 مؤسسة خيرية واجتماعية حول العالم . وتجيّش أكثر من مليون شخص لحسابها بحريّة مطلقة في حين أن المؤسسات الدعويّة و الإغاثيّة الإسلاميّة ، تحاسب حسابًا عسيراً ويضيّق عليها؟

نعم إنّها لمفارقة كبيرة ومحزنة ما نشاهده من ضخامة الجهد التنصيريّ وسكوت العالم عنه، بينما تقوم الدنيا ولا تقعد لقيام بضع مؤسسات إسلاميّة إغاثيّة. نعم الأرقام التنصيريّة ضخمة، ولا يمكن مقارنتها بما يقوم به المسلمون، ومع ذلك فإنّ الغربيين وبخاصة أمريكا –زعيمة من يزعم محاربة الإرهاب– لا تتوقف عن محاربة الجمعيّات والمؤسسات الإسلاميّة. ولكنْ يجب ألا يغيب عن بالنا الدّعم الذي تلقاه المنظمات التنصيريةّ من الحكومات الغربيّة بينما يندر هذا التأييد من الدول الإسلاميّة للمنظمات الإسلامية الإغاثية والدعويّة. ومع كل ذلك علينا أن نتذكر أنّهم ينفقون هذه الأموال التي ستكون عليهم حسرة، ثم يُغلبون كما جاء في الآية الكريمة (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون..) [الأنفال:36]

هل للمد الاستشراقي دور في إذكاء هذه المحاولات لتشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وهل مازال الفاتيكان يستفيد من الاستشراق ؟ وما قولك فيمن يرى أن الاستشراق والحديث عنه أصبح جزءاً من فترة تاريخيّة ماضية ؟

نعم للمدّ الاستشراقي دور في هذه الحملات فالاستشراق –في الغالب– والتنصير وجهان لعمله واحدة؛ فالمُنَصِّر عندما يعمل في البلاد الإسلاميّة لا بد أن يكون مستشرقاً: عارفاً بالإسلام واللغات التي يتكلمها المسلمون، عارفاً بتاريخهم وعقيدتهم وثقافتهم. وقد انطلق الاستشراق في أصله ونشأته وجذوره من الكنيسة فمنها بدأ وإليها يعود.

ولا شك أنّ الاستشراق الإيطالي وعناية الفاتيكان به كبيرة. وهو مجال مازال بحاجة إلى دراسة عميقة لمعرفة ما يدور في الأوساط الاستشراقية الإيطاليّة. وحبذا لو قام المسلمون الإيطاليّون بمثل هذه الدراسات.

أما القول بأن الاستشراق والحديث عنه أصبح جزءاً من فترة تاريخية ماضية فلا يقول ذلك إلاّ شخصٌ لا يعرف الاستشراق، ولا يدري ما الاستشراق. يكفي الاطّلاع على مواقع أقسام دراسات الشرق الأوسط، والمعاهد للدراسات الإسلاميّة في الغرب ليدرك عمق الارتباط بين الاستشراق القديم المتمثل في كبار المستشرقين" ك جولدزيهر" و"مارغليوث" و"شاخت" و"كولسون" ليدرك أنّ الاستشراق قائم ومستمر. ولو بحثنا في المراجع والكتب التي يستقي منها خبراء الشرق الأوسط المعاصرين لأدركنا أنّ الاستشراق لم يمت وإنْ تمّ إدخال بعض التعديلات على أشكال الاهتمام وطريقة تناول قضايا العالم الإسلامي.

ولقد وجد المستشرقون في بعض أبناء البلاد العربيّة الإسلاميّة من يقوم بالمهمة نيابة عنهم في الهجوم على الإسلام وتاريخه وقيمه وأخلاقه.

بعد هذه الحملة التي تزعّمها الفاتيكان ضد النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، ما رسالتك إلى من يعتقد بجدوى حِوار الأديان ؟

حِوار الأديان أمر يتزعّمه الغرب في الوقت الحاضر، يزعمون به الرّغبة في التعرّف إلى العقائد الأخرى والتقريب بين الأديان، ولكنّ الأصل في الحِوار هو أنّنا أصحاب الدعوة الحقّ وعلينا أنْ ننطلق بدعوتنا إلى عُقر دارهم عملاً بقول الله تعالى (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)[يوسف:108] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (بلّغوا عنّي ولو آية) وقوله صلى الله عليه وسلم (نضّر الله امرأً سمع مقالتي فبلّغها إلى مَن لم يسمعها، فربّ مبلّغٍ أوعى من سامع، أو رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه).

نحن نملك الهداية والرحمة والخير للبشرية؛ فعلينا ألا نترك فرصة للحوار وبخاصة أنّ الله عز وجل يعلم أنّهم سيطلبون الحِوار والجدال فأمرنا ألا نجادلهم إلاّ بالتي هي أحسن(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن) [العنكبوت:46] وقوله تعالى (

ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) [النحل:125]

أما حِوار الأديان في شكله الحالي فلا يخدم أهداف المسلمين؛ لأنّه يُعقد في سريّة و نادراً ما يحضره علماء مسلمون أقوياء، وهو لا ينطلق من أسس ثابتة مثل اعتراف النصارى أو المتحاورين النصارى برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنّ الحِوار الحقيقيّ الذي ينطلق بين أنداد، فإذا كانوا لا يعترفون برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم فأيّ حوار يمكن أن يكون معهم؟

ولذلك لا ينبغي أنْ يكون الحِوار إلاّ من قبل مسلمين أقوياء في عقيدتهم عارفين بعقائد النصارى، وأن يكون الحِوار علنياً، فقد علمت أنهم يحرصون على سِرّية هذه الحِوارات مما لا يتيح للمسلمين إظهار ما عندهم من الحقّ الذي يعرفه النصارى كما يعرفون أبناءهم كما جاء في قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)[البقرة:146] وأكدّه أحد الإخوة الذين أسلموا في أمريكا، وكان يدرس اللاهوت وهو "روبرت كرين" (عبد الحق الفاروق) الذي كان مستشاراً للرئيس الأمريكي "ريتشارد نيكسون" حيث عرف زملاؤه إقباله على الإسلام فاجتمعوا به ليستنكروا توجّهه إلى الإسلام، وليقولوا له: " إنّ لديك مشكلة ونحن نريد حلّها" فقال لهم :" أنتم تعرفون أنّه ليس لديّ مشكلة، وإنّما أنا أتّبع الحق الذي تعرفون.." فما كان منهم إلا أنْ رضخوا للحقّ، واعترفوا معه أنّه على الحق وأن الإسلام هو الدّين الحق.

كيف تقيّم موقف الحكومات الإسلاميّة من هذا الهجوم الذي تبناه الفاتيكان ؟ وهل تتفق من أنّه جزء من الحملة بسبب دعمه للإرساليّات التنصيريّة ؟ و ما رأيك في البلاد التي فتحت أراضيها لوفودهم ؟

يجب ألا نتوقع الكثير من الحكومات الإسلاميّة فهي منشغلة بتثبت أنظمتها، وتحقيق الحد الأدنى من القبول من شعوبها. فكيف تتوقع منها أن تقوم بعمل حقيقي لوقف الهجمات التنصيرية. ولو كان الهجوم التنصيري على شخصيّة أحد الزعماء العرب المسلمين لكان الأمر مختلفاً، لجُنّدت الطاقات الإعلاميّة الممكنة وغير الممكنة للذب عن عِرض هذا الزعيم.

نعم كثير من الحكومات الإسلاميّة فتحت أبواب بلادها للتنصير وأساليبه الخبيثة الماكرة، وعرفت ارتباط هذه البعثات التنصيريّة بالدول الغربية، وغضّت الطّرف عن ذلك. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ما واجب الأمّة المسلمة أفراداً ومؤسساتٍ تجاه نبيّها محمد صلى الله عليه وسلم ، وإلى ماذا تعزو الضّعف الشعبيّ العام تجاه هذه القضيّة وانحسار التفاعل معها في أوساط نُخَبٍ معينة؟

واجب الأمّة الإسلاميّة كبير أولاً على المستوى المؤسّساتي، فهذه المؤسّسات يجب أن تسعى إلى تحريك الأفراد للعمل ضدّ هذه الحَمَلات بكتابة الخطابات والعرائض إلى الفاتيكان نفسه، وإلى الحكومات الغربيّة تستنكر وتندّد بكل مَنْ يحاول تشويه صورة المصطفى صلى الله عليه وسلم. ولنذكّرهم بالصورة العظيمة التي يقدّمها القرآن الكريم والسنّة المطهّرة لعيسى المسيح عليه السلام ولأمّه.

كما يجب على الإعلام العربيّ الإسلاميّ أن يتصدى لهذه الحملات فيوضّح تفاصيلها ومنطلقاتها والقائمين عليها، وأنْ يقدّم للمسلمين الحقائق عن الديانة النصرانيّة وما مرت به من تحريفات. لماذا يستخدم المنصّرون الإعلام بصورة قويّة؟ أمّا الدعوة الإسلاميّة فما زالت بحاجة إلى استخدام هذه الوسيلة أولاً في الدعوة إلى الخير وإلى الهداية والرّشاد، ثم الذبّ عن رسالة الإسلام وعن الرّسول صلى الله عليه وسلم.

أما على المستوى الفرديّ فإنّ على المسلم أنْ يتذكر قولة الصدّيق رضي الله عنه: "الله الله أنْ يُؤتى الإسلام وأنا حيّ" فجعل نفسه مسؤولاً عن الإسلام كله... فأين نحن من تحمّل المسؤولية؟! وإنّها لمسؤوليّة يجب أنْ يتحمّلها العلماء وبخاصة القادرين على الكتابة باللغات الأجنبيّة من فرنسيّة وإنجليزيّة وألمانيّة وإيطاليّة ليبعثوا إلى الصحف ووسائل الإعلام المختلفة، وليرسلوا الرسائل إلى المواقع التنصيريّة التي تطعن في الإسلام وفي رسوله صلى الله عليه وسلم.

أما الضّعف الشعبيّ العام تجاه هذه القضيّة فذلك لأن وسائل إعلامنا انشغلت بملء وقتنا بالتّفاهات والتّسلية والتّرفيه، فكيف بربك نهتم بالقضايا الكبرى ولا شغل للإعلام

الفضائيّ سوى الفنانين والفنّانات والاهتمام بما يزعمونه "الإبداع في الغناء والرّقص والتّمثيل"؟! أين العناية بالإبداع في الكتابة والتأليف والدّفاع عن الإسلام وأهله؟!

==========

#الأسلمة في الغرب واختراق الخارطة الأوروبية بالقوة الذاتية..!!

برلين – صلاح الصيفي 1428/4/20

2007/05/07

على الرغم من الدعاوى وحملات التشهير ضد الإسلام ونبيه الكريم والتي كشف الغرب عنها في أبشع صورها بما يتناقض مع مزاعم الحرية والديموقراطية وعدم التمييز العنصري؛ إذ أخذت هذه الحملات عدة أشكال من بينها التصريحات العنصرية ضد المسلمين من قبل رجال دين مسيحيين أو سياسيين، والتهجم على القرآن الكريم وحجاب المرأة المسلمة، واستمرار وسائل الإعلام من صحافة وفضائيات ومراكز ثقافية فى التطاول على شخص النبي (صلى الله عليه وسلم) وعلى رسالة الإسلام، إضافة إلى التضييق المستمر على المسلمين ومؤسساتهم الدينية والعلمية والثقافية وعلى حرياتهم الشخصية وتحركاتهم في الدول الغربية، وعلى الرغم من جدران برلين الاجتماعية والثقافية والسياسية والأمنية والإستراتيجية المتعددة التي أقامها الغرب بينه وبين الإسلام منذ طرد المسلمين من الأندلس ومروراً بالحركات الاستعمارية، ووصولاً إلى الغارة الكبرى على عالمنا الإسلامي، إلاّ أن الإسلام استطاع أن يصل إلى جغرافيا الغرب تماماً، كما تمكن الغرب سابقاً وحالياً في الوصول إلى مواقعنا على متن البواخر الحربية والطائرات والدبابات، ولكن الفرق بين اختراق الغرب وقدومه لمواقعنا الجغرافية وذهاب الإسلام وانتشاره في مواقع الغرب الجغرافية تكمن في أن الغرب جاء إلى مواقعنا بقوة السلاح، أما الإسلام فقد اخترق الخارطة الغربية بقوته الذاتية وتعاليمه ومبادئه العظيمة وقيمه السامية وسط الشباب والشابات والأكاديميين الغربيين حتى أصبحت ظاهرة في حد ذاتها ما زال الغربيون يبحثون في أمرها حتى اليوم، فتفرغت مراكز الدراسات والمؤسسات الغربية لرصد هذه الظاهرة ومحاولة الوصول إلى الأسباب والدوافع وراء إقبال الآلاف من الشباب والفتيات وفئات مختلفة على الإسلام.

دراسات وتقارير

فقد أظهرت دراسة حديثة وضعتها مؤسسة (سويست) للأرشيف الإسلامي في ألمانيا أن أكثر من (4000) ألماني من ديانات وطوائف مختلفة تخلى عن دينه، واعتنق الإسلام ما بين شهر يوليو عام 2004 ويونيو عام 2005، أي أربعة أضعاف عدد عام 2003، وأشارت الدراسة نفسها إلى أن أهم أسباب اعتناق الإسلام في السابق كان محصوراً بالنساء الألمانيات اللواتي يتزوجن من مسلمين، إلاّ أن الوضع تغير الآن، وأصبح اعتناق الإسلام لدى الرجال والنساء لأسباب أخرى منها البحث عن الهدوء النفسي والراحة الداخلية حسب اعتقادهم والشعور بالقرب من الآخرين أو التقرب من الشرق الساحر.

وفي دراسة أخرى وضعتها نفس المؤسسة أشارت إلى أن عدد المسيحيين الألمان الذين اعتنقوا الاسلام عام 2005 وصل إلى (1.152) ليصل عددهم الإجمالي إلى (13) ألفاًً، و على الرغم من عدم وجود إحصائيات لعدد معتنقي الإسلام لعام 2006 إلاّ أن المؤسسة تتوقع وصوله إلى (5000) مسلم.

أما في فرنسا فقد أوردت صحيفة (لاكسبرس) الفرنسية تقريراً عن انتشار الإسلام بين الفرنسيين جاء فيه: "على الرغم من كافة الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الفرنسية مؤخرًا ضد الحجاب الإسلامي وضد كل رمز ديني في البلاد، أشارت الأرقام الرسمية الفرنسية إلى أن أعداد الفرنسيين الذين يدخلون في دين الله بلغت عشرات الآلاف مؤخرًا، وهو ما يعادل إسلام عشرة أشخاص يوميًا من ذوي الأصول الفرنسية، هذا خلاف عدد المسلمين الفعلي من المهاجرين ومن المسلمين القدامى في البلاد".

كما ورد في التقرير إلى أن عدد المعتنقين الجدد للإسلام من الفرنسيين يصل إلى(60) ألفا مؤخراً، سواء أولئك الذين أسلموا بدافع حبهم وإعجابهم بهذا الدين، أو بدافع البحث عن الهوية والبحث عن الذات، والكثير منهم من شباب المدن ومن طبقات المجتمع المختلفة.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية فقد نشرت صحيفة (نيويورك تايمز) مقالاً ذكرت فيه أن بعض الخبراء الأمريكيين يقدرون عدد الأمريكيين الذين يعتنقون الإسلام سنوياً بـ

(25) ألف شخص، وأن عدد الذين يدخلون دين الله يومياً تضاعف أربع مرات بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر حسب تقديرات أوساط دينية، والمدهش أن أحد التقارير الأمريكية الذي نُشر قبل أربع سنوات ذكر أن عدد الداخلين في الإسلام بعد ضربات الحادي عشر من سبتمبر قد بلغ أكثر من ثلاثين ألف مسلم ومسلمة، وهذا ما أكده رئيس مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكي؛ إذ قال: "إن أكثر من (24) ألف أمريكي قد اعتنقوا الإسلام بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وهو أعلى مستوى تَحقق في الولايات المتحدة منذ أن دخلها الإسلام.

أعداد كبيرة وقلق أوروبي

وقد أشارت التقديرات المبدئية المتوفرة حول عدد المسلمين في الغرب، والتي قامت بها المؤسسات الإسلامية والمؤسسات غير الرسمية، وأحياناً المؤسسات الكنسية والبحثية أن عدد المسلمين في الغرب وصل إلى (30) مليون مسلم من مجموع سكان أوروبا البالغ (705) ملايين نسمة، ففي فرنسا بلغ عدد المسلمين ستة ملايين مسلم الأمر الذي جعل الإسلام هو الديانة الرسمية الثانية بعد الكاثوليكية، وسبعون بالمئة منهم قدموا إلى فرنسا من المغرب العربي، وحسب دراسة للمجموعة الأوروبية صدرت في العاصمة البلجيكية بروكسل في سنة 2001 فإن المهاجرين يساهمون بنسبة 14.7% من الناتج المحلي الفرنسي، وفي ألمانيا فقد بلغ عدد المسلمين قرابة أربعة ملايين نسمة، وفي بريطانيا تجاوز عدد المسلمين فيها مليوناً و 700 ألف مسلم، وفي إيطاليا، تجاوز عدد المسلمين المليون، وفي هولندا بلغ عددهم (900) ألف مسلم، وفي بلجيكا (600) ألف مسلم، وفي السويد نصف مليون، وفي سويسرا (400) ألف مسلم، وفي إسبانيا (400) ألف مسلم، وفي النمسا قرابة النصف مليون، وفي اليونان (700) ألف مسلم، وفي الدانمارك قرابة (200) ألف مسلم، وفي فلندا (60) ألفاً، بالإضافة إلى وجود مئات الآلاف من المسلمين في الدول الأوروبية التي انضمت أخيراً إلى الاتحاد الأوروبي.

وقد كشفت هذه الأعداد الهائلة من المسلمين في مختلف الدول الأوروبية أن حركة الإنجاب بين المسلمين كبيرة للغاية، وحسب الخبراء الدارسين لهذه الظاهرة فإن ذلك يعود إلى التقاليد الإسلامية الحريصة على مفهوم العائلة الكبيرة المتضامنة، أو أن

ذلك يعود إلى رغبة هذه العوائل المسلمة بالاستفادة من الامتيازات التي يوفرها الضمان الاجتماعي الأوروبي للعوائل الكبيرة من خلال ما يُعرف بنقدية الأطفال.

وقد بدأت هذه الأرقام والإحصائيات تثير القلق والرعب في الدوائر الغربية لا سيما وأن كماً هائلاً من الدراسات التي أنجزها خبراء في مجال قراءة المستقبل وتحليل الثقافة الرقمية المبنية على الإحصاء والاستطلاع الموسع يؤكد أن المسلمين قد يصبحون نصف سكان القارة الأوروبية بعد خمسين سنة، وبخاصة إذا استمر إنجابهم على الوتيرة التي هم عليها الآن، إضافة إلى المستوى التعليمي الكبير للأجيال المسلمة الجديدة وانتشار حركة الأسلمة بين الغربيين أنفسهم؛ إذ أصبح المواطن الغربي المسلم هو الذي ينقل الإسلام إلى بقية المواطنين الأوروبيين، بل إن بعضهم بات يعلن أنه صاحب الشرعية في تمثيل ونشر الإسلام في الغرب، وهو الاختراق الخطير الذي رُصدت له ميزانيات ضخمة وكُلفت جهات بحثية وأمنية لدراسة أبعاد هذه الظاهرة ورصد منحنياتها؛ إذ إن اتساعها قد يفضي إلى تقوية الوجود الإسلامي في الغرب وجعله محصناً.

مواجهه الأسلمة

أصبح انتشار الإسلام بين فئات كثيرة من المواطنين في الغرب مصدر هلع ورعب في الأوساط الرسمية والإعلامية، فأصبح هناك تمويل هائل لمئات المراكز الاستشراقية التي ترصد حركة مستقبل الإسلام في الغرب، كذلك بدأت الدوائر الغربية وضع خطط تقضي على شبح الأسلمة الذي قد يهدد مستقبل الغرب، ومن هذه الخطط فصل الجيل المسلم المولود في الغرب عن آبائه عبر بذل جهد مضاعف لجعل هذا النشأ الإسلامي ذائباً في الخارطة الغربية منسجماً مع ثقافتها وعقيدتها، وقد حقق في هذا المجال بعض النجاح حيث بات مألوفاً أن يصبح للشابة المسملة عشيق غربي يعاشرها ساعة تشاء، وقد يحدث أن تجلب عشيقها هذا إلى بيت أبيها كما حدث مع عشرات العوائل المسلمة، وعندما أراد الأب المسلم أن يسيطر على سلوك ابنته، تهرول البنت إلى سماعة الهاتف لتطلب الشرطة وبالطبع تجد تأييداً ودعماً لا محدود.

وهناك إستراتيجية أخرى يتم تنفيذها في الغرب وهي تسهيل و"الحث" أحياناً على الطلاق بين المرأة والرجل المسلمين، على أساس أن الأبناء تضمحل شخصيتهم وتضعف في ظل أسرة هزيلة ومشتتة، وقد يحتدم العراك بين الرجل وزوجته، وعندها تحكم المؤسسات الاجتماعية بعدم أهلية هذه الأسرة لرعاية الأطفال، على أساس أن الأطفال يحتاجون إلى دفء عاطفي وحنان واستقرار نفسي، وهذا الحكم كفيل بتوزيع الأبناء على العوائل الغربية.

وهناك أيضاً المدارس الغربية التي أصبحت تركز كثيراً على تدريس مادة الجنس، وهي مادة ضرورية في المناهج التعليمية الأوروبية، وأحياناً وعلى الرغم من أن الصف يكون معظمه من المهاجرين العرب والمسلمين فإن المعلمة تسترسل في توصيفات من شأنها أن تفجر الشهوات المكبوتة لدى الأطفال وخصوصاً في سن المراهقة، وهذا ما يجعل نسبة الفساد الخلقي بين الأطفال المراهقين مرتفعة بشكل كبير.

... ولكن على الرغم من كل المؤامرات التي تُحاك ضد الإسلام والتي تزداد شراسة يوماً بعد يوم، إلاّ أن قطار الأسلمة إلى الغرب لن يتوقف وسوف يسير بقوته الذاتية ومعجزته القرآنية وليس بسواعد المسلمين، يقول الله تعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [الصف:8-9]. صدق الله العظيم... فهل سيكون الإسلام هو الدين الأول على مستوى العالم؟

=================

زنجبار .. وجع في قلب العالم الإسلامي

الفقر والتخلف العلمي... أبرز مشكلات مسلمي زنجبار

عمرو محمد 1425/6/24

2004/08/10

زنجبار .. كما يسميها العرب من أبنائها، أو زنزبار كما يسميها الأجانب، وهي التسمية التي اصطلح عليها سكان البلاد منذ سقوط الحكم العربي فيها عام 1964 ،

هذه البلاد يعتبرها المؤرخون البوابة الشرقية لأفريقيا، في الوقت الذي يطلق عليها السائحون "بستان أفريقيا الشرقية".

يبلغ عدد سكان زنجبار –حسب آخر إحصاء– مليون نسمة، نسبة المسلمين منهم 98 % ، أغلبهم يقطنون جزيرتي "أنجوجا وبمبا" ، والنسبة الباقية هم من المسيحيين والهندوس .

يتحدث أهلها اللغة السواحلية، وهي اللغة الرسمية، بجانب الإنجليزية التي عمل الاحتلال البريطاني على زرعها بين أبناء البلاد، ويرجع أصل سكانها إلى عمان وفارس وأفريقيا وآسيا، وخاصة الهند وباكستان.

ورغم عدد السكان الهائل من المسلمين في زنزبار، فإنهم يعانون الكثير من الفقر والتخلف العلمي، وهو ما يجعلهم غنيمة لحركات التنصير و الاستشراق أمام صمت عربي وإسلامي لافت عن عدم علاج هذا القلب الجريح في جسد العالم الإسلامي.

وفي جولة لزنجبار، التقينا عددًا من الدعاة ومبعوثي الأزهر الشريف هناك؛ لرصد أوضاع المسلمين ومواجهة أبرز المشكلات التي يعانون منها..

بداية وحسبما يصف سكان البلاد المسلمين زنجبار؛ فإنها تتكون من عدد كبير من الجزر يبلغ عددها 52 جزيرة، أكبر جزيرتين هما "أنجوجا وبمبا" ، وتمثل زنزبار أحد طرفي الجمهورية الاتحادية لتنزانيا، وهو الاسم المشتق من كل من "تنجانيقا وزنزبار".

وبعد انهيار الحكم البرتغالي لساحل شمال أفريقيا دانت زنجبار للحكم العماني، وتعاقب على حكمها أحد عشر سلطانًا من أسرة البوسعيدي من أهمهم السلطان سعيد الأكبر، الذي أدخل زراعة القرنفل للجزيرة في أوائل عام 1800، مما أدى إلى ازدهار الحالة الاقتصادية في البلاد، حتى أصبحت أكبر مصدر للقرنفل في العالم.

خلفية تاريخية

كثير من الدراسات التاريخية ترى أن تاريخ العرب في زنجبار أو زنزبار شوه كثيرًا، فألصق بالحكم العربي تجارة الرقيق، واتهم بالتعاون مع الاستعمار، وتحمل العرب والمسلمون أكثر التهم سوءًا في تاريخ أوربا وأفريقيا، فألصق بهم الميراث التاريخي

الأسود الذي اخترعه الأوروبيون، وهو بيع الآلاف من الرقيق الأفارقة لأوربا المسيحية.

إلا أن الغالب، كما تذكره كتب التاريخ، فإنه منذ أن بدأت الوصاية البريطانية، وتغلغل نفوذ حركات التنصير في الدولة، حتى صار جميع موظفي الدولة من المسيحيين، وصار اقتصاد البلد بأيديهم، وأقاموا عشرات الكنائس، حتى بلغت نسبتها كنيسة مقابل كل مائة مسيحي، رغم كثرة عدد السكان المسلمين في هذه البلاد، والذي يصل إلى نسبة 98% من سكان البلاد .

وكان الاعتماد الرئيس لحملات التنصير في زنجبار على عنصري السلاح والإغراء بالمال، وإجبار النساء المسلمات على الزواج من المسيحيين لكي تستطيع حملات التنصير الوصول إلى تنصير اجتماعي شامل، وكذلك فقد وزعت الكتب المسيحية باللغة المحلية السواحلية، والأجنبية (الإنجليزية) و(العربية) ، وتشكلت مكتبة ضخمة سميت باسم "مجمع الكتب المسيحية"، وصار كل من يريد الحصول على الإنجيل يجده بلغته، وصار المسلمون يقرؤون الإنجيل، ويفهمون معانيه قبل أن يسمعوا شيئًا من القرآن؛ لأنهم بعد المذابح الرهيبة، ومخططات التذويب التي قضت على كل ما هو عربي عقب الثورة في 5 يناير 1964؛ أصبح المسلمون لا يعرفون شيئًا عن اللغة العربية!

ويقال إنه من جراء الثورة العارمة التي انطلقت في عام 1964 قُتل على أثرها ثلاثة وعشرون ألفًا من العرب المسلمين والهنود، وفرّ الكثير من العرب والشيرازيين، وتم الاستيلاء على ممتلكاتهم من المتاجر والمزارع، وأعلنت زنزبار الجمهورية عنوة عن السكان برئاسة عبيد كرومي الذي كان يتزعم –آنذاك– الحزب "الأفروشيرازي" ، واعترف بالجمهورية غداة استقلالها عدة دول من أبرزها مصر والولايات المتحدة الأمريكية.

وفي 24 أبريل من العام نفسه، أعلن الاتحاد بين كل من زنزبار ونتجانيقا تحت اسم الجمهورية الاتحادية لتنزانيا بين الرئيسين "نيريري وعبيد كرومي".

وحسب اعتقادات البعض؛ فإن الدستور الاتحادي لم يسفر عن إذابة الشخصية الاعتبارية لزنزبار، وإن كان قد وضعها في إطار اتحادي، ولكنها تمتعت بمساحة

كبيرة من الحكم الذاتي كدولة طرف في الاتحاد، لها رئيس ومجلس نواب ورئيس للوزراء وحكومة ودستور خاص بها، وإن كانت الحكومة الاتحادية قد احتفظت لنفسها بإدراة السياسة الخارجية والدفاع والأمن والتعليم والإقامة والحدود!

واقع المسلمين

والآن وبعد مرور ما يزيد عن 40 عامًا على الوضع في البلاد ؛ فإن المسلمين في زنجبار يرون أن قضيتهم هي قضية منسية ، على نحو ما يعتقد الداعية الشيخ "سالم الريامي" –وهو من سكان البلد ومن أصل عماني– بأنه إذا لم يتحرك العالم الإسلامي لنصرة إخوانه في زنجبار ؛ فإن هذه البلاد التي امتد الحكم فيها من الصومال إلى موزمبيق ستكون مهددة في وجودها، بعد أن نجح أذناب الاستعمار في تسييد اللغة السواحلية، والتي ظهرت في القرن الثاني عشر الميلادي، مقابل محو تاريخ اللغة العربية.

وبلهجة يكسوها الحزن؛ يتحسر الريامي على التاريخ العربي الطويل في زنجبار الذي امتد نحو ألف عام، والذي وقف أمامه المستعمرون وأعوانهم ليفكروا كيف يمحونه من الذاكرة الوجدانية لأهالي زنجبار؛ فقاموا بإغراق أمهات الكتب العربية في المحيط الهندي، والذي تقع على ضفافه البلاد. إلا أنه يتساءل ومجيبًا في الوقت نفسه: إذا كان الاستعمار قد نجح في تشويه التاريخ العربي، فإنه فشل في إزالته من عقول وقلوب أهالي زنجبار!

دور المسلمين

وهنا يؤكد الشيخ عصام أحمد –مبعوث الأزهر الشريف لتدريس اللغة العربية في المعهد الإسلامي بزنجبار– أن هناك فهمًا واضحًا للمسلمين في البلاد، وهو ما يلمسه من خلال تدريسه اللغة العربية في المعهد الإسلامي؛ حيث يجد إقبالاً كبيرًا على تعلم لغة القرآن الكريم، فضلاً عن أن الكتب الإسلامية التي يرسلها الأزهر الشريف إلى زنجبار تحظى بإقبال كبير من مسلمي زنجبار، الأمر الذي يعكس –على حد قوله– الإقبال الكبير على تعلم الإسلام.

ويقول: إن مسلمي زنجبار حريصون للغاية على التمسك بالدين الإسلامي، رغم حالات الفقر الشديدة التي يواجهونها؛ إلا أنه لديهم رغبة في تعلم مفاهيم الدين،

ودراسة اللغة العربية، خاصة وأن رسالته تقوم على تنوير المسلمين في زنجبار وتوعيتهم من خلال دروس العلم التي يلقيها، فضلاً عن دوره في تعليم طلاب المعهد الإسلامي للغة القرآن الكريم.

أما الشيخ عبد الفتاح بسطاوي –مدرس اللغة العربية بالمعهد التأسيسي للغة السواحلية واللغات الأجنبية–؛ فيؤكد أن دوره – كداعية– يهدف إلى الدعوة الإسلامية، وإبراز تعاليم الإسلام، وتعليم أبناء زنجبار اللغة العربية، حيث يجد فيهم إقبالاً كبيرًا على لغة القرآن الكريم، فيقبلون عليها بنهم شديد، إلا أن المشكلة التي تواجههم هي في قلة الكتب الإسلامية والدراسية للفقر الشديد، ولعدم حصولهم على قسط وافٍ من التعليم، وهو ما يلقي بالمسؤولية على دول العالم الإسلامي لإنقاذها هذا العضو العليل في الجسم الإسلامي.

ويقول: إن مسلمي زنجبار لو وجدوا دعمًا وإعانات من الدول العربية والإسلامية؛ فإن حالهم سوف يتغير كثيرًا، حيث يوجد وعي وصحوة إسلامية كبيرة، ورغبة في حب التعليم، وهو ما يظهر تكرار سؤالهم عن الأمور الدينية، في الوقت الذي يقوم فيه مبعوثو الأزهر بجهد كبير في تعليم مسلمي البلاد اللغة العربية، ونشر الدعوة الإسلامية؛ حيث هناك تقدير كبير لدور الدعاة الإسلاميين في هذه البلاد.

وعن دور الدعاة في توحيد الفرق والمذاهب المنتشرة في زنجبار كالأباضية والزيدية؛ يؤكد الشيخ بسطاوي أنه من خلال الاختلاط بهم في كثير من المناسبات الدينية والاجتماعية عرفنا أن هذه الفِرق موجودة منذ زمن طويل، ويستشهدون في ذلك بالآراء الفقهية، لكن الكثيرين من مسلمي زنجبار ليست لديهم بدعًا.

ومن جانبه يؤكد الشيخ علي إبراهيم – مبعوث الأزهر إلى مدرسة الوموبمبا الثانوية– أنه يقوم بتدريس اللغة العربية في هذه المدرسة التي يدرس طلابها أيضًا اللغتين الإنجليزية والفرنسية، إضافة إلى العلوم الطبيعية، وأن بها عددًا كبيرًا من المدرسين الذين تعلموا في الأزهر الشريف.

ويقول: إنه رغم حالات الفقر التي تظهر بين الدارسين من طلاب المدرسة، إلا أن لديهم رغبة في تعلم العربية تفوق رغبتهم في تعلم اللغات الأخرى وإنه يستغل وجوده في المدرسة لشرح تعاليم الإسلام، وتوضيحه للطل

============

#تطويع الثقافة" العربية أم تثويرها!

محمد أبو رمان 1427/7/1

2006/07/26

أحد الأهداف الرئيسة التي تسعى إليها إسرائيل – بضرب البنية التحتية، وتشريد الملايينن وقتل الناس وترويعهم، وضرب كل معاني الحياة الإنسانية– في عدوانها الحالي على لبنان، يتمثل بترسيخ قاعدة جديدة في العلاقة بينها وبين المحيط العربي، مضمونها أنها قوة إقليمية كبرى مرهوبة الجانب، وأن كلفة أي عملية ضد مصالحها وأمنها ستكون كبيرة ليس على الجهة المنفّذة فحسب، بل على المجتمع الذي يحتضن هذه الجهة، ويوفر لها العمق الإستراتيجي أو الملاذ الآمن.

ما تريد إسرائيل، وأميركا، ترسيخه أنّ قواعد اللعبة الإقليمية قد تغيّرت، بعد الأحداث المفصلية التي شهدتها المنطقة منذ احتلال بغداد، وانهيار ما تبقّى من هياكل النظام الرسمي العربي– وعلى العرب أن يقتنعوا بذلك، وألاّ يقفوا في مواجهة أهداف إسرائيل الإستراتيجية.

هذه "القناعة الإستراتيجية"، التي تريد إسرائيل ترسيخها، لها بعد ثقافي ونفسي لا يمكن تجاهله، بل ثمة دراسات وتوصيات من بعض مراكز الدراسات الصهيونية، في واشنطن، تؤكد على أهمية تكييف الثقافة العربية مع المعطيات الإستراتيجية الجديدة وقمع ثقافة "التمرد" لدى الشعوب العربية. وفقاً لهذا المنطق؛ ليس مهماً أن يقتنع العرب أن الولايات المتحدة أو إسرائيل "قوة محبوبة"، وليس مطلوباً أن تعمل أمريكا على استرضاء الشعوب العربية، بل المهم ترسيخ قناعة عربيّة مجتمعية بأنّ أميركا "قوة مدمّرة" لا يمكن الوقوف في وجهها.

نظرية"تطويع الثقافة العربية" نخبوياً وشعبياً تتبناها بعض روافد مدرسة الاستشراق الجديد في الغرب، ذات الروابط الصهيونية، وقد نادوا بتطبيقها على العراق، ما انعكس على سلوك الجيش الأميركي، وعملية التعبئة النفسية لجنوده، وتعاملهم مع

المجتمع العراقي، سواء في معتقل أبو غريب أو العمليات العسكرية والفظائع التي تستهدف المدنيين وانتهاك حرمات الناس و كرامتهم.

مشكلة نظرية "تطويع الثقافة" أنها تتصادم، بامتياز، مع طبيعة "النفسية العربية" وموقفها الحاسم من الاحتلال والهيمنة. فعلى النقيض من دعاوى أصحاب هذه النظرية فإنّ السياسات الأميركية والإسرائيلية تساهم، باطراد مستمر، بتنمية مناخ خيبة الأمل والسخط والغضب الشعبي العارم، الذي يمثل القوة الرئيسة الرافضة للهيمنة الأمريكية اليوم.

في المقابل فإنّ أحد المخرجات الرئيسة لسياسات الهيمنة والاحتلال، والحروب التي تُشنّ في هذا السياق، يتمثل بإضعاف النظم الحليفة للولايات المتحدة، واستنزاف ما تبقّى من مشروعيتها أمام مجتمعاتها، بل والتأكيد على قناعة شعبية أخرى وهي انتهاء صلاحية النظام الرسمي العربي، الذي لا يبدو أن له بديلاً اليوم إلا حركات الإسلام السياسي، سواء استطاعت هذه الحركات الوصول عن طريق العملية الديموقراطية أم العمل المسلح، أو حتى في حالات الفوضى والانقسام كما هو الحال اليوم في العراق.

الحضارات والثقافات تختلف. وإذا كان الصرب استسلموا لمخططات أمريكا وحلف الناتو، بعد ضربات جوية مكثفة(إذ يدعو أمريكيون وإسرائيليون إلى تطبيق سيناريو كوسوفا على الحرب الحالية في لبنان)، وإذا كانت اليابان استسلمت بعد الحرب العالمية الثانية، وحوّلت جهدها ونشاطها إلى الاقتصاد، وكذلك الحال في ألمانيا الغربية؛ فإنّ الميراث الثقافي والحضاري والتكوين النفسي للمجتمعات والشعوب العربية مختلف تماماً، فهي عصية على التطويع السياسي والتاريخي، وترفض منطق الاحتلال والهيمنة، بل يتصاعد تمردها بتصاعد سياسات الإكراه الخارجي.

الأمثلة على ما نقوله كثيرة ومتعددة، ولعل العراق نموذج مثالي على ذلك. فبعد حرب أمريكا على أفغانستان كان تنظيم القاعدة يعاني من أحوال متردية في مصادر التأييد والدعم، ولم يكن له وجود فاعل وحقيقي يُذكر، وكان أبو مصعب الزرقاوي هارباً من نار أفغانستان مع عدد قليل من الأنصار. لكن الحرب العراقية الأخيرة منحت القاعدة "فرصة ذهبية" للتجنيد والتعبئة والحركة، ووفد آلاف الشباب العربي

إلـى بغـداد، الـذين شـاغلوا المشـروع الأمريكـي إلـى أن اكتسـبت القـاعدة جسـداً عراقيـاً كاملاً. بل يجمع الباحثون والخبراء المتخصصون في تنظيمات القاعدة أنّها أصبحت بمثابة"الماركة المسجلة" لكل من يقاوم ويعارض السياسة الأمريكية، في الوقت الذي تصل فيه نزعة معاداة هذه السياسة في المجتمعات العربية أقصى درجاتها اليوم.

صـحيح أنّ نفـوذ الحركـات الإسـلامية الـذي يتجـذّر اليـوم فـي المجتمعـات العربيـة والإسـلامية، لـم يسـتطع إنجـاز تغييـر سياسـي نـوعي، ولـم يـتمكن مـن الوصـول إلـى الحكم فـي أيٍّ من الـدول العربيـة المعتبرة، إلاّ أنّ مؤشـرات المسـتقبل تـوحي بإمكانيـة حقيقيـة فـي إحـداث هـذه الحركـات انقلابـاً سياسـياً تاريخيـاً، فهـي الحركـات الوحيـدة الصاعدة شعبياً.

في العراق لا يمكن قراءة العلاقة السلمية بين الأمريكيين والإسلام السياسـي الشيعي والحزب الإسلامي السني إلاّ في سياق الهدنـة الهشـة المؤقتـة، وفـي أفغانسـتان عـادت طالبان تسيطر على كثير من الأراضـي الأفغانيـة بالتحـالف مـع حكمتيـار وابـن لادن، وفـي الصـومال تسـيطر المحـاكم الإسـلامية. لكـن مـا هـو أخطـر مـن هـذا وذاك أن تتراكم حالـة الغضـب والإحبـاط المتصـاعد، التـي ترفـد الإسـلاميين بالـدعم المجتمعـي، لتحدث تحوّلاً سياسياً نوعياً في بعض الدول، سواء من خلال انقلابات أو ثورات.

إذ يبدو أنّ الإنجاز الحقيقي لسياسات التدمير والإرهاب والقتل الأمريكيـة والإسرائيلية ليس تطويع الثقافة العربية وإخضاعها لمنطق القوة وسياساتها، كما يرى المستشرقون الجدد ومراكز الخبرة الصـهيونية، بل علـى النقيض من ذلك فإن هذه السياسـات تـدفع إلى"تثوير الثقافة العربية" ودفعها إلى أقصى درجات المواجهة مع المشروع الأمريكـي والإسرائيلي.

فـي المحصـلة؛ لـن تـؤدي الحـرب الإسـرائيلية- الأمريكيـة اليـوم علـى لبنـان إلـى عـزل حزب الله وإسقاط حماس، وإن نجحت تكتيكياً في تحقيق أهدافها، فعلى المدى البعيد ستؤدي إلى تقوية هذه المنظمات. وإلاّ فإن البديل موجود لكنه ليس أمريكيا أو ليبرالياً إنما هو نموذج آخر من"الصدريين" و"جيش الإسلام" (في غزة).

بكلمة: ما يحدث اليوم هو سيادة وانتشار "الروح الكربلائية" في المجتمعات العربية!

=============

#"العلمانيّة الأدبيّة" ضرورة أم اختراق ثقافيّ؟

عباس المناصرة 1425/7/20

2004/09/05

مقدمة

نشأت الآداب الأوروبيّة متأثرة بالعقل الفلسفيّ الذي أبدعها وأفرزها، فهي تحمل نكهة البيئة التي خرجت منها، ولذلك فهي تمثل خصوصيّة البيئة والثقافة واللغة والعقل الذي أنتجها ضمن بيئات أوروبا المختلفة، التي يجمعها التراث المشترك للعقل الفلسفيّ، بالإضافة إلى النّكَهَات المحليّة لتلك البيئات.

وحركة التطوّر والتجديد فيها لا تستقر على حال، لأنّ التطور المستمر الذي تقلبه الأدواء والمصالح والأحوال، هو ديدن العقل الفلسفيّ الملول المتقلّب، الذي تحركه عقيدة الحرّية المطلقة، فما أنْ تظهر حركة فنيّة أو فلسفة أو مذهب أدبّي على يد فرد أو مجموعة من المبدعين، وقبل أن تستقر أحوالها، حتى تكون مجموعة أخرى قد استعدّت لها بالمرصاد، لتكشف لها نواقصها وعوراتها، إنها فلسفات ومذاهب تُطارد بعضها كالرّمال المتحرّكة.

أما الحركة النّقدية فلم تكن بعيدة ولا منفصلة عن مرجعيّتها الثقافيّة السابقة، بل شكلت هذه المرجعيات الرؤية الفكريّة للمذاهب الفنيّة والأدبيّة والنقديّة، ويمكن إعادة التنظير النقديّ في أصوله الفلسفيّة والفنيّة إلى مصدرين رئيسين هما:

1-مصدر فكري: يعود إلى مجموع فلسفات العقل الأوروبّي، التي شكلت مرجعيّة تراكميّة من هذه الفلسفات، اجتمعت خلاصتها في العلمانيّة الحديثة التي تدور حول (نفي الثوابت والحرية المطلقة للإنسان في النواحي الفرديّة والإبداعيّة جمالياً وفنياً، والتقلّب ا لمستمر الذي لا يستقر على حال).

2-مصدر أدبي: وهي النصوص الأدبيّة والإبداعيّة من شعر ومسرح ورواية وغيره، حيث يتم استخراج المذاهب الأدبيّة والنقديّة من متابعة النص في تكوينه وتطوّره، ومن الموحِيات السابقة لفكر العقل الفلسفيّ.

2-هل النقد الأوروبي عالميٌّ ومُلزِم للأمم؟

مما سبق تبين لنا أنّ النقد الأوروبّي نشأ في بيئة ثقافية لها مرجعيّتها (الفكريّة والأدبيّة) ونظرياته تحمل رؤية النقاد الأوروبيين المستخلصة من (الفلسفة والنص الأدبيّ) وهي تحمل تجارب الأوروبي في واقعة اليومي الجغرافي واللّغوي والفكريّ والفني، ولذلك فهو نقد محلي يجمل نكْهة البيئة التي وُلد فيها، وهو نقد له خصوصيّة وتاريخ وظروف وتجارب، تجمعه ثقافة لها همومها وفروقها وقواسمها المشتركة المخالفة للبيئات العالميّة.

وهذا معناه أنّه ليس نقداً عالمياً، ولا مُلزماً للأمم الأخرى، لأنّ الأمم تتباين في مرجعيتها الفكريّة وفي نصوصها الإبداعيّة وأذواقها الفنيّة وتجاربها الحضاريّة.

إذن ما هو سبب هذا الوهم الذي أوجد في عقولنا أنّ التجرِبة الأوروبيّة في الآداب هي حالة دائمة وعالميّة، ولا مَناص من قبولها وغير ذلك من الذّيول؟!

مع أنّ هناك تجارب أدبيةً ونقديةً أخرى، لشعوب آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، لم ينظر لها بهذا المنظار، لماذا صوروا لنا النقد الأوروبي كأنه قدر محتوم، لا بد من قبوله؟ وأوقعونا في فخّ الانبهار به، والخضوع له، ووصفوا نظرياته بأنها عالمية، وقابلها على الجانب الآخر هجوم رُمِيت فيه ثقافتنا بالضّحالة والضّعف والانتحال، أو أثير في وجهها عاصفة من الأسئلة الماكرة، طمسًا للحقائق أو الترويج لأفكار معينة، أو تضخيما لأفكار أخرى أو إنكارا أو سخرية أو... .

ولقد زال العجب عندما عرفنا أنّ جيشاً من المستشرقين، وجيشاً من تلاميذهم من المغربين، كانوا يمهدون الطريق لثقافة المستعمر، جنباً إلى جنب مع جيوشه العسكريّة، نعم كان سبب ذلك أنّ الثقافة الأوروبيّة ومنها الثقافة النقديّة دخلت إلينا تحت جِراب الاستعمار وحمايته.

وإذا عرفنا أنّ العقل الفلسفيّ الأوروبّي لا يؤمن بنظرية (التعارف البشريّ) الإسلاميّة ومعارضها التي ذكرنا، ولكنّه يؤمن بتذويب الآخرين ويستعمل (القوّة والقسر والتخطيط والخديعة) في إذابة خصائص الأمم الأخرى وإخضاعها، إنّها ليست تبادلاً حضارياً، ولكنها عملية أشبه بعملية التذويب الكيميائي.

وهكذا وصل إلينا النقد الأوروبي عن طريق الترويض الثقافي؛ لأنه ثقافة إجباريّة أدخلت إلينا حين مارسنا الانفتاح مرغمين ومجبرين، استقبلناها بعمى المبهور ونفسية المغلوب على أمره.

هذا من جانب (ومن جانب آخر لا ننسى أن العلوم التجريبية، لا يوجد فيها علم كيمياء أمريكي، وآخر ياباني، وآخر عربي، وكذلك الأمر في علم الفيزياء لا يوجد علم فيزياء إسلامي وآخر مسيحي وآخر يهودي؛ لأنّ حقائق المادة تلوي عنق المؤمن والكافر للإيمان بها، فحالات المادة: الصلابة والسيولة والغازيّة لا تجامل أحداً، ولذلك نخضع لحقائقها حتى تتعلم وتستفيد منها) فهي علوم عالميّة تصدر وتستورد ،وهي ميراث عالمي لجميع الأمم، رغم أنها لا تخلو خلال صياغتها من التأثير الفكري لمن صاغها.

أما في علوم (الظاهرة الإنسانية المعقدة فالأمر مختلف تماماً، فهي علوم محليّة ذات خصوصيّة وتميّز بين الأمم، والخلاف والتمايز فيها هو الأصل، ومع وجود نسب من التماثل والاتفاق بحكم النواحي الإنسانيّة المشتركة بين أبناء الجنس البشري، لكنّ الاختلاف والتباين أوسع وأعمق بحكم اختلاف العقائد والأفكار والثقافات واللّغات والبيئات وغيرها، هذه العلوم: كعلوم التاريخ والسياسية والاقتصاد والاجتماع والنفس والتربية والفنون والآداب ومنها النظريات النقديّة، فكلها علوم محلية بيئيّة، تعبّر عن خصائص الأمم وأفكارها وشخصيّتها وتميزّها؛ لأنها علوم أو فنون تعالج الظاهرة الإنسانيّة في مجتمع معين ومحدد، والإنسانيّة ليست واحدة في عقائدها، ولا في أفكارها، ولا في أذواقها، ولا حتى في عقدها وأمراضها، لأنها ليست موحدة كالظاهرة الماديّة وسنن الكون.

تنظيف الرّكام:

ومن القضايا المهمة في تنظيف الرّكام عن هذا العقل المسلم أن تشير إلى الدور التخريبي الذي مارسه الاستعمار على هذا العقل، حيث وضع الاستعمار خططه المبكرة، للسيطرة على الوطن العربيّ منذ أواسط القرن الثامن عشر، وكان الاستعمار الثقافّي يسبق الاستعمار العسكريّ ويمهّد له، ضمن مراحل كل مرحلة تُفضي إلى الأخرى وضمن المسار التالي:

1-المرحلة الأولى: اختراق الدولة العثمانيّة وإنشاء المدارس التنصيريّة والمدارس والمعاهد والجامعات التابعة لها، بهدف نشر التعليم باللغة العربيّة وإحياء الثقافة العربية، ليس حباً في العرب ولغتهم، وإنما بهدف مساعدة العرب حتى تنمو لغتهم التي أماتها العثمانيّون، حتى يصلوا إلى مرحلة نمو اللغة ونمو الشخصيّة القوميّة والشعور القومي لإقناعهم بالانفصال عن الدولة العثمانيّة، فعلى سبيل المثال كانت الجامعة الأمريكية في بيروت تدرس العلوم والآداب جميعها باللغة العربية منذ تأسيسها ،حتى إذا تمّ لهم انفصال الوطن العربي عن العثمانيين عادت الجامعة الأمريكيّة إلى تدريس المواد جميعها باللغة الإنجليزيّة ثم عاد المستعمرون إلى محاربة اللغة العربيّة وفرض لغاتهم علينا.

2-المرحلة الثانية: قام جيش الاستشراق وتلاميذه من أبناء جِلدتنا بتوجيه عملية الإحياء اللغوي والثقافي للثقافة العربية، لإيجاد ثقافة عربية هشّة ضعيفة، تقوم على إحياء ثقافة التلوّث والضّعف خدمة لسياسات دولهم وحتى يضمنوا لدولهم عدم ميلاد ثقافة عربيّة إسلاميّة جادّة تقف في وجه ثقافتهم، وعمدوا إلى تضخيم بعض قضايا الثقافة العربيّة، بهدف التشكيك في مصادر هذه الثقافة مثل: قضايا الانتحال، والتحكم في الدراسات الأدبيّة وتاريخ الأدب، والتركيز على إحياء ثقافة العصر العباسي، المتأثّر بالثقافة اليونانيّة، وضخّموا ثقافة ذلك العصر ووصفوه "بأنه العصر الذهبي" للثقافة العربيّة الإسلاميّة لأهداف خبيثة، حيث قاموا بإحياء ثقافة الفِرق الباطنيّة والصوفيّة، وإحياء كتب الفلسفة الإسلاميّة اليونانيّة، وعلم الكلام، ثم التركيز على إحياء أدب اللهو والمجون والخمر والغناء، وتسليط الضوء على فِتن العصر العباسي ومَثَالبه، لزرع اليأس في قلوب أبناء الأمّة، ولإيجاد مرجعية أصالة مزيّفة يُحتَجّ بها في خِداع العقل المسلم عن ذاته، عند التكلم عن الأصالة والمعاصرة، ثم تحقيق عدد من الأهداف البعيدة منها إبقاء المسلم المعاصر مشغولاً ومشدوداً خارج مرجعيّته الحقيقية مرجعيّة الوحي (القرآن الكريم، السنة النبوية الشريفة) ثم الاكتفاء بثقافة التلوّث والتمزّق في العصر العباسي؛ لأن هذا العصر بما فيه من ثقافة فلسفيّة تعود جذورها إلى العقل الفلسفي اليوناني، تساعد نفسيّة هذا المسلم للقبول بالثقافة الأوروبيّة الحديثة لما بينهما من أواصر القربى في المرجعيّة.

3-المرحلة الثالثة: حيث تجمع أبناء الطوائف القديمة التي صنعت ثقافة التلوث والانشقاق الثقافي في العصر العباسي (الفرق الباطنية، النصارى، واليهود) وقد سنحت لهم الفرصة من جديد للقيام بنفس الدور السابق الذي قام به أجدادهم المؤسسون، لتشكيل وجه الثقافة العربية بتلوث جديد يضاف إلى ما صنعته فرقهم في ذلك العصر، وبعد أنْ ضعف دور الاستشراق حيث جاء دورهم في تغريب الأمة ضمن الأدوار التالية:

1-الدّعوة إلى الانسلاخ عن تُراث الأمّة، والالتحام بالتراث الثقافي الأوروبي وتيارات الحداثة فيه، وإحياء ثقافة الحركات الصوفيّة والباطنيّة في العصر العباسي، واختراع نظريّات الفكر الإقليمي بإحياء الوثنيات القديمة (الآشوريّة، والبابليّة، والفنيقيّة) لمحاربة الدّعوة للوحدة العربيّة، وكان لهذا الفكر دعاتُه من أبناء جميع الطوائف في بلاد الشام والعراق.

2-الدّعوة إلى فكر القومية العربيّة المنسلخة عن الإسلام، وتعبئة الفراغ الفكريّ الناجم عن هذا الانسلاخ باستيراد الفكر الرأسمالي، والحداثة والعلمانيّة والاشتراكيّة، وقد غلب على هذا التيار أبناء الطوائف النصرانيّة في بلاد الشام والعراق.

3-استيراد الفكر الاشتراكي وتأسيس الأحزاب الشيوعيّة في الوطن العربي، وقد غلب على هذا التيار أبناء الطائفة اليهوديّة.

4-الدّعوة إلى الانسلاخ عن العروبة والإسلام، والالتحاق بالحضارة الغربيّة وقد غلب على هذا التيار أبناء النصرانية في مصر.

ورغم انضمام أعداد كبيرة من أبناء المسلمين إلى هذه التيارات، إلا أنّهم في أكثرهم كانوا تلاميذ وتابعين لأبناء تلك الطوائف، وقد لاحظ الناقد الكبير إحسان عباس الذي يمتاز "بالعلميّة الجادة" أنّ دوافع طائفيّة وراء الدّعوة إلى الانقطاع عن تُراث الأمّة وأشار إلى ذلك في كتابه (اتجاهات الشعر العربي المعاصر) حيث يعزو سبب عزوف بعض الشعراء المعاصرين عن التراث إلى : (أن هناك من الشعراء أقلّيات عرقية ودينية ومذهبية في العالم العربي، وهذه الأقليات تتميز عادة بالقلق والديناميّة، ومحاولة تخطي الحواجز المعوّقة، والالتقاء على أصعدة (أيدلوجية) جديدة، وفي هذه

المحاولة يصبح التاريخ عبئاً والتخلص منه ضرورياً، أو يتم اختيار الأسطورة الثانية؛ لأنها تعين على الانتصاف من ذلك التاريخ بإبراز دور تاريخيّ مناهض).

وتمكنت هذه الفئات من تضليل شرائح كبيرة من النّخب الثقافيّة من أبناء المجتمع الإسلاميّ في طول الوطن العربي وعرضه، وبذلك دخلت إلينا (العلمانيّة الأوروبيّة) التي تفصل الدّين عن الحياة، وترضى بسيطرة العقل الفلسفي عليها، ثم تمّ تفصيل هذه العلمانيّة ليشمل الحياة بكاملها، فصل الدين عن الدولة، فصل الدّين عن الأخلاق، فصل الدّين عن الاقتصاد، فصل الدين عن العلم، تحت مبرر أننا لن نتقدم إلا إذا طرحنا الدين من حياتنا كما فعل الأوروبيون، وقد نسيَ هؤلاء أنّ مرض العداء للدّين هو قضية محليّة، تخص المجتمع الأوروبي وعلاقته مع الكنيسة؛ لأنهم لا يعرفون خصائص العقل الفلسفي الذي يتعامل مع (المسيحية) من منطق الفلسفة البراغماتيّة، فهو ينفصل عنها عندما تقف في وجه تطوّره، ولكنه يعود فيستعملها لخدمة مصالحه عندما يحتاج إليها في "تنصير" الشعوب لأجل استعمارها!

ثم جاء دور (العلمانيّة الأدبيّة) التي تفصل الدين عن الأدب؛ لأنّ الدين كما يزعمون يتدخل في حرّية الأديب، ويقيّدها مع أنهم يرضون بسيطرة العقل الفلسفيّ على الأدب، ولا يرون ذلك عيباً.

ولئن سألتهم، لماذا هذا المكيال الجائر؟ أليس الأدب: رؤية، وموقفاً، وبناءً فيناً؟ فلماذا تسمحون للعقل الفلسفي الضّالّ أنْ يتحكّم به؟! ولماذا ترفضون أنْ يتدخّل الإسلام في الأدب؛ مع أنّ الإسلام يشكل الرُّؤية والموقف للأديب، ثم تأتي قضيّة البناء الفني كقدرة وموهبة وخبرة للتعبير عن هذه التجربة؟! يتهربون ويلوون رؤوسهم؛ لأنّ المضبوع لا يعي شيئاً سوى اللّحاق بضابعه يسير إلى حتفه بظلفه

=============

#الاستشراق ليس شراً كله على الإسلام

حوار: محمود بيومي 1425/11/11

2004/12/23

بلغاريا .. هي إحدى دول أوروبا الشرقية وإحدى دول البلقان .. التي فتحها المسلمون في نهاية القرن الثامن الهجري .. واستمر الحكم الإسلامي لها لمدة تزيد

عـن خمسـة قـرون ونصـف .. تأصـلت خلالهـا هويـة المجتمـع الإسـلامي .. كمـا انتشـرت المؤسسـات الإسـلامية فـي كافـة أنحـاء الـبلاد .. حتـى بلـغ عـدد المسـاجد الكبرى أكثر من (1200) مسجد .. وعدد مماثل من المدارس الإسلامية والمكتبات .. وكـان الكتـاب الإسـلامي مـن أكثـر الكتـب رواجـاً وانتشـاراً .. ونشـطت مؤسسـات الـدعوة والتعلـيم فـي إبـلاغ هـدايات الـدين الحنيـف إلـى كافـة السـكان فـي بلغاريـا والمناطق المجاورة لها مثل رومانيا ويوغوسلافيا السابقة.

في بدء الحوار .. قلت للمستشرق البلغاري الدكتور توفيان تيوفا نوفا .. قام عدد من المستشرقين باعتنـاق الإسـلام طواعيـة مثـل جـارودي وهوفمـان وغيرهمـا.. ومـنهم مـن بقـي علـى ديانتـه ودافـع عـن الإسـلام مثـل المستشـرق المجـري روبـرت سـيمون والمستشـرق الأسـباني سـيمون هايـك وغيرهمـا .. فمـا هـي الـدوافع التـي أدت إلـى اعتناقكم للإسلام؟

في الحقيقة .. أنا أدرس الإسلام واللغة العربية منذ مدة طويلة .. حيث تخرجت في جامعة بغداد قسم اللغة العربية ثم التحقت بجامعة القاهرة لدراسة اللغة العربية وآدابها .. وحصـلت علـى الـدكتوراه فـي معهـد الاستشـراق فـي روسـيا .. وأنـا أعمـل أسـتاذًا للدراسات الإسلامية في جامعة " صوفيا " ببلغاريا وأستاذًا بالمعهد الإسلامي هناك .. وعضـو بجمعيـة المستشـرقين الأمريكـان، وعضـو جمعيـة بحـوث الشـرق الأوسـط البريطانيـة .. وعضـو اتحـاد المستشـرقين الأوروبيـين .. وقـد أهّلنـي ذلـك لإصـدار مجموعة من الكتب حول الحضارة الإسلامية والعربية.

وأضـاف: وقـد لاحظـت أن بعـض المستشـرقين – غيـر الموضـوعيين يطعنـون فـي الإسـلام .. وتركّزت مطـاعنهم فـي القرآن الكريم .. فقالوا: إنـه كـلام بشري لا ربـاني، كما طعنوا في الآيات المكيّة والآيات المدنيّة .. وأنكروا حقيقة الوحي وغير ذلك من الافتراءات التـي تعوّدوا علـى ترديدها فـي السـاحة العلميـة .. وأنـا – وكـل مستشـرق موضوعي – يرفض هذا المنهج الاستشراقي الذي يشوّه صورة الاستشراق الموضوعي ويطعن في الإسلام بلا مبرر.

وأنا أؤكد هنا .. أن الاستشراق ليس شراً كله على الإسلام والمسلمين .. صـحيح أن هنـاك العديد من الأخطـاء فـي ترجمات معاني القرآن الكريم .. التـي أعدّها نفر من

المستشـرقين .. إلاّ أننـا يجـب أن نفـرّق بـين الأخطـاء المتعمّـدة والأخطـاء غيـر المتعمدة؛ فالذين يُخطئون – بصورة عفوية – يكون ذلك دائمًا نتيجة عدم إلمامهم باللغة العربية – التي هي لغة القرآن الكريم – ونتيجة أيضًا لعدم فهمهم لمعاني الآيات القرآنية الكريمة .. وأنا شخصيًا قد أُخطئ في بعض دراساتي ولكنها أخطاء غير متعمّدة .. والذي أود أن أوضحه هنا أن لكل مستشرق إسهاماته في فهم الإسلام والحضارة الإسلامية .. وكل مستشرق في هذا المجال له خبرته .. وأنا أحمد الله –تعالى– أن وفقني لإنجاز الترجمة التي قمت بها لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة البلغارية .. حيث التزمت فيها بدقة المعنى.. مما جعل دار الإفتاء العامة في بلغاريا تعتمدها وتقوم بتوزيعها على عدد كبير من المؤسسات الإسلامية، وفي مقدمتها المساجد بالإضافة إلى عدد لا بأس به من المسلمين.

أود أن أؤكد هنا أن الإسلام ليس خطرًا على الآخرين .. ونحن أمام حقائق مهمة .. وفي مقدمتها أن أوروبا استفادت من عطاءات الحضارة الإسلامية ومُعطيات المسلمين الثقافية والعلمية والحضارية .. في مجالات الطب والصيدلة والرياضيات والفلك وغير ذلك من الإنجازات التي كان للمسلمين فضل السبق فيها .. والحقيقة التي لا يمكن أن تُنكر .. أن الحضارة الأوروبية المعاصرة قامت على ركائز الحضارة الإسلامية .. فحضارة الغرب أساسها حضارة الإسلام والمسلمين.

النظرة الاستشراقية

ما هي نظرة المؤسسات الاستشراقية لكم بعد اعتناقكم للإسلام؟ وما هي نظرتكم لهذه المؤسسات ومناهج المستشرقين بعد أن أصبحت مسلمًا؟

كما سبق أن ذكرت لكم أن هناك عددًا من المستشرقين يطعنون في الإسلام، وذلك بإثارة الشبهات حول ما جاء في القرآن الكريم، وفي الأحاديث النبوية الشريفة، وفي صحة الوحي الرباني .. فيدّعون أن القرآن الكريم ليس وحيًا ربانيًا إنما هو كلام بشري وغير ذلك من الافتراءات والأباطيل .. ولا شك أن هذا المنهج الاستشراقي منهج خاطئ ونتيجة مباشرة للخصومة التاريخية التي نشأت في الغرب منذ مدة طويلة.

وأضاف : وأنا كمستشرق أدّت بي الدراسات الموضوعية الصحيحة لاعتناق الإسلام .. فأتصدى لهذه المنهجية الاستشراقية المعادية للإسلام والمسلمين .. وأدافع عن الدين الإسلامي الذي درسته واعتنقته .. وأنا واحد من المستشرقين الذين التزموا بالمنهج الموضوعي في دراساتهم الإسلامية .. ولا شك أن المنهج الاستشراقي غير الموضوعي هو وليد الحركة الاستعمارية والمنهج التنصيري الذي يستهدف تشويه الإسلام وصورته وبث الأخطاء المُتعمّدة حول الإسلام .. وأنا أعتقد أن هذا هو الجزء الأكبر في الحركة الاستشراقية العالمية التي يجب التصدّي لها بكافة السبل المتاحة لدى المؤسسات الإسلامية العالمية.

وقال د . توفيان: أما المنهج الاستشراقي الموضوعي فيرتبط بغاية علمية واضحة المعالم .. وهو دراسة الإسلام والتعرّف على حقائقه ودراسة التراث الإسلامي والتأكد من دور الحضارة والثقافة الإسلامية في ترقية المجتمعات البشرية .. ولا شك أن نظرتي للمؤسسات الاستشراقية غير الموضوعية– هي نظرة الحذر الشديد لكل ما يصدر عنها من دراسات .. واعتناقي للإسلام جعلني في موقف المدافع عن الإسلام ضد كل هذه الدراسات الاستشراقية المعادية للإسلام والمسلمين .. أما نظرة هذه المؤسسات الاستشراقية لي بعد اعتناقي للإسلام .. فلم تتغير – حسبما لمسته – فلازلت عضوًا في عديد من الجمعيات الاستشراقية في الغرب.

الخريطة العقديّة

هل يمكن أن نتعرّف على أهم ملامح الخريطة العقديّة في بلغاريا وما هي أحوال المسلمين هناك؟

يقول المستشرق البلغاري المسلم د . توفيان نوفا: ونحن نتحدث عن الخريطة العقديّة في بلغاريا .. يجب أن نتوخى الدقة والصراحة معًا .. فعدد سكان بلغاريا الآن قد بلغ أكثر من ثمانية ملايين نسمة .. منهم أقلية مسلمة بلغت نسبتها 12.3% من إجمالي عدد السكان .. بينما بلغ عدد النصارى 83.7% من عدد السكان – وبالرغم من بعض الشكوك في دقة هذه الإحصائية – فإن المجتمع البلغاري يتكوّن من عدّة عناصر مختلفة حسب الجنسية والانتماء العقديّ.

وأضاف د . توفيان تيوفا نوفا: فالمسلمون البلغار هم الذين اعتنقوا الإسلام خلال فترة الحكم الإسلامي للدولة العثمانية – لكنهم لم ينتموا إلى الأتراك ولا يتحدثون اللغة التركية، فهم يجدون حتى الآن صعوبة في تحديد هُويّتهم .. فهم ينتمون إلى البلغار من حيث الجنسية واللغة.. وينتمون إلى الأتراك من حيث العقيدة .. كما أن السلطات البلغارية قد عاملتهم بشيء من القسوة في بعض الأحيان عبر المراحل التاريخية المختلفة .. مما دفع بعضهم إلى تغيير عقيدتهم من الإسلام إلى المسيحية في محاولة منهم للاندماج في المجتمع البلغاري.

وقال د . توفيان تيوفا نوفا: وقد أثبتت الدراسات العلمية .. أن المسلمين البلغار الذين يُعرفون باسم "البوماق" يفضلون الانتماء إلى الأتراك عندما يسكنون في بيئة بلغارية مسيحية.. كما يفضلون الانتماء إلى البلغار عندما يعيشون في بيئة تركية .. ويجوز لهم – في حالات استثنائية أن يغيّروا عقيدتهم من الإسلام إلى المسيحية ومن المسيحية إلى الإسلام في محاولة منهم للالتصاق بإحدى القوميتين التركية أو البلغارية .. بينما تُوجد جماعة أخرى من "البوماق" يعلنون بكل صراحة أنهم مسلمون بلغار – بصرف النظر عن كونهم من الأتراك أو البلغار – وكل محاولة من هؤلاء لتغيير انتماءاتهم العقدية أو العرقية تؤدي إلى القلق والتوتر في المجتمع البلغاري.

الصراع العقديّ والعرقيّ

وما هو السبب الكامن وراء هذا الخلل الذي يعاني منه المجتمع البلغاري بشأن العقيدة والانتماء العرقي؟

لا شك أن وراء ذلك – بصورة مباشرة – هو الصراع الذي دار بين المسيحية والإسلام في قارة أوروبا .. حيث أصبح هذا الصراع العقدي جزءًا لا يتجزأ من التاريخ البلغاري ومن كيان الشعب البلغاري أيضًا .. ولا شك أن الظروف الحالية في هذه المنطقة من العالم .. ترتبط ارتباطًا كبيرًا مع ما ورثه سكان بلغاريا من أحداث الماضي .. كما أن الاعتبارات السياسية قد تدخلت في الأمور العقديّة .. وبالرغم من كل ذلك فإن هناك نوعًا من التعايش بين فئات المجتمع البلغاري .. قائم على أساس الاعتراف المتبادل بينهم باستقلالية كل فئة من هذه الفئات في الدين واللغة والحضارة والتقاليد وغيرها – وذلك في نطاق وحدة المجتمع البلغاري – إلا أنه بصورة عامة في

بلغاريا – فإن المسلم يعني التركي حتى الإسلام يُطلق عليه هناك اليوم اسم "الدين التركي" .. والبلغاري يعني المسيحي .. أما "البوماق" فهم جماعة خاصة تتغير عن بقية المجتمع البلغاري.

الشيوعيّة هي السبب

نعرف جميعًا .. أن المسلمين في بلغاريا قد عانوا من حماقة الممارسات الشيوعية .. التي أجبرتهم على تغيير عقيدتهم – حتى الأموات منهم – واضطرتهم للهجرة الإجبارية إلى الدول المجاورة خاصة إلى تركيا – فهل ترى أن جزءًا من هذه الممارسات لا زالت مستمرة تجاه المسلمين في بلغاريا ؟

لا شك أن العامل الديني له أهمية بالغة في المجتمع البلغاري .. إلاّ أن الانتماء العرقي مُقدّم على الانتماء العقديّ في بلغاريا .. ونحن نلاحظ في الآونة الأخيرة ازدياد عدد المؤمنين – سواء أكانوا من المسلمين أو المسيحيين – إلاّ أن الواقع البلغاري يؤكد أن المؤمنين هناك لا يتعمقون في عقائدهم ولا يلتزمون بها إلاّ في إطار الاحتفالات الدينية .. وأنهم يكتفون بمعلومات قليلة عن عقائدهم .. ويُقبلون على أديانهم بصورة اختيارية وليست إجبارية .. وذلك كله بسبب النظام الشيوعي الذي ساد هناك فترة من الزمن .. ومنع الناس من القيام بممارسة شعائرهم الدينية بصورة صحيحة .. وما زالت الآثار الشيوعية في هذا المجال بادية في بلغاريا حتى بعد مرور (14) سنة على انهيار النظام الشيوعي.

============

هذه صورة للعولمة

د. محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الجهني 1425/12/2

2005/01/13

الحمد لله وحده لا شريك له، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

هذه صورة التقطها تصوري من مقروءاته ومسموعاته ومرئياته أعرضها للناظرين:

يراد للعولمة أن تكون ملّة عامة تجتمع عليها جميع شعوب الأرض، تعطيها ولاءها الملّي العام، تجتمع عليه وتتعايش به.

وهذه مع كونها رغبة تبدو مغرقة في الخيال لاستحالة نزع ولاء مختلف الناس لمعتقداتهم، وجمعهم على ولاء لملّة واحدة، إذ قال خالقهم: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ" [هود:118]. إلا أن ذلك استُدْرك بإظهار أخذ الملل المتباينة التي تعتنقها الشعوب بعين الاعتبار، ولكن مع إحالتها إلى ثقافات تظهر خصوصياتها من غير أن تمنع اندراجها في تعايش منضبط بضوابط العولمة، ويتأطر بأطرها ويستبقي الولاء العام لها.

واستُدْرك أيضًا بحركة عملٍ مغرقة في الجديّة والإتقان، تقوم على دراسات تفصيلية تجمع دقائق المعلومات وتستقرئ دلالالتها، وتستجلي أغوارها وتستظهر معالمها وتحلل أبعادها، وتؤلف بين متوافقها وتميز بين متباينها وتستنبط طرق التعامل معها وتستنبئ مختلف المتوقعات، ثم تضع الخطط المتعددة المناسبة لكل حالٍ متوقعةٍ، ثم تتتبع النتائج بدراسات تقريرية توضع عليها خطط عمل تتلافى الأخطاء، وتستدرك الإخفاقات وتستديم النجاحات.

وقد أنشئت لحركة العمل هذه مؤسسات، واستُغلت مؤسسات.

فمما أُنشئ: المؤسسات التبشيرية التي من أهم أعمالها المسح وجمع المعلومات وإعداد البيانات للعمل بعيد المدى، وإشاعة معتقدات التبشير للعمل قريب المدى.

والمؤسسات الإعلامية التي من أهم أعمالها تلقين المبادئ، وإشاعة الأفكار وتهيئة الساحة.

ومما استُغل: هيئة الأمم المتحدة؛ فاستخدمت مؤسساتها في عقد التعهدات والمواثيق وجمع التواقيع عليها ومتابعة الالتزام بها، وفي إقامة المؤتمرات للتمهيد لإقرار التحولات الثقافية والتشريعية.

والمراكز الاستخباراتية؛ فاستخدمت في عمليات المسح، وجمع التقارير وإجراء الدراسات واقتراح الخطط.

وفي الطريق إلى العولمة اتخذت وسائل وركزت دعائم.

أما الوسائل: فاستهدفت أمرين:

الأول: إنشاء روح قبول العولمة والإقبال عليها، وذلك بإشاعة قدر من العلاقات العامة، يجمع مختلف أهل الملل على روح إخاء ومودة متحررة من ضوابط مللهم.

واتُّخذت (الرياضة) وسيلة فاعلة لتحقيق هذا الهدف.

فالرياضة –بدوراتها المختلفة وأولمبياتها المتنقلة بين دول العالم، وما يرافقها من زخم إعلامي فاعل– أحدثت تعايشًا بين شعوب العالم متحررًا من التباين الملي والثقافي، بإشاعة الروح والأخلاق الرياضية التي تنتمي في ولائها لقوانين الفيفا تجتمع عليها وتصدر عنها.

فالمسلم والكافر المسيحي والكافر البوذي وغيرهم يجتمعون في حميمية رياضية، يتنافسون مجتهدين للوصول إلى الكؤوس وتحصيل الميداليات، لا تلحظ فرقًا يميِّز أحدهم عن الآخر أو خصوصية يبرزونها إلا ألوان الأعلام على أجسادهم، ولا شريعة يدينون لها إلا أحكام الفيفا.

وأحكام الفيفا هي الملة الرياضية التي تأخذ بتلابيب الحركة الرياضية في العالم، حتى إنه لا عبرة لأي حركة رياضية في أي مدينة في أي دولة من العالم ما لم تكن مسجلة في كشوفات الفيفا وتحمل تصريحها.

وفي الرياضة يتبلور نموذج حي للعولمة في هيئتها النهائية.

الثاني: نزع روح رفض العولمة والإعراض عنها، وذلك بالتركيز على الفرد، وربطه بشهواته، وتدريبه على التمرد على الروابط الثقافية التي ينتمي إليها وتربطه بأهل ملته خاصة، وإغرائه بروابط تدفعه إلى الانتماء إلى كل ما يشبع شهواته من أي ملَّة كان.

واتُّخذت (الإباحية) وسيلةً فاعلة لتحقيق هذا الهدف.

فأغرق العالم بإعلام إباحي ينشر ثقافة الحرية العاطفية والجنسية المتحررة من قيود الدين والتقليد والعادة إلا قيدًا واحدًا هو قيد التراضي بين طرفي العملية العاطفية والجنسية؛ فلا يُقبل التحرش والاغتصاب، وهو القيد الذي تحل طاقاته الإثارات الصارخة التي تجري مجرى الدم في الطرفين، التي يروجها الإعلام ويلقن الطرفين معها ثقافة الحرية الفردية في ملة العولمة، ويرفد ذلك توفير وسائل ممارسة تلك القاذورات:

– من وسائل اتصال عديدة كالمحادثات في الإنترنت.

– وأماكن ممارسة الرذائل، كالخمارات ودور الدعارة والملاهي الليلية.

– وسن القوانين التي تحتضن هذه الممارسات، وتحرسها بسلطة من سلطان العولمة، كقانون الإجهاض.

وأما الدعائم فاستهدفت أمورًا:

الأول: ربط العالم أجمع بمختلف ملله بمصالح مشتركة لا تقوم حياة الشعوب إلا بها، وتديرها جهة واحدة يبتدئ منها وينتهي إليها سائر شأن هذه المصالح.

واتُّخذ (الاقتصاد) دعامةً ليس ثمة أثبت منها لتحقيق هذا الهدف، إذ هو عصب الحياة.

وهاهي دول العالم تلهث لهاثًا شاقًا للانضمام إلى (منظمة التجارة العالمية) التي تجمع أعضاءها على الولاء لملةٍ اقتصادية عولمية تلغي كثيرًا من خصائص الملل التي ينتمون إليها، وتلحق ما تتبناه بهوية العولمة، فلا تبقى له خصوصية يتميز بها. وإنما يدفع دول العالم إلى هذا اللهاث أن المنظمة العولمية هذه أمسكت بزمام الاقتصاد العالمي، حتى بدا أن مصالح الشعوب لا تتم إلا بالانضمام إليها، والولاء لملّتها، وإلا فليصارع الرافض الممتنع البقاء.

الثاني: نشر الحرية الفكرية والدينية في كل مجتمع، ومنع غلبة دين أو فكر في أي مجتمع، ورد الشرائع التي يجري عليها عمل كل مجتمع إلى مجموع ما فيه من ديانات وأفكار.

واتخذت (الديمقراطية) دعامة تُثبت هذا الهدف.

فالديمقراطية نظام ثقافي يقوم على تمكين كل أصحاب دين أو فكر من ممارسة شعائره ونشر تعاليمه والدعوة إلى مبادئه، وتكوين قاعدة شعبية له من أفراد المجتمع، وذلك في ظل حزب يشكله ويتخذ مقرًا له، وهيئة تتولى إدارته وتأسيس مطبوعات دورية ونشرات دعائية، والقيام بسائر النشاطات الثقافية التي يمارس من خلالها عرض ثقافته والدعوة إليها، وفي الديمقراطية مجلس تشريعي يسمى (البرلمان) إليه يرد سنُّ القوانين وتشريع الأحكام التي تكون شريعة المجتمع، تفرض على أفراده يلتزمونها ويتحاكمون إليها. وهذا البرلمان يتكون من مقاعد يشغلها المنتخبون من مرشحي الأحزاب، تقسم بينهم بنسب تعادل النسب التي يشغلها كل حزب في المجتمع. يجتمع هؤلاء ويقترح من شاء ما شاء من قوانين للمجتمع، ويعرض اقتراحه

بعد مداولات على التصويت، فإن فاز بأغلبية أصوات أعضاء البرلمان اعتمد قانونًا يخرج للمجتمع للعمل به والتحاكم إليه، يخرج تشريعًا يحمل هوية شعبية مشتركة، لا هوية أي دين أو فكر اقترحه أو أعطى صوتًا له.

وعليه فليس للمجتمع ملة إلا ملة العولمة في نظامها المسمى بالديمقراطية، وكل ملة تنتهي في هذا النظام عند اقتراح تشريعاتها في برلمانه، فإن فازت أو شيء منها بأغلبية الأصوات استحالت شريعة شعبية ديمقراطية.

وأي حزب أراد أن تغلب في المجتمع تشريعات ثقافته فعليه ممارسة أكبر جهد لتكوين أكبر قاعدة شعبية له، لعله يحظى بأكبر عدد من مقاعد البرلمان، فيستطيع تمرير مقترحاته بأغلبية الأصوات، ثم هي بعد هذا لن تنسب إليه ولن تحمل اسمه.

الثالث: تعميم نظام دولة في كل مجتمع يحكم شؤونها بتمكين ثقافة الديمقراطية وممارستها عمليًا ورعايتها وحراستها وحماية حماها، فلا تتمكن أي ملة أو فكر من الإفلات من سلطة هذا النظام وتولي زمام الأمور.

واتخذت (العلمانية) دعامة تثبت هذا الهدف.

والعلمانية هي السلطة التي أقصت سلطة الكنيسة في المجتمع الغربي، وعزلتْ الدين عن الدولة وقيدته بالفرد، جعلته حريته التي لا تتجاوزه إلى غيره، فهي في أصلها حركة تمرد على التدين بدينٍ؛ إذ هي (اللادينية)، وما دام الأمر على هذا فليس خير منها للعولمة في سياسة المجتمعات، وقمع تسلط الديانات فيها، وهي السلطة التي تمنح التصريح لإنشاء الأحزاب أو تمنعه، وهي التي تراقب وتشرف على حركة الأحزاب وممارساتها، وتنظم انتخابات المجلس التشريعي، وتنفذ القوانين التي يصدرها.

الرابع: تمكين تمييع الأديان وإزالة خصوصياتها بضم شعائرها بعضها إلى بعض لتكوين شعائر موحدة للعالم، والتقريب بين شرائعها للخلوص إلى شريعة موحدة للعالم.

واتخذت (وحدة الأديان) دعامة تثبت هذا الهدف.

والدعوة إلى وحدة الأديان والتقريب بينها دعوة غير خافية ولا مجهولة، فهي قائمة على قدم وساق منذ زمن ليس بالقريب، ولا تسل عن كثرة المؤتمرات والندوات الدورية في الشرق والغرب تتوالى فيها الدراسات للتقريب بين المسيحية والإسلام.

وفي الفاتيكان مركز لأرشفة الدراسات في التقريب، وتسهيل الاطلاع عليها واستفادة الباحثين منها.

ولا تسلْ عن شعار (الإبراهيمية) الذي استحدثه دعاة الوحدة، والصلاة الإبراهيمية التي رعتها الأمم المتحدة، وهي خليط من صلاة المسلمين والنصارى اليهود،ولا عن الدعوة إلى طبع القرآن مع الكتاب المقدس في مطبوعة واحدة مجتمعة بين دفتين، ولا عن إنشاء المبنى الواحد المشتمل على المسجد والكنيسة ودار الأوبرا، وشعار "الإبراهيمية" ناشئ عن دعوى أن الأديان السماوية الثلاثة تجتمع في الانتساب إلى إبراهيم –عليه السلام– فلا وجه للتفريق بينها.

هذا، وتقف هذه الصورة للعولمة بوسائلها ودعائمها أمام خلفية تطل من ورائها على النحو التالي:

أصل فكر هذه الملة (العولمة)، ومنشأ منهجها وُلد من رحم معاناة النصارى من سلطان الكنيسة، ولم تكن صورتها في البدء إلا تنحية الدين عن القيادة في المجتمع الغربي في فكر سمي بالعلمانية، ثم أثمرتْ الدراسات الاستشراقية العمل على تعميم هذا الفكر والمنهج في العالم الإسلامي، وتمكين ذلك بخدمته بالوسائل والدعائم المذكورة، وبإدراج بقية العالم فيه ليخلص الكون لهذا المنهج فلا يند منه شيء عنه.

والدراسات الاستشراقية إنما أنشئت لتخدم أمرين: أحدهما: حاجة الغرب وضرورته لثروات الشرق الإسلامي، ونزعة الغرب بتاريخ قيصريته وغاراته الصليبية للحصول على تلك الثروات بيد عليا عزيزة لا سفلى ذليلة، ولا يكون ذلك إلا بسيادة على تلك الثروات لا تكون بالاحتلال العسكري المباشر؛ لأنه يثير التمرد ويؤدي إلى الصراع، فتتكدر السيادة أو تزال، ولكن بسيادة مستقرة دائمة آمنة، ولا سيادة تحقق ذلك كالسيادة الفكرية الروحية التي تضمن تبعية عقول أصحاب الثروات وسلوكهم للغرب، والسيادة الاقتصادية التي تضمن تعلق أسباب حياتهم بالولاء للسياسات الغربية.

والأمر الثاني في مقاصد الدراسات الاستشراقية هو التوصل إلى وسائل المواجهة الفعّالة لخطر الإسلام على الغرب الصليبي الخطر الذي لا يعوق طموح السيادة الصليبية فحسب، بل ويؤذن بإزالة ثقافتها ووجودها.

وقد سبق في تجارب صراع الصليبية مع عدوها هذا ما أظهر –بجلاء لا ريب معه ولا شك وراءه– أن الجند والسلاح والاحتلال، وإن أزالت في حينٍ دولة الإسلام إلا أنها لم ولن تستأصل شأفته، فهو يبقى حيًا ظاهرًا يغالب ظروفه بقوةٍ ذاتيةٍ شامخةٍ لا يضره من خذله.

وقد تيقنت تلك الدراسات أن خطر الإسلام يكمن في ذاته عقيدة ومنهجًا، فهو حيث كان سليمًا من القوادح كانت قوته واستشرت خطورته، فالحرب معه ذاته، وكلما أمكن تحريفه بالشبهات والصد عنه بالشهوات كلما أمكنت السلامة من خطره، ثم إن من أسرار قوته عالميته، فهو يخاطب كل فرد في كل عصر على كل شبر، ويجد خطابه القبول التام الواثق المتيقن؛ لأنه حاجة كل فرد ومنهج كل عصر وعمارة كل شبر، فكلما أمكن تحييده وتمييعه ومنع تميزه عن أي منهج يضاده، وجعله فردًا في مجموعة له ما لها وعليه ما عليها كلما أمكنت السلامة من خطره.

وأثمرت تلك الدراسات أن معالجة خطر الإسلام إنما تكون بما عولج به سلطان الكنيسة، بالعلمانية اللا دينية، ولما كان الإسلام عالمي المنهج والخطاب جابهوه بعالمية الإقصاء والاحتواء حتى لا تبقى له كوة يطل منها، ولكن من غير إثارة تلفت النظر، ولا صراعٍ يذكي روح المقاومة والدفاع، بل بسحر بيان وكهانة شيطان، بمنهج يعد ويمنّي ويضل ويأتي من أمام ومن خلف وعن يمين وعن شمال حتى يغيّر أمر الله ويغوي عن طريقه المستقيم، فكانت (العولمة) بوسائلها ودعائمها ذلك السحر وتلك الكهانة.

وابحث عن الإسلام في ظل العولمة ستجده حرية فردية، فإن ترقّى فحزب في جملة أحزاب، فإن ترقّى فمقعد وصوت في برلمان، ثم ليس له وراء ذلك جنس وجود.

وإذا علمت أن الإسلام دين الله وقد تكفل بحفظه، فاعلم أن (العولمة) حرب مع الله.

وإذا كنت مؤمنًا، وتصوَّرت عاقبة تلك الحرب استبشرت ولا بد.

ولينظر العاقل إلى أي الحزبين يركن.

والحمد لله في الأولى والآخرة لا شريك له

================

#برنارد لويس ... وصهينة الدراسات الاستشراقيّة

د. بدران بن الحسن 1426/1/25

2005/03/06

ولد برنارد لويس سنة 1916 في لندن لأسرة يهودية، تخصص منذ التحاقه بالدراسات العليا في دراسة الشرق والإسلام بالتحديد وتاريخ الإسلام والمسلمين. وقد حصل على درجة البكالوريوس في التاريخ من مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن عام 1936، كما حصل على درجة الدكتوراه في تاريخ الإسلام من المدرسة نفسها عام 1939، وكان موضوع رسالته عن الطائفة الإسماعيلية وجماعة الحشاشين.

وأثناء دراسته الجامعية عين مدرساً مساعداً بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، غير أنه ترك العمل بالجامعة خلال سنوات الحرب (1940 – 1945) ليلتحق بخدمة المخابرات البريطانية وبعد الحرب، عاد للعمل بالجامعة حتى عام 1974. واستمرت صلته بالمخابرات البريطانية بعد ذلك، وظل مرجعاً مهماً ومستشاراً يُرجع إليه في شؤون الشرق الأوسط، ولذلك فإنه بمجرد انتهاء الحرب العالمية الثانية غيّر اهتمامه من دراسة تاريخ الإسلام في العصور الماضية، إلى دراسة تاريخ الشرق الأوسط والعالم العربي خاصة في العصر الحديث، ونشر في ذلك عدة كتب تصبّ كلها في تنميط صورة صهيونية عن الإسلام والمسلمين عموماً وعن العرب بشكل خاص، تصب كلها في خدمة المشروع الصهيوني في المنطقة، وتوجّه صانع القرار الغربي والأمريكي بوجه خاص وتزوده بأفكار وزاد معرفي للتعامل مع مختلف قضايا الشرق الأوسط، وتقوم أساساً على إستراتيجية التهويل من خطر الإسلام على الغرب، وتصوير الإسلام والعالم العربي كأنهما الخطر المحدق بالحرية الغربية وبالمصالح الغربية، وتدعو صراحة أو تلميحاً إلى ضرورة دعم دولة الصهاينة في فلسطين المحتلة.

وللعلم فإن برنارد لويس اليهودي البريطاني سرعان ما تخلّى عن الجنسية البريطانية، وتأمرك وصار أمريكياً لما صعد نجم الولايات المتحدة الأمريكية وتأثيرها في قضايا

الشرق الأوسط، فالتحق بأمريكا سنة 1974 ليعمل في جامعة برنستون، وهناك صار نبياً من أنبياء الصهيونية المعاصرة، وعبّر في كثير من كتبه عن هذا التصهين في رؤيته للسياسة الخارجية الأمريكية وقضايا الشرق الأوسط.

ويُلاحظ على برنارد لويس وفاؤه لمنهج الاستشراف في بداياته، حيث كان آلة في خدمة الاستعمار، ولم يتأصر بالتطورات التي حدثت في هذا الحقل المعرفي، وظهور بعض المستشرقين الذين أبدوا موضوعية أكثر في دراسة الإسلام والعرب والشرق.

بل ظل برنارد لويس من طراز مارجليوث وجولدزيهر وغيرهما من المستشرقين شديدي التحيّز ضد الإسلام والعرب، وظل وفياً لمنهجهم في إصدار التعميمات غير العلمية وغير المبرهنة عن الإسلام والعرب وعن منهج دراستهما.

فراح يعمم مقولاته المتحيزة وغير العلمية، بل والكاذبة في منطق العلم والبحث العلمي، عن الإسلام والتخلف الحضاري في العالم الإسلامي، والتخلف العربي. وكان من أوائل من تكلم عن صراع أو صدام الحضارات، ثم تلقفها بعد ذلك تلميذه صموئيل هاتنجتون اليهودي الأمريكي صاحب فكرة "صدام الحضارات" و"الحدود الدموية للإسلام" وغيرها من التقوّلات المتخرصة.

لقد وجد برنارد لويس في أمريكا وفي جامعة برنستون مسرحاً آهلا بمن يتبنّون أفكاره الاستشراقية الظلامية، وأيديولوجيته الصهيونية، وراح يكيل التعميمات تلو التعميمات السوفسطائية، من أجل تنميط صورة المسلمين والعرب بطريقة سلبية تجعل من يستمع أو يقرأ له يشعر بالقرف من هؤلاء العرب ومن دينهم، ويتخذ موقفاً سلبياً منهم، ويشعر بتعاطف كبير مع "العالم الحر" ومع الصهاينة "المضطّهدين" بزعمه.

تولى برنارد لويس في جامعة برنستون خاصة وفي أمريكا عموماً قيادة حقل الدراسات الاستشراقية التي كان يهيمن عليها الصهاينة أو المتصهينين المتمركزين في أقسام ومراكز دراسات الشرق الأوسط، والدراسات الإسلامية، بالجامعات الأمريكية، أمثال ليونارد بايندر، وإيلي كيدورى، ودافيد برايس، و دانيال بايبس، ومارتن كريمر، وتوماس فريدمان، ومارتن بيرتز، ونورمان بودو رتز، وجوديث ميلر، وغيرهم.

والأخطر من ذلك أن ربنارد لويس وأشياعه لم يكونوا في حقيقة الأمر أكاديميين فقط، بل كان لهم دور استشاري من خلال عملهم خبراء لدى هيئات ودوائر اتخاذ القرار في الولايات المتحدة الأمريكية.

وظل برنارد لويس أستاذاً للدراسات الشرقية بجامعة برنستون حتى تقاعده من العمل الأكاديمي في 1986؛ إذ أصبح أستاذاً فخرياً (Professor Emeritus)، وهو مركز جعله يبقى مرجعاً فيما يتعلق بالإسلام والعرب والشرق الأوسط ليس للأكاديميين الغربيين فحسب، بل لدوائر صنع القرار الأمريكي خاصة.

يركز برنارد لويس في كتاباته عن الإسلام والمسلمين والعرب والعالم العربي على مجموعة من الآليات الخطيرة، مثل آليات (ميكانزمات) التهويل، والبتر والتقطيع، وآلية التهوين (الإهمال). فهو يهوّل ما كان هامشياً أو عفوياً أو قليل الحضور في التاريخ الإسلامي والثقافة والحضارة الإسلامية، ويهوّن (يهمل) ما كان غالباً مهيمناً في الحضارة والفكر الإسلامي وفي الثقافة الإسلامية.

كما أنه يمارس بتراً وتقطيعاً لكثير من الحقائق، ويقوم بتغييبها ويعمل على تجاهل أو عزل الأحداث والأفكار عن سياقها الطبيعي. فالقارئ لما كتبه ويكتبه برنارد لويس يجد وكأن الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي لا يوجد به غير الحشاشين والإسماعيلية والقرامطة، وبعض الفرق المنحرفة الأخرى التي بادت أو انحصرت عن التيار العام للإسلام والثقافة والحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي.

ومما يُلاحظ على كتاباته عن التاريخ الإسلامي أنه يبرز كل الفرق المنحرفة والانحرافات الفكرية التي لا يمكن بحال أن تطغى على الخط العام المعتدل في التاريخ الإسلامي.

وبرغم اعترافه في كتابه (تنبؤات برنارد لويس) بأن العالم العربي هو مهد الحضارات والأديان السماوية بقوله: "هذه المنطقة التي كانت مركزاً للحضارات، وحاضنة الأديان السماوية، وكانت موطن أول مجتمع عالمي ذي ثقافة بينيّة بكل ما للكلمتين من معنى، وكان مركز إنجازات عملاقة في كل حقل من حقول العلوم والتكنولوجيا والثقافة والفنون، وكان قاعدة لإمبراطوريات متتالية شاسعة وعظيمة".

فإنه يرى أن هذه المنطقة انتهى دورها الحضاري، وخاصة مع تنامي مد الصحوة الإسلامية، هذه الصحوة التي يراها برنارد لويس بالعين العوراء، حيث يؤكد افتراء أن دعوة الإسلاميين للديمقراطية دعوة خادعة وغير صحيحة، وأن دعوتهم إليها هي بهدف الوصول للحكم، وعندما يتحقق هدفهم ينقضون على الديمقراطية وكل من يخالفهم الرأي. ويرجع ذلك –بزعمه– إلى طبيعة الإسلام ذاته؛ إذ يرى أن الأديان لا تقبل الديمقراطية، وخاصة الأديان الأصولية –يقصد الإسلام طبعاً–.

ويزيد في تهويل الأمر من خلال توقعه بأن العالم العربي والدول العربية هي الأكثر تعرضاً لخطر التفكك، وأنها ليست الوحيدة، فالاتجاه نحو التفكك سيزداد بتشجيع من الشعور الاثني والشعور الطائفي المتناميين، وقد تسربت الفكرة المغرية بحق تقرير المصير إلى عدد من الأقليات الاثنية التي لم تعد تكتفي بوضعها السابق.

لكنه بتطبيقه لآلية التهويل هذه في تهويل أمر الأقليات في العالم العربي، فإنه يمارس آلية التهوين من خلال تغاضيه عن التصريح بمن يقوم بتغذية هذا الشعور العرقي والتفكك الاثني.

ويخرج علينا بمقولة آخرى غربية يدعي فيها نبي الصهيونية الجديد بأنه من اجل إنقاذ الشرق الأوسط ينبغي ان نعتمد على عوامل ثلاثة هي تركيا وإسرائيل والنساء. لأن تركيا اختارت العلمانية والالتحاق بأوربا؛ فهي لا تحمل أمراض الشرق الأوسط بزعمه، اما إسرائيل فهي الدولة الديمقراطية الوحيدة في المنطقة، في حين أن النساء تعرضن للقمع من قبل الثقافة التقليدية السائدة (الثقافة الإسلامية طبعاً). وخاصة النساء اللائي يركز على دورهن في تحويل الشرق الوسط إلى بحيرة ديمقراطية.

كما أن برنارد لويس أعلن تفكك وموت العالم العربي منذ حرب الخليج، واعتبر أن إسرائيل وتركيا هما الدولتان الوحيدتان الناجحتان في منطقة الشرق الاوسط. كما أكّد في مقال له في مجلة (Foreign Affairs) في 1992 حيث قال: إن "غالبية دول الشرق الاوسط. مصطنعة وحديثة التكوين وهي مكشوفة لعملية كهذه. وإذا ما تم إضعاف السلطة المركزية إلى الحد الكافي، فليس هناك مجتمع مدني حقيقي يضمن تماسك الكيان السياسي للدولة، ولا شعور حقيقي بالهوية الوطنية المشتركة، أو ولاء

للدولة الأمة. وفي هذه الحال تتفكك الدولة مثلما حصل في لبنان إلى فوضى من القبائل والطوائف والمناطق والأحزاب المتصارعة"

ولذلك فهو يرى أن على أمريكا ألاّ تخاف من غضب الشارع العربي، فإن غضب العرب والمسلمين من الغرب يفتقر في مجمله إلى أي أساس، كونه لا يتجاوز محاولة يائسة من مجتمعات فاشلة لتحميل قوى خارجية، خصوصاً الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل، مسؤولية الأزمة الخانقة والتخلف والتفكك الذي تعانيه.

والناظر في معظم توجهات الإدارة الأمريكية في العالم العربي خاصة والعالم الإسلامي ككل، يلاحظ أن مقولات وتوجيهات برنارد لويس قد تحوّلت إلى سياسات وبرامج تعمل الإدارة الأمريكية المتصهينة على تنفيذها، ولا يجد المرء كبير عناء في ربط مختلف تفاصيل هذه السياسات مع الأفكار التي وضعها برنارد لويس في كتاباته الأخيرة منذ أربع سنوات تقريباً إلى اليوم. وبهذا حوّل برنارد لويس الاستشراق من حقل أكاديمي إلى مكتب تحليلات يحرص على توجيه سياسات الإدارات المتصهينة في العالم والإدارة الأمريكية خاصة في الشرق الوسط، كما يعبّرون عنه أو العالم العربي كما هو ثابت تاريخياً.

=============

#الذاكرة التاريخية تحمي الأمة من الانهيار

حوار: رضا عبد الودود 1426/3/8

2005/04/17

– أزمة التاريخ الإسلامي سببها الاستشراف والموضوعية.

– تاريخنا مغيّب منذ ما يُسمّى «بعصر النهضة».. ومشكلته أنه يُكتب في إطار فكرة مسبقة.

– أخطر آثار تشويه التاريخ هو القضاء على النموذج العلمي الناجح لتطبيق الإسلام.

الأزمات التي تحيط بالأمة الإسلامية في العراق وفلسطين وأفغانستان وغيرها كثير, حالت دون اضطلاع المسلمين بدورهم الحضاري الذي كلفهم به ربهم في كتابه (كنتم خير أمة أُخرجت للنَّاس...) [آل عمران: 110].. وشواهد التاريخ تقول: إن الاحتكام

للعقيدة والشريعة الإسلامية كان أساس نهضة الأمة وريادتها, ولكن حقائق كثيرة تعرضت للتشويه وثوابت أصيلة نالها الطعن، وتجنى عليها الأبناء قبل الأعداء.. فماذا نحن فاعلون? للإجابة عن هذا السؤال كان لنا هذا الحوار مع الدكتور عبد العظيم محمود الديب, أستاذ ورئيس قسم الفقه والأصول بكلية الشريعة جامعة قطر, أبرز المهتمين بتاريخ الأمة الإسلامية؛ إذ حقق جميع أعمال إمام الحرمين الجويني في نحو (21) مجلداً, علاوة علي كتاباته التاريخية والفقهية التي تحرر الكثير من المغالطات والشبهات التي تُثار حول الفكر الإسلامي.. فكتب (المستشرقون والتاريخ الإسلامي – المستشرقون والتراث – جنوب السودان وصناعة التآمر ضد ديار الإسلام – لغة القرآن ماذا يراد بها – التبعية الثقافية – الغزالي وأصول الفقه – العقل عند الأصوليين– علم اختلاف الفقهاء – القوميات.. ما وراءها – الحوار والتعددية في الفكر الإسلامي – جمع السنة وتصنيفها بواسطة الحاسب الآلي – الكمبيوتر حافظ عصرنا...)

فإلى تفاصيل الحوار:

في البداية ما رأيك في المطروح من الكتابة التاريخية الآن؟

أستطيع أن أقول: إن صورة التاريخ الإسلامي في أذهان الأمة الإسلامية عامتها ومثقفيها وعلمائها ودعاتها (ولا أستثني إلا من رحم ربك) صورة مشوهة بمعنى أنها ممزقة, وعبارة عن نتف ومزق, لا تكوّن صورة كاملة ذات معالم وملامح ناطقة بل هي مزق متنافرة تعطي إحساساً بالنفور من التاريخ, بل لا نبالغ إذا قلنا: إنها تكوّن عاطفة كراهية لدى الكثيرين. ودلائل ذلك كثيرة عندي وتحت يدي, فكثير من العلماء والدعاة والمثقفين تصدر منهم عبارات وجمل تلقي باللوم والتقريع على تاريخنا وتحمله مسؤولية ما نحن فيه من انحدار وضياع وانبطاح.

فمثلا حينما يكتب أحد الأدباء مسرحية عن جميلة بوحريد المجاهدة الجزائرية يجعلها وهي تئن من تعذيب الفرنسيين لها في السجن تصرخ: «يا إلهي من كربلاء لم يحدث مثل هذا..», وحينما يكتب أستاذ جليل لا أتهمه في علم ولا دين ولا خلق كتاباً عن مناهج الفكر في الإسلام ويقول في مقدمته «وفي الأمويين جاهلية جهلاء, وضلالة عمياء..» الخ ما قال. ويكتب كاتب إسلامي عن معركة جوهر دودابيف المناضل

الشيشاني مع يلتسين وما أصاب مدينة جروزني فيقول: «رأيت الجحيم ومظاهر القيامة في جروزني.. وقد تقمّص يلتسين قميص يزيد بن معاوية بامتياز» وعندي مئات الأمثلة والنماذج من هذه. فهذه الأمثلة تشهد بدورها على ألسنة المثقفين والعلماء والإسلاميين بأنهم يكادون – حيث لا يشعرون – يبرّرون هذه الجرائم التي نعيشها. فإذا كان هذا قد حدث في فجر تاريخنا في القرن الأول خير القرون. فما بالكم تشكون وتستنكرون أن يحصل لكم هذا الآن؟

ومن مظاهر التشويه أيضاً أنك لا تجد داعية إسلاميًا يحاضر أو يخطب يستدعي من التاريخ أو يستظهر إلا بعهد عمر، وكأن الأمة المسلمة انقرضت بعد عهد عمر بن الخطاب وتبدلت خلقاً آخر. إلا القليل يعود إلى عهد عمر بن عبدالعزيز.

كيف بدأ تشويه التاريخ الإسلامي؟ ومتى؟

في الحقيقة إن استدعاء التاريخ دائما ظاهرة صحية؛ لأن النماذج الواقعية أكثر تأثيراً من النظريات والوصايا والعظات, ولكن غُيّب عنا تاريخنا منذ زمن ما سُمّي بعصر النهضة, أعتقد أنه لم يكن يوجد درس خاص في مناهج التعليم قبل ما يُسمّى عصر النهضة, ولم يكن يوجد ما يُسمّى درس التاريخ, فكان هناك التفسير وعلوم القرآن والحديث وعلوم الحديث والفقه والأصول والأدب والشعر واللغة والنحو وعلوم البلاغة, بل وعلم اختراق الآفاق (الجغرافيا) وعلم الهيئة (الفلك) وعلم طبقات الأرض (الجيولوجيا) والكيمياء.. الخ. أما التاريخ فكان يُقرأ في كتب الإخباريين، وكانت أول محاولة لوضع فلسفة التاريخ وكتابته هي مقدمة ابن خلدون في القرن التاسع الهجري, لكن منذ بدء تأسيس المدارس على النمط الغربي وبدأت دروس خاصة بالتاريخ، وُضعت مناهج نُسّقت وبُوّبت بعناية بحيث تعطي نفوراً، وتعطي صورة ممزقة للتاريخ الإسلامي، ثم ساعد على ذلك أيضاً وسائل أخري من وسائل التثقيف مثل المقال والمسرحية والتمثيليات، ووسائل الإعلام كلها.

الاستشراق

من خلال قراءة كتب التاريخ, نلمح العديد من آثار كتابات المستشرقين الذين مثلوا المراجع الأساس لكثير من مفكرينا وكتابنا.. فماذا عن دور الاستشراق في هذه المسألة؟

المشكلة الحقيقية في كتابة التاريخ أنه يُكتب في إطار فكرة, ويثار على أنه أحداث تنتهي إلى غاية, وفي البداية كان التاريخ يُكتب على أنه حوليّات أو خطط.. أي أن المعيار الذي يمسك وقائع التاريخ لم يكن متعلقاً بالفكرة نفسها, وإنما بذكر الأخبار والأحداث دون تحليل أو تفسير مثلما فعل الطبري, وكُتّاب الطبقات, وكان التاريخ مجرد تدوين للأحداث وتنشيط للذاكرة...

وعندما جئنا نكتب تاريخنا الحديث كان يمكن أن يتحول التاريخ إلى غائي, ولكننا استُعمرنا فكرياً وحدث أمران: سيطرة المنظور العلماني على التاريخ الحديث, وسيطرة الاستشراق على التاريخ الإسلامي. فالاستشراق حكم على التاريخ عند كتابته بروحين, بوصفه موضوعياً وليس علمانياً, فالمستشرق يحكّم عقله, وعقله إما عقل نصراني لا يفهم الإسلام, ومن ثم يفصل بين الدين والدنيا, ولا يستطيع أن يوصل بين الاثنين ليفهم الظاهرة الإسلامية في واقعها المعيش. كما أن العقل العلماني يحكم على الدين بوصفه بيئة للتخلف, فمن ثمّ الدين الإسلام – في نظره متخلف لا يعتد به, وبهاتين النظرتين لا نستطيع إيجاد صيغة منضبطة للتاريخ» هكذا صيغت الثقافة العربية والإسلامية المعاصرة.

ومن هنا وجدنا مثلاً كل من قرأ وكتب وجلس على مقعد الدرس يعرف ويحفظ عن ظهر قلب موقعة الجمل وصفين والتحكيم وكربلاء ومقتل الحسين, على حين لو سألت خريجاً في كلية الآداب قسم التاريخ عن معركة (ملاذ كرد) أو عن (جلال الدين منكبرتي) أشك أن تجده يعرف حتى الاسم، وهذه من ضمن المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام, وبالمثل لو سألت حتى المتخصصين في التاريخ الإسلامي عن عدد الغزوات التي حاول الغرب فيها الوصول إلى مكة والمدينة والهجوم على الحرمين الشريفين لا تجد خبراً. فمن الذي وضع هذه الصفحة في بؤرة الشعور وطوى تلك الصفحة؟!

القضاء على النجاح الإسلامي

وما هي أهم انعكاسات تشويه تاريخنا على واقعنا المعاصر؟

إن أخطر الآثار لهذا التشويه هو القضاء على النموذج العلمي الناجح لتطبيق الإسلام, فمعلوم أن المبادئ لا تظهر صلاحيتها وتثبت جدواها إلا بالتطبيق العمليّ,

فكم من فلسفات ومشاريع حينما تُقرأ تجدها مُعجبة رائعة, لكن عند التطبيق تفشل فشلاً ذريعاً مثل الماركسية مثلاً. فحينما تشوّه صورة التاريخ الإسلامي فمعناها عجز الإسلام عن النجاح في التطبيق، وعدم قدرة المنهج الإسلامي والشريعة الإسلامية على النهوض بالأمم وصياغتها. وهذا هو الحادث في ثقافتنا الآن, فتجد الدعاة حينما يسألون كيف ستكون الدولة الإسلامية وإلام تدعوننا؟ ويواجهون بالصور الشوهاء من التاريخ الإسلامي, تجد الدعاة لا يجدون جواباً, بل يقولون: "ندعوكم إلى ما في كتاب الله, وإلى ما صحّ من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم, فالتاريخ لا يحكم على الإسلام, وتصرفات المسلمين لا تحكم على الإسلام, بل الإسلام هو الذي يحكم علينا".

فيجيب المعاندون قائلين: «إذا فشل وعجز الجيل الأول من الصحابة والتابعين عن تطبيق الإسلام فهل تنجحون أنتم». وهذه هي حجج فرج فودة وسعيد العشماوي ورفعت السعيد, وغيرهم من العلمانيين، ويظل الإسلام مشروعًا نظريًا غير مطبق, ولذلك حينما يدعو الرأسماليون إلى مناهجهم يقدّمون أمريكا نموذجاً, وحينما يدعو الليبراليون والعلمانيون إلى مناهجهم يقدمون أوروبا نموذجاً, وكان الشيوعيون يقدمون الاتحاد السوفيتي نموذجاً, أما الإسلاميون فيُقال لهم: إلى أي إسلام تدعون: إلى إسلام الأمويين الذين هُدمت الكعبة في عهدهم واستبيحت المدينة وقُتل الحسين, أم إلى إسلام العباسيين ومسرور السياف ومباذل هارون الرشيد وأبي نواس (بالرغم من أن أبو نواس لم يلتق بهارون الرشيد نهائياً), أم إلى إسلام الأتراك واستبدادهم وجهلهم, أم إلى إسلام المماليك وفظائعهم, أم إلى إسلام النميري, أم إلى إسلام الخميني؟!

ومن مظاهر هذا التشويه أيضاً أننا أصبحنا نتحدث عن التقدم والتطور والتنمية وليس أمامنا إلا النموذج الغربي وأقصى ما يمكن للإسلاميين أنهم يريدونه لابسًا عمامة الإسلام, أما التقدم والتطور والتنمية بناءً على واقعنا وفلسفتنا، وبما لدينا انبعاثاً من واقعنا وماضينا فهذا غير وارد؛ إذ تحول صورة التاريخ الشوهاء دونه. فلولا المشاعر والعواطف السيئة نحو التاريخ الإسلامي لاستطعنا أن نطوّر نظم

تعليمنا ومؤسساتنا الفكرية والثقافية والعلمية والسياسية والإدارية من داخل ثقافتنا وبناءً على واقعنا.

وكيف يقرأ جيلنا الحالي التاريخ الإسلامي؟

أولاً يجب أن نعلم أن الذاكرة التاريخية للأمة هي التي تحميها من الانهيار وأمة بدون تاريخ مثل شخص فقد الذاكرة تماماً, ونحن للأسف ذاكرتنا التاريخية مشوّهة, ولذلك لا نحسن استدعاء التاريخ، ولا نحسن الاستفادة منه في حماية الحاضر وتحقيق الأمل في المستقبل؛ فالتاريخ في حقيقته هو علم الحاضر والمستقبل. ونحن نحاول أن نلجأ إلى التاريخ مع أننا في الواقع نهمل التاريخ, ولم نستطع حتى هذه اللحظة أن نخضع دورتنا الحضارية لدراسة علمية كاملة تتحفظ أولاً على أهواء المؤرخين, ثم تحقق الحدث وتسلكه في سياقه التاريخي وتستخلص منه العبرة والعظة. نحن لم نفعل هذا للآن، وهذا هو أحد الشروط الغائبة لنهضتنا.

في قراءتنا للتاريخ ينبغي أن نعلم أن التاريخ هو صورة للعهود والحقب الماضية, وهذه الصورة تكون صادقة كلما كانت واضحة القسمات بيّنة السّمات, ونستطيع أن نشبه هذا بالصورة الفوتوغرافية التي تُقدّم لجوازات السفر والبطاقة الشخصية, فهذه الصورة تكون صادقة حينما تقدم الملامح على حقيقتها بشكلها وبحجمها الطبيعي, وليس (الكاريكاتيري) وهذه الصورة هي التي تُستخدم وتدل على صاحبها وحقيقته والتحقّق من هويته غالباً. وهناك صورة أخرى تستخرجها أجهزة المخابرات للجواسيس وأعداء الأمة, فتدقّق في الملامح والأنف والجبهة والشعر محاولة البحث عن آثار تغيير وتزييف الشخصيات. وهناك صورة ثالثة تصوّر الأحشاء من الداخل حينما يحتاجها الطبيب.

فهكذا التاريخ نصوّر الحقب التاريخية صورة طبيعية تبين أبرز الملامح بحجمها الطبيعي ويكتفي بها عامة المثقفين والباحثين, أما الصورة الأخرى التي تصل إلى الدقائق والخبايا والزوايا والأحشاء, فهذه لا يحتاجها ولا يقرؤها إلا المختصون الذين يفلسفون التاريخ ويستخرجون منه العظات والعِبَر. وهكذا يجب أن نقرأ التاريخ, أما أن نأخذ في التدقيق في بحث الخبايا والزوايا بحجة الموضوعية وحجة أخذ العظة،

ونجعل ذلك صورة للعامة فهذا مخالف لطبيعة الأشياء, فليس كل قارئ للتاريخ فيلسوفاً تاريخياً.

التاريخ الغربي انتقائي

ومن يقرأ التاريخ الأوروبي يجد به من الخزايا والرزايا والفظائع ما لو وقع نقطة منه في بحر تاريخنا لنجّسته وكدّرته ولوّنته بالسواد, ولكن الغرب استطاع أن يستخرج من هذا التاريخ صورة ذات ملامح ناصعة قدمها لأبنائه, فلم يوجد في تاريخنا مثلاً ما حدث في تاريخ إنجلترا حينما غُيّر مذهب الدولة ورجال الكنيسة ثلاث مرات في نحو عشر سنوات من أجل نزوات الملك هنري الرابع الذي غيّر دين الأمة من أجل أن يفوز بامرأة, وفي هذه الفترة سالت الدماء وأُزهقت الأرواح ونُهبت الكنائس وقُتل الكرادلة ومع ذلك يجد الشاب الإنجليزي والمثقف الإنجليزي في تاريخه ما يفخر به, وقس على ذلك تاريخ الغرب كله.

ولقراءة التاريخ بعين الحاضر والمستقبل علينا أولاً أن نعرف كيف نتعامل مع المصادر, فلا نستسلم لكل ما هو مكتوب, فالكثير مما هو مكتوب لا يثبت صدقه عند التمحيص والتدقيق (وأنا هنا لا أعيب الذين دوّنوا التاريخ, بل إن هذا يحسب لهم لا عليهم؛ لأنهم دونوا كل ما سمعوه، وأسندوا لنا الأخبار التي دونوها وحمّلونا نحن مسؤولية النظر في السند), ومن هنا كان القول المأثور «من أسند لك فقد حمّلك» أي ترك لك واجب التمحيص والتدقيق.

وقد جاء تشبيه هذه المدونات التاريخية على لسان العلامة محب الدين الخطيب – رحمه الله – تشبيهاً رائعاً حيث صورها بأنها تشبه تحقيقات الشرطة التي تدوّن كل ما تسمع عن الحادث وكل ما يأتيها به رجالها ومخبروها, أما التدقيق والحكم فهو بيد القضاء أو النيابة. فهذا معنى قولنا ألا نستسلم لكل ما هو مكتوب ومسطور في المدونات التاريخيّة.

وأن ندرك أن هذه المدونات التاريخية, في جملتها تشبه صفحات الحوادث والجرائم في الصفحات المعاصرة, فهذه الصفحات تصور جانباً من المجتمع, أو تصور الجانب المريض من المجتمع. دون الجوانب الحضارية من بناء وثروة وعمران وعلوم.

وأن التاريخ الإسلامي لا يوجد فيما يُسمّى كتب التاريخ كالطبري والبداية والنهاية والكامل وغيرها, وإنما يوجد أيضاً في كتب الطبقات مثل طبقات الفقهاء على المذاهب المختلفة، وطبقات المفسرين وطبقات الحفاظ وطبقات القُرّاء وطبقات الأطباء وطبقات الحكماء, وبالجملة الكتب التي تؤرخ لعلماء المجتمع ومؤسساته الحضارية المختلفة, فهذه مادة خصبة للتاريخ الإسلامي يغفل عنها كثير من الذين يبحثون عن التاريخ فلا يقعون إلا على سجلات الحوادث والجرائم.

وعلينا أيضا أن نحسن تفسير الحدث وقراءته ونضعه في سياقه التاريخي؛ فهناك حوادث وقعت حقيقة ولكنها تُفسر تفسيراً خاطئاً. على سبيل المثال: فتح الأتراك مصر والشام في عهد السلطان سليم فهذه حقيقة تاريخية, ولكن الخلاف في تفسيرها. فقد علمونا أن هذا كان استعماراً تركياً واستبداداً عثمانياً لنهب ثروات مصر, مع أن التفسير الحقيقي الصادق هو أن السلطان سليم جاء إلى الشام ثم مصر حينما انهزم السلطان قنصوة الغوري أمام البرتغاليين في معركة كالكوت على السواحل الإسلامية بالهند, وحينما دخل فاسكو ديجاما بجنوده من باب المندب، ووصل إلى جدة محاولاً هدم الكعبة والقبة الخضراء في المدينة فوجد السلطان سليم أن من العبث أن يقاتل الأوروبيين في الشمال، ويتركهم يلتفون حول البلاد الإسلامية ويدخلونها من وراء ظهره.. هذه هي القراءة الصحيحة للحدث.

وحدث آخر تتضح فيه القراءة الخاطئة والقراءة الصحيحة تماماً» ذلك ما درسونا إياه باسم الكشوف الجغرافية, فهذه في الواقع لم تكن حركة كشوف علمية، وإنما اسمها الحقيقي عند أصحابها الغربيين «الالتفاف حول الشواطئ الإسلامية وتطويق العالم الإسلامي» كما سمّاها توينبي المؤرخ الإنجليزي نفسه, أما نحن فاستخفوا بعقولنا وضحكوا علينا وسمّوها الكشوف الجغرافية.

وعلينا عند كتابة التاريخ أو عرض التاريخ أن نلاحظ المستوى العمري والعقلي الذي ندرس له التاريخ؛ فهناك مستوى ينبغي الاقتصار فيه على الملامح العامة الرئيسة, ثم هناك مستوى بعد ذلك يدخل في شيء من التفصيل, ثم هناك مستوى أكثر تفصيلاً إلى أن نصل إلي فيلسوف التاريخ الذي يبحث عن العلل والأسباب وليستخلص القوانين والنظريات, فهذا توضع أمامه الصورة كاملة بكل دقائقها.

العدوان على التاريخ بسلاح الموضوعية

وهل هذه ملامح المنهج الذي تدعو إليه في كتابة أو عرض التاريخ؟

الحقيقة أنني أشكو إلى الله هؤلاء الذين أُسميهم أدعياء الموضوعية, فهؤلاء باسم الموضوعية يعيدون في أخطاء وعثرات في التاريخ الإسلامي، وهي موجودة، ولا شك فليس رجال التاريخ الإسلامي معصومين, ولكن باسم هذه الموضوعية نجد هؤلاء يعمون عن كل شيء إلا الأخطاء والعثرات, بل لا يدققون فيما يروون ويحكون، فكثيراً ما يذكرون الأباطيل على أنها حقائق، وإذا ناقشتهم يُقال لك: ولماذا نخفي الأخطاء ونكون كالنعام؟ نحن نريد (الموضوعية)..!! ومثال ذلك, نفي أبي ذر إلى الربذة, فقد أحصيت نحو مائتي كتاب عن أبي ذر وكلها تتحدث عن نفيه، وتدور حول عظمة أبي ذر كأنها لا تستطيع أن تثبت عظمة أبي ذر إلا إذا جعلت الآخرين غلاظاً قساة ظلمة ينفون هذا الزاهد العظيم, مع أن واقعة النفي هذه لم تحدث، وهي محض كذب واختلاق, وعندي دليل قاطع وهو حديث رواه البخاري عن أبي ذر نفسه, حينما سُئل عن واقعة النفي فقد نفاها أشد النفي، ولكن مازال هؤلاء (الموضوعيون) يرددونها.

ومن هنا أقول: لا يمكن أن نخفي الحقائق إطلاقاً, فنحن نعلم أننا لا نكتب تاريخاً لملائكة, وإنما نكتب تاريخاً لبشر, وكل بني آدم خطاؤون, فأبدًا لا أدعو إلى إخفاء الحقيقة, ولكن علينا أن نلتزم بضابطين: أن نتأكد أنها حقيقة بالأسلوب والمنهج العلمي. وأن نضعها في سياقها، ولا نقطعها عما قبلها، وما بعدها ونذكرها مجردة عن أسبابها ودوافعها وما يحطّ بها. ثم ينبغي أيضاً أن ننظر إلى المستوى العمري والعقلي الذي يقدم الموضوع.

ما تقييمكم للجوانب الفكرية للتيار الإسلامي المعاصر في ضوء خبرتكم التاريخية؟

ينبغي على جميع العاملين في الحقل الإسلامي أن يتأكدوا أن الخطوط متوازية وليست متقاطعة, فالجماعة التي تُعنى بالعمل الاجتماعي الخيري جهدها مقبول معروف غير منكور, والجماعة التي تُعنى بالعمل السياسي الإسلامي أو تُعنى بكل ذلك تصب في نفس المجال وجهدها مشكور مقدور. وعلى كل العاملين في الحقل الإسلامي أن يفسح بعضهم لبعض، ولا يعوق بعضهم عمل بعض، ولا ينتقص

بعضهم عمل بعض» فالحقل الإسلامي يسع كل العاملين, بل إنني أدعو الإسلاميين جميعاً إلى التعاون الكامل مع كل التيارات المخلصة العاملة للأمة من قوميين, بل وعلمانيين ما داموا لا يسعون إلى إقصاء الآخر واستئصاله, وليعلم الجميع أنهم كلهم في خندق واحد, فليقبل الإسلاميون من بعضهم بعضاً، مادامت الوجهة كلها نحو إنقاذ الوطن والأمة

=============

#ما بعد الجماعات

د. محمد العبدة 1426/4/18

2005/05/26

مدخل:

ليس هذا المقال دعوة لإلغاء الجماعات الإسلامية الموجودة على الساحة اليوم، ولا لتجاوزها إنكاراً لجهودها، ولكن للمحافظة على مكتسباتها والتقدم بها نحو بنية تحقق المزيد من العمل والمزيد من الأمل، التقدم نحو مرحلة تستطيع هذه الجماعات أن تجترح الحلول للمشكلات القائمة، وأن تتجدد في الأهداف المرحلية ومعرفة الواقع (1).

القضية اليوم ليست قضية جماعات، وإنما قضية أمة لم يعد لها كلمة مسموعة، وليس لها ثقل سياسي تفرضه على الآخرين، ولا نتكلم هنا عن الغايات والنوايا(ونرجو أن تكون سليمة) ولكن نتكلم عن الوسائل والمراحل والنظر إلى المستجدات والتحديات، والتجديد في الفكر والهيكلية. إن وجود تجمعات وجمعيات داخل جسم الأمة الإسلامية ليس أمراً غريباً أومستحدثاً، بل قد يكون واجباً في بعض الظروف، وذلك عندما تحدث تحوّلات كبرى وتُقام دول وتسقط أخرى. وأصل وجود مثل هذه التجمعات شيء مطلوب داخل المجتمع، قال تعالى : (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) [آل عمران:104] وقال تعالى: (وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) [الأعراف:159] والتعاون على البر والتقوى مأمورٌ به شرعاً.

وتكون التجمعات أحياناً من الأمور الفطرية، فكما أن في الإنسان غريزة حفظ الذات، فكذلك عنده غريزة حب التجمع وحب الانتماء والشعور الجماعي في حدود الأسرة أو القبيلة أو الحزب ... الخ. ومن هنا جاء تأسيس الجمعيات والجماعات بعد سقوط الدولة العثمانية، وبعد تقسيم العالم العربي وفقدان المرجعية السياسية، ومحاولات التشويه والتغريب الذي تعرّض لها المسلمون عن طريق الاستشراق والتبشير والمدارس الأجنبية، فكان رد الفعل تأسيس الجماعات دفعاً لهذا البلاء النازل، وفوائد الجمعيات كثيرة جداً، خاصةً عندما يتسنى لها الثبات على مشروعها مدة طويلة مما لايفي به عمر الفرد. وقد وُجد في المجتمع الإسلامي زمن الدولة العباسية والدولة العثمانية تجمعات كانت تساعد المستضعفين في المدن، وكانوا يسمون في بغداد بـ(الفتوة) وفي دمشق بـ(الأحداث)، هذا عدا عن وجود التجمعات المهنية؛ إذ يكون لكل مهنة رئيس يشرف على أفرادها ويفض الخصومات فيما بينهم ويعلم المنتسبين الجدد. يقول ابن تيمية –رحمه الله– عن التجمعات وشرعيتها (فمن تكفل بأمر طائفة فإنه يُقال له: هو زعيم، فإن كان قد تكفل بخير كان محموداً على ذلك، وإن كان شراً كان مذموماً على ذلك، وإن كان أهل الحزب مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله – صلى الله عليه وسلم– من غير زيادة أو نقصان فهم مؤمنون لهم مالهم وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا ونقصوا، مثل التعصب لمن دخل حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمّن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق أو الباطل فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم)(2) .

واقع الجماعات والاخطاء التي وقعت فيها :

لاشك أن الجماعات– وخاصةً الكبرى منها المعروفة– قد أدت دوراً إيجابياً قلَّ أو كثر، وأوجدت مناخاً إسلامياً عامَّاً، وأوجدت –بفضل الله– أجيالاً من الشباب المسلم يتفهمون الإسلام، ويعملون من أجله، ويستعدون للتضحية في سبيله، هذا مما لا خلاف فيه، وليس حديثنا اليوم عن الإيجابيات فهي معروفة.

سارت هذه الجماعات في طرق ودروبٍ طويلة وشائكة، أصابت وأخطات، ونشأت من خلال الأحداث محاولات للمعالجة ولكنها كانت جزئية ومحدودة الأثر، كان لكل جماعة من هذه الجماعات منهجه ورؤيته للأحداث، وتظهر مدى اقترابه أو ابتعاده

عن الثوابت والأصول، وكان لكل جماعة أهداف مرحلية قد تكون حققت بعضها وأخفقت في البعض الآخر، ولكن عندما انتهت هذه الأهداف وجدت نفسها أمام جدار مسدود، ومع الزمن أُصيبت بالجمود والتكلّس والتصلّب وخاصة في الهيكلية التي هي من معوّقات الانتقال إلى مرحلة أفضل وأقوى. لقد تغيّرت الظروف، وسقطت إمبراطوريات ودول، وجاءت ثورة المعلومات، وجاءت (العولمة) سيئة الذكر وكبرت التحديات، ولكن طرائق وأساليب الجماعات في التربية والإعداد والنظرة إلى الحاضر والمستقبل لم تتغير كثيراً.

هناك مبررات تستدعي هذا الانتقال والتحوّل، مبررات من داخل الجماعات، هناك أخطاء وأمراض مزمنة لا فكاك منها إلا بالانتقال إلى حال أخرى، ومن هذه الأخطاء:

1-الحزبية:

إنني أعتقد أن طريقة تأسيس الجماعات والهيكلية التي بُنيت عليها (وكانت في زمن وظروف معينة)، هذه الطريقة تحمل في داخلها جراثيم الحزبية، سواء قلّت أو كثرت؛ لأن الجماعة عندما انفصلت عن جسم الأمة، ولم تحاول بعدئذٍ تجديد نفسها والارتباط بجمهور الأمة مرة ثانية، وإقامة المؤسسات الفكرية والعلمية لاستيعاب القدرات والأذكياء، فلابد أن ينشأ مرض الحزبية، وهو مرض عضال، أضر كثيراً بالجماعات الإسلامية وفرقها وأضعفها؛ لأن الفرد عندما يكون داخل مجموعة صغيرة، ويُقال له: منهجنا هو الأصوب، فسيكون إنساناً منغلقاً متعصباً لجماعته، لا يقبل بسهولة ما عند الآخرين، والطريقة الحزبية تكون دائماً لاهثة وراء كسب الناس، فإن لم ينصتوا إليها تقوقعت على نفسها واتهمت الآخرين. وفي الطريقة الحزبية يقفز أنصاف المتعلمين ليبعدوا المؤسسين الأوائل، ويتظاهرون بالحماس الزائد للوصول إلى المناصب، وقد يكون خارج هذه الحلقات الضيقة من هو أكثر تقًى وعلماً، ولكن لأنه لم يلتزم بالجماعة فلا يُستفاد منه، ويضغط المتعالمون الذين يظنون أن بانتسابهم إلى الجماعة وتغنيهم بشعاراتها وقراءة كتبها يرتفعون إلى درجة الفكر والمفكرين (ومن ملاحظات علوم الإدارة في الشركات التي فقدت المرونة أن

الابتكارات تأتي غالباً من أشخاص لا يعملون في الشركة أو من أولئك الذين تعدّهم الشركة غير منضبطين بأنظمتها) (3).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ليس لأحد أن يعلق الحمد والذم، والحب والبغض، بغير الأسماء التي علق الله بها ذلك، فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أي صنف كان، والذي يبني محبته وبغضه ومعاداته ونصرته على الانتساب لأسماء معينة أو مذهب معين أو جماعة أو حرفة فهذا من أمور الجاهلية المفرقة بين الأمة)(4) .

2- القيادة:

ربما لا يشك أحد بأن هناك مشكلة في القيادة، وربما يتذكر الدعاة والقراء شعار مجلة الفتح لصاحبها محب الدين الخطيب رحمه الله (المسلمون إلى خير ولكن المشكلة في القيادة) فما جذور هذه المشكلة التي تظهر خاصةً عندما يذهب المؤسس الأول أو عندما يغيب عالم كبير؟. إن غياب الممارسة الحقيقية للشورى، وغياب الممارسة العملية للإدارة والقيادة من قبل الصف الثاني، وعدم التأسيس لهذا الجيل هو أحد هذه الأسباب، فالقيادة ليست موهبة فقط، بل يمكن أن تأتي بالتعليم والممارسة مع وجود العناصر الأخرى الضرورية. ومن الأسباب أن المجتمعات الإسلامية -وبسبب تخلفها الحضاري- لا تزال تحلم بالرجل الأوحد والبطل الملهم الذي تتركز كل الأمور بيده، ويُطلب منه أن يحل كل المشاكل، فمثل هذا الشخص . إن وجد . وأرضى غرور الناس، ولكنه لا يستطيع في الواقع أن يقوم بشيء كبير.

إن القيادة عندما تتحمل الأعباء الكثيرة، ولا يتهيأ لها العوامل المساعدة من الأفكاروالأشياء، فربما تسير مرحلة وفترة معينة يكون فيها نشاط، وفيها عمل وإنتاج، ولكنها ستتوقف بعدئذ ثم ينكفئ العاملون على أنفسهم، وتتحول الاهتمامات إلى شؤون أكاديمية بحتة.

والملاحظ أنه لا يوجد في البرامج التربوية شيء من المقارنة والنقد، ولا توجد هذه الصلة العميقة بين القيادة والأجيال الجديدة، ومن المؤسف أن تجري الأمور على الشكل التالي:

الذي يتقرب من المسؤول أو على الأقل يسكت، فهو المرضي عنه ويصعد إلى أعلى المسؤوليات، وأما الذي يناقش ويسأل فهو(مشاغب) غير منضبط، ولا يفهم السرية والعمل الحركي ويجب أن يُفصل!!

ومن التأملات العميقة في طبيعة الاجتماع الإنساني لمؤرخنا الكبير ابن خلدون، أن بعض الدول بعد أن يستقر بها الحال تبدأ بإبعاد من شاركوا وساهموا في التأسيس حتى لا يكون لهم منَّة ودالَّة على الدولة، وتأتي بأناس بعيدين لا حول لهم ولا طول، ينفذون ما تريده الدولة، وبعض الجماعات تفعل مثل هذا.

إن بعض القيادات لا يحبون الظهور العلني، ولكنهم يريدون التحكم في الدعوة من وراء ستار، فيضعون واجهة ضعيفة هي القيادة في الظاهر وأمام أعين الناس، وهكذا تفعل بعض الطغم العسكرية في البلاد المتخلفة.

وفي كثير من الأحيان كان المعيار في تفوق فلان ليكون قائداً وزعيماً (مدى الحياة) هو تفوقه في الخطابة، وعندما تكون الأمة في حالة تخلّف فإنها تسحرها الكلمة الخلابة والصوت العالي.

3-المنهج:

لم تستطع الجماعات الإسلامية تطوير مدرسة تربوية واعية بتحديات العصر ومشكلات الواقع، قادرة على إنزال (آيات الكتاب) على الواقع القائم، ولم تبلور مشروعاً نهضوياً متكاملاً، وما قامت به من دروس علمية وتربية خاصة لإيجاد الشباب الصالح، فهذا شيء لا ينكر بل يشكر، وهو عمل جيد، ولكنه لا يكفي لمشروع كبير، وبعض الجماعات التزمت بالعموميات في المنهج العلمي والعقدي حرصاً على تجميع أكبر عدد من الأنصار، سواء كانت أفكارهم صحيحة أم فيها انحراف عن المنهج القويم.

وبسبب الاضطراب وعدم الوضوح في المنهج، دخل البعض في معارك سياسية قبل أوانها، وكانت نتائجها وخيمة، وكانت ردة الفعل إما الابتعاد كلياً عن الشؤون العامة أو الدخول بفكر وعقل ذرائعي ليس له حدود ولا ضوابط. ومازال العمل الإسلامي ومؤسساته يسيرون على نظرية (إذا صلح الفرد صلحت الأمة) وهي مقولة تُذكر وكأنها بديهية من البديهيات، وظاهرها صحيح ولكن فيها تبسيط لقضية كبيرة.

وكانت نتيجة هذه النظرية أن وجد عدد غير قليل من الأفراد الصالحين، ولكن ليس لديهم فقه (بناء الأمم) فالبناء المرصوص ليس حجارة، وإنما هو حجارة مصقولة مشدودة بالإسمنت والحديد، وحسب قوانين هندسية تتعلق بعمق الأساس وسمك الجدار... وهناك عوائق ومؤثرات ثقافية واجتماعية تعيق الفرد إذا لم يوضع ضمن مشروع متكامل.

ومن الاضطراب في المنهج رفع الشعارات الكبيرة التي يصعب تحقيقها في الواقع وتحول الوسائل إلى غايات، فالجماعة بنظمها ومؤسساتها هي وسيلة للعطاء، وخميرة للنهوض، ولكن هذه النظم تحوّلت إلى غاية يجب الحفاظ عليها ولو بالانغلاق عن الأمة، وعدم الاستفادة مما عند الآخرين، فكل شيء يجب أن يقبل باسم (التنظيم) والمصلحة. مع أن حفظ الدين والعقيدة أهم من حفظ الجماعة وحفظ النفس والمال، والدليل قصة موسى عليه السلام حين قال لأخيه هارون: (اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) ولما رجع موسى عليه السلام وجد قومه يعبدون العجل، فقال مخاطباً هارون عليه السلام: (مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلاَّ تَتَّبِعَنِ، أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ؟ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) [طه: 92-94].

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: (هذا اجتهاد من هارون في سياسة الأمة؛ إذ تعارضت عنده مصلحتان: مصلحة حفظ العقيدة ومصلحة حفظ الجماعة من الهرج، وحفظ الأنفس والأموال فرجح الثانية، وكان اجتهاده مرجوحاً، لأن حفظ الأصل الأصيل للشريعة أهم من حفظ الأصول المتفرعة، لأن مصلحة صلاح الاعتقاد هي أم المصالح التي بها صلاح الاجتماع.....) (5).

ومن الاضطراب في المنهج أو النقص فيه، ما يُلاحظ من معالجة أعراض المرض وعدم معالجة جذوره، فالوعظ والإرشاد يتجه دائماً إلى مشاكل سطحية تظهر في تصرفات أفراد المجتمع، ولكن لا يُنظر إلى الأسباب العميقة التي أوصلت المجتمع إلى هذه المشاكل أوهذا التفلت الأخلاقي.

بعض التجمعات الإسلامية الصغيرة تمثل حالة اغتراب وانسحاب من الواقع ربما لأن المجتمعات الإسلامية مصابة بحالة (الشح) العلمي أو الخيري.

4-التجدد:

من أخطر الأمور التي تواجه المجتمعات أو الجماعات أن يسيطر الجمود الذهني عليها؛ فلا تعود هذه الجماعات عندها القابلية للتجدد والتحسين، عندها تسيطر مقولات وقوالب لا تناسب الواقع، أوتسيطر عادات وتقاليد يصعب تركها. والنهوض الحضاري لا بد له من قدرة على تحقيق التوازن بين الثوابت والمتغيرات، وإلا فقدت الجماعة المرونة والحيوية. أعرف أناساً يردّدون كلام مؤسسي الدعوة أو بعض المفكرين الذين عاشوا قبل عقود من الزمن، وكأن كلامهم منزل، ويبدو من حال هذا الذي يردّد كلامهم أنه لم يقرأ شيئاً جديداً منذ عشرين سنة، ولم يطلع على فكرٍ أوعلم، ولم يوسّع من ثقافته أو يمارس عملية الانفصال والاتصال، الانفصال عن مفاهيم وأشكال وأطر وتنظيمات عفا عليها الزمن، واتصال بالثوابت والعلم والمستجدات وكيفية بناء الأمم. فهناك تحديات كبيرة لا ينفع معها اللجوء إلى النظم والهياكل التي لا تصلح للعمل من خلالها. وهذا لا يعني أنه لم يقع تجديد أبداً، بل كانت محاولات ولكنها جزئية، ولم تستطع التجدد المتكامل، ولذلك نرى ونسمع بين كل فترةٍ وأخرى انسحاب مفكر أو مثقف من الجماعة الفلانية لأن طبيعة تكوينها ونظمها لا تساعد في . الغالب . على استيعاب أهل الفكر والعلم، ولا تساعد على تهيئة كل الأجواء المناسبة لأداء دورهم، وهكذا تخسر الجماعات صفوة المجتمع. ومن العجيب أن بعض هذه الجماعات تستمر في التعيّش على سمعة هؤلاء المفكرين أو العلماء، وفي الوقت نفسه تحذر أعضاءها من أفكارهم وقراءة كتبهم!

ربما كان استمرار بعض هذه الجماعات يعود إلى أنها تسير بالدفعة الأولى، فعندما يكون المؤسس قوياً ومخلصاً يعطي العمل دفعة قوية، ولكنها مع الأيام تضعف وتهرم بسبب عدم التجدد.

إن تطلعات المسلمين وحركة التاريخ لا تنتظر أمثال هؤلاء (المحنطين) الذين يعيشون على أمجاد فتراتٍ معينة من الزمن الماضي.

5-عندما تكون النتائج ضعيفة

رغم الجهود الكبيرة التي بُذلت وتُبذل خلال عقود من الزمن، فلا بد أن في الأمر شيئاً، لابد من وجود خلل ما في الوسائل أو المراحل، وأما مقولة نحن عملنا وليس

من الضروري أن تقع النتائج، فهذه حيلةٌ نفسية لإرضاء الذات، لأن الله سبحانه وتعالى وعد بالنصر والتمكين للذين ينصرونه، وربما يؤجل هذا النصر لأسباب، وربما تكون هزائم وانتصارات، أما ألاّ يكون هناك انتصارات، فهذا يحتاج إلى مراجعة شاملة وصريحة، للمنهج وطرق التربية، ومراجعة شاملة لصدق النوايا وأعمال القلوب والأخلاق المطلوبة.

ماذا نريد؟!

بعد هذا الجمود أو الفتور الذي نلحظه، وشعور الجميع بأنه لا أحد يستطيع وحده أن يقوم بالمهمة الكبرى، ألا يجب أن ننتقل إلى مرحلة أقوى وأكبر؟ مرحلة تُزال فيها هذه السدود التي صُنعت، وهذه الجدران العالية التي بُنيت، ويتحول العمل الإسلامي إلى تيار يعتمد على مؤسسات ذات خبرة فقهية وثقافية وسياسية واقتصادية. يشارك هذا التيار في صنع الأحداث، حتى لا يُنظر إلى المسلمين على أنهم من المستضعفين الذين تفكر كل جهة حاقدة في تحجيمهم وضربهم.

لماذا لا يتحول العمل الإسلامي إلى تيارشعبي، الكل يحمل هم الإسلام، حتى لا تبقى الدولة جسماً منفصلاً عن الأمة، جسماً يشعر الفرد ازاءها وكأنه ذرة رمل تطحنها آلة جبارة؟!

إن العلاقة بين الجماعة والأمة هي كالعلاقة بين الشجرة والتربة، وانقطاع الصلة بينهما سيكون من بعده اليبوسة، قلت لأحد الأخوة وكان يكلمني عن ضعف الموارد المالية عند الجماعات، قلت له: عندنا ثروة بشرية. لماذا لا نسخرها في سبيل الأهداف السامية التي نحملها؟ عندنا شباب ذكي متعلم، أينما توجهه يأت بخير. لماذا لا ندفع هؤلاء الشباب لخوض معركة الحياة ؟ معركة الحق والباطل، ففي هذا العصر الذي تطرح فيه مسالة (العولمة)، لا بد أن تكون المبادرات كبيرة وغير مبعثرة. يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي: "إن رجل الشعب يمارس الأفكار بقلبه وعقله معاً، بينما لا يقرأ (المثقف) عندنا إلا بعقله، فرجل الشعب يتمتع بالبداهة الصادقة" (6). ويلاحظ أحد المفكرين أن "الجماعات عاملت المجتمع الإسلامي على أنه متلقٍ للخطاب النهضوي، ولم يُعامل على أنه يمكن أن يكون فاعلاً في التعبئة لذلك الخطاب.."(7). ويرى الشيخ طاهر الجزائري "أنه لا بد من تثقيف (العامة)؛

لأنهم برأيه أطوع للحق من كثير من المنتفعين بالدين، خاصةً إذا تتبع المصلح الحكمة في دعوتهم وأعطاهم من العلم ما تطيقه عقولهم.

عندما يعطي تصرف الجماعة انطباعاً بأنها هي المسؤولة عن الإسلام، فهذا يجعل بقية المسلمين يركنون إلى شيءٍ من الراحة والكسل وعدم تحمل المسؤولية، ومن الأمور التي تساعد على تشكيل هذا التيار العريض:

1- الاهتمام بالجمعيات والمؤسسات المدنية بشتى أنواعها سواء أكانت خيرية أو علمية أو اجتماعية أو اقتصادية، فهذه كلها قوى للوطن وللأمة ومنابع حياة لها.

2- الاستفادة من الكيان القبلي كمؤسسة اجتماعية فطرية: والإسلام كما هو معلوم، لم يحطّم التنظيم القبلي، بل رشَّده ودمجه في نطاق الأمة، وطهّره من المفاهيم الجاهلية. (والجماعات الإسلامية لم تستفد من هذا الكيان، ربما للشعارات الكبيرة التي رفعتها (الوحدة الإسلامية..) أو كرد فعل على الدعوات القومية) (8).

3- جمعيات العلماء:

وهم أهل العلم والخبرة الذين ينظرون في مصالح المسلمين ويصدرون عن تشاور، وهم يجتهدون في النوازل المعاصرة، حتى لا تتحول الاجتهادات الفردية إلى فوضى علمية، فالخلافات بين أولي الألباب مهما اشتدت تظل محكومة بأخلاق أهل العلم وتسامحهم بينما نجد في العقلية الحزبية إذا ما حصل خلاف فإن الكبار يوجهون الصغار لممارسة أبشع ألوان الأذى والضرر للخصوم، مع تتبع العورات، وتفجر المؤامرات داخل الجماعة الواحدة. لا بد للمسلمين من هيئة تنظر في أمورهم، مع علمنا أنه ليس أحدٌ بعد الرسول -صلى الله عليه وسلم- من يدّعي له العصمة، ولكن في عمل المؤسسة يحصل النقاش وتبادل الآراء، وفي النظام الحزبي لا أحد يناقش أفكار الزعيم، والقرآن الكريم يوجه لهذه المكانة لهؤلاء: (فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ((122) . والأمة إذا فقدت قيادتها الربانية فإنها تتعرض لشياطين الإنس ليجتالوها عن عقيدتها وهويتها، وإذا كان لا بد من تكامل بين أهل العلم وأهل الثروة، فالقيادة يجب أن تكون لأهل العلم.

4- الاهتمام بالثروة البشرية: وخاصة (أولي الألباب) والاذكياء من الشباب الذين يطورون النظريات التربوية، ويقودون المؤسسات، وهكذا كان جيل الصحابة، الذين أكرم الله بهم نبيه -صلى الله عليه وسلم- فقد كانوا أذكياء نابهين عقلاء، فلما جاء الاسلام كانوا كما قال تعالى: (نورٌ على نور) .1- حدثني أحد الأخوة الثقات أن أحد شيوخ هذه الجماعات طلب من القيادة اجتماعاً لبحث مشكلة كانت قد انتهت وانتهى أصحابها، فقال له شاب : يا شيخ كأنك لم تقرأ في القرآن قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الجن ؟

2 - الرسائل والمسائل 161/1

3 - بشير شكيب الجابري : القيادة والتغيير /53

4 - الفتاوى، مجمل اعتقاد السلف 342/3.

5 -انظر: أحمد الريسوني (نظرية التقريب والتغليب) /381 .

6 - في مهب المعركة /187 .

7 - عبد المجيد النجار: عوامل الشهود الحضاري 287/2 .

8 - المصدر السابق 287/2.

=========

صورة المسلمين والعرب في العالم2/2

إعداد: خلود العيدان * منيرة الدهش 1426/3/11

2005/04/20

(نحن) في إعلامهم حقيقة،،أم،،خدعة!

(الإعلام)..

القوة العظمى في هذا العصر..

هي العصا (الغير سحرية) التي تصل النقطة العليا بالسفلى من الكرة الأرضية..

وهي التي تدير دفة الحوار دون طاولة مستديرة..

هي حرب و سلم .. حقيقة وخدعة ..

هي فرصة العض عليها (واجب) لأنها لغة الزمن الذي نعيشه..

الصورة بلا ألوان بلا خلفية لابد ناقصة.

أضحى قتل المعلمين والكتّاب والصحفيين والفنانين أفعالاً إسلامية تكتسب شرعيتها من هذا الدين وتعبر عن الكراهية للقيم الغربية!..

هذا بالضبط ما يتصوره بعض محرروا الصحف العالمية..

وحينما يصف الصحفي الكتابة،الإبداع،التعليم أوالفن في المجتمعات الإسلامية فهو يصورها قيماً غربية

تنتمي للنظام الغربي الذي يحاربه الإسلاميون..ولا يمكن اعتبارها جزءً من الثقافة المحلية أو نظام القيم المحلي..

كما يمكن ملاحظة أن الإسلام من خلال تغطية أخباره في الإعلام العالمي قد تمَّ تحويله إلى (نظام من الرموز) Signs تتكرر بشكل مستمر من أشخاص ذوي لحى طويلة وكثَّة ونساء محجبات وأيدٍ مرفوعة غالبًا تمسك بشعارات الجهاد أو الشهادة أو الموت للشيطان وجماهير متعصبة جامحة.

مؤامرة العربي على نفسه.

حقيقة ترصدها الأستاذة غادة الخضير الكاتبة والمحاضرة في قسم علم النفس بجامعة الملك سعود في قولها:

(إن انشغال الإعلام العربي بقضايا "المؤامرة الغربية" وتركيزهم عليها في حين أن المؤامرة الحقيقية إن وجدت فهي مؤامرة العربي على نفسه بعدم دفاعه عن ذلك التشويه الذي يتعرض له ويخطط لتحسين صورته في الإعلام الغربي).

كما أضافت:

(إن الإعلام الغربي من وجهة نظري إعلام مفصول عن شعبه أي ليس بالضرورة أن ما ينقل يعبر عن الشارع الغربي والذي هو بدوره جاهل بالآخر العربي إلا في ضوء الوجبة الإعلامية التي تقدم له ؛ خاصة وانه قد نصل في تفكيرنا إلى أن الهجمة ضد العرب هي هجمة اتحادية بين وسائل الإعلام الغربي والشارع الغربي وهذا في رائي غير صحيح إذ أن العقل الغربي يستجيب للخدعة الإعلامية شأنه شأن غيره من العقول مما يجعله يستقبل الصورة المرئية أو المسموعة أو المقروءة عن العرب وفقا للطريقة التي تقدم بها أي أن الغرب مخدوع بأعلامه اكثر من انخداع العرب بتلك الصورة المتكاملة عن الشارع الغربي ووسائل إعلامه).

- نحن في عناوينهم:
الصحافة العالمية وإن أخذنا الصحافة البريطانية على وجه التمثيل لا التخصيص..
ساهمت في بناء صلة وثيقة بين كل ماهو (إسلامي) وبين (أفكار)و(أفعال) العنف والإرهاب واحتقار حياة الإنسان وحقوقه ولاسيما المرأة والأقليات..
ونظرة سريعة لعناوين بعض الصحف البريطانية كفيلة يتوضيح مدى ترسيخ هذه الصلة في ذهن القارئ..
"المسلمون البريطانيون يرسلون إلى معسكرات تدريب إسلامية".
"إيطاليا تشدد من إجراءات الأمن بعد تحذير بعمل إرهابي إسلامي".
"كلينتون يرأس قمة ضد الإرهاب الإسلامي".
"فرنسا تخشى من عملية إرهابية إسلامية طويلة".
"متعصبون إسلاميون يقتلون بريطانيًّا في إطار حملة إرهابية".
"المسلمون المتطرفون يتحدون الرؤية الأوروبية العلمانية للدولة".
جدلية الموضوعية والتحيز و (تأطير الإسلام):
هل الإعلام الغربي موضوعي في تصويره للإسلام!
إن الصحافة في الغرب غالبًا متهمة بتقديم صور ذهنية متحيزة عن الإسلام والمجتمعات الإسلامية..
وغالباً من يرفع أيادي التظلم ويقف مستنكراً هو المسلم ذاته..
ولكن البعض يرفعها (تمتة) بينه وبين ذاته ولا يشرع في العمل لتصويب الصورة!
إن الصورة والحرف التي تعتمد عليها الصحافة الغربية بإمكانها تقريب العدسة تصغيرها،تعظيمها،وحتى التحكم بألوانها..
لذلك فالموضوعية دائمًا نسبية وترتبط بنظام مفاهيمي معين وقيم ثقافية، غير أنه مثلما تثير فكرة التحيز جدلاً شديدًا، فإن فكرة الموضوعية أيضًا لا تخلو من بعض المشكلات، حيث لا يستطيع أحد من العاملين بأجهزة الإعلام الغربية ادعاء الموضعية فيما يكتب عن الإسلام؛ لأن الموضوعية- كما أوضح كثير من الدارسين- تنتفي حينما يكون هناك صراع أو خلاف بين النظم والمفاهيم والقيم

الثقافية السائدة في مجتمعين مختلفين. الموضوعية إذن وفق ذلك المنظور تصبح "فعلا سياسيا" لممارسة السلطة على الآخرين.

وإذا كانت الموضوعية برأيهم مثار خلاف فماذا عن التأطير!

إن الإطار الذي يحمل الإسلام والمسلمين بداخله يكاد يكون جامداً بل هو كذلك..

لا يحمل مرونة لتوضيح أن ذاك جانب وحتى هذا الجانب يملك مسببات وتبعات لا يظهرها الإطار.!

*يفهموننا من خلالهم..

إن بدايات الظهور الإسلامي في الإعلام الغربي كان مركبًا أساسيًّا في البناء المفاهيمي للصورة النمطية للإسلام في أجهزة الإعلام البريطانية، حيث تم تصوير المسلمين وكأنهم يمثلون كل ما هو معاكس للغرب، وبالفعل فإن بعض الكتابات الغربية – وحتى الإسلامية في بعض الأحيان – أدت إلى التركيز المطلق على أبنية مفاهيمية وقيم ثقافية لكل من الجانبين حينما تبنت النسق الغربي على أنه الإطار المفاهيمي الوحيد الذي يمكن من خلاله فهم الوجود الإسلامي والإخبار عنه.

إذاً أضحى الإعلام الغربي هو المصدر الإعلامي لفهم الإسلام..

وهذا ما أوضحه (نوبوأكي نوتوهارا) في كتابه (العرب وجهة نظر يابانية) حيث قال: (نحن فهمنا بالتدريج،الآن أصبحت الأمور واضحة،في البداية كررنا ماقاله الاستشراق الغربي لم يكن عندنا مصدر آخر للمعلومات.أحسسنا أنهم لا يقولون الحقيقة أحياناً.والقضية الفلسطينية مثال ممتاز على ذلك،لقد فهمنا متأخرين هذا صحيح ولكننا فهمنا.

حتى الصحافة عندنا كانت تقدم القضية الفلسطينية لليابانيين نقلاً عن الإعلام الأمريكي والأوروبي أما الآن تغيرت الصورة الصحفيون أنفسهم فهموا أن ذلك الإعلام لايقول الحقيقة .. .. لقد فهمنا أن علينا أن نستقبل الكتابات الغربية بحذر وتدقيق وحيطة.يوجد صحفي ياباني معروف درس في إسرائيل وعاد مؤيداً للقضية الفلسطينية لأنه رأى بنفسه التناقض بين ما تقوله وسائل الإعلام الإسرائيلي وبين الواقع.انتهى)

و الإعلام الغربي بذلك قدم الأرضية التي تم فوقها بناء صورة للإسلام أصبحت في حكم التقديس

أو موثوقاً بصحتها على حد قول (إدوارد سعيد).

ولا بد من الاعتراف بحقيقة أن الغرب قد احتل بالفعل مكانة سائدة في (الخطاب الإسلامي) غير أن بعض التقارير الصحافية الغربية – بل وبعض الكتابات الإسلامية – قدمت تصويرًا للوجود الإسلامي فقط من خلال علاقته بالغرب والهيمنة الغربية وكأنه مضاد للقيم الثقافية الغربية!

وقد أسقط تمامًا من حسابات هؤلاء الكُتَّاب أن فهم ودراسة المجتمعات الإسلامية لا بد وأن يتم في إطار منظومة من العلاقات وليس عنصر واحد مهما كانت قوته!

* الغرب واللا غرب..(ثنائية الإسلام والغرب):

إن الخطاب الإعلامي حول الإسلاميين كان يجنح لاستخدام ثنائيات الإسلام والغرب.

ويصور هاتين الفئتين على أنهما نقيضين!وكأن العالم تم تقسيمه إلى غرب و(لا) غرب.

وفي حال أن الـ(لا) مضافة لعالمنا الإسلامي فلابد أن (الأصل) مجرد من اللا.!

وبالتالي نجد أن هناك تناقضًا بين الحداثة التي يمثل الغرب خلاصتها بالحضارة والديمقراطية والعقلانية والحرية، وبين اللاحداثة التي تمثل البربرية واللاعقلانية والعبودية.

*الآراء تعبر عن كاتبها أم ماذا؟!

رأي الكاتب واتجاه القلم حق شرعي أياً كانت الديانة.

وفي المقابل فإن هذا الحق يحفظ للكاتب رأيه كما يحفظ للقضية حق المناعة ضد التحيز والمغالاة.

وهنا نأتي لـ اللب الذي لم نمنح فيه حتى حق القشور!

فالتقارير الصحافية التي تتناول الإسلام والمسلمين لا تقدم على أنها تقارير تحوي وجهات نظر سياسية تمثل كاتب المقال أو أنها قد تحوي – أحيانًا في طياتها – آراء

متحيزة، إلا أنها تقدم وكأنها الحقيقة بذاتها لا تشوبها شائبة أو جهل بحقيقتها أو حتى عدم إلمام بحيثيات المجتمع الإسلامي.

وهنا ليس الدفاع منبرنا بل مطالبة فقط بمنبر منصف أياً كانت أخطاء الخطباء.

أياً كان الكاتب فرد أم جهة فرأيه نظرة لا قاعدة معممة..

وهنا يشير دوغلاس ليتل في كتاب "الاستشراق الأميركي.. أميركا والشرق الأوسط منذ 1945" عن دور الإعلام الأميركي في دعم رؤية أميركا الاستشراقية تجاه الإسلام والمسلمين.فيقول: أن من أبرز وجوه هذا الدعم حرص وسائل الإعلام الأميركي –كمجلة ناشيونال جيوغرافيك الأميركية العريقة– على تصوير مظاهر التقدم والازدهار في إسرائيل وما تتمتع به من طرق سريعة واسعة ومنشآت حديثة تشبه نظيرتها الأميركية، وفتيات صغيرات يزرعن الزهور في حدائق منازلهن، في الوقت الذي تم فيه التأكيد في صور العرب على سباقات الخيول وحياة الصحراء والطرق الفقيرة والمباني المتهدمة والعجائز الفقراء المستضعفين أو المسلحين المتهورين.

كما يقول يوسف معمري من المجلس الإسلامي لمارسيليا (بفرنسا):

أن التلفزيون والصحف الفرنسية غالبا ما تنقل رؤية من جانب واحد ولا تعطي للسياسيين وزعماء الدين المسلمين مساحة كافية للإعراب عن رأيهم.

*الفصل بين الخبر والنطاق الاجتماعي!

أصبح أحد معالم التغطية الإخبارية العالمية هو الجنوح لتحقيق الفصل بين الحقائق الإخبارية والنطاق الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي وقعت فيه، والذي أدى لظهورها بالأساس والذي لا يمكن فهم تلك الظواهر فهما صحيحًا إلا من خلاله.

حيث يحتوي التقرير الإخباري على أخبار غير متوازنة: فبينما يشير إلى حوادث عنف لا يتحدث عن الأسباب التي أدت لوقوع تلك الحوادث. وهذا الإجراء من شأنه أن يقدم خطابًا إعلاميًّا خارج سياقه التاريخي حينما ينظر إلى تلك الهجمات وهذا العنف على أنه جزء من الموروث الإسلامي لا يحتاج إلى تفسير أو أن يوضع في نسقه التاريخي والسياسي الذي أدى لظهوره، وبالتالي يصبح كون هذا العنف أو تلك الهجمات أو احتقار المرأة وحق الحياة إسلاميًّا أمرًا بديهيًّا. العنف إذن – كما تبرزه

الصحف العالمية – يرتكب لأن هذه الجماعات مسلمة تعتنق الإسلام، وبالتالي يتم الإخبار عن العنف وكأنه أمر محتم لتحقيق النظام الإسلامي.

(إشكالية المصدر إلى متى):

في أعينهم: المرأة و (الإحياء) الإسلامي الذي توفاها!

هناك ميل واضح نحو تقديم تساؤلات حول نواحي معينة في الإسلام – ولا سيما فيما يتعلق بالمرأة – وهذه التساؤلات كانت ومازالت سائدة في كثير من التقارير الإخبارية والمقابلات..

وهذا مانريده..نريد الفهم الأعمق للإسلام بأبنائه ومجتمعاته ولكن يكمن لب المشكلة في (المصدر)..

الذي لطالما كان حائلاً دون الحقيقة.

وهذا ما يتجلى في إحدى التقارير التي تناولت موضوع وضع المرأة في مصر في ظل ما أسمته المحررة بـ الصعود المتنامي للمد الإسلامي.

تبدأ الجملة الافتتاحية بالمقال على هيئة اقتباسه على لسان إحدى ناشطات حقوق الإنسان في مصر والتي عرفت في المقال على أنها (قبطية)، وتقول بأنها "تألمت بشدة لما آل إليه حال النساء في مصر؛ فبينما كانت نساء مصر في وقت من الأوقات رائدات الحركة النسائية في العالم العربي أصبحن متخلفات بفضل موجات (الإحياء الإسلامي)". وتنتهي الاقتباسة على مدى التقرير، حيث تم تصوير الإسلام – من خلال كلمات هذه الناشطة وسيدتين أخرتين من المدافعات عن حقوق النسوة – على أنه السبب الرئيسي وراء إقصاء المرأة من العمل العام ومعاملتها كمخلوق من الدرجة الثانية.

وصُوِّر الإسلام على أنه دين النسوة ذوي الخلفية الريفية المحافظة، وليس النساء اللائى ينتمين إلى الأوساط المتحررة المثقفة؛ ومن خلال التركيز على (الإحياء الإسلامي) تم تصوير الإسلام وكأنه العامل الوحيد الذي أدى لاضطهاد الفتيات القبطيات وأزال حقوق المرأة وأن النساء اللائى يطالبن بتلك الحقوق يقعن دائمًا تحت طائلة التهديد!

هذه التقارير مثيرة للمخاوف؛ لأنها ورغم حرص المحرر أو المحررة على التحدث إلى عناصر ومصادر محلية، إلا أنها وعلى الرغم من ذلك لا تقدم تقارير محايدة حينما تقوم بإقصاء الرأي السائد.

وهو في مثل هذا التقرير الذي يتطلب رأي النساء المسلمات اللائى يدور حولهن المقال في المقام الأول.

ولك أن تلحظ أنه اختار ناشطة حقوق إنسان قبطية للتحدث عن الاضطهاد الذي تواجهه المرأة من جرَّاء الإحياء الإسلامي.

لا بد أن نلحظ إذن كيف أن هناك مشكلة متعلقة بالمصادر التي توجد في تلك القصص الإخبارية، حيث تجنح معظم هذه التقارير إلى التحدث إلى أولئك الذين (يشبهوننا) أي يشبهون الغرب Those who are like us..

وهذا يثير قضية المصادر التي تُستخدم عند الكتابة عن الإسلام، وهنا يمكن ملاحظة ميل العديد من الصحفيين للتحدث إما إلى أصوات متطرفة تدعم صورة الدين المعروفة كدين عنف وتطرف، أو مصادر محلية ولكنها "مُغرّبَة" تقدم على أنها ضحية هذا التطرف والعنف وتعاني من غضبة الإسلاميين وغالبًا ما تكون هذه الفئات إما النساء أو الأقليات.

الفن السابع العالمي عدد فردي لا (ينصف):

(إن السينما الأمريكية لديها دائما صورة نمطية للعالم الإسلامي ولشخوصه، لم تحاول أن تغيرها بل سعت عبر تاريخها الطويل لتؤكد على الصفات السلبية في الشخصية العربية والإسلامية من حيث طبيعة التكوين النفسي لهذه الشخصيات.

فهي إما خبيثة، أو ماكرة، غير مؤتمنة، لا يمكن الوثوق بها، قذرة، حسية وغرائزية!)

تغيير مؤقت!لماذا؟!

(وقد تكون هناك بعض الأفلام التي حاولت أن تقدم صورة شخصية العربي بشكل مختلف، إلا أن هذا الاختلاف كان يرتبط بظروف وملابسات سياسية في هذه الفترة. مثل فيلم "المحارب 13" والذي قدم العربي بشخصية مساعدة فاعلة وهذا كان مرتبطا بفترة حرب الخليج الثانية "غزو الكويت" وفيلم آخر وهو "روبن هوت" والذي قدم العربي كعالم وكمحارب شريف. وأيضا كان يرتبط بتلك الفترة وذلك من أجل تمرير

عملية المساندة ما بين القوات العربية والإسلامية للولايات المتحدة الأمريكية في حربها ضد العراق.

وهناك أيضا أفلام كثيرة ستظهر بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر واحتلال أفغانستان واحتلال العراق، لتؤكد على الشر الكامن والمتأصل في الشخصية العربية والإسلامية.)

هذا ما قاله الأستاذ علاء عبدالعزيز المدرس المساعد بالمعهد العالي للسينما في مصر.

*هل الإسلام حقاً ظاهرة!

وإن يكن..فعلينا أن نعي..والوعي هنا ليس (فعلاً مضارعاً)..

بقدر ماهو مطلب لفهم (قواعد) الآخر و(نحوه)، و(صرفه) نحو الحقيقة.

فعلينا أن نعي أن الإسلام لم يعد في نظرهم أو لنقل البعض حضارة أو دين!

بل هو ظاهرة تستحق استرعاء انتباه المراقب- وهو هنا الصحفي وصنَّاع السياسة الخارجية-

وبذلك أصبح الإسلام موضوعًا عالميًّا يحتل مرتبة ذات أولوية في الأجندة السياسية الغربية.

إذاً فالظاهرة حسبما هو معروف تبدأ، تنتشر،تصعد،تنحدر،،،تنتهي!

وهي يقيناً بإيماننا بضعفنا وبقوتنا لن تنتهي.

***

الإرهاب و الإسلام هل هما وجهان لعملة واحدة!

الجلي والواضح مدى الاختلاف بيننا وبينهم في التعريف بـ(ـالإرهاب) ومن ثم الاعتراف به ..

فمن النظرة الغربية المسوقة عالمياً عرف الإرهاب كونه كل تهديد للمدنية والمدنيين.

وما بين اتفاقنا الأولي مع رأيهم وبين رفضنا تطويع التعريف لأهدافهم فنحن اتفقنا في التعريف واختلفنا بالاعتراف. والمؤكد أن التفاوت في تطبيق طرفي المعتقد يخل بمصداقيته ومن ثم باعتناقه.

إن ردود الفعل في العالم الإسلامي والعربي تجاه هكذا (تهمة)..

لم تنتظر حتى (تثبت الإدانة) فهناك من اقتنع بأن الإرهاب إسلامي!
وهناك من لم يعد يملك القدرة على التمييز بين عمليات المقاومة وما بين العمليات العشوائية!
وهناك من يقرأ هذه الأسطر ويتساءل معنا ويبحث عن الإجابات بل ويضعها..
- في عيونهم:
الإرهاب أضحى أمراً فطرياً في الإسلام..!
كما أن التوصيفات التي تم إلصاقها بالنظام الإسلامي قد تمَّ تقديمها وكأنها من طبيعة هذا النظام أو كأنها أمور فطرية لا تحتاج إلى تفسير أعمق من كونها واقع!
إن أكثر الإطارات شيوعًا لتوصيف الإسلام هو إطار (الأزمة)، التي تم اختصارها في فئات العنف والإرهاب والتطرف وكراهية الغرب.
مثل هذا الإطار يعطي أهمية أكثر للضحايا الأبرياء للعنف الذي يرتكبه المسلمون العرب ضد الإسرائيليين- دون الإشارة إلى العكس!
- الإسلاموفوبيا:
يتعرض كتاب (الإسلام والمسلمون في الإعلام البريطاني-المؤلف: إليزابيث بوول) في أكثر من موضع لمسألة الإسلاموفوبيا (أي الخوف من الإسلام) والإعلام, وكيف يتم تضخيمها والنفخ فيها. فالمشكلة هنا تكمن في أن الإعلام يبحث عن الإثارة ويتابعها, ويبحث في أدق تفاصيل القصص المتعلقة بها.
ويؤدي هذا عادة وفي خضم التنافس على الحصول على الخبر المثير إلى انحدار في المعايير المهنية ومستوى التحري والتدقيق مما يضخم من الأخبار الهامشية, ويعطي أهمية فائقة لأفراد وجهات غير ممثلة للتيار الأعرض من المسلمين.
لكن النتيجة هي أن أصوات أولئك الأفراد, نظرا لتطرفها وأحيانا غرائبيتها, تنتشر انتشارا كاسحا, وتكاد توحي بأنها التي تمثل الصوت الأكثر سماعا في أوساط المسلمين. لهذا فإن الإعلام والأصوات المتطرفة في أوساط الجالية المسلمة يتقاسمان المسؤولية في إثارة الخوف من الإسلام وتشويه صورته العامة ووصمه بـ(بالارهاب).
- ماذا قاله قادة اليمين عن (الإسـ)ـلام وماذا عن ارتباطه بالإر(هاب):

فرفض فرانكلين غرام وصف الإسلام بأنه "دين مسالم"،
ووصف جيري فالويل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأنه "إرهابي"،
وقال بات روبرتسون إن الإرهابيين لا "يحرفون الإسلام!! إنهم يطبقون ما في الإسلام".

- الكم والكيف:

كتب إدوارد سعيد يوم 2 أغسطس/آب 2003 في جريدة ذي غارديان البريطانية يقول "قد أتمنى أن أقول إن الفهم العام للشرق الأوسط وللعرب وللإسلام في أميركا قد تحسن (بعد 9/11)، ولكنه في الحقيقة لم يتحسن"، وأضاف أن رفوف المكتبات الأميركية بعد 11 سبتمبر/أيلول امتلأت بكتب عن الإسلام ولكنها كتب سيئة "مليئة بعناوين رئيسية صارخة عن الإسلام والإرهاب والتهديد العربي والخطر الإسلامي".

لكسر القالب وجبر الكسور لابد أن نعي :

أن اللجوء إلى التطرف أو العنف هو ظاهرة نفسية اجتماعية يمكن أن نجدها في كل المجتمعات شرقية كانت أو غربية، وقد تكون مرتبطة بالدين أو مستقلة عنه، وبالتالي لا يمكن بأي حال من الأحوال ربط الإسلام بالتطرف كما تتوهمه العقلية الغربية المتحاملة على الإسلام.

***

(نحن) ونبض الشارعين الغربي والعربي

ماذا يقول الشارع الغربي و العربي تجاه قضيتنا؟

وهل رؤيتهم للواقع تفوق رؤية أصحاب القرار؟!

هل العربي المغترب يحمل بين حناياه شوق لأرض أكثر خصوبة ونماء..

وألم لواقع يعلوه الجفاف..!

ومن منهم يرغب في الاقتراب من الآخر؟! أم كلاهما يفكر في دربه فحسب؟!

تساؤلات عدة اختزلناها في لقاءات هنا وهناك..

فما الذي قيل؟!!!

أجرت (أبجد حياة) لقاءات عدة..

وقد منحنا (جيراد خريت) رئيس وحدة التحكم بالأمراض المعدية (هولندي)..هذه الإجابات:

– فيم تفكر حينما تسمع كلمة (إسلام)؟ بالحروب والمجاعات!

– ماهي أبرز أخطاء العرب والمسلمين برأيك؟ عدم قبول الآخر.

– هل تعتقد أن تصرفات المسلمين في هذا العصر تمثل الإسلام الصحيح؟أعتقد ذلك.

– من يلجأ للعنف هل هو الإسلام أم المسلمين ؟ ولماذا برأيك؟

لا أفهم الفرق بين الإسلام والمسلمين لكن العنف موجود بالدين الإسلامي .

– هل تسعى للبحث عن معلومات حول الإسلام؟ وما هي مصادرك؟ التلفزيون و الكتاب.

– هل تعتقد أن الإسلام ظلم المرأة؟ ما الذي دفعك لهذا الاعتقاد؟ نعم هناك الكثير من الأخبار شبه اليومية عن قصص من المسلمين داخل المجتمع الهولندي وأحياناً تصل لحد القتل..

أما (جون هيبي) باحث الوراثة الجزئية (بريطاني) فكان هذا نصيبنا من إجاباته:

– فيم تفكر حينما تسمع كلمة (إسلام)؟ العراق

– هل تعتقد أن تصرفات المسلمين في هذا العصر تمثل الإسلام الصحيح؟ إذا قلت لي ما هو الإسلام الصحيح أستطيع أن أجيبك.

– من يلجأ للعنف هل هو الإسلام أم المسلمين ؟ ولماذا برأيك؟ الإسلام دين يعتمد على القسوة ولذا فإن من أفكار الإسلام قتل غير المسلمين..والإسلام لا يقبل الغير.

– ما رأيك بالصراع الاسرائيلي الفلسطيني؟ من أعقد القضايا الموجودة على وجه الأرض وأعتقد أن كلا الطرفين محقين ولهم أخطائهم.

– هل تسعى للبحث عن معلومات حول الإسلام؟ وما هي مصادرك؟لا أسعى لها ولكن لا أتحاشاها.

– هل تعتقد أن الإسلام ظلم المرأة؟ ما الذي دفعك لهذا الاعتقاد؟ نعم الإسلام والمسيحية واليهودية وجميع الأديان ظلمت المرأة فهل تستطيع أن تذكر لي امرأة تمثل دين!

- من هي أبرز شخصية يرتبط اسمها في ذاكرتك مع الإسلام؟ الله.(سبحانه وتعالى)
وأما (لاي) فني شبكات.. (الأمريكي) فقد قال حينما سألناه:
- فيم تفكر حينما تسمع كلمة (إسلام)؟ الإسلام يمثل التاريخ وجزء كبير من العالم.
- من يلجأ للعنف هل هو الإسلام أم المسلمين ؟ ولماذا برأيك؟ أعتقد أنهم المسلمين لأنهم يشعرون بالظلم.
- هل تعتقد أن الإسلام ظلم المرأة؟ ما الذي دفعك لهذا الاعتقاد؟ يبدو أنه يقيد حريتها.
- من هي أبرز شخصية يرتبط اسمها في ذاكرتك مع الإسلام؟ ابن لادن.
وكان لـ(دوبرا) أخصائية الأحياء الدقيقة (هولندية) رأي آخر:
- ماهي أبرز أخطاء العرب والمسلمين برأيك؟ لا توجد أخطاء معينة إنما الأخطاء توجد مع الإنسان.
- هل تعتقدين أن تصرفات المسلمين في هذا العصر تمثل الإسلام الصحيح؟نعم أعتقد ذلك.
- ما رأيك بالصراع الاسرائيلي الفلسطيني؟ صراع فيه ظلم من الجانبين
- هل تسعين الى الحوار مع المسلمين ومناقشة القضايا العالمية معهم؟ ليس بالتحديد ولكن إذا أتت الفرصة أحب أن أطلع على الثقافات الأخرى.
- هل تسعين للبحث عن معلومات حول الاسلام؟ وماهي مصادرك؟ أغلب مصادري البرامج الدينية عن الأقليات.
- هل تعتقدين أن الإسلام ظلم المرأة؟ ما الذي دفعك لهذا الاعتقاد؟ نعم تستطيع أن ترى شكل المرأة والحجاب والزواج.
- من هي أبرز شخصية يرتبط اسمها في ذاكرتك مع الإسلام؟ الله.(سبحانه وتعالى)
أما (دين مانس) الأمريكي فقد أجاب حينما سألناه:
- فيم تفكر حينما تسمع كلمة (إسلام)؟
أول ما يرد لذهني هو (الإرهاب).
ماهي أبرز أخطاء العرب والمسلمين برأيك؟
أنهم متخلفين اقتصادياً وتعليمياً.

- من يلجأ للعنف هل هو الإسلام أم المسلمين ؟ ولماذا برأيك؟

أعتقد أنه الإسلام ، فالكتاب المقدس ذكر كثيراً من الآيات عن الجهاد.

- ما رأيك بالصراع الاسرائيلي الفلسطيني؟

أعتقد أن الفلسطينين غير جادين بشأن السلام.

- هل تؤمن بأن الصورة التي يظهر بها العرب والمسلمين في السينما الأمريكية هي الصورة الحقيقية؟

أنا لست من السذاجة بحيث يغسل دماغي إلا أنني أعتقد أن الأفلام لها أساس من الواقع.

وعن (جيمس) نيويورك – أمريكا فكانت هذه إجابته:

- فيم تفكر حينما تسمع كلمة (إسلام)؟

دين عظيم.

- من يلجأ للعنف هل هو الإسلام أم المسلمين ؟ ولماذا برأيك؟

أعتقد أن المسلمين يناقشون مآسيهم بالطريقة الخطأ.

- ما رأيك بالصراع الاسرائيلي الفلسطيني؟

أعتقد أن على الجميع أن يكونوا شديدي الاهتمام بهذا الموضوع، فهذا مهم للسلام في وقتنا الحالي.

كما أرى أن الأمريكيين غير قادرين على الإمساك بزمام الأمور وغير فعالين في إيجاد الحلول لهذه القضية.

هل تسعى للبحث عن معلومات حول الإسلام؟ وماهي مصادرك؟

أرغب بمعرفة المزيد،حتى الآن فمعظم مصادري التلفاز والصحف.

ولكني أخشى ألا أحصل على الصورة الكاملة من خلالهما.

- هل تعتقد أن الإسلام ظلم المرأة؟ ما الذي دفعك لهذا الاعتقاد؟

هذا ما يبدو من الخارج،، ولكن على المرء أن يعرف المزيد حول ذلك ليعلق عليه.

-من هي أبرز شخصية يرتبط اسمها في ذاكرتك مع الإسلام؟

هذا سؤال صعب ، فلا أعرف أحداً!

وأما د/(ألكس فان بلكم) رئيس وحدة الأمراض المعدية والبكتيريا (هولندي):

- ما هي أبرز أخطاء العرب والمسلمين برأيك؟ التخلف العلمي و الدكتاتورية.
- هل تعتقد أن تصرفات المسلمين في هذا العصر تمثل الإسلام الصحيح؟ هل يوجد إسلام آخر لا نعرفه.
- من يلجأ للعنف هل هو الإسلام أم المسلمين ؟ ولماذا برأيك؟ لا أفهم الفرق بين الاثنين.
- هل تسعى للبحث عن معلومات حول الإسلام؟ وما هي مصادرك؟ الإنترنت-الكتاب-الإعلام-الأصدقاء.
- هل تعتقد أن الإسلام ظلم المرأة؟ ما الذي دفعك لهذا الاعتقاد؟أعتقد ذلك فإجبار المرأة على إخفاء الوجه فيه ظلم.
- هل تؤمن بأن الصورة التي يظهر بها العرب والمسلمين في السينما الأمريكية هي الصورة الحقيقية؟ لا.

وكان لـ(جم) مهندس (أمريكي) رأياً مختلفاً:

- فيم تفكر حينما تسمع كلمة (إسلام)؟ دين قوي.
- ماهي أبرز أخطاء العرب والمسلمين برأيك؟ التعلق بالتاريخ
- من يلجأ للعنف هل هو الإسلام أم المسلمين ؟ ولماذا برأيك؟ الإسلام لديه آراء قوية حول الجهاد.
- ما رأيك بالصراع الاسرائيلي الفلسطيني؟ الصراع طال أمده بسبب الحمق وغياب القيادة الرشيدة عند الجانبين.
- هل تسعى الى الحوار مع المسلمين ومناقشة القضايا العالمية معهم؟ أحب أن أتعرف على الإسلام أكثر.
- من هي أبرز شخصية يرتبط اسمها في ذاكرتك مع الإسلام؟ كريم عبدالجبار (لاعب كرة سلة أمريكي مسلم).

كما أجاب على أسئلتنا (آرد هوردس) أخصائي التحكم بالأمراض المعدية (هولندي)

- ماهي أبرز أخطاء العرب والمسلمين برأيك؟ عدم التسامح والحكومات الديكتاتورية.

- من يلجأ للعنف هل هو الإسلام أم المسلمين ؟ ولماذا برأيك؟ في كل الأديان هناك من يفسر على أهوائه.

- ما رأيك بالصراع الاسرائيلي الفلسطيني؟ إحدى الصراعات الذي يأخذ طابع الدين والمقصود به الأرض.

- هل تؤمن بأن الصورة التي يظهر بها العرب والمسلمين في السينما الأمريكية هي الصورة الحقيقية؟

لا أؤمن بالسينما الأمريكية إطلاقاً.

- من هي أبرز شخصية يرتبط اسمها في ذاكرتك مع الإسلام؟ محمد.

وأخيراً مع (ريموند هاموند) الأمريكي وإجابات مغايرة:

فيم تفكر حينما تسمع كلمة (إسلام)؟

مكة.

- من يلجأ للعنف هل هو الإسلام أم المسلمين ؟ ولماذا برأيك؟

لا أعتقد أنه الإسلام ، فبعض المسلمين يستغلون الإسلام لتعزيز قضيتهم.

ما رأيك بالصراع الاسرائيلي الفلسطيني؟

أعتقد بأنه من المهم للعالم أجمع أن يجلس كلا الطرفين لتوطيد العلاقات والأخذ والعطاء فيما بينهم.

- هل تسعى الى الحوار مع المسلمين ومناقشة القضايا العالمية معهم؟

أنا تواق للفرصة الملائمة لذلك.

- هل تسعى للبحث عن معلومات حول الاسلام؟ وماهي مصادرك؟

نعم، مؤكداً أتمنى معرفة المزيد.والقليل الذي أعلمه مصدره نقا شاتي مع أصدقائي المسلمين

- هل تعتقد أن الإسلام ظلم المرأة؟ ما الذي دفعك لهذا الاعتقاد؟

كلا على الإطلاق، فأعتقد أن المرأة المسلمة لديها العديد من المميزات..وتبدو أكثر سعادة واقتناع من المرأة الغربية في كثير من المجالات.

- من هي أبرز شخصية يرتبط اسمها في ذاكرتك مع الإسلام؟

لويس فرخان.

وقد علق د/وليد عبدالله مغترب عربي مسلم واختصاصي وراثة جزئية بهولندا على هذه الإجابات قائلاً:

في البداية يجب التفريق بين الإجابات المستقاة من أوروبا والأخرى من أمريكا وإن كنا نميل في تعاملنا اليومي إلى تسميتهم بـ(الغرب).

فالنظرة الأوروبية تختلف عن النظرة الأمريكية لأسباب واضحة ولكن دعونا نعود إلى التاريخ لمحاولة فهم هذه الفروق.فعلاقات المسلمين واحتكاكهم مع الأوربيين بدأ مع بداية الإسلام وخاصة في الحروب مع الروم.

وكانت نقطة الالتقاء الثاني عبر الحملات الصليبية وما تلا ذلك من عمليات الاستشراق، ويضاف إلى البعد التاريخي القرب الجغرافي حيث لعب دوراً أساسياً في معرفة الأوربيين وتعرفهم على المسلمين والعرب.

أما على الجانب الآخر فإن الأمريكيين عرف عنهم العزلة والجهل بالآخر حتى أن جيرانهم المكسيكيين يشكون جهلهم بهم وبالطبع لا نستطيع التعميم بكل الأحوال وإلا بذلك كررنا خطأهم في رسم صورة المسلمين والعرب.

لذلك يجب ألا نستغرب إذا وجدنا فروقاً بين المجتمعين ويجب أن يكون التعامل معهما مختلف.

أما عن النقطة الثانية والجديرة بالاهتمام فهي ورود اسم (الله) كشخصية إسلامية وفي اعتقادي أن السبب يعود إلى تأثير الديانة المسيحية فإن عيسى في حياته الدنيوية كان إنساناً (إله) وقد يكون هذا ما أوجد لبساً لديهم وهنا تتضح أهمية المعرفة بالآخر لكيلا تختلط النوايا وتطلق التهم من الجانبين دون أن يعي كل منهم ماهو عليه الطرف الآخر.

أما عن اعتقادهم أن المسألة الفلسطينية مسألة تحل بتقسيم الأرض بين اليهود والمسلمين (العرب) فقد يكون هذا هو الحل الأمثل من وجهة نظر إنسان بعيد عن القضية وهذه أبسط الحلول لإرضاء الطرفين!

فلا نغفل أن الإنسان بطبعه يميل للصلح والإصلاح إذا كان طرفاً غير مشارك.

وإذا أردنا الحديث عن ورود أسماء أخرى كشخصية إسلامية فهو بلاشك تأثير مرحلي من أثر الإعلام الغربي القوي على الإنسان المعاصر وخاصة الأوروبي والأمريكي وكان هذا واضحاً في إجاباتهم عن مصدر معلوماتهم عن الإسلام.

وأخيراً هذه وجهة نظر أشخاص بعينهم دون أن تكون تمثل المجتمع كاملاً.

ولكن هذه محاولة لقراءة ومعرفة أسباب الاختلاف والبحث عن نقاط الالتقاء بين الطرفين.

كما علقت د/ حنان عطاالله الاختصاصية وأستاذة علم النفس في جامعة الملك سعود قائلة:

إن الأجوبة مؤسفة وإن كانت تعكس واقعنا المؤلم،وجميل جداً أن نرى رأي الآخر فينا لأننا كشعوب مازلنا نتغنى ونتفاخر بأننا أفضل الشعوب وحان الوقت لنعرف أين نحن من الأمم.

لقد فات علينا التقييم الذاتي ولابد من صحوة قد تأتي:

- إما من الذات.
- وإما من الآخر.

إن الصورة التي تتضح في الإجابات صورة غير صحيحة عن الدين الإسلامي.

كدين يدعو إلى (التسامح) وإلى (تقبل الآخر).

إننا نملك الكثير من المشاكل في التعامل مع الآخر المختلف عنا لاشك.

كما أننا أضحينا أمة تعيش على الغير لا تملك حتى أحقية صنع سلاحها الذي تحارب به صانعها!

إن المحاربة الحقيقية تأتي عن طريق الإبداع والتقدم العلمي لا العنف والقتل.

إننا مجتمعات تعاني من (بارانويا الاضطهاد) إن صح التعبير وطالما أننا نعاني من هذا المرض الاجتماعي النفسي الخطير فإننا سنشير للغرب بأصابع الاتهام وبالتالي سنظل مشلولي الإرادة وسنقول كما قال إدوارد سعيد (الحسناء النائمة).

لقد حان الوقت أن ندرك أن هناك أديان أخرى متعددة وأن (الإسلام) وإن كان هو الأفضل فليس هو الوحيد.

وذاك المعنى تجسده الآية القرآنية (لكم دينكم ولي دين)

وأذكر مثالاً من واقعي يجسد الضعف لدينا في قبول الآخر حيث لي صديقة أمريكية قضت في المملكة العربية السعودية قرابة الـ 10 سنوات ولكنها ذكرت لي وبحسرة: أنها لم تتعرف على الشعب السعودي وقالت أعتقد أنكم شعب (غير صدوق)...!
وقامت bbc)) بإجراء استطلاع يتصدره السؤال التالي:
(ماذا ينبغي برأيك على المسلمين القيام به لتحسين صورتهم في أوروبا؟) وإليكم مقتطفات من هذه الإجابات:
*عثمان(السعودية): سؤال بسيط: هل هذه النظرة السلبية كانت قبل 11 سبتمبر أم بعدها؟ النظرة النمطية للإنسان العربي والمسلم موجودة منذ أبعد الأزمان وتغيرت صعوداً وارتفاعا في دروبه، ولنا أن نقرأ في أدبيات العصور الوسطى ليظهر لنا كيف كان يتم حشد الأوربيين للجهاد المقدس ضد الكفار. أعتقد نحن بحاجة أن نحسن صورتنا أمام أنفسنا لا أمام غيرنا.
*أحمد سيد أبوعطية(مصر): من موقع عملي في القطاع السياحي في مصر لاحظت فعلا النظرة السطحية التي ينظر إليها الأوروبيون إلى الإسلام! إنهم ينظرون إلى الإسلام على أنه من صنع العرب! بمعنى أن العرب هم من وضعوا قواعد الإسلام ويمشون عليها منذ أكثر من 1400 عام!! بل وسألني أحدهم: لماذا لا تغيرون قواعد الإسلام ليصبح أكثر تحضرا؟! فكانت إجابتي له: كيف تغير ما تعتقد أنه ليس من صنعك ولا من صنع البشر!
*أحمد نوفل(مصر): الأوروبيون لا يعلمون الكثير عن عالمنا والسبب في ذلك هو أننا لا نسعى إلى الاتصال بهم وإيضاح الصورة لهم. والعقلية الأوروبية سلسة ويمكنها الاستماع والفهم بشرط مخاطبتهم بالطريقة التي تناسب تكوين عقليتهم، لكن للأسف ونتيجة للقصور الثقافي في مجتمعاتنا فإن القادرين على التعامل مع الأوروبيين قلة نادرة وغالبا هم مقهورون في أوطانهم.
*أحمد صليحة (نيويورك): ليس من المهم أن نحسن صورتنا أمام الغرب، بل المهم أن نتحول إلى طرف فاعل منتج للحضارة والعلم والمعرفة مثل أشقائنا في الصين والهند الآن ،وحينئذ سوف نكسب احترام العالم بأكمله دون أن نضيع مليما واحدا على الدعاية الفارغة.

* ريني موفق(بغداد): أنا مسيحي من العراق وما يحدث الآن من تشويه صورة الإسلام حدث قبل ألف عام تقريبا عندما كانت الحروب الصليبية (التي كانت عارا على المسيحيين) تقتل وتفتك وتغزو البلدان باسم الله. هذا يحدث الآن ولكن من قبل متطرفين إسلاميين يشوهون الدين الإسلامي. فإذا كنت أوروبيا وأرى على التلفاز خمسة مسلحين يمسكون القرآن بيد ويمسكون السيف بيد أخرى ويقطعون رأس إنسان، ماذا تتوقعون مني أن أقول ؟

* توفيق عباس(مصر) إن تخلف المسلمين في جميع المجالات جعل الغربيين لا يحفلون بحضارتهم أو معتقداتهم أو علومهم وخاصة الدينية منها،كما أن قلة الهجرة العكسية من أوروبا إلى بلاد المسلمين واقتصرت على المختصين والمهتمين فقط بعلوم المسلمين.

*سعود الذويخ(الكويت):إن تلك النظرة للمسلمين، تنم عن السطحية التي يتمتع بها نظر الأوروبيين إلى الإسلام، ويعذرون في ذلك لأن المسلمين لم يقوموا بواجبهم نحو إعطاء الصورة الحقيقية للإسلام.

*ليلى(دمشق): لغياب العرب إعلاميا بالإضافة إلى الصورة المشوهة التي يتلقاها الطفل الغربي في كتب التاريخ وأفلام الكرتون عن البربرية الإسلامية ووجود عدد من المسلمين في الغرب من الذين يكفرون بقيمهم و يتبارون في التبرؤ من تاريخهم كأسهل طريق للحصول على إقامة.

أما الإجابات على السؤال التالي فجاءت كما يلي:

هل ترى أن الدول الإسلامية تتحمل جزءا من المسؤولية عن توتر العلاقات مع الدول الغربية، أم أنك تحمل الغرب فقط مسؤولية هذا التوتر؟

*يحيى حسين(الكويت) هنالك عدة أسباب لهذه الفجوة:

أولاً:الجاليات الإسلامية المتمكنة هناك لم تنجح لا باحتواء الدوائر الحكومية الغربية كما فعل اللوبي الصهيوني ولا تحييدهم على الأقل ولا إيصال المفهوم الإسلامي الصحيح.

ثانيا: لا يوجد ارتباط أو أي تنسيق وثيق بين الحكومات العربية والجاليات الإسلامية بدول الغرب للتشاور بل بكل الأسف ربما يتم النظر إليهم كجهات معارضة .

*مالك أبومالك (لبنان):انه صراع بين من يريد أن يكتشف النجوم وبين من يريد أن يكتفي بعدّهاّ..

*حارث الأعظمي(بغداد) عشت أنا شخصيا خلال السبعينات والثمانينات في بريطانيا كممثل للجالية العربية والإسلامية في اتحاد الطلبة البريطاني حيث كانت العلاقة بين الطلبة المسلمين وبقية الجاليات الأوربية المتنوعة في ذلك الاتحاد على أروع ما يكون. أما اليوم فنرى الصورة مختلفة تماما. فالطالب العربي ينظر إليه بعين الريبة والحذر، والزائر العربي والمسلم يعامل بأسلوب غير لائق في المطارات الأوربية ومنذ لحظة الوصول!

*صلاح الفضلي(الكويت): اعتقد آن المشكلة تكمن في الإعلام من الطرفين، يغذيها بعض المثقفين. فالغرب يصورون العرب على أنهم قتلة إرهابيين والمثقفين العرب يصورون الغرب علة أنه ارض فساد و مجون.

*أبوعلي(بغداد) علينا مواجهة أنفسنا بصراحة والبحث عن عيوبنا. أن محاولة إلقاء اللوم الأكبر على الجانب الأخر ليس بصحيح.

*أحمد سعودي في (بريطانيا) اعتقد أن أسباب هذا التوتر هي عدم فهم ثقافة البعض للآخر وعدم احترام خصوصيات الشعوب. طبعا الإعلام قد يساعد في توسيع الخلاف وقد يجمع بين أطراف الصراع.

*محمد عادل(القاهرة): لمن يريد أن يعرف كيف يتم ردم الهوة بين العالم الاسلامي والغرب يمكنه أن يجد الإجابة الشافية لدى الصينيين. فرغم كونهم العملاق القادم ورغم قوتهم، فقد احتلوا العالم وغزوا كل بيت فيه بمنتجاتهم عالية الكفاءة زهيدة الثمن.

*نصيرة سعودي جزائرية تقطن فرنسا:"نشعر وكأن أصابع الاتهام تسدد لنا، فالمسلمون الذين يعيشون هنا في فرنسا يشعرون وكأنهم يُحمّلون بشكل ما مسؤولية مناخ عدم الأمن الذي يسود أنحاء كثيرة من الغرب الآن".

وتقول "إذا سمعت ما يقوله الفرنسيون في مارسيليا حينما يختلون إلى بعضهم البعض عن العرب فستجد عبارات عنصرية،ومن الصعب جدا العثور على وظيفة إذا كان اسمك عربيا.."

ومن نبض الشارع إلى رؤية الدراسات والأبحاث..

فقد أجرى باحثون أستراليون دراسة تعتمد على استطلاع شمل خمسة آلاف أسترالي وكانت النتيجة تفيد بأن (هناك مشاعر قوية مضادة للمسلمين في أستراليا).

وتصف الدراسة المسلمين بأنهم أحد أكثر الجماعات الدينية والعرقية (تهميشا)، مع وجود الكثير من الأستراليين ممن يؤمنون بأن المسلمين وجميع القادمين من الشرق الأوسط لا يصلحون للعيش في أستراليا!

وقال أكثر من نصف الذين شملهم الاستطلاع إنهم لا يرغبون بزواج قريب أو قريبة لهم بمسلم أو مسلمة.

ويلقي الدكتور (كيفين دان) من جامعة ساوث ويلز الذي سيعرض نتائج البحث في مؤتمر حول الهجرة يعقد في سيدني باللائمة على طريقة وسائل الإعلام في تقديم المسلمين وكراهية الغرب للإسلام.

وقال إن المسلمين يواجهون آراء جامدة تتهمهم بالموقف السلبي من المرأة والتمييز بين الجنسين.

كما أوضحت دراسة قام بها معهد العلاقات الدولية الألماني ان الصورة التي يحملها أغلب الأوروبيين عن المجتمعات الإسلامية سلبية الى حد كبير.

وطرح المعهد سؤالا وهو "ماذا تفكر عندما تسمع كلمة اسلام؟" على عينة تمثل أفراداً ينتمون إلى مختلف الشرائح الاجتماعية، وكانت إجابات نحو ثلاثة أرباع المشاركين أن الإسلام يعني النسبة لهم قمع المرأة والتطرف والإرهاب،ولم يقدم إلا نحو ربع المشاركين إجابات تعكس رؤية افضل للإسلام.

وأوضح باحثون أوروبيون وعرب في ندوة عقدت بمعرض فرانكفورت الدولي للكتاب لبحث هذا الموضوع ان هناك نظرة سطحية شائعة عن الإسلام في أوروبا لا تشتمل على جوانب حضارية وإنسانية كثيرة في الإسلام.

كما قالت وفود نساء مسلمات في مؤتمر عالمي حول المرأة والإسلام في مدينة قرطبة الإسبانية إنهن تعبن من تصويرهن طوال الوقت في صورة الضعيفات مسلوبات الحق.

وقلن إن قرار ارتداء الحجاب أو غطاء الرأس يصور دائما على أنه مركز اهتمامهن في حين أن لديهن في الواقع عدة موضوعات أخرى هي التي تشغل بالهن.

،،،،،،

مشاهدات وجهود لتصحيح الصورة وبناء الجسور

إننا هنا نطل عبر نافذة صغيرة على (بعض) الجهود التي ساهمت وما تزال تقدم للصورة الإسلامية والعربية في العالم بصمات تعلن عن وجود حقيقي متزن وفعال في فكر الآخر عنا..

* جهود فردية في ألمانيا لتصحيح صورة الإسلام..

يقول (أحمد زايد) أستاذ بقسم الدعوة الإسلامية بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف: :

هناك جهود للتصحيح، لكنها فردية، فقد رأيت مثلا مسلمين فى (ألمانيا) يسعون للوصول إلى كل الأماكن لتصحيح صورة الإسلام –حتى فى الكنيسة– وهناك يقومون بعرض الإسلام والتعريف بحقيقته، وهذا هو محور تركيز المسلمين الآن.. هناك أيضا يتاح للمسلمين الذهاب إلى المدارس غير الإسلامية لعرض الإسلام، ويحدث هذا فى أمريكا بشكل كبير، ومن التجارب أيضا ما رأيته فى المركز الإسلامى فى ألمانيا الذى يقوم بإصدار نشرات توزع على الأفراد فى الأماكن الحكومية لعرض الإسلام.

* رحلة:

(رحلة) برنامج تلفزيوني قدمه الأستاذ (حمزة يوسف) الذي يعمل مستشارا للبيت الأبيض وللجامعة العربية للشؤون الإسلامية، وهو مؤسس معهد الزيتونة في كاليفورنيا، كما أنه أمريكي المولد واعتنق الإسلام.

و يصاحبه مجموعة من الشباب المسلم العربي..

يتضمن البرنامج جولات في أمريكاوكان خط سيرهم يمر نيوميكسيكو، فيلاديلفيا، بوسطن، نيويورك، واشنطن، شيكاغو، سان فرنسيسكو يلتقون فيها بالمسلم وغير المسلم مسيحياً كان أم يهودياً.

وكانت من أهم أهدافهم في البرنامج معرفة آراء الشعب الأمريكي عما يحدث في العراق، وعن رأيهم في الإسلام والمسلمين. وهنا تابعنا عن كثب رأي الآخر فينا ورأينا نماذج المسلمين الرائعة هناك..

كانت رحلة جسراً جديداً يمتد إلى هناك يحمل معه وإلينا (جهداً) يتسحق التقدير.

* مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير):

يعتبر اكبر منظمات الحقوق المسلمة الأمريكية ولـ(كير) 29 مكتبا وفرعا اقليميا وتهدف الى زيادة فهم المجتمع الأمريكي للإسلام وتشجيع الحوار وحماية الحريات المدنية وتقويه المسلمين الأمريكيين وبناء التحالفات المعنيه بنشر العدالة.

قامت المؤسسة بنشر معلومات تعزز قوى المسلمين الأمريكيين وتزيد من وعيهم السياسي والحقوقي والإعلامي، كما استخدمت كير قوة قواعدها الجماهيرية لمواجهة الأفكار التي تثير الخوف من الإسلام والمسلمين.

ولا نغفل أن جهودها تتركز في منطقة مهمة في خريطة العالم.

سنورد (قطرات) من بحرهم هنا ..

قامت (كير)بحملة علاقات عامة وجماهيرية واسعة لتوعية الرأي العام الأمريكي بأخطاء وأضرار فيلم (الحصار) الذي أنتجته شركة أفلام (th Century Fox20) والذي يصور المسلمين والعرب كخطر حقيقي على المجتمع الأمريكي، فالفيلم الذي تم تصويره في " بروكلين" بمدينة " نيويورك" يحكي عن مؤامرة تفجيرية ينوي المسلمون القيام بها مما كان سببا لقيام الجيش الأمريكي بإعلان حالة طوارئ عسكرية وتنظيم معسكرات اعتقال جماعية ضد المسلمين والعرب الأمريكيين!

وبدلا من تنظيم حملات الاحتجاج التقى مسئولو كير بمنتجي الفيلم لمناقشة مخاوف كير من النتيجة السلبية المحتملة التي قد يتركها الفيلم على مسلمي أمريكا وعلى الرأي العام الأمريكي ورؤيته للإسلام وللمسلمين، واستجابة لتحليلات كير حول الفيلم وافقت شركة (th Century Fox20) على إدخال بعض التعديلات الطفيفة على مشاهد معينة، ولكنها رفضت إعادة النظر في الحبكة الدرامية للفيلم، فقد ادعت الشركة أن الفيلم يناهض فكرة الخوف من الإسلام ويعارض مبدأ انتهاك الحكومة للحقوق الدستورية، لذا رفض مسئولو كير هذه المبررات. وطالبوا المسلمين

الأمريكيين بتنظيم مظاهرات سليمة أمام دور العرض السينمائي التي عرضت الفيلم لتوزيع معلومات عن الإسلام ولتوزيع تحليلات للفيلم وأضراره، ونال هذا التحرك الإيجابي إعجاب المراقبين، كما سجلت العديد من وكالات الأخبار أن مبيعات الفيلم خسرت 20 مليون دولارا أمريكيا.

كما أننا لا نستطيع إغفال ما انتشر من مشاعر عداء ضد المسلمين على شبكة الإنترنت عام 1998، وبالتعاون مع شركة AOL ساعدت كير في إيقاف موقع إنترنت حاول تقليد القرآن، وقالت شركة AOL إن الموقع يخرق قواعد الخدمة التي توفرها لكونه صمم بشكل واضح للإيذاء والتشهير.

وفي حادثة هامة أعلنت كلا من كير وشركة Nike للمنتجات الرياضية قرارا بشأن قضية حازت على اهتمام شعبي وإعلامي واسع، إذ صممت الشركة خطئا شعارا على أحد أحذيتها الرياضية يشبه لفظ الجلالة " الله" باللغة العربية

وبعد مفاوضات استطاعت كير وشركة " نايكي" حل الخلاف بينهما بوضع شروط ثنائية وافق عليها الطرفان، وتضمن الاتفاق أن تقوم شركة " نايكي" بالاعتذار على التصميم المسيء وبسحبه من الأسواق العالمية، وكذلك قيام نايكي بإدخال التعديلات الإدارية المناسبة التي تضمن عدم وقوع إدارة التصميم بها في مشاكل مشابهة في المستقبل.

وقد أصبحت قضية Nike من القضايا الشهيرة في وسائل الإعلام الأمريكية حتى أنها باتت تدرس في كلية التجارة والأعمال بجامعة "جورج واشنطن"، كما ظهرت في العديد من الكتب الدراسية الأمريكية الخاصة بعلم التسويق.

إن هذه الأمثلة لم تكن إلا نماذج للعديد من النقاط المضيئة في طريقهم والمحاولات (العملية) لتصحيح صورة العرب والمسلمين في أمريكا..فهل نتابعهم؟ ندعمهم؟ نمد لهم يد العون في الغربة؟!

Http://www.cair-net.org

* اهتمام الغرب بالسينما الإيرانية مؤشر مدخل للتصحيح!

تقول (ذيبا مير حسيني) التي حصل فيلمها الأول والوحيد، الطلاق على الطريقة الإيرانية، على عدد من الجوائز، أخذت مكانها بين نحو ثلاثمئة جائزة حصدتها إيران في السنوات العشر الأخيرة في حديث لها مع بي بي سي أونلاين.

(إن السبب يكمن في أن السينما الإيرانية تقدم صورة مناقضة ومخالفة للصورة التي يحملها الغرب في مخيلته للجمهورية الإسلامية وللإسلام بصورة عامة. فالأفلام الإيرانية تعكس مجتمعا إنسانيا لأبعد الحدود مليئا بالفلسفة والعمق والتناغم الشعري، كما أن بها بعض القيم التي يقدرها الغرب.)

سبب آخر كما تقول ذيبا هو أن السينما الإيرانية تقدم أفلاما مختلفة عن نوعية الأفلام التي تنتجها هوليود، أفلاما غنية بالمشاعر الإنسانية وتعطي لمحة عن مجتمع مختلف مغلق أمام الغرب منذ عشرين عاما..

وهنا إن كان المجتمع الإيراني منغلقاً منذ عشرين عاماً فماذا عن مجتعاتنا الإسلامية ككل التي أغلقت في (إيطار)

يحتاج قوة إعلامية لكسره!

ومن أين تأتي قوة العمل إلا من قوة (الأفراد) بعد خالقهم...

وحينما تصطف النقاط تصبح خطاً..وإن شئنا فقد يكون مستقيماً أيضاً.

ومن الجانب الآخر كيتي زيجلمانز، وهي أستاذة بجامعة ليدن الهولندية ومن المهتمين بالسينما الإيرانية. تقول: السينما الإيرانية بها غموض غريب وإثارة، كما أنني كمشاهدة غربية لا أستطيع الإمساك بالمعنى الذي يريد المخرج التعبير عنه، صحيح أنني أدركه من الناحية المعنوية لكن لا يمكنني وضع يدي عليه أو لمسه ..

،،،،،

معاً لحلول (عملية)

إن تصحيح صورة الإسلام في العالم وتخليصها من كل ما يشوبها.

هو من المهام المستعجلة المطروحة بل (الملزم) بها المسلمون؛ لأنه لا يمكن لهذه الفجوة بين المجتمع المسلم العربي والآخر أن تستمر في التعمق لدرجة يصعب معها التحكم في الأوضاع العامة والاستقرار الاجتماعي والتعايش بين المسلمين وغيرهم

في العالم، كما أن الدين الإسلامي (طهر) يتحتم علينا تبيان حقيقته رغم أنف أخطاء أبنائه..

إن الاستبصار بحقيقة المشكلة وأسبابها..

سواء كانت الأسباب من أحد الطرفين أو كلاهما هو البداية (الصحية) للعلاج الأمثل.

ويذكر المستعرب الياباني (نوبوآكي نوتوهارا) في كتابه (العرب وجهة نظر يابانية) أثناء رحلاته للعالم العربي أنه كانت ترافقه أسئلة بسيطة وصعبة على حد قوله هي:

" لماذا لايستفيد العرب من تجاربهم؟....نحن نعرف أن تصحيح الأخطاء يحتاج إلى وقت قصير أو طويل. فلكل شئ وقت ولكن السؤال هو :كم يحتاج العرب من الوقت لكي يستفيدوا من تجاربهم ويصححوا أخطائهم، ويضعوا أنفسهم على الطريق السليم؟ "

هل بإمكاننا فقط أن نثير تساؤله في نفوسنا ومن ثم نشرع بخطى متفائلة نحو (بعض) الحلول:

*تجديد الخطاب الإعلامي الإسلامي والعربي:

اللغة إن لم تكن حاجز فهي ثغرة وإن لم تكن ثغرة فهي مطلب..

أياً كانت ماهيتها فهي (ضرورة)..

وهناك ضرورة للاعتراف بقصور(شديد) في الخطاب الإعلامي العربي والإسلامي الموجه نحو الآخر.

إن العالم الفضائي العربي مغمض العينين ليس بالضرورة أن يغمضها أحدهم فقد تكون هي لا تريد أن (ترى)!

وهنا علينا أن ندعم الوعي بضرورة (الإبصار) و(الاستبصار) بحقيقة برامجنا، حواراتنا وحتى مسلسلاتنا..

هل الترجمة المكتوبة لمادتنا الإعلامية وعرضها في القنوات العالمية (معضلة)..

وهل تنفيذ برامج بلغتهم وبمضموننا مهمة مستحيلة!

وهل أجبرنا على استخدام (مصطلحات) فرضت علينا.

وهل مازلنا نفكر هل (الساندوتش) شاطر ومشطور وبينهما طازج كما أراده مجمع اللغة العربية!

*الحوار:

إن الحوار وبناء جسور الثقة والتفاهم يمنح (الفهم) الذي نسعى له لتكتمل الصورة الناقصة في ذهن كل منهما. كما أنه يعزز التوجهات الإيجابية بين الطرفين.

في حين تكون القطيعة ومحاربة التوجهات الدينية، والخوف من الإسلام، والقناعة المعممة بأن الغربي فاسد ومتآمر غير مبررة وليست مقبولة ثقافياً ودينياً!

إن فتح حوار حضاري وثقافي وديني حقيقي بين الديانات والحضارات بين الإسلام والغرب، دون أي استعلاء، ومع الاعتراف المتبادل بالمساهمات المشرقة التي قدمها كل منهما في إطار بناء الحضارة الإنسانية؛ والاقتناع المتبادل بأن المشروع الحضاري المعاصر يحتاج للمساهمات الغربية، كما يحتاج أيضاً للمساهمات الرائدة للإسلام حضارياً وثقافياً وأخلاقياً.

ولا يمكن لهذا الحوار الحضاري أن يحقق أهدافه وطموحاته المتوقعة ما لم تراجع وسائل الإعلام والاتصال الغربية سياسة فرض إقتران وهمي بين الإسلام والإرهاب، كلما تعلق الأمر بحادث أو أزمة طارئة.

وحتى يفتح المسلمون ذهنهم للآخر دون الانسلاخ عن مبادئهم،كما أن عليهم أن يكونوا المصدر الفاعل لا المدافع فحسب.

*لماذا ننتظر من (يدافع) .. فيم نملك سلاحاً آخر لإظهار الحقائق؟!

إن تشكيل العرب والمسلمين في (العالم) – هيئات وأفراد – قوى ضاغطة ترفع صوتها مدافعة عن صورتها وهويتها بدلا من انتظار آن يبادر الآخر بالدفاع عنها أو بمهاجمتها ضرورة حتمية..

وضرورة عدم الانتظار لا تعني ألا نمد أيدينا مصافحة للآخر الذي يسعى للتصحيح والمبادرة لإظهار الحقيقة..

فهناك منهم من يدعم قضايانا ويشارك في محو التشويه الذي يعكر صفو ملامحنا الإسلامية.

*(الكتاب)ات:

دعا (د/ عبد القادر طاش رئيس تحرير صحيفة البلاد السعودية سابقاً) إلى "ضرورة صناعة صورة بديلة جديدة ربما كان الغرب بعد أحداث سبتمبر أيلول يبحث عنها. وهو ما يشهد عليه الإقبال الكبير على (الكتابات) التي تتحدث عن الإسلام في المرحلة الراهنة."

كتاب أم كتابات أياً كانت..

في صحفنا و صحفهم..لنسمعهم صوتاً مسلماً و عربي..

مضمونها،إقناعه،قوته وأولاً وأخيراً (صدقه) هو المفتاح الذي سيفك الكثير من الطلاسم التي تجهل حقيقة الإسلام والمسلمين.

* نملك (قيماً) يفتقدها كثر فلنبدع فيما لدينا:

إننا نملك مجتمعاً يحوي قيماً شتى وأبعاداً مختلفة وثقافة إسلامية نراها في دقائق الأمور إن أردنا تصفية العدسة التي ننظر بها لمجتمعنا.

وعليه فإن التدقيق فيما حولنا يعطينا شارات ومداخل لمنح الآخر الأفضل بل لمنح أنفسنا فرصة تنفس الهواء النقي في مجتعاتنا الإسلامية والعربية.

كما أن كل ذا (تخصص) يملك الكثير والكثير في مجال تخصصه..

خيرات الأرض،خيرات الفكر،خيرات اليد الإنسانية معولاً أو قلماً جميعها عناصر نملكها فمتى التنفيذ؟

*الخلافات المذهبية ماذا تفعل هناك؟!

مشكلة الخلافات بين المسلمين خارج العالم الإسلامي تأتى نتيجة نقلهم أخطائهم الاجتماعية والفكرية من بلادهم إلى البلدان الجديدة التي نزحوا إليها، وذلك فضلا عن الخلافات المذهبية فى فهم الدين الإسلامى ومقاصده والتركيز على الخلافات الفقهية في الفروع!

إن (طريقة) الجدل المذهبي لدينا قضية بحد ذاتها..وما ويزيد الأمر صعوبة أن حرية التعبير التي تُمنح لهم هناك تُستغل لتمتد الخلافات..وتكن حينها أخطاء (المسلمين) طاغية على حقيقة (الإسلام)..

وبذلك نشارك في ظلم ديننا وأنفسنا ونظرة الآخر لنا الذي لا يملك إلا ما يرى وما يروى.

.إذا تجاوزنا عن إشكالية المصدر وأخطاء النقل المشوه.
]علينا أن نراعي أننا (نمثل) الإسلام وليس مذهب فحسب[.
* هل يتعلم المسلمون مما يجري شيئاً؟
تعلم المسلمون دروساً بعد الحادثة المفجعة في (أوكلاهوما)، وعرفوا أن سبب اضطهادهم هو شبهة تعميم تورط المسلمين في حوادث الإرهاب، وتنفسوا الصعداء حينما انكشفت هوية الفاعل، وبذلك تزعزعت الفرضيات الخاطئة والشائعة عند عامة الغربيين، عن تحميل المسلمين مسؤولية العنف في العالم.
وفي نفس الوقت كشفت حادثة أوكلاهوما، المخاطر الحقيقية التي يتعرض لها المسلمون بسبب هذه الشبهة. ولو لم يتم إلقاء القبض على الجاني بفترة زمنية قصيرة، لدفع المسلمون ثمنا فادحا لهذه الشبهة وبمرات مضاعفة، كما يدفعونها الآن بعد أحداث نيويورك وواشنطن.
إن ما جرى وما يجري مؤشر بل جرس (نداء) لا (إنذار) لضرورة العمل في إيجاد مخرج من الدائرة التي تحيط بالمسلمين.
إن (الجهد) لا يضيع..ولكن هل بدأنا ببذل الجهود حقاً..؟
إن كانت الإجابة بلا..فإلى متى..
وإن كانت الإجابة بنعم...فلنبحث عمن يعمل ولندعم (معنوياً، مادياً) بدل من أن نتسابق في التصويت على الفضائيات العربية!
* هل نحن ترجمة للآخر:
الإعلام ليس عبارة عن مجموعة واحدة متجانسة، فتغطية الإعلام البريطاني لحدث ما أو موضوع إسلامي، يختلف عن تغطية الإذاعات الفرنسية وكليهما يختلفان عن الأعلام الإيطالي أو النرويجي أو الأمريكي لنفس الحدث، كل حسب توجهاته وسياسة كل دولة.
فلماذا إعلامنا ترجمة للآخر وليس ترجمة لنا ليفهمنا الآخر.!
*الفهم لواقعنا (واجب شرعي):
(الصورة لن تتحسن طالما لازالت هناك رؤى خاطئة للنفس وبالتالي للمجتمع خاصة مع المسافة المتناقضة بين (الرؤية الذاتية) والتي تعتمد على القراءة الخاطئة للذات

وبين (الرؤية المجتمعية) التي تعتمد على الرؤية النقدوية للمجتمع بمعنى أن الفرد الذي لا ينتقد ذاته أو سلوكه هو ذاته الذي قد يجتهد في نقد مجتمعه بتناقض ملحوظ،إن الوقوف على هذا التناقض بقراءة واعية كفيل بالمساهمة في تحسين الصورة) هذا ما ذكرته الأستاذة غادة الخضير الكاتبة والمحاضرة في قسم علم النفس بجامعة الملك سعود لـ(أبجد حياة) حول مدى إمكانية العقل العربي الإسلامي في فهم واقعه المعاصر.

وهنا نحن نبحث تلك الرؤية لدى الآخر علها (محفزاً) لإدراك الحقائق.

*الجاليات المسلمة سفراؤنا في العالم:

إن واجب الدفاع عن الإسلام وتحسين صورته في الغرب، يفرض على الجاليات المسلمة في أوربا العمل على:

- ترشيد الصحوة الإسلامية وتوجيه شبابها المؤمن نحو منهج الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمرتكزة على مبدأ الاعتدال والحوار والوئام دون مغالاة أو تشدد أو تعصب.

وذلك تحقيقاً لقوله تعالى:

{ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً}.

- العمل لإيجاد مناخ اجتماعي تَسَاكُنِيّ خال من كل ما يمكنه أن يضرّ بالعلاقات الطيبة بين الجاليات المسلمة وغيرها، مناخ يعمّه الاستقرار والطمأنينة والتعاون. غير أن على الجالية المسلمة المدعوة لمراعاة قوانين البلاد التي تعمل فيها، وتستفيد في إطار أنظمتها التشريعية والقانونية وعوائدها وظروفها، أن تعمل على تحصين هويتها الإسلامية وعقيدتها الدينية ومقوماتها المتميزة وحقوقها الاجتماعية المشروعة.

- العمل أيضاً لتكثيف الجهود وتنسيقها بين كل العناصر المسلمة وقادة الرأي في العالم، وذلك في إطار العمل الإسلامي المشترك، ومحاولة التخلي عن أسباب الخلافات والصراعات التي لا تفيد الإسلام والمسلمين، وذلك عملاً بقول الله عز وجل { واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا }.

- التواصل (المستمر) مع المؤسسات الإسلامية والعربية داخل المجتمع الغربي لاستقاء الجديد و(الأصح) عن عالمهم ولدعم الجهود المبذولة والمشاركة في تغيير الصورة.

*استطلاعات (الرأي) العامة أولى الخطى نحو التصحيح:

وذكر لـ(أبجد حياة) د/ وليد عبدالله اختصاصي وراثة جزئية:

(أن فهم الفرد العربي المسلم لصورته لدى الآخر لن يكون إلا بإجراء استطلاعات رأي عامة وشاملة من مصادر مختلفة لبدء مسيرة التغيير بنظرة الآخر عن الإسلام والمسلمين.)

وهنا يتضح مطلب علمي منظم وتغيير (حقيقي) حتى في أسلوب العلاج الذي يستخدمه المجتمع الإسلامي العربي لتصحيح صورته.

*الطفل .. لبنة الجيل الجديد:

نفتقد الرسوم المتحركة ذات الطابع الأخلاقي الناضج.

والتي ترسم للطفل العربي المسلم النموذج الذي يتطلع و(يعمل) لأجله..

الطاقات الشابة التي يتمتع بها العالم الإسلامي والعربي لابد تحمل بين حناياها..

حلماً يستحق التنفيذ..

*الرسائل الموجهة للصحف وماذا يقول (القصيبي):

ذكر د/غازي القصيبي في كتابه (حياة في الإدارة):

(أن هناك مكتب متخصص في إعداد]رسائل موجهة للصحف[في لوس أنجلوس وفي كل مدينة أمريكية.

وبوسع كل متعاطف مع إسرائيل يرى مقالاً لا يعجبه عن اسرائيل أن يرسل المقال إلى المكتب،وفي خلال 48 ساعة يصله رد جاهز بالأرقام والتواريخ وماعليه إلا توقيعه وإرساله إلى الصحيفة المعنية.

هذا مايفسر لنا أنه يستحيل أن ينشر أي مقال ضد اسرائيل في أي صحيفة أمريكية دون أن تصل هذه الصحيفة عدة ردود (عقلانية) تعترض على المقال.

كثير من العرب يكتبون رسائل إلى الصحف ولكنهم يكتبونها بطريقة انفعالية تحول بينها وبين النشر، أو تسئ إلى القضية أكثر مما تخدمها إذا نشرت.

كتابة الرسائل إلى الصحف فن قائم بذاته،لاعلاقة له بالبلاغة، ولا بعدالة القضية).
هل نحتاج هكذا مكتب؟! أم هل نملك إنشاء مكتب مماثل؟!
وهل إنشاءه ضرب من المستحيل!

==========

#قراءة في كتاب (مقدمات الاستتباع) (2/2)

د. بدران بن الحسن 1426/8/14
2005/09/18

في الحلقة الأولى من هذا المقال تناولنا أهم المحاور التي ركّز عليها كتاب (مقدمات الاستتباع) من خلال التصدير والمقدمة، وفي هذه الحلقة نتناول أهم النقاط الواردة في بقية الفصول.

ففي الفصل الأول من الكتاب تناول الكاتب مظاهر نشوء النظام الغربي مركزاً على كيفية اشتغال القوانين الجديدة التي تحكمت في الحملات التبشيرية والمهام التي كُلّفت بها لغزو ما سُمّيَ بالشرق وتشويه صورته، ثم أبرز كيف انخرطت الدول الغربية، لحل مسائلها السياسية الداخلية، في الحملات التوسّعيّة ما قبل الاستعمارية فيما وراء البحار، ثم كيف أسهمت في إضعاف الإمبراطورية العثمانية –التي كانت تشكل تحدّياً سافراً للغرب آنذاك– وترسيخ الانشقاقات الطائفية والعرقية والقبلية والإقليمية بين الجماعات المتعايشة في ظلها.

وفي خمس نقاط يتناول النشوء والنماء الذي سار عليه النظام الغربي؛

ففي النقطة الأولى يتناول عملية التداخل بين السلطة الدينية للكنيسة مع الغزوات التجارية (المركنتيلية)؛ إذ ستتبلور (أيديولوجيا) تجعل من الربح قاعدة لـ"التقدم"، ومن المبادلة الحرة أداة أكثر فعّالية وضمانة لـ"الحضارة"، وذلك حين تحوّلت التجارة عند التجار وأصحاب المصارف إلى "فضيلة"، والمال إلى "صنم" بوصفهما شرطين أساسيين لضمان "النجاح" في الحياة العملية. (ص 28).

وفي مسار تشريع اللاهوت للناسوت "المركنتيلي" اضطرت كل الكنائس أن تتكيّف مع التنمية الخارجية للروح التجارية أو التشجيع لها، ثم الأخذ بالعقلية الصناعية...

لقد أوجدت الرأسمالية روحها الخاصة، ووضعت الكنائس أمام ضرورة الاندماج بالقانون الطبيعي (للدولة–الأمة) (ص35–36).

وفي النقطتين الثانية والثالثة: تناول الصراع الذي حدث بين الكنائس على الشرق ودخول البروتستانت (protestant) حلبة المنافسة لما كان للمراسلين الكاثوليك من نشاط مكثف، وفي خِضَمّ هذا الصراع كان نشر "الإيمان المسيحي" يجري من خلال ثلاث قنوات: الصحافة والإرساليات ثم الطباعة لكونها وسيلة فعّالة لنشر الأفكار. (ص45).

أما النقطة الرابعة فيتناول فيها اشتداد الهيمنة الأوروبية على الشرق الأوسط في مختلف المجالات في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر، بخاصة في عهد محمد علي باشا إثر الشروع في "التنظيمات" الإصلاحية عام 1839م.

وقد قدم المؤلف في هذا السياق حشداً من المعلومات عن الإرساليات الغربية وعن أنشطتها المتشعبة والفعالة بين أهل الشرق، مبيناً ارتباطاتها المباشرة بإستراتيجيات الدول الغربية.

وأما في النقطة الخامسة فقد تطرق الباحث إلى النتائج الضارة التي سبّبتها الإرساليات الأجنبية بمختلف أنشطتها سواء للمسلمين أو للمسيحيين الشرقيين أو غيرهم؛ إذ في إطار التوسع الاستعماري وترسيخ دعائم السيطرة الأوروبية في وعي الأهالي، خاصة باحتواء الأقليات الدينية والمذهبية والإثنية، ثم استقطابها، ثم عزلها وجعلها معادية لقيمها ومحيطها الديني الثقافي والحضاري.

وكانت أهم هذه النتائج الضارة تتمثل في: تأصيل الطائفية، وتفاقم الصراع بين الجماعات، وغرس المشروعين الانفصاليين الماروني، واليهودي.

فمن أجل تأصيل الطائفية، أنشأ النظام الغربي قاعدة للطائفية بزرعه لفكرة "الدولة – الأمة" (nation-state) المجسّد للطائفية نظاماً اجتماعياً، وقد رُبِطت هذه الدولة عمودياً بدول المركز وبعجلتها الاقتصادية، وقام بتلغيم القواسم المشتركة، ووسّع هوة الفوارق الاجتماعية، وأثار النزعات الطائفية بين الجماعات الدينية والمذهبية والعرقية.

أما فيما يخص تفاقم الصراع بين الجماعات، فهو على ضربين: صراع بين الجماعات الدينية والمذهبية والعرقية، وصراع من مستوى آخر، وهو صراع النخبة المستغربة مع الأغلبية الشعبية.

لقد لاحظنا سابقاً ضمن إستراتيجية التغلغل التبشيري، أن كل القوى الاستعمارية حاولت أن تدعم بطريقة منفردة أو مشتركة، جماعة على حساب جماعة أو جماعات أخرى، متعايشة سابقاً في ظل الخلافة العثمانية، من أجل مد هيمنتها وتكريسها على الخلافة العثمانية وتفكيكها، ثم الوصول إلى اصطناع دويلات مبنية على قواعد عرقية وطائفية وقبلية وإقليمية وجهورية. لكن المشروعين الذين استأثرا أكثر من غيرهما باهتمام القنصليات الأجنبية، في القرن التاسع عشر، هما إنشاء كيانين لليهود الأوروبيين والآخر للمسيحيين المحليين، وبالتحديد الموارنة، ليكونا بمنزلة حصنين متقدّمين للمركزية الغربية في الشرق الأوسط، ومنطلقين للمرافعة عن "العالم الحر".

وفي الفصل الثاني المُعنون "من السيطرة على الطبيعة إلى السيطرة على البشر" قام الكاتب بتحليل الكيفية التي تمّت بها بلورة مفاهيم المركزية العرقية الغربية، وكيف تضافرت هذه المفاهيم مع حملات التبشير باسم "العقل" و"العقلانية" أو "الموضوعية العلمية".

ولإبراز المعايير والقيم والعادات الذهنية التي تسكن الخطاب التاريخي المتعالي للنظام الغربي الصاعد، قام الباحث بمقاربة تلمس المقدمات والعناصر الإجرائية المنظمة و "المعقلنة" التي مكنت هذا النظام من تدعيم أسس الاستشراق، كعنصر مكتمل لهيمنته، وتبيان كيفية المحاججات "العقلانية" التي سمحت له بفرض ثقافته على الشعوب المهمشة وخاصة بعد "عصر الأنوار".

هذه المقاربة تناولها في عناصر أربعة: مصادر الخطاب الكوني في منعطف القرنين السادس عشر والسابع عشر، والعرقية المركزية الكامنة في الخطاب الكوني، والحروب بوصفها صمّام أمان "للدولة-الأمة"، ثم استغلال أسطورة "الإنسان المتوحش الطيب".

فالمثقفون في أوروبا في بداية عصر النهضة انكبوا على استنطاق أنفسهم حول الأسباب التي تم إنشاؤها عن طريق الملاحظة الحسية من أجل توسّع الحد الأقصى من فضاء السيطرة على الطبيعة. ومع توسّع التجارة، وظهور علم (الأنثروبولوجيا)، وُلدت شبكة مؤسّسية من المعارف السياسية و(الأيديولوجية)، فمكيافيلي عندما اكتشف التاريخ الروماني بحث فيه عن القوانين الأبدية لسيطرة البشر بعضهم على بعض، في كتابه "الأمير"، وظهرت نظرته في العصر التالي مع مذهب "المصلحة العليا للدولة" التي ما كان لها أن تقوم لولا تبرير وسائل السيطرة الوحشية...، فمكيافيلي بمبدأ "الغاية تبرر الوسيلة" الذي كان خلاصة كتابه أسس للغزو الاستعماري وأخلاقه النفعية.

أما (هوبز) فقد دفع بهذا المفهوم إلى الحد الأقصى، واعتبر الحرية ليس شيئاً غير غياب كل ما يحول دون الحركة، كما أعلن أن على الدولة أن تضع الكنيسة والدين في خدمتها، ثم (كوندورسيه)، و(ديكارت) الذي قدم حججاً (للإيديولوجية) الكاثوليكية وشجّعها على تكييف لاهوتها مع التقدم والارتقاء الثقافي العقلاني بوجه كوني.

ومع (هيجل) كشف الخطاب الكوني للغرب عن عرقيته المركزية الكامنة، ذلك أن هيجل لكي يدعم خطابه ويتفادى تحديد نفسه فقط بخطاب كوني متعارف عليه في عصره لجأ إلى التاريخ اليوناني الذي يعده المنطلق العام للتاريخ الإنساني برمته، وهو في أطروحته ينطلق من شقين: في الشق الأول يشيد بالتاريخ الغربي مرجعاً واحداً جديراً بالاعتبار. أما الشق الثاني فيحط من شأن تاريخ الحضارات المسماة بالشرقية ويعدها مرحلة زائلة.

فالجدلية الفكرية عند (هيجل) لا تتجاوز حدود الغرب، وكل فكر خارج هذه الحدود موسوم بالظلامية والاستبداد وانعدام الحرية والتاريخ.

هذه التعميمات تحوّلت إلى بداهات تعزز خطاب المركزية الغربية عن طريق "العلوم الإنسانية"، في إطار التطوّرية الداروينية- السبنسرية، والوضعية الأوغيست-كونتية، والمادية التاريخية (ص 77-80).

ضمن هذا المنظور العام ستغدو كل المسوغات العقلانية ناجزة لشن الحملات والحروب على هذه الأمم الموسومة ب"غير المتحضرة" وقد أصبحت، لاحقاً، حقاً قانونياً ومطلباً حيوياً "للدولة–الأمة "الغربية.

ولإنقاذ المجتمع المدني الغربي من الركود والموت يقترح (هيجل) سلسلة من العلاجات تنطوي على القيام بالحرب والاستعمار. فالحرب لها الفضل في إعادة بناء التجانس الوطني تجاه التهديد المقبل من الخارج، والاستعمار سيسمح للدور الغنية بالتخلص من غير المرغوب فيهم.

أما أسطورة "الإنسان المتوحش الطيب" الموروثة عن العصور الوسطى وعصر النهضة فقد رسخت في الأذهان على شكل استيهامات غرائبية حتى بات الاستعمار يُعدّ عملاً إنسانياً يسوّغ غزو الشعوب "الوحشية" و "الكسولة"، أي: العاجزة عن الإنتاج واستغلال الثروات الطبيعية. الأمر الذي يثير شهوة التوسع والهيمنة عند الغزاة.

أما الفصل الثالث فقد تناول فيها الاستشراق و(أيديولوجية) الهيمنة: فلكي تضفي الدوائر الاستعمارية على (أيديولوجيتها) التوسعية صبغة قانونية وعقلانية كان عليها أن تقدم علومها في مجال الإنسان بصفة علوم حيادية عالمية شبيهة بالعلوم الطبيعية... ولم تتردّد "العلوم الإنسانية" في توظيف أسطورة الإنسان المتوحش" بما يخدم مصالح دولها. والقصد ليس تجريده من مزاياه الفكرية فحسب، إنما هو تأسيس خطاب علمي مخصص للآخرين يبرز للمركزية العرقية الغربية زعزعة ثقة الشعوب الشرقية بذاتها وبمعاييرها وتدمير مجتمعاتها وعوامل الاستمرارية عندها، ولعل هذا ما جعل العلماء –على الرغم من اختلاف مشاربهم (الأيديولوجية)– يجمعون على إسقاط أحكام معيارية مسبقة الصنع على الشرق وإلصاق كل النعوت السلبية به: من قبيل الاستبداد، والتأخر، والكسل، واللاعقلانية، واللاتاريخية.

من أجل "البحث عن آدم جديد" للأوروبي الأبيض والمتفوق والعنصري، عمل الاستشراق على خطين: الوعي اللغوي بمنظار أوروبا ومقاييسها، والميل إلى التجزئة والتفريع وإعادة التجزئة لمباحثه دون أن يغير من رأيه حول الشرق.

أما الحتمية العرقية التي نهجها علماء اللسانيات والسلالات فقد أدّت إلى جعل العرق صنماً محركاً للتاريخ على يد (شارك كونت)، و(فيكتور دوليل)، و(غوبينو) الذي يرى أن العرق الأبيض يظهر فيه بوضوح الجمال والذكاء والقوة، ويمتلك عنصرين أساسيين لكل حضارة هما: دين وتاريخ، فضلاً عن اجتماعيته المتحضرة، وتفاوته وتوسّعه عن طريق الغزو (ص 95).

أما (أرنست رينان) فيرى أن العرق السامي يُعدّ شكلاً منحطاً ذا تركيب أدنى من الطبيعة الإنسانية بالمعنى الأخلاقي والبيولوجي (ص 96)، يستثنى اليهود بإدراجهم في دائرة المركزية العرقية الغربية بدعوى أن العرق "الإسرائيلي" قدم للعالم أكبر الخدمات العظيمة (ص 97).

والخط نفسه سار عليه (كوفييه)، و(سانت فانسان)، و(كاتروفاج)، و(دوبلاج) في فرنسا و(توما أرنولد)، و(كنوكس) و(داروين) و(سبنسر) في بريطانيا ثم في الولايات المتحدة على يد (ميرتون)، و(جيرون)، و(نوت) من دعاة الأشكال المتطرفة للنظرية العنصرية المعادية للسود، وبلغ الخطاب العرقي العنصري على يد علماء الأناسة الألمان ابتداء من القرن التاسع عشر حداً متطرفاً مع مبدأ تفوّق العرق الجرماني.

وتحت قيادة هذا الخطاب "العلمي" المسيطر والمؤسس في القرن التاسع عشر تحالفت الدولة الممركزة الدستورية، والعلم، والجيش، والصناعة والكنيسة لتوزيع الأدوار وتقاسم المهمات ضمن إستراتيجية منظمة، تراوحت مهماتها حسب الظروف، بين مطاردة السكان المحليين وتهميشهم وبين تسخيرهم وتصفيتهم. كل ذلك باسم الحضارة والحرية وحقوق الإنسان، وتقدم الإنسانية.

هذا التقدم: (الاستعمار والتحضير) نظر له كل فلاسفة أوروبا من (أوغست كونت)، و(هيجل)، إلى المدرسة الماركسية التي لم تفلت من الأسطورة الخاصة بالتقدم الأحادي والحتمي للإنسانية، ولم ينقطعا معرفياً ولا إيديولوجياً مع ثوابتهما الداعية إلى رسالة حضارية في الشرق، وفي الحقيقة ما قامت به الماركسية في أدبياتها حول الشرق كان امتداداً للمدرسة الاستشراقية (الليبرالية).

وخلاصة الكلام حول الاستشراق و(أيديولوجية) الهيمنة التي أنتجتها أن ما يريده المنظرون والمستشرقون هو وضع شعوب الشرق أمام خيارين لا ثالث لهما: إما

الرضوخ النهائي لمنطق الغرب، وإما أنها ستظل تعتبر، من قبل الخارج، محكومة بعدم قدرتها على مواجهة الحياة.

وأما في الفصل الأخير فقد تناول المؤلف "حملة بونابرت على مصر" التي هي نموذج تطبيقي للأدوات والترميزات والتصوّرات الغرائبية التي يحملها الغرب نحو الشرق.

إذ الحملة على مصر –حسب رأي الكاتب– لم تكن ثمرة مشروع عرضي هدفه محاولة بث التفرقة العرقية بين المماليك والمصريين من جهة، وبين العرب والعثمانيين من جهة ثانية باسم الإسلام، ثم تعميق الشقاق والصراع الاجتماعي ما بين الأديان والمذاهب باسم تقديم حلول علمانية زمنية مستمدة من مبادئ عصر الأنوار، للأقليات الدينية والمذهبية.

استخدم نابليون مجموعات من النخب المحلية لضمان سريان أوامره، وعمل على تأييد المارونيين، واستعطف اليهود ودعاهم إلى النهوض لتحقيق مطالبهم واستغلال الفرصة للعودة إلى أرض الميعاد.

ورغم أن احتلال بونابرت لمصر باء بالفشل على الصعيد العسكري، إلا أن آثاره لا تزال حتى اليوم تسيطر على منظوراتنا الثقافية والسياسية، ولقد انقسمت غالبية النخب المحلية المحدثة إزاء هذه الحملة إلى اتجاهين:

الأول: رأى فيها منعطفاً حاسماً في تشكل تاريخهم الحديث، لكونها كانت مبعثاً على "النهضة العربية" بفعل آليات المثاقفة مع الآخر الغربي.

أما الثاني: فيتمثل في التوفيق ما بين العلوم الحديثة المستجلبة والتراث العربي الإسلامي، وذلك بتطويعه للنموذج الغربي.

ولا يزال الصراع يدور بشكل سحالي دون نقاط مضيئة حول الأسس المشتركة لتحقيق النهضة.

في الخاتمة يناقش الباحث فكرة تجاوز الغرب لمقولاته المعرفية، غير أن الباحث –وأظنه محقاً في ذلك– يرى ألاّ نستعجل ونعمم الحكم على غالبية (الأنثروبولوجيين) والمؤرخين والمستشرقين بأنهم قد قطعوا، من حيث المضمون، مع مركزية النظام الغربي لكونهم انتقدوه أو انتقدوا مظاهره.

ذلك لأن عملية القطيعة تستدعي إعادة نظر جذرية في العديد من المسلمات الغرائبية والاستيهامية الثاوية في النظام المعرفي الغربي المؤسسي، ولا يكفي أن تطلق صفة القطيعة حتى يسلم آلياً بكل أشكال التطبيقات المعرفية، وما تتضمنه من إسقاطات ماسخة على شعوب الشرق وثقافاته.

إن أي ترويج اعتباطي لمفهوم القطيعة –دون قيام نوع من علاقة المحاورة المتفاعلة بين الغربي والطرف الآخر– يُعدّ إضافة أيديولوجية إلى جملة ما هو سائد.

وفي الختام:

هذا وإن الكتاب مليء بالأفكار يحتاج إليه كل مثقف يريد لنفسه أن يتفاعل إيجابياً مع الغرب المهيمن بخيله ورجله وأفكاره وإنتاجه، ذلك أنه يبحث في الجذور المعرفية التي أسست للخطاب الغربي المستعلي، ويقوم بالحفر في عمق مدلولات الخطاب ليبرزها، ويناقش "حقلاً معرفياً" يحتاج إلى ارتياد الكثير من ذوي البصائر وأولي الألباب، حتى يؤسس التعامل مع الغرب على علم، وتُختصر الكثير من المعارك الوهمية، وتُقتصد الجهود، والله أعلم.

قراءة في كتاب (مقدمات الاستتباع(

د. بدران بن الحسن 1426/7/30

2005/09/04

لماذا علم الاستغراب؟

من المسائل الشائكة في عالم أفكارنا كيفية التعرف على الغرب ومعرفة أنساقه الفكرية وتجربته الحضارية وخصائصه التي تميزه عن غيره من الكيانات الحضارية. ولذلك تواجهنا مجموعة من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابات علمية دقيقة تساهم في فهم الغرب وتوفير آليات منهجية للتعامل معه.

وهنا يُثار تساؤل عن كيفية ضبط العلاقة مع الغرب؛ إذ إن الإشعاع العالمي الشامل الذي تتمتع به ثقافة الغرب، هو الذي جعلنا في موقف ينبغي أن نحدد الصلة به، وخاصة أن ما يفيض علينا وعلى غيرنا من الأمم والشعوب من إنجازاته الحضارية ومن فوضاه الحالية جعل منه مشكلة عالمية، ينبغي أن نحللها وأن نتفهمها في صلاتها بالعالم كله وبالعالم الإسلامي بوجه خاص.

وهنا يأتي ما يمكن أن نسميه علم الاستغراب كما ذهب إلى ذلك الأستاذ حسن حنفي وغيره من المهتمين بالتأسيس لعلم يقوم على دراسة الغرب. وهذا لا يجعل العالم الإسلامي تابعًا في حلوله للغرب –كما يعتقد كثير من التغريبيين أو غيرهم من دعاة الأصالة الإسلامية– وإنما يتطلب منا أن نعرف التجارب الحضارية المختلفة لنتحقق من مدى نسبيتها ومدى قابليتها للنقل والاستفادة.

فإذا ما أدرك العالم الإسلامي أن الظاهرة الحضارية الغربية مسألة نسبية، فسيكون من السهل عليه أن يعرف أوجه النقص فيها، كما سيعرف عظمتها الحقيقية، وبهذا تصبح الصلات مع العالم الغربي أكثر خصوبة، ويسمح ذلك للنخبة المسلمة أن تمتلك نموذجها الخاص، تنسج عليه فكرها ونشاطها. فالأمر يتعلق بكيفية تنظيم العلاقة، وعدم الوقوع في الاضطراب كلما تعلق الأمر بالغرب.

فالعالم الإسلامي منذ بداية الجهود التجديدية الحديثة يضطرب، كلما تعلق الأمر بالغرب، غير أنه لم يعد بذلك البريق الذي كان عليه منذ قرن تقريباً، ولم يعد له ما كان يتمتع به من تأثير ساحر، وجاذبية ظفر بها على عهد أتاتورك مثلاً، فالعالم الغربي صار حافلاً بالفوضى، ولم يعد المسلم الباحث عن تنظيم نفسه وإعادة بناء حضارته الإسلامية يجد في الغرب نموذجًا يحتذيه، بقدر ما يجد فيه نتائج تجربة هائلة ذات قيمة لا تقدر، على الرغم مما تحتوي من أخطاء.

فالغرب تجربة حضارية تُعدّ درسًا خطيرًا ومهماً لفهم مصائر الشعوب والحضارات، فهي تجربة مفيدة لإعادة دراسة حركة البناء الحضاري، وحركة التاريخ، ولبناء الفكر الإسلامي على أسسه الأصيلة، وتحقيق الوعي السنني، الذي ينسجم مع البعد الكوني لحركة التاريخ، ذلك البعد الذي يسبغ على حركة انتقال الحضارة قانونًا أزليًا أشار إليه القرآن في قوله تعالى: (وتلك الأيام نداولها بين الناس)[آل عمران:140].

فالتأمل في هذه التجربة التي صادفت أعظم ما تصادفه عبقرية الإنسان من نجاح، وأخطر ما باءت به من إخفاق، وإدراك الأحداث من الوجهين كليهما، ضرورة ملحة للعالم الإسلامي في وقفته الحالية؛ إذ هو يحاول أن يفهم مشكلاته فهمًا واقعيًا، وأن يقوّم أسباب نهضته كما يقوّم أسباب فوضاه تقويمًا موضوعيًا.

وحتى تُنظّم هذه العلاقات، ويُستفاد من هذه التجربة البشرية، ويُدرك مغزى التاريخ، لا بد من فهم هذا الغرب في عمقه، وتحديد خصائصه، ومعرفة ما يتميز به من إيجابيات وسلبيات، حتى لا تكون معرفتنا به سطحية مبتسرة، وأفكارنا عنه عامة، وغير نابعة من اطلاع متأمل، وبالتالي يكون وعينا به مشوهًا أو جزئيًا.

ولقد أضاع المسلمون كثيراً من الوقت منبهرين بما حققه الغرب، دون أن يتأملوا ويدركوا سر حركة التاريخ في الغرب، فنرى كثيراً من الباحثين والمفكرين المسلمين بمختلف انتماءاتهم يجهلون حقيقة الحياة الغربية والحضارة الغربية بالرغم من أنهم يعرفونها نظرياً، كما أنهم ما زالوا يجهلون تاريخ حضارتها. وإنه بدون معرفة حركة تاريخ هذه الحضارة والمنطق الداخلي الذي يحكمها، فإننا لم ندرك سر قوتها ولا مكامن ضعفها، ولم نعرف كيف تكوّنت، وكيف أنها في طريق التحلّل والزوال لِما اشتملت عليه من ألوان التناقض، وضروب التعارض مع القوانين الإنسانية.

وإذا كانت المائة سنة الأخيرة قد تميزت بتقريب المسافات، واتجاه البشرية نحو التوحّد، في مصيرها، وفي علاقاتها، فإن المثقف المسلم نفسه ملزم بأن ينظر إلى الأشياء من زاويتها الإنسانية الرحبة، ويرتقي إلى إطار الحضور العالمي، وعيًا وإنجازًا، حتى يدرك دوره الخاص ودور ثقافته في هذا الإطار العالمي؛ إذ لا يمكن أن نطرح مشاكلنا في زمن العولمة والكونية، دون أن نأخذ في الاعتبار كل المعطيات السياسية والجغرافية والإستراتيجية.

وتحديد الصلة بالغرب وبغيره من الكيانات الحضارية، يعطينا تحديدين مهمين في إنجاز مشروعنا التجديدي:

التحديد الأول: هو التحديد السلبي، وذلك من خلال إدراك نسبية الظواهر الغربية، ومعرفة أوجه النقص فيها وأوجه العظمة الحقيقية.

أما التحديد الثاني: فهو التحديد الإيجابي، من خلال تحديد ما يمكن أن نساهم به في ترشيد الحضارة الإنسانية وهدايتها.

وهذا في حد ذاته ينضج ثقافتنا ويعطيها توجهًا عالميًا، فمن المفيد قطعًا أن ننظر إلى حركة التاريخ والواقع من زاوية عالمية لنكتسب بذلك وعياً عالمياً، فإذا أدركنا

مشكلاتنا في هذا المستوى، فإننا سندرك –لا محالة– حقيقة الدور الذي يُناط بنا في حضارة القرن الحادي والعشرين.

ما هو منظور علم الاستغراب؟

إن مسألة تحديد النسق أو المنظور الذي من خلاله نتناول القضايا ومناقشة المشكلات المختلفة من الأهمية بمكان. ذلك أن تحديد المنظور يمكّن الباحث أو الدارس من الإحاطة بالمسألة، وامتلاك القدرة على إدراك مختلف أبعادها، وكذلك إمكانية صياغة حلول متناسقة قائمة على منهج واضح.

وبعبارة أخرى فإن منظور رؤية الأشياء هو الذي يحدد المنهج المقتضي للاتباع وتناول تفاصيل المسائل. وفي هذا السياق فإن النظر إلى مسألة ما من منظور فقهي –مثلاً– يؤدي إلى اعتماد منهج يختلف بالضرورة عن المنهج الذي يعتمد على منظور كلامي أو ثقافي أو حضاري أو سياسي.

وتحديد المنظور الذي من خلاله نعالج المسائل يسهل مهمتين للدارس؛ من حيث الاتساق في صياغة المنهج المراد اتباعه لعلاج المسألة موضوع البحث، ومن حيث القدرة على نقد مدى علمية المنهج المتبع في حل قضية ما ومدى اتساقه مع نفسه واتساقه مع الحقيقة الخارجية.

ويمكن القول: إنه بتحديدنا للمنظور، وبالتالي تحديدنا للمنهج المنبني عليه يمكن معرفة مدى شمولية ودقة واستيعاب هذا المنظور أو ذاك لمختلف الأبعاد، ومدى قدرة المنهج المنبني عليه على علاج المشكلات المختلفة للقضية أو الظاهرة أو المسألة موضوع البحث والدراسة.

والكتاب الذي بين أيدينا يُعدّ حلقة مهمة في بناء منظور ومنهجية للتعامل مع الآخر الغربي، ذلك أنه يبحث في جذور الغرب الثقافية والمعرفية التي شكّلت –ولا تزال– تعامُلَه مع غيره، كما يظهر الكتاب الاستعدادات الثقافية التي مكنت الغرب من أن يبلور، بوساطتها صورة عن ذاته، ويشكل صورة مشوهة للآخر لتأكيد ذاته، والتمركز المستعلي على غيره. ويتناول مصادر خطاب السيطرة على البشر بعد السيطرة على الطبيعة، ثم الاستشراق، وأيديولوجية الهيمنة.

محتوى الكتاب

يقع الكتاب في (160) صفحة من القطع المتوسط، متضمناً تصديراً للدكتور طه جابر العلواني، ومقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

في التصدير أشار الدكتور العلواني إلى أن عنوان الكتاب "الاستتباع" يستدعي إلى الذاكرة مجموعة من المفاهيم والمصطلحات سادت في أوساط مثقفي الأمة منذ منتصف القرن الماضي، مثل: الاستعمار، والاستشراق، والاستغراب، والاستكبار، ... النظام العالمي الجديد والإرهاب، والأصولية، والظلامية ونحوها.

والكتاب يستدعي هذه المفاهيم لأنه يعالج "حقلاً معرفياً" واسعاً يتصل بكل هذه المفاهيم. وهذا الكتاب يتناول الغرب بتحليل بنائه وأطره المنهجية، ومسلماته المعرفية (الإبستمولوجية) وفلسفته ونظرياته وقواعده المعرفية، وينقّب عن كيفية تحول الغرب إلى المركزية في رؤيته لذاته وتهميشه للآخرين، بل واستتباعهم.

ويشير إلى الطريقة التي تناول بها العقل المسلم ظاهرة الاستشراق، وأنها كانت دون مستوى الإحاطة بالظاهرة، وانعدام الاهتمام بتحليل البنى المعرفية والأطر المنهجية للاستشراق بوصفه حقلاً معرفياً نشأ في إطار العلم الغربي وفلسفته ونظرياته وأسسه المعرفية، وكان موضوعه الآخر غير الغربي، مستمراً في الشرق المسلم، وأن هذا الحقل المعرفي قد أسس لنفسه علوماً لبناء شبكات في الشرق المسلم، وأن هذا الحقل المعرفي قد أسس لنفسه علوماً لبناء شبكات المفاهيم الجديدة والمنظومات المعرفية المؤطرة في فلسفته (التصدير، 10).

في المقدمة يشير المؤلف إلى عدة أفكار مهمة في سياق معالجته للموضوع، أهمها:

- التناول الاجتزائي للاستشراق: فيرى الباحث أن الكتابات حول الاستشراق ونتائجه منذ عقدين من الزمن ونيف، وقع معظمها ضحية منظورات اجتزائية لم تضع الاستشراق ضمن النسق المعرفي المؤسسي العام للحضارة الغربية، فهو ليس ظاهرة موازية للنسق المعرفي المؤسسي الغربي المهيمن ولا منقطعة عنه أو عرضية فيه، إنما على العكس استمدت جذورها من هذا النسق بكل مكوناته المعرفية والمذهبية، نسجت خيوطها في كنفه، وتشكّل جزءاً أساسياً في إنشاء نموذج (الدولة-الأمة) في الغرب.

– طرق الاستعمار في بسط الهيمنة: إذ لم يلجأ الاستعمار –في فرض هيمنته ونمط إنتاجه وإملاء شروطه، بوصفها حقيقة وحيدة لازدهار الحضارة– دائماً إلى سياسة النهب الخالص وسياسة المدفع السافرة، إنما اعتمد على أساليب أخرى أيضاً في مرحلة ما قبل الاستعمار المباشر، وذلك عن طريق الاتفاقيات التجارية والعسكرية والعلمية مع حكام دول الأطراف وتكوين أنصار وزبائن مفتونين بمبادئه وقيمه ومؤسساته في المجتمعات المحلية، والتسلل إلى الضمائر وتطويعها وتسخيرها لصالحه.

– عقدة التفوق الغربي التي تحكم الغرب؛ إذ لكي يستأثر بزمام المبادرة في معالجة التاريخ العالمي يرفض الاعتراف بالقيم والرموز الخاصة بالثقافات المغايرة، أو بفكرة تاريخ متعدد، ويلجأ إلى تقطيع مجتمعات الأطراف إلى شرائح وكيانات قبلية وطائفية، أو عرقية وإقليمية، ويحوّل تواريخ الشعوب إلى أصفار على هامش الحضارة، لا قيمة لها إلا بقدر اندماجها في دائرة السوق المتمم لحاجات إنتاجية المركز الأوروبي.

– الجذور الأيديولوجية والمعرفية للغرب: فالجذور الأيديولوجية للغرب ونظريته المعرفية تأسست ابتداءً من عصر النهضة، ومشروع الغرب يتجه نحو تطوير قيم أخلاقية جديدة متحررة شيئا فشيئاً من الدين لصالح نظرية جديدة عن المعرفة، ممثلة في أولوية المعرفة الموضوعية المستمدة من مجالي التجريب والرياضيات.

– ذهنية الصراع والسيطرة على الطبيعة والإنسان التي تحكم الغرب في تعامله مع الشرق، ضمن تراتبية تنطوي على إقامة فوارق جوهرية ثابتة بينه وبين سكان الشرق، وجعل نفسه وصياً وحيداً في تقرير مصائرهم تحت شعار تحرير الوثنيين والكفار "الوحوش" أو "الهمج" من "الظلامية" و"العبودية".

بمقتضى هذه الاستراتيجية راح الغرب يُساوي نفسه مع التاريخ، وله وحده الاستحواذ على مواقع النجاح، ولو على حساب ثقافات وتواريخ الشعوب الأخرى ومحوها.

– نشأة (الأنثروبولوجيا) الغربية: فالغرب أنشأ هذا العلم لدراسة إنسان ما وراء البحار بمناهج جديدة تهدف إلى عزله عن كل الظروف الاجتماعية التاريخية، ونكران ما يمثله من قيم ثقافية مغايرة. وحسب منظور (الأنثروبولوجيا) الغربية لم يعد ثمة شيء

عقلانـي، بـالمعنى الحرفـي سـوى النظريـة (الأنثروبولوجيـا) "الإنسـانية" عـن ثقافـة الشعوب التي اصطلح على تسميتها "بالبدائية" أو "الوحشية"، ولم يعد هناك من ثقافة سوى ثقافتهم من وجهة نظرهم هذه.

وإذا تـم الاعتـراف بعظمـة حضـارات (الغيـر) فبمقـدار اسـتجابتها لمصـالح وترميـزات المركزية الغربية. (ص 19 – 21).

– (إيديولوجيا) الفتح، والتسويغ لخطاب السيطرة: إن الخطاب المسيطر والمؤسس في القرن التاسـع عشر، تحـالف تحت قيادتـه الدولـة المركزيـة الدسـتورية والعلـم، والجيش والصـناعة والكنيسـة حاملـة رسـالة التبشـير، لتوزيـع المهـام وتقاسـم النفـوذ ضـمن إستراتيجية منظمة روّج لها رواد (أيديولوجيا) الفتح أمثال مونتسكيو وهيجيل وماركس ووايتفوغل...

==================

#واقع المسلمين هو أكبر 'حاجز' بين الإسلام والغرب !!

حوار: عبد الحق بوقلقول 1427/10/10

2006/11/01

لا تخطئ عين أي مراقب للواقع الغربي و نظرته تجاه الإسلام و المسلمين، أن هذا الأخيـر بـات يجـد صـعوبة كبـرى فـي فهـم حقيقـة هـذا الـدين بعـد حمـلات التشـويه 'المقصودة' التي صـار يتعرض لهـا الدين الحنيف خصوصـا منذ أحداث 11/9 التـي سـرعت عمليـة اسـتخراج سـرائر أغلـب صـناع السياسـة و الإعـلام علـى وجـه خـاص هناك تجاه الشرق الإسلامي و مقدساته بوجه عام.

من بين أوضـح أمـارات هـذا الانكشـاف الفجـائي، قضـية الرسـوم المسيئة و تـداعياتها التـي مـا تـزال ماثلـة حتـى هـذه الأيـام و مـن بينهـا مثلا قيـام إحـدى الصـحف النرويجيـة مؤخرا بإعـادة نشـر تلـك الرسـوم بكيفيـة يجمـع المراقبـون علـى أنهـا أضـحت الطريـق السهلة إلـى الشـهرة بـدليل أن كاتبا مغمورا فـي فرنسـا لا يعدو أن يكـون مدرسـا ثانويـا، كتـب فـي صـحيفة لوفيغـارو الباريسـية مقـالا تهجـم فيـه علـى الإسـلام بطريقـة شـنيعة أثارت استغراب عدد غير قليل من المفكرين الفرنسيين أنفسهم.

و لكي نحاول تسليط الضوء على واقع و طرائق تحرك الجالية الإسلامية في الغرب تجاه هذه الموضة الفكرية التي لاحت في الأشهر الأخيرة، اتصلنا بالأستاذ المفكر الطيب برغوث الذي هو من أبرز رموز التيار الإسلامي في الجزائر و المقيم منذ سنوات طويلة في النرويج بسبب الوضعية التي كانت عليها بلاده. الأستاذ الطيب هو زيادة على هذا، عالم اجتماع و صاحب عدد كبير من المؤلفات الدعوية التي تعنى خصوصا بالجانب التنظيري في العمل النخبوي. و لقد رحب مشكورا بطلبنا فكان هذا الحوار الذي عرجنا فيه على مواضيع عديدة:

هل يمكن بداية أن تضعنا في الأجواء التي تعيشها الجالية الإسلامية بالنرويج مع هذه الحلقة الجديدة من مسلسل الإساءات الغربية في حق المسلمين و مقدساتهم في الفترة الأخيرة.

لا شك أن الجاليات أو الأقليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية، تمثل جزءا حيويا وفاعلا من هذه الأمة الإسلامية الكبرى، والانفتاح عليها والاهتمام بها من مؤشرات الخيرية والنضج وبعد النظر فيها.

وعموما فإن الأقلية المسلمة في المجتمع النرويجي تعيش في حدود معقولة من الأمن والأمان، بالرغم من الأجواء العالمية المشحونة بالإسلاموفوبيا والتحريض ضد المسلمين بل والإسلام ذاته أحيانا ! من قوى يمينية عديدة، بل و حتى من بعض القوى المسلمة مع الأسف الشديد !؟ ولكن ذلك كله لم يؤثر على الحدود الدنيا المعقولة من الأمن والأمان الذي تعيشه. ولو عرفت هذه الأقليات كيف تستفيد من هذه الأجواء، واستثمرت ما يتاح لها من إمكانات قانونية ومادية واجتماعية وسياسية في هذا البلد، لانفتحت أمامها فرص حياة أكثر أمنا وأمانا وفاعلية وتأثيرا واندماجا في المجتمع، ومحافظة على هويتهم وإذكاء لفاعليتها الروحية والاجتماعية في حياة أفرادها، ونقلا لإشعاعاتها الحضارية إلى المحيط المتعطش للروحانية والأخلاقية الاجتماعية التي قتلتها المادية المتوحشة .

هل لنا أن نعرف منكم كيف بدأت القضية بما أن موقف الحكومة النرويجية خلال أزمة الرسوم الدنمركية، كان متوازنا إن صح التعبير؟

أود أن أشير إلى أن قضية الرسوم قضية جزئية من مسلسل طويل الحلقات يمتد بعيدا في تاريخ المواجهة بين الدين والحركة العلمانية في أوروبا ذاتها من ناحية، وفي تاريخ المواجهة بين الإسلام والغرب بكل اتجاهاته وواجهاته التبشيرية و الاستشراقية والاستعمارية من ناحية أخرى، وهو كم ممتد في الحاضر بصور شتى، وخاصة في ضوء اختلال التوازن الذاتي للمسلمين، وتراجع فاعليتهم الحضارية، ودخولهم في مراحل متقدمة جدا من الغثائية والتبعية الحضارية المحكمة، وحرص القوى المستكبرة على إبقاء الأمة في هذه الدائرة من التخلف والتبعية والاستضعاف.

فقضية الرسوم أو وغيرها من قضايا وضع الإسلام والمسلمين في دائرة الاتهام والحصار، وشل الإرادة الحضارية، واستنزاف الإمكانات الحضارية، وتعويق النهضة الحضارية الجادة للأمة.. أمر ليس بجديد، و لولا الاهتمام الإعلامي لما كان لذلك أي صدى، ولو أن وسائل الإعلام أرادت أن تتابع المواقف الفكرية والسياسية المتحسسة من الإسلام والمسلمين، والمحرضة ضدهما، لوجدت نفسها في وضع العاجز عن تغطية ما يحدث يوميا على هذا الصعيد.

فالرسوم السيئة الذكر فقرة أو مفردة بسيطة في حركية ثقافية واجتماعية وسياسية بل وحضارية ضخمة، متدفقة بقوة وغزارة في اتجاه تكريس الصور النمطية الخاطئة عن الإسلام ونبيه – صلى الله عليه وسلم – خاصة وعن المسلمين وتاريخهم وحاضرهم عامة. وأنا لا أريد أن أتعاطى مع هذه الحركة الإعلامية الطوفانية من منطلق الاستغراق في مفرداتها الجزئية اليومية بل واللحظية التي لا نهاية لها، والتي قد يكون القصد منها، في كثير من الأحيان، شغل الأمة عن الأولويات المركزية في حركة نهضتها الحضارية، وجرها إلى أولويات لا تخدم هذه النهضة بل تعيقها وتعرقل مسيرتها، وتستنزف طاقاتها الثمينة في الجري وراء المعارك الوهمية !

هل معنى ذلك أن تصرف الأمة نظرها عن هذه الحركية الفكرية والسياسية المضادة لها، وتتجه نحو بناء قدراتها الذاتية ؟

التركيز على بناء القدرات الذاتية هو الأساس. ولكني لا أقصد هنا أن تتكفئ الأمة على نفسها وتترك العالم يموج من حولها، لأن التعاطي مع التحديات جبلة بشرية،

وضرورة حياتية، وقد تكون وجودية أحيانا. ولكن قصدي هو: الانتباه إلى ما في هذه الحركية المضادة أو المستفزة، من قصد منهجي إلى شغلنا عن الأوليات الحقيقية لنهضتنا الحضارية، بل وقصد إلى شغلنا بأولويات أخرى تصب في خدمة استراتيجيات مضادة لنهضتنا ومضرة بها . وهنا يكمن الإشكال ويتجلى الخطر. لقد نبهنا القرآن إلى هذه الأبعاد في التحديات والمثيرات الخارجية والداخلية، كما نرى ذلك في قوله تعالى: (وإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً).

فالقرآن يعلمنا منهجية التعاطي مع التحديات والمثيرات، حتى نحافظ على توازننا الفكري والنفسي والسلوكي، ونتجنب تبديد فاعليتنا الاجتماعية، ولا نمكِّن خصومنا من خدمة استراتيجياتهم على حسابنا. ولا شك أن هذا يحتاج إلى رد الأمر إلى خبراء الدعوة والمجتمع والدولة في أمتنا، ليوازنوا الموقف ويسددوه بكفاءة وحكمة، ويدفعوا به في اتجاه خدمة مصالح الأمة، وتحقيق التواصل المتوازن بين البشر في الأرض.

هذا من الناحية النظرية، و لكن كيف تعاطت الجالية المسلمة عمليا، مع حركة الإساءات التي بلغت ذروتها في الرسوم المسيئة للنبي عليه الصلاة والسلام؟

لقد تنوعت وتباينت أشكال التعاطي، وتراوحت بين الاحتجاجات المكتوبة والشفهية والتجمعات واللقاءات الفكرية والإعلامية والقانونية، وكان في ذلك فوائد كثيرة بالنسبة للجالية التي تكتشف مع كل تحدي أو استفزاز طرقا ووسائل جديدة للعمل والتواصل مع المجتمع، كما تكتشف كذلك نواقص و اختلالات كثيرة في وعيها ومناهج عملها، وفي ذلك خير لها و للمجتمع .

وأذكر كمثال على هذا التعاطي الفعال، أنني شخصيا شاركت في ندوة إعلامية كبيرة، دُعي لها ما يقرب من 300 إعلامي من مختلف وسائل الإعلام بالنرويج، بالإضافة إلى النقابات المرتبطة بالقطاع الإعلامي والمنظمات الحقوقية، واستغرق الحوار بيننا وبينهم أكثر من ثلاث ساعات بحضور المسئول عن نشر الرسوم المسيئة، وكانت النتيجة أن الكثير من الحاضرين كانوا ضد هذه الرسوم وغير مستسيغين لها، مع أنهم كانوا مجمعين كلهم على قداسة حرية الرأي والصحافة

عندهم. وكانت فرصة كبيرة لنا نحن ممثلي الجالية في المدينة التي نظمت بها الندوة، لنقدم الرؤية الإسلامية المتوازنة لحرية الرأي وكيفية ارتباط ذلك بالمسؤولية، وبضرورة حماية حقوق الآخرين، انطلاقا من القاعدة الذهبية التي تقول : "حريتك تنتهي عندما تبدأ حريتي أو عندما تنتهك حريات وحقوق الآخرين" .
وكان من بين ما أكدنا عليه في هذا الإطار هو أن الإسلام تجاوز مرحلة إقرار حرية الرأي والنقد وتحبيذها، إلى مرحلة إيجابها عندما يتعلق الأمر بحماية حقوق الآخرين ورفع المظالم عنهم، والدفاع عن المصالح العامة للمجتمع والإنسان، واعتبر ذلك من أهداف المجتمع المسلم وخصائصه الطبيعية الذاتية التي لا تنفك عنه، ومن الشروط الأساسية لفاعلية أدائه الاجتماعي والحضاري.
ماذا عن رد فعل المسئول عن نشر الصور المسيئة؟
لقد أبدى بعض المجاملة لنا في حديثه عن الموقف، وأنه لم يكن يتصور كل هذه النقمة عليه. ومما لاحظته في هذه الندوة الهامة هو أن هذا الصحفي كان يحس بالعزلة لأن الغالبية استهجنت موقف الجريدة، بما في ذلك ممثل الكنيسة الذي كان معنا، وشاركنا في موقفنا على طول الخط، مع أن الخط الفكري لهذه الجريدة خط ديني كنسي بصفة عامة، وإن كان أكثر يمينية وتحسسا من الإسلام والمسلمين.
الغربيون يفسرون هذه التصرفات باعتبار أنهم يشعرون بأن قيمهم الديمقراطية "مهددة " من قبل ما يصفونها "الأصولية الإسلامية". ما رأيكم؟ كيف يمكن مواجهة هذا التشويه "الممنهج" للدين الحنيف؟
هذا صحيح، وهو جانب مهم جدا من خريطة التفسير الصحيح للموقف الغربي عامة من الإسلام والوجود الإسلامي بالغرب، بل وحركة الحضور الإسلامي على الصعيد العالمي. فالغرب خائف من تنامي الظاهرة الإسلامية في مجتمعاته، في ظل معطيات ديموغرافية واجتماعية وروحية تفسح المجال للظواهر الدينية عامة والظاهرة الإسلامية منها خاصة بالتأثير في هذه المجتمعات ! وإن كنت أرى بأن هناك مبالغات كثيرة في هذه المخاوف.
ولكن اسمح لي أن أضع الجواب على هذا السؤال في إطاره السنني الكلي، من أجل وعي أكثر موضوعية وفعالية في تحليل الظواهر والتعاطي الإيجابي معها. وحتى لا

تستغرقنا جزئيات المدافعة الاجتماعية المتسارعة فننسى القوانين الكلية التي تحكمها، ويضطرب موقفنا منها، ويتشتت تعاطينا معها، وننجرف وراء الأعراض والنتائج على حساب المقدمات والمؤثرات الفاعلة فيها كما أسلفت.

فالحياة تحكمها سنة الله في "التدافع والتجديد" التي لا تتغير ولا تتحول. فمن استطاع أن يحقق شروط التجديد الذاتي في نفسه، أمكنه أن يرفع مستوى فعالية مدافعته الاجتماعية، ويعزز فرص مواكبته أو منافسته أو ريادته ومداولته الحضارية.

فالغرب أو الشرق أو أي مجتمع أو أمة في الأرض محكومة بقانون المدافعة الاجتماعية، حتى تحافظ على وجودها أولا، وتوفر شروط التألق الحضاري لهذا الوجود كلما أمكنها ذلك ثانيا. تلك سنة الله في الاستخلاف البشري .

ونحن لا نلومه على ذلك، ولكن نلوم أنفسنا ابتداء، عندما لا نمتلك القدرة على التخفيف من مخاوفه، وعلى العجز عن إقناع المجتمع الغربي بأن الوجود الإسلامي فيه، يشكل إضافة نوعية لا يستهان بها، وعامل وقاية استراتيجية بالغة الأهمية للحضارة الإنسانية المعاصرة، لو استطاع الغرب أن يحقق انفتاحا حقيقيا على الروحية والأخلاقية والتكاملية الاجتماعية في الإسلام.

كيف لا يلام الغرب على مواقفه المتطرفة تجاه مقدسات الآخرين خاصة ومصالحهم عامة ؟

اللوم من منظور المثالية الأخلاقية لا بد منه، لأنه يدخل في أضعف الإيمان، وهو حاصل باستمرار، وخاصة من القوى المستضعَفة التي عادة ما لا تمتلك من مقومات الانتصاف سواه، ولكنه من منظور سنن المدافعة الاجتماعية أمر لا معنى له، وخاصة عندما يتعلق الأمر بلوم القوى المستبدة المستكبرة أو المعادية، التي لا تقيم أي وزن للبعد الأخلاقي في تصرفاتها ومواقفها، كما لا تقيم أي وزن إلا للقوى الندية القادرة على حماية مصالحها بنفسها. فالوضع هنا يشبه تماما من يستجيب لمغريات الشيطان ووساوسه ثم يلوم الشيطان على الإيقاع به وتدمير وجوده! في الوقت الذي كان عليه أن يلوم نفسه ويقوّم ضعفه وقصوره.

فنحن نلوم غيرنا وقد نندد به على ما يُلحقه بمقدساتنا ومصالحنا من أذى، ولكن ذلك لن يجدي نفعا على صعيد المدافعة والمداولة الاجتماعية الحضارية، إذا لم نجدد ولم

نطور قدراتنا الذاتية التي تسمح لنا بالمنافسة والمناجزة الفاعلة عند اللزوم. فمنطق المدافعة لا يحفل بالضعفاء الذين لا يمتلكون القدرة على حماية أنفسهم ومقدساتهم ومصالحهم، مهما كان الحق معهم، لآن الحق بدون قدرة فعلية تجسده وتحميه، يظل أملا في النفوس، وكلمات صامتة في بطون الكتب.

ومع الأسف فإن وضع المسلمين؛ أفرادا ومجتمعات ودولا.. لا يسمح لهم بالانتقال من مرحلة اللوم والتنديد إلى مراحل فرض احترامهم على العالم، والحكمة تقول: ومن يهن يسهل الهوان عليه ! بالرغم من أن القرآن علم المسلمين منطق المدافعة الاجتماعية، وأرشدهم إلى شروط فعالية هذه المدافعة، من خلال تأكيده على سنة التجديد الذاتي الدائب، الذي يشحذ قدرات الوعي والبناء والوقاية لدى الفرد والمجتمع والدولة، كما جاء ذلك في قوله تعالى: " (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) .

ففعالية المدافعة الاجتماعية هي التي توفر شروط وقدرات تحقيق التوازن في حركة المدافعة والمداولة الحضارية بين المجتمعات والأمم، وتحمي المقدسات والمصالح، ومن عجز عن تجديد مستوى فاعلية مدافعته الاجتماعية، قذفت به حركة المدافعة في مستنقعات الغثائية والتبعية الحضارية الذليلة.

لكن ما أسباب هذا العجز عن إقناع الغرب بهذه الإضافة النوعية الإسلامية؟ وما أسباب فشل الغرب في الانفتاح الحقيقي على هذه الإضافة النوعية الضرورية بالنسبة له، في ظل ما تعانيه حضارته المعاصرة من ضمور في المعاني الروحية وتدهور في القيم الأخلاقية، وطغيان للمادية والفردية في نموذجه الاجتماعي والحضاري؟

أسباب عجزنا نحن المسلمين كثيرة، ولكن يمكن تلخيصها في ضعف الوعي السنني التكاملي لدى المسلم المعاصر عامة، وهو ما ينعكس بالضرورة على ضعف روحيته الداخلية، وعلى ضعف أخلاقيته السلوكية، وعلى ضعف بل وسلبية فعاليته الاجتماعية، وتقهقر مستمر في موقعه الحضاري . فالوعي السنني المتكامل هو المدخل المنهجي الصحيح لتفسير كل هذه الحلقات المترابطة من الضعف، ووضع

اليد على مكامن العجز في الأمة من ناحية، كما أنه المدخل المنهجي الصحيح لإدراك الشروط الموضوعية الصحيحة لتحقيق الإقلاع الحضاري المطلوب .

فنحن لا نمتلك القدرة على نقل إشعاع الإسلام للآخرين، لأن هذا الإشعاع غير موجود أو غير مكتمل فينا؛ عقيدة وإرادة وسلوكا وتواصلا مع العالم.. و فاقد الشيء لا يعطيه كما يقال ! ولست في حاجة إلى التدليل لك عن مظاهر الضعف والعجز التي يعاني منها وعينا الفكري، وروحيتنا الداخلية، وأدائنا السلوكي والاجتماعي، لأن القصور في هذا المجال أكثر من أن يحتاج إلى تدليل !

لكن مع ذلك أحتاج منك إلى بعض الأمثلة إن أمكنك ذلك؟

أعطيك مثالا واقعيا واحدا قد يغني عن الكثير من الكلام. مع بداية أحداث 11 سبتمبر 2001 بأمريكا وما أحدثته من ضجة بل وخلخلة كبرى في العالم، وما نجم عنها من تعبئة فكرية ونفسية وسياسية غير مسبوقة ضد الإسلام والمسلمين في الغرب عامة، جاءني شخص محترم في بداية العقد الخامس من عمره، وطلب مني أن أعرِّفه بالإسلام، فمكثت أحدثه ما يقرب من أربعة أشهر، انتهت باعتناقه الإسلام عن قناعة. وكان مما لفت انتباهي بشدة سؤاله لي في نهاية الجلسات الأخيرة من لقاءاتنا الطويلة، بعد أن اتضحت له الكثير من معالم الخريطة العقدية والفكرية والاجتماعية والحضارية للإسلام: هل هذه الأمور التي ذكرتها لي عن الإسلام يدرسها المسلمون ؟ أو هل يعرفها المسلمون ؟

لقد فهمت من سؤاله أنه وقع في حيرة شديدة بين عظمة الإسلام وجاذبيته العقدية والفكرية والروحية والأخلاقية والاجتماعية من ناحية.. وبين ضعف واضطراب بل وتعاسة واقع المسلمين؛ أفرادا ومجتمعات ودولا، من ناحية أخرى، إلا من رحم الله ! فالمسلمون بضعفهم، واضطراب أحوالهم السلوكية والاجتماعية، وتفرق رابطتهم السياسية، يشكلون أكبر حاجز بين الإسلام والآخرين، ولولا القوة الذاتية في الإسلام لانتهى تأثيره ووجوده منذ زمن. ويوم يتطابق وعي المسلمين وأدائهم السلوكي والاجتماعي مع الإسلام، ويكفوا عن تحكيم أهوائهم وأعرافهم ومصالحهم الذاتية فيه، ستتغير معطيات كثيرة في الخريطة الفكرية والاجتماعية والحضارية العالمية.

وكأني بهذا السيد الكريم يقول بلسان حاله: "الحمد لله الذي أكرمني بعبور الحاجز الضخم الذي يضربه المسلمون بين الإسلام والعالم " ! مكررا بذلك ما قاله مسلم آخر أسلم قبله في النصف الأول من القرن الماضي، وهاله البون الشاسع بين واقع المسلمين وحقيقة الإسلام، فقال: " الحمد لله الذي عرَّفني بالإسلام وأكرمني باعتناقه قبل معرفة المسلمين ولو حدث لي العكس لكنت ربما من الهالكين" !

هذا عن أسباب عجزنا نحن عن نقل إشعاع الإسلام إلى الآخرين، ولكن أكرر لكم سؤالي هنا: ماذا عن أسباب فشل الغرب في الانفتاح الحقيقي على هذه الإضافة النوعية الضرورية بالنسبة له، في ظل ما تعانيه حضارته المعاصرة من ضمور؟

لاحظ أولا بأن الغرب التاريخي والغرب المعاصر استفادا من الخبرة الحضارية الإسلامية بشكل وظيفي برجماتي ذكي وفعال جدا. فقديما أخذوا منا الخبرة العلمية وأسسوا عليها نهضتهم الحضارية العالمية الكبرى، وحديثا يستفيدون جدا من كفاءاتنا العلمية الضخمة التي يتصيدونها ويوفرون لها شروط تفجير عبقريتها لاستثمارها في خدمة مصالحهم ودعم استراتيجياتهم في العالم. وهنا يبرز جانب مهم من عبقرية الغرب في التعاطي مع الخبرات البشرية السابقة أو المعاصرة دون أن يقع في الاستلاب لها، بعكس ما يحدث لنا نحن في علاقتنا بخبرته المعاصرة التي انقسمنا تجاهها إلى فريقين؛ فريق وقع في معضلة الاستلاب لها إلى حد العمالة أحيانا ! و فريق وقع في معضلة التزهيد فيها والمخاصمة لها باعتبارها خبرة حضارية جاهلية لا خير فيها ! وضاعت مصلحة الإسلام والأمة بين الاستلاب للغرب والاستلاب للتاريخ.

أما عن أسباب عدم استفادة الغرب من الأقليات المسلمة في مجتمعاته، فإنه يمكن إرجاع بعضها إلى ضعف أداء هذه الجاليات نفسها، فهي متشرذمة وغير قادرة على تعبئة نفسها، وتعاني من عزلة اجتماعية وسياسية، وعاجزة عن تحقيق اندماجها الفعال في المجتمع. كما ترجع بعض الأسباب إلى خوف الغرب من دمج الأقليات المسلمة وإصراره على منطق تذويبها أو تحويلها إلى مجرد سخرة خدمية عابرة، يطبق عليها قانون: "استعمل وارم" ! فلحد الآن لم يستطع المجتمع الغربي أن يحدد

بوضوح ماذا يقصد بالاندماج؟ أضف إلى ذلك النزعة المركزية الاستعلائية التي ينظر بها الغرب بصفة عامة إلى غيره.

ما المطلوب من المسلمين في باقي العالم؟ وكيف يمكننا أن ندافع عن مقدساتنا من غير أن نمنح الآخرين فرصا إضافية في الانتقاص منا؟

المطلوب منهم هو أن يستثمروا المزيد من الجهد والوقت والإمكانات، في بناء وعيهم بسنن الله في " المدافعة والتجديد "، وأن يبنوا واقعهم الفردي والاجتماعي على ضوء ذلك، وأن يتجاوزوا وضع الخرافة و التجزيئية و التنافرية والتشرذم والمظهرية الخاوية التي يعيشون فيها، إلى وضع العلمية المنهجية التكاملية المستنيرة، التي تغير ما بأنفسهم من ضعف و غثائية واستلاب وتبعية ابتداء، وتعيد بناء علاقاتهم بالعالم على أسس جديدة؛ قوامها الاعتزاز بذاتيتهم ورسالتهم الحضارية، والانخراط بكل جدية وثقة في تحقيق استراتيجية التكاملية الحضارية التي جاء بها الإسلام، وطرحها بديلا حضاريا إنسانيا عن استراتيجيات الصراع والاستعمار والاستضعاف التي حكمت وتحكم العلاقات الحضارية بين البشر قديما وحديثا.

وكما أشرتَ في سؤالك فإن قصور الوعي السنني الشمولي التكاملي، في التعاطي مع المثيرات والتحديات الداخلية والخارجية، كثيرا ما يعطي فرصا ثمينة لخصوم الإسلام وأمته، لتحقيق مقاصدهم بكل يسر ! كما يتجلى ذلك على سبيل المثال في ردود الأفعال غير المنضبطة التي يحولها الخصوم عبر وسائل الإعلام والاتصال، ومخابر التحليل والابتزاز السياسي، وحركات الضغط الاجتماعي.. إلى شواهد إدانة للإسلام والمسلمين، وتحريض ضدهما، وتأليب للرأي العام عليهما، وتوسيع للهوة بينه وبينهما.

فنحن عادة ما نستجيب للاستفزاز الموجه، ونندفع بحماسة شديدة في سلسلة من الأفعال والمواقف القولية والعملية المتناثرة، ثم سرعان ما نبرد ونخلد إلى السكون، في الوقت الذي يكون غيرنا ممن يهمه تعويق نهضتنا الحضارية، قد احتفظ بشواهد الإدانة لنا، وعكف على تحليلها وإعادة بنائها، وضبط الخطوات المنهجية للمراحل التالية من حركة الاستفزاز لنا، و مراكمة شواهد الإدانة والتشويه والعزل لنا.

هل يمكن أن تعطينا بعض الأمثلة ذات الصلة بحادثة الصور المسيئة للنبي عليه الصلاة والسلام؟

الأمثلة أكثر من أن تحصى، وسأذكر لك مثالا واحدا وهو عبارة عن شريط مطول عرضته قناة تلفزيزنية نرويجية حرة (2TV (الأسبوع الماضي، استرجعت فيه قصة ردود الفعل على الرسوم، وقدمت معطيات تركيبية حية كثيرة، تعد شواهد إدانة لتعاطي المسلمين مع الحدث، من خلال إظهارهم بأنهم ضد حرية الرأي، وأنهم يريدون فرض وجهة نظرهم ونمط حياتهم على الآخرين في عقر دارهم، وأنهم لا يملكون وسيلة للتعاطي مع المخالفين لهم في الرأي غير القوة التي تسري في دمائهم.. إلى ما هنالك من الاستنتاجات الكثيرة التي يخرج بها من يرى هذا الشريط. مع أن منتجي الشريط أوضحوا منذ البداية بأن عملهم إعلامي محايد، يستهدف عرض الحقائق كما هي وترك الحرية للمشاهد ليستنتج ما يراه !!

ومن يتتبع الحركة الإعلامية و السينمائية و الفنية والثقافية و الاجتماعية و السياسية في الغرب .. يقف على نشاط يومي ضخم، يصب جزء كبير منه في اتجاه إدانة المسلمين والإسلام، وتشويه صورتهما، وتعميق عزلتهما في الساحة العالمية.

وأنبه أولا إلى أهمية ما أشرت إليه في سؤالك السابق، عن استثمار بعض وسائل الإعلام وبعض الأشخاص لبعض هذه الأحداث لتحقيق الشهرة والكسب المادي، وهذا أمر صحيح فعلا، فإن العديد من المؤسسات المغمورة، والأفراد المغمورين الذين يريدون الإثراء وتحقيق شهرة لهم، يعمدون إلى مغامرات فجة يصدمون بها الرأي العام، فتتلقف عنهم ذلك وسائل الإعلام وأجهزة الصراع الفكري، وتروج له، فيصبح هؤلاء أبطالا وشخصيات عالمية بين عشية وضحاها ! وقد كاد هذا الأسلوب يصبح صناعة كاملة لدى كثير من المغمورين وأصحاب العقد.

ولا شك أن هذا يقتضي منا يقظة كبيرة، وموازنة دقيقة بين المصالح والمفاسد، حتى لا نتيح لمثل هؤلاء المغمورين والمرضى، الظهور على حساب الحقيقة والمصلحة. وأرى بأن القاعدة العامة التي ينبغي أن تحكم موقفنا من هذه الفقاعات بل وحتى الظواهر منها، هي التجاهل والاستيعاب غير المباشر لها، كما علمنا ذلك القرآن حينما أكد على أهمية الإعراض عن الجاهلين: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

الْجَاهِلِينَ). أو في قوله جل و علا: (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ).

إن استراتيجية التجاهل أو الاستيعاب غير المباشر للأفعال والمواقف العدوانية المتشنجة، علاج فعال جدا في تفريغها من شحناتها التأثيرية السلبية، لأن ذلك لا يتيح لها فرصة التكرار والشيوع والتفاعل، بل يعمل على تجاوزها بل و محوها من الذاكرة بسرعة، وخاصة في عالم تزدحم فيه على الذاكرة أحداث متوالية ينسي بعضها بعضا.

ماذا تقصدون بالاستيعاب غير المباشر لمثل هذه الفقاعات والظواهر كما سميتموها؟

أقصد به عدم الغفلة الكلية عما يلقى من الشبهات، وما يروج له من زيف فكري في حق الإسلام العظيم، أو في حق نبيه الكريم، أو في حق التجربة الحضارية الإسلامية الإنسانية، أو في حق نهضتنا الحضارية المعاصرة.. بل لا بد من انتهاج استراتيجية وقائية محكمة، لمواجهة هذا الزيف الفكري ولكن بشكل هادئ غير مثير، يصحح الموقف ويمتص ما فيه من شحنات سلبية دون إشعار الخصم أو الرأي العام المعني بأننا نقوم بعمل مضاد ومجابه. لأن الفعل المجابه عادة ما يثير حاسة التحفظ لدى الآخرين من غير المعنيين، فما بالك بالمعني بها مباشرة، فإن رد فعله يكون أكثر عدوانية وشراسة ! و لتكن لنا عبرة في الحكمة القائلة: اصبر على حسد الحسود فان صبرك قاتله. كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله. دون أن نغفل طبعا عن قضية الاستثناءات التي قد لا يفيد فيها منطق التجاهل والاستيعاب غير المباشر، بل تنفع معها المجابهة وكشف أوراق المتطاولين، وهذا أمر متروك لتقدير خبراء الدعوة والمجتمع والدولة في المجتمع والأمة .

على ضوء تصريحات البابا بينيدكت السادس عشر مؤخرا ، جزم كثير من المتابعين أن بابا الفاتيكان من خلال هذا الموقف، قرر إطلاق رصاصة الرحمة على ما يعرف بحوار الأديان.. ما تعليقكم على ذلك ؟

لا بد أن نؤكد أولا على أن حوار الثقافات والحضارات في المنظور الإسلامي ليس خيارا ثانويا أو تكتيكيا، بل هو قيمة مبدئية كلية لا بديل عنها، وخيار محوري في بناء العلاقات الحضارية بين البشر، كما جاء تأكيد على ذلك في القرآن: (يَا أَيُّهَا

النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) . والبديل الطبيعي للحوار الحضاري هو المواجهة والصراع بكل ما فيه من انتهاك لحقوق الآدمية وشرفها، وهدر لمقدرات خلافتها في الأرض، وتصعيد لآلامها وعذاباتها. ولذلك كانت استراتيجية التكاملية الحضارية، التي تتجلى في الآية السابقة، هي خيار الإسلام في بناء العلاقات الحضارية بين البشر، ونحن لا بد أن نصر على ذلك، وأن نعمل بكل جدية على المساهمة في تجسيده .

ولما كان حوار الأديان والثقافات يحتل موقعا محوريا متقدما في حوار الحضارات، فإن الإصرار على قيامه و استمراريته ونجاحه، يجب أن يظل في مقدمة أولويات الأمة من ناحية، وأولويات المنظمات الدولية الثقافية والسياسية من ناحية أخرى. وأنا أتمنى أن تضطلع نخبتنا الفكرية ومؤسساتنا الثقافية بدورها الفعال في هذه المهمة الحضارية الإنسانية بل والكونية، وأن لا تقعدها أو تثبطها المعوقات والأخطاء التي تقع هنا أو هناك.

لذا فإنني مقتنع تماما بأن أي زهد في التواصل الفكري والثقافي والاجتماعي والسياسي بين الأديان والثقافات والحضارات، من أجل التعارف المباشر، والتصارح المتبادل، وحتى التجادل العلمي البناء، هو ضيق في الأفق، وانحسار في الوعي بمقاصد الدين، وابتسار لشموليتها وعالميتها وإنسانيتها و كونيتها من جهة، وتبسيط واختزال وقفز على منطق السنن التي تحكم حركة الاستخلاف البشري في الأرض من جهة أخرى، ومؤشر على الخوف وعدم الثقة في قوة وقدرة الفكرة الدينية أو الثقافية المتبناة، على الانفتاح والمحاورة والإقناع والصمود، عندما توضع على محك النقد الفاحص، والمجادلة العلمية الجادة، والممارسة السلوكية والاجتماعية .

وعلى ضوء هذا، تبدو لي خرجة البابا خاطئة تماما، وكانت نتائجها معاكسة حتى في المجتمع الغربي العلماني منه والكنسي، كما نلمس ذلك من ردود أفعال مفكرين وكتاب كثيرين في الغرب. لأنها جاءت منافية لحقيقة الإسلام ومنطق تاريخه الثقافي والحضاري، الذي طبعته العلمية والعقلانية إلى حد كبير، كما شهد بذلك علماء غربيون كثيرون، بما فيهم بعض عتاة الماركسية، كما نرى ذلك على سبيل المثال

في هذه الشهادة للمفكر اليهودي مكسيم رودنسون الذي اعترف بأن العقلانية تحتل مكانا بارزا في القرآن، وخلص في إحدى مقارناته بين القرآن والعهدين القديم والجديد إلى التأكيد على أن العقلانية القرآنية تبدو صلبة كالصخر !

هل من كلمة أخيرة، ترغبون في قولها عبر موقعنا؟

أود في الأخير أن أنبه أبناء الأقليات المسلمة في الغرب كله بصفة خاصة، وأبناء الأمة بصفة عامة إلى أهمية إتاحة الفرصة للنبتة الإسلامية في المجتمعات الغربية لتنمو بشكل طبيعي، وتأخذ مكانتها الطبيعية في هذه المجتمعات، وتساهم في خدمتها وصياغتها ووقايتها بشكل طبعي .

فالوجود الإسلامي في هذه المجتمعات ظاهرة حضارية في غاية الأهمية، ليس للإسلام والأمة الإسلامية فحسب، بل للمجتمعات الغربية والحضارة الإنسانية المعاصرة كذلك. وأتصور لو أن الأقليات المسلمة والمجتمعات المسلمة من ناحية، والمجتمعات الغربية من ناحية أخرى، وعت الأهمية الحضارية البالغة للأقليات المسلمة، وعملت على رعايتها حتى تستوي على عودها، لساهمت بفعالية في تحقيق جزء هام من استراتيجية التكاملية الحضارية بين البشر، التي جاءت بها جميع الرسالات السماوية، ونادت بها المواثيق الدولية على ما فيها من فيروسات المركزية العنصرية والاستعمارية أو الاستكبارية.

فالأقليات المسلمة تشكل جسرا حضاريا هاما، تعبر عليه الخيرية والخبرة الإسلاميتين إلى المجتمعات الغربية المعاصرة، كما تعبر عليه الخبرة الغربية إلى المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وهو ما يجب أن تعيه المجتمعات الإسلامية بالخصوص، وأن تساعد هذه النبتة الطيبة على النماء والتأصل في بيئاتها الجديدة، بعدم التدخل في شئونها الخاصة، فالأقليات المسلمة لها من الوعي والخبرة والإمكانات والقيادات الناضجة ما يجعلها تقدر مصالح المجتمعين، وتعمل على خدمتهما. أشكر لكم بدوري، تواصلكم معي و أشد على أيديكم لخدمة الإعلام الإسلامي الرشيد والله ولي التوفيق.

============

#حول قداسة الحكّام في تاريخنا

أ. د. عماد الدين خليل 1426/9/21

2005/10/24

[1]

طالما ردّد الكثير من الباحثين في دوائر الاستشراق النصراني أو الماركسي، بأن هناك صعوبة كبيرة تقف في وجه الدارس للتاريخ الإسلامي، وهي أن الشخصيات الإسلامية أُحيطت بالقدسية ولاسيما الخلفاء، بل إنه حتى أولئك الخلفاء الذين بلغوا أقصى حدّ من الانهيار والانحراف، ظلّوا محاطين بالتقديس ما داموا يستمدون سلطتهم من الدين بصفتهم منفّذين للشريعة ومفسّرين لكلمة الله!

والحق أن هذه المقولة قد لا تعني شيئاً على الإطلاق إن لم تُضبط وتُحدّد تحديداً دقيقاً، ومن ثم فإن إطلاقها على عواهنها قد يكون نوعاً من التعميم الذي هو نقيض البحث العلمي الجاد.

فإذا أُريد بالقدسية: العصمة أو التنزيه عن الخطأ والنقد والاعتراض . وهذا هو الراجح . فإن الشخصيات الإسلامية، بما فيها الخلفاء، كانت تجتهد رأيها فتصيب وتخطئ. وكلنا يذكر عبارة مالك بن أنس (رحمه الله): " كل بني آدم يُؤخذ منه ويردّ عليه إلاّ صاحب هذا القبر" ويعني النبيّ المعصوم عليه أفضل الصلاة والسلام. بل إن الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) قالوها مراراً وأعلنوها تكراراً: إنهم جاؤوا لكي ينفذوا أمر الله، ويلتزموا شريعته المتضمنة في كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) فإن أصابوا فبها، وإن أخطؤوا فإن من حق الأمة التي ارتضتهم أن تقوّمهم وتردّهم إلى الطريق.

وكلّنا يذكر خطبة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) التي استهلّ بها خلافته "أيها الناس، إني قد وُليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأطيعوني، وإن أسأت فقوّموني .. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم .." .. ويذكر خطبة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): "ولست أدع أحداً يظلم أحداً حتى أضع خدّه على الأرض، ثم أضع قدمي على الخدّ الآخر. ثم إني أضع خدّي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف".

ويذكر غير هذا وذاك الكثير من الوقائع في هذا الاتجاه. قال حذيفة بن اليمان: دخلت على عمر بن الخطاب . يوماً . فرأيته مهموماً حزيناً فقلت له: ما يهمك يا أمير المؤمنين؟ قال: إني أخاف أن أقع في منكر فلا ينهاني أحد منكم تعظيماً. فقلت: والله لو رأيناك خرجت عن الحق لنهيناك!! ففرح عمر وقال: الحمد لله الذي جعل لي أصحاباً يقوّمونني إذا اعوججت!

ويوماً صعد على المنبر وقال: يا معشر المسلمين ماذا تقولون لو ملْتُ برأسي إلى الدنيا كذا؟ فقام إليه رجل فقال: أجل .. كنا نقول بالسيف كذا (وأشار بالقطع). فقال عمر: إياي تعني بقولك؟ أجاب الرجل : نعم إياك أعني بقولي. فقال عمر: رحمك الله! الحمد لله الذي جعل في رعيّتي من إذا تعوّجت قوّمني!

وعن الحسن بن علي (رضي الله عنهما) قال: كان بين عمر بن الخطاب وبين رجل كلام في شيء، فقال له الرجل: اتّق الله. فقال رجل من القوم: أتقول لأمير المؤمنين اتق الله؟ قال عمر: دعه، فليقلها لي، نِعْم ما قال. لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نقبلها!

ويوماً نادى: الصلاة جامعة .. فلما اجتمع المسلمون صعد المنبر وقال: أيها المسلمون، لقد تذكرتني وأنا أرعى لخالات لي من بني مخزوم فيقبّضنني القبضة من التمر أو الزبيب. ثم نزل. فقال له عبد الرحمن بن عوف: ماذا أردت بهذا يا أمير المؤمنين؟ فأجاب: ويحك يا ابن عوف ، لقد خلوت إلى نفسي فقالت لي: أنت أمير المؤمنين، وليس بينك وبين الله أحد؛ فأنت أعلى الناس، فأردت أن أعرّفها قدرها!

وعثمان بن عفان (رضي الله عنه) وقف . فيما يحدثنا الطبري في تاريخه . يدافع عن نفسه أمام جموع الثائرين، ويدلي بحججه واحدة تلو أخرى وهم يثنّون عليها، وأبى أن تُسفك من أجله قطرة دم واحدة ، فضلاً عن أن يحتمي . وحاشاه . بقدسية مزعومة تضع بين خلفاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبين جماهير أمتّهم سدًّا ، وتدمّر حقهم في الاعتراض.

وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وقف متهماً جنباً إلى جنب مع المدّعي عليه، وهو أمير المؤمنين، والمدّعي يهودي من غير أبناء الأمة المتفوّقة .. يقف قبالة القاضي لكي يدفع التهمة عن نفسه.

وعمر بن عبد العزيز (رحمه الله) يعلن عن جائزة قدرها ثلاثمائة دينار لكل من يقطع الطريق الطويل، ويجيء إلى دمشق . قاعدة الخلافة . لكي يقول هناك كلمة (الحق) في مواجهة أمير المؤمنين!

[2]

تجاوز الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) ما يسمى بالديمقراطية التي عرفها الغرب والتي كانت في كثير من الأحيان لا تعبّر سوى عن مصالح شرائح محدّدة من المجتمع .. تجاوزوها إلى نوع مركّب من الديموقراطية (إذا استخدمنا تعبير مالك بن نبي رحمه الله) .. فكانوا يطلبون من جماهير أمتهم أن تنقدهم وتقوّمهم، ويحضّونها على ذلك، ويربّونها عليه.

بل إن الراشدين يمضون إلى ما هو أبعد من هذا، فيقاتلون شبح الافتتان في أنفسهم وعند الآخرين .. والافتتان وجه من وجوه القداسة، ومقاتلته تعني إشهار الحرب ضد القداسة الموهومة التي لا تقوم على أساس، والتي تقترب بالناس . أحياناً . من حافات الصنمية التي جاء الإسلام ثورة حاسمة لاستئصالها من الضمائر والنفوس.

لقد عزل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قائده الفذّ خالد بن الوليد خشية افتتان الناس به بسبب من انتصاراته العجيبة فيما تذهب إليه أرجح الروايات.

وهو يلاحق جذور الافتتان في أعماق نفسه من أجل أن يستأصلها، وهو من أجل ذلك يمارس نوعاً من تعرية الذات في مواجهة (الآخر) كي يحقق هدفه بأكبر قدر من الدفع والتكشّف، فيما مرّ بنا قبل قليل.

والمواقف كثيرة مزدحمة، والراشدون يمنحون تاريخ البشرية غنى عجيباً في دائرة حرية التعبير، والنقد، والمعارضة. وغير الراشدين ممن ساروا على هديهم، واقتفوا خطواتهم حكاماً وخلفاء وأمراء، قدّموا مثلاً عملياً على إسقاط مفهوم القداسة بمعنى التنزّه عن النقد والمعارضة والإدانة .. وبمعنى الافتتان بالذات، والارتفاع فوق رؤوس الناس، وتدمير تحرّرهم الوجداني الذي هو قاعدة شهادة (لا إله إلا الله) كما يفهمها المسلمون بعفوية وصدق بالغين!

وإننا لنذكر ها هنا . فضلاً عما أوردناه . ما فعله السلطان المجاهد نور الدين محمود (541-569 هـ) في أعقاب انتصار من انتصاراته الحاسمة ضد الصليبيين عند

قلعة حارم في شمالي الشام عام 559 هـ؛ إذ يتقدّم منه قاضي قضاته الشيخ النيسابوري ويقول له: لولا بلاؤك ما تحقّق لنا النصر! فماذا يكون الجواب؟: " مَنْ نور الدين محمود الكلب

حتى تقول له هذا؟ قبلي من حفظ الإسلام وبعدي من سيحفظه، ذلك هو الله الذي لا إله إلاّ هو !!".

وفي فترات زمنية سابقة كان الخليفة العباسي قد اعتقل مالك بن أنس وأبا حنيفة النعمان (رحمهما الله) لأنهما أصدرا فتوى بشرعية إحدى الثورات ضده!! وضرب خليفة عباسي آخر الإمام أحمد بن حنبل بالسياط؛ لأنه رفض الاعتراف بالمذهب الاعتزالي

الذي أعلنته الدولة مذهباً رسمياً!! وهؤلاء هم فقهاء الأمة وممثلوها أمام الله .. والسلطان .. والحق .. فلو كان الخليفة العباسي "مقدّساً" أو "محاطاً بهالة من القدسية" –كما يدّعي العلمانيون والماركسيون ونصارى الاستشراق ويهوده – فكيف يبيح هؤلاء الفقهاء لأنفسهم خرق قدسية تستمدّ مقوّماتها من الدين الذي يعبّرون عنه ويذودون؟

وليس مهمّا أن يدّعي بعض خلفاء بني العباس قدسية ما أنزل الله بها من سلطان، يذودون بها عن سلطتهم .. وليس مهّما . أيضاً . ادّعاؤهم حق التفويض الإلهي بحكم المسلمين حكما مطلقاً .. ولكن المهم هو موقف الخلفاء الأكثر تمثيلاً لحقيقة هذا الدين إزاء هذه القضية، وقد أشرنا إلى نماذج منه .. كما أن من المهم موقف جماهير الأمة وقادتها من المسألة نفسها، وقد عرضنا لشاهد منه ..

وما لنا ألاّ نرجع إلى الرسول المعلّم نفسه (عليه أفضل الصلاة والسلام) وهو النبيّ المبعوث، لنعاين بعض مواقفه إزاء القدسية المزعومة هذه .. تلك المواقف التي تصفع مقولات كذَبَة العصر الحديث ودجّاليه من أعداء هذا الدين ..

رأى (صلى الله عليه وسلم) رجلاً يرتعد أمامه تعظيماً وخوفاً فقال له: هوّن عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد وتمشي في الأسواق!

وكان يقول لأصحابه: لا تقوموا لي كما تقوم الأعاجم لأكاسرتها! وعندما خرج لتشبيع ابنه الصغير إبراهيم .. حدث وأن تعرّضت الشمس لكسوف جزئي فقال بعض

المشيعين: إنها كسفت لموت إبراهيم .. فردّ رسول الله: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تتكسفان، ولا تنخسفان لموت أحد من الناس ..
وعندما دخل مكة فاتحاً .. وهو حلمه الكبير الذي انتظره السنوات الطوال، دخلها وهو يطأطئ رأسه حتى مسّت لحيته الشريفة ظهر ناقته القصواء شكراً لله سبحانه، وعرفاناً بالنصر الذي منحه إياه ..
نقارن هذا بصورة نابليون بونابرت المعلّقة على جدران اللوفر في باريس، لحظة دخوله برلين فاتحاً بعد معركة (ينّا) ضد الألمان عام 1807م .. كان منتفخ الأوداج .. مصعّر الخدّ .. دافعاً بصدره إلى الأمام غروراً واستكباراً ..
فأين هو ادّعاء القدسية يا أدعياء البحث العلمي في التاريخ ؟!
[3]
فماذا عن موقف "مؤرّخينا" من مسألة القدسية المزعومة هذه؟
مع اعترافنا المحتوم بحشود الأخطاء التي وقع فيها معظمهم، مبالغة أو تحزّباً أو تحريفاً أو قبولاً للأكاذيب، مما دفع مؤرّخاً كابن خلدون إلى وضع (مقدمته) المعروفة لصياغة معايير منهجية من أجل حصر وتجاوز هذه الأخطاء في التعامل مع المرويات التاريخية .. رغم هذا، فإن معظم هؤلاء المؤرخين حكوا عن الأسود والأبيض في سير الخلفاء وغير الخلفاء .. والتقديس الذي أحاط به بعض الخلفاء أنفسهم، لم يمنع العديد من المؤرخين من سرد الحقائق كما هي حتى وإن كشفت عن عيب أو نقيصة في هذا الخليفة أو ذاك .. بل إن مؤرخاً كبيراً كالطبري رفض قبول أي هدية من السلطة من أجل ألاّ يكون ذلك على حساب تحرّره من أي ضغط، وقدرته على سرد الحقيقة كما هي دون زيادة أو نقصان.
وثمة فرق كبير بين اعتبار الخليفة محوراً أساسياً تتمحور عنده الرواية التاريخية بسبب من دوره الأساسي في صناعة الحدث التاريخي، وبين إحاطته بالقدسية التي تخرجه بالكلية عن دائرة النقد والتقويم، وتحيطه بالهالة التي يخدع بها عامة المسلمين، والتي تجعل المؤرخ أو دارس التاريخ الإسلامي لا يستطيع أن يتناسى هذه القدسية التي أُضفيت على الخلفاء وغير الخلفاء، ولا يستطيع أن يجرّدهم من الهالة الدينية التي زادها مرور الزمن شدة وقوة! كما يزعم خصوم هذه الأمة!

وبمقدور أي قارئ عادي، فضلاً عن الدارس المتخصّص، أن يرجع إلى أي من مصادرنا التاريخية: (المسعودي في مروج الذهب، أو الطبري في تاريخ الرسل والملوك، أو الدينوري في الأخبار الطوال، أو ابن الأثير في الكامل، أو ابن كثير في البداية والنهاية .. وغيرهم) لكي يرى بأم عينيه حشوداً من الروايات التي تمدح هذا الخليفة أو ذاك، وحشوداً أخرى تقدح فيه، وتنشر مثالبه أمام الأجيال! وهو أمر قد لا يحتاج بأكثر من إلقاء نظرة عجلى على معطيات تلك المصادر.

وثمة ما يجب أن نقف عنده لحظات ها هنا، ذلك أن تراث الأجداد في ميدان البحث التاريخي لا يقتصر على نمط واحد فحسب هو التاريخ السياسي العام، كالذي أنجزه المؤرخون الذين أشرنا إليهم، لكي نبني عليه حكماً عاماً ينطوي على كونه تاريخاً للفئة الحاكمة أولاً، وعملاً يتجاوز النقد ويتحاشى الكشف عن العيوب والأخطاء بسبب من إحاطة أفرادها بالقدسية، من جهة ثانية .. فنحن . حتى على فرض التسليم بهاتين المقولتين اللتين قد ترتبطان بمصنّفات التاريخ السياسي العام . فإن علينا أن ننتبه إلى الأصناف الأخرى من التآليف في حقل التاريخ والحضارة الإسلامية. وأوّل ما يلفت النظر في هذا السياق، ذلك الصنف المعروف "بكتب التراجم"، والتي تمثل الصنف الأكثر كثافة وازدحاماً في المكتبة التاريخية الإسلامية؛ إذ تكاد تغطي نسبة سبعين إلى ثمانين بالمائة من رفوف هذه المكتبة.

وكتب التراجم هذه، بمساحتها الواسعة تلك، لا تتعامل –إلاّ في حالات محدودة– مع الفئة الحاكمة، وتقف عندها، ولكنها تمضي إلى قلب المجتمع، إلى كل أولئك الذين أغنوا الحياة الفكرية والثقافية في تاريخ الأمة المسلمة، علماء وفقهاء ونحاة وأطباء وقضاة ولغويين ومحدّثين وشعراء ومعماريين ومهندسين وفلاسفة وفلكيين ومفسّرين وجغرافيين ومؤرخين .. إلى آخره .. بصرف النظر عن قربهم أو بعدهم عن السلطة .. وبالتالي بصرف النظر عن كل محاولات القداسة التي يدّعي الباحثون إياهم أن رجالات السلطة قد أحاطوا أنفسهم بها، فصدّوا البحث التاريخي بالتالي، عن أن يمضي قدماً للكشف عن الحقائق بشكل موضوعي غير متحيّز.

إننا، في دائرة كتب التراجم هذه، نلتقي بمئات، بل بألوف الناس الذين جاؤوا من قاع المجتمع حيناً، ومن طبقاته الوسطى حيناً آخر، والذين ما كانت لهم أيما علاقة

مباشرة أو غير مباشرة بمراكز الحكم والسلطان، ومن ثم فإن بمقدور الباحث في العصر الحديث أن يجد أمامه واحدة من أوسع الشرائح في مجموعة المصادر التاريخية بعداً عن ادّعاءات التأثيرات الخاصة بقدسية الحكام!

فإذا أضفنا إلى كتب التراجم، الأنماط الأخرى التي تغذّي البحث التاريخي، والتي لا ترتبط هي الأخرى بمراكز الحكم والسلطان، من مثل كتب الجغرافيا والرحلات، والتاريخ المحلّي، وتواريخ المدن والأقاليم، وكتب الخطط، ومصادر التاريخ الأدبي، والمصنفات الموسوعية .. إلى آخره .. أدركنا كم أن القياس على مصادر التاريخ السياسي العام وحدها يتضمن قدراً من التعميم الخاطئ الذي هو نقيض المطالب المنهجية. هذا رغم أنه . مما يتناقض مع هذه المطالب كذلك . اعتبار مصادر التاريخ السياسي العام انعكاساً لحالة التقديس . المبالغ فيها . والتي قال الأدعياء بأن الخلفاء والحكام أحاطوا بها أنفسهم، فصدّوا المؤرخين عن إنجاز أعمال تتسم بالدقة والموضوعية كما خُيّل إليهم ..

[4]

ثمة ما يرتبط بما ذكرناه لدى قساوسة الاستشراق وحاخامات التفسير المادي للتاريخ وأنصاف الملاحدة من العلمانيين .. وكلهم من خصوم هذه الأمة وعقيدتها وتاريخها، رغم أن بعضهم من المحسوبين على الجغرافيا الإسلامية ويحملون في دفاتر نفوسهم أسماء إسلامية!!

إنهم يخلطون بين الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان، وبين غيرهم من سلاطين المسلمين وخلفائهم وحكامهم .. ثم هم يخلطون هؤلاء جميعاً بأباطرة النصرانية وملوكها وباباواتها في القرون الوسطى؛ إذ لا اعتراض ولا نقد؛ لأن الاعتراض يعني الكفر،

والنقد يعني الهرطقة .. وصكوك الغفران تمضي بهؤلاء وهؤلاء إلى حافات الذّل والعذاب في الحياة الدنيا، وتدمغهم بالطرد من الجنة في الآخرة .. ثم هم يمضون خطوة أخرى فيعلنون أن أوروبا قدرت على فصل الدين عن السياسة في نهاية الأمر، فحرّرت السلطة هناك من القداسة، ومكنّت المؤرخين . بالتالي . من أن يكتبوا تاريخاً أشد دقة وإحكاماً، بينما عجز الشرق الإسلامي عن تحقيق هذا الفصل فامتلأ

تاريخه بالتزوير والتحوير! وأصبح من ثم بحاجة–بعد إذ تحقق الفصل الموعود– إلى أن يُكتب من جديد!

لقد كان اقتران الديني بالدنيوي في أوروبا . ولأسباب تاريخية ليس هذا مجالها . نقيضاً لحرية التعبير الفكري أو المذهبي أو الذاتي، بل نقيضاً حتى لحرية التعبير العلمي، ومن ثم جاءت خطوة فك الارتباط بين الحلقتين –وبعد صراع مرير– لصالح الحرية الإنسانية في مجالاتها كافة، بما فيها البحث العلمي والتاريخي على وجه الخصوص؛ إذ لم يعد ثمة ما يصدّ الباحث عن المضي قدماً في التحقق بأكبر قدر من الموضوعية.

وعلى العكس تماماً، فإن اقتران الديني بالدنيوي في عالم الإسلام، كان تأسيساً للحرية وتأكيداً لها في سائر السياقات الفكرية والمذهبية والذاتية، ودفعة قوية في مجال حرية التفكير وإنشاء مؤسسات وتقاليد ومناهج البحث العلمي الذي يؤكد الغربيون اليوم كم أنهم في حضارتهم المتفوّقة الراهنة مدينون بصدده لعالم الإسلام وحضارته وتقاليده.

وهؤلاء الأدعياء يتوهمون، أو يتعمدون التوّهم، بأن هناك توازياً بين التجربتين النصرانية والإسلامية، ويصرّون على استخدام عبارة "العصور الوسطى" كإطار زمني للتجربتين من أجل تأكيد وهمهم هذا، وهو أسلوب في التعميم لا يستند إلى أساس سليم. فليس المهم أن تحدث التجارب في زمن واحد، وإنما المهم هو طبيعة التجربة ومكوّناتها الأساسية، وتوجّهاتها الرئيسة. فها هنا بصدد الطبيعة والمكونات والتوجهات، نجد التجربتين تفترقان ابتداء، وعلى زاوية مائة وثمانين درجة، فتذهب إحداهما في اتجاه وتمضي الأخرى في اتجاه معاكس تماماً، ومن ثم فإن أي مقارنة بين التجربتين تحترم العلم والمنهج، يجب أن تلحظ هذا، وإلاّ فإنه التعصّب الأعمى، أو الجهل، مما يجعل أدعياء العلمية هؤلاء يخلطون بين التجربتين، ويضعون البيض كلّه في سلة واحدة.

لقد كانت إحدى أهم نقاط الارتكاز في العقيدة والتصور الإسلاميين هو التحرّر العقلي والسلوكي والوجداني من أي شبهة قد تقود إلى القداسة والصمنية والافتتان، وإقامة الأسلاك الشائكة ضد النقد والتقويم. ولقد كان هذا أمراً طبيعياً؛ لأنه ينبثق عن قاعدة الإسلام الأساسية: التوحيد المطلق لله سبحانه، وضرب كل صور الشرك

والعبودية لغيره. حتى إننا لنجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يبذل جهداً صعباً مع أصحابه الكرام (رضي الله عنهم) فيربّي فيهم هذا الحسّ بدءًا من التعامل معه كنبيّ، وأن عليهم أن يفرّقوا بشكل حاسم بينه كرسول ينقل إليهم تعاليم السماء، ويفسّرها، ويوضحها، وبينه كإنسان (بشر) فيما أكده القرآن الكريم أكثر من مرة: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ...)[الكهف: من الآية110]، (...قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً)[الإسراء: من الآية93].

بينما في التجربة النصرانية المحرّفة تصير القاعدة هي الشرك والتثليث، وتصبح قداسة الأشخاص وصنميات التسلسل الكهنوتي حاجزاً عالياً صعباً يصدّ المنتمين للنصرانية عن أي محاولة للتحاوز بالنقد والتقويم والاحتجاج؛ لأنهم . ابتداءً . انكسروا من الداخل .. اعتادوا الانحناء للرموز النصرانية وعدم مواجهتها بسبب من أنهم مُرّرت عليهم أسطورة التثليث والقداسة فتكيّفوا عقلياً وسلوكياً ووجدانياً وفق مطالبها الموهومة.

ولقد انعكست كل من التجربتين الإسلامية والنصرانية على التاريخ.. على معادلات الزمان والمكان، فتشكلت أولاهما وفق مبادئ ومنطلقات تختلف في جوهرها عما تشكلت به الأخرى

==========

#إهانة الإسلام في نمو مطّرد!

محمد عبد الله السمان 1427/1/27

2006/02/26

حين دخل اللورد البريطاني اللّنبي بيت المقدس في الحرب العالمية الأولى، قال: "الآن انتهت الحروب الصليبية"، ربما كان يعني "العسكرية" لتظل الحرب النفسية والسياسية تعمل على الدوام؛ فهو واثق من أن العالم الإسلامي سيظل مهيض الجناح.

والجنرال الفرنسي (غورو) الذي ذهب بعد انتهاء موقعة عيساوي بسوريا إلى قبر صلاح الدين الأيوبي وركله بقدمه، وقال: قم يا صلاح الدين، ها نحن قد وصلنا". إلا أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 م كشفت أن الحرب الصليبية لم

تنته، بعد أن هدد أبرهة العصر الحديث بوش بأنه سيعلنها حرباً صليبية جديدة، وقد وفى بما هدد، فاحتل أفغانستان المسلمة ودمرها، ثم احتل العراق المسلم ودمره بمسوّغات صدق كذبها، وما زال الاحتلال ينفق مليارات من الدولارات شهرياً، وعلى الرغم من معارضة كثرة من الشعب الأمريكي، وبخاصة أسر القتلى الذين تصل توابيتهم في الظلام.

وما هو جدير بالذكر: أن الاستشراق والتنصير لون من ألوان الحرب الصليبية يتمتعان بأوفر قسط من رواسب الحرب الصليبية، وبعض دول الغرب الصليبي يعتمد جزءاً من الميزانية العامة للإنفاق على مهمة التنصير في العالم الإسلامي، وفي حماية أمريكا بمالها من نفوذ وأوروبا، بل إن مراكز التنصير من خلال مؤسساته: الجامعات والمعاهد والمدارس، تتمتع بحصانة وامتيازات لا حصر لها. بينما لا تتمتع به المؤسسات الوطنية التي أصبحت تحت هيمنة أجهزة الأمن السرية.

كان الهجوم على الإسلام فيما مضى يكاد يكون قاصراً على النشر، لكن بعد هذا التطور الإعلامي ووسائل الاتصال ازداد السّعار في الهجوم على الإسلام ونبي الإسلام، بحر لجّي من الوقاحة، نقابله نحن باستحياء، ولكن مما يدعو إلى الأسى المرير، هو أن هذا الهجوم ليس قاصراً على الأفراد، بل تجاوزه إلى هيئة لها مكانتها تتبع هيئة الأمم المتحدة، هيئة اليونسكو؛ ففي أحد مجلدات الحضارة الصادرة عنها، ست عشرة صفحة عن الإسلام، وفي البداية:"الإسلام دين ملفق من اليهودية والنصرانية والوثنية" أول القصيدة كفر. وقد لفت الأنظار إلى هذه الجريمة الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف المصري الأسبق . رحمه الله.

كنت مع الأخ حسين عاشور . صاحب "دار المختار الإسلامي" في لقاء مع الشيخ خلف أمين عام مجمع البحوث الإسلامية يومئذ، قال لي: جئت في الوقت المناسب: وقص عليّ قصة ما جاء في مجلدات الحضارة. قال: ولقد عرضت الموضوع على كلية الشريعة منذ فترة. ولم تردّ، ويبدو أنها لن تردّ. وأنت لها لترد عليها في كتاب ما رأيك؟ قلت: على الرحب والسعة، قال أخي الأستاذ حسين: وأنا مستعد لنشر الكتاب للرد على اليونسكو، قال: على بركة الله.

ومما يؤسف له: أنني أهديت الكتاب إلى العديد من الصحف، ولم تشر إليه، حتى مجلة الأزهر، وكتب صديقي الكاتب الإسلامي الأستاذ عبد الرحمن علي البنقلاح في جريدة (أخبار الخليج) في الصفحة الدينية التي يشرف عليها مقالاً ثم قامت هيئة اليونسكو بالرد عليه.. اعتذرت: أنها أحالت ما نُشر عن الإسلام على بعض المتخصصين، واتضح فيما بعد أن الذين كتبوا البحث، لم يُوفّقوا، وأننا سوف نصحح هذا الخطأ في الطبعة القادمة.. وكفى، وفي الطبعة الثانية من كتابي سجلت ما تم، وبعد صدور الكتاب بأيام معدودة أخبرني جاري في المسكن الدكتور محمد يحيى الأستاذ بكلية آداب القاهرة أن إذاعة إسرائيل أذاعت عن الكتاب وهاجمتني؛ قلت: هذا شرف لم أسعَ إليه!

فمن المؤكد أن جريمة صحف الدنمرك لن تكون الأخيرة..أجل لن تكون هذه الجريمة البشعة الأخيرة، وستظل تحديات القوى المعادية للإسلام في عرض مستمر، دون أن تبالي بردود الفعل من العالم الإسلامي الباهتة، ولا ترقى هذه الردود إلى المستوى الرسمي (الحكومات) تكاد تكون قاصرة على بعض الأقلام والألسنة . وعلى استحياء. وفي دول عربية وإسلامية عديدة، لا تسمح بالرد على الهجوم حرصاً على مصالحها.. ومصالحها تتصل بالأباطرة.. وهي مصالح مادية وسياسية، ولو على حساب كرامة الدين والوطن والشعب.

إن أي مساس بالصهيونية ولو طفيفاً يقيم دنيا الغرب ولا يقعدها، وقد نجحت الصهيونية في نفوذها على العالم وبخاصة أمريكا والغرب. وأصبح التحرش بهذه الصهيونية معاداة للسامية يجرمه القانون الدولي. إن هناك مهازل مثيرة للسخرية، حسبي أن أذكر مهزلتين:

1 . تقدمت إلى الرقابة بكتاب لي "محمد الرسول البشر" عام 1958، صدّرته على الغلاف بحديث نبوي صحيح في مسلم وغيره:"لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله؟ وأصر الرقيب على رفع الحديث، وذكرت ذلك في لقاء مع العالم الجليل الدكتور محمد عبد الله دراز . رحمه الله . فأشار عليّ أن أكتب: "لا تطروني ... إنما أنا عبد ... فقولوا: عبد الله ورسوله" وبعد إلحاح وافق الرقيب.

2 ـ في برنامج إذاعي كان المذيع يجري حواراً مع طلبة الجامعة عن طريق أسئلة للإجابة عنها، سأل طالبة بكلية الآداب اسمها (فاطمة): ماذا تعرفين عن ساعة نحس يوم الجمعة؟ فأجابت: إنها الساعة التي صُلب فيها السيد المسيح. قال المذيع: برافوا: وإذا كان موجّه السؤال جاهلاً جهلاً مطبقاً، فإن الطالبة المسلمة التي أجابت قد نطقت كفراً.. وللمأساة ذيل.

كتبت كلمة موجزة تعقيبا، قلت: ليس في يوم الجمعة ساعة نحس ـ كما فهم المذيع، فضلّ وأضلّ، بل ساعة من رضا الله كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يوم الجمعة، فقال: فيها ساعة لا يوافقها عبد وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه".

أعطيت التعقيب للأستاذ صلاح عزام المحرر بالجمهورية ـ رحمه الله ـ ولما لم ينشر ذهبت إليه أعتب عليه ـ فابتسم وأخرج من درج مكتبه الورقة عليها توقيع الرقيب بعدم النشر، ولما سألته قال: إحنا مش ناقصين إثارة فتنة. وضحكت وشر البلاء ما يضحك.

ونعود من حيث بدأنا:

إن ظاهرة الإساءة إلى الإسلام ـ مردّها ـ رواسب الحروب الصليبية، هذه الرواسب جعلت الإساءة ممتزجة بالحقد الأسود، فانتشار ظاهرة الإساءة للإسلام في المجتمعات الغربية وأمريكا، هي رد فعل لفلول التعصب الباقية في هذه الدول التي أدهشها انتشار المد الإسلامي في دول الغرب وأمريكا قبل أحداث 11 سبتمبر، حيث كان الإسلام ينتشر بقوة وعمق، ليصبح في معظم دول أوروبا الديانة الثانية للدولة، وبدأت أغلبية من المثقفين في كوادر علمية كبيرة يقبلون على الإسلام، فأصبحت جحافل التعصب التي تمنع انتشار الإسلام فلولاً وبقايا ـ ظلت موجودة في مراكز السياسة وصنع القرار هناك لتجد من أحداث 11 سبتمبر ذريعة لمحاربة الإسلام، ثم إن هناك جامعات إسلامية في هذه الدول، تهتم بتدريس الأديان بموضوعية، وبخاصة في الدول الاسكندينافية؛ لأنها تنبهت لما يشكله الدين من قوة إيجابية، ولذلك تحاول قوى التعصب فيها محاربة الإسلام بشراسة وجرأة ..

ومما هو جدير بالذكر أن الجريمة لم تقف عند حد نشر الكاريكاتير الوقح في صحيفة (بولاندز بوستن) الدنمركية، بل إن هناك صحفاً أخرى أوروبية نشرت الكاريكاتير تضامناً مع الصحيفة الدانمركية الوقحة، ومنها صحف ألمانية وفرنسية على سبيل المثال . والكفر ملة واحدة .. والعجيب: أن الغرب الصليبي يمارس أبشع صور التعصب العفن، ويتهم الإسلام بالتعصب، ليعدّ الهجوم على الإسلام سماحة والدفاع عن العدوان تعصباً، وينطبق على الغرب مقولة:"رمتني بدائها وانسلت"!

============

#لماذا المنهج؟ (1 . 2)

أ. د. عماد الدين خليل 1427/1/20

2006/02/19

إن مسألة اعتماد منهج عمل دقيق، أو برنامج مرسوم، يجب أن تأخذ مكانة متقدمة في سلم الأولويات، ليس فقط بالنسبة للنشاط التاريخي، ولكن بالنسبة للفكر الإسلامي المعاصر عموماً من أجل أن يمضي إلى أهدافه بأكبر قدر من التركيز، والاقتصاد في الجهد، وتجاوز التكرار، وتغطية المواضيع الملّحة وفق تسلسلها في الأهمية.

منهج، أو برنامج عمل، واضح الأبعاد، محدّد المفردات، بيّن الملامح، مثبّت الأهداف، من أجل حماية أنشطتنا الثقافية كافة من الارتجال والفوضى، وربما التناقض والارتطام.

إن القوم في عالم الغرب يغزوننا اليوم بأكثر من سلاح، وإن (المنهج) الذي يستهدي بمقولاته ونظمه معظم المفكرين، أفراداً ومؤسسات، لهو واحد من أشد هذه الأسلحة مضاءً في تمكينهم من التفوق علينا وفرض فكرهم في ساحاتنا الثقافية كافة.

هم منهجيون في كثير من أفعالهم وممارساتهم، بغض النظر عن مدى سلامة هذا المنهج وصدق مفرداته وصواب أهدافه التي يتوخاها.. منهجيون وهم يتحاورون ويتناقشون .. منهجيون وهم يكتبون ويبحثون ويؤلفون .. منهجيون وهم يدرسون ويقرؤون ويطالعون .. إن المنهج بالنسبة للمثقف الغربي يعني ضرورة من الضرورات الفكرية، بل بداهة من البداهات، وبدونه لن تكون الحركة الفكرية بأكثر

من فوضى لا يضبطها نظام، وتخبّط لا يستهدي بهدف، ومسيرة عمياء لا تملك معالم الطريق ..

ونحن، إلاّ قلّة من المفكرين، على النقيض من هذا في الكثير من أفعالنا وممارساتنا.. بلا منهج في حوارنا ومناقشاتنا.. بلا منهج في كتاباتنا وأبحاثنا وتآليفنا.. بلا منهج في دراساتنا وقراءاتنا ومطالعاتنا .. وأنشطتنا الثقافية بعامة ..

لكأن الرؤية المنهجية التي منحنا إياها كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام( ) قد غابت عنا، وأفلتت مقولاتها من بين أيدينا، وتلقفها القوم كما تلقفوا الكثير من معطياتنا الثقافية فذكروها ونسيناها، والتزموا بها وتركناها، وتحققوا بحضورها الدائم، وغبنا نحن عنها، أو غابت هي عنا، فكان هذا الذي كان ..

ولكأن الخطط الخمسية التي قبسناها عنهم في أنشطتنا الاقتصادية هي الخطط الوحيدة التي يمكن أن تُؤخذ عنهم من أجل وضع مناهج عمل لممارساتنا الاقتصادية تتضمن المفردات، ووحدات الزمن المطلوبة، والأهداف، في سياق إستراتيجية بعيدة المدى، قد تتحقق بعد عشر من الخطط الخمسية أو عشرين ..

أليس ثمة مجالات أخرى، غير الاقتصاد، أو مع الاقتصاد، يجب أن يُبرمج لها، وأن تُوضع لها الخطط والمناهج الزمنية المحددة، الصارمة، لكي تصبّ . على هدى وبينة . في بحر الأهداف الإستراتيجية لمسارنا الثقافي؟

إن اعتماد المنهج في أنشطتنا الفكرية، ليس اقتباساً عن حضارة الغرب بقدر ما هو رجوع إلى الجذور والتقاليد الأصيلة التي صنعناها نحن على هدى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ومعطيات أتباع هذا الدين زمن تألقهم الحضاري..

وإن حيثيات الصراع الراهن مع الحضارة الغربية تتطلب . فيما تتطلب . أن يكون لنا منهج عمل فكري يمكننا – من خلال النظم الصارمة التي يلزمنا بها– من الأخذ بتلابيب القدرة على الفاعلية والتحقق بالريادة والكشف والابتكار والإضافة والإغناء..

أن نكون . باختصار . أنداداً للفكر الغربي، قديرين على أن ندخل معه في حوارٍ يومي.. وأن نتفوق عليه ..

إن العقيدة التي نملكها، والمضامين الثقافية التي تخلّقت عبر تاريخنا الطويل في مناخ هذه العقيدة، تعلو، بمسافات لا يمكن قياسها، على عقائدهم وفلسفاتهم ورؤاهم

ومضـامينهم الثقافيـة.. هـم يقولـون هـذا مـراراً ويؤكدونـه تكـراراً، قبـل أن نقولـه نحـن ونؤكده، وبعده ..
والذي يعوزنا هو المنهج.. هو طرائق العمل الإستراتيجي المبرمج المنظم المرسوم.. وحينذاك فقط يمكن أن نطمح، ليس فقط إلى تأصيل ذاتنا الثقافية وتحصينها ضد عوامل التفكك والغيـاب والـدمار.. بـل علـى التفوق علـى ثقافـة الخصـم واحتوائهـا، باطراح دمها الأزرق الفاسد والتمثل بدمها القاني النظيف ..
إن المنهج يعني –في نهاية التحلي– حشد الطاقات وتجميعها والتنسيق بين معطياتها لكي تصب في الهدف الواحد، فتكون أغنى فاعلية وأكثر قدرة على التجدد والإبداع والعطاء..
وغن غياب المنهج يعني . بالضرورة . بعثرة الطاقات وتفتيتها وإحداث التصادم بينها .. فلا تكون . بعد . جديرة بالإضافة والفاعلية والعطاء ..
لقد أكد القرآن الكريم والرسول عليه السلام هذا المعنى أكثر من مرة.. وحذرنا نبينا – صلى الله عليه وسلم– من أن الذئب لا يأكل من الغنم إلا الشياه القاصية..
إن العدسة (المفرقة) تبعثر حزمة الضوء فتفقد قدرتها على الإحراق، أما العدسة (اللامّة) فتعرف كيف تجمع الخيوط لكي تمضي بها إلى البؤرة التي تحرق وتضـيء ..
إن (المنهج) هو هذه العدسة اللامّة.. وبدونـه لـن يكـون بمقدور آلاف الكتـب التـي تطرحها مطابعنا سنة بعد سنة أن تمنحنا (النار) التي نحن بأمس الحاجة إليها في صراعنا الراهن..
تحرق الضلالات والخرافات والأوهام .. وتضـيء الطريق للمدلجين..
( ) أنظـر الفصـل الأول مـن كتـاب (حـول إعـادة تشـكيل العقـل المسـلم) للمؤلـف للاطلاع على خصائص التصور المنهجي الذي طرحه القرآن الكريم.
هذا على مستوى الفكر الإسلامي عامة.. أما على مستوى الفكر التاريخي والكتابة في حقل التاريخ الإسلامي، فإن المنهج يغدو ضربة لازب .. إذا ما أردنا بحق أن نستعيد معطيات هذا التاريخ ونجعلها أكثر قدرة على التكشف والوضوح، وأشد قرباً

من البيئة التي تخلّقت فيها، وأعمق انسجاماً مع المناخ الذي تنفست فيه واستوت على سوقها.. ضربة لازب لأكثر من سبب:

أولاً: غياب الهدف وانعدام الرؤية للكثير من مؤلفاتنا التاريخية القديمة والحديثة.. أي على مستوى المصادر والمراجع على السواء، يقابل ذلك فوضى وارتجال وتخبط، كانت تعاني منها . ولا تزال . الكثير من هذه المؤلفات.

ثانياً: غياب الحسّ النقدي، أو عدم حضوره بشكل مؤكد، في معظم الأعمال التاريخية، على خلاف ما كان يحدث في ساحة المعارف الأخرى وبخاصة الحديث والمنطق والفلسفة .. إلى آخره.. يقابل ذلك استسلام عجيب وصل ببعض المؤرخين الكبار أنفسهم حدّ تقبل الكذب والخرافات والأضاليل والأوهام.

ثالثاً: طغيان النزعة (التجميعية) التي دفعت بعض المؤرخين القدماء وعدداً من المؤرخين المحدثين إلى تحقيق نوع من التوسع الكمي الذي يُقبل، من أجل تحقيق تضخّمه المنشود، كل خبر أو رواية .. ويجيء ذلك على حساب نوعية الإنجاز التاريخي ومنهجيته وقدرته على التركيز والاختزال.

رابعاً: فقدان الأسلوب التركيبي الذي يعرف كيف يجمع الوقائع التاريخية ذات النسغ الواحد والمسار المتوحد، في نسيج تركيبي يمكن المؤرخ من إضاءة ملامحه وتعميق خطوطها وقسماتها، ومنحها المعنى والمغزى المستمد من خامة النسيج نفسه .. بدلاً من ذلك التداخل المهوّش بين الوقائع، والتقاطع بين أنماطها المتباينة، حيث يصعب على المرء أن يتبين الخطوط المميزة لهذا الحشد من التجارب التاريخية أو ذاك.

خامساً: تعرض المعطيات التاريخية لسيلٍ لا يرحم من التأثيرات (الذاتية) على حساب

(الموضوع)، أو من خلال الموضوع الذي اتخذ مركباً لعبور الأهواء والظنون والمصالح والتحزبات .. الأمر الذي غيّر من مكونات الواقعة التاريخية من جهة، وأضاف إليها . من جهة أخرى . الكثير الكثير مما لم يكن من صلب تكوينها.. فكان ذلك التزوير والتزييف الذي غطى على مجرى الرواية التاريخية في كثير من مساحاته.

سادساً: غياب المؤسسات التي تأخذ على عاتقها مهمة تعضيد التأليف التاريخي وتوجيهه ووضع أولوياته، على خلاف ما كان يحدث في بعض حقول المعارف الإنسانية الأخرى، وبخاصة الفلسفة والجغرافيا.

سابعاً: انطفاء آخر شمعات الفكر التاريخي في قرون الظلام الحضاري الذي لّف عالم الإسلام قبيل انبثاق الفجر الجديد.. وظهور ذلك الانقطاع المحزن في حقل الإنجاز التاريخي، وتلك الهوة العميقة بين معطيات الأجداد والأحفاد، والتي لعبت دوراً سلبياً ولا ريب في تمكين الفكر التاريخي من مواصلة مسيرة النضج والاكتمال.

ثامناً: السبق الزمني الذي مارسه الغربيون في أعقاب هذا الانقطاع، فأخذوا بذلك زمام المبادرة في التعامل مع تاريخنا الإسلامي كشفاً وإضاءة وتحقيقاً ونقداً وتركيباً .. ولكن بمناهجهم وأساليبهم وطرائقهم التي ألحقت بمعطياتنا التاريخية كسوراً وشروخاً وتناقضات ليس من السهولة إزالة آثارها المدمرة، دون اعتماد منهج أصيل قدير على حمل الأمانة والقيام بالمهمة الصعبة.

تاسعاً: غياب الرؤية الإسلامية الأصيلة لدى معظم أبناء الجيل الأول والثاني من المؤرخين المسلمين المحدثين أنفسهم .. فلم يكونوا في حقيقة الأمر سوى امتداد للمدرسة الاستشراقية الغربية، ولم يفعلوا سوى أن أضافوا إلى الكسور التي أحدثتها في مسار التاريخ الإسلامي كسوراً .. والرؤية الإسلامية هي المفتاح الذي لابدّ منه لدخول ساحة التاريخ الإسلامي، وبدونه لن يتحقق دخول مشروع.

عاشراً: ظهور المدرسة المادية التاريخية وانتشارها وكسبها الكثير من الأتباع والمعجبين، ومحاولة إقحام مقولاتها الصارمة، الفجة، في مجرى تاريخنا الإسلامي نقداً وتركيباً ..

وثمة أسباب أخرى كثيرة، أقل أهمية، تجعل من حضور منهج للفكر والنشاط التاريخيين ضرورة ملحة ..

والآن فإن محاولات عديدة، لحسن الحظ، شهدتها العقود الأخيرة من هذا القرن، استهدفت التحقق بالمنهجية المنشودة.. على مستوى الأفراد والمؤسسات، وهذا يدل على تزايد الوعي التاريخي الذي كان يعاني في الفترة السابقة من التسطح والضحالة والغياب.

إلا أن معظم تلك المحاولات لم تأت بطائل، فما أن مضت خطوات حتى توقفت وأعلنت، بلسان الحال أو بلسان المقال، عجزها عن مواصلة الطريق: مؤسسات حكومية، وقيادات فكرية، وجامعات عربية، ومنظمات ثقافية، وتجمعات تخصصية، وأفراد متفرقون هنا وهناك .. كلهم دعوا إلى (المنهج) .. وإلى ما أسموه إعادة كتابة التاريخ .. وقاموا ببعض المحاولات الأولية وطرحوا بعض الإضاءات.. وليس ثمة أكثر من هذا.. ومضت الدعوة إلى اعتماد المنهج وإلى إعادة كتابة التاريخ تصدر من هنا أو هناك، ملحة في الطلب، مؤكدة القول .. وهي دعوة تؤكد . مهما كانت النيات التي تختبئ وراءها . حضور الوعي التاريخي، وتكشفه وانتشاره .. وتعزّز الوجهة العلمية القائلة بأن اكتشاف قدرات أمة من الأمم وتمكينها من (المعاصرة) و (الحركة) صوب المستقبل، والاستجابة للتحديات، والتفوق عليها، لا يتحقق إلا بالرجوع إلى التاريخ وكشف النقاب عن معطياته وملامحه ومؤشراته .. الأمر الذي لم يكن، في النصف الأول من القرن الماضي، على هذه الدرجة من الوضوح والتأكيد، يوم كان يُرى في الالتفات صوب الماضي، على أثر الصدمة الحضارية الغربية، نوع من الانتحار الزمني في عصر سباق الحضارات، وكان يُرى فيه نزوع رجعي ، وغياب عن العصر ، وعرقلة للتوجه المستقبلي..

ويوم أن كانت ذيول المدرسة المادية التاريخية تطرح بفجاجة وسخف مقولتها الخاطئة بضرورة تجاوز التوجه التاريخي، وقطع الجذور، وإلغاء مقولات المسيرة، والانطلاق من نقطة الصفر الزمنية صوب المستقبل!!

اليوم، غابت هذه الرؤى التي ينفيها العلم بحقائق الأشياء .. واليوم اختنقت تلك الأصوات التي لم تكن تملك سبباً للبقاء والاستمرار ..

واليوم تحل محل هذا وذاك تلك الدعوات الملحة التي تصدر . كما رأينا . عن العديد من مراكز الثقل والتوجيه والفاعلية: أكاديمياً وعقائدياً وسياسياً.. الأمر الذي يؤكد حضور

(التاريخ) في نسيج وجودنا الحاضر وحتمية اعتماد مكوناته في لحمة هذا النسيج وسداه، حيث لا يكف النول عن الذهاب والإياب ..

ترى . يتساءل المرء .: لماذا لم تستطع أية محاولة من هذه المحاولات أن تواصل الطريق وأن تحقق هدفها المنشود؟

إن الدعوة إلى التحقق بالمنهج وإلى إعادة كتابة التاريخ، أو . بعبارة أدق . إعادة عرضه وتحليله، ليست طريقاً مسدوداً.. فلماذا كان هذا الذي كان؟

ثمة أسباب عديدة وقفت . ولا تزال . في طريق هذا الهدف، ونحن إن عرفناها جيداً فكأننا نكون قد عرفنا مواطن الداء فسهل علينا انتقاء الدواء ..

فمن هذه الأسباب، على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: عدم وضوح الرؤية بالنسبة لطبيعة العمل. فمن قائل بضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي كله من أقصاه إلى أقصاه، واعتماد بنية جديدة لوقائعه وصيرورته ترفض بالكلية ما قدمه مؤرخنا القديم، ومن قائل بضرورة اعتماد صيغة انتقائية تأخذ بهذا وترفض ذاك، ومن قائل بضرورة إعادة تفسير وتحليل معطيات هذا التاريخ بدلاً من إعادة تركيبه.. وآخرون لا يعرفون على وجه الدقة واليقين ما الذي يقصدونه بالعمل المنشود؛ لأن الضباب يلّف تصورهم فلا يتيح لهم الفرصة لاستبانة ملامح الطريق ..

ثانياً: ومما يرتبط بهذا، غياب المنهج وضعف القدرة على التخطيط.. فقد تتضح الرؤية أحياناً، وتتحدد طبيعة العمل، وتتكشف أبعاده .. لكن أسلوب العمل وطرائقه.. المنهج . بعبارة أخرى . غير متحقق.. ونحن قوم . ولنقلها بصراحة . نعاني ضعفاً في قدراتنا التخطيطية، ليس هنا مجال استعراض أسبابه، ولشد ما ينعكس هذا الضعف على عدم طرح برنامج عمل محدد الخطوات، مكتمل المفردات، مثبت الأهداف والغايات.

ثالثاً: ونحن قوم نعاني . كذلك . من فقدان الروح الجماعية التي علمنا إياها هذا الدين وربانا عليها وألزمنا بها، ولكنا تخلينا عن الكثير من مقولاتها ومواضعاتها، وتجمدت تقاليدنا على صيغ فردية قد تبلغ حد الأثرة والأنانية في كثير من الأحيان، فتمحو القدرة على التوجه الجماعي الذي تتكامل فيه الطاقات، وتتضافر القدرات، ويتدفق العطاء لكي يصب في الهدف الواحد ..

والمشاريع الكبيرة في ميادين العقيدة أو الفكر أو العمران والاقتصاد، لهي بأمس الحاجة إلى هذه الروح الجماعية التي يعرف الغربيون كيف يعتمدون عليها لتحقيق الأعاجيب والمعجزات في ميادين الإنجاز .. وإعادة عرض التاريخ الإسلامي، أو تحليله، عمل كبير .. ويوم نتحقق ثانية بروح الفريق، كما أراد لنا الإسلام أن نكون، يوم نتجاوز الفرديات والحساسيات والأنانيات صوب ما هو أكبر وأشمل .. حينذاك نستطيع أن نضع خطواتنا على الطريق ..

رابعاً: غياب التوحد في الرؤية .. فليس بمقدور فريق من المؤرخين يتجه بعضهم يميناً ويمضي بعضهم الآخر شمالاً، أن يحققوا الهدف المنشود.. وكيف سيكون العمل، الذي يفترض أن يتوحد نسيجه، كيف سيكون إذا كان بعض النسّاجين ليبرالياً، وكان بعضهم الآخر مادياً وكان بعضهم الثالث إثنّياً، وكان بعضهم الرابع إقليمياً، وكان بعضهم الخامس مصلحياً؟ كيف يتحقق مشروع يُراد منه تقديم تحليل متوحّد لمجرى التاريخ الإسلامي، إذا كانت بعض مساحاته منسوجة بالقطن وأخرى بالصوف وثالثة بالديولين ورابعة بالحرير؟

إنه لأمر مستحيل .. بل هو مدعاة للسخرية يقيناً.

خامساً: وثمة ما يُراد أحياناً بمشروع كهذا: احتواؤه عقيدياً وتوظيفه من أجل هذه الأيديولوجية أو تلك .. وهذا نقيض الموضوعية .. والموضوعية شرط حاسم من شروط البحث العلمي الجاد .. ثم إن محاولات كهذه قد تملك المال والقدرة، ولكنها لا تملك النفس الطويل الذي يمكنها من المضي في الطريق حتى نهايته .. ذلك أنها رهينة بظروف مرحلية ومتغيرات زمنية.. وسرعان ما تتوقف بتحوّل صيغ معادلات الظروف المرحلية والمتغيرات الزمنية.

سادساً: وقد يرتبط بهذا انعدام النية الصادقة وتحويل الدعوة إلى عمل دعائي صرف .. والأعمال بالنيات . كما يقول رسولنا عليه السلام . ولكل امرى ما نوى .. وإذا طال الطريق بين النية والفعل، بسبب ضخامة العمل وانفساح المدى، فلا تُؤتمن العواقب، وربما يُكتفى بالمظاهر السريعة الخادعة بدلاً من الجوهر المخبوء، صعب المنال..

سابعاً: وقد تلعب الحواجز الجغرافية والسياسية بين مؤرخي عالم الإسلام، والتي يتزايد بمرور الأيام، دورها في إعاقة المهمة وعرقلة مضيّها إلى الهدف المرتجى ..

فكلما تنادى حشد من المؤرخين.. هنا .. وهناك .. وهنالك، لتنفيذ هذا المطلب الملح، وجدوا
في طريقهم من الأسلاك الشائكة والعقابيل، ما يجعل تحركهم صعباً قاسياً ومهمتهم مستحيلة، فيكفون عن الإدلاج فيما لا بادرة ضوء فيه، ويعودون من حيث جاؤوا.
ثامناً: يرتبط بهذا . أحياناً . نقص ملحوظ في الاختصاصات وعدم تكاملها أحياناً .. فهي
قد تتزايد في جانب ما وتشح في جانب آخر.. تبرز وتطغى في هذه المرحلة وتنزوي وتذوى في مرحلة أخرى.. والأعمال الجماعية، ما لم تتحقق بالتوازن والتكامل والتغطية لكافة الجوانب والمساحات، فلن يُرجى تنفيذها.. وإعادة كتابة التاريخ الإسلامي، أو عرضه وتحليله مشروع كبير، فما لم تتبنه وتدعمه مؤسسة قديرة على لمّ الطاقات وتوفير الاختصاصات المتكاملة وتوازنها .. باء بالفشل المحتوم .. ولهذا كان هذا الإخفاق المحتوم مصير عدد من المحاولات التي لا تملك دعماً يمكنها من التكامل .. وسيكون ..
تاسعاً: وما يُقال عن هذا يمكن أن يُقال عن قلة الامكانات المادية والفنية لكل مشروع يدّعي القدرة على العمل بعيداً عن الدعم والإسناد .. والإمكانات المادية والفنية ضرورة من ضرورات المشاريع الفكرية الكبيرة، وإلا كنا كمن يرجو من ماكنة ضخّ لا تتجاوز العشرين حصاناً أن تسقي مزرعة تمتد مسافاتها إلى مئات الأفدنة وألوفها ..
عاشراً: وثمة أخيراً . وليس آخراً . ذلك الإحساس المتزايد بالإحباط، والذي يتراكم إثر إخفاق كل محاولة، وإخفاق كل مشروع بعد أن يمضي خطوات فحسب في الطريق .. وهو إحساس ذو تأثير سيئ غاية السوء، يوحي فيما يوحي بخطأ الفكرة واستحالة تحققها، ويكبّل الإرادة المسلمة من الداخل بالغلّ الذي يشلّها عن التهيؤ، وشحن الطاقة، والانطلاق لتنفيذ الأعمال الكبيرة.
وما لم نتداع لإنقاذ الدعوة من مزيد من الورطات والمطّبات والإخفاق، فإن الإحساس بالاحباط سينتزع المبادرة من أيدينا وسيسلمنا إلى الشلل المحتوم.

وبالتحقق بالبدائل في مقابل هذا كله يمكن أن نضع خطواتنا على الطريق ونمضي بجدّ إلى هدفنا المنشود.

أن تكون رؤيتنا لطبيعة العمل على قدر كبير من النقاء والتكشف والوضوح، وأن نملك منهجاً سليماً للعمل، وقدرات ذكية على البرمجة والتخطيط .. وأن تنمو في سلوكنا وتتغلغل في دمنا وشراييننا روح الفريق كما أراد لنا ديننا أن نكون، هنالك حيث تذوب المصالح الخاصة والتوجهات الفردية والحساسيات الذاتية والأنانيات، وحيث تكون روح الجماعة وحدها هي المؤشر والدليل.

كذلك يتوجب أن تتوحد رؤيتنا، وأن يمسك بها قاسم عقديّ مشترك يمنعها من التفتت والتناقض والتصادم والارتطام، يمنعها من أن يضرب بعضها بعضاً، وينفي بعضها بعضاً.. منطلق واحد وتوجه واحد ونسيج واحد في العطاء تركيباً وتحليلاً ..

أن يمسك العمل بتلابيب الموضوعية من بدء المسيرة حتى منتهاها.. إن الموضوعية هنا تعني (العلمية) وبدونها لن تتأتى النتائج المرجوة منبثقة عن رحم التاريخ نفسه، كما تخلقت وقائعها في الزمن والمكان .. لا كما يُراد لها أن تكون.

والنية المخلصة الصادقة، من وراء العمل، أمر ضروري، بل هي ضربة لازب إذا ما أريد للمحاولة أن تكون شجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين. وإلا فليس ثمة إلا الشجرة الخبيثة التي ما لها من قرار، تعصف بها ذات اليمين وذات الشمال رياح التشريق والتغريب، وتتقاذفها عواصف الأهواء والنزعات والميول.

أما زوال الحواجز الجغرافية والسياسية فهو أمر يبدو للوهلة الأولى مستحيلاً، ولكننا إذا ما تذكرنا أننا في عصر السرعة، والاختزال، والاتصالات الخاطفة، والآلات الحاسبة، والمواصلات السريعة، والتيسيرات المدنية التي تتزايد طرداً بمرور الأيام.. وأننا في عصر الإنترنت والتواصل الثقافي والإعلامي اليومي، دقيقة بدقيقة وساعة بساعة، أدركنا أن المعادلة قد لا تكون في غير صالحنا، وأن هنالك من القدرات والإمكانات ما يمكن توظيفه لضرب الحواجز وقطع الأسلاك الشائكة وإزالة المتاريس .. هنالك حيث يمكن أن يلتقي بعضنا ببعض، وأن نعمل سوية كفريق واحد يتداعى لاعبوه المتمرسون من كل مكان من أجل تحقيق الفوز بأي ثمن كان!!

ومسألة تكامل الاختصاصات وتحقيق التغطية المتوازنة الشاملة لكافة مساحات المشروع، أمر ليس صعب المنال، ونحن في عصر (الأكاديمية) إذ يزداد الخريجون المتخصصون، سنة بعد سنة، ويوماً بعد يوم، بمعدل متواليات هندسية وليست حسابية على أية حال.. صحيح أن هذا التدفق الأكاديمي قد يطرح كميات لا تتضمن قدراً طيباً من التميز النوعي، إلا أنها . على أية حال . فرصة طيبة لتزايد العناصر الممتازة القديرة على الفعل الصادق والتنفيذ الذكي المرسوم.

أما قلة الإمكانات المادية والفنية فهي –ولا ريب– أقل الموانع شأناً؛ لأن إيجاد الشروط المادية الفنية وتوظيفها لخدمة المشروع، أمر سهل المنال يسير التحقيق في بلاد تملك الكثير وتقدر على استيراد الكثير ..

ويوم أن تتحقق هذه البدائل الإيجابية، وتوضع اللمسات الأولى، وتنطلق الخطوات على الطريق مغذّة السير صوب الهدف.. يومها لن يكون ثمة إحساس بالإحباط يشل الفاعلية ويكبل الخطا عن الانطلاق .. على العكس فإن الإنجاز الذي ستنفذه المحاولة سيحقق نوعاً من التسارع في القدرة على الفعل .. هنالك حيث تُختصر المسافات، وتُختزل حيثيات الزمان والمكان..

============

التحديات التي تواجهها الثقافة الإسلامية

د. خالد بن عبد الله القاسم 1427/3/4

2006/04/02

واجهت الثقافة الإسلامية تحديات عديدة متنوعة ومن أهمها:

أولاً: الغزو العسكري:

عانت الأمة الإسلامية من هجمات عسكرية ظالمة استهدفت وجودها وثقافتها منذ القدم ومن ذلك:

الحروب الصليبية الشرسة (490هـ – 691هـ) التي استهدفت الشام ومصر وأدت إلى انشغال الأمة بها قرنين من الزمان.

ثم الهجوم التترى على العراق والشام وإسقاط الخلاقة العباسية وتدمير الكتب وقتل العلماء في القرن السابع الهجري.

ثم الاستعمار الأوروبي للبلدان الإسلامية في القرنين الماضيين (1798م – 1962م) ومحاولته مسخ الثقافة الإسلامية واستنزاف خيرات الأمة.

وزامن ذلك الغزو الشيوعي على البلدان الإسلامية في آسيا الوسطى ونشر الإلحاد ثم غزو أفغانستان والشيشان واستباحة دماء المسلمين واستعمار بلدانهم ونهب خيراتهم.

وما نشاهده الآن من هجمة صهيونية شرسة زرعها الغرب(1)

في قلب العالم الإسلامي لشرذمة من اليهود اجتمعت من أنحاء العالم باختلاف لغاتهم وعرقياتهم في هجرات متتابعة بمساعدة غربية مباشرة حيث سلمت لهم بريطانيا الأمر في فلسطين، ثم دعمت الولايات المتحدة عدوانهم عسكرياً ومالياً وسياسيًّا في طرد الفلسطينيين من بلدهم ومصادرة أملاكهم ورفع الفيتو أمام العالم حتى لا تتم إدانة اعتداءاتهم المتكررة على المدنيين بل تجاوز العدوان على البلدان العربية الأخرى غير المجاورة، فتمثل في تدمير المفاعل النووي العراقي عام 1989م, وجرى الاعتداء على الفلسطينيين في تونس.

وكان هذا الجسم الصهيوني بالمساعدة الغربية عاملاً مهما في تأخر الأمة وإشغالها.

– وما جرى من احتلال لأكثر من بلد إسلامي بحجج وهمية فقد دمرت أفغانستان، وألقي على المدن والقرى آلاف الأطنان من القنابل، ومات آلاف الأبرياء، وحدث الأمر نفسه في العراق بحجج وجود أسلحة الدمار الشامل التي تبين أنها كذبة لاحتلال بلد إسلامي والسيطرة على خيراته وتهديد سائر البلدان الإسلامية التي لا تخضع لهم وزامن ذلك إصدار الأوامر للدول الإسلامية بضرورة التغيير الثقافي والمقصود منه تجفيف منابع الثقافة الإسلامية.

كما زامن ذلك محاربة الجمعيات الإسلامية الخيرية ورميها أيضًا بتهمة دعم الإرهاب (مع أنها أوضح وسائل ترابط المجتمع الأهلي الذي ينادون به في معظم الدول)، وما ذاك إلا لمحاربة الإسلام، فتلك الجمعيات تدعوا إلى الإسلام وتكفل الأيتام وتقيم المستشفيات وتحفر الآبار وتعين الفقراء وتقيم المدارس وتصب في خدمة الإسلام والمسلمين وخدمة الثقافة الإسلامية.

وهذه التحديات لن تقضي على دين الله تعالى فقد أخبر المولى سبحانه ببقاء دينه وظهوره "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ"

[التوبة:33] وقال عليه الصلاة والسلام: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) (2).

وإن من حكم المولى سبحانه أن تقع هذه التحديات عقوبة للمعرضين ليعودوا: "وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" [السجدة:21]. كما أنها بلاء للمؤمنين لرفعة الدرجات وتكفير السيئات"الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ"[العنكبوت:1-2]. وفيها تنقية للصف المسلم قال تعالى: "وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ" [العنكبوت:11].

ثانياً: الغزو الفكري:

وهو غزو غير مسلح غزو للأفكار والعقول، بعد أن أدرك الأعداء أن الغزو المسلح لا يكفي لإضعاف الثقافة الإسلامية، فعمدوا إلى غزو العقول والأفكار لتحقيق هدف عام وهو إضعاف الإسلام والمسلمين.

أ- وسائل الغزو الفكري:

1- الإعلام: استغل الغربيون والمستغربون وسائل الإعلام المختلفة لحرب الإسلام, حيث أصبح المدافع عن أرضه وبلده إرهابيًّا والمحتل مدافع عن نفسه، ونظرة سريعة إلى بعض وسائل الإعلام ترينا مدى البلاء الذي تصبه ليل نهار لتشويه صورة الإسلام والمسلمين والإساءة إلى معتقداتنا وشعائرنا وسلفنا وعلمائنا, سيل من الشبهات التي تشكك في الدين وأحكامه, وسيل آخر من الأفلام والتمثيليات والمسرحيات التي تتهكم بالإسلام, وتقوم بعرض نماذج من أنماط الحياة تضاد الإسلام في كل شيء, تمجد الجريمة, وتدعو إلى الفسق والفجور, وتنفر من الحياة المستقيمة الفاضلة, وتتهكم بالمسلمين والمسلمات, وتتخذ الدين هزوًا, وتعرض ما حرَّم الله: الرقص الفاضح, وشرب الخمر, والكذب والدجل, وقد أقامت للتافهين أسواق ضخمة في كل مكان باسم الفن(3).

وقد ازداد خطر هذه الوسيلة مع انتشار الفضائيات، وتنامي الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) حيث نجد المواقع التي تثير الشبهات، وتشكك في العقائد، وتنشر المذاهب الباطلة.

2- الاستشراق: وهو دراسة الغربيين للشرق وعلومه وأديانه خاصة الإسلام لأهداف مختلفة(4)، ومن أهمها تشويه الإسلام وإضعاف المسلمين.

ومن أهم نتاج المستشرقين في القرن العشرين دائرة المعارف الإسلامية التي صدرت بثلاث لغات: الإنجليزية والفرنسية والألمانية وصدرت في عدة طبعات وترجمت إلى عدة لغات وقد اشترك في تأليفها أكثر من 400 مستشرق وبلغت أكثر من 3000 مادة في أكثر من 10.000 صفحة احتوت على معلومات مهمة عن الشرق والإسلام بالذات، كما أنها اشتملت على شبه ومطاعن متفرقة حول القرآن والعقيدة والشريعة الإسلامية وأعلام المسلمين بلغت أكثر من (300) مطعن وانتقاص للعقيدة الإسلامية(5).

وقد ملئت كتابات المستشرقين بالتعصب الصليبي باعتراف كثير من المستشرقين، يقول برنارد لويس: "لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات العديد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية(6).

إن كثيراً من المستشرقين كانوا أداة للاستعمار، حيث تخلوا عن أمانتهم العلمية لتأييد المحتل، يقول مراد هوفمان، سفير ألمانيا في المغرب - وقد هداه الله للإسلام -: "والحق أن معظم المستشرقين عن وعي أو غير وعي كانوا أداة لخدمة الاستعمار، وإن كان بعض أولئك كانوا جواسيس للغرب بالفعل(7) وتتعاون المخابرات الغربية لاسيما الأمريكية مع مراكز الدراسات الاستشراقية, لاسيما فيما يتعلق بالحركات الإسلامية. وبلغ أعضاء رابطة دراسات الشرق الأوسط(8) الاستشراقية في أمريكا إلى قرابة 1600 عضو سنة 1986م ووصلت أعداد العناوين للموضوعات المنشورة عن الشرق الأوسط في الدوريات المتخصصة سنة 1987م إلى نحو 71 ألف مادة. كما أن كثيرا من المستشرقين ينظرون إلى الشرق والإسلام نظرة استعلائية، وقد ساق إدوارد سعيد(9) الشواهد العديدة لذلك في كتابه الشهير الاستشراق.

3- التنصير: وعلى الرغم من أن الأمم النصرانية تبتعد عن النصرانية, وعلى الرغم من بيعهم للكنائس في ديارهم, إلا أنهم حريصون على تنصير المسلمين، وبناء الكنائس في ديارنا, وقد رصدوا لذلك مئات الملايين من الدولارات, وأرسلوا البعثات

التنصيرية مجهزة بكل ما يمكن أن يحقق الهدف الذي قامت من أجله, وعلى الرغم من الصعاب التي تقف في طريقهم, إلا أنهم ماضون في هذا الطريق, وهم يصطادون المسلمين الجهلة, وينشبون أنيابهم في فقراء المسلمين, حيث يقدمون لهم بعض ما يحتاجون إليه مقابل تركهم لدينهم وعقيدتهم(10)، بينما نجد العكس فيمن يسلم من الغربيين، حيث يسلم المتعلمون والمفكرون.

وأهم وسائل التنصير: التعليم والصحة والإعلام واستغلال الكوارث والحروب والفقر.

4- تشجيع العلمانية في البلاد الإسلامية وذلك بإقصاء الإسلام من شتى شؤون الحياة السياسية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية.

5- محاربة الدعوة الإسلامية: حيث استغل الأعداد أحداث الاعتداء على نيويورك لمحاربة الدعوة الإسلامية لا سيما الجمعيات الخيرية الإسلامية والزج بها في تلك الأحداث واتهامها بدعم الإرهاب ومصادرة ممتلكاتها.

6- التغريب والعولمة الثقافية: وهي باختصار فرض الثقافة الغربية عن طريق المنظمات والمؤتمرات الدولية ووسائل الإعلام المختلفة.

وإن كان للعولمة – بشكل عام – وجوه مفيدة في التقنية والاتصال، والتعارف والمعلومات؛ فإن لها جوانب خطيرة في الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية.

ويهمنا هنا ما يؤثر على الثقافة الإسلامية بدرجة كبيرة وهو الهيمنة الثقافية وفرض القيم الغربية وتغريب المجتمعات المسلمة عن طريق استغلال التفوق التقني والسياسي والاقتصادي والعسكري لاختراق الثقافات الأخرى ومصادرة ثقافات الشعوب وفرض الأنماط الغربية.

ونجد أن الغرب لا يسعى لنشر قيمه الاجتماعية فحسب على الرغم من عدم الاقتناع الواسع بها قيماً، بل إنه يفرضها عبر المؤتمرات الدولية والضغط على الدول التي لا تستجيب، حيث توالت مؤتمرات المنظمات الدولية بهذا الخصوص، مثل مؤتمر نيروبي عام 1985م، مؤتمر القاهرة عام 1994م، ومؤتمر بكين عام 1995م، ومؤتمر اسطنبول عام 1996م، ثم مؤتمر نيويورك عام 1999م، ثم مؤتمر بكين، ثم نيويورك أيضاً عام 2000م، ومحور هذه المؤتمرات يدور حول الأسرة والمرأة

والطفل، مركزاً على الحقوق الجنسية، والحق في الإنجاب والإجهاض، والشذوذ، وقضية المساواة بين الرجال والنساء، والمساواة في الميراث .. إلخ، وكل هذا من منظور الثقافة الغربية العلمانية المادية الإباحية(11) التي تبيح الزنى واللواط وتمنع تعدد الزوجات.

وفي الفصل السابع من وثيقة مؤتمر السكان جاء الحديث عن هذه الإباحية الجنسية، فيقول: إنها حالة الرفاهية البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة، المنطوية على أن يكون الأفراد (لاحظ تعبير الأفراد) من جميع الأعمار أزواجاً وأفراداً (كذا) فتياناً وفتيات، مراهقين ومراهقات، قادرين على التمتع بحياة جنسية مرضية ومأمونة (لاحظ عدم اشتراط الحلال والشرعية) هي كالغذاء، حق للجميع، ينبغي أن تسعى جميع البلدان لتوفيره في أسرع وقت ممكن، في موعد لا تجاوز عام 2015م. أي أنه أكثر من مباح، فالسعي لتحقيقه بجميع البلدان في أسرع وقت ممكن، وقبل سنة 2015م، واجب على جميع البلدان بل ولا تكتفي هذه الوثيقة بذلك، وإنما تتجاوز هذه الإباحية حيث تدعو للتدريب والترويج والتعزيز لهذا السلوك الجنسي المأمون والمسؤول(12).

وها هو المستشرق الألماني "هاملتون جب" يجعل هدف كتابه "وجهة الإسلام" قضية التغريب، ويتساءل إلى أي حد وصلت حركة تغريب الشرق؟، وما هي العوامل التي تحول دون تحقيق هذا الهدف؟(13).

ب- آثار التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية:

1- تشويه الإسلام وإثارة الشبهات حول القرآن الكريم والسنة النبوية وعقيدة الإسلام وشريعته، وما يحدث الآن من محاولة لربط الإسلام بالإرهاب هو جزء من هذه الحملة.

2- تفريق المسلمين وإزالة الوحدة الإسلامية والدعوة إلى القوميات المتنوعة، وقد كانت الرابطة التي تجمع الشعوب الإسلامية هي الرابطة الإسلامية, فشجع الغرب الصليبي الشعوب المختلفة على المناداة بالقوميات التي تنتسب إليها الأمم المختلفة, فنادى العرب بالقومية العربية, والأتراك بالتركية الطورانية, ونادى الأكراد بالكردية, وبذلك تفسخت عرا الرابطة الواحدة التي كانت تجمع هذه الأمة وتوحدها, وقد كان ظهور هذه الدعوات سببًا في إضعاف الخلافة التركية العثمانية وتحطمها.

وقد أغرق دعاة الضلال في دعوتهم عندما أحيوا الحضارات القديمة لإيجاد مزيد من الانقسام والفرقة, فرأينا الدعوة إلى الفرعونية, والدعوة إلى البابلية, والآشورية.. وغيرها(14).

إن الإسلام يشجع الوطنية الحقة والقومية الهادفة القائمة على التعاون على البر والتقوى كما قال سبحانه: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى" [المائدة: من الآية2] ويحارب العصبيات والنعرات الجاهلية المنافية للوحدة الإسلامية وقد قال –صلى الله عليه وسلم –: (من قتل تحت راية عمية، يدعو عصبية، أو ينصر عصبية، فقتلة جاهلية) (15)إن أي وطنية وقومية يجب ألا تتعارض مع الوحدة الإسلامية أو تكون بديلاً عنها، بل يجب أن تسخر لجمع كلمة المسلمين ووحدتهم، والعرب لم يجتمعوا إلا بالإسلام، وقد أعزهم الله بإنزال القرآن الكريم بلغتهم وجعل الحرمين في بلادهم، واختار النبي –صلى الله عليه وسلم – منهم، وقد قال عمر رضي الله عنه: (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله) (16).

إن الرابطة الحقيقية بين المسلمين هي رابطة العقيدة وجميع الروابط الأخرى هي فرع منها مثل رابط الجوار والقرابة والقبيلة والوطن.

3- الجهل بالإسلام وعقائده وأحكامه في كثير من بلاد الإسلام وانتشار البدع والخرافات والمذاهب الباطلة كالقاديانية والبهائية وانتشار الأفكار العلمانية المتطرفة والتكفيرية الغالية.

4- الهزيمة النفسية لدى بعض المسلمين واهتزاز الثوابت لديهم ونشوء طبقة من المثقفين المستغربين المنبهرين بالغرب وثقافاته.

5- إضعاف اللغة العربية وانتشار اللهجات المحلية التي اختارها الله لكتابه كما قال تعالى:"إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً" [يوسف:2] . 6- إقصاء شريعة الإسلام من الحكم وتشجيع العلمانية في البلاد الإسلامية وهذا الأثر بذل الكفار في سبيل تحقيقه الكثير من الجهد والمال والفكر, وقد أقنعوا به كثيرًا من الحكام في الديار الإسلامية, وقد تبنت دولة الخلافة في آخر عهدها كثيرًا من القوانين المخالفة للإسلام, وفرضت القوانين الفرنسية على الشعب المسلم في مصر في عام 1882م ولم ينتصف القرن

الرابع عشر الهجري حتى أقصيت الشريعة الإسلامية في أكثر الديار الإسلامية, باستثناء أحكام الزواج والطلاق والممات(17).

7- إفساد التعليم وإضعاف التعليم الإسلامي ومدارس القرآن الكريم والمناداة بعلمنة التعليم والدعوة إلى التعليم المختلط(18).

8- إفساد المرأة: لقد حرص الكفار على هذا, لأن فسادها يفسد الأبناء والأزواج, فأخرجوها من بيتها, وهتكوا حجابها, وزينوا لها التمرد على دينها بمختلف الأساليب, وزعموا أن تحضرها وتقدمها لا يكون إلا إذا سارت مسيرة المرأة في أوروبا(19)؛ وأفغانستان مثال حي على هذا؛ فعندما احتلوها لم ينقلوا إليها التقدم الصناعي والتقني وإنما بدأوا بإسقاط حجاب المرأة وإنشاء دور السينما.

إن هدف عدونا ذوبان شخصيتنا وذلك بالقضاء على مقومات كيانها وعلامات القوة فيها واحتوائها بأخلاق الضعف والانحلال والإباحية حتى لا تقوى على مواجهة التحديات وذلك أخطر أهداف العدو، حيث إخراج أجيال ضعيفة لا تؤمن بحقها ولا تؤمن بربها ولا تستطيع أن تصمد أمام الخطر وأمام التحدي(20).

وقد أخبر المولى سبحانه بخطورة طاعة الكافرين والانسياق معهم فقال سبحانه "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ" [آل عمران:100]. وأخيراً .. إنهم لن يرضوا منا بالتنازلات المحدودة وبعض الطاعة: "وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ" [البقرة: من الآية120].

(1) الغرب ليس شيئاً واحداً بل يجب التفريق بين الجهات الصهيونية والصليبية المعادية، وبين المنصفين منهم، وبين الأغلبية التي تأثرت بوسائل الإعلام المعادية، ومن الممكن التأثير عليها وبيان الحق لها.

(2) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله –صلى الله عليه وسلم –: (لا تزال طائفة من أمتي ..) رقم (1920).

(3) انظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ص: 62-64.

(4) المستشرقون لهم أهداف متنوعة منها أهداف مادية، وأهداف علمية، وأهداف استعمارية، وأهداف دينية وصليبية، وربما أسلم بعضهم، ولكن الحكم بالغالب

وبالمؤسسات الاستشراقية الكبرى التي تهدف إلى صراع حضاري لهدم الإسلام وتشويهه.

(5) العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية، د. خالد بن عبدالله القاسم، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، ص: 25-50.

(6) العرب والتاريخ، برنارد لويس، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1954م، ص: 63.

(7) الإسلام كبديل، مراد هوفمان، مؤسسة بافاريا للنشر ومجلة النور الكويتية، الطبعة الأولى 1413هـ - 1993م، ص: 212.

(8) مصطلح الشرق الأوسط مصطلح غربي لطمس الهوية العربية والإسلامية ولإدخال إسرائيل فيه.

(9) مفكر فلسطيني الأصل، أمريكي الجنسية، نصراني الديانة، فضح في كتاباته الاستعلاء الغربي، توفي سنة 1424هـ.

(10) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ص: 63-64.

(11) العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها، د. إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1421هـ - 2001م، ص: 27.

(12) انظر وثيقة برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية المنعقد بالقاهرة 5-1994/9/15م، الترجمة العربية الرسمية، الفصل الثامن الفقرات 31-35. نقلاً عن مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د. محمد عمارة، ص: 27.

(13) شبهات التغريب، أنور الجندي، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1398هـ، ص: 12 .

(14) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان – الأردن، الطبعة السادسة، 1418هـ - 1997م، ص: 5.

(15) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن رقم (1850).

(16) فيض القدير شرح الجامع الصغير، الإمام عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت – الطبعة الثانية، 1391هـ، (290/2).

(17) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ص: 5.

(18) انظر: غزو في الصميم، عبدالرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1405هـ، ص: 200.

(19) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ص: 62-63.

(20) أنظر: شبهات التغريب، ص: 63 .

============

صناعة الكراهية بين الثقافات

أثر الاستشراق في افتعال الفجوة [2/1]

د. عَلِيٌّ بِنِ إِبْرَاهِيْمَ النَّمْلَةِ 1428/2/21

2007/03/11

المنهج في نقد الاستشراق

الالتقاء بين الثقافات

وسائل الحوار بين الثقافات

المنهج في نقد الاستشراق

• الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله محَمَّد ابن عبدالله –صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وصحبه ومن والاه, وبعد:

• فهذه وقفات حول "محور العالم وثقافة الكراهية: حول التعصُّب والهيمنة وصراع الثقافات", الذي تقيمه رئاسة الحرس الوطني, المهرجان الوطني للتراث والثقافة, في دورته الثانية والعشرين, سنة 1428هـ/ 2007م. رأيت أنْ أسهمَ فيه بمحدِّد من محدِّدات العلاقات بين الثقافات في العالم المعاصر, لاسيَّما بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية, التي تتكِّئ على خلفية دينية. معتبرًا أنَّ الاستشراق القديم والمعاصر (أو ما يعبَّر عنه رضوان السيِّد وعبد النبي أصطيف بالاستشراق الجديد), (1) هو أحد أبرز هذه المحدِّدات؛ بما أسهم الاستشراق به من جهود إيجابية, وأخرى سلبية, في سبيل اقتلاع جذور الكراهية بين الثقافة الإسلامية والثقافات الغربية, أو ترسيخها.

• على أنَّ عبد النبي أصطيف يقصد بالمصطلح "الاستشراق الجديد" مقصدًا جديدًا, ينحصر في اهتمام الشرقيين (الداخليين) وتولِّيهم "المسؤولية كاملةً في إنتاج كلِّ ما يتَّصلُ بتاريخهم ومجتمعاتهم وثقافاتهم من معرفة, وألاَّ يعتمدوا كلَّ الاعتماد, أو جلَّه, على "الآخر" . الغربي بشكلٍ خاصٍّ . في إنتاج هذه المعرفة؛ لأنَّهم عند ذلك يغامرون, إنْ لم يكونوا يقامرون, بأمنهم واستقرارهم ومستقبلهم. والأمن الحقيقي هو الأمن المعرفي, الذي يكفُلُ المعرفة, التي يحتاجُها الشرقيُّون لفهم ماضيهم, واستيعاب حاضرهم, وبناء مستقبلهم"(2).

• لا بُدَّ من التوكيد أنَّ النبرةَ العامَّة حول الاستشراق, لدى كثير من الباحثين العرب, تتركَّز في أنَّه ظاهرةٌ لم تكُن إيجابيَّةً, في انطلاقتها مع التراث العربي الإسلامي. وأنَّ هذه النبرة التي توارثها رهطٌ من الكُتَّاب العرب والمسلمين المعنيين بالثقافة الإسلامية لم تكن, في مجملها, موضوعيةً في حكمها على الاستشراق, ممَّا ولَّد جدلاً حول مدى الخدمات الجليلة التي قدَّمها الاستشراق, في مقابل تلك التي خدم بها الاستشراقُ المصالحَ الغربية, الدينية منها والاستعمارية والسياسية, ثم الاجتماعية, وكون الاستشراق عونًا على بسط الهيمنة الغربية, بأشكالها المختلفة, على العالم الآخر, بما فيه العالم الإسلامي, فجاء معظم إنتاجه المعرفي متَّسمًا بالتعالي على المدروسين, وإشعار هؤلاء المدروسين بالرقي والتفوُّق الذهني عليهم, "لذلك حفلت الكتابات "العلمية" الاستشراقية بالصور النمطية عن الإنسان الشرقي, كما يتوقَّعه الغرب, أو كما يريده أنْ يكون. أراد الاستشراق, بكلِّ تيَّاراته وممثِّليه, أنْ يكون الدارسَ المترفِّعَ المتعالي المنكبَّ على دراسة الشرقي انكبابه على أيِّ موضوع بيولوجي أو فيزيائي. ولذلك لم يوجد "استغراب" يدرس من خلاله الشرقي دارسه الغربي. ولأنَّ الطرفين غير متكافئين لم يكن ذلك بالوارد على خاطر مجتمع غربي يعتبر كلَّ الوجود (بما فيه الإنسان الآخر) موضوعًا لمعرفته العلمية وبالتالي لسيطرته"(3).

• من السهل على المرء, حتَّى لاُ يتَّهم في انتمائه لثقافته, أنْ يركب موجة الهجاء التي يواجهها الاستشراق, فيسلم من الاتِّهامات السريعة. ولكنَّ هذه الموجة لا تخدم الثقافة الإسلامية, في مجال انتشارها في البيئة التي نشأ بها المستشرقون. وفي مجال نشر الثقافة الإسلامية, التي نعتقد أنَّ العالم, اليوم, بحاجة إليها. ولا يعني هذا

الموقف الموصوف بالموضوعية, التغاضي عن المآخذ على الاستشراق؛ لأنَّها مآخذُ يصعب التغاضي عنها.

• إنَّما المراد هنا هو توخِّي الحذر في إطلاق الأحكام, والعزوف عن التعميم فيها, بحيث يضارُّ رهطٌ من المستشرقين, الذين كانت لهم أيادٍ تُذكر في سبيل خدمة التراث الإسلامي, وتقديم الثقافة الإسلامية للآخر, رغم وقوع بعضهم في أخطاء علمية, فرضها عليهم عدمُ انتمائهم إلى ثقافة يتحدَّثون عنها, وجهلُ بعضهم باللغة العربية التي جاءت بها هذه الثقافة.

• برغم هذه النظرة, التي تتوخَّى الموضوعية في الحكم, إلاَّ أنَّ عبد النبي أصطيف لا يملك أنْ يُغفلَ ما كان للاستشراق من آثار سلبية؛ لكونه "منتجًا ثقافيًّا إنسانيًّا محكومًا بظروف المواجهة بين منتجها (الغرب) وموضوعها (الشرق), وبمواقف طرفي هذه المواجهة, وأهوائهم, وأفكارهم المسبَّقة كلٍّ على الآخر, ومصالحهم الدنيوية في عالمٍ تحفِّزه المصالح أكثر ممَّا تحفِزه القيم والمبادئ"(4). على أنَّه من المؤكَّد في ضوء الأحداث الأخيرة في المنطقة غلبة الأفكار والاعتقادات على المصالح الآنية, ممَّا يعني أنَّ المصالح ليست, بالضرورة, هي التي تسيِّر العلاقات دائمًا, كما هو الاعتقاد السائد.

• يخضع نقد الاستشراق, اليوم, للمنهجية العلمية, التي تقتضي قدرًا من التخصُّص, أو على أقل مطلب علمي, تقتضي الشمولية في الاطلاع على مشارب الاستشراق وفئاته ومدارسه وأطواره, إذ إنَّه يعَدُّ, الآن, من أوسع الموضوعات الثقافية والفكرية التي تتعرَّض للنقد العام, كما أنَّه يكثر منتقدوه نقدًا عامًّا, بدوافع لا يُشكُّ في مقاصدها وإخلاصها, إلاَّ أنَّه, مع سلامة المقصد والإخلاص فيه, لا بُدَّ من الصواب في النقد.

• تأتي هذه الكثرة من المنتقدين للاستشراق لما يعيشه من حالة من ضعف الثقة بنقد بالاستشراق في أنْ يكون عاملاً من عوامل الاتِّصال الإيجابي مع الثقافات الأخرى, الذي يندرُ فيه المتخصِّصون في نقده تخصُّصًا مباشرًا, وتندر فيه مراكز الدراسات والبحث العلمي على المستويين العربي والإسلامي, في الوقت الذي تزداد فيه مراكز

الدراسات الاستشراقية في الغرب والشرق الأقصى, وإن تسمَّت بأسماء أخرى غير الاستشراق, فالمفهوم واحدٌ.

• ندرة المتخصِّصين في نقد الاستشراق, وندرة وجود مراكز نقد الاستشراق والمستشرقين, على المستويين العربي والإسلامي, كان لهما أثرهما في أن يُتولَّى نقدُ الاستشراق من منطلقات عاطفية, هدفها نبيل, وهو الذود عن هذا الدين الحنيف والثقافة العربية/الإسلامية التي استمدَّت مقوِّماتها من هذا الدين, دون إغفال الإفادة من الثقافات الأخرى, السابقة والمعاصرة. لكنَّ هذه العاطفة التي طغت على هذا الطرح قد أوقعت بعض المنتقدين بمزالقَ علمية, من خلال الدخول فيما يسمِّيه رضوان السيِّد بإيديولوجيا العداء للاستشراق, الذي لا يمثِّل المنهج التخصُّصي في نقد الاستشراق.

• تُستحضر, هنا, العبارة المناسبة لهذا المقام, عن أحد المعنيِّين المباشرين بظاهرة الاستشراق, السيِّد الشاهد, حيث يقول: "كثُر الحديث في العقدين الأخيرين من هذا القرن العشرين عمَّا يسمَّى في بلادنا ظاهرة الاستشراق, شارك فيه المتخصِّص وغير المتخصِّص, من يعرف لغات الاستشراق ومن لا يعرفها, فجاء معظم الحديث نقولاً عن نقول أُخذت عن ترجمات فيها الصواب والخطأ, وأصبح ميدان الاستشراق أو كاد حلاًّ لمن أراد التأليف السريع لا يتطلَّب من طالبه سوى جمع بعض ما سبق, وتوليفه وتزيينه بعناوين جذَّابة ترضي ذوق متوسِّطي الثقافة»(5).

• لو سأل أحدٌ عن المقياس الذي يمكن تبنِّيه في نقد الاستشراق والحكم عليه لأجابت عنه الآية الكريمة في سورة المائدة قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" [المائدة: 8]. ورغم أنَّ هناك صناعةً للعداء تجاه المسلمين(6), ورغم أنَّ العدل مع الآخر ليس متوخّىً من الآخر دائمًا, ورغم كلِّ المؤشِّرات التي لا تشجِّع على هذا الموقف العادل, إلاَّ أنَّ مطلب العدل يأتي توجيهًا من مصدر الثقافة الإسلامية الأوَّل, بحيث يكون توخِّي العدل في الحكم على الأشياء نمطًا من أنماط العبادة لله تعالى؛ لأنَّ فيها طاعةً لله تعالى.

• يؤكِّد محمد جلاء إدريس هذا التوجُّه, بعبارة هي أكثرُ وضوحًا, بقوله: "ينبغي أنْ لا يسيطر التطرُّف على معالجتنا للقضايا المهمَّة في عالمنا, فلا نقع في إفراط أو تفريط, ولا في تهويل أو تهوين. نحن بحاجة إلى عقول تربَّت ونمت على الموضوعية, تدرس الماضي, وتفسِّر الحاضر, وتخطِّط للمستقبل. ولسنا بحاجة إلى من يُهاجم فكرًا أو يدافع عن فكر آخر, دون أنْ يكلِّف نفسه عناء التفكير في البدائل الناجعة»(7). ولذلك فإنَّ عين الرضا أو عين السخط لا تُستحضران هنا, من قول الشاعر العربي:

وعين الرضا عن كلِّ عيبٍ كَلِيْلَةٌ*** ولَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِيْ الْمَسَاوِيَا

الالتقاء بين الثقافات

• الأصل في الثقافات التي تقوم على وحي منزَّل من الله تعالى, والتي استمدَّت مقوِّماتها الثقافية من كتابٍ منزَّل, الأصل فيها التلاقي, ذلك أنَّها تؤمن بما اصطلحنا عليه نحن المسلمون بأركان الإيمان الستَّة, وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر, خيره وشرِّه(8). ومن ثمَّ فلا مجال لصناعة الكراهية بينها, لأنَّ منبعها واحد, وأهدافها, في أصلها, واحدة. وكونها تعرَّضت لتدخُّل البشر في الثقافات الأخرى فإنَّ هذا داخلٌ في سنن الله تعالى في هذه الرسالات السماوية, التي كانت فيها القابلية لهذا النوع من التدخُّل, الذي يُفترض فيه حسنُ المقصد, "إلا ما ورد من باب التجاوز والافتراءات"(9).

• والأصل أنَّ من مقاصد خلق الأمم التعارُف, وعدم الالتفات إلى وجود فروقات إثنية/عرقية أو جنسية, وإنَّما يتفاضل الخلق بأعمالهم التي يكونون قريبين فيها من الخالق ـ جلَّ وعلا ـ قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" [الحجرات: 13]. والتعارُف بين الشعوب والقبائل "هو أحدُ أرقى المفاهيم وأكثرُها قيمةً وفاعلية, ومن أشدِّ وأهمِّ ما تحتاج إليه الأمم والحضارات. وهو دعوةٌ لأنْ تكتشف وتتعرَّف كلُّ أمَّةٍ وكلُّ حضارة على الأمم والحضارات الأخرى, بلا سيطرة ولا هيمنة, أو إقصاء أو تدمير. والتعارُف هو الذي يحقِّق وجود الآخر ولا يُلغيه, ويؤسِّس العلاقة والشراكة والتواصُل معه, لا أنْ يقطعها أو يمنعها أو يقاومها", كما يقول زكي الميلاد(10).

• والأصل أنَّ من مقاصد الخلق أنْ يكونوا أممًا, وليس أمَّة واحدة, وذلك تثبيتًا لمبدأ التسابُق إلى الخيرات. قال تعالى: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ" [المائدة: 48].

• والأصلُ في هذا التسابُق أنْ يصحبَه تنافُسٌ وتدافُعٌ إلى الخيرات, للتغلُّب على الإفساد في الأرض, "فلو لم يكن هناك تدافُعٌ بين الناس لفسدت الأرض, ولهُدِّمت عمارتها, بما في ذلك أماكن العبادة, وهي أخصُّ ما يذود عنه الإنسان"(11). قال تعالى: "الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ" [الحج: 40].

• والأصل في نظرة الإسلام للثقافات الأخرى أنْ تقومَ هذه النظرة على المنهج الوسطي, الذي سار عليه سلف هذه الأمَّة, في التعامُل الواضح مع الثقافات المعاصرة, من حيث إعطاؤها قيمتَها الفعلية, ومن ثمَّ الإفادة من معطياتها العلمية والمعرفية والحضارية, بما لا يتعارض مع تلك الثوابت التي جاء بها هذا الدين, فكانت هناك حركة ترجمة ونقل للعلوم والمعارف, على اعتبار ظاهرة النقل والترجمة تمثِّل شكلاً من أشكال الحوار والتواصُل بين أمَّة الإسلام والأمم المعاصرة الأخرى(12).

• والأصل في بناء الحضارات المشارَكةُ في جهود البناء, بالفكر والعلم والجسم. ويؤكِّد تاريخ الحضارات أنَّ مسألة الاستعانة بإمكانات الأمم المعاصرة كان ديدنًا في بناء الحضارات, بحيث يتعذَّر حصر الثقافة على أمَّة دون مساعدة, بشكل من الأشكال من أمم أخرى, معاصرة لها أو سابقة عليها(13). الحضارة الإسلامية في قرونها الأولى لم تُغفل هذا البُعد(14), والحضارة المعاصرة التي نشأت في الغرب لم تنشأ دون الاستعانة بالأمم الأخرى, ومنها الأمَّة الإسلامية. ولا تُعدم وجود مسلمين أسهموا في بناء هذه الحضارة, من الخبرات إلى الحرفيين.

• مع هذه الأصول, فإنَّه يدخل معها أصلٌ محفِّزٌ لها, وهو الاختلاف بين الأمم, ومن ثمَّ الاختلافُ بين الثقافات. ولا يعني هذا الاختلافُ, بالضرورة, الخلافَ والتضادَّ بينها. كما أنَّ الاختلاف, من حيث المفهوم, لا يعني التماثُل. لذا فإنَّ الاختلاف سنَّةٌ من سنن الله تعالى في هذا الكون. "وهو في حدِّ ذاته أحد موجبات التدافُع والتسابُق, الذي به يجابه الفساد, ويحقِّق في الكون الإصلاح, وتتمُّ به الخيرات"(15).

• هذا الاختلاف "الطبيعي", الذي تمليه النظرة الوسطية, يقوم على ركيزتين أساسيتين: "أولاهما: المشترك الإنساني العامّ, وهو ما يتمثَّل في حقائق وقوانين العلوم الموضوعية والطبيعية والمحايدة, التي لا تتبدَّل قوانينُها بتبدُّل العقائد والحضارات الخاصَّة بالباحثين فيها, المنتفعين بها. وثانيتهما: الخصوصيات الحضارية, المتمثِّلة في الهويَّات والثقافات والعقائد والفلسفات, وميادينها العلوم الإنسانية والاجتماعية والآداب والفنون والعادات. وهي تلك المتغيِّرات, وفقًا للأنساق الفكرية"(16).

• بين المشترك الإنساني العام والخصوصية الحضارية تبقى الثقافة مميِّزًا من مميِّزات الأمم. ولا يُتوقَّع أفول خصوصية الثقافة, في ضوء التوجُّه إلى عولمة الكون, مهما كان الضخُّ النظري المنبهر بالدعوة إلى عولمة كلِّ مناحي الحياة, بما فيها الأبعاد الثقافية. لا ينتظر أنْ تتنازل الأممُ عن مقوِّمات ثقافاتها, استجابةً للدعوة إلى العولمة الشاملة, التي يُشكُّ في فاعليتها بشموليَّتها على المدى البعيد(17).

?

وسائل الحوار بين الثقافات

• تتعدَّد وسائلُ الحوار والتعارُف بين الأمم. من هذه الوسائل ما هو إيجابي, ومنها ما هو سلبي. وكلُّ هذه الوسائل تتمحور حول مفهوم الحوار بين الثقافات. قد يكون هذا الحوار مباشرًا وظاهريًّا. وقد يكون خلاف ذلك, بحيث يأخذ أساليب غير تقليدية وربَّما غير إيجابية, كالحروب والإرهاب والاستعمار والتنصير (التبشير) والتغريب والتفرقة العنصرية, في الحوار.

• وقد سعى الباحث إلى رصد بعض هذه الوسائل على أنها محدِّدات, بعد بسط بعض المسلَّمات بين الثقافات, التي تأتي بوصفها فروقات طبيعية يمكن التعايُش

معها, وتجاوُزها في سبيل التلاقي بين الثقافات. وأوصل الباحث هذه المحدِّدات إلى سبعة عشر محدِّدًا, هي على النحو الآتي:

1. الجهوية.
2. الإرهاب.
3. الحقوق.
4. العرقية.
5. الحروب.
6. اليهودية.
7. الاستعمار.
8. التنصير.
9. الاستشراق.
10. الاستغراب.
11. التغريب.
12. الاغتراب.
13. البعثات.
14. العلمنة.
15. العولمة.
16. الإعلام.
17. الحوار(18).

• ويأتي الاقتصاد والمصالح, محدِّدًا من محدِّدات العلاقة بين الشرق والغرب, ضمن المحدِّد الخامس عشر "العولمة", على اعتبار أنَّ انطلاقة العولمة بدأت من البُعد الاقتصادي.

• وجاء الحوار في ذيل القائمة؛ لأنَّه, عند الباحث, هو المحصِّلة النهائية لهذه المحدِّدات, ولم يأتِ متأخِّرًا للتقليل من أهميَّته, بل إنَّ هذه الأهمية هي مما تجاوزه المفكِّرون في العلاقات الدولية, ممَّن يميلون إلى ترسيخ مفهوم التلاقي, أخذًا في

الحسبان وجود وجوه اختلافات, لا بُدَّ من التعايُش معها, وجعلها من محفِّزات التلاقي, لا من مقوِّمات التضادِّ, كما مرَّ ذكره في الوقفة السابقة.

|2|1|

(1) انظر: رضوان السيِّد. نقد الاستشراق.. الاجتهاد.. ع 51/50 (ربيع وصيف العام 2001/ 1422هـ).. ص 5 . 7. و35 . 63.

(2) انظر: عبد النبي أصطيف. نحو استشراق جديد.ـ الاجتهاد.ـ ع 51/50 (ربيع وصيف العام 2001م/1422هـ).. ص 35 . 63.. والنصُّ من ص 63.

(3) انظر: مصطفى النيفر. الأمير في دولة القراصنة: رحلة الأمير لودفيغ هيرمان فون بوكلير . موسكا إلى تونس (1835).. الاجتهاد.. ع 51/50 (ربيع وصيف العام 2001/ 1422هـ).. ص 65 . 116.. والنصُّ من ص 66 . 67.

(4) انظر: عبد النبي أصطيف. نحو استشراق جديد.ـ الاجتهاد.ـ المرجع السابق.ـ ص 35 . 63.. والنصُّ من ص 62.

(5) انظر: السيد مُحَمَّد الشاهد. الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين.ـ الاجتهاد.ـ ع 22 (شتاء العام 1414هـ/ 1994م).ـ ص 191 . 211. والنصُّ من ص 191.

(6) انظر: رجب البنَّا. صناعة العداء للإسلام.ـ القاهرة: دار المعارف, 2003م.ـ 464 ص.

(7) انظر: محمد جلاء إدريس. العلاقات الحضارية.ـ دمشق: دار القلم, 1424هـ/ 2003م.. ص 121.

(8) انظر: جون إل. إسبوزيتو. الإسلام والغرب عقب 11 أيلول/سبتمبر: حوار أم صراع ثقافي حضاري؟ــ دبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية, 2003م.. ص 28.. (سلسلة محاضرات الإمارات؛ 74).

(9) انظر: عبدالله التطاوي. الحوار الثقافي: مشروع التواصُل والانتماء.ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامَّة للكتاب, 2006م.. ص 90.. (سلسلة مكتبة الأسرة).

(10) انظر: زكي الميلاد. المسألة الحضارية.ــ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي, 1999م.. ص 336.

(11) انظر: محمد جلاء إدريس. العلاقات الحضارية.. مرجع سابق.. ص 106.

(12) انظر: محمد عبدالحميد حمد. حوار الأمم: تاريخ الترجمة والإبداع عند العرب والسريان.. دمشق: دار المدى, 2001م.. 531 ص.

(13) انظر: عبدالرحمن بدوي. دور العرب في تكوين الفكر الأوروبِّي.. القاهرة: مهرجان القراءة للجميع, مكتبة الأسرة, 2004م.. 256 ص.

(14) انظر: علي بن إبراهيم النملة. النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية.. ط 3.. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية, 1427هـ/2006م.. 204 ص.

(15) انظر: محمد جلاء إدريس. العلاقات الحضارية.. مرجع سابق.. ص 107.

(16) انظر: محمد جلاء إدريس. العلاقات الحضارية.. المرجع السابق.. ص 108 . 109.

(17) انظر: الثقافة الوطنية بين الخصوصية والعولمة.. ص 167 . 195.

في: إبراهيم بدران. أفول الثقافة.. بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر, 2002م.. 296 ص.

(18) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدِّداتها.. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي, 2005م.. 173 ص.

============

صناعة الكراهية بين الثقافات

أثر الاستشراق في افتعال الفجوة [2/2]

د. عَلِيُّ بِنِ إِبْرَاهِيْمَ النَّمْلَةِ 1428/2/21

2007/03/11

الاستشراق وصناعة الكراهية

الاستشراق ووسائل صناعة الكراهية

الخاتمة: الخلاصة والنتيجة:

الاستشراق وصناعة الكراهية

• إذا سلَّمنا بأنَّ الاستشراق هو أحد المحدِّدات المهمَّة في العلاقات بين الثقافات, فإنَّ هذا يعني إعطاء هذا المحدِّد القيمة الفعلية, التي يُنظر من خلالها إلى إسهاماته في

التقريب بين الثقافات, أو في الإسهام, من جانب آخر, في تأصيل مفهوم الافتراق والتضادِّ والتناحُر بين الثقافات.

• الذين يدرسون الاستشراق بعمق, وبمتابعة مباشرة لإسهاماته الثقافية, لا يستعجلون التعميم في الحكم عليه كلِّه, على أنَّه كان طرَفًا مباشرًا في صناعة الكراهية. فالأمر, هنا, يقتضي قدرًا من التفصيل. فقد طال التنقيب عن المستشرقين المنصفين, وهم موجودون, ولا يسوْغ نسيان إسهاماتهم في توعية بني قومهم عن حقيقة الثقافة الإسلامية, وبُعدها عمَّا ألصقه بها إخوةٌ لهم من المستشرقين, من كون هذه الثقافة تمثِّل الخطر الأخضر الجديد(1), بعد تراجُع الشيوعية عن التأثير, ودعوتهم لهم إلى أنْ يخلعوا عنهم لباس التعصُّب, الذي يحجب النظرة الموضوعية لثقافة تنتشر بشكل ملحوظ, (آنا ماري شيمِّل 1922 ـ 2005م, وزيجريد هونكه, وفريتس شتيبات 1923م ـ ويوسف فان أس 1934م ـ, ولزلي ماكلوكلن, وجون إسبوزيتُّو, وفريد هاليداي, وديفيد كنج, وإدوارد كينيدي, وغيرهم كثير من المتأخِّرين, نماذجَ) (2), وأنَّ مسألة الخطر الإسلامي لا تتعدَّى كونَها وهمًا من الأوهام, التي يروِّج لها بعض المتنفِّذين السياسيين من المستشرقين وغيرهم(3). ذلك في ضوء التوجُّه إلى التوكيد على وجود مستشرقين مغرضين, كان لهم أثر واضح وملموس في صناعة الكراهية.

• هذه النظرة تقتضي تصنيف المستشرقين إلى فئات, من حيث الزمانُ, أوَّلاً, ثمَّ من حيث المدارسُ الاستشراقية, ومدى قُرب هذه الفئات والمدارس من الإنصاف, كالمدرسة الألمانية, وبُعدها عنه, كالمدرسة الفرنسية, أخذًا في الحسبان أنَّ المستشرق نفسه يظهر تارةً منصفًا, ويظهر تارةً أخرى, في تقويمنا له, غيرَ منصف (مونتمجمري وات نموذجًا) (4).

• واقع الحال أنَّ هناك فئةً معتبرة من المستشرقين كانت لهم جهود واضحة في صناعة الوئام بين الثقافات, وكانوا وسائط لتعريف الغرب بالثقافة الإسلامية تحديدًا, من خلال الدراسات والبحوث والترجمة والنقل, وحفظ التراث العربي الإسلامي, وفهرسته وتصنيفه, وترميم المعطوب منه. ولا ينبغي التغاضي عن هذه الجهود الواضحة, كما أنَّه لا ينبغي الالتفاف على هذه الجهود, والزعم بأنَّها لم تكن صادرة

عن قصد نبيل, والزعم بأنَّ ما قام به المستشرقون من جهود موضوعية كان لخدمة أغراضهم الأخرى(5). وإنْ وجد هذا الهاجس فقد تمخَّض عنه نفع للتراث المخدوم.

• أمَّا من حيث الزمانُ فإنَّ طلائع المستشرقين لم يكونوا, في الإجمال, إيجابيين مع الثقافة الإسلامية, ذلك أنهم كانوا قد ولدوا في حقبة كانت فيها أوروبَّا تعيش حالة من الفوضى الحضارية, شاع فيها الإقطاع وسلطة النبلاء من ناحية, وشاعت فيها سيطرة مصالح الكنيسة, من ناحية أخرى, فكان أنْ شعروا بأنَّ الإسلام الذي بدأ ينتشر بقوَّة, لا بفعل السيف, كما زعموا, بل بفعل التأثير المباشر المتسامح في الأمم, مما هدَّد مصالحَ خاصَّةً, كان يتبوَّأها قسمٌ من رجال الدين, غير المتسامحين, الذين كانوا يدَّعون أنهم يمثِّلون الربَّ, ومارسوا دور الوسيط بين الربِّ والعباد, فحقَّقوا من وراء ذلك مصالحَ ذاتية, كانت بعيدة عن مفهوم التسامُح.

• بينما جاءت الثقافة الإسلامية لتلغي هذه الواسطة, وتجعل الصلة بين العبد وربِّه مباشرة, دون عون من أحد, سوى العلم القائم على كتاب الله تعالى وسنة نبيِّه محمد بن عبدالله –صلى الله عليه وسلم–. وتجعل من التسامُح المحدَّد بضوابطه التي تقرِّبه من واقع الناس, وتتيح للأمم التعامُل بينها بموجبه, وليس ذلك التسامُح غير المحدود, الذي يدمِّر التسامُح, من حيثُ كونُه منطلقًا للعلاقة بين المسلمين أنفسهم, وبينهم وبين غيرالمسلمين (الآخر).

• يقول عصام عبدالله: «لم يكن معظم المنادين بالتسامُح مستعدِّين للسير بهذا المبدأ حتَّى نهاية الشوط, أو في كلِّ الاتِّجاهات, وعلى كافَّة الصُ ًعُد, ف"جون لوك", أكبر المؤيِّدين لمبدأ التسامُح وضع مجموعة من الضوابط, من يتعدَّاها لا يمكن التسامُح معه بأيِّ حال:

1. الترويج لمعتقدات وأصول تهدِّد بنسف المجتمع نفسه,
2. الترويج للإلحاد,
3. الأفعال التي تهدُف إلى تدمير الدولة, أو التعدِّي على أموال الآخرين,
4. الولاء للحكَّام الخارجين (الخيانة)» (6).

• جاء المستشرقون في هذه الحقبة ليقدِّموا المعلومة الخاطئة عن الثقافة الإسلامية لبني قومهم, «فقد أصبحت رؤى المستشرقين تتسلَّل إلى العقول الأوروبِّية؛ لأنَّهم

خبراء في شؤون الدين والمجتمعات الإسلامية, واكتسبوا ثقة الإنسان الغربي؛ لما يمثِّلونه من علم وخبرة نادرة»(7).

• مع تسلُّل هذه الرؤى الاستشراقية إلى العقول الأوروبِّية تسلَّلت, من خلال النقل والترجمة للآثار الاستشراقية الغربية, إلى بعض العقول الآسيوية, لاسيَّما في روسيا, حيثُ مرَّت المعرفة الإسلامية «في البداية عن طريق المصفاة الأوروبِّية الغربية, ولذلك جاء معظمها مشوَّهًا بعيدًا عن الموضوعية العلمية. هذا من جهة, ومن جهة ثانية لقد أرادت روسيا الاستعانة بوجهة النظر الأوروبية الغربية عن الإسلام؛ لكي ترتكز على مستندات فكرية توظِّفها الأرثوذكسية المسيحية الفكرية ضدَّ الدوغمائية الإسلامية التترية», على حدِّ قول الأستاذ سهيل فرح(8).

• يقول خلف الجراد في كتابه: أبعاد الاستهداف الأميركي: «ومثلما كان هناك ارتباط عضوي بين الحروب المسماة "صليبية" والاستعمار الغربي المباشر للعرب والمسلمين, في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والشعارات الدينية المسيحية والمدرسة الاستشراقية التقليدية, فإن المدرسة الاستشراقية الجديدة بأدواتها المعرفية المتطوِّرة, وصلاتها الفكرية والأكاديمية والسياسية بالإستراتيجية الأميركية, تحوَّلت بالفعل إلى أبرز لاعب في توجُّهات النخب السياسية والعسكرية في الولايات المتحدة الأميركية»(9).

• يقرِّر نجيب العقيقي أنَّ طلائع المستشرقين قد انطلقت من الكنائس والأديرة, حيث يذكر صاحبُ أفضل موسوعة ضافية عن الاستشراق والمستشرقين, أنَّ الاستشراق قد بدأ «أكثر تنظيمًا وانتشارًا واستمرارًا بالفاتيكان, بابوات وأساقفة ورهبانًا, واصطناع نفوذهم في سبيله لدى الملوك والأمراء والبلديات, والإفادة منه في الردِّ على البروتستانتية بعد انفصالها عنهم مما جعله لغايات منوَّعة, بوسائل متعدِّدة, في أرجاء واسعة. كان رجال الدين . ومرجعهم الفاتيكان يومئذٍ . يؤلِّفون الطبقة المتعلِّمة في أوربا, ولا سبيل لهم إلى إرساء نهضتها إلا على أساس من التراث الإنساني الذي تمثِّله الثقافة العربية, فتعلَّموا العربية, ثمَّ اليونانية, ثمَّ اللغات الشرقية للنفوذ منها إليه»(10). وقصد قومٌ منهم المغرب لمجادلة المسلمين. واختصَّ آخرون بأن يكونوا

أدلاَّء لقاصدي فلسطين, في رحلات لها قدسيَّتها, يطلقون عليها الحجّ إلى الديار المقدَّسة, القدس وبيت لحم والناصرة والخليل, وغيرها من حواضر فلسطين.

• جاء هذا الهدف الرئيسي حائلاً لرهط من هؤلاء المستشرقين بين إقامة جسور ثقافية بين أوروبَّا والشرق الإسلامي. إلا إنَّ الاستشراق يمتدُّ, بعد ذلك, ويتخلَّى عددٌ من المستشرقين عن هيمنة الهاجس الديني, القائم على صناعة الكراهية تجاه المسلمين, رغم تجدُّد العودة إلى الأصولية الدينية المسيحية/اليهودية, وسيطرتها على الخطاب السياسي؛ لتحقيق أغراض سياسية واقتصادية, من قِبَل جماعات متشدِّدة, استطاعت التأثير على صناعة القرار في بعض الدول الغربية, كما يقول جورج قرم في كتابه الصادر أخيرًا بالفرنسية بعنوان: المسألة الدينية في القرن الحادي والعشرين(11).

• بدت على بعض هؤلاء المستشرقين بوادر الاستقلالية عن الهاجس الديني الأصولي, ووصف بعضهم بالعلمنة, وأنَّهم يرغبون في أنْ يكونوا أكثر موضوعية من أسلافهم, ومن ثمَّ رغبوا في عدم الخوض في الشأن الديني, الذي بدا أنَّه هو المحفِّز لصناعة الكراهية, فاشتغل رهطٌ منهم بالشأن الاجتماعي, من خلال تحليل المجتمع المسلم(12).

• ظهر ما يمكن أنْ يسمَّى بالرؤية الاستشراقية المعدَّلة, التي تنتقد المجتمع الغربي في موقفه من الثقافة الإسلامية, وتتفهَّم «مشاعر العالم الإسلامي في أنَّه يعيش تحت حصار فرضه عليه الغرب, في كثير من المجالات الحيوية, السياسية والعسكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية. ويمتدُّ هذا التفهُّم إلى إدراك الأسباب التاريخية التي أدَّت إلى ذلك, وإلى إشكالياتِ عمليةِ التحديث التي فرضها الغرب, وما اقترن بها من توتُّرات اجتماعية واقتصادية.

إلاَّ أنَّ أنصار الرؤية «المعدَّلة» يقاومون بكلِّ قوَّة الاستقلال التامَّ عن الغرب, بل ومنع ذلك, وضرورة اتِّباع النموذج الغربي الذي أثبت نجاحه», كما يقول سمير مرقس(13).

• مع هذا لم يتمكَّن المستشرقون, في دراساتهم الاجتماعية والأنثروبولوجية, من عزل الدين الإسلامي عن هذه الدراسات, إذ توجَّه بعضهم إلى دراسة المجتمع المسلم أنثروبولوجيًّا من خلال أوجه النشاط الديني, مثل القضايا التي يطرحها خُطباء صلاة

الجمعة(14), ومثل الشأن النسائي في المجتمع المسلم, بما في ذلك ظاهرة تفشِّي الحجاب لدى المسلمات, وشيوع ذلك حتَّى في المجتمعات غير المسلمة, التي توجد بها أقلِّيات أو جاليات مسلمة.

• تستهوي بعضَ المستشرقين السياسةُ, في وقتٍ كان العالم فيه يمرُّ بمرحلة اجتياح أوروبِّي للعالم, شرقه وجنوبه والقارَّة الأمريكية الوسطى والجنوبية, فيما اصطلح عليه بحقبة الاستعمار, فكانت هذه الفئة من المستشرقين (باستثناء الاستشراق الألماني الذي لم يزدهر نتيجةً للاستعمار) (15), جاهزةً لتقديم العون للجهات الاستعمارية, من خلال تقديم المعلومة عن البلاد المستهدَفة بالاستعمار. ورافق بعضُ المستشرقين الحملات الاستعمارية, سلفستر دي ساسي (1758 . 1838م) في الجزائر, وكريستيان سنوك هورخرونيه (1857 . 1936م) في إندونيسيا نموذجًا. فهم هنا يمارسون مهمَّة الأدلاَّء, ولكن مع اختلاف في المهمَّات عن أسلافهم أدلاَّء قاصدي فلسطين.

• ثمَّ يمتدُّ الاهتمام من لدن المستشرقين بالسياسة, حتَّى بعد انتهاء الحقبة الاستعمارية, والاستعاضة عنها بحقبة الهيمنة, التي يعيشها العالم اليوم, في ضوء سيطرة القطب الواحد. وهي هيمنة آنية, لا يتوقَّع لها كلها «أنْ تصير دائمةً», في ضوء تضاؤل مقوِّمات الدوام, لاسيَّما الأخلاقية منها, على رأي جيمي كارتر رئيس الولايات المتَّحدة الأمريكية الأسبق(16).

• إذا جرى الحديث عن الهيمنة يتَّجه الذهن إلى انفراد الولايات المتَّحدة الأمريكية في الساحة العالمية, مع صنع حلفاء لها, في أوروبَّا, يحقِّقون لهم ولها مصالحهم ومصالحها, ربَّما على حساب مصالح الشعوب الأخرى, ممَّا يفاقم من صنع الكراهية, وممَّا أظهر أدبيَّات إعلامية وتحليلية سريعة, أضحى همُّها هجاء هذا النمط من العلاقة بين الغرب والشرق, دون توخِّي الموضوعية في التحليل, والعلمية في بسط الأمر, بل ربَّما لتحقيق حاجة في نفس يعقوب, كانت موجودة من قبلُ, إبَّان المدِّ الشيوعي والاشتراكي(17), بحيث يمكن أنْ تُعَدَّ هذه الأدبيَّات الإعلامية والتحليلية السريعة نفسُها إسهامةً من الإسهامات في مسيرة صناعة الكراهية.

• وتستهوي عددًا من المستشرقين الحملاتُ التنصيرية (التبشيرية), التي اجتاحت الشرق والجنوب والقارَّة الأمريكية الوسطى والجنوبية, فيكون هؤلاء عونًا للمنصِّرين, ويكوِّنون لهم قاعدة المعلومات, التي تمدُّ المنصِّرين بما يحتاجونه من معلومات عن المجتمعات المستهدفة بالتنصير, في سبيل تحقيق مهمَّاته الصعبة, لاسيَّما في المشرق الإسلامي, حيث يقفُ التوحيد حائلاً دون وصول التثليث, الذي هو أُسُّ التنصير, إلى عقول الناس وأفهامهم, فظهرت على الساحة الثقافية فئةٌ من المستشرقين المنصِّرين.

• عليه, يمكن أنْ ينظر للتنصير على أنَّه شكل من أشكال صناعة الكراهية بين الغرب والشرق, لاسيَّما الشرق الإسلامي, الذي لم يكن مرحِّبًا بالتنصير, ليكون بديلاً عن العقيدة الإسلامية الصحيحة(18).

• ثمَّ يستهوي فئةً من المستشرقين الإعلامُ, بمفهومه الحديث, الذي يعتمد على سرعة النشر, على حساب المعلومة الموثَّقة, وبالتالي يتَّكئ على المعلومة السريعة, التي قد تفتقر إلى التحليل العميق, فيقع بعض المستشرقين في فخِّ الإعلام, رغبةً لدى بعضهم في الشهرة والظهور والانتشار وسرعة التأثير, فيتخلُّون عن المفهوم التقليدي العميق للاستشراق, ويتبرَّأون منه, ويرميه بعضُهم في زبالة التاريخ, على رأي برنارد لويس(19), ويصبح المصطلح, عند هذه الفئة, مشؤومًا, ويلتفُّون عليه بألقاب علمية أخرى(20), ويعزفون عن الأبحاث في قضايا تراثية, وينصبون أنفسهم خبراء في قضايا المسلمين المعاصرة, (برنارد لويس, نموذجًا), فيغذُّون الإعلام بصناعة الكراهية للثقافات الأخرى, بما فيها الثقافة الإسلامية.

• يستفيد الإعلامُ المنحاز عن الخلفية العلمية لهذه الفئة من المستشرقين في تذكية صناعة الكراهية بين الثقافات, وإضفاء صورة نمطية غير حسنة عن الإسلام وحضارته وثقافته, وعن المسلمين. والنظرة السطحية للإعلام, في مقابل البحث التحليلي للاستشراق, لا تقلِّل من تأثير الإعلام في النفوس, ولا تُصادر الجهود التي تُبذل في سبيل تحقيق هذا التأثير.

• يُرجع محمد علي الخالدي من أسباب هذه الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين, والعرب داخلون بالضرورة ضمنًا, إلى «دور عملية الاستشراق وإشاعة تصوُّراتها, إذ

احتلَّت الأولوية في المشهد الثقافي وخدمتها أهدافاً استعمارية, فخرقت ثقافات الشعوب المحلية وطمست هويتها الحضارية من خلال فرض التصورات الغربية لكل مناحي الحياة وتفسير أحداث التاريخ الإسلامي بموجب مقاسات تلك السياسة الاستعمارية»(21).

الاستشراق ووسائل صناعة الكراهية

• ليس من السهل حصر الوسائل التي يمكن عدُّها مؤثِّرةً في صناعة الكراهية بين الثقافات. ويمكن أن تقسَّم "القائمة" إلى وسائل قديمة, وأخرى حديثة أو معاصرة. كانت إسهامات المستشرقين الأوائل في هذا المجال قد بدأت في الطعون المباشرة, وإثارة الشبهات في الثقافة الإسلامية, حيث شكَّك الاستشراق في الإسلام, ومن ثمَّ شكَّك في القرآن الكريم على أنَّه كتاب منزَّل من الله تعالى على عبده ورسوله محمد بن عبدالله –صلى الله عليه وسلم–, وزعم أنَّه من تأليف محمد –صلى الله عليه وسلم–, (جورج سيل (1697 . 1736م) نموذجًا), ومن ثمَّ جاء التشكيك في سنَّة المصطفى –صلى الله عليه وسلم– وسيرته, والتشكيك في الشريعة الإسلامية, وأنَّها, في جانبها الفقهي, مستمدَّة من القانون اليوناني/الإغريقي, ثمَّ لمز الصحابة والتابعين, والتاريخ الإسلامي, والفتوح الإسلامية, والقائمة تطول.

• يقول حاتم الطحاوي في عرضه لكتاب محمد خليفة حسن: آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية: «أثار الاستشراق الشكوك في العقيدة, عبر نظرته للقرآن الكريم والحديث النبوي ومصادر العقيدة الإسلامية على أنها خاضعة للنقد العقلي وحضّ المسلمين على ضرورة إخضاع تلك المصادر للرؤية النقدية العقلية. وبالتالي التخفيف من قدسيّتها لدى المسلمين, والحضّ على تركها واستبدال القوانين الوضعية البشرية بها»(22).

• إلاَّ أنَّ هذه الطعون والشُّبُهات قد خدمت مرحلة من مراحل العلاقة بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي/ النصراني, ولم تعُد ممَّا يسوَّق اليوم؛ لأنَّ المستشرقين أنفسَهم قد وقفوا منها موقف الناقد الفاحص, الذي تبيَّن له أنَّ الزمن قد تجاوز الطعون والشُّبُهات المباشرة, لاسيَّما مع الالتفات للاستشراق, ونشوء جدل بين الباحثين العرب والمسلمين حول الموقف من الاستشراق, ومدى خدمته للثقافة

الإسلامية, ومن ثمَّ التصدِّي لهذه الأنواع من الطعون والشبهات والردود عليها من قبل الباحثين المسلمين, وعزوها إلى الأغراض التي قامت من أجله.

• ثمَّ تأتي المرحلة المعاصرة التي توهَّمت أنَّ الإسلام يمثِّل خطرًا يهدِّد الوجود الغربي بثقافته التي انبنى عليها, رغم تبنِّي المنهج العلماني في الممارسة السياسية. ونحَتَ الغرب مصطلح "الإسلام . فوبيا", أو الإسلاموفوبيا Islamophobia, لاسيَّما بعد انتهاء تأثير المعسكر الشرقي, وانتهاء الحرب الباردة, والبحث عن عدوٍ جديد يوحِّد الغرب, ويتحالف في التصدِّي له(23).

• يقول محمد علي الخالدي: إنَّ الإسلاموفوبيا «مصطلح أكثر شيوعًا من الاستشراقية. "الإسلامافوبيا", وقد عُرِّب مصطلح الإسلامافوبيا إلى "التخويف من الإسلام والمسلمين", الذي يُعرَّف بأنَّه "الفزع من الإسلام أو كرهه، والخوف من المسلمين أو كرههم", ويعتقد كثير من الخبراء أنَّ هذا المصطلح غير دقيق, ولا يعبِّر بصدق عن أنواع التمييز ضدَّ المسلمين. ووضعه الأوروبيون على غرار مصطلح "اللاسامية", وهي ظاهره تمييزية أوروبية تختلف تماماً, في أجواء انبثاقها، عن نوعية العلاقة بين الإسلام والغرب. وعرَّب بعض الباحثين الإسلامافوبيا اختصارًا بـ "رهاب الإسلام"، ضمن ما يعتقد أنَّها سياسة حكومية تستهدف إقناع المجتمع الغربي، بوجود تناقُض صارخ مع الإسلام، حسب مقولة أنَّ الإسلام هو الخطر الجديد القادم نحو البلدان الغربية من الشرق، بعد سقوط المعسكر الاشتراكي، كما عبَّر عن ذاك الأمين العام السابق للحلف الأطلسي في بداية التسعينيات»(24).

• تصدَّى لهذه النبرة الجديدة رهطٌ من المفكِّرين الغربيين والمسلمين, ونظروا إليها على أنَّها وهمٌ من جملة من الأوهام التي يراد من ورائها استمرار حالة التأزُّم القائمة بين الشرق الإسلامي والغرب/المسيحي, ومن ثمَّ الاستمرار في حالة غير مستقرَّة, تفيد منها عناصر جعلت من هذه الحالة مجالاً لجلب مصالح ذاتية محدودة النفع, ممتدَّة الضرر(25).

• تساعد الظروفُ والأحداثُ في تعميق هذا الوهم, من خلال عدَّة مؤشِّرات, منها سيطرة المحافظين الجدد على الإدارة الأمريكية, والأحداث المؤسفة التي حصلت يوم الثلاثاء 2001/9/11م الموافق1422/6/22هـ, والتي اتُّهم بتنفيذها ثلَّة من الشباب

المسلمين. ثمَّ تلا ذلك ملاحقة من اتُّهموا بالتخطيط لهذه الأحداث وغيرها قبلها, وربَّما ـ لا قدَّر الله ـ بعدها, في جبال أفغانستان وغيرها, واجتياح العراق يوم الخميس 1424/1/16هـ الموافق 2003/3/20م, بحجَّة تهديد الاستقرار في المنطقة, أي تهديد الوجود اليهودي في فلسطين المحتلَّة, مع الالتفاتة إلى غزو النظام البعثي السابق في العراق للكويت يوم الخميس 1411/1/11هـ الموافق 1990/8/2م.

• لا يتحمَّل الاستشراق المعاصر/الجديد تأجيج هذا الوضع ابتداءً, إلاَّ أنَّه, في بعض جوانبه, وجدها فرصةً مواتية لتجديد صناعة الكراهية ضدَّ الإسلام والمسلمين, لاسيَّما بين المستشرقين المتصهينين (برنارد لويس, نموذجًا, ويتبعه دانييل بايبس, ومارتن كريمر, وإنْ لم يكن الأخيران مستشرقَين) (26), الذين يعنيهم هذا التأجيج؛ وذلك للإسهام في تثبيت وجود وطن قومي لليهود في فلسطين المحتلَّة, الأمر الذي يمكن أن يُعزى إليه الوضع السياسي والاجتماعي المتأزِّم بين الشرق الإسلامي والغرب. فمنطق الاستشراق المعاصر/الجديد, في بعض جوانبه, حول هذه الأحداث المتلاحقة هو تبنِّي مقولة: لم أُردْها ولم تسئْنِ.

الخاتمة: الخلاصة والنتيجة:

يمكن أنْ تُختم الوقفات الخمس السابقة, في النظر إلى الاستشراق كأحد العوامل التي ساعدت على صناعة الكراهية بين الثقافات, بخلاصة ونتيجة من خلال النقاط الآتية:

• للاستشراق أثرٌ بارزٌ في تحديد العلاقة, ثقافيًّا, بين الشرق والغرب, على المستويين الماضي والحاضر, وربَّما المستقبل. ويمتدُّ هذا الأثر في الأبعاد السياسية والإعلامية. ويسهم, بطريق مباشر أو غير مباشر, في رسم إستراتيجيات هذه العلاقة.

• لم يكن أثر الاستشراق في هذه العلاقة كلُّه سلبيًّا, بل كانت له آثاره الإيجابية في تقديم الثقافة الإسلامية في ماضيها/ التراث وحاضرها, والإفادة من معطياتها العلمية والفكرية على مرِّ الزمن. وكان هناك, ولا يزال, مستشرقون مخلصون لهذا التوجُّه, لم تستهوِهم تلك التقلُّبات التي تعصف بالعلاقة بين الثقافات. وبذا لا يسوَّغ التعميم في الحكم على الاستشراق سلبًا أو إيجابًا.

• عمل الاستشراق, مع هذا, وفي بعض جوانبه, على تعميق صناعة الكراهية بين الثقافة الإسلامية خاصَّة, وغيرها من الثقافات, لاسيَّما الثقافة الغربية, من خلال عمله, في بعض جوانبه, على تشويه الثقافة الإسلامية, في مصادرها وتراثها, وأوضاع المسلمين المعاصرة.

• تتفاوت مواقف المستشرقين من الثقافة الإسلامية, بحسب فئات المستشرقين ومدارسهم وأطوارهم, ومدى علاقة بلدانهم بالمنطقة العربية والبلاد الإسلامية, من خلال حقبة الاستعمار, إذ كان لبعض المستشرقين من الدول المستعمِرة أثرٌ في مسيرة الاستعمار.

• كانت لبعض المستشرقين جهود في مجال دعم الحملات التنصيرية في المجتمعات المسلمة, فظهر مستشرقون منصِّرون, وأمدَّ هذا النوعُ من الاستشراق التنصيرَ بالمعلومة عن المجتمعات المستهدَفة بالتنصير, وساعد ذلك على تعميق الفجوة بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية, وبالتالي أسهم هذا النوع من الاستشراق التنصيري في صناعة الكراهية.

• مال بعض المستشرقين المتأخِّرين, في محاولة للالتفاف على الاستشراق, إلى الطرح الإعلامي, وأكثروا من الظهور على القنوات الفضائية والمواقع الإلكترونية, وطُلبت آراؤهم "العلمية" في تحليل بعض المواقف التي تزيد من الفجوة بين الثقافات, فكان قولهم مقبولاً ومؤثِّرًا, لما يمثِّلونه من خبرة نادرة. بينما عزف مستشرقون آخرون عن هذا النوع من تسطيح القضايا, ورفضوا الإدلاء بآرائهم على العامَّة, وفضَّلوا الإفصاح عنها في الصروح العلمية, وبين المفكِّرين.

• تفاوتت مواقف المسلمين والعرب من هذا الجانب من جوانب الاستشراق, في طرفين متناقضين في أغلب هذه المواقف, كلاهما غير منصف لجهود المستشرقين الحسنة أو السيئة. وبقي ثلَّةٌ من المفكِّرين العرب والمسلمين متوازنين في حكمهم على الاستشراق, من منطلق أنَّه كلَّما تعمَّق الباحث في دراسة الاستشراق كان أقربَ إلى الحكم الصواب. وأحسب أنَّ هذه الفئة من المفكِّرين توخَّت العدلَ في ذلك الحكم, فكانت أقربَ من غيرها إليه.

• إذا كان هناك من توصية فإنَّها تتركَّز في تكثيف قنوات الحوار مع المستشرقين عمومًا, من خلال وجود المزيد من مراكز بحوث ودراسات للاستشراق في الصروح العلمية القائمة, والصروح العلمية المستقلَّة بذاتها, وبالتالي تكثيف عقد الندوات والمؤتمرات والحلقات التي يُشرَك بها المستشرقون؛ لتفعيل الحوار بين الثقافات, والسعي إلى تقليص الفجوة المفتعلة بينها, ومن ثمَّ العمل, من خلال هذه المراكز وغيرها, على التواصل مع المراكز الاستشراقية الأخرى في العالم, شرقه وغربه.

• سيؤدِّي هذا الأسلوب العملي إلى المزيد من التعرُّف على صانعي الكراهية من المستشرقين, ومن ثمَّ إيجاد قنوات الاتِّصال معهم, كما إيجاد قنوات الاتصال مع غيرهم من المعتدلين والمنصفين؛ لبيان الحقِّ وتجسير الفجوة الثقافية, والخروج إلى تقليص صناعة الكراهية بين الثقافات, من هذه الفئة من الباحثين الدائمين في الشأن العربي والإسلامي.

وكان الله في عون الجميع.

|1|2|

(1) انظر: هل يكمن بعد الخطر الأحمر «الخطر الأخضر»؟ .. ص 241 . 253. في: بيير بيارنيس. القرن «الحادي والعشرون» لن يكون أمريكيًّا/ ترجمة مدني قصري.. بيروت: المؤسّسة العربية للدراسات والنشر, 2003م.. 346 ص.

(2) انظر: فريتس شتيبات. الإسلام شريكًا: دراسات عن الإسلام والمسلمين/ ترجمة عبدالغفَّار مكَّاوي.ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, 1425هـ/ 2004م.. 206 ص. . (سلسلة عالم المعرفة؛ 302).

(3) انظر: جون إسبوزيتو. الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع/ ترجمة هيثم فرحت.. اللاذقية: دار الحوار, 2002م.. 333 ص.

(4) ما كان مونتُجمري وات منصفًا لسيرة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عندما زعم أنَّ محمدًا . عليه الصلاة والسلام . هو مؤلِّف القرآن الكريم, في كتابه محمد النبي والقائد, ثم عاد إلى الإنصاف في هذه المسألة, واعترف, في كتاب متأخِّر له بعنوان: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر, بأنَّ هذا القرآن وحيٌ من الله تعالى.

انظر: محَمَّد عمارة. الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء.ـ القاهرة: دار الشروق, 1425هـ/2005م.ـ ص 159 ـ 178.

(5) انظر: يحيى مراد. معجم أسماء المستشرقين.ـ بيروت: دار الكتب العلمية, 1425هـ/2004م.ـ ص 55 ـ 61.

(6) انظر: عصام عبدالله. التسامُح.ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامَّة للكتاب, 2006م.ـ ص30 ـ 36.ـ (سلسلة مكتبة الأسرة).

(7) انظر: حاتم الطحاوي. الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية (محمد خليفة حسن).ـ الاجتهاد.ـ ع 51/50 (ربيع وصيف العام 2001/ 1422هـ).ـ ص 321 ـ 335.ـ والنصُّ من ص 324.

(8) انظر: سهيل فرح. الاستشراق الروسي: نشأته ومراحله التاريخية.ـ الفكر العربي.ـ ع 31 مج 5 (كانون الثاني/يناير 1983م).ـ ص 225 ـ 266.

(9) انظر: خلف الجراد. أبعاد الاستهداف الأمريكي.ـ دمشق: دار الفكر, 1424هـ/2004م.ـ 248 ص.

(10) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون: موسوعة في تراث العرب, مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتَّى اليوم.ـ 3 مج.ـ ط 4.ـ القاهرة: دار المعارف, 1980م.ـ 1: 87 ـ 125. والنصُّ من ص 104.

(11) انظر: جورج قرم. المسألة الدينية في القرن الحادي والعشرين.ـ باريس: ديكوف, 2006م.ـ (بالفرنسية).ـ نقلاً عن عمر كوش. «المسألة الدينية في القرن الحادي والعشرين» قضية يعالجها كتاب جورج قرم.ـ الحياة.ـ ع 15989 (2007/1/13م ـ 1427/12/24هـ).ـ ص 24.

(12) انظر: أبو بكر باقادر. الأنثروبولوجيا والاستشراق.ـ الاجتهاد.ـ ع 48/47 (صيف وخريف العام 2000م/1421هـ).ـ ص 9 ـ 10.

(13) انظر: سمير مرقس. الآخر الحوار المواطنة.ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامَّة للكتاب, 2006م.ـ ص 84 ـ 85.

(14) انظر: من الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا (1 ـ 2): الدولة والمجتمع وصورة الإسلام.ـ في: الاجتهاد.ـ ع 48/47 (صيف وخريف العام 2000م/1421هـ).ـ و«من

الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا (3): الصورة والرمز الآخر».ـ في: الاجتهاد ع 49 (شتاء العام 2001م/ 1421/ 1422هـ).ـ ومن الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا (2): نقد الاستشراق.ـ في: الاجتهاد.ـ ع 51/50 (ربيع وصيف العام 2001م/ 1422هـ).

(15) انظر: ميشال جحا. الاستشراق الألماني في القرن العشرين.ـ الاجتهاد.ـ ع 51/50 (ربيع وصيف العام 2001م/1422هـ).ـ ص 257 ـ 267.

(16) انظر: جيمي كارتر. قيمنا المعرَّضة للخطر: أزمة أمريكا الأخلاقية/ ترجمة محمد محمود التوبة.ـ الرياض: مكتبة العبيكان, 1428هـ/ 2007م.ـ ص 17.

(17) انظر: بهجت قرني, وآخرين. صناعة الكراهية في العلاقات العربية ـ الأمريكية.ـ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية, 2003م.ـ 406 ص.

(18) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. المستشرقون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين, مع نماذج من المستشرقين.ـ الرياض: مكتبة التوبة, 1418هـ/1998م.ـ 178 ص.

(19) انظر: برنارد لويس. الإسلام والدولة.ـ التسامُح.ـ ع 8 (خريف 1424هـ/2004م).ـ ص 186 ـ 197. وانظر, أيضًا: برنارد لويس. مسألة الاستشراق.ـ ص 159 ـ 182.

في: هاشم صالح, معدٌّ ومترجم. الاستشراق بين دعاته ومعارضيه.ـ ط 2.ـ بيروت: دار الساقي, 2000م.ـ 261 ص.

(20) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصُّل من المصطلح.ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة, 1428هـ/2007م.ـ 182 ص.

(21) انظر: محمد علي الخالدي. إنسان بأصوات متعدِّدة.ـ .htm372C164/6http://www.mafhoum.com/press

(22) انظر: حاتم الطحاوي. الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية (محمد خليفة حسن).ـ الاجتهاد.ـ مرجع سابق.ـ ص 321 ـ 335.ـ والنصُّ من ص 322 ـ 323.

(23) انظر: مصطفى الدبَّاغ. الإسلام فوبيا ISLAMOPHOBIA: عقدة الخوف من الإسلام.ـ ط 2.ـ عمَّان: دار الفرقان, 2001م/ 1422هـ.ـ 149 ص. وانظر,

أيضًا: ألان جريش. الإسلامفوبيا/ ترجمة وتعليق إدريس هاني.. الكلمة.. مج 10 ع 40 (صيف 2003م/1424هـ).. ص 104 . 120.

(24) انظر: محمد علي الخالدي. إنسان بأصوات متعدِّدة. . مرجع سابق.

(25) انظر: أحمد شاهين. صنَّاع الشرِّ.. القاهرة: دار المعارف, 2004م.. 108 ص.

(26) لا يهدُف هذا البحث إلى التعرُّض إلى أولئك الرهط من صنَّاع الكراهية من غير المستشرقين, من أمثال دانييل بايبس صاحب مشروع مراقبة الجامعات لرصد ما يقال عن اليهودية والصهيونية, وصاحب فصلية الشرق الأوسط, التي يرأس تحريرها زميله في التوجُّه مارتن كريمر, وغيرهما ممَّن شاعت نظريَّاتهم في مجال صنع الكراهية؛ إذ إنَّ التركيز, هنا, ينصبُّ على أثر الاستشراق, في وجه من وجوهه, في صنع الكراهية بين الثقافات

==============

#لماذا يزهد العرب في معرفة إسرائيل؟

غزة/صالح النعامي 1428/2/24

2007/03/14

تعالت مؤخراً الدعوات داخل إسرائيل لتجنيد قدر أكبر من الموارد لتزويد المؤسسات الأمنية والاستخبارية والأكاديمية البحثية بالمستشرقين والباحثين اليهود في الشؤون العربية، على اعتبار أن التحديات التي تواجه الدولة العبرية تفرض عليها الحصول على أكبر قدر من المعلومات عن العالم العربي. وتأتي هذه الدعوات على الرغم من أن الدولة العبرية تولي أصلاً اهتماماً كبيراً بعلوم الاستشراق والمؤسسات البحثية التي تُعنى به. ومن يتتبع خارطة مراكز الأبحاث في إسرائيل، فإنه لا بد أن يشعر بالدهشة لكثرة عدد مراكز البحث والدراسات الإسرائيلية التي تتخصص في دراسة مختلف القضايا في العالم العربي، وهذه المراكز لا تترك شاردة ولا واردة في العالم العربي إلاّ وتشبعها بحثاً ودراسة حتى تخلص في النهاية إلى تقديم استنتاجات بشأنها. وأذكر أن أحد أصدقائي كان يعدّ رسالة الماجستير في الشريعة الإسلامية، واحتاج إلى بعض المراجع، وبحث عنها في مكتبات كل الجامعات الفلسطينية، فلم

يعثر عليها، لكنه وجدها في مكتبة الجامعة العبرية في القدس المحتلة. وإلى جانب العديد من مراكز البحث المتخصصة في دراسات العالم العربي، فإن كل جامعة في إسرائيل تضم أكثر من مركز أبحاث متخصص في دراسة قضايا العالم العربي، ناهيك عن مراكز البحث التابعة للأجهزة الاستخبارية الإسرائيلية، فمثلاً جهاز المخابرات الإسرائيلية الداخلية(الشاباك) له مركز أبحاث متخصص في دراسة التطورات التي تشهدها الأراضي الفلسطينية من مختلف النواحي، و(الشاباك) لا يستغل العملاء فقط في الحصول على المعلومات الاستخبارية المتعلقة بنشطاء الفصائل الفلسطينية الذين يساهمون في أنشطة المقاومة، بل أيضاً يوفر هؤلاء العملاء الكثير من المعلومات لمركز الأبحاث التابع لـ (الشاباك) الذي يطرح أسئلة محددة، ويطلب من العملاء الحصول على إجابات عنها. كما أن جهاز الموساد يملك مركز أبحاث ضخم يتولى دراسة التطورات في العالم العربي، وهذا المركز يقدم توصيات لدوائر صنع القرار السياسي بشأن مستقبل العلاقة مع العالم العربي. في نفس الوقت، فإن جهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية المعروف بـ (أمان) يضم بين أقسامه مركز أبحاث كبير متخصص بدراسة العالم العربي وقضاياه المختلفة. وتكمن أهمية مراكز البحث في إسرائيل المتخصصة في الشؤون العربية سواء المستقلة أو تلك التابعة للأجهزة الاستخبارية في أنها توفر المعلومات والرؤى التي تساعد دوائر صنع القرار السياسي في الدولة العبرية على اتخاذ القرارات المتعلقة بالصراع. إن المرء عندما يحاول أن يرصد الجهد الإسرائيلي في مجال تأمين أسباب التمكين للمشروع الصهيوني يفاجأ من ذلك الحرص الصهيوني الفائق على معرفة كل ما يدور في العالم العربي عبر رصد علمي موضوعي، ومحاولة تحليله وفق آليات تحليل منطقي تتولاه مراكز بحث ودراسات متخصصة في مجال رصد المعلومات وتحليلها واستقرائها، واستنباط نتائج تؤسس لتحقيق فهم أكبر لما يدور في العالم العربي من تطورات وأثر ذلك على إسرائيل. وفي نفس الوقت تقوم فرق بحث أخرى بوضع خطط لمواجهة هذه التطورات في العالم العربي بما يخدم مصالح الكيان الصهيوني. ومن المعروف أن رئيس الوزراء في إسرائيل يتلقى مرتين شهرياً خلاصة ما تعده المراكز البحثية في كل من الشاباك والموساد والاستخبارات

العسكرية، كما أن أركان مكتبه يطلعونه على نتائج الأبحاث ذات العلاقة بالقضايا التي تبحثها الحكومة. وقد أقر بيريس عندما كان رئيساً للوزراء في العام 1984 بدور مراكز الأبحاث في مساعدة الحكومة الإسرائيلية في اتخاذ قراراتها تجاه العالم العربي. وفي المقابل فإن هناك قصوراً يثير الاستفزاز في مجرد محاولة العرب فهم ما يدور في إسرائيل، فأين هي المراكز البحثية العربية المتخصصة التي تُعنى بدراسة الشأن الإسرائيلي من مختلف جوانبه، فإذا كانت إسرائيل تملك أكثر من خمسة عشر مركز أبحاث متخصصة في شؤون العالم العربي، فإن العالم العربي الكبير المترامي الأطراف لا يملك أي مركز متخصص لدراسة الشأن الإسرائيلي بشكل جدي، وعندما نقول بشكل جدي، فإننا ندرك أن هناك مراكز أبحاث تدّعي أنها تُعنى بالشأن الإسرائيلي، في حين أنها لا تحتفظ حتى بالصحف الإسرائيلية، ولا تتابع الإصدارات باللغة العبرية، ناهيك عن عدم قيامها بأبحاث حول الشأن الإسرائيلي، ويقتصر عملها على توثيق ما يُنشر في الصحف الإسرائيلية، أو أنها تصوغ الأبحاث وفق ما يشتهيه نظام الحكم القائم. والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا كل هذا التقصير العربي في مجال محاولة فهم ما يدور في إسرائيل من تطورات؟ فلماذا لا يتم إنشاء مراكز أبحاث متخصصة تُعنى بالشأن الإسرائيلي؟ ولماذا لا تُعنى مراكز الأبحاث القائمة بهذه القضية الهامة جداً؟ على الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى أن يسعى للتخلص من هذا الخلل القائم. عليه أن يعمل على إقامة مراكز أبحاث عربية متخصصة في الشأن الإسرائيلي، صحيح أنه لا يوجد قيادات سياسية تُعنى بنتائج هذه الدراسات التي ستعدها هذه المراكز، لكن مجرد وجود مثل هذه المراكز

هو متطلب سابق لكل جهد في مواجه دولة الاحتلال. ولعل أهم مقومات المواجهة التي يتوجب علينا تحقيقها، هي معرفة عدونا بشكل موضوعي ودقيق قائم على الدراسة والبحث والتمحيص وأعمال الفكر وليس عبر الركون إلى فيض العواطف والمواقف المسبقة التي تعكس في أحسن تقدير هيمنة الجهل والخضوع لمعايير اللعبة التي تفرضها إسرائيل. فهناك أسباب كثيرة وراء قدرة عدونا دوماً على إلحاق الهزائم بنا، وهذا لا يرجع إلى قدرات الصهاينة الفائقة التي لا يمكن الوقوف أمامها، بل لأننا –بكل بساطة –ننأى بأنفسنا عن أسباب النصر والتمكين والقدرة على المواجهة.

===========

#سلمان رشدي .. من صنع هذه الظاهرة ؟

سيار الجميل 1428/6/12

2007/06/27

عاد اسم سلمان رشدي ليلمع ثانية عندما منحته ملكة بريطانيا لقب (السير) تقديراً وتثميناً، وهو الكاتب البريطاني الذي عاش منذ قرابة عشرين سنة، يظهر ويختفي مع ما يحيط به من حراسات، إذ كان ولا يزال مهدداً بالقتل نتيجة تكفيره من قبل العالم الإسلامي بسبب ما ورد في روايته الشهيرة (آيات شيطانية) من تنديد ببعض آيات القرآن الكريم، نعم، عاد اسمه يشغل أجهزة الإعلام، بل ويثير من جديد أجزاء من العالم الإسلامي سياسيا! دعوني أقول إن اسمه لم يكن يصل إلى ما وصل إليه لولا هياج المسلمين أنفسهم في هذا العالم منذ قرابة عشرين سنة، وكانت تجديفاته في (آيات شيطانية) قد جعلت منه عدواً لدوداً للمسلمين الذين صنعوا منه ظاهرة في الغرب.

ولد سلمان رشدي في العام 1947 بمدينة بومباي في الهند من عائلة مسلمة وتخرج في كلية كنج كولدج بجامعة كامبردج ببريطانيا، وصدرت أولى رواياته عام 1975 تحت عنوان «جريموس» التي تمّ تجاهلها لسذاجتها، لكنه حصل على جائزة بوكر الانجليزية عام 1981 عن كتابه (أطفال منتصف الليل).

وجاءت روايته (آيات شيطانية) عام 1988 ليحوز عنها بجائزة وايت بريد، ولكنها الرواية التي جعلت منه أشهر كاتب في العالم في غضون أسابيع فقط بسبب أكبر ضجة يسببها كتاب يسيء للإسلام وللآيات القرآنية. لقد عمّت المظاهرات عواصم عدة وسقط قتلى في باكستان، وصدرت الفتاوى عن الخميني في إيران توصي بهدر دمه، ورصدت إيران جائزة قدرها مليون دولار لمن يقتل سلمان رشدي تنفيذا لتلك الفتاوى عام 1989.

وأصبح سلمان رشدي هدفا ثمينا لملايين المسلمين، وقد حرسته بريطانيا لسنوات طوال، ونتيجة لذلك، فقد غاب سلمان رشدي عن الحياة العامة لعشر سنوات كاملة، وبالرغم من صدور بعض الردود والكتب في نقد كتابه، إلا أنها جميعا اتسمت

بالضعف والإنشائية والسذاجة، ولم نجد إلى حد اليوم من يقف أمام سلمان رشدي ليدحضه علميا وبنفس الأسلوب الماكر الذي استعمله رشدي !!

زار رشدي الهند بلاده الأصلية بعد 12 سنة على إصدار فتوى الخميني ضده، فاستقبل استقبالا سيئا جدا، إذ خرجت المظاهرات الساخطة والغاضبة ضده وأحرقت الدمى التي تمثله في شوارع دلهي، وكان قد تسلم جائزة كتاب الكومنولث بالهند على كتابه (الأرض تحت أقدامها).

وبالرغم من محاولة الرئيس الإيراني خاتمي دفن الموضوع قبل سنوات، أو المساومة عليه مع الاتحاد الأوروبي من قبل خرازي وزير الخارجية الإيراني الأسبق، إلا أن السيد الخامنئي لم يزل يصر على تطبيق ما أراده الخميني، فبقي سلمان مطاردا مع بقاء اسمه في بريطانيا مثيرا للجدل، وبقي هو نفسه مصّرا على آرائه القديمة وكشف عن مواقفه السياسية، بل وتحّول إلى مفكّر وكاتب من الطراز الأول، وهو يصر على أن الحرب في أفغانستان وغيرها ليست حربا ضد الإرهاب، بل إنها حرب ضد الإسلام معتبرا إياه من مصادر الإرهاب ومن دون أي مراعاة لمشاعر ملايين المسلمين على وجه الأرض.

وعليه، استمر سلمان رشدي يلوذ بحراسّه حتى وهو يكتب مقالاته في صحيفة التايمز البريطانية، وفي واحدة من أشهر مقالاته قال : إن الإسلام بحاجة إلى الإصلاح ليتناسب مع العصر الحديث، وطالب بتفسير جريء وشمولي ومنفتح للقرآن الكريم سيؤدي بالضرورة للقضاء على العزلة التي تعيشها المجتمعات الإسلامية من اجل إدماجها في العالم المعاصر !!

كنت أتمنى أن ينبري مفكرون وفلاسفة من العرب والمسلمين في الرد العلمي الهادئ على أفكار سلمان رشدي بالانجليزية من دون أية ضجة وضجيج ! كنت أتمنى أن يتجاوز العالم الإسلامي لغة التشهير والعواطف والصخب والفتاوى باستخدام أسلوب الحوار والنقد البناء الذي يعلن للعالم عن قوة الحجة وسمو الهدف من دون أي مشروع للقتل ينعكس ضد الإسلام والمسلمين.

إنني اعتقد أن المسلمين هم الذين صنعوا مجد سلمان رشدي وشهرته وكل ظاهرته، فلا يمكن أن يرتفع اسم الرجل بهذا القدر ويغدو مادة ثمينة للاستلاب الإسلامي أو

التحدي الغربي لولا صدور «فتاوى» يغدو تأثيرها السياسي السيئ أكبر بكثير من تأثيرها الديني الرادع في العالم، ولا ادري لماذا تصدر الفتاوى بحق رشدي بالذات، ليسجل قفزة عالية في عالم اليوم وهناك العشرات بل المئات من مواقف مخزية أخرى لم تعالج أصلا.

وردت ولم تزل ترد في صلب حياتنا وعلاقاتنا وطبيعة تصرفاتنا في العالم الإسلامي، صحيح أن مواقف سلمان رشدي صارمة في هجومها وانتقاداتها للإسلام، لكنه ليس الوحيد في ذلك، فقد سبقته عشرات الكتابات ليست الغربية والاستشراقية، بل حتى العربية والإسلامية على امتداد القرن العشرين، تلك التي سجلت مواقف بالضد أقوى بكثير من طروحات سلمان رشدي من دون أي ضجة ولا أي تكفير ولا أي هياج إعلامي وسياسي أو أي فتوى ولا أي ردّة !!

وأخيرا أسأل : من ربح الجولة إذن؟ ومن ساهم بالإساءة إلى الإسلام في نهاية المطاف؟ وبسبب ملاحقته بالقتل صرفت الحكومة البريطانية عليه الآلاف المؤلفة من النفقات لحراسته.

وكان سلمان رشدي ذكيا باستخدام عملية اختفائه من اجل تسويق كتاباته ونشرها في العالم كله على حساب خيبة المسلمين أجمعين. ومن المفيد القول، إن الغرب عموما لم يعد يراعي مشاعر الشعوب الأخرى الدينية والاجتماعية كما كان في السابق، ولم تعد الاحتجاجات والتظاهرات تجدي نفعا، والمطلوب أن لا تصبح مثل هكذا أمور سلعا سياسية مثيرة، بل يستوجب إهمالها والاهتمام بما هو أجدى بكثير من اجل المستقبل.

---

* نقلاً عن صحيفة البيان الإمارات

============

#بواكير الاستشراق والنقل المعرفي الى الغرب

محمد ماهر حماده

الاستشراق, لغوياً, يعني الاتجاه الى الشرق0 والاستشراق لفظ اصطلاحي أطلق على عملية نقل التراث الشرقي إلى الغرب وعلى عملية درس لغاته وتحقيق نصوصه

والحفاظ على تراثه , وبكلمة أوضح هو عملية أوجدت من أجل فهم أفضل للشرق بكل ما يحويه من أفكار ومثل وعادات وعلوم , وبالتالي تساعد هذه العملية في حكم الشرق وأستغلاله وإخضاعه للغرب0

وهناك تعريفات كثيرة للاستشراق ودواعي كثيرة أيضاً لها0 وقد مر الأستشراق في مراحل متعددة وتطور مع تطور معارف الغرب وقوته وزيادة سيطرته على الشرق0 وهناك من يقصر الاستشراق على فترة معينة هي العصور الحديثة, وهناك من يجعلها موغلة في القدم ومستمرة حتى الآن0

ونحنلا يهمنا هنا الاستشراق إلا بمقدار ما قام به من نقل للكتب العربية إلى الغرب وترجمتها والاستفادة منها , ومن ثم نشرها وتحقيقها وتأسيس المؤسسات التعليمية والتربوية التي تساعد في هذه الغاية0

هذا وأن الكنيسة الكاثوليكية كانت من أول المهتمين بالاستشراق وامره, فقد كانت الغالبية العظمى من اوائل النقلة للعلم العربي الى اللاتينية من رجال الدين , إن لم يكن كلهم, ثم بعد ذلك أخذت الكنيسة الكاثوليكية على عاتقها قضية تنظيم الأستشراق وإيجاد المؤسسات اللازمة له0 يقول لويس شيخو " والكنيسة الكاثوليكية كانت أعظم ساعية في إدراك هذه الغاية (غاية نقل العلوم الشرقية الى الغرب) ويمكننا أعتبار تاريخ سنة 1311م البدء الرسمي لسيطرة الكنيسة الكاثوليكية على الاستشراق وحصرهاالاهتمام به في نفسها, ففي تلك السنة قرر مجمع فينا الكنسي برئاسة البابا اقليمنس الخامس (1305 – 1314 م) أن يؤسس دروساً عربية وعبرية وسريانية في رومة على نفقة الحبر الأعظم وفي باريس على نفقة ملك فرنسا, أما في أكسفورد وبولون وسلمنكة فعلى نفقة الرهبان "

هذا وتقسم عهود الاستشراق الى قسمين متميزين القسم الأول ويمتد حتى مطالع عهود النهضة (القرن السادس عشر) والقسم الثاني الذي يبدأ من تلك الفترة ولا يزال مستمراً حتى الوقت الحاضر0

ففي بداية العهد الاول قام بالعمل علماء وبحاثة اوربيون ويهود ومسلمون بقصد نقل روائع العلم العربي الى اللاتينية0 ذلك إن القوم أنذاك كانوا عارفين معرفة تامة بقصورهم وعجزهم وتفوق المسلمين عليهم في هذه النواحي العقلية, ولاسيما العلمية

منها والعملية كالطب والهندسة والفلك والرياضيات والكيمياء وما ماثل , فأرادوا الأستفادة من هذه المعارف بنقلها من العربية إلى اللاتينية , ثمبعد فترة أتت الكنيسة الكاثوليكية وألقت بثقلها في الموضوع ووجهت العمل إلى مناح أخرى , الى جانب الهدف العلمي , أغلبها تبشيري من أجل الدعاية للمذهب الكاثوليكي وهداية المسلمين واليهود إلى المسيحية, ومن أجل الاتصال بنصارى المشرق لإقامة الجسور بين الطرفين ولهداية هؤلاء المسيحيين الشرقيين إلى الكاثوليكية 0

ومع بداية النهضة فقد الشرق زمام المبادرة وأصبح ممزقاً غارقاً في الجهل ولم يعد عنده ما يقدمه للآخرين وفي نفس الوقت بدأت العلوم والآداب تتقدم وتترقى وتزدهر في أوربا بعد أن نقل أليها أفضل ما في الكتب العربية من معارف, وبدأت أوربا تتطلع الى الشرق لاستثمار خيراته والسيطرةعليه , لذلك نجد تحولاً جذرياً في أتجاه الاستشراق , فقد بدأ يخرج عن سيطرة الكنيسة ويخضع لسلطان الحكومات وبدأت الدول الكبرى تسخره لأهدافها في السيطرةوالاستعمار والتنصير وما ماثل ووزادت هذه الدوافع شدة ووضوحاً مع مضي الزمن ,وهذا هو بداية الاستشراق الحديث الذي تحالف مع الاستعمار ومع الكنيسة من أجل أخضاع الشرق كلياً لسيطرة الغرب0

هذا وسيكون لنا كلام أوفى عن الاستشراق الحديث فيمايلي من صفحات 0

ولقد وردت كلمة مستشرق أول ماوردت سنة 1683م إذ انها أطلقت على أحد رجال الكنيسة الشرقية أو اليونانية, ذلك إن هذا الاصطلاح حديث0 وفي سنة 1691م وصف أنتوني وود صمويل كلارك أنه " أستشراقي نابه " يعني بذلك أنه يعرف بعض لغات الشرق0 وتحدث لورد بايرون في تعليقاته على child Harold`s pilgrimage عن المستر ثورنتون والماعاته الكثيرة الدالة على أستشراق عميق0 أما قاموس أكسفورد الجديد فيحدد المستشرق orientalist بأنه " من تبحر في لغات الشرق وأدابه "0

إن بدايات مدرسة الطب في العصور الوسطى في سالرنو كانت متأثرة بمؤثرات بيزنطية , ولكنهاما لبثت أن تأثرت خلال القرن العاشر فمابعده بالطب العربي الذي نقلهااليها يهودي من إيطاليا الجنوبية اسمه شاباثيا بن أبراهام بن جول0 shabbethai ibn Abraham ibn joel. أخذ المسلمون شاباثيا أسيراً سنة 925م

ونقلوه الى بالمرو حيث تعلم العربية ودرس جميع علوم الإغريق والعرب والبابليين والهنود0 ولما كان شمال أيطاليا أنذاك تحت السيطرة البيزنطية , وكان المسلمون يحتلون صقلية فقد ألتقى في ذلك القرن في مدارس سالرنو وأوترانتو ومونت كاسينو العلم العربي مع العلم اليوناني0

هذا وكان كثير من الرهبان يوفدون إلى أسبانيا للتعلم هناك, ويبدو أنهم لك يكونوا يعودون خاويي الوفاض أو بمجرد الأفكار الجديدة التي كانت تملأ رؤوسهم وتسيطر على أفكارهم, وإنما كانوا يعودون ومعهم مخطوطات علمية أما بلغتها العربية , أو بعد ترجمتهاالى اللاتينية ولعل قضية جونمن رهبان دير غورتز في ألمانيا تقدم دليلاً وشاهداً على ما نقول 0 فقد أحضر هذا الراهب سنة 950م الى ديره في المانيا من كلابريا قسماً من كتاب أرسطو categorie وكتاب الأيساغوجي لفرفوريوس وإن هذا الراهب كان أول اداة انتقل عن طريقها العلم العربي الى منطقة شمالي الألب , وأقد من نشر هذا العلم في اوربا 0 ففي سنة 953م أرسا الأمبراطور الألماني أوتو الكبير هذا الراهب سفيراً الى بلاط الخليفة الأندلسي العظيم عبد الرحم الناصر0 ويرى بعضهم أن هذا الاختيار كان بسبب معرفة هذا الراهب بشؤون البلاد التي يحتلها العرب إذ أنه قام سابقاً بزيارة مماثلة إلى جنوبي إيطاليا 0 ولقد أقام هذا الراهب, كسفير لدى الخليفة مدة ثلاثة سنوات , وقد عاشر أثناء أقامته في قرطبة رجلين من المتضلعينباللغتين العربية واللاتينية أحدهما اليهودي حسداي والثاني الأسقف ريساماندوس والأول كان دليله والثاني مترجم للمفاوضات مع الحكومة الاسلامية 0 وغالب الظن أنه تعلم العربية هناك 0 وقد تأثر جون غورتز أثناء أقامته بقرطبة أيضاً بالفيلسوف اليهودي ابن شبروط 0 وعندما رجع إلى المانيا أحضر معه حمل فرسكتباً عربية 0 ونحن, وإن كنا لا نعل معلى وجه اليقين محتويات هذه الكتب ,إلا أن هناك دلائل تشير الا ان بعض هذه الكتب كان ولابد كتباً طبية وعلمية وفلكية ورياضيات , لأننا نعلمأن جون هذا كان مهتماًُ ً بالفلك والرياضيات , ولأنه وجد في القرن التالي ازدياداً ملحوظاً بالأهتمام بالعلم وبشكل خاص بالرياضيات , وذل كفي مدارس منطقة الرين وبلاد الفلاندرز 0 كذلك هناك دلائل تشير ألى بعض الإزدهار العلمي والاهتمام بالعلم العربي في المدارس الفلمنكية 0 ذلك أنه عندما احتل الملك

الدانمركي كنوت انكلترا (1035-1000م) أطرح الأساقفة الانكلوساكون الوطنيين وأحل محلهم أساقفة من بلاد الفلمنك (الاراضي الواطئة) عند خمسة منهم بعض المعرفةبالعلم العربي ,وأهم هؤلاء الخمسة روبرت من لوزينيا Robert de losinga أسقف Hereford.

المصدر: محمد ماهر حماده

====================

#حوار الحضارات... لماذا؟

د.يوسف حسن

العالم يتغير بعمق، وبتسارع أكبر، وشهد تحولات كمية غير مسبوقة. مما يدعونا لبذل جهد غير عادي لفهم عملية التغيير الجارية الآن والتعرف على اتجاه تطور المجتمعات الإنسانية وإدراك التحولات في نظمها السياسية وقيمها الروحية وكذلك فهم الثورة العميقة في مجالات المعرفة والتكنولوجيا.

إن هذا الجهد والفهم يتطلب متابعة دقيقة وناقدة لعالم يتسارع فيه التغيير وتتداخل فيه الظواهر الثقافية بالأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتتشابك فيه العلاقات الدولية وتصبح الحاجة ماسة لخلق تفاهم وفهم مشترك واحترام متبادل بين ثقافات هذا العالم.

ومما لا شك فيه فأن تبادل وجهات النظر بين مثقفين وباحثين ودارسين عرب وغير عرب حول قضايا ثقافية وسياسية واجتماعية... وغير ذلك، يوفر قاعدة أساسية لفهم الحضارات وإيجاد التفاعل بينها، وهو تفاعل ضروري لعملية تشكيل مستقبل العالم، والحيلولة دون حدوث صدامات في العلاقات الثقافية والدولية.

إذن نحن نطرح حواراً بين الحضارات رداً على أطروحة صدام الحضارات أو صراع الحضارات. والحوار تقليد حضاري وفعل ثقافي رفيع، وقد مورس الحوار بين الحضارات في كل العصور، في أزمنة السلم وأزمنة الحرب، وبين المنتصرين والمهزومين. وكل حضارة لديها (القابلية للحوار) والرغبة في تنمية قيمها وخصوصياتها الثقافية في آن واحد. ولعل حضارتنا العربية والإسلامية هي (الأعلى)

صوتاً وفعلاً في رسالتها (الحوارية) خاصة وهي تولي منزلة عليا للعقل والعلم والحرية، وتدعو البشرية للتعارف والتفاهم: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، وهذه هي رسالة الحضارة.

لكن لماذا تزداد الحاجة الآن لحوار بين الحضارات؟

والجواب على ذلك لا تخطئه العين ولا يغيب عن العقل فالبشرية تعاني أزمات سياسية وانفجارات اجتماعية وهجرات سكانية وفجوات عميقة اقتصادية وتناقصاً في الموارد الطبيعية، ودماراً متواصلاً للبيئة وارتفاعاً في وتيرة العنف والغلو. كما يشهد العالم تحولات كيفية غير مسبوقة خاصة في مجالات الثورة التكنولوجية الثالثة، والتي يصعب دون إعمال العقل والحوار، فهم تأثيرها في القيم والعلاقات والأفكار والثقافات.

كما تبرز صعوبة إدراك حقيقة القواعد والعلاقات والمشاعر والبناء الاجتماعي والحدود التي تقوم عليها الحضارات، ومدى تغير دلالاتها عبر الزمان والمكان. ومدى تأثر اتجاهاتها بالضغوط الخارجية والأزمات الداخلية... وغير ذلك. كما يخشى أن يؤدي استمرار وجود الصور (النمطية) لحضارة عند أخرى إلى تغذية ضروب الكراهية الجماعية خاص في المجتمعات التي تنتشر فيها الجهالة والتعصب والخرافات، فيتحول الاختلاف إلى نزاع، وإذا نشب النزاع، فقد يتحول إلى عنف إذا لم يكن هناك حوار و (ثقافة حوار)، والتي تعلي من قيمة التسامح، وتحترم مبدأ كرامة الإنسان وحريته في الاختيار، وتقبل مبدأ التنوع والتعددية الحضارية بدلاً من فرض (النموذج) والهيمنة.

إذن، الحوار الذي نريده بين الحضارات، حوار يحول دون استمرار الحضارات في النظر إلى بعضها البعض من خلال مرآة مكسورة.

حوار يقوم على الإيمان بوحدة الأصل البشري. وعلى مبدأ التعارف والتسامح الثقافي في مواجهة العنصرية ونفي الآخرين.

حوار يؤكد المشترك الإيجابي بين الحضارات، ويقر بأنه لا وجود (لحضارات زائفة) ويزيل ويمحو (ذهنية المحاصر) في عقل بعض الحضارات.

والحوار لابد أن ينطلق من استعداد كل حضارة لفهم الأخرى، وتجنب إصدار أحكام مسبقة عليها، والاتفاق على إعادة صياغة صورة الآخر في إطار من التسامح، والرغبة المشتركة في بلورة قيم إنسانية، لإحداث التفاعل الحضاري، وقد تساعد في ذلك معطيات المجتمع العالمي الجديد القائم على إنتاج المعلومات وتداولها بشكل سريع وميسور وواسع يتجاوز الحدود الجغرافية للحضارات وللثقافات.

والحوار يعني أيضاً وقف عمليات الاستيعاب والاستلحاق بين الحضارات، ويهدف إلى (عقلنة) سلوك الدول داخل هذه الحضارات، ومنع أو عرقلة استخدام الدول (للقوة) لأغراض الهيمنة.

وفي الوقت نفسه، فإن الحوار بين الحضارات يسهم في تثبيت السمة الرئيسية للثقافات الإنسانية وهي استجابتها للتطور والاغتناء بالتفاعل فيما بينها، كما يسهم الحوار في (عقلنة) النزاعات التي قد تنشأ أثناء تثبيت الهويات الثقافية لهذه الحضارات، أو التي تتولد في ظروف الأزمات الاقتصادية، نتيجة حدوث احتكاكات بين أبناء الحضارات المختلفة خلال موجات الهجرات السكانية عبر حدود دوائر هذه الحضارات، أو تلك النزاعات التي قد تسببها هجرات غير شرعية، وتغذيها فروق ومشكلات سياسية وعقيدية وتاريخية.

إن من فوائد الحوار وغاياته إبطال المناخات المفعمة بالمخاوف ومشاعر العنصرية والكراهية، وتوفير المناخ الملائم لتبادل الوافد النافع من الثقافة والعلم والخبرة.

إن الحوار بين الحضارة يعني أن تتبادل العلوم والمخترعات، وليس مجرد الثقافة والإعلام والآداب والفنون، وإلا كان التبادل تبادلاً محدوداً، ويفتح المجال للهيمنة الثقافية واحتلال العقل ومسخ الثقافات الأخرى.

إن الحوار لا يعني نسيان أو تجاهل التميز بين الحضارات، لكن العزلة عن التأثيرات الحضارية الأخرى أمر صعب مثله مثل التبعية أو الذوبان.

وهكذا فإن الدعوة للحوار، هي دعوة للتسامح والتعايش مع الآخرين، وإنكار لنزعات التفوق والسيطرة، وهي نظرة لقضايا المستقبل، وتعبير عن إرادة الحضارات المعاصرة لمعالجة هذه القضايا، وعن قناعتها بضرورة التعاون للنجاح في ذلك.

والسؤال: كيف نقدم حضارتنا العربية الإسلامية إلى الحضارات الأخرى؟ كيف نقدمها من غير رتوش، بسلبياتها وإيجابياتها، بأزماتها وتراجعاتها وإبداعاتها وقيمها؟ كيف نقدم رؤيتها لقضايا المستقبل: من حقوق إنسانن وسلام وبيئة نظيفة وديمقراطية وشورى وتنمية وأخلاقيات في التعامل والاقتصاد... إلخ؟

في البدء لابد من مكاشفة الذات، ومعرفة جوانب قوتها ومكامن ضعفها، واكتشاف قدراتها الحقيقية وإمكاناتها الروحية والفكرية والبشرية والمادية. وإدراك صورة هذه الذات عند الحضارات الأخرى، ولا بد بعد ذلك من تقديم فهم عقلي لعالمنا المعاصر، كما يتطلب التقديم الإجابة الواضحة عما يسمى (بالتهديد الإسلامي) للحضارة الغربية المسيحية. وتوضيح الرؤى لما يطلق عليه (الغزو الثقافي والقيمي) الغربي لمجتمعات الحضارة الإسلامية، وما هي حدود هذه الأخطار التي تدق لاستثارتها الطبول؟ وكيف يمكن إعادة صياغة صورة الآخر في إطار من التسامح الثقافي؟

إن الحضارة العربية الإسلامية غير عاجزة عن التكيف مع العصر، وتملك خبرات وقيماً رفيعة من التسامح والقدرة على التفاعل والتعايش مع الآخرين. لقد منعت الحضارة العربية الإسلامية . بالقول والفعل . إهدار كرامة الإنسان والسيطرة عليه. وأكدت . مثلما أكدت حضارات أخرى . أن كرامة الإنسان أسبق من كان انتماء وهوية حضارية، وحصانة أولية للإنسان ثابتة له بوصفه إنساناً كرمه خالقه وجعله خليفة له في أرضه. إن الاختلاف والخلاف بين الحضارات لا ينبغي لهما أن يهدرا حقوق الشعوب، إن في التعامل أو في الوجود.

إن الحوار هنا لمنع (الطائفية الحضارية).. والمسؤولية تقع في هذا المجال على عاتق القوى الثقافية الفاعلة داخل مجتمعات هذه الحضارات، لأن هذه القوى هي الأكثر تأهيلاً وكفاءة في خلق الحوار والمحافظة على تواصله وإحداث التفاعل الإيجابي بين عناصره والبحث عما أسماه المؤرخ أرنولد توينبي (بالصفاء الروحي الإيجابي) ومعالجة الخلل في القيم والضمائر والعلاقات، ونبذ نزعات التفوق والسيطرة والهيمنة ونفي الآخر.

حوار الحضارات يمكن العالم من الاحتكام إلى العقل وإلى منطقه في كل أمور الحياة والثقافة والكون، ويدعو الإنسان لحب المعرفة وبذل الجهد من أجل العلم

والعمل وعمران الكون وإحراز التقدم، فيصبح للحياة معنى حقيقي، حيث يمكن عندئذ صياغة القرن الواحد والعشرين صياغة إنقاذية، وبقيم إنسانية مشتركة.

ـــ

المصدر : الاسلام والغرب

===================

#حتى لا تفرض علينا التهم

د.سليمان إبراهيم العسكري

في الرواية الشهيرة (المحاكمة) التي كتبها الروائي التشيكي (فرانز كافكا)، يهاجم رجال مجهولون منزل المواطن (س) الذي لانعرف أي شيء عن أوصافه أو انتماءاته السياسية أو حتى اسمه كاملاً، يهاجمونه في منتصف الليل ويتولون التحقيق معه على الفور، يحاصرونه ويوجهون له تهماً غامضة لايعرف عنها شيئاً، ثم يطالبونه بعد ذلك بالذهاب للتحقيق معه في دار الهدالة ويتعرض للمحاكمة ورغم كل ذلك لاتتضح التهمة بل تزداد غموضاً، ومع أن المواطن (س) لايفهم شيئاً مما يدور حوله فإنه في كل مرة يحس أنه مدان وأنه لن يستطيع الإفلات من هذه التهمة الغامضة التي تلاحقه، وبالتدريج يتقبل كل الاتهامات الموجهة إليه رغم أنها لاتتضح له أو لنا مطلقاً، وتزداد درجة السخرية المريرة في نهاية الرواية عندما يأخذه الرجال المجهولون إلى مكان ما خارج المدينة وينفذون فيه ببساطة حكم الإعدام. لقد كانت (المحاكمة) بغموضها وعبثيتها رواية مثيرة وغريبة في ذلك المناخ القلق الذي كان يسود أوربا ما قبل الحرب العالمية الثانية، ولكن هذا الكابوس تحول إلى رؤية شديدة الصدق لعالمنا المعاصر، وأصبح (كافكا) كاتباً واقعياً رغم كل الذين اتهموه بالتغريب ولعل التهم التي يوجهها الغرب للعرب بشكل خاص وللمسلمين بشكل عام بأنهم رعاة وممارسون للإرهاب هي من نفس فصيلة التهم التي وجهت إلى المواطن 0س) والتي لاقى حتفه بسببها، فالأمر لايتعلق بما حدث في الحادي عشر من سبتمبر 2001 فقط وما ترتب عليه من تفجيرات نيويورك وواشنطن، ولكنها تهم قديمة الجذور لاينى الغرب يلصقها بنا ويضعها على عاتقنا كعرب وكمسلمين في كل مرحلة من مراحل الصراع معه، وياله من تاريخ للصراع يمتد من الحروب الصليبية حتى لحظتنا

الراهنة، وهو يقوم بذلك في محاولة دائمة منه لحصار الثقافة العربية الإسلامية ووصم الدين الإسلامي بالعدوانية والعنف، والغرب في ذلك لايرى العنف الفعلي الذي اقترفته حضارته في حق الملايين من سكان العالم، ولا يتذكر المذابح الاستعمارية التي قام بها في كل مكان وطأته أقدام الرجل الأبيض، بل إن مفكرين من أمثال (صموبل هنتنجتون) سعوا إلى تأصيل تلك النظرة العدائية عندما صاغ نظرية (صدام الحضارات) ووضع خطوطاً حول نقاط التماس الحضاري أشهرها وأكثرها التهاباً هو الصراع بين الحضارتين الإسلامية والغربية، ويبدو أن الإلحاح على هذا الأمر قد جعلنا . مثل بطل كافكا . مذنبين بالفعل حتى قبل أن نعرف حيثيات التهم الموجهة إلينا، وأصبح همنا الوحيد هو تقديم الاتهامات والاعتذارات عن أشياء لاندري إن كنا قد قمنا بها أم لا.

وإذا كان القرن العشرون، هو قرن الحرب الباردة التي استمرت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية مباشرة حتى بدايات التسعينات، فيبدوا أن القرن الحادي والعشرين سوف يكون شعاره (محاربة الإرهاب) وإذا كان العدو واضحاً وجلياً في الحرب الأولى فإنه في الحرب الثانية خفي ومجهول، فهو يأتي من المنطقة المظلمة من العالم ليضرب ضربته ويعود إليها من جديد، والنتيجة أن الغرب يبحث عن عدو جاهز من السهل التربص به، ولأن الصراع بين العالم العربي والغرب له جذوره التاريخية البارزة منذ الحروب الصليبية فالعدو الحاضر هو نحن دائماً، والغرب لم ينس بعد هزيمته في الحروب الصليبية، ولعل سعيه لإقامة دولة إسرائيل ودعمه المتواصل لها هو ثأره من هزيمته القديمة على نفس هذه البقعة من الأرض.

ما نسعى لإيضاحه من خلال صفحات هذا الكتاب الذي جمعت العربي مادتته من خلال طروحات العشرات من المفكرين العرب امتدت على مدى سنوات. حتى قبل طروحات هنتنجتون وتفجيرات نيويورك . هو أننا أصحاب مشروع حضاري مختلف . وليس إرهابياً . هذا المشروع لايتصادم بالضرورة مع الغرب ولكنه يسعى للتعايش معه، دون هيمنة أو سيطرة طرف على آخر، لقد أفاق العالم العربي من كوابيس الظلام العثماني، ولم يلبث إلا قليلاً حتى وجد نفسه بسبب ما فيه من ضعف ووهن تحت سيطرة قوى الاستعمار الغربي، ولم يكد يتعافى من آثار هذه المرحلة ويجدد

قوته الوطنية في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين حتى فوجئ بذلك الاستنزاف الصهيوني الذي طال أجله. إن ما نطلق عليه تعبير (العجز العربي) ما هو إلا محصلة سنوات طويلة من الإنهاك العثماني إلى الغربي المتواصل لقوانا الذاتية.

إن عالمنا العربي يريد أن يدخل في إطار النظام العالمي الجديد مشاركاً وليس تابعاً، عضواً فعالاً وليس متهماً، قادراً على اتخاذ القرار الذي يناسبه وليس خائفاً أو شاعراً بالذنب. والأمر في كل هذا لايخص الغرب بقدر ما يخص قوانا الذاتية وصورتنا عند أنفسنا.

لا نريد أن نكون مثل السيد (س) شاعرين بالذنب قابلين لحكم الإعدام عن تهم لم نقم بها، بل لم نفهمها أصلاً.

____

المصدر: الاسلام والغرب

====================

#اشراقات الثقافة الاسلامية على نصارى الاندلس

محمد ماهر حماده

أطلق المسلمون أسم الأندلس على القسم الذي أحتلوه من شبه الجزيرة الايبرية0 وقد أرتقت الحضارة الاسلامية في تلك المنطقة من دنيا الإسلام ارتقاءً رائعاً ونافست الحضارة الإسلامية فيها حضارة الإسلام في المشرق, وبلغ من عظمة قرطبة وأزدهارها وخاصة إبان العهد الأموي في الأندلس إنها كانت أعظم مدينة في أوربا كلها وتأتي على قدم المساواة مع القسطنطينية وبغداد إبان عزهما0 وناهيك ببلدة بلغ عدد مساجدها 1600 مسجداً وحماماتها 600وفيها مائتا ألف دار وثمانون ألف قصر منها قصر دمشق شيده الأمويون حاكوا به قصورهم في بلاد الشام0 وقد بلغ عدد أرباض قرطبة (ضواحيها) تسعة أرباض كل ربض كالمدينة الكبيرة , ودور قرطبة ثلاثون ألف ذراع , وفي ضواحيها ثلاثة الآف قرية في كل واحدة منبر وفقيه0 وقد قدر بعض المؤرخين عدد سكان قرطبة في أيام مجدها وعزها بمليوني نسمة, وكان بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون أمرأة يكتبن المصاحف بالخط

الكوفي. هذا في ضاحية من ضواحيها, فكيف ببقية الضواحي, وقد كانت شوارعها مبلطة وترفع قماماتها وتنار شوارعها ليلاً بالمصابيح ويستضئ الناس بسروجها ثلاثة فراسخ لا ينقطع عنهم الضوء. هذا شئ لم يحدث في أوربا إلا في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر . وطبعاً لم تكن قرطبة وحدها بهذا السمو فهناك طليطلة التي كانت لا تقل تألقاً وبهاءاً عن قرطبة, وهناك إشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية0000وإنما ذكرنا قرطبة كنموذج لما كانت عليه بقية المدن الأندلسية, لذلك لا غرابة إن أنتشرت المكتبات والكتب في جميع أنحاء البلاد وكثر عشاقها وكثر التأليف والمؤلفون , ولاسيما أنه وجد حكام شجعوا العلم وهم أنفسهم كانوا مثلاً عالياً في حب الكتب وجمعها والاهتمام بها كالحكم الثاني وغيره0

ولقد أنتشرت الحلقات التعليمية في أغلب جوامع الأندلس وبشكل خاص في المدن الرئيسية كقرطبة وطليطلة وإشبيلية, ولقد وجد في كل جامع مكتبة غنية بمختلف فروع المعرفة الأنسانية, فقد كان للحلقات التي تعقد في جامع طليطلة شهرتها وأهميتها وجذبت أليها الطلاب المسلمين والنصارى على السواء حتى لقد كان يقصدها طلاب نصارى من جميع أنحاء أوربا بما فيها أنكلترا وأسكوتلندا 0

وقد أحتفظت طليطلة بمكانتها هذه بعد سقوطها بيد الأسبان سنة 1085م حيث وجد فيها هؤلاء مكتبة غنية عامرة حافلة بالكتب في أحد مساجدها وقد بلغت شهرة هذه المكتبة من حيث هي مركز للثقافة أقصى البلاد النصرانية في الشمال0

والواقع أن الثقافة العربية الإسلامية والتربية والتعليم أنتشرت في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين في إسبانيا المسلمة إلى درجة جعلت دوزي المؤرخ المشهور يقول إن أغلب الناس في الأندلس أصبحوا قادرين على القراءة والكتابة, بل يمكننا أن نقول إن كل فرد تقريباً كان يعرف القراءة والكتابة0 وقد أنتقلت الثقافة العربية إلى المستعربين الأسبان وهم الإسبان النصارى الذين أقاموا في البلاد الإسلامية وعاشوا تحت ظل الحكم الإسلامي , فقد سرت إليهم العادات الإسلامية وتعلموا اللغة العربية وكتبوا بها وألف بعضهم كتباً بها , بل واقتنوا مكتبات عربية0 يبدو ذلك واضحاً من نص يروي عن الكاتب النصراني المتعصب الفارو, ذلك أن هذا القس المهوس ببغض الإسلام وأهله كتب في القرن التاسع ميلادي يقول : " إن

أخواتي المسيحيين يدرسون كتب فقهاء المسلمين وفلاسفتهم لا لتفنيدها , بل لتعلم أسلوب عربي بليغ0 واأسفاه, إنني لا أجد اليوم علمانياً يقبل على قراءة الكتب الدينية أو الأنجيل , بل إن الشباب المسيحي الذين يمتازون بمواهبهم الفائقة أصبحوا لا يعرفون علماً ولا أدباً ولا لغة إلا العربية , ذلك إنهم يقبلون على كتب العرب في نهم وشغف ويجمعون منها مكتبات ضخمة تكلفهم الأموال الطائلة في الوقتالذي يحتقرون الكتب المسيحية وينبذونها0000

بل أن كثيراً من رجال الدين في الأندلس تعلموا اللغة العربية وألفوا بها , فقد نقل يوحنا رئيس أساقفة أشبيليه التوراة من اللاتينية إلى العربية وذلك سنة 764م 0 كذلك نقل الأب فيسنتي ثمانية أجزاء من قوانين الكنيسة إلى اللسان العربي وأهداها إلى الأسقف عبد الملك في أبيات من الشعر العربي مطلعها0

كتاب لعبد الملك الأسقف الندب جواد نبيل الرفد في الزمن الجدب

وصنف ربيع بن زياد الأسقف كتاباً في تفضيل الأزمان ومصالح الأبدان وآخر بعنوان الأنواء0 وألف بدرو الفونسو (1062 – 1110م) كتاباً بالعربية عنوانه : تعليم رجال الدين0 ثم ترجمه إلى اللاتينية, ومنها نقل إلى لغات كثيرة وقد طواه على ثلاث وثلاثين قصيدة شرقية أقتبسها من حنين بن أسحق ومباشر (لعل الاسم الصحيح المبشر بن فاتك) وكليلة ودمنة0 لذلك إذا رغب الطالب الإسكتلندي أو الانكليزي الأستزادة من أرسطو والتعمق فيه أكثر مما يسنح له في الترجمات اللاتينية الميسورة فلا مندوحة له من الرحيل الى طليطلة ليتعلم هناك كيف يقرأ كتب اليونان باللغة العربية0 وقد تحدث هيستر باش Ceasar of Heister Bach عن شباب قصدوا توليدو (الصواب طليطلة) ليتعلموا الفلك لذلك لا غرابة إن لعبت الأندلس الدور الرئيسي في نقل معارف المسلمين العقلية وكتبهم الى أوربا ولا سيما أن تذكرنا أنه كانت هناك فئة أخرى من السكان المقيمين تحت الحكم الأسلامي هم اليهود والذين تمتعوا بالحرية الدينية المطلقة تحت حكم الإسلام وتعلموا اللغة العربية وألفوا بها إلى جانب أتقانهم اللغة اللاتينية والعبرانية, ولقد أصبح هؤلاء اليهود إلى أجانب المستعربين وعدد من اللاتينيين الوسطاء في عملية النقل هذه0

____

المصدر: روح التحرر في القرآن

==================

#تعريف الاستشراق >

التعريف اللغوي

لو أرجعنا هذه الكلمة إلى أصلها لوجدناها مأخوذة من كلمة إشراق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، ومعناها طلب النور والهداية والضياء، والإشراق من الشرق حيث نزلت الديانات الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلام. ولما كان الإسلام هو الدين الغالب فأصبح معنى الاستشراق البحث عن معرفة الإسلام والمسلمين وبلاد المسلمين عقيدة وشريعة وتاريخاً ومجتمعاً وتراثاً...الخ.

التعريف عند الغربيين

ومع أن مصطلح الاستشراق ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمان على تفاوت بسيط بالنسبة للمعاجم الأوروبية المختلفة، لكن الأمر المتيقن أن البحث في لغات الشرق وأديانه وبخاصة الإسلام قد ظهر قبل ذلك بكثير، ولعل كلمة مستشرق قد ظهرت قبل مصطلح استشراق، فهذا آربري Arberry في بحث له في هذا الموضوع يقول "والمدلول الأصلي لاصطلاح (مستشرق) كان في سنة 1638 أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية" وفي سنة 1691 وصف آنتوني وود Anthony Wood صمويل كلارك Samuel Clarke بأنه (استشراقي نابه) يعنى ذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية. وبيرون في تعليقاته على Childe Harold's Pilgrimage يتحدث عن المستر ثورنتون وإلماعاته الكثيرة الدالة على استشراق عميق"([1]).

ويرى رودي بارت أن الاستشراق هو " علم يختص بفقه اللغة خاصة، وأقرب شي إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه كلمة استشراق مشتقة من كلمة ’شرق’ وكلمة شرق تعني مشرق الشمس ، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي"([2]). ويعتمد المستشرق الإنجليزي آربري تعريف قاموس أكسفورد الذي يعرف المستشرق بأنه "من تبحّر في لغات الشرق وآدابه"([3]).

ومن الغربيين الذين تناولوا ظهور الاستشراق وتعريفه المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون Maxime Rodinson الذي أشار إلى أن مصطلح الاستشراق ظهر في اللغة الفرنسية عام 1799بينما ظهر في اللغة الإنجليزية عام 1838، وأن الاستشراق إنما ظهر للحاجة إلى "إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق" ويضيف بأن الحاجة كانت ماسة لوجود متخصصين للقيام على إنشاء المجلات والجمعيات والأقسام العلمية([4]).

ولو انتقلنا إلى العرب والمسلمين الذين تناولوا هذا المصطلح نجد أن إدوارد سعيد عدة تعريفات للاستشراق منها أنه "أسلوب في التفكير مبني على تميّز متعلق بوجود المعرفة بين 'الشرق' (معظم الوقت) وبين الغرب"([5]). ويضيف سعيد بأن الاستشراق ليس مجرد موضوع سياسي أو حقل بحثي ينعكس سلباً باختلاف الثقافات والدراسات أو المؤسسات وليس تكديساً لمجموعة كبيرة من النصوص حول المشرق ... إنه بالتالي توزيع للوعي الجغرافي إلى نصوص جمالية وعلمية واقتصادية واجتماعية وفي فقه اللغة ([6]). وفي موضع آخر يعرف سعيد الاستشراق بأنه المجال المعرفي أو العلم الذي يُتوصل به إلى الشرق بصورة منظمّة كموضوع للتعلم والاكتشاف والتطبيق.([7]) .ويقول في موضع آخر إنّ الاستشراق: نوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة حكم الغرب للشرق"([8]).

لقد اختار الدكتور أحمد عبد الحميد غراب هذا التعريف "دراسات 'أكاديمية' يقوم بها غربيون كافرون –من أهل الكتاب بوجه خاص– للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب عقيدة، وشريعة، وثقافة، وحضارة، وتاريخاً، ونظماً، وثروات وإمكانات .. .بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي"([9]).

تعريفنا للاستشراق

هو كل ما يصدر عن الغربيين وأمريكيين من إنتاج فكري وإعلامي وتقارير سياسية واستخباراتية حول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة، وفي الشريعة، وفي

الاجتماع، وفي السياسة أو الفكر أو الفن، ويمكننا أن نلحق بالاستشراق ما يكتبه النصارى العرب من أقباط ومارونيين وغيرهم ممن ينظر إلى الإسلام من خلال المنظار الغربي، ويلحق به أيضاً ما ينشره الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين وتبنوا كثيراً من أفكار المستشرقين([10]).

وكان الاستشراق ومازال يهتم بالشعوب الشرقية عموماً التي تضم الهند وجنوب شرق آسيا والصين واليابان وكوريا. وعند مراجعة النشاطات الاستشراقية نجد أن هذه المناطق بدأت تخصص بدراسات خاصة بها مثل الدراسات الصينية أو الدراسات الهندية أو الدراسات اليابانية، أما الأصل فكانت كلها تضم تحت مصطلح واحد هو (الاستشراق).

ولا بد من الوقوف عند تعريف آخر للاستشراق لا يرى أن كلمة استشراق ترتبط فقط بالمشرق الجغرافي وإنما تعني أن الشرق هو مشرق الشمس ولهذا دلالة معنوية بمعنى الشروق والضياء والنور والهداية بعكس الغروب بمعنى الأفول والانتهاء، وقد رجع أحد الباحثين المسلمين وهو السيد محمد الشاهد إلى المعاجم اللغوية الأوروبية (الألمانية والفرنسية والإنجليزية) ليبحث في كلمة شرقORIENT فوجد أنه يشار إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية بكلمة "تتميز بطابع معنوي وهو Morgenland وتعني بلاد الصباح، ومعروف أن الصباح تشرق فيه الشمس، وتدل هذه الكلمة على تحول من المدلول الجغرافي الفلكي إلى التركيز على معنى الصباح الذي يتضمن معنى النور واليقظة، وفي مقابل ذلك نستخدم في اللغة كلمة Abendlandوتعني بلاد المساء لتدل على الظلام والراحة"([11]).

وفي اللاتينية تعني كلمة Orient: يتعلم أو يبحث عن شيء ما، وبالفرنسية تعنى كلمة Orienter وجّه أو هدى أو أرشد، وبالإنجليزيةOrientation , و orientate تعني "توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفكر أو الأدب نحو اهتمامات شخصية في المجال الفكري أو الروحي"، ومن ذلك أن السنة الأولى في بعض الجامعات تسمّى السنة الإعدادية Orientation . وفي الألمانية تعني كلمة Sich Orientiern " يجمع معلومات (معرفة) عن شيء ما ([12]).

إلغاء مصطلح الاستشراق

يجب أن نتوقف عند القرار الغربي بالتوقف عن استخدام مصطلح استشراق أو كما قال لويس إن هذا المصطلح قد ألقي به في مزابل التاريخ، فقد رأى الغرب أن هذا المصطلح ينطوي على حمولات تاريخية ودلالات سلبية وأن هذا المصطلح لم يعد يفي بوصف الباحثين المتخصصين في العالم الإسلامي، فكان من قرارات منظمة المؤتمرات العالمية في مؤتمرها الذي عقد في باريس عام 1973 بأن يتم الاستغناء عن هذا المصطلح، وأن يطلق على هذه المنظمة (المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا] (ICHSANA[13]. وعقدت المنظمة مؤتمرين تحت هذا العنوان إلى أن تم تغييره مرة ثانية إلى (المؤتمرات العالمية للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية ICANAS). وقد عارض هذا القرار دول الكتلة الشرقية (روسيا والدول التي كانت تدور في فلكها)([14])، ومع ذلك ففي المؤتمر الدولي الخامس والثلاثين للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية الذي عقد في بودابست بالمجر كان مصطلح استشراق ومستشرقين يستخدم دون أي تحفظات، مما يعني أن الأوروبيين الغربيين والأمريكيين هم الأكثر اعتراضاً على هذا المصطلح ولعل هذا ليفيد المغايرة بحيث يتحدثون عن المستشرقين ليثبتوا أنهم غير ذلك بل هم مستعربون Arabists أو إسلاميون Islamists أو باحثون في العلوم الإنسانية Humanistsأو متخصصون في الدراسات الإقليمية أو الاجتماعية أو الاقتصادية التي تختص ببلد معين أو منطقة جغرافية معينة، أما موقفنا نحن من هذا التخصص أو التخصصات فإنه يسعنا ما وسع الغربيين فإن هم اختاروا أن يتركوا التسمية فلا بأس من ذلك شريطة أن لا نغفل عن استمرار اهتمامهم بدراستنا والكتابة حول قضايانا وعقد المؤتمرات والندوات ونشر الكتب والدوريات حول العالم الإسلامي واستمرار أهداف الاستشراق، وأن لا يصرفنا تغيير الاسم عن الوعي والانتباه لما يكتبونه وينشرونه.

– الحواشي :

[1]– ا. ج آربري. المستشرقون البريطانيون .تعريب محمد الدسوقي النويهي. (لندن: وليم كولينز، 1946.)ص8.

[2]– رودي بارت.الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية(المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه). ترجمة مصطفى ماهر(القاهرة: دار الكتاب العربي) (بدون تاريخ) ص 11.

[3] –ا. ج. آربري. المستشرقون البريطانيون . تعريب محمد الدسوقي النويهي. (لندن: وليم كولينز ، 1946) ص8.

[4] –مكسيم رودنسون ." الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية." في تراث الإسلام (القسم الأول) تصنيف شاخت وبوزورث. ترجمة محمد زهير السمهوري ، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة ، شعبان /رمضان1398هـ– أغسطس 1978م.)ص27–101.

Edward Said. Orientalism. (New York: Vintage Books, – [5] .2) p.1979

.12Ibid. p – [6]

..73Ibid. p– [7]

[8] –المرجع نفسه ص 92.

[9] –أحمد عبد الحميد غراب . رؤية إسلامية للاستشراق.ط2 (بيرمنجهام: المنتدى الإسلامي ، 1411) ص 7.

[10] – من أمثال ذلك ما نشر لمحمد عبد الحي شعبان وعزيز العظمة ، ونوال السعداوي ، وفاطمة مرنيسي وفضل الرحمن ، وغيرهم كثير حيث قامت دور النشر الجامعية لكبريات الجامعات الغربية وبخاصة الأمريكية بنشر إنتاج هؤلاء وترويجه.

[11] –السيد محمد الشاهد. "الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين" في الاجتهاد. عدد 22، السنة السادسة ، شتاء عام 1414هـ/1994م. ص191–211.

[12] – المرجع نفسه ، ص 197.

Bernard Lewis.” The Question of Orientalism. In New – [13] .56–49. Pp. 24,1982York Times Review of Books. June

Bernard Lewis. “ The Question of Orientalism.” Op., Cit– [14]

=================

#نشأة الاستشراق >

اختلف الباحثون في نشأة الاستشراق في تحديد سنة معنية أو فترة معينة لنشأة الاستشراق فيرى البعض أن الاستشراق ظهر مع ظهور الإسلام وأول لقاء بين الرسول صلى الله عليه وسلم ونصارى نجران، أو قبل ذلك عندما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم رسله إلى الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية أو حتى في اللقاء الذي تم بين المسلمين والنجاشي في الحبشة. بينما هناك رأي بأن غزوة مؤتة التي كانت أول احتكاك عسكري تعد من البدايات للاستشراق ويرى آخرون أن أول اهتمام بالإسلام والرد عليه بدأ مع يوحنا الدمشقي وكتابه الذي حاول فيه أن يوضح للنصارى كيف يجادلون المسلمين. ويرى آخرون أن الحروب الصليبية هي بداية الاحتكاك الفعلي بين المسلمين والنصارى الأمر الذي دفع النصارى إلى محاولة التعرف على المسلمين.

ومن الآراء في بداية الاستشراق أنه بدأ بقرار من مجمع فيينا الكنسي الذي دعا إلى إنشاء كراسي لدراسة اللغات العربية والعبرية والسريانية في عدد من المدن الأوروبية مثل باريس وأكسفورد وغيرهما، ويرى الباحث الإنجليزي ب.إم هولت P.M. Holt أن القرارات الرسمية لا يتم تنفيذها بالطريقة التي أرادها صاحب القرار لذلك فإن القرار البابوي هنا لا يعد البداية الحقيقية للاستشراق.([1])

وثمة رأي له عدد من المؤيدين أن احتكاك النصارى بالمسلمين في الأندلس هو الانطلاقة الحقيقية لمعرفة النصارى بالمسلمين والاهتمام بالعلوم الإسلامية ويميل إلى هذا الرأي بعض رواد البحث في الاستشراق من المسلمين ومنهم الشيخ الدكتور مصطفى السباعي ([2]).

ولاشك أن هذه البدايات لا تعد البداية الحقيقية للاستشراق الذي أصبح ينتج ألوف الكتب سنوياً ومئات الدوريات ويعقد المؤتمرات، وإنما تعد هذه جميعا كما يقول الدكتور النملة "من قبيل الإرهاص لها وما أتى بعدها يعد من قبيل تعميق الفكرة، والتوسع فيها وشد الانتباه إليها"([3]) فالبداية الحقيقية للاستشراق الذي يوجد في العالم الغربي اليوم ولا سيما بعد أن بنت أوروبا نهضتها الصناعية والعلمية وأصبح

فيها العديد من الجامعات ومراكز البحوث وأنفقت ولا تزال تنفق بسخاء على هذه البحوث قد انطلقت منذ القرن السادس عشر حيث "بدأت الطباعة العربية فيه بنشاط فتحركت الدوائر العلمية وأخذت تصدر كتاباً بعد الآخر .."([4])، ثم ازداد النشاط الاستشراقي بعد تأسيس كراس للغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية مثل كرسي أكسفورد عام 1638 وكامبريدج عام 1632، ويضيف سمايلوفيتش بأن تأسيس الجمعيات العلمية مثل الجمعية الأسيوية البنغالية والجمعية الاستشراقية الأمريكية والجمعية الملكية الآسيوية البريطانية وغيرها بمنزلة "الانطلاقة الكبرى للاستشراق حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية فأسهمت جميعها إسهاماً فعّالاً في البحث والاكتشاف والتعرف على عالم الشرق وحضارته فضلاً عما كان لها من أهداف استغلالية واستعمارية"([5]) وكان من المشروعات الاستشراقية المهمة إنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية في فرنسا برئاسة المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي Silvester de Sacy التي كانت تعد قبلة المستشرقين الأوروبيين وساهمت في صبغ الاستشراق بالصبغة الفرنسية مدة من الزمن([6])، نشاء الجمعيات الاسشتراقية وأيضاً بداية منظمة المؤتمرات العالمية للمستشرقين عام 1873 في عقد مؤتمراته السنوية.

- الحواشي :

P. M. Holt. “ The Origin of Islam Studies.” In AL- Kulliya. – [1]
.27–20,pp.1952, 1(Khartoum) No.

[2] علي النملة . الاستشراق في الأدبيات العربية :عرض للنظرات وحصر وراقي للمكتوب.(الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث الدراسات الإسلامية، 1414هـ/1993م.) الصفحات 23–31.وقد أورد الدكتور النملة معظم الآراء التي تتعلق بنشأة الاستشراق.

[3] – المرجع نفسه ص 30.

[4] –أحمد سمايلوفيتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر."(القاهرة :بدون ناشر ، بدون تاريخ) ص 77.

[5] –المرجع نفسه ص 81.

[6] –نجيب العقيقي . المستشرقون. ج1(القاهرة: دار المعارف، بدون تاريخ9 ص

==================

#وسائل الاستشراق >

لقد سعى المستشرقون إلى تحقيق أهدافهم من خلال العديد من الوسائل والأساليب. وحيث أن المستشرقين جزء من مجتمعاتهم فإنهم سوف يستخدمون بلا شك الوسائل والأساليب الشائعة في مجتمعاتهم وإن كان مجال عملهم في الاستشراق سيتطلب في بعض الأحيان استخدام وسائل وأساليب تناسب مجال عملهم وتناسب أهدافهم ودوافعهم، وقد كتبت د. فاطمة أبو النجا عن وسائل المستشرقين تقول "لم يترك المستشرقون مجالا من مجالات الأنشطة المعرفية والتوجيهية العليا إلاً تخصصوا فيها، ومنها التعليم الجامعي، وإنشاء المؤسسات العالمية لتوجيه التعليم والتثقيف، وعقد المؤتمرات والندوات ولقاءات التحاور، وإصدار المجلات ونشر المقالات وجمع المخطوطات العربية، والتحقيق والنشر وتأليف الكتب ودس السموم الفكرية فيها بصورة خفية ومتدرجة، وإنشاء الموسوعات العلمية الإسلامية، والعناية العظمى لإفساد المرأة المسلمة وتزيين الكتابة باللغة العامية ..."([1])

هذه بصفة عامة الوسائل التي اتخذها المستشرقون لتحقيق أهدافهم وفيما يأتي توضيح هذه الوسائل والأساليب:

التعليم الجامعي والبحث العلمي

منذ أن استقر الاستشراق كفرع معرفي له أقسامه العلمية ومراكز البحوث الخاصة به، أخذت هذه الأقسام تستقبل الطلاب من جميع أنحاء العالم فالأوروبيون الذين يدرسون هذه المجالات يتخصصون فيها لأهداف تخصصهم فقد جاء في تقرير سكاربور Scarbrough وتقرير هايتر Hayter البريطانيين الجهات التي تحتاج هذه التخصصات ابتداءً من وزارة المستعمرات(حين كانت موجودة) ووزارة الخارجية والاستخبارات والتجارة والاقتصاد والإذاعة البريطانية وغيرها من الجهات، أما الطلاب العرب والمسلمون فقد جاءوا في بعثات دراسية إما على حساب دولهم أو على حسابهم الخاص أو بمنح من الجامعات الغربية التي استهوتهم لأسباب منها السمعة العلمية العالية التي تتمتع بها هذه الجامعات في دول العالم الثالث(حتى وإن

كان بعضها متواضع المستوى) وثانياً لرغبة الجامعات الغربية الإفادة من هؤلاء الطلاب في مجال البحث العلمي، بالإضافة إلى الهدف الاستشراقي القديم من التأثير في طبقة من أبناء الأمة المسلمة من المتوقع أن تتسم منابر التوجيه وقيادة الرأي في بلادها. وقد يكون أحد هذه الأسباب المرونة التي تتمتع بها هذه الجامعات في مجال الدراسات العليا وبعدها عن التعقيدات والمشكلات والقيود التي يواجهها الطلاب في الجامعات العربية والإسلامية.

وقد أصبحت هذه الأقسام العلمية تعد بالآلاف في أنحاء أوروبا وأمريكا، ولما تخلص الأوروبيون والأمريكيون من مصطلح الاستشراق أصبحت أقسام الدراسات الشرق أوسطية أقسام دراسات المناطق هي التي يدرس فيها هؤلاء الطلاب ولكن هذه الأقسام لم تعد كافية لدراسة كل ما يخص العالم الإسلامي والعربي فأضيف إليها الدراسة في أقسام الجامعة الأخرى مثل : علم الاجتماع، وعلم الإنسان، وعلم النفس، وقسم الاقتصاد والعلوم السياسية ومختلف العلوم التي يتم التنسيق بينها جميعاً من خلال معهد الشرق الأوسط كما في جامعة كولمبيا في نيويورك أو مركز دراسات الشرق الأوسط كما في جامعة كاليفورنيا بمدينة بيركلي.

وتسهم هذه الأقسام من خلال المواد الدراسية في تكوين عقلية الطالب وفهمه وإدراكه للقضايا التي تخص الإسلام والمسلمين حيث إن طريقة التدريس والمراجع المقررة وتوجهات الأساتذة لها دور كبير في الدراسة الجامعية أو الدراسات العليا(وبخاصة في أمريكا حيث إن طالب الماجستير أوالدكتوراه يكلف بدراسة عدد محدد من الساعات)([2])

ولا شك أن بعض أبناء العرب والمسلمين يتأثرون بأساتذتهم فكرياً وأخلاقياً وسلوكياً ، ولذلك نجد التركيز في التراجم الإسلامية السؤال عن الشيوخ، ولذلك من المهم معرفة شيوخ العلماء المعاصرين من أبناء الأمة الإسلامية الذين تتلمذوا على المستشرقين. ومهما كانت قوة العقيدة والإيمان لدى معظم الطلاب العرب والمسلمين فإن بعضهم يتأثر بشيوخه من المستشرقين وبخاصة أن بعض هؤلاء قد بلغوا درجة عالية من العلم والخبرة ومعرفة نفسية الطلاب العرب والمسلمين. كما أن بعض الأساتذة في الجامعات الغربية يكونون من القساوسة والرهبان وبعضهم من اليهود فيحرصون على

التأثير في طلابهم بأسلوب غير مباشر، ولو أن يدخلوا أدنى درجة من الشك في قلوب هؤلاء التلاميذ.

وبالإضافة إلى أقسام دراسات الشرق الأوسط والدراسات الإسلامية في الجامعات الغربية (أوروبا وأمريكا) فإن الغرب حرص على فتح جامعات أوروبية وأمريكية في البلاد العربية الإسلامية ومن أبرز هذه الجامعات الجامعة الأمريكية التي أصبح لها العديد من الفروع في القاهرة وفي بيروت وفي دبي وفي الشارقة وفي إسطنبول وغيرها، وقد قامت الجامعات الفرنسية بافتتاح معاهد لها في عدد من الدول العربية كما أن لهولندا معهداً في مصر وكذلك تقوم الحكومة الألمانية بافتتاح جامعة في مصر بعد أن كانت نواة هذه الجامعة قد أسست منذ سنوات. وقد ذكر خبر نشر في إحدى الصحف أن حجر الأساس لأول جامعة ألمانية سيوضع بتمويل من عدة جهات منها السفارة الألمانية في القاهرة (يعني الخارجية الألمانية) وجامعتين ألمانيتين بالتعاون مع الغرفة التجارية العربية الألمانية للتجارة والصناعة([3])

وقد أعلنت وزارة الخارجية السويدية قبل عدة أعوام عن إنشاء مركز بحوث سويدي في الإسكندرية. وسيعقد هذا المعهد مؤتمراً عن الشباب العربي المسلم في مدينة الإسكندرية بمصر في شهر فبراير 2003م.

أما كيف تكون الجامعات والتعليم العالي وسيلة من وسائل الاستشراق فنحن لا نتحدث عن أقسام الهندسة والكيمياء والطب والرياضيات(وإن كان يحدث فيها تأثير استشراقي) ولكن الحديث عن أقسام الدراسات الإسلامية والعربية والتاريخ والجغرافيا وعلم النفس وعلم الاجتماع والتربية وغيرها من الدراسات الأدبية والنظرية) فمن التأثر أولاً بالمجتمع الغربي(وهي قضية بدأت مع البعثات قبل أكثر من قرنين) إلى التأثر بالأستاذ في طباعة وأخلاقه وسلوكه، ثم في اختيار موضوع البحث وبخاصة في مجال الدراسات العليا، فإن الأمة قد أوفدت أنبه أبنائها (بخاصة المبتعثين، الذين حصلوا على البعثات بجدارة) للدراسة في الخارج فحين يكون اختيار الموضوع سيئاً أو موجهاً فقد يجد الطالب نفسه أسير ذلك الموضوع حتى نهاية حياته العلمية وقل أن يتخلص من هذا الأسر، فيسهم الأستاذ المشرف في اختيار الموضوع وتوجيه الطالب للاهتمام بقضايا بعينها، ومن الأمثلة توجيه الطالب لاختيار كتاب الأغاني

مثلاً ليكون مصدراً لدراسة التاريخ الإسلامي أو المجتمع الإسلامي. وهو أمر خطير فكيف يكون كتاب مجون وخلاعة مصدر لدراسة تاريخ أمة هي أعظم الأمم على وجه الأرض.

كما يوجه الأساتذة طلابهم للبحث في موضوعات يريد الغربيون معرفة تفاصيلها الدقيقة وهو لا يستطيعون الوصول إلى هذه المعلومات فيكلفون طلابهم الذين يريدون الحصول على الدرجات العليا، كما أن مثل هذه الدراسة تتيح لهم الفرصة للعودة إلى بلادهم في رحلات علمية لجمع المادة العلمية وتقديم الاستمارات والاستبيانات وغيرها من وسائل جمع المادة العلمية التي يصعب على الأستاذ أو الجهات الخارجية الوصول إليها.

وتسعى الجامعات ومراكز البحوث أن تستقطب بعض أبناء الأمة الإسلامية لقضاء سنوات التفرغ بالنسبة للأساتذة الجامعيين أو العمل باحثين في هذه المراكز، وإن كان الغالب أن الجامعات الغربية ومراكز البحوث هناك تستقطب نماذج معينة من الباحثين العرب والمسلمين المتأثرين بالفكر الغربي، لكن هذا لا يمنع أن يشارك في العمل في بعض الجامعات الغربية بعض الباحثين المعتزين بدينهم وبأمتهم وبتراثهم الحضاري وينافحون عن الإسلام بكل ما أوتوا من قوة ولكنهم يبقون الاستثناء الذي يثبت صحة القاعدة كما يقولون.

الكتب والمجلات والنشرات

حرص الاستشراق منذ بدايته على نشر الكتب التي تتناول الإسلام من جميع جوانبه عقيدة وشريعة وتاريخاً وسيرة، وتناولت هذه الكتب الأحوال الاجتماعية في العالم الإسلامي في مختلف العصور.

ففي مجال العقيدة كتبوا كثيراً ومن ذلك ما نشره المستشرق اليهودي المجري بعنوان دراسات إسلامية كما ألف في مذاهب التفسير الإسلامية، ونشر المستشرق دنكان بلاك ماكدونالد كتاباً بعنوان تطور العقيدة الإسلامية وقد انطلى على بعض المسلمين أنه كتاب علمي فقُرر تدريسه في أقسام الدراسات الإسلامية. وألف كولسون في التشريع الإسلامي ، وصدر لهم تآليف كثيرة في مجال التاريخ الإسلامي حتى عد بعضهم كتاب كارل بروكلمان تاريخ الشعوب الإسلامية من المراجع

الأساسية في دراسة التاريخ الإسلامي. وهناك على سبيل المثال لا الحصر كتاب برنارد لويس تاريخ العرب عدّه بعض الأساتذة المتأثرين بالاستشراق من أهم الكتب في بابه.

وقد تميزت كتابات المستشرقين في العصور الوسطى أو بدايات الاستشراق بالتعصب والحقد الشديد والكراهية للإسلام وإظهار هذه العواطف والاتجاهات بصراحة متناهية حتى ظهر منهم من كتب منتقداً هذا الأسلوب ومن هؤلاء ما كتبه نورمان دانيال في كتابه (الإسلام والغرب) وما كتبه ريشتارد سوذرن في كتابه (صورة الإسلام والمسلمين في كتابات العصور الوسطى).

وظهرت في القرن العشرين كتابات عن الإسلام تظاهرت بأنها تجاوزت التعصب والحقد القديم ومنها ما كتبه توماس آرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) وقد يكون هذا الكتاب قدم بعض العبارات والجمل المادحة للإسلام والمسلمين ولكنه في حقيقته بعيد عن الموضوعية والمنهج العلمي(توجد رسالة ماجستير انتقدت هذا الكتاب في كلية الدعوة بالمدينة المنورة)([4]) كما ظهرت كتابات مونتجمري وات حول الرسول صلى الله عليه وسلم (محمد في مكة) و(محمد في المدينة) و(محمد رجل الدولة والسياسة) وغيرها من الكتب.

أما أبرز الجهات الاستشراقية التي تنشر الكتب فأود في البداية أن أشير إلى أن الجامعات الغربية لها دور نشر خاصة بها ، ولعل من أشهر دور النشر هذه على سبيل المثال جامعة أكسفورد التي تطبع مئات الكتب كل عام حول العالم الإسلامي وقضاياه المختلفة، كما أن الجامعات الأوروبية والأمريكية لها دور نشر نشطة، تقوم بجهد يوازي إن لم يتفوق على نشاط دور النشر التجارية البحتة(قارن بينها وبين دور النشر في الجامعات العربية والإسلامية- دور نشر للمجاملة وللتوزيع المحدود ولا تطبع دار النشر الجامعية أكثر من عشرة عناوين سنوياً)

ففي موقع دار جامعة أكسفورد للنشر مئات الكتب التي تهتم بالإسلام والعالم الإسلامي ومنها هذه الكتب- على سبيل المثال-:

- موسوعة أكسفورد للعالم الإسلامي الحديث ، وتتكون من أربعة مجلدات تتألف من 1840 صفحة وتهتم بموضوعات لم تكن لتهتم بها الكتب حول الإسلام ومن هذه

الموضوعات: الإرهاب والتطرف وحقوق الإنسان ومكانة المرأة في العالم الإسلامي وفي الإسلام. وتزعم الموسوعة لنفسها أنها متخصصة وتقدم معلومات دقيقة وموثقة حول القضايا التي تتناولها .

ويمكن التعرف إلى مدى انتشار الكتب حول الإسلام والعالم العربي والشرق الأوسط من خلال شركة أمازون لتوزيع الكتب فيكفي أن تضع كلمة الإسلام أو العرب أو الشرق الأوسط لتمدك الشركة بسيل من الكتب فتحت عنوان إسلام وجدت أنه ثمة ثمانية آلاف وثمانمائة وإحدى عشر كتاباً([5])

أما المجلات والدوريات فتعد بالمئات من مختلف أنحاء أوروبا وأمريكا فلا يكاد قسم من أقسام دراسات الشرق الأوسط الكبيرة في الجامعات الغربية إلاّ وله مجلة أو دورية كما أن الجمعيات الاستشراقية لها أيضاً إصداراتها من الدوريات والمجلات ونذكر على سبيل المثال الجامعات الآتية التي لها دوريات مشهورة.

– دورية مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن

– دورية جسور تصدر عن مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة كاليفورنيا بمدينة لوس أنجلوس.

– مجلة العالم الإسلامي (بالألمانية) من ألمانيا

– مجلة العالم الإسلامي من معهد هارتفورد اللاهوتي بالولايات المتحدة الأمريكية.

– مجلة العلاقات النصرانية الإسلامية عن معهد العلاقات النصرانية الإسلامية بجامعة بيرمنجهام ببريطانيا.

وهناك الكثير غيرها التي يبلغ تعدادها بالمئات في شتى مجالات المعرفة.

الندوات والمؤتمرات والمحاضرات والدورات العلمية وحلقات البحث المتخصصة

دأب المستشرقون منذ بداية عهدهم بالدراسات العربية والإسلامية على الاتصال بعضهم ببعض عن طريق المراسلات والرحلة، ففي وقت من الأوقات قيل إن باريس كانت كعبة الاستشراق حينا كان سيلفيستر دو ساسي يترأس معهد اللغات الشرقية الحية في باريس (1795م وما بعدها). وكان الحال كذلك مع العواصم الأخرى حين يذيع صيت أحد المستشرقين فيسعون إليه للتلقي عنه أو يسعون إلى استضافته أستاذاً زائراً. ولكن كان لا بد من طريقة أخرى يتوصلون إلى التبادل العلمي والثقافي

فكانـت النـدوات المحليـة والإقليميـة ثـم الدوليـة وسـيلة مـن وسـائل الصـلة بـين المستشرقين.

وكانـت مـؤتمرات المستشـرقين فـي غالبيتهـا عبـارة عـن لقـاء مجموعـة مـن البـاحثين والعلمـاء لتقـديم بحـوث وأوراق عمـل ونقاشـات ومناسـبات اجتماعيـة علـى هـامش المؤتمرات ؟ولم تكن في يوم من الأيام للتسلية والوجاهة والحصول على الامتيازات المادية من انتدابات وبدلات وغيرها كما يحدث في دول العالم النامي، فهي بالتالي وسيلة عمل وتخطيط ودراسة؟

بدأ الأوروبيون بمبادرة فرنسية – مازال الفرنسيون يفخرون بها– منذ أكثر من قرن وربع في عقد مؤتمر دولي كل عدة سنوات – لا تتجاوز خمساً– للبحث في مجال الدراسات الاستشراقية التي تضم الهند والصين وجنوب شرق آسيا وكذلك تركيا ودول وسط آسيا (الجمهوريات التي كانت تتبع الاتحاد السوفيتي سابقاً) وشمال أفريقيا، ولكن الدراسات الإسلامية كانت وما تزال المحور الأساس لهذه المؤتمرات. وقد عقد المؤتمر الأول عام 1873 في باريس وبلغت حتى الآن ستاً وثلاثين مؤتمراً ، وكان المؤتمر قبل الأخير قد عقد في بودابست بالمجر في الفترة من 3–8ربيع الأول الموافق 7–12يوليو 1997م. وقد قدم فيه ما يزيد على ألف بحث.

وقد أصبحت المؤتمرات والندوات من الكثرة بحيث يصعب على الباحث أن يحصرها أو يتناولها جميعاً بالبحث والدراسة ولذلك سوف تقتصر هذه الدراسة على نماذج من هذه المؤتمرات والندوات التي أتيح لي الاطلاع على بعض المعلومات عنها، بحيث نقدم معلومات عن الموضوعات التي يتناولها المؤتمر أو الندوة ، وكذلك معلومات عن المشاركين وأهمية توجهات المشاركين في هذه المؤتمرات ونتائج وتوصيات المؤتمرات.([6])

أما المحاضرات العامة والدورات فهي أكثر من أن تحصى ويكفي لمعرفة مدى سعة وعمق هذه النشاطات الاطلاع على مواقع الإنترنت لمراكز البحوث وأقسام دراسات الشرق الأوسط(قبل الإنترنت مثلا كانت جامعة هارفرد تنشر نشرة نصف شهرية تزدحم فيها النشاطات) ومن الأمثلة على هذه النشاطات أن معظم أقسام دراسات الشرق الأوسط لها لقاء أسبوعي مع محاضرة موجزة بالإضافة إلى محاضرات

الأساتذة الزائرين ومن يتابع ما يدور في هذه الجامعات ويقارن بينها وبين ما يدور في الجامعات العربية الإسلامية يصاب بالذهول فكأن هذه مدراس ابتدائية مقارنة مع تلك.

التقارير السياسية والأحاديث الإذاعية والتلفزيونية والمقالات الصحفية

لما كانت الحكومات الغربية تدرك أهمية العلم والمتعلمين فقد سعت إلى الباحثين المتخصصين في دراسات الشرق الأوسط فطلبت إليهم تقديم نتائج بحوثهم ودراساتهم واستشارتهم في اتخاذ القرارات السياسية وهو ما يعرف في الفكر السياسي من تقارب بين العلماء والساسة. فلا تكاد قاعات وزارات الخارجية الغربية ومجالس النواب فيها واللجان المتخصصة تخلو من الباحثين المستشرقين يقدمون عصارة فكرهم لمصلحة بلادهم وأمتهم.

ومن الأمثلة على ذلك ما نشره مجلس النواب الأمريكي(الكونجرس) عام 1985 من تقرير وصل عدد صفحاته إلى اثنتين وأربعين وأربعمائة ضمت العديد من الدراسات والمعلومات القيمة حول ما أطلق عليه في الغرب ظاهرة الأصولية الإسلامية.

وقد كان من المشهور سابقاً أن لا يكون للحكومات تأثير في النشاط العلمي للجامعات حتى إن جامعة هارفرد قامت بإلغاء مؤتمر كان من المقرر عقده حول الحركات الإسلامية في العالم العربي عندما علمت بأن وكالة الاستخبارات المركزية ساهمت في تمويل المؤتمر، ثم أصبح من المعتاد أن تهتم الوكالة نفسها بهذه القضايا وتجند لها أساتذة الجامعات والمتخصصين في الدراسات الإسلامية والعربية والدراسات الشرق أوسطية.

وأدرك الإعلام أيضاً أهمية استضافة أساتذة الجامعات المتخصصين في العالم العربي والإسلامي فأتاح لهم المجال لتقديم آرائهم في القضايا السياسية المعاصرة ولا تكاد تخلو نشرة أخبار من استضافة أحد هؤلاء للحديث في مجال تخصصه. ولم تكتف وسائل الإعلام بهذا الأمر فقد طلبت إليهم أن يجيبوا عن أسئلة الجمهور أو استضافتهم في برامج حوارية طويلة ، ومن وسائل الإعلام التي تهتم بهذا الجانب،الإذاعات الموجهة مثل إذاعة لندن وصوت أمريكا وإذاعة مونت كارلو وغيرها.

- الحواشي :

[1] - فاطمة أبو النجا.نور الإسلام وأباطيل خصومه. ص 160

[2] - مازن مطبقاني . الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام. ص 58 وما بعدها

[3] - الشرق الأوسط، العدد 8340، 11رجب 1422هـ28 سبتمبر 2001م)

[4] - محمود حمزة عزوني. دراسة نقدية لكتاب الدعوة إلى الإسلام تأليف توماس ولكر آرنولد. .رسالة ماجستير من قسم الدعوة بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1405/1404هـ تحت إشراف الدكتور إبراهيم عكاشة.

[5] - كان هذا الأمر في شهر رجب عام 1422هـ ولا بد أن هذا العدد يزداد باستمرار

[6] - مطبقاني . الاستشراق المعاصر، مرجع سابق ص 172وما بعدها. وانظر رسالة الدكتوراه التي أعدها الدكتور محسن السويسي بعنوان مؤتمرات المستشرقين العالمية: نشأتها –تكوينها –أهدافها. قسم الاستشراق بكلية الدعوة بالمدينة المنورة عام 1419/ 1998م تحت إشراف الدكتور حامد غنيم أبو سعيد

================

أهداف الاستشراق >

الهدف الديني

إن كنّا أخذنا بالقول إن الاستشراق بدأ بتشجيع من الكنيسة ورجال الدين فإن الاهتمام الديني يعد أول أهداف الاستشراق وأهمها على الإطلاق. فعندما رأى النصارى وبخاصة رجال الدين فيهم أن الإسلام اكتسح المناطق التي كانت للنصرانية وأقبل كثير من النصارى على الدين الإسلامي ليس لسماحته فحسب ولكن لأنه بعيد عن التعقيدات وطلاسم العقيدة النصرانية ، ولأنه نظام كامل للحياة . كما أن رجال الدين النصارى خافوا على مكانتهم الاجتماعية والسياسية في العالم النصراني فكان لابد أن يقفوا في وجه الإسلام حيث إنه ليس في الإسلام طبقة رجال دين أو أكليروس كما في النصرانية.[1]

فغاية الهدف الديني هي معرفة الإسلام لمحاربته وتشويهه وإبعاد النصارى عنه، وقد اتخذ النصارى المعرفة بالإسلام وسيلة لحملات التنصير التي انطلقت إلى البلاد الإسلامية،وكان هدفها الأول تنفير النصارى من الإسلام. ولذلك فإن الكتابات النصرانية المبكرة كانت من النوع المتعصب والحاقد جداً حتى إن بعض الباحثين الغربيين في العصر الحاضر كتب نقداً عنيفاً لاستشراق العصور (الأوروبية) الوسطى من أمثال نورمان دانيال Norman Daniel في كتابه الإسلام والغرب.[2] فقد كتب دانيال أن أسباب حقد النصارى وسوء فهمهم للإسلام مازال بعضه يؤثر في موقف الأوروبيين من الإسلام بالرغم من التحسن العظيم الحديث في الفهم والذي أشاد به بعض المسلمين.[3] وكتاب ريتشارد سوذرن صورة الإسلام في العصور الوسطى [4]

الهدف العلمي

ما كان لأوروبا أن تنهض نهضتها دون أن تأخذ بأسباب ذلك وهو دراسة منجزات الحضارة الإسلامية في جميع المجالات العلمية .فقد رأى زعماء أوروبا " أنه إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضاري والعلمي فعليها بالتوجه إلى بواطن العلم تدرس لغاته وآدابه وحضارته"([5]) وبالرجوع إلى قوائم الكتب التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية لعرفنا حقيقة أهمية هذا الهدف من أهداف الاستشراق فالغربيين لم يتركوا مجالاً كتب فيه العلماء المسلمون حتى درسوا هذه الكتابات وترجموا عنها، وأخذوا منها.وقد أشار رودي بارت Rudi Paret –في كتابه عن الدراسات العربية الإسلامية –إلى إمكانية أن تقوم الأمة الإسلامية في العصر الحاضر بدراسة الغرب فيما يمكن أن يطلق عليه علم الاستغراب ([6])، فإن المسلمين في نهضتهم الحاضرة بحاجة إلى معرفة الإنجازات العلمية التي توصل إليها الغرب عبر قرون من البحث والدراسة والاكتشافات العلمية والاستقرار السياسي والاقتصادي.

الهدف الاقتصادي التجاري

عندما بدأت أوروبا نهضتها العلمية والصناعية والحضارية وكانت في حاجة إلى المواد الأولية الخام لتغذية مصانعها ، كما أنهم أصبحوا بحاجة إلى أسواق تجارية لتصريف بضائعهم كان لا بد لهم أن يتعرفوا إلى البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية

ويمكن أن تكون أسواقاً مفتوحة لمنتجاتهم . فكان الشرق الإسلامي والدول الأفريقية والآسيوية هي هذه البلاد فنشطوا في استكشافاتهم الجغرافية ودراساتهم الاجتماعية واللغوية والثقافية وغيرها.

ولم يتوقف الهدف الاقتصادي عند بدايات الاستشراق فإن هذا الهدف ما زال أحد أهم الأهداف لاستمرار الدراسات الاستشراقية . فمصانعهم ما تزال تنتج أكثر من حاجة أسواقهم المحلية كما أنهم ما زالوا بحاجة إلى المواد الخام المتوفرة في العالم الإسلامي. ولذلك فإن بعض أشهر البنوك الغربية(لويد وبنك سويسرا) تصدر تقارير شهرية هي في ظاهرها تقارير اقتصادية ولكنها في حقيقتها دراسات استشراقية متكاملة حيث يقدم التقرير دراسة عن الأحوال الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية للبلاد العربية الإسلامية ليتعرف أرباب الاقتصاد والسياسة على الكيفية التي يتعاملون بها مع العالم الإسلامي.

الهدف السياسي الاستعماري

لقد خدم الاستشراق الأهداف السياسية الاستعمارية للدول الغربية فقد سار المستشرقون في ركاب الاستعمار وهم كما أطلق عليهم الأستاذ محمود شاكر –رحمه الله– " حملة هموم الشمال المسيحي– فقدموا معلومات موسعة ومفصلة عن الدول التي رغبت الدول الغربية في استعمارها والاستيلاء على ثرواتها وخيراتها. وقد اختلط الأمر في وقت من الأوقات بين المستعمر والمستشرق فقد كان كثير من الموظفين الاستعماريين على دراية بالشرق لغة وتاريخاً وسياسة واقتصاداً . وقد أصدر – على سبيل المثال– مستشرق بريطاني كتاباً من أربعة عشر مجلداً بعنوان: (دليل الخليج: الجغرافي والتاريخي) وكان الموظف الاستعماري لا يحصل على الوظيفة في الإدارة الاستعمارية ما لم يكن على دراية بالمنطقة التي سيعمل بها.

واستمر الارتباط بين الدراسات العربية الإسلامية وبين الحكومات الغربية حتى يومنا هذا بالرغم من أنه قد يوجد عدد محدد جداً من الباحثين الغربيين دفعهم حب العلم لدراسة الشرق أو العالم الإسلامي. ومن الأدلة على هذا الارتباط أن تأسيس مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن قد أُسّسَت بناء على اقتراح من أحد النواب في البرلمان البريطاني.([7]) وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رأت الحكومة

البريطانية أن نفوذها في العالم الإسلامي بدأ ينحسر فكان لا بد من الاهتمام بالدراسات العربية الإسلامية فكلفت الحكومة البريطانية لجنة حكومية برئاسة الإيرل سكاربورو Scarbrough لدراسة أوضاع الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات البريطانية. ووضعت اللجنة تقريرها حول هذه الدراسات وقدمت فيه مقترحاتها لتطوير هذه الدراسات واستمرارها([8]).

وفي عام 1961 كونت الحكومة البريطانية لجنة أخرى برئاسة السير وليام هايتر Sir William Hayter لدراسة هذا المجال المعرفي ، وقامت اللجنة باستجواب عدد كبير من المتخصصين في هذا المجال ، كما زارت أقسام الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات البريطانية وفي عشر جامعات أمريكية وجامعتين كنديتين . وكانت زيارتها للولايات المتحدة بقصد التعرف على التطورات التي أحدثها الأمريكيون في هذا المجال ، وكان ذلك بتموين من مؤسستي روكفللر و فورد .([9])

ومما يؤكد ارتباط الدراسات العربية الإسلامية بالأهداف السياسية الاستعمارية (رغم انحسار الاستعمار العسكري) أن الحكومة الأمريكية موّلت عدداً من المراكز للدراسات العربية الإسلامية في العديد من الجامعات الأمريكية ، وما زالت تمول بعضها إما تمويلاً كاملاً أو تمويلاً جزئياً وفقا لمدى ارتباط الدراسة بأهداف الحكومة الأمريكية وسياستها.([10])

كما يستضيف الكونجرس وبخاصة لجنة الشؤون الخارجية أساتذة الجامعات والباحثين المتخصصين في الدراسات العربية الإسلامية لتقديم نتائج بحوثهم وإلقاء محاضرات على أعضاء اللجنة ، كما ينشر الكونجرس هذه المحاضرات والاستجوابات نشراً محدوداً لفائدة رجال السياسة الأمريكيين.([11])

الهدف الثقافي

من أبرز أهداف الاستشراق نشر الثقافة الغربية انطلاقاً من النظرة الاستعلائية التي ينظر بها إلى الشعوب الأخرى . ومن أبرز المجالات الثقافية نشر اللغات الأوروبية ومحاربة اللغة العربية. وصبغ البلاد العربية والإسلامية بالطابع الثقافي الغربي. وقد نشط الاستشراق في هذا المجال أيما نشاط. فأسس المعاهد العلمية والتنصيرية في أنحاء العالم الإسلامي وسعى إلى نشر ثقافته وفكره من خلال هؤلاء التلاميذ. وقد

فكّر نابليون في ذلك حينما طلب من خليفته على مصر أن يبعث إليه بخمسمائة من المشايخ ورؤساء القبائل ليعيشوا فترة من الزمن في فرنسا "يشاهدون في أثنائها عظمة الأمة (الفرنسية) ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا، ولمّا يعودون إلى مصر، يكون لنا منهم حزب يضم إليه غيرهم" ([12]) ولم يتم لنابليون ذلك ولكن لمّا جاء محمد علي أرسل بعثة من أبناء مصر النابهين يقودهم رفاعة رفعت الطهطاوي، وقد قال محمود شاكر إن هؤلاء " يكونون أشد استجابة على اعتياد لغة فرنسا وتقاليدها فإذا عادوا إلى مصر كانوا حزباً لفرنسا وعلى مر الأيام يكبرون ويتولون المناصب صغيرها وكبيرها، ويكون أثرهم أشد تأثيراً في بناء جماهير كثيرة تبث الأفكار التي يتلقونها في صميم شعب دار الإسلام في مصر.." ([13])

وقد حرص الغرب على الغزو الثقافي من خلال التغريب الفكري بعدة طرق ذكرها السيد محمد الشاهد فيما يأتي:

1- التعليم من حيث المنهج ومن حيث المادة العلمية ...

2- وفي مجال الإعلام تُشْتَغل كل وسائل الإعلام المتاحة وخاصة أفلام السينما والتلفاز تأثير غير مباشر."([14])

وظهر الهدف الثقافي من خلال الدعوة إلى العامية وإلى محاربة الفصحى والحداثة في الأدب والفكر حيث نادى البعض بتحطيم السائد والموروث وتفجير اللغة وغير ذلك من الدعوات. وقد بلغ من ثقتهم بأنفسهم في هذا المجال أن كتب أحدهم يتوقع أن لا يمر وقت طويل حتى تستبدل مصر باللغة العربية اللغة الفرنسية كما فعلت دول شمال أفريقيا.([15])

- الحواشي :

[1] - آصف حسين." المسار الفكري للاستشراق " ترجمة مازن مطبقاني ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . العدد السابع ربيع الثاني 1413، ص 566-592.

[2] - Norman Daniel. Islam and The West: The Making of An Image. Revised edition (Oxford: Oneworld, 1993)

[3] - المرجع نفسه ، صفحة 9 (المقدمة)

[4] –ريتشارد سوذرن . صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى. ترجمة وتقديم رضوان السيد.(بيروت: معهد الإنماء العربي، 1984)

[5] – المرجع نفسه ص 36.

[6] –رودي بارت ، مرجع سابق.ص 15.

[7] –غراب ، مرجع سابق. ص48

[8] – Report of The Interdepartmental Commission of Inquiry of Oriental , Slavonic , European and African Studies (London, 1947)

[9] – Report of the Sub-Committee on Oriental, Slavonic, East European and African Studies (London, 1961)

[10] – Moroe Berger. " Middle Eastern And North African Studies : Development and Needs." In Middle East Studies Association Bulletin, Vol.1 No.2. November 15,1967.

وانظر الدراسات العربية الإسلامية في جامعات أمريكيا الشمالية ، إعداد اللجنة المنبثقة عن مؤتمر الشباب المسلم المنعقد في طرابلس عام 1973وتم تحديثها عام 1975 ونشرت في مدينة سيدر رابدز Cedar Rapids بولاية أيوا الأمريكية ، وقام بترجمتها مازن مطبقاني ، وراجع الترجمة الدكتور علي النملة (تحت الطبع)

[11] –من الأمثلة على ذلك محاضر جلسات الكونجرس في صيف عام 1985 الذي بلغت صفحاتها اثنتين وأربعين وأربعمائة صفحة. وقد قام الدكتور أحمد خضر إبراهيم بترجمة أجزاء منها ونشرها في مجلة المجتمع الكويتية قبيل احتلال العراق الكويت.

[12] – محمود شاكر ، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا.(جدة: دار المدني، 1407هـ، 1987م)ص108.

[13] –المرجع نفسه ،ص 141.

[14] –السيد محمد الشاهد. رحلة الفكر الإسلامي : من التأثر إلى التأزم. (بيروت: دار المنتخب العرب، 1414هـ/1994م)ص 181.

Saleh J. Altoma. “ The reception of Najib Mahfouz in – [15] American Publication.” In Comperatine and General Literature 179–160) p1993.(Bloomington: Indiana University Press. –284. P1927quoting George Young .Egypt. London: E. Benn, .85

==================

#مناهج الاستشراق >

مناهج المستشرقين

من الصعب أن نجمع المستشرقين كلهم في بوتقة واحدة ونزعم أن منهجهم كان واحداً في كل الأزمان والأوقات وفي كل الموضوعات التي تناولوها، ولكن تسهيلاً لهذا الأمر فيمكن إجمال هذه المناهج التي يشترك فيها عدد كبير من المستشرقين قديماً وحديثاً في تناول العلوم الإسلامية عموماً.

1– محاولة رد معطيات الدين الإسلامي إلى أصول يهودية ونصرانية

وهذا الأمر يتمثل في كثير من الكتابات حول الوحي وحول القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ويقول في ذلك عماد الدين خليل نقلاً عن جواد علي "إن معظم المستشرقين النصارى هم من طبقة رجال الدين أو من الخريجين من كليات اللاهوت، وهم عندما يتطرقون إلى الموضوعات الحساسة من الإسلام يحاولون جهد إمكانهم ردها إلى أصل نصراني..."([1]) وقد ذكر طيباوي في دراسة أن عدداً من المستشرقين الناطقين باللغة الإنجليزية يعتقدون بذلك ومنهم على سبيل المثال مونتجمري وات وبرنارد لويس وغيرهم.([2]) وانظر أيضاً البحث الذي كتبه التهامي نقرة بعنوان ’القرآن والمستشرقون‘([3])

2– التشكيك في صحة الحديث النبوي الشريف

دأب المستشرقون عموماً على التشكيك في صحة الحديث النبوي الشريف من خلال الزعم بأن "الحديث لم يدون وقد نقل شفاهاً مما يستوجب في نظرهم عدم صحة الأحاديث"([4]) والأمر الثاني في نظرهم كثرة الوضع في الحديث، والأمر الثالث

اتهام المستشرقين للفقهاء بوضع الأحاديث وتلفيقها "لترويج آرائهم واختلاق الأدلة التي تسند تلك الآراء.."([5])

3- البحث على الضعيف والشاذ من الروايات:

يقول جواد علي "لقد أخذ المستشرقون بالخبر الضعيف في بعض الأحيان وحكموا بموجبه، واستعانوا بالشاذ ولو كان متأخراً، أو كان من النوع الذي استغربه النقدة وأشاروا إلى نشوزه، تعمدوا ذلك لأن هذا الشاذ هو الأداة الوحيدة في إثارة الشك".([6])

وهذا الأمر مشهور إلى حد كبير فهم يذهبون إلى الكتب التي تجمع الأحاديث وبخاصة مثل كنز العمال وغيرها من الكتب التي لا يرد فيها تصحيح أو تخريج للأحاديث، وقد كتب باحث بريطاني عن فتح المسلمين قسطنطينية بأنه وردت أحاديث عن أن الذي سيفتحها سيكون اسمه اسم نبي ثم لما لم تفتح ادعى أن الأحاديث لا تصح لأن تكون مصدراً، أما أنه لم يعرف صحة الحديث من عدمه فأمر لا يهمه وهو الذي يدعي العلمية والنزاهة.

4-الاهتمام بالفرق والأقليات وأخبار الصراعات والبحث عن الوثنيات والتاريخ السابق لبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم.

كثرت كتابات المستشرقين عن الفرق كالشيعة والإسماعيلية والزنج وغيرهم من الفرق التي ظهرت في التاريخ الإسلامي وأعطوها من المكانة والاهتمام أكثر مما تستحق، بل إن هناك من كتب عن المنافقين في عهد الرسول e وأطلق عليهم لقب المعارضة لإعطاء ما قاموا به من عداوة لله ولرسوله شرعية. وحصل بعضهم على درجة الدكتوراه في بحوث حول هذه الفرق.

5- الخضوع للهوى والبعد عن التجرد العلمي:

يقول الدكتور عبد العظيم الديب "فالمستشرق يبدأ بحثه وأمامه غاية حددها، ونتيجة وصل إليها مقدماً، ثم يحاول أن يثبتها بعد ذلك، ومن هناك يكون دأبه واستقصاؤه الذي يأخذ بأبصار بعضهم..."([7]).

6- التفسير بالإسقاط

يشرح الدكتور الديب هذا الخطأ المنهجي بأنه "إسقاط الواقع المعاصر المعاش، على الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ فيفسرونها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم"([8]) فمثلاً واقع الغربيين يدل على تنازعهم على السلطة وإن كان الأمر يبدو في الحاضر انتخابات وحرية اختيار ولكن الحقيقة أن من يملك المال يستطيع أن يصل إلى الأصوات حتى صدر في أمريكا كتاباً بعنوان 'بيع الرئيس' وكتاباً آخر عن 'صناعة الرئيس' فجاء المستشرقون إلى بيعة الصديق رضي الله عنه فصوروها على أنها اغتصاب للسلطة أو تآمر بين ثلاثة من كبار الصحابة هم والله أنقى البشر بعد الأنبياء والرسل وهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين فزعموا أن هؤلاء الثلاثة تآمروا على أن يتولوا الخلافة الواحد تلو الآخر.

وذكرت كذلك أنهم سموا المنافقين بالمعارضة وغير ذلك من الإسقاطات التي تدل على سوء طوية وخبث وبعد عن المنهج العلمي.([9])

7- المنهج الانتقائي وإثارة الشكوك في معطيات السنة والتاريخ

عرف عن كثير من المستشرقين في كتاباتهم حول السيرة النبوية الشريفة وحول التاريخ الإسلامي أنهم ينتقون بعض الأحداث والقضايا ويكتبون عنها ويهملون غيرها كما أنهم يشككون في أمور من المسلمات لدينا في التاريخ الإسلامي فمن ذلك أنهم كما قال د. محمد فتحي عثمان "لقد غالوا في كتاباتهم في السيرة النبوية وأجهدوا أنفسهم في إثارة الشكوك وقد أثاروا الشك حتى في اسم الرسول e ولو تمكنوا لأثاروا الشك حتى في وجوده..."([10])

8- التحريف والتزييف والادعاء

قام بعض المستشرقين بتحريف كثير من الحقائق التي تخص الإسلام ورسالته وتاريخه فمن ذلك مثلاً أن بعضهم أنكر عالمية الإسلام وبخاصة فيما يتعلق برسائل الرسول e إلى الملوك والأمراء خارج جزيرة العرب كرسائله إلى هرقل والمقوقس وكسرى ، وإنكار عالمية الرسالة الإسلامية يظهر فيما كتبه جوستاف لوبون في كتابه 'تاريخ العرب' حيث زعم أن الرسول r رأى أنه كان لليهود أنبياء وكذلك للنصارى فأراد أن يكون للعرب كتاب ونبي، وكأن الرسالة والنبوة أمر يقرره الإنسان بنفسه.

أما التزييف فأنقل ما أورده الدكتور الديب عن رواية عن أموال الزبير بن العوام رضي الله عنه فقد أورد ديورانت هذا الخبر "وكان للزبير بيوت في عدة مدن، وكان يمتلك ألف جواد وعشرة آلاف عبد..." والخبر كما أوردته المصادر الإسلامية الموثقة هو كالآتي "كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه خراجهم كل يوم، فما يُدخل إلى بيته منها درهماً واحداً، يتصدق بذلك جميعه" وفي مناقشة الخبر أوضح الديب أن المستشرق أضاف ألف جواد أقحمها في الخبر وليس لها أساس ثم إن في الخبر أن الزبير رضي الله عنه يتصدق بكل دخلهم لا يدخل بيته منها شيء فلم يورده فهل هذا من الأمانة العلمية ؟([11])

9- اعتماد مصادر غير موثوقة لدى المسلمين

من العيوب المنهجية في الدراسات الاستشراقية أنهم يعمدون إلى المصادر غير الموثقة عند المسلمين فيجعلونها هي المصدر الأساس لدراساتهم وبحوثهم ومن ذلك أنهم يرجعون إلى كتاب مثل كتاب 'الأغاني' للأصفهاني فيجعلونه مرجعاً أساسياً في دراساتهم للتاريخ الإسلامي وللمجتمع الإسلامي، كما يعمدون إلى المراجع التي ضعفها العلماء المسلمون أو طعنوا في أمانة أصحابها فيجعلونها أساساً لبحوثهم أو كان أصحاب تلك المراجع منحازين إلى فئة معينة أو متعصبين.

- الحواشي :

[1] – عماد الدين خليل. دراسات تاريخية ص159

[2] –عبد اللطيف طيباوي. المستشرقون الناطقون باللغة الإنجليزية . ترجمة قاسم السامرائي. ص 10–13.

3–مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، ج1 ، ص 21–57.

[4] – عبد القهار دواد العاني، الاستشراق والدراسات الإسلامية عمّان:دار الفرقان، 1421هـ ص 121

[5] –المرجع نفسه ص 122.

[6] –جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام، ص 8

[7] –عبد العظيم الديب. المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي قطر :كتاب الأمة، عدد 27 ص 71

[8] – المرجع نفسه ص 99–100

[9] – عماد الدين خليل، مرجع سابق ص 167

[10] – محمد فتحي عثمان، أضواء على التاريخ الإسلامي ص 69

[11]– الديب ، مرجع سابق ص 115–116.

=================

أساليب الاستشراق >

أساليب المستشرقين

حرص المستشرقون على استخدام أفضل الأساليب التي تحقق أهدافهم ويمكننا أن نلخصها فيما يأتي:

v الدأب والإخلاص والعمل الجاد

من أبرز ما يلاحظه المرء في دراسة نشاطات المستشرقين أنهم يتميزون بالدأب والإصرار والعمل الجاد المخلص، ويتمثل هذا الأمر في مختلف نشاطاتهم كالتأليف وعقد الندوات والمؤتمرات والمحاضرات والرحلة في طلب العلم.

v حب الاستطلاع والرغبة القوية في المعرفة

سعى المستشرقون من خلال ما تمتعوا به من هذه الخصال إلى معرفة ما لدى الشعوب الأخرى من مصادر علمية كالمخطوطات والآثار وتعرفوا إلى بلادنا في أدق تفاصيل حياتنا.

v الإنفاق السخي على البحث العلمي من قبل الحكومات الغربية وكذلك المؤسسات الخاصة 'الخيرية' حيث إن المستشرق لا يعاني من قلة الإمكانات في البحث العلمي فهو يجد المراجع وتوفر له الإمكانات للقيام بالرحلات العلمية، كما يتم توفير الفرص للباحثين لنشر إنتاجهم ومكافأتهم عليه بعكس ما يحدث في العالم العربي والإسلامي من التقتير في مجال البحث العلمي وهو ما ميّز هذه الأمة حين كانت الدولة الإسلامية صاحبة السيادة في العالم.

v التعاون فيما بينهم، يتمثل هذا التعاون في عدة أمور أولها استعانة بعضهم ببعض في مجال التدريس وإلقاء المحاضرات فنظام الأساتذة الزائرين من أبرز ما توفره الجامعات الغربية لتوفير الخبرات والمعرفة لطلابها وأساتذتها، كما أن التعاون يتمثل

في المؤتمرات والندوات والمحاضرات العامة، ومن صور التعاون بينهم ما يتم في مجال النشر فكم أوروبي نشر في أمريكا وكم أمريكي استطاع نشر مؤلفاته في أوروبا، كما يتمثل التعاون في المنح الدراسية المتبادلة بينهم، ومن أوجه التعاون كذلك المنح التي تقدمها المؤسسات 'الخيرية' مثل فورد وكارينجي وروكوفللر، وكونراد إديناور الألمانية وغيرها لمختلف الجامعات الغربية أينما كانت.

v المرونة والتسامح فيما بينهم.

v المرونة والتسامح مع من يخالفهم الرأي إن وجدوا ذلك في مصلحتهم على المدى القصير أو البعيد.

v الخداع والكذب، في بعض الأحيان إذا احتاج المستشرق إلى استخدام مثل هذه الأساليب لتحقيق أهدافه فهو لا يتورع عن ذلك وبخاصة إذا كان في مقام المستشار لبعض المسؤولين العرب والمسلمين ،وكذلك في حالة الإشراف على الطلبة العرب والمسلمين في الجامعات الأوروبية والأمريكية

====================

#آثار الاستشراق >

أثر الاستشراق في العالم الإسلامي

قدّم الاستشراق خدمات كبيرة للغرب النصراني في خدمة أهدافه التي قام من أجلها من أهداف دينية وسياسية واقتصادية واستعمارية وثقافية. وحتى عندما استغنى الغرب عن مصطلح الاستشراق وأنشأ أقسام دراسات الشرق الأوسط أو الشرق الأدنى أو مراكز البحوث المختلفة فما زالت الأهداف القديمة موجودة، ولكنه في الوقت نفسه أثّر تأثيرات سلبية في العالم الإسلامي في المجالات العقدية، والتشريعية، والسياسية، والاقتصادية والثقافية.

وفيما يأتي أبرز هذه الآثار:

الآثار العقدية

من أبرز الآثار العقدية للاستشراق في العالم الإسلامي ظهور تيار من المفكرين والعلماء والسياسيين وحتى الناس العاديين أو العامة الذين نادوا بفصل الدين عن الحياة أو ما يطلق عليه العلمانية. فالعقيدة الإسلامية تربط كل مجالات الحياة

بالإيمان بالله عز وجل وبالتصور العام الذي جاء به الإسلام للخالق سبحانه وتعالى والكون والإنسان. فلمّا كانت أوروبا قد وجدت الديانة النصرانية المحرفة تعيق تقدمها ونهضتها ظهر فيها التيار الذي أطلق عليه التنوير منادياً بفصل الدين عن الحياة أو قصر الدين على الشعائر التعبدية والعلاقة بين الله والإنسان. أما شؤون الحياة الأخرى من سياسة واقتصاد واجتماع فلا علاقة للدين به. ونظراً لأن أوروبا لم تعرف النصرانية الحقيقية أو الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام بما أحدثه بولس وغيره فيها من تحريفات فإن ما ينطبق على أوروبا لا يمكن أن ينطبق على الإسلام.

ونهضت أوروبا نهضتها بمحاربة الدين والكنيسة، وبلغت الذروة في هذه الحرب في الثورة الفرنسية. وقد أثر الاستشراق في هذا المجال عن طريق البعثات العلمية التي انطلقت من العالم الإسلامي إلى فرنسا كما يقول الشيخ محمد الصبّاغ "إنّ إفساد الطلبة المبعوثين لم يكن ليتحقق في بلد من البلاد الأوروبية كما كان يمكن أن يتحقق في فرنسا التي خرجت من الثورة الفرنسية وهي تسبح في بحور من الفوضى الخلقية والفكرية والاجتماعية ...من أجل ذلك كانت فرنسا محل البعثات"([1]). فانطلقت هذه البعثات من تركيا ومن مصر ومن إيران ومن المغرب. وكانت هذه البعثات تحت إشراف مستشرقين فرنسيين، فمثلاً كانت البعثة المصرية تحت إشراف جونار، ويقول أحد المستشرقين عن البعثات الأولى أنها كانت لدراسة الهندسة والفنون الحربية، ولكن المعلمين الفرنسيين كانوا حريصين على أن ينقلوا إلى الطلاب المسلمين الآداب الفرنسية والثقافة الفرنسية([2]).

ومن تأثير الاستشراق في المجال العقدي الاهتمام المبالغ فيه بالصوفية وبخاصة تلك التي ابتعدت عن الكتاب والسنّة فتجدهم يجعلون لابن عربي مكانة خاصة في النشاطات الاستشراقية، ويجذبون أبناء المسلمين لمثل هذه الاهتمامات، كما أن من اهتمامات الاستشراق التي تدعو إلى الريبة اهتمامهم بالفرق المنحرفة كالرافضة والإسماعيلية وغيرها من الفرق، فيعطونها من وقتهم ومن دراساتهم ما تجعل الغريب عن الإسلام يظن أن هذا هو الإسلام.

وقد حرص الاستشراق والتنصير على إنشاء المدارس والجامعات الغربية في العالم الإسلامي، فمن ذلك الكلية الإنجيلية التي تحولت إلى الجامعة الأمريكية التي لها

فروع في كل من القاهرة وبيروت واسطنبول ودبي، بالإضافة إلى كلية فيكتوريا (مدرسة ثانوية) والكلية الأمريكية في بيروت (مدرسة ثانوية) وقد زعم كرومر Cromer في احتفال بمدرسة فيكتوريا بأن الهدف من هذه المدرسة وشبيهاتها تنشئة أجيال من أبناء المسلمين يكونون جسراً بين الثقافة الغربية ومواطنيهم المسلمين، ولعلها عبارة ملطّفة لتكوين جيل ممسوخ لا يعرف ثقافته ولا عقيدته.([3]) وقد وصف الشيخ سعيد الزاهري التلاميذ الجزائريين الذين درسوا في المدارس الفرنسية في الجزائر، وأطلق عليها خداعاً المدارس العربية، بأنهم لا يصلون ولا يصومون ولا يتحدثون اللغة العربية فيما بينهم، ولا يؤمنون بأن القرآن الكريم وحي من الله ..."([4]).

الآثار الاجتماعية

تعد الآثار الاجتماعية من أخطر الآثار التي ما زال الاستشراق حريصاً على تحقيقها في العالم الإسلامي، فقد اهتم المستشرقون بدراسة المجتمعات الإسلامية ومعرفتها معرفة وثيقة حتى يمكنهم أن يؤثروا فيها بنجاح. وإن دوافعهم لهذا تنطلق من النظرة الاستعلائية الغربية بأن المجتمعات الغربية وما ساد فيها من فلسفات ونظريات هي المجتمعات الأرقى في العالم. وقد تمكن الاستعمار بالتعاون مع الاستشراق في إحداث تغيرات اجتماعية كبيرة في البلاد التي وقعت تحت الاحتلال الغربي. ففي الجزائر مثلاً حطم الاستعمار الملكيات الجماعية أو المشاعة للأرض وذلك لتمزيق شمل القبائل التي كانت تعيش في جو من الانسجام والوئام.([5])

وقد تعاون الاستشراق والاستعمار على إحداث النزاعات بين أبناء البلاد الإسلامية بتشجيع النزعات الانفصالية، كما حدث في المغرب العربي أيضاً بتقسيم الشعب المغربي إلى عرب وبربر، والتركيز على فرنسة البربر وتعليمهم اللغة الفرنسية ونشر الحملات التنصيرية في ديارهم. وقد أنشأت الحكومة الفرنسية الأكاديمية البربرية في فرنسا لتشجيع هذه النزعة.

ومن الجوانب الاجتماعية التي عمل فيها الاستشراق على التأثير في المجتمعات الإسلامية البنية الاجتماعية وبناء الأسرة والعلاقة بين الرجل والمرأة في المجتمعات الإسلامية. فقد اهتم الاستشراق بتشويه مكانة المرأة في الإسلام، ونشر المزاعم عن

اضطهاد الإسلام للمرأة وشجع الدعوات إلى التحرير المزعوم للمرأة التي ظهرت في كتابات قاسم أمين والطاهر الحداد ونوال السعداوي وهدى الشعراوي وغيرهم.

ويرى الدكتور محمد خليفة أن موقف الاستشراق من المرأة المسلمة نابع من وقوعه "تحت تأثير وضع المرأة الغربية أنها نموذج يجب أن يحتذى به، وان ما حققته من مساواة وحقوق، في نظرهم، يجب أن يتسع ليشمل المرأة المسلمة والمرأة الشرقية العامة. ...ويضيف خليفة بأن الاستشراق يسعى "إلى تقويض وضع المرأة المسلمة داخل الأسرة على التمرد على النظام والخروج باسم الحرية وتصوير وضع المرأة المسلمة تصويراً مزيفاً لا يعكس الحقيقة".([6])

وقد أنشئت رابطة دراسات المرأة في الشرق الأوسط ضمن تنظيم رابطة دراسات الشرق الأوسط الأمريكية وهي التي تهتم بأوضاع المرأة المسلمة وتشجع اتجاهات التغريب من خلال مجلتها ربع السنوية واجتماعاتها في إطار المؤتمر السنوي لرابطة دراسات الشرق الأوسط وذلك بدعوة الباحثات المسلمات اللاتي يتبنين الأفكار الغربية من أمثال نوال السعداوي، وفاطمة المرنيسي وحنان الشيخ وغيرهن، ومن خلال تنظيم الندوات حول وضع المرأة المسلمة في المجتمعات الإسلامية.

ويقوم الاستشراق الإعلامي بدور بارز في الترويج للفكر الغربي في مجال المرأة ومن ذلك الصحافة الغربية والإذاعات الموجهة، فمن الكتب التي قدمت هيئة الإذاعة البريطانية عروضاً لها كتاب (ثمن الشرف) للكاتبة البريطانية الأصل جان جودون Jan Goodwin التي تناولت فيه دراسة أوضاع المرأة في خمس دول إسلامية هي الباكستان وأفغانستان والكويت ومصر والمملكة العربية السعودية. وقد خلطت الكاتبة فيه بين موقف الإسلام من المرأة وبعض التطبيقات الخاطئة في هذه الدول، ومن المعروف أن الإسلام حَكَمٌ على أهله وليس سلوك المسلمين حجة على الإسلام.

وقد قدمت إذاعة لندن في شهر جمادى الأولى تقريراً عن ندوة تعقد في إحدى الدول العربية حول موضوع المرأة وقدمت تصريحاً لمسؤول في تلك الدولة يزعم فيه أن بلاده وتركيا هما الدولتان الوحيدتان اللتان أصدرتا قوانين تحرّم تعدد الزوجات وتعطي المرأة كثيراً من الحقوق لمساواتها بالرجل، وإن التوازن في عرض وجهات النظر يقتضي أن تقدم الإذاعة من يتناول وجهة النظر الأخرى لمثل هذه

التصريحات. وكانت الإذاعة قد قدمت تقريراً عن مؤتمر عقد في قطر للمرأة المسلمة وعرضت أخبار هذه الندوة بكثير من السخرية ومن ذلك وصفها لانتقال النساء في حافلات ذات ستائر غامقة اللون حتى لا يراهن أحد، بالإضافة إلى عبارات أخرى مليئة بالاستهزاء من موقف الإسلام من المرأة.

الآثار السياسية والاقتصادية

يزعم الغربيون أن الديموقراطية الغربية هي أفضل نظام توصل إليه البشر حتى الآن، ولذلك فهم يسعون إلى أن يسود هذا النظام العالم أجمع، ومن بين الدول التي يريدون لنظامهم أن يسودها البلاد الإسلامية، وقد سعوا إلى هذا من خلال عدة سبل وأبرزها هو انتقاد النظام السياسي الإسلامي. وقد ظهرت كتب كثيرة عن نظام الخلافة الإسلامي وافتروا على الخلفاء الراشدين بزعمهم أن وصول الصديق وعمر بن الخطاب t إلى الخلافة كان نتيجة لمؤامرة بين الاثنين([7]). وكتب مستشرقون آخرون زاعمين أن النظام السياسي الإسلامي نظام قائم على الاستبداد وفرض الخضوع والمذلة على الشعوب الإسلامية([8]). بل بالغ لويس في جعل النظام السياسي الإسلامي يشبه النظام الشيوعي في استبداده وطغيانه([9]).

وقد تأثرت بعض الدول العربية التي خضعت للاستعمار الغربي بالفكر السياسي الغربي بأن قامت باستيراد النظام البرلماني دون أن يتم إعداد الشعوب العربية لمثل هذه الأنظمة فكانت كما قال أحد المستشرقين بأن العرب استوردوا برلمانات معلبّة دون ورقة التعليمات([10]). وما زالت هذه البرلمانات في البلاد العربية يتحكم فيها الحزب الحاكم الذي لا بد أن يفوز بأغلبية المقاعد بأية طريقة كانت. ومع ذلك فما زال الغرب حريص على نشر الديموقراطية وقد كانت تصريحات الساسة الغربيين بأن (حرب الخليج الثانية) ستكون مناسبة لفرض الديموقراطية في العالم العربي وستكون البداية في الكويت([11]).

ومن الحقائق المثيرة للانتباه أن تركيا كانت من أقدم الدول الإسلامية تغرباً وتطبيقاً للنظام الديموقراطي ولكن عندما وصل الإسلاميون للحكم وانقلب السحر على الساحر –كما يقال– قلبت الدول الغربية لنظامهم الديموقراطي ظهر المجن وسعوا إلى تأييد العسكر في كبت الحريات ومصادرة الديموقراطية.

أما في المجال الاقتصادي فإن الغرب سعى إلى نشر الفكر الاقتصادي الغربي الاشتراكي والرأسمالي وذلك بمحاربة النظام الاقتصادي الإسلامي وكما يقول محمد خليفة "إنّ المستشرقين في سعيهم للترويج للفكر الاقتصادي الغربي قاموا ب 'إعادة تفسير التاريخ الاقتصادي الإسلامي من وجهة نظر الرأسمالية والشيوعية' كنوع من التأصيل للنظريتين وتقديمهما على أنهما لا يمثلان خروجاً عن النظام الاقتصادي الإسلامي".([12])

وكان من نتائج الترويج للاشتراكية والرأسمالية في العالم الإسلامي أن انقسم العالم الإسلامي على نفسه فأصبح قسم منه يدور في الفلك الشيوعي والقسم الآخر في الفلك الرأسمالي، ولعل من طرائف المواقف الاستشراقية أن تسعى الدول الغربية إلى بث النظام الاشتراكي في بعض الدول العربية كما أشار أحد الباحثين بتدريس الاقتصاد الاشتراكي والترويج بأن التنمية الحقيقية في العالم العربي تتطلب تأميم وسائل الإنتاج، وأن الحرية الاقتصادية الغربية لا تناسب مراحل التنمية الأولى([13]).

وكان من تأثير الاستشراق أيضاً تشجيع الصناعة في البلاد الإسلامية دون الاستعداد الكافي لها، وإهمال قطاع الزراعة فقد اقتنع العالم العربي بأن النهضة الحقيقية إنما تكون في الصناعة، ولذلك أهملت الزراعة إهمالاً شبه كلي، مع أن نهضة الغرب الصناعية بدأت بالاهتمام بالزراعة وما زال الغرب يسيطر على إنتاج الحبوب والمواد الغذائية الأساسية في العالم.

الآثار الثقافية والفكرية

حقق الاستشراق نجاحاً كبيراً في التأثير في الحياة الثقافية والفكرية في العالم الإسلامي فبعد أن كان القرآن الكريم والسنّة المطهرة وتراث علماء الأمة الذين فهموا هذين المصدرين فهماً جيداً وعاش المسلمون على هدي من هذه المصادر في جميع مجالات الحياة أصبحت المصادر الغربية تدخل في التكوين الفكري والثقافي لهذه الأمة سواء أكان في نظرتها لكتاب ربها سبحانه وتعالى ولسنة نبيها أو للفقه أو للعلوم الشرعية الأخرى.أو في منهجية فهم هذه المصادر ومنهجية التعامل معها كما

أثر الفكر الغربي في المجالات الفكرية الأخرى كالتاريخ أو علم الاجتماع أو علم النفس أو علم الإنسان أو غيره من العلوم.

وقد استطاع الاستشراق تحقيق هذا النجاح بما توفر له من السيطرة على منابر الرأي في العالم الإسلامي فقد أنشأ الغرب العديد من المدارس كما أن العديد من أبناء الأمة الإسلامية تلقوا تعليمهم على أيدي المستشرقين في الجامعات الغربية (الأوروبية والأمريكية). ولمّا كانت بعض البلاد العربية والإسلامية خاضعة للاحتلال الأجنبي فقد مكّن لهؤلاء الذين تعلموا في مدارسه. فما زالت الصلة قوية فيما بين الطلبة الذين تخرجوا في كلية فيكتوريا بعد أن تسلم كثير منهم مناصب حساّسة في بلادهم.

ومن المنابر التي استطاع الغرب أن ينشر من خلالها الثقافة والفكر الغربيين وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفاز ونشر بأشكاله المتعددة. فقد أنشئت الصحف والمجلات التي تولى رئاسة تحريرها أو عملية الكتابة فيها كثير من الذين تشبعوا بالثقافة الغربية. وقد بذلوا جهوداً كبيرة للرفع من شأن تلاميذهم فهذا يطلق عليه ’عميد الأدب العربي‘ وآخر يطلق عليه ’أستاذ الجيل‘ وثالث يطلق عليه ’الزعيم الوطني‘([14]) ومن هذه الصحف الأهرام ومجلات المقتطف وغيرهما من الصحف والمجلات. كما أنشؤوا المسارح والسينما، وأدخلوا إلى حياة الشعوب العربية الإسلامية فنون اللهو غير المباح من مراقص وغناء وغير ذلك.

وكان للاستشراق دوره في مجال الأدب شعراً ونثراً وقصة، فقد استغلت هذه الوسائل في نشر الفكر الغربي العلماني وبخاصة عن طريق ما سمي ’الحداثة‘ التي تدعو إلى تحطيم السائد والموروث، وتفجير اللغة وتجاوز المقدس ونقد النصوص المقدسة. وقد استولى هؤلاء على العديد من المنابر العامة ولم يتيحوا لأحد سواهم أن يقدم وجهة نظر تخالفهم و إلاّ نعتوه بالتخلف والرجعية والتقليدية وغير ذلك من النعوت الجاهزة.

وقد انتشرت في البلاد العربية الإسلامية المذاهب الفكرية الغربية في جميع مجالات الحياة في السياسة والاقتصاد، وفي الأدب وفي الاجتماع، ففي السياسة ظهر من ينادي بالديموقراطية ويحارب الإسلام وفي الاقتصاد ظهر من تبنى الفكر الشيوعي

والاشتراكي وفي الأدب ظهر من نادى بالنظريات الغربية في دراسة اللغة وفي الأدب وفي النقد الأدبي؟ وأخذ كثيرون بالنظريات الغربية في علم الاجتماع وفي التاريخ وفي علم النفس وفي علم الإنسان وغير ذلك من العلوم.[15]

- الحواشي :

[1] -محمد الصباغ . الابتعاث ومخاطره. (دمشق: المكتب الإسلامي ،1398هـ-1978م، ص 29-30.

Bernard Lewis. " The Middle East Versus The West." In – [2]
.29-21.pp. 1963October 4Encounter. Vol. Xxi, no.

[3] – محمد محمد حسين . الإسلام والحضارة الغربية. ط5.(بيروت: مؤسسة الرسالة 1402-1982)ص 46.

[4] -محمد السعيد الزاهري. الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير. (الجزائر:دار الكتب الجزائرية، بدون تاريخ)ص108

[5] -مازن مطبقاني . " الحياة الاجتماعية في المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق." في المنهل(جدة) عدد471، م 50 رمضان /شوال 1409، ص 352-362.

[6] -محمد خليفة حسن. آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية . (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997) ص 64.

25)p.1966Thomas Arnold. The Caliphate. (Lahore: – [7]

Bernard Lewis." On The Quietist and Activist Tradition in – [8]
Islamic Political Writing. In Bulletin of S. O. A. S Vol. XLIX
.141.p.1986, 1Part

B. Lewis." Communism and Islam. " in International – [9]
.12-1.pp 1954, 30Affairs. Vol.

[10] -برنارد لويس . الغرب والشرق الأوسط. ترجمة نبيل صبحي.(القاهرة : المختار) ص79.

[11] – Washington Times, February 2,1991And Washington Post. February 19,1991.

[12] –حسن ،مرجع سابق ص 79.

[13] – محمد قطب. واقعنا المعاصر. (جدة:مؤسسة المدينة المنورة للنشر والتوزيع، 1407هـ/1987م) ص.324وما بعدها.

[14] – ناقش الأستاذ محمد قطب في كتابه واقعنا المعاصر مسألة صناعة الزعيم حيث يتحول الكفاح ضد المستعمر الأجنبي قضية وطنية وتراب وتحرر وليس جهاداً إسلامياً كما أراده الله .وقد نجحوا في صناعة الزعيم في العديد من البلاد العربية الإسلامية. كم أسهموا فيما أطلق عليه سرقة الثورات .

[15] –حسن ،مرجع سابق ، الفصل الخامس بعنوان (الآثار السلبية للفكر الاستشراقي في المجال الثقافي والفكري)ص 87إلى 100.

==================

#الظاهرة الاستشراقية([1])

المقدمة

الحمد لله حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

أصدر الدكتور ساسي سالم الحاج عام 1990م كتاباً من مجلدين وأربعة أجزاء كتاباً بعنوان (الظاهرة الاستشراقية)([2]) وقد ضمنه الحديث عن الاستشراق في مختلف مجالات العلوم الإسلامية. وقد ناقش الحاج مسألة هل الاستشراق ظاهرة أو علم وأكد بأنه من الصعب أن نعد الاستشراق علماً ذلك أن كل علم له أصوله وقواعده ومناهجه بينما نجد أن الاستشراق اهتم بالعلوم الإسلامية المختلفة ابتداءً بالعلوم القرآنية من تفسير وتجويد وقراءات، وعلوم الفقه، وعلوم الحديث، وعلوم اللغة العربية، والعلوم الاجتماعية التي تتعلق بالعالم الإسلامي وبالمسلمين. ومع ذلك فإنه من الممكن أن يستخدم المستشرق المنهج العلمي في طرحه القضايا التي تتعلق بالعلوم الإسلامية وفقاً للعلم الذي يبحثه.([3]) ومع ذلك فمن الممكن أن نقول بأن الظاهرة مسألة لها بداية ونهاية فهل ظاهرة الاستشراق هذه طالت كثيراً جداً.

وإن كنت شخصياً لا أميل إلى التوسع في الجدال حول هل الاستشراق ظاهرة أو علم ذلك أن الذي يهمنا نحن المسلمين أن نعرف ونوقن تماماً أن الغرب يدرسنا في جميع المجالات حتى توصل إلى معرفة التفاصيل وتفاصيل التفاصيل أو كما قال الدكتور أبو بكر باقادر الجزئيات، وجزئيات الجزئيات.([4]) لذلك علينا أن نعمل ونعمل على أن نعرف أنفسنا أولاً ونمثل أنفسنا أمام نفسنا أولاً ثم ننتقل إلى تمثيل أنفسنا أمام الآخرين.([5]) وإن كان هذا الترتيب الذي رآه الدكتور العمري ليس ضرورياً فيمكننا أن نقوم بأكثر من عملية في وقت واحد؛ فيمكن لبعضنا ممن عرف اللغات الأوروبية أن يقوم بعملية عرض الإسلام القضايا الإسلامية أمام الآخرين سواءً كانوا في الشرق أو في الغرب شريطة أن يتميز عرضه بالفهم الجيد للإسلام أن يكون مقتنعاً بقضيته لا أن يكون من العلمانيين أو المتغربين مثل أولئك الذين تستضيفهم بعض الجامعات الأمريكية أو الأوروبية لتدريس الإسلام، فكيف لماركسي أو علماني أو متغرب أن يعرض الإسلام رضاً منصفاً. فنحن مأمورون أن نبلغ هذا الدين للعالم أجمع عملاً بقوله تعالى)قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن ابتعن(([6]) وقوله صلى الله عليه وسلم (نضّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فبلغها إلى من لم يسمعها فربّ مبلغ أوعى من سامع) وقوله تعالى)ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة) ([7])وقوله تعالى)قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا باناّ مسلمون(([8])

وأضيف هنا أننا يجب أن ننتقل من مجرد دارسين لما قاله الغرب عنّا إلى أن نعرف هذا الغرب وما دوافعه وما أهدافه وأن نعرف المبادئ والفلسفات التي تحكم حياة الغرب، كما علينا أيضاً أن نواصل دراسة الغرب لنعرفه تماماً كما يعرفنا. ولكن على الذين يتصدون لدراسة الغرب أن يتسلحوا أولا بمعرفة الإسلام حتى يكون في أيديهم الميزان والمعيار الذي يحكمون به على هذه المعرفة. فقد يتولى هذه الدراسات من لا يملك الرؤية الإسلامية فبدلاً من أن ندرس الغرب دراسة نفيد منها ونفيد الغرب نتحول إلى مرددين لما يقوله الغرب عن نفسه بل يصيب بعضنا الانبهار بالغرب فيمدح ما لا يستحق المدح ويذم ما يستحق المدح.

ومما يؤكد هذا أن البعثات السعودية إلى أمريكا في أواخر الستينيات من القرن الماضي عانت أمرين أولهما الصدمة الحضارية والاجتماعية والفكرية، وثانيهما لم تجد المرشد والدليل ليقودها إلى الحقيقة فيما رأت وعاشت. ولا بأس أن أذكر مثالاً شخصياً فقد قرأت رواية (زوربا اليوناني) للروائي اليوناني المشهور كازانتزاكي في أثناء دراستي الجامعية في أمريكا وكنت لم أتجاوز العشرين بكثير فأعجبت بشخصية زوربا الرجل العجوز الذي لا يأبه بسنِّه، ويستمتع بملذات الحياة حلالها وحرامها بينما كان الراوي شاباً في الثلاثينيات من عمره يلتزم بالأخلاق وبالقيم. فكان في نظر كاتب الرواية –وهو الانطباع الذي يتأثر به القارئ وبخاصة إذا لم يكن لديه معرفة بالإسلام– جامداً بليداً.

وفي الوقت الذي ظهرت فيه ترجمة كتاب زوربا اليوناني ظهرت كتابات الروائي والشاعر الألماني اليهودي الأصل هرمن هسه Herman Hesse وكانت من أكثر القراءات شيوعاً لدى الشباب في الجامعات الأمريكية. ولا بد أن انتشارها كان متوافقاً مع ظهور موجة الهبييز والتمرد على قيم المجتمع والفضيلة أو ما سمّيَ ب (الثورة الجنسية). حيث كانت هذه الروايات تروج للانحلال والتمرد على القيم والأخلاق واغتنام الفرصة(!) لاقتناص لذائذ الحياة .

ولما شاء الله أن أعود إلى المملكة وأقوم بدراسة الإسلام من جديد عرفت أن زوربا اليوناني رجل فاجر لا يأبه بالأخلاق الفاضلة، وكل ما يهمه في الحياة عبادة هواه. وهو الذي قال الله فيه {أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم}([9])وكذلك كان الحال مع هرمن هسه وغيره من الكتاب.

ونبدأ الحديث عن الظاهرة الاستشراقية بتحديد مظاهرها وميزاتها:

أولاً : أنها أطول ظاهرة فكرية.

فقد بدأت هذه الظاهرة لدى اليونان فهم أول من اهتم بدراسة الشعوب الشرقية حيث وجهوا علماءهم لدراسة البلاد المجاورة فقد كانت البعثات اليونانية تأتي إلى البلاد الشرقية (مصر والعراق والشام وغيرها) ذات الحضارة العريقة للتعلم منها لبناء الحضارة اليونانية. وقد اقتبس اليونان من حضارة الشرقيين وبخاصة في النواحي العملية وفي الأخلاق والسلوك.

ومنذ انطلاقة اليونان هذه والغرب ظل منطلقاً، ولكن الذي اختلف هو الهدف. فقد بدأ اليونـان بهـدف علمـي معرفـي سـرعان مـا تغيـر إلـى هـدف اسـتعماري ثقـافي حيـث الحملات التي شنها اسكندر المقدوني في مطلع القرن الرابع قبل الميلاد على بلاد الشرق الأدنى(التسمية غربية) القديم (العراق والشام وحوض البحر المتوسط) حتى وصل إلى أطراف الهند. وأما السبب أن تأخرت الحملات الاستعمارية هو أن اليونان كان في الفترة الماضية في مرحلة بناء حضارته ولذلك كان حريصاً على التعرف على حضارات الأمم الأخرى فلما استوعبها وبنى حضارته التي ازدهرت في القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد بظهور علمائه وفلاسفته المشهورين، بدأ في حملاته الاستعمارية. وقد كان الشرق عموماً وثنياً عدا التوحيد الذي ظهر في بني إسرائيل في فلسطين.

ويـرى الـدكتور خليفـة – وفقـاً للمـذكرة– أن دول الشـرق رحّبـت بهـذا الغـزو الثقـافي فانتشرت المراكز الثقافية في الشام ومصر وشمال أفريقيا وجزر البحر المتوسط. ولا بـد أن أضـيف أن النزعـة الاسـتعمارية والاسـتعلائية وفـرض اللغـة اليونانيـة والثقافـة اليونانية كان هو السائد حتى عرف بما يسمى ب (الأغرقة) أي طبع البلاد المحتلة بالطـابع اليونـاني. وقـد أخـذ الفرنسـيون هـذا المسـلك عنـدما احتلـوا الـبلاد العربيـة الإسلامية وأطلقوا على ذلك الفرنسة. حتى أصبحت اللغة الفرنسية هي اللغة القومية في عدد من مستعمراتها السابقات رغم أن الغالبية في هذه الدول لا تعرف الفرنسية. ولكن إصرار فرنسا على ذلك إنما هو من أجل الهيمنة وفرض النظم والقيم والثقافة الفرنسية لا سيما أن النخب الحاكمة هي التي تتكلم اللغة الفرنسية.([10])

وكـان مـن مظـاهر الاحـتلال اليونـاني تأسـيس مـدن يونانيـة جديـدة منهـا "مدينـة الإسكندرية" التي أصبحت أكبر مركز ثقافي يوناني في التاريخ القديم. وقد نجحت الثقافة اليونانية في الانتشار في الشرق للأسباب الآتية:

1– ضعف الثقافة الوثنية السائدة شرقا، وعدم قدرتها على موجهة الثقافة اليونانية. (ولكن هل كانت الثقافة اليونانية إلاّ ثقافة وثنية أيضاً؟)

2- عقلانية الثقافة اليونانية في مقابل أسطورة الثقافة الشرقية آنذاك ومصدر هذه العقلانية الفلسفة المعتمدة على العقل والتي جعلت الفكر اليوناني فكراً عقلياً تحليلياً نقدياً سقطت أمامه الثقافة الوثنية بقاعدتها الخرافية.

3- حيازة اليونان للعلوم الحديثة التي لم يعرفها الشرق إلاّ في شكل عملي بسيط مرتبط بالدين، لأن المعرفة الشرقية طورت أصلاً لخدمة الوثنية.

إذن يعود الاستشراق بنوعيه العلمي والسياسي والفكري إلى اليونان باعتباره بلداً غربياً اتجه إلى الشرق للحصول على المعرفة، وبعد أن وضع القاعدة العلمية اليونانية – على العلوم الشرقية- انطلق إلى الشرق غازياً عسكرياً وفكرياً في أيام الإسكندر الذي جمع بين الهدف الاستعماري والهدف الثقافي الفكري، وفرض الثقافة اليونانية على الشرق القديم.

ويستمر هذا الغزو الثقافي اليوناني بعد انحسار اليونان كقوة عسكرية، وزوال هذه القوة على يد الإمبراطورية الرومانية. فقد تأثرت اليهودية والنصرانية بالفكر اليوناني- كانت اليهودية واليونانية ديانتين شرقيتين- وانقسم اليهود أولاً إلى فريق مرحب بالثقافة اليونانية وفضلها على اليهودية ذاتها، وفريق رافض للثقافة اليونانية واعتبرها مهددة للديانة اليهودية. وفريق ثالث رأى في الفكر اليوناني منهجاً عقلياً يمكن الإفادة منه في فهم اليهودية وتفسيرها.

وقد تأثرت اليهودية بالفلسفة اليونانية التي استخدمت لتفسير الوحي التوراتي، ودخلت في اليهودية عناصر من الفكر اليوناني أدت إلى دخول اليهودية في مرحلة من تاريخها تسمّى (اليهودية اليونانية)، ومن أشهر علماء اليهود في هذا الاتجاه هو الفيلسوف اليهودي "فيلوت" من القرن الأول الميلادي الذي أخضع اليهودية وكتابها للعقل اليوناني وسمح بالتأثيرات اليونانية على الفكر اليهودي.

أما النصرانية فهي أيضاً ديانة شرقية خضعت للفكر اليوناني ووجدت في الفلسفة أسلوباً للتفسير، وأدخلت على الألوهية –في النصرانية- أفكاراً فلسفية أدت إلى اختلاط الفكر الديني بالفكر الفلسفي مما أدى إلى تعقيد الديانة وزيادة غموضها، وعدم صلاحيتها للإنسان ذو الثقافة المتوسطة فضلاً عن اختلاف ذوي الثقافة العالية بسبب اختلاط مذاهبهم الفلسفية في تفسير النصرانية.

وقد ازدادت النصرانية تعقيداً بأخذها عن الفلسفة من جهة وعن اليهودية من جهة أخرى وعن التصوف من جهة ثالثة. وأيضاً لمحاولتها التكيف مع وثنية العالم القديم. فأصبحت ديانة مركبة من عناصر يهودية يونانية وثنية صوفية (قبل الإسلام)

وبعد الإسلام اهتم العالم النصراني –الذي فتحه الإسلام– بدراسة الإسلام كظاهرة دينية سياسية لأن الإسلام ظهر كدين قوي مهدد لبقائهم، كما ظهر كقوة سياسية عسكرية فبدأوا في دراستهم سواء من داخل العالم الإسلامي أو من خارجه.

ثانياً: تنوع الاستشراق:

المقصود بالتنوع أن الاستشراق بصفته ظاهرة فكرية لا يقوم على أساس من التوجه الفكري الواحد، ولكن تتنوع التوجهات الفكرية للاستشراق، ويمكن تصنيف هذه التوجهات كما يأتي:

1- التوجه الديني، فالاستشراق ظاهرة فكرية دينية طورها المستشرقون اليهود والنصارى للتعبير عن وجهة نظر دينية يهودية أو نصرانية تجاه الإسلام.

فالمدرسة اليهودية والنصرانية في الاستشراق مدرسة دينية هدفها الدفاع عن اليهودية والنصرانية ضد الإسلام، والرد على النقد الإسلامي لهما، وهذا هدف ديني دفاعي بمعنى أن الذي يوجه المستشرق هنا هو الدين يهودياً كان أم نصرانياً.

ثم انتقلت المدرسة اليهودية والنصرانية فيما بعد من الدفاع عن ديانتهما إلى الهجوم على الإسلام ونقده من منطلق ديني خالص. وتعتبر هاتان المدرستان من أهم مدارس الاستشراق وتمثلان الاستشراق الديني فيما يتعلق بالنظر إلى الإسلام.

وهناك اهتمامات استشراقية بالديانات الأخرى–غير الإسلام– فالاستشراق مهتم بدراسة أديان الشرق عامة، ولكن يلاحظ أن الدراسات الاستشراقية التي تتناول الديانات الأخرى كالهندوسية والبوذية وغيرهما تخلو تقريباً من مسألة الهجوم والتحدي والصراع الذي يدفع المستشرق في دراسته للإسلام. بل نجد أحياناً بعض التعاطف مع ديانات الشرق الأقصى لغرابتها من ناحية ولعدم وجود صراع مباشر بينها وبين اليهودية والنصرانية ولغياب البعد الخاص بالتحدي، ولعدم وجود خطورة من هذه الديانات على اليهودية والنصرانية مقارنة بخطورة الإسلام عليهما.([11])

2- التوجه المذهبي أو الفكري: فبالإضافة إلى الاستشراق الديني الممثل في استشراق اليهود والنصارى يوجد استشراق مذهبي فكري ينطلق من مذهب معين أو أيديولوجية معينة ويدخل تحت هذا التصنيف المدرسة الشيوعية في الاستشراق، ولها نقطة انطلاق مختلفة -تماماً- عن المدرستين السابقتين.

فالأيديولوجية الشيوعية تمثل مذهباً رافضاً للدين ومعادياً له، ولا تعترف بالأديان سماوية كانت أم أرضية. ولا يوجد ما يسمى ب"الدين" فمن أبرز شعارات الشيوعية "لا إله والحياة مادة. وهذه نقطة انطلاق مغايرة عن نقطة انطلاق اليهودية أو النصرانية المعترفة بالدين- وإن صرحت بالعداء لبعض الأديان مثل الإسلام، ولكن ليس من منطلق رفض الدين أصلاً، ولكن من منطلق الخطورة التي يمثلها الإسلام عندهم والوازع التنصيري الذي يرغب في تنصير المسلمين.

وتقوم رؤية المدرسة الشيوعية في الاستشراق على أساس مادي بحت يعتبر العوامل الاقتصادية المحرك الأساس في حياة الإنسان، ولا يعترف بأية عوامل أخرى. وتتهم الشيوعية الأديان بأنها مستغلة للشعوب ومؤدية إلى سيادة المذاهب الاقتصادية المدمرة للحياة البشرية مثل الرأسمالية، والاعتراف بنظام الملكية الخاصة. وهو من وجهة نظرها نوع من الإقطاع الذي ينتج عنه تركيز الثروة في طبقة بعينها وحرمان بقية الطبقات.

وقد فسرت الأديان من هذا المنطلق وعملت الشيوعية على فرض رؤيتها المادية الاقتصادية على شعوبها أولاً والشعوب الخاضعة لها ثانياً وكانت ترغب في تحويل العالم كله إلى الشيوعية. وانعكست هذه الأيديولوجية على مدرسة الاستشراق الشيوعي، وأصبحت هي الوسيلة الدعائية لتوصيل الأفكار الشيوعية إلى الشعوب الأخرى. وتخصص عدد كبير من مستشرقي هذه المدرسة في الإسلام والشعوب الإسلامية كمجتمعات. وخرجت هذه المدرسة بتصور شيوعي للإسلام يري في الإسلام قوة مادية ظهرت لأسباب اقتصادي تخص مجتمع شبه الجزيرة وفسرت الفتوحات تفسيراً مادياً اقتصادياً بحتاً.

وصوّر الإسلام في صورة تتفق مع الاشتراكية وسمي بمسميات تعبر عن هذا الاتفاق مثل "الإسلام الاشتراكي" و"الإسلام الثوري" و"الإسلام اليساري" أو "اليسار الإسلامي" إلخ من المصطلحات الشائعة في المدرسة.

والعجيب أن سقوط الشيوعية فضح فشل الأيديولوجية الشيوعية في جميع أنحاء العالم ماعدا شراذم في العالم العربي الإسلامي ما تزال متمسكة بهذا الفكر. وإن كان هؤلاء الشيوعيون السابقون أسرعوا في الانضمام إلى صفوف العلمانيين في تحذير الدول من انتشار الصحوة الإسلامية واتخذوها عدواً بعد أن كان عداؤهم موجهاً في السابق إلى الرأسمالية والإمبريالية والاستعمار وكانوا يربطون الإسلام مع الاستعمار. ومع ذلك فإن بعض هؤلاء ما زالوا يتمسكون بمصطلحات الشيوعية رغم سقوطها. ومن هؤلاء على سبيل المثال الدكتور عبد العظيم رمضان (من مصر) الذي يزعم أنه تقدمي. ومن تونس وجدت رفعت المحجوبي من أولئك الشيوعيين المتمسكين بأذيال الشيوعية رغم سقوطها. ومن الطريف أن الجامعات الغربية بدأت تخطب ود هؤلاء الشيوعيين السابقين وتفتح لهم الأبواب للمحاضرة وحضور الندوات والمؤتمرات في الغرب.

ومن المدارس الاستشراقية الأخرى القائمة على أساس فكري: المدرسة العلمانية في الاستشراق وهي مدرسة تخلط بين الاتجاه الإلحادي العلماني غير الديني في دراسة الأديان عامة والإسلام خاصة. والأساس في هذه المدرسة في شطرها الإلحادي إنكار الدين المبني أساساً على إنكار الألوهية، وهي قريبة من توجه المدرسة الشيوعية، إذ تشتبهان في رفض الدين وإنكار الألوهية ويختلفان في استقلال الإلحاد العلماني عن الفكرة الشيوعية.

أما المدرسة العلمانية فترى ضرورة الفصل بين الدين والدنيا، وبناء الحياة الإنسانية على أساس دنيوي خالص غير مرتبط بالدين، ولذلك طالبوا بفصل الدين عن الدولة ونجحوا في الغرب حيث انتهى الصراع بين البابوية والإمبراطورية إلى فصل السلطتين الديني والزمني عن بعضهما وسارت الحياة الأوروبية منذ عصر النهضة على أساس من هذا الفصل.

والمقصود بالمدرسة العلمانية في الاستشراق هذا الفريق من المستشرقين الذي رفض اليهودية والنصرانية وآمن بالفصل بين الدين والدولة واعتبر العقل ومنجزاته هي الأساس من المنطلق نفسه خاصة وأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تمكن من ربط الدنيا بالدين ربطاً عضوياً ورفض الفصل بينهما وطور نظماً للحكم والسياسية والاجتماع والاقتصاد تعكس هذا الربط العضوي بين الدين والدنيا.

3- توجه عربي إسلامي متأثر بالاستشراق: بالإضافة إلى التوجه الديني الذي يمثله الاستشراق اليهودي والنصراني، والتوجه المذهبي المتمثل في المدرسة الشيوعية والتوجه الفكري المتمثل في المدرسة العلمانية، تطور التوجه الاستشراقي وتبناه عدد من العلماء المسلمين الذين تأثروا بالاستشراق وطبقوا مناهجه على دراساتهم للإسلام والمجتمع الإسلامي. وهو - في الحقيقة- توجه متنوع داخلياً فأتباعه ينتمون إلى عدة اتجاهات؛ فمنهم مسلمون منبهرون بالاستشراق وحضارة الغرب عامة ويعتبرون منهج الاستشراق هو المنهج المناسب في دراسة الإسلام ومجتمعاته وانبهارهم موزع بين الأخذ بمناهج المستشرقين دون توجهاتهم أو الأخذ بالمناهج والتوجهات معاً.

ومن بين الذين تأثروا بالاستشراق مجموعة علماء انتموا إما إلى المدرسة الشيوعية- محمود أمين عالم، ورفعت السعيد، وعبد العظيم رمضان في مصر ومحمود إسماعيل (مصر) ورفعت المحجوبي، وعبد القادر الزغل(تونس) - حينما انتشرت الشيوعية في بعض البلاد العربية الإسلامية، وبدأوا يطبقون المناهج الشيوعية والعلمانية في دراسة الإسلام ومجتمعاته.

وهناك فئة أخرى عربية وليست إسلامية -وفئة غير عربية عاشت في البلاد العربية وامتزجت بها أو أقليات في بلاد غير عربية مثل إيران. هؤلاء يكونون عدداً من العلماء المنتمين إلى العالم الإسلامي ولكنهم ليسوا مسلمين (يهود ونصارى)

وهؤلاء توجههم غربي-رغم حياتهم في المجتمع الإسلامي- وهم يعادون الإسلام، ولذلك يحتلون مكاناً وسطاً بين المستشرقين في الغرب والمسلمين المتأثرين بالاستشراق. ويمكن أن نضم إليهم هؤلاء اليهود والنصارى من العلماء الذين هاجروا إلى أوروبا وأمريكا واشتغلوا بالدارسات الإسلامية في جامعاتها ومؤسساتها التعليمية. ومن الأمثلة على هؤلاء فيليب حتّي وفؤاد عجمي، وصادق جلال العظم، وعبد

القادر الزغل، ومحمد سعيد العشماوي، ونوال السعداوي، ونصر حامد أبو زيد، وسلمان رشدي، وعزيز العظمة، وبسام الطيبي وغيرهم كثير.

وأضيف أن هذا التوجه وتطبيقاته هي الأخطر في العالم العربي الإسلامي في العصر الحاضر، ذلك أن الاستعمار حينما رحل عن البلاد العربية الإسلامية حرص على أن يترك الأمور في أيدي هؤلاء من أتباعه. كما أنه حاول بعد رحيله أن يكون لهم تأثير في السيطرة السياسية والفكرية والثقافية في العالم العربي الإسلامي. ومن مظاهر قوة نفوذهم في العالم الإسلامي أنهم يهيمنون على كثير من منابر الإعلام والتوجيه والرأي. كما أنهم يعقدون الندوات والمؤتمرات الخاصة بهم التي من الصعب أن يقتحمها أحد غيرهم. ومن الأمثلة على هؤلاء مؤسسة التميمي بتونس([12]) ومؤسسة الأهرام بمصر، ومؤسسة ابن خلدون الإنمائية التي أسسها سعد الدين إبراهيم الأستاذ بالجامعة الأمريكية في القاهرة.([13]) وهذه المؤسسات تتلقى دعماً سخياً من المؤسسات الغربية مثل مؤسسة فورد (الأمريكية) ومؤسسة اديناور كونراد (الألمانية) وغيرها من المؤسسات.

ومن مظاهر سطوة هذا التوجه الاستشراقي أن معظم الدول العربية الإسلامية جعلت الشريعة الإسلامية أحد المصادر الرئيسة في تشريعاتها وليس المصدر الرئيس. وقد صرحت عدة دول إسلامية بأنها علمانية ومن هذه الدول تركيا وإندونيسيا وتونس. والعجيب أنها علمانية تختلف عن علمانية الغرب؛ فالعلمانية في الغرب تفصل بين الدين والدنيا ولكن علمانية من تعلمن من المسلمين هي محاربة الدين الإسلامي بل وصل الأمر ببعضهم إلى المناداة بتجفيف منابع التدين. مع أنه في العلمانية الغربية يعد الدين مسألة شخصية لا يضار أحد بسبب تدينه. بل يشهد الغرب في السنوات الأخيرة دعوات جادة وقوية للعودة إلى الدين حتى إن التجمع البروتستانتي في الولايات المتحدة الأمريكية يعد من أقوى التجمعات السياسية هناك.

ومن الأمثلة المؤلمة في العصر الحاضر أنه بعد أن سقطت الشيوعية تنادى الشيوعيون السابقون إلى التمسك بالعلمانية والعقل وظهر مثل هذا في محاربة الحركات الإسلامية أو الدعوات الإسلامية التي تدعو أبناء الأمة الإسلامية العودة إلى الهوية الإسلامية ونبذ الانحرافات العقدية والسلوكية والاستقلال عن التشبه

بالغرب والذوبان في الثقافات الأخرى. ويعد نموذج تركيا والجزائر ومصر من الأمثلة التـي تواصـل العلمانيـة فيهـا محاربـة الاتجـاه الإسـلامي بشـتى الوسـائل ويتنـادى المستشـرقون بتأييـد هـذه الاتجاهـات العلمانيـة فيهتمـون بهـؤلاء مـن أبنـاء العـالم الإسـلامي. فالجامعـات الغربيـة والنـدوات والمؤتمرات الغربيـة مفتوحـة لهؤلاء وكذلك الصـحف ووسـائل الإعـلام الغربيـة. فمن المحاضـرين الـذين يترددون إلـى الجامعـات الغربية صادق جلال العظم –الذي يعلن بصراحة إلحاده – ومحمد سعيد العشماوي، ونصـر حامد أبـو زيـد، ونـوال السـعداوي، وعزيـز العظمـة، ورفعـت حسـن (الباكستان) وفضل الرحمن (باكستان) وفؤاد عجمي ومسعود ضـاهر (لبنان)

ثالثاُ: شمولية الظاهرة الاستشراقية

المقصود بالشمولية احتواء الظاهرة كظاهرة فكرية لكل مجالات المعرفة الشرقية، فهي ظـاهرة علميـة تحتـوي الشـرق عامـة ولـيس الشـرق الإسـلامي فقط، فدراسـاتها تغطـى الهند والصين واليابان وغيرها فضـلاً عن تغطيتها للعالم الإسلامي. فهي إذن تحتوي معرفياً الشرق كله.

ومـن مظـاهر الشـمولية أيضـاً تغطيتهـا لكـل مجـالات المعرفيـة الإنسـانية المرتبطـة بالشرق. فهـي تغطـي المجـالات الدينيـة والسياسـية والتاريخيـة والاقتصـادية والجغرافيـة والاجتماعيـة والأخلاقيـة والأدبـي والعلميـة والفنيـة للشـرق وغيرهـا. ولـم يُبْـق الاستشـراق شيئاً شرقياً إلا درسه.

وفي زيارة لي لعدد من أقسام الدراسات الشرق الأوسطية أو معاهد الدراسات الشرق أوسـطية أو مراكـز البحـوث أو المعاهـد فـي الجامعـات الأمريكيـة فـي صـيف عـام 1416(1995) وجـدت أن العـالم الإسـلامي (الشـرق الأوسـط) يـدرس فـي جامعـة كاليفورنيا بفرعها في مدينـة بيركلي من خلال ثمانية عشر قسماً يقوم بالتنسيق بينها مركـز دراسـات الشـرق الأوسط وأذكـر فيمـا يـأتي بعض الأقسـام التـي تـدرس العـالم الإسلامي: علم الإنسان (الأنثروبولوجي)، والاقتصـاد، والسياسـة، ودراسات المرأة في الشرق الأوسط، والزراعة، والتعدين، والجيولوجيا، والعمارة، والأدب والتـاريخ، ومقارنـة الأديـان ...ويمكـن أن أضـيف إلـى ذلـك الفولوكلـور واللهجـات العاميـة أو اللغـات العاميـة، والغنـاء والـرقص والطعـام والشـراب حتـى الخرافـات والأسـاطير وغيرهـا ممـا

يمكن أن يوجد في العالم الإسلامي فإنه يُدْرس في الجامعات الغربية. وقد استحدثت جامعة نيويورك دراسة الصحافة والشرق الأوسط فيتخصص الباحث الغربي في الصحافة ويطبق ذلك على العالم العربي الإسلامي. وبعض هذه التخصصات قد استحدثت من أجل إيجاد وظائف للمتخرجين فيها؛ فهم قوم عمليون. ولا بد أن أضيف أن هذه الأقسام تعتمد في الحصول على مادتها العلمية ومصادرها التي يمكن أن يصعب على الغربيين الحصول عليها فإنهم يحصلون عليها من أبناء المسلمين الذين ذهبوا للدراسة في هذه الجامعات للحصول على الدرجات العلمية وبخاصة الدراسات العليا.

رابعاً: تعدد أهداف الظاهرة الاستشراقية

تتصف الظاهرة الاستشراقية بأنها متعددة الأهداف، ولذلك يصنف الاستشراق وفقاً لأهدافه الموضوعة له. فهناك استشراق علمي هدفه تحصيل المعرفة العلمية عن الشرق بعامة والعالم الإسلامي بخاصة، من أجل العلم ذاته وبدون الخضوع لأية أهداف أخرى غير علمية، وكثيراً ما يكون الدافع للمعرفة الاستشراقية دافعاً ذاتياً معبراً عن رغبة شخصية لدى الدارس يتجه على أساسها إلى التخصص في بلد شرقي دينياً وحضارياً وفكرياً. فلا يخضع المستشرق هنا تحت تأثير أية حكومة أو مؤسسة، ويمثل هؤلاء عادة قله بين المستشرقين ومعظمهم في الوقت نفسه يتصف بحب الموضوع الشرقي الذي يدرسه والتعاطف مع الحضارات الشرقية، وبالتالي الاتصاف بالموضوعية العلمية في دراساته. ولكننا يجب أن ندرك أن هؤلاء يُستغلّون من قبل حكوماتهم بأن نتائج دراساتهم وبحوثهم تصل إلى دوائر صناعة القرار السياسي ويستفاد منها. كما أن دول الغرب تستفيد أيضاً من الدراسات التي يقوم بها العرب والمسلمون. فمكتبة الكونجرس مثلاً لديها مندوب في دول العالم العربي الإسلامي، كما أن لديها مندوبين إقليميين. فالقاهرة لديهم هي المركز الإقليمي بالنسبة للعالم العربي. وهم يتابعون كل ما يصدر عندنا في جميع التخصصات. فيحصل هذا المندوب على ثلاثة نسخ من كل عمل، ثم بعد دراسة هذه الكتب يمكن أن يطلب عشرة نسخ أو زيادة، وتقوم مكتبة الكونجرس بتبليغ الجامعات بالكتب الجديدة مع تقارير عن هذه الكتب وأهميتها فيمكن لهذه الجامعات أن تطلبها من مندوب

الكونجرس الذي قد يطلبها من المؤلف نفسه إن لم يجد الكتاب في الأسواق ومع توفر شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) أصبح الإعلان عن صدور الكتب العربية أسرع.

وهناك استشراق سياسي هدفه خدمة المصالح السياسية لبلده وبخاصة إذا كان بلداً استعمارياً يتبنى محاولة فرض السيادة السياسية على البلد الشرقي من خلال معرفة علمية وافية عن هذا البلد على المستويات الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية. وهناك عدد كبير من المستشرقين عملوا في السياسة في خدمة أهداف بلدانهم بل خدم بعضهم في جيوش بلدانهم أو في استخباراتها([14]). وينتمي معظم هؤلاء إلى البلاد الاستعمارية المشهورة مثل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال وهولندا ، وينتمي بعضهم إلى الاتحاد السوفيتي(سابقا) ومن النماذج الحديثة جداً عن هذا التوجه السياسي أن مؤسسة راند (مؤسسة غير ربحية في سانتا مونيكا بكاليفورنيا) قد كلّفت الباحث الأرمني الأصل الأمريكي الجنسية اللبناني المولد والنشأة جوزيف كيششيان للقيام بإعداد بحث عن الأوضاع الأمنية في المملكة العربية السعودية، وقد استضافته القنصلية الأمريكية في جدة، كما استضافته السفارة في الرياض و الظهران ودعت عدداً من أساتذة الجامعات السعوديين وبعض المثقفين للاجتماع مع هذا الباحث ليفيد من آرائهم حول أوضاع بلادهم وما يرونه. وقد زرته في مكتبه بكاليفورنيا فأشار إلى أدراج خلفه وقال بنبرة فيها بعض الكبرياء والافتخار: "إن في هذه الأدراج بحثاً يحمل معلومات سرية عن السعودية." وثمة نموذج ثان وهو الباحث الأرمني ريشارد هرير دكمجيان الذي أعد بحثاً بتمويل من بعض المؤسسات حول الأصولية في العالم العربي، فنشر الكتاب في طبعته الأولى عام 1985م يتضمن الحديث عن اثنتين وتسعين جماعة إسلامية وأعيد طبع الكتاب عام 1996م وتضمن الحديث عن ثمان ومئة جماعة إسلامية. وقد درسها من خلال منشوراتها العلنية والسرية ومن خلال المقابلات مع أعضاء في هذه الجماعات أو من معلومات استخباراتية. ولا شك أن الحكومات الغربية تفيد كثيراً من هذه الدراسات.([15])

وثمة استشراق ديني فهذا الاستشراق يهدف إلى الدفاع الديني عن اليهودية والنصرانية ضد الإسلامية والنقد الموجه لهاتين الديانتين، وقد بدأ هذا الاستشراق

دفاعياً في هدفه ثم تحوّل إلى الهجوم على الإسلام من أجل تحريفه وتشويهه وتقديمه في صورة محرفة إلى الغرب وسعياً وراء إبعاد المسلمين عن دينهم من جهة، وتنمية عداوة الغرب للإسلام من جهة أخرى. ويتوزع الاستشراق الديني بين مدرستين كبيرتين: المدرسة اليهودية والمدرسة النصرانية. ولكل مدرسة أهدافها الخاصة ولكنهما يشتركان في هدفين أساسيين هما:

1- الدفاع عن اليهودية والنصرانية ، 2- الهجوم على الإسلام.

وقد تطورت المدرسة النصرانية وجمعت بين هذين الهدفين وبين هدف آخر انفردت به عن المدرسة الأخرى وأدى إلى تطور نوع جديد من الاستشراق هو "الاستشراق التنصيري" . فمن المعروف أن النصرانية تدعي العالمية وتسعى إلى الانتشار في كل العالم، فاستغلت المعرفة الاستشراقية من أجل تيسير التنصير ومد المنصِّرين بالمعلومات الضرورية عن المجتمعات المستهدفة بالتنصير، وهي تغطي العالم كلِّه، فظهر فريق من المستشرقين النصارى المهتمين بانتشار النصرانية، واشتغل بالاستشراق من أجل الحصول على المعرفة الخاصة بالمجتمعات الشرقية، كما أن الحركة العلمية التنصيرية لا تتوقف عند معرفة الشرق فقط، ولكنها تدرس كل المجتمعات في الشرق والغرب من أجل تقديم النصرانية إليها. ويصح أن نطلق على هؤلاء النصارى الغربيين العاملين في مجال التنصير في البلاد الإسلامية وغيرها من الشرق اسم المستشرقون المنصرون لأن الهدف من استشراقهم هدف ديني تنصيري. وقد ارتبط الاستشراق التنصيري بالتعليم فقد أسست المؤسسات الكنسية المعاهد والجامعات في العالم العربي الإسلامي ومن هذه المؤسسات التي ما تزال قائمة حتى الآن الجامعة الأمريكية في القاهرة وفي بيروت وفي استنبول وفي دبي، بالإضافة إلى المعاهد الأخرى. وقد أسهمت هذه الجامعات في تخريج أعداد من الطلاب العرب المسلمين الذين تسنموا مناصب مهمة في بلادهم.

ونظراً لأن الاستشراق له أهداف فكرية يسعى إلى تحقيقها ومن أهمها نشر الفكر والثقافة الغربية في بلاد الشرق، وتحقيق تغريب الشرق وربطه بالحضارة الغربية نشأ استشراق يمكن أن تسميته "الاستشراق الفكري" وهو يخدم – في المقام الأول– الفكر الغربي ويسعى إلى نشر قيم الحضارة الغربية. ولم يقتصر هذا الاستشراق على

البحوث الأكاديمية فقد انضم إلى الجامعات وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وتلفاز وسينما. وأخيراً جاء البث المباشر الذي تولى كبره بعض المؤسسات العربية الإسلامية وأخذت تروج للثقافة الغربية وفي الغالب تروج لأسوأ ما في هذا الثقافة حيث تحرص على تسطيح الفكر وإشغال الناس بالتفاهات من الأمور. وقد ظهر هذا الاستشراق مع انتشار الاستعمار في الشرق .

وارتبط بالاستشراق السياسي نوع من الاستشراق يسعى إلى الحصول على المعلومات الاقتصادية عن البلاد المستعمَرة والمساعدة في فتح أسواق جيدة للمنتجات الغربية من خلال دراسة السوق الشرقي. فتطور الاهتمام بالموضوعات الاقتصادية ومع انحسار الاستعمار ظهرت وظيفة جديدة تمثل امتداداً لهذا الاهتمام الاقتصادي في الحقبة الاستعمارية وهي وظيفة الخبير الاقتصادي في العصر الحاضر، وهو يعمل لدى الحكومات الغربية وبخاصة في وزارات الخارجية والاقتصاد، ويتخصص الباحث منهم في بلد شرقي ليقدم المعلومات والدراسات اللازمة في الناحية الاقتصادية.

وتوجد هذه الوظيفة لدى الشركات الكبرى الغربية الاقتصادية التي تعتمد على السوق الشرقي، أو تعمل في مجالات اقتصادية مرتبطة ببعض الشعوب الشرقية مثل شركات البترول العالمية، وشركات السيارات، والأجهزة الإلكترونية ...الخ، حيث يتوفر لديها الخبراء الاقتصاديون المتخصصون. ومن الجهات التي تهتم باقتصاد العالم الإسلامي بعض البنوك العالمية مثل البنك السويسري، وبنك لويد وبنك تشيس مانهاتن وغيرها. ومن المعروف أن بنك سويسرا يصدر تقريراً شهرياً عن أوضاع الدول الإسلامية المختلفة ولا يهتم بالاقتصاد وحده بل يقدم معلومات عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية والاقتصادية.

بالإضافة إلى هذه الأنواع من الاستشراق المرتبطة بالأهداف المعروف: علمية وسياسية ودينية و اقتصادية فهناك نوعان من الاستشراق يعبران عن مناحي أدبية وفنية تبلور عنها ما يعرف ب"الاستشراق الأدبي والفني" حيث تخصص بعض المستشرقين في الآداب العربية والإسلامية كما تخصص بعضهم في الفنون الإسلامية، وقد تميزت هذه النوعية من المستشرقين باندماجها الشخصي ورغبتها

الذاتية في تثقيف نفسها –أدبياً وفنياً– والرفع من درجة تذوقها للآداب والفنون الغربية من خلال إدخال موضوعات شرقية –أدبية وفنية– في الأدب والفنون الغربية.وقد تجاوز تأثيرهم الجانب الذاتي أو الشخصي إلى التأثير العام في الحركة الأدبية والفنية في الغرب، وكانت النتيجة ظهور أدباء وفنانون غربيون لا يعملون بالاستشراق أصلاً، ولكنهم تأثروا بالموضوع الشرقي من خلال الاستشراق الأدبي والفني فطوروا فناً غربياً يخلط بين الأذواق الشرقية والغربية، أو يستفيد من الموضوع الشرفي في ترقية الفنون الغربية .

والحقيقة أن هذا المجال– الأدبي والفني– يعدّ أكبر مجال متأثر بالثقافة الإسلامية الأدبية والفنية، فقد دخلت الموضوعات الإسلامية بدون حساسية في بنية الأعمال الأدبية والفنية، وحدث توجه شامل للحركة الأدبية والفنية إلى الموضوع الشرقي بعامة، والإسلامي بخاصة. والسبب في حدوث هذا التأثير الشرقي على الفكر الغربي هو بعده عن أمور الدين والعقيدة، وكونه موضوعاً فنياً لا يحدث من خلاله تأثير عقدي أو ديني على الإنسان الغربي. وقد أطلق على هذا النوع من الاستشراق بالاستشراق الأدبي أو الفني، وهو مجال مهمل في الدراسات الاستشراقية عند المسلمين الذين انشغلوا بقراءة الأعمال الاستشراقية الدينية والعقدية للدفاع عن الإسلام والرد على الشبهات، ودفع التأثير الاستشراقي في مجال الدين.

أما الاستشراق الأدبي والفني فيمثل تأثيراً مضاداً أو عكسياً فالمؤثر هو الإسلام وموضوعاته بتراثه الفني والأدبي. والأمثلة على ذلك تتضح في التأثير الكبير لقصة " ألف ليلة وليلة" و"كليلة ودمنة"، والملاحم والسير العربية الإسلامية والشرقية، وعناصر أخرى من التراث الشعبي على الأدب الغربي، وكذلك تأثير الموضوعات والأشكال الفنية الشرقية على الفنون الغربية الذي سيطر على الحركة الفنية في الغرب لفترة من الزمن.([16])

ويمكن أن نضيف اهتمام الغرب بفن العمارة الإسلامي وأنهم بلا شك أفادوا كثيراً من فن العمارة الإسلامي، وما زال هناك اهتمام بالعمارة الإسلامية في الدراسات العربية والإسلامية في الغرب ضمن أقسام الهندسة المعمارية أو أقسام العمارة أو أقسام الفنون الجميلة. وسوف تكون إحدى ندوات مهرجان الجنادرية الذي يقيمه الحرس

الوطني لعام 1417 ندوة حول تأثير فن العمارة الإسلامي في العمارة الغربية ويشارك فيها الأمير تشارلز ولي العهد البريطاني.

ولكن لهذا الاستشراق جانب سلبي ربما طغى على ما تقدم من الجوانب الإيجابية وهو أن الاهتمام بألف ليلة وليلة على ما فيها من قصص مجون وفجور ألصقت بالإسلام زوراً وبهتاناً فالإسلام دين العفة والطهر، ويحارب الرذيلة والفسق والفجور. ومن جناية هذه القصص أنها أقحمت اسم الخليفة العظيم هارون الرشيد في هذه القصص، مع أن هذا الخليفة كان من أبعد الناس عن المجون واللهو؛ فقد كان يحج سنة ويغزو سنة، كما كان يصلى كثيراً من النوافل وقد اهتم بالعلم والعلماء.

ويتركز الاهتمام المعاصر بالآداب العربية الإسلامية في الاهتمام بالكتاب والأدباء العرب المسلمين المتأثرين بالفكر الغربي. فها هو نجيب محفوظ ينال جائزة نوبل لأنه ثبت تبنيه للفكر الغربي، كما أنه كتب في بعض رواياته يتجنى على الحركات الإسلامية في مصر وعلى العقيدة الإسلامية. وانظر إلى المؤسسات والمعاهد الأدبية والغربية تهتم بمن يزعم أنه كاتب مثل محمد شكري صاحب كتاب (الخبز الحافي) وغيرهم. ومن الأمور الطريفة التي وجدتها في نشرات مركز دراسات الشرق الأدنى والأوسط بجامعة لندن (مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية) اهتمامهم بنوال السعداوي وعبد الرحمن منيف ومحمد شكري وفاطمة مرنيسي وغيرهم. ولدى مراجعة نشاطات رابطة دراسات المرأة في الشرق الأوسط التي تتخذ من الولايات المتحدة الأمريكية مقراً لها تهتم بالأدباء والكتاب المتغربين ،وتعلي من شأنهم وتفسح لهم المجال في المنتديات الأدبية في الغرب. ولو كان هذا الاهتمام إيجابياً كما أشار الدكتور خليفة فلماذا لا تتم ترجمة كتابات كتّاب مثل على أحمد باكثير أو محمد صادق الرافعي أو نجيب الكيلاني وغيرهم. فهم لا يهتمون الاهتمام إلاّ بمن كان متأثراً بهم. فقد جاء وفد مؤسسة مالوني وهم مجموعة من أساتذة الجامعات الأمريكية لزيارة المملكة العربية السعودي للتعرف على هذا البلد معرفة أولية فكان ممن اهتم بمقابلته الكاتبة رجاء عالم، ومحمد على قدس (أمين سر نادي جدة الأدبي) وغيرهما. وأتساءل لماذا لم يحرصوا على الالتقاء بأصحاب الاتجاه الإسلامي الرصين المعتدل وهم الغالبية في هذا البلد الطيب؟

خامساً : اتساع دائرة التأثير الاستشراقي.

من خصائص الظاهرة الاستشراقية أنها على الرغم من أنها ظاهرة فكرية غربية ، فقد اتسع مجال تأثرها لكي تصل إلى الشرق والغرب معاً. وعادة ما يظن أن التأثير الاستشراقي محصور في الشعوب الشرقية لكن الحقيقة أن الاستشراق له تأثيره الكبير في الفكر الغربي نفسه، وبهذا ينفرد الاستشراق كظاهرة في مسألة شمولية التأثير وتغطية العالم بأسره.

أما بالنسبة للتأثير الاستشراقي في الغرب فيتضح في الأمور الآتية:

1- إن الاستشراق مسؤول عن نقل المعرفة الإسلامية والشرقية -عامة- إلى الغرب الذي أفاد من هذه المعرفة حيث عكف المستشرقون على ترجمة النصوص الأساسية في الديانات وأيضاً ترجمة النصوص العلمية في العلوم عند المسلمين، وعند أهل الشرق وهي العلوم التي كانت أساساً في النهضة العلمية في الغرب. وهذا يعني أن الاستشراق مسؤول عن نهضة الغرب العلمية وله إسهاماته في تقدم العلم في الغرب من خلال النصوص الشرقية والإسلامية التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية قبل عصر النهضة.

2- هو أيضاً مسؤول عن تطور المنهج النقدي العقلي في الغرب وبخاصة في مجال الدين ، فقد أفاد المستشرقون وغيرهم من علماء الدين في الغرب من المادة والنصوص الدينية التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية ومن أهمها ترجمات معاني القرآن الكريم، والكتابات الإسلامية في تاريخ الأديان، ونقد الكتب المقدسة، وبخاصة اليهودية والنصرانية، وترجمة النصوص الكلامية والفلسفية ولاسيما النصوص ذات الاتجاه العقلاني مثل النصوص الاعتزالية وأعمال الفلاسفة مثل الفارابي، والكندي وابن سينا.

وقد أثر بعض هؤلاء في الفكر الغربي تأثيراً مباشراً مثل ابن رشد الذي أصبحت له مدرسة غربية تسمي " المدرسة الرشدية" وينتمي أتباعها من الفلاسفة الغربيين إلى فلسفة ابن رشد ومنهجه.

3- يمتد تأثير الاستشراق في الغرب إلى صبغ الحركة الأدبية والفنية في الغرب بصبغة شرقية من حيث الموضوع في الأدب والفن ومن حيث الأشكال الفنية والأدبية.

4- أثر الأدب الشعبي الشرقي في الفكر الغربي:وهذا الأدب كان له دور في تطور الفن القصصي والروائي في الغرب، وفي الملاحم، وله تأثيره أيضاً في الحركة السينمائية في القرن الأخير بإدخال موضوعات شرقية في الأعمال الروائية.

5- من تأثير الاستشراق أيضاً ظهور حركة نقد الكتاب المقدس في الغرب منذ القرن الثامن عشر وحتى الآن على أساس من النقد الإسلامي لكتب اليهود والنصارى ويشار بالذات إلى مدرسة المستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن، وهو مستشرق كبير ومؤسس حركة نقد الكتاب المقدس.

سادسا: أنها ظاهرة مُستَغَلّة:

تتصف الظاهرة الاستشراقية في تاريخها الطويل بأنها "ظاهرة مُسْتَغَلَّة" باسم العلم بواسطة قوى دينية وسياسية واقتصادية وفكرية. فالاستشراق في ظاهره علم واسع يغطي مجالات من الحياة الشرقية ولكنه في حقيقة الأمر " علم موجه لخدمة أغراض وأهداف سياسية واقتصادية وفكرية." وقد تمّ استغلاله بواسطة الاستعمار، كما اعتمد الاستشراق أيضاً على الاستعمار في تحقيق ما يمكن تسميته ب "السيادة الاستشراقية" في مجال الفكر في الغرب والشرق" والاستعمار اعتمد على الاستشراق واستغله من أجل الحصول على المعرفة اللازمة عن شعوب الشرق حتى يتمكن من معرفة أوضاعها ويخطط لاستعمارها.

وظل الاستشراق مستغَلاً من قبل الاستعمار، ويظهر ذلك في صورة واضحة في المرحلة الاستعمارية الأخيرة منذ القرن الثامن عشر. حيث انطلقت جيوش الاستعمار بصحبة المستشرقين الذين عملوا أحياناً كضباط وجنود وموظفين في جيوش بلادهم، فأساءوا إلى العلم أو وظفوه لخدمة مصالحهم السياسية.

ووصل الأمر إلى حد قيام بعضهم بأعمال التجسس من خلال جمع المعلومات عن البلاد الشرقية، وتسليمها للمسؤولين لاستخدامها سياسياً وعسكرياً وفي التاريخ المعاصر -بعد انحسار الاستعمار- لا يزال الاستشراق مستغَلاً من جانب الحكومات

الأوروبيـة والأمريكيـة، حيـث خصصـت فـي دوائـر الخارجيـة وظـائف " الخبـراء السياسيين والدينيين والاقتصاديين" الذين يمدونها بالمعلومات ويشاركون في تخطيط السيطرة السياسية...الخ. ومن المعروف أن عدداً من الجامعات الأمريكية ومراكز البحوث تتلقى دعماً من الحكومة الفدرالية في البرنامج الذي بدأ منذ انتهاء الحرب الثانيـة (العالميـة) فهـذه الجامعـات لا شـك تقـدم مـا لـديها مـن بحـوث ونـدوات إلـى الجهات الرسمية.

وقد قامت وكالـة الاستخبارات المركزيـة قبل سنوات بتمويـل عقد نـدوة فـي جامعـة هارفرد حول الحركات الإسلامية في العالم العربي بإشراف اليهودي ناداف سفران، فلما انكشف الأمر قبل انعقاد الندوة تم إلغاؤها. ولكن ما مرت سنوات حتى كانت الاسـتخبارات المركزيـة الأمريكيـة تعلـن أنهـا سـتعقد نـدوة شـهرية وإن كانـت سـتظل مفتوحـة حـول الحركـات الإسـلامية (الأصـولية) حيـث يشـارك المتخصصـون مـن الأمـريكيين وغيـرهم فـي تقديم معلومـات وآراء حـول هـذه الحركـات. وقد نشـرت هـذه الأخبار صحيفة (الشرق الأوسط) في صفحتها الأولى([17]).

وكمـا تـم اسـتغلال الاستشـراق بواسـطة الاسـتعمار، تـم اسـتغلاله -أيضـاً- بواسـطة الدوائر الدينية في الغرب، فقد استخدمته الكنيسة كعلم يدرس أديان الشرق وبخاصة الإسلام. ويقدم لها المعرفة الدينية اللازمة لمحاربة الأديان الأخرى وتشويهها فضلاً عن استخدام الدوائر التنصيرية لـه لتيسير مهمتها في البلاد الإسلامية، من خلال دراسة الأوضاع الدينية للشعوب والبحث في أنجح السبل لتقديم النصرانية إليهم. وقد تطور قطاع استشراقي سمي باسم " الاستشراق التنصيري " ويديره عدد كبير من المستشرقين المنصرين.

ومن الجهات التي استغلت الاستشراق واستخدمته لتحقيق مصالحها: الدوائر اليهودية الصـهيونية التـي اسـتخدمته مـن أجـل الـدفاع عـن اليهوديـة ضـد الإسـلام بالـذات، واستخدمته ...من اجل تحقيق هدف قومي وهو إنشاء "الوطن القومي لليهود في فلسـطين." والـدور الـذي قـام بـه هـذا الاستشـراق يتـراوح مـا بـين "الـدور النظـري التأصيلي." و"الدور العملي التطبيقي."

فمن الناحية النظرية ركزت المدرسة الاستشراقية الصهيونية على عملية "تأصيل الوجود اليهودي في فلسطين على المستوى التاريخي والديني." فصدرت آلاف البحوث المثبتة للحقوق التاريخية لليهود في فلسطين، وتؤكد على الوجود اليهودي المستمر في فلسطين عبر التاريخ، ولا تعترف بالسيادة النصرانية فيها في الفترة من بداية الميلاد حتى ظهور الإسلام، وبالتالي بالسيادة الإسلامية منذ فتحها حتى عام 1948م.

ويتجه هذا الاستشراق إلى تضخيم الوجود اليهودي في فلسطين ومحاولة إثبات " أن اليهود أغلبية فيها." واستخدموا في هذا المجال علمي التاريخ والآثار بتطوير نظريات تاريخية قديمة وحديثة تثبت ذلك، وتنقب عن الآثار المثبتة لذلك، أو تفسر الآثار الموجودة –فعلاً– تفسيراً صهيونياً، يثبت أصالة الوجود اليهودي واستمراريته، وتزيف أحداث التاريخ والآثار لإثبات هدفهم .

وسعى الاستشراق اليهودي على المستوى الديني إلى تأكيد الوجود الديني في فلسطين منذ القدم وحتى الآن، وذلك من خلال الدراسات التي تبرز اليهودية وتجعلها ديانة مستمرة في فلسطين عبر التاريخ وتضعها على المستوى نفسه مع النصرانية والإسلام. بل تظهرها أيضاً في شكل الدين السائد في فلسطين، وأن النصرانية والإسلام لم تكن لهما سيادة دينية بل سياسية.

ويستخدم التاريخ –أيضاً– لتزييف الحقائق الدينية وتأصيل الوجود الديني فيها، وتوظيف علم الآثار لتفسير الأثر الديني الموجود فيها من زاوية تخدم المصالح الصهيونية، والتركيز على أعمال التنقيب، وتطوير النظريات الأثرية التي يقصد منها " تشويه الآثار النصرانية والإسلامية الموجودة في فلسطين." إما باعتبارها منتمية إلى اليهودية أو عن طريق القيام بأعمال تنقيبية تحت وبجوار الأثر النصراني والإسلامي. ومن الأمثلة القريبة على ذلك النفق الذي فتحته دولة اليهود تحت المسجد الأقصى زاعمين أنه نفق قديم لهم وليثبتوا من خلاله حقهم في المنطقة.

ثامناً : ظاهرة فريدة من نوعها وليس لها مقابل في الحضارات الأخرى.

فهي فريدة في تكريس عدد من العلماء لجهودهم العملية في دراسة الشرق ، ولفترة طويلة دون أن تتوقف هذه الظاهرة، وفي الوقت لم تظهر حركة مضادة لها تتولى دراسة الغرب من جانب أهل الشرق.([18])

ويمكن تفسير هذا الأمر من خلال عدة أمور :

1- كان الشرق بالنسبة للغرب مصدراً للحكمة والفكر الديني، وذلك لأن معظم الأديان العالمية الهامة ظهرت في الشرق([19])، كما أن ديانات التوحيد ديانات شرقية (شرق أدنى)، فجمعت منطقة الشرق بين الحكمة العامة والتوحيد والفكر الديني الطبيعي، فلذلك كان الغرب معتمداً على الشرق في فكره الديني، ويلاحظ أن الغرب لم ينتج أدياناً كبرى وإنه في مسألة الأديان تابع للشرق منذ القدم.([20])

وقد عوّض الغرب هذا النقص بالتفوق في مجال الفلسفة، وإن كانت فلسفته هذه متأثرة بالفلسفة الهندية والصينية. فإذاً هناك توجه ديني غربي إلى الشرق دون مقابل معاكس فالشرق هو مصدر الأديان والحكمة.

2- إن الغرب محدود جغرافياً وبالتالي كان الشرق يمثل طموحاته السياسية والاقتصادية، ونحن نتحدث عن الغرب قبل أمريكا واستراليا ، فكان محصوراً في أوروبا، وهي قارة مزدحمة بالدول والقوميات والصراعات، ولذلك كان الشرق يمثل متنفساً للغرب ومحطاً لطموحاته وتوسعاته، فكان موضع طمعهم وغزواتهم. والجيوش الصليبية في العصور الوسطى(الأوروبية) التي سعت إلى فتح أسواق جديدة وتامين أسواق قديمة وحل مشكلات النظام الإقطاعي الغربي الذي ضاق بهم، فاتجهوا إلينا بحثاً عن إقطاعيات جديدة للنبلاء والأمراء. ويضاف إليه الأطماع الاستعمارية الحديثة تجاه الشرق، والتي نتج عنها –في الغرب – اكتشاف العالم الجديد، واستعمار معظم العالم الشرقي.

وهذا الأمر جعل معرفة الشرق مهمة للغرب عبر التاريخ، وأدت إلى الاحتكاك المستمر، وقامت منطقة الشرق الأدنى(الأوسط) بدور الوسيط الحضاري بين الغرب والشرق الأقصى (الهند)، وكان الشرق الأوسط يمثل منطقة وسطى يعبر منها الغرب إلى الشرق.

وفـي مقابـل هـذا الاهتمـام الاسـتعماري الغربـي، لـم يتـوفر لـدى أهـل الشـرق الهـدف الاستعماري، وإن ظهر هذا الهدف لدى بعض القوى فعادة ما يقف اتساع الشرق حائلاً دون فرض السيطرة على الشرق بأكمله ثم العبور إلى الغرب، فمثلاً غزوات المغول التي أتت من أقصى الشرق، وقبل أن تكمل غزو الشرق كانت قد تحللت وسقطت.

3-تأثير ما يسمى بعض الكشوف الجغرافية، واكتشاف العالم الجديد على تقوية نزعة الغـرب الاسـتعمارية وحـب السـيطرة فضـلاً عـن نمـو الرغبـة فـي معرفـة الشـعوب واكتشـافها، وإن هـذا الاكتشـاف دفـع الغـرب إلـى اكتشـاف العـالم القـديم رغبـة فـي استعماره ومعرفة شعوبه دينياً وحضارياً، وحباً في الرحلة إلى الأماكن المجهولة من العالم ودراسة شعوبها ومثل هذا التوجه لم يتوفر لدى الشرق.([21])

ويمكن أن نشير إلى أن الإسلام بانتشاره بين شعوب الشرق أدى إلى تطور حركة هجرة داخلية من البلاد العربية إلى البلاد الآسيوية والإفريقية بهدف نشر الدين في منـاطق جديـدة، وبعيـداً عـن النزعـة الاسـتعمارية التـي طغـت علـى غـزوات الغـرب للشرق. وقد تطور عند المسلمين بداية حركة علمية دراسة لشعوب الشرق، خاصة وأن العلـم الإسـلامي اعتمـد منـذ البدايـة علـى الرحلـة فـي طلـب العلـم، ولـذلك تفـوق المسلمون في علوم الجغرافيا والفلك واكتشفوا بـلاداً جديـدة، ووضـعوا جغرافيـة الـبلاد الشرقية وعاداتها ودوّنوها في مصادر أساسية في علم جغرافية ودراسة الشعوب إلى يومنـا هـذا. ولكـن هـذه الحركـة العلميـة الإسـلامية المكتشـفة للشـعوب الأخـرى ظلـت محصورة في إطار الشرق، وبخاصة آسيا وأفريقيا، ولم تدرس من شعوب أوروبا سوى بعض البلاد الأوروبية الشرقية التي تمكن الإسلام من الوصول إليها.

وفـي التـاريخ الحـديث للمسلمين ظهـر اهتمـام جديـد بـالغرب وشـعوبه وبخاصـة عنـدما أصبح الغرب مصدراً للعلم والمعرفة، فبدأت حركة علمية لا تهدف إلى أخذ المعرفة عن الغرب فحسب بل إلى معرفته ديناً وحضارة. ولذلك يوجد اهتمام إسلامي حديث بالحضارة الغربية ودياناتهم،وبالفكر الغربي والفلسفة، والعلوم، والتكنولوجيا الغربية.

ولكن يلاحظ علـى هذه الحركـة العلميـة الإسـلامية أنهـا لا تمثـل توجهـاً إسـلامياً عامـاً لدراسة الغرب -كما هو حال الاستشراق - كما أن الدافع إلى دراسة الغرب يخلو من

أهداف الاستشراق ومقاصده. كما يلاحظ أن الدراسات الشرقية للغرب دراسات عشوائية غير منظمة، وانتقائية وليس لها هدف واضح ولا تتصف بالشمولية، وضعيفة التأثير في الغرب ولا تستطيع مواجهة الاستشراق كفكر مؤثر في الشرق .

وقد نادى بعض الناقدين للاستشرق بتطوير علم (الاستغراب) ويقصد به (علم يدرس الغرب دراسة شاملة) كما يفعل الاستشراق مع الشرق. ولكن هذا العلم غير موجود ولا يمكن أن ينشأ عشوائياً بلا أهداف، ولا بد من توافر الأسباب المؤدية إلى ظهور الاستغراب حتى يظهر هذا العلم.([22])

- الحواشي :

[1]-أستفدت في إعداد هذه المادة من المحاضرات التي كان يلقيها الأستاذ محمد خليفة حسن أحمد في قسم الاستشراق بكلية الدعوة بالمدينة المنورة عام 1416هـ

[2] - ساسي سالم الحاج. الظاهرة الاستشراقية. (مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي) 1990. مجلدان في أربعة أجزاء.

[3] -الحاج ، مرجع سابق م1 ،ص 19 وما بعدها.

[4] - أبو بكر باقادر. من حديثه في إحدى ندوات الجنادرية المهرجان الحادي عشر في الرياض عام 1416هـ. وكانت الندوة بعنوان الإسلام والغرب.

[5] -أكرم ضياء العمري. " الاستشراق هل استنفد أغراضه؟ في ملحق التراث- صحيفة المدينة المنورة. ع 9116، بتاريخ 1412/11/15هـ

[6] -سورة يوسف آية.108

[7] -سورة النحل آية 125

[8] - سورة آل عمران آية 64.

[9] - سورة الجاثية آية 23.

[10] -عبد العلي الودغيري. الفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب.(الرباط: سلسلة كتاب العلم) 1993 م، وهو عبارة عن عدد من النصوص المترجمة من اللغة الفرنسية تفضح خطط فرنسا في فرض لغتها على الشعوب التي كانت مستعمَرة مع تعليقات من الدكتور الودغيري.

[11] – مراد هوفمان، محاضرته في مهرجان الجنادرية لعام 1416 ، ذكر بأنها سوف تنشر بنصها في مجلة دراسات إسلامية التي تصدر من الهند. وقد قال ما نصه:" وفي الحقيقة فإن هذه التعددية المعاصرة وما تظهره من تسامح لا محدود يختفيان بشكل مفاجئ في وجه الإسلام. فالعادات والممارسات التي تقبل بسهولة من الآخرين تلاقي الشجب والاستنكار إذا صدرت من مسلمين ويتهم أصحابها بأنهم متعصبون بدائيون غير دستوريين ورجعيون.. كما أن مريم العذراء أم تصور البتة دون غطاء رأس بينما لو أرادت فتاة مسلمة أن تغطي رأسها وتذهب إلى مدرسة في فرنسا فقد تقابل بالرفض. ونشر هذا النص في كتاب صدر عن إدارة الإصدارات بالجنادرية، 1417هـ

1–تعقد هذه المؤسسة مؤتمرات بتمويل من مؤسسة كونراد إديناور الألمانية ،وهذه المؤسسة تدعم نشاطات مؤسسات أكاديمية في إسرائيل أيضاً ومنها مركز موشيه ديان لدراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

1– وجهت له الحكومة المصرية اتهاماً بالاتصال بدول أجنبية والحصول على تمويل أجنبي وحكم عليه بالسجن ولكنه أفرج عنه بعد فترة من الوقت، ويمكن أن نذكر أنه كان يعادي(وربما لا زال) الاتجاه الإسلامي ويحرض الحكومة المصرية والغرب ضد الحركات الإسلامية.

1 –أصدرت الحكومة الأمريكية قبل عدة سنوات مرسوماً لتمويل دراسات الشرق الأوسط في عدد من الجامعات واشترطت على من يلتحق بهذه البرامج أن ينتمي إلى الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) وقوبل هذا القرار بالاستهجان والاستنكار من العديد من المنتسبين لهذا المجال، ولكن لا أشك أنه التحق عدد من الباحثين بهذه البرامج وقبلت بعض الجامعات الأمريكية التي تعاني من نقص في التمويل أو أزمات مالية.

2– ظهرت كتابات استشراقية كثيرة قبل الحملة الأمريكية على العراق تحث الحكومة الأمريكية والعالم الغربي على محاربة العالم الإسلامي وانضم هؤلاء المستشرقون إلى ما عرف في الدوائر السياسية الأمريكية بالصقور. وقد كانت أصواتهم أقوى فقد

نجحوا في جر الحكومة الأمريكية لحرب العراق واحتلالها رغم أن هذا الأمر لم يحصل على تفويض من الأمم المتحدة.

[16] – زينات بيطار. الاستشراق الفني الرومانسي الفرنسي ، (الكويت : سلسلة عالم المعرفة. 1992م)

[17] – الشرق الأوسط، ع 3888في 21يوليو 1989م (1409/12/18هـ) ،

[18] –كتب الدكتور السيد محمد الشاهد في مرآة الجامعة مقالة يقدم فيه اقتراحاً بإنشاء قسم للدراسات الغربية ، وظهر بعد ذلك كتاب للدكتور حسن حنفي بعنوان (مقدمة في علم الاستغراب) كما تيسر لكاتب هذه السطور تقديم محاضرة في نادي أبها الأدبي بعنوان (المعرفة بالآخر بالآخر :ظواهر اجتماعية من الغرب) وقد كتبت داعياً لدراسة الغرب في كتابي الذي صدر عام 1409بعنوان :(الغرب في مواجهة الإسلام)

[19] –ترد كلمة ديانات في هذه المذكرة والذي يؤمن به المسلم هو أن الدين واحد كما جاء في قوله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) وإنما هي شرائع ورسالات نزلت على الأنبياء والرسل في مختلف العصور والأزمان. ولكن هذا الأمر خطأ شائع .

[20] – عجيب مثل هذا الكلام فالبشر لا يصنعون ديناً ، والشرق لم يأت بالدين من عند نفسه ولكن الله أعلم حيث يجعل رسالته ، فلذلك ليس للشرق فضل في هذا الأمر، ثم لماذا نسميه شرق ، وهو قلب العالم وإنما هو شرق بالنسبة للأوروبيين. فسامح الله الدكتور خليفة على مثل هذه العبارات، وعفا عنّا وعنه.

[21] – هذا الكلام ليس صحيحاً على إطلاقه فقد كانت لدى شعوب الشرق فكرة مفادها أن أوروبا إنما هي مجموعة من الشعوب الهمجية البربرية التي لا طائل من التعرف إليها أو الذهاب إلى بلدانها وقد جاءت بعض هذه الأوصاف في كتب اليونان ، وبعض الرحالة المسلمين فيما بعد .أما رغبة المسلمين في الرحلة والسفر فكانت لدى العرب رحلتان إحداهما إلى الشام والأخرى إلى اليمن ، وكان العرب على معرفة بالفرس والروم ،

[22] – دعت ندوة أصيلة بالمغرب التي عقدت صيف العام الماضي 1996 إلى إنشاء معهد للدراسات الأمريكية في أصيلة ، وقد تناول هذا الموضوع عدد من كتّاب

جريدة (الشرق الأوسط) ولكن ينبغي أن نعلم أن الذي يتصدى لدراسة الغرب يجب أن يكون أولا على معرفة بالإسلام حتى يكون لديه المعايير والميزان للحكم على الأمور من الوجهة الإسلامية. وقد كتبت مقالة أشيد بقسم الاستشراق بكلية الدعوة بالمدينة المنورة، وكان عنوان المقال:" جامعة الإمام سبقت ندوة أصيلة" ومن المهم أن أشير إلى أن جامعة لندن قد أنشأت معهداً باسم معهد دراسات الولايات المتحدة ، ويعطي درجة الماجستير في هذا الدراسات ، كما علمت أن في كندا معهداً مماثلاً للمعهد البريطاني

==========

#حقيقة نهاية الاستشراق >

كثر الحديث عن نهاية الاستشراق ومن ذلك ما كتبه علي حرب في صحيفة محلية في المملكة زاعماً أن الاستشراق أضعف فروع المعرفة في الغرب وهو في طريقه إلى الانقراض[1]. وناقش الدكتور أكرم ضياء العمري هذه المسألة في محاضرة له بعنوان "الاستشراق هل استنفد أغراضه؟"[2] وقد خلص الدكتور العمري أن الاستشراق لم يستنفد أغراضه بعد فما زال قائماً ومازالت مئات الدوريات تصدر عنه ومازالت المطابع تدفع إلى الأسواق مئات أو ألوف الكتب كل عام من تأليف الباحثين الغربيين. وطالب في ختام محاضرته أو كتابه أن يتقدم المسلمون أولاً لتمثيل أنفسهم أمام أنفسهم ثم يمثلوا أنفسهم أمام العالم.

وتعود قضية نهاية الاستشراق إلى آخر مؤتمر للمستشرقين عقد تحت رعاية المنظمة الدولية للمستشرقين في مدينة باريس بفرنسا عام 1973م، وكان هذا المؤتمر الاستشراقي في مناسبة مرور مائة عام على بداية عقد المستشرقين. وفي هذا المؤتمر دار نقاش وتصويت بين المستشرقين على تغيير الاسم وتسمية الجمعية باسم جديد هو "المؤتمر العالمي للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا". وعقد تحت هذا الاسم مؤتمران ثم تغير الاسم إلى "المؤتمر العالمي للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية". وقد عقد المؤتمر مؤخرا في مدينة بودابست بالمجر، وحضره أكثر من ألف باحث معظمهم من أوروبا وأمريكا وروسيا في شهر ربيع الأول 1418هـ (7-12يوليه 1998م) وحددوا موعد المؤتمر القادم في مونتريال بكندا عام 2000م.

وقد يقول بنهاية الاستشراق من ليس له إطلاع على أقسام الدراسات العربية وأقسام دراسات الشرق الأدنى والشرق الأوسط أو مراكز البحوث والمعاهد المتخصصة أو معاهد البحوث الاستراتيجية أو معاهد البحوث حول الشؤون الدولية. ذلك أن النشاط الاستشراقي في هذه المراكز والأقسام مستمر ومتواصل وأن القوم لم تنقطع صلتهم بالحركة الاستشراقية بل هناك من الدلائل على أنهم ينطلقون في دراساتهم للعالم الإسلامي عقيدة وشريعة وأخلاقاً واجتماعاً وغير ذلك من المجالات مستندين إلى الجهود الاستشراقية لجولدزيهر وشاخت وبيكر ونولدكه وتوماس آرنولد وغيرهم.

وقد يكون الاسم قد تغير ودخل إلى مجال الدراسات الشرق أوسطية باحثون لا يتصفون بالصفات أو المؤهلات التي كانت للمستشرقين ولكن العمل في البحث في كل قضايا المسلمين ما زال قائماً وإن تغيرت بعض مناهج الدراسات أو أساليبها أو طريقة عرضها. كما أن الدراسات العربية الإسلامية تستعين حالياً بعدد كبير من الباحثين المسلمين والعرب الذين يجدون كل التأييد والدعم والمساندة من المراكز الاستشراقية أو مراكز دراسات الشرق الأوسط.

نهاية الاستشراق كما يراها الغربيون

بعد أن أصدر إدوارد سعيد كتابه الاستشراق بأربعة أعوام كتب برنارد لويس مقالة طويلة بعنوان (مسألة الاستشراق) يتناول فيها ما توصل إليه المستشرقون في مؤتمرهم العالمي في باريس عام 1973 فكان مما قاله "لقد أصبحت كلمة "مستشرق" منذ الآن فصاعداً ملوثة هي الأخرى أيضاً، وليس هناك أمل في الخلاص، ولكن الضرر هنا أقل لأن الكلمة كانت قد فقدت قيمتها وحتى أولئك الذين تدل عليهم تخلوا عنها ...". وكانت مناسبة جيدة لإعادة النظر في طبيعة المؤتمر ووظائفه، ثم سرعان ما تبين لهم أنهم متفقون جميعاً على ضرورة التخلي عن هذه التسمية (تسمية الاستشراق) [3]

ولنا أن نتساءل، ما الأسباب التي أدت إلى أن تصبح كلمة "مستشرق" ملوثة؟ هل أتي هذا التلوث من فراغ أو كان للمستشرقين يد في إحداث هذا التلوث بما ارتكبوه من أخطاء جسيمة في دراساتهم للإسلام ولتاريخ الأمة الإسلامية. فلو توقفنا عند الاستشراق في القرون الوسطى الأوروبية نجد أن الأوروبيين أنفسهم قد اكتشفوا

ضخامة الأحقاد التي حملتها تلك الكتابات التي كانت مدفوعة بمحاربة الإسلام وتشويه صورته في أذهان الغربيين حتى لا يقبلوا على الإسلام أو حتى يستخدمها المنصرّون الذين بدؤوا ينطلقون إلى أنحاء العالم لنشر ديانتهم أو السيطرة على الشعوب الأخرى التي كانوا ومازالوا يرونها أقل منهم حضارة ومدنية.

والأسباب كثيرة التي أدت إلى تلوث مسمى الاستشراق ومن ذلك ارتباط بعض المستشرقين بالدوائر السياسية والمخابراتية لبلادهم حيث قدموا خدمة الأغراض السياسية على الإخلاص للبحث العلمي. كما أن بعضهم كان مدفوعاً بأحقاد الماضي التي لم يستطع التخلص منها.(*)

وهل انتهى التلوث بانتهاء هذا الاسم؟ بعد أن لم يعد في معظم الجامعات الأوروبية والأمريكية أقساماً يطلق عليها اسم (الاستشراق)؟ فالذي يبحث في إنتاج هذه الأقسام أو الأساتذة الذين يعملون فيها أو الاهتمام الذي يولونه لبعض العرب والمسلمين المتأثرين بالفكر الغربي في النظرة إلى الإسلام والمسلمين أو الذين ترفضهم المجتمعات الإسلامية فيجدون الملاذ الآمن في المجتمعات الغربية يعرف أن التلوث مازال قائماً حتى في الأقسام الجديدة فقد تغير الاسم وبقي المسمى.

ويمكننا القول إن ظهور هذه الأسماء الجديدة أو الأقسام والتخصصات والتفرعات الجديدة لا يعني نهاية الاستشراق، وإنما ذلك تطور طبيعي لمجال معرفي كان محصوراً في عدد محدد من المتخصصين في الشرق وبخاصة العالم العربي الإسلامي. ولما أصبحت العلوم المختلفة ذات كيانات مستقلة كعلم الاجتماع وعلم الإنسان والعلوم الأخرى وأصبح لها معطيات ومناهج جديدة فلا بد أن يستفاد منها في دراسة الشعوب الأخرى للتمكن من المعرفة الدقيقة لهذه الشعوب.

ويرى رودنسون أنه بالرغم من ذلك فإن كثيراً من المستشرقين مازالوا مصرين على وجود هذا المجال وأنهم كما يقول "سجناء الاستشراق، منغلقون على أنفسهم داخل غيتو، وهم سعداء في ذلك غالباً! بل إن مفهوم الاستشراق نفسه ناتج عن ضرورات عملية عابرة التقى عندها العلماء الأوروبيون المتمرسون بدراسة الثقافات الأخرى، وشوّهت هذه الحالة بقوة رؤيتهم للأشياء."[4]

وليس الأمر صحيحاً في أن مفهوم الاستشراق نفسه ناتج عن ضرورات عملية وأن هذه الحالة شوهت بقوة رؤيتهم للأشياء فما زال الباحثون الغربيون ينهلون من الكتابات الاستشراقية وما زالت بعض كتاباتهم تحتوي على التشوهات نفسها التي ظهرت حتى في كتاباتهم في القرون الوسطى الأوروبية. وقد أصبحت كتابات المستشرقين مصادر لكثير من الإعلاميين فانتقلت التشوهات والأخطاء والمفتريات الاستشراقية من المجال الأكاديمي إلى المجال الإعلامي فازدادت انتشاراً وذلك لسيطرة وسائل الإعلام في مجال نشر الفكر والثقافة في العصر الحاضر. ويؤخذ على الإعلاميين أنهم يأخذون أبحاث المستشرقين الغربيين على أنها مسلمات ثابتة وليست أفكاراً قابلة للخطأ والصواب، وقابلة للتحيز والإنصاف.

أما المستشرق الإسباني فراسيسكو غابرييلي فيرى أن الاستشراق الذي كان يعد في البداية علماً واحداً متكاملاً "سرعان ما انقسم إلى فروع وتخصصات مستقلة بعضها عن بعض ومتعلقة بمختلف الحضارات الخاصة بالشرق الأفريقي –الأسيوي. "وأشار إلى الجمعيات الاستشراقية التي ما تزال قائمة مثل (الجمعية الاستشراقية الألمانية، والجمعية الآسيوية الملكية الإنجليزية والجمعية الآسيوية الفرنسية) وكذلك المؤتمرات الاستشراقية" قد أخذت تميل إلى عقد مؤتمرات أكثر تخصصاً بشؤون العالم العربي والإسلامي والهندي والصيني وغير ذلك من مجالات البحث والتخصص." [5]

ويرى غابرييلي أن الاستشراق "الذي كان في طريقه إلى الضياع أو بالأحرى إلى الانحلال والذوبان في تخصصات فرعية دقيقة أكثر فأكثر، وذلك من وجهة نظر علمية بحتة، أصبح الآن موحداً من جديد ومتحلياً بشخصية أيديولوجية وسوسيولوجية وسياسية. ولكن هذه الصورة المقدمة عنه غير مقبولة من وجهة نظرنا، وذلك لأنه من خلال هذه الصورة بالذات وضع في قفص الاتهام، وراحوا يحاكمونه على أصوله ومقاصده ومناهجه ونتائجه."[6]

ويؤكد غابرييلي على أن الاستشراق الذي درس الشعوب الأخرى بمناهجه ومفاهيمه الخاصة لا يمكنه التراجع عن ذلك بل يرى أن ذلك حقاً له "فالواقع أنه يحق للغرب أن يطبق على الشرق مفاهيمه ومناهجه وأدواته الخاصة التي كان قد بلورها في تاريخه الحديث، كما يحق له أن يطبق معاييره الخاصة على ما ندعوه بالتاريخ

والحضارة والثقافة والفلسفة والشعر، بمعنى آخر فإنه إذا كان البعض يحلمون بإمكانية جعل الفكر الغربي يتراجع عن نتائج دراساته التاريخية الطويلة للبشرية وتفسيرها فإنهم واهمون."[7]

ومن الذين تناولوا نهاية الاستشراق المستشرق الفرنسي كلود كاهين في رده على مقالة أنور عبد الملك (أزمة الاستشراق) حيث بدأ بالحديث عن إنجازات الاستشراق وفضله على الباحثين العرب المسلمين فقال "ولكن ينبغي أن يعرفوا أيضاً أن الاستشراق الأوروبي هو الذي أخذ المبادرة في العصور الحديثة لدراسة تاريخهم الخاص، وأنه لولاه لكانوا عاجزين عن أن يقولوا عن ماضيهم نصف ما يستطيعون قوله اليوم بطريقتهم الخاص، فنحن لا نزال نمتلك حتى الآن الميزة المتفوقة التالية، إننا قادرون على الاهتمام بتاريخ كل شعوب العالم وليس بتاريخنا الخاص."[8]

ويرى كاهن أن التقدم العلمي الغربي الحاضر يفرض على الشعوب الأخرى حين تريد دراسة الحضارات الأخرى أن تأخذ بالنموذج الغربي وذلك في قوله "وفي يومنا هذا نلاحظ أن خط التقدم العلمي والنضج الثقافي اللازم لدراسة هذه الحضارات الشرقية أو الغربية لا يزل يمر من خلال الاستشراق الغربي، أي من خلال الفكر التاريخي والفيلولوجي والاجتماعي الأوروبي"[9] ويضيف كاهن قائلاً "ونلاحظ أن بعض الشرقيين الأذكياء والجريئين قد أخذوا يسلكون هذا الطريق واستطاعوا في بعض الحالات أن يصلوا إلى مستوى زملائهم الغربيين أنفسهم من حيث السيطرة على المنهجية العلمية."[10]

هذه هي نظرة الاستعلاء الغربية فالعلماء العرب لم ينكروا تقدم الغرب ومدنيتهم ولكن أن يسعى العالم فقط لأن يلحق بالغرب فقط وينتظر من علمائه شهادة التفوق والذكاء فهذا أمر لا تقبل به أي حضارة مهما كانت متخلفة فكيف بالحضارة الإسلامية؟ وحتى إن كانت البلاد الإسلامية تعاني من التخلف في المجالات العلمية والتقنية فإننا لا ننتظر الشهادة من الباحثين الغربيين. ويمكن أن نلاحظ أن الباحثين العرب الذين وصلوا إلى المستوى الذي يرضى عنه كاهن إنما هم طه حسين وهشام جعيط ومحمد عابد الجابري وأنور عبد الملك وعزيز العظمة وأمثالهم ممن تأثروا بالفكر الغربي والمناهج الغربية.(*)

أما بالنسبة لمشاركة المسلمين في دراسة قضاياهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فإن معهد الدراسات الإسلامية في مونتريال بكندا قد بدأ منذ أكثر من خمسين سنة يشجع الطلاب العرب والمسلمين على دراسة أوضاع بلادهم تحت إشراف أساتذتهم من المستشرقين. وقد كان المبرر الذي ذكره تقرير هايتر لذلك أن الطالب العربي المسلم يكون بعيداً عن بلاده ومشكلاتها ويستطيع بالتالي أن يبحث بحرية وتجرد أكثر مما لو كان في بلاده. وقد أعجبت هذه الفكرة معدو تقرير هايتر فقرروا نقل الفكرة إلى الجامعات البريطانية.[11] ولكن لا بد أن نذكر أن هناك مبررات أخرى وهي أن الباحث العربي المسلم أقدر على جمع مادته العلمية من بلاده، وقد يكون في ذلك أحياناً توفير للنفقات المالية التي يمكن أن يتكلفها الباحث الغربي لو كان محتاجاً لجمع هذه المادة. وذكر أحمد غراب أن بعض البحوث التي يوجه الطلاب العرب للقيام بها ذات طبيعة استخباراتية وذكر من ذلك أنه طلب من أكثر من باحث مسلم أن يبحث في قضايا الحركات الإسلامية في بلاده وإذا ما رفض الطالب فإنه قد لا يسمح له بتسجيل موضوع آخر.[12]

ويرى برايان تيرنر Bryan S. Turnerأن الاستشراق قد أظهر العديد من أعراض الأزمات الداخلية والانهيار منذ الحرب العالمية الثانية ، ولكن البديل لم يكن من السهل إيجاده وذلك لأن الاستشراق ما زال يحتفظ بدعم فكري ومؤسساتي، فالاستشراق يملك مقومات ذاتية تدعم وجوده. وقد جرت عدة محاولات لإعادة بناء هذا المجال العلمي ومن أمثلة ذلك ما قامت به مجلة دراسات الشرق الأوسط Review of Middle East Studies ومشروع بحوث ومعلومات الشرق الأوسط [13Middle East Research and Information Project.(MERIP) [

- الحواشي :

[1] –علي حرب. " الأنا والآخر بين الاستشراق والاستغراب. في عكاظ. ع (11603)، 4صفر 1419 الموافق 29مايو 1998.

[2] –أكرم ضياء العمري . موقف الاستشراق من السيرة والسنّة النبوية. (الرياض :مركز الدراسات والإعلام:دار إشبيليا، 1998/1417. وكان هذا الكتاب قد نشر في

ملحق التراث بجريدة المدينة المنورة بعد إلقاء المحاضرة بعدة أشهر من إعداد كاتب هذه السطور حيث استنسختها من الشريط.

[3] –برنارد لويس. "مسألة الاستشراق" في الاستشراق بين دعاته ومعارضيه. إعداد هاشم صالح (لندن: دار الساقي، 1994) ص 159–182. وقد نشرت المقالة أصلاً في New York Review of Books وقد ناقشت هذه المقالة في كتابي (الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية ، 1416)

* –من المستشرقين الذين ارتبطوا بالدوائر الاستعمارية صراحة المستشرق الهولندي سنوك هورخرونيه ولكن كبار المسؤولين الهولنديين في جامعة ليدن بهولندا أصروا على الإشادة به في افتتاح المؤتمر العالمي الأول حول الإسلام والقرن الواحد والعشرين الذي عقد في ليدن في يونيو 1996.

[4] –المرجع نفسه.

[5] –فرانسيسكو غابرييلي. "ثناء على الاستشراق" في المرجع السابق. ص 21–30 ونشر الأصل بالفرنسية بعنوان Apologie de l’Orientalisme. In Diogene, No. 50 (1965).

[6] – المرجع نفسه .

[7] – المرجع نفسه.

[8] –كلود كاهن. "كلود كاهن يرد على أنور عبد الملك :رسالة إلى رئيس تحرير مجلة "ديوجين." في الاستشراق بين دعاته ، مرجع سابق ص 35–38.

[9] – المرجع نفسه.

[10] – المرجع نفسه.

* –تحدث أحد المستشرقين الكنديين في المؤتمر العالمي الأول حول الإسلام في القرن الواحد والعشرين الذي عقد في ليدن في الفترة من 3–7يونيو 1996 عن تجربته مع الباحثين الإندونيسيين بحكم تخصصه في الإسلام الإندونيسي وأثنى على تطورهم . فتعجبت من هذا الأسلوب الأبوي فيكف يضع المستشرق نفسه في موضع

الحَكَم على الباحثين المسلمين ، وكأنه يشير إلى أن احتكاكهم بالغرب هو الذي أفادهم وجعلهم يتطورون.

[11] – Sir William Hayter. Report of The Sub-Committee on Oriental, Slavonic, East European and African Studies. London, 1961.

[12] –أحمد عبد الحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق.ط2 (بيرمنجهام : المنتدى الإسلامي، 1411)ص 145.

[13] – Bryan S. Turner. " Islam" and Orientalism". In Orientalism, Islam and Islamists.ed. Asaf Hussain et al.(Brattleboro: Vermont: 1984) p.p. 23-43.

============

أزمة الاستشراق >

لقد أطلق هذه العبارة أنور عبد الملك في مقالة له بعنوان " الاستشراق في أزمة " نشرها في مجلة الجدلية الاجتماعية Dailiqtique Sociale La بباريس عام1971م. وأعيد نشرها في مجلة الفكر العربي المعاصر) (عدد 32في) تناول فيها نقد الاستشراق من حيث مسلماته ومناهجه وأدواته، وأكد على ضرورة نقد الاستشراق لاسيما وان الدول التي كانت خاضعة للاستعمار أصبحت دولاً ذات سيادة " أصبحوا "ذواتاً" أسياداً"([1]).

وختم عبد الملك مقالته بعدد من التوصيات حول إعداد الباحث الغربي في الدراسات الاستشراقية من حيث معرفة اللغة والتمكن من المعارف المختلفة الخاصة بالعالم العربي الإسلامي. وكان مما قاله :" لقد حان الوقت لاعتماد توجه جديد بالضرورة ، ويرى المرء من الناحية الموضوعية أن مختلف قطاعات الاستشراق المعاصر في السنوات الأخيرة قد بدأت تعي هذه الضرورة. "([2])

أما الدكتور محمد خليفة فقد تناول أزمة الاستشراق بمذكراته التي أثبت هنا نصها مع بعض الإضافات التي أشير إليها في حينه:

تعود أزمة الاستشراق المعاصر إلى عدد من الأسباب التي يعود معظمها إلى فترات تاريخية مختلفة منها أسباب واكبت الاستشراق منذ بدايته واستمرت معه حتى العصر الحديث، ومن بينها أسباب تعود إلى التاريخ الحديث والمعاصر. وقد أثرت هذه الأسباب على طبيعة الاستراق وأدت إلى نوع من الغموض في ماهية الاستشراق وطبيعته وفي شخصية المستشرقين عبر العصور وولدت هذه الأسباب مجموعة من الأزمات المتداخلة فيما بينها أزمة الهوية وهي تختص بغموض الاستشراق وعدم القدرة على تحديد طبيعته هل هو علم أو حركة فكرية أو مذهب أو غير ذلك.

وولدت أزمة منهجية من حيث أن الاستشراق ليس له منهج واضح يمكن مقارنته بالمناهج العلمية التي طورتها العلوم المختلفة نظرية أو تجريبية أو اجتماعية أو إنسانية الأمر هذا فظلاً عن الأزمة الأخلاقية التي نتجت عن الارتباطات السياسية والدينية للاستشراق الأمر الذي أدى إلى استغلال المعرفة الاستشراقية بواسطة القوى السياسية الاستعمارية والقوى الدينية التنصيرية والصهيونية وأخيراً هناك الأزمة التي أوجدها الاستشراق في العلاقة بين الشرق والغرب وبخاصة العلاقة بين المسلمين والغرب وما تولد عن هذه الأزمة في العلاقات من صراع ديني حضاري بين الإسلام من ناحية وديانات الغرب من ناحية أخرى .

وهذه الأزمة لها أسبابها ومظاهرها ولها أيضاً نتائجها وآثارها.

أولاً : أسباب الأزمة وهي :

1- التبعية الاستشراقية للاستعمار والتنصير والصهيونية.

2- تطور العلوم الاجتماعية والإنسانية في الغرب.

3- غياب المنهج في الاستشراق .

4- الصحوة الإسلامية ومواجهة الاستشراق والتنصير.

1- التبعية الاستشراقية للاستعمار والتنصير والصهيونية :

من المعروف تاريخيا أن الاستشراق ارتبط منذ بدايته بقوى مختلفة من أهمها القوى السياسية التي رأت في الإسلام والمسلمين عدواً للغرب وللنصرانية ولليهودية منذ ظهور الإسلام وانتشاره في بلاد كانت نصرانية الأصل، بل تمثل قلب العالم النصراني مثل منطقة الشرق الأدنى القديم وبخاصة فلسطين التي يعدها النصارى

واليهود أرضاً مقدسة شهدت مولد الديانتين اليهودية والنصرانية. وشهدت أيضاً ظهور أنبياء بني إسرائيل ومن بينهم عيسى عليه السلام وبها الآثار الدينية والتاريخية المقدسة في هاتين الديانتين.

كما انتشر الإسلام فيما بعد في بلاد نصرانية خارج حدود الشرق الأدنى القديم في أوروبا وأفريقيا حيث حل الإسلام محل النصرانية في البلاد التي كانت خاضعة للدولة البيزنطية، ثم تمكن المسلمون من فتح الأندلس وجزر البحر المتوسط كما توغلت الفتوحات العثمانية في قلب القارة الأوروبية. وقد أدى هذا السقوط لمعظم بلاد النصرانية في يد المسلمين إلى اعتبار الإسلام والمسلمين العدو الأول للغرب، وبدأت استعدادات الغرب لاسترجاع الأرض النصرانية والهجوم على الإسلام في الوقت نفسه، فقام الغرب بحملاته الصليبية لاسترداد بيت المقدس وكل الأراضي النصرانية السابقة (بزعمه) كما استعد الغرب فكرياً ودينياً لمواجهة الإسلام بتشجيع الاستشراق وحض المستشرقين على الحصول على المعرفة الإسلامية وترجمة معاني القران الكريم والاستعداد لتكوين جبهة فكرية دينية لمهاجمة الإسلام.

وبعد فشل الحروب الصليبية استمر الهجوم الفكري الديني إلى مرحلة الاستعمار الحديث الذي جمع من جديد بين الهجوم العسكري والهجوم الفكري وهو الوضع الذي استمر إلى التاريخ المعاصر حيث انتهى الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين واستمر الهجوم الديني والفكري .

وواضح من هذا العرض التاريخي السريع أن علاقة العرب بالإسلام والمسلمين مبنية على أساس من العداوة والكراهية واستخدام كل الوسائل الممكنة لمواجهة الإسلام والمسلمين. وخلال هذا الصراع الطويل أصبح الاستشراق علماً تابعاً للقوى الغربية السياسية والدينية ولم ينفصل عنها سوى في خلال مراحل انحسار المد الاستعماري أو فشل الجهود العسكرية، ولذلك فالمواجهة الفكرية والدينية أطول عمراً واستمرارية من المواجهة العسكرية. ولم يشعر المستشرقون بحرج من علاقاتهم بالقوى السياسية والدينية في بلادهم وفي الغرب بعامة فالإسلام عدو الجميع سواءً كانوا سياسيين أم مفكرين أم سياسيين . فالمستشرق مواطن ينتمي إلى بلده ويشعر بأنه يؤدي واجبه ويعمل على تحقيق مصالحها بصرف النظر عن كون معرفته أو علمه مستغلاً من

جانب القوى السياسية والدينية. فهو مواطن لا يمكن عزله عن بلده ومصالحه ولم يشعر المستشرق بحرج من هذه العلاقة خاصة في الفترات الاستعمارية الطويلة مثل فترة الحروب الصليبية التي زادت عن قرنين وفترة الاستعمار الحديث التي غطت ثلاثة قرون تقريباً ".

وأود أن أضيف إلى هذا الارتباط بعض الحقائق التي أصبحت معروفة عن ارتباط الاستشراق أو الدراسات العربية الإسلامية بالدول الغربية التي من أهدافها استمرار الهيمنة الغربية على العالم الإسلامي في المجالات المختلفة: السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. وأبدأ ببريطانيا فهي التي احتلت أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي فقد اقترح أحد أعضاء البرلمان البريطاني عام 1916م إنشاء معهد للدراسات العربية والإسلامية في بريطانيا. فقد كلفت الحكومة البريطانية لجنة حكومية عام 1947م برئاسة الايرل سكاربرو لدراسة أوضاع الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات البريطانية، وتقديم المقترحات اللازمة لاستمرار هذه الدراسات وتطويرها. وقد أعدت اللجنة تقريراً مؤلفاً من حوالي مائتي صفحة عدّه الدكتور خليق نظامي دستور الاستشراق الحديث. حيث أوضحت استمرار حاجة بريطانيا لمعرفة الشعوب العربية الإسلامية والحاجة إلى متخصصين في هذا المجال.

وقامت الحكومة البريطانية بتأليف لجنة أخرى عام 1961م برئاسة السير وليام هايتر لدراسة أوضاع الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات البريطانية وقامت اللجنة بتمويل من مؤسسة روكفللر بزيارة عدد من الجامعات الأمريكية والكندية للإفادة من التجربة الأمريكية والكندية في هذا المجال. وأصدرت تقريراً ضخماً ضمنته توصيات كثيرة منها ضرورة استمرار هذه الدراسات وتخصيص ميزانيات لدعم هذه الدراسات، واقتراح إنشاء أقسام علمية جديدة.

أما في الولايات المتحدة فإنها بعد الحرب العالمية الثانية وجدت أنها يجب أن تحل محل النفوذ البريطاني ولمّا لم تجد العدد الكافي من المتخصصين في الدراسات العربية الإسلامية فقد عرضت على عدد من كبار المستشرقين الأوروبيين العمل في الجامعات الأمريكية ومن هؤلاء على سبيل المثال هاملتون جيب الذي أسس قسم

دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد ، ونال جيب مكانة رفيعة في هذه الجامعة. كما استقدمت جوستاف فون جرونباوم بجامعة كاليفورنيا بلوس انجلوس، وبرنارد لويس الذي عمل عدد من السنوات أستاذاً زائراً حتى انتقل كلياً إلى جامعة برنستون عام 1974.

وأصدرت الحكومة الأمريكية مرسوماً بتوفير مبالغ ضخمة لدعم مراكز دراسات الشرق الأوسط في عدد من الجامعات الأمريكية (أربع وعشرين جامعة) من بينها جامعة برنستون وجامعة نيويورك وجامعة كاليفورنيا في لوس انجلوس وفي بيركلي وجامعة انديانا في بلومنجتون وغيرها. وما تزال هذه الجامعات منذ الخمسينيات وحتى هذا العام 1997 تتلقى الدعم الحكومي الأمريكي. ولم يقتصر الدعم الحكومي الأمريكي على هذه الجامعات فهناك معاهد ومراكز بحوث كثيرة تتلقى الدعم المباشر من الحكومة الأمريكية. وبالتالي فان الغالبية العظمى من الباحثين (المستشرقين) يعملون لدى الحكومة الأمريكية.([3])

وفي عام 1985 عقدت لجنة الشؤون الخارجية جلسات استماع لعدد كبير من الباحثين في مجال الدراسات العربية الإسلامية ونشرت محاضر الجلسات في كتاب بلغت عدد صفحاته أكثر من أربعمائة صفحة وشارك فيه عشرات الباحثين المتخصصين في هذا المجال. (وقد قامت مجلة المجتمع الكويتية بنشر معظم هذا التقرير في أربع وخمسين حلقة.قبل احتلال العراق الكويت)([4])

وقد كانت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية تمتنع ظاهراً الإفصاح عن صلتها بهذه الدراسات حتى إنها عندما اكتشف صلتها بمؤتمر علمي بجامعة هارفارد قبل عدة سنوات قام ناداف سافران الأستاذ بجامعة هارفارد والمسؤول عن تنظيم المؤتمر بتقديم استقالته وتم إلغاء المؤتمر. ولكن الأمر تغير مع ازدياد نفوذ الجماعات الإسلامية في الدول العربية الإسلامية فأصبحت هذه الوكالة تتبنى عقد ندوة شهرية للمتخصصين في الدراسات العربية الإسلامية (وبخاصة الأصولية) لمساعدة الحكومة الأمريكية في التعامل مع هذه الظاهرة.

وأود أن أضيف أيضاً إلى مسألة ارتباط الدراسات العربية الإسلامية بنزعة الغرب إلى الهيمنة والسيطرة (الاستعمار سابقا) أن ما تقوم به المؤسسات غير الحكومية (ذات

الهدف غير التجاري) مثل مؤسسة روكفللر ومؤسسة فورد ومؤسسة كارينجي في تمويل الدراسات العربية الإسلامية يعد تأكيداً للنزعة التي ذكرنا سابقاً. وقد انضمت بعض الدول العربية الإسلامي إلى دعم هذه الدراسات بهدف تحقيق أهداف معينة ففي نشرة مركز دراسات الشرق الأدنى والأوسط التابع لجامعة لندن (مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية) نجد أسماء مكاتب المعلومات التابع لعدة دول عربية وهذه المكاتب إنما هي فروع لاستخبارات تلك الدول. ويكفي المرء الرجوع إلى مقدمات بعض الكتب الاستشراقية ليجد الدعم السخي الذي يتلقاه هؤلاء الباحثون من هذه المؤسسات. ومن الأمثلة القريبة جداً قيام باحث من مؤسسة راند بكاليفورنيا–هو جوزيف كيششيان– بإعداد دراسة عن الأوضاع الأمنية في المملكة العربية السعودية . والمرء يتساءل وما علاقة هذه المؤسسة بمثل هذه الموضوعات؟ كما أن هذا الباحث وجد دعماً من وكالة استعلامات الولايات المتحدة في المملكة ليجتمع مع عدد من أساتذة الجامعات والباحثين والمثقفين السعوديين في رحابها.([5])

أما ارتباط الاستشراق بالتنصير فان المعاهد اللاهوتية والتنصيرية ما تزال تقوم بجهود كبيرة في القيام بنشر البحوث والدراسات حول العالم الإسلامي. ويمكن أن نشير إلى مؤتمر كولورادو التنصيري الذي ضم مئات المنصرين من كل أنحاء الولايات المتحدة ونشرت بحوثه في أكثر من ألف صفحة يتناول أدق التفاصيل عن الأوضاع الاعتقادية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية للعالم الإسلامي. ويمكن أن نضيف بان الجامعات الأمريكية التي تتبنّى العلمانية تسمح للمنصرين الدراسة في أقسام الدراسات العربية والإسلامية فمن ذلك أن هـ. كونوي زيجلر قد أعد رسالته للماجستير حول التنصير في الخليج العربي من عام 1889حتى 1973م في جامعة برنستون، ولم يعدها في كلية لاهوتية.

والارتباط بالصهيونية أمر قد لا يكون واضحاً بسهولة ولكن المتمعن في العلاقات بين دولة يهود والجامعات الأمريكية ومراكز البحوث يجد أن هناك تعاوناً وثيقاً بالإضافة إلى العدد الكبير من الباحثين الأمريكيين الذين لا يفصحون عن انتمائهم اليهودي الصهيوني. كما أن مراكز بحوث ومعاهد الشرق الأوسط في الجامعات اليهودية في إسرائيل دائمة الاتصال بالجامعات الأمريكية. وقد اطلعت على نشرة

مركز موشيه ديان لدراسة الشرق الأوسط وأفريقيا فوجدت أن هذا المركز يبعث بالعديد من باحثيه للاتصال بالجامعات الأمريكية وكذلك الاتصال بوزارات الخارجية ومراكز صناعة القرار السياسي الغربي. فهل نفطن نحن في العالم الإسلامي إلى أهمية مثل هذه الاتصالات لتعريف العالم بوجهات نظرنا؟

2- تطور العلوم الاجتماعية والإنسانية وأثره في تعميق الأزمة:

ازدادت ظاهرة غياب المنهج في الدراسات الاستشراقية حدة في القرنين الأخيرين مع تطور العلوم الاجتماعية والإسلامية واعتمادها على مناهج علمية واضحة في دراسة الجوانب الاجتماعية والإنسانية. ومن المعروف أن نشأة العلوم الإنسانية والاجتماعية تعود إلى عصر النهضة الأوروبية وفيما بعد عصر التنوير الأوروبي الذي قامت فلسفته الفكرية على أسس عقلية نقدية تحليلية معتمدة -اعتماداً كلياً- على العلم الحديث الذي تطور منذ عصر النهضة. وتم إخضاع الآداب والفنون ونصوص الكتاب المقدس (في اليهودية والنصرانية) للتحليل العقلي والنقد القائم على أساس من البحث التاريخي النقدي والقائم -أيضاً- على أساس نقد النصوص. وقد تمت هذه العملية في حرية تامة في زمن انفصل فيه الدين عن العلم في الغرب، وأصبح العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة، وتم إخضاع المعرفة الدينية لسلطة العقل. وخضعت الدراسات الإنسانية والاجتماعية للمناهج العقلية نفسها، وبدأت في التطور مجموعة جديدة من العلوم التي عرفت فيما بعد باسم العلوم الإنسانية والاجتماعية.

ورغم البدايات القديمة لهذه العلوم، فإنها لم تأخذ شكل العلم إلاّ في القرون الثلاثة الأخيرة حيث أصبحت علماً مميزة بمنهج ومحتوى معروفين، ومالت إلى التخصصية بل تشعبت أيضاً- فيما بعد- إلى علوم متفرعة عن أصل علمي واحد. فمثلاً: تشعب علم الاجتماع إلى عدة علوم اجتماعية :

أ علم الاجتماع النفسي،

ب-علم الاجتماع الحضري

جـ- علم الاجتماع الريفي

د-علم الاجتماع الديني

هـ- علم الاجتماع الصناعي. واستقل علم الإنسان عن هذا العلم وتشعب بدوره إلى علوم عدة مثل: علم الانثروبلوجيا الثقافية، والدينية وعلم الأجناس .. وهكذا بالنسبة لبقية العلوم الاجتماعية التي تشتمل على ما سبق من المسميات، والعلوم الإنسانية المشتملة على علم التاريخ، والأدب واللغة، والفنون، والدين.

وقد وضع تطور هذه العلوم ذات المحتوى والمنهج الواضحين الاستشراق في أزمة منهجية، وسبق القول ذكر غياب المنهج في الدراسات الاستشراقية، وقد كان ذلك مقبولاً في الماضي لان معظم العلوم لم يكن لها مناهج واضحة. كما أن العلاقات بين العوم المختلفة لم تكن قد حسمت بشكل يدع كل علم مستقلاً عن الآخر محتوى ومنهجاً.

والخاصية الأساسية في العلوم الإنسانية والاجتماعية هو ميلها الواضح إلى التخصص وهو ما يفتقد إليه الاستشراق الذي اتسم بالموسوعية والشمولية المعرفية. وبهذا وجد المستشرق نفسه مضطراً إلى تحديد موقفه العلمي من هذه العلوم ذات التخصص الواضح والمنهج المبين . وقد طرح هذا السؤال لان الاستشراق يعالج كل الموضوعات الإنسانية والاجتماعية المرتبطة بالشرق، وهو يفعل ذلك دون منهج واضح وبعيداً عن التخصصية التي تميزت بها العوالم الأخرى. ومن الأسئلة المطروحة مثلاً: كيف يدرس المستشرق المجتمع المسلم؟ هل يطبق عليه المنهج المستخدم في علم الاجتماع لدراسة المجتمعات.

ولكننا يجب أن نضيف هنا -مع التقدير والاحترام للدكتور خليفة- أن الاستشراق التقليدي الذي كان يهيمن على مجالات الدراسات العربية والإسلامية قد اختفى إلى حد كبير- ونقول ذلك بسبب وجود بعض الباحثين الغربيين المعاصرين الذين يخوضون في كل ما يخص الإسلام والمسلمين- وأصبحت دراسة العالم الإسلامي تتم بالتنسيق بين قسم دراسة الشرق الأدنى أو الأوسط وبين الأقسام المختلفة . بل أصبح دور هذه الأقسام أو المراكز كما يطلق عليها في بعض الجامعات هو دور المنسق بين مختلف التخصصات. وفي جامعة كاليفورنيا فرع بيركلي تتم دراسة العالم الإسلامي في ثمانية عشر قسماً. وقد لاحظت في جامعة برنستون رسائل علمية

للماجستير والدكتوراه تتم بالتنسيق بين قسم الاستشراق وبين قسم الاجتماع أو قسم الأنثروبولوجي أو الاقتصاد وهكذا.

3- غياب المنهج في الاستشراق:

نظراً لان نشأة الاستشراق وتطوره كان رد فعل لظهور الإسلام وانتصاره على اليهودية والنصرانية وانتشاره في المناطق التي كانت تابعة لهاتين الديانتين أصبح الاستشراق يمثل اتجاهاً فكرياً معادياً للإسلام منذ البداية، ولهذا السبب افتقد الاستراق مقومات العلم والمعرفة الموضوعية التي تسعى إلى اكتساب المعرفة ذاتها، ومعرفة الأمور معرفة موضوعية.

وتطور الاستشراق وهو يساير حركة الإسلام كدين في انتشاره ومواكباً للمسلمين في قوتهم وضعفهم وهو يحاول جاهداً أن يضع العراقيل أما انتشار الإسلام ويجابه المسلمين كقوة سياسية ودينية وحضارية وعلى الرغم من تعدد مجالات الاستشراق ووجود مجال علمي محدد سعى فيه بعض المستشرقين إلى المعرفة الإسلامية كموضوع للقراءة والاطلاع والبحث لكن غلب على الاستشراق من موقف العداء والكراهية، وبالتالي لم يتمكن المستشرقون من تكوين رؤية موضوعية عن الإسلام كما لم يتمكنوا من تطوير منهج واضح يدرس الإسلام من خلاله وقد تراكمت المعرفة الاستشراقية عبر القرون وغطت كل مجالات الإسلام وأصبحت تمثل كماً معرفياً ضخماً غير قابل للتصنيف العلمي وغير متحد في منهجيته، وهناك عدة أسباب يمكن ان تفسر غياب المنهج في الدراسات الاستشراقية :

أ- عدم ظهور الاستشراق منذ البداية كعلم واضح له مجاله المحدود وله منهجيته المحدودة فالاستشراق كما ذكرنا تراث ضخم من المعرفة حول الإسلام تراكمت عبر القرون وأصبح من الصعب إخضاعها للوصف العلمي المنهجي خاصة وان المستشرقين الأوائل لم يهتموا بأمور المنهج قدر اهتمامهم بتشويه المضامين الإسلامية وتحريف الحقائق حول الإسلام ووضع الأساليب والوسائل التي توصل إلى تحقيق هذا الهدف غير العلمي بل إن هناك ما يمكن تسميته بسوء استخدام المنهج والمقصود بهذا إخضاع المنهج لتحقيق أهداف الاستشراق. أو استخدام العناصر المنهجية استخداماً خاطئاً من أجل تحقيق أهداف التشويه.

ب- تغطية الاستشراق كل مجالات الفكر الإسلامي جعل من الصعب تطوير منهج واحد يمكن تطبيقه على كل هذه المجالات، فالدراسات الاستشراقية حول الإسلام تغطي المجالات الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية والأدبية والفنية والأخلاقية والفلسفية والعلمية التجريبية مثل مجالات العلوم عند المسلمين كالطب والكيمياء والصيدلة والرياضيات والفلك. ومن المعروف أن كل مجال من هذه المجالات يغطي علماً من العلوم أو فناً من الفنون له منهجه الخاص به وقيام المستشرق الواحد بدراسة الإسلام هذه الدراسة الشمولية معناه أن يعمل المستشرق بأكثر من منهج في الوقت الواحد فهو إذا اشتغل بالاقتصاد الإسلامي يستخدم المنهج المناسب لهذا المجال ، وإذا درس المجتمع الإسلامي فهو يستخدم المنهج الاجتماعي وإذا درس الدين والعقيدة الإسلامية فهو يستخدم المنهج الديني (اللاهوتي)، في الفلسفة يستخدم المنهج الفلسفي وهكذا.

4- الصحوة الإسلامية ودورها في تطوير النقد الإسلامي للاستشراق.

تعود أزمة الاستشراق المعاصر إلى سبب إسلامي يضاف إلى الأسباب الأخرى التي نتجت بفعل الأسباب الخارجية التي تخص الاستشراق بصفتها حركة فكرية غربية، فقد أدت الصحوة الإسلامية إلى تطور وعي ديني قوي أدى إلى عودة إسلامية إلى مصادر الدين، وإلى حركة علمية إسلامية ضخمة تناولت جميع جوانب الفكر الإسلامي، كما أدت إلى معرفة إسلامية جيدة بالغرب وحضارته وثقافاته. وقد اصبح المسلمون – بفضل الله ثم بفضل هذه الصحوة- على وعي كامل بالاستشراق بصفته حركة من الحركات التي المناهضة للإسلام فترجمت بعض أعمال المستشرقين إلى اللغة العربية ولغات إسلامية أخرى، وكتبت مؤلفات إسلامية باللغات الأوروبية تقدم الإسلام إلى الغرب بصورة سليمة، ونتج عن هذا حركة إسلامية نقدية لأعمال المستشرقين، وبدأ المسلمون يتعاملون مع الاستشراق تعاملاً علمياً، ينقدون سلبياته ويعترفون بإيجابياته ويشتركون في مؤتمرات المستشرقين، وبدأ ظهور بعض الشخصيات العلمية المسلمة في الجامعات الغربية ومراكز بحوثها وهم بلا شك يسهمون في تغيير الصورة الاستشراقية التقليدية عن الإسلام والمسلمين. ومن أمثال

هؤلاء الدكتور إسماعيل راجي فاروقي، والدكتور خالد يحي بلانكنشب، وجاكسون، وسليمان ناينج، وابراهيم العاني، وغيرهم- وان كانوا قلّة.

وقد أحس المستشرقون بهذا النقد الإسلامي لأعمالهم، وعرفوا انهم فقدوا ثقة المسلمين في الاستشراق، في الوقت الذي ازداد المستشرقون اتصالاً بالعالم الإسلامي فحصل بعضهم على الصور الحقيقية لهذا المجتمع، كما كان لبعض الأعمال الإسلامية الناقدة للاستشراق أثر كبير في تعميق أزمة الاستشراق وكشفه أمام أصحابه كقوة فكرية مناصرة للاستعمار والتنصير والصهيونية. ويمكن أن نعود بنقد الاستشراق إلى بداية القرن العشرين أو قبل ذلك بقليل فقد وردت بعض العبارات في كتابات جمال الدين الأفغاني (تحتفل به إيران هذه الأيام) تشير إلى تأثير أبناء الأمة الذين يقلدون الغرب. كما لابد من ذكر ردود الشيخ محمد عبده على رينان وهناتو وغيرهما من الفلاسفة الفرنسيين. وبعد ذلك عندما برزت الحركات الإسلامية الداعية إلى إخراج المستعمر من العالم الإسلامي نجد انه كان من بين اهتمامات هذه الحركات الرد على المستشرقين وعلى الإعلام الغربي في تعرضه للإسلام. ففي الجزائر مثلاً كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في صحفها المختلفة وكذلك مجلة " الشهاب " التي أصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس تهتم بالرد على الاستشراق. ويمكننا أن نجد ردوداً على الاستشراق في صحف الإخوان المسلمين في مصر ، وبعد ذلك في مجلة (الرسالة) المصرية وغيرها من المجلات . ولا بد من الإشارة إلى كتاب الدكتور مصطفي السباعي رحمه الله (السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي) فهو من الكتب الرائعة في تفنيد كلام المستشرقين، وكذلك كتابه (المرأة بين الفقه والقانون). كما كان رحمه الله رائداً في القيام بجولات ميدانية لمعاقل الاستشراق والحوار مع المستشرقين.

ومن العرب المسلمين الذين كتبوا باللغة الإنجليزية الدكتور عبد اللطيف الطيباوي الذي نشر مقالتين في مجلة " دراسات إسلامية " التي يصدرها المركز الثقافي الإسلامي بعنوان (نقد المستشرقين الناطقين باللغة الإنجليزية) وقام الدكتور قاسم السامرائي بترجمتهما ونشرهما في كتاب عن إدارة النشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ولا بد أن نذكر أن كتابات سيد قطب رحمه الله فيها ردود على الاستشراق، وكذلك كتب الأستاذ محمد قطب ومنها كتابه (شبهات حول الإسلام)

و(المذاهب الفكرية المعاصرة) وكتابه (واقعنا المعاصر) وغيرها. وأضيف هنا كتابات الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله ومنها كتابه (حصوننا مهددة من داخلها) وكتابه (الإسلام والحضارة الغربية) بالإضافة إلى كتابه المهم (الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي الحديث) ولم يكتف الدكتور حسين بنقد الاستشراق بل تناول من تأثر بهم من أبناء المسلمين. ومن الذين تناولوا الاستشراق بالنقد الأستاذ محمود شاكر (أبو فهر) في كتابه (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) وهو مقدمة لكتابه عن المتنبي. ولا يمكن أن ننسى الأستاذ الكبير أنور الجندي –رحمه الله تعالى– فله كتابات كثيرة جداً حول نقد الاستشراق وان كان ينقصها التوثيق العلمي الدقيق، لكنها مهمة في تنوير عامة القراء من مخاطر الاستشراق والتنصير فله جهود كبيرة ورائدة في هذا المجال. وأختم بذكر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله فقد كتب الكثير عن مطاعن المستشرقين.

كما كانت هناك أعمال غربية ناقدة للاستشراق ومطالبة لتغيير وجهة الاستشراق وتصحيح صورته عند المسلمين . ومن أهم هذه الكتب : الكتاب الذي حرره ليونارد بايندر Leonard Binder بعنوان: "دراسة الإسلام" الصادر عام 1976م، واشترك فيه عدد من كبار المستشرقين تناول كل منهم مجالاً من الدراسات الاستشراقية ونقده نقداً علمياً وطالبت الدراسة بمراجعة العمل الاستشراقي وتصحيح أخطاء منهجه ونقد الاتجاه التنصيري في دراسة الإسلام، وتقديم مقترحات علمية تخص تصحيح مسيرة الاستشراق.

ومن الأعمال الغربية الأخرى المهمة في نقد الاستشراق وكشف صلته بالاستعمار والتنصير كتاب إدوارد سعيد(الاستشراق). ومن فضائل الصحوة أيضاً أنها نبهت المسلمين إلى الغزو الثقافي الغربي، وإلى عملية تغريب العالم الإسلامي التي يعتبر الاستشراق مسؤولاً عنها. وللصحوة الإسلامية أيضاً دور في مقاومة هذا الغزو وردّ المسلمين إلى أصولهم وتقوية وعيهم بدينهم وحضارتهم وبأفضلية الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية.

ونتيجة لهذه الجهود تم كشف الاستشراق كقوة معادية للدين والحضارة الإسلامية. وقد أفادت هذه الجهود في اعتراف بعض المستشرقين بأخطاء الاستشراق ومحاولة تغيير

الاستشراق بل الهروب من هذه التسمية إلى مسميات أخرى إما لتضليل المسلمين أو كاعتراف مباشر بأخطاء المرحلة السابقة من تاريخه والرغبة في دخول مرحلة جديدة يتخلص فيها الاستشراق من سلبيات الماضي.

ويضاف إلى ما سبق التقدم العلمي في مجال دراسات الاستشراق عند المسلمين، فقد بدأت هذه الدراسات تدخل مرحلة جديدة ابتعدت فيها عن العمومية في المعالجة والعاطفة في التعامل مع الاستشراق والمستشرقين، وتطورت نظرة علمية نقدية تحلل الأعمال الاستشراقية وتنقدها وتتعرف على إيجابياتها للإفادة منها، والتعرف على سلبياتها ومن بينها الشبهات المثارة لتفنيدها والرد عليها رداً علمياً مستنداً إلى المصادر الإسلامية الصحيحة وإلى المنهج العلمي السليم وإلى المصادر الاستشراقية ذاتها، وذلك بالعودة إلى آراء المستشرقين المختلفة حول الموضوع الواحد والرد على بعضهم بآراء البعض الآخر، وتوضيح التناقض الاستشراقي.

ومن بين علامات النهضة العلمية في دراسة الاستشراق إدخال مناهج دراسية عن الاستشراق والتنصير في بعض كليات المرحلة الجامعية وبخاصة في كليات الشريعة والدعوة والاهتمام بالرد على آراء المستشرقين في العديد من المناهج الأخرى مثل: مناهج التاريخ واللغة والأدب وغيرها. حيث أصبح المعلمون على وعي كاف بآراء المستشرقين في تخصصاتهم بعد دراستهم لها في مرحلتهم الجامعية أو في دراساتهم العليا فينتقدون آراءهم إجمالاً في المناهج التي يدرّسونها.

أما التقدم الحقيقي في مجال دراسة الاستشراق فيظهر في اهتمام الجامعات الإسلامية بإنشاء مراكز للدراسات الاستشراقية وتنفرد جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بإنشاء قسم للدراسات الاستشراقية وهو قسم علمي مستقل وهو القسم الوحيد من نوعه في العالم الإسلامي.([6]) وفي هذا القسم يدرس الاستشراق موزعاً على عدة مجالات علمية، وعلى عدد من المناهج المحددة التي تغطي الدراسات الاستشراقية تغطية كاملة. وفي المراكز التي أنشئت في العالم الإسلامي مراكز بحوث الشرق الأوسط في مصر والأردن ، ومراكز الدراسات الشرقية في مصر، ومراكز البحوث الإسلامية المنتشرة في كثير من البلاد الإسلامية. وبعض المراكز المتخصصة مثل مركز الدراسات العثمانية في القاهرة، ومركز الدراسات الاستشراقية والحضارية بكلية الدعوة

بالمدينة المنورة ووحدة بحوث الاستشراق والتنصير التابعة لعمادة البحث العلمي بجامعة الإمام بالرياض. وكل هذا يدل على نهضة إسلامية لمواجهة الاستشراق مواجهة علمية فكرية ودينية حضارية على أسس علمية وبعيداً عن التعميم والعواطف التي أثرت في الكتابات الإسلامية عن الاستشراق في العقود الماضية.

مظاهر الأزمة الاستشراقية:

من أبرز مظاهر الأزمة الاستشراقية ما يأتي:

1- غياب المستشرق التقليدي وظهور الخبير :

بدأت الدوائر الاستشراقية في أوروبا وفي أمريكا - على وجه الخصوص- تهتم بالواقع السياسي و الديني والاقتصادي والاجتماعي للشعوب الشرقية، وقد تم بهذا التحول من الدراسات الاستشراقية التقليدية - أو ما يسمى بالكلاسيكية- إلى دراسة الواقع الشرقي، وبدأ المستشرقون يهجرون المجالات الاستشراقية التقليدية مثل: مجالات القران، والحديث، والعقيدة الإسلامية، والفقه، والسيرة النبوية، والفرق الإسلامية، ومجالات التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ومجالات الأدب واللغة، وبدأوا يتجهون إلى دراسة الأوضاع الاجتماعية للمجتمعات المسلمة من النواحي السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية.([7])

ويشير هذا التحول الخطير إلى ندرة الموضوعات العلمية وغياب المستشرق المهتم بعلوم القران والحديث والفقه والشريعة وحل بدلاً منه الخبير- والكلمة تعني إنساناً غربياً أو غير غربي متخصص فيما يعرف بشؤون الشرق الأوسط- أي بالأمور المالية والأوضاع التي تمر بها شعوب الشرق الأوسط وغيرها من شعوب الشرق.

والكلمة تشير -أيضاً- إلى وظيفة يقوم صاحبها بتوفير المعلومات الحديثة اللازمة للدوائر السياسية والاقتصادية في بلد أوروبي له اهتماماته ومصالحه السياسية والاقتصادية في العالم الإسلامي وبقية بلاد الشرق. وهذا الخبير ليس لديه دراسة علمية بمجالات الاستشراق التقليدية، وتنقصه الخلفية العلمية في موضوعات الاستشراق التقليدية -إلاّ في حدود ما يحتاج إلى تفسيره من ظواهر حديثة أو أمور واقعة بربطه بشي من الماضي لشعوب الشرق. والمعلومات التي يقدمها للدوائر السياسية والاقتصادية معلومات حية بعيدة عن التوجه الاستشراقي أو الرؤية المذهبة

الاستشراقية، فخدماته لا تنتمي إلى علوم الاستشراق، ولكنها خدمات في شكل تحليلات سياسية ودينية –أحياناً– تستفيد منها الدوائر المعنية.

2–ظهور مراكز الدراسات الإقليمية:

وقد نتج عن هذا غياب مراكز الاستشراق التقليدية، وظهور ما يسمى بمراكز بحوث الشرق الأوسط، أو مراكز بحوث ذات طابع إقليمي تهتم بمتابعة الشؤون السياسية والاقتصادية لبلد من بلدان الشرق أو لإقليم منه. فهناك مراكز لبحوث الشرق الأوسط، ومراكز لبحوث الشرق الأقصى، ومراكز مرتبطة ببلد معين مثل: مركز البحوث الإيرانية، أو مركز البحوث اليابانية أو التركية أو الصينية أو معهد الدراسات اليمنية، فهي مراكز متخصصة في بلد واحد، واضطر الغرب إلى غلق معظم المراكز التقليدية. واستبدالها بالمراكز الإقليمية أو القطرية. ووظيفة المركز ككل هي تقديم الخبرات في مجالات السياسة والاقتصاد للدوائر التي تحتاجها مثل وزارات الخارجية والاقتصاد والمنظمات الإقليمية، أو الدولية مثل هيئة الأمم المتحدة، ومنظمة اليونسكو وغيرها.([8])

ويلاحظ متابعة هذه المراكز وخبرائها للأحداث الجارية، ولذلك تتم الاستعانة بهم في التلفزيون والإذاعة والصحافة، فضلاً عن الدوائر الحكومية في تفسير الوقائع التي تحدث في كل بلد، وتوقعات الخبير بالنسبة لمستقبل الحدث سياسياً أو دينياً.

ويلاحظ أيضاً فقدان مراكز هذه البحوث استقلالها، وذلك بسبب ارتباطها المباشر وتمويل مشروعاتها من قبل جهات حكومية معينة أو شركات اقتصادية كبرى لها مصالح اقتصادية في الشرق.

وعلى الرغم من الارتباط القديم بين الاستشراق والتنصير والاستعمار، فهذا الارتباط كان مرتبطاً بالمصالح الاستعمارية والتنصيرية في بعض الفترات، وهو ارتباط لم يلغ شخصية المستشرق، ولم يقض على توجهه العلمي الخاص به. أما الخبير الحال والمركز الذي يتبعه فهو لا يتمتع بالاستقلالية، ولكنه رغم انحسار الاستعمار يرتبط ارتباطاً مباشراً بالدولة صاحبة المصلحة السياسية والاقتصادية أو الشركة صاحبة المصلحة الأخيرة. ويشبه الخبير هنا بجامع المعلومات ذات الطابع الحديث عن بلد شرقي معين، ليست له (الخبير) أهداف علمية، ولا يسعى إلى تحقيق معرفة ذاتية،

أو تحصيل فكر ثابت ولكنه جمع المعلومات ويحللها ويقدمها للجهة الرسمية التي تطلبها.

وتعود نشأة الدراسات الإقليمية وتطورها الكبير في الفترة الحالية إلى توجه استشراقي أمريكي للتركيز على دراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية لبلد واحد أو مجموعة بلدان داخل إقليم واحد، ولذلك أطلق عليها اسم "الدراسات القطرية" إذا درست قطراً و" الدراسات الإقليمية " إذا درست إقليماً كاملاً. وهو توجه أمريكي لان أمريكا ليس لها تراث استشراقي تقليدي كبير، كما أنها –لأسباب داخلية– لم تهتم بالعامل الخارجي إلاّ بعد الحرب العالمية الأولى حيث بدأ الاهتمام بالعالم. وقد اكتشف الأمريكان النقض الشديد في الكوادر العلمية المتخصصة في تاريخ شعوب الشرق وحضاراتها وجغرافيتها وآدابها ولغاتها وأديانها. صحيح أن بعض الجامعات الأمريكية قد استعانت ببعض المستشرقين المهاجرين إلى أمريكا ضمن حركة الهجرة الأوروبية العامة إلى ما يسمى بالعالم الجديد، وحصل هؤلاء على وظائف تعليمية في الجامعات الأمريكية ، ولكن لقلتهم ونقص تنظيمهم واتساع أمريكا لم يتمكنوا من تكوين ما يمكن تسميته ب "الاستشراق الأمريكي التقليدي" ولذا يمكن وصف الاستشراق الأمريكي بأنه "استشراق معاصر".

3–ضعف التكوين العلمي والأيدلوجي للمستشرق المعاصر.

نشأة المستشرق التقليدي في ظل مذاهب دينية وفكرية قوية مسيطرة على الفكر الغربيمن أهمها :أ– المدرسة اليهودية في الاستشراق ب– المدرسة النصرانية بصفتهما مدرستين دينيتين قويتين ، وأيضاً في ظل عدد من الأيدولوجيات القوية منها العلمانية ، والشيويعية.

وكل مستشرق تقليدي انتمى إلى واحدة من هذه المدارس والمذاهب يحقق لها أهدافها ويعمل من خلال منهجها، وقد تنوعت المدارس الاستشراقية بسبب تنوع المذاهب الفكرية الغربية –رغم الاتفاق في بعض المظاهر– إلاّ أن كل مدرسة تتميز عن الأخرى من خلال الأيديولوجية التي تمثلها.

وبدأ هذا الوضع الاستشراقي القديم في التغير في القرن العشرين ،وبدأ الضعف الأيدولوجي يدب في الاستشراق لأسباب مرتبطة بالفكر الغربي في هذا القرن ، فالمستشرق ابن بيئته الفكرية ويتأثر بما يطرأ عليها من متغيرات مختلفة ومن أهمها:

أ- تدهور الأوضاع الدينية اليهودية والنصرانية.

ب- سيادة العقلانية في الفكر الغربي.

جـ- سيادة العقلانية في الفكر الغربي.

د- انتصار العلمانية

هـ- سقوط الشيوعية.

ز- ظهور المدرسة الإقليمية الأمريكية.

أ-تدهور الأوضاع اليهودية والنصرانية الدينية.

لا يمكن تحديد تاريخ معين لبداية هذا التدهور، ولكن من الممكن اعتبار تفتت اليهودية والنصرانية إلى عدة مذاهب هو العامل الأول في التدهور. فقد انقسمت اليهودية إلى عدة فرق، وكذا النصرانية مما أدى إلى تشتت عملية الدفاع الاستشراقية عن اليهودية والنصرانية، بل توزع المستشرقون أنفسهم إلى عدة مذاهب وأصبح كل منهم يدافع عن مذهبه الديني الخاص ضد الإسلام. فاختلفت حججهم، وتشتت جهودهم وذلك بانعكاس الاختلاف المذهبي على العمل الاستشراقي. ولعل هذا يلاحظ في التنصير كهدف استشراقي نصراني، فكل مستشرق ينصّر حسب مذهبه، ووفق معتقداته الدينية.

ب- سيادة العقلانية في الفكر الغربي:

فمنذ فصل الكنيسة عن الدولة في العصور الوسطى، ودخول الغرب في عصر النهضة ثم في عصر التنوير، أصبحت الحياة الغربية حياة لا علاقة لها بالدين، وتقوم على أساس من العقل المحض الذي طبق على الفكر الديني، وأُخضع الفكر اليهودي والنصراني للنقد العقلي، وأثبت هذا النقد الشغف العقلي للديانتين، وان المعتقدات لا يمكن للعقل تفسيرها فيهما بسبب زيادة الأساطير والخرافات والمتناقضات فيها. كما تم إخضاع الكتاب المقدس(بعهديه) للنقد العقلي، وأثبت علماء نقد الكتاب المقدس عدم إلهية هذه الكتب، وحددوا مصادرها الإنسانية، وفقدت

بذلك مكانتها المقدسة واعتبرت من كتب الأدب العالي، بمعنى أنها تمثل أفضل ما استطاع الإنسان إنتاجه، وطبق عليها ما طبق على غيرها من الأعمال الكلاسيكية.

ويعد زيادة العقلانية من الأسباب الرئيسة لتدهور الديانتين في الغرب، وتدهور وضع الكتب المقدسة عندهما.

جـ- انتصار العلمانية

ونتيجة رئيسة لتطبيق المنهج العقلي على الديانتين وكتبهما وإثبات إنسانيتهما وسيطرة الحياة العقلية في الغرب هي أن بدأت العلمانية في الانتشار حيث تخلّى الغرب عن دينه، وأصبحوا بلا دين ملحدين أو علمانيين وان حاولت بعض مذاهب الديانتين التوفيق بين معتقداتها والعلمانية، حيث أنشأت ما يمكن تسميته "علمانية دينية" وقد أثرت العلمانية في المستشرقين تأثيراً كبيراً، فتحول كثير منهم من مستشرقين يهود ونصارى إلى مستشرقين ملحدين وعلمانيين فسقط هدف الدفاع عن اليهودية والنصرانية ليظهر هدف جديد هو نشر الفكر العلماني في الشرق من خلال إبعاد المسلمين عن دينهم من غير إدخالهم في دين آخر. وهناك صعوبة في تحديد المستشرق العلماني، لان هويته غير محددة وبخاصة لاتساع العلمانية وتغطيتها لكل الفكر الغربي اللاديني.

د- ظهور الاستشراق الأمريكي:

وهو استشراق غير تقليدي، لان أمريكا ليس لها تاريخ استشراقي باستثناء بعض المهاجرين من المستشرقين الأوروبيين الذين حملوا معهم أفكار الاستشراق التقليدي، ولكن نظراً لقلتهم لم يكن لهم تأثير كبير على مسيرة الدراسات الاستشراقية هناك،بل خضعوا في النهاية للتوجه الاستشراقي الأمريكي حيث إهمال الدراسات التقليدية لأسباب عملية منها صعوبتها وعدم وجود الاستعداد اللغوي والعلمي للدخول في الاستشراق التقليدي الذي يعود تراثه إلى مدرسة فقه اللغة.

هـ- سقوط الشيوعية:

مثّلت الشيوعية- قبل سقوطها- واحدة من اكبر الأيديولوجيات في العصر الحديث وتمكنت من الوقوف في وجه الغرب الرأسمالي كمنافس قوي، من النواحي الفكرية والسياسية والعسكرية.وتكونت مدرسة كبيرة شيوعية في الاستشراق سيطرت على

الدراسات العربية والإسلامية في كل أوروبا الشرقية ، وتمكنت من التغلغل في العديد من البلاد العربية الإسلامية، وأثرت في توجهات بعض مفكريها الذين تبنوا هذه النظرية وفسروا من خلالها الإسلام والأحداث الجارية في الشرق الأوسط. كما أصبح لهذه النظرية أتباع في أوروبا الغربية حيث ظهرت بعض الأحزاب الشيوعية القوية في فرنسا وإيطاليا ..الخ.

وفجأة تبدأ الشيوعية في السقوط، ويتخلى أصحابها عن الأيديولوجية بكاملها وما يهمنا –في هذا الوقت– هو سقوط واحدة من أكبر المدارس الاستشراقية في العالم، وأصبح مصير هذه المدرسة مجهولاً. هل ستحدث فيها تغيرات جديدة فيما يتعلق بالدراسات العربية و الإسلامية؟ هل ستطور المدرسة القديمة من نفسها وتتكيف مع الأوضاع الجديدة؟ وإذا كان الاتحاد السوفيتي –السابق– يتجه الآن إلى النظام الغربي. فهل سينعكس هذا على الدراسات الاستشراقية فيها؟ أم سيكون هناك وجود لمدرستين فيها– مدرسة تقليدية يتولاها بقايا الشيوعيين، ومدرسة حديثة تأخذ بالفكر الرأسمالي أو الأيديولوجيات الأوروبية في دراسة الإسلام.

وما موقف المتخصصين في الدراسات الإسلامية من أبناء المسلمين الذين كانوا بالأمس شيوعيين؟ ودرسوا الإسلام–بالفعل – من وجهة نظر شيوعية؟ هل سيكونون مدرسة إسلامية جديدة؟ أو سيتبعون إحدى المدرستين السابقتين.([9])

ولا يمكن التكهن –الآن– بما سيحدث للدراسات الإسلامية والعربية، ولا بد من الانتظار بعض الوقت حتى تتضح الرؤى وتتبلور أفكار هذه المدارس حتى يمكن الحكم على توجهها في دراسة الإسلام.

والعبرة التي نخرج بها من هذا السقوط المخجل للشيوعية ومدرستها الاستشراقية تكمن في: الضعف الأيدلوجي لمدارس الاستشراق –عامة– فقد بدأت معظم هذه الأيديولوجيات تدخل مرحلة من الضعف ستؤدي بها إلى السقوط الأيديولوجي وستؤدي بمدارسها الاستشراقي إلى الانهيار كذلك.

فبعد الشيوعية ستدخل المدرسة الإلحادية والعلمانية في مراحل من الضعف كما دخلت المدرستان الدينيتان اليهودية والنصرانية في مرحلة التدهور الفعلي ويبدو أن

العصـــر الـــذي نعيشـــه يشـــهد –بالفعـــل– عصـــر الأزمـــة الحقيقيـــة للمـــدارس الاستشراقية.([10])

– الحواشي :

[1] –أنور عبد الملك . " الاستشراق في أزمة" ترجمة حسن قبيسي ، في " الفكر العربي المعاصر" عدد 32 في ص 70.

[2] –المرجع نفسه ص 91.

[3] –أشرنا في الصفحات الماضية إلى مرسوم جديد لم يمض عليه سنوات لتقديم مساعدات وتمويل لهذه الدراسات مع اشتراط عمل المنتسبين لهذه الأقسام للاستخبارات المركزية الأمريكية.

[4]– انظر كتابنا الغرب في مواجهة الإسلام نشرت الطبعة الثانية عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالمدينة المنورة عام 1418هـ وفيه إشارة لهذه الترجمة.

[5] – وهل يمكن أن تقوم سفارات الدول العربية والإسلامية بدور شبيه بمساعدة الباحثين والأكاديميين العرب والمسلمين في إجراء بحوثهم في الدول الغربية وتوفر لهم الفرصة للقاء قادة الفكر في الغرب؟

[6] – توقفت الدراسة في هذا القسم منذ عدة سنوات، وهناك اتجاه إلى تحويل القسم إلى مركز بحوث أو معهد للدراسات الاستشراقية، ولكن أرجو أن لا يتحقق هذا الأمر حيث إن القسم ينبغي أن يستمر وأن يزدهر بل أن يتطور إلى كلية للدراسات الأوروبية والأمريكية.

[7] – إن المتابع للدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الغربية يجد أن اهتمامهم بالموضوعات (التقليدية) لم يتوقف فما زالت هناك دراسات حول القران الكريم والحديث الشريف ، والفقه واللغة والآداب، وما زالت الكتب الاستشراقية التقليدية تحتل مكاناً مرموقاً في مصادر الدراسات هناك. ومن ذلك أنني وجدت كتاب توماس آرنولد (الدعوة إلى الإسلام) مرجعاً لإحدى المواد الدراسية في جامعة جورجتاون بواشنطن. وكذلك الحال في جامعة أدنبرة ببريطانيا فقد أفاد الأستاذ طلال ملوش المبتعث من قسم الاستشراق إلى وجود تخصصات في العلوم الشرعية عندهم.

[8] – مع تقديري للدكتور خليفة فليس هذا صحيحاً تماماً ففي مراكز دراسات الشرق الأوسط أو أقسام دراسات الشرق الأوسط ما تزال بعض المواد تتناول دراسة القران الكريم والحديث وغيرها من العلوم الشرعية ، فان فهم العالم الإسلامي لا يمكن أن يتم دون الإلمام الحقيقي بهذه المصادر. قد تكون هذه الدراسات أقل من السابق لكنها لم تتوقف كلياً.(مازن)

[9] – ليس من الصعب معرفة أوضاع الشيوعيين السابقين فقد انضموا إلى صفوف الحكومات العلمانية القائمة في بعض البلاد العربية الإسلامية لمواجهة الحركات الإسلامية أو التيار الإسلامي ، وأخذوا ينادون بالديموقراطية بل إنهم يزايدون على العلمانيين السابقين . كما اهتمت الجامعات الغربية – تخرج كثير منهم فيها– بهؤلاء فوفرت لهم فرص العمل فيها واستضافتهم أساتذة زائرين أو مقيمين . ومن هؤلاء صادق جلال العظم ، وعبد القادر الزغل وغيرهما.

[10] –مع أن المسلم متفائل بطبيعته حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل ويكره التطير، ولكنه واقعي أيضاً فلا بد أن أتحفظ على مثل هذه الأحكام فالجامعات الغربية وبخاصة في الولايات المتحدة– لاطلاعي على بعض نشاطاتها– ما تزال الدراسات العربية والإسلامية فيها مزدهرة جداً ، فهذه الجامعات تنفق مئات الملايين على هذه الدراسات ، ويقوم الباحثون في هذه الجامعات بعقد الندوات والمؤتمرات وينشرون الكتب والدوريات ويقومون بالرحلات العلمية إلى العالم الإسلامي، كما أن الدول الغربية أنشأت معاهد استشراقية في البلاد العربية الإسلامية وهذه تقوم بدور مهم في استمرار الدراسات العربية الإسلامية. وأضيف أيضاً أن البلاد العربية الإسلامية ما تزال ترسل أبناءها للدراسة في الجامعات الغربية في مجال الدراسات العربية الإسلامية وبالتالي فان هذه الجامعات أو المراكز ستبقى مزدهرة. ولكن المطلوب آن يكون لنا دور أكبر في نشاطات هذه الجامعات باشتراك باحثون متمسكون بالإسلام عقيدة وهوية في النشاطات الإسلامية ليسمع صوت الإسلام في هذه المحن

===========

السعودية والاستشراق >

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهتمام بالاستشراق في السعودية
في العصر الحاضر

مجلة عالم الكتب، مجلد 14، عدد 4، محرم–صفر 1414هـ، يوليو–أغسطس 1993م. الصفحات 422–431

بقلم :د. قاسم السامرائي
تقديم وترجمة د. مازن مطبقاني

عقدت جامعة ليدن الهولندية ندوة حول الدراسات الاستشراقية في الفترة من 2–5مارس 1991، وكانت الكلمة الافتتاحية من نصيب الدكتور إدوارد سعيد، وشارك الأستاذ الدكتور قاسم السامرائي بهذا البحث الذي قُدم باللغة الإنجليزية. وهاهي ترجمته.

لا شك أن السامرائي جدير بتناول هذا الموضوع فخبرته بالاستشراق تعود إلى سنوات دراسته في بريطانيا حيث حصل على الدكتوراه في الدراسات الإسلامية على يد المستشرق الإنجليزي المشهور آربري، واستمرت صلة السامرائي بالاستشراق حينما أخذ يهتم بالمخطوطات وتحقيقها ثم انتقاله للعمل في جامعة ليدن بهولندا.

وعمل الدكتور السامرائي في السعودية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عدة كليات، ثم التحق بمركز البحوث حيث أسس وحدة الاستشراق والتنصير، وكان من إسهاماته في هذه الوحدة ترجمته للعمل الجليل الذي كتبه عبد اللطيف الطيباوي بعنوان "المستشرقون الناطقون باللغة الإنجليزية."

وهاهو الدكتور السامرائي يسهم من جديد في تناول مسألة الاهتمام بالاستشراق في السعودية بمحاضرة أوجز فيها ملامح هذا الاهتمام، واضطر لطبيعة المحاضرة والوقت المخصص لها أن يوجز وأن يحذف الكثير. وكان من الممكن أن يتوقف قليلاً عند قسم الاستشراق بكلية الدعوة بالمدينة المنورة فيتحدث بإيجاز عن تأسيس القسم والمناهج التي تدرّس فيه، والعلماء الذين عملوا في القسم والإنجازات العلمية لهذا القسم من رسائل علمية أو مشاركات في مؤتمرات عالمية أو إقليمية وغير ذلك.

ولعل باحث آخر يهتم بالاستشراق في السعودية فيعرج على هذه الموضوعات ويوفيها حقها من البحث.

لم يكن عملي في الترجمة صعباً حيث إن معظم النصوص العربية التي استشهد بها المحاضر متوفرة لدي- والحمد لله-وقد عدت إليها، وما بقي من تعليقات وتحليلات للدكتور السامرائي فإن معرفتي الشخصية به وقراءاتي لكتاباته الأخرى أسهمتا في تسهيل المهمة إلى حد ما. ومع ذلك فلا أدعي الكمال لعملي فأشكر من يقدم إلى تصويباً أو نقداً. وأشكر الدكتور السامرائي على مراجعته للترجمة وموافقته على نشرها.

وثمة ملاحظة أخيرة في هذه المقدمة أن الدكتور السامرائي أعد محاضرة جديدة عام 1999م عن الاهتمام بالاستشراق في السعودية وألقيت في ليدن بهولندا وأرجو أن أتمكن من ترجمتها وعرض النص الإنجليزي في هذا الموقع بإذن الله.

النص المترجَم

لا تكاد توجد جهود أكاديمية (جامعية) في عالم الدراسات الإنسانية أسوأ حظاً في سوابقها من الدراسات الإسلامية في الغرب.([1])بهذه العبارة استهل عبد اللطيف طيباوي المقالة الأولى من مقالتيه في نقد المستشرقين الناطقين باللغة الإنجليزية. وبصفتي أول رئيس لوحدة أنشئت حديثاً (1401هـ/1991م) في مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية باسم وحدة الاستشراق والتنصير، فقد طُلب منّي أن أترجم مقالتي طيباوي إلى العربية. وقد قال مدير الجامعة في تقديمه للترجمة محدداً دوافع إنشاء الوحدة لتصبح قسماً أكاديمياً في المدينة المنورة ضمن كلية الدعوة:" فقد عُنيت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالدراسات الاسشتراقية منطلقة في ذلك من رسالتها العلمية التي توجب عليها رصد البحوث والنشاطات العلمية التي تتخذ من الإسلام ولغته وحضارته وشعوبه مجالاً لبحوثها فكان أن أنشأت وحدة خاصة بتلك الدراسات في مركز البحوث بالرياض وقسماً دراسياً خاصاً بها في المعهد العالي للدعوة الإسلامية (كلية الدعوة حالياً) بالمدينة المنورة."([2])

وواصل معالي المدير حديثه قائلاً:" ولا أريد في هذه المقدمة القصيرة أن أدخل في تفاصيل قضية الاستراق وموقفنا من المستشرقين ،ولكني أشير إلى حقيقة مهمة وهي

أن الخطوة الأولى لمقاومة أي فكر منحرف أو تيار معاد هي التعرف عليه وسبر أغواره،وجمع المعلومات الشاملة عنه ،وتحليل تلك المعلومات ونقدها بدقة وأمانة، ومعرفة الأطوار والمراحل التي مر بها والمنطلقات التي انطلق منها والأهداف التي يسعى إليها."([3])

وفي الحقيقة فإن كلمات المدير في العبارات المقتبسة أعلاه تعكس جزئياً الأجواء الحالية التي تسيطر على الاتجاهات الأكاديمية والصحافية كذلك في السعودية في الوقت الراهن، وموقف الغالبية العظمى من النخبة الفكرية الإسلامية.

وليست هذه هي الصورة كاملة ، فمن المؤكد أن الساحة الفكرية ليست خالية تماماً من أولئك الذين يدافعون عن نشاطات المستشرقين الإيجابية بحماسة وبدون تحفظ بينما يشيرون في الوقت نفسه إلى سلبياتهم. إن تأثير هؤلاء محدود بشكل يرثى له ، وصوتهم إنما هو صرخة في واد كما سنرى فيما بعد.

وقد لاحظ دونالد ليتل Donald Little بحق عام 1979م أن " ثمة كمية كبيرة من الكتابات حول الاستشراق والمستشرقين كتبت باللغة العربية واللغات الإسلامية الأخرى أعدت خصيصاً للاستهلاك المحلي."([4]) ولكن ما عدّه ليتل كميّة كبيرة قد أصبح ضخماً جداً بعد ثلاث عشرة سنة من ظهور مقالته، وللدقة نقول بأن هذه الكتابات ليست معدة فقط –كما يقول– للاستهلاك المحلي، ذلك أن معظمها قد كتب أو ترجم إلى إحدى اللغات الغربية.

ولإعطاء فكرة حول أهمية موضوع الاستشراق والمستشرقين في الساحة السعودية المعاصرة فمن الكافي أن نذكر أنه وفقا للمادة الببليوغرافية التي بين يدي فقد صدر أكثر من مئتي كتاب ، وليس أقل من ألفي مقالة في السنوات الأخيرةإما بأقلام سعودية أو عرب آخرين يعملون في السعودية. وحتى إن بعض الدوريات المهمة قد خصصت أعداداً خاصة لهذا الموضوع مثل "عالم الكتب" و" الفيصل" و" المنهل" ضمت مقالات مؤيدة أو معارضة للاستشراق. ([5]) وقد أصدر مكتب التربية لدول الخليج العربي كتاباً من جزأين ضم مجموعة بحوث حول " مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية.([6]) وقد أسهم في هذا العمل عشرون متخصصاً تقريباً

من جامعات ومؤسسات عليمة مختلفة في العالم العربي بتقديم بحوثهم حول النتائج التي تم التوصل إليها خلال القرنين الأخيرين من الاستشراق.

وبالإضافة إلى ما سبق فإن معظم الجامعات السعودية السبع تنظم سلسة من المحاضرات من حين لآخر يدعى إليها علماء من هيئة التدريس من هذه الجامعات أو من الخارج (بما في ذلك أوربيين) وبالطبع فمن موضوعات هذه المحاضرات الاستشراق والمستشرقون. وتسجل هذه المحاضرات عادة – على أشرطة كاسيت، وإما أن توزع مجاناً أو تباع لدى المحلات المتخصصة في بيع أشرطة الكاسيت ، وتوزع هذه التسجيلات على نطاق واسع. والنقطة التي يجب التأكيد عليها هنا أن كلاً من المثقف والعامي ينجذب بسرعة لدرجة أن عنوان مقالة أو عنوان كتاب يحتوي على مصطلح استشراق أو مستشرقين فإنه يثير حب المعرفة لدى القراء، وذلك ببساطة لأن هذه المصطلحات مرتبطة عادة بسوء تمثيل الإسلام وتشويهه حتى للعداء أو التعصب والتحيز ضده. ومع ذلك فإن تحليل كل العوامل التي ساعدت على إيجاد هذا التصور أو تطويره تقع خارج نطاق البحث. وقد ناقش باحث من السعودية هذا الأمر بقوله: "إن (أزمة) المستشرقين (الفكرية) و(الأخلاقية والمشكلات الناتجة عنهما قد أساء إليهم أيما إساءة ،فيكاد)تشويه) الحقيقة الفكرية دينية أو تاريخية أو لغوية أو عملية يصبح ظاهرة عامة في العمل الاستشراقي المبطن والسافر، المباشر وغير المباشر. والنتيجة بسيطة وواضحة شعور عميق بالنفور مما يخلق موقفاً متسماً بالشك إن لم يكن العداء السافر لأعمال المستشرقين، ونتيجة لذلك فإن ظاهرة الاستشراق كمجال علمي من السهل الشك فيها كما أن مكانة المستشرق تصبح موضع تساؤل."([7])

ويشرح أحمد عبد الحميد غراب (خريج جامعة أكسفورد) في كتابه (رؤية إسلامية للاستشراق) مصطلح استشراق كما يأتي: "إن الاستشراق دراسات" أكاديمية" يقوم بها غربيون كافرون من أهل الكتاب بوجه خاص –للإسلام والمسلمين عن شتى الجوانب: عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخاً ونظماً، وثروات وإمكانيات... بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب

عليهم ،ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدّعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي."([8])

إن الاهتمام الأساسي لدى المؤلف الذي يشترك فيه مع غيره من الكتاب السعوديين لا يكمن في الإنتاج الأكاديمي للمستشرقين ولكن في دورهم الحاسم في التأثير وتوجيه الموقف السياسي في دولهم. وهنا يتهم المؤلف المستشرقين بخيانة مبدأ الأخلاق الأكاديمية الذي يتطلب الحياد على الأقل. فالعالم الأمين يجب أن لا يسمح لتعصباته أن تكون عقبة في الطريقة التي يقدم بها الحقائق والمعرفة والاستنتاجات.([9])

ويبدي جميل المصري من جامعة أم القرى في مكة عدم رضاه عن الطريقة التي درس بها المستشرقون وحللوا التاريخ الإسلامي لأنهم- المستشرقون- في نظره يميلون إلى النظر إلى التاريخ الإسلامي من خلفية ثقافية غربية، ووفقاً لمناهج البحث عندهم ومعاييره التي لا تصلح للتطبيق إلاّ على ثقافتهم، وبدلاً من ذلك فهم يلجأون إلى الاقتراحات والتخمينات التي بتكرارها يؤكدون الحقائق المقررة ويطلقون عليها نظريات علمية" وينصبون أنفسهم للحكم على التاريخ الإسلامي."([10]) ويقتبس المؤلف عبارة رودي بارت لتأييد موقفه،وهذه العبارة:" ونحن في هذا نطبق على الإسلام وتاريخه وعلى المؤلفات العربية التي نشتغل بها المعيار النقدي الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن."([11]) ولسوء الحظ يظهر أن المؤلف لم يفهم المعنى العميق لعبارة بارت التي أراد أن يؤكد بوضوح صدقية المعايير النقدية غير الملتزمة بأي ميول ثقافية أو دينية.

وفقاً لبعض المؤلفين السعوديين فإن المناهج المطبقة من قبل المستشرقين أدت إلى تشويه التاريخ الإسلامي، وكانت هذه التشوهات هي الفكرة الرئيسية في كتاب نال انتشاراً واسعاً وكتبت حوله عدة عروض وهو كتاب عبد الكريم باز الذي طبع عام 1403هـ/1983م بعنوان (افتراءات فيليب حتّي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي)([12]) وقد حاول المؤلف في كتابه أن يوضح كيف أن المستشرقين غير المؤهلين في علم التاريخ يرتكبون أخطاء فادحة في تفسيراتهم للأحداث التاريخية، وينتقدهم بقسوة لتبنيهم بدون تفكير التشويهات نفسها، ومما يدعو للدهشة أن

الإيجابية الوحيدة التي يراها الباز في الاستشراق تعليمه الممتاز للمنهجية ولا يعرف المؤلف سوى عدداً ضئيلاً من المستشرقين الذين قدموا إسهامات إيجابية في دراسة الحضارات القديمة وفي الفهرسة وتحقيق النصوص وتستحق الثناء.([13])

ويطرح باحث آخر من السعودية السؤال الآتي: "ما الباعث لكل هذا؟" وبدون التفكير بمعنى أو صفات الاستشراق ينقل الباحث بدون أو بوعي الرأي الذي قال به المؤلف المصري النصراني بأن "البواعث التجارية السياسية قادت المستشرقين بدراسة الإسلام والشعوب الإسلامية من أجل إخضاعهم للسيطرة الإمبريالية ويواصل المؤلف قوله" إنه الباعث الاستعماري المدروس دراسة دقيقة، فهم يقدمون لنا تراثنا محققاً مطبوعاً لقصور باعنا، وبذلك يبسطون نفوذهم الفكري علينا."([14])

وهذا هو الموضوع الذي تناوله العديد من الكتاب في عدد من الكتب والمقالات. ففي مقالة نشرت في مجلة "الفيصل" عام 1989م كتب محمد سعيد الفخرو متبنياً موقفاً دفاعياً مشيراً إلى عدد كبير من التشويهات من قبل مستشرقين مثل بروكلمان وكاتياني وجولدزيهر وفلهاوزن وميور وآخرين."([15])

وقد نشر أستاذ سعودي بارز في مجال المخطوطات هو الدكتور عباس صالح طاشكندي مقالة بعنوان " المستشرقون ودورهم في تحقيق النصوص العربية."([16]) كرر فيها عيوب الاستشراق الذي ذكرها إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" وربطها بالنقاش التبريري الذي قدّمه نجيب العقيقي في مجلداته الثلاث حول المستشرقين من الاتهامات في محاولة منه لتبرئة المستشرقين من الاتهامات غير المسنودة بالدليل. وبالإضافة إلى ذلك فإن الطاشكندي –المتدرب في مجال الببليوغرافيا– عدّد الفهارس التي يعرف للمخطوطات العربية التي أعدها المستشرقون ونشروها في ألمانيا ، والمملكة المتحدة، والنمسا، وفرنسا، وإيطاليا، وإسبانيا، وهولندا، والدول الإسكندنافية، وروسيا، والولايات المتحدة. وبالرغم من جهد الكاتب لتزيين الأفكار الشائعة حول الاستشراق وبالرغم من إعجابه العميق بعمل المستشرقين في مجالات فهرسة النصوص العربية وتحقيقها –والتي لو تناولناها في المجال الببليوغرافي – فإن الطاشكندي يراها قد أنجزت لفائدة المستشرقين. ويستنتج الطاشكندي في نهاية مقالته الأفكار التي نقابلها عادة في عدة مطبوعات وحتى عكسها بأن أكثر الجهود

الإيجابية للمستشرقين في عملهم النقدي لتحقيق ونشر المخطوطات العربية كانت من أكثر الخدمات المفيدة التي قدموها للدراسات العربية والإسلامية. وهذه الجهود الإيجابية ساهمت في الوقت نفسه في زيادة معرفتهم بتراثنا. وهذا يعني أن المعرفة التي حققوها من خلال دراسة الجوانب الفكرية والثقافية ونقدها المبنية على اختيارهم للمواد المتوفرة جعلت الاستشراق يقدم خدمة عظيمة في تحقيق أهداف الاستشراق الدينية والعسكرية وكذلك السياسية والأيديولوجية.([17])

ومن الواضح أن الطاشكندي وغيره من المؤلفين الذين ذكرنا لم يستطيعوا أن يخفوا إعجابهم المقنع بالمستشرقين في مجال أو آخر. ولا نستطيع مقاومة فكرة أن النقد الذي وجّه للاستشراق قد أسهم في نهاية المطاف في إشاعة كتابات المستشرقين. وقد أشار ناشر سعودي ووزير سابق بارز لهذا الشيوع في تقديمه لكتابي حول الاستشراق بهذه الطريقة: "إن العملية الاستشراقية عملية معقدة جداً...انعكست آثارها على السياسة والاجتماع والحركة الفكرية بل على الحياة العربية الإسلامية كافة....واختلفت فيها الآراء وتباينت حتى لقد اختلط الحق بالباطل ...وكان من نتاج ذلك كله بلبلة فكرية واجتماعية لا تزال الأمة تعاني من آثارها.."([18])

وكتابي هذا الذي طبع في الرياض عام 1403هـ/1983م جذب انتباه اثنين من المستشرقين الأوروبيين ودون أن يربطا ما كتبته بالنقاش المعاصر للاستشراق في العالم العربي بعامة وفي السعودية بخاصة فقد وصف أحدهما وهو بروجمان بأنه:" واحد من أكثر الدراسات عداوة سطّره قلم كاتب عربي."([19]) وبالإضافة إلى ذلك فإن ما كتبه الزميل السابق كان مركزاً على ملاحظاتي النقدية للاستشراق فقط، ولكنه فشل في ملاحظة نقدي للدراسات العربية والإسلامية في الكتاب. وثمة تناول أكثر حيدة لما كتبته في رسالة دكتوراه قدمت لجامعة بون عام 1990م أعدها رودلف بالرغم من أنه فشل في فهم مكانة الاستشراق ضمن النقاش المعاصر في العالم العربي.([20])

إن الأعمال التي تم اختيار هنا كان بلا ترتيب ولا يمكن أن يقال بأنها تمثل كل وجهات النظر حول الاستشراق في المملكة العربية السعودية. وقد كتب باحث سعودي قائلاً:" إنه من المستحيل على الجهد البشري حصر ،بله دراسة كل الكتب

والمقالات التي كتبت لنقد جانب أو آخر في إنتاج المستشرقين."([21]) لقد كتب الدكتور النملة هذه الملاحظة ضمن المناظرة التي نشرتها جريدة الشرق الأوسط السعودية التي تتمتع بتوزيع واسع في السعودية وشمال أفريقيا ومصر وتحت عنوان "قضية الاستشراق " حيث قدمت الصحيفة خمسة أسئلة لعلماء من مختلف التخصصات والقدرات والجنسيات، وهذه الأسئلة هي : (1)هل الاستشراق نعمة أم نقمة ؟ (2)كيف نفرق بين الاستشراق الإيجابي الذي يتوخى الحقيقة والاستشراق السلبي الذي يتلاعب بالحق؟(3) لماذا لا يتصل الحوار بين المستشرقين والمسلمين ؟(4) هلي يمكن أن نستفيد من الاستشراق ولاسيما الإيجابي منه ويف؟(5) ما الذي يبج عمله إزاء التراكم الكمي الهائل عبر القرون لأخطاء الاستشراق ومغالطات المستشرقين ؟([22]) وقدمت الأسئلة إلى ستة عشر عالماً ثمانية منهم سعوديون ،وسبعة منهم يتسنمون مناصب جامعية بينما يعمل الأخير رئيساً للنادي الأدبي في الرياض. وحيث أن هذا البحث يتعلق بالاهتمام بالاستشراق في السعودية في الوقت الحاضر فسوف أقتصر على اختيار الآراء الممثلة للأشخاص الثمانية الذين عبروا عن آرائهم حول هذه القضية.

يقول عبد الله إدريس– رئيس النادي الأدبي في الرياض– " يكون الاستشراق نعمة إذا كان مدعماً بالحيادية التامة، والنظرة الشمولية المعمقة والإنصاف ونشدان الحق والحقيقة دون أن يكون مصحوباً بالبواعث النفسية والاحتقانات التاريخية والتضادات الدينية والاستعمارية أو نبرات الاستعلاء والاستكبار أو لتمهيد بسط النفوذ والهيمنة. ويكون الاستشراق نقمة إذا جاء عكس ذلك."([23]) ومع ذلك فإن آراء العلماء السعوديين الآخرين اختلفت اختلافاً واسعاً بخصوص هذه النقطة، فقد مال كل من محمد الربيع–المدير السابق لمركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– ومصطفى عبد الواحد من جامعة أم القرى بمكة المكرمة لرؤية الاستشراق على أنه "في جوهره حركة استعمارية" كان نعمة على الغرب حيث مهد للغرب الطريق سياسياً للسيطرة على الأمم الأخرى، وبالتالي على الاستشراق نعمة على هذه الدول. ومع ذلك فقد أكدا أنه من الصعب إعطاء حكم عام على حركة الاستشراق بعامة دون الإشارة إلى جوانبها الإيجابية بما في ذلك الجهود التي بذلها

المستشرقون الذين كرسوا كثيراً من وقتهم وطاقتهم ليقدموا لنا تلك الروائع من تراثنا وفقاً لمنهج جديد في نقد النصوص. وثانياً إن ريادتهم لنظام جديد في تطبيق منهجية علمية حازمة في بحوثهم قد أثرت بالفعل طريقتنا في البحث وبالتالي استمالت بالفعل علماءنا ليواجهوا التحديات في العالم الجيد المتغير.([24])

وفي الحقيقة فإن معظم العلماء السعوديين الذين شاركوا في النقاش مع أنهم مقتنعون بعيوب دراسة الإسلام كما طورت في أوروبا خلال القرن الماضي إلاّ أنهم مستعدون للاعتراف بالجوانب الإيجابية للاستشراق شريطة أن يلتزم المستشرقون بدرجة معينة من الموضوعية في بحوثهم/ ومع ذلك فإن شكوكهم العميقة لم تبدد تماماً حيث إن معظمهم مازال يعتقد بأن المستشرقين مقيدون بميراث من تعصبات القرون الوسطى التي تظهر في معظم أعمالهم التي تتناول العرب كأمة بصفة عامة والإسلام كدين بصفة خاصة. وتظهر الشكوك في خمس مقالات كتبها محمد أحمد مشهور الحداد ونشرت في صحيفة أخبار العالم الإسلامي عام 1988م.([25])

وكتب الدكتور علي شلش ملخصاً النقاش الذي استمر عشر حلقات في "الشرق الأوسط" وبدأ بسرد مفصل لتاريخ الاستشراق معيداً إياه إلى أيام الإمبراطوريتين اليونانية والفارسية واستمر تطوره إلى يومنا هذا وقال:" ومع أن مناظرة " الشرق الأوسط" جاءت من طرف واحد هو طرفنا، ولم تتح للمستشرقين المناقشة والرد ، ففيهم من يهتم بها وينتفع بما طرح فيها. الجديد في هذه المناظرة أن المساهمين فيها اعترفوا بما للمستشرقين من فضل على الدراسات الإسلامية الحديثة، ولا سيما في مجالات نشر التراث وتصنيفه وفهرسته ومناهج دراسته.([26]) وبعد أن كرر شلش سلسلة الانتقادات التي عادة ما يقرأها الإنسان في هذه النقاشات حول المستشرقين انتقد الدكتور شلش المشاركين في النقاش بهذه الطريقة:" وبالرغم من تشوهات الصورة التي رسمها بعض المستشرقين للإسلام والمسلمين فقد أوضح المتناظرون وبينوا مواطن الخلل فيها، بل تمسك أحدهم بأن المستشرقين الذين قاموا بتشويه صورة الإسلام لم يضلونا نحن المسلمين بتلك الصورة المشوهة وإنما يضللون أنفسهم وأقوامهم، ومع ذلك تبقى الحقيقة أن الاستشراق كفرع معرفي يمارس أساساً على المستوى الأكاديمي يجب أن لا يحكم عليه وفقاً لطريقة تفكيرنا ، وكل ما نرجوه هو

أن نضع المستشرقين في إطار الثقافة التي تشربوها والعلوم والناهج التي تبروا عليها والعقيدة الدينية التي يعتنقونها والولاء الوطني الذي يناديهم كمواطنين قبل أن يكونوا علماء ،وبعد هذا كله علينا أن نصلح ما أفسدوه بأيدينا ، فهم ليسوا مسلمين ولا يهمنا أن يكونوا معنا، أو علينا ، وإنما يهمنا –أولاً وأخيراً– أن يكونوا موضوعيين وفيهم الموضوعيون بالفعل– وأن نساعدهم على هذه الموضوعية."([27])

ونظراً لمحدودية الوقت المخصص لهذه المحاضرة فإنني مضطر لممارسة "عملية الحذف" كما يقول إدوارد سعيد، وذلك بحذف كمية كبيرة من المادة التي استطعت جمعها في السنوات القليلة الماضية من عملي في السعودية، وسأقول أولاً كلمات حول دور المقالات الصحافية في النقاش السعودي للاستشراق وفي النهاية حول تأثير أشرطة الكاسيت.

إن ظاهرة المقالات في الصحافة والدوريات السعودية قد حققت تغييراً ضخماً في اتجاه طريقة النظرة إلى الاستشراق وتحليله. ومن المؤكد أن معظم الكتاب المذكورين هنا علماء ذوو ثقافة عالية وصحافيين محترفين يكتبون أما من باريس أو نيويورك أو لندن أو جدة أو الرياض، وكثير منهم من جنسيات مختلفة بما فيهم السعوديين ، ومعتقدات متعددة يقدمون إسهامات يومية أو أسبوعية بمراجعة الكتب للمستشرقين أو يكتبون مقالات مستقلة مخصصة لموضوع أو عدة موضوعات محدده. وهكذا ففي عدد واحد اخترته بطريقة عفوية من جريدة "الحياة" التي تصدر في لندن ظهرت ثلاث مراجعات لها تأثير كبير على الاستشراق. وكان الأول مراجعة لكتاب سبق ذكره لأحمد غراب هو "رؤية إسلامية للاستشراق" وكتب العرض سيد حسان من جدة،والثاني مراجعة لكتاب يوجين يونج "اليقظة العربية الإسلامية" وكتبه مازن بلال، وجاء الثالث بقلم عمّار الجندي من لندن الذي حلل رسالة دكتوراه حديثة قدمت لجامعة وارويك Warwick أعدها جون دكسون John Dickson عنوانها " مصر في كتب الرحالة الإنجليز والفرنسيين بين عام 1789و 1882م" وكان العرض بعنوان : تمازج الشرق الغرب:هل أخطأ إدوارد سعيد في معالجة كتب الرحالة الإنجليز والفرنسيين؟" وقد بدأ الكاتب عرضه بتقويم لكتاب إدوارد سعيد "الاستشراق" بالعبارات التالية" لقد هز ظهور كتاب إدوارد سعيد "الاستشراق" في السبعينيات

الأكاديميين الغربيين لدرجة أن القيود المفروضة على مجال أكاديمي قديم كان حتى ذلك الوقت غامضاً أو مشوشاً، وكان إلى درجة كبيرة خاضعاً للنسيان وكان بالتالي محدداً(أي معلوم التعريف ولكن لم يتم احتواؤه)([28]) واستمر الكاتب يقدم للقارئ عرضاً مشوباً بالإعجاب للموضوعات والأفكار التي عالجها دكسون دون إغفال أو إضافة تأييده أو رفضه لردود فعل المؤلف حول بعض النقاط التي تناولها سعيد. ووفقاً للكاتب فإن دكسون قد أساء فهم العلاقة المعقدة بين مسألتي الرحالة من جهة والفرع المعرفي للاستشراق من جهة أخرى الذي خصص له سعيد جزءاً كبيراً في كتابه. إن اتهام دكسون بأن سعيد قدّم تعميمات غير مقبولة وأحكاماً جزافية كان بالنسبة لكاتب العرض تكراراً للاتهامات القديمة التي شنها سابقاً جابرائيلي Gabrieli في كتابه "اعتذار للاستشراق" وصادق جلال العظم في مقالته " الاستشراق معكوساً" وكذلك من قبل آخرين.([29])

إن معظم الموضوعات التي تناولها كتّاب الأعمدة والمقالات موضوعات ذات طبيعة معاصرة وأهم هذه الموضوعات استمرار سوء تمثيل الإسلام كدين في الإعلام الغربي من قبل مستشرقين بسبب أن هؤلاء المستشرقين يقومون حقيقة بدور حاسم في استمرار هذا التشويه لأنهم يحتكرون المعلومات عن الإسلام حيث إن وسائل الإعلام لا تحصل على المعلومات إلاّ عن طريقهم. وقد كتب مازن مطبقاني الذي درس في الجامعات الأمريكية مقالة في صحيفة"المسلمون" بعنوان " لماذا يخوفون الغرب بالإسلام" ([30]) جاء فيها قوله:" نشر القس مارستون سبايت Rev. Marston Speight من معهد هارتفورد اللاهوتي مقالة بعنوان " هل يصبح الإسلام الشبح الجديد؟"وفي هذا المقال يتعجب سبايت فيما إذا كان انهيار الشيوعية في الاتحاد السوفيتي (السابق) سيدعو أولئك الأمريكيين الذين عادة ما يسهبون في الحديث عن الخطر المفترض من الشيوعية إلى إبدال الإسلام بالشيوعية كشبح مخيف لأمريكا والعالم بتقديمه كذلك. ويؤكد كاتب المقال (المطبقاني) بأن مثل هذا الخوف يمكن تبريره عند قراءة مقالة نشرها شارلز كروتهامر Charles Kruthammer في صحيفة أمريكية بعنوان " الإسلام يشن حرباً عالمية" يصف فيها المسلمين في مطالبتهم بالاستقلال السياسي من الاتحاد السوفيتي سابقاً بأنها حركة مثيرة بقدر إثارة

الاتحاد السوفيتي نفسه، ويطلق كروتهامر على هذه المطالبات بأنها "انتفاضة كونية" ويرى أن ما يجعل هذه الحركة مخيفة أن قوة الإسلام استبدادية وغير متسامحة. وينهي المطبقاني مقالته بقوله " وبعد أيام من اطلاعي على مقالة كروتهامر علمت أن الأستاذ الجامعي البروفيسور برنارد لويس قد قدّم محاضرة في مكتبة الكونجرس الأمريكي حول عداوة المسلمين (المزعومة(لأمريكا. وأعاد المحاضر قراءة محاضرته في معهد هوفر ومرة أخرى في جامعة ستانفورد. وأخيراً نشر المحاضرة نفسها بعنوان " جذور الغيظ الإسلامي" ([31])

ومن نفس المنطلق نجد عاصم حمدان –خريج جامعة مانشستر – الذي يكتب بصفة مستمرة في جريدة " المدينة المنورة" كتب نقداً عنيفاً ضد الصحافي البريطاني روبرت كيلوري سيلك Robert Kilory Silk من جريدة التايمز اللندنية حيث ظهرت مقالة سيلك في 13فبراير 1989م بعنوان " العقل الدولي سيادتنا" مما دفع عاصم حمدان لكتابة ثلاثة مقالات قوية لكنها كشفت عن فهم عميق ورائع للفكر الغربي. ففي المقالة الأولى ناقش حمدان ضمن موضوعات أخرى قائلاً" عن المتتبع للحركة الثقافية والعلمية في الغرب يجد أن هذا الموقف المضاد للإسلام والمسلمين إنما مرده لنوعية الثقافة التي يتلقاها الفرد الأوروبي من هذه المصادر الثقافية والوسائل الإعلامية التي لا تترك مناسبة سانحة إلاّ وتوجه من خلالها العديد من الاتهامات للدين الإسلامي، ولكن دون دليل يثبت ما تذهب إليه من تهم أو تبحث من قضايا إنما هو الحقد المتأصل، والمواقف المتوارثة عن المؤسسات الاستشراقية المتعصبة. وما الذي جعل روبرت سيلك في أثناء مناقشته للأمور التي سيواجهها العالم بعد انهيار الشيوعية " يذم الإسلام والمسلمين على أنهم أعظم دعاة لأعظم الشرور التي شاهدها العالم." ويميز الكاتب بين ثلاثة أسباب مسؤولة عن هذه الهجمة الثقافية الشرسة وهي: "الجهل بطبيعة الدين الإسلامي، والخلفية العنصرية والأعمال الصهيونية الناجحة وبخاصة من كتّاب يهود تفسح لهم الصحافة الغربية صفحاتها والتي تنسف كل المجادلات الجادة التي يبذلها المسلمون لشرح مواقفهم الحقيقية للمجتمعات المسيحية الغربية."([32]) وفي المقالة الثانية خص الكاتب برنارد لويس على أنه واحد من المنشغلين بتوسيع الفجوة بين المسلمين والغرب.([33])

ويشرح كاتب آخر من منظور مختلف كلياً موقف العداء الغربي ضد الإسلام بلفت الانتباه إلى الحقيقة التي مفادها أنه في الأشهر الستة الأولى من عام 1991 ظهر ما لا يقل عن واحد وثمانين وأربعمئة كتاب في اللغة الإنجليزية وحدها ، وأكثر من أربعمئة كتاب في الفرنسية حول الإسلام وجوانبه المختلفة والتي يكفي الملاحظ الأهمية الفريدة بالنسبة للعقل الغربي لفهم الإسلام. ولا يمكن أن يقال أن هذا من معظم الكتب التي قرأها ولكن الدافع لكثرة هذه الكتب في نظر الكاتب ليس لفهم الإسلام " وإنما من الخوف والتوتر والقلق من عدو غامض جديد ، فالعلمانيون الغربيون يبدون أنهم الأوغاد الذين يديرون حملة العداء لأن الإسلام يدعو إلى المبادئ الأخلاقية التي تدعو لها النصرانية والتي رفضت منذ زمن بعيد في الغرب."([34])

كما تنعكس جدلية الاستشراق أيضاً في محاضرات تنتشر عن طريق أشرطة الكاسيت ومعظم المتحدثين يسهب في الحديث عن نماذج معروفة سابقاً وإن الشريط الذي اخترته للنقاش ليس استثناء ولكنه يصور الاستشراق وفقاً لرؤية جديدة فقد اشتكى الدكتور أكرم ضياء العمري أستاذ التاريخ الإسلامي بالجامعة الإسلامية في محاضرة عامة عام 1986م من سلبية المستشرقين البارزة في دراساتهم لأي أمر يتعلق بالإسلام بالعكس من دراساتهم لأي دين أو معتقد آخر سواءً كان ديناً توحيدياً أو غير ذلك. ومما أزعج العمري كثيراً أن كثيراً من كتابات المستشرقين قد تترجم وتُتَبنّى آراؤهم من قبل علماء عرب ومسلمين في الماضي والحاضر في أنحاء العالم الإسلامي. وقد حان الوقت أن يبذل العلماء المسلمون جهوداً كبيرة لتحدي سيطرة الهجمة الفكرية الغربية. وقال العمري في ختام محاضرته بأن الاستشراق حركة أكاديمية وقد حققت معظم أهدافها ،وإن لم تحقق جميع أهدافها بعد. ويستمر الاستشراق كحركة أكاديمية أساساً موجهة نحو الغرب. وسوف يستمر المستشرقون في الكتابة عنّا في دورياتهم التي بلغت ثلاثمئة دورية محللين أوضاعنا وبالتالي الحكم علينا وتمثيلنا بدلاً من أن نقوم نحن بتمثيل أنفسنا أما أنفسنا، وهذا بالفعل واجبنا نحن وليس واجبهم. وإنها بالتالي مسؤولية مؤسساتنا الأكاديمية لممارسة دورها الريادي لتمثيلنا كما نحن للآخرين وليس ثمة حاجة لمفهوم المستشرقين نحونا.([35])

وفي الختام أود أن أقتبس بعض الملاحظات التي أدلى بها إليّ شخصياً كاتب صحافي السعودية يكتب أساساً حول الاستشراق:" ليس خطؤنا أن نكون حريصين على إثبات تفوقنا وأننا عدائيون نحو الاستشراق كفرع أكاديمي لأننا كتلاميذ سابقين له تعلمنا من المستشرقين أنفسهم ومن خلال كتاباتهم وتدريسهم أن نكون موضوعيين. يجب أن نوجه اللوم إليهم لموقفنا العدائي نحوهم،وهو عداؤهم نحونا وفوق ذلك المعاملة الشخصية غير العادلة التي عومل بها بعضنا من قبل أحد الأساتذة أو أكثر."

وعلي أي حال فإن عمل المستشرقين وإنجازاتهم قد نوقشت وأنكرت وحتى إن هذا العمل يثير شعوراً بالتضارب والتناقض المستمر في كل مطبوعة تقريباً . يعترف كل كاتب بطريقته بأن المستشرقين قد قدموا إسهامات قيمة لمعرفة الإسلام ككل والتراث العربي بصفة خاصة، ومع ذلك فإن إدراك مصداقية أو عدم مصداقية النقد المتداول في السعودية حالياً والعالم العربي لا يبرر في النهاية إلغاءه كلياً في مواجهة الاتصالات المتنامية، والعلاقات المتبادلة في العالم الحديث. وسواءً وافقنا أو لم نوافق مع هؤلاء الكتاب فثمة أسباب جيدة للاعتقاد بأن الاستشراق كما هو الآن ليس جامداً كما يعتقد بعض منتقديه. ولا أحد يعترض أن الوقت مناسب الآن للتغيير.

إن اعتراضهم الأساس مركز على نقص الموضوعية لدى المستشرقين وسواءً كان هذا الاعتراض له ما يبرره أم لا فذلك خارج تماماً عن نطاق هذه المحاضرة،ويستحق دراسة منفصلة موسعة.

- الحواشي :

1- عبد اللطيف الطيباوي. المستشرقون الناطقون باللغة الإنجليزية .ترجمة قاسم السامرائي (الرياض:جامعة الإمام محمد بن سعود 1411هـ/1991م) ص 8.

2- المرجع نفسه . تقديم مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً ،ص 5.

3- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

4- Donald Little." Istishraq and Mustashrigun" in The Muslim Worlk.Vol.LXIX. No. 2, 1979, P110.

5- عالم الكتب،مجلد 5، عدد 1 أبريل 1984م، والمنهل، مجلد 50، عدد 471، رمضان وشوال 1409أبريل ومايو 1989م

6- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية(الرياض: مكتب التربية العربي 1405) مجلدان.

7-أحمد عبد الحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق. ط2 (بيرمنجهام: المنتدى الإسلامي، 1411هـ)ص 7.

8- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

9- المرجع نفسه ص 181.

10- جميل عبد الله المصري. دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين.(دمشق وبيروت: دار القلم والدار الشامية، 1411هـ/1991) ص 7و9.

11- رودي بارت. الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية. ترجمة مصطفى ماهر(القاهرة بدون تاريخ) ص 10.

12- عبد الكريم علي باز. افتراءات فيليب حتّى وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي(جدة: تهامة للنشر، 1403-1983م)

13- عبد العزيز محمد اللميلم. "افتراءات فيليب حتّي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي" لعبد الكريم باز عرض في مجلة عالم الكتب، عدد 1 مجلد 5،أبريل 1984م ص 208 وما بعدها.

14- محمد عبد الله مليباري .المستشرقون والدراسات الإسلامية. (الرياض :دار الرفاعي، 1410هـ)ص 47.

15- محمد سعيد فخرو. " الاستشراق والإسلام" في الفيصل، عدد 105، ذو الحجة 1409، يوليه 1989م ص 95-98.

16- عباس صالح طاشكندي. " المستشرقون ودورهم في تحقيق المخطوطات العربية " في عالم الكتب، مجلد 5 عدد 1 رجب 1404هـ/ أبريل 1984م ص 5-14.

17- المرجع نفسه.

18- قاسم السامرائي . الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية. (الرياض: دار الرفاعي 1403هـ/1983م) ص 6 من تقديم الناشر عبد العزيز الرفاعي رحمه الله.

19- لم يذكر الباحث (المحاضر) بقية المعلومات المكتبية حول الكتاب الذي هو Brugman .Manuscripts of the Middle East وقد تعجب المحاضر أن يكون الكتاب حول المخطوطات ويتناول كتاباً موضوعاً لصاحب المحاضرة.

20- Rudolph, Westliche. “ Islam wissenschaft in Speigal Muslimicher Kirtik, Berlin 1991.

21- علي إبراهيم النملة. " قضية الاستشراق في مناظرة الشرق الأوسط. في الشرق الأوسط. عدد 4626في 7/29/ 1991.

22- الشرق الأوسط، عدد 4626في 1991/7/27م ص 22.

23-عبد الله بن إدريس /" مناظرة الشرق الأوسط حول الاستشراق عدد 4625 في 1991/7/28

24- محمد عبد الرحمن الربيّع ومصطفى عبد الواحد ، المرجع نفسه ، عدد 4633، 1991/8/5م.

25 – محمد أحمد مشهور حداد . " الاستشراق" في أخبار العالم الإسلامي.مكة المكرمة، الأعداد 1071-1075.

26 – علي شلش. " تعقيب على قضية الاستشراق " في الشرق الأوسط ، عدد 4636في 1991/8/8/

27 – المرجع نفسه.

28- عمّار الجندي " مصر في كتب الرحّالة الإنجليز والفرنسيين" في الحياة ، عدد 10612، 1992/2/27م، ص 19.

29- المرجع نفسه.

30- مازن مطبقاني. " لماذا يخوفون الغرب بالإسلام؟" في المسلمون. عدد 307، في 5/4 /1411هـ 1990/12/21.

31- Bernard Lewis “ The roots of Muslim Rage” in The Atlantic Monthly. September 1992.

32- عاصم حمدان." الإسلام في الكتابات الغربية الحديثة1" في المدينة المنورة 1990/1/11 و1990/1/18.

33 – المرجع نفسه

34- أمير طاهري." الكتب الجديدة والعلاقة بين الغرب والإسلام" في الشرق الأوسط، عدد 4521، 1991/4/15م.

35- أكرم ضياء العمري. " الاستشراق هل استنفذ أغراضه؟" محاضرة عامة ألقيت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1406 ونشرت في جريدة المدينة المنورة ، أعدها للنشر مازن مطبقاني في العددين 9106 و 9116 في 1412/10/28و 1412/11/5هـ في ملحق التراث.

================

مدارس الاستشراق > المدرسة الإيطالية >

لا بد من البدء في إيطاليا ذلك أنها مهد الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، فقد كان البابوات هم الذين وجهوا إلى دراسة اللغة العربية، ومن هنا صدر القرار البابوي بإنشاء ستة كراسٍ لتعليم اللغة العربية في باريس ونابولي وسالونيكا وغيرها، وقد تعاون مجموعة من نصارى الشام مع الكنيسة الكاثوليكية لنشر الديانة الكاثوليكية في المشرق، وقد بدأ هذا التعاون باتحاد الكنيستين المارونية والكاثوليكية عام 1575م، وقام المارونيون بترجمة العديد من كتب اللاهوت إلى اللغة العربية.

واستمر اهتمام إيطاليا بالعالم الإسلامي وظهر مستشرقون في المجالات المختلفة ومن هؤلاء على سبيل المثال المستشرق الأمير كايتياني الذي أصدر مؤلفه الكبير (حوليات الإسلامي)، ومنهم أيضا المستشرق كارلو نيللو الذي درّس الفلك والأدب في جامعة القاهرة.[1] وفيما يأتي بعض أعلام المدرسة الاستشراقية الإيطالية:

1- ديفيد سانتيلاناDavid Santillana (1855-1931)

ولد في تونس، حصل على الدكتوراه في القانون من جامعة روما وتخصص في الفقه الإسلامي والفلسفة الإسلامية، أسهم في وضع القانونين المدني والتجاري بالاعتماد على الشريعة الإسلامية، عمل في الجامعة المصرية أستاذاً لتاريخ الفلسفة، ثم عمل

في جامعة روما أستاذاً للقانون الإسلامي، له العديد من الآثار في مجال الفقه والقانون المقارن.

2- الأمير ليوني كايتاني Leone Caetaniي(1926-1869)

من أبرز المستشرقين الإيطاليين، فقد كان يتقن عدة لغات منها العربية والفارسية، عمل سفيراً لبلاده في الولايات المتحدة، زار الكثير من البلدان الشرقية منها الهند وإيران ومصر وسوريا ولبنان، من أبرز مؤلفاته حوليات الإسلام المكون من عشرة مجلدات تناولت تاريخ الإسلام حتى عام 35هـ. وأنفق كثيراً من أمواله على البعثات العلمية لدراسة المنطقة، يعد كتابه الحوليات مرجعاً مهماً لكثير من المستشرقين.

3 - كارلو نللينو"Carlo Alfoso Nallino"و ((1872-1938

ولد في تورينو وتعلم العربية في جامعتها، عمل أستاذاً للغة العربية في المعهد العلمي الشرقي بنابولي ثم أستاذاً بجامعة بالرمو ثم جامعة روما، وعين أستاذاً للتاريخ والدراسات الإسلامية في جامعة روما، ودعي من قبل الجامعة المصرية محاضراً في الفلك ثم في الأدب العربي ثم في تاريخ جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام.

- الحواشي :

[1] - يراجع نجيب العقيقي في كتابه المستشرقون، الجزء الأول

==============

مدارس الاستشراق > المدرسة الهولندية >

يعد كتاب الدكتور قاسم السامرائي (الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية) مرجعاً مهماً في دراسة الاستشراق الهولندي فقد ذكر أن الاستشراق الهولندي لا يختلف عن الاستشراق الأوروبي في أنه انطلق مدفوعاً بالروح التنصيرية، وأن هولندا كانت تدور في الفلك البابوي الكاثوليكي[1].

وقد اهتم المستشرقون الهولنديون باللغة العربية ومعاجمها كما اهتموا بتحقيق النصوص العربية، ومما يميز الاستشراق الهولندي وجود مؤسسة برل التي تولت طباعة الموسوعة الإسلامية ونشرها في طبعتيها الأولى والثانية، كما تقوم هذه المؤسسة بطباعة كثير من الكتب حول الإسلام والمسلمين.

ومن أبرز المستشرقين الهولنديين سنوك هورخرونيه الذي ادعى الإسلام وتسمى باسم الحاج عبد الغفار، وذهب إلى مكة المكرمة ومكث ستة أشهر حتى طردته السلطات من هناك، فرحل إلى إندونيسيا ليعمل مع السلطات الهولندية المحتلة لتدعيم الاحتلال في ذلك البلد الإسلامي، ومن أعلام الاستشراق الهولندي أيضا دي خويه (ت1909م) وفنسنك صاحب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، وله كتاب في العقيدة الإسلامية، وكذلك المستشرق منسنك والمستشرق دوزي.

وذكر الدكتور السامرائي أن الاستشراق الهولندي شهد في السنوات الماضية ظهور تيار من المستشرقين الشباب الذين يميلون إلى النظرة الموضوعية إلى الإسلام وقضاياه وهذا مما أثار حنق وغضب المستشرقين الأكبر سناً، ولهولندا مركز للبحوث والدراسات العربية والإسلامية في مصر. وقد تولّت جامعة ليدن تنظيم مؤتمر عالمي حول الإسلام في القرن الواحد والعشرين في الفترة من 3-7 يونيو 1996 بالتعاون مع وزارة الشؤون الدينية الإندونيسية، وحضر المؤتمر مئة وعشرون باحثاً من أنحاء العالم، وقد بحث المؤتمرون أوضاع العالم الإسلامي في القرن القادم من خلال ثلاثة محاور:

q الإسلام والمجتمع الدولي

q والإسلام والتنمية

q والإسلام والتعليم.

وقد عقد المؤتمر الثاني في مصر وكان طابعه رسمياً أكثر منه علمياً. ولم يعقد المؤتمر الثالث حسب علمي حتى الآن.

من أعلام الاستشراق الهولندي

1- رانيهارت دوزيRienhart Dozy ء (1820م-1883م)

ولد في 21 فبراير 1920م في مدينة ليدن، بدأ دراسة العربية في المرحلة الثانوية وواصل هذه الدراسة في الجامعة، حصل على الدكتوراه عام 1881م عن بحثه (أخبار بني عيّاد عن الكتاب العرب) اهتم بالمخطوطات العربية وبخاصة كتاب الذخيرة لابن بسام وغيره من الكتب، اهتم بتاريخ المسلمين في الأندلس وأبرز كتبه تاريخ المسلمين في اسبانيا المكون من عدة مجلدات.

2- مايكال دي خويه Michael Jan De Gojeء (1836م-1909م).

ولد في 9 أغسطس 1836م، تخصص في جامعة ليدن بالدراسات الشرقية ومن أساتذته المستشرق دوزي وكانت رسالته للدكتوراه بعنوان (نموذج من الكتابات الشرقية في وصف المغرب مأخوذ من كتاب البلدان لليعقوبي، عمل في التدريس بجامعة ليدن، وكان أبرز اهتماماته الجغرافيا وكذلك التاريخ الإسلامي، ومن إنتاجه تحقيق كتاب فتوح البلدان للبلاذري، كما شارك وأشرف على تحقيق تاريخ الطبري، وهو غزير الإنتاج.

3- سنوك هورخرونيهChristiaan Snouk Hurgronje ء (1857م-1936م)

ولد في 8فبراير 1857م، درس اللاهوت ثم بدأ دراسة العربية والإسلام على يد المستشرق دي خويه، ودرس كذلك على يد مستشرقين آخرين منهم المستشرق الألماني نولدكه، كانت رسالته للدكتوراه حول الحج إلى مكة المكرمة عام 1880م. عمل مدرساً في معهد تكوين الموظفين في الهند الشرقية (إندونيسيا)، أعلن إسلامه وتسمى باسم عبد الغفار وسافر إلى مكة المكرمة وأمضى فيها ستة أشهر ونصف، تعرف خلال هذه الفترة على عدد من الشخصيات في مكة وبخاصة الذين تعود أصولهم إلى الجزر الإندونيسية، جمع مادة كتابه عن مكة المكرمة.

انتقل إلى العمل في إندونيسيا لخدمة الاستعمار الهولندي حيث عمل مستشاراً لإدارة المستعمرات في عام 1891م، يعد سنوك نموذجاً للمستشرق الذي خدم الاستعمار خدمات كبيرة وسخّر علمه لهذا الغرض.[2]

تعريف أوسع في الرابط الآتي

سنوك من كتاب تاريخ مكة

4- أرنت فنسنكArnet Jan Wensink ء (1882م-1939م)

تتلمذ على يد المستشرق هوتسمان ودي خويه وسنوك هورخرونيه وسخاو .حصل على الدكتوراه في بحثه (محمد واليهود في المدينة) عام 1908م. بدأ في عمل معجم مفهرس لألفاظ الحديث الشريف مستعيناً بعدد كبير من الباحثين وتمويل من أكاديمية العلوم في أمستردام ومؤسسات هولندية وأوروبية أخرى، وأصدر كتاباً في فهرسة الحديث ترجمه فؤاد عبد الباقي بعنوان (مفتاح كنوز السنة) أشرف على طباعة

كتابات سنوك هورخرونيه في ستة مجلدات، له مؤلفات عديدة منها كتاب في العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها التاريخي.

5- جاك واردنبرج Jacque Waardenburg ء [3]

ولد في 15 مارس 1930م، درس القانون بجامعة أمستردام ودرس أيضاً علم اللاهوت بالجامعة نفسها.درس العربية في الفترة من 1953م إلى 1956م بجامعة أمستردام وفي ليدن وفي مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس، حصل على منحة من اليونسكو لزيارة بعض الدول العربية والإسلامية فزار إيران ولبنان ومصر والأردن كانت رسالته للدكتوراه بعنوان (الإسلام في مرآة الغرب) من جامعة أمستردام، عمل في معهد الدراسات الإسلامية بجامعة ما قيل بكندا في الفترة من 1962م- 1963م، قام بزيارات علمية لأجراء بحوث حول الجامعات في العالم العربي في كل من تونس ولبنان وسوريا والعراق والأردن، عمل باحثاً زائراً في جامعة كليفورينا- لوس أنجلوس وعمل في مجال التدريس في جامعة أوترخت بهولندا (1968م-1987م) ثم انتقل إلى جامعة لوزان بسويسرا وبقي فيها حتى تقاعد عام 1995م.

له إنتاج غزير في مجال الدراسات الإسلامية منها (الإسلام في مرآة الغرب) و(واقع الجامعات العربية –مجلدان) والطرق الكلاسيكية لدراسة الدين، شارك في الكتابة في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الثانية) وقد كتب مادة (مستشرقون).

- الحواشي :

[1] - قاسم السامرائي .الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية (الرياض: 1403) ص 103

[2] -انظر ترجمته بتوسع في كتاب السامرائي. السابق ذكره أعلاه، الصفحات 110-140.

[3] -هذه الترجمة مختصرة من ترجمة موسعه بقلم واردنبرج نفسه قدمها للباحث.

=================

مدارس الاستشراق > المدرسة الفرنسية >

تعد المدرسة الفرنسية من أهم المدارس الاستشراقية وبخاصة منذ إنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية سنة 1795م 1والتي رأسها المستشرق المشهور سلفستر دي

ساسي، وكان هذا المستشرق يعد عميد الاستشراق الأوروبي في النصف الأول من القرن التاسع عشر دون منافس.[1]

ويقول السامرائي عن كتاب ساسي في قواعد اللغة العربية إنّه "قد لوّن الاستشراق الأوروبي بصبغة فرنسية، "أما اهتمامات دي ساسي فقد تنوعت حيث شملت اللغة العربية وآدابها والتاريخ والفرق والجغرافيا، وهي فترة كما يقول السامرائي افتقدت إلى التخصص حيث كان المستشرق بمجرد دخوله هذا المجال يظن أنه يستطيع أن يكتب في كل ما يخص الإسلام والمسلمين، ولكن هذا النمط استمر كثيراً بعد هذه الفترة حتى يومنا هذا .[2]

ونشط الاستشراق الفرنسي قبل الحملة الفرنسية على مصر وبعدها، فقد اصطحب نابليون معه عدداً كبيراً من العلماء في المجالات المختلفة ليحدث هزة انبهار لدى المسلمين وعلمائهم بالحضارة الغربية، وليزيد في دراسة أوضاع المجتمعات الإسلامية، وقد صدر عن هذه الحملة كتاباً ضخما بعنوان (وصف مصر) كما إن نفوذ الاستشراق الفرنسي استمر بعد وصول محمد علي سرششمة إلى السلطة حيث بدأت البعثات العلمية في عهده وكانت تحت إشراف المستشرق الفرنسي جومار، وقد أرسلت تركيا وإيران والمغرب الأقصى بعثات مماثلة، ويقول الأستاذ محمد الصباغ في كتابه عن الابتعاث ومخاطره أن السبب في أن أولى البعثات العلمية قد توجهت إلى فرنسا أنها كانت أول الدول الأوروبية التي اتخذت العلمانية منهج حياة، وان الفساد الأخلاقي كان ينتشر فيها أكثر من غيرها من الدول الأوروبية.

ويذكر المنوني في كتابه المهم (يقظة المغرب العربي الحديث) أن المشرف على البعثة المغربية كتب إلى السلطات الفرنسية لتسمح للمبتعثين بالبقاء في فرنسا مدة من الزمن بعد انتهاء مهمتهم ليتشبعوا بالحضارة الفرنسية وعظمة فرنسا، ويقول المستشرق الإنجليزي برنارد لويس أن المعلمين الفرنسيين الذين بعثتهم فرنسا لتدريب الجيش التركي حملوا معهم كتبا مختارة في الأدب والفكر، كما إن الطلاب المبتعثين شُجّعوا على قراءة كتب الأدب والثقافة.

وأنشأ الفرنسيون في العصر الحاضر الكثير من مراكز الدراسات الاستشراقية والأقسام العلمية في جامعاتهم ومنها جامعة السوربون في باريس وجامعة ليون

وجامعة مارسيليا وجامعة اكس ان بروفانس وغيرها، ومن المراكز المهمة معهد دراسات المجتمعات المتوسطية، ومركز دراسات وبحوث العالم العربي والإسلامي بإكس، وتستضيف فرنسا حالياً عدداً من الباحثين المسلمين الذي انحرفوا عقديا وفكرياً وتهيئ لهم الفرص لبث فكرهم، ولا تكاد تفتح إحدى الصحف المهاجرة إلّا وتقرأ أسماء هؤلاء كأن العالم الإسلامي لم ينجب إلاّ المنحرفين.

من أعلام المستشرقين الفرنسيين

1- سيلفستر دي ساسي Silvester de Sacyء (1758م-1838م)

ولد في باريس عام 1758م، وتعلم اللاتينية واليونانية ثم درس على بعض القساوسة منهم القس مور والأب بارتارو، ثم درس العربية والفارسية والتركية. عمل في نشر المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس الوطنية، وكتب العديد من البحوث حول العرب وآدابهم وحقق عدداً من المخطوطات.

عين أستاذا للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية الحية عام 1795م وأعد كتاباً في النحو ترجم إلى الإنجليزية والألمانية والدنمركية، وأصبح مديراً لهذه المدرسة عام 1833م، وعندما تأسست الجمعية الآسيوية انتخب رئيساً لها عام 1822م. ومن أبرز اهتماماته "الدروز" حيث ألف كتاباً حولهم في جزأين، أصبحت فرنسا في عهده قبلة المستشرقين من جميع أنحاء القارة الأوروبية ويقول أحد الباحثين إنّ الاستشراق اصطبغ بالصبغة الفرنسية في عصره، عمل دي ساسي مع الحكومة الفرنسية وهو الذي ترجم البيانات التي نشرت عند احتلال الجزائر وكذلك عند احتلال مصر من قبل حملة نابليون عام 1797م.[3]

2- لوي ماسنيونLouis Massingon ء (1883م-1962م)

ولد في باريس وحصل على دبلوم الدراسات العليا في بحث عن المغرب، كما حصل على دبلوم اللغة العربية من مدرسة اللغات الشرقية الحية (فصحى وعامية) زار كلاً من الجزائر والمغرب وفي الجزائر انعقدت الصلة بينه وبين بعض كبار المستشرقين مثل جولدزيهر وآسين بلاثيوس وسنوك هورخرونيه ولي شاتيليه.

التحق بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة عدة أعوام (1907م-1908م) وفي عام 1909م عاد إلى مصر وهناك حضر بعض دروس الأزهر وكان مرتدياً الزي

الأزهري، زار العديد من البلاد الإسلامية منها الحجاز والقاهرة والقدس ولبنان وتركيا، عمل معيداً في كرسي الاجتماع الإسلامي في معهد فرنسا (1919م–1924م) وأصبح أستاذ كرسي (1926م–1954م) ومديراً للدراسات في المدرسة العلمية العليا حتى تقاعده عام 1954م.

لقد اشتهر ماسنيون باهتمامه بالتصوف الإسلامي وبخاصة بالحلاج حيث حقّق ديوان الحلاج (الطواسين) وكانت رسالته للدكتوراه بعنوان (آلام الحلاج شهيد التصوف) في جزأين وقد نشرت في كتاب تزيد صفحاته على ألف صفحة (ترجم الكتاب إلى اللغة الإنجليزية) وله اهتمام بالشيعة والتشيع، وعرف عن لويس صلته بالحكومة الفرنسية وتقديمه المشورة لها.

3- ريجيس بلاشير R.L. Blacherء (1900م–1973م)

ولد في باريس وتلقى التعليم الثانوي في الدار البيضاء وتخرج باللغة العربية من كلية الآداب بالجزائر، تولى العديد من المناصب العلمية منها أستاذ اللغة العربية في معهد مولاي يوسف بالرباط، ومدير معهد الدراسات المغربية العليا (1924م–1935م)، وأستاذ كرسي الأدب العربي في مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس وأستاذاً محاضراً في السوربون ثم مدير مدرسة الدراسات العليا والعلمية، ثم أستاذ اللغة العربية وحضارتها في باريس.

من أبرز إنتاجه ترجمته لمعاني القرآن الكريم وكذلك كتابه (تاريخ الأدب العربي) في جزأين وترجمه إلى العربية إبراهيم الكيلاني، وله أيضاً كتاب (أبو الطيب المتنبي: دراسة في التاريخ الأدبي).

4- مكسيم رودنسون Maxim Rodinson ء 1915م.

ولد في باريس في 26 يناير 1915م، وحصل على الدكتوراه في الآداب ثم على شهادة من المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية والمدرسة العلمية العليا، تولى العديد من المناصب العلمية في كل من سوريا ولبنان في المعاهد التابعة للحكومة الفرنسية هناك، تولى منصب مدير الدراسات في المدرسة العلمية للدراسات العليا قسم العلوم التاريخية واللغوية ثم محاضراً فيها قسم العلوم الاقتصادية والاجتماعية، نال العديد من الأوسمة والجوائز من الجهات العلمية الفرنسة والأوروبية.

لـه العديـد مـن المؤلفـات منهـا (الإسـلام والرأسـمالية) و(جاذبيـة الإسـلام) و(محمـد)r و(إسرائيل والرفض العربي)، ولـه العديد من الدراسات التاريخية والتاريخ الاقتصادي للعالم الإسلامي.

وهنـاك العديد مـن المستشـرقين الفرنسـيين البـارزين مثـل هنـري لاوسـت وكلـود كـاهن وشـارل بـيلا وإميـل درمـنجهم والأب لـويس جارديـه والأب البلجيكـي الأصـل الفرنسـي الجنسية الأب لامانس. وأندريه ريموند ، وروبير مانتران. وغيرهم.

- الحواشي :

[1] –السامرائي، الفهرس الوصفي للمنشورات الاستشراقية في جامعة الإمام، 1408، ص 15

[2] – المرجع نفسه س 9

[3] –Said. Orientalism, p129.

===============

مدارس الاستشراق > المدرسة الإنجليزية >

أنشئت أول أقسام اللغة العربية في الجامعات البريطانية في عامي 1632م و1636م فـي جـامعتي كمبريـدج وأكسـفورد علـى التـوالي، وكانـت الدراسـات العربيـة الإسـلامية يغلـب عليهـا الطـابع الفردي، ولكن في هذه الأثناء كانت شركة الهند الشرقية تعمل جاهدة على إكمال احتلالها للهند ثم تسليمها للحكومة البريطانية، وقد قامت الشركة بإنشاء مراكز استشراقية في الهند لتدريب موظفين يستطيعون التعامل مع أهل البلاد. وأنشـئت كـذلك جمعيـات استشـراقية مثـل الجمعيـة البنقاليـة فـي أواخـر القـرن التاسـع عشر.

انتشرت المراكز الاستشراقية في بريطانيا وظلت العاصمة لندن خالية من مثل هذا المركـز حتـى صـرح اللـورد كيـرزن فـي إحـدى جلسـات البرلمـان الإنجليـزي بضـرورة إنشاء مثل هذا المركز وانـه من المكونات الضـرورية للإمبراطوريـة، وتأسست مدرسـة الدراسات الشرقية والأفريقية عام 1916م، وانتقل إليه بعض المستشرقين الكبار من أمثـال تومـاس آرنولـد والفرد جيوم وغيرهمـا، واسـتمرت المدرسـة فـي النمـو والازدهـار

حتى أصبحت المركز الاستشراقي الأول في بريطانيا، بل تنافس أكبر المراكز الاستشراقية في العالم.

وكلفت الحكومة البريطانية لجنة لدراسة أوضاع الدراسات السلافية والأوروبية الشرقية والشرقية والأفريقية عام 1947م، ووضعت اللجنة تقريراً تضمن توصيات مهمة منها زيادة دعم مراكز الدراسات الاستشراقية، وتوفير الكثير من الوظائف والمنح للدارسين، وحددت اللجنة الجهات المستفيدة من هذه الدراسات وهي الحكومة البريطانية في المقام الأول، والبعثات التنصيرية، وهيئة الإذاعة البريطانية ووزارة التجارة والمؤسسات التجارية التي لها مصالح مع العالم الإسلامي.

واحتاجت الحكومة البريطانية إلى إعادة النظر في أوضاع الدراسات العربية والإسلامية بعد الحرب العالمية الثانية فكلفت لجنة برئاسة سير وليام هايتر عام 1961م للقيام بهذا العمل، وقدمت مؤسسة روكفللر دعماً مالياً لهذه اللجنة لزيارة عشر جامعات أمريكية وجامعتين كنديتين للإفادة من التجربة الأمريكية في مجال الدراسات العربية الإسلامية، وقدمت اللجنة تقريرها الذي تضمن خلاصة الرحلة الأمريكية ومقابلات مع المسؤولين عن الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات البريطانية، وجاءت التوصيات من جديد لدعم هذه الدراسات والإفادة من الخبرة الأمريكية.

من أعلام المستشرقين البريطانيين

نقدم فيما يأتي تعريفاً بعدد من المستشرقين البريطانيين من القديم والحديث على أمل أن يتم تحديث هذه المعلومات بصورة دورية بإذن الله.

1- وليام بدولWilliam Bedwell ء (1516م-1632م)

عمل راعياً لكنيسة إيلبيرج وجمع إلى عمله الكنسي دراساته وبحوثه في اللغة العربية. ظهر له كتابات امتلأت بالحقد على الإسلام وهما حول الرسول صلى الله عليه وسلم.[1]

1-جورج سيلGeorge Sale ء (1697م-1736م)

ولد في لندن التحق في البداية بالتعليم اللاهوتي تعلم العربية على يد معلم من سوريا وكان يتقن اللغة العبرية أيضاً، من أبرز أعماله ترجمته لمعاني القرآن الكريم التي

قدم لها بمقدمة احتوت على كثير من الافتراءات والشبهات، ومن الغريب أن يقول عنها عبد الرحمن بدوي "ترجمة سيل واضحة ومحكمة معاً، ولهذا راجت رواجاً عظيماً طوال القرن الثامن عشر إذ عنها ترجم القرآن إلى الألمانية عام 1746م" ويقول في موضع آخر "وكان سيل منصفاً للإسلام برئياً رغم تدينه المسيحي من تعصب المبشرين المسيحيين وأحكامهم السابقة الزائفة."[2]

2-ديفيد صموئيل مرجليوثDavid Samuel Margoliouth ء (1858م-1940م)

بدأ حياته العلمية بدراسة اليونانية واللاتينية ثم اهتم بدراسة اللغات السامية فتعلم العربية ومن أشهر مؤلفاته ما كتبه في السيرة النبوية، وكتابه عن الإسلام، وكتابه عن العلاقات بين العرب واليهود. ولكن هذه الكتابات اتسمت بالتعصب والتحيز والبعد الشديد عن الموضوعية كما وصفها عبد الرحمن بدوي، ولكن يحسب له اهتمامه بالتراث العربي كنشره لكتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي، ورسائل أبي العلاء المعري وغير ذلك من الأبحاث.[3]

3- توماس وولكر آرنولدSir Thomas Walker Arnold ء (1864م-1930م)

بدأ حياته العلمية في جامعة كامبردج حيث أظهر حبه للغات فتعلم العربية وانتقل للعمل باحثاً في جامعة على كرا (عليكرا) في الهند حيث أمضى هناك عشر سنوات ألف خلالها كتابه المشهور (الدعوة إلى الإسلام)، ثم عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة لاهور، وفي عام 1904م عاد إلى لندن ليصبح أميناً مساعداً لمكتبة إدارة الحكومة الهندية التابعة لوزارة الخارجية البريطانية، وعمل في الوقت نفسه أستاذاً غير متفرغ في جامعة لندن، واختير عام 1909م ليكون مشرفاً عاماً على الطلاب الهنود في بريطانيا، ومن المهام العلمية التي شارك فيها عضوية هيئة تحرير الموسوعة الإسلامية التي صدرت في ليدن بهولندا في طبعتها الأولى والتحق بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن بعد تأسيسها عام 1916م، عمل أستاذاً زائراً في الجامعة المصرية عام 1930م.

له عدة مؤلفات سوى كتابه الدعوة إلى الإسلام ومنها (الخلافة) وكتاب حول العقيدة الإسلامية وشارك في تحرير كتاب تراث الإسلام في طبعته الأولى، بالإضافة إلى العديد من البحوث في الفنون الإسلامية.

بالرغم من شهرة آرنولد بأنه من المستشرقين المعتدلين فإن البحث الدقيق في كتاباته تدل على أنه يشارك غيره من المستشرقين في الطعن في الإسلام بأسلوب هادئ وبخاصة في كتابه الخلافة وفي كتابه الدعوة إلى الإسلام كما أوضح ذلك أحد الباحثين في المعهد العالي للدعوة الإسلامية في المدينة المنورة.[4]

4- سير هاملتون جيب .Sir Hamilton R. A. Gibb

ولد هاملتون جيب في الإسكندرية في 2يناير 1895م، انتقل إلى اسكتلندا وهو في الخامسة من عمره للدراسة هناك، ولكنه كان يمضي الصيف مع والدته في الإسكندرية. التحق بجامعة أدنبرة لدارسة اللغات السامية، عمل محاضراً في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن عام 1921م وتدرج في المناصب الأكاديمية حتى أصبح أستاذاً للغة العربية عام 1937م، وانتخب لشغل منصب كرسي اللغة العربية بجامعة أكسفورد، انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليعمل مديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد بعد أن عمل أستاذاً للغة العربية في الجامعة.

بالإضافة إلى اهتمامه اللغوي فقد أضاف إلى ذلك الاهتمام بتاريخ الإسلام وانتشاره وقد تأثر بمستشرقين كبار من أمثال تومارس آرنولد وغيره.

من أبرز إنتاج جب (الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى) سنة 1933م ودراسات في الأدب العربي المعاصر وكتاب (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) وشارك في تأليف (إلى أين يتجه الإسلام)، وقد انتقل جيب من دراسة اللغة والآداب والتاريخ إلى دراسة العالم الإسلامي المعاصر وهو ما التفت إليه الاستشراق الأمريكي حينما أنشأ الدراسات الإقليمية أو دراسات المناطق، وله كتاب بعنوان (المحمدية) ثم أعاد نشره بعنوان (الإسلام) وله كتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم.[5]

5- مونتجمري وات Montgomery Watt.

ولد في كريس فايف في 14مارس 1909م، والده القسيس أندرو وات درس في كل من أكاديمية لارخ 1914-1919 وفي كلية جورج واتسون بإدنبرة وجامعة أدنبره 1927م-1930م وكلية باليول بأكسفورد 1930م-1933م وجامعة جينا بألمانيا 1933م وبجامعة أكسفورد وجامعة أدنبرة في الفترة من 1938م إلى1939م ومن 1940م إلى 1943م على التوالي، عمل راعياً لعدة كنائس في لندن وفي أدنبرة ومتخصص في الإسلام لدى القس الأنجليكاني في القدس، وبعد تقاعده عاد إلى العمل في المناصب الدينية.

عمل رئيساً لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة أدنبره في الفترة من 1947-1979. نال درجة الأستاذية عام 1964. دعي للعمل أستاذاً زائراً في كل من الجامعات الآتية: جامعة تورنتو 1963و1978 وكلية فرنسا في باريس عام 1970وجامعة جورجتاون بواشنطن عام 1978-1979.

أصدر العديد من المؤلفات من أشهرها (محمد -e- في مكة) و(محمد في المدينة) و (محمد نبي ورجل دولة) و(الفلسفة الإسلامية والعقيدة) و(الفكر السياسي الإسلامي) و(تأثير الإسلام في أوروبا القرون الوسطى) و(الأصولية الإسلامية والتحديث) و(العلاقات الإسلامية النصرانية) ومن آخر كتبه (حقيقة الدين في عصرنا) سنة 1996م وكتاب (الفترة التكوينية للفكر الإسلامي) سنة 1998م و(موجز تاريخ الإسلام) سنة 1995م وغيرها كثير، وقد تقاعد قريباً ويعمل حالياً راعياً لإحدى الكنائس في منطقة إدنبرة.[6]

6- آرثر جون آربريArthur John Arberry ء (1905م-1969م)

ولد في 12مايو 1905م في مدينة بورتسموث بجنوب بريطانيا، التحق بجامعة كامبريدج لدراسة اللغات الكلاسيكية اللاتينية واليونانية، وشجعه أحد أساتذته منس على دراسة العربية والفارسية، ارتحل إلى مصر لمواصلة دراسته للغة العربية، عاد إلى مصر ليعمل في كلية الآداب رئيساً لقسم الدراسات القديمة (اليونانية واللاتينية) وزار فلسطين وسوريا ولبنان.

اهتم بالأدب العربي فترجم مسرحية مجنون ليلي لأحمد شوقي كما حقق كتاب (التعرف إلى أهل التصوف) واصل اهتمامه بالتصوف وذلك بنشره كتاب (المواقف والمخاطبات) للنفري وترجمه إلى الإنجليزية.

عمل آربري مع وزارة الحرب البريطانية في أثناء الحرب العالمية الثانية مهتماً بشؤون الإعلام والرقابة البريدية، وأصدر كتابه (المستشرقون البريطانيون) سنة 1943م تولى منصب أستاذ كرسي اللغة العربية في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، ثم انتقل لجامعة كمبردج ليحتل منصب أستاذ كرسي اللغة العربية في هذه الجامعة.

ولعل من أبرز جهود آربري ترجمته لمعاني القرآن الكريم حيث أصدر أولاً مختارات من بعض آيات القرآن الكريم مع مقدمة طويلة ثم أكمل الترجمة وأصدرها عام 1955م.[7]

7- برنارد لويس Bernard Lewis‏ 1916م

ولد لويس في 31مايو 1916م وتلقى تعليمه الأول في كلية ولسون والمدرسة المهنية حيث أكمل دراسته الثانوية ولا تذكر المراجع أية معلومات عن تلقيه تعليماً دينياً يهودياً خاصاً. التحق بجامعة لندن لدراسة التاريخ ثم انتقل إلى فرنسا للحصول على دبلوم الدراسات السامية سنة1937م متتلمذا على المستشرق الفرنسي ماسنيون وغيره. ثم عاد إلى جامعة لندن، مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية وحصل على الدكتوراه عام 1939م عن رسالته القصيرة حول أصول الإسماعيلية.

استدعي في أثناء الحرب العالمية الثانية لأداء الخدمة العسكرية وأعيرت خدماته لوزارة الخارجية من سنة 1941م حتى 1945م، عاد بعد الحرب إلى مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية لتدريس التاريخ الإسلامي وأصبح أستاذ كرسي التاريخ الإسلامي عام 1949م ثم أصبح رئيساً لقسم التاريخ عام 1957م، وظل رئيساً لهذا القسم حتى انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1974م.

دُعِي للعمل أستاذً زائراً في العديد من الجامعات الأمريكية والأوربية منها جامعة كولمبيا وجامعة انديانا وجامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس وجامعة أكلاهوما وجامعة برنستون التي انتقل إليها والعمل فيها من 1974م حتى تقاعده عام 1986م. وهنا

عيّن مديراً مشاركاً لمعهد أنانبرج اليهودي للدراسات اليهودية والشرق أوسطية في مدينة فيلاديلفيا بولاية بنسلفانيا.

يعد لويس من أغزر المستشرقين إنتاجاً (وإن كان له قدرة على إعادة نشر بعض ما سبق نشره بصور أخرى) وقد تنوعت اهتماماته من التاريخ الإسلامي حيث كتب عن الإسماعيلية وعن الحشاشين وعن الطوائف المختلفة في المجتمع الإسلامي، إلى الحديث عن المجتمع الإسلامي ولكنه في السنوات الأخيرة قبل تقاعده بقليل بدأ الاهتمام بقضايا العالم العربي والإسلامي المعاصرة فكتب عن الحركات الإسلامية (الأصولية) وعن الإسلام والديموقراطية.

قدم خدماته واستشاراته لكل من الحكومة البريطانية التي كلفته القيام برحلة إلى العديد من الجامعات الأمريكية وإلقاء الأحاديث الإذاعية والتلفازية عام 1954م، كما قدم استشارته للكونجرس الأمريكي أكثر من مرة. وفي إحدى المرات (8مارس 1974م) ألقى محاضرة في أعضاء لجنة الشؤون الخارجية بالكونجرس الأمريكي حول قضية الشرق الأوسط ولأهمية هذه المحاضرة نشرتها وزارة الخارجية الإسرائيلية بعد أسبوعين من إلقائها.[8]

- الحواشي :

[1] -Alastair Hamilton. William Bedwell The Arabist(1563-1632).(Leiden: 1985).p. 69.

[2] - عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين .(بيروت :دار العلم للملايين) 1984.ص 252.

[3] -المرجع نفسه ص 379

[4] محمود حمزة عزوني .دراسة نقدية لكتاب الدعوة إلى الإسلام تأليف توماس ولكر آرنولد. بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الدعوة من المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة والترجمة مستقاة من مقالة أوريل سراين في محاضر الأكاديمية البريطانية "Aurel Srien." Proceedings of British Academy. 1930

[5] –كتب ألبرت حوراني ترجمة موسعة لهاملتون جب في كتابه : Europe And The Middle East (London: The Macmillan Press Ltd.) 1980.p ff104 ونشر هذا الفصل مترجما في مجلة (الفكر العربي المعاصر ، العدد 31 بقلم سلاّم فوزي الصفحات 373وما بعدها.وقد ذكر لي البروفسور كينيث مورقان أن جامعة هارفارد أعطت جب مكانة خاصة ومنصباً تشريفياً بعد تقاعده بحيث يستطيع أن يحاضر وقتما يشاء ويقابل من يشاء من الطلاب ويشرف على البحوث التي يرغبها، وهي معاملة لا يحصل عليها إلاّ ذوو الحظوة والمكانة.

[6] – هذه الترجمة بقلم وات نفسه أرسلها للباحث وهي نسخة من سيرة موجزة تنشر في دليل الباحثين البريطانيين، وأقوم حالياً بإعداد كتابه (حقيقة الدين في عصرنا) للترجمة والنشر

[7] –بدوي ، مرجع سابق ص 5–8.

[8] – C. E. Bosworth, et al.(ed.) The Islamic World From Classical To Modern Times. (Princeton, 1989)p. p. IX-X and Also Who’s Who in the USA 1989. نقلاً عن رسالة الدكتوراه التي أعدها الباحث بعنوان منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، ونشرت لدي مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض عام 1416بعنون : الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، ص 69 وما بعدها.

================

مدارس الاستشراق > المدرسة الأمريكية >

نشأ الاستشراق في أوائل القرن التاسع عشر يغلب عليه الطابع الديني، ولكن مع عدم إغفال الأطماع السياسية، فكيف يكون لبريطانيا إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس ولا يكون لأمريكا اهتمامات إمبريالية، واشترك الهدفان وتأسست الجمعية الشرقية عام 1840م وأرسلت باحثيها إلى العالم العربي الإسلامي، وحرصت بعض الجامعات الأمريكية أن تنال نصيبها من المخطوطات الإسلامية فاشترت جامعة برنستون Princeton كمية من المخطوطات حتى أصبحت تضم ثاني أكبر مجموعة مخطوطات إسلامية.

ونشطت البعثات التنصيرية في بلاد الشام فأسست المدارس والمعاهد العلمية، وفي أواخر القرن التاسع عشر وفي عام 1889م (1307هـ) وصلت إلى البصرة طلائع البعثة العربية (سميت كذلك تمويها) وكانت برئاسة المنصّر المشهور صموئيل زويمر، واستمرت هذه البعثة حتى عام 1393م-1973م

وشهد الاستشراق الأمريكي نهضة شاملة بعد منتصف القرن العشرين حينما أخلت بريطانيا مواقعها للنفوذ الأمريكي كما ذكر ذلك مايلز كوبلاند في كتابه (لعبة الأمم)، ووجد الأمريكيون أنهم بحاجة إلى عدد كبير من المتخصصين في شؤون الشرق الأوسط، فأصدرت الحكومة الأمريكية مرسوما عام 1952م خصص بموجبة مبالغ كبيرة لتشجيع الجامعات على افتتاح أقسام الدراسات العربية الإسلامية، واستقدم لذلك خبراء في هذا المجال من الجامعات الأوروبية، وحضر من بريطانيا كل من جوستاف فون جرونباوم وهاملتون جب وبرنارد لويس وغيرهم، فأسس هاملتون جب مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد وجرونباوم أسس مركزاً في جامعة كاليفورنيا بمدينة لوس أنجلوس.

وقد طوّرت الدراسات العربية الإسلامية في الولايات المتحدة لتأخذ مفهوماً جديداً وشكلاً جديداً فقد انتهى إلى حد كبير عهد المستشرق الذي يزعم لنفسه معرفة كل ما يخص العالم العربي الإسلامي في جميع المجالات، فأخذت الدراسات تصبح أكثر دقة وتخصصا في منطقة معينة وفي فرع من فروع المعرفة، وقد فتح هذا التجديد المجال أمام التخصصات المختلفة لتسهم في تطور الدراسات العربية الإسلامية بحيث تكون بعض الرسائل العلمية للماجستير والدكتوراه تحت إشراف أكثر من قسم علمي.

وكما ذكر عن الاستشراقين الهولندي والألماني بوجود أصوات معتدلة فإنه ظهر في الولايات المتحدة عدد من الباحثين ينادون بوقف التشويه المتعمد لصورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الأمريكي أو في الكتابات الأكاديمية ومن هؤلاء مثلا اسبوزيتو، كما يلاحظ أن بعض من يتعاطف مع العالم الإسلامي أدرك خطل الإسراف الأمريكي في تأييد المصالح اليهودية وتقديمها حتى على مصالح الولايات المتحدة، ومع تقديرنا لكل من يتحدث عن الإسلام بإيجابية فينبغي أن نظل على

حذر، كما إنه يتوجب على المسلمين أن يحرصوا على أن يكون لهم وجود في خارطة الإعلام الغربي.

ويضم هذا القسم تعريفاً ببعض أعلام المستشرقين الأمريكيين وبحثاً بعنوان "لمحات من الاستشراق الأمريكي المعاصر" وهو جزء من كتابي بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر ، صدر في جدة عام 1420هـ/2000م

أولاً : من أعلام الاستشراق الأمريكي

1- كرنيليوس فانديك Cornilius Van Dyke

درس العربية في لبنان، أسهم في إنشاء مدرسة كانت نواة الجامعة الأمريكية، شارك في تكملة ترجمة التوراة إلى اللغة العربية، وله كتابات في المجال العلمي.

2- دنكان بلاك ماكدونالدDunckan Black MacDonald ء (1863م-1943م)

أصله إنجليزي بدأ الدراسة في جلاسجو (اسكتلندا) وانتقل إلى برلين للدراسة مع المستشرق زاخاو، انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1893م لتعليم اللغات الساميّة، أسس في الولايات المتحدة مدرسة كندي للبعثات عام1911م وشارك مع زويمر في السنة نفسها في تأسيس مجلة العالم الإسلامي، تنوع إنتاجه بين الدراسات الشرعية والدراسات اللغوية.

3- جورج سارتون George Sartonء (1884م-1956م).

بلجيكي الأصل متخصص في العلوم الطبيعية والرياضية درس العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت 1931م-1932م، ألقى محاضرات حول فضل العرب على الفكر الإنساني، أشرف مع ماكدونالد على مجلة إيزيس 1913م-1946م وأبرز إنتاجه (المدخل إلى تاريخ العلم).

4- جوستاف فون جرونباوم Gustav Von Grunbaumء (1909م-1972م)

ولد في فينا في 1909/9/1م، درس في جامعة فينا وفي جامعة برلين، هاجر إلى الولايات المتحدة والتحق بجامعة نيويورك عام 1938م، ثم جامعة شيكاغو ثم استقر به المقام في جامعة كاليفورنيا حيث أسهم في تأسيس مركز دراسات الشرق الأوسط الذي أطلق عليه اسمه فيما بعد، من أهم كتبه الإسلام في العصر الوسيط، كما اهتم بدراسة الأدب العربي وله إنتاج غزير في هذا المجال.

5- جورج رنتز George Rentz

درس في واشنطن وفي جامعة الفلبين وجامعة كاليفورنيا تخصص في اللغة العربية وآدابها، عمل في السفارة الأمريكية في القاهرة، أسس قسم البحوث والترجمة في شركة أرامكو، شارك في مشروع التاريخ الشفوي لمنطقة الخليج العربي، عمل أميناً لمجموعة الشرق الأوسط في جامعة ستانفورد، من أبرز اهتماماته حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث كانت موضوع رسالته للدكتوراه، وله كتابات كثيرة عن الجزيرة العربية من النواحي التاريخية والجغرافية، توفي منذ عدة سنوات.

6- ويلفرد كانتويل سميث .Wilfred Cantwell Smith

ولد في كندا عام 1916م، درس اللغات الشرقية في جامعة تورنتو، حصل على الماجستير والدكتوراه في مجال دراسات الشرق الأدنى من جامعة برنستون، متخصص في دراسة الإسلام وأوضاع العالم الإسلامي المعاصرة وأشهر كتبه في هذا المجال (الإسلام في العصر الحديث) عمل أستاذاً في جامعة هارفرد وفي معهد الدراسات الإسلامية بجامعة مقيل بكندا، قام بتدريس الدين الإسلامي بكلية نورمان المسيحية بمدينة لاهور بباكستان 1941م-1945م، دعي للعمل أستاذاً زائراً في العديد من الجامعات، صدر له حديثا (1998م) عدة كتب منها (نماذج الإيمان حول العالم) وكتاب (الإيمان نظرة تاريخية) وكتاب (الإيمان والاعتقاد والفرق بينهما)[1]

7- باربرا ريجينا فراير ستواسرBarbara Regina Fryer Stowasser ء [2]

ولدت في ألمانيا حيث تلقت تعليمها الأولي ثم حصلت على الشهادة الجامعية من جامعة أنقرة في دراسة اللغة التركية العثمانية والحديثة واللغة الفارسية والعربية والتصوف، حصلت على الماجستير من جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس في تاريخ الشرق الأوسط وحضارته، حصلت على الدكتوراه من جامعة منستر Munster بألمانيا في الدراسات الإسلامية.

تولت العديد من المناصب منها أستاذة مساعدة بقسم اللغة العربية في جامعة جورج تاون بواشنطن العاصمة. ثم عينت مديرة لمركز الدراسات العربية المعاصرة بالجامعة نفسها في الفترة من 1993حتى الآن، لها العديد من المؤلفات منها (النساء في القرآن وفي الحديث وفي التفسير) و(التطور الديني والسياسي، بعض الأفكار حول

ابن خلدون وميكيافيللي) وعدد كبير من البحوث حول الدراسات الإسلامية وبخاصة فيما يتعلق بالمرأة في الإسلام قديما وحديثاً.

عضو مؤسس في المجلس الأمريكي لجمعيات الدراسات الإسلامية، وعضو في الجمعية الاستشراقية الأمريكية وعضو الرابطة الأمريكية لمعلمي اللغة العربية.

8-ريتشارد بوليت Richard Bulliet، [3]

درس في جامعة هارفرد حيث حصل على البكالوريوس في التاريخ 1962م والماجستير 1964م في دراسات الشرق الأوسط والدكتوراه 1967م في التاريخ ودراسات الشرق الأوسط، عمل في العديد من الجامعات منها هارفارد وجامعة بيركلي في كاليفورنيا وجامعة كولمبيا حيث ترأس معهد الشرق الأوسط في الفترة من 1984م إلى 1990م والفترة من 1993م حتى الآن، تولى مناصب علمية في عدد من المؤسسات منها رابطة دراسات الشرق الأوسط سكرتير تنفيذي 1977م-1981م، عضو مجلس إدارة جمعية الدراسات الإيرانية، وعضو مجلس أمناء المعهد الأمريكي للدراسات الإيرانية، قدّم خدمات استشارية للعديد من الجهات العلمية والسياسية منها وكالة إعلام الولايات المتحدة التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية، ووزارة الخارجية الأمريكية ومجلة التايم وغيرها.

له العديد من المؤلفات منها دراسة في تاريخ الإسلام الاجتماعي في القرون الوسطى، والتحول إلى الإسلام في القرون الوسطى، وكتاب الإسلام نظرة من الخارج. له مشاركات إعلامية في الصحافة والإذاعة والتلفاز.

- الحواشي :

[1] - انظر كتاب الأستاذ محمد قطب المستشرقون والإسلام. (القاهرة :دار وهبة ، 1999م) ص 226 - ص 256

[2] -الترجمة بقلم البروفيسورة ستواسر نفسها قدمتها للباحث.

[3] -ترجمة ذاتية بقلم بوليت نفسه قدمها للباحث.

لمحات من الإستشراق الأمريكي المعاصر >

تمهيد

الاستشراق الأمريكي المعاصر أو الدراسات العربية الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية موضوع واسع ومتشعب وعميق، ومن المغامرة الحديث عنه في محاضرة واحدة، كما أن من الصعب الحديث عن هذا الاستشراق دون معايشته عن قرب لفترة من الوقت. ولكن ما يشفع لي في الحديث في هذا الموضوع أن بحثي لرسالة الدكتوراه كان بعنوان: "منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي."و برنارد لويس Bernard Lewis إنجليزي الأصل يهودي الملة صهيوني النزعة والميول، عاش في بريطانيا حتى عام 1974م، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليعمل في جامعة برنستون، وكان لهذا المستشرق علاقات وثيقة بالولايات المتحدة الأمريكية منذ الخمسينيات من هذا القرن حيث عمل أستاذا زائراً في العديد من الجامعات الأمريكية، وانتدبته وزارة الخارجية البريطانية للقيام بجولة في عدد من الجامعات الأمريكية وإلقاء بعض المحاضرات العامة والتحدث في الإذاعة والتلفاز .

وقد أتيحت الفرصة لي للقائه عام 1408هـ(أكتوبر 1988م) في جامعة برنستون، كما التقيت معظم زملائه في تلك الجامعة وحضرت عدداً من النشاطات في مركز دراسات الشرق الأوسط في تلك الفترة، وزرت معهد أنانبرج Annanberg للدراسات اليهودية ودراسة الشرق الأدنى الذي كان لويس حينذاك مديراً له. وتعرفت على الاستشراق الأمريكي من خلال دراسة كتابات برنارد لويس وما كتب عنه بالإضافة إلى دراسة كتابات غيره من الباحثين الأمريكيين حول الإسلام عموماً ولاسيما التاريخ الإسلامي. وأضيف إن الاطلاع على هذا الاستشراق من خلال الإنترنت يعطي معلومات غزيرة عن هذا النشاط. كما أن قيامي بإعداد بحث بعنوان "الاستشراق وصقور البيت الأبيض" قدمته محاضرة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أفادني كثيراً في الاطلاع على هذا الاستشراق. وفوق ذلك أنني أعددت بحثاً موسعاً عن مراكز البحوث والمعاهد والأقسام العلمية المهتمة بالعالم الإسلامي في واشنطن العاصمة قبل عدة أعوام.

واستمرت صلتي بالاستشراق الأمريكي من خلال رحلة علمية قمت بها في صيف عام 1416هـ(1995م) حيث زرت تسع مدن أمريكية والتقيت كثيراً من الباحثين

ورؤساء الأقسام ورؤساء المعاهد المتخصصة في دراسات الشرق الأوسط. ومن هذه الجامعات: جامعة جورجتاون، وجامعة انديانا، وجامعة كاليفورنيا في بيركلي، وفي لوس أنجلوس، وجامعة فيلانوفا، وجامعة تمبل في فيلادلفيا، وجامعة برنستون وجامعة كولمبيا، وجامعة نيويورك. كما زرت معهد الشرق الأوسط، ومعهد الولايات المتحدة للسلام، ومعهد بروكنجز، ومعهد الدراسات الدولية المتقدمة بجامعة جون هوبكنز بواشنطن العاصمة. كما زرت مجلس الشؤون الخارجية بنيويورك، ومكتبة الكونجرس والمعهد العالمي للفكر الإسلامي .

وإنني أتابع الدراسات الاستشراقية الأمريكية من خلال بعض الدوريات والنشرات التي تصدر عن المعاهد ومؤسسات البحث العلمي، ومراكز دراسات الشرق الأوسط في الولايات المتحدة. وسوف أتناول في هذه الوريقات بعض ملامح الاستشراق الأمريكي المعاصر وهي كما يأتي:

أولاً : حقيقة المعرفة وأهدافها ووسائل الحصول عليها.

ثانياً : ظاهرة الاستشراق الإعلامي.

ثالثاً: الاهتمام بالحركات الإسلامية "الأصولية

=============

حقيقة المعرفة وأهدافها ووسائل الحصول عليها >

كان إدوارد سعيد قد حدد في تعريفه للاستشراق أبرز خصائصه وهي المعرفة من أجل الهيمنة والسيطرة [1]، وانبرى كثيرون لنقد كتاب إدوارد سعيد ومن أبرز هؤلاء برنارد لويس الذي زعم أن الاستشراق إنما هو من أجل المعرفة فقط أو العلم من أجل العلم، وقد أكد هذا في حواره مع الباحث، وأضاف لويس بأن الباحث الغربي في العلوم الإسلامية شأنه شأن التاجر فكما أن التاجر يريد أن يرفع رصيده من الأرباح فكذلك المستشرق يريد أن يزيد معرفته.([2])

ولكن رأي إدوارد سعيد له من يؤيده ومن هؤلاء الأمريكي المسلم خالد يحي بلانكنشب الذي كتب يقول بأن "الغرض من إنشاء هذا المجال هو خلق وسيلة تحكّم عن طريق المعرفة، ويتضح ذلك جلياً في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمطبوعة حيث لا يكاد يسمح للمسلمين بالتحدث عن الإسلام، بل تتم دعوة "خبراء"

غير مسلمين ذوي خلفيات يهودية أو مسيحية أو علمانية أو خلفيات عربية قومية للتحدث عن الإسلام، ويتم اختيار أفراد المجموعة الأخيرة بدقة مثل فؤاد عجمي وهو مسلم لبناني، يبدو أنه مأجور لكي يدافع عن إسرائيل."([3]) ولو كانت المعرفة من أجل المعرفة لما ظهر التحيز في الدراسات العربية الإسلامية في الولايات المتحدة؛ حيث يؤكد بلانكشب بأن وجهتي النظر الأمريكية والصهيونية تتفقان فيما يتعلق بالإسلام. ويقول: "ومما لاشك فيه أن المساق الأكاديمي المتحكم في مجال الدراسات الإسلامية متحيز بشدة ضد الإسلام الذي يتم وصفه –على الرغم من استخدام عبارات تلميحية ومهذبة– بأنه دين عنصري ومتحيز جنسياً ونظري وشمولي، ومعرقل، ومتخلف ...و وغير قادر على التفكير التحليلي."([4])

وتحدث الأستاذ يوشع صادق في ندوة عن الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الأمريكية فذكر بأن من أهداف هذه الدراسات ما يأتي:1– تحليل أسباب انتشار الإسلام في الولايات المتحدة وعدة أقطار أخرى ثم تزويد حكومة الولايات المتحدة بهذه المعلومات ليتسنى لها على ضوئها تحديد وصياغة سياستها الخارجية".

2– " توفير معلومات كافية عن الإسلام في معرفة ما يجري في العالم الإسلامي ولماذا يتصرف المسلمون على هذا النحو".

3– وهذا الهدف خاص بالهيئات التنصيرية وذلك لإعداد ممثليها " للعمل في الدول الإسلامية وفي أوساط المجتمعات والجاليات الإسلامية، وضرب المثل بمدينة دترويت التي تقطن فيها جالية عربية مسلمة كبيرة، وأضاف بأن الدورات التي تعقد لتدريس الإسلام وتعاليمه هدفها تدريب الكهنة على كيفية تحويل المسلمين إلى مسيحيين أي تنصيرهم."([5])

ويتضح حرص الحكومة الأمريكية على هذه المعرفة من خلال أمور كثيرة منها أن الحكومة الفدرالية تقوم بتقديم الدعم لعدد من مراكز دراسات الشرق الأوسط في الجامعات الخاصة والجامعات الحكومية.كما أن أساتذة الجامعات والمتخصصين في الدراسات الإسلامية العربية تتم دعوتهم لتقديم شهاداتهم إلى لجان الكونجرس الأمريكي وحتى المخابرات المركزية الأمريكية . وقد عقدت عام 1985 ثلاث جلسات استماع قدم عدد كبير من المتخصصين شهاداتهم وبحوثهم حتى وصلت

إلى اثنتين وأربعين صفحة وكانت هذه الجلسات مخصصة لموضوع الأصولية في العالم الإسلامي.([6]) وقد عقدت جلسات أخرى فيما بعد. كما أن المؤتمرات التي تعقد هنا وهناك بالإضافة إلى مشروع جامعة شيكاغو حول "الأصولية" في أديان العالم وبخاصة الإسلام واليهودية والنصرانية الذي حشدت له الجامعة عشرات العلماء للبحث فيه لابد أن يطلع على نتائجه مسؤولو الحكومة الأمريكية .

وبالإضافة إلى هذه المصادر من المعلومات فهناك مندوبي مكتبة الكونجرس في أنحاء العالم العربي الإسلامي الذين يلتقطون كل جديد من كتب ومنشورات وقصاصات صحفية يتم تزويد المسؤولين بها في الحكومة الأمريكية .

ويسعى الأمريكيون للحصول على المعلومات عن طريق الطلاب العرب المسلمين في الجامعات الأمريكية، وبخاصة الذين يعدون رسائل الماجستير والدكتوراه في العلوم الإنسانية والاجتماعية وغيرها. وقد أشار أحمد عبد الحميد غراب إلى هذه المسألة وأكد على أن بعض الرسائل العلمية تشبه المعلومات الاستخباراتية وبخاصة تلك التي تتعلق بالحركات الإسلامية، حيث يكون الطالب المسلم أكثر قدرة على تحصيل المعلومات من الباحثين الأجانب، بالإضافة إلى أن الطالب الذي يعد رسالة جامعية بعيد عن الشكوك([7]). وقد أشار إدوارد سعيد إلى هذا الأمر حيث التقى بعض الطلاب اللبنانيين الذين يعدون رسائلهم الجامعية حول لبنان ، فقال لهم بأن يكتبوا عن لبنان حين يكونون في لبنان أما في أمريكا فإن عليهم الكتابة عن أمريكا: "لماذا لا تكتبون عن أمريكا؟ لستم هنا لكي تكتبوا عن أنفسكم...هنا يتوجب عليكم أن تشاركوا في الجدالات الدائرة حول أمريكا في أمريكا."([8])

وهناك وسيلة أخرى في الحصول على المعرفة وهي عن طريق الأساتذة العرب المسلمين الذين تستقطبهم الجامعات الأمريكية؛ حيث يقوم هؤلاء الأساتذة بالمشاركة في المؤتمرات والندوات، ويقومون بالتدريس الجامعي ويُعَدّون مصدراً مهماً للحصول على المعلومات عن العالم الإسلامي العربي. وقد كتب إدوارد سعيد عن ذلك بقوله: "العديد من المثقفين العرب يأتون إلى أمريكا لكي يدرِّسوا أو يكتبوا عن الشرق الأوسط، و مثّل لذلك بصادق جلال العظم " الذي يفتَرض أنه "ناقد" كبير قضى ثلاث سنوات وجُل ما فعله هو تدريس الشرق الأوسط إلى صغار أمريكا، ذلك نوع

من النرجسية التي تدعو إلى الأسى عند قسم من المثقفين العرب" ويضيف بأنهم "أسرى حالة من ال" غيتو" لأنهم يكتبون عن العالم العربي بالفرنسية في فرنسا وبالإنجليزية في أمريكا وبريطانيا وينظر إليهم كمخبرين محليين." ([9])
ومن الملاحظ أن الأساتذة الذين تقدم لهم الفرصة للعمل في الجامعات الأمريكية هم في الغالب من أصحاب الاتجاهات العلمانية أو المتغربين، وهؤلاء بطبيعتهم يعيشون حالة من الانبهار بالغرب، ولطبيعة حقدهم على الاتجاهات الإسلامية فإنهم يتبرعون بالمعلومات التي تطلب منهم وحتى التي لا تطلب منهم. ولاحظت أيضاً أن الذين يدرسون في المدارس الخاصة مثل المدارس الفرنسية (الليسيه)، أو كلية فيكتوريا(بريطانية)، أو الكلية العامة(أمريكية) يواصلون دراساتهم العليا في الغرب، ويحصل بعضهم على الفرص للتدريس والعمل في الجامعات الأمريكية.(10)

وقد تأكد لي هذا الاتجاه في أكثر من حالة فحين كنت أحضر ندوة بجامعة نيويورك بعنوان "الرقابة الإعلامية والمصالح القومية. كان أحد المتحدثين هو محمد دلبح الذي قرأ بحثاً من عشر صفحات أو أكثر حشد فيها معلومات كثيرة عن الرقابة الإعلامية في دول الخليج العربي، وما كان للحضور معرفة هذه المعلومات لو لم يقدمها لهم هذا المشارك، بالإضافة إلى الروح الهجومية على هذه البلاد العربية وكأنها بلاد أعداء. وبالرغم من أن مشاركتي قد قدمت بعض المعلومات عن الرقابة الإعلامية، لكنها في الوقت نفسه تناولت الشكوى من الهيمنة الفكرية الغربية من خلال البث المباشر الذي يسيطر عليه إنتاج هوليوود، وقد أشرت إلى مناشدة الرئيس الأمريكي لأربعمئة من شخصيات عالم السينما بأن يخففوا من جرعات الجنس والجريمة في الأفلام. كما أشرت إلى كتاب مايكال ميدفيد أمريكا وهوليوود America VS Hollywoodالذي يعد أعنف هجوم تعرضت له هوليوود، وقد أغضب أرباب صناعة السينما في أمريكا، وقد وجدت صعوبة في الحصول عليه.
ومن وسائل تحقيق المعرفة بالعالم العربي الإسلامي التي تبذل الجامعات الأمريكية ومراكز البحوث ومعاهد الدراسات جهوداً كبيرة جداً في سبيلها ما سأذكره عن بعض الجامعات فيما يأتي:

جامعة نيويورك

1- ندوة بعنوان:" ثقافات متواصلة: التاريخ والهوية في الأفلام الوثائقية في الشرق الأدنى 8و9 فبراير 1996م، وشارك في الندوة كل من ليلى أبو لغود، ومايكال جليسنان، وزخاري لوكماني، وحميد دياني، وتماثي ميتشال وخالد فهمي وقد تضمنت الندوة عرض أفلام من الجزائر، وإسرائيل، وفلسطين، ومصر، ولبنان والمغرب.

2- ندوة " الرقابة الإعلامية والمصالح الوطنية" وهي من ست حلقات حسب المناطق الجغرافية للشرق الأوسط، بالإضافة إلى ندوة حول الصحافة العربية المهاجرة. ومن هذه الندوات واحدة حول الجزيرة العربية شاركت فيها كل من شيلا كارابيكو المتخصصة في العلوم السياسية، ومديرة المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية بجامعة ريتشموند بولاية فيرجينيا، والصحافي محمد دلبح الذي يعمل مراسلاً لعدد من الصحف والمجلات الخليجية في واشنطن منذ عام 1978م ، وعقدت الندوة في 27فبراير 1996م.

أما الحلقة الأخرى فكانت حول الصحافة العربية المهاجرة وشارك فيها كل من جهاد الخازن -رئيس تحرير جريدة الحياة اللندنية وملحم كرم مراسل إذاعة مونت كارلو. وعقدت يوم 19 أبريل 1996م.

جامعة هارفارد:

تصدر جامعة هارفارد نشرة نصف شهرية تتضمن نشاطات مركز دراسات الشرق الأوسط، وبعض المراكز القريبة، وهو ليس قسماً علمياً ولكنه يقوم بالتنسيق بين الأقسام المختلفة التي تهتم بالدراسات العربية والإسلامية مثل قسم اللغة والآداب، وقسم الأديان ، وقسم العلوم السياسية ، وقسم الجغرافيا، وقسم علم الإنسان(الانثروبولوجي) وقسم الاجتماع ...الخ. ومن نشاطات هذه الجامعة وهي كثيرة جداً:

1- محاضرة بعنوان "غلام نصراني في أغنية لأبي نواس" ألقاها جيمس مونتجمري المتخصص في الأدب العربي من جامعة أوسلو.

2 - حلقة دراسية بعنوان:" الإسلام السياسي:تحد أم تهور" شارك فيها جون اسبوزيتو، وكانت محاضرته بعنوان " العلاقات النصرانية الإسلامية" ومن موضوعات

النـدوة النصـوص والتقاليـد، المواجهـات العقديـة، وموضـوع العلاقـات الإسـلامية النصرانية في الغرب، وإصلاح الدين للقرن الواحد والعشرين. وعقدت هذه الحلقة في جامعة جورج تاون بواشنطن.

3- 21سبتمبر 1995م، محاضرة بعنوان:"إعادة فحص الدولة في الشرق الأوسط: تحليل للكتابات التي صدرت مؤخراً." قدمها يوسف كوستاينر Kosteiner كبير باحثين من مركز دايان لدراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بجامعة تل أبيب.

4-5 أكتوبر 1995م، محاضرة بعنوان :" اتجاهات جديدة في الخليج الفارسي" قدمها جاري سيك Gary Sick من جامعة كولمبيا بنيويورك.

5- 14 نوفمبر 1995م :"الإسلام السياسي بين القومية الإسلامية والأصولية" قدمها أوليفر روي من المركز القومي للبحوث العلمية بباريس.

6- 14 نوفمبر 1995م محاضرة بعنوان:"اتجاهات معاصرة في الفكر المعاصر وتطبيقات في أصول الفقه." قدمها الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، وعضو المجمع الفقهي.

الرسائل العلمية:

تعد الرسائل العلمية من أفضل مصادر المعرفة عن العالم العربي الإسلامي، ومن الصعب حصر الرسائل ولكن فيما يأتي نماذج من هذه الرسائل التي تتناول الإسلام في النواحي العقدية والتشريعية وفي التاريخ وغيره، كما تتناول بعض القضايا المعاصرة.

1-حمودة عبد العاطي:" بناء الأسرة في الإسلام" جامعة برنستون 1971م

2- عبد الحميد أبو سليمان:" النظرية الإسلامية في العلاقات الدولية." جامعة بنسلفانيا 1973م

3- بكر محمد باشا." التأثير الواضح للشريعة في تخفيض عدد الجرائم في المجتمع السعودي: دراسة مقارنة." الجامعة الأمريكية العالمية 1979م.

4- شويكار إبراهيم علوان ."الديمقراطية الدستورية والإسلام :دراسة مقارنة" جامعة ايموري بولاية أتلانتا 1971م.

5- على أكبر باراست ." وضع النساء في المجتمعات العربية المسلمة " جامعة يوتا 1974م.

6- أحمد شكري ."القانون المحمدي[وليس الإسلامي] في الزواج والطلاق" جامعة كولمبيا عام 1916.م.

7- فؤاد شعبان . العالم المحمدي[وليس الإسلامي] في الأدب الإنجليزي 1462-1580م، توضيح من خلال نص كتبه الإخوان الإنجليز الثلاثة. جامعة ديوك 1965م.

المعاهد ومراكز البحوث: من الصعب على الجهد الفردي متابعة النشاطات العلمية حول العالم العربي الإسلامي في الولايات المتحدة، ولكنّي أشير إلى بعض المراكز والهيئات المهمة ذات النشاط الواضح في هذا المجال التي تيسر لي الاشتراك فيها بالعضوية أوعن طريق الاطلاع على بعض إنتاجها العلمي ومنها:

أ-(رابطة دراسات النساء في الشرق الأوسط) وهي إحدى الهيئات التابعة لرابطة دراسات الشرق الأوسط، ولها عضوية مستقلة وتصدر نشرة ربع سنوية ، كما تعقد اجتماعاً سنوياً ضمن الاجتماع السنوي لرابطة دراسات الشرق الأوسط. ومن خلال متابعة أعداد النشرة التي تصدرها الرابطة يتضح اهتمامهم بالفكر التغريبي العلماني،ودعاة ما يسمى" تحرير" المرأة. وقد حضرت مندوبة من الرابطة معرض القاهرة الدولي العام الماضي وأعدت تقريراً عن جناح المرأة في المعرض، ومن المقابلات التي أجرتها مندوبة الرابطة مع الشاعرة السعودية فوزية أبو خالد، ووصفت فوزية أبو خالد بأن شِعْرَها يعد من طراز رفيع في الشكل وصريح في محتواه. وصرحت الشاعرة السعودية بأنها طردت من وظيفتها التدريسية في كلية البنات في إحدى الجامعات السعودية، ولكنها مازالت تعمل في الجامعة في إدارة تخطيط المناهج. وبالطبع فإنها كما صرحت ما تزال تمارس الكتابة بالرغم من أكثر كتاباتها لا تنشر في السعودية.([10])

2- معهد الولايات المتحدة للسلام -واشنطن العاصمة: تأسس هذا المعهد في واشنطن العاصمة في عام 1984 بدعم من الحكومة الأمريكية حيث يتولى الكونجرس الأمريكي توفير ميزانية المعهد . وتقوم الحكومة الأمريكية بتعيين مجلس

أمناء المعهد .ومع ذلك فالمعهد مؤسسة مستقلة غير منحازة منعزلة عن مؤسسات الضغط السياسي، ولكنه قادر على مساعدة الفرع التنفيذي من الحكومة الأمريكية والآخرين بتقديم البحوث والتحليل والمعلومات. ويهدف هذا المعهد أساساً إلى " تقوية قدرات الأمة (الأمريكية) للتوصل إلى حلول سلمية للمشكلات الدولية" وذلك عن طريق:

1- تحريك أفضل المواهب الدولية من مؤسسات البحوث والأكاديميات والحكومات لمساعدة صنّاع القرار بتقديم أفضل تقويم مستقل وإبداعي لكيفية معالجة المشكلات العالمية من خلال الطرق السياسية.

2- التوصل إلى حلول للمشكلات أو الخلافات الدولية من خلال طرح المشكلات وإعداد المفاوضين الأمريكيين ليقوموا بدور الوسطاء.

3- تدريب المتخصصين في الشؤون الدولية في إدارة المشكلات وأساليب الحلول والوساطات ومهارات التفاوض.

4- رفع مستوى الطلاب والجمهور حول المشكلات الدولية وجهود السلام من خلال المنح والبعثات الدراسية والمطبوعات والاتصالات الإلكترونية والمؤتمرات .([11])

ويهمنا في هذا السياق اهتمام المعهد بالعالم العربي الإسلامي وبخاصة الصراع الإسلامي اليهودي ، كما يهتم المعهد بموضوع "الإسلام السياسي" أو "الأصولية". وقد عقد المعهد العديد من المؤتمرات والندوات وورش العمل لدراسة هذه القضية. كما علمت بأن المعهد كلّف سعد الدين إبراهيم من الجامعة الأمريكية في القاهرة بإعداد دراسة عن الحركات الإسلامية في مصر. ومن الطريف أن ميزانية قسم دراسات الشرق الأوسط كانت مليونين ومائتين وثمانين ألف دولار لعام 1992.([12]) وقد انتقل المعهد الآن من شقة صغيرة إلى مبنى مستقل.

وفيما يأتي عرض موجز لبعض ندوات المعهد:

أ- "جارٌ عنيد: تحليل دور تركيا في الشرق الأوسط".1-2 يونيو 1994م أدار الندوة كل من باتريشيا كارلي من المعهد وهنري باركي من جامعة ليهاي Lehigh، وقد شارك في الندوة ثلاثمئة باحث أكاديمي وسياسي من تركيا ومصر وسوريا وإسرائيل وإيران وأوروبا والولايات المتحدة. ونظراً لأهمية الموضوع فقد قرر المعهد نشر تقرير

مفصل يلخص أهم الآراء التي طرحت في الندوة، كما ينوي المعهد نشر كتاب يضم مساهمات المشاركين.

ب- ندوة: الإسلام السياسي في الشرق الأوسط. 2-3 مارس 1994، بالتعاون مع مركز التفاهم الإسلامي النصراني التابع لمدرسة الخدمة الخارجية في جامعة جورج تاون بواشنطن العاصمة. وقد رأس المعهد ديفيد ليتل- المتخصص في الأديان والأخلاق وحقوق الإنسان، واشترك معه في رئاسة المؤتمر نورتون هالبرن من موظفي مجلس الأمن القومي. وقد حدد ليتل في كلمته الافتتاحية أهداف المؤتمر في النقاط الثلاث الآتية:

1- التحديات التي يقدمها الإسلاميون للغرب.

2- كيفية التفريق بين العمل السياسي المتطرف والعنف.

3- التغيرات والسياسية والدينية وحل الأزمات .

أما المشاركون فمن أبرزهم ليسا أندرسون مديرة معهد الشرق الأوسط بجامعة كولمبيا، وديرك فاندوال من كلية دارموث، وسيد والي نصر الذي تحدث عن الجماعة الإسلامية في باكستان.، وريمون بيكر من الجامعة الأمريكية في القاهرة، وروبرت ساتلوف رئيس معهد واشنطن لدراسات الشرق الأوسط، وجويس ديفس مارسيه من إذاعة صوت أمريكا، وشاؤول بخّاض من معهد الولايات المتحدة للسلام، وجيمس إكنز السفير الأمريكي السابق في السعودية، وسعد الدين ابراهيم المتخصص في علم الاجتماع في الجامعة الأمريكية في القاهرة.

وقد عقد المعهد ندوة خاصة أو ورشة عمل لتقويم نتائج الندوات السابقة في 16 يونيه 1994 وحضرها كل من روبرت بللاترو وديفيد ساترفيلد وبرنارد لويس .

- الحواشي :

[1] - Edward Said. Orientalism. (New York: 1987p)

[2] - حوار للباحث مع المستشرق برنارد لويس في برنستون 21 أكتوبر 1988، ونشر كملحق في كتابي: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس. (الرياض: 1416-1995)

[3] – خالد يحي بلانكشب . "الدراسات الإسلامية في الجامعات الأمريكية " في وقائع الندوة الأولى للدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الأمريكية .فيرفاكس (فيرجينيا): بدون تاريخ) ص24–28 .

[4] – المرجع نفسه.

[5] – يوشع صادق. " تدريس العلوم الإسلامية بالجامعات الأمريكية ." في وقائع الندوة الأولى للدراسات الإسلامية العربية في الجامعات الأمريكية ، مرجع سابق، ص ص19–23.

Islamic Fundamentalism and Islamic Radicalism. Hearings – [6] before the Sub committee on Europe And The Middle East of The Committee of Foreign Affairs. House of Representative of .30and September 15, July 24Congress, June 990

[7] – أحمد عبد الحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق.(بيرمنجهام: 1415) ص

[8] –ادوارد سعيد .تعقيبات على الاستشراق . ترجمة وتحرير صبحي حديدي (عمّان:1996)ص149–150 عندما كان الباحث يعيش في الولايات المتحدة مبتعثا للدراسة الجامعية أدرك أن عليه أن يعرف المجتمع الذي يعيش فيه ومن ذلك أن انتشرت في وقت من الأوقات رواية جورج أورويل (1984) وبخاصة عندما كشفت الصحافة أن مكتب التحقيقات الفدرالية يحتفظ بملفات لعدد كبير من المواطنين العاديين . وكانت أمريكا تعاني من ويلات حرب فيتنام فتعرف إلى هذه الاتجاهات، كما كانت القناة التلفزيونية التعليمية في جامعة ولاية أريزونا تقدم كثيراً من الحقائق عن المجتمع الأمريكي التي لا يعرفها الشخص العادي.

[9] –سعيد ، مرجع سابق

[10] من هؤلاء على سبيل المثال فؤاد عجمي الذي تخرج في الكلية الأمريكية في بيروت وهشام شرابي وغيرهما من الذين درسوا في المدارس الأجنبية.

The Middle East Women's Studies :The Review. Vol. XI – [10] .1996,March 1,No.

[11]- United States Institute of Peace FACTS SHEET, September1995 and الرسالة الإخبارية ، المعهد العربي للدراسات الدولية ، السنة السابعة ، العدد الثاني ، مارس/أبريل 1994م.

[12] –مؤتمرات . في الرسالة الإخبارية للمعهد العربي للدراسات الدولية ، السنة السابعة ، العدد الثاني ، مارس/أبريل 1994. ص3-6.

==================

ظاهرة الاستشراق الإعلامي >

كتب حسن عزوزي تحت عنوان (ظاهرة الاستشراق الصحافي) مشيراً إلى أن الاستشراق الصحافي إنما هو "أحد إفرازات المؤسسة الاستشراقية الحديثة فينضوي تحت لوائها عدد من هائل من الصحفيين المختصين في شؤون الإسلام والمسلمين..." وأكد عزوزي على الارتباط بين الاستشراق الأكاديمي والصحافي، فهو يرى أن الأكاديميين" ساهموا بشكل أو بآخر في تكوين وتأهيل أولئك الصحافيين الذين ما فتئوا يقتاتون على موائدهم ويتزودون منها بأفكارهم وطروحاتهم الواهية." ([1])

وأذكر أنني سئلت عن تعريف الاستشراق فرجعت إلى التعريفات المشهورة في هذا المجال منذ كتاب فلسفة الاستشراق لأحمد سمايلوفيتش، وحسين هراوي، ومصطفى السباعي، وإدوارد سعيد وأحمد عبد الحميد غراب، ولكني رأيت أن بعض التعريفات يحدد الاستشراق بالبحث الأكاديمي والبعض الآخر يقدم حكماً على الاستشراق من خلال التعريف فرأيت أن أضيف- وكان هذا قبل قراءة مقالة عزوزي - بأن الاستشراق لا يمكن حصره في الدراسات الأكاديمية، بل إن الإعلام يقوم بدور مهم وخطير في الترويج لمقالات المستشرقين وبخاصة المتحاملة والحاقدة على الإسلام والمسلمين، والإعلام لاشك يعني الصحافة والإذاعة والتلفاز والسينما، وحتى الأفلام الكرتونية الموجهة لصغارنا فذلك كله استشراق. كما أضفت إليه أن من الاستشراق ما تقوم به الحكومات الغربية ممثلة في مراكز بحوثها وفي مخابراتها، من عقد ندوات وتكليف باحثين بتقديم بحوثهم ودراساتهم لهذه الأجهزة، وذكرت أنه يلحق بالاستشراق ما يكتبه باحثون عرب مسلمون على نهج المستشرقين ([2]).

وأما أهمية بحث الاستشراق الصحافي فهو أننا وقع في روعنا في البلاد النامية مصداقية الإعلام الغربي وقدراته الهائلة في الوصول إلى الخبر، وبذل الجهود الكبيرة في تغطية الأحداث في العالم بالإضافة إلى تقديم التحليل والدراسة مع الأخبار. لكن ما مدى صحة هذه المصداقية فيما يتعلق بقضايا العالم الإسلامي السياسية والفكرية والعقدية والتاريخية؟ لقد بحث الشيخ زين العابدين الركابي في مقالة له في هذا الموضوع وتوصل إلى أن مصداقية الإعلام الغربي قضية مشكوك فيها وهذه بعض الأدلة على ذلك: الكذب على الإسلام، وليس سبب الكذب الجهل به وإن كان وجد من يجهل الإسلام بينهم "بيد أن هناك من يكذب على الإسلام عمداً، وكثير من هؤلاء يستمدون مادة الأكاذيب من نتاج المستشرقين وهم قوم احترف معظمهم الكذب على الإسلام؛ الكذب على عقيدته وشريعته، على كتابه وسنته ولغته حتى لكانّ أحدهم "يجهز" الكذبة ابتداءً أو يضع أرقام التهم في جداول قبل كل شيء ثم يعتسف الأدلة أو القرائن." ويضيف الركابي قائلاً: "ولمّا كان الإعلام الغربي أو قطاعات منه متأثراً بهذه المدرسة الكذوب ، فقد تبدى هذا التأثر في الأشكال الإعلامية المتنوعة : الكتاب والصحيفة والإذاعة والتلفزيون..." وتساءل في ختام حديثه :" فكيف تصح أو تتحقق المصداقية الإعلامية في خضم هذا الطوفان من الأكاذيب ؟"([3])

وقدم الركابي دليلاً ثانياً وهو ما يفعله هذا الإعلام مع سلمان رشدي وتسليمة نسرين وأضرابهما، وذكر بأن إنتاج سلمان رشدي ليس له قيمة علمية أو فكرية، أما مسألة الإبداع فكما يقول الركابي" إنما هي غطاء كثيف للأهداف والدوافع السياسية الحقيقية والتغطية من هذا النوع كذب مكشوف." ([4])

ومن الذين اهتموا بالإعلام الغربي عموماً وبالصحافة الأمريكية الباحث الفلسطيني إدوارد سعيد الذي كتب عن هذه الصحافة يقول:" يصعب الحديث عن صحافة مستقلة حقاً في الولايات المتحدة فالمصالح التجارية والحكومية المتشابكة ترتبط بوسائل الإعلام أو " تقيدها" كما يقول بعضهم تمنع وسائل الإعلام من الانطلاق الحر وراء الحقائق التي قد يود صحافي طموح ونشيط كشفها.." وضرب مثالاً لتغطية الشؤون الخارجية حيث أشار إلى " المجموعة الصغيرة صاحبة الخبرة المزعومة في موضوع الإسلام تحتكر الحديث عن الإسلام في وسائل الإعلام

المكتوبة والإلكترونية على نحو شبه كامل منذ نهاية الحرب الباردة." ([5])وذكر سعيد من هذه الفئة برنارد لويس الأستاذ المتقاعد بجامعة برنستون، وفؤاد عجمي رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط بمعهد الدراسات المتقدمة بجامعة جون هوبكنز والمستشار لدى محطة سي بي إسCBS، وجوديث ميللر الصحافية في جريدة نيويورك تايمز، وإيمرسون صاحب فيلم الجهاد في أمريك، ودانيال بايبس.

وقد استغل الكتاب المعادون للإسلام الصحافة بأنواعها حتى المتخصصة في شؤون الاقتصاد والمال ومن ذلك ما كتبه دانيال بايبس في صحيفة وول ستريت جورنالWall Street Journal معلقاً على كتاب جون اسبوزيتو الخطر الإسلامي وهم أم حقيقة، وعلى ما صرح به إدوارد دجيرجيان حين كان مسؤولاً في وزارة الخارجية الأمريكية بأن الإسلام ليس عدواً للغرب، فالإسلام دين عظيم وقد أفادت الحضارة الغربية من المسلمين وحضارتهم ، وإنما الغرب يعادي الحركات المتطرفة.

فكان مما كتبه دانيال بايبس قائلا:" هل هما على حق؟ أو هل يشبهان ذلك النوع من خبراء الحكومة الذين لا يستطيعون رؤية العدو حتى يحس باللكمة على وجهه"، ويضيف متسائلاً عن تناقص نسبة المواليد لدى الشعوب الأوروبية والأمريكية وازدياد عدد المهاجرين من البلاد الإسلامية، وأن ما يخيف الأوروبيين هو الطوفان الثقافي أكثر من الصواريخ الإسلامية وأخذ الرهائن."([6])

وكان بايبس قد كتب قبل ذلك بأن الأصولية المتطرفة وبخاصة الإسلامية هي الخطر الحقيقي على أمريكا والمصالح الغربية لأن وصولهم إلى القوة سيؤذي غالبا الولايات المتحدة وحلفاءها.([7]) ولإدوارد سعيد رأي في دانيال بايبس يقول فيه :" إن بايبس من المأدلجين والمستشرقين الأصغر سنّاً، الذي تتجلى خبراته في كتابه على درب الله: الإسلام والسلطة والسياسة (1983م)، الموضوع كلياً ليس في خدمة المعرفة بل في خدمة دولة معتدية، وتدخلية وهي الولايات المتحدة يساعد بايبس في تعريف مصالحها، ويؤكد سعيد على عزلة بايبس عن التطورات الفكرية في جميع الميادين الأخرى من الثقافة وعلى غطرسته العتيقة البائدة ولا سيما حين يتعلق الأمر بتلك الطروحات الجازمة القاطعة التي لا تضع سوى اعتبار طفيف للمنطق والحجة." ([8])ويقول سعيد عن بايبس في موضع آخر إن بايبس "ينحاز بصراحة وعناد إلى

صف مستشرقين استعماريين من أمثال سنوك هورخرونيه، وإلى مرتدين ما قبل كولونياليين صفقاء مثل نايبول بحيث يتاح له استسهال مراقبة الإسلام والحكم عليه من مركزه العالي في وزارة الخارجية أو مجلس الأمن القومي." ([9])

ومن الاستشراق الإعلامي ما قام به ستيف إيمرسون الذي أنتج وأخرج فيلم (الجهاد في أمريكا) وهذا الفيلم تقوم فكرته الأساسية على تصريحات لبعض القادة المسلمين في الولايات المتحدة على مدى السنين السبع الماضية، وزعم إميرسون أن هؤلاء استغلوا انفتاح المجتمع الأمريكي والحرية فيه، ويخططون لإنشاء إمبراطورية إسلامية. وقد انتقد كريستوفر تايلور إيمرسون بأنه لم ينظر إلى التنوع في الحركات الإسلامية، ومما يدعو إلى التشكيك في مصداقية الفيلم –حسب رأي تايلور– أنّ هذه المجموعات الصغيرة لا يعقل أنها تؤلف طابوراً خامساً يهدد المجتمع الأمريكي.([10])

ومن المهم في هذا المجال الإشارة إلى التعاون بين الإعلام اليهودي في إسرائيل والإعلام الأمريكي وبخاصة في قضايا العالم الإسلامي، فقد تكون الحملات المعادية للإسلام والمسلمين في الصحافة الأمريكية إنما هي صدى للعداء الذي تبثه وسائل الإعلام الإسرائيلية، ولذلك يكثر استشهاد الكتاب الأمريكيين بالصحافة الإسرائيلية ومن هذه الصحف ال "جيروزليم بوست" الأسبوعية فقد كتبت في أحد أعدادها عن الحركات الإسلامية قائلة:"ففي الغرب كان منهج المسلمين يسير في خط ملتو آخر، إنهم ينادون بالتعاون بين الأديان وبالتسامح، وفي الحقيقة التسلل هو المفتاح لإغراق الغرب في بحر السيطرة الإسلامية، وعلى سبيل المثال فإن بروكسل عاصمة الاتحاد الأوروبي تضم عدداً من المساجد أكثر من عدد الكنائس." ويشير مقال البوست إلى أن عدد الذين يحق لهم التصويت من بين الملايين الستة من المسلمين هو ستمائة ألف ولذلك فمن المفهوم أن يكون للإسلام تأثير جوهري ، ويضيف كاتب المقال قائلاً: وفي حربهم المقدسة ضد الكفار فإنهم يصرحون بأهم سيهزمون اليهود أولاً وبعد ذلك سينتصر الإسلام على العالم النصراني."([11]) ، كما أن زعماء الدولة العبرية يستغلون كل فرصة لتحذير الغرب من الحركات الإسلامية كما فعل بيريز –مثلاً– في كتابه الشرق الأوسط الجديد.

وأختم هذه الفقرة عن الاستشراق الإعلامي بالقول: إن الحملة ضد الإسلام والمسلمين لم تقتصر على كبريات الصحف والمجلات من أمثال نيويورك تايمز، وواشنطن بوست، ولوس أنجلوس تايمز، ومجلة تايم، ومجلة نيوزويك، ومجلة أتلانتك الشهرية ،ونيوربيليك وغيرها بل تعداها إلى المجلات التي تبتعد عادة عن تناول الموضوعات المتعلقة بالأديان والمثيرة للجدل والحساسيات وذلك لطبيعتها واتساع انتشارها وترجمتها إلى العديد من اللغات ومن هذه المجلات أو أشهرها مجلة المختار (Reader’s Digest)، فقد كتبت في أحد أعدادها حول قضية المرأة في العالم الإسلامي وركزت المجلة على انتقاد الإسلام وتشريعاته بخصوص المرأة واستشهدت بكتابات فاطمة المرنيسي التي أضفت عليها هالة من التبجيل فهي متخصصة في القرآن الكريم وعالمة اجتماع، كما استشهدت بآراء بنازير بوتو، وكان من هذه الآراء ما قالته المرنيسي إن الحجاب لم ينزل في القرآن الكريم وإنما طالب القرآن الكريم المرأة والرجل بالعفة والحشمة. ([12]) وفي مقالة أخرى للمجلة نفسها بعنوان "حرب مقدسة تتجه نحونا " حشد الكاتب كل ما استطاع من أدلة لتحذير الغرب من هجمة " الأصولية الإسلامية" على الولايات المتحدة.([13])

ومن نشاطات الاستشراق الإعلامي ما تقوم به الإذاعات الموجهة مثل صوت أمريكا أو هيئة الإذاعة البريطانية، وصوت ألمانيا، وإذاعة مونت كارلو والإذاعات التنصيرية من عقد ندوات ومؤتمرات حول قضايا العالم الإسلامي . ففي عام 1992م عقدت إذاعة صوت أمريكا ندوة بعنوان "التحول نحو الديمقراطية في الشرق الأوسط"، تحدث فيها كل من ماريوس ديب الأستاذ بجامعة واشنطن، وكلوفيس مقصود الأستاذ بالجامعة الأمريكية بواشنطن أيضاً، ووليم كوانت كبير خبراء الشرق الأوسط في معهد بروكنجز –والأستاذ بجامعة فيرجينيا حاليا ([14]) ومما يلاحظ عدم وجود توازن في وجهات النظر المعروضة حيث إن الاتجاه الإسلامي لم يكن ممثلاً. ولعل هذا الأمر في عدم تمثيل المسلمين في الندوات والمؤتمرات ما أشار إليه إدوارد سعيد بأن العرب والمسلمين ليسوا مؤهلين بعد لتمثيل أنفسهم أو كما قال سعيد:" إنهم عاجزون عن تمثيل أنفسهم ويتوجب بالتالي تمثيلهم من قبل آخرين يعرفون عن الإسلام أكثر مما يعرف الإسلام عن نفسه".([15]) وقد كتبت إلى إذاعة لندن

أتعجب من عدم التوازن في ندوة عقدتها الإذاعة مع المعهد الملكي للشؤون الدولية حول العلاقات بين العالم العربي وأوروبا ! لم أتلق أي رد.

إن الاستشراق الإعلامي أكثر خطورة على جمهور القراء من الاشتراق الأكاديمي الذي لا يقرؤه إلاّ المتخصصون، وإن كانت الخطورة في المادة الأكاديمية أشد لوصولها إلى أعلى مراكز القرار السياسي في الولايات المتحدة وفي أوروبا. ولكن ما حدث أن بعض المستشرقين أصبحوا من الكتاب الصحافيين ومن الذين يلجأ إليه الإعلام للحديث عن القضايا الإسلامية.

- الحواشي :

[1] – حسن عزوزي."ظاهرة الاستشراق الصحافي" في المسلمون . عدد 510 ، 8جمادى الآخرة 1415(1994/11/11م)

[2] – لقاء مع مازن مطبقاني في صحيفة " الندوة " التي تصدر في مكة المكرمة في عدديها 10976، 30رجب1410(1يناير1995) والعدد10988 ،14شعبان 1415(15يناير1995)وأجرى الحوار بدر اللحياني.

[3] –زين العابدين الركابي . " مصداقية الإعلام الغربي: حدث ما يطفىء الانبهار" في الشرق الأوسط. العدد 6297، 24فبراير 1996.

[4] –المرجع نفسه.

[5] –إدوارد سعيد ." الإعلام الأمريكي وحادث أوكلاهوما" في الحياة ، العدد 11765في 8ماير 1995، (8ذو الحجة 1415)

Shaw J. Dallal. “ Islam and the U.S. National Interest.” in – [6]
.quoting 11–1,3pp 1993February-March 1No. 26The Link .Vol.
.30,1992Danial Pipes The Wall Street Journal , October

Ibid. ,quoting Daniel Pipes “ Fundamentalist Muslims” in – [7]
.at 959–939,pp 11986Summer 5,No.64Foreign Affairs ,Vol.
.958page

[8] –سعيد ، تعقيبات ، مرجع سابق، ص43.

[9] –المرجع نفسه ، ص 44.

Christopher S. Tayler. “ Jihad in America.- film review” – [10]
December 2,No.29in Middle Eastern Studies Bulletin , Vol. 286.p 1995
Dallal, Op, cit. quoting Elwood McQuid .’ By Peace, or – [11]
16,1992The Sword.” in The Jerusalem Post, December
1993All in the Name of Islam.” in Reader’s Digest. Jan “ – [12]
.127–123pp
Fergus M. Bordewich. “ A Holy War Heads Our Way.” – [13]
.80–76,pp1995in Reader’s Digest, January
[14] –حافظ المرازي . "ندوة صوت أميركا : نحو مجتمعات ديمقراطية في الشرق الأوسط"، في مجلة المجال، العدد 253 أبريل 1992شوال 1412 ، ص ص 6–7.
[15] – سعيد ، تعقيبات ، مرجع سابق ص 44.

============

#الاهتمام بالحركات الإسلامية "الأصولية" >

يرى بعض الدارسين للاستشراق أو الدراسات العربية الإسلامية أن الاتجاه إلى الاهتمام الواسع بالحركات الإسلامية ازداد زيادة كبيرة بعد الثورة الإيرانية، ولكن واقع الأمر يدل على أن الاهتمام بالحركات الإسلامية وبالعالم الإسلامي لم يتوقف منذ أصبح الاستشراق فرعاً معرفياً مستقلاً حتى تنوعت اختصاصات الباحثين في الشأن العربي الإسلامي في العصر الحاضر. ولعل مما يميز الدراسات العربية الإسلامية في العصر الحاضر زيادة التخصصات المهتمة بالعالم الإسلامي وتعمق بعض الباحثين في قضايا محددة .

و الاستشراق الأمريكي وإن بدأ تواصلاً للاستشراق الأوروبي بعد الحرب العالمية الثانية وحصول الدول العربية الإسلامية على استقلالها، لكنه لم يغفل عن هذه البلاد بل كانت له بعض النشاطات الريادية مثل إنشاء المدارس التنصيرية التي كانت تهدف إلى تنشئة أجيال من أبناء المسلمين وإعدادهم إعداداً خاصاً على التعايش مع الغرب بل قبول الغرب والإعجاب به. ففي عام 1882م أنشأت بعض الجمعيات التنصيرية الأمريكية مدرسة ثانوية في إزمير بتركيا، وانضمت هذه المدرسة إلى

عضوية المجلس الأمريكي للإرساليات عام 1902م، وأطلق عليها "كلية إزمير الدولية" وفي عام 1936م انتقلت إلى بيروت لتكون القسم التحضيري في الجامعة الأمريكية. واهتمت المدرسة بخريجيها حيث وفرت الفرصة للكثيرين منهم إتمام دراساتهم الجامعية والعليا في أوروبا وأمريكا. فقد تحدث عميد الكلية بمناسبة مرور مئة عام على إنشائها بقوله:" في الكلية العامة يتعلم الطلاب الذين ينتمون إلى حضارات وجنسيات مختلفة أن يعيشوا بتفاهم وانسجام" ([1])

وهذا هو السبب الذي دعا اللورد كرومر لإنشاء كلية فكتوريا لتحقيق هدفهم وهو " تربية جيل من المصريين العصريين تنشئة خاصة تقربهم من الأوروبيين ومن الإنجليز على وجه الخصوص في طرائق السلوك والتفكير." وكان طلاب فكتوريا من أبناء الحكام والزعماء والوجهاء. وقد صرح اللورد لويد (المندوب السامي) في مصر عام 1936م في كلمة ألقاها في كلية فكتوريا :" كل هؤلاء لا يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية، بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ فيصيروا قادرين على تفهم أساليبنا ويعطفوا عليها." ([2])

ونعود إلى الكلية العامة فقد تخرج في هذه المدرسة وأمثالها أعداد كبيرة تولوا مناصب مهمة من رؤساء وزارات ووزراء ونواب في البرلمان وسفراء، وكان منهم القياديون في ميادين التربية والأعمال والصحة والإدارات الحكومية القومية والدولية .... والطريف أن كاتبة التحقيق تسرد هذه الإنجازات وتعلق عليها بقولها:" لا بد أن يأخذك الإعجاب ..." أهو الإعجاب أو العجب!!، أو ليس في الأمر أي عجب فإنهم أعدوا لذلك، وقد تذكرت في أثناء زيارتي لمعهد الدراسات الدولية المتقدمة بجامعة جون هوبكنز هذا الأمر حين وجدت فؤاد عجمي أحد تلاميذ هذه الكلية يترأس قسم دراسات الشرق الأوسط، ومن تلاميذ هذه المدرسة الذين لهم الحظوة في مناصب الأساتذة الزائرين والمقيمين في الولايات المتحدة.

واستمر اهتمام الغرب وبخاصة الولايات المتحدة بالإسلام والمسلمين وبخاصة الحركات الإسلامية التي يقودها علماء الشريعة وبخاصة حينما بدأت الأمة تتململ وتضيق بالاحتلال ، فلم تجد الأمة لها قيادة خيراً من علمائها فهم القادة الحقيقيون وهم النخبة. فهبت الأمة تكافح وتجاهد ضد الاحتلال، وكان من الجمعيات والهيئات

الإسلامية التي ظهرت في بداية هذا القرن: حزب الدستور القديم، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وجماعة الإخوان المسلمون وغيرها من الجماعات. فكانت هذه الجماعات محل اهتمام الغرب، ويؤكد هذا الكتابات الكثيرة والمبكرة عنها، بالإضافة إلى التقارير الرسمية (تقارير الأمن) التي كانت تقدم العلماء عن غيرهم، فما كان الغرب يخشى الأحزاب العلمانية أو الوطنية القومية؛ فتلك تنطلق من منطلقات أوروبية وهم يستطيعون السيطرة عليها أما الجماعات المنطلقة من الإسلام فمن الصعب السيطرة عليها لذلك صدرت الاتهامات ضدها بأنها تكره الأجنبي، وتحارب التحديث وتكره الحضارة الغربية وغير ذلك من التهم الجاهزة .

ويمكن رصد اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بالحركات الإسلامية بالحديث عن بعض المؤتمرات والندوات حول الحركات الإسلامية" الأصولية" وعرض بعض الكتابات البارزة في هذا المجال:

أولاً :" الأصولية والسياسة العامة وصياغة العالم الجديد : مؤتمر عام حول مشروع الأصولية 14-16مارس 1993م

هذا واحد من المؤتمرات التي جعلت الأصولية في الأديان المختلفة مجالاً للبحث، بل إن المشروع تقوم به جامعة شيكاغو –قسم اللاهوت – وتموله الأكاديمية الأمريكية للعلوم والآداب، وهو مشروع من المقرر أن يستغرق خمس سنوات هدفه " محاولة فهم الأطر التاريخية والمعاصرة للحركات الأصولية والطبيعة الاجتماعية والسيكولوجية والدينية للأصولية، والنتائج التي تترتب على وصول هذه الحركات الأصولية إلى السلطة وتأثيرها على الحكم والحياة السياسية والاقتصادية والتشريعية وعلى التعبير الثقافي والتنظيمات المدنية، ويهدف المشروع إلى إعداد بنوك لتخزين المعلومات عن الأصولية والحركات الأصولية والتي يمكن استعمالها –ضمن أشياء أخرى- بواسطة صنّاع القرار السياسي الذين يبحثون عن الوسائل المناسبة للتصدي للظاهرة الأصولية."([3])

وقد قدّمت مجلة شؤون الشرق الأوسط نقداً لهذا المؤتمر يتلخص في النقاط الآتية:

1- غياب شخصيات متخصصة في موضوع المؤتمر ولها إسهاماتها من خلال البحوث الميدانية ولها كتابات منشورة ومن هؤلاء جون اسبوزيتو، وإيفون حداد وممتاز أحمد، وجون إيليتس، وسعد الدين ابراهيم، وجون فول وغيرهم.
2- " التركيز الإثني[العرقي أو الجنسي] كان غالباً وطاغياً على المؤتمر حيث حاول العديد من المشاركين الخروج بإدانات كاسحة وشاملة لكل الذين يرفضون التمسك بالتقاليد الغربية التي تحض على الفردية وفصل الدين عن الدولة"([4])
ثانياً: تحولات أساسية في الدول والمجتمع في الشرق الأوسط: المؤتمر السنوي لمؤسسة راند للدراسات الاستراتيجيةRAND2-5 سبتمبر 1992م.
كان من أبرز الموضوعات التي طرحت في هذا المؤتمر الإسلام والديمقراطية ومدى تقبل الإسلام للآراء المخالفة أو التعددية ومسألة حقوق الإنسان. وقد تحدث في المؤتمر كبير خبراء الشرق الأوسط غراهام فوللر حيث انتقد التيار الذي يقول إن الإسلام لا يؤيد الديمقراطية وإنه يؤلف عقبة أمام إقامتها ، مؤكداً أن الإسلام أكثر الديانات تحملاً للأديان الأخرى. ولكن كان لفوللر رأي في المؤتمر أن تفرض الولايات المتحدة الديمقراطية في العالم العربي وتبدأ بالعراق، ولكن أمريكا في رأيه لن تقوم بهذا العمل لأنها ترى أن الديمقراطية في الشرق الأوسط ليست في صالحها. والحقيقة إن فرض الديمقراطية على شعب من الشعوب من الأمور غير المنطقية ولعل عمل فوللر فترة من الوقت في المخابرات المركزية أوحت إليه بإمكان عمل ذلك. ثم إن الديموقراطية نظام غربي فكيف يفرض على شعوب لها نظمها السياسية وتراثها من الحرية والتعددية ما يفوق ما لدى الغرب، والتي يمكن للغرب أن يفيد منها؟

وقد عرضت في الندوة بعض الآراء الإيجابية التي حاولت أن تلفت الانتباه إلى مكانة الحركات الإسلامية وقدرتها ونجاحها في القيام بدور بديل لمؤسسات الدولة في توفير الحاجات الأساسية للمواطنين ، وأن هذا مؤشر إلى وجود ما وصفه ألن ريتشاد -أستاذ الاقتصاد بجامعة كاليفورنيا بسانت كروز - بالمجتمع الحضاري.
وقد عرض مؤلفا كتاب (سياسات الصحوة الإسلامية من وجهة نظر غربية تقويماً للمؤتمرات الغربية من خلال نموذجٍ اختاره من مؤتمرات معهد الولايات المتحدة

للسلام ([5]). كما اطلعت على تقارير عن هذه المؤتمرات في مجلة المعهد ومن خلال هذين المصدرين يمكن الخروج بالاستنتاجات الآتية حول الرؤية الأمريكية للحركات الإسلامية "الأصولية" :

1- التنوع والاختلاف في الحركات الإسلامية بحسب الموقع الجغرافي والتوجهات نحو العنف أو المهادنة أو الابتعاد عن العنف.

2- تحتاج السياسة الأمريكية أن تؤكد الحقيقة بأن المشكلة التي تواجه الغرب هي التطرف والعنف وليس الإسلام .

3- اتفق العديد من الخبراء إنه ليس ثمة مشكلة أو خلاف أساسي بين الإسلام والديموقراطية ، ولكن النقاش مازال مستمراً فيما إذا كانت الأشكال الأكثر تطرفاً من "الإسلام السياسي" – التي حلت محل القومية العربية – تؤلف تهديداً خطيراً للديموقراطية التعددية والمصالح الأمريكية .

وبالرغم من كثرة المؤتمرات والندوات التي تقام في الغرب فإن من أبرز الملاحظات استمرار هذه النشاطات بالاعتماد على الخبرات المحلية إما للقناعة بقدراتها وخبراتها أو للهاجس المالي حيث إن دعوة المختصين من خارج الولايات المتحدة يكلفهم الكثير.كما أن بعض الأسماء حققت شهرة معينة أو جاذبية طاغية (كرزما) فتجدهم يُدْعَون إلى معظم المؤتمرات التي تتناول قضايا العالم الإسلامي وبخاصة مسألة اليقظة الإسلامية أو الحركات الإسلامية.

" الأصولية " في نظر بعض الكتّاب الأمريكيين

كما أنه من الصعب الحديث عن الاستشراق الأمريكي في بحث قصير كهذا، فكذلك الأمر بالنسبة للكتابات حول الأصولية الإسلامية، وفي هذه الفقرة أعرض بعض الآراء التي نالت شهرة واهتماماً في الأوساط الأمريكية.

ترى جوديث ميللر أن الحكومات العربية تصارع من أجل السيطرة على الضغوط الإسلامية والاستجابة للرغبة المنتشرة لدى المواطنين في حكومات أكثر "إسلامية" ومجتمع "إسلامي" أكثر مما هو الآن.([6]) بينما يرى غسان سلامة أن الحكومات الإسلامية مترددة في السماح للحركات الإسلامية في الوصول إلى الحكم عن طريق الانتخابات مع أن وصولها إلى الحكم سيكشف عدم قدرة الإسلاميين على الحكم أو

وضـع سياسـات اقتصـادية واجتماعيـة مختلفـة أو تتفـوق علـى تلـك التـي تعمـل بهـا الحكومات الحالية. ([7])

وقد اتفق أكثر من باحث أمريكي أو مقالة نشرت في دورية أمريكية أنه يجب عدم جمـع الحركـات الإسـلامية فـي مجموعـة واحـدة، أو كمـا تقـول ميللـر بـأن "حركـات الإسلام المسلح متنوعة تماماً كتنوع العرب أنفسهم وتنوع الدول التي يوجدون فيها. وهذا التنـوع فـي رأيهم يتطلـب سـلوكاً مختلفاً تجـاه كـل نـوع من الحركـات الإسـلامية. ولكـن الحقيقـة أن مسـألة التنـوع هـذه إنمـا هـي لإضـفاء نـوع مـن الموضـوعية علـى دراساتهم وإنهم لا ينظرون إلى هذه الحركات بمنظار واحد.

ومن اللافت للانتباه في كتابات كثير من المعادين للحركات الإسلامية التشكيك في مصداقية هذه الحركات التي تود أن يسمح لها بالدخول في انتخابات حرة نزيهة . فتتساءل ميللر :" لماذا يجب التشكيك في جدية الإسلاميين في التزامهم بالحقيقة والأسلوب الديموقراطي." وتجيب: "باختصار السبب هو التاريخ العربي والإسلامي وطبيعة نشوء هذه المجموعات ."([8]) وهذه ليست آراء ميلر وحدها بل هي تستشهد بالباحث اليهودي – مدير مركز موشيه ديان لدراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا–مارتن كريمر وكذلك آراء أستاذه برنارد لويس التي ترى أن الحركات الإسلامية بطبيعتها لا يمكن أن تكون ديموقراطية أو تقبل بالتعددية أو المساواة أو مؤيدة للغرب. ولكن ما أعجب هذا الربط بين عدم إمكان العرب والمسلمين أن يكونوا ديموقراطيين وبين معاداة الغرب.

وأختم هذه الفقرة برأي إيجابي كتبه ليون هادرLeon T. Hadar. حيث يقول:" هناك من يلقي في روع إدارة كلينتون على أن الإسلام هو التهديد الجديد بعد سقوط الشيوعية ، وقد تميزت سياسة أمريكا الخارجية لأكثر من أربعة عقود بالعداء للسوفيات ، ويمكن أن يشغل الخوف من الإسلام واشنطن لتدخل في حرب باردة جديدة." ([9]) ولكن هادر يرى أن هذه السياسة تعتمد على افتراضات زائفة كلياً ، فالإسلام ليس متحداً وليس تهديداً للولايات المتحدة، ولو سمحت أمريكا لهذه المخاوف أن تقود سياستها الخارجية فإنها ستدخل في معارك مكلفة وتستغرق وقتاً طويلاً مع ظواهر متعددة وغير متصل بعضها ببعض.([10]) ويوضح هادر سبب

عدم ميل أمريكا لتأييد قيام حكومات أكثر ديموقراطية أو أقل استبداداً في العالم العربي الإسلامي فلأن هذه الحكومات ستكون أقل ميلاً للخضوع للرغبات الأمريكية ، وهنا تستمر الدائرة الفاسدة : استمرار التأييد للأنظمة القمعية واستمرار تحالف أمريكا مع إسرائيل الذي يشجع العواطف السلبية تجاه أمريكا. ([11])
مهما كان موقف الاستشراق الأمريكي من الحركات الإسلامية أو من الإسلام فإنما هي نوع من العداوة يتولى كبرها مجموعة من الأصوات النافذة في الولايات المتحدة وقد أخذت كما يقول سعيد بن سليمان شكل الحرب النفسية حيث يقول:" إن من مظاهر الحروب وسمات الصراعات بين الحضارات والثقافات ... الحرب النفسية وأبرز علاماتها حرب النعوت والأوصاف والمصطلحات."([12]) وأكد بن سلمان على أن الأصولية حركة بروتستانتية انبثقت من حركة الألف سنة في القرن التاسع عشر وتعود إلى أصول يهودية لأنها تنادي بعصمة النصوص "المقدسة" وتقصد التوراة وشروحها وليس الإنجيل. وأكد بأن " الحروب الصليبية التوراتية لم تنته ولن تنتهي فإن أنهيناها نحن بتسامح الإسلام لم ينهوها ولن ينهوها بنفوسهم الوارثة لأحقاد الصليبية، ومن ظن غير ذلك بعد وضوح الأدلة فقد فقدَ عقلَه." ([13])

خاتمة

أعود إلى ما بدأت به بأن دراسة الاستشراق الأمريكي أو الحديث عنه يحتاج إلى مجلدات كبيرة، وندوات منفصلة ، ومعايشة لبعض الوقت. ولكني حاولت أن أقدم لمحات عن هذا الاستشراق في مجالات:الإعلام وفي مجال الندوات والمؤتمرات وفي مجال الاهتمام بالصحوة الإسلامية التي يصر البعض منهم ومنّا على تسميتها ب" الأصولية" . وإذا غلبت الآراء السلبية على ما نقلت هنا فلأنها هي الآراء النافذة في الغرب رغم صدور بعض الآراء التطمينية بأننا : "لا نعادي الإسلام، والإسلام دين عظيم" وإن المطلوب أن نعي الغرب ونعرفه جيداً كما يعرفنا لنستطيع التعامل معه وعندها يمكن أن نعرض الآراء الإيجابية .والحمد لله رب العالمين.

- الحواشي :

[1] –فينيسنت باروود . " الكلية العامة في عيدها المئوي" في مجلة المجال.العدد 253، 10 أبريل 1992، شوال 1412.ص ص17-23.

[2] –محمـد محمـد حسين.الإسـلام والحضـارة الغربيـة .الطبعـة الخامسـة (بيـروت : 1402 –1982)ص45–46
[3] –" مؤتمر عام حول مشروع الأصولية" في مجلة شؤون الشرق الأوسط ، المجلد الأول،عدد 3 ،ربيع /صيف 1414/1993 ص 86–94
[4] –المرجع نفسه.
[5] – Ahmad Bin Yousef,and Ahmad Abuljobain. The Politics of Islamic Resurgence: Through Western Eyes.(Springfield: 1992P 178–180) , also see The Journal of the Unites States Institute of Peace . Vol.VII,No.4
[6] – Judith Miller. " The Challenge of Radical Islam." in Foreign Affairs .Spring 1993pp.43–56.
[7] – Gassan Salame. " Islam and The West." in Foreign Affairs. Spring 1993pp.22–29.
[8] –Miller, Op., .cit.,
[9] – Leon T. Hadar. " What Green Peril." in Foreign Affairs . Spring 1993pp,27–42.
[10] – المرجع نفسه.
[11] –المرجع نفسه.
[12] – سعيد بن سلمان . "حرب النعوت والألقاب ومفهوم الأصولية بين التصحيح والتسطيح." في مجلة الباحث . عدد60، تشرين الأول 1993م
[13] –المرجع نفسه.

===============

#الاستشراق الأمريكي .. طبيعته وخلفياته >

الاستشراق الأمريكي .. طبيعته وخلفياته

د/ رشيد بلحبيب

مقدمة

مازال موضوع الاستشراق الشغل الشاغل للمثقف العربي الذي تحول فجأة – مع أمته– من ذات دارسة مستكشفة، إلى موضوع تحت المجهر والتشريح، وما زالت الحاجة تدعو– وبإلحاح يزداد مع الأيام – إلى دراسة الاستشراق وخطاباته عبر تحولاته، دراسة فاحصة متعمقة للوقوف على تفصيلاته الدقيقة وخلفياته المحجبة، في أفق ما يسمى بالعولمة، حيث أصبح العالم قرية تحكم بالنار والحديد، تضخمت فيها إمبراطوريات الشركات العابرة للقارات حتى أصبحت تتحكم في الدول بعد أن سلبتها السيادة، في عالِمِ سيطرت فيه الديمقراطيات الميكانيكية، وطغت فيه المعلوماتية، وفقدت فيهِ القيم القانونية والإنسانية والأخلاقية، وتسلط فيهِ الشمال/ الغرب، على الجنوب / الشرق، بعد أن استنزفه واستعبده، ويسعى حاليا إلى تدمير هويته وطمس خصوصياته الدينية واللغوية والحضارية، باسم العولمة.

" لقد حدد الغرب الشرق كوحدة من النواحي الجغرافية والثقافية والاجتماعية ، عبر تقسيم معين للواقع الإنساني، يوحي ضمنا بهوية صانع مفهوم الشرق، وبذلك فإن الغرب بتحديد ما هو شرقي بالنسبة إليه، إنما يأخذ بمعيار من إنتاجه لمفهوم الاستشراق، هو الجغرافيا والتاريخ والأوضاع الخاصة بتلك الوحدة / الشرق ، التي يتم النظر إليها على أنها تختلف اختلافا بيِّنًا عن الغرب" (1)

وبالرغم من تعدد التحديدات التي وضعت للاستشراق، إلا أنها لا تكاد تخرج عن دلالات ثلاث

1- دلالة أكاديمية: فكل من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه، فهو مستشرق، ويسمى فعله استشراقا.

2- أسلوب من الفكر القائم على تمييز وجودي = انتروبولوجي، ومعرفي = ابستمولوجي بين الشرق والغرب.

3- أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادة عليه، وهو مذهب سياسي مورس إداريا على الشرق.(2)

ومع أن مصطلح الشرق / الرقعة، يضم العالم العربي في آسيا وإفريقيا وصولا إلى الهند والصين ومناطق ما وراء البحار، إلا أن الموضوع سيعنى بمعالجة ما يخص

العرب والإسلام في المنطقة العربية، أي ما اصطلح الاستعمار/ الاستشراق على تسميته شرقا أوسط .

لقد كان في طليعة الذين قصدوا الشرق كموضوع للمعرفة ، وكميدان للنشاط العلمي، ولا سيما في القرن التاسع عشر ، شخصيات غربية من الخاصة (رحالة ومغامرون ومبشرون وجامعيون ورجال أعمال وعسكريون ولغويون وانتروبولوجيون ومؤرخو الحضارات وأركيولوجيون وموظفو الدوائر الحكومية) وقد أسهم بعض هؤلاء في التعرف على المواقع المحتواة، أو المرشحة للاحتواء، وأضيف إليهم منذ أوائل القرن العشرين: التربويون ورجال المخابرات والمؤرخون الاقتصاديون ومتدربو الشركات وخبراء الأسواق التجارية والسياسية وذوو النوايا الطيبة من المهتمين بحوار الشرق والغرب، وعلاقة المسيحية بالإسلام (3)

تقترب البدايات الاستشراقية التمهيدية من أن تكون محاولات وأعمالا فردية يمتزج فيها العلم بإنتاج الصور الغرائبية والأساطير والخرافات عن عالم الشرق، أما البداية الرسمية للاستشراق فيؤرخ لها اعتبارا من صدور "قرار مجمع فيينا الكنسي "عام 1312م، بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في اللغات العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا ...

وبدأ يزدهر بصورة جدية في فترة ما يسمى : عهد الإصلاح الديني في أوربا خلال القرن السادس عشر، وقد سجلت الموجة الأولى من الانتشار الجدي للاستشراق تشكيل جمعيات استشراقية (باتافا 1781م، الجمعية الملكية الآسيوية بلندن 1843م، الجمعية الآسيوية بباريس 1822م، الجمعية الأمريكية الشرقية 1842م)

وفي المرحلة الثانية ظهرت مؤتمرات المستشرقين التي انعقد أولها بباريس عام 1877م، وتجاوز عددها حتى الآن ثلاثين مؤتمرا.(4)

وعلى الرغم من أن الاستشراق يمتد بجذوره إلى ما يقرب من ألف عام مضت، فإن مفهوم مستشرق orientalist لم يظهر في أوربا إلا في نهاية القرن الثامن عشر، فقد ظهر أولا في إنجلترا عام 1779م وفي فرنسا 1799م، وأدرج مفهوم الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام1838 م (5) .

ثم عرف الاستشراق أوجه عبر تضخم مؤسساته، وتعدد مناهجه، وتنوع مشاربه وغاياته ليبدأ بعد ذلك في الانحسار، في شكله التقليدي

1- انحسار الاستشراق التقليدي وظهور الاستشراق المعاصر :

أ - انحسار الاستشراق التقليدي

لقد عاش الاستشراق أزهى فتراته في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ...وشهدت تلك الفترة جيل العمالقة من المستشرقين ، وأضخم الأعمال في مختلف ضروب المعرفة، لكن الأوضاع بدأت تتبدل، ففي عام 1973م عقد مؤتمر المستشرقين الدولي بباريس ليكون آخر مؤتمر دولي يحمل هذه التسمية، فقد ألغي مصطلح "استشراق "وأصبح التجمع يحمل اسم "الجمعية الدولية للدراسات الإنسانية حول آسيا وإفريقيا "ثم أصبح" الجمعية الدولية للدراسات الآسيوية والشمال إفريقية "، وأصبحت مؤتمراته تحمل اسم " مؤتمرات العلوم الإنسانية الخاصة بمناطق العالم الإسلامي"

ولعل من الأسباب التي أدت إلى إلغاء المصطلح :

1- الحمولة السيئة التي دلت عليها كلمة استشراق بعد أن كثرت الكتابات الإسلامية وغير الإسلامية، المنتقدة لأعمال المستشرقين وسلوكهم الاستعماري والتجسسي والعنصري ...

2- لم يعد المستشرقون أنفسهم ينظرون إلى العالم الإسلامي بوصفه مصدرا للعلم والمعرفة ، كما دلت التسمية في أصلها وفق المعاجم الغربية (بعد أن استنزفوا مكتباته ، وهجَّروها وترجموا نفائسها وحققوا مخطوطاتها وطمسوا معارفها وغطوا آثار الجريمة).

لقد أفاد الاستعمار من الاستشراق التقليدي، الذي كان بمثابة دليل له في شعاب الشرق وأوديته، بما قدمه إليه من معارف، فالمعرفة –كما يقول الدكتور محمد البهي– تمنح القوة، ومزيد من القوة يتطلب مزيدا من المعرفة ، فهناك باستمرار حركة جدلية بين المعلومات والسيطرة المتنامية"(6)

إلا أن كثيرا من المستشرقين لم يسلموا بأفول نجم الاستشراق الاستعماري بجميع تبعاته، فالشيء المهدد بالزوال كما يقول رودنسون، هو سيطرة الدراسات الفيلولوجية،

فقد كان هناك اتجاه سائد في الحركة الاستشراقية لفترة تزيد عن قرن من الزمان ترتكز على التدريب الفيلولوجي بوصفه كافيا لحل جميع المشاكل الناشئة ضمن ميدان لغوي محدد(7)

بمثل هذه الملاحظات، بدأ الاستشراق يعد نفسه للدور الجديد، يقول أحد المستشرقين الألمان:" لقد آن الأوان كي يبتعد المستشرقون عن اللهجات العربية ويعدوا أنفسهم لتقبل الدور الجديد كطاقة فاعلة في خدمة العلوم الاجتماعية وكاحتياطيين للقيام بعملية الترجمة والشرح في ميادين العمل المختلفة"

ب- ظهور الاستشراق المعاصر :

لقد قام الاستشراق التقليدي بتغيير جلدته - موضوعا ومنهاجا- ليتناسب مع المرحلة الجديدة ... التي لها علاقة بقضايا العالم الإسلامي والتي لم تعد الفيلولوجيا وتحقيق النصوص التراثية والأدبية تفي بالطلب فيها ، وذلك بالتركيز على :

- المناحي السياسية: نشأة الدول العربية الإسلامية، وأنواع حكوماتها، وسياساتها الداخلية والخارجية، والعلاقات بين الحكومات وشعوبها ...

- الأوضاع الاقتصادية من حيث الثروات الطبيعية، وبحث سبل الهيمنة عليها تصنيعا وتسويقا ، وإغراق أهلها بالديون ...

- الصحوة الإسلامية ، التي اعتبرها مزاحما قويا، ومنافسا حقيقيا يحول وحده دون غيره دون العربدة في ديار المسلمين بالأزياء المختلفة ...

- توظيف تقنيات وأساليب جديدة في البحث والرصد، مع استخدام المناهج السوسيولوجية والانتروبولوجية والسيكولوجية والإحصائية والتاريخية واللسانية، وإعلان النزاهة والجدية والحياد ...

وعلى الرغم من المحاولات الجدية المخلصة التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحيين عن الإسلام، فإنهم -كما يقول المستشرق نورمان دانييل- لم يتمكنوا من أن يتجردوا منها تجردا تاما كما يتوهمون "(8)

ومـا تـزال "آثـار التعصـب الـديني الغربـي ظـاهرة فـي مؤلفـات عـدد مـن العلمـاء المعاصرين ومستترة وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية" على حد تعبير برنارد لويس. (9)

وفهم هذه الصليبية الجديدة في الاستشراق المعاصر ليس أمرا عسيرا، ذلك أن جذور العداء العميقة الموغلة في العقلية الغربية ليس من السهل اجتثاثها، فهناك أدلة كثيرة تشير إلى الروح العدائية القديمة، ما تزال تنفث الحياة في كثير من الكتابات التي تمـر تحـت اللافتـة الأكاديميـة، ويتضـح هـذا أيضـا فـي عـرض الشـئون العربيـة والإسلامية المعاصرة في وسائل الإعلام الغربية اليومية.(10)

مما سيرسم لاحقا ملامح الاستشراق الأمريكي، ويطبعه بطابع خاص .

2- الاستشراق الأمريكي، النشأة والتوجه:

يعتبـر الاستشـراق الأمريكـي امتـدادا واسـتمرارا للاستشـراق الأوربـي، وارثـا مجمـل تصـوراته الجـاهزة عن العـالم العربـي والإسـلامي، وترجـع أولـى التفاتـات أمريكـا إلـى الشـرق إلـى سـنة 1810م عبـر إرسـاليات التبشـير التـي تعـد" الجمعيـة التبشـيرية الأمريكية" أهم مؤسساتها .

لقد اتسعت أعمال هذه الجمعية اتساعا هائلا حتى بلغت اللجان التي شكلتها من الوطنيين في مناطق التبشير 568 لجنة اشترك فيها 73 ألف مواطن ... وقد كانت هذه الجمعية تهتم بأمر التبشير في بلاد تركيا وسوريا وفلسطين ، لأنها لا ترغب في ترك البلاد التي كانت مهبطا للتوراة تحت سيطرة الإسلام.(11)

إلا أن الاستشـراق الأمريكـي بـدأ عمليا بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة، عنـدما وجـدت أمريكا نفسها مضطرة لتحل محل بريطانيا في المشرق العربي، يشير مايكلز كوبلاند ضـابط المخـابرات الأمريكي إلـى أن بريطـانيا حينمـا قررت التخلـي عـن مركزهـا فـي الشرق الأوسط ، طلبت من أمريكا أن تحل محلها (12)

وقـد وجـدت أمريكـا رصـيدها مـن معرفـة الشـرق الإسـلامي ضـئيلا جـدا، فحاولـت الحكومـة الفيدراليـة استدراك هذا العجز، حيث أصـدر مجلس الشيوخ مرسـوما عـام 1958م باسم "مرسـوم مجلـس الـدفاع القومـي للتعليم" كـان لـه أثـر كبيـر فـي تشـجيع الاهتمـام بالدراسـات العربيـة والإسـلامية، وفـي عـام 1965م أصـبحت اللغـة العربيـة

تدرس في خمسة عشر مركزاً، أنشئت بأموال قدمتها الحكومة الفيدرالية، وتأسست عام 1959م "الرابطة الأمريكية لدراسة الشرق الأوسط"

وفي عام 1964-1965م بلغ عدد الجامعات الأمريكية التي تقدم برامج دراسات عليا حول الشرق الأوسط أكثر من ثمان وعشرين جامعة، تحتوي برامجها على 850 مادة، ويصل عدد الأساتذة العاملين بها إلى أكثر من 300 أستاذ.(13)

وقد أصدرت "رابطة دراسات الشرق الأوسط" كتاب المعلومات السنوي لعام 1992م، ويضم بين دفتيه أسماء عدة آلاف من الباحثين في شئون الشرق الأوسط وفي شتى المجالات .

لقد خططت الولايات المتحدة لدورها الاستعماري الجديد بعناية، ووظفت الاستشراق ورسمت لذلك ما أسمته "سياسة العلاقات الثقافية"، وقد أفصح مرتيمر جراف عن جانب هذه السياسة الثقافية قائلا: "إن العملية الهائلة لتجميع المطبوعات المتميزة في لغات الشرق الأدنى الصادرة منذ 1900م وحتى اليوم، والنظر فيها وفحصها، إجراء يتعلق بالأمن القومي الأمريكي، وهو من أجل فهم أمريكي أفضل للقوى التي تناوئ أو تنافس الفكرة الأمريكية، وأهم هذه القوى ... الإسلام " (14)

ومنذ ذلك الحين تمحور النشاط الاستشراقي الأمريكي حول السبل التي تتيح للولايات المتحدة بسط هيمنتها على المنطقة العربية والعالم الإسلامي، فأصبح كل ما يطلب إلى الاستشراق أن يؤديه، هو مساعدة المؤسسة الأمريكية على إنجاز تطلعاتها في الهيمنة على مقدرات الشرق، وضمان الحماية الكاملة لإسرائيل.

3- طبيعة الاستشراق الأمريكي :

لقد كان الاستشراق الأمريكي على اتصال وثيق بالاستشراق البريطاني، مما جعل خصائص الثاني تكاد تنتقل بكاملها إلى الأول، مع تفرد الاستشراق الأمريكي بمجموعة من الخصائص التي حددت طبيعته، وأشير إلى أنني أفدت في هذا العنصر من البحث من المجهود الطيب الذي بذله الدكتور مازن مطبقاني- أستاذ الدراسات الاستشراقية- في تشريح الاستشراق الأمريكي من خلال أطروحته " الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي "، أو من خلال مقاله "الاستشراق والقضايا المعاصرة"، أو من خلال موقع "مركز المدينة المنورة لدراسات

وبحوث الاستشراق" على شبكة الإنترنيت، ويمكن إجمال خصائص الاستشراق الأمريكي في النقط الآتية :

أ – استقطاب الطاقات البشرية لخدمة الأمن القومي عبر الاستشراق:

استقدمت الجامعات الأمريكية كثيراً من المستشرقين الإنجليز لدعم الدراسات العربية والإسلامية لديها، وكان من هؤلاء هاملتون جب الذي استقدمته جامعة هارفرد ليؤسس قسم دراسات الشرق الأوسط، كما استقدمت جامعة كاليفورنيا المستشرق جوستاف فون جرونباوم، وقدمت دعوات لأساتذة زائرين كان من أبرزهم برنارد لويس.(15)

كما استعان الكونجرس الأمريكي بخبرات المستشرقين الذين عملوا في العالم الإسلامي، لتقديم ثمرة خبراتهم له في جلسات خاصة، وكان من بينهم مستشرقون يهود بصفتهم الأوربية لا اليهودية، وقد نشرت محاضر الجلسات في كتاب بلغت صفحاته 442 صفحة .

كما توسع الاستشراق الأمريكي في الاستعانة بالباحثين العرب، ليس في مجال تدريس اللغة العربية فحسب ، بل في مختلف المجالات العلمية، ولعل من أقدمهم :

– فيليب حتي: مؤسس قسم دراسات الشرق الأدنى بجامعة برنستون ورئيس هذا القسم، وقد جاء إلى برنستون بتأثير من الرئيس ويلسون وصديقه بايارد دودج رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت، وكذلك بتأثير جمعيات تنصيرية.

– ومن هؤلاء أيضا: جورج حوراني، وشارل عيساوي، وجورج مقدسي، وفوزي متري نجار، وفضل الرحمن الذي عرف بعداوته للمسلمين، وكان رئيسا لقسم الدراسات الإسلامية بجامعة شيكاغو، وعبد الله حمودي المغربي، وحسن مدرسي الإيراني ...(16)

ب–استمرار الأهداف والأنشطة التنصيرية :

تكاد معظم الدراسات العلمية التي أرخت للاستشراق تجمع على أنه نشأ في رحم الكنائس، وترعرع في أحضان الأديرة النصرانية، يقول الدكتور محمد البهي:" إن الحروب الصليبية تركت في نفوس الأوربيين ما تركت من آثار مرة وعميقة وجاءت حركة الإصلاح الديني، فشعر المسيحيون الأوربيون بحاجات ضاغطة لإعادة النظر

في شروح كتبهم الدينية لمحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التي تمخضت عنها حركة الإصلاح، ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية، وهذه أدت بهم إلى الدراسات العربية فالإسلامية، لأن الأخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى، وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرعية حتى شملت أديانا ولغات وثقافات أخرى. ومن جهة أخرى رغب المسيحيون في التبشير بدينهم بين المسلمين، فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم إلى العالم الإسلامي، والتقت مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار، فمكن لهم واعتمد عليهم في بسط نفوذه في الشرق"(17)

ولهذا يمكن القول مع بوسوورث Bosworth: "إن تاريخ الاستشراق في مراحله الأولى هو تاريخ للصراع بين العالم النصراني الغربي في القرون الوسطى والشرق الإسلامي على الصعيدين الديني والإيديولوجي(18)

وقد سبقت الإشارة إلى أن الاهتمام الأمريكي قد انصب منذ البداية على الحملات التبشيرية التي قذف بها إلى الشرق للتبشير بالمسيحية، مقتفيا آثار الاستشراق الأوروبي، حيث أسست البعثة العربية سنة1889م التي حدد هدفها بتنصير الجزيرة العربية انطلاقا من الساحل، واستمرت بالعمل حتى عام 1971م. كما عقد في ولاية كولورادو "مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين" في 1978/10/15م حضره أكثر من150 مندوبا من طائفة المسيحيين البروتستانت يمثلون دولا وكنائس من جهات مختلفة، وحتى تتضح الصورة سوف نلقي نظرة عجلى على أهم الموضوعات التي أثيرت في المؤتمر:

الكنائس التعاونية الديناميكية في المجتمع الإسلامي .

صدام القوة في تحويل المسلم عن دينه.

محاولات نصرانية جديدة لتنصير المسلمين .

تحليل مقاومة واستجابة الشعوب الإسلامية .

الصدام النصراني الإسلامي وكيف الحل ؟

الوضع الحالي لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين .

شبكة المخيمات التبشيرية في البلاد الإسلامية .

استخدام الغذاء والصحة كعنصرين في تنصير المسلمين ...(19)

كما اهتمت المؤسسات التبشيرية بالجانب الإعلامي، حيث أصدرت عددا من المجلات التي تخدم أهدافها نذكر منها :

– مجلة "جمعية الدراسات الشرقية" أنشأها المستشرقون الأمريكيون بولاية أوهايو، وكان لها بعض الفروع بأوربا وكندا.

– مجلة " شئون الشرق الأوسط "تصدر بأمريكا، ويحررها عدد من المستشرقين المعروفين بعدائهم للعرب والمسلمين .

مجلة " الشرق الأوسط " ...(20)

ولعل من أبرز المبشرين العاملين : الدكتور لايسنج، وجيمس كانتين، وصمويل زويمر، وفيليب قليس ...

يقول المستشرق ميدا يرل أحد أساتذة التاريخ الإسلامي في جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة: "ماذا يمكن أن يقال عن أعمال التبشير الأمريكي في الشرق الأدنى بعد قرن كامل من الدهر؟ يمكننا أن نحشد إحصاءات هائلة تتعلق بملايين الدولارات، وبألوف النفوس التي ضحت في هذا السبيل ... إن نفرا من هؤلاء الرجال والنساء أمثال: سبرسن هملن، ودانيال بلس (أول رئيس للجامعة الأمريكية في بيروت) وماري ميلر باتريك ...كانوا علماء وضباط احتياط بين الشرق والغرب، وكذلك كان نفر آخرون منهم معلمين كبارا وأطباء مرموقين يشترط فيهم طول الأناة والصبر" (21)

ج – العناية الفائقة بالظاهرة الإسلامية :

يقول المستشرق ساذرن: "لقد كان الإسلام يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصراني في أوربا وأمريكا على حد سواء" (22) وقد عبر ماكسيم رودنسون عن مثل هذا بقوله: "كان المسلمون خطرا على الغرب قبل أن يصبحوا مشكلة، كما كانوا في نفس الوقت عامل اهتزاز شديد في بناء الوحدة الروحية للغرب، وأنموذجا حضاريا يجتاز بتفوقه وبحركته الإبداعية، وقدرته الهائلة على الانفتاح والاستيعاب، إذ أنه، وفي مواجهة تقدم هذا النموذج عبّر مثقفوا الغرب عن شعور عام بالاندهاش أمام الإسلام، وبدا لهم وكأنه خطر على المسيحية "(23)

واعتبر في الحاضر عائقا حديديا في طريق بسط النفوذ، لذلك أولته الدوائر الحكومية والاستشراقية عناية خاصة، ونظرت إليه على أنه مزاحم قوي يجب اجتثاثه وتجفيف منابعه، وبدأت حربها الإسقاطية بتحويل مصطلحات الأصولية والتطرف والإرهاب بحمولتها المسيحية اليهودية إلى الحركات الإسلامية، عبر الماكينة المعرفية والإعلامية الأمريكية.(24)

ولم يكتف الاستشراق الأمريكي بدراسة الإسلام وصلته بالتصوف كما فعل الاستشراق التقليدي، بل انتقل إلى دراسة المجتمعات الإسلامية ذاتها دينيا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا ...كما درس العلاقة بين الشعوب والمجتمعات الإسلامية والخلافات القائمة والكامنة فيها، ومدى صلاحية الشريعة الإسلامية للتطبيق كما ركز المستشرقون على ما أسموه بالإسلام السياسي والحركات الإسلامية ومناقشة برامجها وطموحاتها ...

يشير أليسوا في كتابه "اختفاء الهلال"، إلى أن الأمريكيين قد ورثوا عن أوربا المسيحية شبح الإسلام كدين ولد من طغيان، يؤيد القمع الديني والسياسي والجمود الاقتصادي، وبناء على هذه الفرضية، لم يهتم الأمريكيون بما إذا كان هذا الوصف للإسلام صحيحا أم لا، ولكنهم أخذوا به لأنه مناسب لهم سياسيا. (25)

ويكشف أليسوا أن استطلاعا للرأي أجراه معهد جالوب سنة 1994م – لمقارنة آراء الشعب الأمريكي وزعمائه الذين يتولون مراكز رفيعة – عن الإسلام أن شريحة من الأمريكيين تبلغ 36% قالت: إن توسع الأصولية الإسلامية يمثل خطرا بالغا على المصالح الحيوية الأمريكية، وفي المقابل أوضح الاستطلاع أن الزعماء الأمريكيين أكثر ميلا من الجمهور لاعتبار الأصولية خطرا إذ أجاب 52% بأنها تهدد المصالح الأمريكية.(26)

يقول ريجان الرئيس الأسبق لأمريكا: "لا أعتقد أنكم تستطيعون المغالاة في تقدير أهمية ظهور الأصولية الإسلامية بالنسبة لبقية العالم في القرن المقبل، خاصة إذا وضعت أشد عناصرها تعصبا –وهذا يبدو ممكنا– يدها على أسلحة نووية وكيماوية، ووسائل إطلاقها ضد أعدائهم"

وقد أوحى تجار السياسة من المستشرقين للمؤسسات الأمريكية بالتوصيفات التالية :

"لا بد من دعم أي جهة تسعى إلى محاربة هؤلاء الأصوليين الإسلاميين ، حتى لو تطلب ذلك دعم القمع، وانتهاك حقوق الإنسان، وإضعاف العملية الديمقراطية والتحالف مع الشيوعيين بل حتى المنظمات الإرهابية ...كذلك لا بد من اتباع سياسة نشطة قادرة على احتواء وإضعاف ما يمكن اعتباره مكاسب حققها الإسلام الأصولي ...من خلال كفاح عسكري تقدمي ضد الإسلاميين لا اعتذار فيه، وعدم المطالبة راهنا في الشرق الأوسط بالديموقراطية، حتى تخمد حركة المد الإسلامي المزاحم، أو يتم قمعها من قبل الأنظمة الشمولية المتسلطة المدعومة من أمريكا "(27)

وهكذا فقد أخذ الاستشراق المعاصر على عاتقه مهمة التحرش ضد القوى المناوئة للفكرة الأمريكية، وعلى رأس هذه القوى كما حددها جرافز، الشيوعية والإسلام، أما وأن الشيوعية اليوم قد اندحرت، فإن الإسلام قد بقي ليمارس الاستشراق المعاصر ضده التشويه والتحريض!

وما زالت هذه الصورة المشوهة المشحونة بالعداء تتنامى في الدراسات الاستشراقية، وفي وسائل الإعلام بوجه عام، وفي أمريكا بوجه خاص (28)

د- العناية بالدراسات الإقليمية :

تعتبر الدراسات الإقليمية/ دراسة المناطق، تطورا ومنحى جديدا في الدراسات الاستراتيجية الأمريكية، فقد أصبح لهذه الدراسات أقسام خاصة بها في كثير من الجامعات الأمريكية، وقد كتب مورو بيرجر دراسة قدمها لرابطة دراسات الشرق الأوسط، نشرت سنة 1967م حدد فيها أهداف الاستشراق الأمريكي المعاصر، كما حدد مجالات الدراسات الإقليمية ، فمن ناحية الأهداف، ذكر أنها تتلخص في معرفة المنطقة وفهمها كما هي الآن، بما في ذلك اختلافاتها الداخلية والمظاهر المشتركة للمؤسسات الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية والكيان السياسي، والحياة الروحية والفكرية، وتأثير صناعة النفط والسكان والتعليم، وعلاقات الجماعات والقوميات ... والتأكيد على الوضع الحالي لإعطاء الشعب الأمريكي نقطة البدء في تقرير ما يحتاج إلى معرفته (29)

ومن المستشرقين البارزين الذين ركزوا جهودهم على الدراسات الإقليمية :

- ليونارد بايندر، صاحب كتاب "دراسة المناطق: إعادة تقويم نقدية" والذي يقول فيه: "إن دافعنا السياسي الأساسي، هو تحقيق النفوذ في هذه المناطق، ومحاربة القوى المعادية" ، ويشير مع غيره إلى عدم اعترافهم بالدراسات الأوربية التي كانت أهدافها إمبريالية فاضحة .

- مورو بيرجر، الذي عمل أستاذا لعلم الاجتماع ودراسات الشرق الأدنى بجامعة برنستون وكان رئيسا لرابطة دراسات الشرق الأوس ، ومن أبرز أعماله: "العالم العربي اليوم" وتقرير بعنوان: "دراسات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا: التطور والاحتياجات".

- جون إسبوزيتو، الذي عمل أستاذا للدراسات الدينية بكلية الصليب المقدس، وقد اهتم بدور الإسلام في السياسة والمجتمع، ومن مؤلفاته"الإسلام والسياسة" و"الإسلام والتنمية "

-هنري كلمنت مور، المتخصص في السياسة المقارنة بين الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ونظم الحكم والتوسع السياسي، والنظريات السياسية (30)

هـ - التركيز على العلوم الاجتماعية / بدل الفيلولوجيا:

تميز الاستشراق الأمريكي أيضا بالإفادة من العلوم المختلفة، كعلم الاجتماع والعلوم السياسية وعلم الاقتصاد والجغرافيا وعلم الإنسان / الأنتروبولوجيا وغيرها ...وتوظيفها في دراسة شعوب العالم العربي والإسلامي.

وتأتي خطورة العلوم الاجتماعية واستخدامها في الدراسات الاستشراقية في كونها تهدف إلى تقويض التركيبة الاجتماعية للمجتمعات الإسلامية من داخلها خلافا للاستشراق التقليدي الذي اعتمد التشويه والتدليس منهجا له .

وقد شاركت جمعيات العلوم الاجتماعية في الاهتمام بهذا الجانب حيث قام "مجلس بحوث العلوم الاجتماعية" بتكوين لجنة الشرق الأدنى والشرق الأوسط بالتعاون مع مجلس الجمعيات العلمية ومهمتها: بحث مشكلات واحتياجات البحث في كل الجوانب الخاصة بدراسة الشرق، ومصادر البحث فيه، والتدريب ومساندة العلماء الباحثين.(31)

وهكذا فإن المستشرق لا يبدأ بإتقان أسرار لغة الشرق، بل يبدأ متدربا في العلوم الاجتماعية وينطلق لتطبيق علمه على الشرق، وهذا بالتحديد هو الإسهام الأمريكي في تاريخ الاستشراق.

ومن أشهر المستشرقين الذين اهتموا بالجانب الاجتماعي وبالدراسات الاجتماعية :

- برنارد لويس ، الذي كان مهتما بالمجتمعات الإسلامية وقضايا التحديث، وبالفكر السياسي في الإسلام .

- كليفوردجيرتس ، الذي درس التطور الديني في أندونيسا والمغرب ، ونشر ذلك في كتابه" ملاحظة الإسلام "سعى فيه إلى تصوير المعايير المميزة لكل بلد والمصير الذي يواجه المسلمين المتمسكين بالنصوص الدينية، ونتائج الاستعمار على المؤسسات الدينية وعقول الناس .

- وليام جوزيف أولس، الذي عمل باحثا مشاركا في مركز الدراسات الاستراتيجية والدراسات الدولية بجامعة جورج تاون ، كما عمل محللا لشئون الشرق الأوسط في مكتبة الكونجرس سنة1982 م ، وفي عام1983 م أصبح كبير المحللين للأمن الإقليمي في معهد الدراسات الاستراتيجية في كلية الحرب الأمريكية .

-هرمان فريدريك أليتس ، الألماني الأصل ، حصل على الماجستير في الدراسات العربية والشرق أوسطية ، وعمل في الجيش الأمريكي ، وهو عضو في مجلس أمناء الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، وهو أيضا عضو في اللجنة الاستشارية لمركز سلطان بن قابوس في معهد الشرق الأوسط بواشنطن ، ومن مؤلفاته : الاعتبارات الأمنية في الخليج الفارسي "

-مانفرد هالبن ، صاحب كتاب " سياسات التغيير الاجتماعي في الشرق الأدنى وشمال إفريقيا " ، وغير هؤلاء كثير .

و الإهمال شبه الكلي لدراسة اللغة والآداب الشرقية :

لقد كان اهتمام الاستشراق الأمريكي بدراسة الأقاليم والاعتماد على الدراسات الاجتماعية على حساب الاهتمام بالدراسات الأدبية واللغوية .

يقول ساسي الحاج عن الدراسات الاستراتيجية الأمريكية :" إنها تفتقر إلى دراسة معمقة ورصينة للآداب العربية ، واستتبع إهمال الأدب العربي ضعف الدراسات

الأمريكيـة المتعلقـة بضـعف اللغـة ، ذلـك أن معظـم الدراسـات الحديثـة التـي يقـوم المستشرقون الأمريكـان بهـا فـي هذا المجـال ، ضئيلة وسطحية ، ولا ترقـى أبـدا إلـى أعمال المستشرقين الأوربيين الكبار " (32)

فالمعرفة اللغوية التي احتاجها الاستشراق الأمريكي ، لم تخرج عن مدارس اللغة في الجيش الأمريكـي التـي أسست خـلال الحرب وبعدها علـى حد تعبير إدوارد سعيد ، كمـا أن الأمـريكيين نظـروا إلـى اللغـة علـى أنهـا أداة مـن أجـل أهـداف ليسـت قـراءة النصوص من بينها ، فضلا عن النظرة الاستعلائية

والعنصرية لسائر اللغات البشرية .

وقد ترتب عن هذا الإهمال حاجة الإدارة الأمريكية دائما إلى مترجمين من العربية وإليها ، وسوء تأويل وفهم للمترجَم (تحطم الطائرة المصرية ، شريط بلادن الأخير ...

4- الاستشراق الأمريكي والخلفية التوراتية (الصهيونية) :

أولـى المستشـرقون المعاصـرون فـي الولايـات المتحـدة عنايـة فائقـة لدراسـة الأوضـاع القائمـة فـي المنطقـة العربيـة منـذ قيـام إسـرائيل حتـى الآن ، وذلـك لتلبيـة احتياجـات وتطلعـات السياسـة الأمريكيـة فـي هـذه المنطقـة، كمـا احتـل الاهتمـام بإسـرائيل مكانـة خاصة في الاستشراق الأمريكي المعاصر ، انطلاقا من أهمية الدور الوظيفي الذي تؤديـه إسـرائيل فـي تنفيـذ الاسـتراتيجية الأمريكيـة ، حيـث انصـبت غالبيـة نشـاطات المستشرقين الأمريكيين على مجالات الأبحاث الصراعية باتجاه تعزيز مواقع إسرائيل على جبهة المواجهة مع العرب .(33)

وأصبح هؤلاء المستشرقون ، ممن يطلق عليهم عادة " خبراء شئون الشرق الأوسط " يلجأون

إلى تقديم الخدمات المباشرة إلى صانعي القرار في التحالف الإسرائيلي الأمريكـي ، وتزويدهم بالمادة البحثية المناسبة ، وتتمحور توجهات المستشرقين المعاصرين تجاه إسرائيل في :

– التركيز على أهمية إسرائيل الاستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة والغرب ، وتحريض المؤسسات الأمريكية على الاستجابة لحاجات إسرائيل العسكرية وتمكينها من وسائل التفوق على دول الجوار / الشرق .

– النظر إلى إسرائيل على أنها " واحة الديموقراطية " الوحيدة في المنطقة ، وإظهار التحالف الأمريكي الإسرائيلي كما لو أنه نابع من التزام أخلاقي تجاه دولة صديقة .

– التوحد مع إسرائيل ، سواء في السياسة الإسرائيلية العليا أو في المواقف والأحداث اليومية واللجوء في معظم الأحيان إلى البحث عن تبريرات للتوجهات والممارسات الإسرائيلية .

– تبني الدعاوى الغيبية والذرائعية للصهيونية وكيانها ، والتماثل مع الطريقة الصهيونية الإسرائيلية في النظر إلى الأمة العربية والشعب الفلسطيني .

– الترويج لما يسمى " المعجزة اليهودية " في بناء الدولة ، وفي الصمود أمام التحديات ، وإضفاء صورة ذهنية مذهلة على إنجازات إسرائيل الذاتية !

وفي الطرف الآخر ، وجد المستشرقون اليهود مناخا مناسبا للعمل ضمن الاستشراق الأمريكي ، وذلك لعدم وجود ذكريات الاضطهاد اليهودي في هذا المجتمع ، وثانيا لأن اليهود الصهاينة أدركوا أن مراكز البحث والجامعات الغربية وبخاصة الأمريكية ذات نفوذ في صناعة القرار السياسي ، لذلك عملوا على السيطرة على مراكز ومعاهد الدراسات الإسلامية والعربية والشرق أوسطية ، يوجهونها الوجهة التي تثبت أقدامهم في فلسطين المحتلة (34)

كما نجح اليهود في تهويد المسيحية الغربية ، بإقناع المسيحيين أنهم أقرب الناس إليهم ، لذلك تم الاتفاق بينهم على ضم التوراة إلى الإنجيل باعتبار أن التوراة هي كتاب العهد القديم ، والإنجيل هو كتاب العهد الجديد ، وسمي الاثنان بالكتاب المقدس ، وبذلك أفلح اليهود في جعل المسيحيين تبعا لهم يأتمرون بأمرهم في أمور الدين ، فسهل عليهم التسلط عليهم في أمور الدنيا (35)

وعلى المستوى العملي ترجم الأصوليون المسيحيون ، الأوربيون والأمريكيون عقيدتهم إلى عمل ، فشعروا أن من واجبهم لعب دور عملي نشيط في تحقيق النبوءات

وتسريع المجيء الثاني للمسيح ، سعيا وراء إنشاء المملكة الألفية السعيدة التي تنبأ بها يوحنا العراف في رؤياه (36)

ولم يكن هذا الحماس المتجدد منحصرا فقط على المستوى الشعبي ، ولا على مستوى الكهنوت والدعاة ، ولكن تجاوزه إلى الزعماء السياسيين وكبار القادة والمستعمرين والرحالة والأكاديميين .

فقد كان الأمريكيون الأوائل في هجرتهم من أوربا إلى أمريكا يشبهون أنفسهم بقبائل بني إسرائيل التائهة ، ومن قبيل المجاز أو الاستعارة ، قارنوا المحيط الأطلسي بصحراء سيناء ، والأرض الجديدة بأرض كنعان الموعودة .(37)

ولما كلف كل من الرئيسين الأمريكيين السابقين جون آدمز و توماس جفرسون – ضمن لجنة لانتقاء شعار للأمة الأمريكية الجديدة ، أوصى كلاهما أن يكون الشعار : صورة النبي موسى وهو يقود اليهود الهاربين من فرعون مصر ، ورأى الديبلوماسي الأمريكي بنيامين فرانكلين أن يكون الشعار : صورة موسى وهو يشق البحر الأحمر بعصاه (38)

ولما كانت الخطة الإلهية عند الغرب تقتضي المجيء الثاني للمسيح ، فيلزم بالضرورة أن يسبقه " الشعب المختار " إلى فلسطين تمهيدا لعودته ... فالمسيح لن يعود إلى فلسطين إلا إذا عاد اليهود إليها حسب اعتقاد الأصوليين المسيحيين ، وذلك لأن نهاية التاريخ التي تنبأ بها بولس منذ ألفي عام ترتكز أولا و آخرا على إنشاء وطن يهودي في فلسطين يستطيع المسيح أن يعود إليه .

والأكثر عجبا أن المسيحية الغربية – مُوجَّهةً من قبل الاستشراق العنصري – لم تيئس حتى يومنا هذا من تحقق المجيء الثاني ، وحتى في أمريكا القرن العشرين نجد ما لا يقل عن 53% من سكان الولايات المتحدة الأمريكية ، بمن فيهم الرئيس الأسبق ريجان ، يؤمنون بأن المجيء الثاني للمسيح ، ونهاية التاريخ على وشك الحدوث ، فلا غرابة والحالة هذه أن يتمكن هال ليندسي من بيع عشرين مليون نسخة من كتابه (كوكب الأرض العظيم الفائت) ، والذي حدد فيه النبوءة بنهاية التاريخ ، وجزم أن العالم حاليا يعيش في مناخ مهيأ لظهور عدو المسيح الأكبر الذي رمزت إليه الرؤيا برقم 666 – (رؤيا18/13)

كما أن الكثير من الأمريكيين الذين كانوا في السابق معادين لليهودية بحجة أن اليهود رفضوا المسيح وقتلوه – بزعمهم – تحولوا إلى أنصار متحمسين لليهود ولإسرائيل ، نظرا للدور الذي يُفترض أن يقوم به اليهود في خطة المجيء الثاني وتحقق النبوءات .(39)

وأصبح من يعتبرون أنفسهم حجاجا إلى فلسطين من المسيحيين الأمريكيين ، يضعون على صدورهم لوحة صغيرة كتب عليها " نحن نحبك يا إسرائيل لأن الله يحبك "

والواضح أن الوعاظ الأصوليين من أمثال جيري فالويل نجحوا في أن يجعلوا من رؤيا يوحنا نوعا من التقديس لإسرائيل ... فكان أن تكيفت السياسة الأمريكية نحو الشرق الأوسط عموما ونحو فلسطين خاصة إلى درجة أن جعلت مصير أمريكا مرتبطا بمصير إسرائيل ، وقد قال فالويل ما يشبه ذلك : " لو أهملنا إسرائيل فلن يكترث بنا الله " ، وباختصار فقد أصبحت إسرائيل هي العمود الفقري للعقيدة المسيحية الأصولية في الغرب (40)

والمخيف أن زعماء الأصولية يتغلغلون في السياسة الأمريكية لدرجة أن الواعظ الأصولي المشهور بات روبرتسون رشح نفسه للرئاسة الأمريكية عام 1988م ، والمشهور عن هؤلاء اعتقادهم بضرورة نشوب حرب نووية ، أو حرب عالمية ثالثة ، ما دامت تعجل بمجيء المسيح ، وقد صرح وزير الداخلية الأمريكي جيمس واط أمام مجلس النواب قائلا : " إنه باعتبار العودة الوشيكة للمسيح ونهاية العالم ، فليس من مبرر للقلق على البيئة ، ولا التذمر من تخريب الموارد الطبيعية والبيئية "

وكذلك كان تصور كل من الرؤساء الأمريكيين (وودرو ولسون ، وهاري ترومان ، وجيمي كارتر ، ورونالد ريجان) (41)

وقد كانت وما تزال تصريحات الإدارة الأمريكية تعبر عن انحياز غريب لإسرائيل لا يمكن فهمه إلا في إطار الخلفية الصهيونية التي استطاع الاستشراق الأمريكو– صهيوني أن يرسخها في الذهنية المسيحية ، وقبل ثلاث سنوات ، 1998م ، صرح مارتن إنديك مساعد وزير الخارجية الأمريكي قائلا : " إن تعبير الوسيط المتوازن

بين إسرائيل والعرب لا وجود له في القاموس السياسي الأمريكي ، لأن العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل خاصة جدا " (42)

ونتيجة لهذه العلاقة الخاصة جدا ، الدينية جدا ، تضع أمريكا تحت تصرف إسرائيل مواردها الاقتصادية الهائلة ، وآلتها الحربية الضخمة ، وتستعمل حقها في نقض ما أجمع المجتمع الدولي على صوابه ، باستخدامها للفيتو ، ضد شعب أعزل أكثر من نصفه مهجَّر ..

5- الاستشراق الأمريكو- صهيوني والعراق :

وصف العراق في الكتب اليهودية القديمة بأقبح الصفات ، ونعت يوحنا العراف بابل في رؤياه ، بأنها " أم العاهرات ونجاسات الأرض " ومنذ ذلك ، أصبحت بابل (العراق) رمزا لكل رذيلة ، ولكل شيء بغيض عند اليهود وعند الأصوليين المسيحيين ، وما من شك في أن يوحنا العراف كان متشربا روح العهد القديم ، في النص الحاقد الذي يتحرق فيه شوقا لسحق رؤوس الأطفال البابليين بالحجارة ، فقد جاء في المزامير 137/8-9 " طوبى لمن يجازيك يا بابل كما جازيتنا ، طوبى لمن يمسك أطفالك ويسحقهم على الصخور "

ومنذ قام يوحنا بوصم بابل في رؤياه بـ"أم العاهرات ونجاسات الأرض " أصبح العراق مرتبطا في أذهان اليهود والمسيحيين الأصوليين في الغرب بكل أوصاف الرذائل والفساد ...

واليوم نجد في الغرب وفرة في الكتب التي تصرح بالعلاقة بين عراق اليوم وبين بابل أم العاهرات ونجاسات الأرض ، ومن أشهرها :

كتاب شارل تايلور " صدَّام بابل العظيمة "

- وكتاب شارل داير "صعود بابل" ، الصادر عن ندوة دالاس اللاهوتية، وعلى غلافه صورة صدام حسين . وحتى بعد هزيمة العراق ، وقتل الملايين من أطفاله وسحقهم وتدمير بنيانه، ما زال شارل تايلر يعتقد "أن العراق قد يبرز من جديد بدور بابل أم العاهرات، وأن صدام نفسه قد يعود إلى الظهور بصورة وحش الرؤيا عدو المسيح ..."(43)

فلا يستغرب أن تستمر العقوبات الصارمة على العراق، لأنها قربة دينية يتقرب بها المسيحيون الأصوليون لليهود وللرب، آملين أن تتحقق رؤيا يوحنا! راكبين ظهر الولايات المتحدة المقتنعة برؤيا يوحنا والمترسخة في أذهان وأرواح المستشرقين الأمريكيين على مدى القرون

وهكذا يقدم الاستشراق الأمريكي المعاصر وجها جديدا ودليلا آخر على التدني الذي وصل إليه الاستشراق عبر العجرفة والاستخفاف بالقوانين الدولية والأعراف، ونهج سياسة الاستعلاء والفوقية، وتنميط البشرية باتجاه معالم الرجل الأبيض . ومن أقرب الأمثلة وأبسطها، تمكين الصهيونية وكيانها العنصري في فلسطين لمواصلة المسلسل الاستعماري الذي سنه الغرب في ديار الإسلام.

- الحواشي :

(1) إبراهيم عيد الكريم، الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل ص 19- دار الجيل للنشر و الدراسات والأبحاث الفلسطينية – عمان – 1993

(2) إدوارد سعيد، الاستشراق ص37 وما بعدها – ترجمة كمال أبو ديب – مؤسسة الأبحاث العربية – بيروت 1981 – وإبراهيم عبد الكريم ص20

(3) إبراهيم عبد الكريم ص20-21

(4) محمد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق: دراسة تحليلية تقويمية ص30

(5) محمد حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص21 – مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية 1985

(6) محمد حمدي زقزوق 48

(7) محمد حمدي زقزوق 52

(8) محمد حمدي زقزوق 53- محمد عبد الله الشرقاوي ص12

(9) محمد عزت إسماعيل الطهطاوي ص15

(10) عبد اللطيف الطيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية: دراسة نقدية، و محمد عزت إسماعيل الطهطاوي ص53

(11) محمد عزت إسماعيل الطهطاوي ص196-197

(12) مازن مطبقاني ص51 ، و إبراهيم عبد الكريم ص49

(13) إبراهيم عبد الكريم ص50 و مازن مطبقاني ص52

(14) محمد عبد الله الشرقاوي ص15 ، وينظر : محمد عزت إسماعيل الطهطاوي ص14

(15) مازن مطبقاني ص52

(16) مازن مطبقاني ص

(17) محمد البهي، "المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام"، ص125-126، مجلة الفكر العربي، السنة الخامسة ن العدد32 ، أبريل 1983

(18) محمد عزت إسماعيل الطهطاوي، التبشير والاستشراق : أحقاد وحملات ص54 ، الزهراء للإعلام العربي _ ط1- 1991

(19) محمد عزت إسماعيل الطهطاوي 179

(20) محمد عزت إسماعيل الطهطاوي 209

(21) محمد عزت إسماعيل الطهطاوي 95

(22) محمد حمدي زقزوق ص21

(23) محمد عبد الله الشرقاوي ص36 – 32 ومازن مطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي ص31-32 الرياض1995-

(24) ينظر :htt//www.islamweb.net/article.asp?article=6160على شبكة الإنترنت

(25) ينظر :htt//www.islamweb.net/article.asp?article=6160على شبكة الإنترنت

وينظر : شوقي أبو خليل، الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين

(26) http://syriagate.com/nihadsiress/jaridah/mak-018.htm

(27) ينظر في هذا السياق كتابا رسول محمد رسول : الغرب والإسلام قراءة في رؤى ما بعد الاستشراق، وكتاب فواز جرس، أمريكا والإسلام السياسي: صراع حضارات أم تضارب مصالح، فهما من الكتب التي تكشف عن خبايا السياسة الأمريكية تجاه عالم الإسلام، وتفسر الكثير من المواقف الغامضة والغريبة للسياسة الأمريكية تجاه ما يجري في الشرق العربي الإسلامي .

(28) مازن مطبقاني ص55

(29) محمد عبد الله الشرقاوي ص11-12-54

(30) مازن مطبقاني ص53-56

(31) مازن مطبقاني ص58-59 ، وينظر : رسول محمد رسول، الغرب والإسلام قراءة في رؤى ما بعد الاستشراق ص18 – دار الفارس للنشر والتوزيع ط1 سنة2001م

(32) مازن مطبقاني ص59-60-64

(33) اعتمدت في هذا المبحث الأطروحة المتميزة للباحث إبراهيم عبد الكريم: الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل، ينظر ص 50-51

(34) محمد حمدي زقزوق ص49 و مازن مطبقاني 64

(35) محمد عزت إسماعيل الطهطاوي ص99

(36) محمد فاروق فارس الزين، المسيحية والإسلام والاستشراق ص262 – دار الفكر ، دمشق ، سنة 2000م

(37) محمد فاروق فارس الزين ص 263

(38) محمد فاروق فارس الزين ص 265

(39) محمد فاروق فارس الزين ص244

(40) محمد فاروق فارس الزين ص 249

(41) محمد فاروق فارس الزين ص 246 ، و إبراهيم عبد الكريم: الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل ، ينظر ص 50-

(42) محمد فاروق فارس الزين ص 249-250

(43) محمد فاروق فارس الزين ص 251

===============

مدارس الاستشراق > المدرسة الألمانية >

اهتم الباحثون الألمان بالدراسات العربية الإسلامية منذ عهد مبكر فقد ثبت أن مارتن لوثر كان من الذين تأثروا بالفكر الإسلامي حينما تمرد على الكنيسة الكاثوليكية في روما، ولكن موقف لوثر كان عدائيا جداً من الإسلام وبخاصة الدولة العثمانية. وقد

تميز المستشرقون الألمان بالجدية في البحث حتى اصطبغت الدراسات الإسلامية في أوروبا في وقت من الأوقات بالصبغة الألمانية. ويقول في ذلك الدكتور السامرائي "ومع كل هذا فإن المدرسة الألمانية وحدها أظهرت اهتماما علميا جادا بالإسلام في وقت مبكر عن غيرها من المدارس الاستشراقية الأوروبية000"([1]) وذكر أمثلة على هذا الاهتمام بالمخطوطات وبالتاريخ الإسلامي حيث ظهر كتاب مغازي الواقدي وبدأ تحقيق كتاب الطبري، وظهرت جهود بروكلمان في كتابه 'تاريخ الأدب العربي'.

وما زال الاستشراق الألماني مزدهراً في العديد من الجامعات، وقد لحق الاستشراق الألماني غيره في الاهتمام بالقضايا المعاصرة فقد قدم المستشرق راينهارد شولتز محاضرة في شهر سبتمبر 1986 في جامعة برنستون بالولايات المتحدة بعنوان 'الإسلام السياسي في القرن العشرين'.

أعلام الاستشراق الألماني

1-يوهان جاكوب رايسكه (Johann Jakob Reiske1716-1774)

يعد رايسكه مؤسس الدراسات العربية في ألمانيا حيث بدأ تعليم نفسه العربية ثم درس في جامعة ليبزيج Leipzig وانتقل إلى جامعة ليدن لدراسة المخطوطات العربية فيها كما اهتم بدراسة اللغة العربية والحضارة الإسلامية وإن كان له فضل في هذا المجال فهو الابتعاد بالدراسات العربية الإسلامية عن الارتباط بالدراسات اللاهوتية التي كانت تميز هذه الدراسات في القرون الوسطى (الأوروبية).

2-يوليوس فيلهاوزن (Jullius Wellhausen1844-1918)

تخصص في دراسة التاريخ الإسلامي والفرق الإسلامية، من أبرز إنتاجه تحقيق تاريخ الطبري، وألف كتاباً بعنوان 'الإمبراطورية العربية وسقوطها' ومن اهتماماته بالفرق الإسلامية تأليف كتابيه 'الأحزاب المعارضة في الإسلام' وكتابه 'الخوارج والشيعة' وكتب عن الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه 'تنظيم محمد للجماعة في المدينة' وكتابه 'محمد والسفارات التي وجهت إليه'.

3-ثيودور نولدكه (Theodor Noldeke1836-1930)

ولد في هامبرج في 2مارس 1836 ودرس فيها اللغة العربية ودرس في جامعة ليبزيج وفينا وليدن وبرلين. عيّن أستاذاً للغات الإسلامية والتاريخ الإسلامي في جامعة توبنجن، وعمل أيضاً في جامعة ستراستبرج. اهتم بالشعر والجاهلي وبقواعد اللغة العربية وأصدر كتاباً بعنوان 'مختارات من الشعر العربي' من أهم مؤلفاته كتابه 'تاريخ القرآن' نشره عام 1860 وهو رسالته للدكتوراه وفيه تناول ترتيب سور القرآن الكريم وحاول أن يجعل لها ترتيباً ابتدعه. ذكر عبد الرحمن بدوي أن نولدكه يعد شيخ المستشرقين الألمان.

4- كارل بروكلمان (Carl Brockelmann1868-1956)

ولد في 17 سبتمبر 1868في مدينة روستوك، بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، ودرس في الجامعة بالإضافة إلى اللغات الشرقية اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) ودرس على يدي المستشرق نولدكه. اهتم بدراسة التاريخ الإسلامي وله في هذا المجال كتاب مشهور 'تاريخ الشعوب الإسلامية' ولكنه مليء بالمغالطات والافتراءات على الإسلام.([2])

ومن أشهر مؤلفاته كتاب 'تاريخ الأدب العربي' الذي ترجم في ستة مجلدات وفيه رصد لما كتب في اللغة العربية في العلوم المختلفة من مخطوطات ووصفها ومكان وجودها.

5- جوزف شاخت (Josef Schacht1902-1969)

ولد في 15مارس 1902، درس اللغات الشرقية في جامعة برسلاو وليبتسك، انتدب للعمل في الجامعة المصرية عام 1934لتدريس مادة فقه اللغة العربية واللغة السريانية. شارك في هيئة تحرير دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الثانية. عرف شاخت باهتمامه بالفقه الإسلامي ولكنه صاحب إنتاج في مجال المخطوطات وفي علم الكلام وفي تاريخ العلوم والفلسفة.

6- آنا ماري شميل (Annemarie Schimmel1922)

من أشهر المستشرقين الألمان المعاصرين بدأت دراسة اللغة العربية في سن الخامسة عشرة وتتقن العديد من لغات المسلمين وهي التركية والفارسية والأوردو. درّست في العديد من الجامعات في ألمانيا وفي الولايات المتحدة الأمريكية وفي أنقرة، اهتمت

بدراسة الإسلام وحاولت تقديم هذه المعرفة بأسلوب علمي موضوعي لبني قومها حتى نالت أسمى جائزة ينالها كاتب في ألمانيا تسمى جائزة السلام. ولكن بعض الجهات المعادية للإسلام لم يرقها أن تنال هذه الباحثة المدافعة عن الإسلام في وجه الهجمات الغربية عليه حاولوا أن يمنعوا حصولها على الجائزة.

وقد أدرك مكانة هذه المستشرقة العلاّمة والداعية المسلم في أوروبا الدكتور زكي علي منذ أكثر من أربعين سنة حين كتب يقول "وعلى رأس المحررين لمجلة 'فكر وفن' الأستاذة الألمعية الدكتورة آن ماري شميل المتخصصة في دراسة محمد إقبال حكيم وشاعر باكستان ..وترجمت إلى الألمانية له ديوان 'جاويد نامة' وكتاب 'رسالة المشرق عن الفارسية' وهي أستاذة بجامعة بون وغيرها ومن أكابر علماء ألمانيا... وتنصف الإسلام والمسلمين كثيراً جزاها الله خيراً." وقال عنها أيضاً أنها أصدرت العديد من الكتب منها كتاب 'محمد رسول الله'صلى الله عليه وسلم بسطت فيه مظاهر تعظيم وإجلال المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ([3]). وقد امتدحها رئيس المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا بأنها ما زالت تواصل كتاباتها الموضوعية وترجماتها عن الإسلام.([4])

- الحواشي :

[1] – الفهرس الوصفي ،ص 17)

[2] –انظر كتاب .عبد الكريم علي باز .افتراءات فيليب حتّي وكار بروكلمان على التاريخ الإسلامي. (جدة:تهامة للنشر، 1403–1983)

[3] –عبد اللطيف الجوهري. من أعلام الدعاة في أوروبا: العلاّمة الدكتور زكي علي.(جدة: عالم المعرفة 1418–1988)ص123 والمقالة التي كتبها الدكتور زكي علي نشرت في مجلة البريد الإسلامي في 1963/6/25. ولما رشحت لنيل جائزة السلام ظهرت أصوات يهودية ومعادية للإسلام والمسلمين تتهم المستشرقة بشتى الاتهامات، وقد توفت قريباً وكتب عنها الشيخ أحمد زكي يماني وهو يرى أنها أسلمت ولكنها كانت تخفي إسلامها.

[4] –عكاظ ، عدد 10961، ربيع الآخر 1417، (16أغسطس 1996م)

============

مدارس الاستشراق > المدرسة الإسبانية >

نشأ الاستشراق الإسباني في أحضان حركة عدائية لكل ما هو عربي ومسلم، وكان هدفها التحقير والانتقام والتشويه، وقد وصف المستعرب الإسباني خوان غويتسولو في كتابه (في الاستشراق الإسباني) [1] نماذجاً من هذا النوع حين يكتبون عن الإسلام والمسلمين بقوله إنهم "إنما يكتبون ويتصرفون وينطقون باسم المسيحية في مواجهة حضارة متدنية، وفي أفضل الأحوال، فإن استحضار الماضي المجيد الذي عرفه العالم الإسلامي يدفعهم إلى التفجع على نحو متحذلق على الانحطاط الحالي (انحطاطا كان في رأيهم محتما ولا مناص منه) وعلى عجزه الطبيعي عن هضم التقدم الأوروبي" ووصف غويتسولو دراسات المستشرقين الأسبان للغات الإسلامية بأنهم يدرسونها كما لو كانت "لغات حضارات منقرضة، ومقطوعة عن اللغات الحالية التي هي وريثها الشرعي، حاكمين عليها بذلك بأن تشكل عدماً أو ما هو أقل من العدم".

واختلط الدافع الديني الحاقد بدافع استعماري سياسي حينما بدأت حركات الاحتلال الأوروبي للعالم الإسلامي وطمعت إسبانيا في المناطق المجاورة لها فجندت مستشرقيها لإعداد الدراسات لمعرفة مواصفات السكان وطبائعهم وتجارتهم وزراعتهم، وكذلك معرفة اللغات واللهجات المحلية، وقد أنشأت الحكومة الأسبانية العديد من المراكز لتعليم العربية العامية والمغربية، وقد تجاوزت خمسين مدرسة .

وما تزال إسبانيا تحتفظ بالكثير من المخطوطات العربية في مكتباتها الكبرى كمكتبة الاسكوريال ومكتبة مدريد الوطنية، ومكتبة جمعية الأبحاث الوطنية.

من أعلام الاستشراق الإسباني

1- مقيل آسين بلاثيوسMiguel Asin Placios ء (1871م-1944م)

ولد في 5 يوليو 1871م بمدينة سرقسطة والتحق بكلية الآداب بجامعة سرقسطة بالإضافة إلى دراسته في المعهد المجمعي فتخرج فيه قسيساً، درس اللغة العربية على يد المستشرق ريبرا، التحق بجامعة مدريد للحصول على درجة الدكتوراه وكانت عن الغزالي، تولى كرسي اللغة العربية في جامعة مدريد، من أبرز إنتاجه العلمي بحثه المعنون (الرشدية اللاهوتيه في مذهب القديس توما الإكويني) وبحثه عن تأثر

الشاعر الإيطالي دانتي بعنوان (الأخرويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية)، وأبدى اهتماماً بابن حزم والقرطبي وأبي حامد الغزالي، ومحي الدين بن عربي.

شارك مع المستشرق ربيرا في إصدار مجلة الثقافة الإسبانية 1906م–1909م واختير عضواً في الأكاديمية الملكية للعلوم الأخلاقية سنة 1912م وعيّن عضواً في الأكاديمة الإسبانية عام 1919م.

1- سيكودي لوثينا باريديس Secode Lucena Paredes

ولد في غرناطة ودرس الفلسفة في كلية الآداب في جامعة غرناطة،عمل مستشاراً للثقافة والتعليم في الإقامة الإسبانية في المغرب، عيّن أستاذاً للغة العربية بجامعة غرناطة عام 1942م، عيّن مديراً لمعهد الدراسات العربية بغرناطة وعمل رئيساً لقسم الدراسات العربية في معهد الدراسات الإفريقية بمدريد، انتخب عضواً في مجمع الفنون الجميلة، له إنتاج غزير في مجال تحقيق المخطوطات وفي البحوث حول الشريعة الإسلامية وكذلك التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية.

2- إميليو جارثيا جوميز Emilio Varcia Gomez

ولد في مدريد ودرس في جامعتها، عمل أستاذاً بجامعة غرناطة وبجامعة مدريد. تولى إدارة المعهد الثقافي الإسباني، زار سوريا ولبنان، انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق عام 1948م، عمل سفيراً لبلاده في بغداد وفي لبنان، له دراسات عديدة في الأدب العربي وترجمات لبعض الشعر العربي إلى الإسبانية.

3- بوش فيلا Bosch Villa

ولد في فيجراس عام 1922م، درس في جامعة برشلونه فقه اللغات السامية وحصل على الدكتوراه من جامعة مدريد بعنوان (الإقطاع، مملكة الطوائف على عهد بنو رزين) عمل في تدريس اللغة العربية في كل من جامعتي برشلونة وجامعة سرقسطة، تولى منصب أستاذ مساعد للتاريخ والنظم الإسلامية بجامعة مدريد وعمل أمين مكتبة معهد الدراسات العربية بمدريد ودرّس التاريخ والنظم الإسلامية بجامعة غرناطة.

تولى رئاسة الجمعية الإسبانية للمستشرقين، وهو عضو جمعية شمال أمريكا لدراسات الشرق الأوسط، تركزت بحوثه في مجال الدراسات الإسلامية والجغرافيا والتاريخ كما اهتم بقضايا العالم العربي المعاصرة.

4- فيدريكيو كورينتي Fedrico Coriente

ولد في غرناطة في 1940/11/14م درس اللغات الشرقية في جامعة مدريد، حصل على الدكتوراه في علم اللغة، عمل مديراً للمركز الثقافي في القاهرة 1962م-1965م، تولى منصب أستاذ اللغة الإسبانية في مدرسة الألسن العليا بجامعة عين شمس في الفترة نفسها، وترأس قسم اللغة الاسبانية بجامعة محمد الخامس بالرباط عام 1965م-1968م، عمل في جامعة فيلاديلفيا أستاذاً للغات الشرقية والعربية، أستاذ كرسي اللغة العربية بجامعة سرقسطة منذ عام 1976م.

- الحواشي :

[1] - خوان غويتسولو. في الاستشراق الاسباني. ترجمة كاضم جهاد (بيروت، 1987م) ص165

============

مدارس الاستشراق > المدرسة الروسية >

كان الاستشراق قوياً في روسيا منذ عهد بعيد حيث تعود الصلات بين روسيا والعالم الإسلامي إلى زمن الدولة العباسية، حيث تبادلت الدولة الإسلامية السفارات مع روسيا، ولمّا ضمت روسيا إليها بعض المناطق الإسلامية ازداد الاهتمام بالإسلام والعالم الإسلامي، وقد أفادت روسيا من الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا وبخاصة في فرنسا حيث أوفدت روسيا بعض الباحثين للدراسة في مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس.

وقد قوي الاهتمام بالاستشراق في روسيا في بداية القرن التاسع عشر حينما أنشأت بعض الجامعات الروسية كراس للغة العربية والإسلام ومن هذه الجامعات جامعة قازان وجامعة موسكو وجامعة بطرسبرج وكلية لازاريف وغيرها.

بعض أعلام الاستشراق الروسي

1- ف.ف. بارتولد V.V. Barthold، (1869م-1930م)

درس التاريخ الإسلامي في جامعة بطرسبرج وعمل فيها أستاذاً لتاريخ الشرق الإسلامي، اهتم بمصادر التاريخ الإسلامي العربية، كما اهتم بدراسة ابن خلدون ونظريته في الحكم.

انتخب عضواً في مجمع العلوم الروسي ورئيساً للجنة المستشرقين، له كتابات كثيرة في مجال التاريخ الإسلامي وقد كتب عن عمر بن الخطاب t.

2- إجناطيوس كراتشكوفسكي Ignaij Julianovic Krackovskij ء [1]

ولد في 16 مارس 1883م، أمضى طفولته في طشقند حيث تعلم اللغة الأوزبكية، درس اللغات الكلاسيكية اليونانية واللاتينية، بدأ بتعلم اللغة العربية بنفسه. وفي عام 1901م التحق بكلية اللغات الشرقية في جامعة سان بترسبرج، ودرس عدداً من اللغات منها العبرية والحبشية والتركية والفارسية، درس التاريخ الإسلامي على يد المستشرق بارتولد، زار العديد من الدول العربية والإسلامية منها تركيا وسوريا ولبنان ومصر وتعرف إلى كثير من أعلام الفكر العربي الإسلامي منهم الشيخ محمد عبده والشيخ محمد كرد علي وغيرهما اهتم بالشعر العربي في العصر الأموي وفي العصر العباسي.

3- و. إيفانوفW. Ivanov ء (1886م-1970م)

اهتم بدراسة الإسماعيلية، ومن آثاره المخطوطات الإسلامية في المتحف الأسيوي، وثائق جديدة لدراسة الحجاج وعقيدة الفاطميين.

4- كريمسكيA.E. Krymsky ء (1871م-1941م)

درس في جامعة موسكو في الفترة من 1892م إلى 1896م اللغات السلافية والعربية والفارسية. عاش في سوريا في الفترة من 1896م إلى 1898م، عمل أستاذاً للعربية وآدابها في كلية لازاريف، وأستاذاً للعربية في قازنا من 1898م إلى 1918م. تولى منصب سكرتير مجمع العلوم الأكراني. وترأس قسم الدراسات العليا في خاكوف بعد الثورة البلشفية 1917م. من آثاره (العالم الإسلامي ومستقبله،1889م)، (تاريخ الإسلام في جزأين 1904م) و(الأدب العربي الحديث في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، موسكو 1906م)

5- شميتA.E. Schmidt ء (1871م-1941م)

تلقى تعليمه على يد المستشرقين روزين وجولدزيهر، تخصص في دراسة اللغة العربية والتاريخ الإسلامي، عمل أستاذاً في جامعة بطرسبرج مدة عشرين سنة، ثم انتقل إلى طشقند عام 1920م ليؤسس جامعة فيها وكان أول رئيس لها، من آثاره (تاريخ الإسلام) و(النبي محمد صلى الله عليه وسلم) و(محاولة التقريب بين السنة والشيعة, (فهرس المخطوطات العربية في طشقند).

- الحواشي :

[1] -انظر ترجمه له بقلم أنا دولينينا. " اغناطيوس كراتشوفسكي : من تاريخ الاستشراق في الاتحاد السوفيتي. "في الاستشراق. (سلسلة كتب الثقافة المقارنة) العدد 2 شباط 1987. ص56-59.

==========

مدارس الاستشراق > دول أوروبا الأخرى >

1- بول كراوسPaul Eliezer Kraus ء (1904م-1944م)

ولد سنة 1904م في براغ بتشيكوسلوفاكيا لأسرة يهودية، هاجر إلى فلسطين ليعيش في إحدى المستعمرات ودرس في مدرسة الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية في القدس، ثم انتقل إلى برلين ليحصل من هناك على درجة الدكتوراه، اهتم بالتراث العلمي الإسلامي وكانت له دراسات حول جابر بن حيّان والبيروني والرازي، أسهم مع ماسنيون في دراسة الحلاج، كما كان له دراسة مستقلة حول تاريخ الإلحاد في الإسلام ترجمت إلى العربية ونشرها الدكتور عبد الرحمن بدوي، مات منتحراً.

2- هنري لامانس Henry Lammens

ولد في مدينة خنت في بلجيكا في 1862/7/1م، تعلم في الكلية اليسوعية في بيروت وبدأ حياة الرهبنة فيها، يقول عنه عبد الرحمن بدوي، بلجيكي وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها، ويعد نموذجاً سيئاً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين، عمل معلماً في الكلية اليسوعية في بيروت حيث درّس التاريخ والجغرافيا، ثم أصبح أستاذاً للتاريخ الإسلامي في معهد الدروس الشرقية في الكلية نفسها.

تولى رئاسة تحرير مجلة الشرق، وتولى كذلك إدارة مجلة تصيرية أخرى هي البشير. له كتابات حول السيرة النبوية وحول الخلفاء الراشدين والدولة الأموية.[1]

3- بوهل F. Buhl ء (1850م-1932م)

ولد في كوبنهاجن بالدنمارك، درس اللاهوت وتعلم العربية، درس بجامعتي فينا وليبزيج 1876م-1978م، زار العديد من البلاد العربية والإسلامية منها مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وتركيا، نال الدكتوراه في النحو العربي وتاريخ اللغة، عمل أستاذاً "للعهد القديم" بجامعة كوبنهاجن، من آثاره كتابه عن الرسول r، وترجم معاني بعض أجزاء من القرآن الكريم إلى اللغة الدنماركية.

4- إجناز جولدزيهر Ignaz Goldziher ء (1850م-1921م)

ولد في 22يونيه 1850م لأسرة يهودية، درس في بوادبست ثم برلين ثم انتقل إلى جامعة ليبسك والتحق فيها بقسم الدراسات الشرقية، رحل إلى القاهرة وسوريا وحضر بعض الدروس في الأزهر، عمل في جامعة بودابست في مجال الدراسات العربية والإسلامية، أصبح أستاذاً للغات السامية عام 1894م. كتب كثيراً حول الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخاً، وكان له تأثير في الدراسات الاستشراقية حتى يومنا هذا حيث انتشرت كتبه في مختلف اللغات الأوروبية، وما تزال جامعة برنستون مثلاً تقرر كتابه دراسات إسلامية في مناهج قسم دراسات الشرق الأدنى حيث قامت الجامعة بنشر ترجمة جديدة لهذا الكتاب مع تعليقات المستشرق برنارد لويس.

وقد رد عليه كثير من المسلمين ومن أبرزهم الدكتور مصطفى السباعي في كتابه (السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي).

- الحواشي :

[1] -بدوي ، موسوعة المستشرقين ، مرجع سابق. وبالرغم من أن كثيراً من المستشرقين ينتقدون منهج لامانس لكنك تجدهم يرجعون إليه ويستندون إلى بعض آرائه ومن هؤلاء توماس آرنولد في كتابه (الخلا

=============

مدارس الاستشراق > في العالم الإسلامي >

حرص الأوروبيون والأمريكيون على إنشاء مراكز للدراسات العربية والإسلامية في العالم الإسلامي لتكون أقرب إلى هذه البلاد ويستخدمها الطلاب والباحثون الغربيون كمراكز للبحث والدراسة ولتعلم اللغات الإسلامية، ولنشر الثقافة الغربية، وقد بدأ الغرب في إنشاء هذه المراكز منذ القرن التاسع عشر حيث أنشأت البعثات التنصيرية الغربية الكليات والجامعات ومراكز البحوث وفيما يلي بعضها:

فرنسا

1- المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة (1880م)

2- معهد الدراسات العليا في تونس (1945م)

3- معهد الدراسات المغربية – الرباط (1931م)

4- المعهد الفرنسي في دمشق (1930م)

ويتبع السفارات الفرنسية في أنحاء العالم مراكز ثقافية تقدم دورات في اللغة الفرنسية والحضارة الفرنسية، كما تقدم معلومات عن فرنسا.

بريطانيا

1- مركز الدراسات العربية في الشرق الأوسط شملان بلبنان

2- كلية دلهي (1792م-187م)

2- كلية فورت-وليام ب كلكتا بالهند (1799م-1836م)

3- كلية الملكة فيكتوريا وهي مدرسة ثانوية بمصر ودرس بها كثير من أبناء الطبقة الثرية في أنحاء العالم العربي، والتعليم فيها باللغة الإنجليزية.

وللسفارة البريطانية في كل بلد مركز ثقافي يتبع المجلس الثقافي البريطاني ويقدم دورات في تعليم اللغة الإنجليزية، ولديهم مكتبة يقضي فيها الشباب أوقات فراغهم، ولا بد أنهم يحتكون ببعض الإنجليز العاملين في هذه المراكز.

معهد الدراسات المغربية في تطوان.

الولايات المتحدة الأمريكية

1- الجامعة الأمريكية – بيروت

2- الجامعة الأمريكية- القاهرة

3- الكلية الأمريكية ببيروت - وهي مدرسة ثانوية درس فيها بعض كبار المسؤولين في العالم العربي.

4- جامعة الشرق الأوسط باسطنبول بتركيا

5- مدرسة الدراسات الشرقية الأمريكية بالقدس

6- المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية ببغداد.

7-معهد الدراسات اليمنية في صنعاء باليمن .

ولأمريكا معاهد لتعليم اللغة العربية لموظفي سفاراتها في العالم العربي في كل من تونس وفاس بالمغرب، واليمن وكذلك لإجراء البحوث والدراسات على المجتمعات العربية الإسلامية

=============

مدارس الاستشراق > طبقات المستشرقين >

طبقات المستشرقين

جمع

عبد الغفار حميدة

1-غْريفّيني(1296 . 1343هـ = 1886 . 1925م)أوجانْيُو (كما سمّى نفسه بالعربية, والإيطاليون يلفظونها اِيّوجِينْيُو) غريفيني Eugenio Griffini مستشرق إيطالي. من أعضاء المجمع العلمي العربي. ولد بميلانو, وتعلم العربية في المعهد الشرقي بنابولي. ورحل إلى اليمن وتونس وطرابلس الغرب ومصر. وكان يتزيا في أسفاره بالزيّ العربي. وعينه الملك فؤاد الأول سنة 1922م أميناً لمكتبته الخاصة في القاهرة, فأقام إلى أن توفي بها. ونشر صديقه لوكا بلترامي (Luca Beltrami) رسالة في ترجمته بالإيطالية, ألحقت بها السيدة أنجيلا كودازّي (Angela Codazzi) وصفاً لمكتبته المحتوية على 1221 كتاباً معظمها عن الشرق العربي, و56 مخطوطاً عربياً, أوصى بها كلها للمكتبة الأمبروسيانية في ميلانو وطنه. له تآليف منها «التحفة اللوبية في اللغة العامية الطرابلسية . ط» معجم لمفردات من اللغة الإيطالية وما يقابلها من اللغة العامية في طرابلس الغرب. ونشر بالعربية

«ديوان الأخطل» عن نسخة قديمة ظفر بها في اليمن, ومجموعاً في «الفقه الزيدي» ينسب إلى الإمام زيد بن علي, و «قصيدة» يقال إنها لامرىء القيس.

2-مِتْفُخ(000 . 1362هـ = 000 . 1943م)أويجن متفخ Eugen Mittwoch مستشرق ألماني, من أعضاء المجمع العلمي العربي. عني بتاريخ العرب قبل الإسلام, ونشر كثيراً من الكتابات اليمنية. وأعاد طبع «تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء» لحمزة الأصفهاني. وأفرد لحمزة الأصفهاني هذا, كتاباً طبعه في برلين بالألمانية, جمع فيه ما وقف عليه من أخباره وما يتعلق بمؤلفاته.

3-هوداس(1256 . 1334هـ = 1840 . 1916م)اوكتاف هوداس (Octave Houdas) مستشرق فرنسي كان أستاذاً في مدرسة اللغات الشرقية بباريس. وعين مفتشاً لمدارس الجزائر. له كتب عربية منها «طرف مغربية . ط» و «مجموعة مكاتيب مخطوطة . ط» و «ترجمة 64 سورة من القرآن . ط» و «رسالة في تيسير طباعة النصوص العربية . ط» وأعان على تحقيق كتب, منها «تاريخ السودان» لسعدي, و «تاريخ الفتاش» و «الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين» و «سيرة السلطان منكبرتي» و «نزهة الحادي» لمحمد الصغير المراكشي.

4-لِيفي بْرُوفَنْسال(1311 . 1376هـ = 1894 . 1955م)إيفارسْت ليفي بروفسال Evariste Lévi-Provençal: مستعرب افرنسي الأصل. كثير الاشتغال بتصحيح المخطوطات العربية ونشرها. ولد وتعلم في الجزائر. وحضر حرب الدردنيل في الجيش الفرنسي, فجرح, ونقل إلى مصر, ثم أعيد إلى فرنسة. وعُين سنة 1920 مدرساً في معهد العلوم العليا المغربية في الرباط فمديراً له (سنة 1926 . 35) وانتدب في خلال ذلك (سنة 28) لتدريس تاريخ العرب والحضارة الإسلامية في كلية الآداب بالجزائر, كما انتدب لتدريس تاريخ العرب وكتاباتهم, بمعهد الدراسات الإسلامية في السوربون (بباريس) واستقال من إدارة معهد الرباط (سنة 35) ودعي لإلقاء محاضرات في جامعة القاهرة (سنة 38) وألحقه وزير التربية الفرنسية بديوانه في باريس (سنة 45) وعين في السنة ذاتها أستاذاً للغة العربية والحضارة الإسلامية في كلية الآداب بباريس, ووكيلاً لمعهد الدراسات الساميّة في جامعتها. وكان من أعضاء المجمعين: العلمي العربي بدمشق, و اللغوي بالقاهرة. ومات بباريس. تعاون

مع محمد بن أبي شنب, على تصنيف «المخطوطات العربية في خزانة الرباط . ط» ومما نشر «كتابات عربية في أسبانيا» و «نص جديد للتاريخ المريني» و «أسبانيا المسلمة في القرن العاشر» و «الحضارة العربية في أسبانيا» و «وثائق غير منشورة عن تاريخ الموحدين» و «منتخبات من مؤرخي العرب في مراكش» و «البيان المغرب» لابن عذاري, و «مقتطفات تاريخية عن برابرة القرون الوسطى» و «أعمال الأَعلام, القسم الثاني, في أخبار الجزيرة الأندلسية» لابن الخطيب و «مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك غرناطة» و «صفة جزيرة الأندلس» اختزله من الروض المعطار, و «سبع وثلاثون رسالة رسمية لديوان الموحدين» و «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم, و «نسب قريش» للزبيري. وكان يكتب اسمه بالعربية «إ. ليفي بروفنسال» وأحياناً «إ. لابي بروفنصال».

5–لِيتمان(1292 . 1377هـ = 1875 . 1958م)إيّنو ليتمان Enno Litmann: مستشرق ألماني, من أعضاء المجمع العلمي العربيبدمشق ومجمع اللغة بمصر, وعدة مجامع أوربية. ولد في «اولدنبجر»بألمانيا. وحصل سنة 1898 على «الدكتوراه» في الفلسفة من جامعة «هالة» وأقام سنة 1899 . 1900 وسنة 1904 . 1905 في سورية, مع بعض البعثات الأميركية. وأجاد معرفة العربية والحبشية والعبرية والسريانية والفارسية والتركية, وألم بلغات أخرى. ودرّس اللغات السامية (1901) في جامعة «برنستن» بأميركا. وعين أستاذاً للغات السامية في جامعة «ستراسبرج»بألمانيا 1906 . 1914 وتنقل في عدة جامعات منها الجامعة المصرية القديمة. واستقر في جامعة «توبنجن» Tu»Bingen حيث كانت مكتبته. وأحصي ما كتبه من دراسات مختلفة فأربى على السبعمائة, منها في لغات الحبشة وأدبها, وفي النقوش السامية, واللهجات العربية القديمة «الصفوية» و«الثمودية» وسواهما, وما بقي من كتاباتها. ونقل إلى الألمانية «ألف ليلة وليلة» وترجم لنحو عشرين من زملائه, منهم جويدي ونولدكه وهرغرونيه ونلينو. وألف بالعربية كتباً منها «قصص في اللغة العربية الدارجة . ط» و «قصص العرب في شرقي الأردن . ط» مع ترجمته إلى الألمانية, و «أسماء البدو والدروز في ديرة حوران . ط» و «لهجات عربية شمالية قبل الإسلام» نشره في مجلة مجمع اللغة.

6-كْرَاوس(1322 ـ 1363هـ = 1904 ـ 1944م)باوْل كراوس Paul Kraus: مستشرق ألماني, من أصل تشيكوسلوفاكي. تعلم في جامعة براغ, وتلقى العلوم الشرقية بجامعة برلين, وعين في معهد التاريخ للعلوم ببرلين, ثم مدرساً بجامعتها سنة 1933م وانتدب للتدريس في الصوربون(بباريس) ثم أستاذاً للغات السامية في جامعة فؤاد الأول (بمصر) سنة 1936 فأقام إلى أن مات منتحراً. له «رسالة في تاريخ الأفكار العلمية في الإسلام ـ ط» ثلاثة أجزاء, الأول منها نصوص عربية, و «رسالة في فهرست كتب محمد بن زكريا الرازي لأبي الريحان البيروني ـ ط» نص وتعليق[1] وساعد ماسينيون على نشر «أخبار الحلاج» وله في دائرة المعارف الإسلامية دراسات عن المستنصر والرازي وابن الراوندي وابن جبير, وفي مجلة الثقافة بمصر (سنة 1944) مقالات له عنوانها «من منبر الشرق» وغير ذلك.

7-دُوْرْن(1220 ـ 1298هـ = 1805 ـ 1881م)برنارد دورن Bernhardt Dorn: مستشرق روسي. ولد وتعلم في ألمانيا. واستقدمته الحكومة الروسية من ليبسيك للتدريس في معهد خركوف سنة 1829م, ثم في بطرسبرج (لينينغراد) وولي الإشراف على المكتبة الآسيوية والمتحف الإمبراطوري. وكان يحسن العربية وبعض اللغات الشرقية وألف بلغته كتباً كثيرة في تاريخ القفقاز والخز والكرج والأفغان, ووصف بعض الآثار الشرقية كالنقود العربية والمخطوطات. وله بالعربية «فهرست المخطوطات الشرقية المحفوظ بدار الكتب الملكية ببطرسبرج ـ ط» و «فهرست الكتب العربية والفارسية والتركية المطبوعة في الأَستانة وفي مصر وفي العجم الموجودة في دار الأَثار الأَسيوية ـ ط».

8-مُوريتس(1275 ـ 1358هـ = 1859 ـ 1939م)برنهارت موريتس: مستشرق ألماني. قام برحلات بين العراق والمغرب بحثاً عن المخطوطات والأَثار الجغرافية. وكان أميناً لمكتبة «المعهد الشرقي» في برلين, و أميناً لدار الكتب المصرية, في القاهرة. ونشر «مجموعة من الوثائق العربية عن عُمان وزنجبار» و «مجموعة الخطوط العربية من القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن العاشر» اشتملت على 188 خطاً, وهي الأَن من نوادر المطبوعات, و «جغرافية جزيرة العرب الطبيعية والتاريخية» وكتب أبحاثاً ودراسات في المجلات العربية والألمانية, آخر ما قرأنا

منها. بحث عن «المعادن في البلاد العربية القديمة» نقله عن الألمانية الدكتور أمين رويحة ونشر في مجلة العرب.

9−بْلاشّيْر(1318 . 1393هـ = 1900 . 1973م)بلاشير. ريجيس, ل. Blachère, R.L. من علماء المستشرقين ومن أعضاء المجمع العلمي العربيبدمشق و المجمع الفرنسي الأعلى (الأنستيتو)بباريس. فرنسي, ضليع من العربية. ولد في مونروج (من ضواحي باريس) وتلقى دروسه الثانوية في الدار البيضاء(بالمغرب) وتخرج بكلية الآداب في الجزائر (1922) وسُمي أستاذاً في معهد الدراسات المغربية العليا في الرباط (1924 . 35) وانتقل إلى باريس محاضراً في الصوربون (38) فمديراً لمدرسة الدراسات العليا العلمية (1942) وأشرف على مجلة «المعرفة» الباريسية, بالعربية والفرنسية, وألف بالفرنسية كتباً كثيرة تُرجم بعضها إلى العربية. وكان مخلصاً في حبه لها, ووفق إلى فرض تدريسها في بعض المعاهد الثانوية الفرنسية. وشارك في خدمة القضايا العربية المغربية والفلسطينية. من كتبه, وكلها مطبوعة «ترجمة القرآن الكريم» ثلاثة أجزاء, و «تاريخ الأدب العربي» نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم الكيلاني, و «قواعد العربية الفصحى» و «أبو الطيب المتنبي» ترجمه إلى العربية الدكتور أحمد أحمد بدوي, و «معجم عربي فرنسي انكليزي».

10−كَزَنُوفَا(000 . 1334هـ = 000 . 1926م)بُول كزنوفا Paul Casanova: مستشرق فرنسي, جزائري المولد. سافر إلى باريس سنة 1879 وتعلم بمدرسة اللغات الشرقية الحية. وعين أميناً لقسم النقود الشرقية ثم كان مدرساً للعربية وآدابها بجامعة فرنسة (سنة 1909) وأتى مصر ثلاث مرات: الأولى سنة 1889 وبها كتب بحثاً عن «قلعة القاهرة» والثانية سنة 1892 . 1909 بوظيفة مساعد لمدير المعهد الفرنسي للآثار الشرقية, والثالثة (سنة 25) منتدباً لتدريس الأدب العربي في الجامعة المصرية, حيث ألقى محاضرات بالعربية, عن العلاقة بين الأدبين العربي والغربي. وتوفي بالقاهرة. مما ترجمه إلى الفرنسية كلام ابن خلدون عن «البربر» و فصولاً من خطط المقريزي في «وصف مصر» وصنف كتاباً عن «محمد (ص) ونهاية العالم» بالفرنسية, وكتب أبحاثاً عن النقود الإسلامية وآلات الرصد عند العرب, ومكاييلهم

وموازينهم, بالفرنسية أيضاً.

11–ضُودْج(1305 . 1391هـ = 1888 . 1971م)بيار ضودج, الدكتور في الحقوق واللاهوت (Dr. Bayard Dodge) مستشرق أمريكي من أعضاء مجمع اللغة العربية المراسلين. مولده ووفاته في نيويورك تعلم في بلاده. وعين أستاذاً وعضواً في هيئة الجامعة الأميركية ببيروت (1923 . 1928) و أستاذاً في الجامعة الأميركية بالقاهرة (1956 . 1959) وشغل مناصب منها إدارة إغاثة الشرق الأدنى لسورية وفلسطين (1920 . 1921) و إدارة مؤتمر الثقافة الإسلامية بجامعة برنستون (1952 . 53) وترجم إلى الإنكليزية كتاب «الفهرست» لابن النديم. وألف بالإنكليزية «الأزهر . ط» و «التعليم الإسلامي . ط» وكتب مقالات, في «حياة ابن النديم» وكتابه «الفهرست», ترجمت إلى العربية.

12–كَازِيمِرْسْكي(1194 . 1282هـ = 1780 . 1865م)بيبرشتاين كازيمرسكي B.Kazimirski مستشرق بولوني. استوطن فرنسا, ونشر فيها معجمه الكبير «كتاب اللغتين العربية والفرنساوية . ط» في أربعة مجلدات, ويعرف بقاموس كازيمرسكي. وترجم إلى الفرنسية معاني القرآن الكريم.

13–دي يُونْغ(1248 . 1307هـ = 1832 . 1890م)بيتر دي يونغ Pieter de Yong: مستشرق هولندي. كان من معلمي كلية «أوترخت» وساعد دي خويه على وصف مخطوطات جامعة ليدن. ونشر بالعربية «المشتبه في أسماء الرجال» للذهبي, و «الأنساب المتفقة في الخط» لابن القيسراني, و «لطائف المعارف» للثعالبي. وله «فهرست الكتب الشرقية الموجودة في كلية أوترخت . ط» و «فهرست الكتب الشرقية الموجودة في أكاديمية ليدن . ط» الجزآن الثالث والرابع منه وعمل مع جوينبول في نشر كتاب «الخراج» ليحيى بن آدم.

14–فِتْ(1229 . 1317هـ = 1814 . 1899م)بيتربوهانس فت Pietr Johannes Veth مستشرق هولندي. يسميه الفرنسيون بيير جان فت (P. Jean) ولد في دوردريخت (Dordrecht) وتعلم العربية في ليدن. ودعي للتدريس في جامعةأمستردام. وانتخب «عضواً» في المجمع العلمي سنة 1864م. واشتهر بكتاباته

عن الهند والمستعمرات الهولندية. وترجم معاني القرآن إلى الهندية. ونشر بالعربية «لبّ اللباب» للسيوطي. وله تعليقات على كتاب دوزي في تاريخ العرب بإسبانية.

15–اَدَمْز(1300 . 1367هـ = 1883 . 1948م)تشارلز ادمز Charles Adams مستشرق أميركي, من مقاطعة بنسلفانيا. تعلم في كلية وست منستر. وقدم مصر فأقام فيها من سنة 1909 إلى 1915م. وعاد إلى أميركا فتعلم العربية في جامعتي هارفرد وشيكاغو. ثم عين مديراً للمدرسة اللاهوتية في العباسية (بالقاهرة) وفي سنة 1939 عين رئيساً لشعبة اللغات الشرقية بالجامعة الأميركية بالقاهرة. وتوفي بها. له كتاب بالإنكليزية ترجم إلى العربية باسم «التجديد في الإسلام . ط» تكلم فيه عن حركة الإصلاح الديني التي قامت في العهد الأخير, وأسهب في ذكر الشيخ محمد عبده وطائفة من رجال التجديد, وارتكز في بعض بحثه على كتاب «الإسلام وأصول الحكم . ط» لعلي عبد الرازق.

16–تْشِيلِسْتِينُو سْكْيَابارِلّي(1257 . 1338هـ = 1841 . 1919م)تشيلستينو سكيابارلي Celestino Schiaparelli: مستشرق إيطالي. تعلم العربية في تورينو, وتتلمذ بها للمستشرق أماري في فلورنسة, ودرّسها في جامعة رومة. مما نشره بالعربية «قواعد الشعر» لثعلب, و «رحلة ابن جبير» مع ترجمة إيطالية. وأضاف إلى ديوان «ابن حمديس» زيادات وجدها فيما اطلع عليه من كتب الأدب. واشترك في نشر القسم الخاص بإيطالية من «نزهة المشتاق» للإدريسي, مع ترجمة إيطالية وتعليقات. وهيأ للطبع «مرشد الطالب» لابن الهائم. وله تآليف بالإيطالية عن العرب وتاريخهم. مولده في بيامونتي, ووفاته في رومية.

17–اِرْبِيْنُيوس(992 . 1033هـ = 1584 . 1624م)توماس فان إربينيوس Thomas Van Erpenius أو Erpen: مستشرق هولندي, يعد مؤسس النهضة الاستشراقية ومنظمها في بلاده. ولد في جوركم (Gorkum)بهولندة وتعلم في ليدن, وساح في انكلترة وفرنسة وألمانية وإيطالية. ويقال إنه درس العربية على مصري يلقب بأبي ذقن. وأنشأ في بيته مطبعة عربية صارت أساس المطبعة العربية المعروفة اليوم في ليدن بمطبعة بريل (Brill) وعين أستاذاً للغات الشرقية في جامعة ليدن سنة 1613م, وتوفي بليدن. له كتاب في «قواعد اللغة العربية . ط» وعني بنشر

«منتخبات عن شعر الحماسة لأبي تمام . ط» ونشر «تاريخ المسلمين . ط» وهو قسم من تاريخ ابن العميد (الشيخ المكين جرجس ابن العميد) مع ترجمته إلى اللغة اللاتينية, و «أمثال لقمان . ط».

18–جْوِينْبُول(1216 . 1277هـ = 1802 . 1861م)تيودور . فيلم جان, جوينبول Theodore-Wilhelm Jean Juynboll: مستشرق هولندي. ولد في روتردام. وتعلم فيها, ثم في لاهاي, وفي جامعة ليدن. وعين مبشراً بروتستانتياً في إحدى ضواحي ليدن سنة 1826 وتضلع من العربية حتى صار أستاذاً في جامعة ليدن إلى سنة وفاته. نشر بالعربية «مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع» لعبد المؤمن بن عبد الحق. وبدأ بنشر «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي, فأصدر منه جزأين[1] ثم واصل نشره المستشرق الأميركي بوبر.

19–نُولْدِكِهْ(1251 . 1349هـ = 1836 . 1930م)تيودور نولدكه Theodor Noldeke: من أكابر المستشرقين الألمان. ولد في هاربورج(بألمانيا) وتعلم في جامعات غوتنجن وفينّة وليدن وبرلين. وانصرف إلى اللغات الساميّة والتاريخ الإسلامي فعُين أستاذاً لهما في جامعة غوتنجن (سنة 1861) فجامعة كيل (1864) ثم في جامعة ستراسبورج (1872) ومات في كارلسروه (Karlsruhe) له كتب بالألمانية عن العرب وتاريخهم, منها «تاريخ القرآن» و «حياة النبي محمد» و «دراسات لشعر العرب القدماء» و «النحو العربي» و «خمس معلقات» ترجمها إلى الألمانية وشرحها. ونشر في مجلات الغرب وموسوعاته بحوثاً كثيرة, منها رسالة في «أمراء غسان» ترجمها إلى العربية بندلي جوزي وقسطنطين زريق. وله بالعربية «منتخبات الأشعار العربية . ط» واشترك في الإشراف على طبع «تاريج الطبري» وترجمته إلى الألمانية. قال الأب أنستاس الكرملي: لم نجد بين حملة العلم . المعاصرين . من بلغ تحقيقه. كان يحسن اللغات الشرقية كلها كالعربية والأرمية والعبرية والصابئية والحبشية وغيرها, وله تصحيحات وتحقيقات في هذه الألسنة فضلاً عن معرفته بلغات الغرب كاليونانية واللاتينية والفرنسية والإنكليزية والإيطالية والإسبانية ولغته الألمانية.

20–هَمْبِرْت(1206 ـ 1267هـ = 1792 ـ 1851م)جان همبرت Jean Humbert: مستشرق سويسري. ولد في «جنيف», وقرأ العربية على دي ساسي, في باريس. وعاد إلى بلده, فدرّس اللغات الشرقية, ووضع كتباً بالعربية, منها «التقاط الأزهار في محاسن الأشعار ـ ط» ومعه ترجمة فرنسية وأخرى لاتينية, و «منتخبات عربية ـ ط» الجزء الأول منه.

21–شَرْبُونّو(1228 ـ 1299هـ = 1813 ـ 1882م)جاك أوغُست شربونو Jacques Auguste Cherbonneau: مستشرق فرنسي. أخذ العربية عن دي ساسي و كوسّان دي برسفال, وانتدبته حكومته لتنظيم مدارسها في الجزائر, فأقام في قسنطينة. ودعي في آخر حياته, إلى باريس, لتدريس العربية في مدرسة اللغات الشرقية. له «قصص منتخبة من كتبة العرب المسلمين ـ ط» للمدارس الابتدائية, و «المخاطبات فيما يحتاجه العرب من الولاة ـ ط» مجموع مخاطبات باصطلاح أهل الجزائر, و «معجم عربي فرنسي ـ ط» مجلدان. و نشر في المجلة الأسيوية مقالات متعددة في شعراء العرب وكتّابهم, ونقل إلى الفرنسية رحلات وقصصاً عربية.

23–أَدْلِرْ(1169 ـ 1250هـ = 1756 ـ 1834م)جاكُبْ جورج كريستيان أدلر J.G. Adler: مستشرق دانمركي, عني بالكتابات الكوفية, و أعد تاريخ أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر) للطبع مع ترجمة لاتينية, فنشره المستشرق ريسكه (Reiske) واشتهر أدلر بما كتبه بلغته عن النقود العربية وتاريخها. وله بحث في «تاريخ الدروز» وكانت إقامته على الأكثر في كوبنهاغن (عاصمة الدانمرك).

24–أَرْتُورْكي(1291 ـ 1347هـ = 1874 ـ 1928م)جان أرتوركي Jean Arthorki: مستشرق فرنسي, من أعضاء المجمع العلمي العربي. ولد في مدينة بيزانسون, وتعلم بمدرسة اللغات الشرقية وبالسوربون, وعين مترجماً لبعض القنصليات في دمشق وطرابلس الغرب, ثم قنصلاً في زنجبارفطرابلس الغربفأزمير. له مقالات عربية كان يذيلها باسم مستعار «الشيخ يحيى الدبقي» ونشر بالعربية كتاب «الأشربة» لابن قتيبة, وكتب بالفرنسية ذيلاً لكتاب دوزي في الإسلام, وتولى في دائرة المعارف تحرير القسم الجغرافي والتاريخي والأدبي في بلاد الشرق.

25–شُـولْتِنْز (1128 . 1192هـ = 1716 . 1778م)جـان جـاك شـولتنز J.J. Schultens: مستشرق هولندي, هو ابن ألبرتوس شولتنز المتقدم ذكره. عين أستاذاً للغات الشرقية فـي جامعـة أمستردام ثـم فـي جامعـة ليدن. ونشـر كتبـاً عربيـة, منهـا «نوابغ الكلم للزمخشري» وجعل له مقدمة وشرحاً.

26–بيرْسفال(1172 . 1251هـ = 1759 . 1835م)جان جاك كُوسّان دي بيرسفال Jean - Jacques - Antoine Coussin de Perceval: مستشرق فرنسـي. دَرَس العربيـة, ودرّسـها فـي «الكليـج دوفرانس» وتـولى أمانـة المخطوطـات الشرقية فـي دار الكتب الملكيـة بباريس. وانتخب «عضواً» في المجمع العلمي للكتابة والأدب. وألّف كتباً بالعربية والفرنسية. منها بالعربية «حكايات المسلمين . ط» و «مجموع مكاتيب وتمسكات وحجـج . ط» ويعنـي بالتمسكات الوثـائق. وعنـي بنشـر كتـب عربيـة, منهـا «شـرح معلقـة امـرىء القيس» للزوزنـي, و «الـزيج الكبيـر الحـاكمي» لابـن يـونس, و «الصـور السـماوية» للصـوفي. و تـرجم إلـى الفرنسـية «سـورة الفاتحـة» ومقتطفـات من نهاية الأرب للنويري, في تاريخ صقلية. وهو والد أرمان المتقدم ذكره.

27–مارْسِـيلْ(1190 . 1270هـ = 1776 . 1854م)جـان جُوزيـف (يوحنـا يوسـف) مارسـيل Jean-Joseph Marcel: مستشـرق فرنسـي. كـان يـدير معمـل بارودأيـام الثورة الفرنسية. أخذ العربية عن دي ساسي, ورحل في حملة نابوليون إلى مصر, مـع أستاذه لانجل (Langles) فعين مديراً لمطبعـة الجيش, ووضـع معجمـاً فرنسياً عربياً باللغـة العاميـة سـماه «كنـز المصـاحبة . ط» وطبـع كتابـاً لـه فـي التهجئـة (ألف بـاء) بالعربية والتركية والفارسية. وترجم خطاب نـابوليون فـي المصـريين إلـى العربيـة. وعـاد إلـى باريس سنة 1800 ومعه مطبعـة عربيـة[1] فطبـع فيهـا «فـتح مصـر» لنقولا الترك, وكتابـاً فـي «حـل الخطـوط العربيـة القديمـة» و «منتخبـات مـن الشـعر العربـي» و «تـاريخ الرحلـة الفرنسية إلـى مصـر» و «تـاريخ مصـر من الفتح العربي إلـى الحملـة الفرنسـية» ونشـر فـي المجلـة الأسـيوية بحوثـاً عـن ابـن ميمـون وابـن سـينا والقزوينـي وغيرهم. وترجم إلى الفرنسية كتاب الفلاحة لابن العوام. وعمي في أواخر أيامه.

28–جــانّ ديريُـو (000 . 1332هــ = 000 . 1914م)جــانّ ديريــو Jeanne Desrayaux: مستعربة.فرنسـية الأصـل, مـن الكاتبـات العربيـة. مـن أهـل الجزائـر.

كانت تُعرف في كتاباتها باسم «جمانة رياض» أو «فاطمة الزهراء». أحرزت الجائزة الأولى في آداب اللغة العربية عام 1911م بين طلبة مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس. قال صاحب تاريخ الصحافة العربية: هي منشئة باكورة المجلات العربية في عاصمة الجزائر, أصدرت مجلة «الإحياء» سنة 1907 ثم قال: ولدينا من آثارها رسائل شتى مكتوبة بخطها المغربي الجميل. توفيت بالجزائر.

29–سُوفاجِيه(1318 . 1369هـ = 1901 . 1950م)جان سوفاجيه Jean Sauvaget: مستشرق فرنسي بحاثة. ولد وتعلم في نيور (Niort) وأتقن العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس. وسافر إلى دمشق سنة 1924 فعمل في المعهد الفرنسي. وعاد إلى باريس سنة 1936 فعين مديراً لدراسات تاريخ الشرق الإسلامي في مدرسة «الدراسات العليا» و أستاذاً في مدرسة اللغات الشرقية, فأستاذاً للفن الإسلامي بمدرسة «اللوفر» سنة 1941 . 1944 ومحاضراً في اللغة العربية بجامعة باريس. وقام برحلات إلى تركيا وفلسطين والعراق وإيران. وكان مع إجادته العربية يحسن التركية والفارسية. وله تآليف وبحوث كثيرة بالفرنسية, منها «الآثار التاريخية في دمشق» و «كتابات تدمر» و «الآثار الإسلامية في حلب» و «العمارة الإسلامية في سورية» و «خيول بريد المماليك» و «الآثار الأموية في قصور الشام» ونشر تصحيحاً لنسخة «تاريخ بيروت» المطبوعة سنة 1937 بمقابلتها على نسخة مخطوطة في المكتبة الوطنية بباريس. وترجم إلى الفرنسية كتاب «الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب» المنسوب إلى ابن الشحنة, في جزأين, ونشر كتاباً عن «أخبار الصين والهند» بالعربية وترجمه إلى الفرنسية. وآخر ما قرأناه له بحث في «ضبط أسماء المماليك وألقابهم وتفسير معانيها» نشره في «الجورنال آزياتيك». وسافر من باريس إلى كامبو (Cambo) مستشفياً, فمات فيها.

30–فِيّران(000 . 1354هـ = 000 . 1935م)جبرييل فيّران Gabriel Ferrand: مستشرق فرنسي. أقام في صباه مدة في الجزائر, وصحب «رينيه باسيه» وتتلمذ له. وتنقل في الأعمال «القنصلية» بين مدغسكر وإيران وسيام وغيرها, وعني بدراسة الشرق الأقصى. وتعلم لغة «المالجاش» Malgache سكان مدغسكر. وبينما هو في هذه, كتب بالفرنسية «دراسات عن المخطوطات العربية المالجاشية» و

«المسلمون في مدغسكر» ثم استقر في باريس, وعمل في إدارة الجورنال آزياتيك. وأعاد طبع «مروج الذهب» للمسعودي, و «رحلة ابن بطوطة» وكان من أعضاء «أكاديمية»أمستردام وتوفي بباريس.

31–لُفَانْكْ(1285 . 1357هـ = 1868 . 1938م)جبريل لفانك Gabriel Levenq: مستشرق فرنسي, من الرهبان. ولد في مرسيلية, وانتقلت أسرته إلى ليون, فتعلم عند اليسوعيين وترهب, ورحل إلى غزير(بلبنان) سنة 1891 فتعلم العربية. وتنقل بعد ذلك في أوروبة وانكلترة, وأرسل إلى مصر مدرّساً للتاريخ والجغرافية في المدرسة اليسوعية سنة 1908 ثم أعيد إلى لبنان سنة 1913 فاشتغل بالتعليم. واستمر 17 سنة, يكتب في مجلة المشرق باب «المطبوعات الشرقية» في وصف كتب التاريخ والجغرافية الصادرة بالفرنسية والإنكليزية والألمانية والإيطالية والإسبانية. وتوفي ببيروت.

32–فْلوجل(1217 . 1287هـ = 1802 . 1870م)جستاف ليبرشت فلوجل Gustaf Leberecht Flugel: مستشرق ألماني. ولد في باوْتسن (Bawtzen) بألمانيا, وتعلم بليبسيك, وزار فينّة وباريس وبلاداً أخرى للدرس والتنقيب في مكتباتها. واستقر مدرّساً للغات الشرقية في معاهد بلاده, وتوفي في درسدن. له بالعربية «نجوم الفرقان في أطراف القرآن . ط» فهرس للألفاظ: و «وصف مخطوطات فنيّة العربية . ط» ثلاثة أجزاء. ونشر كتباً عربية منها «الفهرست» لابن النديم, و «تاج التراجم» لابن قطلوبغا, و «تعريفات الجرجاني» و «كشف الظنون» للحاج خليفة مع ترجمته إلى اللاتينية, في سبعة مجلدات, ومختصرات من كتاب «مؤنس الوحيد» للثعالبي مع ترجمته إلى الألمانية.

33–مسْبيرو(1262 . 1336هـ = 1846 . 1918م)جَسْتون مسبيرو Gaston Maspero: مستشرق فرنسي. ولد ومات في باريس. قضى نحو 40 سنة, في مصر, جاهداً في نشر آثارها ووصف آدابها القديمة, متولّياً لكثير من «حفرياتها» له «مذكرات عن بعض أوراق البردي في متحف اللوفر» وكتاب في «تاريخ الشعوب الشرقية القديمة» كلاهما مطبوع بالفرنسية.

34–فيْل(1223 . 1306هـ = 1808 . 1889م)جوتهولد فيل Goothold Wail: مستشرق ألماني. ولد في سالزبورج ومات في برسيجاو. أقام زمناً في باريس يأخذ العربية عن علماء المستشرقين, وانتقل إلى الجزائر ثم إلى مصر حيث اشتغل مدرّساً ومترجماً. ولما عاد إلى بلاده عمل في مكتبة «هايدلبرج» ثم عين أستاذاً للتاريخ الشرقي في جامعتها سنة 1837م. نشر بالعربية «الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين» للأنباري. وترجم إلى الألمانية عدة كتب, منها سيرة ابن هشام. وله بالألمانية كتب في تاريخ الشعوب الإسلامية وفي تاريخ الخلفاء.

35–بِرْجسْتر يسَر(1303 . 1352هـ = 1886 . 1933م)جوتهلف برك شتريزر Gothelf Bergstrasser مستشرق ألماني, كان أبوه وجدّه من قساوسة البرتستانت في مدينة بلون Plauen من أعمال زكسن Sachsen بألمانيا. وولد «جوتهلف» ونشأ بها. وتعلم في جامعة ليبزيج Leipzig وأخذ العربية عن آوغست فيشر. وقام برحلة إلى الشرق, فزار الأناضول وسورية وفلسطين ومصر. وألقى في أوائل الحرب العامة الأولى محاضرات في جامعة الآَستانة, ثم في جامعات ألمانيا, في العلوم الإسلامية واللغات السامية. و درّس في مدينة ميونيخ إلى أن توفي متردياً من قمة جبل من جبال «الألب» في أثناء رحلة رياضية. تنقسم مؤلفاته إلى أربعة أنواع: كتبه عن اللغة العربية وعلم اللغات السامية, وأبحاث في الأرامية ولهجاتها. ومطبوعاته ومصنفاته في الآداب العربية والعلوم الإسلامية, ومقالاته عن علوم اللغة التركية. ومما نشره بالعربية «غاية النهاية في طبقات القراء» للجزري, ومات قبل تمامه فأكمله المستشرق برتزل (Otto Peretzl) و «شواذ القرآت» لابن خالويه. وتصانيفه بالألمانية غزيرة الفائدة, منها كتاب في «جغرافية اللغة في سورية وفلسطين» وكتاب عن «المصاحف» أكمل به «تاريخ القرآن» لنولدكه, ورسالة عن «حنين بن إسحاق ومدرسته» وأخرى عن «القرآت الشاذة في كتاب المحتسب» لابن جني. وألقى محاضرات بالعربية في الجامعة المصرية (سنة 1930 و1932م) عن تطورالنحو في اللغة العربية ثم عن اللهجات العامية في الموصل. وتولى رئاسة تحرير المجلة الألمانية للعلوم السامية Philologie und Linguistik Beitragezursem.

36-جُـوذْ فـروا(1278 . 1376هـ = 1862 . 1957م)جـود فـروا ديمـومبين Gaudefroy- Demombynes مستشرق فرنسـي. كـان أستاذ العربية فـي مدرسـة اللغات الشرقية بباريس. وصنف كتباً عن العرب وبلادهم وأدبهم بالفرنسية. وترجم إليها «رحلـة ابـن جبيـر . ط» وألف, متعاونـاً مـع بلاشيـر «قواعد العربيـة الفصحى . ط».

37-الدكتور بُوسْت(1254 . 1327هـ = 1838 . 1909م)جورج إدورد ابن الدكتور ألفريد بوست George Post: طبيب وجراح من العلماء بالنبات. أميركي الأصل, مستعرب. ولد فـي نيويورك. وتعلم الطب فـي جامعتها, ودَرَس اللاهوت, ورحل إلـى سورية سنة 1280هـ, فسكن طرابلس الشام, طبيباً و«مبشراً» وتعلم العربيـة. ولمـا أنشئت المدرسة الأميركية ببيروت استمر فيها استاذاً للطب والجراحة والنبات إحدى وأربعـين سـنة. وتـوفي فـي بيـروت. مـن تصـانيفه العربيـة «نبـات سـورية وفلسـطين ومصـر . ط» و «مبـادىء علـم النبـات . ط» و «مبـادىء التشـريح والهيجـين والفيسيولوجيا . ط» و «علم الحيوان . ط» جزآن, و «المصباح في صناعة الجراح . ط» و «الأقرابـاذين . ط» فـي المـواد الطبيـة, و «فهـرس الكتـب المقـدس . ط» و «قاموس الكتاب المقدس . ط» و «مجلة الطبيب» أنشأها وحررها بضع سنين.

38-دِلْفَان(000 . 1340هـ = 000 . 1922م)جورج دلفان Georges Delphin مستشرق فرنسـي. كـان مـن رؤسـاء «كليـة الجزائـر» الفرنسـية, وتـولى تـدريس العربيـة فيهـا. وعنـي بدراسـة اللهجـات العاميـة فـي بـلاد الجزائـر. وألـف عـدة كتـب مدرسـية لتسهيل دراسـة العربيـة على مواطنيه. لـه بالفرنسية «تـاريخ الباشـاوات العثمـانيين فـي الجزائـر» مـن سـنة 921 إلـى 1158هـ, وبالعربيـة «المقامـات العلويـة فـي اللهجـة المراكشية . ط» و «جامع اللطائف وكنز الخرائف . ط» وتوفي في الجزائر.

39-سـارطون(1302 . 1375هـ = 1885 . 1956م)جورج سارطون Georges Sarton: مستشرق بلجيكي, من كبار العلماء. من أعضاء المجمع العلمي العربي. قالت مجلة المجمع في وصفه: «اخلص الحب للعرب ولغتهم, وجلا فضل علمائهم على العالم القديم, فـي تجرد وانصـاف» هاجر من بـلاده إلـى أميركا (سنة 1916م) فكـان مـدرس «تـاريخ العلـوم» فـي جامعـة هـارفرد (1917 . 49) وزار مصـر وبـلاد

الشام وإفريقية الشمالية سنة 31 ـ 32 وألقى محاضرات حول بيان «فضل العرب على التفكير الإنساني» وأنشأ مجلتين انكليزتين علميتين هما «ايزيس» و «اوزيريس» فأصدر منها 43 مجلداً, وتخلى عن الأشراف عليهما بعد ذلك لبعض العلماء. وكان من أعضاء عشرة مجامع علمية دولية, ومُنح ست شهادات «دكتوراه» فخرية وظل مدة طويلة رئيساً للاتحاد الدولي لتاريخ العلوم,بباريز. وكتب وألف كثيراً. أجلّ كتبه «المدخل إلى تاريخ العلوم»بالانكليزية, في خمسة مجلدات, خص تاريخ العلوم عند العرب بجزء وافر منه. وله «حضانة الشرق الأوسط للثقافة الغربية ـ ط» محاضرة ترجمها إلى العربية عمر فروخ, و «تاريخ العلم ـ ط» الأول والثاني, ترجمتهما إلى العربية لجنة نشر مؤسسة فرانكلن.

40–دِلاّفيدا(1303 ـ 1387هـ = 1886 ـ 1967م)جورجيو ليفي دلافيدا G. Levi, Della Vida من كبار المستشرقين الإيطاليين. مولده ووفاته برومة. كان أستاذ العربية واللغات السامية المقارنة, في جامعتها. اجتمعت به مرات أيام عمله في فَهرسة كتب الفاتيكان. وقد عهد إليه في أعوامه الأخيرة بالكتابة عن المخطوطات النصرانية. ولما بلغ السبعين من عمره احتفل به العلماء وصنفوا في تكريمه «كتاب الدراسات الشرقية ـ ط» بالإيطالية, في مجلدين كبيرين. له كتابات كثيرة في دائرة المعارف الإسلامية والمجلات العلمية. ومما حققه للنشر «طبقات الشعراء لابن سلام ـ ط» و «شعر يزيد الأول ـ ط» و «نسب فحول الخيل لابن الكلبي ـ ط» ومن تآليفه «فهرس المخطوطات العربية الإسلامية في مكتبة الفاتيكان ـ ط» الجزء الأول, بالإيطالية, ولم يكمله.

41–فالِين(1226 ـ 1268هـ = 1811 ـ 1852م)جوري آوغست فالين Georg August Wallin: مستشرق فنلندي. ولد في جزائر آلاند Aland (غربي فنلندة) وتعلم في جامعتها, ووضع كتاباً باللغة اللاتينية سماه «أهم الفروق بين لهجات العرب المتأخرين والمتقدمين» ورحل إلى العاصمة الروسيةبطرسبرج(لينغراد) فازداد في جامعتها علماً بالعربية على يد أستاذها الشيخ الطنطاوي. ورحل إلى مصر سنة 1843 فأقام بها ست سنوات, زار في خلالها العراق ونجداً وأصبهان وسورية, وتزيّا في رحلاته بالزيّ العربي وتسمى «عبد الولي» ثم سكن لندن سنة 1849 ـ 1850

واشترك في عمل خريطة لبلاد العرب. وعين سنة 1851 أستاذاً للعربية في جامعة هلسنكي Helsinki (فنلندة) وهو أول من جعل العربية فرعاً مستقلاً في هذه الجامعة. ولم يلبث أن توفي. وقد أقيم على ضريحه بهلسنكي حجر بسيط نقش عليه اسم «عبد الولي» بحروف عربية. وكانت صورته وهو في زيّ شيخ عربي ذي عمامة وقباء ونطاق, مما يزين الجامعة إلى عهد قريب, ولعله لا يزال إلى الآن. ونقل إلى بلاده كتباً عربية منها «شرح الشيخ عبد الغني النابلسي لحائية ابن الفارض»: أوميض برق بالأبيرق لاحا. وقد نسخ هذا الشرح بخطه, وطبعه على الحجر في هلسنكي, مع ترجمة لاتينية. وله «مذكرات . ط» بلغته, خمس مجلدات, في وصف ما رآه أيام إقامته في البلاد العربية.

42–غبريالي(1289 . 1361هـ = 1872 . 1942م)جوزبّي غبريالي Giuseppe Gabrieli: مستشرق إيطالي كان أمين مكتبة «مجمع لنشاي»بإيطاليا, وعمل في ترتيب مخطوطاتها العربية والإسلامية. وتعاون مع الأمير كايتاني في وضع «معجم الأعلام العربية الإسلامية . ط» جزآن منه, بالإيطالية. ووضع فهارس «الوافي بالوفيات» للصفدي, وكتب عن «الخنساء» وله موجز في الأدب العربي.

رِينُو (1210 . 1284هـ = 1795 . 1867م)جوزيف تُوسان رينو Joseph-Toussaint Reinaud: مستشرق فرنسي. ولد في لامبسك (Lambesc) وتوفي في باريس. أخذ العربية عن سلفستر دي ساسي ونشر كتباً كثيرة, منها بالعربية كتاب «تقويم البلدان» لأبي الفداء, اشترك في نشره مع دي سلان, و «مقامات الحريري» طبعة ثانية ساعده فيها جوزيف ديرنبور, الآتية ترجمته.

43–دِيرَنْبُور (000 . 1313هـ = 000 . 1895م)جوزيف ديرنبور Joseph Dérenbourg مستشرق فرنسي. قال صاحب الاستطلاعات الباريسية في كلامه على المكتبة العمومية بباريس سنة 1889م: «جوزاف درامبورغ, كان مصحح المطبعة, وهو الآن شيخ بصير من مشاهير أساتيذ العبراني والعربي». نشر بالعربية «أمثال لقمان الحكيم» و «التلخيص» في الأدوية المفردة, لمروان بن جناح القرطبي. ومات بباريس. وهو أبو «هرتفيك» الآتي ذكره.

44–مــارْدْرُوس(1285 ـ 1368هــ = 1868 ـ 1949م)جوزيـف شــارل مــاردروس Joseph Charles Mardrus طبيب فرنسي مستشرق. ولد بالقاهرة, وتعلم بها في مدارس «الجزويت» ورحل إلى باريس فدرس فيها الطب. وشغف بالأدب فجمع كثيراً من المخطوطـات الشـرقية. وتنقـل مـع بعـض البعثـات العلميـة فـي الشـرق الأوسـط ومراكش. و ترجم معاني «القرآن الكريم» إلى الفرنسية, وكتاب «ألف ليلة وليلة» في 16 جزءاً. ومات بباريس.

45–هــالِيفي(1243 ـ 1335هــ = 1827 ـ 1917م)جوزيـف هــاليفي Joseph Halévy: مستشرق فرنسـي. دخل بلاد اليمن بهيئة متسول من يهود القدس, فبلغ نجران, وطاف فـي أعالي الجوف حيث كان يقيم «المعِينيون» فـي غـابر العصـور, ووصل إلى حدود مأرب. وجمع في رحلته هذه 686 نقشاً من كتابات قديمة نشرت ترجمتها إلـى الفرنسية في الجريدة الأسيوية (Journal Asiatique) سنة 1874 وعلق عليها بشروح وافية.

46-فْرَيْتـاخ(1202 ـ 1278هــ = 1788 ـ 1861م)جيـؤرج فِيلهلم فريتـاخ Georg Wilhelm Freytag: مستشرق ألماني. ولد في لونبرغ Luneberg وتتلمذ باللغات الشرقية للمستشرق دي ساسيبباريس. فتعلم العربية والتركية والفارسية. وعُين أستاذاً للغـات الشـرقية فـي بـون Bonn لـه «قـاموس عربـي لاتينـي ـ ط» أربعـة أجـزاء, و «منتخبات عربية في النحو والتاريخ ـ ط» ونشر قطعة من «زبدة الحلب» في تاريخ حلب, لابن العديم, و «ديوان الحماسة» لأبي تمام, و «فاكهة الخلفاء» لابن عربشاه, و «معجم البلدان» لياقوت, ساعده على نشر والتعليق عليه المستشرق مستنلفد.

47–كَمْبْفْمَيَـر(000 ـ 1356هــ = 000 ـ 1937م)جيـؤرج كمبفميـر Georg Kampfmeyer مستشرق ألمـاني. كـان أستاذاً للغـة العربيـة بمعهد اللغـات الشرقية ببرلين. وانتخب رئيساً لجمعية الدراسات الإسلامية الألمانية. لـه كتابات على بعض المؤلفـات الحديثـة فـي الأدب العربـي, نشـرها بـاللغتين العربيـة والألمانيـة. ومـن كتبـه العربية «معرض الأفكار الشرقية ـ ط» رسالة, و «شعراء العرب في العصر الحاضر ـ ط» كراسـتان فـي تـراجم بعض الشـعراء المعاصـرين ومختـارات مـن أشـعارهم. تـوفي ببرلين عن نحو 80 عاماً.

48–ياكُبْ(1278 . 1356هـ = 1862 . 1937م)جيؤرج ياكب (جورج يعقوب) Georg Jakob: مستشرق ألماني. ولد في «كونيجزبرج» وعني بالدراسات الشرقية واللاهوتية, ثم تفرغ للأولى. وأخذ عن فليشر و نولدكه وغيرهما. وتخرج بجامعة ليبسيك. وألف بالألمانية كتباً عن «حياة البدو في العصر الجاهلي» و «جغرافيي العرب» و «شعراء العرب» و «خيال الظل وتاريخه» و «أثر الشرق في الغرب» تُرجم إلى العربية ونشر بها واتجه إلى الدراسات التركية, فنشر طائفة من كتبها. وهو أستاذ المستشرق المعاصر «أنو ليتمان».

49–دا كْريمُونا(508 . 583هـ = 1114 . 1187م)جيراردو دا كريمونا Gerardo da Cremona مستشرق, من علماء الإيطاليين. مولده ووفاته في «كريمونا» من مدن إيطاليا الشمالية. أقام زمناً في طليطلة(بالأندلس) فترجم عن العربية إلى اللاتينية أكثر من سبعين كتاباً من كتب الهيئة وأحكام النجوم والهندسة والطب والطبيعة والكيمياء والفلسفة, طبع بعضها.

50–بْريسْتِد(1282 . 1354هـ = 1865 . 1935م)جيمس هنري بريستد James Henry Breasted مستشرق أميركي. من المؤرخين المعنيين بدراسة الآَثار المصرية القديمة. ولد في روكفورد (Rockford) وتعلم في جامعة شيكاغو ثم في ييل وبرلين. وزار مصر والنوبة وبلاداً أخرى من الشرق الأوسط. وتولى إدارة المعهد الشرقي بشيكاغو. وكان أستاذاً لتاريخ الشرق والآثار المصرية فيه. ونشر مقالات كثيرة وكتباً بالإنكليزية, منها «السجلات المصرية القديمة» في خمسة أجزاء (سنة 1906) و «تاريخ مصر» سنة 1905, ومات في شيكاغو.

51–خُلْيَان رِبِيرَة(1274 . 1354هـ = 1858 . 1935م)خليان ربيرة طرّغوه Julian Riberay Tarago مستشرق إسبانيّ. ولد في إحدى قرى بلنسية (Valence) واشترك مع فرنسيسكو كوديرا سنة 1882 في نشر المكتبة الأندلسية العربية (وهي عشرة مجلدات سنذكرها في ترجمة كوديرا) و عين أستاذاً للعربية في جامعةسرقسطة سنة 1887 فنشر «مجموعة دراسات عربية» باللغة الإسبانية. وحلّ محلّ «كوديرا» سنة 1905 . 1927 في جامعة «مجريط» أستاذاً للعربية. ونشر كتاب «القضاة بقرطبة» للخشني, مع ترجمته إلى الإسبانية, وكتب عليه بالعربية: «وقف على طبعه

خليان ربيرة طرغوه البلنسي» سنة 1914 وعاد إلى بلنسية سنة 1927 فعكف على متابعة دراساته إلى أن توفي. وكان من أعضاء المجمع العلميّ الإسباني, ومن العلماء الاجتماعيين المؤرخين.

52–مُولّر (1265 . 1330هـ = 1849 . 1912م)دافيد هاينرش مولر D.H. Muller: مستشرق نمسويّ. تعلم العربية في فيّنة, وعلّمها في جامعتها. وتولى رئاسة المجلة النمسوية الشرقية. ثم قام على رأس بعثة إلى اليمن. وعني بالنقوش الأثرية. ونشر بالعربية كتباً, منها «صفة جزيرة العرب» ومقتطفات من «الإكليل» كلاهما للهمداني, و «الفَرْق» للأصمعي.

53–ماكْدَانُلْد(000 . 1362هـ = 000 . 1943م)دانكِن بلاك ماكدانلد Duncan Black Macdonald: مستشرق أميركي. من أعضاء المجمع العلميّ العربيّ. كان من أوسع المستشرقين اطلاعاً على الدين الإسلامي, وألف فيه عدة كتب. تعلم العربية والعبرية والسريانية. وله محاضرات ومقالات كثيرة, بالإنجليزية, عن الثقافة الإسلامية في أكثر نواحيها. ونشر بالإنجليزية «فهرس المخطوات العربية والتركية في مكتبة نيوبري بشيكاغو» وعني بكتاب «ألف ليلة وليلة» فجمع منه نسخاً لا توجد عند غيره.

54–روحي الخالدي(1281 . 1331هـ = 1864 . 1913م)روحي بن محمد ياسين بن محمد علي الخالدي: باحث, من رجال السياسة. ولد في القدس وتعلم في مدارس فلسطين ثم في الآَستانة, ورحل إلى باريس فدخل مدرسة العلوم السياسية فأتم دروسها, ثم درس فلسفة العلوم الإسلامية والشرقية في جامعة السوربون. وألقى محاضرات عربية, واتصل بعلماء المشرقيات وأقيم مدرساً في جمعية نشر اللغات الأجنبية بباريس, وكان من أعضاء مؤتمر المستشرقين المنعقد بباريس سنة 1897م, وعاد إلى الآَستانة, فعين «قنصلاً عاماً» في مدينة بوردو (بفرنسة) ولما أعلن الدستور العثماني انتخبه أهل القدس نائباً عنهم في مجلس المبعوثين. وتوفي في القدس. من تصانيفه «العالم الإسلامي» نشر منه قسماً كبيراً في جريدة المؤيد المصرية, و «علم الأدب عند الإفرنج والعرب . ط» و «أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة . ط» نشر تباعاً في مجلة الهلال (ج 17) و «رحلة إلى الأندلس . ط»

و «المسألة الشرقية ـ ط» و «علم الألسنة ـ خ» في مقابلة اللغات و «تاريخ الصهيونية ـ خ» كلاهما في المكتبة الخالدية بالقدس, ورسالة في «ترجمة برتلو» العالم الكيماوي, و «الكيمياء عند العرب ـ ط».

55–بْرُونُو (1275 ـ 1335هـ = 1858 ـ 1917م) رودلف برون Rudolf E. Brunnow: مستشرق أميركي, من أصل ألماني. ولد في «أن أربر» Ann Arbor بأميركا, وتعلم العربية في ألمانيا. وعين سنة 1910 أستاذاً للغات السامية في جامعة «برنستن» الأميركية. وقام مع بعض مدرّسيها بحفريات في حوران (بسورية) ووصفوا ما كشفوه في مجلدين ضخمين. واشتهر برونو بالدراسات الأشورية. ونشر بالعربية المجلد 21 من «الأغاني» جمعه من مخطوطة مكتبة مونيخ, و «الإتباع والمزاوجة» لابن فارس, و «الموشى» للوشاء. وله «منتخب من نثر العرب ـ ط».

56–دُوزِي (1235 ـ 1300هـ = 1820 ـ 1883م) رينهارت بيتر آن دُوزي Reinhart Pieter Anne, Dozy: مستشرق هولندي, من أصل فرنسي بروتستانتي المذهب. هاجر أسلافه من فرنسة إلى هولندة في منتصف القرن السابع عشر. مولده ووفاته في ليدن. درّس في جامعتها نحو ثلاثين عاماً. وكان من أعضاء عدة مجامع علميّة. قرأ الآداب الهولندية والفرنسية والإنكليزية والألمانية والإيتالية, وتعلم البرتغالية ثم الإسبانية فالعربية. وانصرفت عنايته إلى الأخيرة, فاطلع على كثير من كتبها في الأدب والتاريخ. أشهر آثاره «معجم دوزي ـ ط» في مجلدين كبيرين بالعربية والفرنسية, اسمه Supplément aux Dictionnaires Arabes (ملحق بالمعاجم العربية) ذكر فيه ما لم يجد له ذكراً فيها. وله «كلام كتّاب العرب في دولة العبّاديين ـ ط» ثلاثة أجزاء, وبالألمانية «تاريخ المسلمين في إسبانية» ترجم كامل الكيلاني فصولاً منه إلى العربية في كتاب «ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام ـ ط» وله «الألفاظ الإسبانية والبرتغالية المنحدرة من أصول عربية» بالألمانية. ومما نشر بالعربية «تقويم سنة 961 ميلادية لقرطبة» المنسوب إلى عريب ابن سعد القرطبي وربيع بن زيد, ومعه ترجمة لاتينية, و «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» لابن عذاري, وقسم من «نزهة المشتاق» للإدريسي, و «منتخبات من كتاب الحلّة السيراء» لابن الأبار, و «شرح قصيدة ابن عبدون» لابن بدرون.

57–باسّيه(1271 . 1342هـ = 1855 . 1924م)رينيه باسيه René Basset: مستشرق فرنسي. من أعضاء المجمع العلمي العربي. ولد في لونيفيل (Luneville) وتعلم في نانسي ثم في مدرسة اللغات الشرقية بباريس. وعين مدرساً للعربية في مدرسة الجزائر العليا سنة 1882م, ثم تولى إدارتها. واختير «عضواً» في كثير من المجامع العلمية. وترأس مؤتمر المستشرقين بالجزائر سنة 1910م. ونشر بالعربية «تحفة الزمان» لعرب فقيه, في فتوح الحبشة, مع ترجمة فرنسية, و «الخزرجية» في العروض, و «تاريخ بلاد ندرومة وترارة بعد خروج الموحدين منها» وله بالفرنسية مقالات في المجلات الشرقية في فرنسة والجزائر وتونس, وفصول في دائرة المعارف الإسلامية, وتصانيف. توفي بالجزائر.

58–مُنْك(1218 . 1283هـ = 1803 . 1867م)سالُومُون (سليمان)منك Salomon Munk: مستشرق ألمانيّ المولد, يهوديّ الدين, فرنسيّ الشهرة والإقامة والوفاة. تتلمذ في ألمانية لفريتخ وآخرين, وفي فرنسة للمستشرقين دي ساسي وكاترمير. وكان يحسن مع الألمانيّة الفرنسية والعربية والسنسكريتية والعبرية والفارسية. و عُين في المكتبة الأمبراطورية بباريس (سنة 1840) وزار مصر, فجمع مخطوطات كثيرة. وعمي قبل موته بنحو عشرين سنة. نشر بالعربية (بحروف عبرية) كتاب «دلالة الحائرين» لموسى بن ميمون, مع ترجمته إلى الفرنسية. وكتب الفرنسية فصولاً عن الفارابي والغزالي وابن رشد وابن سينا والكندي. وشرح كتابات فينيقية وجُدت في سواحل بلاد الشام.

59–رُونْزفالّ(1282 . 1356هـ = 1865 . 1937م)سباستيان رونزفال اليسوعيّ Sébastien Ronzevalle: مستشرق من الرهبان. بلغاريّ. فرنسي الثقافة والرهبانية. ولد في فيليبوبوليس (Philippopolis ببلغارية, وكان أبوه «فرديناند» ترجماناً لقنصل فرنسة فيها. ونقل أبوه إلى بيروت سنة 1885 فتعلم سباستيان العربية ونشر مقالات في مجلة المشرق. ونفي في الحرب العامة الأولى, فتوجه إلى رومة. وعاد إلى مصر[1] ثم إلى بيروت بعد الحرب. وتوفي فيها. كان له اشتغال بالآثار, وقام بحفريات تمهيدية أدت إلى اكتشاف تمثال «جوبيتر» البعلبكي. وله رسائل عن الشرق, منها بالعرقية «نبذة من أخبار الزباء ملكة تدمر . ط».

60–جُوِيّار (1262 . 1301هـ = 1846 . 1884م)ستانِسْلاس جويار Stanislas Guvard: مستشرق فرنسي. تعلم العربية والفارسية, وعني بالسنسكريتية والأشورية. له بالفرنسية «محاضرات عن الحضارة الإسلامية . ط» ونشر بالعربية «فتوى ابن تيمية في النصيرية» مع ترجمتها إلى الفرنسية. ومات منتحراً.

61–دِفْرِيمـرِي(1238 . 1300هـ = 1822 . 1883م)شـارل فرانسـوا دفريمـري Charles François Defrémery مستشـرق فرنسـي. ولـد فـي كـامبري (Cambrai) وتتلمذ بالعربية لكوسان دي برسفال, وخلفه بالتدريس في «كوليج دي فرانس» سنة 1868م, ثم اعتزل العمل لضعف صحته. وهو أول من نشر «رحلة ابن بطوطة» سنة 1853 . 1859 مع ترجمتها إلى الفرنسية, وساعده فيها المستشرق الإيطالي سنجينتي (B.R. Sanguinette) وله بالفرنسية «تاريخ الشرق» جزآن, و «تاريخ الدول الإسلامية في خوارزم وتركستان» و «الإسماعيليون في سورية» وكتب أخرى.

62–دي لاغْرانْج

(1204 . 1275 هـ = 1790 . 1859 م) غرانجريه دي لا غرانج Grangeret de la Grange: مستشرق فرنسي, من تلاميذ سلفستر دي ساسي, أقامته حكومته مصححاً للمطبوعات الشرقية في مطبعتها العمومية, فأميناً للمكتبة الوطنية وتولى رئاسة تحرير المجلة الآَسيوية 34 سنة. له كتاب في « تاريخ العرب الأندلسي . ط» بالإفرنسية وكتاب « نخب الأزهار في منتخب الأشعار وأزكى الرياحين من أسنى الدواوين . ط» بالعربية ومعه ترجمة إلى الفرنسية.

63–دُوكَا(1240 . 1311 هـ = 1824 . 1894 م) غستاف دوكا Gustave Dugat: مستشرق فرنسي. كان من مدرسي اللغات الشرقية في باريس. له جزآن صغيران, بالفرنسية, في تراجم بعض المستشرقين. وله, بالفرنسية أيضاً, مقالات عن جغرافية البلاد الإسلامية, وكتاب في « تاريخ فلاسفة المسلمين وفقهائهم» وترجم عن العربية « تنبيه الغافل» للأمير عبد القادر الجزائري.

64–دَمْباي(1169 . 1225 هـ = 1756 . 1810 م) فرانتزفون دومباي Franz von Dombay مستشرق نمسوي. مولده ووفاته في فينة. تعلم في الأكاديمية الشرقية.

وقام بمهمات لحكومته, منها تمثيل مملكة النمسا لدى سلطان المغرب الأقصى سنة 1782 م, ثم كان ترجماناً للقيصر, إلى أن توفي. صنف بالألمانية « فلسفة العرب والفرس والترك . ط» و« اللهجة العربية المغربية . ط» و« تاريخ الأشراف أو سلاطين المغرب . ط» ونشر بالعربية «اص الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» لابن أبي زرع.

65–بُوهْل(1266 . 1351 هـ = 1850 . 1932 م) فرانتس بوهل (بول) Frantz Buhl: مستشرق دانمركي. من أعضاء المجمع العلمي العربي. ولد وتوفي في كوبنهاغن. كان أستاذ اللغات الساميّة في جامعتها. كتب في دائرة المعارف الإسلامية فصولاً في تراجم بعض أعلام المسلمين. وله كتاب في « جغرافية فلسطين القديمة» باللغتين الدانمركية والألمانية, وكتاب « حياة محمد» كتبه باللغة الدانمركية, وتُرجم إلى الألمانية. وكان غزير العلم بأدب الجاهلية العربية وتاريخها.

66–فَبْكِه(1241 . 1280 هـ = 1826 . 1864 م) فرانْتْس فبكه Frantz Woepcke: مستشرق ألماني, عني بدرس الكتب الرياضية العربية. ولد في « ديساو» وتعلم في برلين. وسكن باريس. وقرأ العربية على فريتاخ, في «بون» ونشر في المجلات العلمية الفرنسية والألمانية والإيطالية أكثر من خمسين مقالة, في الفنون الرياضية عند العرب. ونشر بالعربية « براهين الجبر والمقابلة» لابن الخيام و« الفخري في الجبر والمقابلة» للكرخي.

67–بُورْغاد(1221 . 1283 هـ = 1806 . 1866 م) فرانسوا بورغاد Françios Bourgade: مستشرق فرنسي. من المبشرين اليسوعيين. انتقل من باريس إلى الجزائر سنة 1838 م, ثم إلى تونس سنة 1840 م, وأنشأ بها مطبعة. له بالعربية والفرنسية « مسامرة قرطاجنة . ط» وهي مناظرة جعلها بين قاض ومفت وراهب. ونشر بالعربية نبذاً من « قلائد العقيان» للفتح بن خاقان, وجزءاً من قصة عنترة.

68–شتَيْنْجَاس(1240 . 1321 هـ = 1825 . 1903 م) فرنسس جوزف شتينجاس Francis Joseph Steingass: مستشرق ألماني الأصل. ولد في فرانكفورت, وتخرج « دكتوراً» في الفلسفة بجامعة ميونيخ. وانتقل إلى إنجلترة حوالي سنة 1870 م, فكان أستاذ اللغات الحية في بيرمنجهام, وألقى محاضرات عن اللغة العربية

والآداب والحقوق, في المعهد الشرقي. ونقل إلى الإنجليزية جزءاً من « مقامات الحريري» وكتب عن تاريخ الخطوط والكتابات السامية. ونشر كتباً, منها « قاموس عربي إنكليزي . ط» وكان يحسن 14 لغة, منها العربية والفارسية والسنسكريتية.

69–كُودِيرا(1252 . 1336 = 1836 . 1917 م)

فرنسسكو كوديرا زيدين Fraciscus Codera Zaydin: مستشرق إسباني, من كبارهم. من عائلة يقال إنها عربية الأصل. سمىَ نفسه بالعربية « الشيخ فرنسشكه قدارة زيدين» وسماه الأمير شكيب « قُديرة» وقال: إليه يرجع الفضل في تجديد العناية بالعربية في إسبانية. ولد في قرية فونز (Fonz) بأرجون (Aragon) وكان أستاذاً ما للعربية في جامعة مدريد, ومن أعضاء المجمع الملكي الإسباني للتاريخ, والجمعية الآسيوية (الفرنسية). ورحل إلىَ تونس و مراكش و الجزائر, باحثاً عن المخطوطات العربية, فاقتنىَ عدداً كبيراً منها ما زال محفوظاً في خزانة المجمع بمدريد. وجمع كثيراً من النقود العربية الإسبانية القديمة, ووصفها في كتاب كبير, بلغته. وأجل أعماله تعاونه مع تلميذه وزميله خليان ربيرة (السابقة ترجمته) علىَ نشر مجموعة « المكتبة العربية الإسبانية» وتعرف بالمكتبة الأندلسية, وهي «الصلة» لابن بشكوال, و «التكملة» لابن الأبار, و «المعجم» في أصحاب الصدفي, لابن الأبار, و «بغية الملتمس» لابن عميرة, و «علماء الأندلس» لابن الفرضي, و «فهرست» ما رواه ابن خليفة عن شيوخه. وأضاف إليها «فهارس للأعلام الواردة فيها جميعاً في جزء مستقل.

70–كْرِنْكُو(1289 . 1372 هـ = 1872 . 1953 م) فريتس كرنكو Freitz Krenkow: مستشرق ألماني, من أعضاء المجمع العلمي العربي. كان يسمي نفسه بالعربية «سالم كرنكو» وجاء في مقدمة «الدرر الكامنة» المطبوع في حيدر أباد الدكن: «قال الدكتور الفاضل سالم الكرنكوي الألماني مصحح الكتاب الخ» ومعنى «فريتس» بالألمانية «سالم». ولد في قرية شونبرج Schoenberg بشمالي ألمانيا, وتعلم الإنجليزية والفرنسية واللاتينية واليونانية ثم الفارسية والعربية والتركية والعبرية والآرامية. وتعرّف بفتاة إنجليزية في برلين, فانتقل إلى لندن من أجلها, وتزوج بها. واتفق مع «دائرة المعارف» في حيد آباد الدكن (بالهند) على أن يتولى تحقيق بعض

المخطوطات العربية ويعلق عليها بما يبدو له. فكان مما تهيأ له تحقيقه قبل الطبع, أو الوقوف على طبعه: « حماسة بن الشجري» و« ديوان طفيل الغنوي» و« ديوان عمرو بن كلثوم» و« ديوان الطرماح بن حكيم» و« الجمهرة» في اللغة, لابن دريد, و« تنقيح المناظر» للشيرازي, و« الجماهر» للبيروني, و« التيجان» في تواريخ ملوك حمير, و« الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلاني, و« المنتظم» لابن الجوزي, و« المؤتلف والمختلف» للآَمدي, و« المجتني» لابن دريد, و« معاني الشعر الكبير» لابن قتيبة, و« أخبار النحويين البصريين» للسيرافي, و« الأفعال» لابن القطاع, و« تفسير ثلاثين سورة» لابن خالويه, و« الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم. وانتدبته جامعة «عليكر» بالهند لتدريس العربية فيها, فأمضى نحو سنتين. وعاد إلى لندن, فاستقر في «كمبردج» إلى أن توفي. قال كرد علي (في مجلة المجمع): «أحبّ الأستاذ كرنكو العرب والإسلام محبة لا ترجى إلا من العريق فيهما, يتعصب للعرب على سائر أمم الإسلام, من الفرس والترك والهند, ويعتقد . كما كتب لي في 23 آذار, مارس, سنة 1935 . أن زوال الدولة العربية, أي خلافة بني أمية, وانتقال مركز الإسلام من دمشق إلى العراق, وظهور الفرس على العرب, كان أول سبب للحيلولة دون انتشار الإسلام في الأمم النازلة في الشمال الغربي, أوروبا». وقال كاظم الدجيلي . وكان صديقاً حميماً له . يؤبنه: «كان كرينكو غزير العلم, واسع الإطلاع, صادق القول, أبيّ النفس, بهيّ الطلعة, محباً للشرقيين عامة والمسلمين خاصة, ولا أدري ما تمّ في أمر خزانته التي تحوي آلاف الكتب الثمينة النادرة من مخطوطات ومطبوعات إذ في ضياعها وتفرقها خسارة للآَداب العربية والإسلامية».

71–دِيتْرِيشــي(1236 . 1321 هــ = 1821 . 1903 م) فريــدريش ديتريشــي Friedrich Dietrici: مستشرق ألماني, مولده ووفاته ببرلين. زار مصر وبعض البلاد الشرقية الأخرى وعاد إلى وطنه فعين أستاذاً للعربية في برلين. ونشره « ألفية ابن مالك» و« شَرْح ديوان المتنبي» للواحدي, ووضع له فهارس. و« الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية» و« خلاصة الوفا باختصار رسائل إخوان الصفا» و« نخبة من يتيمة الدهر» للثعالبي. وترجم عن العربية مقولات أرسطو.

72–شُولْتِس(000 . 1340 هـ = 000 . 1922 م) فريدريش شولتش Friedrich Schultes: مستشرق سويسري. كان أستاذاً في جامعة بال بسويسرة . ومما نشره « ديوان أمية بن أبي الصلت» جمعه من المقاطيع المبثوثة في كتب الأدب.

73–مَكْس مُولَر(1239 . 1318 هـ = 1823 . 1900 م) فريدريش مَكْس (أو مكسيمليان) مولر Friedrich Max Muller: مستشرق ألماني, قضى زمناً في إنجلترة وتجنس بالجنسية الإنجليزية. ولد في ديساو (Dessau) بألمانيا, وتعلم بها ثم في ليبسيك وبرلين وباريس. وأحسن العربية والسنسكريتية والعبرية. وهو ابن الشاعر الألماني فيلهلم مولر (1794 . 1827 م) وانصرف اهتمامه إلى دراسة علم اللغات والمقارنة بين الأديان. وأكثر اشتغاله بالدراسات الهندية. وله بحث في « أصل اللغة العربية وكيف تفرعت عنها لغتا إفريقية والحبشة» وآخر في « أصل الحاء والغين في العربية» وأول ما اشتهر به ترجمة كتاب « الهيتوباديسا» من كتب الهند, سنة 1843 م, وانتقل إلى انجلترة سنة 1846 م, فأرسلته شركة الهند الشرقية إلى الهند في مهمة علمية. وعاد فسكن أكسفورد سنة 1848 م, وعين أستاذاً للغات الأوروبية في جامعتها سنة 1850 م, وألف « التاريخ القديم للأدب السنسكريتي» بالإنجليزية سنة 1859 م, وعين أستاذاً لعلم المقارنة بين اللغات سنة 1868 م, وابتدأ سنة 1875 م, بنشر « كتب الشرق المقدسة» مستعيناً ببعض كبار العلماء, كل في موضوعه, فأصدر 51 جزءاً. وألقى محاضرات في أصول الأديان وتكوينها سنة 1878 م, وألّف سنة 1883 م, كتاب « ماذا تستطيع أن تعلمنا الهند» بالإنجليزية. وتولى رياسة مؤتمر المستشرقين سنة 1892 م, وكان مرجعاً للأدب الهندي في جامعة أكسفورد سنة 1877 . 1898 م, وتوفي بأكسفورد.

74–رُوزَن(1265 . 1325 هـ = 1849 . 1908 م) فكتور رومانوفتش, المعروف بـ البارون فون روزن Victor Romanoviche Rosen: مستشرق روسي. أخذ العربية عن «فليشر» في ليبسيك, وتولى تدريسها في بطرسبورج (لننجراد) وتوفي فيها. نشر « منتخبات مدرسية» عربية مع ترجمتها إلى الروسية, وقسماً من « ذيل التاريخ» ليحيى بن سعيد الأنطاكي. وشارك في الوقوف على طبع تاريخ الطبري في ليدن مع «دي خويه» وآخرين. وتتلمذ له كثيرون من مستشرقي الروس.

75–شُـوفان(000 . 1331 هـ = 000 . 1913 م) فكتـور شـوفان Victor Chauvin: مستشـرق بلجيكـي. كـان أسـتاذ اللغـة العربيـة فـي جامعـة لوفـان (Louvain) لـه بالفرنسية « معجم الكتب العربية أو التي تبحث عن العرب . ط» إثنا عشر جزءاً.

76–آلْفَـرت(1243 . 1327 هـ = 1828 . 1909) فلهلـم آلفَـرْت Wilhelm Ahlwardt: مستشرق ألماني. كان يسمي نفسه بالعربية « وليم بن الورد البروسـي» مولده ووفاته فـي جريفسفالت Greifswald بألمانيا. قـام بـرحلات متعددة, وقضـى حياتـه فـي درس «الشـرقيّات» ولا سـيما العربيـة. أعظـم آثـاره « فهـرس مخطوطـات المكتبة الملكية في برلين» عشرة مجلدات باللغة الألمانية. ومما نشره بالعربية وعلّق عليـه « العقد الثمـين فـي دواويـن الشـعراء السـتة الجـاهليين» و« ديـوان أبـي نـواس» والجزء الحـادي عشـر مـن « أنسـاب الأشـراف وأخبـارهم» و« مجمـوع أشـعار العـرب» ثلاثة أجزاء.

77–سـبْيتّا(1233 . 1300 هـ = 1818 . 1883 م) فلهلـم سـبيتا Willhelm Spitta: مستشـرق ألمـاني. أقـامَ مـدة بمصـر. لـه كتـاب فـي « لهجـات المصـريين العامية» ورسالة عن أبي الحسن «الأشعري» ومذهبه, كلاهما بالألمانية.

78–نِيبُـور(1145 . 1230 هـ = 1733 . 1815 م) كارسـتن نيبـور Carsten Niebuhr: مستشرق رحّالة. دنمركي الأصل, ألماني المولد والمنشأ. أرسلته حكومـة الدنمرك فـي رحلـة إلـىَ مصـر و اليمن سنة 1761 مع بعثة, ومات جميـع أعضـائها في خلال الرحلة, وبقي هو منفرداً, فمرّ بمسقط و بغداد و الموصـل, وعـاد إلـىَ بـلاده عن طريق الآستانة, سنة 1767 وصنف بالألمانية كتاباً فـي « وصـف بـلاد العـرب» طبـع فـي كوبنهـاجن (1772) و « رحلـة الـبلاد العربيـة ومـا جاورهـا» فـي مجلـدين (1774 . 1778) أتبعهما بملحق طبع سنة 1837 وعين بعد رجوعـه إلـىَ الـدنمرك مهندساً في أركان الحرب ثم مستشاراً حقوقياً في ملدوف (سنة 1808) ومات بها.

79–سَـخَاوْ(1261 . 1349 هـ = 1845 . 1930 م) كـارْل إدورد سـخاو Karl Edward Sachau: مستشرق ألمـاني. تعلم العربيـة فـي بـلاده, وعُين سنة 1869 أستاذاً للغات السامية في جامعة فينّة, وفـي سنة 1876 أستاذاً للغات الشرقية فـي

برلين. ساح في الشام و العراق, ونشر كتاباً بالألمانية عن رحلاته وأنشأ المدرسة الشرقية ببرلين. ومما نشره بالعربية « الآثار الباقية عن القرون الخالية» و « تحقيق ما للهند من مقولة» كلاهما للبيروني, وأربعة مجلدات من « طبقات ابن سعد» وأكمله غيره, و « المعرّب من الكلام الأعجمي» للجواليقي.

80-بروكلمن(1275 . 1375 هـ = 1868 . 1956 م) كارل بروكلمن Carl Brockelmann مستشرق ألماني عالم بتاريخ الأدب العربي. ولد في ا روستوك (بألمانيا ونال شهادة « الدكتوراه» في الفلسفة واللاهوت. وأخذ العربية واللغات السامية عن « نولدكه» وآخرين. ودرّس في عدّة جامعات ألمانية وكانت ذاكرته قوية يكاد يحفظ كل ما يقرأ. ودرّس العربية في معهد اللغات الشرقية ببرلين (1900) وتنقل في التدريس. وتقاعد سنة 35 وعمل في الجامعة متعاقداً سنة 37, ثم كان (ستلا 45) أميناً لمكتبة الجمعية الألمانية للمستشرقين. وأمضى أعوامه الأخيرة في مدينةهالة (Halle) وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي وكثير من المجامع والجمعيات العلمية في ألمانيا وغيرها. وصنف بالألمانية Geschichte der Arabischen تاريخ الأدب العربي, في مجلدين. وأتبعهما بملحق Supplementband في ثلاثة مجلدات. وكلفته جامعة الدول العربية, أن يُدخل الملحق في الأصل, وينقلهما إلىَ العربية فباشر ذلك وترجم نحو ثلاثين ورقة, ترجمة متقنة ما زالت محفوظة بخطه العربي الجميل, في خزانة الأمانة العامة بجامعة الدول بالقاهرة. وشُغلت الجامعة عنه, ومرض, فوقف عن الإتمام. وقام بالترجمة ابتداءً من أول الكتاب عبد الحليم النجار, فتوفي أيضاً قبل إتمامه, وقد صدر منه ثلاثة أجزاء. ولبروكلمان « تاريخ الشعوب الإسلامية» ترجم إلىَ العربية في بيروت وطبع بها في خمسة أجزاء صغيرة, و « فهرسان لخزانتي برسلاو وهامبورغ» يعرّفان بمخطوطاتهما العربية, وكتاب في « نحو اللغة العربية» بالألمانية, و « معجم للغة السريانية» و « قواعد السريانية» و « ترجمة ديوان لغات الترك» للكاشغري, إلىَ الألمانية وكلها مطبوعة. ومما نشر بالعربية قسم كبير من « عيون الأخبار» لابن قتيبة, ورسالة « تلقيح فهوم أهل الآثار» لابن الجوزي, وجزء من « طبقات ابن سعد» ورسالة « ما تلحن فيه العوام» للكسائي.

81–فلّرْس(1273 . 1327 هـ = 1857 . 1909 م) كارل فلّرس Karl Vollers: مستشرقي ألماني. تولىَ إدارة المكتبة الخديوية (دار الكتب المصرية) مدة. وكان من أساتذة جامعة ينا Jèna نشر بالعربية ديوان « المتلمس» مع ترجمة له ألمانية. وكتب بالألمانية « العربية العاميّة عند قدماء العرب» و « اللهجة العربية في مصر» ووصف « المخطوطات الشرقية التي بمكتبة ليبسيك» في مجلد ضخم.

82–سِتّرْسْتِين(1283 . 1372 هـ = 1866 . 1953 م) كارل فلهلم سترستين Karl Vilhelm Zetterstеèn: مستشرق سويدي, من العلماء. من أعضاء جمعيات علمية كثيرة, منها المجمع العلمي العربي. ولد في أورسة (Orsa) بالسويد. وتخرّج « دكتوراً» في الفلسفة بجامعة أوبسالة سنة 1895 وعين فيها أستاذاً للغات السامية. وقام برحلات متعددة. وزار مصر و الشام و تونس أكثر من مرة. وتولىَ تحرير مجلة « العالم الشرقي» وحضر عدة مؤتمرات للمستشرقين. وكتب فصولاً في « دائرة المعارف الإسلامية» وترجم « القرآن» إلىَ اللغة السويدية سنة 1917 وصنّف بلغته كتاب « اللغات الشرقية . ط» و « تاريخ حياة محمد . ط» و « سياحة في شرق بلاد الفرس . ط» ومن أهم ما حققه ونشره بالعربية « تهذيب اللغة» للأزهري, والجزآن الخامس والسادس من « طبقات ابن سعد» و « الأصحاب» للأشرف الرسولي, و « شمس العلوم» لنشوان الحميري, نشر منه جزأين وعهد إلىَ الأستاذ «س. ديدرينغ» بإتمامه, و « تاريخ لسلاطين مصر والشام» لم يعرف مصنفه, و « معارجو الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية» و « ألفية ابن مُعط الزواوي» في النحو, وغير ذلك. وكان يمضي مقالاته أحياناً باسم «عبد الرحمن» وعلىَ الأكثر بحروف اسمه الثلاثة K.V.Z أما اسم أبيه فهو «آلكسندر موريس سترستن».

83–تُورْنْبِرْج(1222 . 1294 هـ = 1807 . 1877 م) كال يوهن تورنبرج Karl Johan Tornberg: أعلم مستشرقي في السويد في عصره. من تلاميذ سلفستر دي ساسي. ولد في « لينكوبينج» مركز مقاطعة «استروجوتي» وأحرز شهادة « دكتور» في الفلسفة سنة 1833 وشهادة بالأدب العربي سنة 1835 وانتقل إلىَ باريس فأقام سنتين, وعاد إلىَ وطنه فعلّم العربية في أوبسالة. مما نشر بالعربية « الأنيس

المطرب» للفاسي, مع ترجمة لاتينية, و « الكامل لابن الأثير» في 14 مجلداً, ختمها بتعليقات وفهارس, و « خريدة العجائب» لابن الوردي في خمسة أجزاء.

84–نَلّينُو(1288 ـ 1357 هـ = 1872 ـ 1938 م) كارلو ألفونسو نلينو Carlo Alfonso Nallino الإيطالي: مستشرق, من كبارهم. كان غزير العلم بالجغرافية والفلك عند العرب, عارفاً بالإسلام ومذاهبه, كثير التتبع لتاريخ اليمن القديم وخطوطه ولهجاته. ولد في تورينو Torino ونشأ وتلقىَ دروسه الأولية ومبادىء العربية والعبرية والسريانية في مدينة أودينى Udine واستكمل دراسته في جامعة «تورينو» وأرسلته حكومته إلىَ القاهرة سنة 1893 فأقام نحو ستة أشهر, وعاد فنشر كتاباً بالإيطالية عن « اللهجة المصرية» و درّس العربية في المعهد الشرقي بنابولي سنة 1894 ـ 1902 ودعي إلىَ مصر سنة 1909 فألقىَ في جامعتها محاضرات بالعربية جُمعت خلاصاتها في كتاب سمي « علم الفلك, تاريخه عند العرب في القرون الوسطىَ ـ ط» أربعة أجزاء في مجلد واحد. ولما احتلت إيطاليا طرابلس الغرب عين مديراً للجنة « تنظيم المحفوظات العثمانية» بوزارة المستعمرات في رومة, وعهد إليه بتدريس «تاريخ الإسلام» في جامعتها سنة 1915 وتولىَ الإشراف علىَ مجلة « الدراسات الشرقية» ثم مجلة « الشرق الحديث» وكلتاهما بالإيطالية. ودرّس « تاريخ اليمن» في كلية الآداب بمصر, في شتاء أربعة أعوام 1927 ـ 1931 وكان من أعضاء المجمع العلمي الإيطالي (Accademia d’Italia) (سنة 1932) و المجمع اللغوي بمصر (سنة 1933) له كتب وأبحاث كثيرة, بالإيطالية. ليس هنا مجال ذكرها. أمّا آثاره العربية غير محاضراته في علم الفلك, فهي: « تاريخ الآداب العربية ـ خ» مهيأ للطبع بمصر, ومقالات نشرت في المجلات العربية, منها « روّاد اليمن الأوربيين» نشرت في المجلد الثالث من مجلة الزهراء بمصر, في نحو عشرين صفحة. ونشر من كتب العرب « زيج الصابي» مع ترجمته إلىَ اللاتينية.

85–كونتي رُوسّيني(1289 ـ 1368 هـ = 1872 ـ 1949 م)كارلو كونتي روسيني (Carlo Conti Rossini) مستشرق إيطالي, من مدرسي المعهد الشرقي بجامعة رومة و الجامعة المصرية. أتقن اللغتين الحبشية والقحطانية. وتابع في أبحاثه المستشرق الألماني «جلازر» فأقام اتصالاً في اللغة والآثار بين الحبشة واليمن قبل

الميلاد, ونشر سنة 1931 « مختارات» مفيدة من نقوش اللغة العربية الجنوبية. وكتب عن سبأ وما كان بين الأحباش وبلاد العرب.وتعد كتبه ودراساته من المصادر التي يرجع إليها في موضوعها.

86-لَنْـدْبِرْج(000 . 1343 هـ = 000 . 1924 م) كـارلو لنـدبرج Carlo Land«Berg: مستشرق سويدي, يحمل لقب « كونت» قام برحلات إلىَ بلاد العرب, ومكث فيها أعواماً, ليتعلم العربية وآدابها. ثم جعل إقامته في باريس. مما نشره بالعربية « الفتح القيسي في الفتح القدسي» للعماد الأصفهاني, و « طرف عربية» تشتمل علىَ رسالة التنبيه علىَ غلط الجاهل والنبيه, لابن كمال باشا, و لعب العرب بالميسر في الجاهلية, للبقاعي, و نشوة الارتياح في بيان حقيقة الميسر والقداح, للزبيدي, و ديوان أبي محجن الثقفي وشرحه, لأبي هلال العسكري, و معلقة زهير ابن أبي سلمىَ وشرحها, للأعلم الشنتمري. ومن تآليفه بالعربية « فهرست المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة بريل والمشتراة من الشيخ أمين المدني . ط» و « أمثال أهل بر الشام . ط» و « المغرب المطرب . ط» حكايات ترجمها عن الفرنسية.

87-دي مِينَار (1241 . 1326 هـ = 1826 . 1908 م) كازيمير أدريان باربييه دي مينار Casimir Adrien Barbier de Meynard: مستشرق فرنسي. ولد علىَ باخرة كانت أمه عائدة عليها من الآَستانة إلىَ مرسيلية. وتعلم بباريس. وعين في القنصلية الفرنسية بالقدس, ثم بطهران, فالآَستانة. كان يحسن العربية والفارسية والتركية. و درّس التركية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس, ثم العربية في « كليج دي فرانس», وانتدب لإدارة المجلة الآَسيوية Journal Asiatique وتوفي بباريس. ترجم إلىَ الفرنسية « مروج الذهب» للمسعودي, وطبع الترجمة مع الأصل العربي في تسعة أجزاء ساعده في بعضها «بافه دي كورتي» Bavet de Courteille ونشر بالعربية «منتخبات» من «الروضتين» لأبي شامة. وكتب فصولاً بالفرنسية عن « الأسماء والكنىَ عند العرب» و « السيد الحميري» و « محمد الشيباني» والسلطانيين «نور الدين, وصلاح الدين» و «إبراهيم ابن المهدي» وغير ذلك. ونشر

بالفرنسية ما يختص ببلاد فارس من « معجم البلدان» لياقوت. وله بالعربية رسالة في « الأخلاق والفلسفة».

88–سْنُوكْ هُرْخْرُونْيَه(1273 . 1355 هـ = 1857 . 1936 م) كرستيان سنوك هرخونيه Christian Snouck Hurgronje: مستشرق هولندي. ولد في أسترهوت, وتعلم بليدن وستراسبورج. وأقام في «جدة» بالحجاز (سنة 1884) سبعة أشهر, ويقول إنه دخل مكة متسمياً بعبد الغفار, ومكث بها, في «سوق الليل» خمسة أشهر, واضطر إلى مغادرتها فجأة قبل حلول موسم الحج, لانكشاف أمره بكلمات فاه بها وكيل قنصل فرنسة بجدة في بعض المجالس. ورحء إلى بلاد الجاوي, فأقام 17 سنة. وعين (سنة 1906) أستاذاً للعربية في جامعة ليدن, خلفاً لدى خويه. ثم كان مستشاراً في الأمور الإسلامية والعربية, بوزارة المستعمرات الهولندية. له عدة كتب, بالألمانية, عن الإسلام والمسلمين, أشهرها كتابه عن « مكة في القرن التاسع عشر», في مجلدين, نشره سنة 1889 ومجموعة في ستة مجلدات, طبعها سنة 1923 . 1927 في « الإسلام وتاريخه» و« الشريعة الإسلامية» و« بلاد العرب وتركيا» و« الإسلام في المهاجر الهولندية» و« اللغة والأدب» و«ملاحظات في الكتب» ذكر فيه بعض المخطوطات وتواريخ كتابتها, و« فهارس الأجزاء المتقدمة».

89–سَيْبُولْد(1275 . 1340 هـ = 1859 . 1921 م) كرستيان فريدريش سيبولد Christian Friedrich Seybold: مستشرق ألماني. تعلم في جامعة توبنجن, واختاره ملك البرازيل «بدرو الثاني» لتعليمه اللغات الشرقية. وكان يحسن منها العربية والعبرية والسريانية والفارسية. ونشر كتباً عربية, منها « النقط والدوائر» من كتب الدروز الدينية, و« أسرار العربية» لابن الأنباري, و« المنى في الكنى» لابن الأنباري, و« الشماريخ في علم التاريخ» للسيوطي, و« تاريخ بطاركة الإسكندرية» للأنبا ساويرس ابن المقفع. وساعد جويدي في وضع الفهارس لكتاب «الأغاني» وتوفي بمدينة توبنجن

90–الدكتور فَنْدَيْك(1233 . 1313 هـ = 1818 . 1895 م) كرنيليوس فنديك Cornelius Van Dyck طبيب عالم. هولندي الأصل. أميركي المولد والمنشأ, مستعرب. ولد في قرية من أعمال نيويورك, وتعلم الطب والصيدلة بمدرسة جفرسن (

في فيلادلفيا) وأرسله مجمع المرسلين الأميركيين, للتبشير الديني في سورية, وهو في الحادية والعشرين من عمره, فقدم بيروت سنة 1840 وحذق العربية كل الحذق, وحفظ كثيراً من أشعارها وأمثالها ومفرداتها وتاريخها. وأنشأ مع بطرس البستاني مدرسة في عبية (بلبنان) وتنقل في الإقامة بين القدس ولبنان وصيدا. و تولى التعليم في الكلية الأمريكية ببيروت, ويعد من مؤسسيها. واختلف مع بوست في لغة التعليم بها: بوست يصرّ على الإنجليزية, وهو يريد العربية[1] ونجح بوست فخرج فنديك مستقيلاً سنة 1882 وتوفي في بيروت. له نحو خمسة وعشرين مصنفاً عربياً, أشهرها « المرآة الوضية في الكرة الأرضية . ط» و« النقش في الحجر . ط» ثمانية أجزاء, و« أصول علم الهيئة . ط» و« التشخيص الطبيعي . ط» و« الروضة الزهرية في الأصول الجبرية . ط» و« الأصول الهندسية . ط» و« أصول الكيمياء . ط» و« طب العين . ط» ونشر إبحاثاً من كتاب « تاريخ الأطباء» له, في المقتطف.

91–هُوارْتْ(1270 . 1345 هـ = 1854 . 1927 م) كليمان هوارت Clément Huart: باحث مستشرق فرنسي, من أعضاء المجمع العلمي العربي, و المجمع العلمي الفرنسي, والجمعية الآَسيوية. ولد بباريس, وتعلم بمدرسة اللغات الشرقية فيها, وتكلم العربية الجزائرية العامية في طفولته. وعين ترجماناً للقنصلية الفرنسية بدمشق سنة 1875 وبالآَستانة سنة 1878 وعاد إلى باريس سنة 1898 وهو يحسن العربية والتركية والفارسية, فكان ترجماناً في وزارة الخارجية. ومثل حكومته في مؤتمري المستشرقين بالجزائر سنة 1905 وفي كوبنهاجن 1908 وألّف عدة كتب بالفرنسية في تاريخ بغداد, والآَداب العربية, والخطاطين والنقاشين والمصورين في الشرق الإسلامي, وقدماء الفرس والحضارة الإيرانية. ونشر بالعربية « مقامات ابن ناقيا» وديوان « سلامة بن جندل» و« البدء والتاريخ» لابن المطهر, مع ترجمته إلى الفرنسية, في ستة مجلدات.

92–باسكوال(1224 . 1315 هـ = 1809 . 1897 م) كيّانجوس, دون باسكوال Gayangos, Don Pasc. y. Arce: مستشرق إسباني. من العلماء. كان أستاذ العربية في مدريد. ولد بأشبيلية. وسكن لندن, وصنف فيها تآليف مختلفة اشتهر منها

تاريخه للدول الإسلامية في إسبانية, و ترجمته لكتاب المقري «نفح الطيب» في مجلدين ضخمين. ووصف آثار قصر الحمراء وكتاباتها. وتوفي بلندن.
93–بْرِنْيِيه(1229 . 1286 هـ = 1814 . 1869 م) لوي (لويس) جاك برنييه Louis Jacques Bresnier: مستشرق فرنسي من تلاميذ دي ساسي. نشأ عاملاً بسيطاً. وخصّ ليله لدراسة اللغات الشرقية, فرشحه دي ساسي للعمل في إفريقية الشمالية, فقصد الجزائر سنة 1836 وأقام يعلّم العربية في حاضرتها 33 سنة. وبها توفي له « شرح أصول العربية . ط» صرف ونحو وعروض ومختارات عربية مختلفة نشرها نع ترجمتها إلىَ الفرنسية.
94–سِيدِيّو(1223 . 1292 هـ = 1808 . 1875 م) لوي (لويس) بيير أوجين أميلي سيديو Louis Pierre, Eugène, Amèlie Sèdillot مستشرق فرنسي. مولده ووفاته بباريس. كان أبوه (جان جاك إمانويل سيديو, المتوفي سنة 1832) فلكياً من المستشرقين أيضاً. أخذ عنه صاحب الترجمة بعض اللغات الشرقية. وتخرّج بكلية هنري الرابع, وعين مدرساً للتاريخ في كلية «بوربون» سنة 1823 واشتغل بعلم الفلك, وعلت شهرته. وهو صاحب كتاب «مؤHistire des Arabes » ألّفه بالفرنسية, وأشرف علي مبارك باشا علىَ ترجمته إلىَ العربية مهذباً, وسماه «خلاصة تاريخ العرب العام . ط» ومن آثار «سيديو» العربية, نشره كتاب « جامع المبادىء والغايات في الآلات الفلكية» لأبي الحسن علي المراكشي, مع ترجمة فرنسية.
95–ماشْوِيل(000 . 1340 هـ = 000 . 1922 م) لوي (لويس) ماشويل Louis Machuel مستشرق فرنسي. كانت إقامته ووفاته في تونس. استظهر القرآن الكريم. وتولىَ إدارة مدرسة تونس مدة طويلة, وكان يعلّم العربية فيها. وصنّف لها كتباً مدرسية, منها « دليل الدارسين . ط» و « منتخبات تاريخية وأدبية . ط» و « معجم عربي فرنسي». ونشر « رحلات السندباد البحري» وعني بلهجات العامة في تونس و مراكش, ونشر بها «روايات» فكاهية.
96–ماسِنْيون(1299 . 1382 هـ = 1883 . 1962 م) لويس ماسنيون Loues Massignon: مستشرق فرنسي, من العلماء. من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق و القاهرة. مولده ووفاته بباريس. تعلم العربية والفارسية والتركية والألمانية

والإنكليزية وعني بالآثار القديمة وأدت مشاركته في التنقيب عنها بالعراق (1907 . 1908) إلىَ اكتشاف «قصر الأحيضر» و درّس «تاريخ الاصطلاحات الفلسفية» بالعربية, في الجامعة المصرية القديمة (1913). واستهواه التصوف الإسلامي, فكتب عن « مصطلحات الصوفية» و « أخبار الحلاج . ط» ونشر « ديوان الحلاج» مع ترجمته إلىَ الفرنسية و «الطواسين» للحلاج, وتشبع بآرائه. و كتب عن «ابن سبعين» الصوفي الأندلسي وعن « سلمان الفارسي» واتجه إلىَ فكرة توحيد الديانات الكتابية الثلاث. ونشر « منتخبات من نصوص عربية خاصة بتاريخ الصوفية في الإسلام» وتولىَ تحرير « مجلة العالم الإسلامي» الفرنسية التي سميت بعد ذلك «مجلة الدراسات الإسلامية» وأصدر بالفرنسية أيضاً « حوليات العالم الإسلامي» من سنة 1923 إلىَ 1954 وكتب كثيراً في «دائرة المعارف الإسلامية» عن القرامطة والنصيرية والكندي وفلسفة ابن سينا, وأمثال ذلك. وكتب «تاريخ العلم عند العرب» في «دائرة المعارف الممتازة» التي صدرت بباريس (المجلد الأول سنة 1957) وكان من موظفي وزارة المستعمرات في شبابة, ثم « مستشاراً» لها بقية حياته. وحمدت مواقفه في قضيتي استقلال المغرب والجزائر.

97–الأَمِير كَايْتَاني(1286 . 1345 هـ = 1869 . 1926 م) ليونة كايتاني Leone Caetani: مستشرق إيطالي مؤرخ. من أسرة يرجع تاريخها إلىَ زهاء ألف سنة. من أهل رومة, مولداً ووفاة. تعلم في جامعتها. وقام برحلات إلىَ الشرق, ولا سيما الهند و إيران و مصر و الشام. وجمع مكتبة عربية عظيمة, جعلها بعد وفاته للمكتبة الإيطالية. وكان يحسن سبع لغات, منها العربية والفارسية. ألّف بالإيطالية كتاب تاريخ الإسلام (Annalli dell'Islam) وطبع منه سنة 1905 . 1908 ثمانية مجلدات ضخمة محلاة بالرسوم والخرائط المفصلة, انتهىَ فيها إلىَ سنة 40 للهجرة, وكان يرجو أن يُفسح في أجله ليكمل القرن الأول للإسلام في 25 مجلداً. وكتب « جذاذات» لتراجم عدد كبير من علماء المسلمين وأدبائهم في الأندلس, جمعها المستشرق الإسباني «ربيرا» ونشر بالعربية «تجارب الأمم» لمسكويه, مصدّراً بمقدمات مفيدة ومذيلاً بفهرست ضاف.

98–هُوتْسْما (1267 . 1362 هـ = 1851 . 1943 م) مـارتن تيـودور هوتسـما Martin Theodor Houtsma: مستشرق هولندي. ألمّ بالعربية والفارسية والتركية, ودرّسها في جامعة أوترخت. وهو من أوائل من اضطلعوا بإنشاء « دائرة المعارف الإسلامية» سنة 1906 له بالعربية « فهرست الكتب الشرقية المحفوظة في أكادمية ليدن . ط» الجزء السادس, و« فهرست الكتب العربية والتركية الموجودة عند بريل صاحب مكتبة ليدن . ط» جزآن. وعني بنشر كتب عربية, منها « تاريخ اليعقوبي» و« ديوان الأخطل» و« الأضداد» لابن الأنباري, و« زبدة النصرة ونخبة العصرة» للبنداري, اختصر به كتاب العماد الأصفهاني.

99–هـارْتْمَنْ(1267 . 1337 هـ = 1851 . 1919 م) مـارتن هـارتمن Martin Hartmann: مستشرق ألماني. ولد في برسلاو, وتعلم في جامعتها ثم في جامعة ليبسك. وعين في القنصلية الألمانية ببيروت, فتعلم العربية. وطالت إقامته, فكان يتكلم بها كبعض أبنائها. وعين مدرساً لها في جامعة برلين سنة 1887 وقام برحلات إلى الشرق فوضع عن كل رحلة كتاباً. له بالعربية « الصرف والنحو الألمانيان وكيفية تعلّمها من أيسر السبل . ط» و « قانون التجارة الألماني العام . ط» وكتب بالإنجليزية رسالة عن « الصحافة العربية بمصر, من عهد ظهورها إلى سنة 1899 م» وتوفي ببرلين.

100–دُوفِيك

(000 . 1303 هـ = 000 . 1886م) مارسِيل دوفيك Marcel Devic: مستشرق فرنسي. نشر بالعربية كتاب « عجائب الهند» مع ترجمته إلى الفرنسية, وألحق بمعجم ليتره (Littré) الفرنسي جدولاً بالألفاظ الفرنسية المستعارة من اللغات الشرقية, ونقل «مقامات الحريري» إلى الفرنسية, ونشرها بها, ونشر بالفرنسية جزءاً من « قصة عنترة» العامية.

101–البَارُون دي سْلان(000 . 1296 هـ = 000 . 1879 م) ماك جوكان دي سلان Baron Mac - Guckin de Slane: مستشرق فرنسي, من أصل إيرلندي. تتلمذ لِدي ساسي. وعين مترجماً في وزارة الحربية. وعني بأخبار المغرب والبربر, فصنف في ذلك كتاباً كبيراً بالفرنسية. وله بالعربية « نزهة ذوي الكيس وتحفة

الأدباء, في قصائد امرىء القيس أشعر الشعراء . ط» و « فهرست المخطوطات الشرقية الموجودة في خزانة باريس الوطنية . ط» ونشر « مقدمة ابن خلدون» مع ترجمة فرنسية كان قد بدأ بها كاترمير, و المجلد الأول من «وفيات الأعيان» لابن خلكان, و « منتخبات من تاريخ مصر» لابن ميسر, مع ترجمة فرنسية, في ثلاثة أجزاء. وتعاون مع رينو علىَ نشر «تقويم البلدان» لأبي الفداء.

102–فان بِرْشم(1280 . 1339 هـ = 1863 . 1921 م) ماكس فان برشم Max Van Berchem مستشرق سويسري. مولده ووفاته في « جنيف». تعلم بها وبمدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس, ثم بمصر. وعين أستاذاً للغات الشرقية في جامعة جنيف. اشتهر بمعرفة الكتابات العربية الأثرية. وكان أول ما بدأ به دراسة تاريخ الشرق, ثم انصرف إلىَ البحث عن الآَثار الإسلامية, وكتب في ذلك سنة 1891 يصف مختلف الفروع فيها, من معمار وزخارف وكتابات وأختام, بأنها «هي الوثائق التاريخية الدالة بأشكالها أو بمعانيها علىَ المنشود من التاريخ, بالإضافة إلىَ المخطوطات التي تمد الباحث ببعض الحقائق». جمع بمصر و الشام ما ظفر به من النقوش, ولا سيما التاريخية, وهيأ عدة مجلدات تتعلق بالقاهرة وبيت المقدس, وديار بكر, وغيرها. وشارك خليل أدهم في إخراج الجزء الأول من المجلد الخاص بآسية الصغرىَ, ونشر مخقالات في نقوش مختلف العصور والأقاليم الإسلامية, من مراكش علىَ عهد بني مرين إلىَ «شوان شو» بالصين علىَ عهد المسلمين.

103–مِيّرهُوف(1291 . 1364 هـ = 1874 . 1945 م) ماكس ميرهوف Max Meyerhof مستشرق طبيب ألماني. زار مصر سنة 1900 م, وسكن القاهرة (1903) فانتخب نائباً لرئيس المعهد المصري والجمعية الطبية المصرية. واستمر إلىَ أن توفي بالقاهرة. نشر « الأسماء الطبية» لجالينوس, بالعربية, مع ترجمة ألمانية وشروح وتعاليق وفاية شاركه فيها الأستاذ «شخت». وكتب فصلاً في حياة حنين بن إسحاق, نشره في مقدمة لكتاب «العشر مقالات في العين» المنسوب لحنين, ص 14 . 66 ونشر « شرح أسماء العقار» لأبي عمران موسىَ بن عبد الله القرطبي, والقسمين الأول والثاني من «منتخب جامع المفردات لأحمد بن محمد الغافقي» انتخاب أبي الفرج ابن العبري.

104–هابِخْــت(1189 ـ 1255 هــ = 1775 ـ 1839 م) ماكســيميليان (أو ماكسيميليانوس) هابخت Maximilian Habicht: مستشرق ألمـاني. مـن أهـل «برسلاو» كان مدرساً للغة العربية الملكية البروسيانية فيها. قرأ العربية في باريس علىَ دي ساسي والأب رافائيل. وجمع كتاب « جنىَ الفواكه والأثمار, في جمع بعض مكاتيب الأحباب الأحرار, من عدة أمصار وأقطار ـ ط» وهو مجموع رسائل من مصر والشام ومراكش, أكثرها كُتب في أيام حروب نابليون الأول. وهو أول من طبع كتاب «ألف ليلة وليلة» في أوربا, باشر نشره سنة 1825 وطبع منه ثمانية أجزاء قبل وفاته. وله « نخبة من أمثال الميداني ـ ط».

105–مَـرْكُس مُـولّر (1224 ـ 1291 هـ = 1809 ـ 1874 م)مـركس (مـاركس) جوزيف مولّر Marcus Joseph Muler: مستشرق ألماني. مات في ميونيخ. ألّف بالعربية « المجموعة المغربية ـ ط» وهي قطع منتخبة من عدة كتب عربية, في جزءين. ونشر « أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر» مع ترجمته إلى الألمانية, و« مجموعة رسائل لابن رشد» و« مقنعة السائل» للسان الدين ابن الخطيب.

106–بِتْنَر (1286 ـ 1336 هـ = 1869 ـ 1918 م)مكسيمليان بتنر Maximilian Bittner مستشرق نمسوي. ولد في فينة. وتعلم بها في مدرسة الألسن الشرقية, ثم في الجامعة. وعُين أستاذاً للآداب العربية في الجامعة سنة 1904 فعاون على تنظيم مكتبتها. وأثث قصره في إحدى ضواحي فينة بالرياش العربي على طريقة برغشتال, وعاش فيه عيشة عربية. وتوفي به. وكان يحسن 43 لغة (أورد يوسف جيرا أسماءها) كتب أبحاثاً في أصول العربية وآداب الجاهلية. ووضع قواعد لثلاث عشرة لغة شرقية. ومما نشره كتابا « الجلوة, ومصحف رش» في عقائد اليزيدية, بالعربية والكردية, مع ترجمة إلى الألمانية, و« أرجوزة» من ديوان العجاج.

107–اَلاَرْكُـونْ(1298 ـ 1351 هــ = 1880 ـ 1933 م)مكسـيميليانو أغوسـطين ألاركون صانطون Maximiliano Augustin, Alarco Santonn و مستشرق إسباني. ولد في لارودة La Roda, بالباشتا Albacete وتعلم بجامعة برشلونة. وتخصص للدروس العربية من سنة 1904 وقدم أطروحة «الدكتوراه» في مدريد

(1920) وكان مدرساً للعربية في المدرسة التجارية بمالقة (1911) وفي برشلونة (12) وجامعة غرناطة (22) وسلمنك (23) وأستاذاً للعبرية في برشلونه (27) ثم للعربية في جامعة مدريد (32) وأوجد دراسة اللهجات الإسبانية العربية والمراكشية. وصنف « النصوص العربية والأعجمية العامية في مدينة العرائش . ط» ونشر « سراج الملوك للطرطوشي . ط» بالعربية مع ترجمة إسبانية. وتعاون مع بعض زملائه في وضع « فهرس المخطوطات العربية والأعجمية في مكتبة جمعية الأبحاث في مدريد . ط» و« الوثائق العربية الدبلوماسية في محفوظات مملكة آراغون . ط»

108–دي خُويّهْ(1252 . 1327 هـ = 1836 . 1909 م)ميخيل يوهنّا دي خوّيه Michiel Johanna de Goge: مستشرق هولندي, من أرسخ المستشرقين قدماً في الدراسات العربية. تعلم في جامعتي ليدن وأكسفورد, ودرّس في الأولى. وكان من أعضاء المجمع الشرقي في ليدن ومجامع أخرى. ونشر نفائس من الكتب العربية, منها « تاريخ الأمم والملوك» للطبري, في 18 مجلداً, وكان «كوزيغارتن» قد سبقه إلى نشر قسم منه. وأنشأ مكتبة الجغرافيين العرب, ونشر فيها « مسالك الممالك» للاصطخري, و« أحسن التقاسيم» للمقدسي, و« المسالك والممالك» لابن خرداذبة, و« المسالك والمالك» لابن حوقل, و« التنبيه والإشراف» للمسعودي, و« مختصر كتاب البلدان» للهمذاني, و« الأعلاق النفسية» لابن رستة, وجعل لها فهرساً أبجدياً عاماً. ونشر « فتوح البلدان» للبلاذري, و« ديوان مسلم بن الوليد» وغير ذلك. وتوفي في ليدن.

109–أَماري(1221 . 1307 هـ = 1806 . 1889 م)ميكليه ع أماري Michele Amari: مستشرق إيطالي من رجال العلم والسياسة. ولد في بلرم بجزيرة صقلية. واشترك في جمعية سرية كانت تعمل لإخراج الأجانب من بلاده. فنُفي. وعاش في باريس ما بين سنتي 1842 و1848 فتعلم بعض اللغات الشرقية, ثم تخصص بالعربية وآدابها وتاريخها المتصل بتاريخ بلاده. ولما نشبت الثورة عاد إلى بلرم. وكان من أنصار «كافور» فقام بسفارات إلى فرنسة وأنكلترة. وعين وزيراً للمعارف. وبعد الثورة غادر البلاد ثانية إلى باريس. وعاد سنة 1859 فدرّس العربية في بيزا(Pise) ثم في جامعة فلورنسة الأمبراطورية. وترأس مؤتمر المستشرقين بفلورنسة

سنة 1878 وتوفي بها. وكان لا يفتر حيث أقام: يكتب أو يترجم أو ينشر. أشهر آثاره العربية « المكتبة الصقلية . ط» مجلدان في تاريخ جزيرة صقلية, صدّرهما بمقدمة إيطالية. وله « الشروط والمعاهدات السياسية بين جمهوريات إيطاليا وسلاطين مصر وغيرهم . ط» مع ترجمة إيطالية, جزآن, و« مذكرات جديدة لمعرفة تاريخ جنوا . ط» مع ترجمة إيطالية, وبعض مقالات لكتبة العرب تسهيلاً لمعرفة تاريخ صقلية على عهد المسلمين . ط» صغير ومعه ترجمة إيطالية. وترجم إلى الفرنسية « رحلة ابن جبير» وإلى اللاتينية « سلوان المطاع» لابن ظفر. وله بالإيطالية « تاريخ العرب في صقلية» خمسة أجزاء.

110–بُورْتَر (1260 . 1341 هـ = 1844 . 1923 م) هارفي بورتر, الدكتور Dr Harvey Porter مستشرق أميركي. وفد على لبنان سنة 1870 واشتغل بتدريس التاريخ. والفلسفة في الكلية الأميركية ببيروت إلى سنة 1914 وعني بالعاديّات والنقود العربية القديمة. له « المنهج القويم في التاريخ القديم . ط» عربي, و« قاموس إنكليزي عربي, وعربي إنكليزي . ط» ساعده فيه الدكتور ورتبات. وصنف بالإنكليزية تاريخاً مختصراً لبيروت.

111–سُوتِير (1264 . 1340 هـ = 1848 . 1922 م) هايَنْرِيش سُوتير (Heinrich, Suter): مستشرق سويسري. تعلم وعلّم في زوريخ. وبها قرأ العربية. وعني بتراجم علماء الهيئة والرياضيات من العرب, فوضع كتاباً بالألمانية اشتمل على نيف وخمسمائة ترجمة, يُعد من المراجع الموثوق بها عند المستشرقين. أشار إليه بروكلمن عدة مرات. وله كتب أخرى وفصول في المجلات الألمانية كلها في الرياضيات وعلم الفلك عند العرب.

112–فْلاَيْشَر (1216 . 1305 هـ = 1801 . 1888 م) هاينريخ لبرْخت وفي الإغريقية اللاتينية أرطوبيوس فليشر Heinrich lebercht en gréco - latin Orthobuis, Fleischer (Schandau): مستشرق ألماني. ولد في شانداو (Schandau) وتعلم في بوتزن, ثم في ليبسيك, فباريس (1824) وبها استكمل دراسته في اللغات الشرقية. وأخذ عن دي ساسي و برسفال. وعاد إلى ألمانية (سنة 1828) فدرّس في جامعة ليبسيك نحو خمسين عاماً. له بالألمانية تآليف كثيرة, عن

العرب والإسلام. ومما نشره بالعربية « تاريخ أبي الفداء» مع ترجمة ألمانية, و« فهرست المخطوطات الشرقية المحفوظة في خزانة درسدن» و« تفسير البيضاوي» و« المفصل» للزمخشري, و الجزء السادس من «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي, و« مراصد الاطلاع» لابن عبد الحق.

113–تُورْبِكِهْ (1253 . 1307 هـ = 1837 . 1890 م) هاينريش (بين الشين والخاء) توربكه (Heinrich Thorbecke): مستشرق ألماني. ولد في مانهايم. وعلّم العربية سنين طويلة في هيدلبروغ, وهالّه. ونشر بالعربية « درة الغواص» للحريري, و« الملاحن» لابن دريد, و الجزء الأول من «المفضليات» و« الرسالة العامة في كلام العامة» للصباغ.

114–دِرَنْبُور (1260 . 1326 هـ = 1844 . 1908 م)هرتفيك درنبور Hartwig Derenbourg مستشرق فرنسي موسوي. وهو ابن جوزيف السابق ذكره. مولده ووفاته بباريس. تعلم العربية في ألمانيا. وكان قيماً على الكتب الخطية في المكتبة العامة بباريس. له معرفة بكثير من اللغات الشرقية ولا سيما الفارسية. اجتمع به صاحب «الاستطلاعات الباريسية» سنة 1889 وسماه «أرتفيك درامبورغ». له بالعربية: « وصف المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة أسكوريال . ط» و« مجموع منتخبات عربية أدبية ابتدائية . ط» وعني بنشر كتاب «الاعتبار» لابن منقذ, و« النكت العصرية» لعمارة اليمني, وسمى نفسه فيه بالعربية «هرتويغ درنُبرغ» غير متقيد باللفظ الفرنسي. و« ديوان النابغة الذبياني» وأعاد طبع « الفخري» لابن الطقطقي. وترجم إلى الفرنسية « تاريخ الطبري» عن الفارسية.

115– هِرْمان ألمْكْوِيسْت (000 . 1322 هـ = 000 . 1904 م) هرمان ألمكويست Hermann Nap. Almquist مستشرق سويدي. كان أستاذاً للعربية في كلية أوبسالا (بالسويد) ونشر قسماً من رحلة ابن بطوطة, وكتب في « خواص الضمائر» في اللغات السامية.

116–سُوفِير (000 . 1314 هـ = 000 . 1896 م) هنري سوفير Henri Sauvaire: مستشرق فرنسي. تعلم بمدرسة اللغات الشرقية بباريس. وعين قنصلاً في بيروت, فأخذ عن أدبائها. له كتابات عن الشرق, منها « طرفة في خطط الشام

ووصف أبنيتها» و« خطوط كوفية وجدت في الإسكندرية» وفصول من « ملتقى الأبحر» في فقه الحنفية, وبحث في « عيون التواريخ» لابن شاكر, وخلاصات من « الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل».

117–فِسْتِنْفِلْد (1223 . 1317 هـ = 1808 . 1899 م) هنري فردينند فستنفلد H.F. Wustenfeld مستشرق ألماني. من العلماء. ولد في مندن (Munden) بمقاطعة هانوفر. وتعلم بها ثم في برلين. وعُين أستاذاً للعربية في غوتا (Gotha) وخدم العربية خدمة عظيمة بنشره نحو مئتين من كتبها النفيسة, منها « معجم ما استعجم» للبكري, و« تهذيب الأسماء واللغات» للنووي, و« تواريخ مكة المشرفة» للأزرقي والفاكهي والفاسي وابن ظهيرة وغيرهم, و« السيرة» لابن هشام, و« تاريخ مدينة الرسول» للسمهودي, و« اللباب» في تهذيب الأنساب, و« طبقات الحفاظ» للذهبي, و« الاشتقاق» لابن دريد, و« مختلف القبائل ومؤتلفها» لابن حبيب, و«المعارف» لابن قتيبة, و« المشترك وضعاً» لياقوت, و« معجم البلدان». وكف بصره في أواخر أعوامه. ومات في هانوفر.

118–كايْ(1242 . 1321 هـ = 1827 . 1903م) هنري كسّلز كاي H Cassels KaH.: مستشرق, بلجيكي المولد, إنجليزي الإقامة. عُين مراسلاً لجريدة «التيمس» في مصر, ثم عمل في التدريس بلندن إلى أن مات. مما نشره بالعربية « أرض اليمن وتاريخها» لعمارة اليمني, مع ترجمته إلى الإنجليزية.

119– لامَّنْس (1278 . 1356 هـ = 1862 . 1937 م) هنري لامنس اليسوعي H. Lammens: مستشرق, بلجيكي المولد, فرنسي الجنسية, من علماء الرهبان اليسوعيين. تعلم في «لوفان» وفي «فينّة» وتلقى علم اللاهوت في انجلترة. وكان أستاذاً للأسفار القديمة في كلية رومة. واستقر في «بيروت» فتولى إدارة جريدة « البشير» مدة, ودرّس في الكلية اليسوعية, وصنف كتباً عن العرب والإسلام, بالفرنسية, وكتباً بالعربية, منها « فرائد اللغة . ط» الجزء الأول منه, و« المذكرات الجغرافية في الأقطار السورية . ط» رسالة, و« تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار . ط» جزآن, و« الألفاظ الفرنسية المشتقة من العربية . ط» و« مختارات

للترجمة من العربية إلى الفرنسية وبالعكس . ط» وكتب اسمه على بعض كتبه «هنريكوس لامنس». ومات في بيروت.

120–هَماكر (1203 . 1251 هـ = 1789 . 1835 م) هنرك آرنت هماكر Henrik Arent Hamakar: مستشرق هولندي, من البارعين في اللغات السامية. ولد في أمستردام وتخرج بليدن. ثم كان أستاذاً للعربية والسريانية والكلدنية, في جامعتها (1822) وأخذ عنه علوم الاستشراق كثيرون. وجمع مختارات من بعض المخطوطات العربية في البلدان, فألف منها كتاباً سمّاه « خلاصة أخبار المسافر والعَجْم, في معرفة بلاد عراق العُجم . ط» وعاون على وضع « فهرس المخطوطات العربية في مكتبة ليدن . ط» وعلى نشر بعض الكتب العربية.

121–شُولْتِنْز (1152 . 1207 هـ = 1739 . 1793 م) هنريك ألبرت شولتنز Henrik Albert Schultens: مستشرق هولندي, من أهل ليدن. تعلم بها العربية والعبرية. وسافر إلى أكسفورد (سنة 1772) لمراجعة بعض المخطوطات العربية, ثم إلى كمبردج, حيث نشر « أمثال الميداني» سنة 1773 وعين أستاذاً للغات الشرقية في أمستردام (بهولندة) ثم بجامعة لندن.

122– نِيبِرغْ (1306 . 1394 هـ = 1889 . 1974 م) هنريك صموئيل نيبرغ H. S. Nyberg: من كبار المستشرقين من السويد. تخرج بجامعة أوبسالة وسمّي فيها أستاذاً للعربية (1919) فأستاذاً للّغات السامية (1931 . 1956) وألقى محاضرات حول «حماسة أبي تمام» وأمضىَ سنتين في القاهرة (1924 و1925) وأحسن معرفة اللغات العبرية والأوغاريتية والآرامية والسريانية والأثيوبية. و نشر كتاباً عن محيي الدين ابن عربي, وآخر عن « المعتزلة» وتعمق في اللغة الفهلوية (الفارسية) وله فيها كتاب ظهرت طبعته الثانية على أثر وفاته. ونشر بالعربية كتباً منها « الشجر» لابن خالويه و« التدابير الإلهية» لابن عربي و« الرد على ابن الراوندي» و« الفرق بين الفِرَق» للخياط. وكان أحد أعضاء المجمع السويدي الثمانية عشر.

123– الدكتور كاسْكِل (1314 . 1390 هـ = 1896 . 1970 م) ورنر كاسكل Werner Caskel: مستشرق ألماني. ولد في دانزيج (Danzig) ودرس في جامعة برلين وأصبح أستاذاً في جامعة كولون. له 11 كتاباً جلها يتعلق بتاريخ العرب. منها

« مملكة لحيان» و« أيام العرب» و« جزيرة العرب في عهد اليونان والفرس» و« جزيرة العرب قبل الإسلام وفي صدر الإسلام» كلها مطبوعة بالألمانية, فضلاً عن نحو 90 بحثاً, في دائرة المعارف الإسلامية, عن « عبد القيس» و« أجأ وسلمى» و« عدنان» و« أسد» و« باهلة» و« عاملة» و« عكّ» و« ضبة» وبعض الشعراء والفرسان وغير ذلك.

124–بارْثْ (1267 . 1332 هـ = 1851 . 1914 م) ياكُب بارت Jacob Barth: مستشرق ألماني. كان يدرّس العربية في الكلية الإكليركية بجامعة برلين. من كتبه بالألمانية « أبحاث في الشعر العربي القديم» وكتاب في « الآَداب العربية والعبرية» ونشر بالعربية « ديوان القطامي» و« فصيح ثعلب».

125– يُولْيُوس (1005 . 1078 هـ = 1596 . 1667 م) ياكُب يوليوس (يعقوب جوليوس) Jacob Golius مستشرق هولندي. ولد في لاهاي, وأخذ العربية عن إربينيوس في ليدن. وقام برحلتين إلى المغرب الأقصى وسورية, اشترى فيهما كثيراً من المخطوطات. وخلَف إربينيوس في تدريس العربية بجامعة ليدن (سنة 1624) فاستمر إلى أن توفي. له « معجم عربي لاتيني . ط» ومما نشر بالعربية « عجائب المقدور» لابن عرب شاه.

126–رازْمُوسِنْ(1199 . 1242 هـ = 1785 . 1826 م) ينس لاسِن رازموسن I. Lassen Rasmussen: مستشرق دانميركي. أخذ العربية عن دي ساسي بباريس. وعين محاضراً بجامعة كوبنهاجن (سنة 1813) فأستاذاً للعلوم الشرقية بها. وصنف بلغته كتباً في تاريخ العرب قبل الإسلام, وكتاباً فيما كان من التعامل التجاري بين العرب والصقالبة في القرون (الميلادية) الوسطي, ونقل قسماً من ألف ليلة وليلة. ونشر بالعربية قطعة من تاريخ حمزة الأصفهاني, مع ترجمتها إلىَ اللاتينية.

127–الفرنسيسي(000 . بعد 1256 هـ = 000 . بعد 1840 م) يوحنا بن يوسف ماري الفرنسيسي: مستشرق أو مستعرب, نقل بخطه الجميل نسخة من كتاب « مفاخرة الأزهار والنباتات الناضرات, ومجاهرة الأطيار والجمادات الناطقات . خ» في دار الكتب, غير معروف المؤلف كتبها سنة 1840, ولعلّ له غيرها.

128–بُرْجُشْتال(1188 . 1273 هـ = 1774 . 1856 م) يوسف حامِر (أو جوزيف هَمّر) برجشتال Joseph Freiherr Von Hammer Pursgstall: مستشرق نمسوي, من أعيان العلماء. ولد في جراتز (بالنمسا) وتعلم في مدرستها ثم في جامعة فينة. وبرع في العربية والفارسية والتركية. وكان شاعراً بالألمانية. وعين سكرتيراً ومترجماً للسفير النمسوي في الآَستانة, فمستشاراً للسفارة النمسوية في باريس (1810) فترجماناً للأمبراطور فرنسيس الأول. فمستشاراً له. ومنحه الأمبراطور لقب « بارون» سنة 1835 وتنقل كثيراً في أوروبة. وزار مصر والشام وإيران. وأنشأ في فينة «أكاديمية العلوم» وتولىَ رئاستها. وتوفي في فينة, ودفن في قبر بناه لنفسه علىَ الطراز العربي. كان يحسن عشر لغات. وصنف بالألمانية كتباً كثيرة, منها « تاريخ الآَداب العربية» في سبعة مجلدات, ولم يتمه, و « تاريخ الدولة العثمانية» في 10 مجلدات. وترجم « ديوان المتنبي» إلىَ الألمانية شعراً. وكان يقيم صلاته بالعربية. وله « ميقات الصلاة في سبعة أوقات . ط» بالعربية والألمانية. ونشر كتباً عربية منها « أطواق الذهب» للزمخشري, و رسالة «أيها الولد» للغزالي.

129–الدكتور شَخْت(1320 . 1390 هـ = 1902 . 1970 م) يوسف شخت Joseph Schakhet: مستشرق هولاندي من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق. ولد في مدينة راتيبور, بألمانيا. ودرس اللغات الشرقية وتخصص بالعربية. ونال الدكتوراه في الفلسفة عام (1923) ودرّس اللغات الشرقية بجامعة فرايبورغ (1927) وانتقل إلىَ جامعة كونكسبرج (1932) وفي عام (1934) عين أستاذاً لتدريس اللغات الشرقية في الجامعة المصرية. وعمل في وزارة الاستعلامات البريطانية (1939 . 45) وتجنس بالجنسية البريطانية. ودرّس في جامعة أكسفورد أكسفورد وجامعة الجزائر فجامعة ليدن (بهولندة) (1954 . 59) ثم في جامعة كولومبيا بنيويورك. من أعماله في خدمة العربية تصحيح كتب للخصاف ولمحمد بن الحسن الشيباني وللقزويني, وجزأين من « الشروط» الكبير, للطحاوي, وكتاب جالينوس في « الأسماء الطبية» من ترجمة حنين وكتب أُخرىَ في الفقه والفلسفة والطب. وله مؤلفات باللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية في « تاريخ الأدب

العربي» و « الفقه الإسلامي» وله في مجلة المشرق ثلاث محاضرات بالعربية في « تاريخ الفقه الإسلامي».

130–ولِهَوْسن(1260 . 1336 هـ = 1844 . 1918 م) يوليوس ولهوسن J. Wellhausen: مستشرق ألماني. قال بروكلمن: كان من أساتذة مدرسة «غوتنجن». صنف بلغته كتباً في « تاريخ الدولة الأموية» و« دين العرب في الجاهلية» ونشر بالعربية, مع ترجمة ألمانية, الجزء الثاني من « أشعار الهذليين» وكان كوسغرتن قد نشر الجزء الأول منه. وقال شيخو: صنّف التآليف المدققة في تاريخ العرب قبل الإسلام وآثارهم الدينية والمدنية, ثم تتبع أخبارهم بعد الإسلام في عهد بني أمية وبني العباس إلى سقوط تلك الدولة, وتآليفه هذه من أجود ما كُتب في هذا الصدد[1] وله تآليف أخرىَ عن الأسفار المقدسة ذهب فيها مذهب الإباحيين.

131– كُوزِجارْتِن(1207 . 1279 هـ = 1792 . 1862 م) يوهَن جوتْفريد لودفيك كوزجارتن Johann Gottfried Ludwig Kosegarten مستشرق ألماني. ولد في ألتنكيرشن (Altenkirchen) من أعمال بروسية, وتتلمذ بالعربية للمستشرق « دي ساسي» في باريس, ودرس معها التركية والفارسية والعبرية والأرمنية. وعاد إلى بلده (سنة 1814) فدعاه الوزير الشاعر الألماني «جوته» وعينه أستاذاً للغات الشرقية في ينا (Jéna) فمكث سبع سنوات, ترجم في خلالها عن العربية, أشعاراً نظمها «جوته» بالألمانية ونشرها في ديوانه ثم تولىَ تدريس اللغات الشرقية في جرافسولت (Greifswald) إلى أن مات. كان شاعراً بالألمانية, ابن شاعر. ونشر بالعربية مجلدين من «تاريخ الطبري» مع ترجمتهما إلى اللاتينية, ومجلداً من الأغاني مع ترجمته كذلك, و قسماً من شعر الهذليين, و كتاب «الموسيقىَ» للفارابي.

132– فِتْسشْتَايْن(1256 . 1323 هـ = 1840 . 1905 م) يوهن جوتفريد فتسشتاين Johann Gottfried Wetzstein: مستشرق ألماني. كان قنصلاً لحكومته في دمشق, فتعلم بها العربية. وجمع مخطوطات نفيسة عاد بها إلى برلين. ونشر بالعربية « مقدمة الأدب» و« معجم العربية والفارسية» كلاهما للزمخشري. وكتب بالألمانية وصفاً لرحلة قام بها إلى حوران وبادية الشام.

133–بُرْكْهـارْت(1199 . 1232 هـ = 1784 . 1817 م) يُـوهَن لودفيك بركهـارت Johann Ludwig Burckhart ويسـميه الإنجليـز «جـون لـويس»: مستشـرق سويسري رحالة. ولد في لوزان. ودرس في ليبسيك وغوتنجن في ألمانية. وزار إنجلترة سنة 1806 ودرّس في لندن وكمبردج. وتجنس بالجنسية الإنجليزية. ورحل إلى حلب (بسورية) فتعلم العربية وقرأ القرآن وتفقه بالدين الإسلامي. وزار تدمر ودمشق ومصر وبـلاد النوبـة وشـمالي السـودان, ثـم مضـىَ إلـى الحجـاز مسلماً أو متظـاهراً بالإسـلام وتسمىَ بإبراهيم ابن عبد الله, فأدىَ مناسك الحج وقضـىَ بمكة ثلاثة شهور, ثم عاد إلى القاهرة (سنة 1815) وقد أخذ منه الإعياء كل مأخذ. وفي السنة التي بعدها زار سيناء وعاد إلى القاهرة في يونيه (1816) وكان يعتزم السفر إلى فزان, ليبدأ منها رحلــة جديـدة للاستكشـاف, ولكنــه مـرض وتـوفي فـي القـاهرة, موصـياً بمجموعـة مخطوطاتـه إلـى جامعـة كمبـردج. وكتاباتـه كلهـا تـدور حـول رحلاتـه. كرحلـة للشـام والأراضـي المقدسة, و« رحلة لجزيرة العرب» و« معلومات عن البدو والوهابيين» و« رحلـة للجزيـرة مـع مـذكرات عـن حيـاة البـدو». وقد تولـت الجمعيـة الإفريقيـة بـإنجلترة نشرها. وله بالعربية « أمثال عربية . ط» مع ترجمتها إلى الإنجليزية.

134– رايْسْكِه(1128 . 1188 هـ = 1716 . 1774 م) يوهن ياكُب (يوحنا يعقوب) رايسكه Johann Jacob Reiske: مستشـرق ألمـاني, مـن الأطبـاء. ولـد فـي « زربيج» من أعمـال سـاكس, وتعلم العربيـة فـي هالّـه (بألمانيـة) واستكمل دراسته في ليدن. وعين فيها أستاذاً للطب والعربية. وتوفي في ليبسيك. نشر بالعربية « تاريخ أبي الفداء» مع ترجمة إلى اللاتينية, في خمسة مجلدات, ساعده فيها المستشرق أدلر (Adler) و« نزهـة النـاظرين فـي تـاريخ مـن ولـي مصـر مـن الخلفـاء والسـلاطين» لمرعي بن يوسف. ونقل إلى اللاتينيـة مقامـات الحريري, و معلقة طرفة, و الرسـالة الجدية لابن زيدون بشرح الصفدي[1] وإلى الألمانية منتخبات من شعر المتنب

=============

المؤتمرات > المؤتمرات >

نرحب بكم في هذا القسم من موقع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق والذي يختص بالحديث عن المؤتمرات والندوات. فقد أتيحت لمؤسس الموقع حضـور

عدد من الندوات والمؤتمرات في بعض البلاد العربية كالجزائر ومصر والمغرب، ودول أوروبية مثل هولندا وألمانيا وكانت له رحلة علمية إلى الولايات المتحدة. كما إن هذا القسم يضم بعض الندوات الصحفية التي كان الاستشراق موضوعها الأساس، كل ذلك بالإضافة إلى بحث نشر في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت حول مؤتمرات الغربيين. ففي هذا القسم تجد تقارير عن المؤتمرات وبعض المقالات الصحفية.

كما حرصت على أن يضم هذا القسم بعض التقارير التي نشرت في صحف عربية حول مؤتمرات استشراقية، نرجو لكم وقتاً مفيداً وممتعاً، كما نرجو أن لا تتأخروا في إرسال آرائكم ومقترحاتكم إلى المركز

==============

#نموذجان للمؤتمرات العلمية في العالم العربي

الجنادرية ومؤتمرات مؤسسة التميمي بتونس

نظّم الحرس الوطني بالمملكة خلال مهرجان الجنادرية الحادي عشر ندوة كبرى بعنوان (الإسلام والغرب) ودعي للمشاركة فيها عدد كبير من الباحثين العرب والمسلمين والأوروبيين والأمريكيين، واستمرت فعاليات الندوة أسبوعاً كاملاً تخللها عدد من النشاطات الأخرى.

وقد سعدت بحضور ندوتين سابقتين من ندوات الجنادرية إحداهما كانت حول منهج الدعوة إلى الله بالإضافة إلى الندوات الخاصة بالمسرح العربي. وقد حضرت هذه الندوة بتكليف من عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود وإعداد تقرير علمي عن مجريات الندوات مما مكنني من التعرف عن قرب على ندوات الحرس الوطني. وأما الندوة الأخرى فأذكر منها بعض المحاضرات مثل الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الأمريكية التي قدمها الدكتور عبد العزيز السويل. وتابعت ندوات الجنادرية الأخرى من خلال الإذاعة ووسائل الإعلام الأخرى. ولذلك سأعدها أحد النموذجين الذين سأتحدث عنهما في هذه المقالات.

تميزت ندوات الجنادرية بجدية الموضوعات وحسن اختيارها وجدارتها بالبحث والنقاش، كما تميز المشاركون بتنوع خلفياتهم ومشاربهم. وهذه البلاد تجعل العقيدة

الإسلامية منطلقها في جميع الأمور ومنها الندوات والمؤتمرات وذلك لأن الله عز وجل قد اختار الجزيرة العربية لتكون حرماً لهذا الدين كما جاء في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان)، فلا غرو أن يكون الجانب الإسلامي هو الأكثر عرضاً.

ومع ذلك فعملاً بالمنهج القرآني في سعة الأفق والحلم والحكمة في دعوة المخالفين فقد تعددت المشارب في ندوات الجنادرية عموماً. ويهمني أن أركز على الندوة الأخيرة لأنها عقدت منذ عدة أشهر ولقربها من اختصاصي العلمي وكانت بعنوان (الإسلام والغرب) فقد تحدث فيها من الأمريكيين صاموئيل هاتنقتون، ورالف برايبانتي وخالد بلانكشب، ومن الأوروبيين مراد هوفمان، ومن العرب المسلمين فهمي جدعان، وعبد الجليل التميمي، و ملحم كرم ومن المملكة أبو بكر باقادر، وعبد العزيز السويل. ومع ذلك فقد كتب أحدهم في إحدى الصحف العربية التي تصدر من بريطانيا في الأيام الأولى لانعقاد الندوة ينتقد غلبة الاتجاه الإسلامي ويرجع ذلك إلى نفوذ بعض أعضاء اللجنة الاستشارية الذين ينتسبون لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ولكن الحرس الوطني كان أبعد نظراً من هؤلاء الذين لو أتيحت لهم الفرصة لاختيار من شاؤوا لما تركوا لغيرهم مكاناً أبداً والأمثلة أكثر من أن تحصى.

وكان النقاش مفتوحاً بطريقة رائعة رغم العدد الكبير الذي يحضر الندوات ورغبة الكثيرين في التعليق أو طرح الأسئلة، ولم يضق مديرو الندوات بالمداخلات أو بالأسئلة. ففي إحدى الفقرات وكانت حول الجذور التاريخية للعلاقات بين الإسلام والغرب تحدث الدكتور عبد الجليل التميمي ويبدو أنه أخذته الحماسة في امتداح جهود الباحثين الغربيين (المستشرقين) في إبراز بعض النماذج المضيئة من التراث الإسلامي مثل ابن خلدون، ولما طلبت التعليق أشرت إلى أن الباحثين الغربيين أشادوا أكثر بالنماذج السيئة في التراث الإسلامي، وإنني راجعت دائرة المعارف الإسلامية التي يصدرها المستشرقون فوجدت التركيز على كثير من النماذج السيئة من أمثال ابن عربي والراوندي وثورة الزنج والإسماعيلية وإضفاء هالة من الأهمية على هؤلاء وإعطائهم مساحة أكبر مما يستحقون.

وتميزت ندوات الجنادرية بالاهتمام بالضيوف فبالرغم من الطابع العلمي الصارم للندوات إلاّ إن الكرم العربي الإسلامي واضح جداً في معاملة الضيوف وتحمل كافة المصروفات بل نقل الضيوف من الخارج على حساب الحرس الوطني.

وكانت التغطية الإعلامية جيدة لندوات الجنادرية لكن كان من الصعب على الجمهور في المدن الأخرى متابعة الندوات كما أشار إلى ذلك الدكتور سالم سحاب في مقالة له بأنه كان يود لو أعد برنامج يوضح الأوقات التي ستنقل فيها الندوات والمحاضرات ليتمكن المشاهدون من مشاهدتها أو تسجيلها إن لم يتمكنوا من المشاهدة في وقت عرضها. أما الندوات السابقة فحبذا لو أعطى الحرس الوطني حق توزيع تلك المحاضرات بعد طبعها في كتب، فهي ما تزال توزع عن طريق إدارة المهرجان فقد لا تصل إلى كل المهتمين بهذه الندوات.

وقد كانت ندوة الجنادرية لهذا العام فرصة لحصولي على دعوة لحضور المؤتمر العالمي الثاني حول المنهجية الغربية في دراسة العلوم الإنسانية والاجتماعية في العالم العربي وتركيا في تونس. وهو النموذج الثاني الذي سأتناوله في المقالتين القادمتين. وسبب حصولي على الدعوة هو النقاش الذي دار بعد محاضرة الدكتور عبد الجليل التميمي رئيس مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات المنظمة لهذا المؤتمر. فقد أزعجه تدخلي ومناقشتي إياه في مسألة إعجابه بالمستشرقين، فأوضحت له تخصصي في دراسة كتابات المستشرقين وقيامي في العام الماضي بزيارة العديد من الجامعات الأمريكية ومراكز البحوث والمعاهد المتخصصة في الدراسات العربية والإسلامية. وكان من أسباب دعوة التميمي لي لحضور المؤتمر في تونس هو أنه يريد منّي أن أطلع على نموذج من المؤتمرات العلمية العالمية التي يعقدونها هناك لأرى مستوى المدعوين والطرح العلمي. ووعدته بالاستجابة لدعوته.

ومن العجيب أنه لولا أن منّ الله عليّ بحضور ندوات الجنادرية لما لقيت الأستاذ التميمي ولما عرفت عن المؤتمر الذي تعقده مؤسسته، وهذا من التقصير الحاصل في العلاقات الثقافية بين البلاد العربية، وكذلك يشير إلى جانب من الجوانب التي سأتحدث عنها في النموذج الثاني من المؤتمرات العلمية في العالم العربي في الأسطر القادمة.

تناولت في الأسطر السابقة ندوات الجنادرية بصفتها أحد النموذجين الذين اخترت الحديث عنهما من المؤتمرات العربية، وأوضحت مدى ما تتمتع به ندوات الجنادرية من الجمع بين الالتزام بالإسلام والحرص على قيمه ومثله وأخلاقه والتفتح على وجهات النظر الأخرى والحرص على العرض المتوازن للاتجاهات كافة بما فيها تلك التي اعترى فهمها للإسلام بعض الشوائب أو النقص أو حتى التي تعادي الإسلام بطريقة خفية بسبب الجهل أو العمد.

وأتناول فيما يأتي نموذجاً آخر لمؤتمر عقد في تونس نظمته مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات بالتعاون مع مؤسسة كونراد إديناور للبحث العلمي الألمانية. وكان المؤتمر بعنوان:" المؤتمر العالمي الثاني حول المنهجية الغربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية في العالم العربي وتركيا." في الفترة من 2إلى 6 مايو 1996م الموافق 15–19 ذي الحجة 1416هـ.

شارك في المؤتمر باحثون من الدول العربية الآتية: سوريا، ولبنان، والأردن، ومصر، وتونس، والمغرب، والجزائر، والسعودية، وشارك باحثون من فرنسا وإيطاليا وروسيا وبلغاريا .وبلغ عدد البحوث التي قدمت اثنان وثلاثون بحثاً. وأود أن أقدم أولاً بعض الملاحظات العامة حول هذا المؤتمر وأخلص في نهاية المقالتين إلى خصائص هذا النموذج .ومن هذه الملاحظات :

1–تحدث معظم الباحثين المغاربة من تونس والجزائر والمغرب باللغة الفرنسية، وكذلك كان حوارهم وجدالهم ونقاشهم باللغة الفرنسية، وأخص من هؤلاء متخصصاً في اللغة العربية، وثانياً أستاذاً للتاريخ الإسلامي بجامعة الزيتونة، بينما تحدث الأوروبيون بلغاتهم مع أن بعضهم يجيد اللغة العربية تماماً.

2– تضمن المؤتمر حفلة غناء وطرب وقد أشار أبو القاسم سعد الله في كتابه " أفكار جامحة" (ص254)إلى أن هذه بعض المؤتمرات السابقة كانت تتضمن رقصاً شرقياً

3– تطلب مؤسسة التميمي نسخ البحوث من الباحثين ولكن ما يوزع على المشاركين هو فقط ملخصات البحوث بينما المتعارف عليه إعطاء المشاركين نسخاً كاملة من البحوث في بداية المؤتمر حتى يتسنى لهم قراءتها والتعليق عليها في أثناء الجلسات

أو بعدها. بل إن الحصول على نسخة كاملة من أي بحث تعد من الأمور الصعبة جداً وكأنه سر خطير.

4- أشار أحد الباحثين إلى أن حضور المؤتمرات إنما هو لتجديد التعارف ولقاء الأصدقاء وليس لتقديم بحوث علمية جادة، وقد وصف أبو القاسم سعد الله بعض من يحضر مؤتمرات التميمي بأنهم لا يقدمون علماً بل هم من الصنف(الباير) كما أشار إلى حضور بعض الأجانب الذين لا علاقة لهم بالموضوع فقط ليطلعوا على ما يدور في مؤتمراتنا.

5-المشاركون في ندوات مؤسسة التميمي والمؤسسة التي سبقتها بإشراف الدكتور عبد الجليل التميمي هم مجموعة لا تتغير كثيراً، ومن خلال استعراض الأسماء المشاركة في المؤتمرات السابقة ومنذ أكثر من عشرين سنة نجد أنهم هم هم تقريباً.

6- يتم تسجيل جميع ما يدور في المؤتمر من بحوث ونقاشات وهو أمر يحد إلى حد كبير من حرية الباحثين في النقاش.

7-لاحظت أن رئاسة المؤتمر وهي رئاسة المؤسسة تقوم بإجراء تعديلات على البحوث عند إعدادها للنشر بطريقة تسلطية لا تتفق مع الأمانة االعلمية، وبخاصة إذا كانت لا تتفق وميول المؤسسة.

ونظراً لكثرة البحوث التي قدمت فإنني سأختار أبرز النقاط التي أثيرت في بعض هذه البحوث وما دار حولها من نقاش. فمن هذه البحوث ما قدمه رئيس المؤسسة الدكتور عبد الجليل التميمي بعنوان "هموم الباحث العربي والتونسي بصفة خاصة والمشاريع العلمية المعطلة." تناول فيه مسألة البحث العلمي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية وضعف الاهتمام بهذا الجانب على مستوى العالم العربي وأكد ضرورة إعطاء أهمية ووزناً أكبر لدور البحث العلمي في منظومة التنمية الشاملة، وبالرغم من مرور أكثر من أربعين سنة على استقلال الدول العربية فإن "المؤسسات العربية ومختلف منظماتها لم تنجح في إصدار دائرة معارف عربية واحدة للعلوم الإنسانية والاجتماعية مثلا أو دائرة معارف لتاريخ الأمة العربية على الرغم من تشكيل مئات اللجان بهذا الخصوص والتي باءت جميعها بالفشل."

ومن الملفت للانتباه أن ضعف الاهتمام بالبحث العلمي من أبرز أسباب ظاهرة خطيرة وهي هجرة الأدمغة العربية إلى الغرب حيث إن العالِم لا يستطيع أن يواصل مشوراه العلمي دون أن تتوفر له أدوات البحث والمؤتمرات والندوات والدوريات فإن لم يجدها فإنه يبحث عنها في أي مكان من العالم.

ونبّه التميمي إلى مسألة خطيرة وهي أن فرنسا "هي الدولة الأجنبية الوحيدة التي تقدم دعمها بصورة متواصلة ومكثفة سعيا منها لدعم حضورها المعرفي والبحثي." وتجدر الإشارة هنا إلى القناة الفرنسة الثانية التي تبث عدداً من الساعات لنشر الثقافة الفرنسية وما فيها من جوانب مادية وإباحية. واستغرب التميمي من عزوف المؤسسات التجارية والبنوك عن تقديم أي دعم مادي للبحث العلمي في حين أن بعض هذه المؤسسات تدعم قطاع الرياضة بالتبرعات السخية. ويعلل ذلك بقوله :"ويرجع ذلك إلى ضعف المكونات الحضارية لهذه الشخصيات(المتبرعين)."

ولفت انتباهي في محاضرة التميمي انتقاده للمؤسسات العربية التي تقدم الدعم لبناء المساجد وتعزيز الحضور الديني للجاليات الإسلامية، ويرى التميمي أن هذا الدعم يجب أن يتوجه لدعم البحث العلمي سواء في أوروبا أو في العالم العربي للدفاع عن الثوابت والقيم الحضارية العربية. ولكن ربما لا يعرف التميمي أن ثوابت الأمة العربية وقيمها هي الثوابت والقيم الحضارية الإسلامية ومنها بناء المساجد والوجود الديني، ولم يقل أحد بأن الإسلام ينحصر في المسجد بل الإسلام هو الحياة كلها: {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين}

قدمت فيما مضى موجزاً لمحاضرة الدكتور التميمي حول هموم البحث العلمي في العالم العربي في مجال الدراسات الإنسانية والاجتماعية، وهو موضوع يستحق أن تعقد له ندوات ومؤتمرات ليس للخروج بتوصيات براقة ولكن حبذا لو اشترك في ذلك بعض المسؤولين الحكوميين لتكون التوصيات بمنزلة القرارات .

وقدم الدكتور على فهمي من مركز الدراسات العربية بالقاهرة محاضرة حول الأدوات البحثية الغربية في العلوم الاجتماعية ومدى ملاءمتها للعالم العربي، وأكد في محاضرته أن التجربة قد أثبتت عدم ملاءمة كثير من هذه الأدوات للعالم العربي. ولكن ما لم يتناوله الدكتور فهمي استخدام مناهج البحث الاجتماعي الغربي وهي

التي كان يجب البحث فيها، كما إن أدوات البحث الاجتماعي لم تكن مجهولة تماماً لدى المسلمين فعملية المسح الاجتماعي عرفت منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعرفت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين كان يقوم بالعس ليلاً ليتفقد أحول الرعية. كما إن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أرسل إلى القبائل من يقوم بإحصاء النفوس وما يملكون من ماشية وعدد ضيوفهم ليقدر لهم الأعطيات، وكانت الثقة كبيرة بين الدولة والأفراد فما كان من المتوقع أن يمتنع أحد عن تقديم المعلومات الصحيحة والدقيقة. أما في عصرنا الحاضر وكما أشار الدكتور فهمي فإن من أكبر الصعوبات الحصول على المعلومات من الجمهور.

وتناول الدكتور مسعود ضاهر من الجامعة اللبنانية مركز الدراسات العربية المعاصرة بجامعة جورجتاون بواشنطن العاصمة فتحدث عن المركز منذ إنشائه عام 1975حتى الآن. وأشار إلى نشاطات المركز من عقد الندوات والمحاضرات ونشر الكتب والبرامج الجامعية التي تخرج فيها ثلاثمئة دارس يحملون درجة الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة ويعملون في القطاع الحكومي وفي الشركات. وأشاد الدكتور ضاهر بالمركز في قوله:" ويشعر الأستاذ الزائر أن نشاط هذا المركز عن الوطن العربي يعادل نشاط عدد كبير من الجامعات العربية مجتمعة." كما أشاد بحسن التنظيم في المركز. وأود أن أضيف بأننا ينبغي أن نفيد من تجربة الغربيين في دراسة العالم الإسلامي، وليس المقصود هنا التقليد ولكن الاقتباس في التنظيم حيث إن لنا أهدافنا الخاصة التي تختلف عن أهدافهم.

وكانت محاضرة الدكتور نور الدين الصغير من قسم التاريخ بجامعة الزيتونة بعنوان "الإسلاميات التطبيقية والانثربولوجيا الدينية" دعا فيها إلى ضرورة " إثراء معارفنا بمختلف وسائل التجديد الفكري والاعتماد على البحوث الانثروبولوجية الدينية والمعرفية والعامة." وتناول مسألة " المقدس والمحرم" وأشار إلى بعض الشخصيات التي ظهرت في التاريخ الإسلامي وتجرأت على مناقشة " المقدس" (النص القرآني) و(الحديث النبوي) ومن هؤلاء ابن الراوندي وأحد خلفاء بني أمية وانتقد بعض المصطلحات الإسلامية مثل "دار الإسلام " و" دار الكفر" وأن هذا المصطلح " عشعش في أذهان المسلمين زمناً طويلاً". ورددت عليه في هذا بأن المصطلح ليس

فيه ما يعيب فما ذا كان الغربيون يسمون ديار المسلمين؟ بل ما ذا يطلقون علينا حتى اليوم؟ لماذا نخجل من مصطلحاتنا؟

وقد كان ملفتاً للانتباه أن الدكتور عبد العظيم رمضان الذين يدعي أنه " يساري وتقدمي" غضب من اتهام أحد خلفاء بني أمية (الوليد بن يزيد) بأنه مزّق المصحف فقال لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً فالوليد يعد من العلماء. وقد أكد لي هذا أن الفطرة حتى لدى التقدمي واليساري تستيقظ أحياناً للدفاع عن مقدسات الأمة كما لا لاحظت قوله في أثناء غضبه من المحاضر قوله (سيدنا رسول الله)

وكان لي حديث مع الدكتور الصغير خارج قاعة المحاضرات فقلت له إنكم تريدون نزع القداسة عن القرآن الكريم والحديث الشريف فما بالكم تضفون القداسة على كلام البشر ؟ماذا يفيدكم نزع القداسة عن القرآن الكريم أو الحديث الشريف؟

وقدّمت بحثاً بعنوان "منهجية التعاون العلمي بين العالم العربي والغرب :الواقع والمثال " بدأت الحديث بالبسملة وكدت أكمل بالحمد والثناء على الله عز وجل لولا أنني خفت أن يمنعوني من تقديم موضوعي. أما المحاضرة فقد أوضحت فيها الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية للتعاون العلمي الحالي. فمن الجوانب الإيجابية الاهتمام الكبير بالدراسات العربية الإسلامية في الغرب، وتوفر بعض الباحثين الغربيين الذين خرجوا على النظرات التقليدية في محاربة الإسلام والمسلمين. وكذلك من الجوانب الإيجابية وجود عدد من الأساتذة المسلمين إما من أصل أمريكي أو من العالم الإسلامي يقدمون صورة صحيحة عن الإسلام عقدية وشريعة وتاريخاً واقتصاداً00الخ. وكذلك من الإيجابيات قيام كراس للدراسات الإسلامية في الجامعات الكبرى مثل كرسي الملك فهد في جامعة لندن (مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية) وكرسي الأمير نايف في جامعة موسكو، وكذلك السماح بإنشاء المعاهد الإسلامية ومراكز البحوث مثل معهد العلوم العربية والإسلامية في واشنطن التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وكذلك المعهد العالمي للفكر الإسلامي بهرندن بفرجينيا وكذلك المراكز الإسلامية المتعددة في الغرب والتي أسهمت المملكة إسهاماً مباركاً في الكثير منها.

أما الجوانب السلبية فتتمثل في أن كثير من الجامعات الغربية والأمريكية ما تزال تحتفي بالمتغربين من أبناء العالم الإسلامي وتوفر لهم فرص التدريس والبحث وحضور الندوات والمؤتمرات في الغرب، وتكاد الفرص تقتصر على هؤلاء، بل إن الغرب وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية احتضنت الماركسيين واليساريين العرب بعد زوال الشيوعية ـ بعضهم تلقى الماركسية في أمريكا نفسها مثل صادق جلال العظم.

وهكذا فإن من أبرز ملامح هذا النموذج –المؤتمر العالمي في تونس– عدم التوازن في عرض وجهات النظر وإن مثل هذه المجموعة تضيق بالنقد إذا وجه إليهم ، ويعدون أنهم المتنورون وأن غيرهم في ظلام وتخلف. وتلك نرجسية عجيبة فإن ما يزعمونه من التنوير وبعد الأفق أن تقبل آراءهم وتسير في ركابهم وإلاّ فإنهم مستعدون لإخراج كل ما في جعبتهم من التهم الجاهزة والشتائم ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

================

#المؤتمرات الاستشراقية الحديثة حول الإسلام والمسلمين([1])

د. مازن صلاح مطبقاني

المقدمة

ما المؤتمرات؟ هل هي لقاء مجموعة من الباحثين والعلماء لتقديم بحوث وأوراق عمل ونقاشات ومناسبات اجتماعية على هامش المؤتمرات ؟هل لها جدوى علمية ؟ هل المؤتمرات تسلية ووجاهة وانتداب أو هي عمل وتخطيط ودراسة؟

بدأ الأوروبيون منذ أكثر من قرن وربع في عقد مؤتمر دولي كل عدة سنوات – لا تتجاوز خمساً– للبحث في مجال الدراسات الاستشراقية التي تضم الهند والصين وجنوب شرق آسيا، ولكن الدراسات الإسلامية كانت وما تزال المحور الأساس لهذه المؤتمرات. وقد عقد المؤتمر الأول عام 1873 في باريس وبلغت حتى الآن خمساً وثلاثين مؤتمراً، كان آخرها الذي عقد في بودابست بالمجر في الفترة من 3–8ربيع الأول1417هـ، الموافق 7–12يوليو 1997م. وقد قدم فيه ما يزيد على ألف بحث.

وقد أصبحت المؤتمرات والندوات من الكثرة بحيث يصعب على الباحث أن يحصرها أو يتناولها جميعاً بالبحث والدراسة ولذلك سوف تقتصر هذه الدراسة على نماذج من هذه المؤتمرات والندوات التي أتيح لي الاطلاع على بعض المعلومات عنها، بحيث نقدم معلومات عن الموضوعات التي يتناولها المؤتمر أو الندوة، وكذلك معلومات عن المشاركين وأهمية توجهات المشاركين في هذه المؤتمرات ونتائج وتوصيات المؤتمرات. وسوف ينقسم البحث إلى ثلاثة محاور:

المحور الأول: اهتمام الاستشراق بالمؤتمرات والندوات، وأهمية المشاركة العربية الإسلامية في هذه النشاطات.

المحور الثاني: مؤتمرات عامة حول الإسلام والمسلمين

المحور الثالث: مؤتمرات وندوات متخصصة :في الأدب، حول المرأة، حول التاريخ ...الخ.

المحور الأول: اهتمام الاستشراق بالمؤتمرات والندوات وأهمية المشاركة فيها.

الاهتمام بالمؤتمرات

اهتم الاستشراق بعقد الندوات والمؤتمرات فقد ذكرنا أن الاتحاد الدولي للمستشرقين قد بدأ عقد مؤتمراته وندواته منذ عام 1873م وبلغت هذه المؤتمرات خمساً وثلاثين، ولكن هناك جمعيات إقليمية ومحلية، كما أن هناك جمعيات متخصصة في مجالات محددة كالأدب العربي مثلاً أو الدراسات العثمانية وغيرها. فمن الجمعيات الجمعية الاستشراقية الأمريكية التي دأبت على عقد اجتماع سنوي هو بمنزلة لقاء علمي. كما أن الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط تقعد مؤتمراً سنوياً تختار له موضوعاً كل عام. وهناك رابطة دراسات الشرق الأوسط التي بدأت في عقد مؤتمرها السنوي منذ إنشائها عام 1967م، وكانت موضوعاتها في البداية محددة ثم توسعت حلقات البحث حتى أصبح هذه المؤتمرات تتناول كل ما يتعلق بالشرق الأوسط.

وقد تناول صالح الصقري اهتمام مراكز دراسات الشرق الأوسط في الغرب بعقد المؤتمرات بقوله :" إن أبرز ما يميز مراكز دراسات الشرق الأوسط عقد المؤتمرات العلمية بشكل دوري مستمر حتى أصبحت مواعيدها ثابتة لسنين طويلة ومعروفة من قبل الباحثين ..."([2])ويضيف قائلاً حول كثرتها وتعددها :" ولتعدد هذه المؤتمرات

وكثرتها واختلاف مواقعها أصبح الباحث لا يستطيع المشاركة ولا مجرد الحضور، ولذلك يضطر إلى اختيار مؤتمرات معينة في السنة الواحدة."([3])

ومن مظاهر الاهتمام رعاية الدول الغربية لها فهذه المجر حضر رئيس الجمهورية فيها الجلسة الافتتاحية للمؤتمر العالمي للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية ، وألقى كلمة في الجلسة الافتتاحية كما حضر الحفل الذي أقيم على شرف المشاركين في المؤتمر. كما أن وزارة الخارجية السويدية تبنت عقد مؤتمر كبير لبحث قضية المسلمين في أوروبا.([4]) وقد نشرت الصحف أن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية تعقد ندوة مفتوحة حول الحركات الإسلامية " الأصولية" في العالم الإسلامي وتدعو لحضورها عدد من الباحثين المتخصصين في هذا المجال.([5])

أهداف المؤتمرات :

وقد اهتم محمد محمد حسين بالمؤتمرات الغربية فذكر أن من أهدافها ما يأتي :

أ- إيجاد روابط وعلائق باسم الصداقة والتعاون

ب- استمرار الجهود المبذولة لهدم الإسلام أو تطويره وجعله آلة من آلات الدعاية الاستعمارية لصيانة المصالح الأمريكية والغربية

ج-إن المؤتمرات وسيلة من وسائل الاتصال القريب المباشر بالمسؤولين "يعجمون عودهم ويدرسونهم عن قرب ويختبرون مدى مناعتهم ومدى استعدادهم للتجاوب مع الأهداف الخفية للسياسة الاستعمارية كما يختبرون مواطن القوة والضعف في كل واحد منهم لمعرفة أنجح الوسائل للاتصال بهم والتأثير عليهم .."([6])

د - ومن الأهداف التي ذكرها حسين " خدمة الأغراض الجاسوسية الأمريكية التي ترسم الخطط السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهذه المنطقة."([7]) وهو ما أكده أبو القاسم سعد الله في ملاحظاته حول مؤتمرات تعقد في بلد عربي بتمويل غربي في الغالب حيث كتب يقول:" فإن فيهم [الأجانب الذين يحضرون هذه المؤتمرات]من لا صلة له بهذا الميدان ولا بالإنتاج التاريخي وإنما جاء لكي "يطلع" على ما يجري في الساحة الشرقية من آراء وأفكار، ويرصد ما في أذهان المتحدثين العرب والمسلمين من تيارات ونوايا ومخططات، ويتعرف على ما في كل بلد من هذا العالم

العربي والإسلامي الممزق من أشخاص يمكن التعامل معهم والاعتماد عليهم وقت الحاجة..."([8])

ويرى الدكتور فهد السماري أن من أهداف المؤتمرات أنها تسعى إلى توسيع نطاق حركتها لاستمرار هذا النوع من الاستشراق ونشر آرائه ووجهات نظره عالمياً، والخطوة التالية التي تخطط لها هذه المؤسسات لكي تصل إلى هؤلاء الذين يتمكنون من متابعة الفكر الاستشراقي ولكي تزيد من رقعة تأثيرها المباشر."([9])

المشاركون في المؤتمرات:

وتناول محمد محمد حسين شخصيات المشاركين في هذه المؤتمرات فذكر أنهم يندرجون تحت التصنيفات الآتية:

1- "قسس يحترفون التبشير ."

2- سياسيون يعملون في وزارات الخارجية الغربية

3- الغربيون الذين يعرفون البلاد العربية.

4- المسلمون أمريكيو الثقافة والذين لهم القدرة على توجيه التفكير في بلده فهم إما أستاذ جامعي أو رئيس تحرير أو وزير معارف.([10][11])

5- ويمكن أن نضيف- من واقع المشاهدة والمتابعة- أن بعض المتغربين أو حتى المحاربين للإسلام من أمثال نصر حامد أبو زيد ومحمد سعيد العشماوي ونوال السعداوي أصبحوا يدعون في كثير من المؤتمرات في الغرب.(*)

ويضيف حسين إنه حين يدعى إلى هذه المؤتمرات من لا تنطبق عليه المواصفات السابقة فإنه إنما يدعى " لستر أهداف المؤتمر [المؤتمرات] ليكونوا كنماذج البائع الغشاش التي يغطي بها البضاعة الفاسدة ليوهم المشتري أن كل بضاعته من ذاك النوع الجيد وليكونوا هم العسل الذي يستعان به على إخفاء مرارة الأباطيل."([12])

تمويل المؤتمرات:

ذكر الصقري في بحثه حول المؤتمرات في مراكز دراسات الشرق الأوسط أن تمويلها يتم بأن يقوم الباحثون بدفع رسوم معينة وتحمل نفقات سفرهم وإقامتهم. ولكن الحقيقة أن المؤتمرات تكلف أكثر من الرسوم التي يقوم بها الحضور ولكنها تساعد فقط. وفي الوقت الذي لم يكن لدى البلاد العربية الإسلامية ما تنفقه على باحثيها وعلمائها

فقد كانت المؤسسات الغربية تقوم بدفع التكاليف. فهذه مؤسسة روكفللر تنفق على أحد المؤتمرات التي تناولت قضايا التربية في العالم العربي.

وإنفاق المؤسسات الغربية على المؤتمرات يصل أحياناً إلى البذخ فقد تكفل المؤتمر التربوي الذي عقدته الجامعة الأمريكية ببيروت وتولت مؤسسة روكفللر الإنفاق عليه أن استضافة المؤتمرين من وزراء ومسؤولين كبار دامت مدة أربعة أشهر.([13]) وقد استضافت جامعة لندن عام 1957م اثنين من الباحثين العرب للعمل في إعداد الترتيبات لمؤتمر مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية حول التاريخ الإسلامي مدة ثلاثة أشهر وهذا الباحثان هما: جمال الدين الشيال وعبد العزيز الدوري([14]). وقد أسهمت العديد من الشركات والمؤسسات والبنوك في تمويل المؤتمر العالمي الخامس والثلاثين للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية ومنها على سبيل المثال:

1- اليونسكو ،

2- مؤسسة سوروس Soros Foundation ،

3- الاتحاد الدولي للدراسات الشرقية والآسيوية،

4- مؤسسة كوماتسو شيكو اليابانية ،

5- بنك اكسيم Eximbank.

6- مؤسسة هوفمان وشنايدر المالية Hofmann& Schneider Capital AG وغيرها.

ومن الجهات التي تمول الندوات والمؤتمرات الاستشراقية الاستخبارات العربية والإسلامية تحت مسمى (مكتب معلومات الدولة كذا والدولة كذا)، كما تقوم السفارات بتمويل الندوات والمؤتمرات فقد أسهمت السفارة اليونانية في بريطانيا بتمويل ندوة حول مرور خمسمائة عام على سقوط القسطنطينية وقامت بتنظيمها مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن عام 1954م.

ومن الجهات التي تمول المؤتمرات والندوات حول العالم الإسلامي مؤسسة كونراد إديناور للبحث العلمي التي مولت عدة مؤتمرات عقد في إسرائيل منها مؤتمر الجهاد والسلام(أبريل 1996) وعدة مؤتمرات قامت بها مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات في تونس. ولهذه المؤسسة مكتب دائم في تونس.

ولليهود مؤسسات كثيرة تمول مؤتمراتهم عموماً منها مثلاً معهد بحوث الشتات ، ومعهد موريتمر وريموند ساكلر للدراسات المتقدمة Mortimer and Raymond Sackler.

المشاركة العربية الإسلامية في المؤتمرات:

ذكرنا فيما سبق نماذج من المشاركين أو الذين يدعون إلى حضور المؤتمرات والندوات، ولكن هناك فئة يمكن أن تشترك لتظهر الوجه الحقيقي للإسلام وتقوم بمسؤوليتها في الدعوة إلى الله وجدال أهل الكتاب بالتي هي أحسن بالإضافة إلى ما تحققه المشاركة من دعاية للدول التي تشارك ومدى اهتمامها بالعلم والعلماء. ولكن هناك الكثير من العقبات والعراقيل تقف في وجه هذه المشاركة. وقد أشار يوسف أسعد داغر في تقريره عن المؤتمر الدولي للمستشرقين الرابع والعشرين إلى ضعف المشاركة العربية حيث كتب يقول:" من دواعي الأسف المرير، ألاّ تولي الدول العربية بما فيها من حكومات ومنظمات وهيآت ومعاهد ثقافية عالية، مؤتمرات الاستشراق ، الأهمية التي يجب أن توليها إياها...وأشار إلى الهدف من الحضور بقوله:" فإشراك الدول العربية والهيآت العلمية العليا فيها، بوفود قوية، مشهود لأصحابها بالاختصاص، والاستبحار بهذه الدراسات يكون خير سفارة للبلد ترفع من شأنه وتعلي من جانبه في الغرب، بين الأوساط العلمية."([15])

ويرى باحث آخر أن من أسباب العزوف عن حضور المؤتمرات الاستشراقية والمشاركة فيها أن هذه المؤتمرات قائمة على التعصب الأعمى لكل الموروثات الإسلامية وكما يقول السيد محمد الشاهد:" وبالرغم من صدق هذا التصور على كثير من الغربيين إلاّ أن كثيراً منهم أيضاً مُضَلّلون ويبحثون عن الحقيقة ويضعون موروثاتهم موضع النقد، وقد لمست وعايشت ذلك في كل تلك الندوات التي شاركت فيها ... لأن عدم مشاركتنا فيها يفسخ المجال لتثبيت الشبه الباطلة ضد الإسلام والمسلمين وترويج شبهات جديدة من جهة أخرى."([16])

ويشارك الصقري الشاهد في التأكيد على أهمية حضور المؤتمرات الاستشراقية بقوله:" من خلال تلك المحاضرات السابقة وعدد الحضور والمشاركين تبين لنا أهمية مثل هذه المؤتمرات إلاّ أنه للأسف نجد أن مشاركة العرب والمسلمين فيها ضعيفة

جداً سواء أكان حضوراً أم مشاركة أم مناقشة على الرغم من أن ما يطرح من موضوعات له أثر ضخم في توجيه الرأي العام في الغرب عامة، وعلى صانعي القرارات السياسية بوزارات الخارجية المعنية بمنطقة الشرق الأوسط."([17])

ومما يؤكد أهمية مشاركتنا في المؤتمرات والندوات العالمية أو حتى الإقليمية التي تتناول قضايا العالم الإسلامي أن عدونا الصهيوني انتبه إلى أهمية المشاركات ففي المؤتمر العالمي للدراسات الآسيوية و الشمال أفريقية تقدم لحضور المؤتمر حوالي خمس وسبعون باحثاً من دولة " إسرائيل" هذا بالإضافة إلى اليهود الذين كانوا يمثلون دولاً أخرى أوروبية أو روسيا. وهذا دأبهم في معظم المؤتمرات حيث يحرصون على المشاركة في هذه المؤتمرات.

ويرى أحد الباحثين في تقرير له عن مؤتمر عقد في ألمانيا حول الأدب العربي وحرية التعبير أن ثمة حضور متزايد للتيار الإسلامي وقال في ذلك: "ولا شك أن في الحضور المتزايد لمنتسبي التيار الإسلامي في المنتديات التي كانت حتى وقت قريب حكراً على خصومهم يذلل كثيراً من العقبات التي تعترض تحقيق ذلك. وتثبت التجربة بأن الحضور الإسلامي خلافاً لما يظن بعض منتسبي هذا التيار ضروري ومفيد لما يوفره من فرص ذهبية لمشاهدة الصورة الإسلامية في مرآة الغير، ووضع اليد على المشاكل التي تحول دون أن يفهم هذا الغير ظاهرة الانبعاث الإسلامي والتي نتحمل نحن المسلمين بشكل خاص جزءاً لا بأس به من مسؤوليتها."([18])

ولا بد من الإشادة بالخطوات المباركة التي اتخذتها وزارة التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية في السنين الماضية للمشاركة في المؤتمرات الدولية بترشيح عدد من الباحثين المتخصصين لحضور هذه المؤتمرات إما للمشاركة في إلقاء البحوث والمناقشات. وقد تمثل ذلك في المؤتمر السنوي لرابطة دراسات الشرق الأوسط في الولايات المتحدة الأمريكية، والمؤتمر السنوي لجمعية دراسات الشرق الأوسط البريطانية والمؤتمر العالمي للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية الذي عقد العام الماضي في المجر. وفي هذا المؤتمر الأخير مثل المملكة ثلاثة عشر باحثاً من مختلف التخصصات وشاركوا في المناقشات التي دارت في أروقة المؤتمر وفي اللقاءات الجانبية.

المحور الثاني: مؤتمرات عامة حول الإسلام والمسلمين

نظراً لكثرة هذه المؤتمرات وتنوعها وصعوبة الإحاطة بتفاصيلها ، لكن من الممكن عرض معلومات وحقائق عن هذه المؤتمرات وتقديم بعض التحليل لنماذج منها التي استطاع الباحث الاطلاع عليها.

أولاً:مؤتمرات اتحاد المستشرقين الدولي .

تأسست في أوروبا منظمة الاتحاد الدولي للمستشرقين وعقدت أول مؤتمر لها في باريس عام 1873م وتوالى عقد هذه المؤتمرات في أنحاء العالم وبخاصة في القارة الأوروبية. وقد عقدت بعض هذه المؤتمرات في دول عربية إسلامية – أثناء الاحتلال الأوروبي– كما عقد المؤتمر الرابع والثلاثين في هونج كونج. وعقد المؤتمر التاسع والعشرون في باريس عام 1873م. وفي هذا المؤتمر صوتت غالبية الحضور على إلغاء اسم الاستشراق وتحول اسم المؤتمر إلى (المؤتمر الدولي للعلوم الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا) وبعد عقد مؤتمرين تحت هذه التسمية الجديدة تقرر تغيير اسم المؤتمر مرة ثانية إلى (المؤتمر الدولي للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية)

وقد أسهم العرب والمسلمون بالحضور في بعض هذه المؤتمرات بأعداد قليلة ، وقد كتب بعضهم تقارير أو مقالات عن هذه المؤتمرات وفيما يأتي بعض هذه المؤتمرات وتوصياتها .

1- مؤتمر المستشرقين الدولي الحادي والعشرون

عقد في باريس في شهر يوليو(تموز) 1948م. ومن المحاور التي تناولها المؤتمر "الإسلاميات" وقد ضمت الدراسات القرآنية، والتاريخ، والآداب، والفلسفة حيث ألقيت فيها محاضرات حول اللهجات فكانت محاضرة المستشرق باسيه Basset بعنوان:" تطور الدروس البربرية منذ مؤتمر بروكسل". وقدم المستشرق الفرنسي برونو Brunot محاضرة بعنوان" التعابير الفرنسوية الدخيلة في اللهجات العربية" ، وقدم المستشرق رو Roux محاضرة في المخطوطات البربرية بالحرف العربي في جنوبي-غرب مراكش.

وحاضر في هذا المحور كل من المستشرق يوسف شاخت حول تقييم جديد للأحاديث الإسلامية وألقى شترن Stern محاضرة بعنوان "تفسير جديد لنصيّن من نصوص القرآن الكريم."

ومن المحاور الأخرى في هذا المؤتمر: علم الشؤون المصرية، والدروس السامية، وعلم الشؤون الآشورية والدروس الإيرانية، وعلم الشؤون الهندية. وقد أضيف محور جديد في هذا المؤتمر هو محور الشرق والغرب لبحث الموضوعات التي تدل على الصلة بين الشرق والغرب، وقد تركزت على القضايا النصرانية والتراث اليوناني في الشرق.

وكان من توصيات المؤتمر إعادة النظر في دائرة المعارف الإسلامية، وإحداث شعبة خاصة بالشرق المسيحي في المؤتمر المقبل ، وجعل اللغة العربية لغة ثالثة مع الفرنسية والإنجليزية في المؤتمر المقبل الذي سيعقد في استنبول بالإضافة إلى اللغة التركية.([19])

ويلاحظ أن المؤتمر اهتم بالشؤون البربرية وهي من القضايا التي يوليها الاستشراق منذ القديم كل اهتمامه لما تسببه من إحداث الفرقة بين أبناء الأمة الواحدة. فلا غرابة أن تنشئ فرنسا معهد الدراسات البربرية في باريس كما أن معظم المنادين بفصل البربر عن غيرهم إنما هم من المثقفين في فرنسا. كما يلاحظ أن هذه المؤتمرات تهتم أيضاً بالقوميات والحضارات التي سبقت بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ذلك الاهتمام بالفراعنة وبالآشوريين والكلدانيين والفينيقيين وغيرها من القوميات القديمة.

2-مؤتمر المستشرقين الدولي الثاني والعشرين

عقد في استنبول 15-22أيلول 1951م. بلغت محاور المؤتمر خمسة عشر محوراً، كان أحدها الشؤون الإسلامية وقد تضمن محاور فرعية هي أ- اللغة العربية وآدابها، ب- التاريخ والثقافة، ج-الاجتماعيات. وقد حضر هذا المؤتمر عدد من المستشرقين المشهورين من أمثال هاملتون جب، و غليوم وهنري ماسيه ولوي ماسنيون وغارسيا غوميت Garcia Gomez ومينورسكي Minorsky . وقد حضر بعض رجال الدين النصاري مثل الأب لاتور Lator والأب باريخا Pareja . وحضر من العلماء المسلمين فاضل بن عاشور [كتبه البستاني عشور]من تونس.([20])

3-مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع والعشرين

ميونخ بألمانيا في الفترة من 28 أغسطس(آب) إلى 5أيلول (سبتمبر) 1957م

لاحظ يوسف أسعد داغر أن المؤتمر قد امتاز بحسن الإعداد والتنظيم الدقيق، وقد وصف المؤتمر بأوصاف مليئة بالإعجاب حيث قال:" كل هذا قد أضفى على مؤتمر ميونخ جواً من الجلال والإجلال والاحترام ساعد جدياً على إنجاحه، وهي صفات لا بد أن تطبع وتخصب كل مشروع دولياً كان أم إقليمياً تتخذ العدة اللازمة لإعداده وتأمين نجاحه إلى أقصى حدود النجاح.

أشار داغر إلى أن الوفد الروسي كان من أكبر الوفود عدداً كما كان للعرب والمسلمين مشاركة محدودة في هذا المؤتمر حيث تمثلت في كل من داغر (نفسه) وجورج قنواتي، وموريس شهاب، وعبد اللطيف الطيباوي، ومحمد إبراهيم الكتاني، والأب اغناطيوس عبده خليفة، وصلاح الدين المنجد، وصفاء خلوصي، وأمجد طرابلسي.

4-المؤتمر الدولي للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية الخامس والثلاثون.

عقد في بودابست بالمجر في الفترة من 3-8ربيع الأول 1418هـ 7-12يوليو 1997.

تميز هذا المؤتمر باهتمام سياسي مهم حيث كان من رعاة المؤتمر وزير الخارجية السعودي، وولي العهد الأردني الذي حضر الجلسة الافتتاحية وألقى كلمة في هذه الجلسة، كما حضر رئيس جمهورية المجر وحظي المؤتمر برعاية رئيس جمهورية إندونيسيا. وقد جاء هذا المؤتمر بعد خروج المجر من النظام الشيوعي بسنوات قليلة. وقد نالت الدراسات العربية والإسلامية اهتماماً بارزاً ولعل الإسلام والقضايا الإسلامية كانت المحور الأساس للمؤتمر بالرغم من وجود محور للدراسات اليابانية والدراسات الصينية والهندية.

ومن الملاحظ أن المشاركة الروسية كانت بارزة جداً حيث بلغ عدد البحوث التي قدمها الروس والجمهوريات التي كانت ضمن الاتحاد السوفيتي (سابقا) مائتين وثمان وثلاثون بحثاً جمعت ملخصاتها في كتاب من جزأين.

وقد أقيم على هامش المؤتمر معرض للكتاب لبعض دور النشر المتخصصة ويلاحظ أن الإيرانيين قد أنشأوا مؤسسة للدراسات الاستشراقية وكان لهم حضور في معرض الكتاب للإعلان عن مؤسستهم ونشاطاتها. والحقيقة أن قسم الاستشراق ومركز الدراسات الحضارية و الاستشراقية بقسم الاستشراق بكلية الدعوة بالمدينة المنورة (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) أسبق في الوجود من المشروع الإيراني، ولدى القسم نشاط مبارك في النواحي العلمية المنهجية وكذلك في مجال النشر. ولكن ينقصنا الإعلان عن هذا النشاط. ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لاستأذنت بوضع منضدة للإعلان عن نشاطات هذا القسم والمركز، وبعض مطبوعات القسم وأعضائه.

ثانياً :المؤتمرات السنوية لمعهد الشرق الأوسط ، واشنطن – الولايات المتحدة الأمريكية .

تأسس معهد الشرق الأوسط في واشنطن عام 1947م ليكون مؤسسة للبحث العلمي حول الشرق الأوسط بهدف تقديم وجهات نظر متوازنة حول قضايا الشرق الأوسط، وهو مؤسسة خاصة لا تتبع لحكومة الولايات المتحدة وإن كانت تحاول أن تقدم وجهات نظرها للحكومة الأمريكية للمساعدة في وضع سياساتها حول المنطقة. ويعقد المعهد مؤتمراً سنوياً يتناول فيه مختلف القضايا. وفيما يأتي نماذج من هذه المؤتمرات السنوية :

1–المؤتمر السنوي لعام 1951 بعنوان :(الإسلام في العالم الحديث)، 10–9مارس 1951م) وقد شارك فيه عدد من كبار المستشرقين ومن هؤلاء بايرد دودج، وفيليب حتّي، وولفرد كانتول سميت Wilfred Cantwell Smith و فيليب أيرلاند Philip W. Ireland. وغيرهم.

وقد جمعت بحوث هذا المؤتمر وجاء في مقدمة الكتاب إن عقد هذا المؤتمر جاء بسبب الأهمية القصوى للمشكلات التي تشتمل عليها محاور المؤتمر بالنسبة لكل من شعوب الشرق الأوسط وشعب الولايات المتحدة الأمريكية. أما أهميته بالنسبة لشعوب الشرق الأوسط فلأن تعديل الإسلام ليتوافق مع العالم الحديث يعد أمراً حيوياً

ومســألة حيــاة أو مــوت. ويضــيف بــأن العــرب قــد مــروا بــولادة جديــدة ثقافيــاً وسياسياً.([21])

ومن المناسب استعراض بعض المحاضرات التي ألقيت في هذا المؤتمر ومنها محاضرة بايارد دودج Bayard Dodge رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت المتقاعد بعنوان (ملاحظات حول الجوانب الروحية والأخلاقية للاتجاهات الحديثة في الإسلام). وقد تناول بايارد العبادات ومن ذلك قوله عن الصلاة: "لم يكن شيئاً أجمل في المجتمع شبه البدوي في عصر النبي محمد [صلى الله عليه وسلم] من أداء الصلوات القديمة في جماعة حيث يترجل سائقو الجِمال عن جِمالهم. ولكن اليوم كيف يمكن لموظف في البنك أو سائق السيارة الأجرة أو رجل المرور أن يؤدوا الصلوات الخمس في اليوم في مدينة مثل القاهرة أو استنبول؟" ([22])

وتحدث عن عزوف الشباب عن الصلاة والذهاب إلى المساجد حتى يوم الجمعة وانظر إليه يقول:" حاولنا أن نشجع المسلمين الشبان في المعهد الإعدادي أن يذهبوا إلى المسجد الساعة الحادية عشر صباحاً من يوم الجمعة وأعفيناهم من الدروس وطلبنا من المسؤولين عن الشؤون الإسلامية أن يعينوا خطيباً جيداً لجذب الأولاد ولكن الأولاد لا يريدون الذهاب إلى الصلاة."([23]). ونقول لبايارد إن كان ما يقول صحيحاً فما الأسباب التي أدت إلى عزوف الشباب عن الذهاب إلى المسجد؟ ولكن يجب أن نتذكر أن محاربة الإسلام في المناهج الدراسية أو في محاضرات أساتذة من أمثال بايارد قد دفع بعض الطلاب المسلمين على قراءة القرآن الكريم والتعرف إلى دينهم ليدافعوا عنه أمام الهجوم المنظم على الإسلام وإن كان هؤلاء قلة على أي حال.(*)

وقد تناول الصيام أيضاً وذكر عن صديق مسلم سني من كبار المسؤولين في الشؤون الدينية في لبنان أن الرجال لم يعودوا يصومون وأنهم تركوا الصيام للنساء لأن ذلك مفيد لهم كنوع من الرياضة لتخفيف الوزن.([24])

ولا يحتاج مثل هذا الحديث إلى تفصيل في الرد ولكن يتعجب المرء من رجل قضى جزءاً كبيراً من حياته في بلد إسلامي وعرف الإسلام عن قرب ويتحدث عن العبادات بمثل هذه السذاجة أو السخافة مع أنه صاحب منصب علمي بارز. فأين العلمية

والموضوعية ؟ هل يكفي أن يقول له مسؤول مسلم مجهول أنه لا يصوم ليقول بأن المسلمين تركوا الصيام. ولو عاش باريارد إلى زمننا هذا لرأى الناس لا يصومون رمضان وحده في البلاد العربية بل هناك الملايين الذين يصومونه في أوروبا ويصومون الاثنين والخميس ويصومون يوم عرفه ويوم عاشوراء. أما الصلاة فشأنها شأن آخر فهم أشد تمسكاً بها.

ولبايرد رأي طريف في مسألة تطوير الإسلام فذكر أن الأحمدية (القاديانية) وجامعة عليكرة (العظمى) تعملان الكثير " لتطوير إسلام حديث إلى حد ما دون التنازل عن الأسس الأصلية ، وقد قام الشيخ محمد عبده قبل جيل ونصف بمحاولات على هذا المنوال..."([25])

وهذا ما سعى إليه المستشرقون في كثير من مؤتمراتهم وهي أن يقنعوا نفراً من المسلمين بمثل هذه الأفكار وبخاصة من ذوي النفوذ والتأثير الفكري والتأثير السياسي كما يشير إلى ذلك محمد محمد حسين حيث يقول:" أما الجانب الخطر من أهداف هذا المؤتمر [مؤتمر حول الشرق الأدنى] فهو في الجهود المبذولة لهدم الإسلام أو تطويره وجعله آلة من آلات الدعاية الاستعمارية لصيانة المصالح الأمريكية والغربية."([26])

7- المؤتمر السنوي لعام 1995

تناول هذا المؤتمر السنوي قضايا مختلفة مثل القدس، والأزمة في الجزائر، والخليج، ودول أواسط آسيا تتجه جنوباً وغيره. وقد ألقى الكلمة الافتتاحية وليام كواندت William Quandt – من الذين عملوا في إدارة كارتر في إعداد معاهدة كامب ديفيد – وكان من المشاركين عدنان أبو عوده (وزير أردني سابق) وألون بن مائير وأميرة سنبل ومايكال فان دوسن من الكونجرس الأمريكي.وغيرهم

8-المؤتمر السنوي لعام 1996 ، 27-28 سبتمبر 1996.

صادف هذا المؤتمر مرور خمسين عام على إنشاء المعهد وقد كان موضوع هذا المؤتمر هو :"خمسون سنة في الشرق الأوسط." وقد شهد هذا المؤتمر أكبر حضور حيث بلغ حوالي ستمائة عضو في المعهد بالإضافة إلى الباحثين الأكاديميين وممثلي المؤسسات والدبلوماسيين والموظفين الرسميين والطلاب. وقد كانت الكلمة

الافتتاحية بعنوان " الشرق الأوسط بين فوكوياما وصدام حسين " وألقاها البروفيسور جون واتربري John Waterbury من جامعة برنستون قسم العلوم السياسية. وقد ضم المؤتمر خمس حلقات بحث: الشرق الأوسط في خمسين عاماً من النواحي السياسية والاقتصادية والازدهار أو التراجع الثقافي والعلمانية والإسلامية والدولة والمجتمع.

4- المؤتمر السنوي لعام 1997

بعنوان " الشرق الأوسط على مشارف القرن الواحد "، عقد في الفترة من 3-4أكتوبر 1997م.

تحدث في هذا المؤتمر كل من الأمير هشام بن عبد الله حفيد الملك محمد الخامس فتناول الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وعملية السلام، والحركات الإسلامية التي تجد البيئة المناسبة حين تنتشر البيروقراطية والفساد والفقر والبطالة . أما محاور المؤتمر فكانت: أ- الإسلام والمجتمع ب- دور الولايات المتحدة في الشرق الأوسط،ج- الطاقة في أواسط آسيا، د- عملية السلام في الشرق الأوسط.

وكان من بين المتحدثين وليام كوانت (يشارك للمرة الثانية في خلال عامين)من جامعة فرجينيا فتناول الوضع الحالي في الجزائر . وتحدثت فدوي الجندي –أستاذة علم الإنسان بجامعة جنوب كاليفورنيا ورئيسة قسم الشرق الأوسط في جمعية علم الإنسان الأمريكية- عن الإسلام كإطار للحياة اليومية في المجتمع المصري، وحذرت من التفكير في الإسلام على أنه حركة سياسية فقط. وذكرت كيف أن الإسلام قد ألهم المصريين رجالاً ونساءً منذ السبعينيات ليس للمقاومة المسلحة ولكن أيضاً المقاومة ضد التطبيع مع إسرائيل . وركزت في حديثها على دور المرأة الحيوي في الحركة الإسلامية. وأكدت في نهاية حديثها على أن الإسلام سيبقى أساساً في صياغة الحياة في العالم الإسلامي.([27])

ويمكننا التعليق هنا أنها إن كانت تقصد بالمقاومة المسلحة بعض أعمال العنف التي ظهرت من بعض الجماعات التي تسمّي نفسها إسلامية فلا بد من التوضيح أن الإسلام لا يدعو إلى العنف، وليس هو السبب في مظاهر المقاومة المسلحة التي قامت بها الحركات الإسلامية ضد الاحتلال الأجنبي. ولكن من المؤكد أن بعض

العنف يعود إلى أسباب تتعلق بمفاهيم خاطئة لدى بعض فئات محدودة كما انه في بعض الأحيان رد فعل على عنف السلطات الحاكمة في بعض البلاد العربية الإسلامية في القضاء على مظاهر الإسلام أو ما أطلق عليه البعض " تجفيف منابع التدين".

ثالثاً : المؤتمر السنوي لرابطة دراسات الشرق الأوسط في الولايات المتحدة الأمريكية.

1- المؤتمر السنوي لعام 1992م.

قدم الدكتور حمد الصقري بعض البيانات عن هذا المؤتمر أوضح فيها أن عدد المشاركين في المؤتمر بلغ ألف وخمسمائة مشارك، وعدد المحاضرات والندوات تسعون محاضرة وندوة. أما موضوعات المؤتمر فكانت متنوعة شملت الموضوعات الآتية:

- السياسة في الإسلام.
- الإسلام والسياسة والهوية،
- الإسلام والسلطة في الشرق الأوسط.
- الإسلام في مواجهة التحديث والتطور

وقد شاركت في المؤتمر ستون دار ومؤسسة نشر بينما غابت دور النشر العربية الإسلامية. وتخلل المؤتمر إقامة معارض علمية لإبراز أحدث ما صدر من نشرات ومطبوعات كما عقدت على هامش المؤتمر لقاءات للجمعيات العلمية المتخصصة مثل رابطة دراسات نساء الشرق الأوسط، وجمعية دراسات الخليج العربي، وجمعية الدراسات المغربية وغيرها من الجمعيات.([28])

وقد شارك وفد مكون من أكثر من عشرة باحثين سعوديين في المؤتمر الذي عقد عام 1996م وكان بعضهم مناقشاً وقدم البعض الآخر محاضرات في المؤتمر كما ترأس بعضهم بعض الجلسات.

رابعاً : المؤتمر العالمي الأول حول الإسلام والقرن الواحد والعشرين. ليدن – هولندا في الفترة من 15-18 محرم 1417 الموافق 3-7يونيه 1996م.

قام بتنظيم هذا المؤتمر كل من جامعة ليدن ووزارة الشؤون الدينية الإندونيسية وقد أسهمت وزارة الثقافة والتعليم الهولندية برعاية هذا المؤتمر. وقد حدد للمؤتمر ثلاث محاور هي : 1-الإسلام والمجتمع العالمي،

2- الإسلام والتنمية،

3- الإسلام والتربية .

وقد ألقي في هذا المؤتمر ثمانون بحثاً وحضره أكثر من مائتين وأربعين عالماً من شتى أنحاء العالم.

إن عقد هذا المؤتمر قبل نهاية القرن العشرين بعدة سنوات يذكر باهتمام الغرب قبل مائة سنة تقريباً بأحوال الأمة الإسلامية في القرن العشرين، وقد قامت إحدى كبريات المجلات الفرنسية بتوجيه سؤال إلى أكثر من خمس عشرة مستشرقاً عن توقعاتهم للقرن العشرين. وهاهو الاستشراق يعود من جديد فيتحدث عن القرن القادم ولكن بأسلوب أكثر دقة وعلمية حيث استضاف المؤتمر عشرات من أبناء الأمة الإسلامية للحديث عن تطلعاتهم وتوقعاتهم لأمتهم في المستقبل. مع العلم أن المؤتمر سيعقد في حلقة جديدة عام 1998في إندونيسيا وحلقة ثالثة في المغرب 2000م.

اهتم المؤتمر بدول جنوب شرق آسيا حيث كان تمثيل ماليزيا وإندونيسيا وغيرهما من دول جنوب شرق آسيا كبيراً، وقد تردد كثيراً في أروقة المؤتمر وفي المحاضرات الحديث عن إسلام ملاوي أو إسلام إندونيسي وأن قيادة العالم الإسلامي قد تصبح لدول جنوب شرق آسيا.

وفي مجال الإسلام والمجتمع العالمي تناول بعض الباحثين الحركات الإسلامية "الأصولية " ومن هؤلاء على سبيل المثال مستشرق هولندي – يانس يانسن Janssen – الذي ألقى محاضرة بعنوان " فشل البديل الليبرالي" تناول فيها عدم قدرة "النخبة العلمانية" من أمثال فؤاد زكريا، وفرج فودة، ومحمد سعيد العشماوي، و مصطفى أمين وأمثالهم على كسب الجماهير بالرغم من انتشار كتبهم وطباعتها باستمرار. ولعل السبب في هذا الفشل أن هؤلاء يعيشون بعيداً عن تطلعات الجماهير.([29]) وكان لي مناقشة معه حول تسمية هذه الفئة بالنخبة بأن النخبة

هي الصفوة وأفضل ما في المجتمع ولكن هؤلاء لا يستحقون هذه اللقب لأنهم مصنوعين في الخارج وفكرهم لا ينبع من تراث الأمة وقيمها ومسلماتها.

وتحدث في هذا المحور باحثان من مؤسسة الأهرام وكالا التهم للحركات الإسلامية بأنها ستقود البلاد إلى التخلف والرجعية واضطهاد المرأة واضطهاد الآخرين الذين يخالفونهم الرأي [لا يؤمنون بالديموقراطية] والأقليات الدينية، وغير ذلك من التهم الجاهزة.([30]) وقد تيسر لي الرد على أحدهما بأن الحركات الإسلامية يتم الحديث عنها وانتقادها والتقليل من شأنها ولكن ليس هناك من يمثلها، وطلبت من رئيس الجلسة أن يبلغ رئاسة المؤتمر أو منظميه أن الحركات الإسلامية ليس لها تمثيل صحيح في هذا المؤتمر. والغريب أن رئيس الجلسة هو يانس الهولندي قد دافع عنهما بأن بحثهما ملتزم بالموضوعية والدقة العلمية.وكان بعض الحضور يشاطرني الرأي في نقدي للمؤتمر.

ولدى استعراض بحوث المؤتمر نجد أن الغرب يستطيع الإفادة من هذه المؤتمرات بالإفادة من جهود أبناء الأمة الإسلامية في الحصول على معلومات علمية دقيقة عن بلادهم لا يستطيع الحصول عليها بسهولة.

خامساً : المؤتمر السنوي للجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط، 11-14يوليو 1994

عقد هذا المؤتمر تحت عنوان " الثقافة: الوحدة والتنوع " وهو ليس بالعنوان الجديد فقد عقدت ندوات سابقة ومؤتمرات تحت هذا العنوان.([31]) وقد قسم هذا المؤتمر إلى أربعة وثلاثين حلقة مقسمة على خمسة محاور وقد بلغت الدراسات المقدمة مائة دراسة. ومن هذه الدراسات ما يأتي:

1- أحمد اغروت:" علّة المغرب" تناول فيها التحديات الكثيرة التي تواجه المنطقة.

2- هيد روبرتس – من مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ، تحدث عن الجزائر تحت عنوان " فشل التسلط دون سلطة."

3- آرون كابيل من جامعة باريس تحدث أيضاً عن الديموقراطية في الجزائر.

4- وتناول نقولا زيادة موضوع التعليم العالي في البلاد العربة وفشل هذا التعليم بالرغم من التضخم الكمي

5- تناولت شيرين خير الله المدرسة المارونية في روما في القرن السادس عشر وتأثيرها في لبنان.

6- كانت محاضرة سيد حسين نصر بعنوان " الوحدة والتنوع في ثقافة الشرق الأوسط" وذكر بأن الحضارة الإسلامية تضم في داخلها ثقافات متعددة ولكنها جميعاً تنصهر في بوتقة الحضارة الواحدة . وتناول أيضاً تأثير الحداثة الغربية في اللغة والتشريع والتعليم ..الخ.

وتحدثت ربيكا ستون من جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس عن هوليوود وما تقوم به من نشر ثقافة مزيفة حول الشرق الأوسط تحت عنوان:" ثقافة مزيفة: موضوعات من الشرق الأوسط في أفلام هوليوود."([32])

المحور الثالث: مؤتمرات متخصصة

من أبرز القضايا التي تشغل الدوائر السياسية والثقافية في الغرب وبخاصة الدوائر الاستشراقية القضايا السياسية في العالم الإسلامي حيث إن الغرب مهتم جداً بأوضاع الحركات الإسلامية وتقدمها إلى أن تكون منافسة قوية للأحزاب الأخرى في العالم الإسلامي وبخاصة في تركيا والجزائر ، وغيرها من البلاد الإسلامية. وإن المؤتمرات التي تعقد في هذا الشان كثيرة جداً وفيما يأتي بعض النماذج لهذه المؤتمرات.

أولاً :مؤتمرات سياسية:

تحظى القضايا السياسية التي تخص العالم الإسلامي بنصيب وافر من الاهتمام في المؤتمرات الاستشراقية، ويتم التركيز في هذه المؤتمرات على دراسة النظريات السياسية الإسلامية، ومدى التوافق بين الديموقراطية والنظام السياسي الإسلامي. وينطلق اهتمام الغرب بالأوضاع السياسية الإسلامية أن الحركات الإسلامية سجلت تقدماً في الساحة السياسية الإسلامية ولذلك يهم الغرب أن يفهم هذه الحركات وكيف يمكن أن تتغير الأوضاع في العالم الإسلامي إذا ما وصلت إحدى هذه الحركات إلى سدة الحكم.

وفيما يأتي نماذج من هذه المؤتمرات:

1- الجهاد والسلام : تحالفات الإسلاميين في شرق أوسط متغير.

هذه ندوة عقدت في مركز موشيه ديان لدراسات الشرق الأوسط في الفترة من 30 مارس إلى 1أبريل عام 1996م.

وقد عددت مركز موشيه ديان من المراكز الاستشراقية ذلك أنه يسير على نمط الاستشراق الغربي وكذلك لمشاركة عدد من الباحثين الأمريكيين والأوروبيين ويتم بتمويل من الدول الغربية، وأيضاً لأن نتائج هذه المؤتمرات تؤثر في واضعي القرار السياسي الغربي .

ألقى وزير الخارجية الإسرائيلي السابق شمعون بيريز الكلمة الافتتاحية في المؤتمر وأشار فيها إلى أن الإرهاب الإسلامي " الأصولية" هي التهديد الأساسي لعملية السلام. وشارك في المؤتمر دانيال برومبيرج Daniel Brumerg من قسم العلوم السياسية بجامعة جورج تاون ورئيس مؤسسة الديموقراطية والتغيير السياسي في الشرق الأوسط. متحدثاً حول " التحديث التكتيكي أو التعددية الإسلامية، وزعم برومبيرج أن الإصلاحيين الإسلاميين يستخدمون خطاب الديموقراطية وحقوق الإنسان لتطميع الغرب بأنهم ليسوا تهديداً له. وبالرغم من أن خطاب الإسلاميين تدريجي فقد أضاف برومبيرج بأنهم إذا ما وصلوا إلى السلطة فسيصبحون أكثر تطرفاً.([33])

وهذه الفرية على الحركات الإسلامية يقول بها كثير من المستشرقين والمتخصصين في شؤون العالم الإسلامي وليس لديهم أي دليل عليها. فمتى كانت الحركات الإسلامية تتحدث عن حقوق الإنسان والتعددية فقط لكسب رضا الغرب؟ أليس الإسلام هو الذي أرسى دعائم حقوق الإنسان الحقيقية على وجه الأرض، وهل الحركات الإسلامية في حاجة إلى رضا الغرب؟ أليست تعمل أساساً لرضا الله سبحانه وتعالى ؟

وفي هذا المجال أذكر أن جامعة برنستون كانت تستضيف باحثاً تركياً ليتحدث حول أوضاع تركيا وبروز نجم حزب الرفاه التركي فكال له التهم وأنه يدعي الحرية والانفتاح على الآخرين ولكن لديه أجنده سرية. فقلت له لقد ذكرت كيف أن تشيللر وهي التي تربت في الجامعات الغربية وتعتنق العلمانية والديمقراطية ومع ذلك ذكرت لها ممارسات بعيدة جداً عن الديمقراطية أو إنها ممارسات استبدادية فلماذا تتهم

الحركات الإسلامية دون دليل . لقد ثار الغرب ضد وصول الإسلاميين إلى السلطة في الجزائر بحجة أنهم لن يكونوا ديموقراطيين إذا وصلوا إلى السلطة وليس لديهم أي دليل وأنت ما دليلك على أن حزب الرفاه لديه أجنده سرية؟(**)

وتحدث في هذا المؤتمر دانيال بايبس Daniel Pipes عن الوجه الغربي للأصولية الإسلامية وأكد –بالأدلة – أن قادة الأصولية الإسلامية أكثر تغرباً منهم تمسكاً بالتقاليد الإسلامية.

وشاركت في المؤتمر آن اليزابيث مايور Ann Elizabeth Mayer من جامعة بنسلفانيا بمدينة فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية فذكرت أن استخدام الإسلاميين لمسألة حقوق الإنسان ليس حقيقياً ولكنهم فرصويون في ذلك وذكرت أن هناك جهات أخرى في العالم الإسلامي تطالب بحقوق الإنسان وتستحق دعم الغرب.

ولنا أن نتساءل ما الجهات التي قصدتها الباحثة أهي الجهات التنصيرية، والغرب يبحث عن حقوق الإنسان لأولئك الذين يتبنون الفكر الغربي الإلحادي. والحقيقة متى كان الغرب يدعم حقوق الإنسان حقاً فهذه حقوق المسلمين مهضومة في كشمير وفي بورما وفي الفلبين وفي البوسنة والهرسك وغيرها. ويعلم الغرب علم اليقين عن حقوق بعض العلماء المسلمين المنهكة في بلادهم ولا يحرك ساكناً تجاه هؤلاء لأنهم لم يكونوا يسيروا في تيار التغريب والإلحاد. ولكن انظر إلى الضجة التي أثارها الغرب من أجل المارقة تسليمة نسرين ونصر حامد أبو زيد وفرج فودة وغيرهم.

وتحدثت في المؤتمر جوديث ميللر Judith Miller الصحفية بجريدة النيويورك تايمز عن القادة الإسلاميين بين الأيديولوجية والبراجماتية.

وكان من بين المتحدثين فرانسوا بورجارت من معهد البحوث والدراسات حول العالم الإسلامي في فرنسا وهو باحث معتدل ينتقد تناول الدول الغربية لقضية الحركات الإسلامية. وقد استضافته إحدى الإذاعات ذات مرة وقال إن الحكومة الفرنسية لم تكن لتتوانى في اعتقاله إلاّ لأن اسمه فرانسوا ولو كان اسمه محمد أو أحمد لاعتقلوه بسبب آرائه.

2- جار ممانع : تحليل دور تركيا في الشرق الأوسط.

عقد معهد الولايات المتحدة للسلام ندوة حول دور تركيا في الشرق الأوسط وقد كتبت مجلة معهد الولايات المتحدة للسلام عن أهمية عقد هذا المؤتمر قائلة:" لقد أسس مصطفى كمال تركيا الحديثة على أسس علمانية وأرسى سياسات متأثرة بالغرب، وأصبح جزءاً من أسس الجمهورية التركية ، وبالتالي فإن أي تغيير في هذا الوضع مهماً كان صغيراً فقد يكون له تأثيرات مهمة على مستقبل تركيا وعلاقاتها الخارجية."([34])

وكان الخطاب الافتتاحي ل بول ويلفووتز Wolf Wolfowitz –الأستاذ بمعهد الدراسات المتقدمة بجامعة جون هوبكنز بواشنطن – تحدث فيه عن أن تركيا هي الجسر بين التخلف الاقتصادي والاقتصاد الحديث بين ما هو ماض إمبريالي وحاضر حديث بين الظلامية الدينية والحداثة المدنية.([35])

وذكر ألفن روبنشتاين Alvin Rubinstein من جامعة بنسلفانيا أن تركيا بالفعل هي أهم دولة في الشرق الأوسط، وأضاف أن من بين الأسباب الاستراتيجية لأهمية تركيا الحرب في البلقان، وموقع تركيا على البحر الأسود بالإضافة إلى قربها من أوكرانيا وكريميا، ودورها جسراً بين بلاد القوقاز وأواسط آسيا ودورها المتزايد في منطقة الشرق الأوسط.([36])

وتحدث أحد المتخصصين عن المشكلة الكردية واقترحوا أن على تركيا أن تجد حلاً لهذه المشكلة نظراً لما لهذه المشكلة من أهمية في تحديد علاقات تركيا بالقوى المجاورة.

3- مؤتمر الإسلام و الحكم الفردي والتحديث في الشرق الأوسط .

عقد المؤتمر في مركز موشيه ديان لدراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في الفترة من 13-14ديسمبر 1995م. وقد شارك في هذا المؤتمر عدد من المستشرقين الأمريكيين والأوروبيين .

تحدث برنارد لويس في الجلسة الافتتاحية عن مصطلح الحكم الفردي من الناحية التاريخية وموقف الإسلام من مصطلح ملك ن وكيف اختار المسلمون مصطلح الخلافة ثم كيف تطور نظام الحكم في العصور المختلفة.

وقدم إمي آيلون Ami Ayalon من مركز موشيه ديان وأحد تلاميذ برنارد لويس محاضرة تناول فيها الحكومات العربية في الشرق الأوسط في النصف الأول من القرن العشرين. وتحدث جابريال بن دور Gabriel Ben Dor من جامعة جيفا عن الحكم الفردي في الشرق الأوسط نماذج ومفاهيم، وتحدث سيمون هندرسون Simon Henderson من صحيفة الفاينانشال تايمز (البريطانية) عن الحكم في منطقة الخليج العربي. وشارك من الولايات المتحدة الأمريكية إف جورج قوز F. George Fause من جامعة فيرجينيا بمحاضرة عن الاقتصاد والأمن بأنهما عاملين من العوامل التي تحدد الاستقرار ، وقارن بين دول الخليج واليمن.

أما من أوروبا فشارك ريمي ليفو Remy Leveau من مركز برلين مارك بلوك للبحوث في العلوم الاجتماعية بأن الملكية في المغرب قد وضعت أولاً لخدمة المصالح الاستعمارية الفرنسية ، ثم أصبحت مرآة للحركة الوطنية المغربية . وتحدث جودرن كريمر Gudrun Kramer من جامعة وبن مقدماً تحليلاً مقارناً بين المعارضة الإسلامية في المغرب والأردن ودول عربية أخرى وأشار إلى أن هذه المعارضة تتضمن تحدياً للحكومات ولكنه ليس تحدياً مقلقاً .

وشارك من الأردن كل من رضوان عبد الله من الجامعة الأردنية الذي تحدث عن العلاقات بين السلطات الأردنية والتقدميين العرب والفلسطينيين وأن هذه العلاقات لم تكن دائماً تصادمية، أما العلاقات مع "الأصوليين" فليست مستقرة. وتحدث نصر طهبوب عن جهود الحكومة الأردنية لتأسيس وحدة قومية استفادت من عملية السلام والنظام العالمي الجديد.([37])

من الصعب مناقشة بحوث المؤتمر دون الاطلاع عليها ولكن من الواضح أن المركز اهتم بقضية الحكم في الإسلام والنظريات السياسية الإسلامية تاريخيا، كما اهتم بواقع الأمة الإسلامية واستفاد من خبرات باحثين متخصصين من أوروبا وأمريكا ، كما أفاد من باحثين عرب مسلمين يعرفون الموضوعات التي تناولوها فقدموا معلوماتهم لعدوهم.

4-الإسلام والسياسة الأمريكية في العالم العربي:

هذه ندوة عقدها معهد الولايات المتحدة للسلام دامت يوماً واحدا في 16 يونيه 1994م شارك فيها عشرون باحثاً وموظفاً إدارياً وصحافياً وخبراء في السياسة . ومن الباحثين البارزين الذين شاركوا ديفيد ليتل كبير باحثين في الشؤون الدينية والأخلاق وحقوق الإنسان، كما شارك مورتون هالبرن مسؤول في مجلس الأمن القومي، وروبرت بلاترو وبرنارد لويس. وتركزت الندوة حول التفريق بين المحافظين وبين المتطرفين وكذلك مدى التوافق بين الإسلام والديموقراطية.([38])

ويلاحظ في مثل هذه الندوات اقتصار المتحدثين على الخبراء الأمريكيين أو من العرب الموجودين في أمريكا. وقد التقيت مسؤولين في هذا المعهد فأفادوا بأنهم سوف يستضيفون عام 1995 سعد الدين إبراهيم للكتابة عن الحركات الإسلامية " الأصولية" في مصر. فقلت لهم كيف تثقون ببحوث أمثال سعد الدين إبراهيم الذي له موقف مسبق من الحركات الإسلامية، ولا يتمتع بالموضوعية والنزاهة والحياد في كتاباته عن هذه الحركات.

5- ندوة حول تركيا

عقدت ندوة علمية في مركز موشيه ديان بالتعاون مع معهد السياسة الخارجية التركي التابع لجامعة أنقرة لبحث موضوع " التطرف في الشرق الأوسط". وشارك في هذه الندوة سبعة من الأكاديميين من المعهد التركي وعلى رأسهم مدير المعهد مع عدد من الأكاديميين الإسرائيليين.

تكونت الندوة من ثلاث حلقات الأولى قدم فيها الأتراك أسئلة حول الأمن التركي والأصولية العرقية والدينية في تركيا ومشكلات الهوية وبخاصة لدى القبائل شبه الرحل في الأناضول.

أما الحلقة الثانية فكانت حول العراق وبخاصة في مجال السياسة والأمن المتعلقة بالنفط والاقتصاديات الخاضعة للمقاطعة في إيران والعراق وليبيا.

أما الحلقة الثالثة فتركزت على الأصولية والحكم الاستبدادي في أواسط آسيا وعدم الاستقرار في جنوب القوقاز وأوضاع الحركات الإسلامية. وتناول الحديث في الجلسة الختامية "الإسلام المتطرف في مصر"، و"العامل الإسلامي في السياسات الفلسطينية" و"الأوضاع في الجزائر."

ومرة أخرى لا يمكن الحكم على محتويات هذه الحوارات ولكن في هذا النشاط دلالة على اهتمام اليهود بمعرفة وجهات النظر في الدول المختلفة ونقل وجهات نظرهم إلى الدول الأخرى وبخاصة المسؤولين فيها وصانعي القرار. وفي هذا دروس للجامعات العربية والإسلامية لتنشط في مجال البحث العلمي والندوات ليكون للعلماء دور في صناعة القرار السياسي.

ثانياً : مؤتمرات حول التاريخ الإسلامي.

1- مؤتمر حول الكتابة التاريخية للشرق الأدنى والأوسط، 1957.

عقدت مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية مؤتمراً حول كتابة التاريخ الإسلامي عام 1957 بإشراف برنارد لويس الذي كان يرأس قسم التاريخ بالمدرسة في ذلك الحين. وقد دعي لحضور المؤتمر عدد كبير من الباحثين من أنحاء العالم الإسلامي. ومن هؤلاء بعض الذين درسوا في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية مثل : كمال صليبي، وعبد العزيز الدوري، وجمال الشيال. وشارك في المؤتمر كل من حلمي أحمد من جامعة القاهرة وكوران من جامعة استنبول وأحمد الشيال من جامعة القاهرة .

ونشرت أبحاث المؤتمر في كتاب أشرف على إعداده كل من لويس وب. إم هولت ونشرته جامعة أكسفورد. وقد تناول لويس في بحثه نقد المستشرقين في كتابتهم للتاريخ الإسلامي ولعله أراد أن يوضح لهم القضايا التي ينبغي الاهتمام بها من هذا التاريخ كما أوضح لهم الأدوات اللازمة لدراسة التاريخ. وبالرغم من أنه قدم انتقادات جيدة للمناهج الاستشراقية إلاّ أنه وقع في الأخطاء نفسها.

2-سقوط القسطنطينية 29-30مايو 1953م

عقدت هذه الندوة في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن بالتعاون مع السفارة اليونانية لإحياء ذكرى مرور خمسمائة سنة على سقوط القسطنطينية. وقد قدم برنارد لويس أستاذ التاريخ الإسلامي بالمدرسة بحثاً بعنوان (القسطنطينية والعرب) تحدث فيه عن المحاولات المتكررة من الخلفاء المسلمين لفتح المدينة وأورد عدداً من الأحاديث التي تذكر أن المسلمين سيفتحون المدينة. ولكنه اختار هذه الأحاديث من

كتاب كنز العمال دون الإشارة إلى درجة هذه الأحاديث من الصحة والضعف الأمر الذي اتخذه لويس وسيلة للاستهزاء بهذه الأحاديث وبالحديث عموماً.

ثالثاً: مؤتمرات وندوات حول المرأة المسلمة:

من الموضوعات التي نالت اهتمام المستشرقين منذ القديم موضوع المرأة المسلمة لأنهم أدركوا أنهم متى ما استطاعوا التأثير في المرأة استطاعوا السيطرة على المجتمعات الإسلامية. ولعل كلمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لا يخلبنكم نساء بني الأصفر عن نسائكم) ليس فقط في الجاذبية الجسدية ولكن في طرق المعيشة والتفكير.

وفي قسنطينة بالجزائر عقد المؤتمر الدولي للمرأة الأوروبية عام 1934م، ولم تكن المرأة الجزائرية أو العربية حاضرة في المؤتمر لكن موضوعها لم يغب عن معدي البرنامج حيث اقترحت النساء الأوروبيات أن يطلبن من الحكومة الفرنسية في الجزائر أن ترفع سن الزواج للفتاة الجزائرية، وأن يتم تقنيين الشريعة الإسلامية ، وأن يهتم بتعليم المرأة الجزائرية. وقررت مندوبة السويد البقاء في الجزائر مدة أطول للدعوة إلى السفور وإلى تعلم المرأة.([39])

فمن الاهتمام بالمرأة المسلمة تأسيس (رابطة دراسات نساء الشرق الأوسط) في الولايات المتحدة الأمريكية قبل أكثر من عشر سنوات . وهذه الرابطة تعقد ندواتها وحلقات البحث خلال المؤتمر السنوي لرابطة دراسات الشرق الأوسط كما تصدر مجلة ربع سنوية حول قضايا المرأة المسلمة . وتشارك في المؤتمرات العالمية حول المرأة .

ومن الندوات والمؤتمرات الغربية حول المرأة ما يأتي:

1-الورشة الافتتاحية لبرامج ودراسات المرأة بجامعة بير زيت بفلسطين.

قام بتنظيم هذه الورشة كل من قسم علم الاجتماع وعلم الإنسان بجامعة كالتون بكندا، ومعهد دراسات المرأة وقدم التمويل مركز بحوث التنمية الدولية بكندا. وقد قدم دينز كانديوتي من مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن محاضرة بعنوان "الحركة الأنثوية المعاصرة والدراسات الشرق أوسطية." وألقى هيثر من جامعة كارلنتون محاضرة بعنوان:" نقاط أساسية في منهجية الحركة الأنثوية.

2-ندوة النساء في العالم العربي. ندوة عقدت في جامعة جورج تاون بواشنطن العاصمة في ربيع عام 1986 م

وقد صدر كتاب يتضمن المحاضرات والبحوث التي ألقيت في الندوة. وأشرفت على إعداده ونشرة البروفيسور جوديث تكر Judith Tucker. والكتاب في مجمله لا يخرج عن الأفكار الغربية عموماً بان المرأة المسلمة مضطهدة وينبغي رفع هذا الاضطهاد، كما أن المرأة المسلمة لم تنل حقوقها . والحديث عن خروج المرأة وحقوق العمل وغير ذلك من الأمور.

3-المؤتمر الدولي حول السكان والتنمية : عقد في القاهرة في سبتمبر 1994.

حضره عدد كبير من المشاركين من جميع أنحاء العالم وكان المؤتمر يتضمن الموافقة على مسودة ميثاق دولي حول السكان والتنمية. والحقيقة أن السكان كان الموضوع الأساس للمؤتمر حيث كان من أهم محاوره ما أطلق عليه " الحياة الإنتاجية " للمرأة والرجل، وكان المؤتمر يدعو صراحة إلى إعطاء الجميع الحق في الممارسات الجنسية وفي الإجهاض. وقد كان لبعض الدول ومنها المملكة موقف حازم من المؤتمر تمثل في عدم حضوره من الناحية الرسمية لكن كان هناك حضور لبعض المؤسسات والهيئات الرسمية وغير الرسمية التي أبدت مقاومة مباركة في منع إقرار الوثيقة كما كتبت أصلاً – وإن كان ما زال فيها الكثير المخالف للإسلام- ويبدو أن الغرب مصر على فرض قيمه وثوابته على العالم (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)

4-مؤتمر الإيواء في استنبول

من المؤتمرات التي اهتمت بالمرأة حيث إنها عنصر هام في موضوع الهجرات والنفي. وقد كان للمسلمين دور بارز في هذا المؤتمر في إحباط بعض الأفكار الغربية التي أرادوا فرضها من خلال هذا المؤتمر.

5-المؤتمر العالمي الرابع للمرأة

عقد في بكين في سبتمبر 1995م وكان للمسلمين حضور واضح في المؤتمر ولا تخرج هذه المؤتمرات عن التأثيرات للدول الغربية التي تحضر بأكبر عدد من الوفود كما يحضر من الغرب بالإضافة إلى الوفود الرسمية وفود الجمعيات غير الحكومية

التي يتبنى معظمها وجهات نظر الحكومات الغربية . وقد حرصت الجمعيات غير الحكومية (NGO) على تكثيف نشاطاتها قبل انعقاد المؤتمر بوقت طويل لتكون مواقفها متناسقة ومتحدة في المؤتمر. كما حرصت المؤسسات المالية الغربية مثل البنك الدولي على تشجيع الجمعيات النسائية المتغربة في العالم العربي الإسلامي على التشاور قبل انعقاد المؤتمر. ومع ذلك كان الحضور الإسلامي مباركاً وكان له دور في عرض موقف الإسلام من قضايا المرأة المختلفة.

رابعاً : المؤتمرات حول الأدب العربي

نال الأدب العربي وما يزال ينال اهتمام المستشرقين ذلك أنه يقدم صورة لأوضاع العالم العربي الإسلامي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية. والأدب كما يقول عاصم حمدان : "تعبير عن هوية–أي أمة– ومنطلقاتها الحضارية وإرثها التاريخي، ولهذا كان اهتمام الغربيين كبيراً بالتراث العربي القديم لأنه كان تعبيراً حقيقياً عن هويتنا الحضارية..."([40])

ومن المؤتمرات والندوات التي تناولت الأدب العربي ما يأتي :

1–مؤتمر الأصالة والحداثة في اللغة والأدب العربي:

عقدت الندوة في جامعة اكستر –قسم الدراسات الإسلامية في شهر سبتمبر 1994 بمناسبة الذكرى الثانية لوفاة محمد عبد الحي شعبان مؤسس هذا القسم. وكان من محاور المؤتمر بحث مسألة الشعر التقليدي والشعر الحر والعامي، وكذلك بحث موضوع التأثير الغربي في الأدب العربي. شارك في المؤتمر ثلاثون باحثاً من أنحاء العالم .([41])

2–الأدب وحرية التعبير في الدول والمجتمعات الإسلامية:

عقد المؤتمر في مدينة لوكم الألمانية في شهر أغسطس 1996. وقام بتنظيمه أكاديمية لوكم البروتستانتية. وقد ركز المؤتمرون على إثبات أن العلمنة شرط لإقامة وسط إنساني يتساوى فيه البشر ويتعاملون من خلاله بتسامح. ويستتبع ذلك الافتراض بأنه إذا كانت العلمنة ضرورية لا مفر منها فإن الدين عقبة لا بد من تذليلها إما بالانفلات من قيوده تهميشاً له أو بإعادة تفسير نصوصه تمييعاً لها وتضييقاً له.([42])

ومن الطريف أن الحضور الغربي كان مهتماً بالتعرف على ظاهرة الصحوة الإسلامية فكما جاء في تقرير " الحياة" :" فثمة إلحاح شديد في أوساط الأكاديميين والمثقفين الغربيين على التعرف عن كثف على ظاهرة الصحوة الإسلامية المعاصرة. وبالرغم من أن موضوع الندوة عن الأدب لكن اليوم الأخير خصص لموضوع أطلق عليه "الاستراتيجية المضادة" وهذا العنوان كان غامضاً لدى الحضور ولكن تبين من خلال المناقشات أن المشاركين انقسموا بين قسمين أحدهما يرى معاداة الأصولية ومحاربتها، وكان في هذا التيار كثير من العلمانيين العرب، بينما تزعم التيار الآخر مجموعة من الأكاديميين والسياسيين الغربيين رأوا أنه لا بد من " إفشال مشروع إعلان الحرب على الأصولية الإسلامية والانتصار لمبدأ التحاور ودعم سياسة إبقاء الأبواب مفتوحة .."([43])

4-محور الدراسات العربية والإسلامية في المؤتمر العالمي الخامس والثلاثين

لقد ذكر هذا المؤتمر ضمن المؤتمرات العامة لكنه تضمن بعض البحوث المتعلقة بالأدب العربي منها البحوث الآتية:

1- شامول موريه (إسرائيل) " الممثلون اليهود وكتاب المسرح العربي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ."

2- هيلاري كيلباتريك Hilary Kilpatrick " دراسة النثر العربي الكلاسيكي بين الشرق والغرب."

3- بيان راينهاوفا.(من جامعة صوفيا –بلغاريا) " صورة الريف في الرواية السورية المعاصرة."

5-ندوة عن الأدب العربي بعنوان: (فهم العالم العربي من خلال الأدب)

عقدت الندوة في مركز الدراسات العربية المعاصرة بجامعة جورج تاون بواشنطن العاصمة في 4 أبريل 1995. وقد تحدث في الندوة كل من:

I- صباح غندور."الكاتبات العربيات وأصواتهن الأنثوية."

II- أميرة الزين ." الأدب الشعبي الإسلامي" (ألف ليلة وليلة)

V- عنا بشناق ." الأدب الشعبي العربي (الفوكلور العربي) وكان من المتحدثين أيضاً حليم بركات الأستاذ بالجامعة نفسها.

خامساً: الإسلام والغرب والإسلام في الغرب

من القضايا التي اهتمت بها المؤتمرات الاستشراقية المعاصرة مسألة العلاقة بين الإسلام والغرب حتى تأسست مؤسسات تهتم بهذا الجانب. وقد شاركت بعض الحكومات العربية الإسلامية في هذه المؤتمرات وكذلك الحكومات الغربية . فهاهي الجنادرية مثلاً تعقد ندوتها الكبرى خلال المهرجان الوطني للثقافة والتراث الحادي عشر والثاني عشر بعنوان (الإسلام والغرب) ودعت عدداً من الباحثين الغربيين للمشاركة في فعاليات الندوة ومن هؤلاء صموئيل هتنجتون، ورالف برايبانتي وبول فندلي وجون اسبوزيتو وغيرهم. وقد كان هذا الاحتكاك مهماً حيث أتيحت الفرصة لبعض الغربيين الاطلاع على موقف الإسلام من كثير من القضايا. كما أن بعد نظر الجهة المنظمة للمؤتمر (الحرس الوطني) أتاح الفرصة لمختلف التيارات الفكرية لعرض مواقفها في القضايا المثارة للنقاش. وهذا الانفتاح وبعد النظر واتساع الأفق لا تتوفر في كثير من المؤتمرات والندوات التي تعقد في أنحاء العالم العربي الإسلامي وكذلك في الغرب.

ومن المؤتمرات التي عقدت حول هذا الموضوع ما يأتي :

1- الإسلام في أوروبا، ستكهولم – السويد ، يونيو 1995م.

قامت الحكومة السويدية بتنظيم هذا المؤتمر عن طريق المعهد السويدي وتضمنت محاوره ما يأتي:

أ –علاقة المسلمين بالمجتمعات الأوروبية التي يعيشون فيها.

ب- الديموقراطية والإسلام في أوروبا.

جـ – الطريق نحو ثقافة إسلامية في أوروبا.

وكان الهدف من عقد هذا المؤتمر محاولة تحقيق الانسجام بين الجالية الإسلامية والمجتمع السويدي في إطار الديمقراطية، والتعددية وقيم التسامح الديني والتفاعل الثقافي. وقد شارك في المؤتمر سبعون شخصية من أنحاء العالم الإسلامي منهم سياسيون رسميون وأدباء وكتّاب ومفكرون ومن هؤلاء سلمى الخضراء الجيوسي، وعزيز العظمة، ومحمد أركون، وسعد الدين إبراهيم، وأمين المعلوف، وفهمي هويدي، وأكمل الدين إحسان أوغلو، وفاطمة المرنيسي والقديس جوزيف خوري.

وحضره من الجانب السياسي أمين عام الجامعة العربية ووزير خارجية الأردن السابق كامل أبو جابر، ووزير بنقلاديشي سابق هو كمال حسين، والنائب الإيراني محمد جواد لاريجاني، وأمين عام رابطة العالم الإسلامي الدكتور عبد الله نصيف.([44])

وقد عقدت حلقة ثانية للمؤتمر في عمّان بالأردن نظمته مؤسسة آل البيت عام 1996 وكان من توصيات هذه الحلقة الاقتراح بإنشاء مركز للدراسات والأبحاث الأورو- إسلامية، وتضمن الاقتراح أن يكون مقر المركز المغرب ويكون التمويل مشتركاً بين أوروبا والعالم الإسلامي وقد قامت السويد بدور أساسي لدعم إنشاء هذا المركز.([45])

2- منتدى أوروبا والإسلام – طليطة – إسبانيا.

25-32 ذو العقدة 1416(13-11أبريل 1997)

عقد هذا المؤتمر بتنظيم مؤسسة ناكو إيليني الدنماركية ومؤسسة خوسيه أورتيقا إي غاسيت الاسبانية ، وموضوع المؤتمر هو إعادة النظر في العلاقات الأوروبية الإسلامية ودراسة مشكلة الحداثة والبحث عن خصوصية إسلامية .

وكان من المشاركين في هذا المؤتمر كل من الشخصيات الآتية أسماؤهم ومشاركاتهم :

أ – محمد أركون الذي هاجم فصل تاريخ شمال المتوسط عن جنوبه،

ب- حسن حنفي ، تحدث عن الإسلام والتغريب،

ج – غودروم كرام من جامعة بون وتحدث عن الإسلام والديموقراطية

د – عبد الله الفيلالي وتحدث عن الإسلام والعلمانية.

هـ- الأب موريس بورمانز، مدير المعهد البابوي للدراسات الإسلامية .

و- محمد عابد الجابري، انتقد صورة الإسلام على أنه عدو للغرب، ودعا إلى التصدي لهذه الأساليب التي تزرع الشك.

ز- طارق رمضان من كلية جنيف ومدير المركز الثقافي في جنيف.

ح- جون اسبوزيتو مدير مركز التفاهم الإسلامي النصراني بجامعة جورج تاون بواشنطن العاصمة.([46])

3-الإسلام والغرب –قبرص

عقد هذا المؤتمر في قبرص في الفترة من 29 و30 جمادى الآخرة 1418هـ الموافق 30 و31 أكتوبر 1997م، وقام بتنظيمه مركز الحوار العالمي. وقد صرح رئيس المركز أن هدف المؤتمر هو " تبديد اللبس وسوء الفهم الذي يحيط بالإسلام، هذا اللبس ليس من شانه سوى إثارة نزاعات في أجواء عنصرية ...والسعي إلى فهم الإسلام بشكل أفضل وتوضيح صورته للغرب الذي يعتبره تهديداً[i]، ويحدد على هذا الأساس مواقفه حيال العالم الإسلامي، ويأسف للخلط بين الإسلام وبين التطرف والعنصرية والإرهاب."([47])

وقد شارك في المؤتمر أربعون خبيراً من أمريكيا وروسيا وإيران والعالم العربي ومن هؤلاء على سبيل المثال بي نظير بوتو – رئيسة وزراء الباكستان سابقا– وصموئيل هتنجتون واريط رولو وجون اسبوزيتو ن وعشرة أساتذة جامعيين من إيران. كما شارك كل من أية الله عميد زنجاني من جامعة طهران وسيد عبد المجيد الخوئي صاحب مؤسسة الخوئي في لندن.([48])

وقد نقلت وكالة الأنباء الفرنسية أن المؤتمر دعا إلى تأليف هيئة لتبادل المعلومات مجانا.([49])

سادساً: التربية .

من أهم المؤتمرات الاستشراقية ما كان أكثر تأثيراً في حياة المسلمين وليس هناك ما هو أكثر أهمية من التربية . وقد رصد الدكتور محمد محمد حسين بعض المؤتمرات التربوية التي عقدت بتنظيم من مؤسسات غربية أرادت التأثير في هذا المجال الخطير . وقد أبدى اهتمامه بهذا الجانب حين تحدث عن وزارات التربية والتعليم قائلاً: " هي أهم هذه المعاقل والحصون الساهرة على أمن الشعوب وكيانها، لأنها المؤتمنة على أثمن ما تملكه الأمة من كنوز، هوي الثروة البشرية بما تنطوي عليه من قوى مادية ومن ملكات عقلية وخلقية ممثلة في رجال الغد الذي تشرف على تربيتهم ..."([50])

ومن هذه المؤتمرات :

مؤتمر التربية الأساسية في العالم العربي.

عقد هذا المؤتمر بدعوة من الجامعة الأمريكية في بيروت وهي التي نشرت محاضراته وبحوثه في كتاب عام 1956 . وقد قدم الدكتور محمد محمد حسين ملخصاً وافياً لمحاضرات المؤتمر وأشار إلى الجهات التي نظمته وفيما يلي أبرز النقاط التي تضمنها هذا التلخيص:

1- الحصول على " معلومات دقيقة من مصادر موثوق بها كما يمكن معرفة الاتجاهات الفكرية لقادة الرأي والمسؤولين في هذه البلاد."([51])

2- التعرف إلى المسؤولين مباشرة " يعجمون عودهم، ويدرسونهم عن قرب ، ويختبرون مناعتهم ومدى استعدادهم للتجاوب مع الأهداف الخفية للسياسة الاستعمارية."

3- الحديث عن فضل أمريكا في إنشاء مؤسسات التعليم المختلفة في الأردن ولبنان وغيرها

4- " المطالبة بإعادة النظر في مؤسساتنا التي تكونت ضمن الوضع القديم وفي المبادىء والافتراضات والأهداف التي بنيت عليها تلك المؤسسات وتعديلها على نور الوضع العلمي والحضاري الحديث ..."([52])

لا شك أن المؤتمرات حول التربية لم تتوقف عند هذا المؤتمر الذي عقد قبل خمسين سنة تقريباً ، وبخاصة أن أعداداً كبيرة من التربويين العرب المسلمين تخرجوا في الجامعات الأمريكية والأوروبية،وعادوا إلى بلادهم للعمل في هذا المجال الحيوي الخطير كما تسنم بعضهم مناصب مهمة في مجالات التربية والتعليم. وقد ظهر تأثير الفكر التربوي الغربي في مدارسنا وجامعاتنا في العالم العربي الإسلامي .

ولذلك فمن المهم أن يتم رصد هذه المؤتمرات ومعرفة التوصيات التي خرجت بها ومدى توافقها مع منهج التربية الإسلامية. ومن الواضح أن سيطرة الفكر التربوي الغربي أنسى الكثير من الباحثين والمثقفين أن لهذه الأمة فكر تربوي عظيم ابتدأ بتربية الرسول صلى الله عليه وسلم لصحابته الكرام وللأمة من بعدهم ، كما تمثل في البناء الحضاري العظيم.

ولابد من الإشادة بالمؤسسات التربوية العربية والإسلامية مثل مكتب التربية لدول الخليج العربية ومكتب التربية العربي في تونس والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم

والثقافة في الرباط بالمغرب وجهودها في نشر الفكر التربوي الإسلامي. ولكن هذه الجهود تحتاج إلى دعم كبير وإلى دعم كليات التربية في العالم الإسلامي كي نستغني عن ابتعاث أبنائنا للحصول على المؤهلات العليا من الجامعات الغربية.

وربما كان تقصيرنا في عقد المؤتمرات حول التربية وشؤونها وشجونها هو الذي شجع الغرب للاهتمام بهذا الجانب فقد عقد المؤتمر العالمي الإسلامي الأول للتربية قبل أكثر من عشرين سنة ولم تتقدم أي دولة لاستضافة مؤتمر ثان حول هذا الموضوع الخطير. والذي يعرف شيئاً عن التربية وشؤونها في الغرب يدرك كم يهتمون باللقاءات الدورية المستمرة للمعلمين والتربويين .

الخاتمة

سعى المستشرقون منذ وقت مبكر لمعرفة العالم الإسلامي، وتبادل المعلومات والخبرات، والاتفاق على المشروعات العلمية، وكذلك لنشر فكرهم وثقافتهم والترويج لمناهجهم والتأثير في العالم الإسلامي، وكانت المؤتمرات والندوات هي إحدى هذه الوسائل الناجحة جداً في تحقيق هذه الأهداف .

وقد تنوعت المؤتمرات بين مؤتمرات عامة تتناول القضايا التي تخص العالم الإسلامي كافة إلى مؤتمرات متخصصة وقد قدمت في هذه المحاضرة حديثاً عن المؤتمرات وأهدافها وتمويلها والمشاركة العربية الإسلامية فيها وقدمت بعض الآراء التي تشكو من غياب المشاركة العربية الإسلامية عن هذه المؤتمرات.

وفي المحور الثاني تناولت المؤتمرات العامة مثل المؤتمرات الدولية للجمعية الدولية للمستشرقين التي بدأت عقد مؤتمراتها العامة منذ عام 1873 حتى الوقت الحاضر وبلغت خمساً وثلاثين مؤتمراً حتى الآن . وقدمت نماذج أخرى للمؤتمرات العامة.

وفي المحور الثالث قدمت بعض النماذج للمؤتمرات المتخصصة في التاريخ، وفي اللغة والأدب ، وفي قضايا المرأة وفي العلاقات بين الإسلام والغرب ،وفي التربية.

إذا كان الاستشراق ومن خلفه الحكومات الغربية وبعض المؤسسات الغربية تهتم كل هذا الاهتمام بعقد المؤتمرات والندوات للبحث في شؤون العالم الإسلامي حتى إن ما يعقد في الغرب من مؤتمرات وندوات يفوق ما يعقد في العالم الإسلامي من مؤتمرات

وندوات تخصنا . فهل تركنا للغير يبحث في شؤوننا ويقرر ما يشاء في أدق خصوصياتنا؟

لقد آن الأوان أن تنشط الجامعات العربية والإسلامية في عقد المؤتمرات والندوات وأن تتاح للمنتدين والمؤتمرين الحرية العلمية المنضبطة بالضوابط الشرعية ، وأن يتاح لتوصيات المؤتمرات أن تأخذ طريقها للتنفيذ لا أن تبقى حبراً على ورق أو حبيسة الأدراج.

وأخيراً لابد من كلمة تفاؤل فإن الغرب الذي طالما كان من بيننا من شعر بالانبهار لإنجازاته في مجال التربية لم يجد وسيلة للحد من جرائم الأحداث سوى فرض حظر التجول عليهم ، فإذا كان أحداثهم لا يمكن الوثوق بهم فإن أحداث – لم يكونوا أحداثاً– تنافسوا في دخول المعارك وقادوا الجيوش ولم يتجاوزوا العشرين . ولذلك فإنني أتطلع إلى اليوم الذي ندرس فيه التربية الغربية بمنظار النقد الإسلامي وتكون التربية الإسلامية سبيلاً لهداية العالم كما كانت أول مرة.

المراجع العربية

–البستاني، فؤاد أفرام . " مؤتمر المستشرقين الدولي الحادي والعشرين " في المشرق. (بيروت) السنة الثانية والأربعون ، تشرين أول –كانون الأول 1948م ص. 481-500.

– = . "مؤتمر المستشرقين الدولي الثاني والعشرين ." في المشرق، السنة السادسة والأربعون ، الجزء الأول ، كانون الثاني ، شباط 1952، ص 102–116.

– حسين، محمد محمد. حصوننا مهددة من داخلها. ط5(بيروت : المكتب الإسلامي 1398هـ/1978م)

– = .الإسلام والحضارة الغربية .ط5(بيروت : مؤسسة الرسالة، 1402-هـ/1982م)

– حمدان، عاصم. " لماذا ومتى يهتم الأوروبيون بتراثنا؟" في المدينة المنورة ، 23ذو القعدة 1408 (ملحق التراث)

–الحياة. العدد (11798) 13محرم 1416هـ.(11يونيو 1995م)

–= . عدد (12221) في 27ربيع الأول 1417الموافق 11أغسطس 1996م.

-= .عـدد (11483)9صـفر 1415هــ ، الموافـق 27يوليـو 1994. -= .عـدد (12448) 20 ذو القعدة 1417هـ(29 مارس 1997م)
-= .عدد (12102) 25 ذو القعدة 1416هـ(31 أبريل 1996م)
- خليفة، محمد. " الإسلام في أوروبا" في الحياة، عدد (11798) 13محرم 1416، الموافق 11 يونيه 1995م.
- داغر، يوسف أسعد. " حول مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع والعشرين " في الأديب. السنة السادسة عشرة، الجزء الثاني عشر ، ديسمبر 1957م.
- سعد الله ، أبو القاسم.أفكار جامحة (الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988م)
- السماري، فهد. " الاستشراق الأكاديمي" في المسلمون. 14ذو الحجة 1410هـ.
- الصقري، صالح محمد. "مراكز دراسات الشرق الأوسط في الغرب واهتمامها بالمسلمين." في الشرق الأوسط، عدد (5448) ،28أكتوبر 1993.
- الشرق الأوسط. عدد (5637)في 1محرم 1415،(10يونيو 1994م)
-= . عدد (5765) 10 سبتمبر 1994م.
-= .عدد (6912) 30جمادى الآخرة 1418هـ(31أكتوبر 1997م)
- الشاهد ، محمد السيد، " لقاء صحفي معه "في مجلة اليمامة. (الرياض) عدد (1209) 16ذو الحجة 1412هـ.
- مطبقاني، مازن. المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق .(جدة: دار الريشة 1409)
- المدينة المنورة. عدد (12618) 30 جمادى الآخرة 1418م.

المراجع الأجنبية

- Annual Report of the Governing Body of the School of Oriental and North African Studies 1957.

- Abdul-Fattah, Nabil and Halah Mustafa “ the Western Democratic Model and Political Islam in the Middle East.” A paper prsented the First International Conference on Islam and the Twenty First Century, Leiden 3−7 June 1996.

- Dodge, Bayard. “ Comments on Spiritual and Moral Aspects of Currant Trends “ in Islam in the Modern World.
- Islam in the Modern World. (The Preface)edited by Dorothea Seelye Franck (Washington : Middle East Institute, 1951.
- Jansen, Johannes. “ The failure of the Liberal Alternative” a paper presented to the first International Conference on Islam and the Twenty- First Century. Leiden, 3-7 June 1996.
- Middle East Institute Newsletter. Vol. 48, No. 6, November 1997.
- Moshe Dayan Center for Middle Eastern and North African Studies Bulletin, No. 24, Fall 1996.
- =. No. 23 Spring 1996.

United States Institute of Peace Journal. Vol. VII, No. 4, August 1994.

- الحواشي :

1-نشر هذا البحث في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت

2 -صالح محمد الصقري . " مراكز دراسات الشرق الأوسط في الغرب واهتمامها بالمسلمين." في الشرق الأوسط، ع (5448) ،28أكتوبر 1993.

3 -المرجع نفسه.

4- الحياة ، عدد (11798) 13محرم 1416هـ(11يونيه 1995م)

5- الشرق الأوسط ن عدد (5637) ، 1محرم 1415 الموافق 10 يونيو 1994م.

6 -محمد محمد حسين . حصوننا مهددة من داخلها .ط5(بيروت ودمشق: المكتب الإسلامي،1398/ 1978م) ص. 30-31.

7 -المرجع نفسه.

8 - أبو القاسم سعد الله. أفكار جامحة. (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988)ص 260.

9- فهد السماري ، " الاستشراق الأكاديمي." في المسلمون ، 1410/12/14.

10- محمد محمد حسين. الإسلام والحضارة الغربية. ط5(بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1402- 1982م) ص 124-127.

11- في حديث مع مدير مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية حول من يدعى إلى المؤتمرات الغربية واقتصار الدعوات في الغالب على الذين لا يختلفون عن الغربيين في عقلياتهم وتوجهاتهم فقال دعهم في هذا الجهل فربما ليس من مصلحة المسلمين أن يعرضوا على الغربيين أفكارهم وتوجهاتهم التي تخالف الغرب الذي لا يحب سماع صوت سوى صوته.

12- حسين . الإسلام والحضارة الغربية ، مرجع سابق، ص 127.

13 - حسين ، حصوننا ، مرجع سابق. ص 36.

14 - Annual Report of the Governing Body of School of Oriental and African Studies. 1957.

15 -يوسف أسعد داغر." حول مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع والعشرين ." في الأديب، السنة السادسة عشرة، الجزء الثاني عشر ، ديسمبر 1957، ص 22-28.

16- " لقاء مع الدكتور السيد محمد الشاهد" في مجلة اليمامة (الرياض) عدد (1209) ،16ذو الحجة 1412.

17 -صالح الصقري ، مرجع سابق.

18- الحياة، ع (12221) ،27 ربيع الأول 1417الموافق 11 أغسطس 1996م.

19- فؤاد افرام البستاني، " مؤتمر المستشرقين الدولي الحادي والعشرون." في المشرق، السنة الثانية والأربعون ،تشرين أول - كانون الأول 1948، ص 481-500.

20- فؤاد أفرام البستاني. " مؤتمر المستشرقين الدولي الثاني والعشرون " في المشرق، السنة السادسة والأربعون ، الجزء الأول ، كانون الثاني- شباط 1952. ص 102-116.

21 - Preface to Islam in The Modern World .edited by Dorothea Seelye Franck (Washington: Middle East Institute, 1951.

Bayard Doge. “ Comments on Spiritual and Moral Aspects – 22 of Currant Trends” in Islam in The Modern World. Op., Cit., .19–10P.P.

23– المرجع نفسه.

* قابلت الدكتور مالك بدري من جامعة الزرقاء الأردنية وهو سوداني الأصل وقد درس في الجامعة الأمريكية وكان من زملائه الدكتور اسحق الفرحان وذكر لي أن محاربة بعض أساتذة الجامعة للإسلام دفعهما لدراسة القرآن الكريم والإسلام للرد على افتراءات هؤلاء.

24–المرجع نفسه.

25– المرجع نفسه.

26–محمد حسين ، الإسلام والحضارة الغربية ، مرجع سابق.ص 133.

, 6, No. 48The Middle East Institute Newsletter. Vol. – 27 .1997November

28 – الصقري ، مرجع سابق.

ohannes Jansen. “ The Failure of the Liberal Alternative”. – 29 A paper presented to the First International Conference on Islam .and The Twenty-First Century

Nabil Abdul Fattah and Hala Mustafa. “ The Western –30 Democratic Model and Political Islam in the Middle East.” .Presented to the Conference mentioned above

31–شارك برنارد لويس في مؤتمر بعنوان (الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية) ببحث عنوانه:" تركيا والتغريب." ونشرت بحوث المؤتمر عن دار جامعة شيكاغو عام 1956.

32– الحياة، عدد (11483) ، 9 صفر 1415، 27 يوليو 1994.

The Moshe Dayan Center for Middle Eastern and North – [33] .1996, Fall 24African Studies Bulletin. No.

** – كان هذا في اللقاء الأسبوعي في قسم دراسات الشرق الأدنى بجامعة برنستون 20سبتمبر 1995، وكنت أزور الولايات المتحدة ضيفاً على برنامج الزائر الدولي الذي تتبناه وكالة إعلام الولايات المتحدة.

[34] – United States Institute of Peace Journal, Vol. VII, No. 4, August 1994.

[35] –المرجع نفسه.

[36] – المرجع نفسه.

[37] – The Moshe Dayan Center For Middle Eastern and North African Studies Bulletin, No. 23 Spring 1996.

[38] – United States Institute of Peace Journal. Op. Cit.,

[39] – مازن مطبقاني . المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق.(جدة: دار الريشة، 1409) .

[40] – عاصم حمدان." لماذا ومتى يهتم الأوروبيون بتراثنا ." في المدينة المنورة. ، 23ذو العقدة 1408 (ملحق التراث)

[41] –الشرق الأوسط . ع(5765) في 10 سبتمبر 1994.

[42] –الحياة ،ع (12221) في 27 ربيع الأول 1417 (11أغسطس 1996).

[43] – المرجع نفسه .

[44] – محمد خليفة. " الإسلام في أوروبا." في الحياة ، ع (11798) ،13محرم 1416،الموافق 11يونيه 1995.

[45] – الحياة. عدد (12448) 20 ذو القعدة 1417، (29 مارس 1997م)

[46] – الحياة، عدد (12102) ، 25 ذو القعدة 1416، (31 أبريل 1996م)

[47] – الشرق الأوسط. عدد (6912) 30 جمادى الآخرة 1418 (31 أكتوبر 1997)

[48] – المرجع نفسه .

[49] – المدينة المنورة ، ع(12618) في 30 جمادى الآخرة 1418 .

[50] –محمد حسين ، حصوننا مهددة من داخلها ، مرجع سابق ص 19.

[51] – المرجع نفسه ص 30.

[52] – المرجع نفسه ص 32–33.

===============

#نظرة إلى المؤتمرات في بلادنا >

عقد في ليدن بهولندا قبل سنتين مؤتمر عالمي بعنوان "الإسلام والقرن الواحد والعشرون" تبنت الدعوة إليه كل من جامعة ليدن ووزارة الشؤون الدينية الإندونيسية، وقد حظي المؤتمر باهتمام رسمي من قبل جمهورية مصر العربية بمشاركة عدد كبير من علماء الأزهر وبعض الباحثين المصريين.كما شارك وزير الشؤون الدينية المغربي الذي دعا إلى أن تعقد الحلقة الثالثة من المؤتمر في المغرب عام 2000م بينما كان من المقرر أن تعقد الحلقة الثانية من المؤتمر في إندونيسيا. وشارك في حفلة الافتتاح وزير الثقافة الهولندي ووزير الشؤون الدينية الإندونيسي. وقد تضمن برنامج المؤتمر ثلاثة محاور هي : الإسلام والتنمية، والإسلام والعولمة والإسلام والتعليم. وقد قدم في المؤتمر أكثر من مائة وثمانين بحثاً بالإضافة إلى جلسة خاصة لعلماء الأزهر كانت باللغة العربية بينما قدمت بحوث المؤتمر كلها باللغة الإنجليزية.

وقد نشرت جريدة "الحياة" في 1ربيع الأول 1419هـ خبراً عن عزم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المصرية الدعوة لعقد مؤتمر عالمي بعنوان (الإسلام والقرن الواحد والعشرين) دون الإشارة إلى المؤتمر السابق الذي عقد في هولندا. وهذا المؤتمر إنما هو حلقة ثانية للمؤتمر الأول وقد تقرر عقده في مصر عوضاً عن إندونيسيا التي تمر بظروف سياسية واقتصادية خاصة.

ونظراً لأنني كنت قد حضرت المؤتمر الأول في هولندا ممثلاً لبلادي ومشاركاً بتقديم بحث حول الإسلام والتنمية، فقد تمنيت أن أعرف عن المؤتمر الذي سيعقد في القاهرة قريباً قبل مدة كافية لأتمكن من الإعداد للمشاركة في الحلقة الثانية من المؤتمر. وقد لفت نظري عدم إشارة الخبر إلى المؤتمر الأول الذي عقد في هولندا. كما أعتقد أن الكثير من المستشرقين الذين حضروا المؤتمر الأول سيحضرون المؤتمر الثاني.

وتأتي أهمية هذا المؤتمر أن مجلة فرنسية سألت خمسة عشر مستشرقاً في بداية القرن العشرين عن توقعاتهم لما سيحدث في العالم الإسلامي في هذا القرن . فتناول كل واحد منهم جانباً من أوضاع العالم الإسلامي. وكان المؤتمر الأول لا يخرج عن فكرة النظر فيما سيكون عليه حال الأمة الإسلامية في القرن الواحد والعشرين والإسهام في التخطيط لذلك كما فعلوا في القرن الماضي. فهل يفوت المسلمون عليهم هذه الفرصة ويخططوا لأنفسهم.

ويهمني في هذا المقال أن أتحدث عن نماذج من المؤتمرات التي تعقد في أنحاء العالم ومن يدعى إليها وكيف تتم الدعوة. لقد عرفت عن المؤتمر الأول عن طريق أحد الأساتذة المسلمين الذين يعملون في جامعة ليدن الذي بعث إلي بتفاصيل عن المؤتمر فأسرعت ببعث ملخص فكرة البحث الذي أود إلقاءه في المؤتمر وبعد مدة قصيرة تلقيت إفادة من السفارة الهولندية بالرياض بموافقة اللجنة المنظمة على بحثي وأن السفارة على استعداد لتسهيل إجراءات حصولي على التأشيرة. وتقدمت إلى جامعتي مستأذناً أن أحضر المؤتمر فحصلت على شرف تمثيل بلادي في المؤتمر وكنت الوحيد من المملكة العربية السعودية وقد عددت ذلك تقصيراً من اللجنة المنظمة للمؤتمر أنها لم تدعو الجهات الرسمية في المملكة والجامعات لترشيح من يمثلها. فبلاد لها أهمية المملكة العربية السعودية ومكانتها ما كان ينبغي أن يقل عدد الممثلين منها عن عشرة ممثلين. ولا شك أن المؤتمر الذي سيعقد في القاهرة سيحصره عدد طيب من علماء هذه البلاد.

فليت القائمين على هذا المؤتمر أعلنوا عنه قبل أشهر من انعقاده ليتمكن من يرغب المشاركة للتقدم برغبته في المشاركة. أو إن المؤتمرات التي تأخذ الطابع الرسمي لها معايير معينة في اختيار المشاركين دون النظر في اهتماماتهم الحقيقية أو مستواهم العلمي.

أرجو أن تكون مؤتمراتنا القادمة أفضل تخطيطاً وأوسع مشاركة حتى تأخذ الصبغة العلمية الموضوعية.

=============

#ندوة صحيفة عكاظ حول الاستشراق(*)

هذه إجاباتي عن الأسئلة التي وجهت لي في الندوة التي عقدتها جريدة عكاظ في رحاب قسم الاستشراق بكلية الدعوة في المدينة المنورة وشارك فيها عدد من أساتذة القسم.

طبيعة الاستشراق الإنجليزي

لا يكاد الاستشراق الإنجليزي يختلف كثيراً في بداياته ودوافعه وأهدافه عن مداس الاستشراق الأخرى عدا أن إمبراطورية بريطانيا الاستعمارية كانت أوسع من غيرها من الدول الأوروبية الأخرى مما جعل الاستشراق الإنجليزي أوسع نطاقاً من ناحية عدد المستشرقين واهتماماته.

وفي الوقت الذي أخذت إمبراطورية بريطانيا في الأفول كان من المتوقع أن ينحسر المد الاستشراقي، لكن ما حدث كان عكس ذلك تماماً فقد اتسع نطاق الاستشراق وتعمقت جهود المستشرقين وازداد عدد المؤسسات الجامعية ومراكز البحوث المهتمة بهذه الدراسات. ويمكننا توضيح ذلك بمثال "مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية" التي تأست بناء على توصيات من شخصيات سياسية مهمة مثل اللورد كيرزون الذي طالب في 17سبتمبر 1907م في مجلس اللوردات البريطاني بضرورة استمرار الاهتمام بالشق وتقاليده وعاداته ومشاعره للإبقاء على الامتيازات التي حققتها الإمبراطورية البريطانية.

وقد حدد تقرير لجنة الدراسات الشرقية والسلافية والأوروبية الشرقية والأفريقية (1947&1961م) بعض جوانب الاهتمامات الاستشراقية وذكر منها: الترجمة من اللغات العربية والإسلامية إلى الإنجليزية، والاهتمام بالتاريخ وذلك لأن الدراسات التاريخية تساعد على فهم الأحداث التي تقع في الدول الأجنبية، ومن ذلك الاهتمام بالعلوم الاجتماعية والتجارة والاهتمام بالمكتبات.

ويمكن أن نحدد طبيعة الاستشراق البريطاني بالصفات الآتي:

1- الصفة الدينية التنصيرية: وهنا لا يختلف الاستشراق الإنجليزي عن غيره حيث شارك المنصرون في الدراسات الاستشراقية وفي الأعمال التنصيرية، وظهر عدد من المستشرقين ذوي الاهتمامات التنصيرية.

2- الصفة السياسية الاقتصادية الاستعمارية: كان لازدياد النشاط التجاري وتطور العلاقات السياسية والاقتصادية بين الدول الأوروبية والعالم الإسلامي دوره في ظهور هذه الصفة في الاستشراق الإنجليزي. وقد أدت هذه الصفة إلى ظهور مجموعة من العلماء الذين تظاهروا بالعلمية والموضوعية والتجرد وكانوا أدوات في أيدي حكوماتهم تنفذ بهم أو عن طريقهم أطماعها الاستعمارية التسلطية. وقد ذكر آصف حسين في بحث له بعنوان: "أيديولوجية الاستشراق" أن الاستشراق ساعد الإمبريالية في جعل الاحتلال أمراً مشروعاً حيث اشترك بعض المستشرقين اشتراكاً مباشراً في مساعدة الإدارات الاستعمارية.

وثمة صفات مشتركة بين الاستشراق الأمريكي والإنجليزي نذكرها بعد الحديث عن الاستشراق الأمريكي.

طبيعة الاستشراق الأمريكي:

1- الصفة الدينية التنصيرية : ظهرت هذه الصفة في الاستشراق الأمريكي منذ بداياته الأولى حيث كان الاهتمام باللغة العربية طريقاً لفهم العبرية كما شارك الاستشراق الأمريكي في الحملات التنصيرية التي قصدت بلاد الشام وأنشأت فيها معاهد علمية مختلفة، كما أسس الأمريكيون بعثة تنصيرية في الخليج العربي استمرت من عام 1889إلى 1973م، ومن أبرز المستشرقين المنصرين صموئيل زويمر وكينيث كراج.

2- الصفة السياسية الاقتصادية: لقد اهتم الاستشراق الأمريكي بالأطماع السياسية الاقتصادية منذ وقت مبكر يرجعه البعض إلى منتصف القرن التاسع عشر، ولكن اندفاع الاستراق الأمريكي في هذا الاتجاه كان بصورة قوية بعد الحرب العالمية الثانية، فأنشأت مراكز البحوث للدراسات الاستشراقية بدعم كبير من الحكومة الأمريكية، ويؤكد هذا اهتمام أقسام دراسات الشرق الأوسط ومراكز البحوث في تحليل الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للعالم الإسلامي.

3- التوجه إلى دراسة المناطق أو الدراسات الإقليمية: لقد أسهم الاستشراق الأمريكي في تطوير فرع جديد من الدراسات الاستشراقية أطلق عليه الدراسات الإقليمية أو دراسة المناطق، وتتركز هذه الدراسات حول المشكلات الخاصة النابعة من التغيرات

الاجتماعية الحديثة ويشمل هذا تتبع التطور الاقتصادي، والقيادات والجماهير والسكان والتعليم وعلاقات الجماعات والقوميات...الخ.

4- الارتباط بالعلوم الاجتماعية : أدخل الاستشراق الأمريكي إلى هذه الدراسات استخدام العلوم الاجتماعية من علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وغيرهما في دراسة الشعوب الإسلامية.

هذا بإيجاز أبرز خصائص الاستشراق الأمريكي والإنجليزي.

الاستشراق اليهودي : برنارد لويس نموذجاً

أدرك المستشرقون اليهود أهمية مراكز البحوث والجامعات الغربية وبخاصة الأمريكية في صناعة القرار السياسي في الغرب فانخرطوا في هذه الدراسات لتحقيق كثير من مآربهم في محاربة العالم الإسلامي. ويقول في ذلك محمد بن عبود:" إن اليهودية هي القوة الثالثة التي تركت أثراً على تطورات الدراسات العربية والإسلامية في الغرب وبخاصة من الناحية المنهجية."

ومن الملاحظ أن كثيراً من المستشرقين اليهود تصعب معرفة هويتهم ذلك أنهم يحاولون إخفاءها، ويؤيد هذا ما كتبه محمود حمدي زقزوق بأن اليهود عملوا داخل الحركة الاستشراقية دون كشف هويتهم حتى لا يعزلوا أنفسهم وبالتالي يقل تأثيرهم ، ولهذا عملوا على أنهم مستشرقون أوروبيون أو أمريكيون وكسبوا في تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام.

ومن المستشرقين اليهود البارزين في القديم جولدزيهر الذي عدّه المستشرقون مرجعاً أساسياً في العلوم الإسلامية كالحديث والتفسير والفقه. أما في العصر الحاضر فيمكننا أن نسمى آخرين مثل روزنثال الذي اهتم بالدراسات الأندلسية بخاصة والثقافة الإسلامية عموماً وكذلك التاريخ الإسلامي، ومنهم أيضاً سبيسر الذي درّس في جامعة بنسلفانيا وعمل أستاذا للغات السامية كما عمل مدرياً للمدرسة الأمريكية بالأبحاث المشرقية في بغداد. وعمل أيضاً رئيساً لقسم الشرق الأدنى في فرع الأبحاث والتحاليل في مكتب التنظيمات العسكرية، ومن المستشرقين اليهود تشارز توري وهاري ولفسون الذي اهتم بالفلسفة الإسلامية والكتابات العقدية عند ابن سينا والغزالي وابن رشد.

ويمتاز المستشرقون اليهود بعامة أن منابعهم الفكرية تنطلق أولاً من الثقافة اليهودية، ويضيف بعضهم –أو أكثرهم– الثقافة الصهيونية.

ويمكننا أن نقدم نموذجاً للمستشرقين اليهود وهو المستشرق برنارد لويس الذي وجه تخصصه في التاريخ الإسلامي لخدمة الدراسات اليهودية والبحث في المسائل التي تخص اليهود في العالم الإسلامي. وأصدر العديد من الدراسات التي ترصد أوضاع اليهود ومنها كتابه اليهود في الإسلام، الذي حاول فيه أن يجعل لليهود دوراً في بناء الحضارة الإسلامية فضلاً عن خلق دور لهم في بناء الدين الإسلامي نفسه. ومن دراساته كذلك دراسة الوثائق التي تخص الوجود اليهودي في الدولة العثمانية وفي فلسطين بالذات.

ومن منابع فكر المستشرقين اليهود التأثر بالظروف السياسية العالمية فقد تأثر لويس بما شهده من آثار الحرب العالمية الثانية وظهور حركات التحرر في العالم وبخاصة في العالم الإسلامي واستقلال معظم دوله مما جعل المستشرقين وبخاصة اليهود يركزون على دراسة قضايا معينة في فكر الأمة الإسلامية وعقيدتها ودراسة أسباب تحررها والتركيز على دراسة الخلافة :ظهورها وأسباب انهيارها وكذلك دراسة الفكر السياسي في الإسلام.

كما اهتم المستشرقون –وبخاصة لويس– بظهور تركيا الحديثة والحركة العلمانية فيها التي أدت إلى تغريب تركيا. واهتم المستشرقون اليهود بالصحوة الإسلامية ونبهوا إلى ما تصوروه من خطر سيواجه الغرب، ومن هؤلاء بالإضافة إلى برنارد لويس دانيال بايبس و ناداف سافران الذي خطط لإقامة ندوة عن الحركات الإسلامية في جامعة هارفرد بتمويل مشترك مع المخابرات المركزية الأمريكية لولا أن افتضح أمره قبل انعقاد الندوة بقليل، ومن هؤلاء المستشرق اليهودي المتخصص في المغرب العربي إيمانيوال سيفان.

وحرص الاستشراق اليهودي على التأثير في الرأي العالم الغربي عن طريق الندوات والمؤتمرات التي يشارك فيها هؤلاء المستشرقون (**)،وكذلك وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وصحافة وتلفاز. فاليهود يملكون عدداً من الدوريات والمجلات ينشرون من خلالها أفكارهم التي تحذر من الإسلام والصحوة الإسلامية.(***)

كيف يتم التعامل مع كتابات المستشرقين، وما دور المؤسسات الإسلامية والجامعات ومراكز البحوث في ذلك؟

هذه قضية خطيرة فالعالم الإسلامي مستهدف من الغرب لأسباب كثيرة منها السباب العقدية لارتباط الغرب بنصرانيته ويهوديته، ويؤكد هذا قول الله عز وجل }ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم{ وقوله تعالى }ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء{، وهناك أسباب أخرى سياسية واقتصادية فالغرب مازال يعتمد في صناعته وفي حياته اليومية على الثروات الطبيعية وعلى رأسها البترول المتوفر في العالم الإسلامي.

لهذه الأسباب اهتم الغرب بدراسة العالم الإسلامي دراسة عميقة من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وتكاد الدراسات الاستشراقية لا تترك صغيرة أو كبيرة في عالمنا الإسلامي دون دراستها دراسة تحليلية. ومن خلال هذه الدراسات يستطيع الغرب توجيه مواجهته في محاولة السيطرة وفرض السيادة.

أما العمل المطلوب لمواجهة الاستراق فيمكن تلخيصه في النقاط الآتية:

1- أن يتولى المسلمون دراسة أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية دراسات علمية أكاديمية صريحة حتى نتمكن من معرفة أنفسنا معرفة عميقة ودقيقة لنكون قادرين على تمثيل أنفسنا أما أنفسنا كما قال الدكتور أكرم ضياء العمري في محاضرة ألقاها في الجامعة الإسلامية قبل عدة سنوات بعنوان: "الاستشراق: هل استنفد أغراضه؟" وبعد أن نصل إلى هذا المستوى فإنه يصبح بإمكاننا تمثيل أنفسنا أما العالم. أما استمرار الوضع الراهن من غياب هذه الدراسات فإن الغرب يستمر في دراستنا والإفادة من الدراسات التي يقدمها أبناء المسلمين في جامعاته، وتوفر عليه كثيراً من الجهود والأموال ويحصل عن طريقها على كثير من المعلومات التي لا يتمكن من الوصول إليها لولا هذه الدراسات. وأقصد بذلك الدراسات الأكاديمية للحصول على الدرجات العلمية، وكذلك الذين يقضون سنوات التفرغ العلمي في الجامعات الغربية أو الباحثين العرب المسلمين المقيمين في الغرب.

2- لابد من إعداد خطة شاملة لرصد الدراسات الاستشراقية، وتوزيع هذه المسؤولية بين المؤسسات العليمة ومراكز البحوث والجامعات، ولا يمكن أن يتم ذلك إلاّ بعقد

عـدد مـن المـؤتمرات والنـدوات المتخصصـة لكـل جانـب مـن جوانـب الدراسـات الاستشراقية.

وإنني أدعو إلى اتخاذ خطوة جريئة أخرى حتى وإن لم ننجز الخطوتين السابقتين تماماً ألا وهي توجيه عدد من باحثينا لرصد الدراسات التي يعدها الغربيون حول مجتمعاتهم لنصبح على بصيرة بالمجتمعات الغربية فقد مكثنا طويلاً في زاوية الدراسات الدفاعية التبريرية التي تنتظر من الآخر ليكون فاعلاً ونحن نقدم ردود الأفعال. ولعل أهمية هذه الدراسات تظهر في أخذ زمام المبادرة من الغرب في فرض هيمنته وسيطرته واستمرار الانبهار بالغرب والحرص على تقليده فنحن بحاجة إلى الانتقال من دور المنبهر بالآخر أو دور المغلوب الذي يخضع للغالب ويحرص على تقليده.

- الحواشي :

* نشرت في العددين (10126)و(10133)في 18 و25 ذي القعدة 1414الموافق 29أبريل و6مايو 1994م

** -دليل على هذا أن المؤتمر الدولي الخامس والثلاثين للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية الذي عقد في بودبست بالمجر في الفترة من 3-8 ربيع الأول 1418هـ(12-7 يوليو 1997م) حضره خمس وسبعون مستشرقاً من دولة إسرائيل هذا عد عن المستشرقين اليهود الذين حضروا من الدول الأوروبية وأمريكا وكندا، في الوقت الذي لم يزد عدد الباحثين من العالم العربي عن الخمسين باحثاً.

*** -راجعت النشرة الصادرة من مركز موشيه ديان لدراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا فوجدت أن ثمة صلات قوية بن الدوائر السياسية والثقافية في الغرب وبين إسرائيل حيث يقوم باحثون متخصصون في الدراسات العربية الإسلامية اليهود بزيارة المعاهد الغربية ووزارات الخارجية ومراكز صناعة القرار السياسي في الغرب.

===========

#ندوة الحج والإعلام بجامعة أم القرى >

دعا المجلس الأعلى للإعلام وجامعة أم القرى ممثلة في مركز أبحاث الحج إلى ندوة علمية بعنوان الإعلام في الحج في الفترة من 28جمادىالآخرة حتى الأول من رجب

1415هـ من هذا العام، وهي ندوة ظهر فيها تنوع في خلفيات الجهات التي شاركت، كما ظهر فيها جهد كبير في البحوث وأوراق العمل.

ونظراً للأهمية الكبرى التي يحظى بها الإعلام في حياتنا، فلا بد أن يكون له أهمية خاصة في موسم الحج الذي كان موضوع الندوة. فالحج هو ركن الإسلام العظيم الذي تجتمع خلاله الأركان الخمسة جميعها من توحيد وصلاة وصيام وصدقة. ويقدم الحج البرهان العملي على أن الأمة الإسلامية أمة وحدها من دون الناس كما جاء في الصحيفة التي كتبها النبي صلى الله عليه وسلم حين مقدمه إلى المدينة المنورة بين المهاجرين والأنصار وبين غيرهم من سكان المدينة ممن لم يكن قد دخل الإسلام حينها. وهذا ما تؤكده الآية الكريمة {وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون}

وقد نال هذا الموضوع اهتماماً خاصاً في بحث الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد الموسوم (العمل على إشاعة روح الأخوة بين الحجاج والانتماء للأمة الواحدة). وقد أورد الدكتور حميد العديد من الشواهد والأدلة على وحدة الأمة الإسلامية وكيف يمكن تنميتها من خلال برامج خاصة. وقد أفاض الشيخ حفظه الله في الاستشهاد بأقوال بعض المستشرقين في كيفية تحقق الوحدة الإسلامية في الحج. وكان من توصيات هذا البحث القيم قول الشيخ: "التنسيق بين فئات الحجاج لتبادل الزيارات فيما بينهم، وأعني بذلك عينات من أعيانهم ووجهائهم ومثقفيهم وأصحاب الفكر ليقابلوا إخوانهم من الجنسيات الأخرى في مواقعهم ومخيماتهم حسب برامج وأهداف محددة."

وهذا الأمر وإن كان يتم في الوقت الحاضر –فيما أعلم– ولكن في حدود ضيقة وبدون برامج محددة فإن توصية الشيخ تستحق الاهتمام بها من الجهات الداعية لهؤلاء الحجاج حيث يمكن تبادل المعلومات قبل موسم الحج بوقت كاف، كما ينبغي أن يطلب من السفارات حين تصدر التأشيرات الخاصة لبعض كبار الشخصيات العلمية والفكرية أن تتولى إشعار إدارة العلاقات العامة في وزارة الحج، فحتى لو كان الشخص لا يرغب أن يكون ضيفاً على أحد لكن ينبغي لنا الاحتفاء بهؤلاء وهو في

الحقيقة هدي نبوي بالاحتفاء برؤساء القبائل وأشرافهم وذوي الأحلام منهم. بل ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في الصلاة: (ليلني أولي الأحلام والنهى)

وكم سررت حين عدت لمقالة الأسبوع الماضي فوجدت أنني تقدمت باقتراح قريب لاقتراح الشيخ وإن كان اقتراح الشيخ أعم في أن يكون اللقاء بين العلماء من مختلف البلدان التي يقدم منها الحاج، لكن يبقى من المهم أن يكون لنا استفادة خاصة في هذا البلد وكان مما جاء في اقتراحي الذي أعيده باختصار بأن تطلب الجهات المستضيفة للحجاج أو العلاقات العامة في وزارة الحج بالطلب من أساتذة الجامعات، وأضيف وغيرهم من المفكرين والمثقفين في هذه البلاد بمرافقة هؤلاء الحجاج بعض الوقت إما بمقابل أو تطوعاً. فكم نحن بحاجة ماسّة إلى مثل هذه اللقاءات العلمية بين القيادات الفكرية في العالم الإسلامي برعاية هذا البلد المضياف الذي منّ الله عليه بالأمن والاستقرار. فمثل هذه اللقاءات ستسهم بإذن الله في وضع الخطط المناسبة لعل دول العالم الإسلامي تخرج من التصنيف الذي وضعت فيه وهو (دول العالم الثالث) أو (الدول النامية) وهي مصطلحات غربية قبلناها أم رفضناها ولكن قوة الإعلام الغربي فرضها علينا.

فليجتمع في ظلال الحج الرياضيون، والفيزيائيون، والكيميائيون، وعلماء الأحياء، والأطباء، والمهندسون، وليجتمع الأدباء والكتّاب، وليجتمع علماء الفقه، والحديث والسنة. ولتكن فرصة لاجتماع أرباب الصناعة والتجارة، فإن التبادل التجاري والصناعي بين البلدان الإسلامية ما زال أقل بكثير مما هو بين بعض البلاد الإسلامية وغيرها من البلدان غير الإسلامية.

أن هذه الأمة دستورها القرآن الكريم الذي جاء فيه عن الحج {ليشهدوا منافع لهم} وأي منافع بعد مغفرة الله ورضوانه أفضل من انتشال الأمة الإسلامية من حالها التي هي فيه إلى حال أفضل لتنطلق في تبليغ رسالة الإسلام إلى العالم أجمع، و لتنتقل من حال الضعف إلى القوة، ومن حال الشتات إلى حال الوحدة. وقد قال القرطبي في تفسير هذه الآية:" ليشهدوا أي ليحضروا والشهود الحضور،{منافع لهم} أي المناسك؛ كعرفات والمشعر الحرام, وقيل المغفرة وقيل التجارة.، وقيل هي عموم؛ أي ليحضروا منافع لهم أي ما يرضي الله تعالى من أمر الدنيا والآخرة؛ قاله مجاهد و

عطاء واختاره ابن العربي فإنه يجمع ذلك كله من نسك وتجارة ومغفرة ومنفعة دنيا وأخرى. وأضاف الإمام القرطبي– رحمه الله توضيحا بقوله:" ولا خلاف في أن المراد بقوله { ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم} التجارة." أ.هـ.

ولئن سبقني كل من الدكتور عبد القادر طاش والدكتور عاصم حمدان والدكتور محمد خضر عريف وغيرهم في الكتابة حول وسائل الإعلام وأدائها في موسم الحج وغيره من المواسم، لكنني شعرت أن النقاش الصريح حول مدى وصول الرسالة الإعلامية إلى المستقبلين كان ينبغي أن يتطور إلى الدعوة إلى عقد ندوة خاصة لمناقشة أداء وسائل الإعلام عموماً ليس في موسم الحج وحده بل على مدار العام أيضاً.

لقد اهتمت حكومتنا الكريمة بمجال الإعلام فأنشأت لذلك العديد من أقسام الإعلام في عدد من الجامعات – ربما آن الأوان ليتحول بعضها إلى كليات للإعلام– كما ابتعثت العديد من الطلبة المتفوقين للحصول على الدرجات العليا في مجال الإعلام من الولايات المتحدة وبريطانيا. ولقد أصبح لدينا عدد كبير من الإعلاميين المتخصصين الذين يعد وجودهم دعماً مباركاً لجهود الإخوة العاملين في هذا المجال وقد تمرسوا فيه على مدى سنوات خبرتهم الطويلة.

ومن الأفكار الممتازة التي عرضها أحد الإخوة في بحثه ضرورة استعانة وسائل الإعلام بالمتخصصين وببيوت الخبرة الإعلامية لقياس درجة الاستجابة لدى الجمهور المستقبل، وأكد أن مثل هذه الدراسات التي قد تكلف من الناحية المالية لكن مردودها سيكون أكبر من الاستمرار في الإنفاق دون هذه الدراسات وبالتالي ستوفر كثيراً من النفقات على المدى القريب والبعيد.

ومن الأفكار التي طرحت أن مواكبة وسائل الإعلام لدينا للمناسبات العالمية مواكبة لا تليق بخبرتها وسمعتها والإمكانات الهائلة المتوفرة لها، وأهم من ذلك أنها وسائل إعلام تعمل وفقاً للنظام الأساسي للإعلام في المملكة الذي يؤكد على الطبيعة الدعوية لهذه الوسائل. وفي حديث مع الأخ الدكتور عايض الردادي (مدير عام إذاعة الرياض سابقا) أشرت إليه بما حدث في إذاعة لندن من الاهتمام بمؤتمرات الأمم المتحدة الثلاث: مؤتمر السكان والتنمية في القاهرة، ومؤتمر التنمية الاجتماعية

في كوبنهاجن ، المؤتمر العالمي للمرأة في بكين. فقدمت وجهة نظر الغرب وثقافته عقب المؤتمر الأول في برنامج (عن الجنس بصراحة) وقدمت خلال مؤتمر المرأة العلمي الرابع وعقبه أضخم جهد إعلامي (كما زعموا، وقد يكون صحيحا) هو برنامج (نون النسوة) الذي حشدت له إذاعة لندن إمكانات كبيرة ومقابلات على مدى العالم العربي كله. فماذا فعلنا نحن، وبخاصة أن القيم الإسلامية هي المستهدفة من هذه المؤتمرات أو المؤامرات.

وأشرت إلى أن إذاعة لندن تهتم بما يكتب عنها وتقوم بالرد عليه وبسرعة ومن ذلك أنني انتقدت برنامجا في تلك الإذاعة بعنوان(عالم الكتب) فجاءني الرد خلال ثلاث أيام بالفاكس من لندن. ولكن كم من مرة كتبت فيها عن الإذاعة أو التلفاز(حتى ظن البعض أنني متخصص في الإعلام) ولم أتلق حتى اليوم رداً واحداً.

وثمة نقطة مهمة عن إعداد البرامج فإن في إذاعتنا نفراً تخصصوا في كل شي: في الإخراج وفي التقديم وفي الإعداد وحتى الآثار، وقد صرح أحدهم –لم يعتقد أنني سأحتاج هذا التصريح – أن أمر الإعداد لا يحتاج أكثر من بضعة كتب وتنقل فقرة من هنا وفقرة من هنا..الخ. وقد لا يصدق مثل هذا إلاّ على برامج قليلة ولكنه حدث.

والأمر الآخر ما ذا فعلنا بشأن المكافآت فقد كتب أحد الكتاب أن هذه التسعيرة لم يتم تعديلها منذ إنشاء الإذاعة. ولكن ما هو أهم من هذا طريقة تقديم هذه المكافآت أو الأجور عليك أن تراجع الأستاذ أمين الصندوق عدة مرات حيث يكون منتدباً أحياناً أو يكون مشغولاً وتبدأ أنت وهو في البحث في الكشوف أو البيانات فقد يكون اسمك وصل أو لم يصل. فما هذه الطريقة. ألا يمكن أن تصل المكافأة إلى صاحبها على عنوانه بعد أن نكون قد نظرنا في زيادتها بما يناسب حجم الجهد المبذول وقيمة المشاركة. وقد رأيت العشرات أو المئات من أصحاب المكافآت قد تركوها لأنهم ملوا من السؤال (المرمطة).

قد يقول قائل: " وهل نملك إمكانات إذاعة لندن؟" ولن أجيب عن هذا السؤال ولكن ما أعرفه أن الإذاعة وغيرها من وسائل الإعلام تلقى رعاية مباركة من حكومة المملكة لأننا بلد تحملنا مسؤولية الدعوة إلى الله فهذا هو ما تفيده قراءة النظام الأساسي للإعلام.

لقد كانت ندوة مباركة أتاحت الفرصة لعدد كبير من الأكاديميين للالتقاء، وهذه الندوات هي روح الحياة الجامعية،ولا يمكن للأستاذ الجامعي أن يحقق ذاته دون حضور الندوات والاحتكاك بزملائه من شتى التخصصات. فشكر الله للمجلس الأعلى للإعلام وجامعة أم القرى ممثلة في مركز أبحاث الحج على الدعوة إلى هذه الندوة.

لقد كانت ندوة مباركة أتاحت الفرصة للمتخصصين أكاديمياً والعاملين في المجال العملي أن يتحاوروا في جو علمي ملؤه المحبة والحرص على مصلحة هذا البلد الطيب

=============

#قراءة ثقافية في تاريخ دورات الجنادرية"[1]"

الأنشطة الثقافية إحدى الفاعليات المهمة في مهرجان الجنادرية للتراث والثقافة، وقد تعددت محاور هذه الأنشطة طوال الدورات الماضية للمهرجان ففي الدورة الأولى في العام 1405هـ أقيمت بعض الندوات الثقافية المبدئية التي دارت حول موضوعين فالندوة الأولى جاءت بعنوان "بين الأدب الشعبي والأدب الفصيح" شارك فيها كل من: د. سعد الصويان ود. مرزوق بن تنباك وأدارها د. عبدالله العثيمين، أما الندوة الثانية فجاءت بعنوان "نظرات في الأدب السعودي" شارك فيها كل من: د. محمد عبدالرحمن الشامخ و د. عبدالله الحامد و د. فهد العرابي الحارثي وأدارها د. عبدالله الغذامي وقد أقيمت محاضرة واحدة ألقاها د. عبدالله الشهيل في عنوان "الملك عبدالعزيز أمل العرب في مرحلة اليأس" وأقيمت أمسية شعرية شارك فيها كل من: علي عبدالله خليفة، و د.عبدا لله العتيبي، وأحمد صالح الصالح .

وفي المهرجان الثاني عام 1406هـ أقيمت 5 ندوات ثقافية ومحاضرة واحدة وثلاث أمسيات شعرية وتحدثت الندوات عن عدة عناوين هي "القصة القصيرة في الجزيرة العربية بداياتها وتطورها"، و"الرقص والأغنية الشعبية"، والخصومات الأدبية بدايتها دوافعها غاياتها"، و"الجزيرة العربية وتراثها القديم"، و"التنمية الثقافية في الخطة الخمسية الرابعة"، وألقى عبدا لعزيز السريع محاضرة عن "عهد المسرح الخليجي"،

وشارك 11 شاعراً في الأمسيات الشعرية منهم: علي الشرقاوي، واحمد راشد ثاني، ومعيض البخيتان، وعبدالرحمن رفيع، وإبراهيم العواجي .

في المهرجان الثالث في العام 1407هـ أقيمت ندوة ثقافية كبرى عن التراث الشعبي شملت مجموعة من الندوات والعناوين، وكانت عبارة عن أوراق بحثية وتعقيبات على هذه الأوراق وجاءت في عناوين: ماهية الموروث الشعبي العربي علاقة الموروث الشعبي بمخيلة المبدع أهمية الموروث الشعبي في الأعمال الإبداعية أثر الموروث الشعبي في السلوك والأنماط الفكرية الموروث الشعبي في التراث العربي الموروث الشعبي في الفنون الاحتفالية، الفكاهة، المسرح، الموسيقى، الرقص، البرامج الشعبية وأهميتها وأثر الموروث الشعبي السعودي في عرب بلاد الشام، والتراث التقليدي لملابس النساء في نجد. وأقيمت ندوة دينية قدمها فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز – رحمة الله – وأقيمت ندوة عن "أدب المرأة السعودية وتطوره" بالإضافة إلى أمسية شعرية قدمها عدد من شعراء مجلس التعاون الخليجي.

في المهرجان الرابع 1408هـ استمر النشاط الثقافي الخاص بالتراث العربي؛ فأقيمت عدة ندوات قدمت فيها البحوث وأوراق العمل وجاءت في عدة عناوين هي: السيرة الشعبية العربية و"لغة المعاش اليومي في رواية السردي"، و"الفن القصصي في التراث الشعبي"، و" الرواية السودانية واستلهامها للموروث الشعبي"، و"ألف ليلة وليلة في القصة العربية" و"البيئة المحلية في قصة السباعي". وأقيمت ندوات موسعة تحت عنوان" التراث ماذا نبعث منه وماذا نترك"، و"تجربة التنمية ماذا بعد النفط"، و" الغزو الثقافي "، و"الشعر الجاهلي وجذوره"، و "هل العقل العربي في أزمة"، و"فلسطين صراع حضاري" وأقيمت في المهرجان نفسه خمس محاضرات هي: "القوانين العرفية في منطقة عسير"، و" توظيف التراث الشعبي في الأدب العربي" و"القيم الجمالية لمختارات الفنون الإسلامية"، و"جماليات الخط العربي وتطور أنماطه الفنية ودورها في ازدهار الفنون الإسلامية"، و"التراث ودوره في تحديد الهوية الفكرية والثقافية للأمة" قدمها كل من: محمد آل زلفة، وسعد الجنيدل، ومحمود الربداوي، وعبدالحميد الداخلي، ومحمد قطب على الترتيب وأقيمت في هذا المهرجان 3 أمسيات شعرية .

وفـي النشـاط النسـائي أقيمـت 3 محاضـرات الأولـى بعنـوان "حيـاة المـرأة الاجتماعيـة والاقتصادية في نجد في عصر الإمام فيصل بن تركي" وألقتها مضاوي الهطلاني، ومحاضرة بعنوان: "الطب النبوي في معالجة بعض الأمراض"ألقتها سهير النجار، ومحاضرة بعنوان "مشاهير النساء اللاتي كان لهن دور إيجابي".

وفـي المهرجـان الخـامس 1409هـ أقيمـت عدة نـدوات هـي: "ظـاهرة العـودة العالميـة للتراث"، و"الانتفاضـة"، ونـدوة عن "المخدرات"، و"الجورباتشوفية وانهيار الماركسية"، "وثقافتنـا والبـث الإعلامـي العـالمي"، و"الحركـات الإسـلامية المعاصـرة بـين الإفـراط والتفريط"، كمـا أقيمـت عـدة محاضـرات هـي: "نعـم الله تعـالى عمومهـا وخصوصـها" للشـيخ محمـد العثيمـين – يرحمـه الله – و"المثقـف اللامنتمـي" لأحمـد الشـيباني، ومحاضرة دينية للشيخ عبدالعزيز بن باز – يرحمه الله – ومحاضرتان عن : "تغير نظرة المجتمع للإنسان المعاق" و"والأدب السعودي النسائي".

وجاء المهرجانان السادس في العام 1410هـ والسابع في العام 1412هـ ليركزا على الجانـب الأدبـي ويحمـلا عددا كبيرا من النـدوات التـي تهتم بـالأنواع الأدبيـة المختلفة حيث كان فن المسرح هو محور المهرجان السادس وجاءت الندوات الخاصة به في العنـاوين التاليـة: "الفن المسرحي فـي العـالم العربـي تاريخـه وعوامـل ظهـوره"، و"لغـة المسـرح بـين الفصـحى والعاميـة وعلاقتـه بـالتراث"، و"الشـكل المضـمون فـي المسـرح العربي"، و"والتجربة المسرحية في المملكة العربية السعودية"، و "نحو مسرح إسلامي "، وأقيمت ندوة عن الحركة التشكيلية في السعودية .

كمـا أقيمـت فـي المهرجـان السـادس مجموعـة مـن النـدوات الفكريـة هـي "الاتجاهـات الفكريـة فـي العـالم العربـي وأثرهـا علـى الإبـداع"، و"أزمـة الثقافـة العربيـة "، و"مـنهج الإسـلام فـي الـدعوة"، و"الثوابت والمتغيرات فـي ثقافـة الأمـة" أقيمـت محاضـرة بعنـوان "علاقة الشعر الشعبي بالمجتمع"، وأمسية شعرية واحدة .

أما النشاط النسائي في المهرجان السادس فقد تمثل في محاضـرتين ونـدوة المحاضـرة الأولـى محاضـرة عامـة للمـرأة المسـلمة وقـدمها فضـيلة الشـيخ عبـدالعزيز بـن بـاز – رحمـه الله –، والثانيـة قدمتها جامعـة الإمـام محمـد بـن سـعود الإسـلامية بعنـوان "المـرأة

ماذا يراد منها ؟ وماذا يراد لها ؟" وجاءت الندوة بعنوان :"الدلالات الأنثروبولوجية لبعض عناصر التراث" وأعدتها الرئاسة العامة لتعليم البنات .
وفي المهرجان السابع أقيمت ندوات ثقافية وندوات فكرية في الندوات الثقافية كان فن الشعر هو المحور الرئيسي وجاءت ندواته بالعناوين التالية "الشعر العربي والحياة الشعبية"، و"الشعر والحكاية"، و"الموروث الشعبي والرومانتيكية الأوروبية"، و"الخيال الشعري في الشعر"، و"موسيقى الشعر العربي والأشكال الشعبية "، و"الرمز الأسطوري في الشعر المعاصر"، أما الندوات الفكرية فجاءت على النحو التالي: "المسلمون في آسيا الوسطى والدور الإسلامي المطلوب"، و"أزمة الفكر السياسي العربي في التعامل مع القضايا الكبرى"، و"ومكاننا في النظام العالمي الجديد"، و"في سبيل إستراتيجية أهدى وأجدى للحركة الإسلامية"، و"الوحدة الفكرية بين الثوابت وعوامل الاختلاف"، و"الطريق السوي للوحدة العربية الإسلامية"، وكانت محاضرة المهرجان والوحيدة بعنوان: "فقه الاختلاف" وألقاها الشيخ محمد العثيمين – رحمه الله – .

واستمر مهرجان الجنادرية في مواصلة نشاطه الثقافي حيث أخذت الندوات في المهرجان الثامن في العام 1413هـ والتاسع في العام 1414هـ والعاشر في العام 1415هـ طابعا متنوعا شمل الفكر والفلسفة الإسلامية وسؤال الهوية والفنون التشكيلية والإعلام والتاريخ الإسلامي .
وجاءت الندوات في المهرجان الثامن معبرة عن هذه التوجهات الشاملة حيث عقدت مجموعة من الندوات في عناوين متعددة هي: "الهوية الثقافية للأمة العربية"، و"الإسلام في الإعلام الغربي"، و"النفط والفكر في منطقة الخليج العربي"، و"أزمة المياه في العالم العربي"، و" التطورات التاريخية والفنية للفن العربي الحديث"، و"الحركة الإصلاحية في الجزيرة العربية"، والإسلام في شرق أوروبا "وكتابة التاريخ الإسلامي"، و"اتجاهات التجديد في الفن العربي المعاصر". وأقيمت ندوات عن السير الشعبية في أدب الطفل، ونظرة مستقبلية إلى أدب الطفل، والقصة والمسرح في أدب الطفل وغيرها من الندوات .

وركز المهرجان التاسع على النقد والنظرية الأدبية والتذوق الفني أقيمت عدة ندوات حول هذه المسائل كما أقيمت عدة محاضرات عن " مفهوم الشورى في الإسلام"، و"أدب الحوار في الإسلام"، و"برامج الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الأمريكية"، و"التراث المخطوط في المملكة العربية السعودية"، و"الفقه والمشكلات الإنسانية المعاصرة"، و"القدس ومعناها الرمزي والديني في ضمير الأمة".

وفي المهرجان العاشر للعام 1415هـ بدأ المهرجان في تقليد ثقافي جديد وهو تكريم شخصية سعودية حيث بدأ بتكريم علامة الجزيرة الراحل حمد الجاسر، وأقيمت ندوات عن التأصيل والتجديد في ثقافة المسلم، وفن الزخرفة الإسلامية والعرب في مواجهة التحديات، وفلسفة الفن الإسلامي، وواقع الحسبة في ضوء المنهج الشرعي، والعرب في مواجهة التحديات: الثقافة والإعلام، والعرب في مواجهة التحديات: التربية والتعليم، والشعر السعودي، كما أقيمت أمسيتان شعريتان، وأمسية نسائية أدبية، وندوة عن عمل المرأة .

تحول مهرجان الجنادرية في العام 1416هـ إلى ان يصبح واحداً من أهم المهرجانات الثقافية العالمية في المنطقة حيث فتح محورا شديد الأهمية في هذه الدورة التي شهدت إقبالا جماهيريا كبيرا، حيث حضر ندواته الثقافية التي كان محورها الرئيسي:" الإسلام والغرب" مجموعة كبيرة من المفكرين العالميين مثل: صاموبل هنتنجتون، وجيمس زغبي، ومراد هوفمان، ومايكل وولف، وخالد بلانكنشيب، وجون اسبزيتو، وانجمر كارلسون وغيرهم بالإضافة إلى طائفة كبيرة من المفكرين المسلمين .

وجاءت عناوين الندوات لتناقش: الإسلام والغرب الجذور التاريخية، وموقف الغرب من الإسلام، رؤية معاصرة، والخطر الإسلامي بين الحقيقة والوهم، والموقف الإسلامي من الغرب، والإسلام والغرب رؤية مستقبلية، وموقف الإسلام من الأديان والحضارات الأخرى، والتجربة السعودية في خدمة الإسلام في الغرب ومستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب كما أقيمت أمسيتان شعريتان، وندوتان ثقافيتان نسائيتان من جزأين في عنوان الاتصال الثقافي وتأثيره على المجتمع السعودي وتم تكريم الأستاذ أحمد محمد العقيلي كشخصية ثقافية لهذه الدورة .

وكان المهرجان الثاني عشر في العام 1417هـ استمرار لمحور الإسلام والغرب وجاءت عناوينها كالتالي "نهاية التاريخ: ومراجعة ونظرة إلى المستقبل"، و"مستقبل الإنسانية"، و"الأسس المعرفية والفلسفية للرؤيتين الإسلامية والليبرالية"، و" صورة الإنسان المسلم في الغرب وصورة الإنسان الغربي في العالم الإسلامي"، و"الاستراتيجيات الاقتصادية الغربية وعلاقاتها بالعالم الإسلامي"، و"الإسلام والديمقراطية"، واستمر المهرجان بدءا من هاتين الدورتين وحتى الدورة 17 في تقديم مختلف القضايا الثقافية العربية الإسلامية والعالمية التي تهم أمتنا واستمر في تقديم الأسئلة التي تناقش مستقبل الثقافة العربية كما في الدورة 13 ثم توقف النشاط النشاط الثقافي عند احتفال السعودية بمرور 100 عام على بداية تأسيسها ثم استمر في متابعة الأنشطة الثقافية في الدورات : 14،15،16 كما طرح المهرجان موضوع :"القضية الفلسطينية" كمحور رئيسي في الجنادرية 17 حيث افتتح المهرجان في 9ذي القعدة1422هـ.

وقد شارك في مهرجان الجنادرية طوال دوراته السابقة عدد كبير من أكبر وأبرز المثقفين والمفكرين العرب والأجانب وقد قام المهرجان بطبع أكثر من 200 عنوان في قضايا ثقافية وتراثية مختلفة فضلا عن الكتب التي توثق للمحاضرات والندوات التي أقامها طوال دوراته السابقة .

إن هذه الفاعليات المختلفة نتاج جهد كبير للمهرجان الذي انطلق في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز – حفظه الله – بدءا من العام 1405هـ، وقد أقيم حتى الآن منه 17 دورة وتقام الدورة 18 أوائل شهر ذي القعدة 1423هـ ومحوره الرئيس "هذا هو الإسلام" ليؤكد هذا المهرجان الوطني خلال هذه الدورات الحس الثقافي الواعي الذي يوليه لقضايا العرب والمسلمين الثقافية والفكرية والدينية.

– الحواشي :

1– نشرت هذه المادة في موقع الجنادرية ، وقد نقلتها هنا لأهميتها في التأريخ للمهرجان

==============

المهرجان 12– الإسلام والغرب >

أصبحت الجنادرية (المهرجان الوطني للثقافة والتراث) وندواتها الثقافية معلماً بارزاً من معالم الخريطة الثقافية لبلادنا الحبيبة، فلا يكاد يجتمع مثل هذا العدد من العلماء والمثقفين والمفكرين والأدباء إلاّ في رحاب الجنادرية، في قلب الجزيرة العربية النابض وفي أحضان الرياض المضيافة فينهل الجميع من كرم الحرس الوطني برعاية سامية من صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني واهتمام شخصي مبارك من سمو نائبه الكريم الأمير بدر ابن عبد العزيز، وعناية شخصية من معالي الشيخ عبد العزيز التويجري بالإضافة إلى العدد الكبير من المسؤولين في الحرس الوطني الذين يضيق المجال عن ذكر أسمائهم.

تبدأ أيام الجنادرية منذ اللحظة التي يتوافد فيها المشاركون والضيوف إلى الرياض فيجتمعون في بهو الفندق المخصص لنزول الضيوف في مجموعات تكبر أو تصغر وفقاً للمساحة المتاحة (وانتقال المقاعد من مكان إلى مكان ليكفي عدد المجتمعين) فهنا مجموعة تناقش قضايا في الأدب والشعر، وهناك مجموعة تتناول قضايا في التاريخ والسياسة، وثالثة تهتم بقضايا اجتماعية، وأخرى تتحدث في ذكريات الجنادرية للأعوام الماضية ... وهكذا. بالإضافة إلى اللقاءات التي تعقد في منازل بعض إخواننا من أهل الرياض أو ضيوف الرياض من إخواننا العرب المسلمين الذين يحرصون على إظهار كرمهم العربي الإسلامي الأصيل.

وينشط في بهو الفندق مندوبو الإذاعة والتلفاز والصحافة ليفوزوا بلقاء مع هذا الضيف أو ندوة مع عدد من الضيوف أو لقاء تلفازي وغيرذلك من النشاطات ،وقد علمت أن رابطة الإدب الإسلامي العالمية استجابت لممثلي التلفاز السعودي بالاشتراك في عدد من الندوات التلفازية حول قضايا الأدب الإسلامي ومصطلحه. وإنها لفرصة للإشادة بإخوتنا في التلفاز لاهتمامهم بهذا الموضوع ذلك أن الشيء من معدنه لا يستغرب فإن هذه البلاد الكريمة دستورها الإسلام وتسعى إلى تشجيع هذا الاتجاه المبارك.

ولا بد أن أذكر الأستاذ عبد الملك عبد الرحيم الذي يعمل في الإذاعة السعودية منذ أكثر من عشرين سنة ويشهد الجميع له بالنشاط والكفاءة والإخلاص في العمل. كما

لقيت بعض الشباب السعودي الذين يعملون في إذاعة القرآن الكريم فأعجبني تمكنهم في الفنون الإذاعية وقدرتهم على إدارة الندوات دون إعداد طويل. وكم كنت أتمنى لو حفظت أسماء بعض هؤلاء للإشادة بهم في هذه المقالة.

وكان من مزايا الجنادرية (12) (وهي كثيرة) فرصة الالتقاء بين الكتاب والمفكرين وزملائهم من أنحاء العالم العربي الإسلامي وبين الكتاب ورؤساء تحرير صحفهم. ومن رؤساء التحرير الذين كان لهم وجود بارز في مقر إقامة ضيوف المهرجان رئيس تحرير هذه الصحفية الأستاذ أسامة أحمد السباعي فهو إعلامي مخضرم عرف هذه المهنة دراسة وتدريساً وتطبيقاً. فكان اللقاء به متعة وفائدة وفرصة لتبادل الحديث حول بعض الهموم الصحفية . وقد عرضت عليه فكرة اللقاء السنوي الذي بدأت به بعض الصحف العربية في الخارج ، واقترحت على جريدتنا الموقرة أن تتبنى عقد مثل هذا اللقاء في جدة واختيار موضوع لطرحه للنقاش وتكريم بعض الكتاب الذين لهم مكانة خاصة لدى القراء. ومن مبررات هذا اللقاء أن الكاتب الصحفي يطلع على عدد من الصحف يوميا فهو قادر على تقديم وجهة نظر قد تفيد صحيفته في مسارها الصحفي. ووعد الأستاذ أسامه السباعي بالنظر في هذا الاقتراح.

و جمعتنا أيام الجنادرية برؤساء تحرير بعض الصحف ومنهم الأستاذ يوسف الدمنهوري رئيس تحرير جريدة الندوة الذي وجد في هذه اللقاءات فرصة لدعوة عدد من رجال الفكر والقلم للمشاركة في الكتابة لجريدة الندوة، وكان مرحاً في لقائه ومشجعاً بقوله:" الندوة جريدتك فلا تبخل عليها بعطائك الفكري" ومن رؤساء التحرير البارزين الذين استضافتهم الجنادرية هذا العام الدكتور محمد الهاشمي الحامدي رئيس تحرير "المستقلة" فهو ليس غريباً عن هذه البلاد وصحافتها.فقد أشرف على بعض الصفحات في إحدى الصحف السعودية التي تصدر في الخارج، وقد تحدث عن حبه للمملكة وما يكن لها من تقدير واحترام وتحدث عن مكانة المملكة في العالم الإسلامي واهتمامه باخبارها.

أما ندوات الجنادرية حول الإسلام والغرب فقد تميزت بطرح الأفكار التي تهم الساحة الثقافية العربية الإسلامية وأظهرت هذه الندوات مرة أخرى سعة أفق القائمين على

تنظيم هذه الندوات وبعد نظرهم حيث ضمت قائمة المشاركين أسماء من اتجاهات فكرية متعددة ومشارب مختلفة. وأرجو أن يكون في مشاركتهم هنا درس لهم في أن يتسع صدرهم في الندوات والمؤتمرات التي يعقدونها في بلادهم وجامعاتهم ومراكز بحوثهم لمن يخالفهم في الرأي. وأما الندوات وما دار فيها من نقاشات فأتناولها في المقالتين القادمتين بإذن الله.

قد يظن البعض أن حفلات الافتتاح ما هي إلاّ مناسبات للخطابة وعبارات المجاملة حتى إنك ترى بعض الحضور منشغلاً عن الاستماع لما يقال، بل يعجبني عندما تصطادهم كمرات التلفزيون وهم منشغلون. ولكنّي وجدت حفلة افتتاح النشاط الثقافي لمهرجان الجنادرية للثقافة والتراث الثاني عشر ليست كذلك. فقد كانت كلمة سمو الأمير بدر بن عبد العزيز نائب رئيس الحرس الوطني ورئيس اللجنة العليا للمهرجان ثرية بالمعاني العظيمة والأفكار الجميلة التي كانت ندوات الأيام التالية محاولة لتحقيقها.

فكان مما قاله سموه :" إن الحرس الوطني ينطلق في تنظيمه لهذا المهرجان من قناعة تامة بأن الاعتناء بالماضي ودراسته ضرورة يتطلبها التطلع الصادق في تأكيد الهوية للمستقبل القريب والمنظور..." وما مهرجاننا الثقافي هذا وما دروسنا، ومناهجنا، ومحاضراتنا، وبرامجنا الإذاعية و التلفازية إلاّ تأكيد لهذا الأمر الخطير(المهم). فالماضي الذي نعتز به ونسعى إلى الإفادة منه واستلهامه في أعمالنا اليوم وغداً هو الماضي الذي كانت الأمة الإسلامية هي العالم الأول فيه عدة قرون لم يشاركها في الأولية أحد-كما أشار الشيخ الغزالي رحمه الله في إحدى محاضراته-. الماضي الذي لم يعرف الحروب "العالمية" ولا سباق التسلح، ولا القنابل الذرية، ولا إبادة الشعوب، ولا نازية ولا شيوعية ولا فاشية، الماضي الذي عرفت فيه البشرية لأول مرة معنى التسامح الحقيقي مع الآخر ، الماضي الذي عرف المسلمون فيه المحبة الحقيقية فيما بينهم حتى تركوا لنا إنتاجاً فكرياً ضخماً.

نعم إننا نعتني بالماضي لأن في ذلك تأكيد لهويتنا العربية الإسلامية التي يجب أن نتمسك بها في عالم يسعى إلى تذويب الثقافات والهويات في هوية واحدة هي الهوية

الغربية ،ويسعى إلى تحطيم الحواجز النفسية الضرورية لتمسكنا بالقيم والأخلاق الإسلامية.

وقد أدرك الروائي العربي المعروف الطيب صالح أهمية هذه الكلمات حينما أبدى أسفه لوصوله متأخراً عن حفلة الافتتاح فكأنه يقول بأن هذه الكلمات الرائعة لا بد لها أن تلمس أذهاناً وعقولاً وقلوباً تعيها فتحولها إلى برامج عمل تعود معها الأمة إلى هويتها عودة حقيقية بدلاً من أن تتنازعها التيارات والأفكار شرقاً وغرباً.

وكان من الحديث عن ماضي هذه الأمة العظيم قيام أمير ويلز الأمير شارلز بتأسيس معهد باسمه للعمارة يهتم فيه بالعمارة الإسلامية ومحاولة استلهامها في العمارة الحديثة. فأوضح الأمير الانسجام بين الزخرفة الإسلامية والكون ، وأشاد بالعمارة الإسلامية التي ابتعدت عن افتعال الصراع مع الطبيعة بل حرصت على الإفادة من عناصر البيئة. وتحدث ثلاثة من أعضاء المعهد عن جوانب مختلفة من العمارة الإسلامية وتخطيط المدن. وكم كنت أود لو أتيحت لي الفرصة للتعقيب بان أذكر أن الإسلام أمر المسلم أن لا يرتفع في البناء على جاره حتى لا يحجب عنه الشمس والهواء.كما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعان بمن كان يعرف التخطيط فخططا مدينة الكوفة فكان أضيق طريق فيها لا يقل عن أربعة أمتار (سبعة أذرع). وجعلا المسجد هو مركز المدينة ثم قسمت المدينة إلى عدة أحياء.

وقد أحسنت الجمعية السعودية للعمران بتنظيم سلسلة من المحاضرات عن العمارة الإسلامية، ولكن كان من الصعب على الإنسان أن ينشغل بأكثر من موضوع في وقت واحد. وحبذا لو نشرت هذه المحاضرات أو ملخصات لها ، فإننا نحتاج إلى وعي عميق بفنون العمارة الإسلامية.

وكانت الندوة الأولى حول صورة الإسلام في الغرب، وصورة الغرب في الإسلام" وقد تحدث في هذه الندوة كل من هلموت شيفر وزير الدولة للشؤون الخارجية في حكومة ألمانيا الاتحادية، وهو رجل دبلوماسي فحاول أن يقدم صورة جميلة لصورة الإسلام والمسلمين في ألمانيا. ولعل في ذلك كثير من الصحة فإن بقية الأوروبيين والأمريكيين يرون أن ألمانيا أكثر تسامحاً من غيرها. وقد ذكر الوزير المستشرقة الكبيرة آن ماري شيميل وحصولها على أعلى جائزة لقاء أعمالها في التقريب بين

الإسلام والغرب. ومع ذلك فإن من المناسب أن أذكر أن كلاوس كينكل –وزير خارجية ألمانيا– حينما كان رئيساً للاتحاد الأوروبي دعا حكومة بنجلاديش أن تسمح للمارقة تسلميه نسرين بمغادرة البلاد وبحرية الكلام، كما أشير إلى مقالة للكاتب فهمي هويدي التي تناول فيها التنسيق بين ألمانيا وفرنسا حول مواجهة ما يطلقون عليه "الأصولية الإسلامية"

أما بول فندلي فغني عن التعريف فيكفيه أنه يقف منذ مدة طويلة في وجه ضغوط جماعات الضغط اليهودية دفاعاً عن مصالح أمريكا–حتى فقد بسبب ذلك منصبه في الكونجرس– التي تتطلب عدم المساس بالدين الإسلامي أو بالمسلمين. وكانت دعوته واضحة بأن على المسلمين أن يعرفوا ما فعله أعداؤهم فينافسوهم في العمل على الدفاع عن أنفسهم ومعتقداتهم.

وتناول مصطفى العقاد الصعوبات والعراقيل التي يواجهها في سبيل إنتاج فيلم يوضح صورة الإسلام والمسلمين في الغرب. وذكر طرفاً مما عاناه في إنتاج فيلم الرسالة أو عمر المختار. وأكد على دور السينما. وهو محق جداً في أهمية دور السينما فإنك لا تكاد تمر عليك خمس دقائق من مشاهدة القنوات التلفازية في أمريكا دون أن تسمع ذكراً لليهود. فأين أموالنا من دعم هذا القطاع المهم جداً مع الأخذ في الاعتبار أن يوجد مع العقاد من يقدم له النصوص الصحيحة الصادقة.

وتحدث الأخ الدكتور عبدالعزيز السويل فأشار إلى الصور المتبادلة بين الطرفين وإصرار الغرب على الاحتفاظ بصورة نمطية سيئة للعرب والمسلمين وإشاعتها في وسائل الإعلام المختلفة. ولكن ينبغي أن ندرك أن الإعلام الغربي مسؤول أيضاً عن نشر صورة نمطية سيئة للغرب بما يذيعه من أخبار الفساد والفجور والجريمة. وللحديث صلة بإذن الله.

عندما كتب سعيد السريحي مقالته المثيرة للجدل أو الاستفزازية ينتقد فيها اهتمام العالم العربي الإسلامي بالشعر والأدب وإهمال العلوم التطبيقية والتقنية، رد عليه الدكتور مصطفى عبد الواحد مشيراً إلى أنّ الاهتمام بالأدب والشعر لا ينافي مطلقاً الاهتمام بالعلوم والتقنية .وذكر في معرض ردّه أنّ أحدهم زار مكتبة عباس محمود

العقاد رحمه الله فوجد أن الشعر يحتل قرابة نصف أرفف المكتبة، فلمّا سأله عن ذلك قال له :" الأمة الفعالة أمة قوّالة".

تذكرت هذا حينما فكرت بالطريقة التي تهتم الولايات المتحدة الأمريكية ببعض الطروحات الفكرية. فقبل عدة سنوات نشرت جريدة (الشرق الأوسط) في صفحتها الأولى خلاصة مقالة للمستشرق برنارد لويس وبعض التعليقات التي صدرت حولها قبل أن تنشر في العدد القادم من مجلة "شؤون خارجية" وفي هذا الإطار اهتمت الدوائر العليمة والأكاديمية بأطروحة ميشال فوكوياما حول نهاية التاريخ التي نشرها في مجلة (مصالح قومية)National Interestsحيث أُرسلت المقالة إلى عدد من الباحثين والأكاديميين للكتابة حولها. وفعلت الشيء نفسه مع مقولة صموئيل هاتنقتون حول صراع الحضارات.

وهاهو الحرس الوطني في ندواته الرائعة يهتم بالأدب والشعر والفكر، ويخصص أسبوعاً أو أكثر للاحتفاء بمئات الضيوف من المفكرين والأدباء والعلماء من أنحاء العالم العربي الاسلامي، وبعدد من كبار الباحثين العالميين. وهو يحتفي بالعلم والفكر طوال العام تخطيطاً للجنادرية ولنشر محاضراتها وندواتها بالإضافة إلى النشاطات الفكرية الأخرى مما يجعل الحرس الوطني بحق مؤسسة حضارية وليس عسكرية فحسب.

ومن الاهتمام بالثقافة والفكر عرض الطروحات الفكرية العالمية بهدف دراستها ونقدها ولوضع النظرة الإسلامية مقابلها. ولعلنا بهذا العمل نُعِدُّ أنفسنا ليكون لنا طروحاتنا الخاصة التي نأمل أن ننطلق بها إلى العالم ليدرسها ويناقشها، كما نفعل نحن بالطروحات التي ينشرها بين الحين والآخر.

وقد أعجبني في تناول أطروحة فوكوياما التساؤلات التي أطلقها الدكتور أبو بكر باقادر، و هو حين يثير التساؤلات تظهر كأنها تساؤلات عفوية، ولكن لا يغيب عن ذهن السامع أنّ وراء تلك العفوية عمقاً علمياً، واتساع أفق وبعد نظر. ومن تلك التساؤلات قوله:" إلى أي مدى يؤرقنا تساؤل فوكوياما حول الدين؟ وأضاف بأن علينا أن نأخذ المبادرة ليكون لنا خطابنا الخاص للإجابة عن هذه الأسئلة وسواها مما

يطرحه فوكوياما وغيره. ولا شك أن خطابنا الخاص هو ذلك الذي ينطلق من فهم عميق ودقيق للكتاب والسنّة.

وقد أعجبني أيضاً تناول الدكتور أحمد موصللي – من الجامعة الأمريكية في بيروت– حيث قال ما نصّه:" إلاّ أن الهدف الحقيقي للصحوة الإسلامية هو ضخ هذه المبادىء –الحرية والمساواة والعدل– مجدداً في الحياة السياسية مع ربطها بالمفهوم الإسلامي الشامل لله والكون والإنسان. فالإسلام قادر على استيعاب الجوانب الإيجابية للديموقراطية الليبرالية إلاّ أنه قادر في نفس الوقت على رفض الجوانب السلبية للديموقراطية. فالمسلمون قادرون اليوم على تطوير آليات الشورى والحرية والمساواة ، وهم قادرون على رفض العبث الأخلاقي والقيمي وعلى التركيز المفرط على الملذات المادية والدنيوية. إن شريعة الإسلام وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم تزود المسلمين بمعايير تمنع عنهم الانهيار الأخلاقي والمعنوي، وبسبب رؤية المسلم لوظيفته في الأرض عبر استخلافه، فإن انهيار الأيديولوجيات الاشتراكية والشيوعية وصعود الديموقراطيات الليبرالية يعني أن على المسلم الاستفادة من هذا التغيير في المسار التاريخي للايدويولوجيات التي تثبت فشلها واحدة تلو الأخرى بسبب بعدها عن حقيقة الإنسان وتطلعاته..."

وأما مسألة الرد على فوكوياما فإن أحد ضيوف المهرجان قال في إحدى جلسات الاستراحة: "لماذا يعتقد الغرب دائماً على أنه قادر على تشكيل الشعوب بالطريقة التي يريدها ؟ إن الله عز وجل قد جعل الناس مختلفين كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى)ولو شاء ربّك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم(الآية (هود 118-119) وقد صرحت وسائل الإعلام الغربية عقب حرب تحرير الكويت بأن الولايات المتحدة الأمريكية ستجد في نشر الديموقراطية في العالم. ومازلت أذكر أن الأمم المتحدة أرسلت عدداً كبيراً من جنودها للإشراف على الانتخابات في كمبوديا؛ فكنت ترى الناس يسيرون في الأدغال للوصول إلى صناديق الاقتراع.

ولا بد أن أذكر أن كلمة الرئيس كلينتون إلى المهرجان قد أشارت إلى قضية مهمة وهي استمرار الحوار بين العالم الإسلامي والغرب. وهو أمر حيوي إذا أراد الغرب أن

يعرف الإسلام معرفة حقيقية فإن الوسائل الحالية يجب تطويرها لإعطاء فرصة أفضل لنماذج معتدلة من العالم الإسلامي لتشارك في النشاطات العلمية والأكاديمية في الغرب، والتقليل من الاعتماد على النماذج التي لا تمثل الفكر الإسلامي الصحيح.

وأنتقل إلى الندوة الخاصة بالاقتصاد وأذكر من المعلومات التي أوردها أحد المحاضرين بأن الشركات المتعددة الجنسيات تسيطر على جزءٍ كبيرٍ من الاقتصاد العالمي وأنها لا تسمح لغيرها بأن ينمو بطريقة طبيعية. وعلى دول العالم العربي الإسلامي أن تعمل لمواجهة مثل هذه التحديات العالمية إن أرادت أن يكون لها مكان في الخارطة الاقتصادية العالمية

============

#المهرجان السابع عشر: الإسلام والشرق

أصبحت الجنادرية علماً على أشياء كثيرة منها الملتقى الفكري السنوي الثري بموضوعاته وأعلامه حتى ليكاد يتميز عن كثير من المؤتمرات التي تعقد في أنحاء العالم الإسلامي. (كتبت قبل سنوات مقالة أقارن فيها بين الجنادرية وغيرها من المؤتمرات)، ونظراً لأنني عايشت هذا المهرجان الكبير في جانبه الثقافي منذ المهرجان التاسع فإنني حريص جداً على حضوره سنوياً.

ولمّا كان المهرجان قد اختار محور النقاش في السنوات الماضية حول الإسلام والغرب، فكانت محاضرات وندوات تلك السنوات تعد مرجعاً بحق في القضايا التي تناولتها. وكم كنت أود أن يكون لهذا المهرجان الكبير نتائج محسوسة في أرض الواقع بأن يتم البدء في إنشاء كليات للدراسات الأوروبية والأمريكية حتى نتوصل إلى المعرفة الحقيقية بالغرب الأوروبي والأمريكي، أو مراكز بحوث متخصصة أو أقساماً علمية.

وهاهي ندوة الجنادرية لهذا العام تختار محوراً مهماً جداً أَلَا وهو الإسلام والشرق. وقد يبدو لأول وهلة أن الاختيار غريب نوعاً ما لأن الإسلام انطلق من الشرق والشرق هو منبع الديانات السماوية كلها. ولكن المحاضرات والندوات التي عقدت في

رحاب الجنادرية بقاعة الملك فيصل للمؤتمرات أكدت أن هذا الاختيار كان موفقاً ورائعاً.

لقد تناولت إحدى الندوات موضوع الجذور التاريخية للعلاقة بين الإسلام والشرق فتحدث فيها ثلاثة محاضرون تناول أحدهم دخول الإسلام إلى الهند والعلاقة بين الهند والإسلام على مر التاريخ، كما تناول باحث آخر تطبيق الشريعة الإسلامية في ماليزيا، بينما تناول الباحث الثالث العلاقة بين الإسلام والصين ودول جنوب شرق آسيا الأخرى. وكان من التعليقات البارزة في هذه الندوة ما تقدم به الدكتور محمد آل زلفة عضو مجلس الشورى بأن أثنى على الجهود السعودية في الدعوة الإسلامية في دول شرق آسيا ولكنه أضاف بأن المطلوب أن يتم تكثيف هذه الجهود من خلال إعداد الدعاة في أقسام متخصصة لدراسة دول شرق آسيا في النواحي التاريخية والجغرافية واللغوية والثقافية، حتى إذا ذهب الدعاة إلى هناك كانوا على معرفة بالبيئة التي يعملون فيها.

وفي محاضرة أخرى تناول الدكتور عبد الله العبيد جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة الإسلامية في الشرق، فقدم معلومات قيمة عن هذه الجهود وجلّى كثيراً من هذه الجهود المباركة وإن كانت محاضرة واحدة لا تكفي للحديث عن هذه الجهود.

وكان من بين الندوات ندوة بعنوان (ندوة الأسس المعرفية والفلسفية للإسلام والفكر الديني في الشرق)، ومن بين الندوات المهمة الندوة التي عقدت تحت عنوان (الاستراتيجيات الاقتصادية الوطنية الدولية في الشرق ودور الإسلام فيها) والتي تطرقت للتقدم الاقتصادي في دول شرق آسيا حتى لقّبت قبل أعوام بنمور آسيا، ولمّا بدأت تحتل مساحة مهمة في الاقتصاد العالمي وبدأت منتوجاتها الصناعية تغزو الأسواق العالمية تعرضت لهزات اقتصادية صعبة أدت إلى انخفاض قيمة العملات في معظم دول جنوب شرق آسيا ولم تسلم حتى اليابان من هذه الهزات.

وقد تناولت هذه الندوة قضايا مهمة من بينها ضرورة تشجيع التبادل التجاري بين الدول الإسلامية العربية ودول شرق وجنوب شرق آسيا وبخاصة الدول الإسلامية فيها. وقد كانت جولة صاحب السمو الملكي إلى الصين وبعض دول شرق آسيا إشعاراً بأهمية تقوية الصلات بهذه الدول. وإن هذه الزيارة المباركة تعيد إلى الأذهان

الزيارات المباركة التي قام بها الملك فيصل رحمه الله إلى دول أفريقيا حينما كان جلالته يرحمه الله ينادي بدعوة التضامن الإسلامي التي أثمرت في إنشاء منظمات إسلامية عالمية فاعلة منها رابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي التي نظمت لقاءات القمة بين زعماء العالم الإسلامي.

وعقدت ندوة أخرى بعنوان (العولمة والوطن العربي) كما قدم الدكتور عبد الهادي أبو طالب محاضرة بعنوان (التقريب بين المذاهب الإسلامية واحتواء الصراعات المذهبية).

ولا شك أن يتفاعل المثقفون مع نشاط فكري كبير كهذا وتظهر بعض الأفكار والاقتراحات والنقد وكذلك الحديث عن حضور الندوات والمحاضرات.

أشاد كثير من الحضور إن لم يكن معظمهم باختيار موضوع الإسلام والشرق وكان من ابرز هؤلاء الشيخ الأستاذ فتحي يكن الذي ألقى كلمة رائعة في هذا المضمون ذكر فيها أن اهتمامنا بالغرب سنوات طويلة أنسانا أو كاد أهمية الشرق بالنسبة للعالم الإسلامي الذي هو شرقي في الأصل. وأشادوا بالمحاضرات والندوات التي قدمت ولكنهم رأوا أن الموضوع مازال يحتاج الكثير من البحث والدراسة، وذلك من خلال وضع خطة منهجية لدراسة هذه العلاقة العضوية القوية بين الإسلام والشرق وبخاصة العالم العربي والدول الإسلامية في أواسط آسيا وشبه القارة الهندية والصين وجنوب شرق آسيا وحتى اليابان وكوريا.

أولاً لا بد من الإشادة مكرراً بمهرجان الجنادرية التي يتيح الفرصة لكثير من المثقفين في هذه البلاد أن يحضروا إلى الرياض وبخاصة وهي تحتفل باختيارها عاصمة الثقافة العربية لعام ألفين، فلئن كانت الفرصة قد فاتت البعض في الاحتفالات التي سبقت الجنادرية فقد جاءت الجنادرية تعويضاً لهم عن عدم المشاركة. وحبذا لو كان من ضمن نشاطات الجنادرية إقامة ركن للمؤلفات السعودية داخل مقر سكن ضيوف المهرجان الذين لم تتح لهم الفرصة أن يزوروا مقر الجنادرية أو لتكون فرصة لهم في أثناء إقامتهم في الرياض أن يتعرفوا على المؤلفات السعودية وكان بالإمكان تخصيص قاعة من قاعات الفندق لمثل هذا المعرض.

ومن الملاحظات المبدئية أن البعض رأى أن ندوة العولمة لم تكن قريبة الصلة جداً بموضوع الإسلام والشرق إلاّ إذا تمّ بحثها بما يراه الغرب من خلال العولمة وما يراه العالم الإسلامي وعلاقة الإسلام بالشرق في مواجهة العولمة أو الهيمنة الغربية.

كذلك كان من الملاحظات أن السؤال الذي يحتاج إلى إجابة في مهرجان هذا العام والأعوام الماضية والأعوام التالية وهو أنه ما دامت الجنادرية أهلاً لتكون فرصة لاتخاذ توصيات قابلة للتطبيق، فهل ينبغي أن تنتهي الندوات والمحاضرات بأن تكون مطبوعة في كتب ولا تأخذ ما تستحق من اهتمام في أرض الواقع؟ ومن ذلك الدعوة لإنشاء كليات للدراسات الأوروبية والأمريكية؛ فإن الغرب قد أنشأ آلاف الأقسام العلمية ومراكز البحوث والمعاهد لدراسات دول العالم المختلفة ومنها البلاد العربية والإسلامية. ونحن أولى بأن نهتم بهذا الجانب فنحن أمة الشهادة ولا يمكن لنا أن نحقق الشهادة الحقة دون معرفة رصينة بدول العالم الأخرى.

وأيضاً معرفة البلاد الإسلامية من خلال معرفة لغاتها وجغرافيتها وتضاريسها ومناخها وعاداتها وتقاليدها وأنظمتها وتاريخها يساعد على التقارب الحقيقي بين المسلمين. فقد لفت انتباهي أن أحد المشاركين في ندوة من الندوات اعتمد على المصادر الصينية المترجمة إلى اللغة الإنجليزية فكم كان الأمر أجمل لو كان هناك من يعرف اللغة الصينية أو اللغات الصينية ليكون بحثه أكثر أصالة.

وثمة نقطة مهمة وهي أن الحرس الوطني يقوم بدعوة عدد من العلماء الأفاضل الذي لهم باع طويل في مجال تخصصهم فيمضون أسبوعين تقريباً ليشاهدوا الجنادرية ويحضروا بعض المحاضرات والندوات ويمضون بقية أوقاتهم في زيارات لبعض المعالم الحضارية في مدينة الرياض وما حولها. فهل بالإمكان أن يتم التنسيق مع وزارة التعليم العالي ليقوم بعض هؤلاء العلماء بإلقاء المحاضرات على الطلاب أو عقد لقاءات لبعضهم مع طلاب الدراسات العليا. فإن أكثر من استأثر بوقت العلماء بعض الشباب من الصحفيين. فهل كان بالإمكان إقامة الندوات والمحاضرات في إحدى قاعات جامعتي الملك سعود، أو الإمام محمد بن سعود الإسلامية وتقوم الجامعة بإتاحة الفرصة للطلاب المتخصصين في مجال الندوة ليحضروا هذه المحاضرات والندوات؟

وقد قرأت لأستاذي الدكتور محمد العيد الخطرواي رأياً قبل حضوره الجنادرية مفاده أن بعض الوجوه تتكرر كل عام دون أن يتفاعلوا حقيقة مع هذا المهرجان الكبير فلا تجدهم كتبوا كلمة واحدة عن المهرجان مع أنهم من أرباب القلم أو لعل بعضهم من أرباب القلم السابقين.

مزيداً من التوفيق لهذا المهرجان الكبير وشكراً للحرس الوطني وعلى رأسه صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز على هذه الجهود الرائعة التي يحق لنا جميعاً أن نفخر بها.

===========

#المؤتمر العالمي الأول حول الإسلام والقرن الواحد والعشرين

ليدن – هولندا

17إلى20محرم 1417 هـ الموافق 3 إلى 7 يونيو 1996م

جامعة ليدن بالتعاون مع وزارة الشؤون الدينية الإندونيسية

مقدمة

تلقيت في البريد معلومات عن هذا المؤتمر مرسلة من قبل الدكتور قاسم السامرائي الذي يعمل أستاذاً بجامعة لايدن. فأسرعت إلى إرسال فكرة عن موضوع أرغب المشاركة فيه في المؤتمر وبعثته إلى اللجنة المنظمة، وبعد أيام تلقيت موافقة اللجنة على الموضوع وترحيبهم بي. وشرعت في إعداد البحث ريثما أحصل على الموافقة، وأحمد الله أنني حصلت على الموافقة، وتشرفت بتمثيل المملكة في هذا المؤتمر فيسرني أن أتقدم بالشكر لكل من معالي وزير التعليم العالي ومعالي مدير الجامعة وعميد كلية الدعوة بالمدينة المنورة.

بدأ المؤتمر يوم الاثنين الثالث من يونيه 1996م بقيام المشاركين بتسجيل أسمائهم، وتأكيد حضورهم، وكذلك تقديم نسخ من بحوثهم ليتم توزيعها على المشاركين. وفي عصر ذلك اليوم أقيمت حفلة تعارف على شرف المشاركين.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء على الساعة العاشرة صباحاً افتتح المؤتمر رسمياً بعدد من الخطب ألقاها كل من رئيس جامعة لايدن البروفسور إل. ليرتوور L.Leertouwer الذي ذكر في خطابه اهتمامه بدراسة الأديان وأنه كان عضواً في قسم الأديان

بالجامعة. وأشار إلى اهتمام هولندا بالإسلام وأشاد بجهود المستشرقين الهولنديين في الدراسات الإسلامية ومن أبرزهم المستشرق سنوك هورخرونيه الذي أمضى بعض الوقت في مكة متخفيا باسم الحاج عبد الغفار، ،وكانت رسالته للدكتوراه حول الحج، وكتب كتاباً عن تاريخ مكة المكرمة. ثم تحدث وزير الشؤون الدينية الاندونيسي الدكتور طاهر ترمذي، ودعا إلى عقد المؤتمر الثاني في اندونيسيا بعد سنتين. ثم تلاهما وزير الشؤون الدينية المغربي السيد عبد الكبير علوي مدغري الذي أعلن اهتمام بلاده بهذا المؤتمر وأنها تدعو إلى عقد حلقته الثالثة في المغرب، وأشار إلى أن النظام العالمي الجديد يجب أن يتضمن التعايش بين مختلف الشعوب، ودعا إلى التخلص من الصور النمطية والمشوهة للإسلام والمسلمين. وتحدث أيضاً ممثل لوزارة التعليم والثقافة والتعاون الهولندية وأشاد بفكرة المؤتمر وما يمثله من تعاون علمي.

وتضمنت الجلسة الافتتاحية المحاضرة الرئيسة في المؤتمر وكانت هذه المرة للدكتورة رفعت حسن الباكستانية الجنسية التي تعمل في جامعة لويفيل الأمريكية بولاية كنتكي Kentucky. وكانت محاضرتها بعنوان "ماذا يعني أن أكون مسلماً عشية القرن الواحد والعشرين؟" بدأتها بالحديث عن تعجبها من اختيارها لإلقاء المحاضرة الرئيسة كونها امرأة، وأشادت بجامعة لايدن وأن هذا لا يحصل إلاّ في هذه الجامعة، وهي لذلك تشعر بالفخر والاعتزاز. وقد أشارت في محاضرتها إلى قضايا كثيرة بدأتها بمعنى الإسلام ودعوته إلى الطريق المستقيم، والعمل وفقاً للشريعة الإسلامية وذكرت الصورة النمطية التي انتشرت في الغرب للإسلام والمسلمين، ودعت إلى حوار بنّاء بين الإسلام والغرب. وذكرت ما جاء في الإسلام حول السلوك القويم الذي يتضمن مراعاة كل من "حقوق الله" و"حقوق العباد" وتركيز القرآن الكريم على ذلك، وأن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم هي التطبيق العملي لذلك.

ولكنها حين تحدثت عن الشريعة الإسلامية ومصادرها توقفت عند الحديث النبوي الشريف، وكررت مزاعم بعض المستشرقين عن الوضع في الحديث والتشكيك بالتالي في معظم الحديث، واستشهدت بقول أحد الباحثين المسلمين في جامعة شيكاغو وهو فضل الرحمن. وزعمت أن الحديث في نظرها مشكلة.

ودار نقاش في نهاية المحاضرة حول من يحق له التحدث باسم الإسلام ومن يحق له تفسير النصوص الإسلامية، وتحدث بعض العلماء بأن الذي يتحدث باسم الإسلام ينبغي أن يكون مسلحاً بالمعرفة الصحيحة فلا يقبل من أي أحد أن يفسر النصوص ما لم يكن مؤهلاً لذلك. ولكن المحاضِرة أصرت أنها لو أخذت أربعة أحاديث من صحيح البخاري وأرادت أن تناقش سندها ومتنها لاعترض البعض على ذلك قائلين بأنك امرأة وغير عربية. والعجيب أن أحداً لم يناقشها في هذه الفقرة أو في تشكيكها في الحديث الشريف. وقد ترددت في الرد عليها لأن هذا أول مؤتمر عالمي أحضره وكانت القاعة مزدحمة . والرد عليها بسيط ذلك أن الجهود التي بذلها العلماء المسلمون في دراسة الحديث لم تعرفها أمة من أمم الأرض حتى الآن، أما أن تنقد أحاديث في صحيح البخاري فقد سبقها علماء أجلة فحصوا هذا الكتاب بدقة كبيرة وقد قبلت الأمة هذا الكتاب على أنه أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل. وأمّا كونها امرأة فكم من النساء في التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً نبغوا في علم الحديث. ولترجع إلى الحديث الشريف لترى عدد من روى الحديث من النساء. أمّا كونها غير عربية فهل كان البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم من العرب؟

وبدأت الجلسات العلمية من بعد ظهر يوم الثلاثاء حيث كانت تعقد ثلاث جلسات في آن واحد فكان من الصعب متابعة كل جلسات المؤتمر. وفيما يأتي أبرز المحاضرات التي استمعت إليها:

الثلاثاء :

1- الإسلام والتحديث : محاضرة قدمها نصر حامد أبو زيد -أستاذ زائر بجامعة لايدن- تناول فيها تعريف التحديث، وتحدث عن التحديث الذي جاء به الإسلام للمجتمع الجاهلي، ثم تحدث عن حركات تحديث أخرى في التاريخ الإسلامي مثل الخوارج والمعتزلة وغيرها. وتحدث بتوسع عن المجتمع الجاهلي وسيطرة العصبية القبلية فيه وكيف جاء الإسلام بنظام عقدي وسياسي واقتصادي.

وأتيحت لي الفرصة لمناقشته بأن الإسلام لم يأت للعرب وحدهم فهو رسالة للعالم أجمع، وفيه إصلاح لأوضاع العالم في القديم والحديث فقد تناول القرآن بني إسرائيل وانحرافاتهم المختلفة في المجالات العقدية، والسياسية، والاقتصادية والاجتماعية، كما

ذكر القرآن قوم شعيب وانحرافهم العقدي والاقتصادي، وذكر فرعون وانحرافه العقدي والسياسي.

2- "الباكستان : نقد مفهوم الحداثة" بحث قدمه لوكاس فرث Lukas Werth الأستاذ بجامعة برلين الحرة –معهد الدراسات الأنثروبولوجية. وذكر في محاضرته ما يعنيه مصطلح " التحديث" للغربيين وأن هذه المعاني ليست مقبولة لدى الباكستانيين وبخاصة في البنجاب حيث ما يزال المجتمع متمسكاً بالثوابت الإسلامية وبخاصة فيما يتعلق بالصلات الاجتماعية.

3- بحث "الإسلام والديموقراطية في تايلاند: حالة الإدارة الإسلامية عام 1993م". قدّمه امتياز يوسف من جامعة أمير سونجكلا، كلية الدراسات الإسلامية. تحدث في محاضرته عن التغيرات الاجتماعية السياسية التي تمر بها دول جنوب شرق آسيا ومنها تايلاند. واهتم الباحث بالمشروع الذي طُرِح عام 1993م لإجراء إصلاحات في الهيكل الإداري للمركز الإسلامي وهو الهيئة الرئيسة التي تهتم بشؤون المسلمين في تايلاند.

4- بحث "دور الإفتاء في السياسة الخارجية المصرية من عام 1977-1992م" قدمه الأستاذ عبد العزيز شادي المدرس المساعد بجامعة القاهرة، كلية العلوم السياسية ، وطالب الدكتوراه بجامعة لايدن.(1)

تناول شادي في محاضرته بعض التساؤلات حول دور الإفتاء وهل كان مؤيداً دائماً للسياسة الخارجية؟ وما الحالات التي كان الإفتاء مؤيداً للسلطة؟ وما الحالات التي أعطى فيها الشرعية للسياسة الخارجية أو نزع الشرعية عن تلك السياسات. وقد خلص الأستاذ شادي إلى أن تبعية دار الإفتاء للحكومة المصرية يجعلها في كثير من الأحيان تابعة في فتاويها للسلطة الحكومية.

الأربعاء :

5- عبد الحميد بن باديس ونظرته إلى التنمية : د.مازن صلاح مطبقاني ، قسم الاستشراق كلية الدعوة بالمدينة المنورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.(2)

تناولت المحاضرة في مقدمتها اتهام بعض الغربيين الإسلام بأنه ضد التحديث، ويسوقون هذه الاتهامات في معرض حديثهم عن الحركات الإسلامية التي يطلقون

عليها (الأصولية) أو (الإسلام السياسي). وقد حاول الباحث أن يوضح أن الإسلام دين حضارة وعمران من خلال دراسة كتابات عبد الحميد بن باديس العالم الجزائري الذي كان يقدم دروساً في تفسير القرآن الكريم، ومن الآيات التي توقف عندها قول الله تعالى{أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون} وتناول كلمة مصانع وأنها ليس كما فهمها المفسرون التقليديون بأنها مجاري المياه أو القصور وإن كانت تدل على العمران، لكن ابن باديس يرى أنها تدل على المصانع الضرورية للعمران والحضارة.

وأشارت المحاضرة إلى أن المسلمين في بداية عهدهم درسوا الحضارات الأخرى وأخذوا منها وأضافوا الكثير إلى ما أخذوا، ولم ينظروا باحتقار إلى أي حضارة أخرى، وقدموا نتاج حضارتهم إلى الأمم الأخرى وممن أخذ عنها أوروبا .

6- وسائل التطور الإسلامي في ماليزيا : محمد شكري صالح .جامعة سينز الماليزية، ماليزيا. تناولت الورقة الوسائل المختلفة لتحقيق التنمية الإسلامية في ماليزيا. وقد قسم الباحث ورقته إلى قسمين الوسائل التي اتخذتها الحكومة الماليزية والقسم الثاني الوسائل التي اتخذتها الجهات غير الحكومية. واهتمت المحاضرة بالوسائل التي اتخذتها الحركة الإسلامية المحظورة (دار الأرقم) والحركة الإسلامية المعارضة (الحزب الإسلامي الماليزي) كما تناولت اتجاه الأسلمة الذي تسير فيه الحكومة الماليزية.

7- صرخات الشعراء الماليزيين حول التطور الاجتماعي الاقتصادي: عبد الوهاب علي. تناول الباحث في محاضرته معاناة المسلمين من النواحي الاجتماعية والاقتصادية، وكيف أن الأقليات من الأعراق الأخرى يتمتعون بمزايا كثيرة، ولذلك توجه الشعراء إلى الدولة يستنهضونها لعمل شيء ما لتحسين أوضاع المسلمين. وذكر أن بعض هؤلاء الشعراء أعطي مناصب مهمة في الدولة.

8- الإسلام في أواسط آسيا وفي روسيا: التثقيف مقابل التسييس : فيتالي نامكين المركز الروسي للبحوث الاستراتيجية والدراسات الدولية.

تحدث المحاضر عن أوضاع الإسلام والمسلمين في الاتحاد السوفيتي منذ حركة البروستريكا وما حدث بعدها من انهيار الاتحاد السوفيتي وتطور أوضاع المسلمين و

دخولها في أوضاع عاصفة من النمو والتوسع والتمزق. وأوضح أن أهم ملامح هذه الفترة السعي نحو التعليم الإسلامي حيث بدأت نشاطات واسعة في هذا المجال وبمساعدات من الهيئات والمنظمات الإسلامية الدولية. ومع ذلك فقد حدث شيء من الانقسام بين العلماء التقليديين والعلماء الجدد.

وأشار المتحدث إلى بعض المحاولات لتحويل الإسلام إلى قوة سياسية في معظم الدول الإسلامية التي استقلت حديثاً في أواسط آسيا. وقد ظهرت أحزاب إسلامية معارضة. ويتوقع المتحدث أن لا يكون هناك رابح في المعركة بين الإسلام السياسي والإسلام التعليمي ولكن سوف تظهر قوة تجمع بين الاثنين.

9-فشل البديل الليبرالي :يوهانس يانسن Johannes Jansen جامعة لايدن. تناول المحاضر موضوع البديل الليبرالي للمشروع الإسلامي الذي تطرحه الحركات الإسلامية أو (الأصولية). ويقصد بالبديل الليبرالي المشروع الذي تطرحه (النخبة) العلمانية لتحديث المجتمع المصري وبخاصة في مواجهة المشروع (الأصولي) أو مشروع (الإسلام السياسي)، وذكر في محاضرته جهود كل من مصطفى أمين، ومحمد سعيد العشماوي، ونوال السعداوي، وفؤاد زكريا وسعد الدين إبراهيم . وأشار إلى أن كتابات هؤلاء تطبع المرة تلو المرة ولكنها مع ذلك فشلت في تحريك الجماهير ليكون لهذا المشروع قوة تواجه قوة التوجه الديني. وأوضح أن أسباب فشلهم قد تعود إلى أنهم لا يعيشون هموم المواطن العادي أو إنهم يعيشون في بروج عاجية. ومشروعهم بلا شك هو المشروع التغريبي. وتحدث عن كتاب فؤاد علاّم (الإخوان وأنا: من المنشية إلى المنصة) وأشار إلى أن فؤاد علاّم قدّم بعض الروايات الغريبة للأحداث التي جرت في مصر منذ محاولة قتل عبد الناصر التي اتُهم فيها الإخوان المسلمون إلى مقتل السادات. وأشار إلى أن بعض الروايات تخالف الروايات المعروفة فربما كان علاّم بارعاً في الكذب.

وأتيحت لي الفرصة للتعقيب على المحاضرة فأبديت له إعجابي بعنوان محاضرته، وأضفت بأن العنوان يتضمن حُكْماً على هذا المشروع وهو حكم صحيح وأنا أؤيده في هذا الحكم. وبحكم تخصصي في الاستشراق وفي التاريخ الحديث فقد توقفت عند مصطلح النخبة الذي استخدمه الباحث فذكرت له إن الذين ذكرهم (فؤاد زكريا، وسعد

الدين إبراهيم وغيرهما) على أنهم النخبة إنما هم نخبة زائفة لأنها مصنوعة في الخارج. وقد لاحظت أن مثل هذه المجموعة موجودة في معظم البلاد العربية الإسلامية، وأضفت علينا أن نحدد معاني المصطلحات التي نختارها. وأجاب بأنه لم يقصد ما فهمت من العنوان، وأما بالنسبة للنخبة فهو يرى أن هؤلاء هم النخبة سواءً وافقت أم لم أوافق ثم أضاف: " مصطفى أمين من النخبة وإن لم يكن مصطفى أمين نخبة فليس هناك نخبة !"

ولو كان في الوقت متسع لأوضحت له أننا نطلق على النخبة في العالم الإسلامي على العلماء العاملين أو العلماء الربانيين؛ لأن هؤلاء هم الذين يعملون على إسعاد غيرهم ويعيشون هموم شعوبهم ولا ينعزلون في بروجهم العاجية.

10- النموذج الديموقراطي الغربي والإسلام السياسي في الشرق الأوسط: الجزء الأول، هالة مصطفى من مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية. والجزء الثاني قدّمه نبيل عبد الفتاح قسم الدراسات الدينية بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية:

يرى الباحثان أن الساحة الدولية تشهد في الوقت الحاضر صوراً جديدة للصراع بين الدول تختلف عما كان الحال عليه خلال الحرب الباردة. فالتنمية الفعلية سارت في مسار مختلف تماماً عن المسار المتوقع من حيث إيجاد جو من السلام والأمن بنهاية الحرب الباردة. فقد ظهرت الحروب القومية في أنحاء العالم ومن أخطرها تلك التي انفجرت بسبب التناقضات الثقافية والعرقية والدينية.

ومما أضاف إلى التباين الواضح بين الدول المتطورة والدول النامية في مجالات التقنية والقيم والثروة قد أضاف إلى شدة الصراع بالإضافة إلى أشكال الصراع الجديدة التي ظهرت مؤخراً. ومما يزيد في حدة هذه التناقضات الصراعات بين الثقافات والحضارات الذي ظهر مؤخراً في مجالات التاريخ واللغة والثقافة والعادات والدين. ومما يزيد الوعي بهذه الصراعات الاحتكاك بين الثقافات المختلفة.

وأشار الباحثان إلى أن عملية التحديث أدت إلى انفصال الشعوب المختلفة من هوياتها القديمة، وبالتالي فإن أزمة الهوية وبالتالي يظهر الدين لملء الفراغ ليصبح مصدر الهوية وهذا ما تمثله الحركات الأصولية الدينية.

والدور المزدوج الذي يقوم به الغرب يؤدي إلى تصعيد هذه الأزمات بسبب اختلال التوازن بين الغرب والدول غير الغربية في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة، ويزيد في إحساس غير الغربيين بالهزيمة في مواجهة القوى الغربية العظمى. وبالتالي تدفع تلك الشعوب للبحث عن جذورها الثقافية.

وأشار الباحثان إلى الاختلاف بين القيم الغربية وقيم الثقافات الأخرى مثل: الليبرالية، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، والعلمانية وهي التي تشكل الأسس للدولة القومية الحديثة.

وفي هذا السياق فإن تقديم نموذج النظام الغربي الديموقراطي في دول غير غربية مع الأخذ في الاعتبار القيم التي ذكرت سالفاً يعد من أصعب المشكلات التي تشغل قطاعاً مهماً من الصراع الفكري في العالم الإسلامي والشرق الأوسط. وإن ظهور الحركات الإسلامية من خلال النظام الديموقراطي هو أهم تحد في هذا المجال.

وقدم الباحثان بعد ذلك وجهة نظرهما تجاه الحركات الإسلامية ومدى إمكان اندماجها وتأقلمها مع النظام الديموقراطي الغربي، فأكدا على أنه من الصعب على هذه الحركات القبول بالقيم الغربية في مجال التعددية الذي هو الأساس للنظام الديموقراطي وهذا في نظر هالة مصطفى يناقض جوهر التعددية ويهدم مبادئ التنافس الحر بين القوى المختلفة في المجتمع.

ومما انتقدته هالة مصطفى على الحركات الإسلامية موقفها من الحريات العامة والخاصة والتي تتمسك الحركات الإسلامية بمفهوم واحد تجاهها. وترى أن الحركات الإسلامية تحد من هذه الحريات بالاستناد إلى الأقوال الدينية المختلقة التي تناقض مفهوم حرية الفكر والرأي والاعتقاد المعروفة في النظم الديموقراطية والتي صرحت بها مواثيق حقوق الإنسان العالمية.

وواصل الباحث الثاني نبيل عبد الفتاح الحديث عن الحركات الإسلامية وعلاقتها بالديموقراطية الغربية، والمواقف المختلفة التي تتخذها الدول الغربية من هذه الحركات. وعموماً لم يخرج عبد الفتاح عن الرؤية التي قدمتها هالة مصطفى لهذه الحركات.

وعندما أتيحت لي الفرصة أن أعقب طلبت من رئيس الجلسة أنني أريد أن أبعث رسالة إلى رئاسة المؤتمر بأن الحركات الإسلامية غير ممثلة في هذا المؤتمر، وأن ما نسمعه من تشويه لصورتها وطعن في فكرها دون تفريق بين الحركات الإسلامية المعتدلة وغيرها أمر يحتاج إلى رد وتوضيح، ولذلك فينبغي في المستقبل أن يمثل الطرف الآخر حتى يكون ثمة توازن في عرض وجهات النظر. وحاول رئيس الجلسة أن يقلل من خطورة الأمر بأن قال "إن الانتقاد الذي قدمته أو الرسالة التي وجهتها لا تعني أن هذين البحثين ليسا موضوعيين أو علميين". ولم أرد أن أرد عليه فقد أدركت أن رسالتي قد وصلت.

الخميس:

11- الإسلام في فرنسا: كاثارين ويتهول دي وندن Catherine Wihtol de Wenden من المركز القومي الفرنسي للبحث العلمي. تناولت الباحثة أوضاع المسلمين في فرنسا فأشارت إلى أن معظمهم من الطبقات الفقيرة وأنهم يعيشون أوضاعاً صعبة، كما تناولت قضية اندماجهم في المجتمع الفرنسي. وأشارت إلى أنها غير متخصصة في الإسلام ولكنها باحثة في علم الاجتماع. وأشارت إلى سياسات الحكومات الفرنسية تجاه المسلمين في فرنسا. ودار نقاش جيد بعد المحاضرة شارك فيه كل من الباحث الفرنسي أوليفير كاريه والدكتور علي الكتاني رئيس جامعة ابن رشد الإسلامية في قرطبة حيث أشار المتحدثان إلى القرارات الفرنسية الموجهة ضد ممارسة المسلمين شعائر دينهم في فرنسا. وتعجب الدكتور علي الكتاني من المعاملة القاسية التي يلقاها المسلمون في فرنسا مع أن فرنسا تزعم أنها علمانية، وتساءل وما ذا يضايق الفرنسيين في مسألة الحجاب. كما أكد وجود أعداد كبيرة من المسلمين من أصل فرنسي.

12-الإسلام هل هو عامل مساعد أو معرقل في وجه تطور المرأة؟ :رفعت حسن الباحثة من جامعة لويفيل. وتناولت الباحثة موقف الإسلام من المرأة من خلال ثلاثة مسائل:1- كيف خُلِقت المرأة؟ 2- هل كانت المرأة مسؤولة عن سقوط الرجل؟ 3- لماذا خُلِقت المرأة؟

واهتمت رفعت حسن بيان موقف الأديان المختلفة من هذه القضايا مع التركيز على موقف الإسلام، وأشارت إلى أنها بدأت تدرس العقيدة الإسلامية منذ عام 1974م، ومن النقاط الطريفة في بحثها توقفها عند بعض الأحاديث في صحيح البخاري وصحيح مسلم حول خلق المرأة من ضلع الرجل، والتوجيه النبوي الكريم بالإحسان إلى المرأة فشككت في صحة هذه الأحاديث حيث إنها لم تجد أية إشارة في القرآن الكريم حول موضوع خلق المرأة.

وكما ذكرت في الحديث عن هذه الباحثة في المحاضرة الرئيسة في المؤتمر في الجلسة الافتتاحية، فهي من دعاة التغريب والانتقال بالمرأة إلى الصورة الغربية بالرغم من انتقادها للدراسات الغربية التي تشوه صورة الإسلام في الغرب.

الجمعة:

13-بحث "العلاقات الإسلامية-النصرانية في القرن الواحد والعشرين" قدمه علوي شهاب، مركز دراسات أديان العالم بجامعة هارفارد. تناول المحاضر العلاقات التاريخية بين المسلمين والنصارى ابتداءً من الحروب الصليبية ثم الحملات الإمبريالية التي استهدفت العالم الإسلامي. ولكن المحاضر أشار إلى أن أوروبا والغرب اقتنع باستقلال الدول وأن العلاقات الإسلامية النصرانية بدأت تدخل في طور جديد من التعايش والقبول. وقد حاول أن يفسر كثيراً من النصوص التي تشير إلى العلاقات بين المسلمين والنصارى. وقد زعم المحاضر أن له الحق في الاجتهاد في فهم بعض النصوص القرآنية التي تتناول العلاقات بين المسلمين والنصارى فهو من العلماء كما يرى نفسه.

وقد بدا لي أن الباحث بحكم موقعه في جامعة هارفارد حاول لي أعناق النصوص ليناسب دعوته إلى قبول النصارى وإبعاد حقيقة مواقفهم من الإسلام والمسلمين.

14- توازن الحضارات: سيناريوهات للإسلام : مارتن كريمر مدير مركز موشيه ديان لدراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا -تل أبيب.

تناول الباحث في ورقته سبب اهتمامه بالصحوة الإسلامية التي نالت اهتماماً كبيراً في الغرب في العشر سنوات الأخيرة، وفشل التوقعات حول مستقبل هذه الحركات. وحتى يقدم الباحث صورة الإسلام في القرن الواحد والعشرين وجد أن من المفيد

الرجوع إلى أوضاع العالم الإسلامي في بداية القرن العشرين وبخاصة حينما سألت إحدى المجلات عدداً من المستشرقين عن آرائهم في مستقبل العالم الإسلامي في القرن العشرين.

ومن الطريف أن الباحث وجد أن الأوضاع في بداية القرن العشرين تشبه إلى حد كبير الأوضاع الحالية؛ يسود أوروبا الآن حالة من السلام وسيطرة قوة واحدة هي الولايات المتحدة التي تسعى إلى وصول النفط إلى الغرب، وأن تكون الضامن لبقاء الأوضاع كما هي في الشرق الأوسط. وعندما تعرض وصول البترول إليه للخطر أسرعت الولايات المتحدة للتدخل عندما غزت العراق الكويت. وذكر الباحث أن الولايات المتحدة تقوم بعملياتها الحربية من قواعدها ولا ترى ضرورة للاحتلال طويل الأمد.

وتناول الباحث أوضاع العالم العربي الحالية واستمرار بعض الحكام لفترات طويلة وضرب المثل بالملك حسين،(مات بعد ذلك) والرئيس السوري(مات هو أيضاً) والعراقي(غزت أمريكا العراق فخلعته) والرئيس الليبي(مازال في الحكم). وزعم أن هذا لا يدل على الاستقرار، وهو أمر يرى أنه يشبه الأوضاع التي كان عليها العالم الإسلامي في بداية القرن العشرين.

واهتم كريمر بإثارة قضية الحركات الإسلامية التي يطلق عليها "المسلحة" وأنها الخطر الذي يهدد استقرار المنطقة.–وهذا هو دأب الباحثين والسياسيين اليهود في تخويف الغرب من الإسلام–وأشار إلى أن العالم الإسلامي كان يشهد صحوة تشبه الصحوة الموجودة حالياً. وزعم أن الحركات الإسلامية في بداية القرن العشرين تم السيطرة عليها وتساءل هل سيتم السيطرة على الحركات الإسلامية في بداية القرن الواحد والعشرين.

وقد قدّم الباحث بعض الحقائق عن أوضاع العالم الإسلامي من النواحي الاقتصادية واستمرار اعتماد المسلمين على الاستيراد في المواد الغذائية وغيرها، كما أشار إلى قضية الديون التي تثقل كاهل كثير من الدول العربية الإسلامية.

وتناول الباحث أيضاً مقالة صموئيل هنتقتون حول صراع الحضارات وما أثارته من ردود فعل واسعة في العالم العربي الإسلامي، وتعجب كيف أن كتاب فوكوياما عن

(نهاية التاريخ) والتي تعرض للمسلمين بأشد مما ذكره هتنقتون لم تثر ردود فعل واسعة في العالم الإسلامي مع إن ما قاله فوكوياما أشد مما قاله هتنقتون.

لا شك أن الورقة تتضمن كثيراً من المغالطات التي تحتاج إلى الرد عليها، ولكن رأيت أن أترك الرد عليه حتى أتمكن من قراءة بحثه قراءة دقيقة.(3)

نظرة إجمالية إلى المؤتمر:

لقد كان هذا المؤتمر مناسبة ممتازة للتعرف على بعض الرؤى الغربية للعالم الإسلامي في مطلع القرن الواحد والعشرين والتي يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

1- الحديث عن التنمية أمر مهم جداً بالرغم من أنه موضوع تكرر كثيراً منذ بداية القرن العشرين وما قاله الشيخ محمد عبده وغيره من العلماء المسلمين حول موقف الإسلام من المدنية والحضارة. ولكن يبدو أن التركيز على النموذج الغربي للتنمية مازالت قضية مهمة لدى الغربيين أو أبناء المسلمين المتأثرين بالفكر الغربي.

2- موضوع التربية والتعليم من الموضوعات المهمة ويهم الغرب أن يعرف كيف يفكر المسلمون في هذا الموضوع كما يرغبون في إيصال نظراتهم ونظرياتهم إلينا من خلال هذه المؤتمرات وبخاصة أن هذا المؤتمر كان له جانب سياسي بحضور بعض المسؤولين من أندونيسيا ومصر وهولندا الذي مازالت الدراسات العربية والإسلامية فيها لها جانب سياسي واضح.

3- الإسلام والمجتمع العالمي، يريد منظمو المؤتمر التوصل إلى معرفة كيف يفكر المسلمون في التعايش مع المجتمع العالمي أو الكوني .

من الملاحظات على هذا المؤتمر الطابع العلماني في طرح بعض القضايا مثل قضايا الحركات الإسلامية، وموضوع المرأة الذي تزعمته الباحثة الباكستانية التي تفخر بمؤتمر السكان الذي عقد في القاهرة على مقربة من الأزهر ليسمع صوت المرأة في قضاياها. وكذلك غاب عن المؤتمر ممثلين للحركات الإسلامية المعتدلة في العالم الإسلامي وبخاصة من مصر الذي انفرد ممثلو مؤسسة الأهرام أو التيار العلماني(الليبرالي) بالحديث عن هذا الموضوع.

أثار انتقادي غياب التمثيل المتوازن في موضوع الحركات الإسلامية اهتمام الباحث الهولندي يوهانس يانسين حتى إنه أشار إليه في الجلسة الختامية ووعد أن يتم النظر في هذا الأمر في المستقبل.

ملحوظة: لقد لفت انتباهي عدم اتصال أي مسؤول من السفارة السعودية بي في أثناء المؤتمر بالرغم من أنهم بُلِّغوا بحضوري وأنني ممثل المملكة في المؤتمر. فهل هذا إهمال مقصود؟ أو تقصير في أداء العمل؟ وقد أعجبني اهتمام السفير المصري بحضور بعض فعاليات المؤتمر كالجلسة الافتتاحية والجلسة الختامية، وكذلك استمرار اتصاله بالشخصيات التي مثّلت مصر في المؤتمر. ولكن اتصل بي أثناء المؤتمر سفيان سيرجار من المركز الثقافي الإسلامي بمدينة لاهاي، وهو على صلة بالسفارة وأخبرني بأنه أبلغ السفارة بوجودي.

- الحواشي :

1 -دارت بيني وبينه مراسلات قدم لي من خلالها معلومات قيمة عن الدراسات العربية والإسلامية في هولندا، وقد نقوم بعمل مشترك عن هذه الدراسات في الجامعات الغربية.

2 -أود أن أشكر كل من الدكتور عبيد خيري والدكتور قاسم السامرائي على مساعدتهما القيمة في ترجمة هذا البحث من اللغة العربية إلى الإنجليزية.

3 - حصلت على معلومات جيدة من المحاضر حول مركز موشيه ديان ونشاطاته الاستشراقية، وقد أفادني بمعلومات مهمة حول أستاذه برنارد لويس وعلاقته بإسرائيل ، كما أرسل لي بعض المنشورات من المركز عن ندوة بمناسبة مرور ثمانين سنة على ولادة لويس

===========-

#مؤتمر عالمي حول الإسلام في هولندا

تذكر كتب التاريخ أن الملك الفرنسي لويس التاسع الذي قاد إحدى الحملات الصليبية التي باءت بالفشل لمّا أسر في مصر، أخذ يفكر في هذه الحملات فتوصل إلى أن المواجهة الحربية مع المسلمين لا تجدي لأن المسلمين سرعان ما يعودون

إلى الوحدة والقوة مهما بلغ ضعفهم، ولذلك فعلى الدول الأوروبية أن تسعى لمحاربة المسلمين في عقيدتهم وثقافتهم .

ولم تستمع أوروبا إلى النصح تماماً فعادت إلى المواجهة الحربية حيث احتلت الجيوش الأوروبية معظم أجزاء العالم الإسلامي، ولكنها مع هذا الاحتلال لم تنس نصيحة الملك الفرنسي فنشطت الجامعات والمعاهد الغربية ومراكز البحوث في دراسة العالم الإسلامي عقيدة، وشريعة، وتاريخاً، ولغة وآداباً، واقتصاداً وسياسة حتى أصبحوا كما يقول الدكتور أبو بكر باقادر يعرفون الجزئيات وجزئيات الجزئيات أو تفاصيل التفاصيل عن الأمة الإسلامية ويستخدمون هذه المعرفة في محاربتنا.

وفي عام 1901م تقدمت مجلة فرنسية متخصصة في السياسة هي "مجلة قضايا دبلوماسية واستعمارية" إلى عدد من المستشرقين تطلب منهم أن يقدموا توقعاتهم حول أوضاع الإسلام والمسلمين في القرن العشرين وكان من هؤلاء المستشرقين: إي جي براون (E. G. Browne) الانجليزي، والألماني هارتمان Hartmann، والهولندي سنوك هورخرونيه، واليهوديين المجريين جولدزيهر وفان دن بيرج Van den Berg بالإضافة إلى خمس عشرة مستشرقاً آخرين.

إن هذا الاهتمام بمحاولة استشراف مستقبل العالم الإسلامي يعود مرة أخرى مع اقتراب حلول القرن الواحد والعشرين، وهاهي جامعة لايدن تأخذ المبادرة للنظر في مستقبل العالم الإسلامي بالتعاون مع إحدى أكبر البلاد الإسلامية سكاناً وهي اندونيسيا، مع التركيز على جنوب شرق آسيا الذي يعتقد بعض الباحثين الغربيين أنه سيكون مركز الثقل في العالم الإسلامي في المستقبل لما يظهر فيه من نشاطات اقتصادية مهمة.

وفطن الغرب إلى أهمية إشراك باحثين من العالم الإسلامي معهم هذه المرة، ليفيدوا من علمهم ومن خبراتهم، وللتركيز على اتجاهات فكرية معينة؛ فعقد المؤتمر العالمي الأول حول الإسلام والقرن الواحد والعشرين في لايدن في الفترة من 3 إلى 7 يونيه 1996م. وقد قدم فيه ثمانون بحثاً حول ثلاثة محاور هي: الإسلام والمجتمع الدولي، والإسلام والتنمية، والإسلام والتعليم.

بدأت الجلسة الافتتاحية بكلمة لرئيس جامعة لايدن البرفسور ليرتوور L. Leertouwer، أشار فيها إلى اهتمامه بدراسة الأديان، وأنه كان عضواً في قسم دراسة الأديان في جامعة لايدن. وأشاد بالمستشرق الهولندي سنوك هورخرونيه وغيره من المستشرقين الهولنديين على جهودهم في دراسة الإسلام وتطوير دراسة الدين الإسلامي في هولندا. ثم تحدث وزير الشؤون الدينية الاندونيسي الدكتور هـ. ترمذي طاهر الذي أشاد بالتعاون بين اندونيسيا وهولندا، وبخاصة جامعة لايدن في مجال الدراسات الإسلامية ووزارة التعليم والثقافة والعلوم الهولندية. ودعا الحاضرين إلى المشاركة في المؤتمر الثاني الذي سيعقد في اندونيسيا بعد سنتين.

وطرأ تغيير على الجلسة الافتتاحية حيث تحدث وزير الشؤون الدينية المغربي الذي قال بأن مشاركة بلاده، وإن جاءت متأخرة لكنها مشاركة جوهرية ودعا إلى عقد المؤتمر الثالث في المغرب. وأشاد بالتعاون العلمي بين العالم الإسلامي والغرب.

وتضمنت الجلسة الافتتاحية البحث الذي تقدمت به الباحثة الباكستانية رفعت حسن الأستاذة بجامعة لويفيل بالولايات المتحدة الأمريكية، ومن الداعيات المشهورات لتحرر المرأة المزعوم. وكانت ورقتها بعنوان (ماذا يعني أن أكون مسلماً في مشارف القرن الواحد والعشرين) أكدت فيها على التعاون بين الغرب والشرق وأنه لا بد من الحوار البنّاء. ولكنها بدأت بالحديث عما رأته شرفاً كبيراً لها أن تقدم البحث الافتتاحي وأن اختيار امرأة لذلك مزية انفردت بها جامعة لايدن .

ويهمني في هذا المقال أن أشير إلى ما ذكرته رفعت عن الحديث النبوي الشريف من افتراءات بأن معظم الحديث النبوي الشريف موضوع، واستشهدت لذلك بما قاله الباحث فضل الرحمن (كان رئيس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة شيكاغو الأمريكية) من أن كثيراً جداً من الأحاديث موضوعة ومزيفة وقام بذلك العلماء المسلمون التقليديون. وقالت في أثناء النقاش بأنها لو أخذت أربعة أحاديث من صحيح البخاري –رحمه الله تعالى– وأرادت أن تناقش سندها ومتنها لارتفعت الأصوات بالاحتجاج بأنه لا يمكن لامرأة أن تفعل ذلك بالإضافة إلى كونها غير عربية وباكستانية.

ومن العجيب أنه لم يتصدى لها أحد في هذه النقطة، فقد كان من الواجب أن يوضح لها وللحضور بأن العلماء المسلمين بذلوا من الجهود في فحص الأحاديث النبوية ما لم تعرفه أمة من الأمم حتى توصلوا إلى تصنيف الأحاديث إلى الصحيح والحسن والضعيف، وحتى في الحسن والضعيف ثمة تصنيفات أخرى توضح دقة هذا العلم والمنهجية الصارمة التي استخدموها في الذب عن حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم. وكان على هذه المرأة أن تدرك أن صحيح البخاري قد خضع لدراسات عميقة جداً، وأن الأمة الإسلامية قد تلقت عمل الإمام البخاري ليس بالقبول فحسب بل بالإشادة والتقدير والثناء. أما كونها امرأة وغير عربية فكم من النساء المسلمات اللاتي نبغن في علوم الحديث قديماً وحديثاً ولتنظر عدد من روى الحديث من النساء، أما كونها غير عربية فهل كان البخاري أو مسلم أو الترمذي أو ابن ماجة عرباً وهل كان سيبويه وغيره من العرب؟

تناولت في الأسطر السابقة مسألة اهتمام الغرب باستشراف مستقبل العالم الإسلامي، وتحدثت عن الجلسة الافتتاحية وما قدّم فيها من خطب وكلمات وكذلك المحاضرة الافتتاحية.وسوف أتناول فيما يأتي عدداً من البحوث التي ألقيت في المؤتمر.

كان من الصعب حضور كل المحاضرات، لأن الجلسات كانت تعقد متزامنة لذلك من الصعب الخروج برأي أو حكم على مجمل المؤتمر دون الاطلاع على أكبر عدد من المحاضرات وهو ما يتطلب وقتاً وجهداً. ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جلّه.

ففي محور الإسلام و التنمية قدّم نصر حامد أبو زيد- الأستاذ الزائر بجامعة لايدن- بحثاً بعنوان "الإسلام والتحديث" تناول فيه تعريف التحديث بأنه إجراء لإنشاء نظام سياسي واقتصادي وثقافي واجتماعي ليحل محل نظام أصبح جامداً، وأن لكل مجتمع حداثته أو تحديثه الخاص به.-وهنا مكمن الخطورة فالنظام الإسلامي لا يمكن أن يصبح جامداً في أي وقت- أما عن تحديث الإسلام في بدايته فذكر أنه جاء لتحديث المجتمع الجاهلي، وان الجاهلية ليست مقابل العلم ولكنها سلوك اجتماعي وتوجه عقدي يخالف الإسلام. وركز كثيراً على الفروق بين المجتمع الإسلامي القائم على قيم تخالف قيم العصبية القبلية. وذكر في محاضرته الفرق الإسلامية مثل الشيعة والخوارج والمعتزلة، و أشاد بالمعتزلة كما يفعل كثير من المستشرقين بأنهم

الحزب الليبرالي أو أصحاب التفكير الحر وزعم أن الاعتزال بدأ حركة سياسية تهدف إلى محاربة الدولة الأموية.

وطلبت التعليق فقلت بأن تحديث الإسلام لم يكن في يوم من الأيام خاصاً بالمجتمع القبلي الجاهلي في جزيرة العرب، بل هو تحديث وإصلاح لما كان العالم أجمع يعاني منه من انحرافات عقدية وسياسية واقتصادية واجتماعية. وذكرت له أن رسالة الإسلام هي للعالم أجمع. وأوضحت بأن القرآن الكريم اهتم ببيان انحرافات بني إسرائيل العقدية، والاجتماعية، والسياسية، فمن ذلك قتلهم الأنبياء وقولهم على الله غير الحق وأكل الربا وغير ذلك. وأضفت بان القرآن ذكر الانحرافات الاقتصادية لقوم شعيب والانحرافات العقدية والسياسية لفرعون.

ومجمل القول حول محاضرة أبو زيد أنها لم تكن بالقوة من الناحية العلمية التي تبرر لجامعة لايدن استضافته وهذا ما ذكره لي أخ جزائري بأنه لم يجد في هذه المحاضرة فائدة كبيرة. ولكن لعل أبو زيد يخاطب الغربيين فيروا بأن كل ما يقوله جديداً بالنسبة لهم.

ومن المحاضرات التي ألقيت في هذا المؤتمر محاضرة بعنوان "فشل البديل الليبرالي" للباحث الهولندي من جامعة لايدن جوهانز جانسن، تناول فيها قضية واحدة وهي لماذا فشل الليبراليون في أن يحركوا الجماهير للقبول بمشروعهم بالرغم من أن كتبهم تجد رواجاً وتطبع المرة تلو المرة. وتحدث عن كتاب فؤاد غلام (الإخوان وأنا من المنشية إلى المنصة)

وتناول المحاضر كتابات من سمّاهم بالنخبة من أمثال مصطفى أمين، ونوال السعداوي، وفؤاد زكريا، وسعد الدين إبراهيم، ومحمد سعيد العشماوي وغيرهم، وأن هذه الكتابات لم تستطع أن توجد تياراً يستطيع منافسة المشروع الإسلامي أو يقاوم الحركات الإسلامية التي يسمونها بالأصولية الإسلامية أو الإسلام السياسي.

ولم تصل المحاضرة إلى وضع النقاط على الحروف بالنسبة لفشل المشروع الليبرالي.

وقد ردّ أحد الحضور وهو الأستاذ عبد العزيز شادي –الذي كان يحضر للدكتوراه في العلوم السياسية في جامعة لايدن {حصل على الدكتوراه الآن} بأن معلومات المحاضر غير دقيقة، فكتب هؤلاء ليس لها رواج الكتب الإسلامية، وهي غالباً

باهظة الثمن وأسلوبها يتسم بالغموض بينما الكتب الإسلامية واضحة الأسلوب رخيصة الأثمان لأن مؤلفيها أصحاب دعوة لا يريدون الكسب المادي.

وأتيحت لي الفرصة للتعليق فبدأت بإبداء إعجابي بعنوان المحاضرة، وذكرت أن العنوان (فشل المشروع الليبرالي) يتضمن حكماً عليهم، وهو حكم صحيح، وأنا أؤيده –وإن كان هذا عكس ما قصده المحاضر–. ثم قلت له :" لقد ذكرت مجموعة من الأسماء :مصطفى أمين، وفؤاد زكريا، وسعد الدين إبراهيم وغيرهم بأنهم النخبة ولكن هذه ليست نخبة حقيقية، بل نخبة زائفة Superficial elite لأنها مصنوعة في الخارج؛ بمعنى أن ثقافتها غربية وتوجهاتها علمانية غربية. ثم هناك مجموعات شبيهة بها في معظم البلاد العربية الإسلامية درست في المعاهد الأجنبية أو تلقت تعليمها في الخارج وتأثرت بالفكر الغربي. وأضفت بأن علينا أن نحدد معاني المصطلحات التي نستخدمها.

وحتى لا آخذ أكثر من الوقت المحدد للتعليق فقد توقفت، ولو أتيحت لي الفرصة لقلت له بأن النخبة أو الصفوة هم علماء الأمة العاملون، أو العلماء الربانيون كما يسميهم القرآن الكريم. أو النخبة هي أصحاب الأيادي المتوضئة والوجوه الوضيئة التي يشع منها نور الإيمان. ولقد كانت النخبة في مجتمع المدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم هي كبار الصحابة وأصحاب السابقة في الإسلام. بل يرى البعض أن النخبة هي أهل بدر من المهاجرين والأنصار، أو هم أصحاب بيعة الرضوان. فهذه هي المعايير الإسلامية في تحديد النخبة. والنخبة في المجتمع الإسلامي هي التي تبذل في سبيل رفعة مجتمعها وتقدمه لا تتسلط عليه فكرياً وتتعالى عليه كما هو الحال فيمن يطلق عليهم الغربيون النخبة. وقد ذكر الباحث الغربي أن هؤلاء يعيشون في بروج عاجية لا يعرفون حقاً معاناة شعوبهم. فكيف بالله يستحقون لقب النخبة؟ ولكن تعالي بعض الغربيين جعله يصر على استخدام مصطلح النخبة لوصف من وصف وأضاف بأنه إذا لم يكن مصطفى أمين من النخبة فمن النخبة!! فهذا التعالي والعنجهية جعلاه لا يقبل بالرأي الآخر.

تخيل معي أخي الكريم أن مؤتمراً عالمياً بعنوان (الحضارة الغربية والقرن الواحد والعشرين) يعقد الآن في دولة إسلامية، وقد دعي إليه العديد من العلماء والمفكرين

الغربيين ليقدموا لنا خلاصة علمهم وخبرتهم وتجاربهم فيما ستؤول إليه حضارة الغرب في القرن القادم، وربما كانت محاور المؤتمر: الإنسان في الحضارة الغربية، البيئة في الحضارة الغربية، الدين في الغرب...الخ.

ولكن لندع هذا الخيال الآن ونعود إلى الواقع لنتناول بعض الجوانب من مؤتمر هولندا الذي نحن بصدده، فقد تقدمت إلى المؤتمر بموضوع حول شخصية إسلامية متميزة لها دورها الرائد في مجال التنمية، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت وكنت أعلم أنني سأمثل بلادي في هذا المؤتمر لاخترت موضوعاً يخص المملكة فإن تجربتها الرائدة في مجال التنمية تستحق أن تكون مجالاً لعدة أوراق تقدم لهذا المؤتمر. فنحن وبحمد الله خطونا خطوات كبيرة في مجال التنمية مع محافظة على القيم الإسلامية في شتى المجالات. فهذه مدارسنا وجامعاتنا لا تعرف الاختلاط الذي تفشى في العالم أجمع، وبدأ العالم يعاني من ويلاته منذ أمد بعيد. وما زال إعلامنا يقاوم التنافس مع القنوات الفضائية بالمحافظة على القيم الإسلامية في برامجه.

ولكن مادام هذا المؤتمر سيعقد مرة أخرى فإن الفرصة ما تزال مواتية لتمثيل المملكة في محاوره المختلفة فقد لاحظت تمثيلاً كبيراً لجمهورية مصر العربية واندونيسيا(أحد المنظمَين للمؤتمر) وهولندا .وبالإمكان الاتصال بوزارة الشؤون الدينية الاندونيسية لمعرفة موعد انعقاد المؤتمر القادم ومحاوره المختلفة.

وعقد المؤتمر التالي أو الثاني في مصر ولم يكن الإعلان عنه للجميع، وكان الحضور شبه رسمي حيث شاركت بعض الجهات الحكومية في المملكة بأشخاص لهم حضوة في حضور المؤتمرات والندوات.

وأعود إلى البحث الذي تقدمت به حول نظرات ابن باديس للتنمية، فقد حضرت اجتماعاً قبل أكثر من عام عقد في جدة حضره بعض المثقفين من المملكة وكان ضيف الاجتماع باحثاً أمريكيا متخصصاً في العلوم السياسية وهو جوزيف كيششيان، وبدأ الاجتماع بأن تحدث عن الحركات الإسلامية أو (الأصولية) زاعماً أنها ستعيد البلاد الإسلامية إلى العصور الوسطى(الأوروبية) حين كان العلماء يقتلون و يحرقون . وأن الحركات الإسلامية تضطهد المرأة وأن الأقليات سوف تعاني. والحديث وإن كان ظاهره عن الحركات السلامية لكنه في الواقع طعن في الإسلام،

فالدول التي ظهرت فيها الحركات الإسلامية تخلت عن التطبيق الكامل للشريعة الإسلامية منذ زمن بعيد، ولذلك فالاتهام موجه للإسلام. وكتب مثل هذا الكلام "مستشرقون" من أمثال دانيال بايبس، وبرنارد لويس. وقد كان لويس عنيفاً حاقداً في نقده، وكانت محاضرته التي ألقاها في مكتبة الكونجرس محاضرة تحريضية ضد الإسلام والمسلمين.

ولذلك كان اختياري لشخصية إسلامية مرموقة تناولت قضية التنمية بوعي إسلامي وفهم عميق للإسلام ولواقع الحضارة الأوروبية. فقد كان لابن باديس رحمه الله دروس في تفسير القرآن الكريم. ومن هذه الدروس حديثه حول قول الله تعالى {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}(سبأ 46) حيث ذكر أن هذه الآية تستحق أن يطلق عليها " آية النهوض الإنساني"، فقوله {قوموا} لا تعني القيام على الأرجل، وإنما معناها النهوض، ولو كان هذا مراداً وفهمته العرب منه لما سادوا المعمورة. ولا ينسى ابن باديس أن يحدد أهداف هذه النهضة كما فهما من القرآن الكريم بقوله:" إن النهضة يجب أن تكون لله فإن كانت لغيره فإنها لا تخلو من ضرر يعود على نوع الإنسان من جهات شتى وإن نفعت قوماً من بعض الوجوه."

وتحدث ابن باديس في تفسير قوله تعالى{أتبنون بك ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون، وإذا بطشتم بطشتم جبّارين}(الشعراء128-130)، وهنا تحدث ابن باديس عن التفاسير التي ذكرت أن معنى مصانع هي القصور أو مجاري المياه ويقول في ذلك ابن باديس و على القولين فهي دليل على معرفتهم بفن التعمير علماً وعملاً " ويضيف، " ولكن ليت شعري ما الذي صرف المفسرين اللفظيين عن معنى مصنع الاشتقاقي والذي أفهمه ولا أعدل عنه هو أن المصانع هي جمع مصنع كالمعامل من العمل وإنها مصانع حقيقية للأدوات التي تستلزمها الحضارة ويقتضيها العمران، والقرآن لم ينكرها لذاتها وإنما أنكر عليهم غاياتها وثمراتها، فإن المصانع التي تشيد على القسوة والقوة لا تحمد في مبدأ ولا في غاية، وأي عاقل يرتاب في أن المصانع اليوم هي أدوات عذاب لا رحمة، ووسائل تدمير لا تعمير فهل يحمدها على عمومها؟

وختمت محاضرتي بعبارات حول التنمية والاحتفاظ بالهوية الإسلامية –وهو ما كنت أتمنى لو تحدثت فيه عن تجربة المملكة– فكان مما قلته:" يجب أن تبدأ التنمية الحقيقية بالحفاظ على الهوية الإسلامية، وبعد ذلك فإن أي استعارة من الآخرين ستكون مقبولة ما دامت لا تؤثر أو تتعارض بأي طريقة مع الهوية الإسلامية. وبالإضافة إلى ذلك فالمحافظة على احترام الذات متطلب أساسي من متطلبات النهضة الحقيقية. ففي العصور المبكرة في التاريخ الإسلامي عندما بدأ أول اتصال للمسلمين بالحضارات الأخرى مثل الفارسية، واليونانية، والهندية فإن المسلمين لم يصابوا بالانبهار بهذه الحضارات إلى درجة فقدان قيمهم وأخلاقهم. وفي الوقت نفسه لم يحتقروا هذه الحضارات ويقللوا من شأنها، فإنهم على العكس من ذلك درسوا هذه الحضارات دون تحيز أو تعصب وأخذوا منها ما يلائمهم، وقدموا إسهامات أثرت المعرفة البشرية التي أخذها عنهم العالم وبخاصة أوروبا ليصنعوا منها حضارتهم المعاصرة. إن إنكار هذا الإسهام الإسلامي ورفض نهضة المسلمين وفق مسلماتهم وثوابتهم لا يعد سلوكاً عاقلاً.

===========

تقرير عن المؤتمر الدولي الاستشراق والدراسات الإسلامية

تطوان–المغرب

15–17 رجب 1417 هـ

26–28نوفمبر 1996م

المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – الرباط

وشعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

بجامعة عبد المالك السعدي – تطوان بالمغرب.

لغة المؤتمر : اللغة العربية ، ولكن قدمت ثلاثة بحوث باللغة ا؟لإنجليزية والإسبانية والفرنسية.

موجز عن البحوث المقدمة:

لم يكن هذا المؤتمر الأول حول الاستشراق الذي يعقد في المغرب فقد عقد قبل سنتين تقريباً مؤتمر في كلية الآداب بجامعة محمد الخامس في الرباط بالتعاون مع

مكتب تنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية حول الدراسات الاستشراقية وكان برئاسة الدكتور أحمد شحلان عميد الكلية حينذاك .كما عقدت ندوة أصيلة اجتماعها السنوي في الصيف الماضي تناول صورة الغرب في العالم الإسلامي وأوصت الندوة بإنشاء أول مركز للدراسات الأمريكية في العالم العربي في مدينة أصيلة المغربية.

أما هذا المؤتمر فكان والحمد لله فرصة للإشادة بالقسم الذي لا مثيل له في العالم الإسلامي وأن المنتسب لهذا القسم يجد نفسه على معرفة بالاستشراق بصورة أوضح وأشمل من الذين يدرسون الاستشراق من خلال دراسة أحد العلوم العربية أو الإسلامية.كما إن وجود هذا القسم في المملكة يثبت هذه الريادة لجامعة الإمام. ولم يظهر هذا في بحثي الذي قدمته بعنوان (لمحات من الاستشراق الأمريكي المعاصر) فحسب بل كان ذلك أيضاً من خلال الفرص التي أتيحت لي لمناقشة بعض البحوث الأخرى وكذلك من خلال الندوة التي عقدتها القناة الفضائية لراديو وتلفزيون العرب (إي آر تي) والتي استغرقت حلقتين بعنوان (الإسلام وقضايا المجتمع) ومن خلال بعض اللقطات السريعة التي صورها المخرج الدكتور رفيق حكيم على هامش المؤتمر وكذلك من خلال بعض اللقاءات الصحافية مع جريدة "المسلمون" وجريدة "المستقلة" (اللندنية)، ومن خلال الحديث في برنامج إذاعي بث على الهواء مباشرة من إذاعة طنجة. وقد وجدتها فرصة مناسبة خلال هذه النشاطات أن أشيد بقسم الاستشراق بكلية الدعوة وأهميته العظيمة في فهم الاستشراق والتصدي له.

أما بحثي فكان حول الدراسات الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية أو الاستشراق الأمريكي المعاصر، وقد اخترت ثلاثة محاور في هذا الموضوع هي:

أولاً: المعرفة حقيقتها وأساليب الحصول عليها: أوضحت فيه أن المعرفة في الغالب ليست من أجل المعرفة نفسها ولكنها في الغالب من أجل استمرار الهيمنة والسيطرة كما بين ذلك العلماء المسلمون من قبل و كذلك إدوارد سعيد في كتابه المشهور (الاستشراق). وأما وسائلها فكثيرة من بينها البحوث الأكاديمية والمؤتمرات والندوات واستقدام بعض الأساتذة العرب المسلمين الذين يجرون بحوثاً على بلادهم في الغرب فيقدمون خبراتهم ومعارفهم إلى الاستشراق الأمريكي.

ثانياً: الاستشراق الإعلامي: وتناولت في هذا المحور النشاطات الاستشراقية في المجال الإعلامي من صحافة وإذاعة وتلفاز وقدمت نماذج لذلك. وأكدت على الارتباط الوثيق بين الاستشراق الأكاديمي والاستشراق الإعلامي.

ثالثاً: الاهتمام بالحركات الإسلامية: وقد ظهر في الآونة الأخيرة في الجامعات الأمريكية ومراكز البحوث ولدى الحكومة الأمريكية اهتمام بالحركات الإسلامية التي تطلق عليها (الأصولية) حتى أصبح بعض الباحثين يتخصص في هذه الحركات في بلد من البلدان.

موجز عن المؤتمر:

كان هذا المؤتمر حافلاً بالبحوث القيمة التي وزعت على عدة محاور وهي :الاستشراق والعلوم الشرعية: القرآن الكريم، والسنّة، والفقه والسيرة النبوية، والاستشراق واللغة العربية وآدابها، ومدارس الاستشراق الجغرافية. وفيما يأتي أبرز البحوث التي قدمت:

الاستشراق والقرآن الكريم

1- الاستشراق وترجمة القرآن الكريم: د. محمد أبو طالب – شعبة اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط. قدم الباحث عرضاً شيقاً وجميلاً لنماذج من الصعوبات والأخطاء التي وقع فيها عدد من المترجمين في أثناء قيامهم بالترجمة وذلك نتيجة عدم إدراكهم لخصوصيات اللغة العربية نحواً وصرفاً وأسلوباً. وأعتقد أن الباحث يملك طاقة كبيرة ومعرفة غزيرة وعميقة بهذا الموضوع ويمكن الإفادة من جهوده لدى الجهات المعنية في المملكة بترجمة معاني القرآن الكريم وهي مجمع خادم الحرمين الشريفين لطباعة المصحف الكريم بالمدينة المنورة ووزارة الشؤون الإسلامية.*

2- الدراسات القرآنية في اسكتلندا: وليام موير وريتشارد بل ومونتجمري وات: د. عبد الرحيم علي محمد إبراهيم – مدير جامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم. تناول البحث تعريفاً موجزاً بالمستشرقين الثلاثة ثم ركز على كل من ريتشارد بل ومونتجمري وات، ونظراً لأن ريتشارد بل كان أخطرهم فقد أعطى الباحث مساحة أكبر لعرض آرائه ونقدها.

الاستشراق والسنّة:

3- موقف المستشرق جولدزيهر من السنّة النبوية: د. المكي اقلانيه - شعبة الدراسات الإسلامية كلية الآداب جامعة عبد المالك السعدي -تطوان: اهتم الباحث بالمستشرق جولدزيهر وتناوله للسنة النبوية سنداً ومتناً وربطها بالأعراف والتقاليد الجاهلية، وأوضح الباحث المنهج الذي سلكه جولزيهر والخلل الذي اعتوره في سلوك ذلك المنهج.

الاستشراق وأصول الفقه:

4- علم أصول الفقه من خلال بعض الدراسات الاستشراقية:نقد وتقويم: د. محمد الصمدي، شعبة الدراسات الإسلامية -تطوان. ناقش الباحث مجموعة من وجهات نظر مجموعة من المستشرقين حول أصول الفقه، وتناول مناهجهم في ذلك من خلال دراسة مدى التزامهم بالأمانة العلمية في بناء الأحكام والتصورات.

الاستشراق والسيرة النبوية:

5- محمد صلى الله عليه وسلم بين النبوة والرسالة: د. قوتو أكيرا من معهد الثقافة الشرقية- جامعة طوكيو اليابان. تناول البحث الألقاب والصفات التي كانت تطلق على الرسول صلى الله عليه وسلم وخلص إلى أن أكثرها كانت النبوة والرسالة، وقد بحث في هذا الموضوع من خلال دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن خلال ترجمات معاني القرآن الكريم.

7- قراءة في كتابات إسبانية عن السيرة النبوية: د. مهدية امنوح، شعبة الدراسات الإسلامية-تطوان، قامت الباحثة بمراجعة عدد كبير من النصوص الاسبانية في مجال السيرة النبوية، واهتمت بصفة خاصة بما أثبتوه للرسول صلى الله عليه وسلم من صفات ومزايا وتلك التي نفوها وأسباب الإثبات والنفي.

8- الاستشراق والسيرة النبوية: د. عز الدين عمر موسى- قسم التاريخ، كلية الآداب بجامعة الملك سعود. قام الباحث أولاً بتقسيم التاريخ الأوروبي إلى ثلاث حقب وتحدث عن الاهتمام بالسيرة النبوية في كل حقبة منها وخصائص الكتابة حول السيرة فيها. وهذه الحقب هي: النصرانية البيزنطية، والثانية نهضة غرب أوروبا

وبداية عصر النهضة، والثالثة هي حقبة عصر التقدم الأوروبي العلمي المادي والهيمنة الاستعمارية، وقدم الباحث نماذج من كتابات كل حقبة مع نقدها.

الاستشراق واللغة العربية:

9- "المستشرقون واللغة العربية" ، د. بكري عبد الكريم، مدير المعهد العالي للحضارة الإسلامية بمدينة وهران – الجزائر. من أبرز القضايا التي تناولها الباحث في ورقته ما يأتي: أصالة النحو العربي من حيث النشأة والتنظيم، ومكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية وقدرتها على التعبير عن المسميات والمعاني، والإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ، واستبدال العامية باللغة الفصحى في البلاد العربية، والرصيد المعرفي في مجال اللغة العربية الذي يملكه المستشرقون الدارسون لعلوم اللغة العربية.

10- "المستشرقون واللغة العربية " نادية انجلسكو، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية جامعة بوخارست–رومانيا. ألقت الباحثة بحثها بلغة عربية سليمة، وحاولت إبراز دور المستشرقين في مجال دراسة اللغة العربية نحواً وصرفاً وآداباً. وكذلك في مجال الاهتمام بالتراث العربي الإسلامي في مجال اللسانيات والتأكيد على أهمية التفكير اللساني العربي وأصالته.

11- " ما ذا أفاد الأدب العربي من جهود المستشرقين في تاريخه والبحث فيه ؟" د. محمد الكتّاني عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عبد المالك السعدي، تطوان. ركز الباحث على إظهار إنجازات المستشرقين في مجال خدمة الأدب العربي بغض النظر عن الأخطاء التي وقعوا فيها،أو الأغراض غير الموضوعية التي وجهت بحوثهم أحياناً. وقد قدّم نماذج من جهود المستشرقين في المحافظة على التراث العربي وتحقيق المخطوطات وفق مناهج علمية صارمة.

المدارس الاستشراقية –جغرافياً :

12- " الاستشراق في سويسرا "، د. جريجور شويلر .Greegor Schoeler، جامعة بازل بسويسرا. قدم الباحث ورقته بلغة عربية جيدة مستعرضاً الاهتمام بالدراسات العربية الإسلامية في سويسرا مشيداً بأن بلاده رغم صغر مساحتها لكنها أخرجت

عدداً من المستشرقين البارزين، وقدم في ورقته أسماء بعض هؤلاء وإنجازاتهم في هذا المجال.

13-" الاستشراق في هولندا "، د. إسماعيل العثماني، كلية الآداب بجامعة أمستردام. وفي ورقته أوضح الدكتور إسماعيل أهمية دراسة هذا الاستشراق دراسة عميقة لأنه يحتل مكانة بارزة بين الاستشراق الأوروبي وأكد على عدم الاكتفاء بمظاهر الموضوعية والنزاهة والاعتدال التي يمكن أن يتظاهر بها هذا الاستشراق فإنه له باطن يختلف عن ظاهره.

14- " تأسيس الاستشراق الأسباني وتصوراته: البدايات والروافد" د. عبد الواحد العسري، شعبة اللغة العربية - كلية الآداب ، تطوان. تناول الباحث أسباب ظهور الاستشراق في اسبانيا قبل غيرها من الدول الأوروبية ومن ذلك المساجلات الدينية وظهور ترجمات لمعاني القرآن الكريم والاهتمام بالثقافة الإسلامية العربية عموماً.

توصيات المؤتمر:

إن أبرز التوصيات التي خرج بها هذا المؤتمر التأكيد على مواصلة عقد مثل هذه المؤتمرات لفهم أعمق وأدق للظاهرة الاستشراقية ، وكذلك مواصلة الحوار مع المستشرقين أو الباحثين الغربيين في مجال الدراسات الاستشراقية لمحاولة تشجيع المفاهيم الصحيحة وتصحيح ما يمكن أن يكون قد اعترى تصورات المستشرقين من أخطاء نتيجة سوء الفهم أو التعمد.

كما رأى المؤتمر أن تعقد حلقة ثانية من هذا المؤتمر، ولعل كلية الآداب بوجدة هي التي ستقوم باستضافة المؤتمر بعد سنتين .

ولعل أبرز توصية تلك التي دعت إلى إنشاء رابطة للباحثين المسلمين المهتمين بالدراسات العربية والإسلامية في الغرب أو الدراسات الاستشراقية .

- الحواشي :

* كتبت إليه أطلب مزيداً من المعلومات عن نشاطاته في هذا المجال وسيرته الذاتية لتقديمها لمجمع خادم الحرمين لطباعة المصحف الشريف للإفادة من علمه في مجال الترجمات، ولكم لم يردني أي رد ، فلعل رسالتي لم تصل إليه.- علمت أنه توفي إلى رحمة الله فرحمه الله رحمة واسعة.

==============

الاستشراق والإسلام > القرآن الكريم >

من أهم الأمور التي عني بها الاستشراق القرآن الكريم وفي هذا القسم نقدم موجزا عاما لأبرز القضايا التي تناولها المستشرقون في دراساتهم للقرآن الكريم والتي هي جزء من كتابي (مدخل إلى دراسة الاستشراق)، ثم نلحق بعد ذلك عدداً من البحوث التي قدمت في ندوتين عقدتا في المدينة المنورة في مجمع المدينة المنورة لطباعة المصحف الشريف.

- المستشرقون دراساتهم للقرآن الكريم
- تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم
- دراسة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية
- دراسة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الهولندية
- دراسة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية
- ملاحظات على ترجمة معاني القرآن الكريم للمستشرق الفرنسي جاك بيرك
- دراسة لترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية(القرآن مترجما) للمستشرق الإنجليزي آرثر ج. آربري
- مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم
- الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم
- دراسة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية التي أعدّها ريجيس بلاشير
- ملاحظات على ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الهولنديةللمستشرق الهولندي فريد ليمهاو

اهتمام المستشرقين بالقرآن الكريم

يعود اهتمام المستشرقين بالقرآن الكريم لأنه الكتاب المقدس عند المسلمين فهو حسب تعريف العلماء المسلمين "كتاب الله المعجز المنزل على رسوله r، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته."[1] وقد حفظه الله عز وجل كما جاء في قوله تعالى)إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ(ء[2] فإذا ما نجحوا – بزعمهم–

في هذه الناحية كان النجاح في غيرها أكثر سهولة. وسنتناول اهتمام المستشرقين بالقرآن الكريم من عدة نواحي:

ترجمة معاني القرآن الكريم

ظهرت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم في القرن الثاني عشر، وقام بها عالم إنجليزي هو روبرت الكيتوني Robert of Ketton وساعده ألماني اسمه هرمانوس وراهب إسباني مجهول، وقد تضمنت الترجمة شروحات وتعليقات وردود وملاحظات، وكان القصد من الترجمة ليس معرفة ما يقوله القرآن الكريم بقدر ما كان القصد منها تفنيد مافيه بزعمهم والرد عليه وتنفير النصارى من الإسلام.[3]

وظهرت ترجمات أخرى إلى اللاتينية من بينها ترجمة الألماني جوستاف فلوجيل Gustav Flugel وهو الذي وضع أول معجم لألفاظ القرآن الكريم.[4] وتوالى ظهور ترجمات لمعاني القرآن باللغات الأوروبية المعاصرة، كالألمانية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية.

المستشرقون ومصادر القرآن الكريم

لا تكاد شبهات المستشرقين قديماً أو حديثاً تخرج كثيراً عن الشبهات التي أثارها كفار قريش سوى أن المستشرقين قدموا شبهاتهم بطريقة أكثر تفصيلاً، وصبغوها بالصبغة العلمية الأكاديمية، وانطلت هذه الشبهات على الأوروبيين، وغيرهم من الشعوب التي تخضع للفكر الأوروبي.

وأول مفترياتهم هي أن القرآن مستمد من المصادر اليهودية والنصرانية، ويستدلّون على ذلك بالقصص القرآني زاعمين أن الرسول r قد أخذها عن التوراة. ويمكن الرد على هذه الفرية من ثلاثة جوانب:

1- أن وحدة المصدر تجعل من الممكن وجود تشابه القصص القرآني مع القصص التوراتي.

2- إن المقارنة بين القصص القرآني والقصص في الكتب السابقة توضح مدى التحريف الذي تعرضت له الكتب السابقة، فهم يرمون القرآن بالأخذ منهم حتى يداروا ما بكتبهم من تحريف، فالقصص المذكورة في الكتب السابقة يطغى عليها الجانب المادي والصنعة البشرية التي تهتم ببعض التفاصيل والجزئيات التي لا تظهر في

القصص القرآني، كما إن كتابة هذه القصص في الكتب السابقة تحوي صوراً فاحشة لا يليق أن يكون مثلها في الكتب المقدسة.

3- أن الرسول r كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ولم يثبت له صلة باليهود أو النصارى في مكة قبل البعثة فكيف يتأتى له أن يأخذ منهم، فقد ورد في القرآن الكريم الرد على هذه المزاعم حين زعم كفار قريش أن الرسول r كان يعلمه غلام نصراني وهو قوله تعالى)وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ(ء.[5]

وزعموا أيضا أن الرسول r أخذ عن الأحناف، وقد كان هؤلاء بضعة نفر من العرب أدركوا ما عليه قومهم من ضلال وانحراف فبحثوا عن الهداية في اليهودية والنصرانية فلم يجدوا فيهما ما يشفي الغليل، وبذلك فقد اطلعوا على الكتب المقدسة لدى الديانتين، ويكون الرد على هذه الشبهات أن الأحناف لم يكونوا يملكون تصوراً واضحا في العقيدة ليدعوا قومهم إليه، كما أن الرسول r لم يحتك بهم لدرجة التتلمذ عليهم والأخذ منهم، ولو صح هذا لدى قريش لاتخذته ذريعة لعدم إتباعه ولما سكتوا عنه.[6]

الوحي

نالت مسألة الوحي اهتماما كبيرا من المستشرقين سواءً اليهود أو النصارى، وحاولوا بشتى الوسائل الطعن في الإسلام من خلال هذا الأمر بمحاولة تفسير الوحي الذي نزل على سيدنا محمد r بشتى التفسيرات المادية والعقلانية. والوحي من الأمور الاعتقادية التي لا تخضع لمناهج المستشرقين المتصفة بالمادية، ولا تعترف بالقضايا الغيبية، ولا نستطيع إثباتها عن طريق العقل والحواس وحدهما ولكن علينا الإيمان بها، ولذلك كان من أول صفات المؤمنين كما جاء في بداية سورة البقرة قوله تعالى)ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(ء[7]

ومن أبرز هذه الشبهات زعمهم أن الوحي يشبه الصرع الذي يصيب الإنسان، فكان النبي r حين يجيئه الوحي يصاب به فيعتريه احتقان فغطيط فغثيان كما جاء في كتاب جوستاف لوبون (حضارة العرب) فقد كتب مونتجمري وات يصف الرسول r

بأنه كان من الذين يتمتعون بما سمّاه "الخيال الخلاق" وحاول الرجوع لعلم النفس لشرح هذا المصطلح بإرجاعه إلى اللاشعور أو الوعي الجمعي وغيره من المصطلحات الغامضة التي تبعده عن تفسير الوحي التفسير المعقول.

وللرد على هذه الافتراءات نذكر ما قاله محمد رشيد رضا بأن الذي يصاب بالصرع حقيقة يفقد وعيه فإذا أفاق لا يذكر من تلك الفترة شيئا،ولكن الوحي الذي كان يجيء نبينا محمداً r لا يذهب حتى يكون قد وعى وحفظ ما أوحي إليه به، ويضيف رشيد رضا بان المصاب بالصرع لا يمكن أن يأتي بدين ورسالة إلى العالم، ثم إن الوحي لم يكن دائما بالصورة التي تشبه الغيبوبة بل كان يأتي في الواقع كثيرا والرسول r في يقظة تامة، ويلخص ساسي الحاج هذه القضية بقوله "إن الصرع يعطل الإدراك الإنساني وينزل بالإنسان إلى مرتبة آلية يفقد أثناءها الشعور والحس، أما الوحي فهو سمو روحي اختص الله به أنبياءه ليلقي إليهم بحقائق الكون اليقينية العليا كي يبلغها للناس، وقد يصل العلم إلى إدراك بعض هذه الحقائق ومعرفة سننها وأسرارها بعد أجيال وقرون، وقد يظل بعضها لا يتناوله العلم، ومع ذلك فتبقى حقائق يقينية يهتدي بها المؤمنون الصادقون."[8]

نقد النص

ومن الموضوعات التي خاض فيها المستشرقون فيما يخص القرآن الكريم ما أطلقوا عليه نقد النص القرآني، وهذا الأمر ناتج عما أحدثه الغربيون بخصوص كتبهم المقدسة حيث أعملوا فيها نظريات نقد النص، وقد أدى هذا النقد إلى التشكيك في طريقة نقل هذه الكتب ورواياتها، وكذلك في الحقائق التي وردت فيها، وإن كانت كتب النصارى واليهود قد تعرضت للتبديل والتحريف وأثبت نقد النص ذلك فهذا الأمر لا يمكن تطبيقه على القرآن الكريم لأنه في المقام الأول قد نقل إلينا بالتواتر القطعي الذي لم يتيسر لكتاب في العالم اهتمام ورعاية كما ناله القرآن الكريم.

ومع علمهم بفشل مثل هذه الممارسة مع القرآن الكريم إلا إنهم لم يتورعوا عن هذا العمل، وقد تأثر بعض المسلمين فظهر من يزعم أنه لابد من تطبيق نقد النص على القرآن الكريم ومن هؤلاء محمد أركون في الجامعات الفرنسية، وفضل الرحمن الذي كان يرأس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة أمريكية، ونصر حامد أبو زيد في

مصر الذي يعمل حالياً أستاذاً زائراً في جامعة ليدن بهولندا بعد أن صدر ضده حكم التفريق بينه وبين زوجه بسبب ما كتبه من تجديف وافتراء على القرآن.

- الحواشي :

[1] – الإتقان في علوم القرآن

[2] – سورة الحجر آية9

[3] – ساسي سالم الحاج .الظاهرة الاستشراقية.

[4] – عباس ارحيلة ."

[5] – سورة النحل آية 103

[6] – انظر عبد اللطيف طيباوي المستشرقون الناطقون باللغة الإنجليزية. ترجمة قاسم السامرائي .(الرياض: إدارة الثقافة بجامعة الإمام 1410)

[7] – سورة البقرة آية 2

[8] – الظاهرة الاستشراقية2/1 ص 360 عن محمد حسين هيكل ،حياة محمد ط5ص41

تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قِبل المستشرقين ودوافعها وخطرها

إعداد

د. محمد حمادي الفقير التمسماني

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد أنزل الله كتابه العظيم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين، وأمره بتبليغه إلى الناس أجمعين، وتولّى حفظه بنفسه فقال:]إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنّا لَهُ لَحَافِظُوْن[(الحجر:9) وهيأ له رجالاً مخلصين ذادوا عن حرمته، وتصدوا لكل

المحاولات التي تهدف إلى تشويهه، وبذلوا جهوداً خيرة في كشف زيف ما يثيره أعداؤه عنه من أباطيل وأكاذيب.

هذا وإن أخطر حملة عدائية واجهها القرآن العظيم هي تلك الهجمة الشرسة التي شنَّها المستشرقون عليه، فكان أول همهم أن يبحثوا لأوروبا عن سلاح غير أسلحة القتال، لتخوض المعركة مع هذا الكتاب الذي سيطر على الأمم المختلفة الأجناس والألوان والألسنة، وجعلها أمة واحدة، تعد العربية لسانها، وتعد تاريخ العرب تاريخها، وقد لخَّص (وليم غيفورد بلغراف) عداء الغربيين وحربهم للقرآن في كلمته المشهورة: "متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العرب يتدرج في سبل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه"([1])

ولا ريب أن هذه الصورة بدأت تتغير قليلاً الآن، ولكن التيار القوي في مراكز الاستشراق والكنائس الغربية، ومعاهد الدراسات ما زال هو التيار المعادي للإسلام المتحفظ تجاهه.

لقد نتج عن حقدهم وكراهيتهم بانقطاع صلة معظمهم بالعالم العربي ولا سيما بعد استمرار تدهور العلاقة بين المستشرقين والعالم العربي بداية من النصف الأول من هذا القرن (القرن العشرين)([2]).

إن خطر معاداتهم وحربهم للقرآن الكريم قد اشتد وتزايد أواخر هذا القرن وحتى أيامنا هذه، نتيجة كون تلك الأحكام السابقة والضلالات التي ينتجها العقل الاستشراقي لم تعد محصورة في المجال الجامعي، فقد تلقفها الإعلام الماكر وأخذ ينشرها على أوسع نطاق، وتسرَّب الكثير منها أيضاً إلى المناهج الدراسي في معظم البلاد الأوربية، وبهذا يربون الأجيال الجديدة على كراهية المسلمين ويعدونهم لقبول أية قرارات بحصار الشعوب المسلمة، والموافقة على أية تدخلات عسكرية لحماية القرن الحادي والعشرين!

وهنا تتجلى أهمية الموضوع الذي نحن بصدد الحديث عنه ألا وهو "تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل المستشرقين ودوافعها، وخطرها"

أهمية الموضوع:

تتلخص أهمية الموضوع فيما يأتي:

أولاً – كون المؤسسة الاستشراقية قد نجحت بالفعل في تقديم مادة معرفية مزورة ومشوهة عن القرآن الكريم ، وبالطبع لن يعرف تشويهها وخطرها إلا من أوتي معرفة منطلقة من الأصول الصحيحة، وإلا فإنه سينزلق مثلما انزلق كثير من المعاصرين من أبناء هذه الأمة.

ثانياً – ما يقتضيه واجب التبليغ والدعوة، فعلى الداعية المسلم – لا سيما في أيامنا هذه – أن يقف على ما يثيرونه من شكوك وشبهات، ويتصدى لها بالعلم والمعرفة، ويواصل جهوده بخطى ثابتة من غير كلل ولا ملل ؛ لأن الناس في حاجة ماسة إلى ترجمة صحيحة ووثيقة، لكي يفهموا كلام الله سبحانه وتعلى الذي قرر فيه أوامره ونواهيه، بل إنَّ كل مسلم مطالب شرعاً بعرض كلام ربه على غيره بشكل واضح وسليم، كي يحصل على صورة إيجابية وصحيحة لهذا الكتاب الجليل، فإن جل الذين أسلموا من كبار علماء العالم هم ممن خوطبوا به في البداية بلغتهم، وفهموا الإسلام بتلك اللغة.

ثالثاً – كون ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية الواسعة الانتشار أصبحت اليوم ضرورية بصفة مبدئية، نخص منها: الإنجليزية والإسبانية والفرنسية، وذلك بهدف أن يقرأ، الناس جميعاً مسلمين وغير مسلمين من غير أهل لغة الضاد في ترجمة أمينة.

لذا يتأكد تظافر الجهود بين أهل العلم في مختلف التخصصات، وإيجاد تعبئة عامة: أكاديمية وإعلامية وثقافية ودبلوماسية وسياسية، ولا جدوى من مؤتمرات الحوار التي ينظمها الموظفون ولا تخطط لأي عمل جاد مؤثر([3]).

لا شك أن هناك جهوداً خيرة مباركة بذلت في مجال ترجمة القرآن الكريم أواخر هذا القرن، نخص منها بالذكر:

1. الجهد الكبير الذي بذله الدكتور عبدالله نصيف، والدعم الذي قدمه للجنة الترجمة التي استمرت تعمل خمس عشرة سنة في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، وقت أن كان مديراً للجامعة، ثم أميناً عاماً لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. إذ استمرت هذه اللجنة في عملها تحت إشرافه واستعرضت عشرين ترجمة، وخلصت إلى أن خير الترجمات:

– ترجمة محمد مارماديوك بكثال، وهو مسلم عاش في الهند ، وترجمته خير الترجمات لحرصه على مدلولات الألفاظ وتمكنه من لغته الإنجليزية.

– ترجمة: آربري، وهو عالم فذ بالعربية وبلسانه الأصلي الإنجليزية، وترجمته رائعة من حيث أسلوبها الممتاز ([4]).

2. من الجهود الخيرة أيضاً الندوة الدولية الأولى التي انعقدت بعمان سنة 1998م والتي صدرت أعمالها في كتاب ضخم (510 صفحات من الحجم الكبير) وأبحاث الكتاب قاربت الثلاثين، وشملت الترجمات أهم اللغات: الإنجليزية والفرنسية والألمانية والبرتغالية والتركية والبوسنوية والألبانية والفارسية والبلغارية والأردية والروسية.

ولقد أثلج صدورنا الخبر السار الذي نشرته مجلة "الرابطة" في أحد أعدادها([5]) وهو: أن مجمع الملك فهد بن عبدالعزيز لطباعة القرآن الشريف قد تبنى مشروعاً لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة العبرية، فجزى الله المشرفين على المجمع خير الجزاء، وفي مقدمتهم الأمين العام للمجمع ورئيس اللجنة التحضيرية لندوة "ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل" سعادة الدكتور محمد سالم بن شديد العوفي.

التمهيد

من خلال استقراء جهود الاستشراق في الدراسات القرآنية وتتبعها نجد أن الكثير منها يدور حول ترجمة القرآن الكريم إلى مختلف اللغات العالمية والألسن الحية ترجمة حرفية أو تفسيرية أو لغوية جزئية وكلية.

وطبيعة هذا الموضوع تفرض علينا أن نمهد له بكلام موجز نبين فيه حقيقة الترجمة، وإمكانها في القرآن الكريم، ومدى صعوبتها.

حقيقة الترجمة:

لغة([6]): استعملت الكلمة في اللغة للدلالة على معان: يقال: ترجم الكلام: إذا بيَّنه وأوضحه، ويقال: ترجم كلامه إذا فسره بلسان غيره، وترجم كلام غيره وعنه: نقله من لغة إلى أخرى ومنه التّرجمان، ويقال: تَرجُمان ولك أن تضم التاء لضمة الجيم فتقول: تُرْجُمَان والجمع: تراجم، قال الفيومي في: "المصباح المنير": "وفيه لغات

أجودها فتح التاء وضم الجيم، والثانية ضمهما معاً بجعل التاء تابعة للجيم، والثالثة فتحهما بجعل الجيم تابعة للتاء"([7]).

إصطلاحاً: يقول الدكتور صفاء خلوصي: "الترجمة: فن جميل يعنى بنقل ألفاظ ومعان وأساليب من لغة إلى أخرى، بحيث إن المتكلم باللغة المنقول إليها يتبين النصوص بوضوح، ويشعر بها بقوة كما يتبينها ويشعر بها المتكلم باللغة الأصلية([8]).

هل يمكن ترجمة القرآن الكريم؟

لقد شغلت الإجابة عن هذا السؤال العلماء في القديم والحديث، وتباينت فيها آراؤهم، ووقعت بسببها معركة حامية بينهم، كثر فيها ردُّ بعضهم على بعض، واحتدم النقاش بينهم في عشرينات وخمسينات هذا القرن، فكان منهم من يرى الجواز، ومنهم من عارض ومنع، وألفت في ذلك رسائل خاصة.

والمختار من القولين – والله أعلم – هو: ما ذهب إليه من أجاز – وعليه جرى العمل ([9]) – يقول العلامة الحجوي المغربي – رحمه الله تعالى – في كتابه القيم "حكم ترجمة القرآن الكريم": "زُعم أن الإسلام ألزم الناس العربية وتعلمها، ونَبَذَ ألسنتهم ومنعهم من ترجمة القرآن العظيم، وهذه الشنعة تكفل بردها والتشنيع بها كتابي (جواز ترجمة القرآن) فقد برهن فيه على أن الدين لا يلزم الأمم التي دخلت في الإسلام التكلم بالعربية، بدليل بقائها إلى الآن تتكلم بألسنها، وما منع ترجمة القرآن أصلاً ولا ورد المنع في كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قياس"([10]).

وقال أيضاً: "إن ترجمته من الأمور المرغب فيها، بل يضح لنا أن

نقول: إنها من فروض الكفاية التي يجب على الأمة القيام بها، فإذا قام بها البعض سقط عن الباقين، وإن لم يقم بها أحد أثم الكل([11])، برهان ذلك: انه تبليغ عن سول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال: "... فليبلغ الشاهد الغائب"([12]). وقال "بلغوا عني ولو آية"([13]). وقد أوجب الله على رسوله التبليغ فقال:] يَا أَيَّهَا الرَّسُوْلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه[(المائدة:67) فهو بلغ للعرب بلسانهم]وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رِسُوْلٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ[(إبراهيم:5) ويجب على العرب أن

ينوبوا عنه، ويبلغوا لغيرهم من الأمم، فلذا قال لهم: "بلغوا عني ولو آية" ولا يمكن التبليغ لجميع الأمم إلا بالترجمة إلى لسانهم([14])"([15]).

بقي القول بأن الترجمة اللفظية كلمة بكلمة من لغة إلى أخرى لأي تعبير كان ليست من قبيل الممكن، إذ كل لغة نظامها في القواعد والترتيب، وإنما يراد بالترجمة هنا: أداء المعنى المراد باللغة الأخرى، تبعاً لقواعدها إلى من لا يفهم لغة النص المترجم، يقول العلامة الحجوي رحمه الله أيضاً: "لا نريد بالترجمة إبدال كل لفظ بما يرادفه أو يقاربه في اللغة الأخرى، فهذا تبديل، وربما يقال عنه تحريف. لأن ما يظن من الترادف أو التقارب قد لا يكون،

فإنا نرى كثيراً من الألفاظ في لغتنا يظن ظانون أنها مترادفة، فإذا هي متخالفة، وإنما المراد: ترجمة المعنى الأصلي من كل جملة مع ما يتبعه من المعاني التي تقتضيها دقائق اللغة وبلاغتها بقدر الإمكان، وإن لم تكن الإحاطة بكل المعاني العظيمة التي احتوى عليها اللفظ المنزل من حكيم حميد، كما لا يمكن له الإتيان بما يشتمل عليه من طرق الإعجاز الراجعة

لفصاحته، وطلاوة لفظه ومتانة أسلوبه، ولطائف إشارته، وغير ذلك مما هو مقرر في وجوه إعجازه، كل ذل لا تفي به ترجمة كائن، ولا تطمح في

الوفاء به، لمكان الإعجاز الذي ينقضي الدهر ولا تنقضي عجائبه

وغرائبه([16]).

صعوبة الترجمة:

تعد المحاولات المبذولة لترجمة معاني القرآن الكريم من أصعب المحاولات في ميدان الترجمة عموماً، فترجمة معنى آية كريمة واحدة بنقلها من النص القرآني المحكم البليغ إلى أي نص في لغة أجنبية تواجه صعوبات كبيرة، إذ يهتز المعنى الجميل الرائع ويفقد التركيب البلاغي للآية الكريمة رونقه ودقته، ويفرغ اللفظ من وقعه الجميل المؤثر([17]).

إن إشكالية نقل المعنى في ترجمات القرآن ارتطمت على صخرة الإشكال اللساني المرتبط بالمثبطات المعجمية والدلالية والتركيبية أو الأسلوبية المشكلة لأس الإعجاز القرآني([18]). يقول أحد المتخصصين في ترجمة القرآن الأستاذ صلاح الدين

كرشيد – وهو مترجم لمعاني القرآن إلى الفرنسية – قال: "إني وجدت بالفعل صعوبات جمة في ترجمة بعض الكلمات القرآنية مثل الأمة، الحق، الفاسقون، اللطيف، البر، المعروف، المنكر، وحزب. بما لها من معان مختلفة.. ومع ذلك، وبالرغم من حرصي الشديد على ذكر كل التأويلات الممكنة للآية الواحدة، فلا يمكن للنص الفرنسي، أن يلم بكل المعاني التي توحي بها الآية القرآنية، ولكن الترجمة تمثل ما توصل إليه اجتهاد المترجم نفسه وفهمه الخاص، مما يقرب معاني القرآن من عقل القارئ بالفرنسية"([19]).

ومن المسائل العويصة التي تقف عائقاً في طريق الترجمة([20]):

– مسألة: الحروف المقطعة في أوائل السور.

– مسألة: غياب الترادف.

– مسألة: أسماء الله الحسنى.

– مسألة: اختلاف اللغة العربية وغيرها في التأنيث والتثنية.

– مسألة: الضمير هل هو عائد إلى اسم مذكر أو إلى اسم مؤنث؟

– مسألة: الأسماء التي ذكرت مرة واحدة أو الكلمات المعرَّبة مثل: (زمهرير) (زنجبيل) (بابل).

– مسألة: الآيات المتشابهات والمحكمات.

– مسألة: وجازة ألفاظه ووفرة معانيه.

– مسألة: ترجمة لفظ الجلالة.

وهذه الصعوبات وغيرها تفرض على المترجم أن يكون أهلاً لهذه المهمة العظمى، بأن تتوافر فيه مجموعة من الأمور الضرورية واللازمة ؛ لأن ترجمة القرآن الكريم اليوم "أصبحت علماً يحتاج إلى القواعد والضوابط التي اشترطها أهل الفن من العربية، وعلوم الإسلام، والعلوم الإنسانية واللغوية، وهذه العملية ليست منفرة ولا شاذة، بل تخضع لشروط تفسير القرآن الكريم، لأن الترجمة هي من قبيل التفسير وتدخل في علم التفسير"([21]). وللعلامة سيدي عبدالله كنون كلام جامع في المسألة. يقول رحمه الله: "من المشكلات التي تواجه الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر: ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية، ذلك أن القرآن – كما هو معروف –

في القمة من البلاغة العربية، ولأجل النفاذ إلى أسراره، وفهم مقاصده، يجب أن يكون المترجم ممن لهم تضلع في قواعد اللغة العربية نحواً ولغةً وبياناً، وذلك فضلاً عن المعرفة بعلوم القرآن وأسباب النزول والفقه والحديث والتفسير.."([22])

الفصل الأول:

تاريخ ترجمة المستشرقين لمعاني القرآن الكريم وبيان خطرها

المبحث الأول: تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن من قبل المستشرقين وبيان أشهر مدارسها

المبحث الثاني: في بيان خطرها على القرآن الكريم

المبحث الأول: تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن من قبل المستشرقين وبيان أشهر مدارسها

عدَّ الغرب النصراني الإسلام منذ البداية خطراً حقيقياً يتهدده مما جعله يخشى ويخاف أول الأمر من ترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية لقرون

طويلة، حيث لم تظهر أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن إلا بعد حوالي خمسة قرون من ظهور الإسلام، وبعد تدخُّل مارتن لوثر ونشر أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن أصبح هناك اتجاه قوي في الغرب لا يمانع في ترجمة القرآن إلى اللغات الأوربية ولكنه يسعى إلى توظيف هذه الترجمة في توجيه المزيد من الطعنات إلى الإسلام([23]).

فتتابعت الترجمات وشملت معظم اللغات الحية، وبخاصة الإسبانية والألمانية الإنجليزية والفرنسية، حتى إنه لا توجد اليوم لغة أوربية أو شرقية إلا وفيها ترجمة أو ترجمات عدة لمعاني القرآن الكريم.

إن اللغة اللاتينية هي اللغة الأولى التي ترجم إليها القرآن الكريم، في المحاولة الأولى التي احتضنتها الأندلس (إسبانيا)" ويبدو أن الترجمة اللاتينية التي صار لها رواج في اللغات الأوربية هي ترجمة دير كلوني. إذ إن سقوط القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية عام 1453م رافقه نشوء الدول القومية في غرب أوربا مثل إسبانيا وفرنسا والبرتغال التي شجعت

التدوين باللغات الوطنية، واعتمدت في ذلك على ما قد دون أو ترجم عن الإسلام إلى اللاتينية. وقد ترجمت نسخة كلوني إلى اللغات الإيطالية والألمانية والهولندية والفرنسية والإنكليزية والروسية([24]).

والمهم أن نعلم أن حركة ترجمة القرآن الكريم من قبل المستشرقين عرفت مدارس متخصصة عنيت بالموضوع أشهرها وأهمها: المدرسة الإسبانية والمدرسة الألمانية والمدرسة الإنجليزية.

المطلب الأول: عناية المدرسة الاستشراقية الإسبانية بترجمة القرآن الكريم:

لم يحظ الاستشراق الإسباني بدراسة كافية بالرغم من أهميته البالغة ؛ إذ هو الأصل والأساس لجميع المدارس الاستشراقية الأوربية الأخرى([25])، بل يعد الاستشراق الترجمي في أوروبا عامة عالة على المدرسة الإسبانية.

لقد أدى استيلاء ألفونسو السادس على طليطلة سنة: 1085هإلى أن يسعى النصارى إلى تحقيق هدفين متكاملين([26]):

أولهما – تصحيح نصرانية المستعربين بالأندلس وتهذيبها من الفساد الذي اكتسبته من جراء التقائها بالإسلام – حسب زعمهم –.

وثانيهما – معرفة هذا الدين لتيسير إمكان مواجهته ونفيه، وإقامة سد منيع بينه وبين إفساد النصرانية من جديد.

انطلقت هذه العملية من دير كلوني بوصفها توبة وتكفيراً حربياً عن الغضب الإلهي الذي تمثل في انتشار الإسلام وتوسعه. اقتضت إدارة هذه الحرب وضمان استمرارها، أن انتقل النصارى من تعرف الإسلام إلى تنظيم معرفته وتعميقها عبر ترجمة معانيه مصدرها القرآن الكريم.

وبهذا كانت الأندلس (إسبانيا) منطلق بداية المحاولات الأولى لترجمة القرآن الكريم في أوروبا([27]).

1 – أنجزت الترجمة الأولى مطلع القرن الثاني عشر الميلادي سنة 1130م بأمر وتوجيه من رئيس رهبان دير كلوني بطرس الموقر ولقد تولى مهمة الترجمة روبرت القطوني وتتميز هذه الترجمة بأمور:

- أنها أول ترجمة استشراقية للقرآن الكريم على الإطلاق([28])

• أن المترجم أدرج في مقدمة ترجمته هذه مقالة عبد المسيح الكندي([29]).

• أن هذه الترجمة لم تتقبل قبولاً حسناً لرداءتها ولأنها وجهت بالأساس إلى الناطقين باللاتينية خاصة.

ثم تبعتها ترجمات أخرى:

2- ترجمة أخرى تولتها جماعة دير كلوني سنة 1143م([30])

تتميز بأنها كتبت بأسلوب أكثر قبولاً من سابقتها

ولقد رافقت هاتين الترجمتين – على فترات متقاربة ومتتالية – ترجمات أخرى للقرآن الكريم، وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر اللذين يمثلان أهم مراحل الاستشراق الإسباني ظهرت عدة ترجمات منها:

3- ترجمة القرآن إلى اللغة القشتالية بدلاً من اللاتينية وتعد الأولى من نوعها وذلك بأمر من الملك ألفونسو العاشر.

4- ترجمة (الشماس ماركوس دي طوليدو) للقرآن الكريم ولعقيدة المهدي بن تومرت بأمر رئيس الأسقفية وإشرافه: (رودريغو خيمينث دي رادا)

5- ترجمة مطران كنيسة سقوفيا جون السقوفي من العربية إلى الإسبانية ثم إلى اللاتينية "وأشرك معه في هذه المهمة فقيهاً حاذقاً اسمه عيسى ابن جابر السقوفي، – وذلك قبل أربعين عاماً من غزو غرناطة وسقوطها سنة 1492م – وقد تفرغ الاثنان سنة 1455م في صومعة في مدينة سافوي لهذه المهمة مدة أربعة أشهر، في الشهر الأول قام الفقيه عيسى بن جابر بنسخ القرآن الكريم على قطع من الورق العريض تاركاً حواشي كبيرة للترجمة. وفي الشهر الثاني قام بترتيب حلقات التجليد لكل القرآن. وفي الشهر الثالث بدأ بكتابة الترجمة الإسبانية على الصفحة المقابلة للنص القرآني. وفي الشهر الرابع قام كل من جون السقوفي وعيسى بن جابر السقوفي بمراجعة الترجمة الإسبانية للتأكد من صحتها. وبعدئذ قام جون السقوفي بنقل الترجمة الإسبانية إلى اللغة اللاتينية " ([31])، ثم تتابعت الترجمات بعد ذلك.

المطلب الثاني: عناية المدرسة الاستشراقية الألمانية بترجمة القرآن الكريم

عرف الاستشراق الألماني واشتهر باهتمامه بالقرآن والدراسات القرآنية على وجه العموم، فمعلوم أنه في عام 1856م قدم المستشرق الألماني (تيودور نولدكه) لجامعة

جوتنجن أطروحته لنيل الدكتوراه عن تركيب سور القرآن بعنوان: "تاريخ القرآن" وحاز بها جائزة أكاديمية الآداب في باريس في العام نفسه ثم نشرها في عام 1860م وكان لهذه الدراسة من الأهمية والتأثير: أنها مهدت لدراسة القرآن في أوروبا([32]).

أما ما يتعلق بالترجمة: فإن أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية قام بها (سولومون شفايجر) الواعظ بكنيسة فراون في نورمبرج ونشرها تحت عنوان: "القرآن المحمدي" ظهرت في ثلاثة مجلدات اعتباراً من عام 1616م، وأهم ما يلاحظ على ترجمته:

- كونها ترجمة فرعية لم يتعد صاحبها فيها النقل من اللغة العربية مباشرة.
- التحريف المتعمد، فيه ترجمة تكشف عن سوء فهم كامل كما يبدو من العنوان.
- تمتلئ بالاختلافات والتصرف في معاني الآيات "وربما يرجع ذلك إلى انطلاقها من الاعتقاد الذي كان منتشراً في الغرب لقرون مضت ومؤداه: أن الإسلام فرقة مسيحية منشقة"([33]).
- كانت المنبع الرئيس للترجمات الألمانية التي ظهرت حتى أواخر القرن الثامن عشر.

وقد ترجمت إلى الهولندية عام 1641م

ثم قام (فريدرش ماجر لاين) بنشر ترجمة للقرآن الكريم بعنوان "الإنجيل التركي" وذلك عام: 1770م اعتمد فيها النقل من العربية مباشرة، وهو بذلك يكون قد فتح الباب لمرحلة جديدة تم خلالها الترجمة من العربية مباشرة، فنجد مثلاً في السنة نفسها 1770م المستشرق (فريدريش البرهاد) أعد ترجمة أخرى من العربية مباشرة تحت عنوان "القرآن" أو "قانون المسلمين" ثم تبعته سلسلة من الترجمات كانت في أغلبها مختارات لا ترقى للترجمة الكاملة.

وفي القرن التاسع عشر ظهرت ترجمات عديدة من أشهرها:

ترجمة (ساموبل فريدريش جينز)

ترجمة أولمان وهي ترجمة حرفية

بجانب ترجمات لبعض السور قام بها:

(فريدريش ريكارت) عام 1824م

و(داومر) عام 1848م

و(شبربلجر) عام 1861م

و(بلومان) عام 1876م

وقد شهد القرن العشرين أكثر من ترجمة جديدة وكاملة عن العربية مباشرة منها:

ترجمة (تيودور ينجول) عام 1901م

وترجمة (هاكس هينتج) عام 1901م أيضاً

وترجمة (رودى باريت) التي نشرها عام 1996م ثم ألحقها بتعليق وفهرس عام 1971م

المطلب الثالث: عناية المدرسة الاستشراقية الإنجليزية بترجمة القرآن الكريم

كانت البداية الأولى لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية في أواخر القرن السابع عشر الميلادي، وإليك أشهر المحاولات:

ترجمة ألكسندر روس عام 1688م إذ نقل عمل المستشرق الفرنسي (أندرودي راير) من الفرنسية إلى الإنجليزية ، وعدَّ عمله هذا أول نسخة إنجليزية مترجمة للقرآن الكريم.

وتوالت الترجمات الإنجليزية التي استند الكثير منها على ترجمة لاتينية قام بها الأب (لا دوفيك ماراكس) عام 1668م وكان كاهناً وتعلم العربية

على يد أحد الأتراك!

وفي القرن الثامن عشر ظهر المستشرق (جورج سيل) الذي ترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية عام 1734م وتعد ترجمته هذه أشهر الترجمات باللغة الإنجليزية للقرآن الكريم على الإطلاق، كما يعد صاحبها شيخ المترجمين الإنجليز في هذه المرحلة:

ثم وجدت محاولات عديدة جلها اعتمد على ترجمة (سيل) منها:

- ترجمة (رودويل) في عام 1861م
- ترجمة (بالمر) في عام 1880م
- ترجمة (بل) في عام 1939م
- ترجمة داود في عام 1976م
- ترجمة (البروفسور أوبري) نشرت عام 1955م.

المبحث الثاني: في بيان خطرها على القرآن الكريم
تكاد الدراسات التي اهتمت بأسباب بداية نشأة الاستشراق تُجْمِع
على أن مجمل هذه الأسباب يمكن أن تؤول إلى:

• اضطرار الغرب النصراني في القرون الوسطى إلى معرفة الإسلام للإحاطة بعوامل قوته الدافعة بأبنائه إلى الانتشار في العالم المعروف آنذاك، وذلك بقصد الرد على عليه ومواجهته، والحيلولة بينه وبين أن يستهوي نفوس النصارى أو إعجابهم.
• تمكين النصرانية من تحقيق رغباتها في القوة والانتشار
• التقاء النصرانية بالإسلام في الأندلس
• الحروب الصليبية
• حملات التبشير النصرانية
• تأثير الفكر الإسلامي الرشدي في الفكر النصراني الوسيط في أوروبا

فالتقاء الإسلام والنصرانية في الأندلس استلزم نشوب صراع على الأرض وعلى قضايا الإنسان بينهما اتخذ أشكالاً متعددة ومختلفة، ومن ضمنها شكل الحروب التي استرسلت بينهما، وبخاصة بعد استيلاء ألفونسو السادس على طليطلة سنة 1085م.
المطلب الأول: لماذا ترجم المستشرقون القرآن الكريم؟
سلك المستشرقون طرائق ومناهج في دراسة القرآن الكريم تختلف عن تلكم المتبعة في قضايا وعلوم إسلامية أخرى "لقد بات من المعروف أن كل
ما تعلق بالقرآن في دراسات القوم لا يمكن الاعتداد به ألبتة، لأنه لا محالة محطم للمسلَّمات التي يجزم بها المسلمون، ومشكك في الأسس التي يؤمنون بها وأصبح في حكم اليقين: أن عالم المشرقيات عندما يتأهب لدراسة القرآن الكريم يضع نصب عينيه دعوى بشرية القرآن، محتملاً أن يكون مصدره من كل جهة إلا من السماء، وبالتالي وبناء على هذا الاعتقاد الذي يصبح عند الرجل مسلَّمة بدهية تأتي كل أبحاثه وجميع دراساته قد استوت على أساس غير صحيح، وانحرفت عن المنهج الصائب الذي يفرض نوعاً من التعاطف أو على الأقل نوعاً من الاحترام النسبي للمصدر الغيبي الذي ينبني عليه الوحي القرآني"([34]).

لم يكن غرضهم من ترجمته: الاطلاع عليه أو الاستفادة منه، وإنما كان هدفهم محاربته بعد الوقوف على مضمونه، وإثارة الشبهات والتشكيك حوله، وكانت تلك المحاولة هي البوادر الأولى للاستشراق، الأمر الذي يؤكد لنا أن الاستشراق في محاولته الفكرية لفهم الإسلام كان دافعه الأصيل: العمل من أجل التنديد والاستخفاف بالمقومات الثقافية. "فقد بينت الدراسات المحققة في الموضوع أن القرآن ترجمه المستشرقون ليحاربوه، وكانت عملية الترجمة تسودها المعاداة المطلقة للإسلام"([35]).

وانطلقوا من فكرة ترجمة القرآن الكريم صراحةً لدحض المبادئ الإسلامية وتفنيدها.. ولنا على ذلك مثل في الترجمة الإسبانية التي وضعها موكيوندو أي أو كراتوندو وعنوانها هكذا بكل صراحة: القرآن مترجماً بأمانة إلى الإسبانية ومعلقاً عليه ومدحضاً طبقاً للعقيدة والتعاليم المقدسة والأخلاق الكاملة للدين الكاثوليكي المقدس الرسولي الروماني"([36]).

المطلب الثاني: ما سوَّغوا به جهودهم

لقد تضافرت جهودهم فيما بينها لتحقيق هدف واحد، ألا وهو: تشويه القرآن بطرق شتى، وباسم المناهج العلمية، والأمانة الأخلاقية، والمنظورات المذهبية والعقدية، شارك في هذا المجهود: المفكر المثقف والراهب والقسيس، ورجل الدين المبجل، والسياسي الاستعماري المحنك، وقبل البدء وضعوا بين يدي هذا المشروع – مشروع تشويه القرآن – مسوغات متعددة الأشكال والألوان، من بينها:

• زعمهم: أن القرآن عقبة في وجه التقدم، وأنه لا يتماشى مع طبيعة العمران البشري. يقول اللورد كرومر في كتابه "مصر الحديثة": "إن القرآن هو المسؤول عن تأخر مصر في مضمار الحضارة الحديثة" وقال أيضاً "لن يفلح الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن"([37]).

• زعمهم: أن القرآن يقف حاجزاً أمام المد الفكري والثقافي للغرب، ومن الذين أطلقوا هذا التسويغ المستشرق الفرنسي (ريجيس بلاشير) قال: "قلما وجدنا بين الكتب المشرقية كتاباً بلبل بقراءته دأبنا الفكري أكثر مما فعله القرآن([38])"

• زعمهم: أن القرآن يحول دون إخضاع المسلمين تحت أقدام الغرب أعلنه (جلادستون) أمام مجلس اللوردات البريطاني حيث أمسك المصحف بيده وقال: "ما دام هذا الكتاب على الأرض، فلا سبيل لنا إلى إخضاع المسلمين"([39]).

المطلب الثالث: تباين اتجاهاتهم

لقد عرف الاستشراق الترجمي في تاريخه اتجاهين متفاوتين في الخطورة والعداء([40]):

1.اتجاه قديم، وهو الاتجاه العدائي الصرف الذي كان سائداً قبل مطلع هذا القرن، ويتميز بأمور منها:

• كانت أبحاث المستشرقين القرآنية يطبعها منهج عدواني سافر، يوجه من خلاله الشتم والسب والتجديف في حق القرآن الكريم والنبي الكريم.

• كانوا يدرسون في هذا العهد القرآن على أساس أنه هرطقة ومجموعة من التخيلات والتصورات جاء بها نبي مزيف.

• لم يكن من هدفهم البحث العلمي الحر، وإنما درسوه من أجل نقده فقط فهم: "يعتقدون أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذي ألف القرآن، ولإثبات اعتقادهم هذا حاولوا اكتشاف أية أخطاء في القرآن – بحسب زعمهم – كما حاولوا إثبات أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يعرف القراءة والكتابة، وأنه قرأ التوراة والإنجيل والمزامير، واستفاد منها في تأليف القرآن"([41]).

2. الاتجاه الجديد المعاصر بدأ من أول هذا القرن، حيث يرجع الباحثون والدارسون تأسيسه إلى المستشرق الألماني (تيودور نولدكه) ت:1931م والمعروف بلقب شيخ المستشرقين في الدراسات القرآنية " فلقد اتبع طريقة في التأليف استرعت انتباه زملائه المتخصصين.. في سائر معاقل الاستشراق في أوروبا وأميركا، إذ حرص على إبراز سائر وجهات النظر الثابتة في مسألة من مسائل علوم القرآن الكريم، معتمداً في ذلك على استقصاء مختلف الآراء من مصادر عربية وأجنبية شهيرة ومغمورة، مخطوطة ومطبوعة على حد سواء، كما أنه اتبع في عملية الاستقصاء والاستقراء ثم الاستدلال منهجاً أكاديمياً صارماً: لم يكن معهوداً فيما قبل".

من أهم مميزات هذا الاتجاه

• الرجوع مباشرة إلى المصنفات العربية اللصيقة بمجال القرآنيات.
• المنهج الصارم في الدراسة والتحليل.
• الاهتمام بالدراسات اللغوية.

والحق أن المستشرق الذي يدرس القرآن ولا يؤمن بكونه من عند الله مهما حاول التجرد من الهوى والتزام شيء من الموضوعية والحياد، فإنه واقع لا محالة في أخطاء فظيعة ونظريات واهية([42]).

الفصل الثاني:

جهود المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم في الميزان

المبحث الأول في الكشف عن دوافعهم

المبحث الثاني: روافدهم وعيوب منهجهم في الترجمة وأخطاؤهم فيها

المبحث الأول: في الكشف عن دوافعهم

لا شك أن الباحث يجد صعوبة في استبيان طرائق المعالجة وآليات المنهج الموظف والمطروق عند المشترقين، وكذا تنوُّع مداخل وطرق البحث المطبقة عندهم، ولهذا فإن المرء يحتاج بالتأكيد إلى كثير من التنقيب والبحث لمتابعة المستشرقين في عملهم خطوة بعد خطوة، من أجل الوقوف على خطورة دوافعهم.

المطلب الأول: دوافعهم:

إن دوافع المستشرقين في ترجمة معاني القرآن الكريم تكاد تنحصر في أمرين اثنين:
أولهما – خدمة مصالحهم، وتحقيق مقاصدهم المتمثلة في تشكيل المسلمين في دينهم، تمهيداً لاحتوائهم والقضاء على ثقافتهم، ثم إخضاعهم سياسياً وثقافياً واقتصادياً.

ثانيهما – استثمار الترجمات لشن المزيد من الغارات والهجمات الشرسة على الإسلام.

فلا ينبغي أن ننخدع بما قد يظهره بعض المستشرقين من تعاطف بالغ مع قضايا الإسلام ومن ذلك: استشهادهم بنصوص قرآنية مسندين إياها إلى الله تعالى، فالأمر لا يعدو أن يكون مظهراً جمالياً وحضارياً يسعى من ورائه المستشرق إلى التقرب إلى المسلمين وكسب مودتهم([43]).

إن الازدواج والتناقض سمتان رئيستان عند متعصبي المستشرقين، فالواحد منهم يجد نفسه أحياناً مضطراً إلى مدح الإسلام حتى ينجو بنفسه من سوء العقاب، وأحياناً أخرى يهرب هؤلاء المستشرقون المتعصبون من التخصصات التي تنكشف فيها بسهولة أحقادهم وسمومهم، مثل العقيدة والتفسير بل وجميع الدراسات الإسلامية، فيتوجهون إلى دراسة الأدب ويتخذونه قناعاً يخفون وراءه وجههم القبيح. وهو ازدواج ظاهري فحسب إذ إن الموقف الأساسي هو واحد، لا ازدواج فيه، ولا تناقض.

ومن أمثلة هذه الازدواجية الظاهرية في سلوك المستشرقين: ما عرف من سلوك المستشرق الألماني يوسف فان إس فهو شديد التحامل على الإسلام، يشن هجمات شرسة عليه عندما يكون في قلعته الحصينة في جامعة تيبينغن، ولكن عندما تضطره الظروف للسفر إلى دولة إسلامية، تجده يلبس قناعاً ملوناً عجيباً يخفي وراءه كل هذه الأحقاد، فلا يتحدث عن الإسلام إلا بالمدح والإطراء([44]).

المطلب الثاني: الشواهد على ذلك من كلامهم

لقد أعلنوا عن دوافعهم هذه وصرح بها بعضهم، والشواهد على ذلك كثيرة نذكر منها:

1- ما صرح به المترجمون أنفسهم، من ذلك:

- صنيع المترجم جورج سيل (1697 – 1736م) الذي ترجم معاني القرآن إلى الإنجليزية – وقد نجح في ترجمته هذه فأعيد طبعها مراراً ووضع لها حواشي ومقدمة مسهبة هي في الحقيقة بمنزلة مقالة إضافية عن الدين الإسلامي عامة، حشاها بالإفك واللغو والتجريح، مما قاله: "أما أن محمداً كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيس له فأمر لا يقبل الجدل، وإن كان من المرجح أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة"([45])

- ما بينه المستشرق الكبير (ريجيس بلاشير) في مقدمة كتابه عن القرآن كيف أن ترجمة القرآن الكريم كانت بدافع الحقد الصليبي المعادي للإسلام وليست لهدف علمي كما يدعي بعضهم. يقول: "من المرجح أن بطرس الموقر – الذي رحل إلى إسبانيا بين 1141م و1143م – هو الذي فكر بتأثير من روما ومن البابا في ترجمة القرآن إلى اللاتينية فأوعز بذلك إلى (روبيرت الكيتوني) Rodestus detenesis الذي تولى عمل الترجمة بمساعدة بعض الرهبان، وقد جاءت هذه المبادرة بدافع من

روح طبيعية، تدل على ذلك رسالة بطرس الموقر الموجهة إلى القديس برنار مع نسخة من الترجمة المنجزة، كما كان الداعي إلى هذا العمل: الحاجة إلى محو أثر الإيمان من نفوس معتنقي الإيمان"([46]).

2- شهادة المنصفين منهم، ولنأخذ على ذلك بعض الأمثلة:

- يقول الأب (روبير كاسبار): "إن الغرب لم يفهم الإسلام على حقيقته أبداً، بل ولم يحاول ذلك مطلقاً.. وحتى خيرة المسيحيين القلائل الذين كانوا يعيشون علىمقربة من الإسلام من أمثال يوحنا الدمشقي، وتيودر أبي قرة، أو بولس الصيدوني، فلم يتمكنوا من إدراك جوهر الإسلام وعظمته، وهي: التصعيد إلى الله الواحد الأحد. ولعل ذلك يرجع أساساً إلى أن الغرب المسيحي اكتفى قروناً طويلة بتلطيخ الإسلام ونبيه (صلى الله عليه وسلم) بأسخف الأقوال من دون أن يكلف نفسه عناء دراسة هذه العقيدة. فأول ترجمة للقرآن لم تظهر سوى في القرن الثاني عشر أي بعد خمسة قرون من ظهور الإسلام، وتمت بناء على مبادرة من بطرس المبجل، وتحت إشراف أسقف دير كلوني ولا بد لنا من إضافة أن هذه الترجمة وكل الترجمات التي تلتها لم تكن لها أي هدف آخر سوى أن تكون الأساس لتوجيه المزيد من الإدانات ضد القرآن، تلك الإدانات التي امتدت سلسلتها على مدى قرون تتناثر عليها بعض أشهر الأسماء"([47]).

- ويقول المفكر الألماني (هوبرت هيركومر) – وهو يحكي قصة أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن الكريم –: "يبدوا أن الصليبيين جنوداً وضباطاً – رفضوا الاعتراف بحقيقة انهم يواجهون إحدى ديانات التوحيد القريبة جداً من دياناتهم، في شهادتها المقرة بالله الواحد الأحد، والصلوات اليومية والصيام، والزكاة، كانت معرفة الصليبيين بالقرآن محدودة جداً. صحيح أن أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن ظهرت سنة 1143م بقلم (روبرت الكيتوني)، ولكن الأوروبيين كانوا يتطلعون إلى توظيف ترجمة معاني القرآن للطعن في الإسلام.

كان هذا الإنجليزي (روبرت الكيتوني) المستقر في مدينة طليطلة بإسبانيا يترجم تراث المسلمين في علمي الهندسة والفلك من العربية إلى اللاتينية، وأنجز هذا المشروع بتكليف من بطرس المبجل رئيس دير

مدينة كلوني (1092 أو 1094 – 1156م) واشترك في هذا المشروع مسلم اسمه محمد.

ولا شك في أن هذه الترجمة الدقيقة لمعاني القرآن بينت للغرب اللاتيني أيضاً أوجه التشابه بين القرآن والأناجيل، ولنتذكر فقط التبجيل العميق لسيدنا إبراهيم وسيدنا عيسى ومريم البتول في كل من المسيحية والإسلام، ومع ذلك لم يفكر أحد في ذلك الوقت في التوصل إلى حد أدنى من الاتفاق والتفاهم بين المسلمين والمسيحيين على أساس كتابيهما السماويين، ولم تغتنم الفرصة المتاحة مع توافر أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللاتينية للتوصل إلى فهم أعمق وأدق للإسلام، وبدلاً من استخدامها وسيلة للتفاهم استغلت ترجمة (روبرت الكيتوني) اللاتينية لمعاني القرآن كمجرد ينبوع محبب للطعن في الإسلام على مدى قرون طويلة، وحتى بداية العصر الحديث لم يتغير من ذلك شيء، فعندما قام السويسري البازلي (يوحنا أوبورين) سنة 1542م بطبع هذه الترجمة اللاتينية سارعت بلدية مدينة بازل بخطر نشرها، ولم تسحب حظرها إلا بعد التدخل المكثف لمارتن لوثر مؤسس الكنيسة البروتستانتية الإصلاحية، بيد أن حجة لوثر في ذلك كما صاغها هو بنفسه، كانت كما يلي: "لقد استيقنت انه لا يمكن عمل شيء أكثر إزعاجاً لمحمد أو الأتراك، ولا أشد ضرراً – أشد من جميع أنواع السلاح – من ترجمة قرآنهم ونشره بين المسيحيين، عندئذ سيتضح لهم أي كتاب بغيض وفظيع وملعون هذا القرآن.. مليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع".

إن لوثر البروتستانتي – الذي حاول توجيه إهانةٍ لنبي الإسلام بلا أدنى حياء أو تأنيب للضمير – كان ينظر إلى قرآن مترجم إلى اللاتينية في عصر الحروب مع الدولة العثمانية على أنه وسيلة مثالية لتسليح القلوب اليائسة للمسيحيين ورفع روحهم المعنوية، حيث أعلن قائلاً: "بعد ظهور الأتراك على حقيقتهم، أرى أن القساوسة عليهم أن يخطبوا الآن أمام الشعب عن فظائع محمد حتى يزداد المسيحيون عداوةً له، وأيضاً إيمانهم بالمسيحية، ولتتضاعف جسارتهم وبسالتهم في الحرب، ويضحوا بأموالهم وأنفسهم". من شأن موعظة كهذه أن يكون أثرها النفسي في المسيحي أشد

من طبول الحرب وأبواقها، بل إنها ستمنحه قلب أسد حقيقي في ساحة القتال"([48]).

المطلب الثالث: اتحاد رؤيتهم

يختلف المستشرقون، وتتباين أساليبهم وطرائقهم التي اعتمدوها في

الترجمة ولكن رؤيتهم تكاد تظل رؤية مقيدة ومتحدة، حتى لقد قال (ماكسيم ردونسون) منتقداً هذه الرؤية: "لقد أصبح النظر في عدم أصالة الإسلام واعتماده على الأديان السابقة ديدناvogue بين عموم المستشرقين"([49]).

من أجل ذلك فقد اعتمدوا منهجاً في الترجمة لا صلة له بالعلم

والبحث، يتسم بالقصور والخلل في المنهج، وهذه بعض معالمه نذكرها إجمالاً:

- إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم.
- التحكم فيما يفرضونه أو يقبلونه من النصوص.
- تحريف النص تحريفاً مقصوداً.
- تأويل معنى النص حين لا يجدون مجالاً للتحريف.
- حرصهم على تجاوز كل ما من شأنه أن يثبت أن القرآن كلام الله.
- تصيد النصوص الملائمة والموافقة لهواهم.
- الخلط بين شيء قليل مما هو مبثوث في المصادر وما كانت تمليه تخيلات وتكهنات المستشرقين.

ثم إنهم يسلكون في سبيل التأثير والإقناع مسالك خبيثة، حيث

"يعدون محاور التحريف ونقاط التشويه والإدانة، ثم يبنون عليها ترجماتهم حتى تأتي دليلاً على ما سبق وأعدوه من مخطط مغرض؟!"([50]) كما أنهم يمهدون لعملهم هذا بكتابة دراسات ومقدمات لا تحصى عن القرآن

– نشرت قبل الترجمة – وهي غالباً ما تتضمن التشهير بالإسلام والنبي صلى الله عليه سلم، لكي يترسخ في ذهن القارئ الغربي بالدرجة الأولى زيف الإسلام وكراهيته([51]).

"لقد اعتمدوا على آلية التمركز عل الذات والتمحور حولها، ذلك

هو ما يفسر تشويه ترجمات القرآن وتحريفها، وتجدر الملاحظة إلى أن هذا التشويه وذاك التحريف لا يرجعان إلى رغبة النصارى فيهما فقط، بقدر ما يؤولان إلى اعتماد هؤلاء لهذه الآلية، ولمنهجية التأثير والتأثر وتعقبهما، وهي ذات المنهجية التي ما فتئت تخضع لها بعض الإنتاجات الاستشراقية لحد الآن.. وهذا ما يفسر لنا تحاشي الترجمات اللاتينية للقرآن لكل المفردات التي تحيل فيه على معاني الإسلام والتسليم والمسلمين، وإسقاطها وتعويضها بمفردات ومعاني الإسماعيلية والمحمديين. وذلك هو ما يفسر قلق النصارى تجاه هذا الكتاب عندما ذكر بعض القصص التي وردت في كتبهم بصورة لا تتفق مع ما يعهدون فيها. كما يفسر حيرتهم عندما دعا إلى الإيمان بما جاء به عيسى ضمن الإيمان بما أتى به جميع الرسل والأنبياء، منكراً عليهم التثليث والصب والحلول والذنب الأصلي إلخ"([52])

المبحث الثاني: روافدهم وعيوب منهجهم في الترجمة وأخطاؤهم فيها

إن موقف المستشرقين من القرآن الكريم لا يمثل شيئاً جديداً بالنسبة للباحث المتخصص، فهم في الحقيقة لم يفعلوا شيئاً أكثر من ترديد كلام خصوم الإسلام الأولين وأعدائه في كل وقت وحين.

المطلب الأول: روافدهم:

إن المتتبع لما كتبوه في هذا الخصوص يرى أن أهم الروافد والمناهل التي استمدوا منها فكرهم وتصورهم وموقفهم المعلوم، تتمثل في ثلاثة أشياء، نبينها إجمالاً فيما يأتي:

أولاً: الإسرائيليات:

لقد احتضنت الصهيونية بدايات الاستشراق، وهي في الوقت نفسه إحدى روافده الأصيلة التي تمده بتصوراتها وأفكارها، كما أنها رافقت جميع مراحل ترجمات القرآن الكريم وأطوارها العديدة.

يقول الباحث السويسري (أرنولد هوتينغر): "إن اليهود كانوا وما زالوا أكثر الناس اهتماماً بالعالم العربي"([53]).

وهذا ما يفسر لنا الكثرة الملحوظة لعدد اليهود بين المستشرقين، بل ومن أقطابهم وأكثرهم حقداً وعداءً للإسلام من أمثال: (غولتسيهر) و(باول كراوس) و(غرونباوم)

و(برنـاد لـويس) و(يوسـف فـان إس) الـذين عرفـوا بالتحامـل الشـديد علـى الإسـلام، والتشكيك في أصوله، ومحاولة إثبات أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأت بشيء جديد، بل سرق كل شيء من اليهود والنصارى.

إن تغلغل الإسرائيليات وانتشارها في التراث الإسلامي عامة، وفي كتب تفسير القرآن خاصة، له أثر سيئ.

لقد عكفوا على دراسة المصادر الإسلامية في خطة ترمي إلى تشويه الإسلام وإثارة الشـكوك حولـه مـن كـل جانـب. "كانـت مهمـتهم فـي مرحلـة التحضـير: تحريـك الإسرائيليات إلى موضع جديد، ينقلونها من حواشي كتب التفسير وأشتات التراث البعيدة عن التناول العام، والمرسلة من غير توثيق، فيروونها على وجه التدليس الخفي إلى نصوص من مصادر يهودية، تشد إليها وثاق القرآن والسنة والفقه.. انطلاقاً من مقولتهم الجريئة الفاحشة: الإسلام بضاعة إسرائيلية"([54]).

"كان وراء تيار الإسرائيليات أهداف لتدمير البنية العقلية والوجدانية للإنسان العربي، وبعث الشكوك والريب في التراث. حتى يعاني الفرد المسلم نوعاً من الانقسام الذاتي، هذا إلى أهداف أخرى جزئية تتضافر وتتآزر لتحقيق الأهداف الكلية العامة ضد الإسلام والمسلمين. من هذا مثلاً: محاولة التهوين من شأن الأنبياء في نطاق التهويد والحط من العقائد والقيم الخلقية بشكل عام"([55]).

ثانياً: الإلحاد:

ارتبطت الدراسات الاستشراقية منذ بدايتها بالكتابات الإلحادية في الإسلام فقد رفع الغرب منذ صراعه مع الإسلام شعاراً عاماً اتخذه أساساً وقاعدة لسياسته تجاه العالم الإسلامي. هذا الشعار هو: أن كل من يطعن في الإسلام من المسلمين أنفسهم فلا بد من تأييده بقوة، وتشجيعه بجميع السبل حتى يواصل هجومه على الإسلام. بحثوا عن أي نص إلحادي ينفعهم في شن المزيد من الغارات الشرسة على حضارة الإسلام واعتنوا بنشر كتب كبار الملاحدة أمثال:

ابن المقفع([56]): نشر المستشرق الألماني فان إيس مقاطع من معارضة ابن المقفع للقرآن الكريم في كتاب طبعته الجامعة الأمريكية في بيروت([57]).

والملحد أبو بكر بن زكريا الرازي: نشر بعض كفرياته المستشرق الصهيوني باول كرواس في القاهرة سنة 1936م تحت عنوان "رسائل فلسفية" ويعد باول أكبر باحث غربي اهتم بالميراث الإلحادي في
الإسلام ([58]).
والملحد الكبير ابن الراوندي: اهتم المستشرقون به واعتنوا بدراسة
مواطن كفره وشبهاته وأكاذيبه([59]).
ثالثاً: الأهواء:
لم يكن عمل المستشرقين في الترجمة قائماً على مبدأ العمل المتجرد والبحث العلمي النزيه والمنزه عن الأهواء. فقد التزموا حرية الترجمة بحيث تأتي موافقة لأهوائهم من حيث التصرف بالنصوص عن طريق التقديم والتأخير والإهمال والتحوير وغير ذلك، ومن مظاهر ذلك([60]):
– الخلط بين شيء قليل مما هو مبثوث في المصادر وبين ما تمليه تخيلاتهم وتكهناتهم.
– اندفعوا نحو الترجمة الكيفية لا الصحيحة والعلمية أو حتى النسبية إلى حد ما، إمعاناً منهم في التحريف والتضليل.
– واهتموا بنشر الترجمات التي تنطوي على الأضاليل والأخطاء الفنية والشطحات التي سداها الحقد والتعصب.
– واستعملوا لغة قديمة بائدة في الترجمة أصبحت مهجورة وغير مألوفة.
– ونشروا الترجمات تحت أسماء مستعارة، أو بأحرف فقط تدل على اسم المترجم (OBBJ) و(JBB) وذلك بغية عدم إظهار شخصيته الحقيقية.
ولقد سبقتهم تجارب متعددة من قبل أهل الأهواء، كلها تصرفت في
المعنى واستعملت وسائل تتماشى مع أهدافها وغاياتها في الوجود كانت محاولات للهدم، لكنها لم تستطع أن تؤثر في القرآن لا من قريب ولا من بعيد([61])
المطلب الثاني: عيوب منهجهم

قام المستشرقون بعديد من المحاولات لترجمة القرآن، ولكنها جميعها قاصرة ومشوهة ومعيبة، لاستحالة ذلك، ولعدم استيعاب القوم لمقومات اللغة العربية وأسرارها، فحرفوا النص وشوهوا مدلوله. ووقعوا في عيوب فادحة وأخطاء جسيمة.

أبرز عيوب منهجهم:

إن جل أبحاثهم وجميع دراساتهم قد استوت على أساس غير صحيح، وانحرفت عن المنهج الصائب، وإن كانوا يتفاوتون في التحريف والتلاعب بالنص القرآني إلا أن من القواسم المشتركة بينهم: عيوب المنهج وهي كثيرة نذكر هنا بعض ما وقفنا عليه خلال مطالعتنا لبعض الكتب المختصة([62]):

- الجهل بأسرار اللغة العربية.
- الجهل بالتورية القرآنية.
- الجهل بالمعاني الدقيقة للكلمات العربية.
- الانحراف بالنص عن قصده الحقيقي.
- الفهم المقتصر على جانب واحد من المعنى.
- الخلط بين الكلمات العربية المختلفة.
- المعرفة المحدودة بالعربية والمقترنة بالتلفيق الخيالي.
- الخلط بين العربية وكل من العبرية والسريانية.
- الخلط مع بعض المعتقدات اليهودية.

وهذا مما شهدوا به هم أنفسهم في انتقاد بعضهم بعضاً ومن أمثلته:

انتقاد شيخ المستشرقين الإنجليز بعض الترجمات منها:

ترجمة أندري ديرار الفرنسي واعتبرها ترجمة سيئة لا يعول عليها معللاً ذلك بأمور([63]):

- لوجود عيوب فادحة في الترجمة.
- لما فيها من الإسقاطات والإضافات.
- لكثرة أخطائها فلا تكاد تخلو صفحة منها من أخطاء.

وترجمة ألسكندر روس Agexander Ross التي تعد أول نسخة إنجليزية لترجمة معاني القرآن الكريم حيث نعتها بالسوء والرداءة([64]).

المطلب الثالث: الأخطاء وأسبابها

إن الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون كثيرة جداً([65]) نكتفي بالإشارة إلى نوعين يعدَّان من الأهمية والخطورة بمكان:

الأخطاء الدلالية واللغوية.

الأخطاء المتعلقة بالنص القرآني رسماً وضبطاً وأداءً.

أولاً: الأخطاء الدلالية واللغوية:

إن أكثرية المستشرقين الذين ترجموا القرآن الكريم لم يكونوا على علم باللغة العربية لغة القرآن، ومن ادعى ذلك كانت معرفته بها ضعيفة إلى أقصى حد. لقد أوقعهم جهلهم الفادح باللغة العربية في العديد من الأخطاء بل وكان عائقاً لهم عن الفهم، يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى في كتابه القيم "الوحي المحمدي" تحت عنوان: "الأسباب العائقة عن فهم الأجانب للقرآن:

جهل بلاغة القرآن:

(أولها جهل بلاغة اللغة العربية التي بلغ القرآن فيها ذروة الإعجاز في أسلوبه ونظمه وتأثيره في أنفس المؤمنين والكافرين به جميعاً، فأحدث بذلك ما أحدث من الثورة الفكرية والاجتماعية في العرب، والانقلاب العام في البشر، كما شرحناه في هذا الكتاب. وقد كان من إكبار الناس لهذه البلاغة أن جعلها أكثر علماء المسلمين موضوع تحدي البشر بالقرآن دون غيرها من وجوه إعجازه، وجعلوا عجز العرب الخُلَّص عن معارضته بها، ثم عجز المولدين الذين جمعوا بين ملكة العربية العلمية، وملكة فلسفتها من فنون النحو والبيان، هو الحجة الكبرى على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد فقد العرب الملكتين منذ قرون كثيرة، إلا أفراداً متفرقين منهم – فما القول في غيرهم ؟! فعلماء المسلمين في هذه القرون يحتجون بعجز أولئك ولا يدعون أنهم يدركون سر هذا الإعجاز أو يذوقون طعمه"([66]).

ومن أمثلة ذلك:

– ترجمة كلمة (كلا) فقد ترجمها: Alexander Ross هكذا: nevertheless

– ترجمة عبارة (إلا ما قد سلف) من قوله تعالى:]وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ[(النساء:22)

فقد ترجمها: Savary بقوله:

Le Seigneur est indulgent et miséricordieux si le crime est commis

ومعنى قوله: إذا كانت الجريمة قد ارتكبت فالمولى متسامح كريم!

– ترجمة قوله تعالى:]هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ[(البقرة: 187)

– ترجمها سافاري أيضاً فقال:

Elles vous êtes le leur sont votre vêtement et vous

ثانياً – الأخطاء المتعلقة بالنص القرآني:

إن أخطاءهم فيما يرجع إلى جهلهم بأحكام القرآن وعلومه كثيرة جداً نذكر منها:

ما يتعلق بالقراءة:

–مثاله: كلمة حافّين في قوله تعالى:]وَتَرَى المَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ يُسَبِحُوْنَ بِحَمْدِ رَبِهِم[(الزمر: 75) ترجمها (سافاري) (Savary) فقال (إنها تعني حفاة الأقدام، لأنه قرأها حافين بتخفيف الفاء، على أن المعنى الصحيح للآية – بتشديد الفاء – "إنك ترى الملائكة يطّوّفون حول العرش

معظمين مقدسين لربهم"([67]).

ما يرجع إلى الفواصل القرآنية التي يسمونها الجمل الأخيرة من الآيات: حيث نجدهم ينطلقون منها ويستندون إليها – مع جهلهم – في ادعاء:

أن لغة القرآن تشبه إلى حد بعيد لغة الشعر العربي القديم في إيقاعه

ووزنه وقافيته، يقول المستشرق الفرنسي إدوارد مونتيه: "إن أسلوب القرآن أسلوب شعري مقفى، غير أن هذا الأسلوب الشعري ينحصر في السور المكية، خصوصاً القديمة جداً منها، دون السور المدنية" وتابع قوله "إن القافية ترتكز على المقاطع اللفظية المغلقة، بمعنى أنها منتهية بحرف صامت غير منبور مسبوق بحركة خفيفة Koum و ho و ar و our it إلى آخره والقافية

فيها خفيفة ونادرة جداً"([68]).

وهذا القول ناتج عن الجهل التام بلغة القرآن اللغة العربية. فالقرآن نوع أدبي متفرد، تتميز لغته عن سائر كلام البشر، ونظمه يخرج عن منظوم الكلام ونثره، ولا يدخل في شعر ولا رجز ولا سجع ولا خطبة([69]).

نماذج من أخطائهم العجيبة:

لقد أثبتت الدراسات في اللغات الفرق الكبير بين حروف العربية وجملها الاسمية والفعلية وأساليبها المتعددة، وبين اللغات الأخرى، ومع ذلك نجد المستشرقين يتصدون للترجمة غير مراعين هذه الحقيقة، الأمر الذي يجعلهم يقعون في أخطاء شنيعة وغريبة. ومن أمثلة ذلك:

- ترجمتهم لكلمة (الساعة) في قوله تعالى:]يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيْم[(الحج: 1) فقد جعلوا مقابلها في الفرنسية Heure وفي الإنجليزية: The hour فهل تعبر هاتان الكلمتان عن المفهوم القرآني ليوم القيامة([70])؟!

- ترجمتهم لكلمة (والعصر) في قوله تعالى:]وَالعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ[(العصر:1-2)

فقد وضعوا مقابلها في اللغة الإنجليزية: By the afternoon فهل العصر المقسم به في الآية معناه: ما بعد الظهر؟!([71])

وترجم ماكس هاننج Max Henning كلمة (الإبل) في قوله تعالى:]أَفَلا يَنْظُرُوْنَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ[(الغاشية: 17)

إلى الألمانية بـ: Wolken التي تعني السحاب!([72]).

- ترجمتهم لكلمة (فروجهن) في قوله تعالى:]وَيَحْفَظْنَ فُرُوْجَهُنَّ[(جزء من آية النور: 31)

- جعلوا مقابلها في اللغة الإنجليزية: Their private parts بمعنى: أجزائهن الخاصة!([73]).

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- أولاً – الكتب:

- الاستشراق والقرآن العظيم للدكتور محمد خليفة، ترجمة مروان عبدالصبور شاهين، مراجعة الدكتور عبد الصبور شاهين/ الطبعة الأولى: 1414هـم دار الاعتصام القاهرة.

- الإسرائيليات في التراث الإسلامي (بحث للدكتور مصطفى حسين مع ثمانية بحوث أخرى نشرت جميعها في دورية)/ منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/ الطبعة الأولى: 1986م ليبيا طرابلس.

- الإسرائيليات في الغزو الفكري للدكتورة عائشة عبدالرحمن، بنت الشاطئ/ طبع تحت إشراف جامعة الدول العربية فرع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعوم معهد البحوث والدراسات العربية طبعة:1975م

- الإسلام في أبحاث الاستشراق الإسباني من ريموندس لولوس إلى أسين بلاثينوس/ أطروحة دكتوراه الدولة للباحث محمد عبدالواحد العسري، إشراف الدكتور محمد الكتاني السنة الجامعية: 1421-1422هـ/2000-2001م جامعة عبدالمالك السعدي كلية الآداب والعوم الإنسانية – تطوان.

- البحر المحيط للإمام الزركشي الجزء الأول/ الطبعة الثانية: 1413هـ-1992م قام بتحريره الشيخ عبدالقادر عبدالله العاني وراجعه الدكتور عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.

- التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبلاد الإسلام للباحث محمد عزت إسماعيل/ الزهراء للإعلام العربي القاهرة: 1991م.

- جمع الجوامع بشرح المحلي مع حاشية البناني/ طبعة: 1402هـ-1982م دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

- سنن الترمذي مع التحفة/ مراجعة وتصحيح الأستاذ عبدالوهاب عبداللطيف الطبعة الثالثة: 1399-1979م دار الفكر بيروت.

- الصحاح للجوهري/ الطبعة الأولى: 1419-1999 ومكتبة الرشد بالرياض دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

- صحيح البخاري مع الفتح/ تحقيق العلامة ابن باز وترقيم الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي، أشرف على طبعه الشيخ محب الدين الخطيب دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة للأستاذ صفاء خلوصي/ دار الرشيد للنشر منشورات وزارة الثقافة والإعلام 1982م سلسلة

دراسات: 292.
– قضايا ترجمة القرآن للدكتور عبد رب النبي ذاكر/ كتاب نصف الشهر، سلسلة شراع المغربية التي تصدر في طنجة العدد: 45، 25 شعبان 1419هـ15 ديسمبر 1998م.
– لغة القرآن الكريم للدكتور عبدالجليل عبد الرحيم/ الطبعة الأولى: 1401هـ مكتبة الرسالة الحديثة.
– محاصرة وإبادة – موقف الغرب من الإسلام للدكتورة زينب عبدالعزيز/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت 1993م.
– المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، عرض موجز بالمستندات لمواقف وآراء وفتاوى بشأن ترجمة القرآن الكريم مع نماذج لترجمة تفسير معاني الفاتحة في ست وثلاثين لغة شرقية وغربية للدكتور محمد صالح البنداق/ الطبعة الثانية: 1403هـم دار الآفاق الجديدة بيروت.
– المصباح المنير/ الطبعة الأولى 1322هـمطبعة التقدم العلمية مصر.
– المعجم الوسيط/ الطبعة الثانية غير مؤرخة.
– من تاريخ الإلحاد في الإسلام للأستاذ عبدالرحمن بدوي/ الطبعة الثانية القاهرة سينا للنشر 1993م.
– منطلقات إسلامية للعلامة عبدالله كنون/ مطبعة سوريا طنجة، غير مؤرخة.
– الوحي المحمدي للشيخ محمد رشيد رضا/ المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة العاشرة:1405هـ.
ثانياً – الصحف والمجلات:
– أكتوبر/ العدد: 1171 4 أبريل 1999م.
– الحياة/ العدد:11989، 11990، 11991، 12411.
– دعوة الحق/ العدد: 347 رجب – شعبان 1420هـ/ أكتوبر – نوفمبر 1999م/ مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والفكر تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

- الرابطة/ العدد: 438 السنة: 39 ربيع الثاني 1442- يوليه 2001م مجلة إسلامية شهرية جامعة تصدر عن الإدارة العامة للإعلام برابطة العالم الإسلامي.

- الشعب 3/ إبريل 1998م.

- عقيدتي/ العدد: 522 12 جمادى الآخرة 1418ه14أكتوبر 1997م.

- الفرقان (مجلة مغربية)/ العدد: 28، 29.

- الفيصل/ العدد: 300 جمادى الآخرة 1422 - أغسطس - سبتمبر 2001م دار الفيصل الثقافية.

- المشكاة (مجلة مغربية)/ العدد: 20 سنة 1995م.

- منار الإسلام/ محرم 1420هأبريل 1999م.

- النور/ العدد: 89 جمادى الآخرة 1419ه- أكتوبر 1998م.

- الوعي الإسلامي/ العدد: 411 ذو القعدة 1420هفبراير - مارس 2000م.

- الحواشي :

(1) انظر: "لمحات في الثقافة الإسلامية" للأستاذ عمر عودة الخطيب (صلى الله عليه وسلم:174)

(2) انظر: "ترجمة معاني القرآن للألمانية بين سموم المستشرقين وجهود المسلمين" للأستاذ ثابت عيد (ص:21) من جريدة الحياة العدد 1199.

(3) جريدة الشعب (ص:9)3أبريل 1998م.

(4) انظر: "جريدة أكتوبر" عدد: 4/1171 أبريل سنة 1999م.

(5) "مجلة الرابطة" العدد:438- السنة:39- ربيع الثاني 1422ه - يوليه 2001م

(6) انظر: "الصحاح": (1566/4) و"المصباح المنير": (38/1) و" المعجم الوسيط": (83/1)

(7) "المصباح المنير": (38/1)

(8) "فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة": (ص:14)

(9) انظر: "المستشرقون وترجمة القرآن الكريم - عرض موجز بالمستندات لمواقف وآراء وفتاوى بشأن ترجمة القرآن الكريم" للدكتور محمد صالح البنداق (ص:49-84)

و"لغة القرآن" للدكتور عبدالجليل عبدالرحيم (ص:532-579 و"قضايا ترجمة القرآن" للدكتور عبد رب النبي ذاكر كتاب نصف الشهر سلسلة شراع المغربية العدد: 45.

(10) انظر: "قضايا ترجمة القرآن" للدكتور عبد النبي ذاكر (ص:49-50) نقلاً عن حكم ترجمة القرآن العظيم مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم ح: 113 ضمن مجموع (ص:67)

(11) فرض الكفاية هو: كل مهم يراد حصوله، ولا يقصد به عين من يتولاه. انظر: " البحر المحيط" للإمام الزركشي (242/1).

(12) متفق عليه.

(13) الحديث أخرجه الإمام البخاري في "كتاب الأنبياء" 50 باب ما ذكر عن بني إسرائيل. والإمام الترمذي في "كتاب العلم" 13 باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل.

(14) هذا مبني على قاعدة مقدمة الواجب وهي قاعدة كلية تختزل حقيقتها وتعبر عنها العبارة المشهورة: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

الشرح والتوضيح:

ما: اسم موصول واقع على خارج عن ماهية الواجب، ضرورة أن الجزء لا يتوهم فيه جدل إذ هو لا يغاير الكل وجوداً ولا وجوباً، وعليه يكون المراد به: خوص الشرائط والأسباب.

لا يتم: بمعنى لا يوجد، فلا يشمل الحد ما يكمل الواجب كالسنن مثلاً.

الواجب: الأمر الذي ثبت وجوبه أصلاً.

إلا به: القصر هنا إضافي، أي بالإضافة إلى عدم ذلك الشيء لا مطلقاً، او بعبارة أخرى: فيما لا يوجد الواجب بدونه وإن توقف وجوده عليه. انظر: "البحر المحيط للإمام الزركشي (223-231/1) و" جمع الجوامع مع شرح المحلي بحاشية البناني" (192/1-197).

(15) انظر: " قضايا ترجمة القرآن" (ص:50-51) نقلاً عن "حكم ترجمة القرآن العظيم" مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم: ح113 ضمن مجموع (ص:133).

(16) "حكم ترجمة القرآن العظيم" (ص:134) من: "قضايا ترجمة القرآن": (ص: 52-53)؟

(17) انظر: "التطور التاريخي لترجمة معاني القرآن الكريم عند الغربيين" جريدة الحياة العدد: 12411

(ص:21).

(18) "قضايا ترجمةالقرآن": (ص 72).

(19) "المستشرقون وترجمة القرآن الكريم" (ص:131) نقلاً عنه.

(20) انظر الكلام على صعوبات الترجمة في: "لغة القرآن الكريم" للدكتور عبد الجليل عبد الرحيم: (ص:540-543) و "المستشرقون وترجمة القرآن الكريم" (ص:130-132) و" صعوبات في ترجمة القرآن الكريم وأولوياتها" مجلة الفيصل العدد: 300) و"التراجم الاستشراقية لمعاني القرآن الكريم (2-1) من مجلة الفرقان المغربية عدد ك 28-29.

(21) انظر: "التراجم الاستشراقية لمعاني القرآن الكريم (2) حول مشروع ترجمة إسلامية لمعاني القرآن" مجلة الفرقان المغربية العدد:29 (ص:27)

(22) انظر: "منطلقات إسلامية" له: (ص:182)

(23) انظر: "ترجمة معاني القرآن للألمانية بين سموم المستشرقين وجهود المسلمين" بحث للأستاذ ثابت عيد نشر في جريدة الحياة في حلقات الحلقة الثانية (ص:21) العدد 11990.

(24) انظر: "مجلة النور عدد 89 جمادى الآخر 1419هـ - أكتوبر 1998م موضوع: الترجمات القرآنية بين نقل المعاني وهدم المباني ..." للأستاذ جاسم حسين (ص:61).

(25) ولهذا فإن كثيراً من النقائص والعيوب الموجودة في الدراسات التي اهتمت بالموضوع مردها إلى عدم اطلاع أولئك الباحثين على الاستشراق الإسباني.

(26) انظر ذلك في: "الإسلام في أبحاث الاستشراق الإسباني من ريموندس لولوس إلى أسين بلاثينوس" أطروحة الدكتوراه للأستاذ محمد عبد الواحد العسري (123/1-124).

(27) انظر: "الترجمات القرآنية بين نقل المعاني وهدم المباني: ترجمة تولن ترنر لمعاني القرآن للإنجليزية خرج عن مألوف المسلمين في ترقيم البسملة" للباحث جاسم حسين: (ص:61) من مجلة النور العدد: 89 جمادى الآخرة 1419 هـ - أكتوبر 1998م.

(28) بخلاف ما هو شائع بين الباحثين.

(29) وضع عبد المسيح بن إسحاق الكندي رسالته من 141 صفحة جواباً جدلياً على كتاب صديقه عبدالله ابن إسماعيل الهاشمي الذي دعاه فيه إلى اعتناق الإسلام، ولقد هذب الرسالتين ونشرهما ضمن كتاب واحد القس أنطون تيان A.Tien مرتين في لندن في سنة: 1880م وسنة 1885م كما نشرتا بالقاهرة سنة 1912م ولقد ردَّ على رسالته هذه العلامة خير الدين أبو البركات نعمان الألوسي (ت:1317) في كتابه: "الجواب الصحيح لما لفقه عبد المسيح بن إسحاق الكندي" طبع في لاهور سنة 1306 هـ والمهم أن نعلم أن عبد المسيح هذا كان يهودياً تنصر ووضع كتابه هذا للطعن في الإسلام تزلفاً للمحتلين الإسبان. انظر: "مجلة النور عدد: 89 و "الإسلام في أبحاث الإستشراق الإسباني.."(1/147-146) ولقد أفرد الأستاذ العسري للرسالة فصلاً مستقلاً يراجع لأهميته.

(30) ولقد وقع اختلاف بين الباحثين في نسبة هذه الترجمة والتي سبقتها. "والواقع: أن بطرس الموقر، كان قد أمر كلاً من روبيرتوس كتنيسس وبطرس الطليطلي أحد اليهود المتنصرين بالأندلس بإنجاز ترجمة للقرآن الكريم، ذلك هو ما يستفاد من بعض رسائل الموقر إلى سان برناردو فضلاً على انه قد جاء على أعلى الورقة الأولى لإحدى نسخ الترجمة المعنية المحفوظة بالمكتبة الوطنية باريس 503، 14 Mas.lAt بأنها من عمل بيتروس طوليطانوس. والظاهر أن كلاً من هذا الأخير وروبرتو كيتون وغيرهما من بقية تراجمة الفريقين (ومنهم حتى أحد المسلمين المتنصرين) قد أسهموا جميعاً كل واحد من جهته، في إنجاز أول ترجمة للقرآن إلى اللاتينية، فالموقر كان قد شكل فريقين من التراجمة، يكمل كل واحد منهما الآخر من حيث إتقان اللغات المطلوبة لإنجاز هذا الغرض ونظائره انظر " الإسلام في أبحاث الاستشراق الإسباني.."(1/133-132) بالحاشية.

(31) انظر: "الترجمات القرآنية بين نقل المعاني وهدم المباني ترجمة تولن ترنر لمعاني القرآن للإنجليزية"

(ص:61) مجلة النور العدد: 89 جمادى الآخرة 1419هـ أكتوبر 1998م.

(32) انظر: "جريدة عقيدتي (عدد: 522) موضوع: ترجمات القرآن.. بين تبليغ الرسالة والتشويه.

(33) انظر "موضوع: ترجمات القرآن.. بين تبليغ الرسالة والتشويه" عقيدتي عدد: 522 (الثلاثاء: 12 جمادى الآخرة 1418هـ 14أكتوبر 1994م)

(34) انظر: (الدراسات القرآنية في مناهج البحث الاستشراقي المعاصر للدكتور حسن عزوزي مجلة الوعي الإسلامي (ص:22) عدد: 411 – ذو القعدة 1420هـ فبراير – مارس 2000م)

(35) انظر: "التراجم الاستشراقية لمعاني القرآن إلى اللغات الأجنبية " (ص:29) من مجلة الفرقان المغربية

العدد: 28– 1413هـ

(36) انظر: "المستشرقون وترجمة القرآن الكريم" للدكتور محمد صالح البنداق (ص:104) وانظر: "مجلة الفرقان موضوع: التراجم الاستشراقية لمعاني القرآن إلى اللغات الأجنبية" (ص:30) العدد28 سنة: 1413هـ

(37) انظر: "المستشرقون وترجمة القرآن" (ص:108)

(38) انظر: "التراجم الاستشراقية لمعاني القرآن إلى اللغات الأجنبية" مجلة الفرقان المغربية العدد: 28 (ص:30) نقلاً عن كتاب "القرآن: نزوله – تدوينه – ترجمة وتأثير لرجيس بلاشير – ترجمة رضا سعادة – (ص:41) الطبعة الأولى.

(39) انظر: "التراجم الاستشراقية لمعاني القرآن إلى اللغات الأجنبية" مجلة الفرقان العدد 28 (ص:30)

(40) لكن هذه الرؤية التحليلية المشهورة يشكك فيها بعض الباحثين والدارسين. يقول الدكتور حسن الأمراني: "ولكن كتاب أرناديرز "ثلاث رسل لإله واحد" يجعلنا نشك في الأطروحة التي تقول: إن الاستشراق المعاصر بدا ينحو منحى اعتدالياً واضحاً في تناوله العالم الإسلامي وقضاياه، فإن الكاتب افتتح كتابه بإقرار حقيقة أن موسى

وعيسى ومحمداً "رسل ثلاثة لإله واحد" فلكي يعمل على نقضها بعد ذلك مشككاً في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مؤكداً التعارض الكبير بين الإسلام وبين اليهودية والمسيحية" مجلة المشكاة عدد: 1995/20 (ص: 3–6)

(41) انظر: "جريدة الشعب (ص:9) عدد: 3 أبريل 1998م

(42) انظر: "الدراسات القرآنية في مناهج البحث الاستشراقي المعاصر" بقلم الدكتور حسن عزوزي (ص: 22–23) من مجلة الوعي الإسلامي العدد: 411

(43) انظر: "الدراسات القرآنية في مناهج البحث الاستشراقي المعاصرة" مجلة الوعي الإسلامي (ص:23) العدد: 411

(44) انظر: "ترجمة معاني القرآن للألمانية بين سموم المستشرقين وجهود المسلمين (2) للأستاذ ثابت عيد الحياة العدد: 11990

(45) انظر: "التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبلاد الإسلام" للباحث محمد عزت إسماعيل الطهطاوي (ص: 54)

(46) انظر: المناهل العدد 10 – الصفحة 1847–19 والنص في أصله مأخوذ من كتاب ,1966Le coran par Regis Blaehese_Pasis مجلة الفرقان عدد: 28 (ص:30)

(47) انظر: "محاضرة وإبادة – موقف الغرب من الإسلام" للدكتورة زينب عبد العزيز: (ص:40)

(48) انظر: "ترجمة معاني القرآن للألمانية بين سموم المستشرقين وجهود المسلمين" بحث للأستاذ ثابت عيد الحلقة الثانية (ص:21) جريدة الحياة العدد: 11990

(49) انظر: "مجلة المشكاة العدد: 20 السنة الخامسة /1995م ملف العدد: "ثلاثة رسل لإله واحد قراءة استشراقية في القرآن الكريم" للدكتور حسن الأمراني (ص:3)

(50) انظر: مجلة الإعجاز العدد: 1 موضوع "الترجمات الفرنسية لمعاني القرآن الكريم رؤية تحليلية ونماذج تطبيقية" للدكتورة زينب عبدالعزيز (ص:76)

(51) انظر: "المستشرقون وترجمة القرآن الكريم " (ص: 108)

(52) انظر: "الإسلام في أبحاث الإستشراق الإسباني..": (1/125–124)

(53) انظر: "بؤرة الصراعات" (ص:11) و"جريدة الحياة موضوع: ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية بين سموم المستشرقين وجهود المسلمين" للباحث ثابت عيد (ص: 21) العدد: 11989

(54) انظر: "الإسرائيليات في الغزو الفكري" للأستاذة عائشة عبد الرحمن (ص: 107) بتصرف.

(55) انظر: "الإسرائيليات في التراث الإسلامي" بحث للدكتور مصطفى حسين (ص:115–116) وانظر: "المستشرقون وترجمة القرآن الكريم" (ص:107–108) و"الاستشراق والقرآن العظيم": (ص:143 وما بعدها).

(56) أورد ابن خلكان عن الخليفة المهدي الذي كان يتتبع الزنادقة، ويسعى إلى تنقية المجتمع الإسلامي من شرورهم قوله: "إنه لم ير مطلقاً كتاب زندقة إلا ويرجع إلى ابن المقفع". انظر: "من تاريخ الإلحاد في الإسلام" (ص:53)

(57) انظر: "ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية بين سموم المستشرقين وجهود المسلمين" بحث للأستاذ ثابت عيد الحلقة الثالثة جريدة الحياة (ص:21) العدد: 11991.

(58) المصدر السابق نفسه.

(59) المصدر السابق نفسه.

(60) انظر: "المستشرقون وترجمة القرآن الكريم" (106–101) و"الدراسات القرآنية في مناهج البحث الاستشراقي المعاصر" بقلم الدكتور حسن عزوزي (ص:22) من مجلة الوعي الإسلامي العدد: 411.

(61) انظر: "التراجم الاستشراقية لمعاني القرآن إلى اللغات الأجنبية" مجلة الفرقان المغربية العدد: 28 (ص:31)

(62) انظر على سبيل المثال: "الاستشراق والقرآن العظيم" (ص:126–146) و"المستشرقون وترجمة القرآن الكريم": (ص:116–117)

(63) انظر: "المستشرقون والقرآن الكريم" (ص:120)

(64) المصدر السابق نفسه.

(65) الأخطاء العلمية التي وقعت فيها الترجمات الاستشراقية بينها أهل الاختصاص من علماء وباحثين. انظر على سبيل المثال:

"أخطاء في ترجمات معاني القرآن الكريم" مجلة منار الإسلام محرم 1420هـ – أبريل 1999م

"الترجمات الفرنسية لمعاني القرآن الكريم" رؤية تحليلية ونماذج تطبيقية مجلة الإعجاز عدد: 1995/1م

"نموذج لأخطاء في بعض التراجم الإنجليزية" مجلة الإعجاز عدد: 1995/1م

"تفسير القرآن الكريم بالألسنة الأجنبية" جريدة أكتوبر عدد: 4/1171أبريل 1999م.

(66) انظر: "الوحي المحمدي": (ص: 24)

(67) انظر: "الاستشراق والقرآن العظيم" للدكتور محمد خليفة ترجمه إلى العربية مروان عبدالصبور شاهين (ص: 134)

(68) انظر: بحث "موقف المستشرقين من لغة القرآن الكريم" للدكتور أحمد نصري نشر في مجلة دعوة الحق المغربية العدد: 343 – محرم 1999/1420م (ص: 77)

(69) انظر الرد عليه بالتفصيل في البحث السابق

(70) "المستشرقون وترجمة القرآن الكريم": (ص:120–121)

(71) "المستشرقون وترجمة القرآن الكريم": (ص: 122–123)، والمعنى المذكور أورده ابن كثير في التفسير قال: العصر الزمان.. وقال مالك عن زيد بن أسلم: هو العشي، والمشهور الأول.

(72) "المستشرقون وترجمة القرآن الكريم": (ص:125). هذا قول المبرد أورده الشوكاني في فتح القدير، وعلَّق عليه قائلاً: "وهو خلاف ما ذكره أهل التفسير واللغة". هذا، وقد قال المترجم هننج نفسه في الحاشية: "الكلمة العربية تعني أيضاً الإبل، وهو الذي اختاره معظم المترجمين".

(Das arabiische Wort bedeutet auch Kamel, was die meisten Ubersetzer vorziehen).

(73) المصدر السابق نفسه.

تقول اللجنة العلمية: إن عبارة Private Parts كناية عن الفروج باللغة الإنجليزية كما جاء في معجم أكسفورد.

دراسة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية

التي أعدّها ريجيس بلاشير

الشيخ فودي سوريبا كمارا

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم التنزيل:]ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين [(الروم:22) وأصلي وأسلم على من خاطبه الله بقوله تعالى] وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا[(سبأ:28) سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن هذا البحث يتكون من مقدمة وفصلين وخاتمة. ألقيت في المقدمة نظرة سريعة على تاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية بصفة عامة، وإلى اللغة الفرنسية بصفة خاصة. وبينت في الفصل الأول آراء بلاشير بالنسبة إلى القرآن الكريم، وكونه منزلاً من عند الله وما إلى ذلك. أما الفصل الثاني فقد فصَّلْت فيه القول في بعض أخطائه في ترجمته لمعاني القرآن الكريم، وذكرت ذلك في مبحثين. ذكرت في المبحث الأول بعض أخطائه في المسائل النحوية، كما ذكرت في المبحث الثاني بعض أخطائه في المسائل اللغوية. وذكرت في الخاتمة تعليقات وتوصيات.

مقدمة

إن الترجمة وسيلة تبليغٍ لرسالة الله، وهمزة وصل بين الثقافات، وأداة اتصال وتفاهم بين الشعوب والأمم،لذلك "فإن الحاجة إلى الترجمة ضرورية" كما صرح بذلك سماحة الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز المفتي العام للمملكة العربية السعودية رحمه الله([1]). ويرى فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين –رحمه الله– أن ترجمة معاني القرآن الكريم واجبة. وقال: "وأما الترجمة المعنوية فهي جائزة في الأصل؛ لأنه لا محذور فيها، وقد تجب حين تكون وسيلة لإبلاغ القرآن والإسلام لغير الناطقين

بالعربية. لأن إبلاغ ذلك واجب، وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب"([2]) .كما أن الترجمة – شأنها في ذلك شأن كل العلوم تقريباً – سلاح ذو حدين: يمكن استعماله أداة للبناء أو معولاً للهدم.

وقد بدأ الصحابة رضوان الله عليهم في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى مختلف اللغات منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم([3])، واستغلها المسلمون الأوائل استغلالاً حسناً في جزء لا يستهان به من أنحاء المعمورة، وذلك بشرح معاني القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والكتب الإسلامية المعتمدة، بواسطة مترجمين، للشعوب غير العربية في المجالس العلمية والاحتفالات الدينية. والواقع الملموس يشهد على أن جهود هؤلاء المسلمين الأوائل – مع حسن معاملتهم للناس– قد آتت ثمارها في كل أنحاء العالم، في نشر الإسلام من أقصى الأرض إلى أقصاها في فترة وجيزة وبسرعة مذهلة لم يشهد التاريخ لها مثيلا. وفي المقابل استغل بعض أعداء الإسلام من المنصِّرين و المستشرقين وغيرهم الترجمة في محاربة الإسلام الذي أقضَّ مضجعهم سرعة انتشاره وشدة تمسك معتنقيه به، وذلك رغم كل ما يستعملونه ضد الإسلام من مختلف أنواع التهديد والإغراء ورغم ما يتهمونه به من التخلف والجمود والسحر والشعر والكهانة وغير ذلك، فبدؤوا يفكرون في تطوير هذه الأساليب التي باءت بالفشل الذريع وصارت موضع سخرية لدى الجميع، حتى وصلوا بأفكارهم العنيدة إلى القيام بترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغاتهم. فرأوا في ذلك ضالتهم المنشودة لما يتيح لهم من فرصة ظهورهم أحيانا في ثياب أصدقاء مع أنهم في الحقيقة أعداء ألدّاء، كما يسهّل عليهم دس السم في الدسم كما يريدون. لذلك اهتموا بترجمة معاني القرآن الكريم اهتماماً كبيراً، ويشجعهم في هذا العمل العدائي ضد كتاب الله الكريم كون عدد قارئي الترجمات أكثر من عدد قارئي النص العربي،وبعبارة أخرى كون المسلمين غير العرب أكثر من المسلمين العرب.

نبذة تاريخية عن تاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية

يبدو أن أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم ظهرت إلى حيز الوجود في أوربا الغربية كانت بمبادرة من بيير المحترم Pierre le vénérable)) رئيس دير كلوني (Cluny) المتوفى سنة 1156م الذي طلب من بيير الطليطلي Pierre de

Tolède أن يقدم له ترجمة لاتينية لمعاني القرآن الكريم. وقد نشرت هذه الترجمة في مدينة بال سنة 1543م، ثم نشرت بعد ذلك بقليل في مدينة زيورخ. وقد قال بلاشير([4]) عن هذا القس ما يلي: "وكان طلبه لترجمة القرآن (الكريم) استمرارا لروح الحروب الصليبية، ومن جهة أخرى لحاجته إلى ما يمحو به أية آثار ما زالت عالقة بذهن المسلمين الأسبان الذين تم تنصيرهم حديثا، ويبدو أن الترجمة التي تمت في مدينة طليطلة لم تكن أمينة بالمرة وكانت غير كاملة".

أما أول ترجمة فرنسية فقد أعدها في منتصف القرن السابع عشر أندريه دورييه André de Ryer.([5]) وعن ترجمة دورييه الفرنسية هذه ترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية بواسطة ألكسندر روس A..Ross عام 1649م، وإلى الهولندية بواسطة جلازماخر Glazemaker عام 1657م ([6]). ومن الترجمات الفرنسية ترجمة سافاري (Savary) الفرنسية التي حظيت برواج كبير في القرنين الماضيين. وقد نشرت هذه الترجمة في عامي 1783 م و 1951 م كما يبدو، وكذلك طبعت ترجمة كازيمرسكي Kasimirskiفي عام 1840 م. ويقول موريس بوكاي([7]): "ويطغى على الترجمات الأولى التصرف الواسع بالنص، لأن همَّ المترجمين كان منصرفا إلى"محاربة البدعة" أكثر من اهتمامهم بدقة الترجمة ومطابقتها لمضمون القرآن الكريم". وقد بلغت ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، حسب إحصائيات الأستاذ حميد الله في مقدمة ترجمته الآنفة الذكر، ستاً وثلاثين ترجمة، أكثرها ترجمات المستشرقين، من ضمنها ترجمة لمستشرقة كتبت على ترجمتها اسماً شبه مستعار([8]). وحاولت في ترجمتها أن تحذو حذو بلاشير في ترجمته، وأن تقتدي به في كثير من الأحيان، وهو ما جعلها تقع في أخطاء كثيرة.([9]) وقد كتبت ترجمتها

بتشجيع من لوي ماسينيون . Louis Massignon([10])

وقد ظهر عدد كثير من هؤلاء المترجمين المستشرقين "في ثياب صديق" كأمثال جاك بيريك وريجيس بلاشير وغيرهما. فقد كان جاك بيريك عضوا بالمجمع اللغوي المصري، كما كان ريجيس بلاشير من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق !!! ولقد عانى القرآن الكريم الأمرّين من هذين " العضوين" في ترجمتيهما لمعانيه. وبما

أن (ما لا يدرك كله لا يترك كله) سأحاول الإشارة في هذه العجالة إلى بعض الأخطاء أو المغالطات التي لاحظتها في ترجمة ريجيس بلاشير هذا العضو للمجمع العلمي العربي بدمشق.

فمن ريجيس بلاشير ؟

ريجيس بلاشير () (Régis Blachère1318–1393هـ = 1900–1973م) من أشهر مستشرقي فرنسا في القرن العشرين ومن أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق(!). ولد في مونروج (من ضواحي باريس). تعلم العربية في الدار البيضاء (بالمغرب) وتخرج في كلية الآداب في الجزائر (1922م) و عين أستاذاً في معهد الدراسات المغربية العليا في الرباط (1924– 1935م) وانتقل إلى باريس محاضرا في السوربون (1938م)، فمديراً لمدرسة الدراسات العليا العلمية (1942م) وأشرف على مجلة "المعرفة" الباريسية، بالعربية والفرنسية. وألف بالفرنسية كتبا كثيرة ترجم بعضها إلى العربية، ونجح في فرض تدريسها في بعض المعاهد الثانوية الفرنسية.

من كتبه:

1 – ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية في ثلاثة أجزاء، أولها مقدمة القرآن الكريم. ثم نشر الترجمة وحدها في عام 1957م ثم أعيد طبعها عام 1966م.

2 – تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية د. إبراهيم الكيلاني.

3 – قواعد العربية الفصحى.

4 – أبو الطيب المتنبي، نقله إلى العربية د. أحمد أحمد بدوي.

5 – معجم عربي فرنسي إنكليزي.

الفصل الأول

منهج بلاشير في الترجمة

1 – في عام 1949م قام ريجيس بلاشير بترجمة معاني القرآن الكريم. وفي الطبعة الأولى وضع ترتيب السور وفق نزولها، سيرا على نهج بعض المترجمين البريطانيين، وذلك بقصد تفسير التشريع على ضوء الوقائع التاريخية. ثم تخلى عن ذلك في الطبعات التالية بعدما اقتنع بعدم جدوى مخالفة ترتيب المصحف العثماني.

2 – ويذكر دائما في مقدمة السورة مصدر اسمها وآراء المفسرين المسلمين وغير المسلمين في مكيتها أو مدنيتها جزئيا أو كليا. لكنه يرجِّح آراء غير المسلمين في أغلب الأحيان، وقد يذكر معلومات أخرى عن السورة.

3 – ويترجم بعض الآيات مرتين أو أكثر، إذا رأى أن للآية أكثر من معنى.

4 – ويذكر في ترجمته رقمين للآية: الرقم الأول هو رقمها حسب طبعة فلوجل للمصحف الذي اعتمد في عدِّ آياته على ترقيم خاص به مخالف لما عليه علماء الأمة، والرقم الثاني رقمها حسب طبعة القاهرة. وقد أشار إلى ذلك في " التنبيه " الذي كتبه قبل مقدمة ترجمته قائلا([11]) إن: "الآية في ترجمته تحمل رقمين: الرقم الأول (أي رقم طبعة F lugel) هو الذي ما زال يستعمل غالبا في أوروبا، والرقم الثاني هو رقم طبعة القاهرة".

5 – اعتمد في ترجمته –كما يدعي– على أربعة تفاسير وهي: الطبري، والبيضاوي، والنسفي، والرازي. ولكن عند قراءة ترجمته يلاحظ أنه يرجح دائما آراء المستشرقين على ما جاء في هذه الكتب.

6 – ومن آرائه أنه يرى أن بعض الآيات إلحاقية نزلت متأخرة عن الآية السابقة لها. ويشير إلى هذه الآيات التي يراها متأخرة بطباعتها بطريقة خاصة تميزها عن الآيات الأخرى وذلك إما بطباعتها في الجانب الأيمن من الصفحة أو بطباعتها بحرف مائل. ومثال ذلك الآية 129 في سورة النساء ([12]).

7 – ويدَّعي في مواضع أن الآيات ناقصة، فيأتي بعبارات من التوراة ليستكمل بها هذا النقص المزعوم.

8 – كما قام بنقل بعض الآيات من أماكنها.

وقد وصف جاك بيرك ترجمة بلاشير هذه بقوله: "ترجمة بلاشير لها مزاياها، فهو من أفضل المستشرقين الأوربيين اطلاعاً وضلاعة في قواعد اللغة العربية وآدابها، ولكن من نواقصه أنه كان علمانياً، أي أنه لم يكن قادراً على تذوق المضمون الروحي للقرآن وأبعاده. ... إن ترجمته للقرآن – على الرغم من مزاياها– فإن لها نواقصها، ولكنها تبقى من أفضل الترجمات القرآنية للقرآن مع ترجمة الجزائري حمزة بوبكر) ([13]).

موقفه تجاه القرآن الكريم

هدف المستشرقين في ترجماتهم لمعاني القرآن الكريم معروف. وهو محاربة القرآن الكريم بالقرآن الكريم نفسه. وذلك بما يبثون في ترجماتهم ومقدماتهم وحواشيهم من أكاذيب وافتراءات يحاولون بذلك إقناع القراء بأن القرآن الكريم من تأليف محمد e، لأنهم يرون أن ذلك يصيب الإسلام في الصميم. وتقع مقدمة([14]) الطبعة الأولى لترجمة بلاشير في 310 صفحة ضمنها عدة موضوعات، منها:

- تدوين القرآن الكريم.
- وصف للمصحف العثماني.
- انتقادات مثارة من خلال النص القرآني.
- الترجمات الأوربية.

أما طبعة عام 1980م للترجمة المذكورة([15]) والتي نحن بصدد دراستها الآن، فلم تتجاوز مقدمتها عشر صفحات، حاول فيها تقسيم فترة النبوة المحمدية إلى أربع مراحل، ضمنها تحليلات وتعليقات مزيفة تهيئ ذهن القارئ لقبول ما يختلقه في ترجمته من افتراءات للنيل من القرآن الكريم. وسترى نماذج من هذه الافتراءات في الصفحات القادمة إن شاء الله.

وهذا يدل على ما بذله بلاشير – الذي هو من أشهر المستشرقين- من مجهودات مضنية لتحقيق هذا الهدف الاستشراقي.

بيان لآراء بلاشير في القرآن الكريم

1- التشكيك في أصالة ترتيب سور القرآن الكريم:([16])

ذكر بلاشير أنه: "لم تعد هذه النصوص القرآنية تظهر حسب تسلسل الوحي، لكن طبقا لتدرج طول سورها تنازليا. وبناء على ذلك يمكن القول إلى حد بعيد إننا نقرأ القرآن (الكريم) اليوم مقلوبا، لأن النصوص الأولى (يعني السور)، التي هي الأطول، هي على العموم آخرها وصولا إلى محمد e".اهـ فقد بدأ بلاشير بادئ ذي بدء بالتلميح إلى أن القرآن الكريم كان في البداية مرتبا حسب تسلسل النزول، أي كما سبق أن قام هو بترجمته مرتبا بحسب النزول، ثم تغير الترتيب حسب ترتيب طول السور تنازليا.

فرأيه هذا غير صحيح،فلم يتغير ترتيب سور القرآن الكريم لا تنازليا ولا تصاعديا، بل هو كما كان منذ عهد النبوة. فقد ثبت في كتب التفاسير والأحاديث الموثوقة أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم كتبة يكتبون القرآن الكريم، يقول لهم: ضعوا آية كذا في مكان كذا في سورة كذا، وأنه كتب كل القرآن الكريم في حياته في الرقاع واللخاف طبقا لتوجيهاته عليه الصلاة والسلام.

2- زعمه أن القرآن الكريم من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم

ومن أقواله في ترجمته لدعم هذه الفرية:

أ – كتب في حاشية الصفحة 48 معلقاً على الآية:]سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[(البقرة:142) ما يلي: "بقي (أي القدس) قبلة المسلمين مدة 16 أو 17 شهراً أي حتى يئس محمد صلى الله عليه وسلم من ولاء إسرائيل ثم تحول إلى الكعبة". هذه إشارة واضحة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بكل ذلك من تلقاء نفسه بدون وحي من السماء، لأن القرآن الكريم، كما يزعم، من تأليفه.

ب – وفي تعليقه في حاشية الصفحة 53 على هذا الجزء من الآية الكريمة]فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة[(البقرة:178)، قال: "في هذه الآية إقرار– بكل بساطة– للدية التي كانت سائدة في الجاهلية" ثم جاء بكلمات منمقة ليخفف من وطأة هذه التهمة الشنيعة التي يؤكد فيها تأثير حكم الجاهلية في الشريعة الإسلامية، متناسياً استهجان الإسلام الصريح لهذا الحكم في قول الله تعالى:] أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون[(المائدة:50).

ج – ما قال في مقدمة سورة الأنعام (ص151) من وجود آيات هامة في هذه السورة أدخلت عليها تعديلات بعد الهجرة إلى المدينة المنورة بزمن وجيز.

د – كما زعم في مقدمة سورة إبراهيم (ص 278-279) أن الآيات الخاصة بسيدنا إبراهيم في هذه السورة (أي من الآية الـ 38 إلى 42) هي بكل تأكيد نصوص قديمة تمَّ تنقيحها بالمدينة المنورة.

هـ– ومن تخميناته السخيفة في حاشية الصفحة 484 ما قال في قوله تعالى:]...وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ... [(ص:24) من أن هذا الجزء الذي يمكن عدُّه تفكيراً لداود u حسب زعمه، أضيف إلى الآية مؤخراً ليكون عبرة مستخلصة من القصة.

و – وفي الصفحة 664 استدل بطول الآية الثالثة نسبياً في سورة العصر على أن هذه الآية ضمت مؤخراً.

3 – إيهامه بأن القرآن الكريم تأثر باليهودية والنصرانية

أ – قال في حاشية الصفحة 69 معلقا على قوله تعالى:] أو كالذي مر على قرية [(البقرة:259) "إن هذه القصة مطابقة للأسطورة المنتشرة جداً في الشرق وفي الثقافة اليهودية النصرانية".

ب – علق في حاشية الصفحة 589 على الآيتين الكريمتين (23 و24:الحشر) بأنهما تذكّران بالتأبينات اليهودية قلبا وقالبا.

4 – زعمه أن بعض الآيات في غير محلها

أ– وصلت به الجرأة على كتاب الله العزيز إلى أن قال في حاشية الصفحة 96: إن قوله تعالى] فأثابكم غما بغم[(آل عمران:153) قد تغير مكانه في الآية! ثم تقدم باقتراحين، أولهما: وضعه على رأس الآية لتكون كما يلي: (فأثابكم غما بغم إذ تصعدون ولا تلوون على أحد...)، والثاني: وضعه على رأس الآية 154 فتكون كما يلي: (فأثابكم غما بغم ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا...).

ب – ومن غرائب أعماله الشنيعة ما قام به في الصفحة 478 من تغيير مكان هاتين الآيتين:} فنظر نظرة في النجوم * فقال إني سقيم[(الصافات:88، 89). فقد غيَّر مكانهما بالفعل ووضعهما بعد الآية 99 فكان الترتيب كما يلي: (وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم رب هب لي من الصالحين....) ثم قال في الحاشية، بعد ما استبعد صحة أقوال المفسرين، إن قبول هذا التغيير يجعل تتمة القصة الثانية سليمة.

5– اتهام المفسرين بتغيير معنى بعض الآيات طبقا للجو السياسي

أ- وزعم أيضا في حاشية الصفحة 305 معلقا على قوله تعالى:]سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى[(الإسراء:1) أن المسلمين الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم (أي الصحابة رضي الله عنهم) كانوا يرون - فيما يبدو- أن المراد من المسجد الأقصى مسجد في السماء([17])، وأن الإسراء يعني المعراج أي الصعود في السماء، ولكن في عهد الأمويين كانت هناك محاولة لتجريد مكة المكرمة من مركزها الفريد عاصمةً للإسلام، وتبعا لذلك لم يعد المسجد الأقصى مسجدا سماويا لكنه صار يعني مدينة في دولة يهودية.

6 – الاعتماد على القراءات الشاذة لغرض في نفسه

أ – ومن مزاعمه ما قال في حاشية الصفحة 429 معلقا على قوله تعالى:

]الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون [(الروم:1-3).

فقد جاء بقراءتين:

أولاهما: (غُلِبت) بصيغة المبني للمجهول. اعترف في البداية بإجماع كل القراء تقريبا على هذه الصيغة. ثم جاء باعتبارات تاريخية (معتمدا في ذلك على آراء استشراقية) مفادها استبعاد صحة معنى قراءة "غلبت" بالمبني للمجهول.

والقراءة الثانية (غَلَبت) بصيغة المبني للمعلوم. وبعد ما استبعد أن يكون المراد هنا انتصار الروم على فارس في عام 624م، أضاف،بعد كلام، أنه يمكن التفكير في أنها (أي الآيات المذكورة) جاءت لرفع معنويات المسلمين بعد هزيمتهم في غزوة مؤتة بينهم وبين البيزنطيين عام 8هـ (630م). والخبر، في هذه الحالة، ينم عن عداوة ضد الروم.

7 – اعتماده على رواية غير ثابتة

للإساءة إلى القرآن الكريم

أ – ومما يدل على تصميمه على النيل من القرآن الكريم: قيامه عند ترجمة معاني سورة النجم في الصفحة 561 بإضافة (وإنها الغرانيق العلى وإن شفاعتهنَّ لترتجى) بعد الآية الـ 20 بدون تعليق([18]). فقد جعل هاتين الجملتين آيتين في القرآن الكريم. وكان عند تعليقه في الصفحة نفسها على قوله تعالى:]عند سدرة المنتهى[(النجم:14) قد جاء ببعض ما قال المفسرون ثم أيد ما زعم أنه توصل إليه

كايتانيCaetani وهو أن "المنتهى" مكان معلوم قرب مكة المكرمة، وأن المراد بقوله تعالى:]إذ يغشى السدرة ما يغشى [(النجم:16) هو: الفصل الذي يغشى السدرة فيه ما يغشى من الثمار العنبية.

8 – النيل من شخص النبي صلى الله عليه وسلم

أ – ومن مزاعمه المغرضة تعليقه في حاشية الصفحة 584 على قوله تعالى:

]يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة[(المجادلة:12) من أنه لم يذكر اسم المستفيد أو المستفيدين من هذه الصدقة، وأنه ليس من المستبعد أن يكون المستفيد محمدا صلى الله عليه وسلم بصفة كونه رئيسا للأمة.([19])

ب – وفي تعليقه في حاشية الصفحة 655 على قوله تعالى:] ألم نشرح لك صدرك [(الشرح:1) قال: "أدت هذه الآية إلى صياغة الأسطورة القائلة إنه جاء ملك إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في سن الصبا وفتح صدره وأخرج قلبه ثم غسله فملأه بالإيمان والتقوى".

9 – تغيير ترتيب كلمات وإقحام كلمات في الترجمة للإساءة إلى أسلوب القرآن الكريم

أ – وأحيانا يغير ترتيب كلمات بعض الآيات مع إضافة كلمات أخرى عند ترجمتها ليبث بعض سمومه، كما فعل في الآية الكريمة التالية:]زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المئاب [(آل عمران:14) فقد ترجم أول هذه الآية الكريمة في الصفحة 77 كما يلي: Pour les hommes, ont été parés (de fausses apparences) l’amour des voluptés tirées des femmes, (l’amour) des fils, ………. أي: "للناس زينت (المظاهرالكاذبة) من حب الشهوات المستخرجة من النساء (حب) البنين والقناطير..." إلى آخر الآية.فقد استعمل كلمة "حب" مرتين وأقحم كلمة "المستخرجة" في الترجمة ليوهم القارئ أن القرآن الكريم يستعمل العبارات النابية المستهجنة متناسيا في ذلك ما جاء في قوله تعالى:]لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم [(النساء:148).

10 – افتعال بعض الأخطاء لغرض في نفسه

19 – و في الصفحة الـ 657، ترجم] اقرأ باسم ربك الذي خلق [(العلق:1) كما يلي: " Prêche au nom de ton Seigneur qui créa !" أي: (عظ باسم ربك الذي خلق) وهذا يعني أن معنى القراءة الوعظ. ثم قال في الحاشية ما يلي: " "اقرأ" معناه "عِظ" ليس معناه " اقرأ " كما يترجم غالبا" انتهى كلامه. أليس الغرض من هذه الترجمة المفتعلة الكاذبة التشكيك في اهتمام القرآن الكريم بالعلم الذي لا يُنال إلا بالقراءة ؟ " وإلا فلماذا لم يترجم كلمة " اقرأ " في]اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا[(الإسراء:14) كما ترجمها في سورة العلق ؟ فقد ترجمها هنا بكلمة Lis أي "اقرأ". وقد أشار د. موريس بوكاي في كتابه " القرآن الكريم والعلم العصري " المترجم إلى العربية (صفحة الترجمة 131) إلى الازدواجية الخبيثة المماثلة التي استعملها في ترجمة كلمة " أزواجا " في سورتي الرعد ويس.

11- بث السموم للتشكيك في أصالة النص القرآني:

فمن ذلك:

أثبت العبارة التالية: en son état actuel أي (في وضعه الحالي)، كأن النص القرآني انتقل من وضع سابق إلى وضعه الحالي (انظر أول سور: النساء، والحجر، والزمر، وعلى حاشية الصفحتين 76 و 289 وفي الصفحة 436). وسبق أن زعم بلاشير أن ([20]): (تدوين القرآن الكريم كان جزئيا وناتجا عن جهود فردية ومثارا للاختلاف). لكن الحقيقة التي يشهد بها التاريخ الصحيح هو أن ([21]): "الواقع الذي عليه المسلمون منذ أربعة عشر قرناً هو تمسكهم الشديد بالمحافظة على الوحي القرآني لفظاً ومعنى، وليس ثمة مسلم يستبيح لنفسه أن يقرأ القرآن بأي لفظ شاء ما دام يحافظ على المعنى. وليبحث المستشرقون اليوم في أي مكان في العالم عن مسلم يستبيح لنفسه مثل ذلك وسيعييهم البحث، فلماذا إذن هذا التشكيك في صحة النص القرآني وهم يعلمون مدى حرص المسلمين في السابق واللاحق على تقديس نص القرآن لفظاً ومعنى؟ إنهم يبحثون دائماً –كما سبق أن أشرنا – عن الآراء المرجوحة والأسانيد الضعيفة ليبنوا عليها نظريات لا أساس لها من التاريخ الصحيح ولا من الواقع. فنحن المسلمين قد تلقينا القرآن الكريم من الرسول e، وهو بدوره تلقاه وحياً من الله. ولم يحدث أن أصاب هذا القرآن أي تغيير أو تبديل على مدى تاريخه

الطويل. وهذه ميزة فريدة انفرد بها القرآن وحده من بين الكتب السماوية كافة، الأمر الذي يحمل في طياته صحة هذا الدين الذي ختم به الله سائر الديانات السماوية".

الفصل الثاني

ضعف بلاشير في اللغة العربية

هذه الأمثلة غيض من فيض، أما الأخطاء النحوية واللغوية في هذه الترجمة فحدث عنها ولا حرج. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه ما من شك في تمكن بلاشير من اللغة الفرنسية. أما ما يخص اللغة العربية، فالمفروض، بصفة كونه عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، أن يكون متمكناً منها. إلا أن ترجمته لكثير من الآيات تؤكد عكس ذلك. فالأخطاء متفشية في كل صفحات ترجمته. وهذا يؤكد ما كتبته الدكتورة زينب عبد العزيز في كتابها " ترجمات القرآن إلى أين؟ (وجهان لجاك بيرك) من أنه([22]) "... أثبتت الدراسات التي قام بها العلماء العرب والمسلمون بأن أولئك المستشرقين الذين يدعون فهم العربية، هم في الحقيقة لا يحسنونها.. وعلى الرغم من هذا الجهل الواضح بالعربية –مع أنها أداة العمل العلمي الرئيسة–، فهم يصدرون أحكاما مغرضة من حيث الشكل والمضمون وأمانة تنزيه القرآن، وذلك فيما يكتبونه من مقدمات علمية ليست في الواقع سوى معاول هدم متعددة الأوجه، تدور حول محور أساسي واحد هو: زعم أن القرآن عقبة في سبيل ارتقاء الأمم الإسلامية!! وذلك بعينه هو ما كان يردده اللورد كرومر في كتابه في مطلع هذا القرن (أي: القرن الماضي) وبناء على آراء مستشاريه من المستشرقين: "أن القرآن هو المسؤول عن تأخر مصر في مضمار الحضارة الحديثة" أو "لن يفلح الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن" اهـ.

وسنعالج هذه الأخطاء في مبحثين. ففي المبحث الأول نذكر بعض أخطائه في المسائل النحوية، وفي الثاني بعض أخطائه في المسائل اللغوية.

المبحث الأول

من الأخطاء النحوية

1- ترجم قوله تعالى: } وما كنتم تكتمون [(البقرة:33) كما يلي: ce que vous tenez secret فقد أسقط ترجمة "كنتم" والصحيح ce que vous teniez secret

بوضع حرف "I" بين n و e في كلمة " tenez". وهذا الحرف يحل محل " كنتم " في مثل هذا الفعل في اللغة الفرنسية .

2 – ترجم قوله تعالى:]وتنسون أنفسكم [(البقرة:44) كما يلي: Alors que vous-mêmes (l') oubliez معنى هذه الترجمة: (وأنتم بأنفسكم تنسونه) فقد جعل كلمة (أنفسكم) تأكيدا لضمير الجمع في لفظ (وتنسون)، مع أنها مفعول به منصوب وعلامة نصبه فتحة ظاهرة في آخره. لو كان تأكيدا لكان مرفوعا؛ لأن واو الجماعة في (وتنسون) ضمير مبني في محل رفع فاعل، والتأكيد يتبع المؤكد في إعرابه. والصحيح Vous-vous oubliez.

3 – ترجم قوله تعالى] اهبطوا مصرا [(البقرة:61) كما يلي: Descendez en Egypte أي (اهبطوا مصر) البلد المسمى حالياً بـ: (جمهورية مصر العربية). فقد جعل كلمة (مصر) علماً لهذا البلد المعروف، في حين أن هذه الكلمة نكرة؛ لأنها منصوبة بفتحتين وتعني مصراً غير معينّ، أي اهبطوا أيّ مصر، وهذا ما رجحه الإمام الطبري([23]) وبناء على ذلك فإن الترجمة الصحيحة كما يلي Descendez dans n'importe quelle ville.

4 – ترجم قوله تعالى:]حتى يأتي الله بأمره[(البقرة:109) كما يلي Jusqu'à ce que Dieu vienne avec Son ordre أي (حتى يأتي الله مع أمره). ويبدو أنه لا يعلم أو لم يدرك أن حرف الباء يستعمل في تعدية الفعل اللازم كما جاء في هاتين الآيتين الكريمتين:]فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بهامن المغرب[(البقرة:258) و]إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد[(فاطر:16). فالترجمة الصحيحة كما يلي Que Dieu fasse venir son ordre..

5 – ترجم قوله تعالى]وأن تصوموا خير لكم[(البقرة:184) كما يلي: Jeuner est un bien pour vous أي (والصوم حسن لكم).وهذا خطأ، لأن كلمة (خير) هنا اسم تفضيل([24]). وبناء على ذلك فإن الترجمة الصحيحة كما يلي Il vaut mieux pour vous de jeuner.

6 – ترجم لفظ " المساجد" في قوله تعالى] ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد [(البقرة:187) كأنه مفرد، ثم أضاف لفظ sacrée أي "الحرام" كأن المراد هنا هو

المسجد الحرام. وأشير هنا إلى أن مثل هذه الإضافات التي تخل بالمعنى أو تجعله غامضا متفشية في هذه الترجمة.

7 – في قوله تعالى] وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها [(البقرة:205) ترجم عبارة "وإذا" الشرطية بعبارة qui أي "الذي" الموصولة، فجاءت ترجمته كما يلي: qui (te) tourne le dos أي الذي يتولى..الخ. والترجمة الصحيحة لحرف الشرط "وإذا" كما يلي et quand وباستعمال هذه الترجمة الصحيحة مع إضافة il قبل عبارة s'évertue يستقيم المعنى ويتضح ويكون مطابقا لمعنى الآية الكريمة.

8 – ترجم قوله تعالى]ستذكرونهن[(البقرة:235) كما يلي Que vous songez à ces femmes)) أي (تذكرونهن)، حذف ترجمة معنى حرف التسويف "س". فالترجمة الصحيحة كما يلي . ...Que vous allez songer9 – وكذلك ترجم " ستدعون " في قوله تعالى] ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد [(الفتح:16) كما يلي vous êtes appelésأي "تدعون". فقد حذف ترجمة سين التسويف، والترجمة الصحيحة كما يلي

vous serez appelés

10 – قوله تعالى] والكافرون هم الظالمون [(البقرة:254) ربط هذا الجزء من الآية بالذي قبله بأداة وصل وضعها بين قوسين، ولم يراع فيه علامة الوقف الجائز التي تدل على كون الوقف أولى، كما استعمل seront مكان sont فكانت ترجمة معاني الآية كما يلي: (قبل أن يأتي يوم لابيع فيه... ويكون الكافرون فيه الظالمين). الصحيح هو أن تحذف أداة الوصل où وتوضع كلمة sont في مكان كلمة seront.

11 – ترجم قوله تعالى] يرونهم مثليهم رأي العين [(آل عمران: 13) كما يلي A vue d'oei, ils se voyaient à nombre égal أي "رأي العين كانوا يتراءون في عدد مماثل" فقد ترجم "مثليهم" كأنه مفرد، وذلك لأنه لا يعلم –كما يبدو– وجوب حذف نون المثنى ونون جمع المذكر السالم للإضافة. وعلاوة على ذلك، ترجم

"يرونهم" بـ "يتراءون" وهذا خطأ، فالترجمة الصحيحة كما يلي: à vue d’oeeil, ils les voyaient deux fois plus nombreux qu’eux.

12 – قوله تعالى] ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين [(آل عمران:97) علق في الحاشية على "ومن كفر" بقوله إن "الجملة بقيت معلقة". والصحيح أن الجملة كاملة تماما، ويتبين ذلك في إعراب الآية المذكورة وهو كما يلي: "ومن": أداة الشرط، "كفر" فعل الشرط ، وجملة "فإن الله غني عن العالمين" جواب الشرط، لذلك بدأت بالفاء؛ فإن جواب الشرط يقترن بالفاء إن كان جملة اسمية.

13 – قوله تعالى] ألا بذكر الله تطمئن القلوب [(الرعد:28) اعتبر كلمة "ألا" كأنها مركبة من همزة الاستفهام و "لا" النافية، مع أنها حرف تنبيه. فجاءت ترجمته كما يلي par l’édification d’Allah les coeurs ne se tranquilisent-ils point ? أي "بذكر الله أليست القلوب تطمئن؟" وكذلك ترجم كلمة "ألا" في قوله تعالى في كل من] ألا إنهم هم المفسدون .... ألا إنهم هم السفهاء (البقرة:12 و13)، ... ألا لله الدين الخالص... ألا هو العزيز الغفار ... ألا ذلك هو الخسران المبين[(الزمر:3 و5 و15) .

14 – ترجم قوله تعالى] لتبلون في أموالكم وأنفسكم [(آل عمران:186) كما يلي: Nous vous éprouverons dans vos biens et vos personnes أي "لنبلونكم في....." فقد جعل "لتبلون" مبنيا للمعلوم وهو مبني للمجهول، كما جعل نائب فاعله مفعولا به واخترع من تلقاء نفسه فاعلا غير موجود في النص، وهو ضمير المتكلم المعظم نفسه أو معه غيره. الحاصل أنه لم يفهم (لتبلون) فجعله (لنبلونكم) وترجم الآية في ضوئه. فالترجمة الصحيحة كما يلي Vous serez éprouvés.

15 – ترجم (أن تجعلوا) في قوله تعالى] أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا [(النساء:144) كما يلي qu’ils donnent أي (أن يجعلوا): كأن الضمير لجمع المذكر الغائب، وهذا خطأ فالضمير لجمع المذكر المخاطب. فالترجمة الصحيحة

كما يلي voudriez-vous que vou donniez (ou voudriez- vous donner).

16 – ترجم قوله تعالى] لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك] (المائدة:28) كما يلي Assurément, si tu portes la main sur moi tu me tueras, (car) moi, je ne porterai point la main sur toi pour te tuer أي (لئن بسطت إلي يدك لقتلتني (لأنه) ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك)، والصحيح كما يلي Assurément,

si tu portes la main sur moi pour me tuer, moi,je ne porterai pas la main sur toi pour te tuer يبدو أن المترجم عدَّ اللام في (لتقتلني) مفتوحة وجوابا للقسم ولم ينتبه لعدم وجود نون التوكيد التي تجب في آخر مثل هذا الفعل. ولم يعلم أيضا أن (ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك) جواب القسم بل عدَّه جملة مستقلة، لذلك أضاف (لأنه) في أوله.لم يدخل حرف الفاء على (ما أنا) لأنه جواب القسم.

17 – قوله تعالى] من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم[(الأنعام:54) عد الشرط هنا معلقا، مع أن جواب الشرط مذكور (انظر الرد علىما قال في الآية 97 من سورة آل عمران).

18 – ترجم قوله تعالى]لست مرسلا[(الرعد:43) في صيغة استفهامية بدلاً من صيغة نفي، كما يليN’es-tu pas un Envoyé ? أي "ألست مرسلا"؟، ربما عدَّ الألف الزائدة في آخر كلمة "كفروا" كأنها همزة استفهام، فقرأ كما يلي "ويقول الذين كفرو ألست مرسلا" بدلا من]ويقول الذين كفروا لست مرسلا[(الرعد:43)، فالترجمة الصحيحة كما يلي:Tu n’es pas un Envoyé..

19– ترجم " الخيل والبغال والحمير" في قوله تعالى] والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة[(النحل:8) كما يلي le cheval, le mulet, l’âne أي "الفرس والبغل والحمار" فقد عد كلا منها مفردا مع أنه جمع.

20 – ترجم قوله تعالى:] ويوم يحشرهم [(الفرقان:17) كما يلي le jour où (les impies) seront reunis أي: "ويوم يحشرون" أي ترجم الفعل كأنه مبني للمجهول مع أنه مبني للمعلوم.

21 – ترجم قوله تعالى]قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء [في الآية 18 من سورة الفرقان كما يلي:

les faux dieux) répondront: Gloire à Toi ! il ne convenait pas à) nous qu'en dehors de Toi nous fussions pris comme des patrons

أي: "قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نُتخَذ من دونك أولياء". فقد ترجم " أن نَتَّخِذَ " كأنه فعل مبني للمجهول مع أنه –في المصحف الذي ترجم منه– مبني للمعلوم. فالترجمة الصحيحة كما يلي:

Gloire à Toi ! il ne convenait pas à nous de prendre en dehors…. …de Toi des patrons

22 – ترجم قوله تعالى] الملك يومئذ الحق للرحمن [(الفرقان:26) كما يلي Le Royaume, ce jour-là, (et) la vérité appartiennent au Bienfaiteur

أي "المملكة يومئذ والحق للرحمن" فقد جعل كلمة "الحق" معطوفا على كلمة "المملكة" مع أنه نعت له. والخطأ الثاني هنا أنه ترجم "الملك" بـRoyaume أي "المملكة" والصواب " Royauté "، فالترجمة الصحيحة كما يلي . Ce jour-là la vraie royauté appartient au Bienfaiteur .

23 – ترجم قوله تعالى] يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا[(الفرقان:69) كما يلي: pour lequel le Tourment sera pour lui doublé au jour de la Résurrection , et pour lequel il restera أي "للذي يضاعف له العذاب يوم القيامة وللذي يخلد..". يجب حذف pour lequel أي "للذي" في كلا الموضعين، لأنهما زيادتان بدون فائدة، لتكون الترجمة كما يلي: le tourmrnt sera doublé pour lui le jour de la Résurrection et il restera .

24- ترجم "ستدعون" في قوله تعالى] ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد[(الفتح:16) كما يلي: vous êtes appelés أي "تدعون" حذف معنى سين التسويف، فالترجمة الصحيحة كما يلي: vous serez appelés.

25 – ترجم "يقولون" في قوله تعالى]أم يقولون نحن جميع منتصر[(القمر:44) كما يلي direz-vous أي "ستقولون" فقد جعل ضمير الفعل لجمع المذكر المخاطب، وهذا خطأ، فالضمير لجمع المذكر الغائب. كما أضاف سين التسويف، والصحيح حذف هذا الحرف، فالترجمة الصحيحة.disent-ils.

26 – ترجم قوله تعالى]والساعة أدهى وأمر[(القمر:46) كما يلي Or l'Heure est très cruelle et très amère أي "والساعة شديدة الدهاء وشديدة المرارة". فلم يراع في الترجمة معنى أفعل التفضيل فجاء محله كلمتا "الدهاء" و"المرارة"، لذلك يجب أن تكون الترجمة كما يلي: plus cruelle et plus amère.

27 – ترجم "وأكيد" في قوله تعالى]وأكيد كيدا[(الطارق:16) كما يليj'ourdirai أي "سأكيد" أي زاد سين التسويف من تلقاء نفسه. والصحيح إحلال S محل rai لتكون الكلمة كما يلي j'ourdis.

المبحث الثاني

من الأخطاء اللغوية

1 – ترجم قوله تعالى:]ويستحيون نساءكم[(البقرة:49) كما يلي: Et couvraient de honte vos femmes أي "يغطون بالحياء نساءكم" ظنا منه أن "يستحيون" من الحياء، و الراجح أنه من الحياة كما جاء في الطبري. فالترجمة الصحيحة كما يلي: laissaient vivantes vos femmes.

2 – ترجم "عند ربكم" في قوله تعالى:] أويحاجوكم عند ربكم [(آل عمران:73) كما يلي qui touche votre Seigneur أي "الذي يمس ربكم" والصحيح كما يلي auprès de votre Seigneur.

3 – ترجم قوله تعالى:] وإذ جعلنا البيت مثابة [(البقرة:125) كما يلي Quand nous fimes du Temple (de la Mekke) أي "معبد (مكة)". فقد ترجم "البيت" بـ "المعبد" ثم أضاف إليه اسم مكة المكرمة من تلقاء نفسه ! والصحيح هو

كما يلي Quand nous fimes de la Maison مع كتابةM بالحرف الكبير، لأن المراد بالبيت هنا بيت الله الحرام.

4 – ترجم "الصالحين" في قوله تعالى:] وإنه في الآخرة لمن الصالحين[(البقرة:130) كما يلي saints أي "القديسين" والصحيح vertueux.

5 – ترجم قوله تعالى:]وإن كانت لكبيرة[(البقرة:143) كما يلي C’est là un grand péché أي "هنا إثم كبير". والصحيح C’était vraiment difficile.

6 – ترجم قوله تعالى:] يأت بكم الله جميعا [(البقرة:148) كما يلي Dieu marchera avec vous ensemble أي "يمشي الله معكم جميعا". والصحيح Dieu vous ramenera tous.

7 – ترجم قوله تعالى:] ما بين أيديهم وما خلفهم [(البقرة:255) كما يلي entre les mains des (hommes) et derrière eux فقد ترجم "ما بين أيديهم" ترجمة حرفية،كما ترجم ضمير جمع المذكر "هم" بـ "الناس" مع أن هذا الضمير يشمل أيضا الجن والملائكة وغيرهم، فجاءت ترجمتها كما يلي "ما بين أيدي الناس" والترجمة الصحيحة كما يلي devant eux et derrière eux.

8 – كرر الخطأ نفسه في ترجمة] ما بين أيديهم وما خلفهم [(طه:110).

9 – ترجم قوله تعالى:] نؤته منها [(آل عمران:145) كما يلي Nous lui en donnerons une part أي "نؤته منها نصيبا". فكلمة "نصيبا" غير موجودة في النص ولا حاجة إلى إضافتها، بل يجب التقيد بالنص القرآني هنا تماما بدون أي إضافة، لأن ذلك يأتي بالمعنى الصحيح بكل وضوح.

10 – أثبت ترجمتين لقوله تعالى:] وشاورهم في الأمر[(آل عمران:159) مرتين كما يلي consulte-les donc (désormais) sur toute affaire أي "شاورهم (من الآن فصاعدا) في الأمركله"، والثانية: كما يلي consulte-les donc sur cette affaire أي "شاورهم في هذا الأمر" والصحيح حذف "من الآن فصاعدا" من الأولى وحذف "هذا" من الثانية، لتكون الترجمة كما يلي Consulte-les sur toute affaire.

11 – ترجم قوله تعالى:]الذين قالوا لإخوانهم [(آل عمران:168) كما يلي (Ce sont ceux-là) qui ont dit de leurs frères أي "(هؤلاء هم) الذين قالوا في إخوانهم" وهذا خطأ. فالترجمة المطابقة للنص هي حذف عبارة ce sont ceux-là واستعمال حرف à مكان de وبذلك تكون الترجمة كما يلي qui ont dit à leurs frères .

12 – ترجم قوله تعالى:]حتى يأتينا بقربان[(آل عمرن:183) كما يلي avant qu'il nous impose une oblation أي "قبل أن يفرض علينا قربانا". فقد ترجم "يأتينا" بـ nous impose أي "يفرِض علينا". فالترجمة الصحيحة كما يلي avant qu'il nous apporte une oblation..

13 – ترجم قوله تعالى:]من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض [(آل عمران:195) كما يلي soit homme, soit femme: vous participez les uns des autres أي "من ذكر أو أنثى، تساهمون بعضكم من بعض". يبدو كأنه تعمد إدخال كلمة vous participezأي "تساهمون" هنا ليفسد على القارئ المعنى الجميل الذي تشتمل عليه هذه الآية الكريمة، والله أعلم. والترجمة الصحيحة كما يلي: homme ou femme, car vous êtes les uns des autres..

14 – ترجم قوله تعالى:] ثم مأواهم جهنم [(آل عمران:197) كما يلي puis, pour refuge, Géhenne أي "ثم للمأوى جهنم" هذه ترجمة غامضة. والترجمة الواضحة كما يلي: puis leur refuge sera Géhenne .

15 – ترجم قوله تعالى:]واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام [(النساء:1) كما يلي Soyez pieux envers Allah à propos duquel vous vous interrogez! (Respectez) vos liens de consanguinité فقد ترجم "تساءلون" كأنه سؤال استفهام، لا سؤال طلب ورجاء. فالأحسن أن نستعمل كلمة interrogez مكان implorez. .

16 – ترجم قوله تعالى:] فإن خفتم ألاتعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم [(النساء:3) كما يلي Si vous craignez de n'être pas équitables, (prenez-en) une ou des concubines أي "فإن خفتم ألا تعدلوا (فخذوا منهن)

واحـدة أو خـدينات" كلمـة concubines أي "خـدينات" غيـر صـحيحة. والترجمـة الصحيحة ....une seule, ou des esclaves que vous possedez.

17 – ترجم قولـه تعـالى:]وعاشروهن بـالمعروف[(النسـاء:19)كمـا يلـي usez-en avec elles de la manière reconnue (convenable) أي (استخدموه (أو تمتعوا به) معهن بالمعروف). والترجمة الصحيحة كما يلي Et comportez-vous convnablement avec elles.

18 – تـرجم قولـه تعـالى:] فالصـالحات قانتـات حافظـات للغيـب بمـا حفـظ الله [(النساء:34) كما يلي: Les (femmes) vertueuses font oraison (qânit) et protègent ce qui doit l'être (?) du fait de ce qu'Allah consigne (? أي "(النساء) الصالحات يفعلن العبادة ويحفظن ما يجب حفظـه (؟) بمـا حفظ الله (؟)" كـذلك تـرجم مـع علامتـي استفهام، قاصـدا بـذلك أن المعنـى غير واضـح. والمعنـى واضـح تماما، والترجمـة الصـحيحة كما يلـي: Les femmes vertueuss obéissent et gardent le secret grâce à la protection de Dieu .

19 – ترجم قوله تعالى:] والجار ذي القربى والجار الجنب[(النساء:36) كما يلـي au client par parenté, au client par promiscuité أي "الزبون ذي القربـى والزبون بالاختلاط". الترجمة الصحيحة كما يلي voisin proche par parenté et le voisin lointain.

20 – ترجم "الشهداء" في قوله تعالى:] من النبيين والصديقين والشهداء والصـالحين[(النســاء:69) كمـا يلــيtémoins أي "شــهود" والترجمــة الصــحيحة كمــا يلــي martyres.

21 – كـذلك تـرجم "شـهيدا" بـ témoin فـي قولـه تعـالى:] إذ لـم أكـن معهـم شـهيدا[(النساء:72) والصحيح كما يلي présent. أي "حاضرا ".

22 – ترجم "الصيد" في قوله تعالى:] غير محلي الصيد[(المائدة:1) كما يلـي le gibier (tué) أي "قنيصـة (مقتولـة)". ينبغي استعمال عبارة tué (le gibier)

بكلمة la chasse أي" ممارسة الصيد".فتكون الترجمة كما يلي Ne considerez point la chasse comme licite......

23 – ترجم قوله تعالى:] إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك[(المائدة:29) كما يلي Je veux que tu confesses ton crime أي "أريد أن تعترف بإثمك". والصحيح كما يلي je veux que tu partes avec le péché de m’avoir tué et avec ton propre péché.

24 – ترجم "الشهادة" في قوله تعالى:] وستردون إلى عالم الغيب والشهادة[(التوبة:105) كما يليtémoignage أي: ترجم "الشهادة" هنا كما ترجمها في] ولا تكتموا الشهادة[(البقرة:283)، مع أن معناها هنا كما يلي visible .

25 – ترجم قوله تعالى:]اخرج عليهن [(يوسف:31) كما يلي Entre auprès d’elles أي "ادخل عليهن". والصحيح كما يلي Sors devant elles.

26 – ترجم " نأتي الأرض " في قوله تعالى:] أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها[(الرعد:41) كما يلي Nou frappons la terre أي "تضرب الأرض"، والصحيح كما يلي Nous venons à la terre.

27 – ترجم "رواسي" في قوله تعالى:] وألقينا فيها رواسي [(الحجر:19) كما يلي cimes أي "قمماً" في حين ترجم الكلمة نفسها في قوله تعالى:]وألقى في الأرض رواسي[(النحل:15) بالترجمة الصحيحة وهي montagnes immobiles أي "(جبالاً) راسيات".

28 – ترجم "المستقدمين" و "المستأخرين" في قوله تعالى:] ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين [(الحجر:24) كما يلي ce qui se pressent en avant et ceux qui se pressent en arrière أي "الذين يبادرون إلى الأمام والذين يبادرون إلى الوراء". الترجمة الملائمة كما يلي Ceux qui sont passés en avantt et ceux qui viennent en arrière أي "الذين مضوا في المقدمة والذين يأتون في المؤخرة".

29 – ترجم " ظالمين" في قوله تعالى:] وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين[(الحجر:78) بـinsolents أي "وقحين" والصحيح. Injustes

30 – تـرجم قولـه تعـالى:] ولا حرمنـا مـن دونـه مـن شـيء [(النحـل:35) كمـا يليNous n’aurions rien déclaré sacré en dehors de Lui أي "ولا قدَّسنا من دونه من شيء". والصحيح Nous n’aurions rien interdit en dehors de Lui.

31 – في الآية الخامسة من سورة النحل ترجم كلمة] الأنعام[بـchameaux أي "الجمال"، والصحيح les bestiaux.

32 – وترجم كلمة "دفء" في الآية المذكورة آنفا بـ vêture أي "مراسيم الاحتفال بلبس الملابس الرهبانية"، والترجمة الصحيحة كما يلي rechauffement.

33 – تـرجم قولـه تعـالى:] جعل لكم من أنفسكم أزواجا[(النحـل:72) كمـا يلـي Allah vous a donné des épouses nées parmi vous أي "آتاكم الله أزواجا مولودة فيما بينكم" والصحيح كما يلي: Dieu vous a fait des épouses à partir de vous-mêmes .

34 – تـرجم "الحمـد لله" فـي قولـه تعـالى:] الحمـد لله بـل أكثـرهم لا يعلمـون [(النحل:75) كما يلي A Dieu ne plaise أي "حاش لله". والصحيح كما يلـي Louange à Dieu.

35 – تـرجم "مـن بيـوتكم" فـي قولـه تعـالى:] والله جعـل لكـم مـن بيـوتكم سـكنا[(النحل:80) كما يليde vos tentes أي "من خيامكم" والصحيح كما يلي . de vos maisons

36 – ترجم "بغيا" في قوله تعالى:] ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا[(مريم:20) بـ femme أي "زوجة" وقد ترجم الكلمة نفسها وفي السورة نفسها بمعناها الصحيح في] وما كانت أمك بغيا[(مريم:28) وهو prostituée.

37– ترجم قوله تعالى:] فأجاءها المخاض[(مريم:23) كما يلي les douleurs la surprirent أي "جاءهـا المخـاض فجـأة"، وهـذا يعنـي أنـه قـرأ (فأجاءهـا) كأنـه (فاجأها).

38– ترجم قوله تعالى:] وقري عينا [(مريم:26) كما يلي que ton oeil se sèche! أي "لتجفّ عينك".والصحيح كما يلي:

.(que ton oeil se réjouisse (ou se tranquilise

39 – ترجم "جبارا " في قوله تعالى:] ولم يجعلني جبارا شقيا[(مريم:32) بـ violent أي "عنيفا" والترجمة الصحيحة كما يلي orgueilleux.

40 – ترجم قوله تعالى:] فجعلناه هباء منثورا [(الفرقان:23) كما يلي et Nous n'avons trouvé que poussière clairsemée أي "ما وجدنا إلا هباء منثورا". والصحيح كما يلي Nous l'avons réduite en poussière clairsemée.

41 – ترجم قوله تعالى:] في أدنى الأرض[(الروم:3) كما يلي aux confins de notre terre أي "في أدنى أرضنا" والصحيح de la terreأي "الأرض" بدلا من. de notre terre

42 – ترجم قوله تعالى:] أإنك لمن المصدقين [(الصافات:52) كما يلي es-tu de ceux qui proclament la vérité? أي "أئنك من الذين يقولون الحق؟" والترجمة الصحيحة كما يلي es-tu de ceux qui croient ?.

43 – ترجم قوله تعالى:] فلما أسلما[(الصافات: 103) كما يلي quand ils eurent prononcé le salam أي لما قالا "السلام". والترجمة الصحيحة كما يلي .(quand ils ils se furent soumis (à l'ordre de Dieu

44 – ترجم قوله تعالى:] كتابا متشابها مثاني[(الزمر: 23) كما يلي une Ecriture, en ses parties, à des répétés أي "كتابا شبيها قي أجزائه بمكررات" والترجمة الراجحة كما يلي un livre qui se ressemble et se répète . ((dans certain de ses versets

45 – ترجم قوله تعالى:] إنك ميت وإنهم ميتون [(الزمر: 30) كما يلي Te voilà mort et les voilà morts أي "ها أنت ميت وها هم موتى" والصحيح كما يليToi, tu mourras et ils mourront eux aussi..

46 – ترجم "وصدق به" في قوله تعالى:] والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون[(الزمر: 33) كما يلي et l'ont déclaré véridique أي "أعلنوه صادقا" هذه ترجمة غامضة، والترجمة الصحيجة الواضحة كما يلي ceux qui sont

venus avec le Vrai et l’ont confirmé (par leur acte) ceux-là sont .les pieux

47 – ترجم قوله تعالى:] فاستغفر لنا[(الفتح: 11) كما يلي pardonne-nous أي "اغفر لنا"، والترجمة الصحيحة كما يليimplore pour nous le pardon.

48 – ترجم "الكفار" في قوله تعالى:] أعجب الكفار نباته[(الحديد:20) بـ infidèles أي "الكفار". الترجمة الصحيحة كما يلي cultivateurs. الكفار هنا بمعنى الزراع.

49 – أثبت لقوله تعالى:]... ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله... [(المجادلة:4) ترجمتين مختلفتين AوB: الترجمة الأولىA صحيحة. والترجمة الثانيةB كما يلي (cela vous est imposé) pour que vous sachiez qu’Allah est proche de vous, quand vous Le priez, (prêt à exaucer quand vous L’implorez أي "هذا (مفروض عليكم) لتعلموا أن الله قريب منكم إذا دعوتموه (مجيب إذا سألتموه)". وهذه الترجمة، كما ترى، بعيدة عن النص.

50 – ترجم قوله تعالى:]... إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس[(المجادلة:11) كما يلي“ quand il vous est dit “ prenez place à l’aise dans l’assemblée !prenez place

أي: "إذا قيل لكم: " اجلسوا كما يطيب لكم في المجلس "فاجلسوا". هذه الترجمة عكس المراد من النص، فالترجمة الصحيحة كما يلي quand il vous est dit “ faites place (aux autres) dans les assemblées ” alors .faites place

51 – ترجم قوله تعالى:] ... بأسهم بينهم شديد... [(الحشر: 14) كما يلي Leur vaillance est grande parmi eux أي "بسالتهم كبيرة بينهم" هذا خطأ، والصحيح كما يلي: " Leurs dissensions sont grandes entre eux..

52 – ترجم قوله تعالى:] قم الليل إلا قليلا[(المزمل: 2) كما يلي reste en vigile seulement peu d temps "ابق ساهرا (أو حارسا) في وقت قليل فقط". فقد أدى تغيير كلمة واحدة هنا إلى عكس المراد من الآية الكريمة، فالصحيح أن

يستعمل كلمة sauf أي "إلاّ" مكان كلمة seulement أي "فقط" لتكون الترجمة كما يلي reste en vigile sauf peu de temps.

53 – ترجم "ثقيلا" في قوله تعالى:]إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا[(المزمل: 5) بـ grave أي "خطيرا" والترجمة الصحيحة كما يلي lourde.

54 – ترجم "فاقرؤوا" في قوله تعالى:] فاقرؤوا ما تيسر من القرآن[(المزمل: 20) بـ récitez donc à haute voix أي "فاقرؤوا بصوت عال" كذلك ترجمه أيضا في قوله تعالى:]فاقرؤوا ما تيسر منه[(المزمل: 20).

55 – ترجم قوله تعالى:] لواحة للبشر[(المدثر: 29) كما يلي Elle est dévorante pour les Mortels أي _"لواحة لبني آدم" والصحيح كما يلي Elle est dévorante pour l'épiderme. أي " لواحة لظاهر الجلد ".

56 – ترجم قوله تعالى:] وخلقناكم أزواجا[(النبأ: 8) كما يلي Nous vous avons créés (par) groupes أي "خلقناكم مجموعات". والصحيح كما يلي Nou vous avons créés en couples.

57 – وفي السورة نفسها ترجم] لباسا [(10) بـ voile أي "غطاء أو حجابا" والصحيح vêtement.

58 – كما ترجم فيها أيضا] فوقكم[(12) بـ sur vous أي "عليكم" والصحيح au –dessus de vous.

59 – ترجم "ثم" في قوله تعالى:] ثم ما أدراك [(الانفطار: 18) بـ oui أي "نعم"، والترجمة الصحيحة كما يلي puis.

60 – ترجم قوله تعالى:] كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون[(المطففين:15) كما يلي Qu'ils prennent garde! En vérité, de leur Seigneur, ce jour-là ils seront séparés أي "كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمفصولون" هذا غير صحيح، والصحيح كما يلي Quils prennent garde! En vérité, ce jour-là un voile les empêchera de voir leur Seigneur.

61 – ترجم قوله تعالى:] وفي ذلك فليتنافس المتنافسون [(المطففين:26) كما يلي Que ceux mus par le désir le convoitent أي "فليطلبه الذين يحركهم

الشوق". والأحسن كما يلي Que ceux qui la convoitent entrent en compétition (pour l'acquérir).

62 – ترجم قوله تعالى:] هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون[(المطففين:36) كما يلي Les impies se sont-ils repentis de ce qu'ils faisaient أي "هل ندم الكفار على ما كانوا يفعلون" . والصحيح كما يلي Est ce que les infidèles ont été recompensés de ce qu'ils faisaient?.

63 – ترجم قوله تعالى:]وينقلب إلى أهله مسرورا[(الانشقاق:9) كما يلي Et s'en ira vers ses pareils en alegresse أي "ويذهب نحو أشباهه في سرور" فقد فسر "الأهل" بـ "الأمثال" وهذا خطأ، والترجمة الصحيحة لهذه الكلمة هي famille.

64 – ترجم قوله تعالى:] وأنت حل بهذا البلد[(البلد: 2) كما يلي Or tu es sans liens en cette ville أي "أنت بدون صلة بهذا البلد" أو "لاصلة لك بهذا البلد"، والترجمة الصحيحة كما يلي Et toi, tu es résident dans cette cité.

65 – ترجم"وسقياها" في قوله تعالى:] ناقة الله وسقياها[(الشمس:13) بـ son lait أي "لبنها". هذا خطأ، والترجمة الصحيحة كما يلي: Laissez la chamelle de Dieu boire أي "ذروا ناقة الله تشرب".

66 – ترجم قوله تعالى:] والتين والزيتون [(التين:1) بما يلي Le (Mont des) figuier(s) et (des) olivier(s) أي "جبل أشجار التين والزيتون" فقد أضاف "جبل أشجار" من تلقاء نفسه.

67 – ترجم قوله تعالى] إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى[(العلق:6-7) كما يلي L'homme en vérité est rebelle parcequ'il se passe de tous أي "إن الإنسان لطاغ لأنه يستغني عن الجميع"، والترجمة الصحيحة كما يلي Vraiment l'homme devient rebelle dès qu' il estime qu'il se suffit.

68 – ترجم قوله تعالى:] والعصر[(العصر: 1) بـ par le Destin أي "والقدر" أو "والحظ" والصحيح كما يلي par le temps.

خاتمة

كتب د. حسن عزوزي([25]) عن المستشرق بلاشير ما يلي: "وبالرغم من موقع ترجمة بلاشير كواحدة من أفضل الترجمات الفرنسية، فإن الأخطاء الواردة في ثنايا الترجمة كثيرة جدا .... ومثال بعض الأخطاء التي وقع فيها بلاشير أثناء ترجمته لمعاني القرآن الكريم ما أورده مقابلا للآية الكريمة]وابعث فيهم رسولا منهم [(البقرة: 139) حيث قال: " Envoie parmi les habitants de cette ville un Apôtre issu d'eux " فهل غاب عن المستشرق التمييز بين المعاني الكثيرة التي تؤديها الألفاظ الآتية: رسول – نبي – حواري؟ فكلمة "رسول" لا يمكن أن تقابلها سوى لفظة Envoyé وإلى حد ما لفظة Messager؛ لأن الكلمتين تؤديان نفس المعنى الذي هو الإرسال. أما النبي فلا ترادفها إلا لفظةProphète وقد اختلط المعنى على المستشرقة الفرنسية دنيس ماصون Denise Masson في ترجمتها للقرآن الكريم حيث ترجمت الآية بقولها: Envoie leur un prophète pris parmi eux

أما بلاشير فقد اشتط به تفكيره ولم يجد مرادفا لكلمة "رسول" سوى لفظة Apôtre التي لا تعني سوى "الحواري". انتهى.

فهذه نبذة طفيفة جدا من أخطاء بلاشير في ترجمته الأخيرة لمعاني القرآن الكريم.

إن كان بلاشير يعرف هذه الأخطاء فتلك بلية، وإن كان لا يعرفها فالبلية أعظم!!.

ومهما كان الأمر فهذا بعض ما جناه بلاشير –هذا المستشرق– على القرآن الكريم والذي قالت عنه د. زينب عبد العزيز في كتابها "ترجمات القرآن إلى أين ؟"([26]) بعد التحدث عن ترجمة المستشرق الألماني نولدكه ما يلي: "وهي الترجمة التي يتذرع بها بلاشير ليقول عن القرآن الكريم: "ذلك النص الغامض عادة، والذي يصعب فهمه في سياقه الذي لا يتفق –ونصرُّ على ذلك– مع المراحل الأربع المتتالية لنبوة محمد e في مكة وفي المدينة..."

ولم يكتف بلاشير بالإصرار على تجريحه بقضية ترتيب الآيات المعروفة، التي لو رجع إلى كتب الفقه وعلوم القرآن لعرفها وإنما ها هو يرمي بضربته الأخرى قائلا: "إن الرغبة في فرض نص ثابت لايتغير تبدو من ذلك الفعل الدنس أو انتهاك الحرمات من الصحابة الذين قاموا بإبادة كل الأشياء التي تم تسجيل الآيات عليها

بأياد ورعة قامت بجمعها من فم الرسول e ". فعلى الرغم من اللباقة([27]) واستخدام الألفاظ المغلفة والمنمقة من ورع وغيره وتباكيه على ضياع الأصول، إلا أن فحوى خطابه يتضمن الإشارة إلى تلاعب ما وإبادة الأصل لعدم الكشف عما تم من تحريف.. وهي ليست إلا عملية إسقاط لما قامت به الكنيسة في أناجيلها ومجامعها، وطرحها على القرآن الكريم الثابت نزوله وتثبيته بلا أي تحريف... بل وها هو يصل به الأمر إلى التشكيك حتى في نص مصحف عثمان اعتماداً على الهجوم الذي يكيله من مستشرقيه.. وما أغرب ازدواجية بلاشير هذا، فهو من ناحية يعلم ويقول: إن ترجمات القرآن الكريم كافة قد تمت بغية إدانته وتجريح شرائعه، ثم ها هو يتذرع بهذه الانتقادات ذاتها ليقول: " وحيال كل هذه الانتقادات نحن مساقون لأن نسأل الكتابة القديمة أن تأتينا بإجابة عن مسألة الأمانة المطلقة لنص مصحف عثمان !!". اهـ. وقديما قال الشاعر:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصَدَّق ما يعتادُه من توهُّم

أعتقد أن هذه المقولة تنطبق على بلاشير بل وعلى كل المستشرقين. فقد أنبأنا القرآن الكريم بما جَنَوْه على التوراة والإنجيل من تحريف، كما شهد بذلك بعض بني جلدتهم،([28]) فلا غرو إذاً أن يسيئوا الظن بنا طبقا لمقولة الشاعر الآنفة الذكر، هذا سبب، وهناك سبب آخر وهو التشفي منا لآبائهم الذين فضح الله أعمالهم السيئة في القرآن الكريم، والسبب الثالث هو ما هالهم من سرعة انتشار الإسلام حتى بدأ يغزوهم في عقر دورهم. وهناك أسباب كثيرة أخرى كدعوة زعمائهم" لتنصير العالم أجمع". وقِدَماً حذَّرنا الله منهم في كتابه العزيز بقوله سبحانه وتعالى]لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون [(آل عمران: 118) لذلك علينا ألاّ نفاجأ بأي عمل تخريبي أو عدواني يوجهونه ضدنا، لأن هذه الآية الكريمة قد لخصت لنا موقفهم بكل وضوح وصراحة. فالمطلوب منا إذاً هو العمل الجاد بإخلاص وتفان بدون كلل ولا ملل كما قال الله سبحانه وتعالى] ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لايرجون وكان الله عليما حكيما [(النساء: 104) وقال

أيضا]وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة [(الأنفال: 60). فمما نستطيع إعداده لهم من قوة:

توصيات

1 – مواصلة طباعة ترجمات معاني القرآن الكريم المعتمدة من مجمع الملك فهد بعد إعادة تصحيحها بدقة من قبل لجنة متخصصة تؤلف من المتمكنين في العربية وفي اللغة المترجم إليها ومن علماء الدين، ويستشار عالم مسلم متخصص عند مراجعة ترجمة الآيات الخاصة بالعلوم الأخرى كالفلك والطب والجيولوجيا. وتصدر بمقدمة تتضمن التعريف بالاستشراق ووسائله وأهدافه كما تتضمن الرد بطريقة علمية مركزة علىشبهاتهم وعلى كل ما يتذرعون به للنيل من القرآن الكريم.

2 – تأليف كتاب جيب في كل لغة استشراقية مهمة تتضمن دحض شبهات المستشرقين بطريقة علمية. يطبع بكمية كبيرة ويوزع كما توزع المصاحف.

3 – الإكثار من ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الإفريقية لمواجهة الترجمات التنصيرية المتزايدة في هذه القارة، وخصوصاً ترجمة معاني سورة الفاتحة وجزء عم؛ لأنها هي التي يحفظها جمهور المسلمين، وتقرأ غالبا في الصلوات.

4 – الاهتمام بتنظيم توزيع المصاحف وترجمات معانيها في كل بلد .

5 – إنشاء ملحقية إسلامية مستقلة أوتابعة للملحقية الثقافية، بسفارات الدول الأعضاء في منظمة الدول الإسلامية، للدفاع عن القرآن بالحكمة والموعظة الحسنة.

6 – الاستفادة من موسم الحج في كل سنة بعقد لقاءات بين العلماء والمفكرين الذين يأتون إلى الحج، لتبادل الآراء حول السبل الكفيلة بتحقيق الأهداف المشار إليها آنفا.

7 – إصدار مجلة ربع سنوية، أو نصف سنوية متخصصة في دراسة ترجمة معاني القرآن الكريم.

قائمة المراجع

1 – الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري للدكتور محمد حمدي زقزوق.

2 – الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم) للدكتور مصطفى السباعي.

– أصول التفسير لفضيلة الشيخ صالح العثيمين رحمه الله.

3 – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن تأليف الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي.
4 – الأعلام تأليف خير الدين الزركلي.
5 – ترجمة القرآن إلى أين ؟ للدكتورة زينب عبد العزيز.
6 – ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية للأستاذ محمد حميد الله.
7 – تفسير الإمام الطبري.
8 – زبدة التفسير من فتح القدير للدكتور محمد سليمان عبد الله الأشقر.
9 – فتاوى للمسافرين والمغتربين لسماحة الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز المفتي العام للمملكة العربية السعودية رحمه الله.
10 – القرويين (مجلة مغربية).
11 – المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ.
12 – موسوعة المستشرقين تأليف عبد الرحمن بدوي.
13 – La Bible, le Coran et la science للدكتور موريس بوكاي.
14 – Le Coran et la science moderne للدكتور موريس بوكاي.
15 – Frenche-Dictionnary the Oxford Hachette.
16 – La Grande Encyclopédie.
17 – Petit Larousse illustré 1989.
– الحواشي :
([1]) فتاوى للمسافرين والمغتربين 86–87.
([2]) فتاوى للمسافرين والمغتربين 86–87.
([3]) فتاوى للمسافرين والمغتربين 86–87.
([4]) انظر مقدمة كتابه عن القرآن " الكريم "(ص 10).
([5]) ولد أندريه دي ريور عام 1580 في مارسينيMarcigny بفرنسا وتوفي عام 1660 م، كان قنصلا عاما لبلاده في مصر والقسطنطينية، أتقن اللغات الثلاث الأمهات التي يتحدث بها أهل الإسلام: العربية والتركية والفارسية، ألف بعض الكتب

وترجم القرآن الكريم في جزأين (648ص). انظر "موسوعة المستشرقين" لعبد الرحمن بدوي (ص 222) و La Grande Encyclopédie المجلد 15 (ص134).

([6]) انظر في مجلة " القرويين " العدد الخامس عام 1414 هـ (ص 111-112).

([7]) انظر في كتابه " القرآن الكريم والعلم العصري " (ص 230).

([8]) اسمها Denise Masson وضعت ترجمتها لمعاني القرآن الكريم عام 1958. وتحدثنا في مذكراتها التي أصدرتها منذ بضع سنين أنها وجدت صعوبة شديدة في باريس وهي تحاول البحث عن ناشر ينشر لها ترجمتها للقرآن، ذلك أن معظم أصحاب دور النشر قد استبعدوا أن تُدِر عليهم ترجمة امرأة لكتاب المسلمين المقدس أرباحا، فأوصدت أمامها الأبواب إلى أن وجدت من يقبل ذلك بشرط عدم كتابة اسمها كاملا. وهكذا نجد في جميع طبعات الترجمة اسم دنيس ماصون يكتب هكذاD. Masson. وكأن في ذلك حملا للقارئ على الاعتقاد بأن الترجمة للدكتور ماصون، وهذا ما جعل الكثير من الباحثين ممن لا يعرفها شخصيا أو يقرأ لها يقعون في خطأ اعتقادهم أنه رجل. (انظر كلمة د. حسن عزوزي كلية اللغة العربية- مراكش في مجلة " القرويين " العدد الخامس لعام1414 هـ ص 115-116. وجاء في حاشية الصفحة 115 أنها الآن (أي في عام 1414 هـ/ 1993م) تقطن بباب دكالة بمراكش ولها من العمر 90 سنة.

([9]) المصدر السابق الذكر (ص 116).

([10]) لوي ماسينيون أكبر مستشرقي فرنسا المعاصرين، ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا والراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر. زار العالم الإسلامي أكثر من مرة وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الأولى. كان عضوا بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي العربي في دمشق، متخصص في الفلسفة والتصوف الإسلامي، ومن كتبه: (الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام) صدر في 1922م. وله كتب وأبحاث أخرى عن الفلسفة والتصوف، وهو من كبار محرري (دائرة المعارف الإسلامية). انظر " الاستشراق والمستشرقين- ما لهم وما عليهم " (ص 45-46) للدكتور مصطفى السباعي.

([11]) انظر الصفحة 7. وألفت النظر هنا إلى أن المترجم اعتمد في تعليقاته على الرقم الأول، بدلا من رقم طبعة القاهرة الذي هو المعتمد في معظم الدول الإسلامية تقريبا.

([12]) انظر " التنبيه " في ترجمته (ص 8).

([13]) في حوار معه نشرته مجلة " رسالة الجهاد الليبية "، عدد يناير 1990 (ص 85).

([14]) جعل من هذه المقدمة كتابا مستقلا بعنوان Introduction au Coran أي "تقديم للقرآن الكريم".

([15]) © 1980G., P. MAISONNEUVE ET LAROSE.

ISBN: 2−7068– 0338-x

([16]) انظر الصفحة 11 من المقدمة المذكورة.

([17]) يا سبحان الله ! من أين جاء بلاشير بهذا الخبر الذي لا أساس له من الصحة ؟ وكيف يتناسى بلاشير حديث البخاري المشهور ؟ الذي جاء فيه أنه: قال نبي الله e: "بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، إذ سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة، فأتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا" قال قتادة: قلت: ما يعني به ؟ قال إلى أسفل بطنه، قال: "فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حشي إيمانا وحكمة ثم أتيت بدابة أبيض"، وفي رواية أخرى: "بدابة بيضاء يقال له البراق، فوق الحمار ودون البغل، يقع خطوه منتهى طرفه، فحملت عليه، ثم انطلقنا حتى أتينا إلى بيت المقدس فصليت فيه بالنبيين والمرسلين إماما، ثم عرج بي إلى السماء الدنيا"... فذكر الحديث.

([18]) مع أن سياق الآيات يدل على اختلاق القصة الشيطانية لأنه ليس من المعقول أن يثني الله على هذه الآلهة ثم يذكرها بسوء مباشرة، كما أنه ليس مقبولا أن يسجد المشركون بعد ما سمعوا ذكر آلهتهم بسوء في آخر المطاف لأن العبرة بالكلام الأخير. وقد صرح ببطلان هذه القصة خلق كثير من علماء الحديث. وعلاوة= =على ذلك كله، فقد جاءت آيات قرآنية كثيرة تدل على استحالة حدوث مثل هذا الحادث. منها قوله تعالى:]هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك

أثيم[(الشعراء:222-223) وقوله تعالى:]لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد[(فصلت: 42).

([19]) جاء في صحيح البخاري عن محمد بن زياد أنه قال سمعت أبا هريرة t قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه. فقال النبي e: " كخ كخ " ليطرحها. ثم قال: "أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة" ؟ وجاء في سياق آخر للبخاري أن النبي e قال: "ما علمت أن آل محمد e لا يأكلون الصدقة" ؟

.

([20]) في ترجمته (ص 29/28).

([21]) انظر "الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري" للدكتور محمود زقزوق (91).

([22]) صفحة 9.

([23]) تفسير الطبري 313/1.

([24]) كما يؤخذ من تفسير الطبري (443/3).

([25]) مجلة " القرويين " (العدد الخامس).

([26]) الصفحة 8.

([27]) هذا ليس لباقة، إنما هو تهكم.

([28]) في كتابه La Bible le Coran et la science (ص 21)

==============

الاستشراق والإسلام > الاستشراق والحديث >

تقديم

صوّب المستشرقون سهامهم أو سهام بحوثهم ونقدهم تجاه السنّة النبوية المطهرة يطعنون فيها وفي حجيتها وفي جهود العلماء المسلمين من سلف هذه الأمة في حفظها وتدوينها وقد تولى كبر الطعن في السنة الشريفة بعض كبار المستشرقين من أمثال المستشرق اليهودي المجري اجناز جولدزيهر وجوزيف شاخت وجيمس روبسون وغيرهم.

وفي هذا القسم نقدم عدداً من البحوث التي قدمت في الندوة التي عقدها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

تدوين السنّة

من أبرز الطعون في هذا المجال أن اختار المستشرقون الوقوف إلى جانب الرأي القائل بأن السنة لم تلقى أي تدوين، واحتجوا لذلك بوجود بعض الأحاديث التي تسمح بكتابة الحديث بينما يعارض بعضها الكتابة، وقد وصل العلماء المسلمون إلى أن المنع عن الكتابة كان في أوائل الدعوة الإسلامية حتى لا تختلط السنة بالقرآن الكريم، وأن السماح بالكتابة هو الأغلب وقد وجد من الصحابة الكرام y من قام بالكتابة، ووجدت عدة صحف تحتوي على عدد كبير من الأحاديث.

وأضاف المستشرقون سبباً آخر لفقدان الحديث أو وقوع الوضع فيه أو التزييف كما يقولون هو الصراعات السياسية بين فئات المجتمع بحيث لجأت بعض الفرق –وهم يزعمون أن كل الفرق فعلت هذا– إلى الوضع في الحديث، كما إن تطور الظروف الاجتماعية ودخول ثقافات أخرى إلى حياة المسلمين كالتأثر بالفرس والرومان والثقافة اليونانية والنصرانية واليهودية أدى إلى دخول كثير من الأفكار الدخيلة إلى الحديث النبوي الشريف.

وزعم المستشرقون أيضا أن الوضع في الحديث قد تأثر بتطور الحياة واحتياج المسلمين إلى تشريعات تواجه هذه التطورات فلجأوا إلى الوضع، ويزعمون أن الحديث الشريف لم يكن له حجية كاملة في بداية الدولة الإسلامية حيث اكتفى المسلمون بالقرآن الكريم، ولكن هذه التطورات جعلتهم يلجأون للحديث الشريف، فإن لم يجدوا رواية لحديث في المجال الذي يريدون قاموا بوضع الحديث. وقد أضاف بعض المستشرقين أن الوضع يكون أحياناً لأهداف شخصية.

ويمكن الرد على مزاعم المستشرقين من جهتين:

1- بيان جهود العلماء المسلمين لحفظ حديث الرسول r.

- ذكر بعض الدراسات الحديثة للرد على شبهات المستشرقين في العصر الحديث.

أما جهود علماء الحديث في المحافظة على حديث رسول الله r فمبسوطة في كتب علم الحديث، ويكفي أن نذكر أسماء العلوم التي وضعها علماء هذه الأمة الخاصة

بالحديث الشريف ومنها علم مصطلح الحديث، وعلم الرجال، وعلم الجرح والتعديل، وعلم مشكل الحديث، وأسباب ورود الحديث، والناسخ والمنسوخ في الحديث الشريف وغيرها. فهذه العلوم بما تحويه مكتباتنا من مجلدات ضخمة فيها تدل دلالة واضحة على الجهود العجيبة التي بذلها المسلمون للمحافظة على الحديث الشريف.

أما مسألة الحفظ هذه المدة الطويلة فقد أوتي العرب ملكة الحفظ حيث كانوا يحفظون آلاف الأبيات من الشعر، ويحفظون الأنساب، ويحفظون أيام العرب وتواريخهم، وهذه الملكة تقوى مع الاستخدام والتدريب، ولمّا كانت العرب في الغالب أمة أمية فقد لجأوا إلى الحفظ، وقد أثبت التاريخ هذا الأمر في مجال الحديث بصفة خاصة وحتى يومنا هذا، فكم عدد النصارى الذين يحفظون كتابهم "المقدس" في مقابل الأعداد الغفيرة من المسلمين الذين يحفظون القرآن الكريم وكتب الحديث النبوي الشريف.

أما في الماضي فقد كان عالم الحديث الذي ينال لقب "حافظ" وكانوا كُثراً، فكان يحفظ آلاف الأحاديث بأسانيدها، ولو رجعنا إلى الاختبارات التي دخلها بعض علماء الحديث في مسألة الحفظ لذهلنا من هذه القدرة العجيبة، فقد قرأ على الإمام البخاري رحمه الله تعالى مئة حديث مقلوبة الأسانيد فأعاد كل حديث إلى سنده، وقد روي أن الإمام أحمد بن حنبل كان يجعل ابنه يحفظ الأحاديث الموضوعة أولاً ثم يقول له هذه موضوعة فابدأ الآن بحفظ الأحاديث الصحيحة.

وبالإضافة إلى هذه القدرة العجيبة في الحفظ فثمة مسألة أخرى وهي تمسك المسلمين بدينهم وحبهم لحديث رسول الله r. والدليل على ذلك أن كثيراً من علماء الحديث أنفقوا أعمارهم في دراسة الحديث والرحلة في طلب الحديث، وقد اعترف بعض المستشرقين بهذه الجهود، وكيف لا يحرص المسلمون على حديث رسول الله r وهو الأصل الثاني من أصول الشريعة الإسلامية،والحديث هو حديث نبيهم وحبيبهم r.

وأما ما يدعوه أن مسألة تطور الحياة الاجتماعية في الدولة الإسلامية مما أدى إلى الحاجة للحديث فبدأ المسلمون في البحث عن التشريعات في القرآن الكريم فإن لم يجدوا بحثوا عن الحديث فإن لم يجدوا حديثاً وضعوه فهذا والله منتهى السخف من المستشرقين، فقد كان الحديث موجوداً دائماً، والترتيب في البحث عن أدلة الأحكام إنما هو بترتيب أهمية هذه الأدلة، ولو لم يكن الحديث موجوداً لما عرفنا الحديث

الذي يقول (عليكم بكتاب الله وسنتي، لا يزيغ عنهما إلاّ هالك) وفي حديث آخر (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ).

ومن افتراءات المستشرقين على الحديث الشريف زعمهم أن علماء الحديث اهتموا بالسند أكثر من اهتمامهم بمتن الحديث، وأضافوا أنه من السهل على أي شخص أن يأتي بالسند الذي يرغب ويضيف له ما يشاء من كلام.

ويقول ساسي سالم الحاج في الرد على هذه الفرية "يبدو للباحث منذ الوهلة الأولى اهتمامهم بسند الحديث أكثر من اهتمامهم بمتنه، ولكن الحقيقة عكس ذلك، فهم عندما قسّموا الأحاديث إلى صحيحة وحسنة فإنهم في الحقيقة تناولوا السند والمتن معاً أو السند دون المتن أو المتن دون السند000 وعند حديث العلماء عن الحديث المعلل فإنهم لم ينفوا تعليل المتن، فقالوا "لايطلق الحكم بصحة حديث ما لجواز أن يكون فيه علة في متنه، وقد جاءوا بشواهد كثيرة على ذلك"

- الظاهرة الاستشراقية2/1،ص 603-604

==========

الاستشراق والإسلام > المستشرقون والفقه >

درس المستشرقون الفقه الإسلامي بهدف معرفة حياة المسلمين معرفة عميقة لأن الفقه يحكم حياة المسلم ويوجهها في أدق تفصيلاتها، وفي كل لحظة من حياته منذ الولادة أو حتى قبلها وإلى ما بعد موته.

وقد ظهر باحثون مسلمون بحثوا في كتابات المستشرقين وأوضحوا ما فيها من الأخطاء المنجية وأخطاء التشويه المتعمد أو سوء الفهم، ومن هؤلاء الدكتور عبد الحميد متولي الذي أعد بحثا أو أكثر يرد على بعض افتراءات المستشرقين ومنها بحثه المعنون "الشريعة الإسلامية وموقف علماء المستشرقين"، وفيما يأتي أقدم أبرز النقاط التي ذكرها في هذا البحث.

لقد ركز الدكتور عبد الحميد على موقفين هامين من مواقف النقد أو الاتهام إزاء الشريعة الإسلامية وهما:

1- اتهام الشريعة الإسلامية بالجمود، أي عدم مراعاة مقتضيات ظروف البيئة أو (الصالح العام) أو "المصلحة".

2- تأثر الشريعة الإسلامية بالقانون الروماني.

وقد أوضح الدكتور عبد الحميد بالأدلة المقنعة بُعد الشريعة الإسلامية عن الجمود، وأكد أنها أبعد الشرائع عن الجمود وأكثرها مرونة وقابلية للملاءمة، وإن كان ثمة جمود أو نقص في المرونة فهو أمر يمكن أن يُوصف به بعض العلماء المسلمين، ويقول "واتهام الشريعة بأخطاء فريق من رجالها، واتهام الدين بأخطاء فريق من رجاله، تلك سنّة عرفت منذ سنين عن علماء المستشرقين".

ويواصل الدكتور عبد الحميد في الرد مفصلاً على هاتين الفريتين موضحاً كيف أن القرآن الكريم جاءت آيات الأحكام فيه عامة أو بصورة كلية دون العناية بالجزئيات. وذكر بعض الآيات التي توضح أبرز ما يدعو إلى المرونة ومنها قوله تعالى)وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ(ء[1] وقوله تعالى)وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ(ء[2]، وقوله تعالى)يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ(ء[3]، وبالإضافة إلى هذا فإن تاريخ التشريع الإسلامي يوضح حقيقة المرونة العظيمة في التشريع الإسلامي، ولا شك أن ثمة بعض الثوابت التي لا يمكن أن يتجاوزها فقيه أو مسلم، ولكن المتغيرات كثيرة.

أما بالنسبة للفرية الثانية بتأثر الفقه بالقانون الروماني فيرد عليها الدكتور عبد الحميد من عدة نواحي:

1- إن التشابه إذا وجد فليس برهانا على التأثر، و "إنما يدل في كثير من الحالات على أن كلا المجتمعين اللذين يطبق فيهما هذان النظامان يشابه الآخر من حيث المستوى والمدنية."

2- يزعم بعض المستشرقين أن التأثر قد حدث لأن المجتمع الروماني كان أكثر تطوراً ورقياً، ولا بد أن تتأثر الحضارة الأدنى، والرد على هذا أن الفقه الإسلامي "قد ترك أثراً واضحا حتى في القوانين الغربية المستمدة من القانون الروماني." وثانياً كان المسلمون هم الأمة الغالبة وحسب قاعدة ابن خلدون بتأثير الغالب في المغلوب.

- الحواشي :

[1] - سورة الأنبياء الآية 107

[2] - سورة الحج الآية 78

[3] – سورة البقرة الآية 185

===========

الاستشراق والإسلام > الاستشراق والسيرة النبوية >

يبدأ تاريخ الأمة الإسلامية بالسيرة النبوية الشريفة، فهي أول تطبيق عملي للدين الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً وسلوكاً، ولا بد للمسلمين أن يعتنوا بسيرة نبيهم الكريم r. وهم قد فعلوا ذلك فلم تكتب سيرة نبي مرسل ولا ملك ولا عظيم قوم كما كتبت سيرة المصطفى r، فمعظم أحداثها تجدها في كتب الحديث الشريف الذي نال من عناية العلماء ما لم تعرفه أمة من الأمم قبل الأمة الإسلامية ولا بعدها، وبالإضافة إلى ذلك فإن كتاب الله عز وجل قد أورد كثيراً من وقائع السيرة النبوية بالتفصيل وأضاف إلى ذلك بعض اللمحات عن الحالة النفسية للرسول r مما لا يمكن لأحد علمه إلاّ سبحانه الذي يعلم السر وأخفى.

ولما بدأ النصارى الاهتمام بالإسلام كان من أول ما فعلوه بعد ترجمة معاني القرآن الكريم الكتابة في سيرة الرسول r، فظهرت الكثير من الكتابات، وكانت في البداية غاية في الوقاحة وسوء الأدب مما نكف قلمنا عن الكتابة فيها. وقد جاء من المستشرقين المعاصرين من انتقد أسلافهم في ذلك، ومن هؤلاء المستشرق ريتشارد سوذرنRichard Southern في كتابه (صورة الإسلام في العصور الوسطى) وكذلك كتاب نورمان دانيال Norman Daniel (الإسلام والغرب).

وقد تناولت كتابة المستشرقين سيرة الرسول r من ثلاثة محاور:

1- شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاقه.

2- أحداث السيرة في العهد المكي والعهد المدني.

3- تفسير أحداث السيرة.

وفي هذه المحاور الثلاثة تعددت الأخطاء المنهجية في الكتابات الاستشراقية، وقد تناول كثير من العلماء المسلمين المعاصرين الكتابات الاستشراقية بالنقد والتفنيد. ويمكن إجمال الأخطاء الاستشراقية فيما يأتي: التشكيك في أحداث السيرة النبوية دونما دليل أو لمواقف سابقة فينطلق المستشرق بحثاً عن أي أثر من دليل ولو كان ضعيفاً أو موضوعاً ليؤيده مع عدم الاهتمام بما أثبته علماء الحديث المسلمون من

أحداث. أما الخطأ الثاني فهو محاولة تفسير أحداث السيرة وفقا لأهوائهم أو لمواقف سلبية مسبقة. والخطأ الثالث النفي الكيفي لأحداث السيرة دونما دليل أو برهان.

ومن الأسماء المشهورة في عالم الاستشراق جوستاف فيل الذي كتب (محمد r وحياته) سنة 1843م، والمستشرق اليوس سبرنجر سنة 1861م، وتيودر نولدكه المستشرق الألماني الذي تخصص في دراسة القرآن الكريم فقد زعم أن الرسول r "كانت تنتابه نوبات عنيفة من الانفعال جعلته يظن انه تحت تأثير إلهي ويظن أنه يتلقى وحيا."[1] والمستشرق اليهودي صموئيل مرجليوت في كتابه (محمد r وظهور الإسلام) والمستشرق وليام ميور والمستشرق ماكدونالد والمستشرق هاملتون جيب في كتابه (المحمدية) الذي أعاد طبعه بعنوان (الإسلام)، والمستشرق مونتجمري وات في كتبه "محمدr في مكة" و"محمد r في المدينة" و"محمد r رجل الدولة". وفيليب حتّي اللبناني زاعما أن المسلمين كتبوا سيرة الرسول r كما يرغبون أن تظهر هذه السيرة وليس كما هي في الحقيقة والواقع "وخلعوا على مؤسس ديانتهم وباني مجدهم كثيراً من التبجيل والتعظيم، ووضعوا لذلك أحاديث ونحلوه أفعالاً ليس له."[2]

ولابد من ذكر المستشرق البلجيكي المتعصب جداً هنري لامانس فقد أنفق حياته للطعن في سيرة الرسول r وكان حجة لغيره من المستشرقين في أنهم يجعلوه هدفاً لنقدهم فيقولون "انظروا ما فعل لامانس نحن لم نقل مثله ولا ربعه 000 ". وقد كتب عنه المستشرق الفرنسي الشيوعي مكسيم رودنسون قائلا "وقد كان هنري لامانس ممتلئا بالاحتقار الرهيب للإسلام ولمجده ‘الزائف‘ ولرسوله ‘الفاسق الداعر‘ ولعرب الصحراء الذين كانوا في تقديره جبناء متبجحين نهبة مخربين."[3]

- الحواشي :

[1] - محمد عبد الله شرقاوي، الاستشراق، ص 136

[2] - المرجع نفسه ص143

[3] - المرجع نفسه ص146-147

==========

الاستشراق والإسلام > الاستشراق والتاريخ الإسلامي >

وكما درس المستشرقون السيرة النبوية فقد كتبوا حول التاريخ الإسلامي في جميع عصوره حتى الوقت الحاضر، وقد خصوا عصر الخلافة الراشدة بكثير من افتراءاتهم لأنهم رأوا إذا كان طعنهم في السيرة غير كاف فليكن طعنهم في شخصيات هؤلاء الصحابة الكرام، وفي ظنهم أنهم إذا شككوا في هؤلاء الذين نقلوا الإسلام إلينا فإنهم بزعمهم يهدمون هذا الدين.

وزعم بعض المستشرقين أنه ما أن لحق الرسول عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى حتى تآمر ثلاثة من الصحابة على اقتسام السلطة وتوارثها، وقد كتب هذا المستشرق توماس آرنولد المشهور عند كثير من المسلمين باعتداله في كتابه (الخلافة) ونسبه إلى المستشرق الايطالي كايتياني ووصفه بأنه من أعظم المؤرخين المعاصرين.

وعندما تحدث هؤلاء المتعصبون عن الفتوحات الإسلامية حاولوا تفسيرها انطلاقا من تاريخهم الأوروبي ونظرتهم المادية للأمور، فقد كانت الفتوحات في نظرهم بحثاً عن الغنائم والمكاسب المادية، كما وصفها مستشرق آخر بأنها كانت آخر موجات الهجرة من جزيرة العرب التي عرفت مثل هذه الهجرات في السابق حينما تضيق مواردها.

ولا يكلف المستشرق نفسه البحث في حقيقة دوافع المسلمين في الفتوحات الإسلامية وهي نشر رسالة الإسلام التي تدعو إلى تحرير البشر من العبودية للإمبراطوريات السابقة بل من كل أنواع العبوديات، وفتح الطريق أمام دعوة الله عز وجل. وقد أثبتت الفتوحات نفسها مدى بعد الغالبية العظمى من الجيش الإسلامي عن الطمع في الغنائم، وهذا جندي ينقل كنوز كسرى إلى المدينة المنورة فيسلمها كما هي فيتعجب عمر بن الخطاب t من أمانته، فيقول علي بن أبي طالب t "عففت فعفت الرعية، ولو رتعت لرتعوا" وكان جنود المسلمين "رهباناً بالليل فرساناً بالنهار" كما وصفهم أحد جنود الأعداء.

وقد شكك المستشرقون في الجانب الإيماني الغيبي في الفتوحات فزعموا أن الدولتين الفارسية والرومانية كانتا على درجة كبيرة من الضعف وان جيش المسلمين كان يملك من القوة والعتاد ما يماثل جيوش هاتين الدولتين، بالإضافة إلى معرفة العرب بالصحراء ودروبها، وكم هو جاهل هذا المستشرق الذي لم تقنعه كل الروايات التاريخية عن عدد جنود الجيشين الرومي والفارسي وقدرتهما العسكرية، أما المعرفة

بالصحراء فما يقول في معركة القادسية في قلب فارس، أو معركة الجسر أو معركة اليرموك، فمن كان يعرف البلاد أكثر، وهل هذه الأنهار تجري في الصحارى؟

أما مراحل التاريخ الأخرى فقد كتب حولها المستشرقون كثيراً وقد اهتموا بالفرق الضالة المنحرفة فأكثروا من الكتابة عن الشيعة والإسماعيلية والحشاشين، وعد بعضهم المنافقين حزب المعارضة في دولة المدينة. ويتأسف أحدهم أنه لم يعثر على المصادر التي توضح له العبقرية السياسية والفكرية لزعيم فرقة الحشاشين، ويصفه بالبطل، كما كتبوا عن ثورة الزنج حتى ظهر من الحداثيين أتباع أدونيس من يربط نفسه بالقرامطة والزنج وغيرهم من رواد الفكر المنحرف في التاريخ الإسلامي.

لا شك أن التاريخ الإسلامي ليس كله صفحة بيضاء نقية، فهو تاريخ بشر يصيبون ويخطئون أما أن ينسب إليهم ما لم يفعلوه أو تلصق بهم تهمٌ باطلة أو تزيف نياتهم فيما عملوا فأمر لا يقبله العقل والمنطق، ولا تقبله الموضوعية التي يزعم المستشرقون أنهم روادها كما هم رواد البحث العلمي الموضوعي الذي يجب أن نتعلمه منهم.

============

الاستشراق والإسلام > الاستشراق والأدب العربي >

الأدب العربي الحديث في

الكتابات الاستشراقية المعاصرة

المقدمة

في المؤتمر العالمي الخامس والثلاثين للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية الذي عقد في العاصمة المجرية بودابست في ربيع الأول عام 1418م،التقيت بأستاذة الأدب العربي في جامعة صوفيا فسألتها ماذا يدرسون في الأدب العربي المعاصر؟ فكان الرد أنهم يدرسون كتابات نجيب محفوظ ويوسف السباعي ويوسف إدريس وإحسان عبد القدوس وغيرهم. وكان السؤال التالي عن معرفتهم بأدباء مثل أحمد علي باكثير أو نجيب الكيلاني أو عبد الرحمن العشماوي؟ إنهم لم يسمعوا بهذه الأسماء ذلك أنه لا تأتيهم من البلاد العربية الإسلامية إلاّ الكتابات القديمة وبخاصة الأسماء التي ذكرت. وكان لا بد من ذكر إنشاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية قبل عدة أعوام،

وأن لهذه الرابطة مجلة فصلية بعنوان (الأدب الإسلامي) كما أن هناك مجلة أخرى بعنوان (المشكاة) تصدر من المغرب ولها الأهداف نفسها.

وثمة مسألة أخرى أثارت في نفسي الاهتمام بدراسة الأدب العربي الحديث في الغرب ذلك أنني كنت أعد محاضرة لألقيها في نادي المنطقة الشرقية الأدبي قبل عامين تقريباً فتناولت بعض النشرات التي تصدر عن الجامعات الأمريكية بالإضافة إلى متابعتي لبعض النشاطات الاستشراقية، فوجدت أنّ هذا الاهتمام ليس متوازناً أو معتدلاً فإن الغرب له أهدافه فيما يدرس وفيما يترك فرأيت أن هذا الموضوع يستحق الدراسة.

يرى البعض أن اهتمام أقسام دراسات الشرق الأوسط ومراكز البحوث والمعاهد الغربية بالأدب العربي الحديث ضعيف جداً في حين أن هذا الاهتمام موجود ولكن يتميز بالانتقائية والتركيز على نماذج معينة من الكتابات الأدبية المعاصرة. ولا يكاد يختلف الاهتمام الغربي بالأدب العربي الحديث عن اهتماماته الأخرى بقضايا العالم الإسلامي.

هذا وسوف ينقسم البحث إلى ثلاثة محاور أساسية هي:

المحور الأول: الاهتمام بالأدب العربي الحديث

المحور الثاني: القيم والمثل والأخلاق التي يهتم بها المستشرقون في الأدب العربي الحديث.

المحور الثالث: لغة الكتابة والشعر الحر أو المرسل، أو المنثور.

المحور الرابع: الاهتمام بنماذج من الأدباء والأديبات العرب.

المحور الخامس: نماذج من المؤتمرات والندوات والمحاضرات والكتب الاستشراقية حول الأدب العربي.

ومن المؤكد أن الاهتمام بالأدب العربي الحديث لدى المستشرقين يحتاج إلى بحث أطول وأعمق ومن قبل متخصصين في الأدب العربي. ذلك أن الأدب إنما هو جزء من مكونات الشخصية العربية المسلمة وهو كذلك جزء مهم من الصورة التي يكونها الغرب عن الإسلام والمسلمين. فإذا انحصر اهتمامهم بالكتابات التي تحارب اللغة العربية والثوابت الإسلامية فإن الصورة ستكون بلا شك مشوهة ومحرفة.

و لا أزعم لنفسي التخصص في الأدب ولكني قارئ للأدب ومتذوق له. وما لا يدرك كله لا يترك جله، فإن استطعت أن أقدم صورة عن الاهتمام الاستشراقي بالأدب العربي فهذا توفيق من الله، وإن كانت الأخرى فحسبي أنني بذلت الجهد وأرجو أن أجد من ينتقد ويوجه. وعلى الله قصد السبيل.

المحور الأول

الاهتمام بالأدب العربي الحديث

منذ بداية الاستشراق البعيدة والغرب يهتم بكل ما صدر عن المسلمين فهم الذين أنشؤوا مئات الأقسام العلمية، كما تحتفظ مكتباتهم بألوف المخطوطات في شتى المعارف. وقد ثبت أن بعض الأدباء في الغرب تأثروا بالأدب العربي في عصور ازدهار الأمة الإسلامية. والاهتمام بالأدب العربي في الغرب لا ينبع من ترف فكري ذلك أن دراسة الأدب مهمة لدراسة الشخصية التي أنتجت هذا الأدب وذلك كما قال سمايلوفيتش فالأدب بالنسبة للعرب "يعد ديوانها، ويتأمل تاريخها، ويبرز عقليتها، ويمثل انفتاحها، ويدفع بقدمها إلى الأمام...وظل الأدب العربي بشعره ونثره من الأمور التي شغف بها الاستشراق محاولاً إلى معرفة العرب واتجاههم."([1])

والأدب كما يقول عاصم حمدان "في كل العصور وعند جميع الأمم- هو تعبير عن هوية- أي أمة – ومنطلقاتها الحضارية وإرثها التاريخي، ولهذا كان اهتمام الغربيين كبيراً بالتراث العربي القديم، لأنه كان تعبيراً حقيقياً عن هويتنا الحضارية. ولذلك اعترف أكثر من مستشرق بتأثر الغرب بالأدب العربي القديم ومن هؤلاء مثلاً إديموند بوزوورث – Edmund Boseworth رئيس قسم الدراسات الشرقية بجامعة مانشستر بتأثير الأدب العربي في الأديب الإنجليزي صاحب كتاب "قصص كانتير بري" Canterbury Tales.وغيره مثل بوكاتشيو في مجموعته المعروفة باسم ديكاميرون "الأيام العشرة" [De-Camerone2]

ويؤكد عاصم حمدان من خلال الاهتمام بالأدب في عصور الازدهار وقلة الاهتمام بالعصر الحاضر [نسبياً] " أن نقطة الضعف التي يجدها الغرب – اليوم – في أدبنا، هي ترديدنا لبعض نظرياته في الأدب بعد لفظه لها بعشرات السنين ثم هو ترديد لا استيعاب ولا تمثل فيه.." ويضيف حمدان بأن بعض المستشرقين " قدموا النصيحة

للأدباء العرب بأن يكون شعرهم عربياً خالصاً " لأنه إنما يأخذ مكانته بين الآداب العالمية بتفرده وأصالته." ([3])

ومن الأسباب الأخرى التي حالت دون الاهتمام بالأدب العربي الحديث ما أشار إليه سمايلوفتيش في رسالته:

1- حداثة البحوث في هذا المجال

2-أن الأبحاث في الاستشراق " لم تتبلور بعد فكرياً أو منهجياً أو فلسفيا."

3- اهتمام الغرب يتركز في الوقت الحالي على النواحي العقيدية والدينية والسياسية.

4- "عدم وجود هيئة تتبع بحوثه التي تتعلق بالاتجاهات الحديثة في العالم العربي الإسلامي.

5- لم يستطع الأدب الحديث بعد أن يفرض وجوده على هيئات العلم في العالم، "وإن خطى خطوات جبارة."

6- إن مراكز الاستشراق نفسها لا تشجع معرفة طلابها بإنتاج الأدب العربي الحديث حيث إنها تفرض عليه البحث في الأدب القديم.([4])

هذه الأسباب لم تعد كلها صحيحة في العصر الحاضر بعد أكثر من عشرين سنة من إعداد رسالة سمايلوفيتش .فقد ازداد عدد مراكز البحوث الغربية والأقسام العلمية التي تهتم بالأدب الحديث ولكنه اهتمام انتقائي كما سنرى.

وقد اهتم صالح جواد الطعمة بمسألة الترجمة من العربية إلى اللغات الأوروبية وذكر أن المسؤولية تقع على عاتق المستشرقين في تعريف قرائهم بالأدب العربي الحديث، ولكنهم "كانوا ولا يزالون يوجهون جل اهتمامهم العلمي إلى غير الأدب من أوجه الحياة العربية المعاصرة، ولهذا لم يترجم إلاّ عدد ضئيل من الأعمال الأدبية الحديثة.." ويضيف بأن ما ترجموه أيضاً لم يسوّق تجارياً ولذلك لم يجد الاستجابة المشجعة لدى النقاد أو الأدباء غير العرب إلاّ في حالات نادرة."([5])

وقد حاول الطعمة تتبع المجلات الأمريكية مثل مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية ومجلة العالم الإسلامي فوجد أن المجلة الأولى لم تقدم سوى "إشارات عابرة في باب نقد الكتب." وكذلك الحال بالنسبة للمجلة الثانية. ويضرب على ذلك مثالاً بما ورد في مجلة العالم الإسلامي بقوله "وتتجلى قلة الاهتمام بالأدب في التعريف الموجز

الذي ورد في المجلة بشأن ترجمة آربري لمسرحية "مجنون ليلى" لأحمد شوقي، و المسرحية من خمسة فصول مترجمة من العربية ...وهذه إحدى مسرحياته الست وأكثرها شيوعاً وقد شاهدها المترجم ممثلة في القاهرة. ويضيف معلقاً" لا أحسب أننا بحاجة إلى الوقوف طويلاً عند ما تعنيه أمثال هذه التعليقات من افتقار إلى الفهم والذوق الأدبيين لتراث غني بإنجازاته."([6])

ويؤكد الطعمة في موضع آخر أن الأدب العربي الحديث قد" أهمل وهمّش أو أقصي كلياً من الأدب العالمي. ([7]) ويرى إدوارد سعيد في المقدمة التي كتبها لكتاب (أيام الغبار) لحليم بركات أن الأدب العربي هو من الآداب المحظورة([8])

وليت الأمر توقف عند الإهمال كما جاء في أقوال الدكتور الطعمة فإن هناك من الآراء في اللغة العربية وآدابها ما يدهش المرء أن يصدر في دراسات تزعم لنفسها الموضوعية والنزاهة فيرى بعض الغربيين أن اللغة العربية نفسها تقف "عقبة" وأنها "طريق مسدود" وأنها "زخرفة غير واضحة" أو "منمقة" وصعبة كأداة على الترجمة إلى لغة كاللغة الإنجليزية، ويضيفون إن اللغة العربية تمثل ستاراً حديدياً لغوياً أبعدت الغرب عن الثقافة العربية.([9])

ومرة أخرى نؤكد أن الاهتمام بالأدب العربي الحديث قد ازداد على مر السنين فهناك أكثر من دورية تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية وفي أوروبا تتخصص في الأدب العربي أو الدراسات العربية فهناك مثلاً (المجلة الدورية للدراسات العربية Arab Studies Quarterly، ومجلة المختار في دراسات الشرق الأوسط Digest of Middle East Studies التي بدأت في الصدور منذ ست سنوات. ومجلة آداب الشرق الأوسط (أدبيات) (Middle East Literature(Literary Articles)) التي تتعاون في إصدارها جامعة أكسفورد البريطانية وجامعة داكوتا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية والتي بدأت في الصدور منذ عام 1996م.

وإذا رجعنا إلى الوراء أكثر نجد أن بعض الباحثين الغربيين من أمثال المؤرخ البريطاني جورج ينج George Young يرى أن اللغة العربية هي من أصعب اللغات الأدبية التي تعيق إلى حد بعيد التعبير الأدبي، ويضيف "وليس من المستحيل

أنه في المستقبل القريب أن مصر سوف تستبدل اللغة الفرنسية باللغة العربية كما فعلت الأمم الأخرى في شمال أفريقيا."([10])

وكتب إدوارد بدين حول نشاط الترجمة إلى الألمانية من اللغة العربية في سويسراً بأنه نشاط فاتر بالمقارنة مع ما يترجم إلى الإنجليزية أو الفرنسية عن الألمانية. ويرجع أسباب هذا الفتور إلى "قلة من يجيدون فهم الأدب العربي الحديث بعمقه اللغوي والاجتماعي والحضاري والسياسي، "... وكذلك يتساءل "هل لدى المترجم المقدرة اللغوية والعمق الحضاري ولو جزئياً بالنسبة للألمانية بحيث يتمكن من إيصال إنتاج الأدب العربي المترجم إلى جمهور القراء الألمان بشكل سائغ وجميل ومفهوم.." وهو كذلك يرى أن المشكلة الثالثة تكمن في أن دور النشر التي تهتم بالأدب العربي عددها قليل، وعدد الكتب التي تستطيع نشرها محدد جداً بالإضافة إلى قلة عدد المشترين مما يرفع تكلفة الكتاب ولا يجعله مرغوباً.([11])

ورغم كل هذه الآراء بأن الترجمة محدودة وأن الاهتمام قليل لكن هناك من يرى أن الاهتمام يتزايد ومن هؤلاء محمد أحمد حمدون حيث يقول "إن الاهتمام يتزايد عند المعاصرين من المستشرقين بالأدب الحديث، وقضايا العالم العربي، وفيما يتعلق بالأدب العربي الحديث فإن الترجمة في كتب مستقلة وفي الدوريات (رغم كثرتها) أخذة في الزيادة حيث ترجمت أعمال لأكثر المؤلفين العرب في معظم اللغات الأوروبية.([12]) ويبدو لي أن هذا الرأي متفائل جداً فالواقع لا يؤيد ذلك بل إن الاهتمام الغربي انتقائي وقليل بالنسبة لما يصدر في العالم العربي ولذلك أسبابه التي ذكرنا بعضها آنفاً.

ومن نماذج الاهتمام المتحيز ضد الأدب العربي ما كتبه ريجيس بلاشير زاعماً أن الأدب العربي يفتقد عموماً إلى الإبداع والعبقرية وان "الفعالية الأدبية، في أدوار عدة، بل في الأدوار الهامة تظل جماعية بمعزل عن كل خلق فردي حقاً، وإذا ما اتفق أن وجدنا خلافاً لذلك فإننا لا نلبث إذا أمعنا النظر أن ندرك أن الظاهرة حركة تجديد أوجدتها فئة أو جماعة أدبية أو هي صفة خاصة إقليمية .... وعلى الجملة فالأدب العربي – وقد نلحق به آداب الشرق الأدنى– لم يعرف إلاّ في ومضات خاطفة، تلك الحاجة المرهقة الخصبة للتجديد، والتميز، والتعارض 000"([13])

وقد كفانا محمد العزب مؤونة الرد على بلاشير في مقالة أكد فيها حقيقة وجود الإبداع والعبقرية في الأدب العربي على مر العصور ،ولم يكتف بما كتبه النقاد المسلمون منذ القديم ولكنه رجع إلى بعض ما كتبه كارل بروكلمان في هذا المجال. وقدم نماذج من الشعراء المسلمين على مر العصور ([14]). ولكن ألا يمكن أن يكون هذا الرأي الذي قال به بلاشير إنما ينطلق من النظرة الاستعلائية التي تطبع الغرب عموماً فلا يرون عبقرية إلاّ عبقريتهم أو عبقرية من كان مقلداً لهم.

وقد كان للمستشرقين الذين درّسوا في الجامعات المصرية وكذلك الطلاب الذين ابتعثوا إلى الغرب لدراسة الأدب العربي على أيدي المستشرقين دور في تأثر البعض في إفساد "الذائقة الأدبية" كما يقول الأستاذ محمود شاكر –رحمه الله– وهو ما عانى منه طيلة حياته وظهر واضحاً في معاركه الأدبية المتعددة ومنها على سبيل المثال مع لويس عوض التي نجد تفاصيلها في كتابه (أباطيل وأسمار) ومع طه حسين رحمه الله في كتابه المتنبي ورده على طه حسين في قضية الشعر الجاهلي ونظرية الانتحال.([15])

ولا يمكننا أن نطلب من الغير أن يهتم بأدبنا الحديث ولكننا نرى أن هذا الاهتمام يميل إلى التركيز على جوانب معينة من أدبنا العربي فهذه مستشرقة تؤكد أن الاستشراق الألماني ما زال مهتماً بقصص ألف ليلة وليلة حين تقول "لا يوجد أثر أدبي ينتمي إلى الشرق كان له التأثير الذي خلفته حكايات ألف ليلة وليلة منذ ترجمتها عام 1706م على الآداب الأوروبية بما فيها الأدب الألماني."([16]) ولكنها تضيف في اللقاء نفسه بأنها مهتمة أيضاً بالأدب الحديث وتسوق لذلك مبرراً هو أن الأدب "يشكل في اعتقادي أحد أفضل السبل للتقارب بين الشعوب، لأننا نستطيع أن نتلمس من خلال ما ينتجه شعب من أدب ملامح الوجه الحقيقي لهذا الشعب.([17])

وقد كان البعض يرى أن فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل للآداب عام 1988م(1408هـ) لم يؤد إلى زيادة الاهتمام بالأدب العربي الحديث، لكن محفوظ نفسه نال اهتماماً كبيراً في هذه الفترة والتي تلتها، ولكن هذا لم ينعكس على الأدب العربي عموماً([18])

المحور الثاني

ولعل من المعلوم أسباب الاهتمام بنجيب محفوظ فإن اللجنة التي منحت له الجائزة ذكرت في المبررات تأثره بالفكر الغربي وبخاصة ماركس وفرويد ودارون .ويقول في ذلك أحمد أبو زيد "لا غرابة أيضاً أن يهتم بها [أولاد حارتنا] دارسو الأدب العربي من الأجانب والمستشرقين اهتماماً خاصاًً ويفردون لها جانباً بارزاً من دراساتهم عن نجيب محفوظ . فقد وجدوا فيه ضالتهم وأدركوا أنها قصة تحطم كل ما هو مقدس من الأديان والرسل والكتب والغيبيات"([19]). وأدى هذا التأثر إلى أن امتلأت قصص نجيب محفوظ ورواياته بالدعوة إلى القيم الهابطة والفساد ومن ذلك الدعوة إلى اللهو والطرب، والسخرية من الحياء وزعمه أن الحياء موضة قديمة، واحتفائه بالمومسات والتعدي الصارخ على الدين .

ويلخص أحمد أبو زيد ذلك في قوله "ومعنى هذا فساد الوجهة في مخطط نجيب محفوظ القصصي كله الذي يروج فيه الشك والسخرية والاستهانة بالقيم والاستهزاء بالمقدسات، وليست إذن رواية أولاد حارتنا هي وحدها الحاملة للسم، ولكن الكاتب نفسه الذي يتخفى وراء مظهر أنيق وعبارات صحفية مرتبه وكلمات براقة هو في داخل قصص نتن عجيب وقذارة وفساد يجب أن يعرفه كل من يسأل عنه"([20])

ويؤكد هذا الأمر –وإن كان لا يحتاج إلى تأكيد– "أن نجيب محفوظ عرف لدى 'الأصوليين' بأنه يعلّم الجنس كما في رواية 'في مقهى علي بابا' وفي رأي إسلاميين آخرين يعد محفوظ معادياً للإسلام لمدة تزيد على ستين سنة"([21]) وكأن طول إقامة صالح الطعمة بين ظهراني القوم ورغبته في أن يتقبلوا آراءه استخدم مصطلح الأصوليين ومعاداتهم لنجيب محفوظ ،ثم كيف استطاع أن يقسم المسلمين إلى أصوليين وإسلاميين؟ وكان ينبغي أن يقول إن أي مسلم يجب أن يعادي كتابات نجيب محفوظ لما فيها من جرأة على القيم الإسلامية والمقدسات والأنبياء والرسل. وما زلت أذكر قراءاتي لنجيب محفوظ منذ أكثر من ثلاثين سنة أنه كان يسخر دائماً من أي إنسان يميل إلى التدين، كما كان يتقن وصف مشاهد الانحراف في روايات مثل "ثرثرة فوق النيل".

ويضيف صالح طعمة سبباً آخر للاهتمام بنجيب محفوظ وهو آراء محفوظ (حول السلام) وإن كان طعمة ينتقد هذه المبررات للافتتان بنجيب محفوظ وبالتالي بالأدب العربي المعاصر، ويضيف بأن هذا الأمر "يروج لانطباعات متحيزة وتشويهات للمجتمع المصري والعالم العربي أو الإسلام."([22])

ويحسب للطعمة أنه قدم رصداً مصدرياً لما كتب وما ترجم لنجيب محفوظ في اللغة الإنجليزية وفي الولايات المتحدة فقط فذكر أن أول ترجمة لنجيب محفوظ كان في عام 1960م في جامعة إنديانا من قبل ترفير لوجاسك Trever Le Gassick .وترجمت روايته زقاق المدق في بيروت عام 1963م من قبل المترجم نفسه. كما قام لوجاسك بتدريس بعض المواد الجامعية عن هذه الرواية وعرّف في دروسه بنجيب محفوظ وكتب دراسة عن الثلاثية نشرت عام 1963م وهو العام الذي بدأ فيه تدريسه واستمر حتى عام 1966م.([23])

واستمر هذا الاهتمام بنجيب محفوظ ومن ذلك مثلاً أن قدمت محاضرة في النشاطات العلمية لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفرد بعنوان "الزعبلاوي: الجانب الخفي في ثلاثية القاهرة لنجيب محفوظ وقدمت المحاضرة نادين جورديمار Nadine Gordimer وذلك في 2نوفمبر 1994م.

وبمناسبة الأفكار التي تروق الفرنسيين فلا بد من ذكر الجائزة التي تقدمها أكاديمية الكونكور الفرنسية لما يسمى "أدب" الوقاحة. ففي عام 1412هـ (1992م) قدمت هذه الهيئة جائزتين لكاتبين مغربيين، ويطلق على الجائزة جائزة أطلس. وهذان الفائزان هما سامي أمالي وبريل سعيد، وذكر الخبر أن السفارة الفرنسية في الرباط أقامت حفلاً لتكريم هذين الكاتبين ودعت الدول العربية لتكريمهما، وقد طالب أحدهما أبناء وطنه أن يهبوا لتكريمه مثلما فعل الفرنسيون. أما ما كتباه فلا يخرج عن الدعوة إلى الخنا والفجور والعربدة والدعارة والدياثة.([24])

وفي هذا الإطار تهتم الدوائر الاستشراقية بكتّاب من أمثال محمد شكري ففي سلسلة محاضرات ينظمها معهد الفنون المعاصرة Institute of Contemporary Arts* بعنوان (أخبار من الشرق) ألقى محمد شكرى محاضرة في 22 سبتمبر 1992م.([25]) ومحمد شكري أصبح مهماً في الأدب العربي عند الباحثين الغربيين

وعند بعض الحداثيين. ومن أهميته عند الغربيين أن النشرة التي أعلنت هذا النشاط ذكرت أنه من أبرز الشخصيات الأدبية في المغرب. وجاء في تعريفه أيضاً أنه صاحب كتاب الخبز الحافي الذي يحكي حياته في شوارع طنجة، وقد أعاد شكري كتابة مذكراته التي ترجمت إلى ثلاث عشرة لغة، ولكنها ممنوعة في معظم البلاد العربية. ويشير الإعلان إلى أن شكري سوف ينشر الجزء الثاني من مذكراته قريباً.(**) كما أن طالبة اسمها ساندرا ميلبورن Sandra Milburn تدرس في جامعة برنستون تعد رسالة دكتوراه بعنوان الأدب المغربي الحديث: محمد شكري "عام 1994-1995م.

وقد صدر حديثاً كتاباً لعاصم حمدان بعنوان دراسة مقارنة بين الأدبين العربي والغربي تناول فيه قضية محمد شكري واهتمام الإعلام العربي وبعض الدوائر الاستشراقية به رغم أنه لا ينطبق عليه وصف أدب بأي معايير فانبرى أحد كتاب إحدى الصحف المحلية يدافع عن محمد شكري. ولا يمكن أن يكون الكاتب منفرداً بالإشادة والدفاع عن محمد شكري فلا بد أن يكون المشرف على الصفحة الأدبية ومن وراءه من جنود الحداثة خلف مثل هذا الهجوم غير المهذب. وهنا يمكننا التأكيد أن الاستشراق قد أدى دوره في ترويج أسماء وأفكار ونماذج من الكتابات.([26])

المحور الثالث

لغة الكتابة والشعر الحر

ومن الجوانب الأخرى التي يهتم بها الغالبية العظمى من المستشرقين في الأدب العربي الحديث فهو اهتمامهم بمن يكتبون أدباً في اللغات الأوروبية وهؤلاء يطلق عليهم عبد الله الركيبي (المرضي عنهم) ويقول عنهم "أما أولئك (المرضي عنهم) فهم الذين يعيشون عصرهم ويستحقون التكريم والتنويه بإنتاجهم، نلمس هذا في الضجة التي أثاروها حول ما كتبه الطاهر بن جلون الذي يصرح بأن الفرنسية هي التي تعبر عنه وعن إحساسه، فانهالت عليه الجوائز الأدبية ومثل الجزائري "عبّه" الذي ذهب به حب الفرنسية والدفاع عنها إلى حد بعيد إذ رصد جائزة من ماله الخاص لمن يكتب عملاً أدبياً متميزاً بهذه اللغة.."([27])

وفي مقابل هذا الاهتمام فهناك إهمال أو حتى عداوة لمن يتحول عن الكتابة من الفرنسية إلى العربية أو إذا خالف أفكارهم ويذكر الركيبي من هؤلاء مالك حداد الذي لا يكاد يذكر اسمه عندنا إلاّ نادراً أما في الضفة الأخرى فلا يكاد يذكر اسمه إطلاقاً لسبب معروف وهو دفاعه عن العربية ورفضه الكتابة بالفرنسية بعد الاستقلال في حين أن غيره يشيدون به محلياً وفرنسياً مثل كاتب ياسين ومولود معمري وبن جلون وغيرهم. ويستشهد ركيبي بما كتبه رشيد بوجدرة بأن الفرنسيين يشجعون الكتابة الفرنسية لأن هؤلاء يكتبون نصوصاً سياسية تروق الفرنسيين وتروج أفكارهم، "وبعضهم الآخر يكتب القصة بطريقة فنية جميلة تحمل أفكاراً غربية وموجهة أساساً للاستهلاك الغربي."([28])

العامية والدعوة إليها

من القضايا التي اهتم بها الاستشراق استخدام الكتاب العربي اللغة الفصحى في الإبداع الأدبي سواء كانت قصة أم رواية أم مسرحية. وقد جعلوا هذه القضية من القضايا التي أولوها اهتماماً كبيراً. وقد ناقش أحمد سمايلوفيتش هذه القضية في كتابه فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي الحديث وأكد من أنها من أخطر الهجمات التي تعرضت لها اللغة العربية، ونقل عن عثمان أمين قوله "إن حملاتّ التغريبّ التي شنها النفوذ الغربي وأعوانه في آسيا وأفريقيا مصوباً هجماته إلى التراث العربي الإسلامي بوجه عام و إلى اللغة العربية بوجه خاص." ([29])

وهذا الأمر قد أصبح واقعاً في الجامعات الغربية فمن العجيب أن يكتب أحمد نظمي بأن الجامعات الغربية تنوي إنشاء كراس للهجات العامية، فهي قد فعلت ذلك بالفعل، وقد أنشأت معاهد الخدمة الخارجية في بعض البلاد العربية لتدريس موظفيها اللهجات المحلية ومنها معهد الخدمة الخارجية في تونس الذي يقدم دورات في اللغة المحكية التونسية، وقد درس في هذا المعهد نائب رئيس مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة بيركلي لورانس ميشيلاك Laurence O. Michalak فهو قد لا يستطيع فهم الفصحى لكنه يفهم العامية التونسية أفضل مما يفهمها عربي من الجزيرة. وقد التقيته في مكتبه بجامعة بيركلي فذكر لي بعض المعلومات عن العامية التونسية وأخذها بعض الكلمات الفرنسية وإدخالها إلى الاستعمال اليومي وتطبيق

بعض قواعد اللغة العربية عليها في الجمع والتأنيث والتذكير وغير ذلك. ولا شك أن هذه المعرفة العميقة بالعامية تحتاج من الباحث أن يعيش فترة من الزمن حتى يصل إليها.([30]) وقد علمت أن إحدى الجامعات الأمريكية قدمت لأحد أساتذة اللغة العربية فرصة العمل أستاذا زائراً بإحدى الجامعات السعودية لتدريس اللهجة المكيّة بخاصة أو اللهجة الحجازية عموماً، وقد قبل الدعوة.

وتأكيداً لهذا الاهتمام فقد بدأت الجامعات في نشر كتب نحو متخصصة في اللهجات وقواميس خاصة بكل لهجة من العربية إلى الإنجليزية وبالعكس ومن ذلك ما نشرته جامعة جورج تاون حديثاً ومنها هذه الكتب:

1- مرجع في قواعد اللغة العربية السورية تأليف مارك كوول Mark W. Cowell . وجاء في تعريف الكتاب أنه يصلح للطلاب المبتدئين في اللغة ومرشداً في هذه اللهجة للمتخصصين في اللغة العربية وفي اللسانيات.

2- مرجع موجز لقواعد العربية المغربية: تأليف ريتشارد هارل Richard S. Harrel وهذا مرجع عملي للطالب الذي حصل على مبادئ العربية المغربية.

3- قاموس العربية العراقية(عربي –-إنجليزي) تحرير وودهيد ووين بين D.R. Woodhead and Wayne Beene و وآخر (إنجليزي- عربي) كلاراتي وكارل ستوواسر ورونالد وولف. B..E. Clarity, Carl Stowasser. And Ronald G. Wolf. . وهناك قاموس أيضاً للعربية السورية.(*)

ويقول أحمد نظمي محمد إنّ "بعض الجامعات الغربية باشرت في تدريس اللهجات في أقسامها واعتمدت لذلك الحرف اللاتيني كما فعلت الجامعة الأمريكية في القاهرة وبيروت، وفي الوقت الحالي أدخلت هذه الطريقة في كثير من معاهد الاستشراق الأوروبية إن لم يكن أغلبها، بل أصبح تدريس اللهجات العربية يستحوذ على ساعات مساوية للساعات المخصصة لتدريس العربية الكلاسيكية كما تدعى لديهم ولاسيما في معاهد أوروبا الغربية."([31])

ومن الاهتمام بالعامية الدراسات التي ما تزال تصدر عن الجامعات الغربية ودور النشر هناك حول العامية، ومن ذلك مثلاً الكتاب الذي شارك فيه الأستاذ الزائر

بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية (جامعة لندن) صبري حافظ عن القصة القصيرة العربية واللغة العامية وصدر عام 1995م.([32])

الاهتمام بالشعر الحر أو المرسل

ومن الجوانب التي يهتم بها الاستشراق الحديث ما يطلق عليه الشعر الحر أو المرسل أو المنثور ويقول في ذلك صالح طعمة "لوحظ في السنوات الأخيرة إقبال متزايد على ترجمة ما نسميه ب ’الشعر الحر‘ بفضل الحضور أو الإسهام العربي في الغرب فتعددت الأعمال المترجمة لأمثال أدونيس (علي أحمد سعيد) وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي ومحمود درويش وصلاح عبد الصبور."([33]). وقد لاحظ هذا الأمر أحمد سمايلوفيتش منذ أكثر من خمس وعشرين سنة، حيث ذكر عدداً من الدراسات الاستشراقية حول الشعر العربي المعاصر واستنتج قائلاً "وهذا مما يدل على اهتمام الاستشراق البالغ بهذين الاتجاهين الرئيسين (الشعر المرسل والشعر الحر) في الشعر العربي المعاصر وتتبع الاستشراق المستمر له."([34])

وهذا الاهتمام هو الذي قاد إلى تقديم أدونيس في المحافل الدولية وترجمة شعره حتى أنّ جهاد فاضل كتب يتعجب من كثرة ترجمات أدونيس إلى اللغات الأوروبية في حين أنه بحاجة إلى أن يترجم إلى اللغة العربية ليفهمه العرب أولاً "فالحاجة ماسة أولاً إلى ترجمة شعره إلى اللغة العربية قبل ترجمته إلى اللغات الأجنبية لاستعصائه حتى على النخبة المثقفة كأنه يتقصد وهو يكتب شعره ألاّ يفهمه أحد من القراء. "ويضيف بالنسبة لكثرة ترجمات أدونيس قائلاً "إذ لا ينقضي شهر من الشهور إلاّ ويصدر ’إعلان‘ أو خبر في الصفحات الثقافية يحمل إلى القراء العرب بشرى ترجمة ديوانه هذا أو ذاك إلى اللغة الفلانية ...كأن أدونيس يقول لهؤلاء إذا كنتم رفضتموني، فقد قبلني العالم، انظروا إلى تهافت العالم على قراءة شعري "[35]

وقد عرّفت باحثة أمريكية مهتمة بالأدب العربي أدونيس بأنه "الشاعر المشهور عالمياً والذي يعيش بين بيروت وباريس." ([36])

ولم يقتصر الاهتمام بأدونيس على الغربيين فإن من أبناء جلدتنا المتحدثين بلساننا قد جعلوا كتاب أدونيس –كما يرى الدكتور عاصم حمدان– الثابت والمتحول ’دستوراً لهم‘ لا ينقل من ثقافة الغرب وفلسفته سوى النفايات الفكرية التي تخلص منها أهلها

وذووها منذ زمن، ثم يأتي أدونيس ويلبسها ثوباً جديداً من فكره الضال ليقوم بتسويقها في مجتمعاتنا، وما أكثر ذوي العقول المنحرفة الذين يجدون في أقواله بضاعة يتباهون بها بين قومهم، وما أفسدها من بضاعة."([37])

وبلغ من اهتمامهم بأدونيس أنه من المرشحين عند القوم لنيل جائزة نوبل، ومنذ نيل نجيب محفوظ والصحافة الحداثية التي تتلقى الوحي من الغرب تنتظر أن ينالها أدونيس أما من الغربيين الذين يرون أن أدونيس جدير بالجائزة روجر ألن Roger Allen فيما ذكره في مقالة له بعنوان 'الأدب العربي وجائزة نوبل'.([38])

ولعل أدونيس أدرك أن تأييد السلام والتطبيع مع إسرائيل سيأتي له بالجائزة فقد أعلن قبوله للتطبيع مع إسرائيل في المؤتمر الذي أقامته اليونسكو في غرناطة تحت عنوان (ما بعد السلام) وكان من جراء هذه الدعوة أن طرد من اتحاد الكتاب العرب.([39])

ومن الأسماء الحداثية التي تهتم بها المراكز الاستشراقية محمود درويش ففي المؤتمر الذي عقد في بودابست حول الأدب العربي كان من بين المحاور محور 'تجديد لغة الشعر الحديث' والحديث عن الارستقراطية اللغوية للشعر الرسمي الكلاسيكي. وكان من بين المتحدثين ساسون سوميخ أستاذ الأدب العربي ورئيس معهد اللغات بجامعة تل أبيب. وقد أشار في محاضرته إلى أن الشعر قد أصبح منفتحاً بسبب التأثيرات اللغوية الشعبية والعامية وقدم من الأمثلة على ذلك محمود دوريش وصلاح عبد الصبور ومظفر النواب.

ومحمود درويش يقحم في شعره الرموز النصرانية حتى إنها أزعجت كاتبا يومياً في إحدى الصحف الصادرة في لندن فكتب يتهم درويش وأمثاله بالتظاهر بخلفية نصرانية وأن درويش كان عينة لهذه الفئة، ومن العبارات التي وردت في شعره 'مطر فوق برج الكنيسة' وهللويا !هللويا، وأيقونات الكنائس، وخاتم العذراء وغيرها. ويقول خالد قشطيني "هذه التفاتة مقبولة لو أنها كانت ترمي إلى تجسيم التلاحم بين المسيحيين والمسلمين في عالمنا العربي وإظهار أن التراث المسيحي هو أيضاً جزء من تراثنا... بيد أن الغرض ليس كما يبدو لي، الغرض هو الظهور بالتفرنج والاستغراب والعصرنة، وهذا شيء مقيت."([40])

ومما يمكننا إلحاقه بهذا الاهتمام بالأدب الاهتمام بجرجي زيدان والذين يكتبون الرواية التاريخية بهدف تشويه التاريخ الإسلامي وتحريفه. وقد كان اهتمام الاستشراق بجرجي حيث كان صديقاً لبعض هؤلاء المستشرقين مثل كرنيليوس فانديك أول رئيس للجامعة الأمريكية في بيروت، بالإضافة إلى صداقته لنولدكه وفلهاوزن ومارجليوث وجولدزيهر وغيرهم. فقد كانت بينه وبين هؤلاء مراسلات مستمرة، كما كانت دار الهلال مقراً للمستشرقين الزائرين لمصر. وعرف عن جرجي زيدان ارتباطه أيضاً بالمخابرات الإنجليزية، وعن رواياته يقول شوقي أبو خليل "يواجه تاريخنا العربي وأعلامه محاولة مدروسة دقيقة لتزييفه وإفساده، وتمييع قيمه ومثله، وهي محاولة لم نشهد أخطر من سمومها وطعناتها ودسائسها، كل ذلك في عرض روائي جذاب شيق هدفه طرح أرضية تاريخية وفكرة واسعة لإثارة الشبهات حول تاريخنا وتراثنا وآدابنا ورجالاتنا"[41]

وقد نوقشت رسالة دكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام 1409هـ للدكتور عبد الرحمن العشماوي عن الرواية التاريخية عند جرجي زيدان.([42]) كما اطلعت على رسالة دكتوراه قدمت لجامعة برنستون حول جرجي زيدان على أنه من أعمدة النهضة العربية المعاصرة. وفي استطلاع لإحدى الصحف العربية التي تصدر في الخارج كان السؤال عن أبرز الكتب التي كان لها تأثير كبير في القرن الماضي في العالم العربي فأجاب البعض بأن كتب جرجي زيدان من بين تلك الكتب التي أثرت تأثيراً كبيراً في النهضة الفكرية. ([43])

المحور الرابع

الاهتمام بنماذج من الأديبات والأدباء العرب.

1- النساء الأديبات

نالت المرأة الأديبة العربية اهتماماً واسعاً في الدراسات الاستشراقية وبخاصة تلك المرأة التي تأثرت بالفكر الغربي وتبنت قضايا معينة من مثل تحرير المرأة والعلاقة بين الرجل والمرأة وغيرها من القضايا .

فقد حصلت الباحثة الأمريكية مريام كوك Meriam Cooke على منحة من مؤسسة فلبرايت للسفر إلى سوريا للإعداد لندوة حول نساء سوريا فاختارت أن تجعل

نـدوتها عـن الكاتبـات السـوريات وقـد عقـدت عـدة حلقـات للحـديث مـع الكاتبـات السوريات. وقد قدمت معلومـات عن بعض الكاتبات وبخاصـة اللاتـي أخذن بـالقيم الغربيـة ودعـون إلـى مـا يسـمي ’تحريـر المـرأة‘ وقـد بـدأت بالحـديث عـن المنتـديات الثقافية وأثرها في خروج المرأة السورية واختلاطها بالرجال وكان من هذه الحلقات:

1- حلقة الزهراء بدأت عام 1942 وكانت أول حلقة تجمع بين الرجال والنساء وهي الحلقة التي ظهرت فيها الكاتبة ألفت الأدلبي سافرة.

2- الجمعية الثقافية ، تأسست أيضاً عام 1942 وكان لها لقاء كل يوم ثلاثاء.

3- الصالون العربي بدأ في التسعينيات .

ومن الكاتبات السوريات اللاتي تحدثت عنهن:

أ-كوليـت خـوري، ولـدت عـام 1937م، ولهـا عـدد مـن الروايـات منهـا "أيـام معـه"(1959م) التـي تصـفها الباحثـة الأمريكيـة بأنهـا "هـزت العـالم العربـي حينـذاك لصراحتها في الحديث عن المرأة والجنس" وقد نشرت بعد سنتين رواية أخرى بعنوان "ليلـة واحدة" (1961م) تحدثت فيها عن العلاقـة الجنسية بين الرجل والمرأة وتـدور أحداث القصـة عن امرأة لم يكن زوجها قادراً علـى إشباعها جنسيا أو عاطفيـاً ممـا يجعلها تبحث عن الإشباع خارج الزواج.([44]) ولو أنها عرفت الأدب النبوي فإن امـرأة اشـتكت إلـىe من زوجهـا فكانـت عبارتها بأسلوب مهذب لم تـزد علـى خمـس كلمات "إنما معه مثل هدبة الثوب" فخالعها زوجها دون أن يصبح من ذلك قصـة أو رواية أو حديثاً. ولكن عندما تراجع تطبيق الإسلام أصبحت مثل هذه الأمور تشجع الحديث عن اضطهاد المرأة وأن المجتمعات العربيـة تسمح للرجل من الحريـة أكثـر مما تمنح للمرأة.

ب-ملاحة الخاني (1934م): تكتب القصة القصيرة وقد صدر لها أربع مجموعات قصصية منها (كيف نشتري الشمس (1978م) و(العربـة بـلا جواد) (1981م) وتقول مريام إنّ الخـاني أيضاً تفرض علـى المجتمع إعادة النظر في مسألة الحياة الجنسية للمـرأة كمـا فعلـت خـوري مـن قبـل. وأشـارت بالتفصـيل إلـى روايتهـا بعنـوان (تـودد) (1987م) التـي تحكـي قصـة زوجـة مهندس أصيب بالشلل نتيجـة انفجـار لغم وعجزه الجنسي فما ذا ستفعل المرأة التي عليها أن تكبت غريزتها من أجل العيش مع رجل

فقد الرغبة في المرأة. وتنقد المجتمع بأن الأمر لو كان العكس لأغمض عينيه عن سلوكه.([45])

جـ- هدى النعماني: شاعرة وفنّانة، تعيش في بيروت وقد كتبت خلال الحرب اللبنانية قصيدة "أذكر كنت دائرة" عام (1992م) وترجمت إلى الإنجليزية عام (1994م). ولها قصيدة أخرى بعنوان (هدى...أنا الحق) تتحدث فيها عن علاقتها بإله وليس إله المسلمين ولكنه روح شخصية عميقة كونية.

د- ناديه خست (1935م) نشرت عدداً من المجموعات القصصية منها (أحب الشام) (1967م) وهي قصص عاطفية تركز على وطنية المرأة وتلمح إلى قضاياها الجنسية. ثم نشرت رواية طويلة بعنوان (حب في بلاد الشام)(1996م). وقد ذكرت الكاتبة الأمريكية موقف خست من طرد أدونيس من رابطة الكتاب العرب بسبب موقفه من التطبيع وإصرارها على ذلك .

ومن الكاتبات اللاتي التقت في سوريا الكاتبة هدى الغزي التي تعمل محامية وتهتم بالقضايا الجنائية الخاصة بالمرأة ولذلك تأتي قصصها من الواقع ولها عدة قصص منها (هنّ) (1993م) و(العنبر رقم 6).

ورغم أن الكاتبات السوريات اللاتي يتمسكن بالقيم الإسلامية والمسلمات في كتاباتهن غير معروفات عموماً فإنني عرفت عن وجود كاتبات مثل هدى اللحام، وأم حسّان الحلو وإن كانت الأخيرة نشرت معظم إنتاجها في المملكة العربية السعودية لأنها عاشت في المدينة المنورة سنوات عديدة.

وتهتم رابطة دراسات النساء في الشرق الأوسط بالكاتبات والأديبات العربيات فمن هؤلاء حنان الشيخ التي كانت ضيفة الشرف أو المؤلفة الضيفة في الاجتماع السنوي للرابطة على هامش المؤتمر السنوي لرابطة دراسات الشرق الأوسط الأمريكية. وقد قدمت رابطة المرأة في نشرتها عرضاً لكتاب حنان الشيخ (قصص حياتي) وتتحدث الترك في هذا الكتاب عن الحركة والولادة من جديد، وعن المغادرة، وعن الانطلاق. وتتحدث حنان في كتابها عن الهروب من كل من الأسرة، ومن المألوف ومن الوطن ومن الماضي، ومن المسلمات. وتقول عن نفسها "لقد توقفت عن تناول الطعام الذي كبرت وأنا أحبه، غيرت لهجتي، تجاهلت بعض أقاربي وحتى أبي تجاهلته في

الشارع، لبست السواد وتركت شعري مسدولاً ودخنت سجائر الجلواز (سجائر فرنسية) ورددت عبارات مثل هل أنا موجودة؟ هل أتنفس؟" ([46]) وتقول عن نفسها بأنها في عالمها لا يوجد هوية متجانسة ولا يوجد مسلمات أدبية ولا حدود معروفة ولا يوجد أيديولوجية مريحة وتتحول الكتابة إلى منقذ."([47])

والاهتمام بالأديبات العربيات يتخذ شكل إصدار الكتب والدراسات حولهن وإبراز النماذج المتغربة فهذه فدوى ملطي–دوجلاس تصدر كتاباً بعنوان (رجال، نساء وإله 'آلهة') عن دار نشر جامعة بيركلي بكاليفورنيا عام 1995م تنتقد فيه الذين هاجموا نوال السعداوي بأنهم "يقرأون التفاصيل ولا ينظرون إليها نظرة شاملة." وتضيف إيفيلين عقاد بأن كتاب فدوي يمنح السعداوي الاعتراف الذي تستحقه وكذلك الفهم الدقيق الذي لم تحصل عليه منذ زمن."([48])

وقد سعت رابطة دراسات نساء الشرق الأوسط الأمريكية بالتعاون مع بعض الجمعيات النسائية المصرية إلى تخصيص قسم لكتب النساء في معرض القاهرة الدولي قبل سنتين وكان لبعض الأمريكيات العاملات في الرابطة لقاءات مع بعض الكاتبات العربيات ومنهن مثلاً فوزية أبو خالد وتقول كاتبة التقرير عن المعرض" تحدثت إلى فوزية أبو خالد – الشاعرة السعودية عن عملها الذي يعد طليعياً في الشكل وصريحاً في المضمون حتى إنها طردت من التدريس في كلية البنات في إحدى الجامعات السعودية، وتقول فوزية "مازلت في الجامعة ولكن في قسم تطوير المناهج، وبالطبع ما زلت مستمرة في الكتابة بالرغم من أن معظم ما اكتب لا ينشر في بلدي"([49])

وشاركت الأديبات العربيات في إلقاء المحاضرات والندوات في المؤسسات الغربية التي قد لا تبدو استشراقية فهذا معهد الفنون الجميلة المعاصر يدعو بعض هذه الكاتبات لإلقاء المحاضرات ومنهن:

1- نوال السعداوي وعرفتها النشرة بأنها "إحدى رائدات الحركة النسوية في العالم العربي، سجنت عام 1981م لكتاباتها في مصر، وأطلق سراحها بعد مقتل السادات" وكانت محاضرتها في 24سبتمبر 1992م.

2- آسيا جبار وحنان الشيخ و أندريه شديد وماري كاردينال Marie Cardinal في ندوة لمناقشة وضع المرأة في العالم العربي وعلاقة الرجل بالمرأة والمواقف العميقة للجنس والأوضاع النفسية للمجتمع المسلم.

3- سلمى الخضراء الجيوشي: ألقيت بعض المحاضرات على هامش معرض القاهرة الدولي للكتاب وكان الخطاب الافتتاحي من نصيب الدكتورة الجيوشي الذي أكدت فيه "أن أحد الأمور الإيجابية التي حدثت في العالم العربي هو ظهور المرأة في جميع المجالات وبخاصة في مجال الأدب" ومن النشاطات التي أقيمت تقديم جواز للأديبات العربيات وقد فازت أحلام مستغانمي بالجائزة الثانية على كتابها (ذكريات الجسد) وقد تحدثت المستغانمي قائلة "يجب أن نتكلم فالسكوت أمر فظيع، يجب أن نخاف من السكوت."(50)

4- المستشرقة البولندية باربرا ميخيلاك أعدّت دراسة جادة هي رسالتها لنيل درجة الدكتوراه حول بعض الأديبات العربية، فقد كانت رسالتها للدكتوراه حول كتابات الأديبة الكويتية ليلي العثمان (تظهر في المجلات بكل الأصباغ) في جامعة بولندا ، وقد قدمت بحثاً في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في لوفان البلجيكية عام 1995 عن كتابين للأديبة ثريا البقصمي هما (شموع السراديب) و(رحيل النوافذ) بالإضافة إلى مذكرات فطومة. وهي تعد الآن دراسة عن الشاعرة سعاد الصباح وسيكون عنوان بحثها هو عنوان أحد كتب سعاد الصباح في البدء كانت الأنثى ([51)

5- حنان الشيخ من الأديبات اللاتي عشن زمناً في الغرب وبخاصة في بريطانيا حيث كتبت باللغة الإنجليزية أيضاً ولها مسرحية أدتها إحدى الفرق الإنجليزية وكانت أول كاتبة عربية يقوم الإنجليز بأداء مسرحية من تأليفها. وقد ذكرت جريدة "الحياة" أن التلفزيون البلجيكي يصور برنامجاً عنها وعن كتابها بريد بيروت ولها قصص أخرى منها اكنسي الشمس عن السطوح وأما مسرحيتها التي مثلت في لندن فتتحدث عن فتاة عربية اسمها عائشة اختارت الهجرة بعد أن رأت صديقاتها يهاجرن إلى أوروبا وينعمن بالحياة فيها لأن أوروبا في نظرهن هي الخلاص من أي شيء يمكن للإنسان أن يفكر فيه كالاضطهاد والفقر والكبت والخوف ..وتتزوج عائشة من إنجليزي شاذ. [52]

ومن صور اهتمام الاستشراق بنماذج من الأديبات العربيات ما تفعله الإذاعات الموجهة ومنها هيئة الإذاعة البريطانية فقد عرضت ذات مرة كتاباً لكاتبة أمريكية عنوانه (ثمن الشرف) وللتعليق على الكتاب استضافت نوال السعداوي للحديث عن الكتاب. ومن الكتب التي عرضتها مجموعة قصص للدكتورة أهداف سويف، وكانت إحدى القصص تتهم أصحاب الاتجاه الإسلامي بمحاربة تعليم المرأة واضطهادها، ومن البديهي أن القصة أو الرواية لو كانت تقدم الإسلام تقديماً صحيحاً لما نالت اهتمام المشرفين على هذه الإذاعة أو سواها من وسائل الإعلام الغربية. ولا شك أن مثل هذا الموضوع يحتاج إلى متابعة أكثر دقة.

الأدباء والنقاد العرب في الجامعات الغربية ومراكز البحوث

ومن صور الاهتمام الاستشراقي بالأدب العربي الحديث دعوة بعض رموز هذا الأدب الذين يروقونهم لإلقاء المحاضرات في المنتديات الأدبية في الغرب وللتدريس في الجامعات هناك، وفيما يأتي نماذج لهذا الاهتمام:

1- مظفر النواب شاعر حداثي المكان معهد التربية بلندن، قدم قراءات من شعره بدعوة من النادي العربي البريطاني يوم الجمعة الرابع عشر من يوليو 1995 الساعة السابعة والنصف مساءً (95middle east events,July). وقد استضافته إذاعة لندن على هامش هذه الدعوة. وألقى في الإذاعة بعض أشعاره بالفصحى والعامية.

2- الطاهر وطار، محاضرة في جامعة لندن نظمتها جمعية الدراسات الجزائرية التابعة لمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن في يناير 1996م.

3- عبد الرحمن منيف وطارق علي لقاء معهما بتنظيم معهد الفنون الجميلة يوم 23 سبتمبر 1992م. وجاء التعريف بعبد الرحمن منيف بأنه كتبه ممنوعة في كثير من البلاد العربية، وقد حصل الكاتب على سمعة عالمية بسبب المجلدين الأوليين من روايته حول تاريخ الخليج (مدن الملح) و(الخندق) ومن المعروف أن المنيف يعيش في منفاه في سوريا.[54]

وقد شارك المنيف مع مارون بغدادي ودريوش شايجان وإدوار الخراط في ندوة بعنوان الأصالة الثقافية والهوية العربية بتنظيم المعهد نفسه. ويلاحظ أن الصلة الشخصية والفكرية بين أدباء هذا التيار والباحثين الغربيين قوية، كما أن الصحف التي تدعو

إلى العلمانية والفكر الغربي تفسح المجال واسعاً لهؤلاء. ويلاحظ أنهم يدعون دائماً إلى الانفتاح على الرأي الآخر ويدعون إلى قيم الحوار. ولكنهم سعوا إلى السيطرة على بعض منابر الرأي في البلاد العربية من صحف وأندية ثقافية فكرية ومنتديات فإذا ما تمت لهم السيطرة قلبوا لغيرهم ظهر المجن واستبدوا أيما استبداد. وكأنهم في زعمهم الرغبة في الحوار ليس في الحوار الداخلي الذي يدعو إلى التمسك بالهوية الإسلامية وإنما يقصدون الانفتاح على الغرب الأوروبي الذي بهرهم بنظرياته مع أنهم في الغالب عالة على فتات موائده الفكرية.

ومن المنابر الغربية التي تفتح لدعاة الشعر الحر أو النثر المزعوم أنه شعر إذاعة لندن في برامجها الإذاعية وفي مجلتها مجلة المشاهد السياسي، فهذه المجلة تهتم بعبد الوهاب البياتي وأحمد عبد المعطي الحجازي ، و إدوار خرّاط ، ومحمود درويش ،وغيرهم. كما قدمت المجلة على مدى عدة أعداد سجالاً حول ما يسمى " قصيدة النثر" ومهما ادعت المجلة من موضوعية تظل غالبية الآراء التي استطلعت أو أتيح لها المجال تنادي بأن هذا النوع من الكتابة لا بد أن يستمر وأن يبقى وسوف يأتي اليوم الذي يعترف به. إن مجرد جعل هذا الموضوع من الموضوعات السجالية يعطيه قيمة لا يستحقها.([55])

ومن مظاهر الاحتفاء بالمتغربين والمعادين للتيارات الإسلامية دعوة الجامعات الغربية لهؤلاء للعمل أساتذة زائرين لمدد مختلفة وقد يعرض على البعض أن يقيم هناك باستمرار. وهذا يذكرني بقصة الصحابي الجليل الذي كان من ضمن المخلفين الثلاثة عن عزوة تبوك وهو كعب بن مالك رضي الله عنه فعندما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمقاطعة هؤلاء واشتد أمر المقاطعة نفسياً عليهم وصلت رسالة من قيصر الروم إلى كعب يدعوه فيها إلى أن يترك المدينة المنورة ويلتحق بالقيصر فإنه سيجد عنده الحفاوة والسلوان . فما كان من هذا الصحابي الجليل إلا أن قال "وهذه من البلاء" وسجّر بها التنور. فياله من إيمان عميق هذا الذي يرفض هذه الدعوة من ملك إحدى القوتين الكبريين في العالم حينذاك ليتحمل آلام المقاطعة التي وصفها القرآن الكريم أبلغ وصف في قوله تعالى)وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقت

عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلاّ إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم(ء [56]

أما في عصرنا الحاضر فإن الذين ضعف إيمانهم وانبهروا بالغرب وكتبوا في بلادهم ما خالف عقيدتها وقيمها ومبادئها ومسلماتها ما أن تأتيهم الدعوة من الغرب حتى يهرولوا إلى هناك،(*) ومن هؤلاء الذين عرضت عليهم وظائف أستاذ زائر كل من كمال أبو ديب الذي أصبح يدرس الأدب العربي والنقد في جامعة لندن منذ عدة سنوات. وأبو ديب يقدم له التقرير السنوي لمركز دراسات الشرق الأدنى والأوسط بجامعة لندن بأنه: درّس في عدة جامعات منها أكسفورد وجامعة بنسلفانيا، وجامعة بيركلي، وصنعاء، وكولمبيا بمدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية([57]).فهل هذا التهافت على أبي ديب يدل على مدى حب الغربيين له أو مدى قناعتهم بالعلم العظيم الذي يملكه أبو ديب ولا يملكه غيره؟ أو لعله يدل على أمر آخر وهو عدم رغبة الغربيين في أن يكون لدى المسلمين باحثون مسلمون يعتزون بإسلامهم وهويتهم وشخصيتهم الإسلامية. بل هم –أي الغربيون– في الواقع يرمون إلى الرغبة الجامحة في كسر شوكة الإسلام عن طيق هؤلاء المرتدين وما يكتبونه من تراهات. ولن يفلحوا بإذن الله.

ونجد من المناسب هنا أن نقدم وجهة نظر قدمها أحد الباحثين التونسيين في مؤتمر عقد في تونس قبل تسع سنوات تقريبا تناول فيها منهج أبي ديب في دراسة التراث الشعري العربي قال فيه "والمطلع اطلاعاً سطحياً على دراسات أبي ديب التطبيقية قد يستهويه ما تتضمنه في بعض المواطن من رسوم بيانية وإشارات رمزية وعمليات إحصائية و مصطلحات فنية وإحالات على كتب منهجية غربية وخاصة منها (الانثرولوجيا الهيكلية، والني والمطبوخ، وكلاهما لليفي ستراوس.... لكن ما إن نتفحص دراساته حتى يسعى إلينا الشك في سلامة ما يقدمه إلينا من تحاليل من الوجهة المنهجية، ولا يلبث أن يتأكد ويستبد بنا الشعور بخيبة الظن 0000 ومن المهم أن الدارس مدعو إلى الإقبال على التراث دون أفكار جاهزة قبلية لكن بعد أن يكون قد ألمّ بآليات المناهج الحديثة وتمثلها.."([58])

ومن الأساتذة الزائرين أيضاً صبري حافظ بجامعة لندن وهو مهتم بانتقال الأفكار ودراسة التأثيرات المختلفة للكتاب الغربيين على تطور الأدب العربي الحديث وظهور أنواعه الجديدة. ومن مؤلفاته دراسة لعلم اجتماع الأدب العربي الحديث،كما شارك في كتاب عن القصة القصيرة والعامية المصرية. ويلاحظ هنا أن الأستاذ هنا مهتم ببيان مدى تأثر الأدب العربي بالآداب الغربية، وهو ما يسر الغربيين عموماً أن يعلموه حتى يستمروا في النهج نفسه لاستمرار هذا التأثير. ويؤكد ذلك أيضاً اهتمامه بالعامية في القصة القصيرة.

كما دعت جامعة هارفارد الدكتور جابر أحمد عصفور لفصل الربيع عام 1995م لتدريس الأدب العربي الحديث والنقد الأدبي. والأستاذ، كما وصفه الكاتب الصحفي السعودي محمد صلاح الدين، من غلاة العلمانيين في مصر، وليس هذا فحسب، بل إنه يعمل في مركز حساس جداً وهو أمين عام المجلس الأعلى للثقافة والفنون وما يفتأ يدافع عن المنحرفين الذين يطعنون في الإسلام كما يقول محمد صلاح الدين "فليس كل ذلك إلاّ هدماً للإسلام يجعل المروق إبداعاً، والكفر الصريح اجتهاداً مأجوراً، والزندقة بحثاً علمياً فوق المساءلة وفوق القانون"([59])

وبعد ذلك فالذين ينالون الحظوة في الدراسات والاهتمام في الغرب في العصر الحاضر حسين أحمد أمين، وأميل حبيبي (الشيوعي الإسرائيلي) وطه حسين، وغسان كنفاني وجمال غيطاني ويوسف القعيد وإميل نصر الله وغيرهم كثير كما سيظهر معنا في المحور التالي.

المحور الخامس

النـدوات والمؤتمرات والمحاضرات والكتب الاستشراقية حول الأدب العربي

الندوات والمؤتمرات

كثيرة هي المؤتمرات والندوات التي تعقد في الجامعات الغربية ومراكز البحوث حول الأدب العربي ، كما أن المؤتمر السنوي لرابطة دراسات الشرق الأوسط الأمريكية يخصص عدداً من الحلقات لموضوع الأدب. وفيما يأتي بعض هذه الندوات والمؤتمرات:

1- المـؤتمر الـدولي الرابـع لـلآداب المقارنــة ، عقـد فـي القـاهرة ديسـمبر 1996م وشاركت فيه منى ميخائيل من قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة نيويورك. وقامت بعد ذلك بجولة في السعودية.[60]

2- مؤتمر الأصالة والحداثة في اللغة والأدب العربي. عقد في جامعة اكستر قسم الدراسات الإسلامية (أسسه محمد عبد الحي شعبان) والمؤتمر عقد بمناسبة مرور عـامين علـى وفاتـه. وكـان مـن محـاور المـؤتمر الشـعر التقليـدي الحـديث والشـعر والعـامي والتـأثير الغربـي فـي الأدب العربـي. وشـارك فـي المـؤتمر ثلاثـون باحثـاً مـن أنحـاء العـالم، وقـد سـاعد الـدكتور محمـد القاسـمي 'حـاكم الشـارقة' فـي تمويـل المؤتمر.([61])

3- المؤتمر العالمي الخامس والثلاثين للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية، عقد في بودابسـت بـالمجر فـي الفتـرة مـن 3-8 ربيـع الأول 1418هـ (12-7يوليـه 1997م) وكان من محاور المؤتمر الدراسات العربية وقد قدمت فيه البحوث الآتية:

أ شـامول موريـه (إسـرائيل) قـدم بحثـاً بعنـوان "الممثلـون اليهـود وكتـاب المسـرحية فـي المسرح العربي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

ب هيلاري كيلباتريك Hiilary Kilpatrick "دراسـة النثـر العربـي الكلاسـيكي بـين الشرق والغرب."

ت بيـان رايهانوفـا (جامعــة صــوفيا- بلغاريــا) صــورة الريــف فــي الروايــة الســورية المعاصرة.

4- مـؤتمر العقـل والأخـلاق والمنـاهج فـي الشـرق الأوسـط وشـمال أفريقيـا، عقـد فـي بودابسـت بـالمجر فـي الفتـرة مـن 18-22سـبتمبر 1995م، ونظمـه كـل مـن قسـم الدراســات العربيــة بجامعــة بودابســت وقســم اللغــة العربيــة الحديثــة بجامعــة ليــدز البريطـانية. وتضـمن المـؤتمر محـوراً لـلأدب العربـي ولكـن لـم يضـم هـذا المحـور سـوى موضـوعٍ واحـدٍ فـي الأدب الحـديث كـان بعنـوان 'مشكلة المجتمـع فـي الأدب المغربـي الفرنكفوني' قدمه سكوت هولمر Scott Holmer.ء[62]

5- ندوة عن الأدب العربي بعنوان 'فهم العالم العربي من خلال الأدب' وقد أقيمت النـدوة فـي مركـز الدراسـات العربيـة المعاصـرة بجامعـة جـورج تـاون بمدينـة واشـنطن

وساهم في تمويل الندوة الوقف القومي للإنسانيات، وعقدت الندوة في 4 أبريل 1995م. وتحدث في الندوة كل من :

أ صباح غندور "الكاتبات العربيات وأصواتهن الأنثوية."

ب – أميرة الزين. "الأدب الشعبي الإسلامي (ألف ليلة وليلة)

ج – عنا بشناق " الأدب الشعبي العربي (الفلوكلور العربي) وكان من المتحدثين أيضاً حليم بركات الأستاذ بالجامعة نفسها.

رسائل الدكتوراه

في الغرب عدة مؤسسات تهتم بحفظ الرسائل الجامعية ونشر ملخصاتها وبيع نسخ منها للراغبين، وبين أيدينا مصدران عن الرسائل العلمية في بعض الجامعات الأمريكية والجامعات البريطانية وقد اخترنا نماذج من هذه الرسائل التي تهتم بالأدب العربي الحديث. وبعض هذه الرسائل قد أعده طلاب من العالم الإسلامي فأصبحت بالتالي من إنتاج مراكز البحوث الدراسات الاستشراقية. ومنها هذه الرسائل:

أ دراسة نقدية لموضوعات شعر معروف الرصافي، قدمها الطالب الدباغ عام 1977م في جامعة جلاسجو.

ب الموضوع والشكل في أعمال توفيق الحكيم، أعدها ستاركي عام 1970م في جامعة أكسفورد.

ج– ظهور وتطور القصة القصيرة المصرية 1881–1970م، أعدها عبد الدايم ، جامعة لندن، سنة 1979م.

د – دراسة لسانية للغة الشعر الحديث، أعدها سيف جامعة لندن سنة 1971م.

هـ – ظهور وتطور الشعر الغنائي في الأدب العربي الحديث من خليل مطران إلى شعراء جمعية أبوللو ، أعده روبن أوستل من جامعة اكسفورد عام 1969م.

و– القصة القصيرة في شبه الجزيرة العربية، الاتجاهات الواقعية، جامعة ميتشيجان آن أربر شعبة الدراسات العربية عام 1993م.

ز– الاتجاهات الاجتماعية في النقد العربي في سوريا ولبنان ومصر منذ الثلاثينيات، أعدها سطيف، جامعة اكسفورد عام 1983م.

ح – ثلاثة شعراء ليبيون من القرن العشرين :دراسة لشعرهم السياسي/ أعدها أبو ديب في جامعة درم عام 1980م.

ك– مصر في كلماتها: محمد بيرم التونسي (1961–1893م) وآداب التعبير العامي 1919–1934م، أعدها إم إل بوث Booth من جامعة أكسفورد عام 1984م.

ل من الإسلامية إلى العربية : دراسة للأفكار السياسية للكتابات السورية 1918–1952 ، خالد الكركي ، جامعة كيمبردج، عام 1980.

م نجمة والجزائر في كتابات كاتب ياسين نحو هوية قومية، أعدها صالحي، جامعة إكستر عام 1991م.

ن المشكلات الفنية في شعر عبد الوهاب البياتي دراسة مقارنة، أعدها العلاّق، جامعة اكتسر عام 1983م.

س– دراسة في النظرية والتطبيق للترجمة الأدبية اعتماداً على اللغة العربية والإنجليزية كمصدر وأهداف في الكتابة النثرية العربية الحديثة في شجرة البؤس ودعاء الكروان لطه حسين. أعدها الصافي، جامعة لا نكستر، 1979م.

ص – يحي حقي: مثقف مصري بين المثال والواقع، أعدها كوك، جامعة أكسفورد عام 1970م.

الكتب

ألفت العديد من الكتب حول الأدب العربي الحديث وفيما يأتي نماذج من هذه المؤلفات:

1– النساء العربيات الروائيات: سنوات التكوين وما بعدها تأليف جوزيف زيدان Joseph Zaidan. Arab Women Novelists: The Formative Years and Beyond.

يقوم المؤلف في هذا الكتاب بدراسة إسهامات النساء في الرواية العربية من خلال الموضوع والشكل ويتابع الصراع من أجل حقوق المرأة في العالم العربي وبخاصة في حقل التعليم. ويناقش ظهور مواهب بارزة وإصرارهن على التغلب في مجال الثقافة الذي يسيطر عليه الرجل. ويقارن المؤلف الحركات النسائية في الثقافة العربية وفي

الغـــرب وتطـــور الأدب النســـائي فـــي كـــلا الثقـــافتين موضـــحاً التشـــابهات والاختلافات.([63])

2- Mundus Arabicus 5(1992) The Arabic Novel Since 1950) Edited by Issa Bollate.

يتضمن الكتاب لقاءات ومقالات كما يأتي:

أ الاتجاهات الجديدة في الرواية العربية من خلال اللقاء مع جمال الغيطاني.

ب- لقاء بين كل من ألن دوجلاس وفدوي ملطي و إميل حبيبي.

ج- مقالة بعنوان نجيب محفوظ في الآداب العالمية بقلم ألن روجرز.

د- نظرات نصوصية في كتاب إدوار خياط ترابها زعفران لمنى ميخائيل.([64])

3- Literature East And West 2(1989) Pilgrimage Studies in the) (Arabic Literary Tradition

وقد تضمن الكتاب عدداُ من البحوث منها:

أ- فـدوى ملطـي –دوجـلاس "العمـى والجـنس: العقليـات التقليديـة فـي كتـاب يوسـف إدريس منزل الجسد."

ب- مايكـل بيـرد Michael Beard التعـرف علـى فـارس الكلمـات الغريبـة لـدى أدونيس.

ج- روجر ألن. "الأدب العربي في الترجمة الإنجليزية([65])

4- الحب والغريزة الجنسية في الأدب العربي الحديث: مجموعة أبحـاث أعدها روجر ألـن وهـيلاري كيلبـاترك وإد دي مـور Ed. De Moor (لنـدن: دار السـاقي 1995)271صفحة.وقد تضمن الكتاب البحوث الآتية:

أ هيلاري كيلباترك، حول الحب والجنس في الأدب العربي الحديث.

ب بطرس حلاق، الحب وولادة الأدب العربي الحديث.

ج – روزيلا دوريقو سيكاتو Rosella Dorigo Ceccato "شخصية المحب في الدراما العربية الشعبية في بداية القرن العشرين."

د – إد دي مور Ed De Moor "الإثارة الجنسية في القصة القصيرة المصرية".

هـ – انجليكا رامر Angelika Rahmer "تطور الوعي النسائي السياسي في القصص القصيرة للكاتبة ليلى العثمان".

و– ستيفان وايلد Stefan Wild "السيرة الذاتية لنزار قباني :صورة الجنس والموت والشعر".

المحاضرات

من الأمور اللافتة للانتباه كثرة المحاضرات في الجامعات الغربية ومراكز البحوث والمراكز الثقافية، وهو أمر يدل على الاهتمام بالعلم عموماً في المجتمعات الغربية وأن العلوم الاجتماعية والآداب من المجالات التي تلقى اهتماماً كبيراً في تلك البلاد. وفيما يأتي بعض النماذج لهذه المحاضرات في بعض الجامعات الأمريكية والبريطانية:

1– حنان الشيخ "النساء والحرب في لبنان المعاصر". ألقيت في 2نوفمبر 1994م.[66]

2– صلاح نيازي. "بداية الحركة الحديثة في الشعر في العراق" .ألقيت في 9يونيو 1997م في النادي العربي البريطاني.

3– متحف الكوفة ودار الساقي يحتفلان ببلند الحيدري في 21أكتوبر 1996.

4– محمد توفيق من جامعة ويستمنستر Westminsterمعهد اللغات بالجامعة "فكرة الالتزام الإسلامي في الأدب العربي الحديث".

الخاتمة

هذا الموضوع الذي تجاوزت صفحاته الثلاثين صفحة يستحق أن يبحث في أكثر من رسالة ماجستير ودكتوراه، وإنني حتى ذلك الحين سأظل أدعو إلى إنشاء أقسام علمية في العالم الإسلامي لدراسة النشاطات الغربية في مجال الدراسات الإسلامية، ليس فقط لنرد عليهم ونتابع نشاطاتهم أو لنعرفهم أكثر ولنعرف ما يعرفون عنّا. ولكن لننتقل إلى الخطوة التالية وهي أن ننقل إليهم أدبنا العربي الإسلامي ليكون وسيلة فعالة من وسائل الدعوة. وسأظل أحلم أن يصبح لدينا في يوم من الأيام كليات للدراسات الأوروبية والأمريكية.

أما عن أهمية الأدب فإنني ما زلت أذكر خطيب جمعة في المدينة المنورة تحدث طيلة عام كامل عن سورة يوسف عليه السلام ولما أعجبني تناوله قمت باستنساخ عدة حلقات من تلك الدروس ونشرتها في ملحق التراث بجريدة المدينة المنورة.([67]) فقد أكد فضيلة الخطيب على أهمية القصة في الدعوة إلى الله وكانت رسالة عظيمة من منبر عظيم تدعو الأدباء والشعراء ليسخروا مواهبهم في الدعوة إلى الله. وكان مما قاله الشيخ القارئ "يا أهل الأدب، يا أهل الأقلام الأدبية هلا اقتحمتم هذا المجال، هذا المجال الشديد التأثير، مجال القصة، هلا خرجتم لنا بالقصة الإسلامية الهادفة التي تبني ولا تهدم، وتصلح ولا تخرب، وتعلم ولا تفسد."([68])ولا ننسى أبداً قول الرسول صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه (اهجهم ومعك روح القدس).

في الصفحات الماضية تناولت اهتمام الاستشراق المعاصر بالأدب العربي الحديث وأوضحت أن هذا الاهتمام موجود ولكنه ليس كافياً بالإضافة إلى تحيزه واهتمامه بجوانب معينة من هذا الأدب تلك التي تدعو إلى محاربة قيم الأمة الإسلامية وأخلاقها ومسلماتها وثوابتها. والتي تدعو إلى تشويه التاريخ الإسلامي كما في كتابات جورجي زيدان وأمثاله.

وأوضحت في الصفحات السابقة الاهتمام بلغة الأدب والاستمرار في الدعوة إلى العامية وإلى الشعر الحر أو المنثور وغير ذلك من صور الكتابة الحديثة وقدمت بعض النماذج لاهتمام أقسام الدراسات العربية والإسلامية ومراكز البحوث في الغرب بالأدب العربي وتركيزها على الأدب المتغرب والأدباء الذين لا يتصفون بالأصالة والمحافظة على قيم الأمة الإسلامية.

إننا بحاجة إلى مزيد من الدراسة لهذا المجال شريطة أن لا نتوقف عند معرفة ما يدرسون وكيف يدرسون ما يدرسون بل ننتقل إلى الفعل ولا نكون أصحاب رد الفعل فقط.ولا بد أن نشجع الأدب المحترم الذي يتمسك بمسلمات الأمة الإسلامية من قيم وأخلاق ومبادئ وأن نكشف المؤامرات والتخطيط الذي يحارب الأمة في أعز ما تملك عقيدتها ولغتها وقيمها وأخلاقها.

فالأدب ليس ترفاً ولكنه جزء مهم وخطير من الحياة وإننا في الوقت الذي نهتم فيه بالعلوم والتقنية يغزونا العالم عن طريق الأدب وعن طريق الكلمة. وأختم بالقول بأن الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه إنما جاءوا بالكلمة أولاً والكلمة كما جاء في الحديث الشريف إمّا أن تكون من رضوان الله أو من سخط الله فهل يحرص المسلم على الأولى ويحذر الثانية. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

- أبو زيد، أحمد. الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية. مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، 1415، سلسلة كتاب دعوة الحق العدد 145، محرم 1415هـ.
- أبو خليل، شوفي. جرجي زيدان في الميزان.ط3(مصورة عن ط2) دمشق:دار الفكر 1403.
- بدين ، إدوارد. " ترجمة الأدب العربي الحديث إلى الألمانية في سويسرا." في الاستشراق، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، عدد 4، شباط 1990.ص 216-219.
- بلاشير، رجيس. تاريخ الأدب العربي.ترجمة إبراهيم الكيلاني. تونس: الدار التونسية للنشر،والجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م.ج1.
- == . " التلقي الأمريكي للأدب العربي. في الاستشراق، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ع2 شباط 1987م. ص 71-76.
- حمدان ، عاصم. " لماذا ومتى يهتم الأوروبيون بتراثنا." في صحيفة المدينة المنورة، 1408/11/22(ملحق التراث)
- ==دراسات مقارنة بين الأدبين العربي والغربي.المدينة المنورة : نادي المدينة المنورة الأدبي، 1418هـ./1997م.
- ==. أدونيس والفلسفات المادية الضالة." في المسلمون، عدد 518في 15شعبان 1415.
- حمدون، أحمد محمد. " وقفات استقرائية حول جهود المستشرقين في الأدب العربي." في المنهل، عدد 471رمضان/شوال 1409هـ أبريل/مايو 1989م ص 168-186.

– ركيبي، عبد الله .الفرنكفونية مشرقاً ومغرباً. الجزائر: دار الأمة 1993.
– الزهراني، عبد العزيز عطية. "قبيلة أدونيس" في رسالة الجامعة (جامعة الملك سعود) عدد558، 3ذ1و القعدة 1415.
– سمايلوفيتش، أحمد. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. القاهرة: المؤلف، بدون تاريخ .
– شاكر، محمود. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. جدة:دار المدني. 1407هـ/1987م.
– الصباحية. " جائزة لأدب الوقاحة." ،21جمادى الآخرة 1412.
– الشرق الأوسط. " الأصالة والحداثة في الأدب العربي –ندوة جامعة اكستر" ع (5765)10سبتمبر 1994م.
– صلاح الدين، محمد." اجتهاد المرتدين " في صحيفة المدينة المنورة.ع (12219) 11جمادى الأولى 1417الموافق 23سبتمبر 1996م.
– الطعمة، صالح جواد. الشعر العربي الحديث مترجماً. الرياض: نادي الرياض الأدبي، 1401هـ/1981م.
– العجيمي، محمد ناصر. " المنهج المبتور في قراءات التراث العربي الشعري:كمال أبو ديب أنموذجاً." بحث ألقي في الندوة الدولية بعنوان (التراث وقضية المنهج) التي عقدت في مدرسة المعلمين العليا في سوسة بتونس 3و4شعبان 1408هـ الموافق 10 و11 مارس 1989م.
– العزب، محمد أحمد. " الدراسات الاستشراقية والأدب العربي ." في القافلة. رجب 1407هـ.ص 4–6.
– العشماوي، عبد الرحمن. وقفة مع جرجي زيدان. الرياض: مكتبة العبيكان، 1414هـ /1993م.
– فاضل، جهاد. " مقارنة بين نزار قباني وأدونيس" في الرياض. عدد 10477،22شوال 1417 الموافق 1مارس 1997م.
– قارىء ، عبد العزيز. رسالة إلى حملة الأقلام وإلى الموجهين والمربين " خطبة جمعة في مسجد قباء في المدينة المنورة ، أعدها للنشر مازن مطبقاني وراجعها

الشيخ نفسه. في المدينة المنورة ، عدد 7997، 27جمادى الأولى 1412هـ. ملحق التراث.
- قشطيني، خالد . " موت الشعر" في الشرق الأوسط. عدد 5902، 25يناير 1995.
- مجلة العالم العربي الحديث في البحث العلمي. عدد 3، صيف 1994.عرض كتاب بدوي مصطفى :تاريخ موجز للأدب العربي الحديث(أكسفورد:كلاندون برس 1993م)
- محمد، أحمد نظمي. " موقف الاستشراق بين الفصحى والعامية." في الاستشراق. بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة عدد 4 فبراير 1990م ص 98-105.
- المشاهد السياسي." حول قصيدة النثر ". الأعداد 56و57 6-12و13-19 أبريل 1997م.
- المصباحي، حسونة." حوار مع د. ريجينا قرشولي المستشرقة الألمانية." في مجلة المجلة. عدد 684، 17-23مارس 1993.
- مطبقاني، مازن . "جائزة أدبية لأدب الوقاحة." في عكاظ. عدد 9970في 6جمادى الآخرة 1414هـ.الموافق 19نوفمبر 1993م.
المراجع الأجنبية:
- Accad, Evelyne. " Review of Fadwa's Book Men, Women and God (Gods)". In Al-Raidah.Vol. 13, No. 14/13, Summer/ Fall1996.
- Altoma, Saleh. " The Reception of Najib Mahfouz in American Publications. In Comparative and General Literature. Bloomington: Indiana University Press, 1993p.p. 164-177.
- Centre of Near and Middle East Studies. List of Members 1995-1996Tuscon: Middle East Studies Association..
- Center of Middle East Studies Calendar. (Harvard University) November1, 1994.

- .1991. Tuscon : MESA 1991Edited Works & Collections
- Fernea, Elizabeth. " A Woman's Book Fair in Cairo." In The Review (Amews).Vol. XI, No. 1996, March 1. P. p. 1-3.
- List of Members 1995-1996. London: Centre of Near And Middle East Studies.
- Middle East Events in London. London: Centre for Near and Middle Eastern Studies , University of London, School of Oriental and African Studies. September 1992.
- == July 1995.
- Milani, Farzaneh. " Review of Hanan al-Shaysh's book My Life Stories." In Association of Middle East Women Studies The Review. Vol. XI, No. 4, December 1994.
- Cook, Miriam. " A Symposium on Women Writers in Damascus". In Middle East Women's Studies Review. Vol. XI, No. 3, September 1996.
- Middle East Events in London. London: Society for Near and Middle East Studies, September 1992.
- Proceedings of the Colloquium on Logos, Ethos, Mythos in the Middle East and North Africa- The Arabist. Budapest Studies in Arabic. 1997.
- The Center Exchange. Kevokian Center for Middle Studies. (New York University). Vol. VI, No. 3 Spring 1997.
- The Review (AMEWS). Vol. X, No. 1, March 1995.

- الحواشي :

[1] -أحمد سمايلوفيتش . فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. (القاهرة : المؤلف، بدون تاريخ) ص492.

[2] –عاصم حمدان. "لماذا ومتى يهتم الأوروبيون بتراثنا." في صحيفة المدينة المنورة ، 1408/11/32هـ ، (ملحق التراث) انظر أيضا كتاباً صدر للمؤلف حديثاً بعنوان دراسات مقارنة بين الأدبين العربي والغربي . المدينة المنورة ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، 1418، 1997، الصفحات 39 ومابعدها.

[3] –المرجع نفسه.

[4] – سمايلوفيتش، مرجع سابق ص 509.

[5] –صالح جواد الطعمة . الشعر العربي الحديث مترجماً.(الرياض: النادي الأدبي ن 1401–1981م) ص 10.

[6] –صالح الطعمة. " التلقي الأمريكي للأدب العربي " في الاستشراق (بغداد :دار الشؤون الثقافية العامة) ع2 شباط 1987م.ص 71–76.

[7]– Saleh J. Altoma. "The Reception of Najib Mahfouz in American Publications." In Comparative and General Literature. (Bloomington: Indiana University Press, 1993) p.p. 164–177.

[8] –Edward Said. Orientalism. ( )

[9]–الطعمة، بحثه عن نجيب محفوظ بالغة الإنجليزية (مرجع سابق) ص 164 ويشير فيه إلى بعض الباحثين الغربيين من أمثال فاولز Fowles وكيسلر Kessler و هوروتز Horwitz وغيرهم.

[10] – Toma, Op., cit. Quoting George Young. Egypt. (London: E. Benn, 1972) p. 284–285.

[11] –إدوارد بدين. " ترجمة الأدب العربي الحديث إلى الألمانية في سويسرا." في الاستشراق. (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة) ع4 شباط 1990ص 216–219.

[12] – محمد احمد حمدون." وقفات استقرائية حول جهود المستشرقين في الأدب العربي ." في المنهل ، عدد 471 رمضان/شوال 1409 أبريل /مايو 1989 ص 168–186.

[13] – رجيس بلاشير . تاريخ الأدب العربي . ترجمة إبراهيم الكيلاني (تونس :الدار التونسية للنشر ، والجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986)ج1، ص 14.

[14] –محمد احمد العزب." الدراسات الاستشراقية والأدب العربي." في القافلة ، رجب 1407.ص 4-6.

[15] – انظر كتاب محمود شاكر . رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. (جدة : دار المدني، 1407، 1987)

[16] – " حوار مع د. ريجينا قرشولي المستشرقة الألمانية " أجرى الحوار حسونة المصباحي . في مجلة المجلة. ع 684، 17-23مارس 1993.

[17] –المرجع نفسه . ويلاحظ أنه كان مع المستشرقة في أثناء إجراء اللقاء أدونيس وقد التقطت لها صورة معه ومع عيسى علاونة .

[18] – " عرض كتاب بدوي مصطفي : تاريخ موجز للأدب العربي الحديث (أكسفورد :كلاندون برس ،1993) في مجلة العالم العربي الحديث في البحث العلمي.ع 3، صيف 1994.ص 63.

[19] – أحمد أبو زيد. الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية..(مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي ، 1405) سلسلة كتاب دعوة الحق عدد 145. محرم 1415.ص 71

[20] –المرجع نفسه ص 90.كانت روايات نجيب محفوظ تتسلل إلى المملكة منذ أكثر من ثلاثين سنة ، وقد أتيح لي قراءة بعضها –وكنت حينها في المرحلة المتوسطة– وبخاصة الثلاثية وخان الخليلي وغيرها وما زلت أذكر أنها تركز على الغريزة الجنسية والمتع الحسية والسخرية دائماً بالمتدينين وبخاصة في المواجهة مع حكومة الثورة أيام عبد الناصر.

[21]– Al-Toma,. .O p., Cit. P 168

[22] – Ibid.

[23] – Ibid. P 167.

[24] –الصباحية (لندن) في 21جمادى الآخرة 1412. وقد كتبت مقالة في صحيفة عكاظ عدد 9970في 6جمادى الآخرة 1414(1993/11/19) وكان المقالة بعنوان (جائزة غربية لأدب الوقاحة) وقد كتبت أيضاً في ملحق التراث بجريدة المدينة المنورة بعنوان (الفائزون بجوائز الغرب)

* – هذا المعهد مؤسسة غير ربحية مسجلة في بريطانيا وهو أيضاً مؤسسة تعليمية خيرية بريطانية ،تحصل هذه المؤسسة على مساعدة مالية من مجلس الفنون البريطاني ، ومجلس مدينة وستمنستر ،ومعهد الفيلم البريطاني ومؤسسة راين Rayne ، ومن أهداف هذا المعهد توفير المكان للتعبير عن وجهات النظر المتعددة. وهذه الآراء هي أراء الفنّانين والكتاب وكتّاب الدراما وصنّاع الأفلام ، ولا تمثل بالضرورة آراء المعهد.

[25] – Middle East Events in London. September 1992.

** – قام بنشر الجزء الثاني والثالث. وقد كانت كتبه معروضة في معرض دولي للكتاب في تونس .

[26] – تقدمت لدار الساقي بلندن لطباعة رسالتي للدكتوراه حول المستشرق البريطاني الأصل الأمريكي الجنسية اليهودي الملة وصاحب النزعة الصهيونية العنيفة فرفضت نشرها بحج أن مثل موضوعاتي لا تهمهم ، ولما وجدت بعد مدة انهم نشروا كتابات محمد شكري حمدت الله عز وجل أن لم يجعل كتابي وكتاب محمد شكري يصدران عن دار نشر واحدة.

[27] –عبد الله ركيبي. الفرنكفونية : مشرقاً ومغرباً.(الجزائر: دار الأمة ، 1993) ص 94.

[28] –المرجع نفسه ، صفحة 91–92.

تنشر صحيفة الشرق الأوسط (فبراير 1998) حول الفرنكفونية وفيها تأكيدات إلى الاهتمام بما يكتبه الكتاب العرب بعامة والمغاربة بخاصة باللغة الفرنسية. وان الجهات الرسمية تدعم الكتاب باللغة الفرنسية بينما لا يجد الكتاب العربي ما يستحقه من الدعم. وهذا أمر مدهش ففي الوقت الذي تحاول الدول التمسك بهويتها الخاصة القومية أو الدينية أو الإثنية فإننا في العالم العربي نجد من يحارب هويتنا العربية الإسلامية.

[29] –سمايلوفيتش ، مرجع سابق، ص 668 نقلاً عن عثمان أمين . فلسفة اللغة العربي (القاهرة : الدار المصرية للتأليف ، 1965)ص3–4. وقد ذكر مراجع أخرى مهمة في هذا المجال منها كتاب عائشة عبد الرحمن لغتنا والحياة، وكتاب نفوسة

زكريا سعيد .تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر. وكتاب محمود تيمور .مشكلات اللغة العربية وغيرهم.

[30] – التقيت به أثناء زيارتي لجامعة كليفورنيا في بيركلي وحصلت منه على سيرته الذاتية. كما سمعت منه بعض المعلومات عن معرفته بالعامية التونسية.

* – وصلتني المعلومات بالبريد اليوم 5 رجب 1418 من جامعة جوجتاون بواشنطن العاصمة .

[31] – أحمد نظمي محمد ." موقف الاستشراق بين الفصحى والعامية." في الاستشراق (بغداد :دار الشؤون الثقافية العامة) ع4 شباط 1990.ص 98–105.

[32] – Center of Near & Middle East Studies List of Members (Tucson: Middle East Studies Association1996–1995.)

[33] –طعمة. الشعر العربي الحديث مترجماً ، مرجع سابق ص 10.

[34] –سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق ، مرجع سابق ص 538.

[35] –جهاد فاضل." مقارنة بين نزار قباني وأدونيس" في الرياض. عدد 10477، 22شوال 1417، 1مارس 1997.

[36] – Miriam Cooke. “ A Symposium on Women Writers in Damascus.” In Middle East Women’s Studies Review. Vol. XI, No. 3 September 1996.

[37] –عاصم حمدان ." أدونيس والفلسفات المادية الضالة"في المسلمون ،عدد 518 في 15شبعان 1415. وانظر أيضا كتاب الدكتور محمد خضر عريف .الحداثة :مناقشة هادئة لقضية ساخنة. وقبله كتاب عوض القرني .الحداثة في ميزان الإسلام. وكتاب جمعان الزهراني أسلوب جديد لحرب الإسلام.، وكذلك كتب الدكتور عدنان النحوي، ومقالات أحمد الشيباني رحمه الله .

[38] – Roger Allen. “ Arabic Literature and the Nobel Prize.” In World Literature Today 63(1989): 5–7. Quoted in Al-Toma. Op., Cit.

[39] – عبد العزيز عطية الزهراني. " قبيلة أدونيس." في رسالة الجامعة (نشرة يصدرها قسم الإعلام بجامعة الملك سعود بالرياض) عدد 558 في 3 ذي القعدة 1415.

[40] –خالد قشطيني. " موت الشعر " في الشرق الأوسط. ع 5902 في 25 يناير 1995. وفي كتاب الحداثة في الميزان ، تفصيل لمن أراد حول درويش وأمثاله.

[41] –شوقي أبو خليل.جرجي زيدان في الميزان .ط3 مصوّرة عن الطبعة الثانية (دمشق :دار الفكر 1403،) ص7.

[42] – انظر كتاب عبد الرحمن العشماوي .وقفة مع جورجي زيدان (الرياض : مكتبة العبيكان ، 1993،1414م) وانظر كذلك مقدمة الدكتور السيد محمد الوكيل لكتاب نبش الهذيان من تاريخ جورجي زيدان تأليف أمين بن حسن الحلواني المدني (ت 1316هـ.، تحقيق مازن مطبقاني (المدينة المنورة :مكتبة ابن القيم ، 1410)

[43] – مكتبة قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة برنستون، والتحقيق الصحفي حول أبرز الكتب في المئة سنة الماضية نشر في الشرق الأوسط

[44] –Meriam Cooke. Op., Cit. عرضت قناة فضائية لبنانية لقاءً مع الكاتبة كوليت خوري استمر أكثر من ساعة واستشهد القناة برأي سعيد عقل الذي أشاد ب" عظمة كوليت خوري" وفي هذا اللقاء أكدت أنها تدعو إلى استقلال المرأة عن الرجل وأن يكون لها الحق في العمل لتحقق الاستقلال الاقتصادي، وكانت تتحدث بقوة عن هذه القناعات .وكان هذا اللقاء في أواخر شهر جمادى الآخرة 1418.

[45] –Ibid.

[46] – Farzaneh Milani. “ Review of Hanan al-Shaykh book My Life Stories.” In AMEWS The Review. Vol. IX, No. 4, December 1994.

[47] –المرجع نفسه .

[48] – Evelyne Accad. “ Review of Fadwa’s book Men, Women and God(Gods). In Al-Raidah. Vol. 13, No. 14/15 Summer/ Fall 1996. P. 63.

[49] – Elizabeth Fernea. " A Woman's Book Fair in Cairo! " In The Review (Amews) Vol. XI, No. 1 March 1996, Pp. 1–3.

[50] – Ibid. ومن اللافت للنظر أن الأديبة التي تنادي بحرية المرأة كانت من أعضاء لجنة انتخاب ملكة جمال لبنان عام 1997 التي جرت في شهر أكتوبر ، فكيف يتفق هذا مع دعوتها لتحرير المرأة ؟ هل هو تحريرها من القيم والمثل والأخلاق ؟

[51] –خالد أبو نجم ،" حوار مع المستشرقة البولندية صاحبة الاهتمامات المتجذرة في الصحراء." في السياسية (الكويت)عدد 1581–1957، 8 شعبان 1417(18 ديسمبر 1996) .

[52] –الحياة ، عدد(12379) 9رمضان 1417،(18 يناير 1997)

[54] – Middle East Events in London, September 1992.

[55] –انظر أعداد مجلة المشاهد السياسي. العدد56 و57، 13–19 ، و 6–12نيسان 1997 وأعداد أخرى.

[56] –سورة التوبة آية 118.

* – من الذين اهتم بهم الغرب سلمان رشدي وإن كان مقيماً أصلاً في الغرب لكنه سمح له أن يقابل أعلى المسؤولين في الحكومات الغربية ، وتنفق بريطانيا ملايين الدولارات سنوياً لحمايته بعد فتوى الخميني المشهورة. ومن هؤلاء تسليمه نسرين التي تحدث بشأنها كلاوس كينيكل وزير خارجية ألمانيا ورئيس الاتحاد الأوروبي في أحد دوراته مطالباً حكومة بنجلاديش بالسماح لها بمغادرة البلاد، ومن هؤلاء نصر حامد أبو زيد الذي استضافته جامعة ليدن أستاذاً زائراً – في حين تشتكي الجامعة من قلة الموارد المالية – فهل بعد هذا دليل على اهتمامهم بالمنحرفين من أبناء الأمة الإسلامية وأن " التاريخ يعيد نفسه " في بعض الصور.

[57] – Center of Near & Middle East Studies : List of Members. 1995 -1996.

[58] –محمد الناصر العجيمي . "المنهج المبتور في قراءة التراث العربي الشعري: كما أبو ديب أنموذجاً" في الندوة الدولية التي عقدت بدار المعلمين العليا بمدينة

سوسة التونسية في 3و4 شعبان 1408(10و11مارس 1989م) بعنوان (التراث وقضية المنهج.)

[59] –محمد صلاح الدين ." اجتهاد المرتدين." في صحيفة المدينة المنورة " ع (12219) 11جمادى الأولى 1417 الموافق 23سبتمبر 1996.

Kevokian Center for Middle East Studies (New York – [60] .3, Vol. VI, No. 1997University). The Center Exchange. Spring

[61] –الشرق الأوسط، ع (5765) في 10 سبتمبر 1994.

Proceedings of The Colloquium on Logos, Ethos, Mythos – [62] in the Middle East & North Africa –The Arabist : Budapest .133.P 17Studies in Arabic

.1995March 1The Review(Amews) Vol. X, No. – [63]

.. MESA publications1991Edited Works & Collections – [64]

.Ibid – [65]

Center of Middle East Studies Calendar, (Harvard [66] .1994, 1University) November

[67] – عبد العزيز قارئ . " رسالة إلى حملة الأقلام والى الموجهين والمربين " إعداد مازن مطبقاني، في المدينة المنورة: ملحق التراث، عدد 7997، في 27جمادى الأولى 1412.

[68] –المرجع نفسه.

================

#القضايا المعاصرة >

ولئن انتهى الاستشراق في شكله التقليدي القديم فإنه غير جلدته ليناسب المرحلة الجديدة التي تفتحت الأعين في العالم الإسلامي على الدراسات الاستشراقية. ومع استمرار الاهتمام بالقضايا الاستشراقية التقليدية كدراسة العلوم الإسلامية المختلفة، كالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والفقه، والتاريخ الإسلامي واللغة العربة وآدابها فإن الموضوعات الجديدة التي أصبحت تحتل مساحة مهمة هي ما يمكن أن نطلق عليه

العالم الإسلامي المعاصر، أو قضايا العالم الإسلامي المعاصرة. ومن أول القضايا المعاصرة الاستمرار في دراسة العقيدة الإسلامية ومدى تمسك المسلمين بها، إن العقيدة الإسلامية هي المحرك الأساس لحياة الأمة الإسلامية، وتعتمد قدرة الغرب على السيطرة على العالم الإسلامي على مدى قرب المسلمين من عقيدتهم أو بعدهم عنها، فكلما كان المسلمون أقوى عقيدة وإيماناً ضعفت فرص الغرب في الهيمنة والنفوذ. فالإسلام دين لا يقبل أن يكون تابعاً ولا خانعاً ومما يدعو الغربيين لدراسة العقيدة الإسلامية بروز تيار الصحوة الإسلامية وازدياد ظاهرة العودة إلى الإسلام في أنحاء العالم الإسلامي، وكذلك إقبال أعداد متزايدة من النصارى على الدخول في دين الله ومعرفة العقيدة الإسلامية، ونفصل ما قلنا في النقط التالية:

دراسة المجتمعات الإسلامية المعاصرة >

ومن القضايا المعاصرة الدراسات الغربية حول الأوضاع السياسية للعالم الإسلامي، فقد بلغ عدد الدول الإسلامية اثنتين وخمسين دولة مما يجعل هذا الوضع قريباً مما شهده العالم الإسلامي إبّان ما كان يسمى بعهد ملوك الطوائف، وهذه الدول ينبغي في نظر الغرب أن تبقى متفرقة، وأن تتم دراستها وحدها أو وضعها في مجموعات لتسهيل دراستها والإلمام بكل شؤونها، ويلاحظ أن المؤسسة الإسلامية بمدينة ليستر البريطانية تصدر دورية مهمة تتابع ما يكتب في الغرب حول العالم الإسلامي فتفرد عنوانا خاصا بكل دولة.

وتشمل الدراسات السياسية نشأة هذه الدول وأنواع حكوماتها وسياساتها الداخلية وعلاقاتها الخارجية، والعلاقات بين الحكومات وشعوبها، وتتضمن هذه الدراسات رصداً لأبرز الشخصيات السياسية والعلمية والإسلامية بصفة خاصة.

ويهتم الاستشراق المعاصر أيضا بالأوضاع الاقتصادية من حيث الثروات الطبيعية أو المعدنية التي توجد في العالم الإسلامي، وهذه الثروات التي يتطلع الغرب إلى أن يظل مهيمناً عليها تصنيعاً وتسويقا، ولا يبقى للبلاد الإسلامية إلا الاستهلاك وبعض المال الذي سرعان ما يضخ في الاقتصاد الأوروبي لأننا اقتنعنا أن الاستثمار عندهم يأتي بعائد كبير، وهم يفتعلون بين الحين والآخر هزات اقتصادية هنا وهناك لإضاعة هذه المكتسبات الوهمية.

وتركز الدراسات الاقتصادية على إبقاء الدول الإسلامية في حد الفقر بإغراقها بالديون التي بلغت أرقامها أرقاماً فلكية عدا عن الفوائد الربوية التي تعجز كثير من الدول عن سدادها فما بالك بأصل الدين.

ومن أبرز الموضوعات التي يتناولها المستشرقون في دراساتهم الاجتماعية موضوع المرأة ومكانتها في المجتمعات الإسلامية، فيقدمون أحياناً صورة واضحة لمكانة المرأة قد تحمل كثيراً من الحقيقة، ولكنهم يقدمون تفسيرات لبعض الظواهر بناءً على خلفيتهم الثقافية، ولكنهم لا يتوقفون عند حد المعرفة بل يريدون للمرأة المسلمة أن تتحول إلى مسخ من المرأة الغربية، ويؤكد هذا الاحتفال الكبير الذي لقيه كل من كتب عن المرأة المسلمة من المسلمين انطلاقاً من وجهة النظر الغربية، ومن هؤلاء قاسم أمين في كتابه (تحرير المرأة) وكتابه (المرأة الجديدة)، وظهر في تونس كاتب آخر تشبه كتابته ما كتبه قاسم أمين هو الطاهر الحداد في كتابه (امرأتنا أمام الشريعة والمجتمع).

ومما يساعد الغرب كثيراً على التعرف على حياتنا الاجتماعية الأعداد الكبيرة من الطلبة المبتعثين الذين يقدمون خلاصة جهدهم وعلمهم في رسائلهم الجامعية لنيل درجات الماجستير والدكتوراه، حيث يبحثون قضايا من المجتمعات الإسلامية لا يستطيع الغربيون الوصول الى المعلومات حولها

دراسة الصحوة الإسلامية >

يتردد في الكتابات العلمية وكذلك في وسائل الإعلام وصف الصحوة الإسلامية ب (الأصولية). وهي تسمية خادعة لأن "الأصولية" حركة نصرانية بروتستانتية ظهرت في العشرين من القرن الميلادي الحالي تنادي بالعودة إلى النصوص" المقدسة" والالتزام بها حرفياً. وهي دعوة إلى الجمود، كما إنها دعوة إلى محاربة المدنية الحديثة. ويلاحظ أن لليهود حركة أصولية مماثلة تنادي بمحاربة المادية المعاصرة ووسائل المدنية وتقنياتها!!

وإطلاق مصطلح "أصولية" على الحركات الإسلامية إنما هو من قبيل حرب النعوت والألقاب الذي يعد من وسائل الحرب وقد استخدمه المشركون في حربهم للرسول r

وكذلك استخدمه أعداء الأنبياء في كل زمن، فقد أطلق أعداء أحد الأنبياء على الذين اتبعوا نبيهم (أراذلنا) وأطلق على النبي r (مجنون، كاهن، شاعر، ساحر الخ).

وهكذا فالحركة الإسلامية أو الصحوة الإسلامية لا يصح أن نطلق عليها أصولية بهذا المفهوم الغربي، فدعوة الحركة الإسلامية العودة إلى تطبيق الإسلام تطبيقا سليما إنما هي دعوة إلى الحركة والحياة، والدليل على أن المسلمين حينما طبقوا أصولهم كانوا هم أرقى أمة عرفها التاريخ ولن يعرف أمة أرقى من المسلمين، فحينما تمسك المسلمون بإسلامهم كانوا أمة العلم والحضارة، وقد كتب الملك البريطاني جورج الرابع إلى الخليفة المسلم يقول له "لقد سمعنا ما تتمتع به بلادكم من رقي وحضارة، وأرجو أن يتنازل سيادتكم بتشريف ابني وبناتي بالدراسة في مدارسكم والنهل من علومكم، وذيّل خطابه بعبارة 'خادمكم المطيع'.

وجاء الاستقلال ظاهرياً حيث تأكد الاحتلال الأجنبي أن لا يسلم الأمور حين خروجه إلاّ إلى فئة ترعى مصالحه وتحارب الحركات الإسلامية، بل إن الغرب كما يقول الأستاذ محمد قطب قام بعملية ما يسمى ب(صناعة الزعيم) حيث اختار بعض من تثقف ثقافة غربية وقام بمسلسلات النفي والسجن لهؤلاء أو الخطف من الجو ثم أعادهم لتنظر إليهم الجماهير على أنهم الأبطال المحررون فيتبعوهم .

ويهمني في هذا الإيجاز أن أتناول بعض النماذج من رصد الغربيين للحركات الإسلامية (الأصولية):

1- محاضر جلسات الكونجرس الأمريكي.

لقد استضاف الكونجرس الأمريكي على مدي ثلاثة أيام من سنة 1985م عدداً من الباحثين الأكاديميين من الجامعات الأمريكية لتقديم شهاداتهم أو رؤيتهم للحركات الإسلامية في العالم الإسلامي، واستعرض الكونجرس بعض الدراسات لباحثين لم يتمكنوا من الحضور. وجمعت محاضر هذه الجلسات في كتاب بلغ عدد صفحاته اثنتين وأربعين وأربعمائة. وقد قام الدكتور أحمد خضر إبراهيم بترجمة جزء كبير من هذه المحاضر ونشرها على مدى خمسين حلقة في مجلة المجتمع قبل حرب الخليج الثانية، والمحاضر في لغتها الأصلية موجودة لدى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

2- كتاب الأصولية في العالم العربي.

تأليف ريتشارد هرير دكمجيان وترجمة الدكتور عبد الوارث سعيد ونشر دار الوفاء بالمنصورة (مصر)سنة1409م، والكتاب عمل مخابراتي في المقام الأول حيث يرصد نشاطات اثنتين وتسعين جماعة إسلامية في العالم العربي من خلال منشوراتها العلنية والسرية ومن خلال المقابلات الشخصية مع طائفة من المنتسبين إلى هذه الجماعات. ويشهد الواقع أن الباحث كان دقيقاً في كثير من المعلومات التي ضمها الكتاب، غير أن الكاتب بحكم خلفيته الغربية وأصله الأرميني انحرف في فهم بعض القضايا التي تتعلق بالصحوة، والكتاب في مجمله يستحق القراءة العميقة لأنه يقدم توصيات للحكومات الغربية وللحكومات العربية الإسلامية التي تسير في ركاب الغرب حول كيفية التعامل مع الحركات الإسلامية.

وقد صدرت في عام 1995م طبعة ثانية من الكتاب أضاف إليها المؤلف دراسات لعدد أكبر من الجماعات الإسلامية وصل إلى مائة وثماني جماعات، وقد تلقى المؤلف الدعم من الحكومة الأمريكية في دراسته في الطبعة الأولى وربما في الطبعة الثانية أيضاً، ويلاحظ أنه اهتم فقط بالجماعات التي تبدي معارضة للحكومات الإسلامية أما النشاطات الإسلامية والدعوة إلى العودة إلى الإسلام التي تعمل ضمن الأنظمة القائمة فلم يعر لها أي اهتمام.

3- المركز الأكاديمي الإسرائيلي للبحوث.

يذكر الدكتور أحمد عبد الحميد غراب أن هذا المركز قد أنشئ عام 1982م في القاهرة بناءً على مقررات معاهدة كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل، ويهدف المركز إلى تسهيل مهمة الباحثين اليهود للقيام بجمع المعلومات في مصر والاتصالات بالجامعات المصرية، كما يقوم المركز باستقطاب بعض الباحثين من مصريين وغيرهم لتقديم بحوثهم المتصلة بالمجتمعات العربية الإسلامية ويغدق عليهم من الأموال ما يغري ذوي النفوس الضعيفة للتعاون معه، ويقوم المركز بعقد ندوات أسبوعية وإصدارات نشرات تهدف إلى إثارة انبهار المسلمين بالتقدم العلمي والتقني في إسرائيل.

4- المخابرات المركزية الأمريكية.

قبل أكثر من عشر سنوات كانت جامعة هارفارد تنوي عقد ندوة عن الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي، وقبل بدء الندوة اكتشف أن المخابرات المركزية الأمريكية كانت ممولاً لهذه الندوة مما دعا الجامعة لإلغاء الندوة وفصل الأستاذ الجامعي الذي كان السبب في قبول هذا التمويل. وفي عام 1995م تنشر الشرق الأوسط على صدر صفحاتها نبأ دعوة المخابرات المركزية الأمريكية لعدد من أساتذة الجامعات لتقديم رؤيتهم لموضع الصحوة الإسلامية (الأصولية)، وقد انقسم الموقف بين أن تعامل الصحوة في جميع البلاد الإسلامية معاملة واحدة أو تعامل تلك الحركات التي تدعو إلى العنف معاملة مختلفة عما تعامل به الحركات السلمية.

أثر الاستشراق في العالم الإسلامي >

قدّم الاستشراق خدمات كبيرة للغرب النصراني في خدمة أهدافه التي قام من أجلها من أهداف دينية وسياسية واقتصادية واستعمارية وثقافية، وحتى عندما استغنى الغرب عن مصطلح الاستشراق وأنشأ أقسام دراسات الشرق الأوسط أو الشرق الأدنى أو مراكز البحوث المختلفة فما زالت الأهداف القديمة موجودة. ولكنه في الوقت نفسه أثر تأثيرات سلبية في العالم الإسلامي في المجالات العقدية، والتشريعية، والسياسية، والاقتصادية والثقافية. وفيما يأتي أبرز هذه الآثار:

الآثار العقدية

من أبرز الآثار العقدية للاستشراق في العالم الإسلامي ظهور تيار من المفكرين والعلماء والسياسيين وحتى الناس العاديين أو العامة الذين نادوا بفصل الدين عن الحياة أو ما يطلق عليه العلمانية، فالعقيدة الإسلامية تربط كل مجالات الحياة بالإيمان بالله عز وجل وبالتصور العام الذي جاء به الإسلام للخالق سبحانه وتعالى والكون والإنسان. فلمّا كانت أوروبا قد وجدت الديانة النصرانية المحرفة تعيق تقدمها ونهضتها ظهر فيها التيار الذي أطلق عليه التنوير منادياً بفصل الدين عن الحياة أو قصر الدين على الشعائر التعبدية والعلاقة بين الله والإنسان، أما شؤون الحياة الأخرى من سياسة واقتصاد واجتماع فلا علاقة للدين به، ونظراً لأن أوروبا لم تعرف النصرانية الحقيقية أو الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام بما أحدثه بولس فيها من تحريفات فإن ما ينطبق على أوروبا لا يمكن أن ينطبق على الإسلام.

ونهضت أوروبا نهضتها بمحاربة الدين والكنيسة، وبلغت الذروة في هذه الحرب في الثورة الفرنسية، وقد أثر الاستشراق في هذا المجال عن طريق البعثات العلمية التي انطلقت من العالم الإسلامي إلى فرنسا كما يقول الشيخ محمد الصبّاغ "إنّ إفساد الطلبة المبعوثين لم يكن ليتحقق في بلد من البلاد الأوروبية كما كان يمكن أن يتحقق في فرنسا التي خرجت من الثورة الفرنسية وهي تسبح في بحور من الفوضى الخلقية والفكرية والاجتماعية ...من أجل ذلك كانت فرنسا محل البعثات."[1] فانطلقت هذه البعثات من تركيا ومن مصر ومن إيران ومن المغرب. وكانت هذه البعثات تحت إشراف مستشرقين فرنسيين، فمثلاً كانت البعثة المصرية تحت إشراف جونار، ويقول أحد المستشرقين عن البعثات الأولى أنها كانت لدراسة الهندسة والفنون الحربية، ولكن المعلمين الفرنسيين كانوا حريصين على أن ينقلوا إلى الطلاب المسلمين الآداب الفرنسية والثقافة الفرنسية[2] .

ومن تأثير الاستشراق في المجال العقدي الاهتمام المبالغ فيه بالصوفية وبخاصة تلك التي ابتعدت عن الكتاب والسنّة فتجدهم يجعلون لابن عربي مكانة خاصة في النشاطات الاستشراقية، ويجذبون أبناء المسلمين لمثل هذه الاهتمامات. كما أن من اهتمامات الاستشراق التي تدعو إلى الشكوك في نياتهم الاهتمام بالفرق المنحرفة كالرافضة والإسماعيلية وغيرها من الفرق، فيعطونها من وقتهم ومن دراساتهم ما تجعل الغريب عن الإسلام يظن أن هذا هو الإسلام.

وقد حرص الاستشراق والتنصير على إنشاء المدارس والجامعات الغربية في العالم الإسلامي، فمن ذلك الكلية الإنجيلية التي تحولت إلى الجامعة الأمريكية التي لها فروع في كل من القاهرة وبيروت واسطنبول ودبي، بالإضافة إلى كلية فيكتوريا (مدرسة ثانوية) والكلية الأمريكية في بيروت (مدرسة ثانوية) وقد زعم كرومر Cromer في احتفال بمدرسة فيكتوريا بأن الهدف من هذه المدرسة وشبيهاتها تنشئة أجيال من أبناء المسلمين يكونون جسراً بين الثقافة الغربية ومواطنيهم المسلمين، ولعلها عبارة ملطّفة لتكوين جيل ممسوخ لا يعرف ثقافته ولا عقيدته.[3] وقد وصف الشيخ سعيد الزاهري التلاميذ الجزائريين الذين درسوا في المدارس الفرنسية في

الجزائر –أطلق عليها خداعاً المدارس العربية– بأنهم لا يصلون ولا يصومون ولا يتحدثون اللغة العربية فيما بينهم، ولا يؤمنون بأن القرآن الكريم وحي من الله [4]"...

الآثار الاجتماعية

تعد الآثار الاجتماعية من أخطر الآثار التي ما زال الاستشراق حريصاً على تحقيقها في العالم الإسلامي. فقد اهتم المستشرقون بدراسة المجتمعات الإسلامية ومعرفتها معرفة وثيقة حتى يمكنهم أن يؤثروا فيها بنجاح. وإن دوافعهم لهذا تنطلق من النظرة الاستعلائية الغربية بأن المجتمعات الغربية وما ساد فيها من فلسفات ونظريات هي المجتمعات الأرقى في العالم. وقد تمكن الاستعمار بالتعاون مع الاستشراق في إحداث تغيرات اجتماعية كبيرة في البلاد التي وقعت تحت الاحتلال الغربي. ففي الجزائر مثلاً حطم الاستعمار الملكيات الجماعية أو المشاعة للأرض وذلك لتمزيق شمل القبائل التي كانت تعيش في جو من الانسجام والوئام.[5]

وقد تعاون الاستشراق والاستعمار على إحداث النزاعات بين أبناء البلاد الإسلامية بتشجيع النزعات الانفصالية، كما حدث في المغرب العربي أيضاً بتقسيم الشعب المغربي إلى عرب وبربر، والتركيز على فرنسة البربر وتعليمهم اللغة الفرنسية ونشر الحملات التنصيرية في ديارهم. وقد أنشأت الحكومة الفرنسية الأكاديمية البربرية في فرنسا لتشجيع هذه النزعة.

ومن الجوانب الاجتماعية التي عمل فيها الاستشراق على التأثير في المجتمعات الإسلامية البنية الاجتماعية وبناء الأسرة والعلاقة بين الرجل والمرأة في المجتمعات الإسلامية. فقد اهتم الاستشراق بتشويه مكانة المرأة في الإسلام، ونشر المزاعم عن اضطهاد الإسلام للمرأة وشجع الدعوات إلى التحرير المزعوم للمرأة التي ظهرت في كتابات قاسم أمين والطاهر الحداد ونوال السعداوي وهدى الشعراوي وغيرهم.

ويرى الدكتور محمد خليفة أن موقف الاستشراق من المرأة المسلمة نابع من وقوعه "تحت تأثير وضع المرأة الغربية أنها نموذج يجب أن يحتذي به، وان ما حققته من مساواة –في نظرهم– وحقوق يجب أن يتسع ليشمل المرأة المسلمة والمرأة الشرقية العامة...". ويضيف خليفة بأن الاستشراق يسعى "إلى تقويض وضع المرأة المسلمة

داخل الأسرة على التمرد على النظام والخروج باسم الحرية وتصوير وضع المرأة المسلمة تصويراً مزيفاً لا يعكس الحقيقة."[6]
وقد أنشئت رابطة دراسات المرأة في الشرق الأوسط ضمن تنظيم رابطة دراسات الشرق الأوسط الأمريكية وهي التي تهتم بأوضاع المرأة المسلمة وتشجع اتجاهات التغريب من خلال مجلتها ربع السنوية واجتماعاتها في إطار المؤتمر السنوي لرابطة دراسات الشرق الأوسط وذلك بدعوة الباحثات المسلمات اللاتي يتبنين الأفكار الغربية من أمثال نوال السعداوي، وفاطمة المرنيسي وحنان الشيخ وغيرهن، ومن خلال تنظيم الندوات حول وضع المرأة المسلمة في المجتمعات الإسلامية.
و يقوم الاستشراق الإعلامي بدور بارز في الترويج للفكر الغربي في مجال المرأة ومن ذلك الصحافة الغربية والإذاعات الموجهة. فمن الكتب التي قدمت هيئة الإذاعة البريطانية عروضاً لها كتاب (ثمن الشرف) للكاتبة البريطانية الأصل جان جودون Jan Goodwin التي تناولت فيه دراسة أوضاع المرأة في خمس دول إسلامية هي الباكستان وأفغانستان والكويت ومصر والمملكة العربية السعودية. وقد خلطت الكاتبة فيه بين موقف الإسلام من المرأة وبعض التطبيقات الخاطئة في هذه الدول، ومن المعروف أن الإسلام حَكَمٌ على أهله وليس سلوك المسلمين حجة على الإسلام.
وقد قدمت إذاعة لندن في شهر جمادى الأولى تقريراً عن ندوة تعقد في إحدى الدول العربية حول موضوع المرأة وقدمت تصريحاً لمسؤول في تلك الدولة يزعم فيه أن بلاده وتركيا هما الدولتان الوحيدتان اللتان أصدرتا قوانين تحرّم تعدد الزوجات وتعطي المرأة كثيراً من الحقوق لمساواتها بالرجل. وإن التوازن في عرض وجهات النظر يقتضي أن تقدم الإذاعة من يتناول وجهة النظر الأخرى لمثل هذه التصريحات. وكانت الإذاعة قد قدمت تقريراً عن مؤتمر عقد في قطر للمرأة المسلمة وعرضت أخبار هذه الندوة بكثير من السخرية ومن ذلك وصفها لانتقال النساء في حافلات ذات ستائر غامقة اللون حتى لا يراهن أحد، بالإضافة إلى عبارات أخرى مليئة بالاستهزاء من موقف الإسلام من المرأة.
الآثار السياسية والاقتصادية

يزعم الغربيون أن الديموقراطية الغربية هي أفضل نظام توصل إليه البشر حتى الآن، ولذلك فهم يسعون إلى أن يسود هذا النظام العالم أجمع، ومن بين الدول التي يريدون لنظامهم أن يسودها البلاد الإسلامية، وقد سعوا إلى هذا من خلال عدة سبل وأبرزها هو انتقاد النظام السياسي الإسلامي. وقد ظهرت كتب كثيرة عن نظام الخلافة الإسلامي وافتروا على الخلفاء الراشدين بزعمهم أن وصول الصديق وعمر بن الخطاب y إلى الخلافة كان نتيجة لمؤامرة بين الاثنين.[7] وكتب مستشرقون آخرون زاعمين أن النظام السياسي الإسلامي نظام قائم على الاستبداد وفرض الخضوع والمذلة على الشعوب الإسلامية.[8] بل بالغ لويس في جعل النظام السياسي الإسلامي يشبه النظام الشيوعي في استبداده وطغيانه.[9]

وقد تأثرت بعض الدول العربية التي خضعت للاستعمار الغربي بالفكر السياسي الغربي بأن قامت باستيراد النظام البرلماني دون أن يتم إعداد الشعوب العربية لمثل هذه الأنظمة فكانت كما قال أحد المستشرقين بأن العرب استوردوا برلمانات معلبّة دون ورقة التعليمات.[10] وما زالت هذه البرلمانات في البلاد العربية يتحكم فيها الحزب الحاكم الذي لا بد أن يفوز بأغلبية المقاعد بأية طريقة كانت، ومع ذلك فما زال الغرب حريص على نشر الديموقراطية وقد كانت تصريحات الساسة الغربيين بأن (حرب الخليج الثانية) ستكون مناسبة لفرض الديموقراطية في العالم العربي وستكون البداية في الكويت.[11]

ومن الحقائق المثيرة للانتباه أن تركيا كانت من أقدم الدول الإسلامية تغرباً وتطبيقاً للنظام الديموقراطي ولكن عندما وصل الإسلاميون للحكم وانقلب السحر على الساحر -كما يقال- قلبت الدول الغربية لنظامهم الديموقراطي ظهر المجن وسعوا إلى تأييد العسكر في كبت الحريات ومصادرة الديموقراطية.

أما في المجال الاقتصادي فإن الغرب سعى إلى نشر الفكر الاقتصادي الغربي الاشتراكي والرأسمالي وذلك بمحاربة النظام الاقتصادي الإسلامي وكما يقول محمد خليفة "إنّ المستشرقين في سعيهم للترويج للفكر الاقتصادي الغربي قاموا بإعادة تفسير التاريخ الاقتصادي الإسلامي من وجهة نظر الرأسمالية والشيوعية كنوع من

التأصيل للنظريتين وتقديمهما على أنهما لا يمثلان خروجاً عن النظام الاقتصادي الإسلامي"[12]

وكان من نتائج الترويج للاشتراكية والرأسمالية في العالم الإسلامي أن انقسم العالم الإسلامي على نفسه فأصبح قسم منه يدور في الفلك الشيوعي والقسم الآخر في الفلك الرأسمالي، ولعل من طرائف المواقف الاستشراقية أن تسعى الدول الغربية إلى بث النظام الاشتراكي في بعض الدول العربية كما أشار أحد الباحثين بتدريس الاقتصاد الاشتراكي والترويج بأن التنمية الحقيقية في العالم العربي تتطلب تأميم وسائل الإنتاج، وأن الحرية الاقتصادية الغربية لا تناسب مراحل التنمية الأولى.[13]

وكان من تأثير الاستشراق أيضاً تشجيع الصناعة في البلاد الإسلامية دون الاستعداد الكافي لها، وإهمال قطاع الزراعة فقد اقتنع العالم العربي بأن النهضة الحقيقية إنما تكون في الصناعة، ولذلك أهملت الزراعة إهمالاً شبه كلي، مع أن نهضة الغرب الصناعية بدأت بالاهتمام بالزراعة وما زال الغرب يسيطر على إنتاج الحبوب والمواد الغذائية الأساسية في العالم.

الآثار الثقافية والفكرية

حقق الاستشراق نجاحاً كبيراً في التأثير في الحياة الثقافية والفكرية في العالم الإسلامي فبعد أن كان القرآن الكريم والسنّة المطهرة وتراث علماء الأمة الذين فهموا هذين المصدرين فهماً جيداً وعاش المسلمون على هدي من هذه المصادر في جميع مجالات الحياة أصبحت المصادر الغربية تدخل في التكوين الفكري والثقافي لهذه الأمة سواء أكان في نظرتها لكتاب ربها سبحانه وتعالى ولسنة نبيها أو للفقه أو للعلوم الشرعية الأخرى أو في منهجية فهم هذه المصادر ومنهجية التعامل معها كما أثر الفكر الغربي في المجالات الفكرية الأخرى كالتاريخ أو علم الاجتماع أو علم النفس أو علم الإنسان أو غيره من العلوم.

وقد استطاع الاستشراق تحقيق هذا النجاح بما توفر له من السيطرة على منابر الرأي في العالم الإسلامي فقد أنشأ الغرب العديد من المدارس كما أن العديد من أبناء الأمة الإسلامية تلقوا تعليمهم على أيدي المستشرقين في الجامعات الغربية (الأوروبية والأمريكية). ولمّا كانت بعض البلاد العربية والإسلامية خاضعة للاحتلال

الأجنبي فقد مكّن لهؤلاء الذين تعلموا في مدارسه. فما زالت الصلة قوية فيما بين الطلبة الذين تخرجوا في كلية فيكتوريا بعد أن تسلم كثير منهم مناصب حسآسة في بلادهم.

ومن المنابر التي استطاع الغرب أن ينشر من خلالها الثقافة والفكر الغربيين وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفاز ونشر بأشكاله المتعددة. فقد أنشئت الصحف والمجلات التي تولى رئاسة تحريرها أو عملية الكتابة فيها كثير من الذين تشبعوا بالثقافة الغربية، وقد بذلوا جهوداً كبيرة للرفع من شأن تلاميذهم فهذا يطلق عليه (عميد الأدب العربي) وآخر يطلق عليه (أستاذ الجيل) وثالث يطلق عليه (الزعيم الوطني)[14] ومن هذه الصحف الأهرام ومجلات المقتطف وغيرهما من الصحف والمجلات، كما أنشؤوا المسارح والسينما، وأدخلوا إلى حياة الشعوب العربية الإسلامية فنون اللهو غير المباح من مراقص وغناء وغير ذلك.

وكان للاستشراق دوره في مجال الأدب شعراً ونثراً وقصة، فقد استغلت هذه الوسائل في نشر الفكر الغربي العلماني وبخاصة عن طريق ما سمي (الحداثة) التي تدعو إلى تحطيم السائد والموروث، وتفجير اللغة وتجاوز المقدس ونقد النصوص المقدسة. وقد استولى هؤلاء على العديد من المنابر العامة ولم يتيحوا لأحد سواهم أن يقدم وجهة نظر تخالفهم وإلاّ نعتوه بالتخلف والرجعية والتقليدية وغير ذلك من النعوت الجاهزة.

وقد انتشرت في البلاد العربية الإسلامية المذاهب الفكرية الغربية في جميع مجالات الحياة في السياسة والاقتصاد، وفي الأدب وفي الاجتماع. ففي السياسة ظهر من ينادي بالديموقراطية ويحارب الإسلام وفي الاقتصاد ظهر من تبنى الفكر الشيوعي والاشتراكي وفي الأدب ظهر من نادى بالنظريات الغربية في دراسة اللغة وفي الأدب وفي النقد الأدبي؟ وأخذ كثيرون بالنظريات الغربية في علم الاجتماع وفي التاريخ وفي علم النفس وفي علم الإنسان وغير ذلك من العلوم.[15]

– الحواشي :

[1] –محمد الصباغ . الابتعاث ومخاطره. (دمشق: المكتب الإسلامي ،1398هـ–1978م، ص 29–30.

Bernard Lewis. “ The Middle East Versus The West.” In – [2]
.29–21.pp. 1963October 4Encounter. Vol. Xxi, no.

[3] – محمد محمد حسين . الإسلام والحضارة الغربية. ط5.(بيروت: مؤسسة الرسالة 1402–1982)ص 46.

[4] –محمد السعيد الزاهري. الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير. (الجزائر:دار الكتب الجزائرية، بدون تاريخ)ص108

[5] –مازن مطبقاني . " الحياة الاجتماعية في المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق." في المنهل(جدة) عدد471، م 50 رمضان /شوال 1409، ص 352–362.

[6] –محمد خليفة حسن. آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية . (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997) ص 64.

25)p.1966Thomas Arnold. The Caliphate. (Lahore: – [7]

Bernard Lewis.” On The Quietist and Activist Tradition in – [8]
Islamic Political Writing. In Bulletin of S. O. A. S Vol. XLIX
.141.p.1986, 1Part

B. Lewis.” Communism and Islam. “ in International – [9]
.12–1.pp 1954, 30Affairs. Vol.

[10] –برنارد لويس . الغرب والشرق الأوسط. ترجمة نبيل صبحي.(القاهرة : المختار) ص79.

.And Washington 2,1991Washington Times, February – [11]
.19,1991Post. February

[12] –حسن ،مرجع سابق ص 79.

[13] – محمد قطب. واقعنا المعاصر. (جدة:مؤسسة المدينة المنورة للنشر والتوزيع، 1407هـ/1987م) ص.324وما بعدها.

[14] – ناقش الأستاذ محمد قطب في كتابه واقعنا المعاصر مسألة صناعة الزعيم حيث يتحول الكفاح ضد المستعمر الأجنبي قضية وطنية وتراب وتحرر وليس جهاداً

إسلامياً كما أراده الله .وقد نجحوا في صناعة الزعيم في العديد من البلاد العربية الإسلامية. كم أسهموا فيما أطلق عليه سرقة الثورات .

[15] –حسن ،مرجع سابق ، الفصل الخامس بعنوان (الآثار السلبية للفكر الاستشراقي في المجال الثقافي والفكري)ص 87إلى 100.

============

#منهج المستشرق برناردلويس

في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي

رسالة دكتوراه في الاستشراق الحديث والمعاصر

للدكتور مازن صلاح مطبقاني

كلية الدعوة – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بالمدينة المنورة – رمضان 1414هـ

تحت إشراف

أ.د. محمد خليفة حسن أحمد

عرض وتقديم

د.خالد نعيم(*)

تتناول هذه الدراسة العلمية الجادة، مستشرقاً صليبياً من أبرز المستشرقين المعاصرين، وأخطرهم، وهو (برناردلويس)، الذي يعد بحق رأس المستشرقين حالياً، لما له من كتابات وبحوث ودراسات كثيرة جداً، ومعظمها في الدراسات العربية والإسلامية، ولأنه تناول على مدى أكثر من نصف قرن من الزمان، الكتابة في موضوعات عديدة، ومتنوعة، مما يجعل الإنسان يشفق، على من يتصدى لدراسة هذا الكم الهائل، من كتابات ودراسات هذا المستشرق (برنارد لويس).

والحقيقة أنّ رسالة الباحث السعودي الجاد، (مازن مطبقاني)، تكتسب أهميتها من كونها تعالج موضوعاً جديداً، وخطيراً وشائكاً، حيث تتناول الدراسة، الأساليب العجيبة التي عالج بها (برناردلويس)، الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي، وزين بها شبهات من سبقه من المستشرقين. فقد تتبع الباحث الجاد، هذه الأساليب تتبعاً

دقيقاً، وتصدى له، فرصد له كل سمومه الإستشراقية؛ ففضح أهدافه الصهيونية، وأماط اللثام عن الكثير من أخطائه ودسائسه الخطيرة.

وبذلك تقدم الدراسة رؤية فكرية إسلامية جديدة، وواعية لمنهج هذا المستشرق الصليبي الصهيوني، الذي انخدع فيه كثير من مثقفينا العرب بأسلوبه الأدبي الجذاب، الذي يستخدمه في حالات كثيرة، عند تصديه للكتابة عن الفكر الإسلامي، كما تقدم الرسالة العلمية هذه نتائج وتحليلات وتوصيات فكرية واعية، من خلال ما توفر لدى مقدمها الباحث الجاد (مازن مطبقاني)، من وثائق خطية أصلية . تنشر لأول مرة . ، والكم الهائل من المصادر والمراجع والبحوث والدراسات العربية، والإفرنجية. وهي تميط اللثام . في نفس الوقت . عن الأهداف الخبيثة لهذا المستشرق المتعصب، بل وتكشف عن الكثير من أخطائه ومغالطاته المتعمدة، وخروجه عن منهج البحث العلمي.

وقد استطاع الباحث السعودي . مازن مطبقاني . استنطاق كل هذه الوثائق الخطية الأصلية، وغيرها من البحوث العلمية، بحرفيه المؤرخ المتمكن الواع، وبمصداقية يحسد عليها !! وقد وظف هذه الوثائق الخطية الأصلية؛ مع العديد من المصادر والمراجع والدراسات العربية والإفرنجية، والدراسات المتخصصة والمقالات الأخرى بالدوريات العربية والأجنبية؛ في موضوعه بشكل أضاف به الجديد إلى العلم ، ومن هنا كان تقدر اللجنة العلمية الموقرة، التي ناقشته . وكانت تتألف من أ.د. محمد خليفة حسن حمد (مشرفا) ، أ.د.حسنين ربيع (عضواً) ، د. محمد أبوالفتح البيانوني (عضواً) ؛ ومنحته درجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف في الاستشراق الحديث والمعاصر .

وهذه الدراسة العلمية المتميزة ، تقع في(614) صفحة، من حجم الفلوسكاب، وتجيء في أربعة أبواب رئيسية؛ مقسمة داخلياً إلى فصول، وبعض الفصول إلى مباحث ؛ وخاتمة ضمنها الباحث نتائج دراسته، وقائمة ببلو جرافيه شاملة المصادر والمراجع والبحوث والدراسات والدوريات، العربية والإفرنجية، وملحق يحوي الوثائق الأصلية؛ وهي مجموعة رسائل خطية تبادلها الباحث مع المستشرق (برناردلويس)، ونص لحوار أجراه معه بجامعة (برنستون) بالولايات المتحدة، في 21 أكتوبر عام 1988م،

وكذلك مجموعة رسائل خطية أخرى، تبادلها الباحث مع باحثين مسلمين تتلمذوا عل يد (لويس) أو درسوا كتاباته؛ وهذه الدراسة مسبوقة بمقدمة منهجية، عرض فيها الباحث لأهمية بحثه، وتعريف سريع لشخصية (برناردلويس)، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة وأقسامها البحثية. ولم يفت الباحث أن توجه بالشكر إلى كل الذين عاونوه في إنجاز هذا العمل العلمي الجاد.

ففي الباب الأول : والذي عنونه الباحث بـ (طبيعة الاستشراق الإنجليزي والاستشراق الأمريكي)

قد قسمه إلى ثلاثة فصول رئيسية، جاء (الفصل الأول) منها بعنوان (طبيعة الاستشراق الإنجليزي والأمريكي)؛ وعرض فيه الباحث خفايا هذين التوجهين ، من الاستشراق ، والذي انتمى إليهما (برنارد لويس) موضوع البحث .

ويجيء (الفصل الثاني) عن (ترجمة لبرنارد لويس)، حيث تناول فيه الباحث، مولده، ونشأته، وتعليمه والمنابع الفكرية لرؤيته الاستشراقية، وآثاره المختلفة. فقد أشار الباحث لانضمام (برنارد لويس) إلى صفوف القوات البريطانية التي أعارت خدماته بدورها إلى وزارة الخارجية، مع نشوب الحرب العالمية الثانية. فتمكن خلال هذه المرحلة من أن يعايش تجربة ارتباط الدراسات الاستشراقية بالسياسة.

ثم عمل . بعد ذلك . في (جامعة لندن)، مدرساً للتاريخ ، ثم رئيساً لقسم تاريخ الشرق الأدنى، خلا الفترة (1957 . 1974) م؛ كما عمل أستاذاً زائراً في العديد من الجامعات الأمريكية ، خلال الفترة (1949ـ 1974م) ، وقرب نهاية عام 1974م هاجر إلى الولايات المتحدة، حيث عمل أستاذاً لتاريخ الشرق الأدنى، (بجامعة برنستون). وقد أتاحت له سنوات خدمته الطويلة، في التعليم الجامعي القيام بالإشراف على العديد من الرسائل العلمية (الماجستير والدكتوراة) في التاريخ الإسلامي. كما تتلمذ عليه العديد من طلاب الدراسات الشرقية، في الغرب والشرق.

ويضيف الباحث قائلاً:(وفي عام 1986م وقع الاختيار على (برنارد لويس) ليكون رئيساً (لمعهد الدراسات اليهودية ودراسات الشرق الأدنى) . وظل يمارس نشاطه التدريس حتى تقاعد في عام 1988م.

وأشـار الباحـث أن (برنـارد لـويس) خـلال فتـرة تواجـده بالولايـات المتحـدة (1975 ـ1986) عمل مستشاراً للجان الشؤون الخارجية ، بالكونجرس، مرات عديدة، حتى أصبح أحد كبار الأكاديمين، والمعلقين السياسيين، في شؤون (الشرق الأوسط)!! وقد نالت كتاباته عن (الإسلام) و (التاريخ الإسلامي) اهتماماً واسعاً في الشرق العربي الإسلامي ، حيث ترجمت بعض مؤلفاته إلى اللغة العربية والتركية والفارسية .

وقد جاء (الفصل الثالث) من هذا الباب ؛ بعنوان (دراسة تحليلية لكتابات برنارد لويس) ، حيث درس الباحث تلك الكتابات، التي لم يسبقه إليها باحث، حسب علمه، وقد جاء على رأسه هذه الكتابات لبرناردلويس (اكتشاف المسلمين أوربا)، الصادر له في عام 1982م، وهذا الكتاب جدير بالاهتمام بصورة خاصة ، لدى المفكرين والمثقفين العرب، لأن (برناردلويس) حاول .كعالم غربي . أن يتفهم أسلوب تفكير الإنسان في العالم الإسلامي، وفي نفس الوقت حاول أن ينظر إلى تاريخ التقاء الثقافتين (الإسلامية والمسيحية) ، وأيضاً صراعاتهما ، بعيون المستشرق الصليبي ، بعيداً عن الموضوعية والمنهجية ، التي يدعيها كل المستشرقين الغربيين ، الذين كتبوا عن الإسلام والشرق ؛ بيد أن محاولة (لويس) هذه لم تكلل بالنجاح من جميع النواحي .

وأما (الباب الثاني) والذي عنونه الباحث بـ (موقف برناردلويس من القرآن الكريم ، والحديث الشريف والعقيدة والفقه) ؛ فقد قسمه الباحث إلى أربعة فصول رئيسية .

حيث جاء (الفصل الأول) منها بعنوان (رؤية برنارد لويس للقرآن الكريم) ، فقد أشار الباحث أن (لويس) خاض في موضوع لم يتخصص فيه ، ولذلك جاءت كل طروحاته سماً زعافاً ، ضد كتاب الله تعالى . فقد أخذ (لويس) يردد آراء وأقوال من سبقوه في الكتابة عن (القرآن الكريم) ، من المستشرقين الصليبيين ، والذين وصفوا (القرآن الكريم) بأنه . والعياذ بالله .كما قال المستشرق الصليبي (ريكولدو) : "إن القرآن غير منطقي لأنه غير معزز بالمعجزات ، وذلك بسبب شرور وفسق المؤسس ، كذبه وتناقضه مع نفسه ؛ ولذا فهو جائر"!! وقد ورد هذا النص الخطير في كتاب المستشرق (نورمان دانييل) الإسلام والغرب ، والذي صدر في (أدنبره) عام 1960م

، لأول مـــرة ، وقـــد أعيـــد طبـــع هـــذا الكتـــاب عـــدة مـــرات ، فـــي عـــام 1962،1966،1980م، وهو يقع في 448 صفحة ، من المقطع المتوسط .
وهكذا كانت طروحات (برناردلويس) سما زعافاً ضد كتاب الله تعالى .
وجـاء (الفصـل الثـاني) مـن هـذا البـاب بعنـوان (رؤيـة برنـاردلويس حـول الحـديث الشريف) ، وقد أشار الباحث . كذلك . إلى أنه تخبط كثيراً في رؤيته للحديث الشريف ، حيث ردد آراء وأقوال من سبقوه ، كذلك كانت كتاباته في هذا الشأن قاصرة ، ولم يضيف جديداً ، لأنه لم يكن متخصصاً في هذا العلم .
وعنون الباحث (الفصل الثالث) بـ (رؤية برناردلويس حول العقيدة والفرق في التاريخ الإسـلامي)؛ وقد أشار الباحث إلى أن لويس في هذا الفصل ، ردد أخطاء معظم المستشرقين الذين سبقوه ، في هذا الطرح حول الفرق في التاريخ الإسلامي ، مما جعل كتابات في هذا الموضوع تفتقد الأصالة العلمية ، علامة على أنه روج للشبه التي قال بها المستشرقون السابقون له . ولأنه لم يهتم بتوثيق معلوماته ، فإنه فقد مصداقيته لدى معظم الباحثين .
وأضـاف (مـازن مطبقـاني) أن (برنـاردلويس) تجاهل معنـى (الحريـة السياسـية) التـي زعم أنها مستوردة من الغرب ، ولم يفطن إلى أن الحرية في الإسلام ، إنما تنبثق عن التوحيد ، الذي يحرر المرأ من كل معبود (سوى الله سبحانه وتعالى) . وهو فـي ذلـك يتعمد التشويه للإسـلام ، كعقيـدة ، وتاريخـه خاصـة عنـدما يـزعم (إن الإسـلام مـاهو إلا تحريـف لليهوديـة) !! ونحـن لا نسـتغرب هـذا الـرأي مـن (برنـاردلويس) باعتباره يهودي متعصب للصهيونية العالمية .
وجعل الباحث (الفصل الرابع) من هذا البابا (عن رؤيـة برنـاردلويس حـول بعض قضــايا الفقــه الإســلامي) ، ونــوه الباحــث إلــى أن (لــويس) دس بعــض الســموم الاستشراقية الخطيرة ، في هذا الفصل والتي لا طعم لها ولا رائحة . وقد كان (مازن مطبقاني) بارعاً في فضحه خلال مناقشته لآرائه حول قضايا الفقه الإسلامي ؛ والتي دست في الدسم ، ويصعب على كثير من العلماء والمتخصصين كشفها أحياناً ، إذا لم توضع في المختبرات ، وتعمل فيها أيدي الخبراء ، وأدوات السبر الدقيقة .
وتحسب (لمازن مطبقاني) هذه الحرفية الواعية ، في كشف هذه السموم الاستشراقية .

وأما (الباب الثالث) من هذه الدراسة القيمة ؛ فقد عنونه الباحث بـ(موقف برناردلويس ورؤيته للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية والمجتمع) ، وقسمه الباحث إلى سبعة فصول رئيسية ، تناول في (الفصل الأول) منه (موقف لويس من أحداث السيرة النبوية) وأثبت الباحث في هذا الفصل أن المستشرق برناردلويس لم يلتزم بالموضوعية العلمية في دراسته للتاريخ الإسلامي ، إبتداء من (السيرة النبوية الشريفة) ، حيث راح يستخدم منهج التشكيك في معطيات سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم كما أنه لم يتبين موقفاً إيجابياً واحداً ، تجاه شخصية الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، مؤكداً بعده عن الموضوعية ، بادعائه بل وإنكاره المطلق لوجود وثائق إسلامية يرجع إليها .

وفي (الفصل الثاني) الذي عنونه الباحث بـ(موقفه من الخلافة الراشدة) ؛ أثبت (مازن مطبقاني) أن المستشرق (برناردلويس) يعتمد الكذب كأحد دعامات المنطلق التحليلي الاستشراقي في دراسته الحوادث التاريخية ، وأكد الباحث . كذلك . أن (لويس) كرس حياته وجهده لتشويه كل ما هو إسلامي ، وللنيل من المسلمين تاريخاً وحاضراً وتراثاً ، كما أثبت (مازن مطبقاني) أن لويس أحد نماذج الاستشراق المرتبطة بالصليبية العالمية ، والمتخصصة في تشويه تاريخ الإسلام والمسلمين .

وقد أثار الباحث في (الفصل الثالث) الذي عنونه بـ(آراء لويس وشبهاته حول الفتوحات الإسلامية) ؛ إلى أن لويس ردد شبهات من سبقوه ، حول الفتوحات الإسلامية ، والجهاد في سبيل الله .. ، وحاول متعمداً أن يجعل الجهاد الإسلامي ما أطلق عليه (النظرية القانونية في الإسلام) ؛ حيث يقول (برناردلويس) في هذا الصدد : "تنقسم الإنسانية في الرؤية الإسلامية إلى العالم ، بطريقة حاسمة إلى (دار الإسلام) و (دار الحرب) " ، و"ولكن منطق القانون الإسلامي لا يعترف بالوجود الدائم ، لأي جماعة أخرى ، خارج نطاق الإسلام ؛ فحسب الرؤية الإسلامية ، ستدخل الإنسانية جمعاء في الإسلام يوما ماً ، أو ستخضع للسيادة الإسلامية ، "أو هكذا يستمر (لويس) في الطعن ، والتشكيك في حركة الجهاد ، والفتوحات الإسلامية . ولقد رد عليه باحثنا الجاد ، وفند له كل شبهه بالوثائق ، كانت حول الفتوحات الإسلامية .

ولقد أثبت (مازن مطبقاني) بالفعل أنه باحث جاد يتمثل تواضع العلماء ، عن جدارة ، عندما يعرف بقوله :" أما الجوانب التاريخية في أعمال (برناردلويس) ، فتحتاج إلى تناول تاريخي يحللها وينقدها أساتذة متخصصون ، استناداً إلى المصادر التاريخية الإسلامية " !! .

ويكتفي (مازن) بتتبع الجوانب الفكرية فقط في التاريخ الإسلامي ، معترفاً بغزارة إنتاج المستشرق (لويس) ، والمتشعب في دراسة الإسلام ، والذي يحتاج إلى جهود فريق عمل من الباحثين ، لدراسته ، وتتبع آثاره وآرائه الأخرى .

وأما (الفصل الرابع) والذي خصصه الباحث حول (موقفه من التاريخ الإسلامي الحديث)، فقد قسمه إلى مبحثين أساسيين جعلهما عن (رؤيته للخلافة العثمانية) و (موقفه من الصهيونية العالمية وفلسطين)؛ وقد أثبت (مازن) تحيّز لويس الواضح للقضايا اليهودية والصهيونية ؛ وتأثير هذا التميز سلباً في كتاباته ، عن القضية الفلسطينية ، كما طغت نزعته الصهيونية والتحذيرية للغرب الصليبي ، في اهتمامه الخاص لإبراز الحركات الإسلامية المعاصرة في أوربا وعالمنا الإسلامي بأنها خارجية ومنحرفة وليست لها جذور ولا هدف !!.

وقد أشار الباحث لمحاولة (لويس) . المتعمدة . الدفاع عن (حركة تركية الفتاة) بخضوعها للنفوذ اليهودي الصهيوني ، مع ثبوت ذلك الأمر وثائقياً . وأثبت الباحث ، وعن إقناع موفق ، أن (برناردلويس) ، قد وظف علمه وخبرته لخدمة أهداف الصهيونية العالمية، مؤكداً بان المستشرق (برناردلويس) نفسه صرح بانتمائه الصهيونية في أكثر من موضع ومحفل.

وقد جعل (مازن مطبقاني) عنوان (الفصل الخامس) من هذا الباب بعنوان (رؤية برناردلويس للحضارة الإسلامية) والأخير من هذا الباب قدم فيه الباحث (نقد لمنهجية لويس في دراسة التاريخ والحضارة) .

وباستقراء هذه الفصول الثلاثة الأخيرة (الخامس، والسادس، والسابع) من (الباب الثالث) ، يتضح أن الباحث قد أثار قضية براعة بعض المستشرقين في إلباس كثير من الشبهات حول التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، لبوس الحقائق العلمية ،

وصياغتها بأساليب خفية متطورة لتنفذ وتستقر في حياتنا الفكرية ، ووجداننا الثقافي باسم الحقائق الحرة والمناهج العلمية !!.

أما (الباب الرابع) والأخير من هذه الدراسة القيمة ، فقد خصصه الباحث للتعرف على (منهج برناردلويس في دراسة المذاهب الفكرية المعاصرة والحركات الإسلامية) وقسمه الباحث إلى ثلاثة فصول رئيسية ، وقد أبرز فيه الباحث رؤية المستشرق لويس حول الشيوعية والرأسمالية والصهيونية ، وغيرهم من الاتجاهات والمذاهب الغربية المعاصرة . كما أفرد (مازن مطبقاني) لقضية (التعريب والتأثر بالحضارة الغربية) في منهج لويس (الفصل الثاني) من هذا الباب، وقد وفق الباحث في تغطية بحثه في هذه القضية، حول شتى المجالات الفكرية والاجتماعية والثقافية .

وعنون الباحث (الفصل الثالث) والأخير من هذا الباب والرسالة، بـ(منهج برناردلويس في تقويم الحركات الإسلامية المعاصرة)، حيث تناول فيه الباحث، جذور الصحوة الإسلامية السلفية المعاصرة، والتي انصبت عنها كتابات لويس محدداً الجذور بعام 1928/1927م، حيث تزامن مع هذا العام ظهور دعوة (الإخوان المسلمون) في مصر؛ واستقت منها معظم الحركات الإسلامية المعاصرة ، الفكر والمنهج، كما أوضح الباحث أصول منهج لويس، الصليبي في تقويمه لهذه الحركات الإصلاحية السلفية حيث كان المستشرق لويس حريصاً كل الحرص على إبراز جميع هذه الحركات الإصلاحية السلفية المعاصرة، سواء في أوربا أو في عالمنا الإسلامي، بأنها لا تنتمي إلى الأصول الإسلامية ، وإنما انتماءها خارجي، بل ووصمها هذا الصليبي، بأنها منحرفة وليست لها أصول عقدية ، ولا هدف محدد !!.

وفضح الباحث في هذا الفصل الثالث ، وبالذات نظرة (برناردلويس) النصرانية المتعصبة، تجاه (الصحوة الإسلامية) وكافة رموزها الحركية ، حيث أبرز الباحث نص من كتاب للمستشرق لويس، عنوانه (اكتشاف المسلمين أوربا) الذي أصدره (برنارد لويس) في عام 1982م ، حيث يعترف فيه (برنارد لويس) بأن "موقف المسيحية من الإسلام أكثر تطرفاً وأقل تسمحاً، من موقف المسلمين من المسيحية"، ويذكر لويس أسباب ذلك التسامح الإسلامي ، بقوله : "إن بعضها ديني . تاريخي، وبعضها الآخر ذو طبيعة عملية ؛ فرسول الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم)

عاش بعد المسيح بستة قرون تقريباً ، وكان كل من المسيحيين والمسلمين يعتبر أن دينه روحية يمثلان كلمة الله الأخيرة للإنسانية . بيد أن التسلسل التاريخي حدد الفرق بين نظرة كل منهما إلى الآخر ؛ فالمسيح كان بالنسبة للمسلمين بشيراً ونذيراً ، بينما كان محمد (صلى الله عليه وسلم) بالنسبة للمسيحيين دجالاً(!!) وبدت المسيحية للمسلمين كصورة مبكرة وناقصة ومتقادمة للدين الصحيح"!!.

ثم يتواصل (برناردلويس) في سرد أسباب التسامح الإسلامي ، ثم يصل إلى قوله ، وبصراحة وبدون مواربة ما نصه : "ولكن تسامح المسيحيين مع الإسلام ، كان سيعني الاعتراف بوجود وحي بعد المسيح ، وبكتاب مقدس بعد الأناجيل . ولم يكن المسيحيون مستعدين للاعتراف بذلك" !!.

وبهذا النص الوثائقي الذي جاء فاضحاً لتعصب (برناردلويس) حسم (مطبقاني) قضية المنهج لدى هذا المستشرق الخطير ، والذي قوم به الحركات الإسلامية المعاصرة .

وفي (خاتمة) الرسالة التي ضمنها الباحث نتائج دراسته العلمية القيمة ، توصل (الدكتور مازن مطبقاني) إلى العديد من النتائج الهامة ، نذكر من بينها على سبيل المثال . لا الحصر . أن (برناردلويس) قدم في بداية حياته نقداً منهجياً علمياً للدراسات الاستشراقية ، وأوضح كثيراً من عيوبها ، ودعا إلى البحث في المصادر التاريخية الأصلية ، وقد رجع هو نفسه إلى كثير منها في بحوثه الأولى ، كما أنه أسهم إسهاماً فعالاً في تطوير هذه الدارسات في الجامعات الامريكية والبريطانية !! وهذا يعني أن لويس في بداية حياته العلمية كانت رؤيته موضوعية إلى حد ما" .

إن ما يؤخذ على منهج (برناردلويس) عامة ، خوضه في موضوعات كثيرة ، لم يكن متخصصاً فيها ، ومن ذلك كتاباته عن القرآن الكريم والحديث الشريف والعقيدة الإسلامية والفقه ، ولذلك فقد كانت رؤيته في كل هذه الموضوعات عالة على آراء من سبقوه ، في معالجة هذه الموضوعات ، من المستشرقين ، وقد ردد كل أخطائهم وشبهاتهم ، مما جعل كتاباته في هذا المجال بالذات ، تفتقد الأصالة العلمية ، كما أنه استخدم التعميمات العشوائية والجزافية ، والأحكام المطلقة ، وإسقاط المصطلحات

الغربية (الصليبية وغيرها) والتي من شأنها أ، تنسف آرائه العلمية ، التي كانت له في بداية حياته .

ومن أهم ما أظهرته نتائج هذه الدراسة . أيضاً . أن كتابات (برناردلويس) عموماً أكدت عدم التزامه بقواعد المنهج العلمي ، من مراعاة الحقائق وفحصها وتحليلها ، وجمع الشواهد التي تؤيد أو تعارض القضية موضوع البحث . مما يفضح نظرته المتعصبة للصليبية العالمية ، تارة ، والصهيونية ، تارة أخرى . وهذه النظرة الضيقة لا تقر بوجهة النظر المخالفة ، حيث لا يختار من الحقائق والمعلوامت ، والبيانات إلا ما يؤيد وجهة نظره هذه التعصبية ، ومما يؤكد بعد (لويس) عن الموضوعية ، والمصداقية ، إنكاره المطلق لوجود الوثائق الإسلامية !!.

كما أثارت الدراسة في نتائجها ، حقيقة منهج (برناردلويس) التعصبي ، في تبسيط الحقائق التاريخية أو اختزالها ، وبشكل متعمد ، حتى تفقد قيمتها العلمية، وتركيزه على العامل الاقتصادي ، وتعصبه الصارخ لمذهب سياسي معين ، وهو الصهيونية .

وأكدت الدراسة في نتائجها أيضاً، أن تناول (برناردلويس) للقضايا المعاصرة . وخاصة في السنوات الأخيرة . وبالذات قضايا (التحديث والتطوير والحركات الإسلامية المعاصرة) . قد غلب عليها التسطيح، والنظرة الاستعلائية، بل واتسمت معالجه لها، بلغة صحفية ، تعتمد الإثارة ومخاطبة العواطف، نهجاً تعصبياً صارخاً، وبخاصة عند تطبيقه للمعايير الغربية الصليبية ، على تلك القضايا الإسلامية .

وقد أوصى باحثنا الجاد (الدكتور مطبقاني) في نهاية خاتمته هذه بما يلي :

أولاً: ضرورة مواجهة (برناردلويس) وأمثاله من المستشرقين؛ بالدراسات العلمية الجادة والمتصفة بالموضوعية ؛ وذلك من خلال إنشاء مراكز للبحوث العلمية، والتوسع في إنشاء أقسام الاستشراق والدراسات العربية الإسلامية، بالجامعات العربية؛ ومدها بأحدث وسائل التقنية المعاصرة، لتهيء للباحثين الاطلاع عن إنتاج المستشرقين والمتخصصين في الدراسات الإسلامية والإقليمية، من الغربيين الصليبيين. وإعداد جيش من الباحثين المتمرسين، في اللغات الأوربية الحديثة وغيرها، وتزويدهم بالدراسات التأصيلية ، وتوفير المصادر والمراجع الاستشراقية.

ثانياً : ضرورة تتبع أعمال المستشرقين الحديثة والتي يدعون بعلميتها، بالرد العلمي عليها وبشكل سريع، وبذات اللغة الأوربية التي كتبت بها؛ والتي تعج بها الدوريات الغربية، الصادرة عن مراكز البحوث الأوربية والأمريكية؛ وكذلك المشاركة في الندوات والمؤتمرات الاستشراقية التي تعقدها تلك المراكز، وتكون المشاركة فعالة وإيجابية ؛ بتقديم البحوث والدراسات الإسلامية الواعية في ضوء الكتاب والسنة .

ثالثاً : دراسة كتابات تلاميذ المستشرقين، في عالمنا العربي الإسلامي، والذين تشبعوا بالفكر الاستشراقي والنظرة الصليبية للإسلام وحضارته، وواقعه المعاصر، وضرورة الرد عليهم ، من خلال إعداد المؤلفات المنهجية الشاملة والموسوعية ، في مجالات العلوم الإسلامية المختلفة ، وذلك لبعث جيل جديد ، من أبناء المسلمين ، على درجة من العلم والوعي ، بهذا الطاعون الاستشراقي الخطير الموجه ضد الإسلام وأتباعه ، ورموزه المقدسة .

وخلاصة القول ؛ إن الباحث الجاد قد اختار في معالجة دراسته هذه المنهج التاريخي الوصفي التحليلي وخاصة في عرضه لمحاور موضوعاته بتسلسل منطقي جيد ، كما استخدم المنهج التحليلي النقدي ، وكذا عدة مناهج أخرى وظفها الباحث ببراعة حسب صيغة الموضوعات ، وقد وضع الباحث دراسته برمتها في قالب الدراسات الإستشراقية التاريخية وذلك لتوفر الكثير بيده من المصادر ذات الصفة الوثائقية ؛ حيث اعتمد الباحث على مجموعة من الوثائق الخطية التي حصل عليها بجهوده الشخصية ، وهي تحوي معلومات هامة جداً ذات صفة علمية وحقائق تاريخية وآراء في غاية الأهمية ، هذا إلى جانب العديد من الكتب والمراجع الأوربية وغيرها من الدراسات والبحوث في هذا الصدد ، وقد قدم الباحث الجاد عرضاً ونقداً موضوعياً لمعظم هذه المصادر في تقديمه لرسالته العلمية الجادة تحت عنوان "الدراسات السابقة" ، فأضاف (مازن مطبقاني) بذلك قراءة علمية جديدة ، وواعية لعملية (نقد المصادر) وهذه القراءة الجديدة تعد أحد رموز نجاح الباحث في السيطرة على أدوات البحث العلمي المنهجي ، ويؤخذ على الباحث في دراسته هذه إسرافه المبالغ فيه عند تقسيمه (الباب الثالث) من دراسته إلى سبعة فصول دراسية ، وأنه عالج (الفصل الرابع) منها في (مبحثين) !! وهذا التقسيم إذا ما قيس ببقية أبواب الرسالة الأخرى

والتي لا يزيد أي باب فيها عن أربعة فصول رئيسية يعد خلل منهجي واضح ولكنه في الشكل فقط ، كان من المفروض على الباحث أن يراعي ذلك !! وليس له من عذر في أن حجم المادية العلمية المتوفرة لديه بشأن موضوعات هذا الباب كانت ضخمة للغاية ، وكان من الصعب عليه تجاهلها .

وباختصار فإن كان لنا من بعض المآخذ المنهجية والعلمية على هذه الدراسة الجادة والقيمة فعلاً فإن هذه الملاحظات لا تقلل . على الإطلاق . من قيمة الجهد العلمي والفكري الخلاق الذي بذله الباحث الجاد الدكتور/ مازن صلاح مطبقاني ، في هذه الرسالة العلمية والتي تعتبر وبحق إنجازاً أكاديمياً متميزاً للجامعات السعودية في مجال البحث العلمي (في الدراسات الاستشراقية التاريخية) باللغة العربية .

وفي تقديرنا أن هذه الرسالة العلمية هي الأولى التي وضعت أمام الباحثين الشبان مفتاحاً لمادة علمية خام عند قضية دراسة مناهج المستشرقين الذين تصدوا بالبحث في الجوانب الفكرية للحضارة الإسلامية، وبالتالي فهذه الرسالة العلمية للباحث الجاد تبتعد عن التعميم إلى التخصص ، وهذه نقطة إيجابية تحسب للباحث الدكتور /مازن مطبقاني ، الذي أثبت وبشكل عملي أنه يتمتع بمستوى عال في السيطرة على الموضوع بمعرفته العميقة لشخصية (برناردلويس) والذي التقى به في برنستون يوم 21 أكتوبر عام 1988م ، وبطبيعة الاستشراق الأمريكي والإنجليزي الذي انتمى إليهما لويس واستيعابه لفكره من جميع مناحيه ، وبذلك يعتبر الدكتور/مازن مطبقاني ، شاهداً على عصره أو (شاهد عيان) بلغة المنهج العلمي ، وأن الباحث الجاد وفق إلى درجة عالية في توظيف المادة الوثائقية والعلمية الضخمة التي توفرت لديه توظيفاً واعياً ، وكذا أمر استخدامه للمنهج العلمي السليم ، وتقسيمه للموضوع ، وعرضه له ، بأسلوب علمي رصين ، يتصف بالأمانة والمصداقية ولغة عربية سليمة وبشكل يضيف الجديد إلى العلم يستحق عليه الثناء .

دكتور/خالد محمد نعيم

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد

كلية الآداب . جامعة المنيا . مصر

وكلية التربية للبنات بالقصيم

- الحواشي :

* -نشر هذا المقال في جريدة الجزيرة بالرياض

=============

#دراسة نقدية لكتاب

الدعوة إلى الإسلام

تأليف (توماس ولكر أرنولد)

بحث السنة النهائية للماجستير

مقدم من الطالب

محمود حمزة عزوني

إشراف

د. إبراهيم عكاشة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وأصلي وأسلم على سيدي رسول الله صلى الله عليه وآله ومن والاه وسلم ، وبعد :

فهذه دراسة نقدية لكتاب "الدعوة إلى الإسلام" "The Preaching Of Islam" . تأليف المستشرق الإنجليزي "توماس ولكر أرنولد" "Thoms W.Arnold نقله إلى العربية كل من : الدكتور/ حسن إبراهيم حسن ، والدكتور/ عبدالمجيد عابدين ، والأستاذ/ إسماعيل النحراوي ، في عام 1947م . 1367هـ.

إن موضوع الدعوة الإسلامية من المسائل الهامة التي تشغل بال الكثير من المفكرين المسلمين في الوقت الحاضر ، ويحاول البعض منهم وضع حلول لبث روح جديدة في الدعوة ، يودع بها المسلمون ضعف الاكتراث واليأس والكسل ، الذي ضرب على الأمة الإسلامية فترة طويلة من الزمن .

ومن بين الحلو العملية التي طرحها العلماء والعاملون في مجال الدعوة محاولة إدخال علم النفس الحديث في الدعوة كحل عملي ، وكبديل لأساليب كثيرة ما عادت تتمشى مع فكر الناس وتربيتهم التي اختلفت عن الماضي ، كي توجد دعوة منهجها

فهم نفسية ، وظروف المدعو تقبل عليها معها ، عقول كثير من المسلمين الذين جذبتهم علوم النفس والاجتماع الغربية ، ووسائل التحديث والتغريب النشطة، فأصبحوا لا تستهويهم أقوال كثيرة جامدة متكررة ، لا تقنع عقلاً ولا تنبئ عن معرفة واقتناع وتبصر بأحوال النفوس والعقول المختلفة .

من هنا تظهر أهمية دراسة تاريخ الدعوة كعملية مقارنة بين أساليب الدعوة والدعاة ، وتاريخ الدعوة واختلاف ردود الفعل عند المدعويين باختلاف طريقة تفكيرهم وأنواعهم وبيئاتهم[1] .

ومن هنا أيضاً تكمن أهمية دراسة هذا الكتاب حيث أن أغلب الباحثين المسلمين حكموا على المؤلف بأنه منصف وعادل تماماً ، أو أنه أعدل وأنصف من غيره من المستشرقين ، ونفس الحكم جرى على كتابه المذكور .

ولما كان هذا الحكم يجر الكثيرين إلى إطلاق الثقة في كل ما جاء في الكتاب أو جله ، ولما أنني اطلعت عليه بتوجيه من أحد أساتذتي الأفاضل ، ووجدت فيه من الشبه ما يتطلب الاستقصاء ، لذلك فقد استعنت بالله المعين ، على القيام بهذه المهمة طالباً منه سبحانه العون والتسديد .

وفي ختام هذه المقدمة ، أود أن أشير إلى أن ضخامة الكتاب وكثرة المعلومات التي تخص الدعوة فيه ، وعدم وجود كتب أرجع إليها في سيرة المؤلف كانت من الصعوبات الرئيسية التي واجهتني في البحث ، مما دعاني إلى الحصول عليها من دار الوثائق البريطانية (المتحف البريطاني) . أضف إلى ذلك ضرورة المقابلة بين أصل الكتاب وتعريبه ، ونقل كثير من المصادر إلى العربية .

ومع هذا فقد كان لمساعدة فضيلة الدكتور/ إبراهيم عكاشة ، المشرف على البحث ، دوراً كريماً في تسهيل هذه المهمة ، ولم يأل قط جهداً في إرشادي وتوجيهي ، بل وحتى الاتصال بي للاطمئنان على سير البحث ، وأخص بالشكر أيضاً فضيلة الدكتور/ أحمد الخراط الذي شجعني على المضي في البحث بل صحح لي وناقش معي بحثاً تمهيدياً له ، وقد كان هو وفضيلة الدكتور/ عبدالمجيد معاذ ، لا يدخرون وسعاً قط في تبصيري وزملائي ، وتقديم النصح لنا طوال سنوات ثلاث ، وكذلك فإنني لا أنسى فضيلة الدكتور/ مناظر أحمد ، مدير المؤسسة الإسلامية في لندن

(بالإنابة) الذي مدني بأهم المراجع التي استعنت بها في هذا البحث ، وهي سيرة مؤلف الكتاب .

جزى الله الجميع بكل خير ، ووفقني وإياهم لما فيه صلاح ديننا ودنيانا .

- الحواشي :

([1]) أنظر : فتحي يكن . مشكلات الدعوة والداعيةو . ص11 . مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الرابعة . 1400هـ .

==========

#التبشير في العالم الإسلامي

أهدافه وآثاره

رسالة

مقدمة إلى كلية أصول الدين . جامعة الأزهر

للحصول على درجة العالية الدكتوراه

في الدعوة والثقافة الإسلامية

إشراف

الأستاذ الدكتور : عبدالغفار محمد عزيز

رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

الدكتور : بكر زكي عوض

مدرس بقسم الدعوة بكلية أصول الدين

إعداد

محمد زين العابدين محمد الطشو

مدرس مساعد بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

1407 . 1987م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدلله رب العالمين {الذي لـه ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن لـه شريك في الملك وخلق كل شئ فقدره تقديراً}([1]).

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له أرسل إلى عباده رسلاً من البشر {رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً}([2]).

وبعث خاتم النبيين محمداً صلى ا الله عليه وسلم رحمة للعالمين فخاطبه بقوله تعالى {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}([3]) ، وأرسله كافة كافة للخلق أجمعين يقول الله عز وجل {وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون }([4]) ، فصدع بالحق لكل الخلق فبصرهم به من العمى وأرشدهم به من الغي وأخرج الإنسانية من ظلماتها ، وألف القلوب بعد شتاتها صلى ا الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حملوا راية الدعوة إلى الله تعالى فكانوا هداة مهديين ورضي الله عنهم أجمعين .

أما بعد :

فإن من رحمة الله عز وجل بعباده أن أرسل رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالإسلام لهداية الناس وإرشادهم إلى الصراط المستقيم ، وذلك لعلمه عز وجل بخلقه ومعرفته بقصور عقولهم وتفاوتها في إدراك ما هو محسوس فضلاً عن جهلها بالغيب فاقتضت حكمته أن يبعث في كل أمة نذيراً يأخذ بيدها إلى النجاة فلما تهيأت الإنسانية للكمال بعث إليها الرحمة المهداة محمداً صلى ا الله عليه وسلم وخاطبه الله عز وجل بقوله {إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير}([5]) .

فكان صلى ا الله عليه وسلم خير بشير ، وأصدق نذير ، دعا الناس إلى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد بالحكمة والموعظة الحسنة وجادل المعاندين بالتي هي أحسن معلناً أخوة كل الأنبياء ، ووحدة الدين ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى ا الله عليه وسلم : (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد) ([6]).

وبالرغم من هذا السلوك الرباني لرسول الله صلى ا الله عليه وسلم جوبهت دعوة الإسلام منذ بداية أمرها بالمشركين وباليهود والنصارى ، ولقرب عهد الرسالتين بالرسالة الخاتمة وتمسك المسلمين بدينهم هدى الله عز وجل أمماً من أهل الملتين

وخاصة النصارى للإسلام ، وظل الحال على ذلك والإسلام يفتح القلوب بسماحة أهله وعدلهم وقيامهم بواجبهم نحو دينهم إلى أن لقى محمد صلى ا الله عليه وسلم ربه راضياً مرضياً فقام صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين بحمل عبء الدعوة إلى الله عملاً بقوله عز وجل {ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين}([7]) ، فاستعذبوا المصاعب والآلام في سبيل نشر كلمة الله إلى بعاده وسار على دربهم واقتفى أثرهم سلفنا الصالح فقاموا بإتمام المهمة الملقاة على عاتقهم خير قيام ، ونشروا الإسلام في جل الكرة الأرضية .

وجاء العصر الحاضر وقد ابتلي المسلمون فيه بقوة أعداء التوحيد وفكرهم ، وتربصهم بالمسلمين الدوائر وساعدهم تقدمهم في مجال العلم وسبقهم في ميادين الحياة في إحكام قبضتهم على المسلمين ، وتملك زمام المبادرة ، وكل ذلك جعل المسلمين في حيرة من أمرهم ، فانشغلوا عن الدعوة الإسلامية إما لنظرتهم إلى الغرب وتطلعهم إليه في التقدم العلمي ليلحقوا بالركب ، وإما لتلافي ضربات الغرب المسيحي والشرق الملحد وكيدهم جميعاً للمسلمين .

وسواء كان هذا أم ذاك فقد تسرب الوهن إلى قلوب المسلمين بينما نشط أنصار المسيحية الغربية في نشرها من جديد ببلاد الإسلام ، بمساندة القوى الاستعمارية في كل مكان وهذا أمر له خطورته على المسلمين والمسيحيين أيضاً فالمسيحية المبشر بها رديفة للاستعمار وهي تبيح كل شئ من أجل تحقيق المهمة المكلفة بها ، ولو ناقض تعاي المسيح ، ولما كان مبشروا المسيحية الغربية يستغلون وسائل القوى الاستعمارية وينتهزون فرصة ضعف المسلمين فيحاولون تنصيرهم بكل الطرق ، رأت من واجبي كشف الدور التبشيري العام لكي يتنبه المسلمون لمخاطره ويحذروا مكائده ، وتجنبوا الوقوع في شراكه ، ثم ليقوموا بواجباتهم نحو دينهم وحماية أممهم فأقدمت على البحث مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه فعنونته بالآتي :

التبشير في العالم الإسلامي

أهدافه وآثاره

واخترت لفظ "التبشير" بدلاً من لفظ "التنصير" لورود مشتقات اللفظ في الأناجيل المعتمدة عند علماء النصارى ولتداوليه بين العامة والخاصة ، واكتفيت بعراة التبشير

في العالم الإسلامي لأن لفظ التبشير إذا أطلق فهم منه التبشير بالمسيحية لا سواها حسب المعهود من العرف كما وأن القول في العالم الإسلامي يصرفه إلى التبشير بالمسيحية دون سواها .

وقد التزمت في عرض الرسالة بالعنوان فلم أخرج عن إطاره أثناء البحث فبعد التمهيد تعرضت لمفهوم التبشير وعلاقته بالحروب الصليبية ثم أردفت ذلك بالحديث عن أهداف التبشير بالتفصيل ولما كانت الأهداف لا تتحقق إلا بالوسائل اللازمة تحدثت عن الوسائل المتبعة من قبل المبشرين وأعوانهم والتي بواسطتها يصلون إلى أهدافهم ، ثم عقدت فصلاً خاصاً بالمؤتمرات التبشيرية التي تم انعقادها على أيدي دعاة التبشير لوضع الخطط الماكرة لإحكام السيطرة على العالم الإسلامي ، ففي قاعاتها يتدارسون السبل المؤدية لأغراضهم ويبتكرون الوسائل للتغلب على مراكز الإشعاع العلمي والحضاري الموجودة في بلاد الإسلام وهم يريدون أن يبطلوا مفعولها ويطفؤا نورها .

ولكي ينفذ المبشرون المهام المنوطة بهم في جو يكفل لهم الأمان لا بد لهم من ركائز ودعائم تضمن لهم الحماية وتعاونهم في مسعاهم .

وأهم مراكز التبشير في البلاد الإسلامية :

1) المراكز التبشيرية المقامة في بلاد الإسلام .

2) الجماعات التبشيرية المنتشرة في جل أقطار الإسلام .

3) البابوية المساندة للتبشير في كل بقاع الأرض على الدوام .

4) الصهيونية العالمية وهي ركيزة خطيرة للتبشير في قلب البلاد الإسلامية .

وبعد ذلك شرحت آثار التبشير في أمتنا الإسلامية مبيناً ما خلفه الدور التبشيري من ظهور النزعات الجنسية والقومية ثم ذكر نماذج حية للآثار الناتجة عن التبشير في بعض بلدان آسيا وإفريقيا كاشفاً الستار ومبيناً خطورة ذلك على بلاد الإسلام والمسلمين .

ثم تعرضت لتسرب الفكر التبشيري إلى ثقافتنا الإسلامية وأثره في تغيير السلوك وصوغ العقول حتى ظهر في عالم الإسلام من ينادي بإحلال العامية محل اللغة العربية ومن يحرى تحرر المرأة في تقليدها للمرأة في الغرب واختلاطها بالرجال

وأنهيت الرسالة بالمواجهة وأهم النتائج ، وكنت ملزماً بالأسلوب العلمي من البداية حتى النهاية .

الدوافع لاختيار هذا الموضوع :

1) اجتماع أعداء الإسلام على حرب المسلمين عسكرياً وفكرياً مما مكنهم من إسقاط دولة الخلافة الإسلامية وما زال التكاتف الاستعماري والصهيوني والإلحادي مستمراً لمجابهة المسلمين وقد وجد الجميع في المستشرقين والمبشرين ضالتهم المنشودة لنشر أفكار الغرب ومنهجه في بلاد الإسلام عن طريق التبشير المدعم من قبل الاستعمار بالخطط والإمكانيات المادية والمعنوية.

2) ما أصاب الأمة الإسلامية من ضعف نتيجة للتسلط الاستعماري الذي شل الخلايا النشيطة في أرض الإسلام ، تلك الخلايا التي تحاول أن تعيد مجد المسلمين . كما مكن من صنعهم على عينه ورباهم تربية غربية من مقاليد الأمور في جل الأقطار الإسلامية ، فكانت وسائل الإعلام في الغالب في أيدي من صنعهم الغرب ، ورباهم على فكره بالإضافة إلى أن جلهم وجه مسار التعليم في بلاد الإسلام وتقلد مناصب هامة ، وترتب على ذلك انتشار الأمية الدينية بصورة مخيفة فتمكن دعاة التثليث من نشر عقيدتهم بين العامة من المسلمين والخاصة أيضاً ، وساعدتهم الظروف التي خلقها وخلفها الاستعمار .

3) ظهور النشاط التبشيري منذ قرن من الزمان بصورة سافرة فقد قام المبشرون بشتى الطرق ، وكافة الوسائل بدءاً من المدرسة والتطبيب إلى المؤتمرات بالدعوة إلى المسيحية .

4) محاولة نشر المسيحية على الطريقة الغربية ، وتبعاً لطوائفها في كل من قارتي آسيا وإفريقيا ، مما جعل البعض من المسيحيين الشرقيين ينفرون من هذا اللون التبشيري ويحذرون إخوانهم من الوقوع في براثن الأفكار الغربية .

5) منذ خمسين عاماً والبابوية تظهر تعاونها مع الصهيونية العالمية في الوقت الذي تتحرك فيه البابوية في آسيا وإفريقيا في محاولة منها لخداع المسلمين في البلدان الفقيرة عن طريق قضاء حاجتهم وسد جوعتهم لجذبهم نحو المسيحية ولو عاطفياً ، كما يحاول قادة الفاتيكان استدراج قساوسة أهل البلاد واستنفارهم ضد أوطانهم وأكثر

من ذلك فهم ينصبون قساوسة جدداً من المصرين من أهل البلاد وهم يتوقعون تنصير إفريقيا وآسيا بوسائلهم في فترة وجيزة .
كل هذه الدوافع جعلتني أتحدث عن التبشير مبيناً أهدافه وآثاره حتى نفيق نحن المسلمين قبل أن تفوتنا الفرصة ونندم على تقصيرنا ، فليس في دعوة عيسى عليه السلام تبشير بها لغير اليهود ومع ذلك نجد أتباعه يبشرون بها كل الأمم ، ورسالة الإسلام عالمية ودعوته قائمة إلى قيام الساعة فواجبنا أن ندعو كل الناس للإسلام كما كان يفعل المصطفى عليه الصلاة والسلام .
خطة البحث :
لقد قسمت هذا البحث إلى :
مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة .
المقدمة :
عرضت فيها فكرة الرسالة والدوافع للكتابة في موضوعها ، وخطة البحث وهي كما يلي :
التمهيد :
في الرسالات الثلاث من ناحية العموم أو الخصوص وعلاقتها بالتبشير ، وأشرت فيه إلى أن الرسالة اليهودية خاصة ببني إسرائيل ومقصورة عليهم وأن المعمول عليه في الرسالة عند اليهود موسى عليه السلام ورسالته خاصة بهم ، وذكرت أن رسالة عيسى عليه السلام خاصة ببني إسرائيل من واقع الأناجيل وأن فكرة التبشير بها إلى الأمم من فكرة التلاميذ بعد رفع المسيح وبعد مجمع أورشليم سنة 50 ميلادية وكل الروايات التي وردت في الأناجيل المعتمدة عندهم تشير إلى التبشير بالمسيحية خارج نطاق اليهود أثبت عدم صحتها من واقع كتب القوم وبشهادة علمائهم ، وذكرت عموم الرسالة الخاتمة التي جاء بها النبي محمد صلى ا الله عليه وسلم وأنها رسالة دعوة إلى أن تقوم الساعة .
الباب الأول :
مفهوم التبشير وأهدافه ويحتوي على ثلاثة فصول :
الفصل الأول :

"التبشير وصلته بالحروب الصليبية" ، وفيه أوضحت مفهوم التبشير من وجهة النظر الإسلامية والمسيحية و دور بولس التبشيري وتوسيع دائرة التبشير على يديه وأنه بشر باسم الأب والابن والروح القدس مخالفاً بذلك تعاليم المسيح عليه السلام الذي اعترف بأنه مجرد رسول الله الواحد الأحد وقد شاع التثليث بواسطته وبالرغم من تمسك الموحدين من أتباع عيسى بالوحدانية وقد كان بوسعهم أن يخترقوا ظلمات الوثنية ، ويزيلوا كل الحجب ليرى العامة والخاصة التوحيد نوراً يتلألأ في رسالة عيسى عليه الصلاة والسلام لكنهم حين اقتربوا من نهاية الشوط وجدوا سيف السلطان مسلطاً على الرقاب وحامياً لفكرة التثليث من كل باب .

ومن وقت دخول قسطنطين في المسيحية لعصرنا الحاضر وانتهى عهد دخول الناس في المسيحية عن اقتناع إلا ما ندر وفرضت المسيحية بعصا السلطان أو بعطائه ، ولما كان التبشير قبل الحروب الصليبية غير منظم وعمل فردي فإن الحروب الصليبية التي حدثت بتحريك من البابوية قد أفرزت حركة تبشيرية منظمة لغزو العالم الإسلامي في الوقت الذي أدت فيه دورها فكانت حائلاً منع امتداد الإسلام إلى أوروبا ، وفرصة للنصارى تمكنوا بها من القضاء على مسلمي الأندلس قضاءاً تاماً حيث انشغل المسلمون في الشرق بالحروب الصليبية وما نتج عنها فلم يتمكنوا من مناصرة إخوانهم في بلاد الأندلس .

الفصل الثاني :

أهداف التبشير ووسائله .

أ . أهداف التبشير :

توجد صلة قوية بين التبشير والاستعمار ولذا تلتقي أهداف التبشير مع أهداف الاستعمار فيما يلي:

1) القضاء على وحدة المسلمين وظهر ذلك واضحاً في مجال القول كما حدث من تصريحات لزعماء التبشير ، وفي مجال العمل فقد أثاروا الخلاف بين العرب والترك وتم مرادهم بالقضاء على دولة الخلافة .

2) هدف سياسي : وهو خدمة السياسة الاستعمارية بدعوى أن دول الاستعمار تعمل على رقي بلاد المسلمين وتقدمها .

3) محاولة تشويه الإسلام بالطعن في القرآن الكريم والافتراء على النبي عليه الصلاة والسلام .

4) إفساد أخلاق المسلمين وذلك بإثارة الاتجاه الغريزي في نفوس المسلمين وهي حرب معلنة صباح مساء ، فهم يرون أنهم استردوا الأندلس من هذا الطريق .

5) اصطناع العداء بين النصرانية والإسلام ، فقد اصطنعوا العداء بين رسالة عيسى ورسالة سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام ولقبوه بالعداء بين الشرق والغرب مع العلم بأن الدين عند الله الإسلام وكل رسول جاء به إلى قومه ، ورسالة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام انبثقتا من الشرق فلا داعي لهذا التقول ، واتباع محمد عليه الصلاة والسلام لا يعادون اتباع المسيح الحقيقيين .

6) احتواء حكام المسلمين بالالتفاف حولهم : وهذا الهدف يسعى إليه الاستعمار ويدفع المبشرين لتحقيقه عن طريق التعلم ، أو التطبيب أو غير ذلك من الوسائل .

7) محاولة الاستيلاء على بيت المقدس : فقد أراد الغرب أن يستولي على بيت المقدس وبطرقه الاستعمارية مكن اليهود من السيطرة عليه ، وهو يؤازرها ليظل بيت المقدس في حوزتها متناسياً أن به معالم الإسلام ومقدسات المسيحية وأن المسلمين حافظوا عليه عدة قرون واحترموا مشاعر غيرهم من اليهود والنصارى .

ب . وسائل التبشير :

لتحقيق هذه الأهداف استخدم المبشرون هذه الوسائل :

التعليم ، والتطبيب ، ووسائل الإعلام (من صحافة ، وإذاعة ، ودور النشر) ، والمخيمات الكشفية ، والمعسكرات ، والجمعيات التبشيرية والخيرية التابعة للتبشير ، ثم الملاجئ ، والكتب والرسائل، والمؤتمرات التبشيرية .

وقد استخدموا كل وسيلة من هذه الوسائل بطريق تمكنهم من تحقيق أهدافهم فالمدرسة يقام حولها سور ، وبعد فترة يبنى بجوارها الكنيسة فيجد الطالب نفسه أمام المبشر مباشرة بل حوله التبشير من كل جانب كما يتم التأثير على المريض وتحبيبه في المسيحية من خلال علاجه واستغلال حاجته ومرضه .

الفصل الثالث :

نمـاذج للمـؤتمرات التبشـيرية وأغراضـها وتناولـت مراحـل المـؤتمرات التبشـيرية فـي مرحلتهـا الأولـى: وفيهـا اتخـذت المـؤتمرات وسـيلة لنشـر المسـيحية وبـث أفكـار الاستعمار وفتحت باب التقارب بين الطوائف المسيحية .

وفـي المرحلـة الثانيـة : تـم إنشـاء مجـالس التبشير وبواسطتها نشط التبشير فـي آسيا وافريقيا .

وفـي المرحلـة الثالثـة : تـم دمـج مجـالس التبشير مـع اتحـاد الكنـائس وكـان النـاتج هـو "مجلس الكنائس العالمي" .

وبعد ذلك ذكرت نموذجاً من المؤتمرات التبشيرية ذاكراً الدوافع الأساسية لانعقاد هذه المؤتمرات وهي :

1) المواجهة الفورية لليقظة الإسلامية .

2) إحكام السيطرة على بلاد الشرق المسلم لاستغلال خيراته .

3) نشر المسيحية في بلاد الإسلام .

4) زرع الكنائس في كافة أقطار الإسلام .

وذكرت مؤتمر القاهرة فـي سنة 1906م كنموذج يوضـح وسـائل التبشير مـع الإشـارة إلى المباحث التي نوقشت فيه ثم مؤتمر أدنبرج سنة 1910م ، والغاية من عقد هذا المؤتمر كما أعلن أحد قادته هي البحث في وسائل العالم الخارج عن النصرانية ، ثم مؤتمر لكنو بالهند سنة 1911م ، مع ذكر برنامج المؤتمر ، ونماذج للتقارير حيث تناولـت التقـارير مكـة ، والأزهـر الشـريف بمصـر ، والـدعوة المهديـة وقـرر أعضـاء المؤتمر إنشاء مدرسة بمصر تنافس الأزهر ثم أشرت إلـى المؤتمر الأفخارستي سنة 1931م الذي عقد فـي مدينـة قرطاجـة (قرب تونس) وقد حدث فيه ما يثير مشاعر المسـلمين وذكـرت مـؤتمر لـوزان لتنصـير العـالم عـام 1974م ، ثـم أمريكـا الشـمالية لتنصير المسلمين ، وفي نهاية المطاف جاءوا بفكرة التقارب الإسلامي المسيحي وهم يستخدمونها وسيلة لنشر المسيحية بعد تنويم المسلمين .

الباب الثاني :

"ركائز التبشير" ويتكون هذا الباب من أربعة فصول :

الفصل الأول :

المراكز التبشيرية في العالم الإسلامي
وبينت في هذا الفصل أن المبشرين سلكوا طريقين لصنع مراكز ثابتة في بلاد الإسلام يعتمدون عليها في القيام بأعمالهم التنصيرية .
الطريق الأول : إنشاء مؤسسات ثابتة لهم في الأقطار الإسلامية :
وفي مقدمة المؤسسات التنصيرية الكنيسة ثم المؤسسات الأخرى التي تقدم خدمات ملموسة وتضطر إليها الجماهير كالمدرسة والمستشفى ، ولكل إرسالية مركز خاص في البلد الموجودة فيه فللإرسالية الإنجليزية مركز ، وللأمريكية مركز وهكذا ، وهذه المراكز يتجه إليها المسيحيون طلباً للإرشاد والمعونة كما أنها تمد المبشرين بما يلزمهم من احتياجات ومعلومات للقيام بمهامهم التبشيرية .
وكل إرسالية لها مؤسساتها الخاصة بها ، وقد اقتضى الحديث عن الكنيسة . كمؤسسة مسيحية . بيان أصلها والعهود التي مرت بها والعاملين فيها وأدوارهم التبشيرية والقيادية ثم الرابطة بين المجامع والكنائس ، وذكر إرساليات التبشير التابعة للكنيسة الإنجيلية مع غعطاء عن الجهاز الكنسي والجهات العليا الموجهة للكنائس في العالم الإسلامي .
الطريق الثاني : إنشاء مراكز خاصة بالتبشير لتخريج القسس والمبشرين :
ومن المراكز المنشأة في بلاد الإسلام ، مركز تدريب المبشرين بإفريقيا . والمقام بمصر بكوتسيكا (طره) ، ومن مراكز تدريب المبشرين بآسيا ، والمقامة بإندونيسيا مركز لتدريب المبشرين في "لاونج" شرقي جاوا ، ومركز إعداد القسس في "سوارايابا" في جاوا وبعد ذلك ذكرت بعض النماذج لمحاولات الأقليات المسيحية شد انتباه المسلمين إلى النصرانية ومنها ما حد في مصر من ادعاء ظهور العذراء ، ونبأ العثور على رفات النبي يحيى عليه الصلاة والسلام .
الفصل الثاني :
الجماعات التبشيرية ودورها في نشر المسيحية .
وفي هذا الفصل أشرت إلى البداية للجماعات التبشيرية وتوغلها في بلاد المسلمين ودورها التبشيري ثم رتبتها مع ذكر دور كل منها في نشر المسيحية وخاصة في البلاد الإسلامية .

1) الآباء البندكتيون .

2) الآباء الفرنسيسكانيون .

3) الدومينيكان .

4) الآباء الكبوشيون .

5) الآباء الكرميليون .

6) الجزويت .

7) وكل جماعة من هذه الجماعات قامت بدور في نشر المسيحية فبنت المدارس ، وأنشأت المطابع، وأصدرت المجلات ، وغير ذلك لاستخدامها في الدور التبشيري ، ولهذه الجماعات أيضاً دور في ظهور الحركة المرسلية الحديثة .

الفصل الثالث :

البابوية ودورها في التبشير وحماية المبشرين .

البابوية ركيزة هامة للتبشير في العالم أجمع وكان لها دور في القرون الوسطى ثم في عصر النهضة ثم بعد القرن الثامن عشر وقد تعرضت للحديث عنه بإيجاز وبينت أنه منذ أوائل القرن الثالث عشر تتوالى أوامر البابوبة للقضاء على المسلمين في الأندلس .

وبهذه الصورة أو جدت نوعاً من التعصب البغيض بتحريضها لملوك النصارى لمحاربة المسلمين كما أ،ها قدمت العون والرعاية للمبشرين ، ولذا يطلق المسيحيون على البابا (أنوسنت الثالث) 1198م أبوالتبشير ، وقد قام البابا "بيوس السابع" 1743م . 1800م بإحياء جمعية اليسوعيين وأعاد إنشاء جمعية الرسالات في الخارج .

وللفاتيكان نشاط واضح في تدعيم الكنائس وتوحيدها من أجل نشر المسيحية وقد ظهر هذا في المجمع الفاتيكاني الأول كما ظهر التعاون والتعاطف مع اليهود في المجمع الفاتيكاني الثاني ، وقد قامت البابوية في السنوات الأخيرة بتحركات واسعة النطاق في كل من آسيا وإفريقيا وخاصة في عهد البابا يوحنا بولس الثاني .

الفصل الرابع :

مساندة الصهيونية للتبشير والتعاون اليهودي المسيحي ضد المسلمين .

وفي هذا كشفت الستار عن علاقة الصهاينة بالنصارى موضحاً أنها علاقة منافع ذاتية وأن اليهود يضمرون الشر لأتباع عيسى عليه السلام كما يضمرونه للإنسانية جمعاء ، لكن القيادة المسيحية أملاً منها في المساندة اليهودية للحركة التبشيرية تعاونت مع الزعماء الصهاينة وفي مقابل ذلك تسعى لتوديه دفة الفاتيكان حسب إرادتها وقد تحقق هذا بالفعل .

الباب الثالث :

آثار التبشير ف العالم الإسلامي .

الفصل الأول :

ظهور النزعات الجنسية والقومية .

فقد ظهرت النزعات الجنسية من جديد في أرض الإسلام على أيدي المبشرين والمستشرقين بعد أن أماتها الإسلام ، وكان من بدايات التشيع الشعوبي ما حدث من الحبر اليهودي "عبدالله بن سبأ" في إيجاد هذا اللون من التشيع وقد أطلت الشعوبية برأسها في العهد العباسي إلا أن أمراء المسلمين وعلماءهم وقفوا بالمرصاد لدعاته وشلوا حركتهم .

وجاء أعداء المسلمين في العصر الحاضر إلى أمة الإسلام بشعوبية حديثة تفرق الأمة الواحدة وتقسمها إلى دويلات وتصنف جماعاتها الإسلامية المعتزة بالإسلام إلى أصناف بآلية تعود إلى عصور ماضية ، محا الإسلام بنوره كل أثر مظلم لها لكن المستشرقين والمبشرين يريدون بعثها من جديد فمصر فرعونية ، ولبنان فينيقية ، وإيران فارسية ، وبلاد المغرب بربرية .

وفتحوا أبواب الطائفية ، والفرق الدينية على مصراعيه بإثارة الخلاف بين السنة والشيعة وإشاعة اضطهاد الأقليات المسيحية المقيمة ببلاد الإسلام وقد تحرك المبشرون من منطق فكري معاد للمسلمين ، وساروا في ركب الاستعمار الذي زرع الشعوبية اليهودية في أرض الإسلام في فلسطين ، وكملت إرسالياته الدور في نشر كل ما يفكك المسلمين فقد أفسحت فرنسا المجال للبعثات التبشيرية لتنصير البربر ، وبث دعاية أن البربر شعب مستقل وأن العرب غزاة دخلاء على هذا الشعب .

ثم تحدثت عن ظهور القومية : وذكرت أ، المبشرين اتخذوا من الدعوة القومية ذريعة لتقسيم الأمة الإسلامية فظاهر الدعوة جمع الصفوف العربية لكنها في واقع الأمر سلخ للأمة العربية من الأمة الإسلامية ، وهذا ما حدث فقد انشطرت دولة الخلافة إلى قومية طورانية ، وقومية عربية .

ونادى بالقومية الطورانية أتباع الفكر التبشيري الغربي ومن ترو في مدارس التبشير من أمثال ضياء كوك ألب (1875 أو 1876 . 1942م) ومصطفى كمال أتاتورك (1881 . 1938م) وعصمت اينونو (1884 . 1973م) وغيرهم ، كل هؤلاء نادوا بالقومية الطورانية وأعلنوا اسم (تركيا) بدلاً من دولة الخلافة المسماة "بالدولة العلية العثمانية" وقلدوا الغرب في الشكليات ، وانسلخوا من تعاليم الإسلام كما ظل دعاة القومية العربية ومعظمهم من النصارى ومن يسير في فلكهم ينفخون في بوق القومية العربية حتى انقسمت الأمة العربية إلى دويلات ، وتمكن الاستعمار مع الصهيونية العالمية من اقتطاع جزء عزيز من أرض الأمة الإسلامية ، وتسليمه هدية لليهود ، وهذه ثمرة من ثمار الدعوات القومية .

وزاد تفكك الأمة الإسلامية بإثارة النعرات الطائفية والخلافات الدينية بين السنة والشيعة ، وبين الأكراد والعرب .

الفصل الثاني :

نماذج من آثار التبشير في بلاد الإسلام .

وذكرت نماذج لآثار التبشير في بعض بلدان قارة آسيا على سبيل المثال إندونيسيا قد تمكن المنصورن فيها من تنصير قرية مسلمة في "بونوروجو" بشرق جاوة ، واتبعوا أخطر أسلوب في تنصير إندونيسيا حيث يقومون ببناء قرى في أماكن الغابات بعد اجتثاثها وإعدادها ، وبناء مدارس وكنائس مسيحية بها وجعل القرية مهيأة للمسكن وجعل إدارتها في أيدي النصارى ، ثم ينقل المسلمون من الأماكن المكتظة إلى القرى العمرانية الجديدة فلا يجدون إلا التنصير حلاً لمشاكلهم وقضاء حوائجهم ، وتعرضت لآثار التبشير "بماليزيا" و "الفلبين" وما يحدث بالهند ، ثم آثار التبشير في دول الخليج العربي ثم ذكر نماذج لآثار التبشير في إفريقيا ، واخترت من غرب إفريقيا "موريتانيا" ، و"نيجيريا" مبيناً آثار التبشير الخطيرة في هذه المنطقة من القارة

الإسلامية مع ذكر آثاره السيئة في إفريقيا الوسطى ، وجنوب إفريقيا وما صنعه التبشير في شرق إفريقيا في كل من "كينيا" وأثيوبيا "الحبشة" والسودان ، ومصر ثم بلاد المغرب الإسلام ملاحظاً أن الإسلام دخل إفريقيا من الشرق ، والتبشير مع التغريب جاءها م الغرب .

الفصل الثالث :

تسرب الفكر التبشيري في الثقافة الإسلامية .

فقد تسرب الفكر التبشيري إلى ثقافة الإسلام ، عن طريق المبشرين والمستشرقين وبواسطة مدارسهم ، وصحافتهم وتبعهم في ذلك من تربو في محاضن الغرب حتى وجدنا من ينادي بإحلال العامية محل اللغة العربية ومن ينادي "بسفور المرأة" على أنه نوع من التحضر ، ومن يصف السلفيين بالرجعية ، وهكذا .

الخاتمة :

وفيها تحدثت :

أولاً : عن مواجهة الغزو التبشيري .

ثانياً : عن أهم نتائج البحث .

- الحواشي :

([1]) سورة الفرقان آية (2) .

([2]) سورة النساء آية (165) .

([3]) سورة الأنبياء آية (107).

([4]) سورة سبأ آية (28) .

([5]) سورة فاطر آية (24) .

([6]) كتاب : التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للحسين بن المبارك الزبيدي (رحمه الله) ج2 ص45 (كتاب بدء الخلق) طبع بالمطبعة اليمنية لمصطفى البابي الحلبي وأخويه بمصر 1323هـ .

([7]) سورة فصلت آية (33).

============

#منهج المستشرقين في دراسة النظم الاجتماعية

دراسة نقدية لدائرة المعارف الإسلامية

بحسب الترجمات العربية

الطالب: بشير بن نعمان دحّان

قسم الثقافة الإسلامية-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

التعريف بموضوع البحث :

لا يخفى على كل ذي اطلاع وفكر جهود المستشرقين واهتمامهم بالتأليف والتدوين في شتى العلوم، لاسيما تلك التي جعلت من العالم الشرقي ينبوعا لها عموما مع التركيز على كل ما له علاقة بالإسلام كعقيدة ودين وانتشار، فتناغمت مؤلفاتهم - إثراء للساحة الفكرية- تناغما فيه من النشاز والتناقض ما لا يخفى، فيجد المطلع البحوث والدراسات المتعمقة التي أخذت من العلمية والموضوعية المقدار الهائل والحظ الوافر، ويجد على النقيض المؤلفات المملوءة بالدسائس والشبهات ما لا يمكن تصوره من مؤلفات نأت بنفسها عن مسار البحث العلمي الصحيح ورمت بنفسها في أحضان الاستعمار والحقد.

وفي بحثنا هذا سيتم إن شاء الله دراسة واحدة من أهم مؤلفات المستشرقين ألا وهي دائرة المعارف الإسلامية، التي تم تأليفها في مدة زمنية تدل على مدى الصبر والجلد والبذل في المال والصحة والوقت الذي يتمتع به المستشرقون، كيف لا وهم الحريصون على تأليف الموسوعات سواء ما كان منها يعنى بالقرآن الكريم، أو السنة النبوية، أو التاريخ الإسلامي بمختلف عصوره وأزمانه.

وسيكون محور البحث في الدائرة النظم الاجتماعية سواء ما يتعلق منها بالأسرة من بداية التكوين إلى العلاقة الأسرية وانتهاء بما قد يصيبها من أمور تفصلها، متطرقاً في بحثي دراسة العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلمين مع بعضهم بعضا ومع من يخالطوهم من غير المسلمين، سائرا في ذلك وفق المواد الموجودة في الدائرة مما قد يزيد في عنصر ويقل في آخر .

- نبذه مختصرة عن دائرة المعارف الإسلامية

بدأت الفكرة لتأليف هذه الدائرة عام 1895 م، وبدأ تأليفها عام 1906 م، بثلاث لغات : الإنجليزية والفرنسية والألمانية ، وصدرت الطبعة الأولى عام 1913 م ،

وصدرت الطبعة الثانية عام 1954 م على شكل أجزاء متتابعة وصلت مع نهاية عام 1991 م إلى ستة مجلدات وصلوا فيه إلى الحروف (MAHK-MID وكانت موادها مأخوذة من الطبعة الأولى للدائرة، ومن دائرة المعارف المختصرة، فأثبتوا بعضها بنصها دون تعديل، وبعضها أثبتوه بعد التعديل، وقاموا بحذف مواد قديمة بالكلية، وإضافة مواد جديدة بالكلية ، وصدرت بالإنجليزية والفرنسية فقط.

• الترجمات العربية الدائرة :

صدرت الترجمة الأولى – للطبعة الأولى– عام 1933م على يد ثلاثة من المفكرين المصريين هم: إبراهيم زكي خورشيد، وأحمد الشنتناوي، وعبد الحميد يونس ، وصلوا في ترجمتهم لها إلى الحرف (ع) مادة (عارفي باشا) في خمسة عشر مجلداً تضم ما يربوا عن 8045 صفحة.

وبعد صدور الطبعة الأجنبية الثانية توقف المترجمون عن إكمال ترجمة الطبعة الأولى وتحولوا إلى ترجمة الطبعة الثانية وبدأ صدور الترجمة الثانية عام 1969 م وصلوا فيها إلى حرف (خ) مادة (خدا بندة) في ستة عشر مجلداً تضم ما يزيد عن 8586 صفحة.

وفيما يلي تفصيل لأجزاء وصفحات كل طبعة:

هذا وقد صدر الترجمة الكاملة للطبعة الثانية عن طريق مركز الشارقة للإبداع الفكري بالتعاون مع الهيئة المصرية للكتاب، وتقع في ستة وثلاثين مجلداً، ولكنهم اختصروا وحذفوا بعضاً من المواد حيث جاء في مقدمتها : .. "تم حذف المواد التي تبدو غير ذات أهمية في الوقت الحالي مثل بعض الشعراء الشخصيات والأماكن ... "

• أهمية الموضوع :

تتضح أهمية الموضوع بعد تبيين خطر هذه الدائرة ، من خلال النقاط التالية :

1–وفرة المعلومات التي احتوتها، الجامعة لشتى التخصصات من مصادر عدة.

2–صياغة المعلومات فيها بأسلوب سهل ميسر للجميع.

3– محاولة كثير من كتابها إظهار عملهم بمظهر لمنصف الموضوعي .

4– اغترار الكثير بأسماء أولئك المستشرقين وقبولهم لكل ما يكتبون .

5 – عدم إشراف علماء المسلمين على كتابة موادها .

6 – عدم اشتراك علماء مسلين في كتابة موادها الأساسية ، واشتراك نفر قليل منهم في كتابة موادها الثانوية

7 – إسناد كثير مما كتب فيها إلى المصادر الإسلامية مما قد يجعل القارئ يثق بما ورد فيها من معلومات .

8 – حرص كثير من الأوساط العلمية على تزويد مكاتبها بها .

9 – انتشار ترجمتها العربية في كثير من المكتبات دون تصحيح أو تنقيح .

10– أن منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم قد جعلتها المصدر الأساس للتعريف بالإسلام.

11 – ومما دفع الباحث لبحث هذا الموضوع ما يمليه عليه واجب الدفاع عن الإسلام وأهله لا سيما وأن هذا الموضوع لم يتطرق لبحثه أو الكتابة عنه أحد – فيما أعلم بعد بحث ليس بالقصير _.

• الدراسات السابقة:

كما سبق أن أوضحت أن هذا الموضوع لم يسبق وأن بُحث أو تُكلم عنه، وسأذكر في الأسطر القليلة القادمة بعض الدراسات التي جعلت من مواد الدائرة معيناً لها ، وهي على النحوالتالي:

أ) الرسائل الجامعية :

1– أبو بكر الصديق في كتابات المستشرقين من خلال دائرة المعارف الإسلامية، (دكتوراه) – عائض الحجيلي.{تمت مناقشتها}

2– مناهج المستشرقين في كتاباتهم عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في دائرة المعارف. (دكتوراه) محمد عامر مظاهري.

3– موقف المستشرقين من العبادات في الإسلام من خلال دائرة المعارف الإسلامية (دكتوراه) محمد السرحاني .

5– الأخطاء العقدية في دائرة المعارف الإسلامية (دكتوراه) حميد الحميد .

6 – العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية – عرض ونقد بحسب الترجمة العربية (دكتوراه) خالد القاسم.

ب) دراسات متفرقة :

تنوعت كتابات الباحثين والعلماء حول بعض المواد على النحو التالي:

أ – كتابات تناولت بحث ومناقشة مادة من المواد ضمن مفردات كتاب مثل: نقد مادة (زكاة) للدكتور محمد الزرقاء في كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية – مج 2 – .

ب – كتاب القرآن الكريم: دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن / المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

ج – كتب تناولت دراسة الدائرة ككل، وهذه على عدة أنواع منها:

1– كتب تناولت نقد الترجمة بغض النظر عن صحة أو بطلان المعلومات.

2 – كتب تناولت دراسة الدائرة كأصل من أصول المعجم العربي التاريخي، ككتاب أحمد

العايد، بعنوان: دائرة المعارف الإسلامية، أصل من أصول المعجم العربي التاريخي.

د– بالإضافة إلى العديد من المقالات في بعض المجلات والدوريات المتخصصة وغير المتخصصة كنقد مادة (أبي هريرة) وكذا مادة (أبي بكر) وغيرها بشكل منفصل وغير مترابط، ويؤخذ عليها عدم الدقة في تتبع واستقصاء كل ما ورد في الدائرة عن المادة موضوع الدراسة .

• موقع هذه الدراسة:

يطمح الباحث أن تكون رسالته إضافة جديدة تُضَمُّ إلى سلسلة الضياء والنور والبيان الكاشفة لشرور المستشرقين وشبههم التي بثوها في مؤلفاتهم عموماً وما في دائرة المعارف الإسلامية على وجه الخصوص.

• منهج البحث :

إن المنهج الذي سيتم اتباعه هو المنهج التحليلي المقارن الناقد الذي يورد الشبه معزوة للجزء والصفحة، معقبة بشرح موضح سبب تصنيفها من الشبه، مختومة بالنقد والتصويب، بالإضافة إلى الأمور التالية :

1 – سيعتمد الباحث على جمع المادة العلمية من مختلف ترجمات طبعات الدائرة.

2 – سيقوم الباحث بمراجعة المواد الواردة في الدائرة لكي يصل إلى تحديد وحصر المواد المتعلقة بالنظم الاجتماعية، ومن ثم تصنيفها حسب أوجه النظم المختلفة، مع وصف لمحتوى كل مادة ومصادرها في الدائرة دون تدخل.

3 – دراسة محتوى هذه المواد لمعرفة مدى توافقها أو اختلافها والكتاب والسنة.

4- نقد المادة وتصويب المعلومة وفق الخطوات التالية:

أ- التأصيل للمادة عن طريق إعادتها للكتاب والسنة وتوضيح مدى تجاهل كتاب المادة لما

ورد فيها.

ب- الاعتماد على الروايات الصحيحة للحديث النبوي الشريف .

جـ- مناقشة الأخطاء عن طريق العقل – في حينه – بما يتضح معه مصادمة ذلك الخطأ للعقل والنقل .

د- مناقشة الأدلة والبراهين التي أوردها كتاب المواد عن طريق الرواية والدراية .

• الخطة الإجمالية للبحث

عنوان البحث

منهج المستشرقين في دراسة النظم الاجتماعية-دراسة نقدية لدائرة المعارف الإسلامية(بحسب الترجمات العربية)

أولاً / المقدمة وتشتمل على :

1- أهمية الموضوع ،

2- وأسباب اختياره.

3- منهج الباحث في الدراسة.

4- خطة البحث.

• ثانياً / التمهيد : ويشتمل على :

1- تحديد وتعريف بمصطلحات البحث.

2- التعريف بدائرة المعارف الإسلامية.

3- مفهوم النظم الاجتماعية في الإسلام.

الفصل الأول : تكوين الأسرة ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : الخطوبة .

المبحث الثاني : عقد النكاح .

المبحث الثالث : المعاشرة الزوجية .

المبحث الرابع : دراسة ونقد لمواد الفصل الأول .

الفصل الثاني : الحقوق والواجبات ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : حقوق الزوج .

المبحث الثاني : حقوق الزوجة .

المبحث الثالث : حقوق الأبناء .

المبحث الرابع : دراسة ونقد لمواد الفصل الثاني .

الفصل الثالث : إنهاء العلاقة الزوجية وفيه مباحث :

المبحث الأول : الطلاق ، والرجعة .

المبحث الثاني : الخلع .

المبحث الثالث : دراسة ونقد لمواد الفصل الثالث .

الفصل الرابع : المرأة في دائرة المعارف ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : حقوق المرأة في الإسلام .

المبحث الثاني : المرأة والعمل .

المبحث الثالث : المرأة والملكية .

المبحث الرابع : دراسة ونقد لمواد الفصل الرابع .

الفصل الخامس : العلاقات الاجتماعية وفيه مباحث :

المبحث الأول : علاقة الإنسان بنفسه .

المبحث الثاني : علاقته بأقربائه .

المبحث الثالث : علاقته بجيرانه وإخوانه من المسلمين .

المبحث الرابع : دراسة ونقد لمواد الفصل الخامس .

الخاتمة وفيها :

1 – خلاصة البحث .

2 – أهم النتائج التي تم التوصل إليها .

3 – التوصيات والمقترحات .

الفهارس :

1- فهرس الآيات الكريمة .

2- فهرس الأحاديث النبوية.

3- فهرس المراجع.

4- فهرس الأعلام المترجم لهم.

5- فهرس الموضوعات.

============

#الأخطاء العقدية في دائرة المعارف الإسلامية

دراسة تحليلية نقدية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب

حميد بن ناصر خالد الحميد

إشراف

الأستاذ الدكتور : محمد خليفة حسن أحمد

1415هـ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله.

((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا))النساء: آية 1

((قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)) آل عمران آية: 64

((يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون)) آل عمران آية: 71 .

فمنذ القرن الثامن عشر الميلادي تقريبا، ظهر اهتمام الغرب بالإنتاج الموسوعي الذي كان هدف علماء الغرب منه تقديم المعرفة المتراكمة للقراء في صورة موجزة مختصرة، مع الإشارة في نهاية المادة المعروضة إلى المصادر والمراجع لمن يريد التوسع في معلوماته عن تلك المادة. وأصبحت الموسوعات ودوائر المعارف من الأعمال العلمية الجادة التي تختصر المعرفة الإنسانية، وتحتاج إلى مزيد من العناية والتركيز لكي تقوم بعملية التوجيه العلمي وتحقق التأثير الفكري المطلوب منها.

لا جرم أن قاموسا أو موسوعة تعرض نظام المعارف البشرية وسط هذا التدفق الكبير من المعارف، وعلى نسق يسهل التعامل معه يعد عملا علميا يمثل أحد أسباب القوة العلمية للحضارة الغربية. ومن تلك الموسوعات ودوائر المعارف التي تم إنجازها دائرة المعرف الفرنسية، ودائرة المعارف البريطانية، ودائرة المعارف العلمية الأمريكية. وموسوعة تاريخ العالم لجون هامرتن. وتاريخ الحضارات العام بإشراف موريس كورزيه. كما ظهرت عدة دوائر دينية مثل دائرة المعارف اليهودية، ودائرة المعارف الكاثوليكية، ودائرة المعارف البروتستانية، ودائرة معارف الدين والأخلاق، ودائرة معارف((الكتاب المقدس))، ودائرة معارف الإرساليات التنصيرية. كما صدرت عدة معاجم دينية مثل معجم((الكتاب المقدس))، ومعجم الكنيسة النصرانية، ومعجم إكسفورد للكنيسة النصرانية وغير ذلك.

ولم يتوقف اهتمام علماء الغرب بالإنتاج الموسوعي لمعارفهم فقط، بل اهتموا بإنتاج الأعمال الموسوعية للأديان والحضارات الأخرى ومن بينها الإسلام الذي لقى عناية خاصة في هذا المجال، وظهر ذلك جليا بوضعهم فهارس لمصدري الإسلام الأساسيين مثل العمل الذي قام به المستشرق الألماني جوستاف فلوجل بعنوان((نجوم الفرقان في اطراف القرآن)) وهو أول فهرس نشر في أوروبا للقرآن الكريم. وكذلك العمل الذي بدأه المستشرق الهولندي فنسنك بعنوان ((المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي)) كما قام بنشر الكتاب الذي ترجم إلى اللغة العربية بعنوان((مفتاح

كنوز السنة)). إضافة إلى نشر ((تاريخ الأدب العربي)) للمستشرق الألماني كارل بروكلمان.

وقد بلغ اهتمام المستشرقين بدراسة الإسلام ذروته في إصدارهم((دائرة المعارف الإسلامية)) التي تعد من أكبر الدراسات الاستشراقية للإسلام، وأعظمها خطورة خلال القرن العشرين، بل هي تمثل خلاصة جهود المستشرقين في الدراسات الإسلامية خلال القرون الميلادية الثلاثة الأخيرة. وتشير دائرة المعارف الإسلامية إلى أن دراسات المستشرقين للإسلام لم تكن مجرد جهود فردية، بل كونت أيضا اتجاها منظما يسير وفق خطط تشرف عليها مؤسسات علمية مختلفة، إذ لم يكن إصدار الدائرة عملا فرديا يشرف عليه بعض المستشرقين المنتمين إلى قطر واحد أو إلى لغة واحدة، بل كان عملا جماعيا دوليا عقدت له المؤتمرات، وتنادى من أجله المستشرقون من شتى دول أوروبا. فقد طرحت فكرة إنشاء الدائرة في مؤتمر المستشرقين التاسع الذي عقد في لندن عام 1892م، وتوالت دراسة هذه الفكرة في ثلاثة مؤتمرات متتالية انتهت بإقرار إنشائها، وإصدارها بثلاث لغات أوروبية. وقد تم بالفعل إصدار نموذج منها عرض في مؤتمر المستشرقين الثاني عشر الذي عقد في روما عام 1899م. وتعتبر دائرة المعارف الإسلامية من أخطر الجهود العلمية للمستشرقين نظرا لما تناولته من تعريف بالإسلام، وبالشعوب الإسلامية من وجهة النظر الإستشراقية دون أن يكون للمسلمين شأن يذكر في كتابة مادتها العلمية أو مراجعتها ويمكن تلخيص أسباب خطورتها فيما يلي:-

1- عدم إشراف علماء المسلمين على كتابة موادها أو إشراكهم في هيئة تحريرها.

2- عدم اشتراك علماء مسلمين في كتابة موادها الأساسية، واشتراك نفر قليل منهم في كتابة مواد ثانوية.

3- إسناد كثير مما كتب فيها إلى المصادر الإسلامية مما قد يجعل القارئ يثق بما ورد فيها من معلومات.

4- انتشار ترجمتها العربية في كثير من المكتبات دون تنقيح أو تصحيح لجميع الأخطاء والشبهات التي وردت فيها.

5- حرص كثير من الأوساط العلمية على تزويد مكتباتها بهذه الدائرة مما قد يغزي الباحثين بالاعتماد على المواد المذكورة فيها.

6- انتشار هذه الدائرة في البلدان الغربية المختلفة بعدة لغات وطبعات مما جعلها مصدرا أساسا في التعرف على الإسلام وأهله.

ولما كانت العقيدة الإسلامية هي المنهج الحاكم الذي يجب أن تفهم كل المسائل في هداها حيث أنها تقوم على الكتاب والسنة، كان من الواجب معرفة موقف المستشرقين منها من خلال طرحهم لموضوعاتها في دائرة المعارف الإسلامية. هذه الدائرة التي كان من الواجب على كتابها ومحرريها أن يكونوا متصفين بالحياد العلمي النزيه، والوضوح المنهجي في أسلوب تناولهم للإسلام بشكل عام، إلا أن هذا الأمر لم يكن متوفرا. فالمستشرق يكتب عندما يكتب عن الإسلام فإنه لا يتجرد عن مواريثه الدينية والفكرية الخاصة بل يكون واقعا تحت تأثيرها. كما أن الموقف الاستشراقي العام من الإسلام حول دائرة المعارف الإسلامية إلى مستودع كبير للشبهات والنظريات الخاطئة حول الإسلام.

لم تقتصر أخطاء المستشرقين في الدائرة على جانب واحد من العلوم الإسلامية بل وقعوا في أخطاء تتعلق بموضوعات مختلفة. فالتوحيد كما عرفوه في الدائرة هو القول بلا إله إلا الله أو القول بالحلول. والإجماع يستطيع المسلمون عن طريقه أن يجعلوا الإسلام ما شاؤوا، وقد غير المسلمون عن طريقة عقائد ثابتة وهامة تغييرا تاما. والصلاة المفروضة إنما أخذها النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى، وانها لم تكن قد فرضت في عهده صلى الله عليه وسلم خمس صلوات في اليوم والليلة. والصحابة رضي الله عنهم كانوا يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم بشدة، وكانوا يشكون في أقواله في أحوال كثيرة، وكانوا يشكون في الأحاديث التي رواها أبو هريرة ولا يترددون في التعبير عن شكوكهم فيها بأسلوب ساخر. كما شكك في كتاب الدائرة في سلامة القرآن الكريم من التحريف حيث تضمنت الدائرة الإشارة إلى أن مصحف عثمان لم يزود المسلمين بنص مقبول، وأن هناك نسخا أخرى منافسة له، وأن القرآن الكريم قد تضمن أخبارا عن بعض الأنبياء المشكوك فيهم وفي صحة نبوتهم. ولم يتورع كتاب الدائرة عن وصفهم بالخداع، والوثنية، والسحر، والجبن ونحو

ذلك. وأن الجنة التي كانت يبشر بها النبي صلى الله عليه وسلم، والنار التي كان يحذر منها ليس لها وجود إلا في الخيال، وإنها كانت من نسج خيال النبي صلى الله عليه وسلم الذي استطاع بواسطته وضع صفات مجازية لله تبارك وتعالى كان قد أخذها من مصادر مختلفة وغير ذلك من الأخطاء.

إن مما لاريب فيه أن هذه الدائرة لا تعبر عن الرأي الإسلامي الصحيح لغياب الكاتب والمحرر الإسلامي عنها، حيث كان كتابها ومحرروها خصوصا للإسلام، فلم تتسم كتاباتهم عنه بالموضوعية والإنصاف. فقد اعتمدوا على مصادر استشراقية، أو مصادر لاتمثل الرأي الإسلامي الصحيح، أو على أدلة ضعيفة أو موضوعة مع وقوفهم على المصادر والأدلة التي تعبر عن الرأي الإسلامي الصحيح، بل عمدوا إلى بتر الدليل أو الخبر الوارد في المصدر الأصلي في الموضوع. إضافة إلى التباين الجلي في درجات المقالات، والتناقض في الأخبار الواردة فيها. ومع ذلك سوف تظل هذه الدائرة تؤدي دورها الذي أنشأت لأجله طالما أن الفراغ الذي تعاني منه المكتبة العربية الإسلامية قائم. لذا فلا أقل من مراجعة المواد الواردة فيها ودراستها دراسة مفصلة لجميع موضوعاتها الإسلامية بشكل منفصل كل موضوع على حدة، ومن ذلك موضوع العقيدة، أو علم التوحيد الذي هو أصل كل العلوم وأشرفها.

ومما سبق ندرك أهمية دائرة المعارف الإسلامية وخطورتها، وضرورة نقد المادة الواردة فيها. وتلك هي البواعث التي دفعت الباحث إلى اختيار موضوع((الأخطاء العقدية في دائرة المعارف الإسلامية–دراسة تحليلية نقدية)) .

الدراسات السابقة :

قام الباحث بالرجوع– قبل اختياره لهذا الموضوع– إلى عدد من المكتبات والدوريات والمجلات باحثا عن أي دراسة علمية مستقلة لأحد الموضوعات الإسلامية المطروحة في الدائرة، واستشار عددا من المهتمين بهذا المجال فلم يجد شيا من ذلك، لكنه وقف على شذرات متفرقة هنا وهناك، داخل الدائرة المترجمة إلى اللغة العربية أو خارجها مما هو منشور في المجلات أو ضمن فقرة من كتاب، مثل كتاب

((مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية)) فقد تضمن الجزء الثاني منه مقالا نقديا لمادة ((زكاة)) في الدائرة، كتبها الدكتور محمد أنس الزرقاء. ومن ذلك أيضا ماجاء في مجلة التضامن الإسلامي في الجزء العاشر لعام 1399هـ حيث ورد فيها مقال نقدي لمادة ((حج)) في الدائرة، وماجاء في مجلة الأزهر في مجلدها الخامس الصادر عام 1353هـ، فقد تضمنت عددا من المقالات النقدية لبعض مواد الدائرة، مثل مادة ((أبو بكر)) وقد كتب هذا المقال الأستاذ محمد فريد وجدي، ومواد ((أبو هريرة، وإحرام، وإجماع)) وكتب هذه المقالات محمد عرفة.

ومن تلك الدراسات أيضا ماجاء في كتاب((المستشرقون والدراسات الإسلامية)) تأليف محمد عبدالله مليباري، فقد تناول في أحد موضوعاته فيما لا يتجاوز خمس صفحات مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية من خلال ماجاء في بعض مواد دائرة المعارف الإسلامية.

كما وقف الباحث على مقالات جاءت في مجلة الرسالة الصادرة عام 1352هـ في عدديها التاسع عشر والعشرين حول نقد الترجمة العربية للدائرة عند أول صدورها، إلا أن تلك المقالات تركزت على الترجمة ذاتها وطريقة ترتيب مواد الدائرة المترجمة. بالإضافة إلى ماجاء في المجلة نفسها الصادرة عام 1364هـ بدءا من العدد(635) فقد تضمنت سلسلة مقالات نقدية لأسلوب الترجمة، وذلك بعد صدور المجلد الخامس من الترجمة العربية كما أشار إلى هذا كاتب تلك المقالات.

ويتضح مما سبق أن الباحث لم يقف على دراسة علمية مستقلة لأي موضوع من موضوعات دائرة المعارف الإسلامية، يتناول تحليلها ونقدها مع أهمية ذلك، ومنها موضوع هذا البحث. أما بالنسبة للتعليقات المثبتة في الترجمة العربية للدائرة فإنها لم تشمل جميع الأخطاء الواردة في المواد المترجمة، كما أنها لم تشمل جميع المواد المتعلقة بموضوع العقيدة أو غيرها من الموضوعات لكونها لم تكتمل ترجمتها.

إن هذا البحث ليس مجرد تسجيل لأخطاء المستشرقين العقدية في دائرة المعارف الإسلامية، بل هو في الأساس يهدف إلى التعريف بالدائرة، وبخاصة الحال التي صاحبت نشأتها، والدوافع التي جعلت المستشرقين يفكرون في إصدارها. كما يهدف

إلى دراسة المواد العقدية الواردة في الدائرة، وتحديد الأخطاء الواردة فيها ومناقشتها. ويهدف أيضا إلى التعريف بمناهج المستشرقين المساهمين في كتابة المواد العقدية في الدائرة، وإيصال رسالة فكرية إلى كافة الفعاليات المخلصة في الأمة لكي تتعاون من أجل إستبدال هذه الدائرة بدائرة معارف عربية إسلامية، يكتبها ويشرف عليها المسلمون أنفسهم.

خطوات الدراسة والمنهج :

1- أعتمد الباحث في دراسته هذه على الطبعة الإنجليزية الأولى من دائرة المعارف الإسلامية، مستعينا بما ورد في الترجمة العربية لها.

2- قام الباحث بمراجعة جميع المواد الواردة في الطبعة الإنجليزية، وذلك لكي يصل إلى تحديد وحصر المواد العقدية فيها، ومن ثم تصنيفها على حسب أركان الإيمان الستة مع وصف لمحتوى كل مادة وصادرها كما جاءت في الدائرة دون تدخل منه. ويهدف الباحث من ذكر مصادر كل مادة إلى دراستها وتقييمها، والنظر في كيفية استخدامهم لها، والحكم عليها في النهاية كمصادر للمواد العقدية في الدائرة وذلك عن طريق إعداد دراسة إحصائية توصل من خلالها إلى تحديد نوعية المصادر التي اعتمد عليها كتاب المواد العقدية في الدائرة.

3- بعد تصنيف المواد العقدية على حسب أركان الإيمان الستة، قام الباحث بدراسة محتوى تلك المواد لمعرفة مدى توافقها أو اختلافها مع ماهو في الكتاب والسنة، أو تطابقها مع رأي أهل العلم السائرين على منهج الكتاب والسنة. ومن خلال ذلك تم تحديد ماهية المشكلة المراد دراستها، وكشف المادة الإستشراقية على حقيقتها من خلال حصر الأخطاء العقدية الواردة فيها في مكان واحد مترابط، كي يتبين للقارئ فداحة الأخطاء التي تضمنتها الدائرة في مجال واحد، ناهيك عن بقية المجالات المتعلقة بالعلوم الإسلامية الأخرى. ونظرا لذلك فإن الباحث سيكون مضطرا إلى تكرار ذكر بعض فقرات المواد العقدية الواردة في الدائرة، وهذا الأمر تستدعيه طبيعة الموضوع الداعي إلى التدرج في العرض.

4- حاول الباحث التعريف بمناهج المستشرقين الذين أسهموا في كتابة المواد العقدية في الدائرة، وذلك عن طريق البحث عن مناهجهم في الكتابة عن الإسلام خارج

الدائرة وداخلها. وقد قام بمراجعة أغلب المواد التي أسهموا في كتابتها في الدائرة- عقدية أو غير عقدية- وإستنبط منها الملامح العامة لمناهجهم في كتابة مواد الدائرة بشكل عام، والمواد العقدية بشكل خاص.

5- التزم الباحث عدم الاستطراد في الأبحاث التي قد تدفعه إليها كثرة المواد والمادة المعروضة فيها في جوانب متعلقة بموضوعات عقدية غير مباشرة، وقد كان بإمكانه أن يستطرد فيها إلا أنه خشي أن يكون ذلك الاستطراد على حساب المادة العلمية الأصلية.

6- عرض الباحث مصادر البحث ومراجعه بحسب الحروف الهجائية مع عدم إعتبار هذه الملحقات

(ابن، أبو، آل). ويلاحظ أنه عند إغفال أي أمر من الأمور المتعلقة بالتوثيق مثل رقم الطبعة أو سنة النشر أو غير ذلك، فإن هذا يكون راجعا إلى عدم ذكرها في المصدر أو المرجع.

7- سار الباحث في نقده للأخطاء العقدية على النحو التالي :

أ- التأصيل للمادة العقدية عن طريق إعادتها إلى الكتاب والسنة، وتوضيح مدى تجاهل المستشرقين لما هو وارد فيها.

ب- الإعتماد على الروايات الصحيحة المتفقة مع منهج أهل السنة والجماعة.

ج- مناقشة الأخطاء عن طريق العقل بما يتضح معه مصادمة ذلك الخطأ للعقل والنقل معا، لأن كل الأقوال المخالفة لما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة إنما هي أقوال باطلة يدرك العقل بطلانها، لأن العقل الصريح لا يمكن أن يخالف النصوص الثابتة الصحيحة.

د- مناقشة الأدلة التي أوردها كتاب المواد العقدية في الدائرة عن طريق نقد الرواية، أو نقد المصدر الذي اعتمد عليه الكاتب.

هـ- مناقشة آراء كتاب تلك المواد عن طريق مواجهة تلك الآراء بعضها ببعض. تلك الآراء التي قد تصل إلى حد التناقض والتضاد.

هذا هو عمل الباحث ومنهجه الذي سار عليه بتوفيق من الله تعالى. وقد قسم عمله هذا إلى مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة كالآتي :

المقدمة :

التمهيد: وقد عرف الباحث فيه بتاريخ الدراسات العقدية عند المستشرقين منذ ماقبل العصر الحديث وحتى نهاية العقد السابع من القرن العشرين حيث وفاة آخر محرري دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الأولى. وذلك للوقوف على المؤلفات التي قام بها المستشرقون في الموضوعات العقدية قبل وأثناء إصدارهم لدائرة المعارف الإسلامية.

أما الباب الأول فقد اشتمل على ثلاثة فصول وهي كالتالي:

أما الفصل الأول فقد عرف الباحث فيه بدائرة المعارف الإسلامية من حيث نشأتها، ولغاتها، وطبعاتها، ودوافعها، وأهدافها، ومادتها، ومحرروها مع توضيح مدى اهتمامهم بدراسة العقيدة الإسلامية.

أما الفصل الثاني فقد تضمن تصنيفا موضوعيا وصفيا للمواد العقدية في الدائرة وذلك عن طريق إدراج المادة العقدية تحت ركن من أركان الإيمان الستة حسب علاقتها بذلك الركن.

أما الفصل الثالث فقد كان تعريفا بالمستشرقين الذين كتبوا المواد العقدية في الدائرة، وبمناهجهم بشكل عام سواء كانت داخل الدائرة أو خارجها.

وأما الباب الثاني فقد إشتمل على فصول أيضا وهي كالتالى :

أما الفصل الأول فقد تضمن حصر الأخطاء المتعلقة بأركان الإيمان الستة، وقد تم تصنيف تلك الأخطاء في ستة مباحث، يشتمل كل مبحث منها على الأخطاء المتعلقة بركن من أركان الإيمان الستة.

وأما الفصل الثاني فقد تضمن مناقشة للأخطاء العقدية المعروضة في الفصل الأول حسب تصنيفها فيه.

أما الفصل الثالث فقد تضمن الملامح العامة لمناهج المستشرقين في تناول المواد العقدية في الدائرة مع نقدها ، ومصادرهم في دراسة تلك المواد مع نقدها .

أما الخاتمة فقد تضمنت النتائج والتوصيات .

تلك هي موضوعات البحث ، وما جمع الباحث إنما هو غيض من فيض ، إذ لا تزال دائرة المعارف الإسلامية مملوءة باخطاء تتعلق بموضوعات إسلامية متفرقة .

ولعل ما صنعه الباحث هنا يكون بداية له في دراسة موضوعات أخرى في الدائرة ، أو دافعاً لغيره لكي يقوم بدراسة موضوع آخر من الموضوعات الإسلامية التي تضمنتها دائرة المعارف الإسلامية . ثم إن الباحث لا يدعي الكمال في عمله هذا ، فإن أحسن فيه فذلك الفضل من الله ، وإن كان غير ذلك فحسبه أنه بذل فيه قصارى جهده وتحرى فيه الحق والصواب ، وسبحان من بيده هداية القلوب والأفكار .

وفي ختام هذه المقدمة يتقدم الباحث بخالص الشكر والثناء إلى كل من أعانه في عمله هذا بأي شكل من أشكال العون . وأول الشكر وآخره لولي الحمد ومستحقه سبحانه وتعالى . ثم يشكر الباحث جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي وجد فيها محضناً من محاضن العلم ، حيث تشرف بالانتماء إليها منذ انتهائه من المرحلة الابتدائية حتى الآن ، وفي كل مرحلة يتلقى فيها الميراث النبوي، والعلم النافع في الدنيا والآخرة . ويشكر لها عنايتها واهتمامها بالدراسات الاستشراقية والتنصيرية ، وتشجيعها للبحث العلمي فيها على منهج علمي سليم ، تصحيحاً للمفاهيم الغربية عن الإسلام ، وتعريفاً به ودعوة إليه ودفاعاً عنه . ويشكر أيضاً القائمين على كلية الدعوة بالمدينة المنورة وعلى قسم الاستشراق فيها وفي مقدمتهم الدكتور معيض بن مساعد العوفي عميد الكلية ، والأستاذ مصطفى حلبي وكيل الكلية على مالمسه منهم من عون وتسديد فجزاهم الله خير الجزاء .

واعترافاً بالفضل لأهله يتقدم الباحث بخالص الشكر وعظيم التقدير لأستاذه المشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن ، فقد كان رحب الصدر والبيت ، وأعطاه من وقته الكثير ، وكان له أكبر الأثر في إنجاز هذه الرسالة بفضل الرعاية التي شمله بها ، والتوجيهات المفيدة والسديدة التي أرشده إليها . فجزاه الله عن الباحث وعن بقية زملائه خير الجزاء . كما يشكر الباحث كلاً من الدكتور عبدالله الرحيلي والدكتور أحمد الخراط على تشجيعهما له مواصلة الدراسة في قسم الاستشراق وتسجيل موضوع هذه الرسالة فيه وعلى تعاونهما المتواصل معه . ويشكر كذلك زملاءه في القسم الدكتور كمال الفولي والدكتور مازن مطبقاني ، والأستاذين مصطفى حلبي ، وحسن سويسي على مساعدتهم له في ترجمة بعض المواد العقدية ، وترجمة بعض النصوص الأجنبية خارج الدائرة .

كما لايفوت الباحث تقديم شكره للأستاذين المناقشين على ما أمضيا من وقت وأذهبا من جهد في سبيل قراءة هذا البحث لتقويمه وتسديده .

وأخيراً يقدم الباحث شكره لجميع أفراد أسرته على مساعدتهم له وفي مقدمتهم والدته التي كان فضلها عليه عظيماً ، فليس البحث ولا الباحث إلا من حسناتها التي أسأل الله أن يثقل بها موازينها وموازين والده رحمه الله تعالى . ثم يقدم شكره لأم أولاده التي كانت عوناً له في مراجعة طباعة البحث ، وسعيها الدائم لراحته وتفرغه للكتابة . كما يشكر إخوته الكرام خالد وعلي وصالح ومحمد وأولاد أخيه خالد وأبناء خاله عبدالله الحميد على ما قدموه له من عون في عمله هذا. فجزى الله عنه هؤلاء جميعاً خير الجزاء إنه سميع مجيب .

والحمدلله أولاً وآخراً وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

===============

#السلطان محمود الغزنوي

في كتابات بعض المستشرقين

دراسة نقدية

بحث مكمل لنيل درة الماجستير

إعداد الطالب

محمد عامر عبدالحميد مظاهري

إشراف

أ.د. حامد غنيم أبوسعيد

العام الجامعي 1415هـ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، وأن محمداً صلى ا الله عليه وسلم عبده ورسوله ([1]).

أما بعد :

فهذا بحث مكمل ، لنيل درجة الماجستير في "الاستشراق" ، وموضوعه هو دراسة نقدية لرؤية بعض المستشرقين في شخصية إسلامية من تاريخنا الإسلامي .

والشخصية المعنية هي شخصية يمين الدولة وأمين الملة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي (357 . 421هـ/966 . 1029م) ([2])، وقد اهتم بشخصيته عدد من المستشرقين ، فدرسوا سيرته وغزواته ومنجزاته الحضارية والعلمية .

أهمية البحث وأسباب اختياره :

يعتبر السلطان محمود الغزنوي من الشخصيات العظيمة في التاريخ الإسلامي ، فهو يتصف بصفات الحاكم المسلم ، التي أكسبته مكانة بارزة في التاريخ ، فقد ساهم بغزواته في توسيع رقعة العالم الإسلامي ، وكان من أكبر أسباب انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية ، كما إ، له العديد من المنجزات الحضارية ، والبصمات العلمية في التراث الإسلامي .

وقد أتت المعالجة الاستشراقية لشخصية السلطان محمود الغزنوي غير منصفة . أحياناً . لسيرته وأعماله ومنجزاته السياسية والحضارية .

وتبدو أهمية البحث في ضرورة مراجعة الكتابات الاستشراقية حول شخصية السلطان محمود الغزنوي ، ودراستها دراسة علمية موضوعية لتحديد الإيجابيات التي وردت عن السلطان في الكتابات الاستشراقية ، وللتعرف على السلبيات والشبهات التي أثيرت حوله والرد عليها ونقدها دفاعاً عن هذه الشخصية الإسلامية وحفاظاً على مكانتها وصورتها الزاهرة في التاريخ الإسلامي .

ومن أهم أسباب اختياري لهذا الموضوع :

1. أهمية السلطان محمود الغزنوي التاريخية والدينية ، وعدم اعتناء البحوث الإسلامية السابقة بتتبع صورته عند المستشرقين ، وتوضيح أخطائهم في حقه ، وتصحيح هذه الصورة من خلال المصادر الإسلامية .

2. تركيز معظم البحوث في الاستشراق على الدراسات الاستشراقية حول السيرة النبوية وعصر الخلافة الراشدة ، وكذلك عصور الخلافة الأموية والعباسية والعثمانية ، وقد نالت هذه الدراسة حظاً وافراً من المتابعة الإسلامية والنقد ، في الوقت الذي لم

تلق فيه الدول الإسلامية غير المركزية وشخصياتها التاريخية من حكام وملوك الاهتمام الكبير والدراسة الوافية .

3. وثمة سبب آخر لاختيار الموضوع ، وهو ارتباط شخصية السلطان محمود الغزنوي بتاريخ دخول الإسلام في شبه القارة الهندية ، ويحمل هذا الارتباط معاني العرفان والإحسان العظيمة من هذا السلطان الغازي تجاه المنتمين إلى هذه القارة ، فهو يمثل الباب الذي دخل منه هذا الدين العظيم إلى هندوستان وتشرف أهلها به ، فكل من أتى بعد هذا السلطان وتوسع في شبه القارة الهندية عالة عليه ، فكيف انتكس عن الدفاع عن هذه الشخصية التي لها علينا هذا الفضل العظيم؟ جزاه الله عن مسلمي شبه القارة الهندية خير الجزاء .

ولهذه الأسباب رأيت أن يتوجه بحثي إلى دراسة شخصية إسلامية تنتمي إلى دولة إسلامية غير مركزية هي "الدولة الغزنوية" للتعرف على آراء المستشرقين حولها ومناقشة هذه الآراء .

حدود البحث :

1) يتناول البحث آراء بعض المستشرقين حول السلطان محمود الغزنوي ، ولا يتطرق إلى تاريخ الدولة الغزنوية وحكامها الآخرين إلا بالقدر الذي يفيد في فهم آراء المستشرقين حول الشخصية المعنية.

2) يتم التركيز على سبعة مستشرقين تناولوا السلطان محمود بالدراسة ، وهم : المستشرق جون كلارك مارشمان (J.C.Marshman000−1877م/1294م) من خلال كتابه "History of India" ، والمستشرق إستانلي لين بول "S.Lane Pool" (1832−1895م/1248−1313هـ) من خلال كتابه "الدولة الإسلامية" ، والمستشرق بارون كارا دوفو ("B.C.de Vaux" 1867−1953م/1284−1373هـ) من خلال كتابه "مفكروا الإسلام" ، والمستشرق كارل برو كلمان (C.Brockelmann 1868−1956م/1285−1376هـ) من خلال كتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية" ، والمستشرق بارتولد شبولر (B.Spuler1911/...-1329هـ) من خلال مقاله "Ghaznawids"، والمستشرق بوزوارث C.E.Bosworth (1928م/1347هـ) من خلال كتابه "The latter Ghaznavids" ومقاله

"Mahmud B. Sabuktagin" بالإضافة إلى الاستشهاد أحياناً بمستشرقين آخرين وهم : المستشرق هنري إليوت)Sir.H.Elliot1808−1853م/1223−1270هـ) من خلال كتابه "The history of India as told by its own historiiens" ، والمستشرق توماس آرنولد (Sir.t.Arnold1864−1930م/1281−1349هـ) من خلال كتابه "الدعوة إلى الإسلام" والمستشرق ب .هاردي P.Hardy من خلال مقاله " ([3Ayas Abu L Najam "])، وهؤلاء من أهم المستشرقين الذين درسوا السلطان .

منهج البحث :

اتبع الباحث المنهج الوصفي والمنهج التاريخي مع التحليل والنقد ، واتبع منهج البحث العلمي في التوثيق واستخدام المصادر والمراجع .

كما راعى الباحث في إعداد البحث ما يلي :

1) حصر كل ما كتبه المستشرقون السبعة حول السلطان محمود في مصادرهم المذكورة ، ثم تصنيفها في ضوء الخطة المقترحة ، ومناقشتها .

2) عند ذكر قول المستشرق في موضوع ما ، أكتفي بذكر ما يمس الموضوع فقط ، مع مراعاة تامة بعدم الإخلال بالمعنى المراد ، وإن رأيت الإضرار بالمعنى من جراء حذف كلمة أو جملة أو مقطع كامل ، ذكرته مهما طال ، مراعاة للأمانة في نقل النصوص ، ولكن إن كانت الجملة أو الكلمة معترضة لا يؤثر حذفها على المعنى ، فأفضل حذفها حينئذ ابتغاء التركيز على الموضوع .

3) ذكر مال قاله كل مستشرق حول موضوع واحد بنصه . أولاً . من غير تعليق ، ثم مناقشة هذه الأقوال بعد كلمة فصل ، مثل : "أقول مناقشاً هذا الرأي" .

4) ترتيب أقوال المستشرقين حول نقطة واحدة حسب الترتيب الزمني للمستشرقين ، وكذلك في مناقشتها ما لم يمكن مناقشة عدة أقوال متشابهة مرة واحدة .

5) توثيق كل رأي أو قول في أول مرة يذكر فيها ، وإن دعت الحاجة إلى ذكره مرة أخرى أثناء المناقشة فلا يوثق مرة أخرى .

6) عند مناقشة آراء المستشرقين تم الالتزام بذكر الآراء الإيجابية قبل السلبية وذلك من باب الموضوعية والإنصاف .

7) محاولة الالتزام . بدقة . بأدب المناقشة العلمية ، من حيث الأسلوب والألفاظ ، واضعاً نصب العين ابتغاء الدعوة إلى الله تعالى من خلال هذا البحث ، والدعوة لا تكون إلا بالحكمة والموعظة الحسنة .

8) عند الاستشهاد بالآيات والأحاديث ، تم عرض موضع الشاهد فقط إذا كانت الآية أو الحديث طويلين ، أما في حال كونهما قصيرين ، فيذكران تامين .

9) الالتزام بالاستشهاد بالأحاديث الصحيحة أو الحسنة فقط ، وعدم ذكر أي حديث لم تثبت نسبه إلى الرسول صلى ا الله عليه وسلم .

10) الالتزام بتخريج كل آية أو حديث يذكران في البحث ، بذكر السورة ورقم الآية ، وبذكر المصدر الراوي للحديث واسم الكتاب والباب والمصدر ، وأحياناً ذكر الراوي أيضاً .

11) عند الاستشهاد بأبيات شعر من اللغة الفارسية ، حرصت على إثبات النص الفارسي أيضاً، مراعاة للدقة والأمانة ، سوى أن يكون عدد الأبيات المتتالية كبيرة ، فاكتفيت بذكر الترجمة فقط .

12) الالتزام بذكر تعريف موجز بكل علم غير مشهور ورد ذكره في ثنايا البحث ، أما ما يذكر في الهامش فلا يعرّف .

13) الالتزام بتحديد الموقع الجغرافي لكل مكان ورد ذكره في ثنايا البحث . في المرة الأولى . أما ما يذكر في الهامش فلا يعرّف ، وإذا توفرت معلومات أخرى غير الجغرافية ذكرتها ، مع توثيق هذه المعلومات إن كانت مستقاة من مصدر ما ، وإن كانت حسب علمي الشخصي فلا توثق .

14) الالتزام بذكر التاريخ الميلادي بعد ذكر التاريخ الهجري . فيما يتعلق بالأحداث والشخصيات الإسلامية . وأما بالنسبة للشخصيات الاستشراقية فيذكر التاريخ الهجري بعد الميلادي .

15) عند توثيق المعلومة لا أرى بأساً بذكر جميع المصادر التي تتحدث حول النقطة المعنية ، ويراعى في ذكر المصادر الترتيب الزمني ، لا الأهمية العلمية للمصدر .

16) استخدام المعكوفين [ ] لإضافة كلمة توضيحية إلى نص من النصوص .

الدراسات السابقة :

إن موضوع هذا البحث غير مسبوق من قبل ، فلم تمر دراسة واحدة علي في أي لغة من اللغات الثلاثة (العربية والأردية والفارسية) تحدثت فيها باحث عن صورة السلطان محمود الغزنوي في الكتابات الاستشراقية بقصد النقد .

والدراسة التي قام بها البروفيسور مولوي سيد هاشمي فريد آبادي في الهند قبل سبعين عاماً تقريباً، هي عبارة عن كتاب باسم "تاريخ هند"([4]) ، ألفه المؤلف ليتم تدريسه في الجامعة العثمانية بحيدر آباد في مقاطعة دكن الهندية ، وقد استفاد مؤلفه من كتابات بعض المستشرقين التاريخية في الهند بصورة عامة ، كما استفاد من المصادر الإسلامية نفسها ، ونقد المؤلف بعض الآراء الاستشراقية مثلما نقد بعض الآراء التاريخية للمؤلفين المسلمين ، بل إن هذا النقد الذي نجده موجهاً أحياناً إلى الكتابات الاستشراقية اقتصر على أمور تاريخية بحتة([5])، فلم يرم المؤلف من عرض الآراء الاستشراقية نقد هذه الآراء بقدر ما كان الهدف هو الاستشهاد بها والاستفادة منها ، ولهذا السبب نجد أن المؤلف يعتمد على الترجمات التي قام بها بعض المستشرقين لبعض المصادر التاريخية الإسلامية([6]) والتي لا يستطيع الاستفادة من أصولها بسبب الجهل بلغتها أو عائق آخر .

فلهذه الأسباب ، بالإضافة إلى كون هذه الدراسة غير متخصصة بالسلطان محمود الغزنوي وبلغة غير العربية ، رأيت أن مجال البحث في رؤية المستشرقين حول السلطان محمود الغزنوي ما زال مفتوحاً، بل إن الحاجة لا تزال ماسة إلى المضي قدماً في إجراء الدراسة في الموضوع ، وأ، الدراسة السابقة وأعني بها "تاريخ الهند" لم تقم بالأمر كما تنشده الدراسات المعنية بالاستشراق ، على الرغم من فائدتها العلمية التي لا يمكن الاستهانة بها .

تعريف بأهم مصادر البحث :

وجاءت هذه المصادر كالتالي :

(أ) المصادر التاريخية باللغة العربية :

1) كتاب "تاريخ اليميني"([7]) ، لمؤلفه : أبوالنصر العتبي المتوفى عام (431هـ/1039م) بشرح الشيخ أحمد المنيني المتوفى عام (1111هـ/1699م).

وقيمة هذا المصدر يظهر بالنظر إلى سيرة العتبي ، حيث كان مؤرخ بلاط السلطان محمود الغزنوي فتيسر له تدوين كل صغيرة وكبيرة عن قرب وعلى مرأى من العين ، وهو التاريخ الوحيد الذي سجل يرة السلطان محمود على عهده وتحت إشرافه ، وذلك باللغة العربية ، بيد أن هذا المصدر لم يكمل لنا سيرة السلطان إلى آخر أيام عمره ، وذلك لانتقال العتبي إلى بلاط آخر في عام (409هـ/1018م).

أما شرحه الذي بين أيدينا ، فلا يضيف معلومة إلى المتن ، فهو ليس سوى شرح لغوي ، يمكن الاستفادة منه في فهم المتن المصاغ صياغة بلاغية مفرطة .

2) كتاب "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"([8]) ، لابن الجوزي المتوفيى عام (597هـ/1202م) وقد أوجز فيه المؤلف القول في السلطان محمود حتى وفاته (421هـ) ، وذلك لكون الكتاب مختصاً بالحديث عن الخلافة في بغداد بالدرجة الأولى ، ومع ذلك فإنه اشتمل على بعض المعلومات التي لم تتوفر في غيره من المصادر ، وهو المصدر الأسبق الكامل في تاريخ السلطان ، باللغة العربية .

3) كتاب "الكامل في التاريخ"([9]) لابن الأثير المتوفيى سنة (630هـ/1234م) وقد تناول المؤلف سيرة السلطان بالدقة والتفصيل . على عادته . وبحق فإنه لا غنى لباحث في التاريخ عن هذا المصدر بأي حال من الأحوال .

4) كتاب "تاريخ ابن خلدون (العبر)"([10]) المتوفيى عام (808هـ/1378م) وهو مصدر متأخر نسبياً لكنه لاغنى عنه . في رأيي . ويكفي أنه سلك طريقاً غير طريق أسلافه المؤرخين ، إذ سرد كل ما يتعلق بالدولة الغزنوية في تسلسل واحد ، ولم يتبع نظام الحوليات التي تشتت المعلومات في سنوات حدوثها ، وبذلك يعطي ابن خلدون صورة واضحة جداً عن الدولة الغزنوية وسلاطينها .

(ب) كتب التراجم باللغة العربية :

1) كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"([11]) لابن خلكان المتوفى سنة (681هـ/1281م) ، وقد تحدث المؤلف عن السلطان محمود بتفصيل لا بأس به ، ولا يستغني باحث عن هذا المصدر حين ترجمة شخصية تاريخية .

2) كتاب "سير أعلام النبلاء"([12]) للإمام الذهبي المتوفى عام (748هـ/1348م) وللمؤلف فيه إضافات ليست موجودة في غيره من المصادر .

(ج) مصادر مترجمة إلى اللغة العربية :

1) كتاب "تاريخ البيهقي"([13]) لمؤلفه أبي الفضل البيهقي المتوفيى سنة (470هـ/1077م) وهو من أهم المصادر التي تحدثت عن السلطان محمود ، على الرغم من أنه تأريخ لسيرة السلطان مسعود الغزنوي أصلاً ، وهو كتاب ألف بالفارسية ، ثم ترجم ما بقي منه . بعد ضياع . إلى اللغة العربية حديثاً ، والمؤرخ البيهقي من أشهر المؤرخين المسلمين ، ويكفي أنه كان يشغل منصب تائب رئيس الديوان العام على عهد السلطان مسعود ([14])، ولذلك جاء تاريخه من أوثق التواريخ ، بل يذكر المؤرخ أن تاريخه يضم أخباراً لم يكتب لغيره العثور عليها ([15]).

3) كتاب "جهار مقاله" (المقالات الأربعة)([16]) ، لمؤلفه النظامي العروضي السمرقندي المتوفى سن (552هـ/1157م) وهو كتاب في الأدب بالدرجة الأولى ، غير أنه اكتسب شهرة تاريخية عظيمة إلى درجة اعتماد كثير من المؤرخين على بعض رواياته ، وخاصة فيما يتعلق بالسلطان محمود الغزنوي ([17])، وعلى الرغم من وجود بعض الملحوظات عليه ([18])، فإن قيمة هذا الكتاب تتجلى عندما بجد بعض الروايات التاريخية فيه لا توجد في المصادر التاريخية الأخرى غيرها ، إلا هي نفسها مقتبسة . ربما نصاً . من جهار مقالة ([19]).

(د) مصادر باللغة الأردية الفارسية :

1) كتاب "طبقات ناصري"([20]) لأبي عمرو منهاج سراج المتوفى عام (659هـ/1260م) وهو أسبق كتاب ألف باللغة الفارسية عن تاريخ الهند بعد كتاب "تاج المآثر" ([21])، ويتحدث المؤلف فيه عن السلطان محمود بتفصيل جيد وإحكام ، حتى بات مؤلفه هذا مرجعاً أساساً لمن جاؤوا بعده ، والكتاب مترجم إلى اللغة الأردية .

2) كتاب "بوستان" ([22])، وكتاب "كلستان"([23]) للشيخ مصلح الدين سعدي المتوفيى سنة (691هـ/1291م) وهما كتابان باللغة الفرنسية ، وفيهما يصف المؤلف السلطان محمود ويتحدث عن صلته بغلامه "أياز" الذي أثار بعض المستشرقين حوله شبهة .

3) كتاب "روضة الصفا في سير أنبياء وملوك وخلفا"([24]) لمؤلفه مير خواند محمد شاه المتوفى سنة (903هـ/1497م) ، وهو كتاب عام في التاريخ على نظام الطبقات ، ويعتبر مكمل لطبقات ناصري الذي بعد من أهم المصادر ، وقد احتوى الكتاب على بعض الإضافات الجيدة التي ألقت مزيداً من الضوء على سيرة السلطان محمود ، والكتاب باللغة الفارسية .

4) كتاب "تاريخ فرشته"([25]) لملا محمد قاسم فرشته المتوفى سنة (1031هـ/1621م) وهو مؤرخ فارسي موثوق به ، وعلى الرغم من كون المصدر متأخراً ، يعتبر من أمهات الكتب التاريخية باللغة الفارسية ثم الأردية التي تتحدث عن تاريخ الإسلام في شبه القارة الهندية ، وحاجة البحث إلى هذا المصدر تظهر أكثر جلاء عند واقعة فتح سومنات (415هـ) التي ركز عليها المستشرقون ، فهو يفصل فيها بما لم تستطعه المصادر الأخرى .

هـ) المصادر الاستشراقية :

1) كتاب " The History of India as told by its own Historiens "([26]) لمؤلفه : سير هنري إليوت Sir H.Elliot المتوفى في عام (1835م/1270هـ) ، وقد أصدر الكتاب المستشرق جون دوسن John Dowsn في عام (1877م/1294هـ) بعد وفاة إليوت المبكرة ، ويقع الكتاب في تسعة أجزاء ، يتحدث الجزء الثاني منه حول الغزنويين ، وقد اعتمد المستشرق على كتاب "تاريخ اليمين" فيما يتعلق بالسلطان محمود الغزنوي ، وبما أ، الكتاب يهدف إلى تقديم الصورة نفسها التي رسمها مؤرخو الهند أنفسهم ، فقد قام المستشرق إليوت بترجمة هذا الكتاب ترجمة حرفية ، ولم يضف شرحاً شخصياً إلا بقصد الإيضاح وذلك في نطاق ضيق جداً ، وعلى الرغم من كون المصدر مصدراً منصفاً ، لم أخضعه للدراسة إلا في صورة استشهادات منه أحياناً ، لأنه بمثابة الترجمة الإنجليزية لكتاب "تاريخ اليميني" وغيره ، ولا يمثل كتابة استشراقية في حد ذاته .

2) كتاب "Abridgment of the History India "([27]) لمؤلفه : جون كلارك مارشمان J.C.Marshman المتوفى عام (1877م/1294هـ) ، وهو كتاب في تاريخ الهند بشكل عام ، تحدث فيه المستشرق عن السلطان محمود في أربع

صفحات ، فكانت كتابته هذه من أنصف ما كتبه مستشرق عن السلطان ، والمستشرق يرجع إلى مصادر إسلامية وهندوسية وإستشراقية على السواء ، بيد أنه لم يكن يوثق كل معلومة بذكر مصدرها في حينها .

3) كتاب "الدولة الإسلامية"([28]) The Islamic State للمستشرق إستانلي لين بول S.L.Poole المتوفى سنة (1895م/1313هـ) ، الذي يبحث في 181 دولة إسلامية ، من ضمنها الدولة الغزنوية ، وكان بحثه يغلب عليه الطابع العلمي الموضوعي ، وكان المستشرق هادئاً رزيناً في معظم آرائه ، ومصيباً في كثير من أخباره ، إلا أن كتابته هذه لم تخل من تجاوزات ، وإن كانت تبدو غير مقصودة .

4) كتاب "مفكرو الإسلام"([29]) Les Penseurs de L Islam للمستشرق بارون كارادوف B.C.de Vaux المتوفى سنة (1953م/1373هـ) ، وهو كتاب يقع في خمسة مجلدات يتناول المجلد الأول منه كبار الشخصيات السياسية الإسلامية التاريخية ، من ضمنهم السلطان محمود الغزنوي ، ويغلب على هذا المقال الذي يتحدث فيه عن السلطان الطابع غير العلمي ، وتنبيء الكتابة عن روح حاقده ، قدمت صورة مشوهة للسلطان ، متفادية ذكر الإيجابيات ، ومنتقية أو قل مختلقة . غالباً . السلبيات ، فقلما نجد فيه أخباراً صحيحة .

5) كتاب :تاريخ الشعوب الإسلامية"([30]) Geschichte der Islamischen Volker للمستشرق كارل بروكلمان C.Brockelmann المتوفى عام (1956م/1376هـ) ، وهو كتاب شامل للتاريخ الإسلامي حتى عصر المستشرق ، وكان يمكن للفصل المتعلق بالسلطان محمود أن يكون موضوعياً لول لم يقع المستشرق في بعض التجاوزات والتي عبرت عنها بعض آرائه الخاصة .

6) كتاب "تاريخ العرب والشعوب الإسلامية"([31]) The History of Arab and Islamic Peoples للمستشرق كلود كاهن Cl. Cahen المعاصر الذي يتوقف عند الدولة العثمانية في تأريخه ، والمعلومات التي يذكرها المستشرق حول السلطان محمود هي معلومات صحيحة في معظمهما باستثناء بعض الهفوات ، ولكن الشئ الذي أفقد الفصل الخاص بالسلطان الموضوعية العلمية هو آراؤه الشخصية

وتفسيراته للأحداث التي جاءت سلبية في غالبها ، تتبيء عن الضعف العلمي للمستشرق أحياناً .

7) مقالة "[32Ghaznaw ids"(]) للمستشرق بارتولد شبولر B.Spuler المعاصر في دائرة المعارف الإسلامية ، وهي مقالة علمية جيدة ، استهدفت إلى إعطاء صورة موضوعية عن الغزنويين ، ولكنها لاتخلو أيضاً من المغالطات النابعة من اعتماد المستشرق على كتابات استشراقية سابقة ، كما نجد فيها أحياناً أسلوب اللمز أيضاً .

8) مقالة [(33Mahmud B. Sabuktagin]) للمستشرق بوزوارث C.E.Bosworth المعاصر في دائرة المعارف الإسلامية أيضاً ، وهي مقالة في صفحتين تقريباً ، يغلب عليها الأسلوب غير الموضوعي ، حيث جاءت معم آرائها قابلة للنقاش والرد .

9) كتاب [(34The letter Ghaznavids]) للمستشرق بوزوارث أيضاً ، وهو مؤلف يستعرض فيه المستشرق تاريخ السلاطين الغزنويين المتأخرين ، ابتداء من السلطان فرخ زاد (443 . 451هـ/1052 . 1059م) إلى نهاية الدولة الغزنوية عام (583هـ/1187م) ، وفي نهايات الكتاب يتحدث عن السلطان محمود الغزنوي في صفحة ونصف الصفحة ، وتأتي كتابته هذه على خلاف تلك التي في مقالة دائرة المعارف الإسلامية السابقة ، فهذه تتصف بقدر كبير من الإ،صاف والموضوعية .

محتويات البحث :

وقد تكون هذا البحث بالإضافة إلى المقدمة من :

التمهيد : وقد تم فيه التعريف بالسلطان محمود الغزنوي تعريفاً موجزاً شافياً ، ألقى الضوء من خلاله على بداية وتكوين الدولة الغزنوية في ميدنة غزنة([35])، وعلى مولد السلطان محمود ، ووالديه ، ومناقبه ، وآثاره السيسابة والحضارية .

كما تم في التمهيد التعريف بأهم المستشرقين الدارسين لشخصية السلطان محمود ، والذين تم الرجوع إلى كتاباتهم في إعداد البحث، مع إبراز المكانة العلمية لكل مستشرق ، وعرض موجز لأهم إنتاجه العلمي .

وبالإضافة إلى التمهيد يتكون البحث من فصلين ، تم تقسيم كل منهما إلى مبحثين .

فالفصل الأول حمل عنوان " آراء المستشرقين حول حياة السلطان محمود وسياسته العامة ، ومناقشة هذه الآراء " .

وقد تم في المبحث الأول منه عرض آراء المستشرقين حول حياة السلطان محمود الخاصة ، التي تناولت نسب السلطان ، وأصله القومي، وألقابه التي لقب بها في حياته السياسية ، وأخلاقه وصفاته ، وقد نوقشت هذه الآراء في ضوء ما ذكرته المصادر التاريخية الإسلامية حول هذه الجوانب من حياة السلطان ، مع تقرير الآراء المصيبة ، والرد على غير المصيبة منها .

وفي المبحث الثاني تم استعراض لآراء المستشرقين حول سياسة السلطان العامة ، والتي ركزت على ما حصل بين السلطان وأخيه إسماعيل من نزاع على الحكم ، وصلات السلطان بالدول الإسلامية المجاورة ، وسياسته التي مارسها مع المناوئين لمذهب أهل السنة ، ثم نوقشت هذه الآراء أيضاً من خلال ما تذكره المصادر التاريخية ، وتم تمييز الآراء الإيجابية من الآراء السلبية .

أ/ا الفصل الثاني فقد عنون بـ "آراء المستشرقين حول غزوات السلطان ومنجزاته الحضارية ، ومناقشة هذه الآراء " .

ففي المبحث الأول منه تمت مناقشة الآراء الاستشراقية حول الغزوات السلطانية إلى الهند ، وهذه الآراء تركزت حول الأهداف التي استهدفها السلطان من جراء هذه الحملات ، ومعاملة السلطان لأعدائه فيها ، وحول النتائج العاجلة والآجلة التي ترتبت على هذه الحملات ، كما تمت الإشارة إلى نقطة أهملها المستشرقون فلم يتناولها معظمهم في كتاباتهم ، وتم بيان الأسباب التي يحتمل أنها دعت إلى هذا الإهمال .

واستعرضت في المبحث الأخير آراء المستشرقين حول منجزات السلطان الحضارية ببعديها الثقافي والعمراني ، مع التركيز على علاقة السلطان بكل من العالم البيروني والشاعر الفردوسي ، مناقشاً كل هذه الآراء بعرضها على المصادر التاريخية .

ومن الطبيعي أن يشتمل البحث على الخاتمة ، يتم فيها استخلاص النتائج العامة من إعداد البحث ، ولقد مثلت مناهج المستشرقين في دراسة التاريخ الإسلامي ، والتي استوحاها الباحث من خلال إعداد هذا البحث التاريخي الاستشراقي ، مثلت

هذه المناهج أهم النتائج التي توصل الباحث إليها مع نهاية البحث هذا ، ثم كانت بعض التوصيات التي رآها الباحث ضرورية ، فأوصى بها زملاءه الباحثين .

وأخيراً فقد زود هذا البحث بفهرس شامل للأعلام والأماكن والكتب والقبائل والعشائر ، بالإضافة إلى فهرس للآيات والأحاديث ، وآخر للأشعار والأمثال ، وذلك ليمكن الاستفادة من هذا البحث في أكمل صورة وأسرع وقت .

هذا وأسأل الله تعالى أن يرزقنا جميعاً الاخلاص في العمل ، وأن يتقبل مني هذا العمل دعوة إليه سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة ، إنه نعم المولى ونعم المجيب .

محمد عامر عبدالحميد مظاهري

1415/6/21هـ

– الحواشي :

([1]) وصيغة هذا الحمد مأخوذة من رسائل الصحابة رضوان الله عليهم التي كانوا يبعثون بها ، أنظر: أبويوسف ، كتاب الخراج .

([2]) أنظر التعريف به في ص 16 . 19 .

([3]) انظر التعريف بهؤلاء المستشرقين في ص 20 –25 ، وبمصادرهم في أهم مصادر البحث ، ص 9 –11 .

([4]) فريد آبادي ، تاريخ هند ، حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، 1923م.

([5]) مثلاً : الاختلاف في عدد أولاد السلطان محمود ، ص 229 ، والرد على إنكار المستشرقين "براون" لمنزلة السلطان الحضارية ، ص243.

([6]) مثل : ترجمة المستشرق "إليوت" لتاريخ العتبي في كتابه The history of India as told by its own historiens ؛ وترجمة المستشرق "راورتي" لكتاب "طبقات ناصري" .

([7]) العتبي ، تاريخ اليميني، شرح : أحمد المنيني ، شرح أحمد المنيني ، القاهرة : جمعية المعارف ، 1286هـ.

([8]) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، حيد آباد : مطبعة مجلس دارئرة المعارف العثمانية، ط/1 ، 1359هـ

([9]) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، بيروت : دار الفكر ، ط/1، 1978م.
([10]) عبدالرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، 1391هـ.
([11]) ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت : دار صادر ، 1977م .
([12]) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، بيروت: مؤسسة الرسالة ، ط/1، 1983م.
([13]) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ترجمة : يحيى الخشاب ، بيروت : دار النهضة العربية ، 1982م .
([14]) البيهقي ، المصدر السابق ، الغلاف الداخلي .
([15]) البيهقي ، المصدر السابق ، ص13 .
([16]) السمرقندي ، جهار مقاله ، ترجمة : عبدالوهاب عزام ويحيى الخشاب ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط/1، 1949م.
([17]) السمرقندي ، المصدر السابق ، ص 2 –3 .
([18]) انظر هذه الملحوظات في ص 36 من البحث .
([19]) السمرقندي ، المصدر السابق ، ص 2 . 3 .
([20]) منهاج سراج ، طبقات ناصري ، ترجمة : غلام رسول مهر ، لاهور: أردو سائنس بورد ، ط/2، 1985م.
([21]) وهو لايزال مخطوطة ، لم يحقق بعد ولم يطبع، مما يجعل الرجوع إليه عسيراً والاستفادة منه يسيراً .
([22]) سعدي ، بوستان ، كراتشي : مير محمد كتب خانه .
([23]) سعدي ، كلستان ، تحقيق : شمس الحسن بريلوي ، كراتشي : سعيد كمبني .
([24]) مير محمد شاه ، روضة الصف في سير أنبياء وملوك تخلفا ، حيد أباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، بدون ذكر الطبعة التاريخية .
([25]) فرشته ، تاريخ فرشته ، ترجمة : عبدالحي خواجه ، لاهور : غلام علي أيندر سنز ، ط/2، 1974م .

([26]) lliot, The History of India as told by its own Historiens, Londpn, 1867.

([27]) Marshman, Abridgment of the History India, London 1893.

([28]) إستانلي لين بول، الدول الإسلامية ، ترجمة: محمد فرزات، دمشق: مطبعة الملاح ، 1974م.

([29]) بارون كارادوفو ، مفكرو الإسلام، ترجمة: عادل زعيتر ، بيروت : الدار المتحدة ، ط/1، 1979م.

([30]) كارل برومان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه فارس منير البعلبكي ، بيروت : دار العلم للملايين،ط/1984،1م

([31]) كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ، ترجمة : بدر الدين القاسم، بيروت : دار الحقيقة ، ط/1، 1972م.

([32]) A.Spuler , Ghaznawids, The Encyclopaedia of Islam, ل vol: IX,p: 1050−1053.

([33]) C.E Bosworth, Mahmud B. Sabuktagin, The Encyclopaedia of Islam, vol: IX,p: 65 –66.

([34]) C.E.Bosworth , The letter Ghaznavids, Edinburgh, 1977.

([35]) وهي مدينة واقعة في قلب المرتفعات الأفغانية بقرب من نهر "هلمند" جنوب غرب مدينتي كابل وجلال أباد ، تسمى باللغة المحلية "غزنين" (غزني) ومشهورة في المصادر العربية بـ غزنة

============

#الاستشراق الفرنسي وموقفه من تاريخعهد النبوة

رسالة ماجستير

إعداد الطالب

مصطفى الحاج مالك بوكاري

إشراف

الدكتور : أكرم ضياء العمري

عام 1412هـ . 1992م

مقدمة البحث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم ومسلمون }([1]) .

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً} ([2]).

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً} ([3]).

أما بعد :

فمن المسلم به أن علم التاريخ من أعظم العلوم قدراً وأجلها مكانة ، لأنه سجل حافل بتجارب البشرية على مدار التاريخ ، والعلم بهذا السجل وإدراك أبعاده يكسب صاحبه خبرة وفهماً لأحداث الشعوب والمجتمعات والأمم ، فيكون بمثابة عالم مشهود له ، تجمعت لديه عقول البشرية ، فهو يستشيرها ويأخذ بأحسنها سداداً وأصوبها رأياً وحكماً .

هذا فإن أهمية الموضوع الذين بين أيدينا واضحة للغاية وجلية ، وتظهر من أول وهلة لكل مسلم لاسيما إذا علم أنه يتعلق بتاريخ النبي محمد صلى ا الله عليه وسلم . ويزيد الموضوع أهمية إذا كان يتعلق بالاستشراق ، فمن معرفة أعداء الإسلام وحدود معرفتهم لهذا الدين ووجهات نظرتهم فيه وفي رسوله وكتابه ، وفي تعرية إضافاتهم الفاسدة إليه للضوء ، وفي إزالة حجبهم لحقائقه ، يستمد الموضوع أهميته بكل وضوح وتأكيد ، وضرورة العناية به . وإن الوقوف على مثل هذا الموضوع يعتبر أمراً

ضرورياً لكل مسلم وخاصة للطالب في الجامعة الإسلامية وهو يعد ليكون داعياً وموجهاً وعضواً نافعاً في المجتمع الإسلامي وحامل الرسالة التي تقوم على أساس تقويض بنيان الوثنية بجميع صورها ، وكافة أشكالها . وثنية الأصنام والأحجار ، وثنية التماثيل والأوثان ، ووثنية الحيوان والأشجار ، ووثنية الشموس والنجوم والأقمار ، ووثنية الرهبان والأحبار ، ووثنية الملوك والأباطرة ، ووثنية الزعامات والرياسة ووثنية الاستبداد في الحكم ، ووثنية المشيخات وتقديس الأشخاص ، ووثنية التقليد والوراثة ، ووثنية المال والثراء والكفر ، ووثنية الترف والإنحلال ، من كل ما صرف القلب والعقل عن معرفة جلال الله ، ويظلم الروح فلا ترى نور الله . لتبدلهم بكل ذلك عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى ، فلا يعبد سواه {ألا لله الدين الخالص}([4]) ، وكان لابد لرسالة محمد صلى ا الله عليه وسلم من أن تقف حاجزاً قوياً يحول بين كافة الناس في أرجاء الأرض وبين رذائل الأخلاق المنتشرة في مجتمعاتهم لتحويل هذه الرذائل إلى فضائل إنسانية ، يحيون بها ، ويعيشون في ظلالها ... ولا بد لها أن تخرجهم من ظلمات الجهالة الفكرية ، وخرافات الأساطير ، وفراغ الحياة العقلية إلى نور العلم والمعرفة([5]) .

ومن المعروف أن في أواخر القرن الأول الهجري حمل المجاهدون في سبيل الله أهداف الرسالة الخاتمة إلى أوربا ، ونشأت الحروب المسلحة بين أهل هذه القارة وبين المسلمين ، وخاصة بين فرنسا والفاتحين المسلمين حين حاولت صدهم عن تبليغ الرسالة . ولكن الإسلام مع ذلك دخل إلى فرنسا واستقر فيها. ومن هنا بدأت فرنسا تهتم بهذا الدين وثقافته لا حباً فيهما بل لتعرف موطن قوة وضعف عدوها الإسلام والمسلمين . ولا تزال فرنسا ما ضية في هذا الاهتمام بالدين الإسلامي وخاصة تاريخ عهد النبوة من الوحي والرسالة والقرآن وشخصية النبي صلى ا الله عليه وسلم . فكان لا بد من أ، أشير إلى ضرورة الوقوف على هذا الاهتمام الفرنسي بالدين الإسلامي والكتابة فيه .

أسباب اختيار الموضوع

وأما أسباب اختيار الموضوع ليكون بحثي في هذه الرسالة يرجع إلى :

1) اعتقاد أن الاستشراق الفرنسي كان أعمق تأثيراً من غيره في تكوين موقف الغرب من الإسلام .

2) أنني لم أجد من سبقني من الباحثين بإفراد الموضوع كرسالة جامعية فيما أعلم ، فالدراسات السابقة تناولت الاستشراق بصفة عامة ولم تكن على المنهج الذي سأسير عليه في هذا البحث . ومن هذه الدراسات كتاب "السيرة النبوية وأوهام المستشرقين" تأليف عبدالمتعال محمد الجبري ، وكتاب "الرسول صلى ا الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين" تأليف نذير حمدان ، وكتاب "رؤية إسلامية للاستشراق" تأليف الدكتور أحمد عبدالحميد غراب .

3) حرصي على تبصير المسلمين وعامتهم بما يقول أعداؤهم عنهم وعن دينهم ورسولهم ، لأن ذلك من النصيحة التي حث عليها النبي صلى ا الله عليه وسلم فقال: (الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) ([6]).

4) رغبتي في الإسهام في معركة الحق ضد الباطل ، ثم طمعي في نوال ثواب الله بهذا الإسهام والذود عن السيرة النبوية الشريفة ، فإنه من بعض حقوق الله على عبده رد الطاعنين على كتابه ورسوله ودينه ومجاهدتهم بالحجة والبيان ، والسيف والسنان ، والقلب والجنان ، وليس وراء ذلك حبة خردل من الإيمان ([7]).

5) حرصي على خدمة الإسلام بمعرفتي وإتقاني للغة الفرنسية ، ولا يفوتني هنا بالذات أن أ،وه بفضل الأستاذ الدكتور/ أكرم ضياء العمري المشرف على هذه الرسالة لأن له اليد الطولى في سبب اختياري لهذا الموضوع ، فأدركت أهميته بعد الاطلاع المبدئي على بعض كتابات الفرنسيين عن الإسلام . وحرصت أن أكتب فيه موضوع رسالتي لنيل درجة العالمية الماجستير .

منهجي في البحث

أما المنهج الذي سرت عليه بصفة عامة في هذا البحث فقد حاولت قدر استطاعتي أن أقيم الأدلة والشواهد على ما أقول . وقسمت الموضوع إلى قسمين من حيث الزمن : عصر الكتابات الجدلية وعصر ظهور المؤلفات الاستشراقية النقدية للسيرة ، وكان لكل عصر منهجه المتبع الخاص به .

ففي عصر الكتابات الجدلية ، لم أفرد للموقف الجدلي باباً مستقلاً بل ذكرته في الباب الخاص بتاريخ الاستشراق الفرنسي تجنباً للتكرار لأن الجدل هو الهدف الرئيسي لاهتمام الفرنسيين بالإسلام في معظم مراحل حركة الاستشراق الفرنسي أي من بعد الغرة الصليبية الأولى 490 – 493هـ (1096م – 1099م) حتى صدر العصر الحديث . ولم أحاول مناقشة هذا الموقف الجدلي لما في ذلك من الضياع للوقت .

وأما عصر ظهور المؤلفات الاستشراقية النقدية للسيرة وهو العصر الحديث فقد أفرد له باباً مستقلاً . وكان حديثي عن كل مسألة من مسائل كل فصل من هذا الباب مصدراً بذكر آراء أبرز المستشرقين ثم أعقب عليها ببيان وجه الحق فيها . كما حاولت سرد هذه الآراء وفق ترتيب هؤلاء المستشرقين التاريخي بعد أن أرجع إلى النصوص الأصلية باللغة الفرنسية وأترجمها . وإذا وجدت كتباً فرنسية نقلت إلى اللغة العربية فلا أعتمد عليها دون التحقق من صحتها والقيام بمقارنتها بالنص الأصلي إن وجد ، ثم إشير إلى عدم الدقة في الترجمة إن وجدت وأصححها لتكون موافقة لفكر المؤلف . وكذلك أقوم بذكر الرأي الذي نقلته إلى اللغة العربية ثم أردفه بالنص الأصلي الفرنسي تسهيلاً لمن أراد التحقق من صحة هذا النقل . وإذا كان هذا النص طويلاً لأذكره ويجد المهتم به بعضه في الملحق الخاص بالنصوص الفرنسية في آخر البحث .

وكذلك قمت بإرجاع كل نقل إلى أصله مع تخريج الآيات والأحاديث .

خطة البحث

أما عن الخطة التي سرت عليها في كتابة هذا البحث المتواضع فقد قسمتها إلى مقدمة وبابين وخاتمة وملحق .

أما المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية الموضوع والسبب الذي حملني على اختياره ومنهجي في هذا البحث والخطة ، وبعض الصعوبات التي لاقيتها أثناء البحث .

أما الباب الأول : فقد خصصته للحديث عن تاريخ الاستشراق الفرنسي ، الأهداف والموقف الجدلي ، وقسمته إلى تمهيد وفصلين :

التمهيد : عن مقدمة تاريخية عن العلاقات بين فرنسا والمسلمين ، وهي متنوعة ؛ سياسية ، ثقافية ، حربية ، تجارية .

الفصل الأول : عن اهتمام فرنسا بالإسلام والدراسات المتعلقة به منذ وصول الفتوحات الإسلامية الأولى إليها إلى أواخر القرون الوسطى الأوروبية وفيه مبحثان .

المبحث الأول : اهتمام فرنسا بالثقافة الإسلامية من بداية الفتوحات الإسلامية فيها إلى بداية الحروب الصليبية في القرون الوسطى .

المبحث الثاني : من فترة الحروب الصليبية إلى أواخر القرون الوسطى الأوروبية .

الفصل الثاني : عن اهتمام فرنسا الإسلام والدراسات المتعلقة به من فترة عصر النهضة الأوروبية إلى العصر الحديث ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : من فترة عصر النهضة حتى الحملة الفرنسية .

المبحث الثاني : العصر الحديث .

أما الباب الثاني : فقد خصصته للحديث عن دراسات مستشرقي العصر الحديث من الفرنسيين في السيرة النبوية . الموقف النقدي ، وقسمته إلى توطئة وفصلين وخاتمة .

التوطئة : عن معنى المنهج العلمي أو النقد التاريخي بالنسبة للدراسات الإسلامية عند المستشرقين .

الفصل الأول : عن دراساتهم في الرسالة والوحي والقرآن .

الفصل الثاني : عن دراستهم في شخصية النبي صلى ا الله عليه وسلم ، وغزواته ومعاملته لليهود ، وتعدده للزوجات .

أما الخاتمة تناولت فيها ما أمكنني التوصل من النتائج في هذا البحث . ويأتي بعد ذلك الملحق والمراجع .

الصعوبات التي واجهتها في البحث

إن كل عمل يقوم به الإنسان لا بد أن يواجه فيه شيئاً من الصعوبات وأن يجد فيه بعض العقبات . وتختلف درجة هذه الصعوبات والعقبات من أمر لآخر تبعاً لطبيعة الموضوع وأهميته . وكون موضوعي من مواضيع الاستشراق وعلاقته بالدراسات الإسلامية فقد واجهتني صعوبات كثيرة ولكن الله تعالى وحده قد أعانني على تجاوزها . وفيما يلي أهم هذه الصعوبات .

أولاً : غياب الكتب الفرنسية المتعلقة ببحثي في المحل ؛ فبفضل الله تعالى ثم بفضل القائمين على إدارة الجامعة الإسلامية تذللت هذه العقبة حيث قمت بالرحلة العلمية إلى باريس في فرنسا من 25 ربيع الأول 1410هـ إلى 24 ربيع الثاني 1410هـ (24 أكتوبر . 22 نوفمبر 1989م) وحصلت على عدد من الكتب الهامة في الاستشراق الفرنسي . وقد زرت خلال هذه الرحلة مكتبة باريس الوطنية ومكتبة المدرسة الوطنية للغات والحضارات (مدرسة اللغات الشرقية الحية) ومكتبة معهد العالم العربي ، ومكتبة المدرسة العلمية للدراسات العليا ، ومكتبة معهد الدراسات الإسلامية بجامعة السوربون ، ومكتبة معهد فرنسا ، وجمعت من هذه المكتبات معلومات كثيرة ، كما صورت كل ما أستطيع ، وزرت كذلك في باريس دور النشر الاستشراقية وأشهرها دار ميزونيف وهي من أكبر دور النشر الاستشراقية في فرنسا وأوروبا ، ودار بول جتنر ، والمكتبة الشرقية سامييليان ، واشتريت عدداً لا بأس به من الكتب من هذه الدور وغيرها من المكتبات التجارية في باريس .

ثانياً : الترجمة . ومع أني أتقن اللغة الفرنسية فقد أدركت من خلال ترجمة النصوص الفرنسية إلى اللغة العربية أن نقل نص معين من لغة إلى أخرى ليس مهمة يسيرة . وكان هذا الأمر يحتاج مني إلى التأني والدقة في النقل حتى تكون الترجمة صورة صادقة وموافقة لفكر المستشرقين ، وقد استعنت في هذه المهمة بعدة قواميس كالمنهل وهو قاموس فرنسي . عربي تأليف الدكتور حبور عبدالنور ، والدكتور سهيل إدريس ، والمورد وهو قاموس إنجليزي . عربي تأليف منير البعلبكي ، وقاموس الجيب عربي . فرنسي لمتري إلياس . ولا أغالي إذا قلت أني أنفقت نصف الوقت في الترجمة أو التحقق من صحة النصوص المترجمة من المؤلفات المترجمة إلى اللغة العربية والقيام بمقارنتها بالنصوص الأصلية الفرنسية . ولقد كان لهذا العمل الصعب حسنات إذ ظهرت لي من خلال رجوعي إلى النصوص الأصلية ومقابلتها بالنصوص المترجمة من الكتب المترجمة ظهرت لي ترجمات غير أمينة . وعلى سبيل المثال لا الحصر ترجم عادل زعيتر قول درمنغم . حين أراد هذا المستشرق التشكيك في صحة الرسالة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه تعالى :

KHADIDJA ADMIRAIT AVEUGLEMENT SON MARI “ ([8AVAIT FOI EN LRI” ([

أي "وكانت خديجة تعجب بزوجها بغباوة (بلا تبصر) وتؤمن به" ([9]).

ترجم زعيتر هذا القول وقال : "وحقاً كانت خديجة تعجب بزوجها إعجاباً مطلقاً مؤمنة به" ([10]).

ثالثاً : سعة الموضوع وكثرة مسائله ؛ الاستشراق الفرنسي مجاله واسع حيث يشمل عشرة قرون أي من العصور الوسطى الأوربية إلى اليوم ، ثم اتساع وتعدد القضايا الخاصة بعصر النبوة ، وهي كلها مسائل تحتاج إلى دراسات شاقة ومطولة . ولقد سجلت الموضوع في البداية بعنوان "الاستشراق الفرنسي وموقفه من تاريخ عهد النبو والخلفاء الراشدين" ، وبعد سنتين من المضي فيه نظرت إلى نفسي فوجدتني رغم الجهد المتواصل لم أبلغ درجة من الاطمئنان على أنني قادر على إنجاز العمل على أكمل وجه بأفضل صورة ، وقدمت طلباً إلى مجلس الدراسات العليا في 20 ذي الحجة 1411هـ ، لاختصار الموضوع على عهد النبوة فقط ، فتمت بتوفيق الله الموافقة على هذا الطلب في 21 ذي الحجة 1411هـ ، فصار الموضوع كما يلي : "الاستشراق الفرنسي وموقفه من تاريخ عهد النبوة" ، وهو البحث الذي بين أيدينا .

رابعاً : عدم امتلاكي النظرة التخصصية إلى حركة الاستشراق . ولتدارك هذه القضية قد كنت أتردد وأزور المعهد العالي للدعوة بالمدينة المنورة . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (وهو الان كلية الدعوة) وألتقي بمنسوبيها من الأساتذة وعلى رأسهم الدكتور إسماعيل عمايرة رئيس قسم الاستشراق سابقاً والذي شجعني على المضي في العمل وفتح لي باب محاضراته ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

تلك كانت أهم الصعوبات التي واجهتها في كتابة هذا البحث .

وبهذا الجهد المتواضع لا أدعي أني قد وفيت الموضوع حقه ، واستكملته من جميع جوانبه ، ولكن حسبي أنني لم أدخر في سبيل ذلك وسعاً . وإني لأرجو أن أسهم بهذا البحث في توضيح حقيقة موقف الاستشراق الفرنسي من الإسلام . فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمني ومن الشيطان لأن الإنسان ضعيف لا يسلم من الخطأ إلا من عصمه الله بتوفيقه . وإني لأرجو كذلك من الله تعالى أن يجعل هذه المساهمة

المتواضعة فاتحة خير لأمثال هذه الدراسات والله تعالى هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل ، وإنه نعم المولى ونعم النصير .

وأخيراً :

فبعد حمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه لإكمال هذا البحث ، أرى أن الواجب يدعوني إلى الإعراب عن شكري الجزيل وتقديري العميق لكل من كانت لديه المساعدة من حيث التوجيه والنصح، سائلاً المولى عز وجل أن يجزيهم عني خير الجزاء وأن يوفقنا وإياهم إلى ما يحبه ويرضاه . وأخص بالشكر معالي الأستاذ الدكتور/ أكرم ضياء العمري ، الذي كان لي شرف التتلمذ علي يديه فكان المشرف على الرسالة وصاحب اليد الطولى في سبب اختياري لهذا الموضوع ، وقد منحني الكثير من وقته وجهده وتوجيهاته في ساعات الإشراف وفي بيته الذي فتحه دائماً لجميع الطلاب من أمثالي . فكان أباً يجود بوقته دون حساب . فجزاه الله عني خير الجزاء وأجزل له الأجر والمثوبة . كما أتوجه بالشكر الخالص إلى أصحاب الفضيلة أساتذة القسم الذين كان لي شرف التتلمذ على أيديهم على رأسهم الدكتور مصطفى محمد رمضان الذي بدأت معه العمل ورافقني مرافقة المرشد الحليم وحال انتهاء مدة عقده بيني وبين المواصلة معه ، والدكتور/ محمد ضيف الله بطاينة الذي لم يأل جهداً في تقديم الإرشاد والتوجيه ، والدكتور عبدالله المسند الذي كان سمحاً بالفائدة ، ولطيف المعشر في معاملته لتلاميذه ، وكان لي شرف التتلمذ على يديه منذ السنة الرابعة من المرحلة الجامعية ، أسأل الله لهم جميعاً التوفيق والسداد وأن يجزل لهم الأجر والثواب .

ولا يفوتني هنا أن أتقدم بالشكر الخالص إلى جميع القائمين على إدارة الجامعة الإسلامية وأخص منهم فضيلة رئيس الجامعة ، وفضيلة رئيس مجلس الدراسات العليا وفضيلة عميد كلية الدعوة وفضيلة وكيل كلية الدعوة ورئيس قسم السيرة النبوية والتاريخ لما يولون الطلبة من العناية والاهتمام .

كما لا يفوتني أن أقدم خالص شكري وعاطر ثنائي لحكومة المملكة العربية السعودية لتفضلها بالإنفاق عليّ وكفالتي منذ التحاقي بهذه الجامعة في هذه البقة المقدسة ، وأدعو الله أن يجزيهم جزاء حسناً ويوفقهم لما يحبه ويرضاه . وأشكر أيضاً القائمين

على مكتبات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ومكتبة قسم الاستشراق بالمعهد العالي للدعوة سابقاً (وهو الآن كلية الدعوة) بالمدينة المنورة ، ومكتبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ومكتبة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، لما وجدت منهم من أخلاق عالية وخدمة جليلة . وأشكر أيضاً الإخوة الكرام ممن كان له الفضل في المساعدة مادياً ومعنوياً . وأرجو الله المولى أن يكلأ الجميع بعين رعايته وجميل عنايته وأن يتولى جزاءهم عني بما هم أهله إنه سميع مجيب ، وصلى الله على نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

- الحواشي :

([1]) سورة آل عمران آية (102).

([2]) سورة النساء آية (1).

([3]) سورة الأحزاب الآيتان (70 . 71).

([4]) سورة الزمر من الآية (3) .

([5]) محمد الصادق إبراهيم عرجون ، محمد رسول الله ، 301/1 .

([6]) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ، باب بيان أن الدين النصيحة حديث رقم 95 . (55) من كتاب الإيمان ، 396/2 . 397

([7]) ابن قيم الجوزية ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازي السقا، ص38.

([8]) EMILE DERMENGHEM, LA VIE DE MAHOMET, P. 72

([9]) تجد ترجمة الباحث لهذا المقطع أيضاً في ص 259 من هذا البحث .

([10]) راجع أميل درمنغم ، حياة محمد ، ترجمة عادل زعيتر ، ص83.

==========

#موقف المستشرق "سيدو" من السيرة النبوية

دراسة نقدية من خلال كتابه "تاريخ العرب العام"

الباحث

سلطان بن عمر بن عبد العزيزالحصين

للحصول على درجة الماجستير

إشراف

الدكتور حامد غنيم أبو سعيد

تاريخ المناقشة 1413هـ

المقدمة :الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين، وبعد:

تتناول المقدمة ذكر موجز عن أهمية موضوع البحث ومشكلته والدراسات السابقة ومنهج البحث.

2)أهمية البحث وسبب اختياره :

في جانب الدراسات الاستشراقية نجد أن السيرة النبوية تأخذ حيزاً كبيراً من كتابات المستشرقين حول الإسلام ، ونكاد لانجد كتاباً عن الإسلام وتاريخه إلا وقد تناول شيئاً من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وشخصيته .

بل إننا نجد أن معظم مترجمي القرآن من المستشرقين قدموا بذلك بمقدمة عن السيرة النبوية العطرة، وبعضهم كان هدفه من الترجمة للقرآن هو عرض الجانب الفلسفي والفكري ، باعتبار هذا القطاع هاماً في دراسة تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم وتاريخ الفتوح الإسلامية ([1]).

ولقد لاقت تلك الكتابات الاستشراقية عند المسلمين الإعجاب حيناً والنقد والرد أحايين كثيرة ، وجاءت ردود المسلمين على أكابر المستشرقين أمثال كارل بروكلمان ([2]BROCKELMMAN)، وجولد زيهر ([3]GOLDZIEHR)، ومونتغمري وات ([4]MOTOGOMERY WATT)، و لويس ماسنيون LOUIS ([5]MASSINGNON)، ومارجليوث ([6]MARGOLIOUTH)، وغيرهم .

ولقد جاءت مواقفهم العامة تجاه السيرة النبوية متشابهة إلى حد ما ، فكثير منهم يصف كتاباته بالموضوعية والعلمية ولكنه يخرج عن المنهج الذي رسمه لنفسه وكثير منهم ينظر إلى شخصية محمد صلى الله عليه وسلم على أنه شخصية مبدعة ومجددة ومصلحة ولكنهم يسلبون عنه صفة النبوة وخاصية الرسالة والوحي .

وهناك بعض المستشرقين ممن شاركوا بكتابتهم في السيرة النبوية ولكنهم لم يحظوا بذلك البريق من الشهرة مع العلم أنهم قدموا أعمالاً لاقت رواجاً وانتشاراً لا تقل كثيراً

عن أعمال المستشرقين المشهورين ومن بين هؤلاء المستشرقين المستشرق الفرنسي "سيديو" أستاذ التاريخ في كلية سان لويس ويأتي كتابه تاريخ العرب العام في مقدمة كتبه التي ذاع صيتها وتلقفتها أيدي الدارسين في كثير من الجامعات الغربية والشرقية .

ويمكن تلخيص أهمية البحث وسبب اختياره في النقاط التالية :

1) المساهمة في الدفاع عن سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ضد شبهات ومطاعن المستشرقين .

2) أهمية السيرة النبوية في كتابات المستشرقين وتركيزهم عليها في أغلب دراساتهم .

3) الكشف عن أحد المستشرقين الذين قدموا أعمالاً في السيرة النبوية والتاريخ .

4) انتشار كتاب تاريخ العرب العام بين القراء والباحثين الغربيين والشرقيين وتعدد ترجماته إلى اللغات الأجنبية .

5) عدم صدور دراسة مستقلة عن المستشرق سيديو أو عن كتابه تاريخ العرب العام فيما يعلم الباحث .

6) تباين وجهات النظر في الحكم عن كاب تاريخ العرب العام بين مادح وقادح والحاجة إلى الحكم على موقف تلك الآراء على المستشرقين في ضوء موقفه من الإسلام عامة ومن السيرة النبوية على وجه الخصوص .

مما سبق أحسب أن دراسة هذا الموضوع مسألة جديرة بالاهتمام وهذا ما سيحاول الباحث القيام به ، سائلاً المولى تبارك وتعالى التوفيق والعون .

3) مشكلة البحث :

يناقش البحث الموضوعات التالية :

1. آراء "سيديو" في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وحياته الخاصة .
2. آراء "سيديو" في علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم بالصحابة .
3. آراء "سيديو" في علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم باليهود .
4. آراء "سيديو" في موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من العقائد .
5. آراء "سيديو" في موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من العبادات .
6. منهج "سيديو" في عرض السيرة النبوية .

4) الدراسات السابقة :

تنقسم الدراسات السابقة في هذا المجال إلى قسمين :

فالأول:

قد تطرق مباشرة إلى المستشرق "سيديو" وكتابه تاريخ العام وتناول بالتحديد بعض جوانب السيرة النبوية في هذا الكتاب .

والثاني :

تطرق إلى جوانب من السيرة بحثها المستشرق "سيديو" في كتابه الذي بين أيدينا كما بحثها غيره من المستشرقين فجاءت تلك الدراسات إما مكررة ومؤيدة لما ذكره "سيديو" أو ناقدة لآراء أولئك المستشرقين الذي وافقت مواقفهم من السيرة النبوية موقف المستشرق "سيديو" .

ومن بين الدراسات التي تناولت الموضوع مباشرة ما ذكره الأستاذ مصطفى حلبي في معرض حديثه عن المصادر الاستشراقية التي تعرضت للحديث عن الرسول صلىا الله عليه وسلم حيث ذكر خمسة مصادر من بينها كتاب تاريخ العرب العام للمستشرق "سيديو" وفي حديثه عن شبهة تأثر النبي بالنصرانية أورد أقوال بعض المستشرقين الذين يقولون بذلك ومن بينهم "سيديو" حيث قال: (وممن آثار هذه الشبهة المستشرق "سيديو" في قوله: (وكان أول سفره إلى الشام مع عمه أبي طالب فبلغ بصرى فاجتمع ببحيرى الذي كان اسمه لدى النصارى جرجيس أو سرجيس فنال حظوة عنده)([7]) وقد ورد على هذه الفرية إلا أن هناك الكثير من الشبهات غيرها لم يبحثها وهذا راجع إلى أن بحثه لم يكن مقتصراً على "سيديو" بل يشمل عامة من كتب في السيرة من المستشرقين .

ويتطرق الجبري إلى إحدى مزاعم "سيديو" المتعلقة بعقوبة القصاص فيقول: (تحدث سيديو عن الإسلام ونصيب الأخلاق في تعاليمه فذكر دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للأخلاق ثم قال . أي سيديو . بيد أنك لا تجد في القرآن ما في الإنجيل من التسليم الذي يفيد كثيراً عند الشدائد فترى محمداً يأذن عند كثير من التناقضات في مقابلة السيئة بالسيئة ، كأن الناس لم يكونوا مستعدين لهذا من قبل. ومحمد حين يقول بمبدأ القصاص الذي رضي عنه اليهود . مع ذلك . يكون قد ساير أحكام زمانه

وقومـه ([8]). ويكتفـي عبـدالمتعال الجبـري بـالرد علـى هـذه الشـبهة ولا يتعـدى إلـى غيرها .

وعنون دياب في الفصل الثاني عشر من كتباه أضواء على الاستشراق والمستشرقين بعنوان بعض (المستشرقين المتعصبين) وذكر من بينهم المستشرق "سيديو " وكتابه تاريخ العرب العام حيث قال عنه : (إن الكاتب سلك مسلك التمويه فأشاد بالإسلام في مقدمة كتابه وحشى بداخله الكثير من الافتراءات على الإسلام ونبي الإسلام) . ويقول أيضاً : "يريد سيديو أن يجعل الإسلام من وضع محمد وقد وضعه بصفته زعيماً سياسياً استخدم الدين وسيلة لتحقيق برنامج السياسي" ([9]).

ومما يؤخذ على دياب في معالجته لمنهج "سيديو" في تناوله للسيرة أ،ه يعرض الشبهة ويكتفي بنفيها دون تقديم أدلة علمية تدحض شبهات المستشرق المثارة .

ومن الدراسات السابقة أيضاً بعض التعليقات التي أثبتها زعيتر مترجم الكتاب ، ولكن هذه التعليقات جاءت قاصرة وموجزة وأهملت الكثير من المواطن التي يجدر التعقيب عليها .

وقد عرضت ترجمة زعيتر عل مجمع البحوث الإسلامية فذيل تعقيباً في آخر الكتاب في حدود ثمان صفحات نقداً للكتاب كاملاً ، وقد اشتمل ذلك النقد على بعض موضوعات السيرة النبوية ولكنها كذلك روعي فيها الإيجاز والاختصار .

وقد أشار المجمع إلى ذلك بقوله : (تلك هي زلات سيديو وهذا تعقيبنا عليها آثرنا فيها الإيجاز المناسب للمقام وللمستزيد الكتب المطولة التي تصدى فيها الإجلاء من علماء المسلمين لتفنيد هذه الشبهات وأمثالها) ([10]).

ويلاحظ في هذه الدراسات السابقة أنها لم تقدم نقداً شاملاً لجوانب السيرة النبوية في كتاب سيديو تاريخ العرب العام او لأفكار المستشرقين عامة حيث إنها اكتفت ببعض التعليقات النقدية البسيطة ، أما الدراسات السابقة الأخرى فهي لم تقدم نقداً شاملاً لأنها أعمال لم تعالج المستشرق معالجة خاصة ولكن أشارت إليه ضمن مستشرقين آخرين ، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى دراسة مستقلة عن المستشرق وكتابه من أجل الوصول إلى معرفة شاملة لآرائه في السيرة النبوية تمكن من الحكم العلمي الموضوعي على هذه الآراء .

اما القسم الآخر من الدراسات السابقة فهي عبارة عن ردود هنا وهناك على بعض المستشرقين والذين تناولوا جوانب من السيرة النبوية تناولها سيديو في كتابه فكانت تلك الدراسات رداً على أولئك المستشرقين وليس على سيديو ، ومن بين تلك الدراسات ما يلي :

1) الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين . نذير حمدان ([11]).

2) المستشرقون الناطقون بالإنجليزية . د/عبداللطيف الطيباوي ([12]).

3) المستشرقون والسيرة النبوية . د/عماد الدين خليل ([13]).

4) الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري . محمود حمدي زقزوق ([14]).

5) سيرة الرسول في تصورات الغربيين . جوستاف بفانمولر . ترجمة : محمود حمدي زقزوق ([15]).

5) منهج البحث :

يتلخص منهج البحث فيما يلي :

1) عرض آراء المستشرق "سيديو" في مجال السيرة عرضاً موضوعياً يعتمد فيه على كتاب تاريخ العرب العام .

2) مناقشة آراء المستشرق التي تم عرضها في ضوء الرؤية الإسلامية للفترة المدروسة وفي ضوء المصادر الإسلامية ونقد هذه الآراء نقداً علمياً .

3) تتبع الترتيب الزمني للأحداث التي تتم مناقشتها وكذلك الأحداث التاريخية والنظر في سلامة منهجه في ذلك ، وكذلك نقد التفسير المادي للأحداث عنده كما تشمل أيضاً المصادر التاريخية التي أعتمد عليها .

4) الرجوع إلى المصادر الإسلامية الصحيحة مع التركيز على مصادر السيرة النبوية والرجوع إلى بعض كتابات المستشرقين وردودهم على بعضهم لتدعيم المناقشة والنقد .

– الحواشي :

([1]) عبدالمتعال محمد الجبري : السيرة النبوية وأوهام المستشرقين (القاهرة . دار التوفيق النموذجية . 1408هـ)ص5.

([2]) كارل بروكلمان : مسنشرق ألماني (1868 . 1956) تخرج من قسم اللغات السامية على أعلام المستشرقين ومنهم نولدكه ، وطارت له شهرة في فقه اللغة العربية وفي التاريخ الإسلامي وتاريخ الأدب العربي . من آثاره : المعجم السرياني ، علم اللغات السامية ، تاريخ الشعوب الإسلامية .

([3]) جولد زيهر : مستشرق مجري (1850 . 1921) من كبار المستشرقين وأساتذتهم تضلع من العربية على بعض مشايخ الأزهر ، عضو فعال في العديد من المجامع العلمية ومؤتمرات المستشرقين ترك أعمالاً علمية كثيرة منها : العقيدة والشريعة في الإسلام .

([4]) مونتغري وات : مستشرق انجليزي ، عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبره، من آثاره : محمد في مكة ، محمد في المدينة .

([5]) لويس ماسنيون : من أشهر المستشرقين الفرنسيين (1883 . 1962) عني بدراسة التصوف وخاصة الحلاج الذي كان موضوع دراسته للدكتوراه شارك في دائرة المعارف الإسلامية كما شارك في مؤتمري المستشرقين الخامس عشر والعشرين .

([6]) مارجليوث : مستشرق انجليزي (1858 . 1940) من أشهر أساتذة العربية من الغربيين، عضو المجمع العلمي في دمشق ، والمجمع اللغوي البريطاني ، من آثاره : محمد ونهضة الإسلام .

([7]) مصطفى عمر حلبي : الخلفية الثقافية لاتجاهات المستشرقين في دراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، رسالة البحث المكمل للماجستير قسم الاستشراق ، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة 1409هـ، ص38،26 .

([8]) عبدالمتعال محمد الجبري : السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ص107 .

([9]) محمد أحمد دياب: أضواء على الاستشراق والمستشرقين (القاهرة . دار المنان للنشر والتوزيع . 1410هـ/1990م) ص176 .177.

([10]) سيديو ، تاريخ العرب العام ، ط2 ، ترجمة: عادل زعيتر (عيسى البابي الحلبي وشركاه . 1389هـ/1969م) ص474.

([11]) نذير حمدان : الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين (مكة . رابطة العالم الإسلام . 1401هـ) .

([12]) عبداللطيف الطيباوي : المستشرقون الناطقون بالإنجليزية (الرياض . طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . 1411هـ).
([13]) عماد الدين خليل : المستشرقون والسيرة النبوية (الدوحة . دار الثقافة . 1410هـ) .
([14]) محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ط2 (بيروت . مؤسسة الرسالة 1405هـ) (كتاب الأمة).
([15]) جوستاف بفانمولر : سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في تصورات الغربيين ، ترجمة : محمود حمدي زقزوق (البحرين . مكتبة ابن تيمية 1406هـ) .

============

#مصادر الدراسة حول الاستشراق والمستشرقين في اللغة العربية

إعداد زين الدين بوزيد
قسم علم الاجتماع جامعة قسنطينة ، الجزائر

مدخل:

أعدّ الباحث هذه القائمة البيبليوغرافية حول موضوع دراسة الاستشراق والمستشرقين، لأغراض بحثه الخاصة، وتعميماً للفائدة، يقترح قائمة شبه حصرية للمؤلفات التي تغطّي الموضوع.

وقد قسمت هذه القائمة إلى :

*الكتب .

*المقالات.

*الرسائل الجامعية.

*الندوات و المؤتمرات.

وقد اعتمد الباحث في ذلك على مصادر عديدة ، يأتي ذكرها في آخر القائمة ، كما أرجو التنبيه لما قد يكون قد فاته من سهو أو خطأ، لتعذّر التأكّد من بعض المصادر والمراجع .

1-الكتب :

أ.ج آربري : المستشرقون البريطانيون ، تعريب محمد الدسوقي النويهي ، لندن ، وليم كولينز ، 1946.

إبراهيم خليل أحمد : المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي ، القاهرة ، مكتبة الوعي العربي، 1964.

إبراهيم عبد الكريم : الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل ، الطبعة الأولى ، عمّان ، دار الجليل، 1993.

إبراهيم محمد إبراهيم صقر : الاستشراق والفلسفة الإسلامية بين التجديد والتبديد ، الفيوم ، دار العلم، 2001 ، 177 صفحة.

أبو الحسن عي الحسني الندوي : الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين ، الطبعة الثانية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1983.

أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 6 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، ط 1 ، 1998، (9 ج).

أحمد الخميسي : نجيب محفوظ في مرآة الاستشراق السوفييتي ، القاهرة ، دار الثقافة الجديدة ، 2000

أحمد درويش : الاستشراق الفرنسي والأدب العربي (دراسات أدبية) ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1997، 208 صفحة .

أحمد سعيد نونو : الأكلة حول القصعة ؛ الاستشراق والدولة العثمانية ، الطبعة الثانية ، منشورات أحمد سعيد نونو ، 2001 ، 264 صفحة .

أحمد سمايلوفيتش : فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 2000.

أحمد عبد الحميد غراب : الإستشراق ؛ رؤية إسلامية ، الطبعة الثانية ، لندن ، المنتدى الإسلامي ، 1411 هـ.

أحمد عبد الرحمن : من أخطاء المستشرقين و خطاياهم : نقد الاستشراق – دراسات تطبيقية ، الطبعة الأولى، القاهرة ، مكتبة وهبة، 2002.

أحمد عبد الرحيم السايح : الاستشراق : نقد في ميزان الفكر الإسلامي ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، 1996.

إدوارد سعيد : الإستشراق : المعرفة ، السلطة ، الإنشاء ، نقله إلى العربية كمال أبو ديب ، الطبعة الأولى ، بيروت ، مؤسسة الأبحاث العربية ، 1981 ، 368 صفحة .

إدوارد سعيد : الثقافة والإمبريالية ، نقله إلى العربية وقدّم له كمال أبو ديب ، الطبعة الثانية ، بيروت دار الآداب، 1998.

إدوارد سعيد : تعقيبات على الإستشراق ، ترجمة وتحرير صبحي الحديدي ، الطبعة الأولى ، عمّان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1996.

إرفن جميل شك : الاستشراق جنسياً ، ترجمة و تحقيق عدنان حسن ، الطبعة الأولى ، دمشق ، قدمس للنشر والتوزيع ، 2003 .

إسماعيل أحمد عماير ة : بحوث في الاستشراق ، الطبعة الأولى ، عمّان ، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع ، 2003 ، 543 صفحة .

إسماعيل أحمد عمايرة : المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية : بحث في الجذور التاريخية ، عمان ، دار حنين ، 1992.

إسماعيل أحمد عمايرة : بحوث في الاستشراق واللغة ، القاهرة ، مؤسسة الرسالة ، 2000.

إسماعيل محمد : الاستشراق بين الحقيقة و التضليل : مدخل علمي لدراسة الاستشراق، الطبعة الثالثة ، القاهرة، دار الكلمة للنشر، 2000.

أكرم ضياء العمري : موقف الاستشراق من السيرة والسنّة النبوية، الرياض، مركز الدراسات والإعلام دار إشبيليا، 1998/1417.

أمير عبد العزيز : افتراءات على الإسلام والمسلمين ، القاهرة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، 2001 ، 134 صفحة.

أمينة الصاوي وعبد العزيز شرف : جارودي والحضارة الإسلامية ، الطبعة الثانية ،جدّة ، دار القبلة ، 1985، 310 صفحة.

أنور الجندي : سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ، 1985 ، 216 صفحة .

أنور الجندي : الإسلام والثقافة العربية في مواجهة تحدّيات الاستعمار وشبهات التغريب ، القاهرة ، 1967.
أنور الجندي : الاستشراق ، القاهرة ، دار الاعتصام ، 1983.
أنور الجندي : تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات ، القاهرة ، مكتبة التراث الإسلامي ، 1989 ، 400 صفحة.
أنور الجندي ، الفكر الإسلامي والثقافة العربية المعاصرة في مواجهة تحديات الاستشراق والتبشير والغزو الثقافي ، (موسوعة العلوم الإسلامية) ، القاهرة ، دار الإعتصام ، 1988.
باقر بري : إضاءات على كتاب الإستشراق لإدوارد سعيد ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، 2002 ، 120 صفحة .
برنار بوتيفو : الشريعة الإسلامية والقانون في المجتمعات العربية ، ترجمة فؤاد الدهان ، الجيزة ، سينا للنشر ، 1997 ، 384صفحة.
برنارد لويس : الغرب والشرق الأوسط ، ترجمة نبيل صبحي ، القاهرة ، دار المختار ،
بريان تيرنر : ماركس ونهاية الاستشراق ، ترجمة و تحقيق يزيد صايغ ، الطبعة الأولى ، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية ،1981 ، 124 صفحة .
بطروشوفسكي : الإسلام في إيران ، ترجمة السباعي محمد السباعي ، القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1982 ، 413صفحة.
بلقاسم بوقرة : من الاستبداد الشرقي إلى النظام العالمي الجديد : التاريخ الاجتماعي للجزائر تحت المجهر ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 2004.
جاسم عجيل النشمي: المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1984م.
جميل عبد الله محمّد المصري : دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين ، الطبعة الأولى ، دمشق ، دار القلم ، 1991.
حازم صاغية : ثقافات الخمينية ؛ موقف من الاستشراق أم حرب على طيف ، الطبعة الأولى ، بيروت دار الجديد ، 1995 ، 168 صفحة .

حسن حنفي : ماذا يعني علم الاستغراب ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الهادي ، 2000.
حسن حنفي: مقدّمات في علم الاستغراب ، القاهرة ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، 1991.
حسني حسن سليمان : الشباب المسلم والحضارة الغربية ، جدة ، دار الشروق ، 1985 ، 164 صفحة.
حلمي مرزوق : جوانب من قضايا الأمة العربية في الاستعمار والاستشراق والصهيونية ، القاهرة ، دار المعارف ، 1971.
خوان غويتسولو : في الاستشراق الاسباني ، ترجمة و تحقيق كاظم جهاد ، سلسلةكتاب الكامل ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،1987 ، 256 صفحة .
خيري منصور : الاستشراق والوعي السالب ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 2000 ، 316 صفحة .
دانيال ريغ : رجل الاستشراق ، ترجمة د.إبراهيم صحراوي ، الطبعة الأولى ، قبرص ، الجفان والجابي للطباعة والنشر، 1997.
ذبيان : الرؤيا والاستشراق ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1999.
رسول محمد رسول : الغرب والإسلام–قراءات في رؤى ما بعد الاستشراق ، الطبعة الأولى بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،2001 ، 154 صفحة .
رمضان عبد التواب : العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق ، 1998.
رودي باريت : الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الالمانية : المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه ، ترجمة مصطفى ماهر ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، 1967.
ريتشارد سوذرن : صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى ، ترجمة وتقديم رضوان السيد ، بيروت ، معهد الإنماء العربي، 1984.

زكرياء هاشم زكرياء : المستشرقون والإسلام ، القاهرة ، 1965.
زينات بيطار : الاستشراق في الفن الرومنسي الفرنسي ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 157، الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 1992م .
ساسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية ، الطبعة الأولى ، مجلدين ، بيروت ، دار المدار الإسلامي ، 2002 ، 1160 صفحة.
ساسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية ، القاهرة ، مركز دراسات العالم الإسلامي ، 1997.
سالم حميش : الاستشراق في أفق انسداده ، سلسلة الدراسات (3) ، الطبعة الأولى ، الرباط ، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية ،1991 .
سالم يفوت : حفريات الاستشراق في نقد العقل الاستشراقي ، الطبعة الأولى ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، 1989 ، 88 صفحة .
سعد الدين السيد صالح : الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام : دراسة لأخطر العقبات التي تعترض مسيرة الإسلام اليوم ، القاهرة ، دار عربي للطباعة والنشر والتوزيع ، 1988 ، 263 ص .
سعد المرصفي : المستشرقون والسنّة ، الطبعة الأولى ، الكويت ، مكتبة المنار الإسلامية ، 1994.
السيّد رزق الهاجر: الموضوعية : وجودها وحدودها في الدراسات الإسلامية لدى المستشرقين ، القاهرة ، دار الثقافة العربية ، 1988.
شارل روبير آجرون : المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجية الكولونيالية ، ترجمة وتقديم وتعليق د.محمد العربي ولد خليفة ، الجزائر ، منشورات تالة ، 2002.
صابر طعيمة : الاستشراق والتنصير في مواجهة الإسلام ، الطبعة الأولى ،عمّان ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ،
صادق جلال العظم : الاستشراق والاستشراق معكوسا ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الحداثة ، 1981 ، 56 صفحة .
صلاح الدين المنجد : المنتقى من دراسات المستشرقين ؛ دراسات مختلفة ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1955.

صلاح رسلان : القرآن الحكيم : رؤية منهجية جديدة لمباحث القرآن الكريم ، القاهرة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، 1999 ، 196صفحة.

عاطف العراقي : العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر : قضايا ومذاهب وشخصيات ، القاهرة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، 1998 ، 450صفحة.

عبد الجبار الرفاعي : الاختراق الثقافي : معجم بيبليوغرافي تحليلي ، قم (إيران) ، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ، 1416 هـ.

عبد الجليل عبده شلبي : صور استشراقية ، (سلسلة البحوث الإسلامية ، السنة 10 ، الكتاب 1) ، القاهرة ، الأزهر ، مجمع البحوث الإسلامية ، 1978.

عبد الحميد صالح حمدان : طبقات المستشرقين ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 1990.

عبد الحميد عبد المنعم مذكور : نظرات في حركة الاستشراق ، القاهرة ، دار الثقافة ، 1990.

عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1984.

عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، الطبعة الخامسة ، دمشق ، دار القلم، 1986م .

عبد الرحمن عميرة : الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق ، الطبعة الأولى ، عمّان ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ، 1999 ، 136 صفحة .

عبد الرحيم العطاوي : الاستشراق الروسي، مدخل إلى تاريخ الدراسات العربية والإسلامية في روسيا، الطبعة الأولى ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، 2002 ، 425 صفحة .

عبد العال أحمد عبد العال : دفاع عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ضد دعاوى المستشرقين والعلمانيين ، الزقازيق ، دار هديل للنشر والتوزيع ، 1994 ، 69 صفحة.

عبد العظيم الديب : المستشرقون والتراث ، المحرق ، البحرين ، مكتبة ابن تيمية ، 1986.

عبد العظيم الديب : المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي ، سلسلة كتاب الأمة ، عدد 27قطر ، كتاب الأمة ، الطبعة الأولى ، الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، 1411هـ.

عبد الغني عبد الخالق : دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين وبين الشبه الواردة على السنة قديما وحديثا وردّها ردا علميا صحيحا ويليه الرد على من ينكر حجية السنة ، القاهرة ، مكتبة السنة المحمدية ، 1989 ، 510 صفحة.

عبد القهار العاني : الاستشراق والدراسات الإسلامية ، الطبعة الأولى ، عمّان ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ،2001 ، 213 صفحة .

عبد القهار دواد العاني : الاستشراق والدراسات الإسلامية ، عمّان ، دار الفرقان، 1421هـ

عبد الكريم علي باز : افتراءات فيليب حتّي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي ، جدة ، تهامة للنشر، 1403–1983.

عبد اللطيف الطيابوي : المستشرقون الناطقون بالإنجليزية : دراسة نقدية ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1991.

عبد الله النعيم : الاستشراق في السيرة النبوية ، (سلسلة الرسائل الجامعية؛21) ، الطبعة الأولى ، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1997 ، 344 صفحة .

عبد الله علي العليان : الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف ، الطبعة الأولى ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، 2002 ، 144 صفحة .

عبد الله يوسف سهر محمد : مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين ، سلسلة دراسات استراتيجية ، الطبعة الأولى ، أبو ظبي ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث ،2001 ، 100 صفحة .

عبد المتعال محمد الجابري ، الاستشراق : وجه للاستعمار الفكري ؛ دراسات في تاريخ الاستشراق وأساليبه الفكرية في الغزو الفكري للإسلام ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة وهبه ، 1995.

عجيل جاسم سعود النشمي : المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي ، الكويت ، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والإعلام والآداب ، 1984 ، 256 صفحة.

عدلي طاهر نور : المستشرق الكبير إدوارد وليم لين ، 1973.
عفاف سيد محمد صبرة : المستشرقون ومشكلات الحضارة ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1980 ، 253 صفحة.
عفاف سيد محمد صبرة : المستشرقون ومشكلات الحضارة ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 2000.
عفيف البهنسي : الفن والاستشراق ، سلسلة موسوعة تاريخ الفن والعمارة ، الطبعة الأولى ، بيروت، دار الرائد العربي ، 1983 ، 308 صفحة .
علي إبراهيم النملة : الاستشراق في الأدبيات العربية :عرض للنظرات وحصر وراقي للمكتوب ، الطبعة الأولى ، الرياض ، مركز الملك فيصل للبحوث الدراسات الإسلامية، 1414هـ/1993م.
علي بن إبراهيم النملة : مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين ، ، الطبعة الأولى ، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، 1993 ، 56 صفحة .
علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق والمستشرقون في الأدبيات العربية ، الرياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1412هـ.
علي بن ابراهيم النملة : مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين : إستقراء للمواقف ، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية ، 1993.
علي حسني خربوطلي : الاستشراق في التاريخ الإسلامي ، القاهرة ، جمعية الدراسات الإسلامية ، 1976.
فاروق عمر فوزي : الاستشراق والتاريخ الإسلامي القرون الإسلامية الأولى ، الطبعة الأولى ، عمّان ، الأهلية للنشر والتوزيع ، 1998 ، 288 صفحة .
فاطمة هدى نجا : نور الإسلام وأباطيل الإستشراق ، الطبعة الأولى ، دمشق ، دار الإيمان ، 1993.
قاسم السامرائي : الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، الرياض ، دار الرفاعي ، 1983.
كلية الدعوة الإسلامية : من قضايا الفكر الإسلامي كما يراها بعض المستشرقين ، طرابلس ، كلية الدعوة الإسلامية ، 1988.

لخضر شايب : نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر ، الطبعة الأولى ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، 2002 ، 622 صفحة.

مازن بن صلاح مطبقاني : الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي ، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، 1995.

مازن صلاح حامد مطبقاني : المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق ، جدة ، دار عكاظ ، 198.

مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، الجزائر ، إصدار مسجد الطلبة بالجامعة ، د.ت

محسن جاسم الموسوي : الاستشراق في الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1993.

محمد إبراهيم الفيومي : الاستشراق رسالة استعمار ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 2000.

محمد أحمد دياب : أضواء على الاستشراق والمستشرقين ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار المنار ، 1989.

محمد البشير الهاشمي مغلي: "مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب" ، الرياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1422هـ/2002م ، 477ص.

محمد البنداق : المستشرقون والقرآن الكريم ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، 1983م.

محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، الطبعة الحادية عشر ، القاهرة ، دار وهبة ، 1985.

محمد السيد الجليند : الاستشراق والتبشير : قراءة تاريخية موجزة ، القاهرة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، 1999 ، 131 صفحة.

محمد الغزالي : دفاع عن العقيدة والشريعة ضدّ مطامع المستشرقين ، القاهرة ، دار الكتب الإسلامية ، 1988 ، 261 صفحة.

محمد الغزالي : ظلام من الغرب ، القاهرة ، نهضة مصر ، 1997 ، 254 صفحة.

محمد جلاء إدريس : الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية ، القاهرة ، العربي ، 1995.
محمد حسين الصغير : المستشرقون والدراسات القرآنية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 1983.
محمد خليفة حسن أحمد : آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 1997.
محمد شامة : الإسلام في الفكر الاوروبي، القاهرة ، مكتبة وهبة ، فبراير 1980 م.
محمّد شريف الشيباني : الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الحضارة العربية ، 1988
محمد عابد السفياني : المستشرقون ومن تابعهم من ثبات الشريعة وشمولها ؛ دراسة وتطبيقا ، مكّة المكّرمة ، دار الحضارة ، 1408 هـ/1987.
محمد عبد الفتاح عليان : أضواء على الاستشراق ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، 1980.
محمد عبد الله مليباري : المستشرقون والدراسات الإسلامية ، الرياض ، دار الرفاعي، 1410هـ.
محمد عبدالله السمان : مفتريات اليونسكو على الإسلام، القاهرة ، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، 1976م .
محمد عثمان الخشت : الإسلام والعلم بين الأفغاني ورينان ، القاهرة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998 ، 120 صفحة.
محمد عزت إسماعيل الطهطاوي : التبشير والاستشراق ... أحقاد وحملات على النبي صلى الله عليه وسلم وبلاد الإسلام ، القاهرة ، الزهراء للإعلام العربي ، 1991 ، 318 صفحة.
محمد غلاب : نظرات استشراقية في الإسلام ، 1967.
محمد فاروق الزين : المسيحية والإسلام والاستشراق ، الطبعة الأولى، بيروت ، دار الفكر المعاصر ،2000 ، 304 صفحة.

محمد فتح الله الزيادي : الاستشراق أهدافه ووسائله : دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون ، الطبعة الثانية ، دار قتيبة للطباعة والنشر ، 2002 ، 332 صفحة .

محمد فتح الله الزيادي : ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها ، طرابلس ، ليبيا ، المنشأة العامة ، 1983.

محمد قطب : المستشرقون والإسلام ، القاهرة ، دار وهبة ، 1999م.

محمد لقمان السلفي: اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم، الرياض، 1984م.

محمد م. الأرناؤوط : مراجعة الاستشراق، ثنائية الذات/الآخر نموذج يوغسلافيا ، الطبعة الأولى بيروت ، دار المدار الإسلامي ، 2002 ، 152 صفحة .

محمد محمد الدهان : قوى الشر المتحالفة (الاستشراق ، التبشير ، الاستعمار) ، المنصورة ، دار الوفاء ، 1986.

محمد ياسين عريبي : الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي ، الطبعة الأولى ، الرباط ، منشورات المجلس القومي للثقافة ،1991 ، 244 صفحة .

محمود المقداد : تاريخ الدراسات العربية في فرنسا ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، تشرين الثاني 1992.

محمود حمدي زقزوق : الإسلام في تصوّرات الغرب ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، 1987 ، 200 صفحة.

محمود حمدي زقزوق : الإسلام والاستشراق ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، 1984.

محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، سلسلة كتاب الأمة ، ع 5، الدوحة ، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في دولة قطر، 1404هـ.

محمود ماضي : الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده ، الطبعة الأولى ، الإسكندرية ، دار الدعوة ، 1996.

مصطفى الخالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1983.

مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ، القاهرة ، دار السلام ، 2000.
مصطفى نصر المسلاتي : الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ، طرابلس ، دار إقرأ ، 1986.
مكتب التربية العربي لدول الخليج : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، الرياض ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 1985.
منذر معاليقي : الاستشراق في الميزان ، الطبعة الأولى ، دمشق ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ،1997، 216 صفحة .
مهدي عامل : في عملية الفكر الخلدوني ؛ماركس في إستشراق إدوارد سعيد ، الطبعة الثانية ، بيروت، دار الفارابي ، 1986 ، 128 صفحة.
مونتجمري وات : الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر ، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2001 ، 246 صفحة .
نايف بن ثنيان آل سعود : المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي مع دراسة تطبيقية على دول الخليج ، الرياض ، دار أمية ، 1993.
نجيب العقيقي : المستشرقون : موسوعة في التراث العربي ، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم منذ ألف عام ، القاهرة ، دار المعارف ، 1980.
نجيب العقيقي : المستشرقون ، بحث عن الاستشراق لدى جميع الأمم منذ فجره من ألف عام إلى ليوم مصر ،دار المعارف ، 1947.
نذير حمدان : مستشرقون : سياسيون –جامعيون – مجمعيون ، الطائف ، مكتبة الصديق ، 1988.
نعمات أحمد فؤاد : الإسلام في رأي الشرق والغرب ، الجيزة ، المكتبة الأكاديمية ، 2001 ، 160 صفحة .
نهاد الموسى : حاشية على الاستشراق المعاصر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980 ، 80 صفحة .
نور الدين أفاية : الغرب المتخيّل : صور الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط ، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء) ، ط 1 ، 2000

هاشم صالح (ترجمة وتحقيق) : الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ، الطبعة الثانية ، بيروت، دار الساقي للطباعة والنشر ، 2000 ، 264 صفحة .
هنري لورنس : الأصول الفكرية للحملة الفرنسية على مصر : الإستشراق المتأسلم في فرنسا (1698–1798) ، القاهرة ، دار شرقيات للنشر والتوزيع ، 1999.
يحيى وهيب الجبوري : المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1997.
يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق : الدراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العاشر ، ترجمة و تحقيق عمر لطفي العالم ، دمشق ، دار قتيبة ، 1996، 368 صفحة .

2–المقالات :

أعداد خاصة :

الفكر العربي ، بيروت ، ع 32–32 ، السنة الخامسة ، يناير / مارس 1983.
الاستشراق ، (بغداد :دار الشؤون الثقافية العامة) ، 5 أعداد (1987–1991).
الحياة اللندنية : " تحولات الاستشراق واختلافات الرؤى والمناهج " ، ع 15051، 12 جوان 2004.

****

"التراجم الاستشراقية لمعاني القرآن الكريم : حول مشروع ترجمة إسلامية لمعاني القرآن" ، مجلة الفرقان ، المغرب ، العدد 29 .
إبراهيم القادري بوتشيش ، إشكالية التحقيق الاستشراقي للتراث الأندلسي من خلال نموذج تحقيق ليفي بروفنسال : رسالة الحسبة لابن عبدون ، مجلة كلية الآداب ، تطوان ، ع 6 ، 1993 ، ص ص 103–111.
إبراهيم محمود : " كيف ينظر المثقف العربي إلى الاستشراق " ، المستقبل العربي ، س 13 ، ع 137 ، يوليو 1990.
أحمد ضرغام : " بعض ملامح الاتجاهات الرئيسية في الاستشراق " ، دراسات عربية، 1984.

أحمد عبد الحليم عطية : الصوفي والسياسي : صورة ماسينيون في الفكر العربي المعاصر ، الاجتهاد ، بيروت ، عدد 49 ، ، 2001 ، ص ص 83-113.

أحمد عبد الحليم عطية : المماثلة والمقابلة : قراءة ثانية من موقف بدوي من المستشرقين ، المسلم المعاصر ، بيروت ، عدد 79 ، 1996 ، ص ص31-81.

أحمد محمد عمايرة : محمد علي : مفهوم الأدب الإسلامي عند المستشرق جرونباوم ، المسلم المعاصر ، بيروت ، عدد 91 ، 1999 ، ص ص 83-115.

إدوارد سعيد : " الاستشراق والصهيونية " ، مجلة المجلّة ، ع 21408 ، 1987/12/08.

آصف حسين : " المسار الفكري للاستشراق " ، ترجمة مازن مطبقاني ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد السابع ، ربيع الثاني 1413، ص ص 566-592.

أكرم ضياء العمري : " الاستشراق هل استنفد أغراضه ؟" ، في ملحق التراث ، صحيفة المدينة المنورة ، ع 9116، بتاريخ 1412/11/15هـ.

أكرم فاضل (مترجم): بغداد في آثار المستشرقين الفرنسيين ، المورد ، بغداد ، عدد 4 ، 1979 ، ص ص 477-504.

أمير طاهري : " الكتب الجديدة والعلاقة بين الغرب والإسلام" ، الشرق الأوسط، عدد 4521، 1991/4/15م.

امحمد بن عبود : " الاستشراق والنخبة العربية " ، المجلة التاريخية المغربية ، س 9 ، ع 27-28 ، ديسمبر 1982 ، ص ص 199-215.

بجيت كريم : العرب وإشكالية التمثيل قراءة في مؤلّف الإستشراق لإدوارد سعيد ، المنعطف ، المغرب، ع 13 ، 1997 ، ص ص 7-21.

بلقاسم بوقرة : "أصول النظرية الغربية حول المجتمعات غير الأوربية "، مجلة علم الاجتماع ، جامعة الجزائر ، 1993 ، ص ص 20-32.

بن سالم حميش : "الاستشراق الفرنسي في ركب العلوم الانسانية "، المستقبل العربي ، س 15 ، ع 16، أوت 1992.

توفيق يوسف الراعواعي : المخططات العدائية ضدّ المسلمين ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الكويت ، ع 17 ، 1990 ، ص ص 251-298.
جيوليو باستي ساني : لويس ماسينيون : الدارس المسيحي للإسلام ، ترجمة سعدون السويح ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ع 4 ، 1987 ، ص ص 440-445.
حسن ضياء : المستشرقون حديثا على قدم المشركين فرية السحر ، مجلة كلية أصول الدين ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ع 3 ، 1979 ، ص ص 19-37.
حسن عزوزي : " الدراسات القرآنية في مناهج البحث الاستشراقي المعاصر " ، مجلة الوعي الإسلامي، عدد 411، ذو القعدة 1420هـ /فبراير – مارس 2000م.
حسين مؤنس : كتب كثيرة كتبها الغرب عن العرب وعن الإسلام ، العربي ، الكويت ، ع 66 ، 1964 ، ص ص 13-19.
خالد حاجي : الجغرافيا بين الشاعرية والسياسة ، المنعطف ، المغرب ، ع 10 ، 1995 ، ص ص 59-68.
ديل إيكلمان : " الكتابة الأنثروبولوجية على الشرق الأوسط " ، المستقبل العربي ، س 12 ، ع 134 ، أبريل 1990 ، ص ص 39-61.
رضوان السيّد : " اليهودية والصهيونية والاستشراق " ، لبنان ، الفكر الإسلامي ، ع 1 ، س 19، جمادى الأول 1409 هـ/يناير 1983.
رضوان جودت زيادة : رودنسون والإسلام : من حتمية ماركس إلى فضاء ماكس فيبر ، الاجتهاد ، بيروت ، ع 49 ، 2001 ، ص ص 139-149.
سالم لبيض : " من الاستشراق إلى نهاية التاريخ : الفكر الغربي والآخر " ، المستقبل العربي ، س 19 ، ع 211 ، سبتمبر 1996 ، ص ص 18-34.
سعيد خير الله وشك : " الاستشراق : من هو برنارد لويس " ، دراسات عربية ، س 26 ، ع 9 ، تموز 1990.
سمير سليمان: " الإسلام واشكالية المنهج في الخطاب المعرفي الغربي " *****

السيد محمد الشاهد : " الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين" ، الاجتهاد ، ع 22، السنة السادسة ، شتاء عام 1414هـ/1994م ، ص ص 191-211.

عاصم حمدان : " الإسلام في الكتابات الغربية الحديثة" ، المدينة المنورة ، 1990/1/11 و1990/1/18.

عباس صالح طاشكندي : " المستشرقون ودورهم في تحقيق المخطوطات العربية " ، عالم الكتب، مجلد 5 ، عدد 1 رجب 1404هـ/ أبريل 1984م ، ص ص 5-14.

عبد الرحمن أحمد سالم : قراءة نقدية في كتابات " مونتجومري وات في السيرة النبوية " ، المسلم المعاصر ، بيروت ، ع 82 ، (1997-1996) ، ص ص 85-161.

عبد الرحمن الجيلالي : "من بواعث الاستشراق وأهداف المستشرقين "، الأصالة ، الجزائر ، ع 14-15 ، ماي – جوان 1973 .

عبد العزيز بن عبد الجليل : إيقاعات النوبة الأندلسية من خلال المصادر المغربية والعربية والاستشراقية، المناهل ، الرباط ، ع 37 ، 1989 ، ص ص 215-222.

عبد الفتاح الزين : "السوسيولوجيا في المغرب : من إعلان الحماية الفرنسية إلى المرحلة الراهنة "، المستقبل العربي ، س 13 ، ع 146 ، أبريل 1991.

عبد المجيد مزيان : "النظريات التاريخية بين التفسير والتحريف " ، الأصالة ، الجزائر ،ع 14-15 ، ماي – جوان 1973 .

عبد المولى الحرير : "نظرة نقدية للمراجع والببليوغرافيا المغربية أثناء فترة الاستعمار "، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، 1979.

عبد النبي أسطيف : " " الاستشراق " : تقديم لدراسة ألبرت حوراني لكتاب : " الطريق إلى المغرب: قراءة في الاستشراق " " ، دمشق ، التراث العربي ، س 2 ، ع 7 ، أبريل 1982.

عبد النبي أسطيف : " المؤتمر السنوي السادس للجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط ؛ وقائع وهوامش" ، دمشق ، مجلة مجمع اللغة العربية ، س 55 ، ع 1 ، يناير 1980.

عبد النبي أسطيف : " مازالت الدراسات العربي تدور في فلك الاستشراق " ، الدستور ، س 10 ، ع 471 ، 1980/11/17.

عبد النبي أسطيف : " نحن والاستشراق : نحو مواجهة إيجابية " ، المستقبل العربي ، س 6 ، ع 56 ، أكتوبر 1983 ، ص ص 20-39.

عزيز أحمد : روابط متينة بين دولة الإسلام في الأندلس والهند الإسلامية الحديثة ، دراسة مهداة لروح المستشرق الكبير ليفي بروفنصال ، تعريب عبد الرحمن بنعبد الله ، دعوة الحق ، الرباط ، ع 9-10 ، 1968 ، ص ص 128-133.

عزيز العظمة : " إفصاح الاستشراق " ، المستقبل العربي ، س 4 ، ع 32 ، أكتوبر 1981 ، ص ص 43-62.

علي إبراهيم النملة : " قضية الاستشراق في مناظرة الشرق الأوسط " ، الشرق الأوسط ، عدد 4626 ، 29/7/ 1991.

علي بن ابراهيم النملة : أعمال المستشرقين مصدرا من مصادر المعلومات ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ع 7 ، 1992 ، ص ص 519-564.

علي بن ابراهيم النملة : رحلات المستشرقين مصدرا من مصادر المعلومات عن العرب والمسلمين ، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية ، مج 1 ، ع 1 ، 1995 ، ص ص 39-81.

علي بن ابراهيم النملة : مصادر معلومات المستشرقين عن العرب والمسلمين ، عالم الكتب ، الرياض ، ع 6، 1995 ، ص ص 571-588.

علي حرب : " الأنا والآخر بين الاستشراق والاستغراب " ، عكاظ ، ع (11603)، 4صفر 1419 الموافق 29مايو 1998.

علي شلش : " تعقيب على قضية الاستشراق " ، الشرق الأوسط ، عدد 4636 ، 1991/8/8

عماد الدين خليل عمر : الاستشراق ، المسلم المعاصر ، بيروت ، ع 79 ، 1996 ، ص ص 13-2.

عمّار الجندي : "مصر في كتب الرحّالة الإنجليز والفرنسيين" ، الحياة ، عدد 10612، 1992/2/27م، ص 19.

عمر كوش : الاستشراق بين الميتافيزيقا والأنثربولوجيا ، الاجتهاد ، بيروت ، ع 49 ، 2001 ، ص ص 71–82.

عمر لطفي العالم : الألمان والقرآن، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ع 4 ، 1987 ، ص ص 192–210.

عمر لطفي العالم : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصورة والواقع ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ع 5 ، 1988 ، ص ص 55–77.

غريغوار منصور مرشو : دور الأنثروبولوجيا في تأسيس الإستشراق ، الاجتهاد ، بيروت ، ع 49 ، 2001 ، ص ص 51–69.

غسان سلامة : " عصب الاستشراق " ، المستقبل العربي ، س 3 ، ع 23 ، يناير 1981 ، ص ص 4–22.

الفضل شلق : الاستشراق والتراث ، الاجتهاد ، بيروت ، ع 49 ، 2001 ، ص ص11–24.

قاسم السامرائي : "الاهتمام بالاستشراق في السعودية في العصر الحاضر" ، تقديم وترجمة د. مازن مطبقاني ، عالم الكتب، مجلد 14، عدد 4، محرم–صفر 1414هـ، يوليو–أغسطس 1993م ،ص ص 422–431.

قيس النوري : " التعصب والتمركز الثقافي والعرقي "، في : مجموعة من الأساتذة : قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، يناير 1995 .

مازن مطبقاني : " الحياة الاجتماعية في المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق" ، المنهل ، جدة ، عدد471، م 50 رمضان /شوال 1409، ص 352–362.

مازن مطبقاني : " لماذا يخوفون الغرب بالإسلام؟" ، المسلمون ، عدد 307، 5/4 /1411هـ 1990/12/21.

محمد أحمد العزب : " الدراسات الاستشراقية والأدب العربي" ، القافلة ، رجب 1407.

محمد أحمد حمدون : "وقفات استقرائية حول جهود المستشرقين في الأدب العربي " ، المنهل ، عدد 471 رمضان/شوال 1409 أبريل /مايو 1989 ، ص ص 168-186.

محمد أحمد مشهور حداد : " الاستشراق" ، أخبار العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، الأعداد 1071-1075.

محمد أركون : " الدراسات العربية الإسلامية في أوربا " ، الأصالة ، الجزائر ، ع 44 ، أبريل 1977 ، ص ص 93-103.

محمد الدسوقي : خصائص الاستشراق في مرحلته الثالثة ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ع 1 ، 1984 ، ص ص 75-86.

محمد الدعمي : التنقيب في العقل الاستشراقي : ريتشارد بيرتن ودافعية التفرّد ، الكلمة ، نيقوسيا ، ع 35 ، 2002 ، ص ص 102-112.

محمد الطاهر الجراري : " تحرير التاريخ من الفكر الاستعماري "، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، 1979.

محمد طه الحاجري : أطراف من تاريخ الملابس عند المسلمين للعلامة المستشرق دوزي ، الرسالة ، القاهرة ، ع 231 ، 1937 ، ص ص 1972-1976.

محمد عثمان : رأي في مقدّمة كتاب دراسات المستشرقين حول الشعر الجاهلي ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ع 2 ، 1985 ، ص ص 216-225.

محمد عمارة مصطفى عمارة : ابن رشد بين الغرب والإسلام ، المسلم المعاصر ، بيروت ، ع 86 ، 1997-1998 ، ص ص 13-47.

محمد عوني عبد الرءوف : المستشرقون وتحقيق التراث : الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ، تراثيات ، القاهرة ، ع 1 ، 2003 ، ص ص 94-106.

محمد مختار العرباوي : "أطروحات المدرسة التاريخية الاستعمارية حول شمال إفريقيا " ، المستقبل العربي س 18 ، ع 195 ، ماي 1995.

محمد وقيدي : " تطور الإيديولوجية في الاستشراق " ، دراسات عربية ، س 18 ، ع 7 ، ماي 1982.

محمـود حمـدي زقـزوق : فـي مواجهـة الاستشـراق ، المسـلم المعاصـر ، بيـروت ، ع65-66 ، 1992-1993 ، ص ص 11-40.
مصطفى نصر المسلاتي : محمد صلى الله عليه وسلم في مرآة الغرب ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ع 1 ، 1984 ، ص ص 38-43.
مكسـيم رودنسـون : " الصـورة الغربيـة والدراسـات الغربيـة الإسـلامية" ، فـي تـراث الإسلام (القسم الأول) ، تصنيف شاخت وبوزورث ، ترجمة محمد زهير السمهوري ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، شعبان/رمضان1398هـ- أغسطس 1978م.
مكسـيم رودنسـون : " حـوار مـع مكسـيم رودنسـون عـن الإيـديولوجيا وعلـم الاجتمـاع وحركة التحرر العربي والاستشراق " ، أجرى الحوار حسان شاتيلا ، الفكر العربي ، س 1 ، ع 6 ، نوفمبر-ديمسبر 1978 ، ص ص 200-213.
ميناجيلن ليفوك : " على هامش المؤتمر الثالث للمستعربين : الاستشراق في الاتحاد السوفياتي " ، اللسان العربي ، ع 6 ، يناير 1970 ، ص ص 381-383.
هـادي العلـوي : " محاولـة استشـراقية " ، المعرفـة ، س 1 ، ع 66 ، آب 1967 ، ص ص 128-149.
الهادي عبد العال حنيش : مراجعة نصوص قرآنية محرّفة من كتاب لتعليم اللغة العربية ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ع 4 ، 1987 ، ص ص 247-256.

3-الرسائل الجامعية :

إبـراهيم أحمـد إبـراهيم : أثـر البيئـة المصـرية ومقوماتهـا الحضـارية علـى المصـورين المستشرقين خلال القرن التاسع عشر ، رسالة ماجستير ، القاهرة ، جامعة حلوان ، كلية الفنون الجميلة ، 1993.
أحمد بن حسين شرف الدين : دعوى المستشرقين أنّ القرآن من صنع البشر ، رسالة ماجستير ، إشراف جعفر شيخ إدريس ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة ، قسم الثقافة الإسلامية ، 1987.
أحمـد حسـن قاضـي : دراسـات المستشـرقين لتوحيـد الأسـماء والصـفات فـي الآيـات القرآنية ، رسالة ماجستير ، إشراف محجوب أحمد كردي ، المدينة المنورة ، جامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الدعوة والإعلام ، قسم الاستشراق ، 1991 .
أحمد سمايلوفيتش : فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ، رسالة دكتوراه ، القاهرة ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية ، 1974 .
بدر الدين عوض : دراسة لمطبوعات الحملة الفرنسية على مصر ، رسالة ماجستير ، القاهرة ، جامعة حلوان ، كلية الفنون الجميلة ، 1991 .
جلال الدين محمد عبد الباقي : مناقشة آراء جولتسيهر في القرآن الكريم ، رسالة دكتوراه ، إشراف أحمد السيد الكومي ، القاهرة ، جامعة الأزهر ، كلية أصول الدين ، 1979 .
جهاد بلال خليل : مدرسة الاستشراق اليونانيةونظرتها في الدراسات الشرعية الإسلامية خلال القرنين التاسع عشر والعشر ين الميلاديين ؛ دراسة تحليلية نقدية ، رسالة دكتوراه ، إشراف الدكتور محمود رزق ماضي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الدعوة بالمدينة المنورة ، قسم الاستشراق ، شعبة الدراسات الإسلامية عند المستشرقين ، 1421هـ – 2000 م.
الجيلي محمد يوسف الكباشي : المستشرق نيكولسون ومفترياته على الإسلام ؛ دراسة ونقدا ، رسالة دكتوراه ، إشراف جعفر شيخ إدريس ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، 1987 .
حميد بن ناصر خالد الحميد : الأخطاء العقدية في دائرة المعارف الإسلامية ؛ دراسة تحليلية نقدية ، رسالة دكتوراه، إشراف أ د محمد خليفة حسن أحمد ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الدعوة بالمدينة المنورة ، قسم الاستشراق ، 1415هـ
زيد بن أحمد العبلان : الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ، رسالة ماجستير ، إشراف صابر طعيمة ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين ، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، 1986 .

سلطان بن عمر بن عبد العزيزالحصين : موقف المستشرق "سيدو" من السيرة النبوية ؛ دراسة نقدية من خلال كتابه "تاريخ العرب العام" ، رسالة ماجستير ، إشراف الدكتور حامد غنيم أبو سعيد ،

علي بن عبد الله محفوظ : أساليب المستشرق جولدتسيهر في عرضه للإسلام ، رسالة ماجستير ، إشراف محجوب أحمد كردي ، المدينة المنورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الدعوة والإعلام، قسم الاستشراق ، 1991

كمال ثابت قلتة : تطوّر مناهج المستشرقين الفرنسيين في دراسة الشعر العربي حتى العصر العباسي ، رسالة دكتوراه ، إشراف سهير القلماوي ، القاهرة ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، 1978 .

مازن صلاح مطبقاني : منهج المستشرق برناردلويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي، رسالة دكتوراه في الاستشراق الحديث والمعاصر ، إشراف أ.د. محمد خليفة حسن أحمد ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الدعوة بالمدينة المنورة ، رمضان 1414هـ.

محسن السويسي : مؤتمرات المستشرقين العالمية: نشأتها –تكوينها –أهدافها ، رسالة دكتوراه ، إشراف الدكتور حامد غنيم أبو سعيد ، كلية الدعوة بالمدينة المنورة ، قسم الاستشراق ، 1419/ 1998م .

محسن عبد الناظر: دراسات جولدزيهر في السنة ومكانتها العلمية، رسالة دكتوراه، جامعة تونس، 1984/1404.

محمد البشير مغلي : مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب ، رسالة ماجستير ، إشراف بلقاسم الغالي ، قسنطينة ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، معهد الدعوة وأصول الدين ، 1990 .

محمد الدردابي : الاستشراق بين العلم والتبشير ، دبلوم الدراسات العليا ، إشراف عمر بهاء الدين الأميري ، الرباط ، دار الحديث الحسنية ، 1975 .

محمد بن حمو : التبشير والاستشراق في الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر ، رسالة ماجستير ، إشراف د.مصطفى الشكعة ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، 1989.

محمد عامر عبدالحميد مظاهري : السلطان محمود الغزنوي في كتابات بعض المستشرقين ؛ دراسة نقدية ، رسالة ماجستير ، إشراف أ.د. حامد غنيم أبوسعيد ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الدعوة بالمدينة المنورة ، 1415هـ.
محمد عبد الرازق خير الدين : دراسة المستشرقين للجوانب العقدية والفكرية من حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رسالة ماجستير ، إشراف محجوب أحمد كردي ، المدينة المنورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الدعوة والإعلام ، قسم الإستشراق ، 1991 .
محمد عبد الواحد العسري : الإسلام في أبحاث الاستشراق الإسباني من ريموندس لولوس إلى أسين بلاثينوس ، أطروحة دكتوراه ،
محمود حمزة عزوني : دراسة نقدية لكتاب الدعوة إلى الإسلام تأليف " توماس ولكر أرنولد " ، بحث السنة النهائية للماجستير ، إشراف د. إبراهيم عكاشة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، قسم الاستشراق ، شعبة الدراسات الإسلامية ،
مصطفى الحاج بوكاري : الاستشراق الفرنسي وموقفه من تاريخ العهد النبوي ، رسالة ماجستير ، إشراف د.أكرم ضياء العمري ، كلية الدعوة وأصول الدين ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، 1413 هـ .
مصطفى الحاج مالك بوكاري : الاستشراق الفرنسي وموقفه من تاريخ عهد النبوة ، رسالة ماجستير ، إشراف الدكتور : أكرم ضياء العمري ، 1412هـ. 1992م
مفرج بن سليمان صبري وموقفه من الفكر الوافد ، رسالة ماجستير ، إشراف عبد الله بن إبراهيم الطريقي ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة ، قسم الثقافة الإسلامية ، 1988
نصري أحمد : آراء الاستشراق الفرنسي في القرآن في القرنين التاسع عشر والعشرين : دراسة نقدية، رسالة ماجستير ، إشراف الشحات زغلول ، ومشاركة ضحى محمد عبد العزيز شيحة ، الإسكندرية ، جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب ، 1989 .
وائل علي محمد : المستشرقون وأثرهم في الدراسات الأدبية ، رسالة دكتوراه ، إشراف أحمد السعدني، المنيا ، جامعة المنيا ، كلية الآداب ، 1995 .

يوسف لقمان علاء الدين ماديا : المستشرقون والقرآن الكريم ، رسالة دكتوراه ، إشراف عبد الغني واضح الراجحي ، القاهرة ، جامعة الأزهر ، كلية أصول الدين ، 1977 .

4- الندوات و المؤتمرات :

أحمد عبد الرحمن كمون : التراث الإسلامي الأندلسي في ميزان الاستشراق الإسباني المعاصر " نماذج مختارة " ، في ندوة : " الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات " ، الرياض ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، 1993.

أكاديمية المملكة المغربية : " المغرب في الدراسات الاستشراقية " ، وقائع الندوة السادسة للجنة القيم الروحية والفكرية ، مراكش (شوال 1413 هـ / أبريل 1993) ، الرباط ، أكاديمية اللملكة المغربية ، 1995.

حسن إدريس عزوزي : التجربة الأندلسية في الدراسات الاستشراقية ، عرض ومناقشة ، في ندوة : "الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات " ، الرياض ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، 1993.

سعد أبو الرضا محمد أبو الرضا : الدعوة والفن ومزاعم المستشرقين في عصر صدر الإسلام ، في "مؤتمر الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة " ، القاهرة ، رابطة الجامعات الإسلامية بالاشتراك مع جامعة الأزهر، 1999 ، ص ص 282-392.

لمعي المطيعي : اليهود والفلسطينيون ، أرنولد توينبي ، في الندوة الدولية : " القدس : التاريخ والمستقبل" ، أسيوط ، مركز دراسات المستقبل ، جامعة أسيوط ، 1996 ، ص ص 135-144.

محمد حمدي زقزوق : الإعلام الإسلامي في مواجهة الاستشراق ، في ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ، القاهرة ، مؤسسة إقرأ الخيرية بالتعاون مع مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر ، 1992 ، ص ص 301-329.

المنجي الكعبي : العربية ومشكل الوضع الاصطلاحي ، في ندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية، فاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، 1993 ، ج 2.

الندوة العلمية عن الإسلام والمستشرقين ، الإسلام والمستشرقين ، مجموعة الأبحاث التي قدّمت للندوة العلمية عن الإسلام ، جدّة ، عالم المعرفة ، 1985.

مصادر إعداد القائمة البيبليوغرافية :

عبر الأنترنت :

موقع ثمرات المطابع

/http://www.thamarat.com

موقع مكتبة النيل والفرات

/http://www.neelwafurat.com

موقع مكتبة أدب وفن

/http://www.adabwafan.com

موقع مركز المدينة المنورة لبحوث الاستشراق

/m.com8http://www.mazen-center.

القائمة البيبليوغرافية لجامعة ميتشغان بالولايات المتحدة الأمريكية

http://www.lib.umich.edu/area/Near.East/Orientalism.html

ومواقع أخرى على الإنترنت.

المصادر الأخرى :

-فهارس المكتبة الوطنية ، الجزائر.

-فهارس مكتبة جامعة الجزائر .

-مكتبة الباحث الخاصة.

-فهارس مجلة المستقبل العربي ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية .

-ببليوغرافيا الوحدة العربية (1908-1980) ، المجلّد الثالث (الموضوعات)، القسم الأول، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، فبراير 1986م، ص ص 494-495.

============

الإسلام و الغرب > الشكر لمراسل التلفزيون الكندي >

لكندا إذاعة موجهة باللغة العربية تبث على موجات إذاعة مونت كارلو أو قريباً منها، ولهذه الإذاعة برامج طريفة منها نقل تقارير المراسلين الصحافيين والتلفزيونيين. وقد نقلت قبل أيام تقرير مراسل التلفزيون الكندي نيل ماكدونالد عن الأوضاع في الأراضي العربية المحتلة في فلسطين فتعجبت صدق المعلومات التي أوردها التقرير وعمقها. وتعجبت أكثر أن تفوتنا الإشارة والإشادة بمثل هؤلاء المراسلين ومكافأتهم على جهودهم المتميزة في نشر الحقائق.

لقد ذكر المراسل في تقريره عن حقيقة المواطنة في إسرائيل والأراضي العربية المحتلة في فلسطين، وكيف أن ثمة ثلاث درجات للمواطنة إحداها للعرب المقيمين في فلسطين ولم يغادرها في حرب 1948م، ومواطنة مواطني الضفة الغربية، والمواطنة الثالثة الآن للمقيمين في أراضي الحكم الذاتي المحدود. وذكر أن الديموقراطية التي تتشدق بها إسرائيل تكذبها هذه الحقائق حول الحقوق المدنية والسياسية.

أما الحقائق الأخرى التي ذكرها فهي معاملة السلطات الإسرائيلية للمستوطنين أو المستعمرين اليهود؛ فيقول إن المستعمِر اليهودي إذا ما تعرض للرشق بالحجارة فخرج وأطلق الرصاص على الأطفال الفلسطينيين فقتل أحدهم وألقي القبض عليه، فإنه يتم التحقيق معه خلال يوم واحد وبعد ذلك يحكم عليه بالإقامة الجبرية. وليس الفلسطينيون وحدهم هم الذين يستخدمون الحجارة فإن المستعمرين (المستوطنين) اليهود يقومون أيضاً برشق الحجارة، ولكن إذا ما قام فلسطيني بقتل يهودي فإن عقوبته تختلف كثيراً عن العقوبة المقررة على اليهودي. والتساؤل أين الاتفاقات التي وقعت بين عرفات ونتنياهو التي نصت على إطلاق سراح عدد من السجناء الفلسطينيين، فما كان من نتنياهو إلا التبجح بأن إسرائيل لن تطلق سراح القتلة والمجرمين. ففي نظره أن الذي يقتل اليهودي مجرم سفّاح أما الذين يقتل الفلسطيني فلا يعد كذلك. ويذكر العارفون بالقانون اليهودي الإسرائيلي أن اليهودي يغرم شيكلاً واحداً أو مبلغاً تافهاً على قتله ولعلهم يغرمون من يقتل حيواناً أكثر من ذلك بكثير.

وأعود إلى المراسل الكندي فإنني أقترح أن يطلب من التلفزيون الكندي نسخة من التقرير الذي كتبه وتقوم وكالات الأنباء العربية أو الجهات الرسمية العربية بتبني

طباعة هذا التقرير ونشره وتوزيعه على أوسع نطاق فلا تبقى محطة تلفاز عالمية أو محطة إذاعة حتى تحصل على نسخة من هذا التقرير في أكثر من لغة.

وهذا يذكرني أن المستشرق اليهودي الأمريكي برنارد لويس قدّم شهادته للجنة الشؤون الخارجية التي كان يرأسها جاكسون عام 1974م، فما كان من وزارة الخارجية الإسرائيلية إلاّ أن نشرت هذه الشهادة بعد تقديم الشهادة بأسبوعين في نشرة خاصة تصدر عن تلك الوزارة ووزعتها على نطاق واسع حتى إنني حصلت على نسخة منها من جامعة لندن عام 1988.

إن في الغرب من يكتب عنّا بإنصاف ويسعى إلى معرفة الحقيقة ويقولها رغم ما يتهدده في بلاده. فاليهود يحاربون كل من يكتب عنهم بإنصاف ويفضح جرائمهم وأعمالهم الدنيئة. وفي هذا المجال قام اليهود بالوقوف في وجه أحد الذين رشحوا لمنصب مهم في الحكومة الأمريكية، حيث نبش يهود تاريخه السياسي والعملي لمدة تزيد على عشرين سنّة وذكّروه بمواقفه غير المؤيدة لهم حتى أجبروه على الاعتذار والاعتذار المهين جداً حتى يمكن له أن يحصل على المنصب.

وثمة موقف قريب من موقف المراسل الكندي وهو الصحفي الإسرائيلي الذي كتب عن حكومة بلاده الإرهابية وكيف أنه يصاب بالرعب والهلع الشديد عندما يتذكر ما تفعله حكومته بالفلسطينيين. فقد كتب عبد الهادي أبو طالب (الشرق الأوسط 20رمضان 1419هـ) مقالة نقل فيها ما كتبه الكاتب اليهودي ايتان فيلنر Aitan Felner المدير التنفيذي للمركز الإعلامي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة ونشر في جريدة اللومند الفرنسية يوم 11ديسمبر 1998م. إن مثل هذا المقال يجب أن نترجمه إلى كل اللغات الأوروبية وننشره في العالم أجمع ليكون شاهداً على أنهم هم الإرهابيون وأن العالم يجب أن يعرف الحقائق.

مرة أخرى شكراً لمراسل التلفزيون الكندي نيل ماكدونالد، وعلينا أن نبحث عن هؤلاء الذين يرون الحقيقة ويستطيعون أن ينشروها ونشجعهم بكل ما نستطيع من دعم مادي ومعنوي.

============

الإسلام و الغرب > أوروبا والإسلام >

أوروبا والإسلام.

بقلم : يحي أبو زكريا

على الرغم من أنّ دولا أوروبية عديدة قد احتكّت بالعالم العربي و الإسلامي في فترة الحركة الاستعمارية والتي دامت في بعض البلدان أزيد من مائة عام, وعلى الرغم أيضا من أنّ هذه الدول قد جمعت تفاصيل الحياة الثقافية والسياسية و الاجتماعية و الأمنية و الجغرافية والحياتية وغيرها من المجالات عن العالم العربي والإسلامي – و لو أنّ هذه المعلومات المجموعة تدوّن لكانت الحصيلة مجلدات ربما تتطلب سنوات لقرائتها –رغم كل ذلك فانّ الدوائر الغربية تعيد تشريح خارطة العالم العربي والإسلامي و تدرس حتى الجزئيات التي لا تخطر على بال , وقد كلف بهذه المهمة الجديدة الانتيليجانسيا الغربية المتخصصة في قضايا الشرق ويساعدها في ذلك بعض الباحثين العرب الذين لا يشكل عندهم المبدأ قضية أساسية .

ومن جملة القضايا التي أعدت للتشريح الإسلام بكل مذاهبه ومدارسه, والحركات التي تتبنىّ مشروع الإسلام السياسي وتطرح البديل الإسلامي كنموذج للحكم . وليس الثورة الإيرانية هي وحدها التي نبهّت مراكز الدراسات في الغرب إلى ضرورة إعادة النظر في الإسلام السياسي , بل مجمل التحولات والتغيرّات التي حصلت في خارطتي العالم العربي والإسلامي , وبالإضافة إلى ذلك فانّ هناك وهما مركبّا بدأ يسيطر على الذهنية الغربية مفاده أن الإسلام عدو قادم , و أن الغرب انتهى من الخطر الأحمر ليواجه الخطر الأخضر,و قد زاد الأداء السياسي لبعض الحركات الإسلامية من تعميق هذه الذهنية , والتأكيد على أن الخطر الأخضر بات قاب قوسين من المنظومة الغربية في مختلف المجالات .

وقد زاد الفقه المزيّف المنتشر بين بعض الجاليات الإسلامية في تكريس النظرة التي جئنا على ذكرها، حيث إنّ بعض المسلمين في الغرب يلجاؤن إلى السرقة والسطو والاعتداء على حقوق الآخرين و الاتجار بالمخدرات على قاعدة –مال الكافر حلال على المسلم –.

و قد عملت وسائل إعلام جبّارة محسوبة على اللوبي اليهودي في ترسيم هذه المعادلة وخلق توجّه مفاده بان الحرب المقبلة ستكون بين الهلال والصليب وهي المكيدة الفخ

التي وقع فيها أصحاب الهلال وأصحاب الصليب على حد سواء.و لأنّ الغرب لا يخطو خطوته قبل أن يحللّ كل حيثيات الظاهرة , فقد بدأت مراكز الدراسات والمعلوماتية في جمع تفاصيل التفاصيل, وقد روى أحد العاملين في أحد هذه المراكز كيف يتم دراسة ظاهرة المهدي المنتظر واحتمال حدوثها و مركز أخر يدرس ظاهرة الخلاف بين الجماعات الإسلامية في مصر,و محمد حسين فضل الله وما تثيره آراؤه في الوسط الشيعي خصوصا والإسلامي عموما ,ومركز أخر يدرس منحنيات الصراع في الجزائر واحتمال وصول الإسلاميين إلى السلطة في هذا البلد. أما نحن فكما قال شيخ الأزهر الأسبق محمد سليم البشري مازلنا نختلف حول غسل القدم ومسح القدم حتى لم يبق لنا في الأرض موطىء قدم

============

الإسلام و الغرب > إرادة التحدي في مواجهة عداء الغرب >

تحسن الإذاعات الغربية الموجهة استغلال الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية، فتعمل على استثارة الحكومات العربية الإسلامية ضد طائفة من أبنائها نذروا أنفسهم للإسلام يدعون إليه بأقوالهم وأفعالهم حتى إذا نزل بالأمة بلاء كالزلزال أو السيول والفيضانات، شمروا عن سواعدهم وعملوا كل ما في وسعهم للتخفيف من آثار هذه الظروف. وهؤلاء الدعاة في الأحوال العادية يقدمون الخير والمعروف عملا بأوامر الإسلام في هذا الشأن كقوله صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر) وقوله صلى الله عليه وسلم (والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع) وفي رواية (وهو يعلمه).

ولما حلت جيوش الاحتلال الأوروبية بالبلاد العربية الاسلامية تستعمر أراضيها وتغزو عقول بعض أبنائها قيض الله لهذه الأمة رجالا مخلصين من العلماء والدعاة حاربوا الاحتلال حتى طردوه شر طردة، ولكنه كان ماكراً خبيثاً لم يغادر البلاد حتى ترك فيها ماأسماهم الأستاذ محمد قطب المستعمرين السمر، فعاثوا بالبلاد خربوا اقتصادها، ونهبوا خيراتها، وأذلوا شعوبها، وافتعلوا الحروب هنا وهناك حتى أفقروا البلاد والعباد.

وتظهر من جديد الصحوة الاسلامية المباركة فتشترك في المجال الاقتصادي فالمال عصب الحياة، ولا بد للمسلمين أن يملكوا القوة التي يرهبون بها أعداء الله وأعداءهم. ويرى الغرب في الأزمات الاقتصادية الطاحنة بسبب التبذير وسوء التوزيع فيظن أنه لابد أن يقدم المساعدات الاقتصادية لاسكات صوت الصحوة الاسلامية، فيزعم أنه لابد من توفير المساكن والفرص الوظيفية لأن شباب الصحوة يعانون أكثر من غيرهم. فهل يقصد الغرب خيراً من هذه المساعدات؟

وليس هذا التوجه الغربي بالجديد فقد كانت الجزائر تعيش تحت الاحتلال الفرنسي وتعاني من الأزمت المالية والاقتصادية، وكان المحتلون يلوحون بين الحين والآخر بأنهم سيسهمون في حل المشكلة الاقتصادية، فما كان من الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله الاّ أن كتب يقول: "جهل قوم من ذوي السلطة هذا الخلق منا – ويقصد الصبر على الجوع والتقلل من الأكل – فحسبوا وهم عالمون بما فيه الأمة من جوع وفاقة أننا لا نريد الا الخبز، وأن الخبز عندنا هو كل شيء، وأننا اذا ملئت بطوننا مهدنا ظهورنا، وأنهم اذا أعطونا الخبز فقد أعطونا كل ما نطلب، اذ الخبز – في زعمهم – هو كل مانريد"0

نعم إن المسلمين المسلمين يهمهم أن يتغلبوا على المصاعب الاقتصادية، ولكنهم يقدمون عليها عودة الاسلام ليحكم جميع مجالات حياتهم في العقيدة وفي العبادة وفي السياسة وفي الاقتصاد وفي الاجتماع. وهم غير مستعدين للتضحية بثوابتهم من أجل حفنة من المال أيا كان مصدرها.

وأختم بموقف مرت به مصر في أثناء حملة نابليون عليها حيث شعر المصريون بالتحدي لمواجهة جيش نابليون وما يملكه من أسلحة وعتاد ومدافع، فما كان من المصريين الاّ أن صنعوا السلاح خلال أيام، وكما يقول محمد جلال كشك في كتابه القيم (ودخلت الخيل الأزهر): "وبذل الأهالي ما في طوقهم لتأييد الثورة، وأتوا في هذه السبيل من الأعمال ما أدهش الفرنسيين، فقد أنشأوا في أربع وعشرين ساعة معملا للبارود في بيت قائد أغا بالخرنفش، وأنشأوا معملا لإصلاح الاسلحة والمدافع، ومعملا أخر لصنع القنابل000 وهكذا نرى أن مصر قد طرقت أبواب الصناعة من خلال قتالها ضد الاستعمار الغربي لا من خلال الرضوح له أو التعاون معه."

فهل نعي الدروس من الماضي والحاضر؟ اللهم ردنا الى دينك رداً جميلاً وارقنا معرفة الحق والعمل به

============

الإسلام و الغرب > من يمزّق الصحيفة ومتى؟ >

نردد كثيراً قول الشاعر: إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة، وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم. فهل هذا هو حال الولايات المتحدة الأمريكية مع قضية العراق، حصار العراق، ضرب العراق، تأديب صدّام، تجريده من أسلحة الدمار الشامل، أطفال العراق ، شعب العراق، مسؤولون أمريكيون يجوبون أقطار العالم ليتحدثوا عن خطورة صدام حسين، وأن الحصار لابد أن يستمر وأن أي مال يدخل إلى العراق لا بد أن يذهب إلى صدّام فيشتري به السلاح ويعود إلى صناعة أسلحة الدمار الشامل. ويسمع المسؤولون الأمريكيون من يقول لهم إنّ وجهة نظركم قد تكون صحيحة لولا أنكم لا تريدون أن تسمعوا وجهات النظر الأخرى في الموضوع.

هل صحيح أن أمريكا لا تعرف أن ما يحدث اليوم في العراق من استمرار المقاطعة ثمانية أعوام كاملة إنما هو استمرار الوضع الراهن بأن يُحكِمَ صدّام قبضته على الشعب العراقي الذي يعاني من المقاطعة ما لم تعانيه لا اليابان ولا ألمانيا بعد هزيمتهما في الحرب العالمية الثانية، وكأن المقاطعة إنما هي خاصة بالشعوب العربية الإسلامية. وكأن مشاهدة معاناة الشعب العراقي وموت أطفاله وبيع المواطنين العراقيين أثاث منازلهم والبحث عن لقمة العيش إنما هو فيلم سينمائي يتسلى به الإعلام الغربي فيما تبثه له المحطات الفضائية الأمريكية.

ومن إيجابيات وجود مراكز البحوث والدراسات الأمريكية أنها تصدر بين الحين والآخر دراسات عميقة ومتزنة ومن ذلك الدراسة التي كتب عنها الأستاذ محمد صلاح الدين في هذه الصحيفة (9شوال 1419هـ) وصدرت في مجلة شؤون خارجية Foreign Affairs بقلم ثلاثة من الباحثين الأمريكيين وطالبت الدراسة برفع العقوبات الاقتصادية عن العراق، وإلغاء حظر الطيران المفروض في شمال وجنوب العراق مقابل عودة عمليات التفتيش (ولكن أليست ثماني سنوات كافية لمعرفة كل شبر في العراق؟)

لقد سبقت الحكومة السعودية هذه المبادرة العلمية الأمريكية حين اقترحت رفع العقوبات الاقتصادية عن الشعب العراقي وكانت مبادرة إنسانية رائعة بحق يجب على العالم كله أن يسارع إلى تنفيذها برفع المعاناة عن شعب العراق. فهذه المعاناة لم تكن يوماً مقتصرة على الدواء والغذاء، فإن شعب العراق الذي يتجاوز تعداده العشرين مليوناً محروم من أن يكون له طائرات ومطارات وجامعات وكتب ومؤلفات والمواد المحظور إرسالها إلى العراق تشمل الأفلام والأوراق ودواء الأسبرين للأطفال ومواد تعقيم المياه والمعدات الطبية وغيرها (د. وليد أحمد فتيحي ، المدينة المنورة 10رمضان 1419هـ.

إن العراق لمن كان له اطلاع على الحركة الثقافية قبل عشر سنوات كان يعيش انتعاشة فكرية ثقافية متميزة، وما زلت أذكر أن إحدى مكتبات المدينة المنورة كانت متخصصة في استيراد إنتاج الجامعات العراقية.

إننا لم نخسر العراق بموت أطفاله وموت شعبه والموت جوعاً فقط، ولكننا خسرنا بلداً عربياً كان يوماً ما ملء سمع العالم وبصره، البلد الذي كان مقر الخلافة العباسية، والعراق بلد عربي شقيق يرجى أن يكون في القريب العاجل نعم الأخ الشقيق والجار الذي يحترم الجيرة وأن يكون جنده دعماً للأمة العربية الإسلامية في مستقبل الأيام. وقبل ذلك أليس مما نؤمن به قوله تعالى)إنّما المؤمنون إخوة(وقوله صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إن اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمّى والسهر).

وكان للصحافة السعودية دور مبارك في الحديث عن هذه المبادرة الخيرة وأهمية الإسراع في تنفيذها فقد كتب الدكتور وليد فتيحي نقلاً عن نشرة أمريكية: "إن الحظر الاقتصادي قد كوّن جيلاً جديداً، ورفع نسبة الإجرام بما فيهم الأطفال وزادت نسبة الدعارة والفساد. إن عزل الشعب العراقي عن العالم سيزيد من دعم النظام العراقي" ويضيف الدكتور فتيحي "بأن العالم سيدفع ثمن عقاب الشعب العراقي المنكوب."

وأختم بما كتبه الأستاذ محمد صلاح الدين (المدينة المنورة 8 شوال 1419)-): "ومن هنا تأتي الأهمية البالغة للمبادرة السعودية التي دعت لرفع هذه العقوبات مع إحكام القبضة على تصرفات النظام الحاكم.." فمن ينقض الصحيفة؟

============

الإسلام و الغرب > يطلبون السلام ويستعدون للحرب >

تهدف هذه المقالة إلى الدعوة إلى اليقظة والانتباه لما يقوم به اليهود في إسرائيل من نشاطات علمية، وعسكرية، وسياسية، واقتصادية، في الوقت الذي يزعمون فيه أنهم يطالبون بالسلام وأن أمنهم مهدد حتى إن اتفاقاتهم مع الفلسطينيين غالباً ما تتعرض للتجميد من قبلهم بحجة أن الطرف الآخر لم يقم بالمهمات الأمنية المطلوبة، أو بحجة الانتخابات السياسية أو غيرها من الحجج، وإن كان عدم وفاء يهود بالعهود أمر عرفه المسلمون من خلال كتاب ربهم عز وجل، ومن خلال التاريخ.

فهذه زيارة باراك الأخيرة إلى واشنطن تضمنت دعم قوة إسرائيل العسكرية بمزيد من الاتفاقيات للتعاون العسكري مع الولايات المتحدة، كما أنه من المتوقع أن تقوم ألمانيا بتسليم إسرائيل عدداً من الغواصات

وقد تناول هذا الموضوع الأستاذ محمد صلاح الدين الكاتب اليومي في صحيفة (المدينة المنورة، 10شوال 1419هـ) التي تصدر في جدة بالمملكة العربية السعودية حيث تحدث عن الكتاب الذي صدر مؤخراً في بريطانيا بعنوان: سكاكين ودبابات وصواريخ: ثورة إسرائيل الأمنية،عن معهد واشنطن لدراسة سياسات الشرق الأدنى الذي أسسه حزب الليكود في منتصف الثمانينات لتقديم الدراسات والبحوث لصانعي السياسة الأمريكية. مما يدل على النفوذ اليهودي القوي في دوائر السياسة الغربية والأمريكية بصفة خاصة.

وللدكتور عبد الوهاب المسيري نظرة أخرى في كتابه: الحمائم والصقور والنعام: دراسة في الإدراك والتحليل السياسي الصادر عام 1996م، حيث يتحدث في هذا الكتاب عن الدور الذي تقوم به دولة إسرائيل للغرب وأن التفوق العسكري الإسرائيلي إنما هو لخدمة أهداف الغرب الذي أراد أن تكون هذه الدولة في هذه المنطقة من العالم لما تحققه له من سيطرة على هذه المنطقة الاستراتيجية من العالم. ويقول في ذلك :" ولكن أهم وظائف الدولة الصهيونية على الإطلاق هو الوظيفة القتالية (لا التجارية أو المالية)، فعائد الدولة الوظيفية الأساسي عائد استراتيجي والسلع أو

الخدمة الأساسية الشاملة التي تنتجها هي القتال: القتال في الدرجة الأولى"(ص122)

ويقدم الدكتور المسيري بعض الأدلة على ذلك من أقوال زعماء هذه الدولة فمن ذلك ما قاله ناحوم جولدمان عام 1947م " إن الدولة الصهيونية سوف تؤسس في فلسطين لا لاعتبارات دينية أو اقتصادية بل لأن فلسطين هي ملتقى الطرق بين أوروبا وأسيا وأفريقيا، ولأنها المركز الحقيقي للقوة السياسية العالمية والمركز العسكري الاستراتيجي للسيطرة على العالم."(ص123) أما المساعدات المالية التي تقدمها الولايات المتحدة الأمريكية للدولة الصهيونية فهي أشبه بتكاليف حاملات الطائرات أو قريباً مما تدفعه أمريكا لمشاركتها في حلف الناتو وقواتها في أوروبا، بل إن الصهاينة يرون أن المبالغ التي تدفعها أمريكا أقل من الخدمة التي تقدمها الدولة العبرية.

مهما كان الأمر حول امتلاك إسرائيل القنابل الذرية والسلاح الاستراتيجي الذي تستمر الدول الغربية في دعمه وتقويته، فإن العالم الإسلامي مطلوب منه أن يدرك هذا الدور تماماً وأن لا يتوقف السعي لامتلاك القوة. أليس هذا ما يفسر الحرب العنيفة التي تشنها أمريكا والغرب عموماً حينما تبدأ أي قوة في المنطقة من الاقتراب من امتلاك السلاح؟ لقد انشغلت وسائل الإعلام العالمية زمناً بعد تجارب الهند النووية بالجهود الغربية بمنع باكستان من إجراء تجاربها النووية.

وأختم بقول الدكتور سامي حبيب (المدينة المنورة 20شوال 1419هـ) "فهل ستظل أمريكا والغرب تلاحق دول المنطقة وإنزال جميع أنواع الخراب العسكري بها لمحاولة مجاراة غيرها في التسليح دفاعاً عن النفس ...أم أن الأولى أن يطبق على إسرائيل ما يطبق على غيرها.." ولعل التقاء مصالح الغرب مع أهداف اليهود العقدية في زعمهم أن لهم الحق في إنشاء دولتهم هو الذي يجعل هذه المعادلة غير العادلة تستمر. هم يطلبون السلام ويتقوون بالسلاح ونحن نطلب السلام ولكن أين السلام

===========

الإسلام و الغرب > الغرب تهديد للإسلام >

يتحدث المتحدثون ويكتب الكاتبون ويحاضر المحاضرون عن أن الإسلام ليس تهديداً للغرب. وكم عقدت من ندوة ومؤتمر للحديث عن التهديد الإسلامي (المزعوم)

للغرب. وقد تنبه قسيس في معهد هارتفورد اللاهوتي بولاية كنديكت بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1990م إلى هذه المسألة بعد انهيار معظم أنظمة الحكم الشمولي الشيوعي في أوروبا الشرقية فكتب مقالة قصيرة يتساءل فيها عمن سيكون الشبح المخيف الجديد (الفزّاعة) التي سوف يتخذها الغرب بعد سقوط الشيوعية. وأشار إلى أن بعض الكتّاب وبخاصة من ذوي الأصول اليهودية جعلوا الإسلام هو التهديد الجديد للغرب، ومن هؤلاء كريس كروتهامر Chris Krauthammer. ولم يكتفوا بجعله خطراً على الغرب وحده فهو خطر عالمي أو كوني (Global)

وقد كتبت في هذا الأمر في جريدة المسلمون بعنوان (لماذا يخوفون الغرب بالإسلام؟) (المسلمون، 4جمادى الآخرة 1410هـ، 21ديسمبر 1990م) وكتبت أيضا بصحيفة سعودي جازيت (بالإنجليزية):" هل الإسلام تهديد للغرب؟" وكثرت المقالات بعد ذلك تتناول هذا الموضوع بصور شتى كما كثرت الندوات والمؤتمرات التي عقدت للبحث في هذه القضية. فمن المقالات ما كتبه فهمي هويدي حول "مخاوف الأمريكيين تجاه الظاهرة الإسلامية وما حدث من خطوات لإقصاء الإسلاميين عن السلطة حتى لو وصلوا إليها عن طريق انتخابات حرة نزيهة مهما كانت الوسائل. (المجلة 1993/12/19م) وما كتبه بعد ذلك عن الاتصالات بين فرنسا وألمانيا للتباحث في شأن الخطر الإسلامي (المجلة 1994/3/27م) ومقالته بعنوان: "12سبباً وراء مخاوف الغرب من الحالة الإسلامية" (المجلة 1994/6/10م). وهناك مقالة بعنوان: "حقيقة ما يقال عن خطر "القنبلة الإسلامية " كتبها علي إبراهيم (الشرق الأوسط 1992/6/17م)

وقد تعجبت وقتها لماذا يهتم عالم لاهوتي نصراني بالدفاع عن الإسلام أو الكتابة متعجباً من اتخاذ الإسلام شبحاً لإخافة الغرب. وقد ظل هذا السؤال يتردد في نفسي منذ تلك الأيام، ولا أزعم أنني وجدت الإجابة الشافية له، ولكنني أريد أن أقدم سؤالاً مقابل سؤال :إذا لم يكن الإسلام تهديداً للغرب فهل الغرب تهديد للإسلام؟

هل الحديث عن التهديد (المزعوم) للإسلام ذريعة لمنع أو إيقاف الحديث عن تهديد الغرب للإسلام؟ إن الغرب أو الشمال النصراني –كما كان يسميه محمود شاكر رحمه الله– لا يزيد تعداده عن عشرين في المئة من سكان الكرة الأرضية ويستهلك

حوالي ثمانين بالمائة من مواردها وثرواتها. هذا الغرب هو الذي ينتج أكبر كمية من السلاح في العالم، ولا تقع حرب في أي بقعة من الأرض حتى تتداعى دول الغرب تبيع السلاح لهذا الطرف أو ذاك وتقف تتفرج على الفريقين وقد تساعد فريقاً على الفريق الآخر إما لإطالة أمد الحرب واستمرار الحاجة للسلاح الغربي أو لأهداف أخرى. وقد سمع العالم وعرف ما سمي بإيران جيت وكونترا جيت وغيرها من الجتات أو الفضائح حتى إن إحدى القنوات الفضائية أعدت برنامجاً اسمه فضائح القرن العشرين. ومن صاحب هذه الفضائح –غالباً– إن لم يكن الغرب؟

وبالرغم من أن الدول الإسلامية تمتلك مخزوناً كبيراً من الثروات الطبيعية وطاقات بشرية هائلة لكن الدول الغربية استطاعت أن تحقق نجاحاً اقتصادياً في استثمار الثروات الطبيعية التي تستوردها بأسعار تتدخل هي في وضعها وتعيد تصديرها إلى العالم كله بأسعار تحددها بنفسها. وهاهي الدول الاسكندنافية التي لا تملك سوى كثافة سكانية محدودة تحقق دخلاً من أعلى المداخيل في العالم حتى إن اسبانيا تحقق دخلاً يساوي مداخيل البلاد العربية مجتمعة، وإن فنلندا التي لا يزيد تعدادها على الخمسة ملايين تحقق دخلاً يزيد عن دخل عدد من الدول العربية.

وتأتي خطورة الغرب في الجانب السياسي فهو لا يرى أن العالم عرف نظاماً سياسياً على مر العصور أفضل من النظام الديمقراطي (رغم النقاش الداخلي حول حقيقة الديمقراطية وتحقيقها للعدل)– صرح بذلك المستشرق برنارد لويس قبل أكثر من خمسين سنة وجاء فوكوياما ليكرر الزعم نفسه – ولذلك فهو يسعى لنشر هذا النظام حتى إن جامعة جورج تاون في واشنطن العاصمة قد أنشأت مؤسسة بعنوان (مؤسسة الديموقراطية والتغيير السياسي في الشرق الأوسط) ورئيسها هو البرفسور دانيال برمبيرج ويعمل فيها ستيفن هايديمان. وتعقد هذه المؤسسة وغيرها من المؤسسات ومراكز البحث العلمي الندوات والمؤتمرات لتنظر في كيفية تصدير الديموقراطية إلى العالم كله. وقد جندت الأمم المتحدة – التي تعمل بإمرة الغرب– أكثر من عشرين ألف جندي للإشراف على الانتخابات في كبموديا– ولم تستمر تلك الديموقراطية إلاّ وقتاً قصيراً .

ولئن كان خطر الغرب واضحاً في المجالات السياسية والاقتصادية فإنه أهم وأخطر في الجوانب الفكرية والثقافية؛ فقد كتب الأستاذ بكر بصفر قبل سنوات (المسلمون، 4شوال 1411 هـ)حينما كان الرئيس الأمريكي جورج بوش يبشر بالنظام العالمي الجديد قائلاً :" لا أدري أين يجد الحالمون بالنظام العالمي الجديد له أثراً وهم يشاهدون تفاقم هيمنة الغرب على العالم بأقماره الصناعية وبوكالات أنبائه وإذاعاته وبقية وسائل إعلامه التي يذيب بواسطتها ثقافات الشعوب ويهيئها للاندماج في المركزية الثقافية الغربية؟" ويقدم الأستاذ بصفر إحصائية لهذه السيطرة فيذكر أن أربع وكالات أنباء غربية تسيطر على 80% من جميع الأخبار التي تبثها وسائل الإعلام في العالم، ويسيطر الغرب على المواد الإعلامية الترفيهية والثقافية كما الأفلام والمسلسلات، فشركة (CBS)التلفزيونية الأمريكية توزع برامجها في 100 دولة بينما تعرض البرامج والأفلام التي تنتجها شركة ABC في 60% من تلفزيونات العالم". وقد اتحدت شركة سي إن إن CNNمع شركة التايمز لتصبح بحق إمبراطورية إخبارية. أما في المجال الإذاعي فتتحكم الدول الغربية في 90% من الموجات الإذاعية....(عن بكر بصفر)

ألا نخشى الغرب وقد أصبح منذ أكثر من مائتي عام مصدر العلوم المختلفة، فقد درس وما زال يدرس أعداد من أبناء هذه الأمة في جامعاته ومراكز بحوثه وهو الذي يعقد المؤتمرات للحديث عن أوضاعنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وعن أدبنا وعن الفلكلور وغير ذلك.

ليس المقصود بالحديث عن تهديد الغرب للإسلام والعالم أن يصيبنا الخوف والجبن والهلع من هذا الغرب فما كان المسلم ليخاف أحداً إلاّ الله كما علّمنا القرآن الكريم {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً} فمن هذا المنطلق لا يمكن للمسلم الحق مهما كانت قوة الغرب وجبروته وسطوته أن يخشاه. ولكننا نقول كفوا عن التخويف من ظاهرة عودة الأمة الإسلامية إلى دينها فقد كان الاحتلال الفرنسي في الجزائر يخوّف دائماً من ظاهرة الصحوة الإسلامية والعودة إلى الإسلام، ويتهم الذين يدعون إلى العودة إلى الإسلام بأنهم دعاة إلى ما يسمى (كراهية الأجنبي Xenophobia وكانت التقارير الأمنية لرجال الشرطة الفرنسيين

تبدأ دائماً بالحديث عن الحركة الإصلاحية الإسلامية ومنها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قبل أن تتحدث عن الحركات التي كان يطلق عليها النضالية أو التحررية وهي تنطلق من الفكر الغربي لأنها كانت تخشى الإسلام. وقد كتب ابن باديس – العالم الجزائري رحمه الله– قائلاً : "نهضنا نهضة لا يخشاها والله النصراني لنصرانيته ولا اليهودي ليهوديته ولكن يخشاها الظالم لظلمه والمغتصب ..."

فالتهديد الحقيقي هو الصادر من الغرب الذي أسس الشركات المتعددة الجنسيات، وقدم الخبرات، وأنشأ مؤسسات الاستخبارات الضخمة جداً ذات الأيادي الطويلة وما خبر كتاب " لعبة الأمم" لمايلز كوبلاند عنّا ببعيد. ومن الأمثلة على ما تفعله بعض الشركات المتعددة الجنسيات في الشعوب الإسلامية بخاصة والشعوب الأسيوية والأفريقية بعامة ما كتبه خالد الحروب (الحياة في 26رجب 1417هـ) عن شركة شل وما حققته من أرباح من نشاطاتها البترولية في نيجيريا وبخاصة الواقعة في أراضي قبائل الأوغون .

كما تناول خالد الحروب ما حدث في كولومبيا من قبل شركة بريتش بتروليوم التي اكتشفت حقلاً نفطياً غنياً من أغنى حقول العالم ويقول حروب:" ثم ... بدأ النهب وجاءت السياسة تبارك رأس المال فزار جون ميجور منشآت الشركة برفقة الرئيس الكولومبي عام 1992 والناس ينتظرون وعود الازدهار وخيرات النفط..." وكانت النتيجة أن أصبحت الشركة متعاونة مع قوات تلك الدولة لقمع العمال والشعب الكولومبي..."

وما زلت أذكر برنامج (الرأي الآخر) حول الشركات متعددة الجنسيات حيث كان أحد المتحدثين وهو النائب العمّالي البريطاني جورج جالاوي George Galloway ينتقد الشركات المتعددة الجنسيات بأنها إذا دخلت بلداً عاثت باقتصاده وغيرت أنماط حياته وسلوكه الاجتماعي، وأصبح الغني أكثر غنى والفقير أكثر فقراً. والنتيجة النهائية أن تخرج هذه الشركات بأكبر قدر من الأرباح بينما لا يستفيد البلد المضيف الاستفادة الحقيقية. وبلغت الجرأة في هذه الشركات المتعددة الجنسيات أن تدخل بلداً ما فتضع علامتها على بعض البضائع المنتجة في تلك الدولة وترفع سعرها، و تزعم أن تلك السلعة هي الأفضل لأنها تحظى باسم تلك الشركة. والمثال على ذلك ما

تفعله نستلة وكوكاكولا من تعبئة المياه في السعودية وفي مصر وتضعان اسميهما على تلك القوارير. فهل عجزنا عن تعبئة مياهنا تعبئة صحيحة. إنني شخصياً أرفض شراء تلك العبوات لأنني أرى أن اقتصاد بلادنا أولى بالمال من تلك الشركات العملاقة.

وأعترف أن مثل هذا الموضوع يحتاج إلى بحث أكاديمي موسع ولكني سأقدم فيما يأتي ملخصاً لبعض المقالات التي نشرت في بعض الصحف والمجلات العربية حول هذا الموضوع ويؤيد أن الغرب هو التهديد الحقيقي للإسلام وللعالم أجمع .

ففي مجال الثقافة والفن كتبت مجلة الشرق الأوسط (27مايو –2يونيو1992م) عن الإنتاج السينمائي المشترك تحت عنوان (من يدفع لمن في الإنتاج المشترك؟). وهو الذي تقوم فيه مؤسسات غربية وبخاصة الفرنسية بدفع مبالغ لإنتاج أفلام بين بلدين وقد ظهرت مجموعة من الأفلام في مصر وتونس والجزائر والمغرب ولبنان بتمويل فرنسي. وجاء في المقال –وهو غني عن التعليق– ما يأتي :" واجه [الإنتاج المشترك] بهجوم شديد وصل في بعض الأحيان إلى اتهام المخرج بالعمالة والخيانة على المستوى الثقافي والخضوع للأفكار المغرضة التي يفرضها الطرف الفرنسي(القوي) على الطرف العربي الضعيف والمضطر لقبول شروط الممول.."

وقد ذكر المقال مثال فيلم (وداعاً بونابرت) الذي كان النقد الموجه إليه أنه "تحريف للتاريخ الحقيقي لحملة نابليون والمقاومة التي قابلتها من جانب المصريين لحساب إبراز الدور "الحضاري" الفرنسي المزعوم"

ومن الخطر الأوروبي الحقيقي ما حدث للمسلمين في البوسنة وفي الشيشان. ففي الوقت الذي كان الصرب ومن معهم من شعوب أوروبا –بدعم صريح وواضح – يرتكبون المجازر التي راح ضحيتها مئات الألوف من المسلمين يتداعى العالم كله لاستنكار مقتل عدد من اليهود في فلسطين. وقد ظهر في الأوروبيين من يعترض على ما فعله الغرب بهذا كاتب بريطاني قد أصدر كتاباً بعنوان(الجيب الآمن :سربيرينتسا: أبشع مذبحة عرفتها أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية) وفي هذا الكتاب يوضح حجم المجازر التي ارتكبت من قبل الصرب وسكوت الغرب بل ومعونته للمجرمين (الشرق الأوسط ، 1997/9/7م)

وفي الشيشان كانت الطائرات الروسية تقصف جروزني بعنف ووحشية بينما أموال صندوق النقد الدولي تتدفق على روسيا بآلاف الملايين من الدولارات. وكل ذلك حتى لا ينال الشيشان استقلالهم بينما وقف الغرب كله خلف أستونيا ولاتفيا وليثوانيا حتى نالت استقلالها.

وللغرب خطر كبير منذ امتيازات القناصل في الدولة العثمانية التي كانت تقوم بحماية عدد من أبناء الدولة العثمانية حتى إن العلماء في المغرب أصدروا فتوى بأن الذي يقبل الحماية الأجنبية (يرضى بالقوانين الغربية ويرفض الشريعة الإسلامية، أفتوا بكفره) وقد استمر هذا النفوذ في صور أخرى ومنها إنشاء مراكز البحوث والمعاهد الأجنبية في العالم الإسلامي ومن هذه المراكز -على سبيل المثال- مركز ابن خلدون الإنمائي – الذي كتب عنه الدكتور محمد عبد العليم مرسي قائلاً:" وهناك صنف من الباحثين العرب يضعون أنفسهم في خدمة هذه المراكز ويؤدون لها دور حصان طروادة، عن جهل وسذاجة حيناً، وعن قصد وسوء نية بل عمالة مكشوفة أحياناً أخرى.."(المسلمون 9ذو الحجة 1414هـ)وقد دعا معهد الولايات المتحدة للسلام مدير هذا المركز ليعد بحثاً حول "الأصولية" الإسلامية، وقد كنت في زيارة لهذا المعهد فذكرت لهم كيف تتوقعون دراسة موضوعية من باحث متحيز ومتعصب ضد كل ما هو إسلامي. إن أردتم أن تعرفوا الحركات الإسلامية حقيقة فلديكم باحثون معتدلون كثر في العالم الإسلامي.

وأختم بخبر أوردته وكالات الأنباء وفيه أن الاتحاد الأوروبي قد قرر في آخر اجتماعاته في لكسمورج عدم الموافقة على طلب تركيا الانضمام للاتحاد الأوروبي. فهذه تركيا تحاول منذ سبعين سنة الانضمام لأوروبا ولكن يبدو أن المجموعة الأوروبية لا تريد تركيا، وأن على تركيا أن تتجه إلى الشرق أي إلى العالم الإسلامي وأن تركيا مهما حاولت عليها أن تعرف هويتها الحقيقية. وقد كان رد الفعل التركي قوياً ونرجو أن يتخذوا الخطوات العملية للاتجاه إلى العالم الإسلامي فهم منه وإليه. والحقيقة أن هذه الخطوات قد بدأت في عهد رئيس الوزارء- مدة قصيرة- نجم الدين أربكان حيث كوّن منظمة الدول الإسلامية الكبرى الثمان، وبدأ يتجه شرقاً ومن المؤمل أن الحكومة الحالية (عام 2004م) برئاسة رجب أردوغان ستواصل هذا

الخط، ومع ذلك فهي مصر على الالتحاق بالاتحاد الأوروبي ولعل لهم أهدافاً يريدون تحقيقها من هذا الاتحاد فإن كان ذلك في صالح الإسلام والمسلمين فنسأل الله أن يوفقهم في ذلك.{والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

=======

الإسلام و الغرب > السينما الأمريكية تعادي المسلمين >

لا تفتأ السينما الأمريكية تقدم الفيلم تلو الفيلم لذي يقدم صورة مشوهة للعرب والمسلمين، ونحن نلجأ في كثير من الأحيان إلى الاحتجاج والاعتراض على هذه الأفلام، وإن كان الجهد المقابل في إنتاج أفلام تقدم تصويراً جيداً للعرب والمسلمين ما زال محدوداً، ولكنه يبشر بخير ويحتاج إلى كثير من الدعم والتشجيع وبخاصة من أصحاب رؤوس الأموال العربية الذين وسّع الله عليهم في الرزق.

وقبل أشهر أعلن عن عرض فيلم (الحصار) فقامت قناة (اقرأ) الفضائية بتقديم حلقة متميزة حلقة في برنامجها الناجح (مدارات الأحداث) بعنوان : (هوليوود .. وصورة العرب والمسلمين) يوم الخميس 23رجب 1419هـ. وقد بذل المعدّان للبرنامج الدكتور عبد القادر طاش(مقدم البرنامج أيضاً)، والأستاذ عبد العزيز قاسم جهداً واضحاً في إعداد محاور البرنامج، فهذه المحاور تحتاج إلى عدة حلقات أو سلسلة من الندوات.

وقد تضمن البرنامج حوارات مع كل من الأستاذ صلاح الدين الحافظ نائب رئيس تحرير جريدة الأهرام، الذي تحدث عن التشويه المتعمد في الإعلام الغربي لصورة العرب والمسلمين. وتحدث الناقد السينمائي الأستاذ أحمد بهجت عن تاريخ هوليود في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وقد اختلف الدكتور أسامة قفاش عن سابقيه بأن أشار إلى أننا يجب أن نبحث أيضاً في إيجابيات الفيلم رغم طغيان السلبيات على الفيلم. أما المخرج السينمائي العالمي الأستاذ صلاح العقاد فقد سأله الدكتور عبد القادر طاش عن مشروعاته لمواجهة هذه الصورة فذكر من ذلك عزمه منذ سنوات على تقديم فيلم عن البطل صلاح الدين الأيوبي، ولكنه يواجه دائماً عزوفاً من أثرياء العالم العربي عن تمويل مثل هذا الفيلم.

ولدى سؤاله عن مشروع مدينة عربية للسينما ذكر أن الهدف الأساس من إنشاء هذه المدينة – وقد ذكر أنه لا يريد تسميتها مدينة حتى لا يتخوف البعض من ذلك– هو هدف اقتصادي في المقام الأول، وذكر أنه حينما أنتج فيلم الرسالة وفيلم عمر المختار اضطر إلى استئجار الكثير من الأدوات والمعدات كما أن الديكورات التي صنعها في أماكن مستأجرة اضطر إلى هدمها بعد انتهاء تصوير الفيلم، ولو كان يملك المكان الذي صنع فيه تلك الديكورات لاستطاع أن يخرج عدداً من الأفلام بتكلفة أقل. ولكن أحد المشاركين في البرنامج من الأستوديو أشار إلى أن امتلاك العرب لمكان للإنتاج السينمائي يمكنهم من التحكم في نوعية الأفلام التي تنتج، فيمكننا أن ننافس هوليوود بإنتاج أفلام تتميز بتمسكها بالقيم والأخلاق الإسلامية وتبتعد عن الرذيلة والعنف والجنس التي تتميز بها أفلام هوليوود.

وتضمن البرنامج لقاءً مطولاً مع الأستاذ نهاد عوض من المجلس الأمريكي الإسلامي، وما قام به المجلس منذ أن عرف عن تصوير الفيلم ومحاولاته التدخل لإجراء بعض التعديلات على السيناريو، لإبعاد كل ما يمكن أن يكون فيه تشويه لصورة العرب والمسلمين وتكريس الصورة النمطية للعربي المسلم، ولكن الشركة المنتجة للفيلم أبت الاستجابة. وهنا بدأ المجلس في خطة محكمة لمقاومة التشويه الذي يمكن أن يحدثه الفيلم بتوزيع نشرات تحمل معلومات عن الإسلام والمسلمين وما احتواه الفيلم من تشويه كما قدمت الدعوات للأمريكيين لزيارة المساجد والمراكز الإسلامية للتعرف على المسلمين عن قرب وأنهم ليسوا كما يصورهم الفيلم.

ولهذه الخطة أصل في الدعوة الإسلامية فإنه يعجبني أن أذكر ما قاله جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي حينما سأله عن الإسلام فقال (كنّا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف. فكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات ...وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام...." فهل نزيل جهل

الأمريكيين بالإسلام بمثل هذه الرسالة الواضحة، وكذلك من خلال السلوك الإسلامي الذي كان له الأثر الكبير في إقبال شعوب بأكملها للدخول في الإسلام.

وهنا أود أن أشيد بالسيدة أودري شبّاز Audrey Shappaz التي تعمل في مؤسسة قامت بتأسيسها في منطقة سان فرانسسكو لتدريب أساتذة العلوم الاجتماعية في المدارس المتوسطة والثانوية في طرق تدريس هذه المواد فيما يخص العالم العربي والإسلامي. وقد عقدت العديد من الدورات كما قامت بعمل رحلات تثقيفية لهؤلاء إلى منطقة (دار الإسلام) في ولاية نيومكسيكو.

كما أود الإشارة إلى الجهود التي تبذلها اللجنة العربية الأمريكية لمكافحة التمييز التي تستحق منّا كل الدعم والمساندة لما تقوم به من دور إيجابي في الدفاع عن قضايا العرب الأمريكيين، وليتها لا تختص بالعرب وحدهم فالمسلمون من العرب هم الأكثرية وليت بعض الجمعيات الإسلامية هناك تشارك أكثر في نشاطات هذه اللجنة، وقد أكد لي هذا الغياب أحد مسؤولي المجلس الإسلامي الأمريكي وكنت أود لو ذكر لي الأسباب وهل يسعون إلى التغلب عليها.

وقد ظهرت العديد من الكتابات حول فيلم الحصار، وقد أعجبني ما كتبه الأستاذ سليمان الهتلان (الرياض 12شعبان 1419هـ) حيث انتقد بعض ردود الأفعال العربية على الفيلم دون معرفة الفيلم ومشاهدته وتفهم "ثقافة هوليوود المعقدة"، وأشار إلى أن الاحتجاجات العربية أسهمت في أن كسب الفيلم مزيداً من الأضواء الإعلامية التي يبحث عنها أي منتج سينمائي. ولكنه ذكر في ختام مقالته بعض الاقتراحات للرد على مثل هذه الأفلام حيث يقول: " والسبيل الوحيد لتجميل الوجه العربي يأتي أولاً عبر تصحيح أوضاع العرب والمسلمين أنفسهم، بالمساهمة الفاعلة في الإنتاج الأكاديمي والفكري والفني بدلاً من تسخير كل الجهود من اجل ردود أفعال عاطفية ومتسرعة ومتشنجة أحياناً من غير قراءة واعية وقدرة علمية على فهم وتحليل الواقع الثقافي والاجتماعي لبلد كبير كالولايات المتحدة..."

كما أود الإشارة إلى ما نقلته صحيفة الشرق الأوسط(24رجب 1419هـ) عن الكاتبة شارون واكسمان من صحيفة هيرالد تريبيون بأنه لو كان سيناريو الفيلم مختلفاً بأن كان الإرهابيون "يهوداً" أو "نصارى" يمكن،- قبل كل شيء- أن تقوم هوليوود

بتصويرهم على هذا النحو؟" وتساءل كاتب الشرق الأوسط: لماذا اقتصرت ردود أفعال المنظمات العربية والإسلامية في الولايات المتحدة على هذا النوع من التشويه النمطي المنظم للشخصية العربية والإسلامية على التظاهرات والاحتجاجات؟ لماذا لم تلجأ هذه المنظمات إلى القضاء كما تفعل المنظمات اليهودية إزاء ما كان يظهر من إساءات لليهود اعتمدت أسلوب الصورة النمطية الذي أطلقت عليه مصطلح نزعة معاداة السامية؟

ولعل الوقت مازال مبكراً للبدء في إجراءات من هذا القبيل من المنظمات العربية الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية. وهل السؤال الذي يمكن أن نقدمه هو ما دور الفرد المسلم العربي العادي في الولايات المتحدة من مثل هذه الأفلام التي لا بد ستنعكس على تعامل الآخرين معه؟ لماذا لا يمسك بالقلم أو الهاتف أو بالبريد الإلكتروني فيبعث برسالة احتجاج إلى المسؤولين عن إنتاج هذا الفيلم؟ وأيضاً أليست الدول العربية الإسلامية معنية بمثل هذا الفيلم فتقدم الدعم والمساندة للمؤسسات الإسلامية التي تعمل في الولايات المتحدة؟ ألا يمكن أن تبعث سفارات الدول العربية والإسلامية التي يزيد عددها على خمسين سفارة برسائل احتجاج لشركة (فوكس القرن العشرين)؟

ومن الذين كتبوا عن فيلم الحصار الدكتور سامي حبيب في مقالته الأسبوعية بهذه الجريدة (9شعبان 1419هـ)، وقدم بعض الاقتراحات العملية ومنها التوعية العالمية المضادة من خلال افتتاح موقع في الإنترنت لتفنيد مفتريات الفيلم، وثانياً المقاطعة الاقتصادية للشركة المنتجة لهذا الفيلم، وثالثاً رفع دعوى قضائية ضد منتجي الفيلم.

وهذه الاقتراحات يمكن أن نقول بأنها الرد على المدى القصير، ولكننا نحتاج إلى التخطيط للمدى الطويل، ومن ذلك أننا بحاجة لفهم العقلية الغربية التي أنتجت هذا الفيلم ولا يتم ذلك إلاّ من خلال افتتاح أقسام للدراسات الأوروبية والأمريكية بحيث ندرس الغرب (عموماً) من النواحي العقدية والتاريخية والاجتماعية والسياسية وندرسهم من خلال الدراسة الإقليمية أو دراسة المناطق بحيث نستطيع قادرين على فهمهم فهماً صحيحاً.

كما أننا بحاجة إلى تطوير صناعة السينما العربية الإسلامية، فنركز على الموضوعات التي تبرز مبادئ الإسلام وقيمه وأخلاقه وتراثه وأعلامه. هل يكفي أن يعرف العالم عمر المختار رحمه الله تعالى من خلال فيلم واحد ونحن الذين يزخر تاريخنا بالعظماء والأبطال؟ ولعل شبكة الإنترنت تتيح لنا من الفرص ما لم يتح لنا من قبل في وسائل الإعلام الأخرى فلا يتأخر المسلمون عن استخدام هذه الوسيلة في الكتابة في كل الموضوعات، فلا يكفي أن يكون للمسلمين حديث عن الإسلام في المواقع التي تضم كلمة إسلام فإننا مطالبون أن تكون لنا مواقع في السينما، وفي علم الاجتماع، وفي كل جوانب الحياة فأين السينما العربية الإسلامية؟ وأين مواقعنا على الإنترنت

============

الإسلام و الغرب > أهكذا يكون رد الجميل يا فرنسا؟! >

يقولون لماذا تستعدون الغرب على الإسلام، ما هذه الكتابات التي لا هم لها إلاّ الحديث عن عداء الغرب للإسلام والمسلمين؟ ونسأل هؤلاء هل يقرؤون الصحف الغربية؟ هل يتابعون قضايا المسلمين في العالم الغربي؟ فإذا كانوا لا يقرأون الصحف الغربية، ولا يعرفون كيف يعامل المسلمون في العالم الغربي فها هي مقالة الأستاذ فهمي هويدي في مجلة المجلة (العدد 791في9-15/4/1995م) تتناول موضوع الإسلام والمسلمين في فرنسا، وقد أوضع فيها مدى العنت والمشقة والحقد التي يواجهه المسلمون في هذا البلد الأوروبي المتحضر المتقدم.

وفيما يأتي إيجاز لبعض ما ذكره الأستاذ فهمي هويدي:

المسكين عمر: قُتِلَت امرأة فرنسية ووجدت الشرطة على جدار حديقة بيتها اسم عمر مكتوباً بالدم، فعدت هذا دليلاً على ارتكابه للجريمة، ولم تجد دليلاً سوى ذلك. وضرب القضاء الفرنسي عرض الحائط بكل معايير الحق والعدل وحقوق الإنسان فأدان عمر. ولكنه لم يدنه إلاّ لأنه مسلم. وليس عمر وحده المظلوم في سجون الغرب؛ فقد سبقه سيد نصير، وسرحان بشارة سرحان وآخرون كثيرون وبخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر واستصدار الحكومة الأمريكية القوانين المختلفة التي جعلتها أشبه بدولة من دول العالم الثالث في فزعها الأمني. ومع ذلك فكم في

شوارع الغرب من قتلة أُطْلِق سراحهم لأنهم غير مسلمين وغير عرب، ولأن العدل ليس للجميع عند القوم فسيرون مزيداً من القتل والجريمة.

الحجاب والمدارس الإسلامية

وتلك قضية عجيبة حجاب امرأة أو اثنتين أو ثلاثة أو ثلاثة آلاف يهدد مجتمع فرنسا. ألا يهدد حجاب الراهبات النصرانيات فرنسا أيضا؟ ما ذا لو استيقظت فرنسا يوماً فوجدت أن كل المسلمات في فرنسا قد تحجبن وبخاصة اللاتي يتمتعن بالحصانة الدبلوماسية، فهل ستطردهن جميعاً؟ ماذا لو امتنعت كل البعثات الدبلوماسية عن المشاركة في المظاهر غير الإسلامية التي تشهدها فرنسا؟ هل سيطرد الفرنسيون كل هؤلاء؟

أما المدارس فكيف تسمح فرنسا لنفسها أن تأخذ من المسلمين المقيمين فيها إقامة شرعية الضرائب ثم لا تسمح لهم بإقامة مدارس خاصة لأبنائهم في حين أنها تسمح بفتح مدارس لأبناء اليهود والكاثوليك؟ فأي عدل هذا ؟ وأي مساواة هذه؟

إن فرنسا التي تقف هذا الموقف تنسى أو تتناسى أو تتجاهل أنها احتلت الجزائر حوالي مئة وثلاثين سنة، واحتلت تونس نيفا وسبعين سنة، والمغرب قريبا من خمسين سنة، بالإضافة إلى احتلالها كثير من البلاد المسلمة في أفريقيا. فكم فرنسي أقام في هذه البلاد؟ كم عدد الملايين الفرنسيين أو الأوروبيين الذين أقاموا في هذه البلاد نعموا بخيراتها، وعلموا أبناءهم في هذه البلاد وبأموال المسلمين، حتى إذا عمل الفرنسي في وظيفة مماثلة لوظيفة يعمل فيها ابن البلد المحتل نال الفرنسي مكافئة التغرب التي تصل إلى خمسة وعشرين في المئة.

ولما احتاجت فرنسا إلى اليد العاملة المسلمة، وإلى المقاتلين المسلمين فكم مليون مسلم خدموا في فرنسا يشغلون مصانعها ويديرون أعمالها، وكم مليون مسلم حمل السلاح للدفاع عن حدود فرنسا(وشرف فرنسا)؟

ولمّا حصلت البلاد الإسلامية على الاستقلال كم من الملايين أنفقها المسلمون لشراء البضائع الفرنسية التي أخذت خاماتها من البلاد الإسلامية؟ هل يخلو بلد مسلم من الأسلحة الفرنسية، أو السيارات الفرنسية، أو الملابس الفرنسية، أو العطور الفرنسية.

ومتى خلت شوارع مدن فرنسا وبخاصة شاطئها اللازوردي من السائحين العرب المسلمين الذين ينفقون بسخاء؟ أو المقيمين هناك بأموال أمتهم؟

أهكذا يكون رد الجميل يا فرنسا؟ أبناء المسلمين فتحت لهم فرنسا عشرات المدارس مثل (الليسيه، والجوزويت، وغيرهما) ليتعلموا بالفرنسية، ويرطنوا بالفرنسية وينسوا لغة آبائهم وأجدادهم، وقبل ذلك لغة قرآنهم ودينهم، وردد هؤلاء التلاميذ مع أساتذتهم: (بلادي هي بلاد الغال، والغال أجدادي) وعرفوا عن الثورة الفرنسية اكثر مما عرفوا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم. ودرّست بعض جامعاتنا باللغة الفرنسية، وافتتحت قبل سنوات جامعة سنجور لتكون الدراسة فيها بالفرنسية. أهكذا يكون رد الجميل يا فرنسا؟

ورغم أن نداء الأستاذ فهمي هويدي (لماذا يقف العالم الإسلامي متفرجاً وساكتاً على ما يحدث للمسلمين في فرنسا؟) يحتاج إلى من يستجيب له وبسرعة، لكننا نرى أيضا مع التحقيق والمقابلات التي أجرتها "المسلمون" (العدد 532 في 1415/11/14هـ)، أن الإسلام سيثبت جذوره في فرنسا أكثر فأكثر تصديقاً لموعود الله عز وجل الذي جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لن يبقى بيت حجر ولا مذر إلاّ وفيه شيء من لا إله إلاّ الله. فسيبقى الإسلام في فرنسا بإذن الله، ويزداد عدد المسلمين، وسينالون حقوقهم رضي من رضي كره من كره.(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

============

الإسلام و الغرب > الغرب يخوض حرباً ضد عدو اسمه الإسلام بعد أن قضى على الشيوعية >

الغرب يخوض حرباً ضد عدو اسمه الإسلام بعد أن قضى على الشيوعية(*)

عمر نجيب

حتى نهاية عقد الثمانينيات كان العدو الرئيسي المعلن للغرب هو النظام الشيوعي والقومية العربية، وفي الدول التي اتبعت الشيوعية مذهباً للحكم كانت الرأسمالية هي الخصم الأساسي، بينما اعتبرت القومية العربية فكراً رجعياً لا يتناسب مع العصر. وقد حارب الغرب بشراسة الشيوعية والقومية العربية فلم ينجح في إضعاف الأولى

حتى جاء غورباتشوف إلى السلطة في الكرملين، بينما استطاع إضعاف الثانية على مراحل بعد تفكيك الوحدة السورية المصرية، ثم نكسة 1967م وما تبعها من تكريس الجهود والتآمر من أجل اختلاق الخلافات بين الأقطار العربية، واصطناع النزاعات بين حكامها، واستبعاد كل فرص التكامل الاقتصادي بينها. ولكن هذه المعطيات تبدلت بعد انهيار الاتحاد السوفييتي ومعه كل المنظومة الاشتراكية في شرق أوربا، ولم يعد الغرب حتى ينظر إلى العملاق الصيني على أنه تهديد من منطلق أيديولوجي بل من منطلق قومي، كما قدر أنه قد نجح في إضعاف الفكر القومي العربي على الساحة بشكل شبه كامل، غير أن المخططين لديه يحذرون من إمكانية إحيائه إذا توفرت ظروف ملائمة.هـ

والآن والعالم على أبواب الألفية الثالثة برز عدو جديد للقوى العالمية المصنفة في الصفوف الأولى وهذا العدو هو الإسلام، أو كما يقال في بعض الأوساط بالتطرف الإسلامي.هـ

تحد مرعب:

يوم الخميس 30 أيلول (سبتمبر) 1999م قال كاردينال بول بوبارد أحد المقربين من البابا يوحنا بولس الثاني: "إن الإسلام يشكل تحدياً مرعباً بالنسبة للغرب، ومشكلاً خطيراً بالنسبة للأمل المسيحي"، معترفاً في الوقت ذاته بأن "لا علاقة للإسلام بالتطرف الإسلامي".هـ

وأوضح بوبارد وهو رئيس "المجلس الحبري للثقافة" في حوار أجرته معه صحيفة (لوفيغارو): "أن هذا التحدي يتمثل في كون الإسلام ديناً وثقافة ومجتمعاً ونمطاً للعيش والتفكير والممارسة" مشيراً إلى "أنه أمر حاصل وإلى أن الواقع برهن على أن الإسلام لم يتغير".هـ

وأضاف: "أن العديد من المسيحيين الأوربيين وأمام تزايد ضغط المجتمع ونمط العيش وعوامل داخلية أخرى يأملون في تهميش الكنيسة وينسون الصوم الكبير وعذاب النار ويهتمون في المقابل بل وينبهرون برمضان..".هـ

ودعا الكاردينال الذي قال إنه لا يخشى أن تستغل تصريحاته هذه من طرف الخصوم "إلى الوعي أكثر بالحضور المتزايد للإسلام في القارة الأوربية التي أضحت

الحدود فيها هشة وأكثر نفاذية".هو في تعليقه على الحوار الإسلامي المسيحي أوضح أنه "بصفته رئيس المجلس الحبري للثقافة كان له مؤخراً شرف التلبية لدعوتين من المغرب وتونس والدخول في حوار صريح مع محاوريه بهذين البلدين".هـ

وخلص الكاردينال بوبارد الذي صدر له مؤخراً كتاب بعنوان "المسيحية في أفق الألفية الثالثة" إلى أن "الحوار ضروري بالنسبة للجميع ومن شأنه المساهمة في إسقاط الأحكام المسبقة".هـ

بعد ذلك ويوم الأربعاء 13 أكتوبر 1999م حذر أسقف أزمير الكاثوليكي المونسينيور جوزيبي برنارديني من مخاطر "فتح إسلامي جديد" لأوربا وذلك في مداخلة ألقاها أمام مجمع أساقفة في الفاتيكان حول أوربا نشرت في روما.هوعدد الأسقف الإيطالي الأصل أمام الحبر الأعظم والأساقفة الآخرين في المجمع سلسلة مراحل تؤكد برأيه العزم على إعادة فتح أوربا.هوقال إن العالم الإسلامي سبق أن بدأ يبسط "سيطرته" بفضل دولارات النفط، وأضاف إن "هذه الدولارات لا تستخدم لخلق فرص عمل في الدول الفقيرة في أفريقيا الشمالية أو في الشرق الأوسط بل لبناء مساجد ومراكز ثقافية للمسلمين المهاجرين إلى دول مسيحية بما في ذلك روما عاصمة المسيحية".هوتساءل: "كيف يمكننا أن لا نرى في كل ذلك برنامجاً واضحاً للتوسع والفتح الجديد؟".هـ

وأكد الأسقف برناديني أن "كلمات الحوار والعدل والمعاملة بالمثل أو مفاهيم مثل حقوق الإنسان والديموقراطية تتضمن في الإسلام معاني تختلف تماماً عن مفهومنا لها".هوأضاف إن ذلك قد يجعل من الحوار بين المسيحيين والمسلمين "حوار طرشان".هوتابع إن "الجميع يدرك أنه يجب التمييز بين الأقلية المتعصبة والأكثرية الهادئة والمعتدلة، لكن علينا ألا ننسى بأن الأكثرية ستقف وقفة الرجل الواحد وستستجيب دون تردد لأوامر تصدر باسم الله أو القرآن".هـ

وطلب برناديني من البابا السماح بتنظيم ندوة تكلف بـ "دراسة مشكلة المهاجرين المسلمين في الدول المسيحية بعمق، وإيجاد استراتيجية مشتركة للبحث فيها وتسويتها بطريقة مسيحية وموضوعية".هوأكد أسقف تورنتو الإيطالي المونسينيور لويدج بابا

خلال مؤتمر صحافي حول المجمع أن الكثير من الكاثوليك يشاطرون رأي برناrديني وأنه من الضروري أن تطلق الكنيسة حواراً.هـ

يوم الأحد 26 سبتمبر 1999م وجه رئيس الجبهة الوطنية اليمينية في فرنسا جون ماري لوبن في كلمة بمناسبة استئنافه النشاط السياسي تحذيراً من الإسلام، وأعلن أن حزبه سيعقد مؤتمراً في "ربيع العام ألفين". وقال لوبن إن "الغالبية العظمى من المسلمين في فرنسا تجهل الاندماج أو ترفضه، وأنها تتأثر ربما بنفوذ بعض الدول أو الحركات الأجنبية التي نعرف أنها لا تتردد في القيام بعمل إرهابي أو سلوك وحشي".وأضاف رئيس الجبهة الوطنية "الأمر لا يتعلق بمنع تحرك هؤلاء الرجال بل بمراقبتهم لمنع الاستيطان الديموغرافي: كل شعب في بلده وكل دين في دائرته الجغرافية".هـ

ويواجه لوبن داخل قيادة حركته نزاعاً بين تيار يدعو إلى إطلاق حملة جديدة ضد الهجرة، وآخر توصل إلى استنتاج بأن فرنسا أصبحت "بلداً متعدد الأديان"، وكان متخصصون أشاروا إلى أنه بمعدلات النمو الديموغرافي الحالية والمنتظرة في فرنسا سيشكل المسلمون أكثر من 50% من السكان حوالي سنة 2050.هـ

واعتبر لوبن أن فرنسا "يجب أن تعالج بشكل عاجل مشكلة حوض المتوسط الهائلة بكاملها".هـ

ومضى يقول: "عندما تكون الأجراس في الشمال والمساجد في الجنوب تصبح الأمور واضحة والتوجه أفضل وتختفي التوترات ويستتب الأمن".هـ

قنبلة القوقاز الموقوتة:هـ

قبل ذلك ويوم الجمعة 1 أكتوبر 1999 أنشأت الدول الاثنتا عشرة الأعضاء في مجموعة الدول المستقلة مركزاً لمكافحة الإرهاب من أجل التنسيق في محاربة المتمردين الإسلاميين الناشطين في روسيا وفي عدة جمهوريات سوفييتية سابقة.هفقد أعلن وزير الداخلية الروسي فلاديمير روشايلو في مؤتمر صحافي "لقد أنشأنا بنية مؤقتة ستكلف بمسائل التنظيم والتنسيق وسبل مكافحة الإرهاب على أراضي دول المجموعة المستقلة".هوفضلاً عن الوزير الروسي وقع الوثيقة وزراء داخلية أوكرانيا وجورجيا وأذربيجان وأرمينيا وكازاخستان وقرغيرستان وأوزبكستان ومولدافيا

وبيلاروس، الذين اجتمعوا في كييف لإعداد استراتيجية مشتركة لمكافحة الإرهاب.هوأكد روشايلو "لدينا نفس المواقف في ما يتعلق بمكافحة الإرهاب" مضيفاً أن "البنية" الدقيقة لمركز مكافحة الإرهاب لم تحدد بعد.هوقد جاء تشكيل هذه الوحدة بعد أن حذر محللون بروسيا في تقرير رفع إلى الكرملين يوم الاثنين 30 أغسطس من أن المجموعات المسلحة من التيار الوهابي وغيره من التيارات الإسلامية تمثل تهديداً يتزايد خطراً على استقرار منطقة القوقاز وآسيا الوسطى كما أكدت ذلك حركات الثورة التي شهدتها وتشهدها جمهورية داغستان وقرغيزستان.ه

وبدأت كل من أوزبكستان وطاجيكستان وكازاخستان وقرغيزستان حرباً مفتوحة على الإسلاميين وتم اعتقال المئات وحكم على العديد منهم بالسجن كما جرى إبعاد عدد من "شيوخ الدعوة" الأجانب من باكستانيين وسودانيين وأردنيين وسعوديين.ه

وقد كان على موسكو أن تشن حرباً شاملة على مدى أسبوعين لكي تستعيد القرى الداغستانية وتبعد المقاتلين الإسلاميين.ه

وتكرر السيناريو نفسة في قرغيزستان مع تسلل عناصر من مئات الإسلاميين المسلحين قدموا من طاجيكستان المجاورة.هومعظم هؤلاء الإسلاميين من الأوزبك الذين قاتلوا إلى جانب الإسلاميين في الحرب الأهلية في طاجيكستان عام 1992، واستمروا هناك غير خاضعين لأي سلطة يتزعمهم جمعة نامانغاني الذي قاتل في طاجيكستان وقبلها في أفغانستان في صفوف حركة طالبان.هواعتبر وزراء خارجية ودفاع كازاخستان وأوزبكستان وطاجيكستان وقرغيزستان الذين التقوا في بيشيكك عاصمة قرغيزستان أن هذه المجموعات المسلحة باتت تشكل "تهديداً لجميع دول المنطقة".ه

وتتألف هذه المجموعات من قدامى المقاتلين المحترفين في حرب أفغانستان يضاف إليهم عدد من الشبان الذين وقفت الأوضاع الاقتصادية الصعبة والفساد وراء توجههم نحو الدعوة الإسلامية أو نحو حركات أخرى كحزب التحرير الإسلامي في أوزبكستان.ه

وقد اعترفت موسكو إبان التمرد الذي انطلق في داغستان أن نسبة 10% من السكان مع الدعوة الإسلامية معتبرة أن انتشار الدعوة مرده تدهور الأوضاع الاجتماعية في

المنطقة حيث تبلغ نسبة البطالة الثمانين في المائة.هكما أقرت موسكو أن هناك مناطق في غرب داغستان خصوصاً كاراماخي وتشابانماخي مستقلة تماماً عن السلطة المركزية وتطبق الشريعة الإسلامية في حياتها اليومية، وسيكون على السلطات أن تواجه السكان بالقوة هناك لكي يتخلوا عن أسلحتهم وهذا ما بدأته فعلاً.هـ

ويحذر المسؤولون في القوقاز وآسيا الوسطى بأن الإسلاميين يسعون إلى إقامة دولة إسلامية بالقوة، وهم يدركون أن لهؤلاء امتداداً مكنهم على سبيل المثال من اغتيال مفتى داغستان المعروف بعدائه للتيار الوهابي سعدي محمد أبو بكرو بسيارة مفخخة عام 1998.هـ

ويتهم الرئيس الأوزبكي إسلام كريموف صراحة عناصر حزب التحرير الإسلامي بأنهم وراء الاعتداءات التي استهدفته وأوقعت 16 قتيلاً في مارس الماضي في طشقند، وقد حكم على ستة إسلاميين بالإعدام في هذه القضية.هـ

وأبدى الرئيس الأنغوشي رسلان أوشيف تخوفه من أن "الوهابيين يريدون التوجه في مرحلة لاحقة إلى أنغوشيا وسائر الجمهوريات الإسلامية لإقامة جيوب إسلامية من بحر قزوين إلى البحر الأسود".هويرى المختصون في الشؤون الإسلامية أن التيار الوهابي دخل منطقة القوقاز وآسيا الوسطى نهاية الثمانينيات وبعد سقوط الاتحاد السوفييتي مع عدد من شيوخ الدعوة العرب.هـ

روسيا لا تخوض المعركة في القوقاز منفردة رغم أن أحداً لا يمكن أن ينكر أن الكثير من الدول الغربية لن تذرف الدموع إزاء تمزق الإمبراطورية الروسية، فقد ذكرت صحيفة "فريميا" الروسية يوم الخميس 19 أغسطس 1999م، أن جهاز الاستخبارات الإسرائيلي الموساد سيساعد روسيا في محاربة الإسلاميين في شمال القوقاز، حيث أن وزير الخارجية الإسرائيلي ديفيد ليفي أكد للسفير الروسي ميخائيل بوغدانوف أن الموساد سيقدم لموسكو معلومات عن الإسلاميين في روسيا. وقد رفضت وزارة الخارجية الروسية وجهاز الاستخبارات الخارجية رداً على أسئلة لوكالة فرانس برس، التعليق على هذا النبأ. ونقلت "فريميا" عن دبلوماسيين روس تأكيدهم وجود إسلاميين أردنيين وفلسطينيين في القوقاز.هـ

وقد أكدت السلطات الروسية عدة مرات أن الإسلاميين المتمركزين في القوقاز وخصوصاً في الشيشان وداغستان يضمون في صفوفهم عدداً كبيراً من المتطوعين من الدول العربية وآسيا الوسطى.هـ

يقول محلل اقتصادي في باريس أن الاقتصاد الروسي المريض لا يمكنه أن يمول حرب الشيشان التي تكلف يومياً ما يزيد على خمسة ملايين دولار، وبما أنه من الواضح أن قيادة الكرملين ليست في عجلة من أمرها لحسم الحرب، كما أنه في غيبة أي تأثير سلبي ظاهر لتكلفة الحرب المرتفعة على الوضع المالي الهش في روسيا، لابد من الإقرار بأن هناك مصادر تمويل أخرى.هـ

منذ يوم الجمعة 8 أكتوبر 1999 يواجه صندوق النقد الدولي اتهامات جديدة وهي أن أمواله تستخدم في تمويل حرب موسكو في القوقاز، خاصة بعدما قامت لجنة المصالحة الروسية المكلفة بتنقيح مشروع موازنة العام المقبل برفع المبلغ المخصص للدفاع والأمن الوطنيين بأكثر من مليار دولار عن التوقعات الأولية، في وقت يتعين فيه على روسيا أن تسدد لصندوق النقد الدولي 369 مليون دولار في أكتوبر 1999 و 800 مليون في ديسمبر المقبل.هـ

وتتحدث الأخبار الواردة من العواصم الغربية عن أن وزير المالية الروسي ميخائيل كاسيانوف حصل مؤخراً وسراً على وعد تلقي أكثر من مليار دولار من الهيئات الدائنة الدولية، فقد وعدت اليابان ودائنون دوليون آخرون بـ 350 مليوناً، ويفترض أن يمنح صندوق النقد الدولي موسكو القسم الثاني من قرضه البالغ 640 مليون دولار.هـ

وفي الإجمال، ما زال على صندوق النقد أن يقرض روسيا حوالي 4 مليارات دولار قبل نهاية العام 2000 مشترطاً بعض النتائج الاقتصادية، وهناك ثلاثة مليارات أخرى من البنك الدولي واليابان مشروطة بمساعدة من صندوق النقد الدولي.هـ

وليست هذه هي المرة الأولى التي يتهم فيها صندوق النقد الدولي بتمويل الحروب الروسية فقد اعتبرت يافوليتا سشتيريفا الخبيرة الاقتصادية في شركة ام. كاي رنيسانس للسمسرة أن حرب الشيشان الأولى التي أوقعت بين ديسمبر 1994 إلى أغسطس 1996 حوالي 800 ألف قتيل "مولت بفضل صندوق النقد الدولي وتراوحت

تقديرات كلفة الحرب في تلك الفترة ما بين 6 و 8 مليارات دولار.هوقال فيكتور بوريسوك المحلل في المعهد الاقتصادي العالمي والعلاقات الدولية: "لا أعتقد أن العمليات الحالية أقل كلفة من الحرب السابقة".هـ

شبه القارة الهندية:

غير بعيد عن القوقاز هناك حرب أخرى تتضمن تحالفات غريبة. في منتصف صيف 1999 وبالضبط يوم الخميس 12 أغسطس وخلال ذروة المعارك في القطاع الذي تسيطر عليه الهند في كشمير أوردت صحيفة "هآرتس" أن إسرائيل أسرعت بعملية تسليم طلبية أسلحة ومعدات عسكرية إلى الهند.هوأضافت الصحيفة أن الحكومة الهندية طلبت مؤخراً من إسرائيل تسريع تسليم الأسلحة قبل تصاعد حدة التوتر في كشمير، وأن المسؤولين في وزارة الدفاع الإسرائيلية استجابوا لهذا الطلب.هيذكر أن إسرائيل أقامت تعاوناً وثيقاً مع الهند على الصعيد العسكري في السنوات الأخيرة، وقد توجه قائد القوات البرية الهندية الجنرال باراكاش مالك في آذار (مارس) 1998 إلى إسرائيل. وفي العام الماضي، عين الطرفان للمرة الأولى ملحقين عسكريين في سفارتيهما في تل أبيب ونيودلهي.هـ

وأضافت الصحيفة أن إسرائيل وقعت مؤخراً اتفاقاً لبيع الهند معدات الكترونية متطورة، وكانت هذه الصفقة قد أرجئت لسنوات عدة بسبب معارضة الولايات المتحدة لها. إلا أن واشنطن التي حققت تقارباً من الهند مؤخراً رفعت القيود التي فرضتها على بيع الأسلحة إلى هذا البلد بعد التجارب النووية التي أجرتها نيودلهي في أيار (مايو) 1998 والتي تلتها تجارب مماثلة في باكستان.هـ

وأشارت الصحيفة إلى أن رئيس الوزراء الإسرائيلي الجديد أيهود باراك يؤيد تنمية العلاقات بين الطرفين ومن المقرر أن يقوم بزيارة إلى نيودلهي العام المقبل بعد الانتخابات الهندية.هـ

وتشير الإحصاءات الإسرائيلية إلى أن المبادلات التجارية المدنية بين الطرفين تبلغ حالياً 700 مليون دولار سنوياً، في حين تبقى الأرقام الخاصة بالتعاون العسكري سرية، وإن كان بعض الخبراء يحددونها ما بين 300 و 400 مليون دولار سنوياً.هـ

ولا تخفي تل أبيب أن تعاونها العسكري والاقتصادي مع الهند يهدف إلى الحد من نمو القوة الباكستانية التي تحسب إلى جانب العرب، وقبل تفجير إسلام آباد لقنبلتها النووية الأولى تحدثت وسائل الإعلام الإسرائيلية والأمريكية مراراً عن وضع إسرائيل خططاً مشتركة مع نيودلهي لشن غارة جوية على منشآت باكستان النووية لإجهاض برنامجها. وخلال معارك كشمير الأخيرة زودت واشنطن نيودلهي عن طريق أطراف ثالثة بصور دقيقة من الأقمار الصناعية عن مواقع القوات المعادية على قسم جبال كشمير، وذلك قبل أن يجبر البيت الأبيض رئيس وزراء باكستان نواز شريف على الضغط لسحب المقاتلين المسلمين من المنطقة.هـ

أغلب الحروب:

يعترف خبير في معهد الدراسات الإستراتيجية في لندن أن الجزء الأكبر من الحروب التي يخوضها الغرب بشكل مباشر أو غير مباشر الآن في نهاية عقد التسعينيات موجهة ضد خصوم محسوبين على المعسكر الإسلامي، ويضيف أن الحرب المستمرة في جنوب السودان لا تستهدف سوى تقسيمه وإقامة دولة مسيحية وثنية في جنوبه تكون حاجزاً أمام المد الإسلامي الذي يخيف الغرب نحو وسط أفريقيا، كما أن النجاح في فصل تيمور الشرقية عن أندونيسيا يشكل خطوة أولى لإضعاف أكبر بلد إسلامي من حيث تعداد السكان، وكذلك لتشجيع الحركات الانفصالية الأخرى، خاصة وأن القوى الغربية الرئيسية ترقب بتحفظ تحول بلد الثلاثة آلاف جزيرة إلى قوة اقتصادية وعسكرية هامة في جنوب آسيا.هنفس الخبير يشير إلى التحالف الغريب بين العديد من القوى الغربية وتلك المحسوبة على الشرق ضد حركات وقوى تحسب في المعسكر الإسلامي.هـ

فموسكو ونيودلهي وواشنطن وباريس ولندن وغيرها تساند خصوم حركة طالبان في أفغانستان وتتدخل بكثافة مادياً كلما أوشكت قوات طالبان على سحق آخر جيوب المقاومة المعارضة في شمالها، وقبل أشهر سمحت موسكو بإقامة جسر جوي عبر أراضيها لنقل عتاد عسكري من قواعد غربية في أوربا ومن الولايات المتحدة نفسها إلى شمال أفغانستان، والآن توضع قواعد مواجهة أكثر شمولية.هـ

حصار دولي جديد:

قرر مجلس الأمن الدولي يوم الجمعة 15 تشرين الأول)أكتوبر) 1999م فرض حظر جوي وعقوبات مالية على حركة طالبان إذا لم تسلم قبل 14 تشرين الثاني (نوفمبر) 1999 أسامة بن لادن المتهم بتزعم شبكة مسلحة دولية، وحظي القرار رقم 1967 الذي قدمته الولايات المتحدة على إجماع أعضاء المجلس الخمسة عشر.ويطالب القرار حركة طالبان "بتسليم أسامة بن لادن بدون تأخير" إلى بلد مستعد لمحاكمته.هـ

وتتهم الولايات المتحدة الثري السعودي الأصل بتدبير الاعتداءين اللذين استهدفا سفارتيها في دار السلام ونيروبي في آب (أغسطس) 1998 حيث قتل 224 شخصاً وأصيب مئات بجروح. ويحظر القرار على أي طائرة تابعة لطالبان أو تستخدم باسمها الإقلاع أو الهبوط في أرض أي من الدول الأعضاء.هويستهدف الحظر عملياً شركة الخطوط الجوية الأفغانية "أريانا" التي تنظم رحلات دولية إلى دبي فقط، ويلحظ القرار استثناء رحلات الحجاج إلى مكة. ولكنه يفرض تجميد الحسابات المصرفية والممتلكات الأخرى التي تملكها الحركة الحاكمة في كابول منذ 1996.هـ

إذا كانت أولويات روسيا في حربها ضد العدو الجديد توجد في منطقة القوقاز والجمهوريات الإسلامية السابقة في الاتحاد السوفييتي فإن أولويات أمريكا توجد في الشرق الأوسط وخاصة في السودان والعراق.هـ

يوم الجمعة 22 تشرين الأول (أكتوبر) 1999 وفي نيروبي أكدت وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت أن الولايات المتحدة تدعم بشكل حصري جهود الدول الأعضاء في الهيئات الحكومية للتنمية ومكافحة التصحر إيغاد لتحقيق السلام في السودان.هوتضم إيغاد التي تقوم بوساطة بين الصومال والسودان كلاً من جيبوتي وأرتيريا وأثيوبيا وكينيا وأوغندا والسودان ونظرياً الصومال التي لا تتمتع بحكومة مركزية منذ 1991م. ويرأس الرئيس الكيني دانيل أراب موي مجموعة فرعية تضم أربع دول تسعى إلى إيجاد حل سلمي للحرب في السودان، وتضم هذه المجموعة أوغندا وأرتيريا وأثيوبيا والبلدان الأخيران يتواجهان في حرب.هـ

وقالت أولبرايت التي التقت مع جون قرنق زعيم الجيش الشعبي لتحرير السودان الذي يقاتل لفصل جنوب السودان: "نظن أن العملية التي تقوم بها إيغاد هي الوسيلة

الفضلى للتقدم ونحن لا ندعم أي جهود أخرى يقترحها البعض مثل مصر وليبيا".
وجاءت تصريحات وجولة أولبرايت في وقت خصصت فيه أموال جديدة لدعم قرنق عسكرياً في محاولة لوقف تقدم الخرطوم في جهودها لإضعاف التمرد ولقطع الطريق على تسوية عربية تحفظ وحدة السودان. وفي الوقت الذي كانت فيه وزيرة الخارجية الأمريكية تضع في أفريقيا أسس تنفيذ المخططات الأمريكية كان وزير الدفاع الأمريكي وليام كوهين يضع قواعد تنفيذ مشاريع مماثلة في الشرق العربي. فيوم الاثنين 18 تشرين الأول (أكتوبر) وفي المنامة أكد أن الولايات المتحدة ستستمر في تشجيعها لتغيير النظام في العراق. وصرح كوهين أنه يأمل في أن تتوصل المعارضة لصدام حسين داخل البلاد إلى تغيير النظام يوماً ما، واعتبر أن الاضطرابات الأخيرة التي يشار إليها على وجه منتظم في جنوب العراق وغيرها من الإشارات، تحمل إلى الاعتقاد بأن صدام حسين "لم يعد يتحكم بيد من حديد ببعض الأمور كما كانت الحال في السابق".هـ
وأضاف كوهين أن المعارضين "يشعرون بالإحباط لما يتطلب ذلك من الوقت ولكنهم يدركون أنه ينبغي عليهم أن يواصلوا جهودهم وإلا فسيخرج صدام حسين من قلعته ويهدد المنطقة من جديد".هـ
ودافع كوهين عن سياسة الاحتواء الأمريكية وقال: "أعتقد بأن جميع دول المنطقة تدرك بأن صدام لا يستطيع أن يخرج من داخل العلبة الموجود فيها".هـ
إن معالم معارك ومواجهات المستقبل قد بدأت تتضح .هـ
- الحواشي :
* نقلاً عن صحيفة القدس العربي الصادرة بتاريخ 1 تشرين الثاني (نوفمبر) 1999م.هـ

=============

الإسلام و الغرب > مستشرقة كندية منصفة >

انتشرت في السنتين الأخيرتين التحذيرات من العولمة القادمة في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية، ولكن بعض الكتّاب والأدباء والصحفيين من بني جنسنا انبرى للدفاع عن العولمة وأنه لا خوف منها، وما علينا إلاّ أن نفتح

الأبواب والنوافذ وننخرط في هذه العولمة التي ستأتي لنا بكل خير. ويؤيدون هذا الزعم بان العالم أصبح قرية صغيرة ولا يمكن لنا أن ننعزل عن العالم.

ولكن للقضية جانب آخر وهو أننا نملك من المقومات العقدية، والفكرية، والثقافية، والاجتماعية، والسياسية ما يجعلنا نستطيع الوقوف في وجه هذه العولمة، بل يمكننا أن نجعل هذه العولمة تخدم نشر الإسلام في العالم. والأدلة على ذلك كثيرة ففي المؤتمر العالمي الخامس والثلاثين الذي عقد في العاصمة المجرية بودابست في ربيع الأول عام 1418هـ، تحدثت باحثة كندية عن المرأة في الإسلام وبخاصة في الجوانب الاقتصادية ومن خلال بعض المصادر الفقهية الأندلسية كالفتاوى للعالم الأندلسي الونشريسي. ففي محاضرتها القيمة أوضحت كيف أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها المالية الكاملة، وأنها مارست كل العمليات التجارية من بيع وشراء ورهن ودين وتأجير وقرض وغير ذلك، وإنه بالرغم من أن الإسلام لم يبح للمرأة أن تسافر بغير محرم وأن لا تختلط بالرجال وان تحافظ على عفتها بغض البصر وعدم الخضوع في القول كما أمر الرجال بذلك أيضاً، فإن ذلك لم يكن عائقاً لها من ممارسة الأعمال التجارية المختلفة.

وذكرت الباحثة العديد من الفتاوى حول حق الملكية للمرأة، وأنها قد تكون صاحبة منزل فتسمح لزوجها أن يسكن في هذا المنزل فهل عليه أن يدفع لها إيجار عن ذلك، وماذا لو تأخر في دفع الإيجار وغير ذلك من المسائل الشرعية. وأضافت الباحثة الكندية أن المرأة المسلمة سبقت المرأة الأوروبية بقرون عديدة في الحصول على هذه الحقوق.

ولمّا كان معظم الحضور للمحاضرة من الأوروبيين فقد أزعجهم أن يسمعوا هذا الكلام الجميل عن الإسلام والمرأة المسلمة، فانبرى بعضهم ليبحث في معوقات عمل المرأة في التجارة وأنها لا بد أن توكل عنها من يقوم بأعمالها التجارية مقابل أجر معين وأن بعض الوكلاء قد لا يكونون أمناء. فردت عليهم بأن هذه العراقيل التي يتصورونها لم تكن تمنع المرأة من مزاولة الأعمال التجارية، وإلاّ لما وجدت كل هذه الفتاوى في قضايا تملك المرأة ومعاملاتها المالية.

وبالمصادفة وجدت أن صحيفة الشرق الأوسط قد أوردت في الرابع من شوال تقريراً حول عنف الرجال ضد النساء في إسبانيا، وذكرت من خلال التقرير أن المرأة الإسبانية لم يكن في استطاعتها منذ حكم فرانكو عام 1939م وحتى عام 1979 م أن تسافر بدون رفقة زوجها، أو حتى فتح حساب مصرفي بدون موافقته أو موافقة والدها، ويضيف التقرير أن القانون الإسباني لم يعط أي حماية للمرأة من معاملة زوجها السيئة لها حتى أواخر الستينات. وليست الحال في دول أوروبا الأخرى أحسن حالاً من اسبانيا حيث ظلت التشريعات تمنع المرأة من ممارسة حقوقها المالية منفصلة عن الرجل فلم يكن لها ذمة مالية مستقلة. فأين هم من قوله تعالى {للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن}(النساء 32)

فمرحباً بالعولمة لنقدم لهم التشريعات الإسلامية التي أكرمت المرأة أماً وأختاً وزوجاً وابنه وجدة وخالة وعمة. لقد أكرمت الشريعة الإسلامية المرأة عموماً. وبالإضافة إلى التشريعات التي أكرمت المرأة هناك من الوصايا العظيمة للرسول صلى الله عليه وسلم للرفق بالمرأة والعناية بها. ألا يكفي أن يتصف الإنسان الذي يهين المرأة باللؤم وأنه لا يكرمها إلاّ كريم. ألا يكفي أنه كان من آخر وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم الرفق بالنساء؟

وما زال كثير ممن يتحدث عن المرأة في الإسلام متأثراً ببعض الشبهات والافتراءات التي روج لها أعداء هذا الدين، فكم جميل أن تأتي الشهادة لهذا الدين من باحثة كندية تمرست في دراسة الفقه الإسلامي وبخاصة الأندلسي منه وخرجت بهذه الحقائق العظيمة التي يحاول أعداء هذا الدين طمسها وتشويهها. فشكراً للمستشرقة الكندية ومرحباً بالعولمة التي تمكننا من نشر الإسلام

===================

الإسلام و الغرب > كارثة فكرية >

كارثة فكرية!(*)

إدوارد سعيد

أستاذ الإنكليزية والأدب المقارن في جامعة كولومبيا

يستمر في الولايات المتحدة وأوربا ذلك الهوس العدائي الغريب بالإسلام. في الآونة الأخيرة أصدر الكاتب الترينيدادي الأصل، البريطاني الجنسية حاليا، في.أس. نايبول مؤلفا ضخما عن رحلاته إلى أربع من دول العالم الإسلامي، كلها غير عربية، عنوان الكتاب ما بعد الإيمان: رحلات إسلامية بين الشعوب المعتنقة، وهو يشكل متابعة لكتابه بين المؤلفين: رحلة إسلامية، الذي أصدره قبل 18 سنة عن زيارة قام بها آنذاك للدول نفسها، خلال الفترة ما بين الإصدارين أصبح في. إس. نيبول السير في. إس. نيبول المؤلف الواسع الشهرة، وأيضا ن كما يجب أن نقول، الغزير الموهبة، الذي وطدت رواياته وكتبه الأخرى "أكثرها من أدب الرحلات" مكانته كأحد أهم الشخصيات في الأدب العالمي، ويبلغ من شهرته، على سبيل المثال، أننا نجد الترجمة الفرنسية لـ ما بعد الإيمان، حتى في واجهات مخازن سونيا ريكييل الفخمة في شارع سان جرمان في باريس، معروضة بين الشالات والأحزمة وشنطات اليد، إنه ولا شك نوع من التقدير لنايبول، رغم أنه قد لا يسره كثيراً، من الجهة الأخرى اهتمت كبريات الصحف الأمريكية والبريطانية بمراجعة الكتاب والإشادة به كعمل من أستاذ عظيم في فن الملاحظة الدقيقة والتفصيل المعبر، يلبي في شكل خاص ذلك النهم العميق لدى القارئ الغربي لتعرية وفضح الإسلام، وإذ لا يمكن أحداً اليوم أن يؤلف كتابا مشابها عن المسيحية أو اليهودية، فإن الإسلام لا يزال يعتبر "صيدا حلالا"، مهما كان تواضع معلومات "الخبير" المفترض عن الموضوع وجهله اللغات اللازمة لتناوله.

ولكن نايبول له حالة خاصة، إنه ليس من محترفي الاستشراق أو متقصدي الإثارة، بل شخص من العالم الثالث يوجه رسائله عن تلك المناطق إلى قراء لنا أن نفترض أنهم من الليبراليين الغربيين المحبطين، الذين لا يملون سماع أسوأ ما يمكن عن أساطير ذلك العالم، أي حركات التحرر الوطني، والأهداف الثورية، وشرور الكولونيالية، وكلها في نظر نايبول ما يفسر الوضع المزري لدول أفريقيا وآسيا التي تغرق في بحر من الفقر والعجز، وتعاني من سوء هضم أفكار غربية مثل التصنيع والتحديث، أنهم أولئك الناس، كما يقول نايبول في واحد من كتبه، الذين يعرفون استعمال الهاتف لكن ليس ابتكاره، ويمكن الآن في الغرب الاستشهاد بنايبول

كشخصية نموذجية من العالم الثالث، فقد ولد في ترينيداد لعائلة هندية تنتمي إلى الطائفة الهندوسية، ونزح إلى بريطانيا في الخمسينات وأصبح من طليعة النخبة الثقافية، ويأتي اسمه دوما عند الكلام عن مرشحين محتملين لجائزة نوبل، من هنا كما يرون لا بد من الثقة بشهادته عن العالم الثالث. وكما كتب أحد مراجعي مؤلفاته في 1979م، فهو يقدم شهادته "من دون أي وهم رومانسي عن التفوق الأخلاقي للأقوام البدائية. ومن دون أثر للتعالي الغربي أو الحنين إلى الكولونيالية."

مع ذلك فحتى نايبول يعتبر أن الإسلام من بين المشاكل الأسوأ التي يعاني منها العالم الثالث وقال أخيراً، متأثرا ربما بأصله الهندوسي، أن الكارثة العظمى التي شوهت تاريخ الهند كانت دخول الإسلام إليها، ويختلف عن غالبية المؤلفين في أنه لم يقم بزيارة واحدة بل زيارتين إلى عالم الإسلام لكي يتيقن من كرهه العميق لذلك الدين وأهله وأفكاره، المفارقة أنه يهدي ما بعد الإيمان إلى زوجته المسلمة نادرة، من دون إشارة إلى أفكارها ومشاعرها، ويبين كتابه الأول أنه تبرهن له على آرائه المسبقة، لكن تبرهن على ماذا؟ على أن العودة إلى الإسلام تمثل نوعا من "الانذهال" والارتداد عن الواقع، ويسأله شخص في ماليزيا: "ما الغاية من كتاباتك؟ هل تريد أخبار الناس عن حقيقة الأمور؟" ويجيب: نعم، أعتقد أن الهدف هو الفهم، ويعود السائل: "أليس الهدف هو المال؟" الجواب: "نعم، لكن طبيعة العمل مهمة)"، هكذا فهو يتنقل بين المسلمين ويكتب عن ذلك، ويتسلم مبالغ محترمة من الناشر والمجلات التي تنشر مقتطفات من كتبه، مدفوعا بأهمية العمل وليس حبا به، ويروي له المسلمون قصصهم، ويدونها باعتبارها أمثلة على طبيعة "الإسلام"، ليس في الكتابين إلا أقل من القليل من المتعة أو التعاطف، المقاطع الساخرة في الكتاب الأول جاءت كلها ضد المسلمين، الذين يعتبرهم قراء نايبول الأمريكيون والبريطانيون أجانب مضحكين أو متشددين إرهابيين محتملين لا يستطيعون التهجي أو التفكير المنطقي أو الحوار السليم مع الغربيين الرهيفي التحضر. وهكذا فكلما كشف المسلمون نقاط ضعفهم ((الإسلامية)) سارع نايبول، ذلك الشاهد العالم ثالثي المعتمد، إلى تسجيلها وتوجيهها إلى الغرب، على سبيل المثال: ما أن يعبر إيراني عن المرارة من الغرب حتى يوضح نايبول: أنه تخبط شعب له حضارة قروسطية

عليلـة يسـتيقظ علـى عـالم الـنفط والمـال، ويتضـارب لديـه شـعور بـالقوة مـن جهـة والانتهاك من الثانية، ويدرك أن هناك حضارة جديدة عظيمة تحيط به (الغرب)، ولا بد من رفضها، لكن في الوقت نفسه الاتكال عليها.

علينا أن نتذكر هذه الجملة ونصف الجملة، لأنها مقولة نايبول الرئيسة التي ينطق منها لمخاطبة العالم: "الغرب هو علم المعرفة والنقد والتقنية، والمؤسسات الفاعلة، فيما يعاني الإسلام من الإحباط والغضب والتأخر والاتكال. ويرى أمامه قوة جديدة لا يعرف كيف يسيطر عليها. الغرب يقدم الخير إلى الإسلام من الخارج، لأن الحياة التي جاءت إلى الإسلام لم تأت من داخله" وهكذا، في جملة واحدة، يختزل نايبول حياة بليون مسلم، ويلقي بها جانبا، علة الإسلام السياسي الأصلية كما يرى تكمن في بدايته – أنها العلة التي سرت في تاريخ الإسلام، وهي أنه لم يقدم حلا سياسيا أو عمليا للقضايا السياسية التي أثارها، أنه لم يقدم سوى الإيمان، ولم يقدم سوى النبي، الذي كان سيعطي كل الحلول، إلا أنه توفي، هذا الإسلام السياسي هو ليس سوى الغضب والفوضى، إن كل الأمثلة التي يقدمها نايبول، كل الأشخاص الذين التقى، هم من القائلين بالنقيضة بين الإسلام والغرب، وهي النقيضة التي افترضها أصلا وصمم على أن يراها في كل مكان، من هنا فالكتاب الأول في النهاية مشجر مليء بالتكرار.

لكن لماذا يعود بعد نحو عشرين ليقدم كتابا ثانيا يضارع الأول في الإطالة والإملال؟ السبب الوحيد الذي أجده هو أنه يعتقد أن الإسلام دين العرب، وكل مسلم غير عربي فهو مجرد "معتنق" للدين. من هنا فإن جميع هؤلاء المعتنقين أي الماليزيين والباكستانيين والإيرانيين والإندونيسيين وغيرهم، يعانون من فقدان الهوية الأصلية أو كبتها. أي أن الإسلام ديانة وافدة تعزلهم عن تقاليدهم وتتركهم في حال دائم من الـ((بين بين)). ويحاول نايبول في كتابه الجديد توثيق مصير ((المعتنقين)) الذين خسروا ماضيهم ولم يقدم لهم دينهم الجديد سوى الضياع والمزيد من اللا كفاءة المضحكة – كل ذلك نتيجة تحولهم إلى الإسلام. إذا وافقنا على هذا المنطق السخيف يمكن أن نقول إن الكاثوليكية لا تصلح إلا لسكان روما، ونعتبر أن كل من عداهم من الكاثوليك، أي الإيطاليين خارج روما والأسبان والأمريكيين اللاتينيين

والفيليبينيين.... الخ، مقطوع عن تاريخه وتقاليده، كما أن جميع الأنغليكانيين خارج إنكلترا هم من المعتنقين ولذا، فمثلهم مثل المسلمين من غير العرب، ليس أمامهم سوى اللاجدوى وتقليد الغير.

يقع ما بعد الإيمان في أربع مئة صفحة، تقوم كلها على هذه "النظرية" الغيبية والمهينة. السؤال هنا ليس عن صحة أو خطأ الفكرة، وإنما عن كيف أمكن لرجل بذكاء وموهبة نايبول تأليف كتاب على هذه الدرجة من الحمق والإملال، يكرر إلى ما لا نهاية قصصا تعبر عن فكرة سقيمة هي أن غالبية المسلمين هي من الذين انقطعوا عن تاريخهم باعتناق الإسلام وكتب عليهم، تبعا لذلك، مواجهة مصير واحد متشابه. المسلمون من غير العرب متحولون عن هويتهم وليس لهم إلا أن يعيشوا تاريخا مزيفا.

ما أراه هو أن نايبول في مرحلة ما من حياته، تعرض لحادث فكري خطير. وأن هوسه العدائي بالإسلام أدى به في شكل ما إلى التوقف عن التفكير، أو إلى ما يشبه الانتحار الفردي الذي يجبره على تكرار المقولة نفسها إلى ما لا نهاية. إنها ما أعتبره كارثة فكرية كبرى فقد فيها نايبول الكثير من قدراته. إذ أصبحت كتاباته مكرورة مضجرة، وضاعت مواهبه، ولم يعد قادراً على التفكير السليم. إنه الآن يعتاش على سمعته، التي توهم مراجعي كتبه أنهم لا يزالون أمام كاتب عظيم، فيما الحقيقة أنه ليس الآن سوى شبح لذلك الكاتب. المؤسف أكثر أن كتابه الأخير عن الإسلام سيعتبر تقويما رئيسا لديانته عظيمة، وسيؤدي ذلك إلى المزيد من الأذى للمسلمين، وإلى المزيد من التوسع والتعميق للهوة بينهم وبين الغرب. ولن يستفيد أحد شيئا سوى الناشرين الذين سيبيعون الكثير من الكتب، ونايبول نفسه الذي سيحصل على الكثير من المال.

- الحواشي :

* الحياة.

====================

الإسلام و الغرب > صحيفة المدينة والتسامح الديني >

في اليوم الذي أعلنت فيه تركيا قرارها بمنع ارتداء الحجاب لموظفات الدولة أو الشركات أو الجامعات ومنعت إطلاق اللحى كان قدر صدر عن الرئيس الأمريكي بيل كلينتون قراراً بالسماح لأي مسلمة بأن ترتدي الحجاب وكذلك بإطلاق اللحية للرجال وأداء العبادات وأن لا يتعرض إنسان في المجتمع الأمريكي للمضايقة بسبب دينه.

أهو حقاً تسامح أمريكي حقيقي؟ ولماذا يتسامح الأمريكيون وتضيق صدور العسكر والعلمانيون الأصوليون في العلمانية من الحجاب واللحية وأداء العبادات؟ نحن لا نشكك في أن القرار الأمريكي رائع ويستحقون عليه الشكر، ولكننا يجب أن نتوقف عند هذا الأمر فهل هذا التسامح حقيقي؟ وهل أمريكا أو غيرها من دول الغرب بعيدة عن قرارات العسكر؟

سأترك الإجابة عن هذه الأسئلة لأعود بالقارئ الكريم إلى حقيقة التسامح الديني الذي لم يعرفه العالم مثله. التسامح الديني هو ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود حينما قدم المدينة المنورة وكتب بينه وبينهم عهداً منحهم فيه حق ممارسة شعائرهم الدينية وحرية التصرف في أموالهم، وطالبهم بأن يكونوا يداً على من يريد المدينة بسوء. والتسامح الديني هو استقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران واستضافتهم في مسجده صلى الله عليه وسلم وإكرامه والحوار معهم. ولقد شهد بعض العلماء الغربيين بهذا التسامح حيث من المشهور ما قاله جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب بأن العالم لم يعرف فاتحاً أرحم من العرب وأكثر تسامحاً.

ومن عجيب أن هذا التسامح لم يقابله قط تسامح مثله فالصليبيون حينما هجموا على البلاد الإسلامية مارسوا جميع أنواع القتل والوحشية فقد وصلت الدماء في بيت المقدس إلى الركب حينما دخلها الصليبيون. واليهود وما أدراك ما يهود لقد ارتكبوا ومازالوا يرتكبون المجازر لتثبيت وجودهم في فلسطين. ولم يكن الاستعمار الغربي أقل وحشية عن الغزو الصليبي فقد عرف عن القائد الفرنسي بيجو ما سمي بالأرض المحروقة وغير ذلك من الوسائل والإرهاب.

هل نجحت الدعاية التي أرادتها وسائل الإعلام بإظهار عسكر تركيا بأنهم أقل تسامحاً من الرئيس الأمريكي، وهل حقاً يغيب عن الغرب المؤيد للعسكر ما يفعله

العسكر. فهم بعد أن قرر العسكر تقليص سنوات التعليم الديني وظهر أن تركيا في حاجة إلى مبالغ كبيرة لتوفير الصفوف والمدارس والمعلمين فوافق البنك الدولي – الذي تشرف عليه الدول الكبرى – على تقديم مساعدات مالية حجمها نحو بليون ونصف البليون دولار موزعة على مدى ثلاث سنوات.(الحياة ، 1997/9/6م) فهل ننخدع بهذه الحركات التي تظهر سماحة أمريكا وتعصب العسكر وتحجرهم؟

وفي الوقت الذي يصرح فيه الرئيس الأمريكي تلك التصريحات الرائعة بالسماح للنساء بالتحجب والرجال بإطلاق اللحية ومنع أي ممارسة تدل على التعصب الديني يحدث في الولايات المتحدة ما يشير إلى ظهور موجة من التعصب ضد المسلمين. فقد كتب فهمي هويدي مقالة في مجلة المجلة(27-21سبتمبر 1997م) يشير إلى بعض ممارسات السلطات الحكومية الأمريكية ضد المسلمين وذكر بعض الشخصيات العلمية الإسلامية التي تعرضت للاعتقال والسجن. ومن هؤلاء الدكتور حسام أبو جبارا " الفلسطيني المحتجز في مدينة تامبا بفلوريدا،....والدكتور مازن النجار في المدينة نفسها. وذكر هويدي قصصاً أخرى تتناول صوراً من اضطهاد بعض المسلمين في أمريكا.

وكتب بول فندلي في هذه الصحيفة بعنوان (في أمريكا.... مكارثية جديدة ضد العرب والمسلمين) (المدنية المنورة 21جمادى الأولى 1418هـ) وأشار إلى بعض الحوادث التي تدل على أن تصريحات الرئيس الأمريكي كلام جميل لكن الواقع لا يؤيد هذا الكلام. فهل يصرح الرؤساء في الغرب بينما أجهزة الحكومة تتصرف بطريقة مخالفة لهذه التصريحات؟

وأميل شخصياً لتصديق أن الواقع في الغرب هو عكس ما يصرح به بعض الزعماء والرؤساء ليكسبوا به الدعاية لأنظمتهم ولتحسين صورتهم. فقد كنت في زيارة للولايات المتحدة قبل سنتين تقريباً وحدثني أحد الإخوة المسلمين هناك بما تعرض به بعض المسلمين الأمريكيين من أصل أفريقي من اتهامات باطلة حتى إن أحدهم اتهم بتجارة المخدرات، وليس من الصعب على أجهزة المخابرات والمباحث من تلفيق تهم مثل هذه. وقد أصبحت مثل هذه التهم من الأمور التي يصدرها الغرب للشرطة في دول العالم الثالث.

لسنا من المفتونين بنظرية المؤامرة- كما زعم أحد الكتاب الذي يقدم بعض البرامج التلفزيونية- ولكن أمام هذا السيل من الحقائق فالأمر لم يعد مؤامرة تدبر بليل أو في الخفاء كما يقولون ولكنها تصرفات واضحة للعيان. فهل يستسلم المسلمون عليهم أن يتكاتفوا وأن يثيروا الإعلام ضد أي تصرف يرون أن فيه تعصباً ضدهم. وحتى لا يكون الكلام بلا دليل فقد قدم السفير الأمريكي السابق روبرت نيومان محاضرة في المؤسسة المتحدة للبحوث والدراسات في مدينة أنانديل Annandale القريبة من واشنطن العاصمة في سبتمبر 1995 وتقدم إليه شاب عربي - ربما مسلم- قائلاً أنا من الجيل الثالث في هذه البلاد ووصلت إلى رتبة عسكرية ثم توقفت ترقياتي بسبب الحفاظ على الأسرار العسكرية بينما يأتي الشخص من رومانيا أو من أي دولة أوروبية ويصل إلى أعلى المراتب ولا يخشى منه على الأسرار العسكرية. فأعجبتني إجابة السفير نيومان بالقول له استمر في المطالبة وأوصل قضيتك إلى وسائل الإعلام؛ فإن نقطة الماء إذا استمرت في النزول تجعل الصخر فارغاً، أو كما نقول في المثل العربي (كثرة الطرق تليّن الحديد) .

==================

الإسلام و الغرب > عداء الغرب للإسلام والمسلمين ليس وهماً >

"لقد عادت روسيا بوجهها القبيح مرة أخرى... إنها تنفض الغبار عن تاريخها الأسود مع مسلمي البلقان.. فماذا نحن فاعلون؟" بهذه العبارة ختم الكاتب المتميّز الدكتور عبد الواحد الحميد مقالته في صحيفة عكاظ يوم السبت الموافق 15 رجب 1415هـ (العدد10358)

أثارت هذه المقالة الأستاذ عبد الله أبو السمح فكتب بعد أربعة أيام في زاويته(رأي آخر) بعنوان "غارة وهمية" (عكاظ عدد10362) صبّ فيه جام غضبه على الكتّاب لتوهمهم بأن هناك "غارة" على العالم الإسلامي من دول "الكفر" لإخراجهم من ديارهم أو من دينهم أو من الاثنين معا، ولا شك أن ذلك وهم كبير وخطأ فادح، فلا أحد يعادي المسلمين إلاّ المسلمون أنفسهم، وعدو للمسلمين إلاّ جهلهم وتخلفهم ونزعاتهم الضيقة." وصرّح أبو السمح بأن سبب العداء "ليس لكونهم مسلمين، ولكن بصفتهم السياسية ..دولة أو تشكيلا أو أقلية، لذلك إذا أردنا أن نتعاطف معهم فلا أقل من أن

نعرف سبب المشكلة وأصلها لا أن نثير عواطف الناس بادعاءات وافتراضات تتعارض مع الحق والواجب."

فهل صحيح أن عداء الغرب للإسلام والمسلمين وهم وليس حقيقة؟ وهل صحيح أن عداء الغرب إنما هو لأهداف سياسية، وأن الحديث عن العداء للإسلام ما هو إلاّ ادّعاء وافتراض يتعارض مع الحق والواجب؟

أعتذر أولاً أنني لم أتشرف بمعرفة الأستاذ عبد الله أبو السمح وخلفيته الثقافية والعلمية، وإن كانت مقالته هذه ومقالته الأخرى التي انتقد فيها الفلسطينيين الذين يعترضون على مسيرة السلام في بلادهم تنبي عن خلفية معينة جعلته يقف هذا الموقف الذي لا يحسد عليه.

وأحب أن أؤكد ابتداءً أنني لا أنتصر للدكتور عبد الواحد الحميد أو الكتّاب الذين يتحدثون عن عداء الغرب للإسلام والمسلمين (وأنا واحد منهم)، فليس يجمعني بالدكتور عبد الواحد الحميد من صلة سوى مكالمة هاتفية رغبة في الإفادة من مصادر المعلومات التي يستخدمها في إعداد مقالاته. ولكني تخصصت في دراسة الاستشراق، وأمضيت من عمري سنين أبحث في مواقف الغرب من الإسلام والمسلمين ، لذلك أجد واجباً عليّ أن أتحدث في هذا الموضوع .

من أين نبدأ بالحديث عن عداء الغرب للإسلام والمسلمين؟ لنبدأ من عصورهم الوسطى، وعصور الازدهار الإسلامي، تلك العصور التي خرج فيها بطرس الناسك (وللنصارى بطرس معاصر) يحرّض النصارى على حرب المسلمين واسترداد بيت المقدس من أيديهم، وكان هذا بتأييد البابا في الفاتيكان. وكانت الحروب الصليبية التي شغلت العالم الإسلامي قرابة قرنين من الزمان، عادت منها أوروبا بمعرفة أصول نهضة المسلمين، فأفادوا من ذلك وعاد المسلمون إلى النوم والسبات أو مداواة آثار تلك الحروب الطويلة. ومع ذلك فقد كان ظهور الدولة العثمانية نصراً للإسلام والمسلمين طوال حياة هذه الدولة.

ونهضت أوروبا في جميع المجالات، وأفادت من تراث المسلمين، وكان رد الجميل أن امتلأت مكتبات أوروبا بمئات أو ألوف المؤلفات التي تقطر حقداً على الإسلام والمسلمين حتى أصبح الأوروبيون يتوارثون العداء لنا ليس من خلال تراثهم الفكري

فقط بل أكاد أجزم أنه دخل في تركيب جيناتهم (مورثاتهم)، وعندما أراد الأوروبيون تغيير خطتهم في حرب الإسلام والمسلمين كتب بعضهم كتباً ينتقدون فيها أجدادهم أو الحقد الأوروبي الذي كانت الكنيسة رائدته ومن أمثلة هذه الكتب كتاب ريتشارد سوذرن صورة الإسلام في العصور الوسطى، وكتاب نورمان دانيال الإسلام والغرب:صناعة الصورة.

ولم تتناول هذه الكتابات إلاّ جانبا واحداً من علاقة المسلمين بالنصارى أو بالغرب ويقول في ذلك الدكتور رضوان السيد– الذي ترجم الكتاب الأول– :" لكن الوجوه الأخرى لعلاقة الحضارة الإسلامية بالغرب على المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بقيت بمنأى عن المعالجة". ولو نجحت هذه الكتابات حقا لما ظل الحقد والعداء يسيطر على كتابات كثير من الغربيين حتى هذه الساعة.

وهذه فرنسا ما كادت تنجح ثورتها المشهورة (التي عدت من الثورات الكبرى في تاريخ البشرية) وأعلنت مبادئ حقوق الإنسان الذي يفتخر به الغرب حتى نقضت هذه الحقوق بالنسبة للمسلمين، ويقول في ذلك عصمت سيف الدولة في محاضرة له حول الإسلام وحقوق الإنسان (رضوان السيد ،الفكر الإسلامي المعاصر وحقوق الإنسان– الحياة 21ديسمبر1994):" حتى عرفنا من واقع تاريخنا كيف تتحول الكلمات الكبيرة النبيلة إلى كبائر، فنحن لا نستطيع أن ننسى أن أصحاب إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي هم الذين لم يلبثوا – قبل أن يجف حبر إعلانهم – أن أعدّوا العدة وأرسلوا قواتهم بقيادة فتاهم نابليون لاحتلال مصر." فهل هذا التاريخ وهم أو حقيقة؟

عجبت لتصور الأستاذ عبد الله أبو السمح أن الحديث عن عداء الغرب للإسلام والمسلمين إنما هو وهم أسماه أبو السمح (الغارة الوهمية)، لقد صحب نابليون معه في حملته على مصر جيشاً من المستشرقين والعلماء ليس حباً في مصر، ولكن لإحكام السيطرة عليها في جميع المجالات. ولما غادر نابليون مصر بعث إلى نائبه في مصر أن يبعث إليه 500أو 600 شيخا من المماليك، والهدف من هذه البعثة كما يقول محمود شاكر في كتابه رسالة في الطريق إلى ثقافتنا نقلاً عن رسالة نابليون: "فإذا ما وصل هؤلاء إلى فرنسا يحجزون مدة سنة أو سنتين يشاهدون في أثنائها عظمة الأمة(الفرنسية)، ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا، ولما يعودون إلى مصر

يكون لنا منهم حزب يضم إلى غيرهم" .وقد كتب محمد المنوني في كتابه يقظة المغرب العربي أن المشرف الفرنسي على إحدى البعثات الطلابية المغربية طلب أن يبقى الطلاب المغاربة مدة أطول في فرنسا بعد انتهاء بعثتهم ليتشبعوا بعظمة فرنسا وحضارتها.

ونواصل مع محمود شاكر في حديثه عن محمد علي سرششمة أنه بعد أن استقر في الحكم "وازداد إطباق "القناصل" و "المستشرقين" على عقله وقلبه وخاصة الفرنسيين منهم، وكان من تخطيط هؤلاء الاستيلاء على عقول بعض شباب البلاد من خلال الابتعاث إلى أوروبا بعامة وفرنسا بخاصة. ويقول محمود شاكر "وسنحت لجومار (أحد المستشرقين) أعظم فرصة باستجابة محمد علي لإرسال بعثات إلى أوروبه فبنى مشروعه ... على شباب غض يبقون في فرنسا سنوات تطول أو تقصر يكونون أشد استجابة على اعتياد لغة فرنسا وتقاليدها، فإذا عادوا إلى مصر كانوا حزبا لفرنسا، وعلى مر الأيام يكبرون ويتولون المناصب صغيرها وكبيرها، ويكون أثرهم أشد تأثيراً في بناء جماهير كثيرة تبث الأفكار التي يتلقونها في صميم شعب دار الإسلام في مصر."

وحل الاستعمار الإنجليزي بمصر وبغير مصر فظهر عداء الغرب للإسلام والمسلمين، ولو اقتصر الأمر على حرمان بلد مسلم من السيادة والاستقلال لهان الأمر لأن روح الجهاد إذا ما استيقظ لم يبق للأجنبي وجود. ولكن الغرب يعرف هذا تماماً فكان حرصه على قتل هذه الروح. فما كان لهم من سبيل إلاّ العبث بالتعليم، فلما تولى اللورد كرومر منصب أول حاكم عام لمصر (1907-1893م)، وكان مسؤولاً عن حكم مصر مدة تصل إلى أربع عشرة سنة، وكان رأيه كما جاء في كتابه الذي نشره بعد مغادرته مصر (مصر الحديثة) :" إن الخلاف الشديد بين المسلمين والمستعمر الغربي في العقائد، وفي القيم، وفي التقاليد وفي اللغة وفي الفن، وفي الموسيقى.." ولا بد من التغلب على هذا الخلاف وثمة طريقان في رأيه: أحدهما هو تربية جيل من المصريين العصريين الذين ينشؤون تنشئة خاصة تقربهم من الأوروبيين ومن الانجليز على وجه الخصوص في طرائق السلوك والتفكير، ومن أجل ذلك أنشأ كرومر كلية فيكتوريا التي قصد بها تربية جيل من أبناء الحكام

والزعماء والوجهاء في محيط إنجليزي ليكونوا من بعد هم أدوات المستعمر الغربي في إدارة شؤون المسلمين، وليكونوا في الوقت نفسه على مضي الوقت أدواته في التقريب بين المسلمين وبين المستعمر الأوروبي، وفي نشر الحضارة الغربية." وقد حدثني أحد الذين درسوا في هذه المدرسة انهم كان محرما عليهم التحدث باللغة العربية في المدرسة، ويعاقب من يضبط متلبسا بالحديث باللغة العربية. أما الصلاة والدين فلم يكن لهما مكانا في هذه المدرسة.

وكان التعليم في عهد كرومر قد أنيط بالقسيس دنلوب الذي يقول عنه محمود شاكر:" فأسند التعليم إلى قسّيس مبشر عاتٍ خبيث هو "دنلوب"" ويضيف: "وجاء الاستشراق الإنجليزي ليحدث في ثقافة الأمة المصرية صدعا متفاقما أخبث وأعتى من الصدع الذي أحدثه الاستشراق الفرنسي." وهذا الصدع هو ربط ثقافة المصريين بالفرعونية.

وكان موقف الاحتلال الإنجليزي في الأردن شبيها بما حدث في مصر فحدد المندوب (السامي) مثلا الحصص المخصصة للدين ، ويذكر أن أحد المسؤولين الإنجليز زار مدرسة فسأل عن الجدول فوجد أن حصص الدين أكثر مما هو مسموح به فاستشاط غضباً. وأما المنهج الدراسي فكان ضعيفا حيث لم تزد عدد السور المطلوب حفظها عن بضعة سور في المرحلة الابتدائية، ولم يكن ثمة مكان لحفظ أي عدد من الأحاديث النبوية الشريفة. أليس هذا التدخل في المناهج الدراسية يعد من العداء للإسلام والمسلمين، فإذا لم يكن عداءً فما العداء إذن؟

ومما يؤكد هذه العداوة ما جاء في الآية الكريمة {قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر}التي يقول القرطبي في تفسيرها: "يعني ظهرت العداوة والتكذيب لكم من أفواههم. والبغضاء: البغض، وهو ضد الحب ... وخص تعالى الأفواه بالذكر دون الألسنة إشارة إلى تشدقهم وثرثرتهم في أقوالهم هذه، فهم فوق المتستر الذي تبدو البغضاء في عينيه. وتتمة الآية (وما تخفي صدورهم أكبر) يقول القرطبي أن معناها:"إخبار وإعلام بأنهم يبطنون من البغضاء أكثر مما يظهرون بأفواههم .

والآيات التي توضح حقيقة موقف النصارى واليهود من المسلمين كثيرة وأترك الحديث عن تفسيرها، لأتناول هنا الحقائق التاريخية والواقعية لهذه العداء. فقد أصدر

آصف حسين الباحث المسلم الذي يعيش في بريطانيا منذ عدة سنوات، ويدير كلية إسلامية في مدينة ليستر كتابا بعنوان صراع الغرب مع الإسلام: استعراض للعداء التقليدي للاسلام في الغرب)عام1990م جاء في مقدمته:" غالباً ما يتهم الغرب بأنه معاد للإسلام وللعالم الإسلامي، وتهدف هذه الدراسة إلى البحث في مدة صحة هذه الفكرة أو هل هي من صنع الخيال [كما يرى أبو السمح] ." وتحدث المؤلف عن معاداة السامية في الغرب وسبب ظهورها، كما تناول النزعة العنصرية لدى الأوروبيين، وقد بدأت اللاسامية بالاختفاء بسبب من قوة اليهود في الغرب فبقيت إذن النزعة العنصرية، وقد استشهد آصف حسين بمقولتين اختارهما عشوائيا للدلالة على هذه العداء. فالمقولة الأولى ليهودي فرنسي هو نائب رئيس لجنة اليهود الفرنسيين :" ليس في فرنسا مشكلة عنصرية، إن المشكلة تجد طرقاً للاستمرار بظهور الإسلام." (الجارديان 26 أبريل 1988م)، والمقولة الثانية هي لوزير ينتمي لحزب المحافظين يقول فيها: "يجب إعادة فتح بريطانيا للانجليز، ويجب طرد المسلمين إلى ديارهم إذا كانوا لا يستطيعون أن يعيشوا في بلد يسمح فيه لسلمان رشدي بحرية التعبير عن آرائه."(الجارديان 29 أغسطس 1988م). وقد حاولت هذه الدراسة تناول هذا العداء في مختلف المجالات، وعلى مر العصور ولذلك جاءت في سبعة فصول من أبرزها :" النصرانية والصليبيون، والرحالة والتجسس، والاستعمار والمستشرقون، والمنصّرون والحضارة، والعرقية والصور الجامدة، وعلم الاجتماع ونظريات التطور وأخيراً الإعلام وفساده.

وليس من هدف هذه المقالة استعراض هذه الدراسة (التي أرجو أن تظهر باللغة العربية قريبا)، ولكنه عرض نماذج من عداء الغرب للإسلام والمسلمين. فقد اشتركت هيئة الإذاعة البريطانية (القسم العربي) مع المعهد الملكي البريطاني للشؤون الدولية لعقد عدة ندوات للحوار بين العالم العربي وأوروبا، وعقدت ندوة في البحرين وأخرى في القاهرة، وباستعراض أسماء الذين اشتركوا هي هذه الندوات تجد أن صوت الإسلام كان غائبا هن هذه الندوات، وكأن القائمين على هذه النشاطات لا يريدون سماع صوت يخالف توجهاً معيناً أو هم يسمعون صوتهم وصدى هذا الصوت .

ولننتقل إلى نموذج آخر من هذا العداء فقد كنت أراجع بعض النشاطات الاستشراقية في الهيئات والمؤسسات العلمية والثقافية البريطانية فوجدت عدداً من الذين رفضت أعمالهم في البلاد العربية الإسلامية هم الذين يتصدرون هذه الندوات والمحاضرات. فهؤلاء الذين تفتح لهم الأبواب على مصاريعها هم الذين يحاربون ثوابت الأمة الإسلامية، ويحتقرونها، وينتقدون الإسلام والمسلمين. وهذا هو الدليل لما أقول: قام معهد الفنون الحديثة باستضافة عدد من الكتاب والأدباء العرب لإلقاء محاضرات أو المشاركة في ندوات. والمعهد مؤسسة غير ربحية مسجلة في بريطانيا ولهذه المؤسسة أهداف تعليمية خيرية، ويحصل المعهد على مساعدة مالية من مجلس الفنون البريطاني ومعهد الفيلم البريطاني ومؤسسة راين Rayne، ومن أهداف المعهد أيضاً توفير المكان للتعبير عن وجهات النظر المتعددة. أما الذين استضافهم هذا المعهد فمنهم : محمد شكري صاحب كتاب "الخبز الحافي"، الرواية الممنوعة في معظم البلاد العربية وتسخر من الإسلام . ومنهم عبد الرحمن منيف صاحب رواية "مدن الملح "التي لا تختلف عن رواية الخبز الحافي. وقدم المعهد لقاءً مع نوال السعداوي وحنان الشيخ وعائشة جبار وغيرهم . فهل هذا الاهتمام بكل المنحرفين والضاليين يعد عداءً حقيقياً أو وهميا؟

====================

الإسلام و الغرب > وماذا عن اعتذار الأوروبيين لنا؟ >

أُعلنَ قبل مدة عن قيام مسيرة أوروبية للاعتذار للمسلمين من الحملات الصليبية الأوروبية وما ارتكبته من وحشية ضد الشعوب الإسلامية. ولعلها كانت مسيرة متواضعة لم تنقل الصحف تفصيلاتها أو الشخصيات المهمة التي شاركت فيها أو التي فكرت فيها أساساً. المهم جميل أن يدرك الأوروبيون أنهم حينما جاؤوا إلى بلاد الشام إلى بلاد السمن والعسل والخيرات وقتلوا وسفكوا الدماء حتى غاصت خيول الإفرنج حتى الركب في الدماء. ولكن كان عليهم أن يدركوا أيضاً أن المسيرة كان ينبغي أن تتضمن تقديم الشكر للمسلمين بما أسهمت به حضارتهم في نهضة أوروبا، وكان عليهم أن يعدلوا مناهجهم الدراسية لتتضمن الأصل العربي الإسلامي كأصل

من أصول ثقافتهم وحضارتهم، حيث إن الأوروبيين يصرون على أن مصادر ثقافتهم هي اليونانية واللاتينية والتراث اليهودي النصراني فقط.

لقد لفت انتباهي إلى هذا الموضوع ما كتبه الأستاذ فاروق لقمان في زاويته اليومية في "الاقتصادية" (18رمضان 1419هـ)، في حديثه عن اعتذار اليابانيين من الشعوب التي وقعت تحت الاحتلال الياباني وتساءل في آخر مقالته وماذا عن اعتذار الأوروبيين لنا؟ ولعله يتناول هذا الموضوع في مقالة منفصلة ولكني أحببت أن أتناول هذا الموضوع في هذه الزاوية؟

أولاً هل نستحق أن يعتذر الأوروبيون لنا مما فعلوه في أثناء احتلالهم لبلادنا العربية الإسلامية؟ لقد دخلوها بجيوشهم فقتلوا مئات الألوف بل الملايين. فقد بلغت بالفرنسيين الوحشية أن ابتدع الجنرال بيجو سياسة الأرض المحروقة، فكم من الجزائريين من التجأوا إلى الكهوف فحرقوا من فيها عن بكرة أبيهم. وهذه الوحشية تمثلت أيضاً فيما فعلته في فرنسا في شهر مايو من عام 1945حينما قتلت على أقل تقدير أكثر من خمسة وأربعين ألفاً في يوم واحد. وكذلك ما فعلته في حرب التحرير التي تسمى حرب المليون والنصف شهيد وربما كانوا أكثر بكثير من هذا العدد.

وأما إيطاليا وما أدراك ما إيطاليا فإنها في خلال فترة احتلالها القصيرة لليبيا قتلت ما يعادل نصف سكانها بأساليب تفوق وحشية ما كان يفعله الرومان بأعدائهم. واستمر مسلسل العنف والتقتيل الأوروبي للعالم الإسلامي. ففي هذا اليوم من شهر شوال سمعت أن مصر تطالب الدول الأوروبية التي تحاربت على أرضها (ألمانيا وبريطانيا) إزالة الألغام التي تركتها جيوشهم بدون خرائط مما يصعب اكتشافها إلاّ بجهد كبير.

وليس الاعتذار للأحياء بأقل أهمية من الذي قتلتهم فقد سعت الدول الأوروبية إلى نشر مدارسها ومعاهدها في بلادنا حتى أصبحت لدينا عقدة نقص متأصلة أو مستديمة أو مزمنة وهي شغفنا باللغات الأجنبية حتى إن بعض الإسلاميين يرسلون أبناءهم إلى هذه المدارس لأنها هي التي تضمن لهم الوظائف إذا خرجوا إلى الحياة العملية. وهل اللغة وحدها هي المصيبة ولكن اللغة وعاء لثقافة وفكر غربيين عنّا. فأذكر أحد الذين درسوا في كلية فيكتوريا يزعم أن مصطفى كمال الزعيم التركي الذي

حارب الإسلام وعلماءه، وحارب اللغة العربية وسعى إلى إخراج الألفاظ العربية من اللغة التركية حتى أطلق المستشرق البريطاني اليهودي جيفري لويس على ذلك (الإصلاح الكارثة)، يزعم أنه زعيم عظيم وأنه هو الذي أسس تركيا الحديثة وسعى إلى أن تلحق ركب التمدن والحضارة.

في الوقت الذي قتل اليهود بالدعم الأوروبي وبالمال الأوروبي والأمريكي عشرات الألوف من الفلسطينيين وشردوا الملايين منهم يسافر مدير أكبر البنوك الألمانية إلى أمريكا ليجتمع باليهود وبالمنظمة اليهودية العالمية ليبحث في التعويضات التي يطلبها اليهود مقابل إسهام البنك في حملة الإبادة بأفران الغاز. مع أن التاريخ يحفظ أن اليهود قتلوا من الألمان أعداداً كبيرة فقط لأنهم ألمان مع أن اليهود سعوا قبل أن يغضب عليهم الألمان إلى السيطرة على الاقتصاد الألماني.

نحن لا نريد تعويضاً من أحد على ما فات، ولكننا نريد أن نستيقظ فنحافظ على ثرواتنا الحالية بأن لا يبخسونا في السعر المقدم لها، وأن نحافظ نحن على هويتنا رغم السنوات الطويلة من الغزو الفكري السابق والحالي ورغم تملكهم لوسائل الإعلام العالمية. ولكن ألسنا نحن الذين يجب أن نفرض احترامنا على الآخرين

==================

الإسلام و الغرب > أما المسلمون فلا بواكي لهم >

لماذا هذه الضجة الكبرى حول الجنرال التشيلي أوجستو بينوشيه(حاكم شيلي السابق) الذي يتهم بارتكاب مجازر ضد قومه؟ فدولة تريد الإفراج عنه بينما تريد دول أخرى احتجازه لمحاكمته. والهدف من ذلك كله كما يزعمون تحقيق العدالة، ومعاقبة متهم بارتكاب مجازر ضد قومه. وقد أصدرت المحكمة الجنائية الدولية المتخصصة لأحداث التطهير العرقي السابقة في رواندا على جون كمباندا –رئيس وزراء رواندا السابق– بالسجن مدى الحياة بسبب ضلوعه في جرائم ضد الإنسانية.

وهناك قرارات دولية لمعاقبة الذين اشتركوا في ما يسمى بالهولوكوست، وبدأت المحكمة الدولية لجرائم الحروب في مدينة لاهاي الهولندية بمحاكمة بعض الذي اشتركوا في المجازر ضد المسلمين في البوسنة والهرسك. لكن حظ المسلمين في عناية هذه المحاكم الدولية ما زال قريباً من الصفر؛ فالجرائم التي ترتكب ضد

المسلمين تمر في الإعلام العالمي مرور الكرام، ولا تعتني بهم المحاكم المخصصة للجرائم التي ترتكب بسبب الاضطهاد العرقي أو الديني.

وقد كتب إليّ الدكتور أحمد فريد مصطفى المشرف العام على منارات المدينة المنورة يذكر بما جدث للمسلمين في ما يسمى تنزانيا الآن؛ ففي عام 1386هـ(1966م) قام القس نيريري بضم زنجبار بالقوة وألقى بآلاف المسلمين في البحر ليموتوا غرقاً، بالإضافة إلى الآلاف من المسلمين الذين أخذوا إلى المقابر ثم قتلوا بالرصاص. وقد صوّرت بعض الصحف الغربية هذه الجرائم ولم يكتب عنها سوى عدد محدد من الصحف العربية الإسلامية. ويشير الدكتور أحمد فريد مصطفى إلى أن الأستاذ محمد صلاح الدين قد كتب في هذا الموضوع في صحيفة المدينة المنورة حينذاك. هل كان السكوت على نيريري لأنه قس نصراني والضحايا من المسلمين الذين لا بواكي لهم. واستمر القس نيريري يحكم تنزانيا سنوات عديدة ولا أحد يشير إلى جرائمه ضد المسلمين.

ولكن السؤال الذي يجب أن يطرح على محاكم (العدل) الدولية هو لماذا تمر المجازر ضد المسلمين دون أن يتناولها أحد أو يثيرها في الإعلام الدولي؟ فهذه إسرائيل منذ عام 1948م وهي ترتكب المجازر ضد الشعب الفلسطيني، وما زالت سجونها تزدحم بأعداد كبيرة من الفلسطينيين، فالذين ارتكبوا هذه الجرائم يستقبلون استقبالاً رسميا في الدول الغربية، ولا يستطيع أحد أن يتفوه بكلمة ضدهم وآخر من احتفت بهم واشنطن أريل شارون وزير الخارجية الإسرائيلي ودوره معروف في مجزرتي صبرا وشاتيلا.

ولا تنحصر الجرائم ضد المسلمين بالمجازر فهناك المسلمون خارج السجون ولكنهم لا يتمتعون بحقوق المواطن التي يتمتع بها المواطن العادي؛ فهذه دولة تدعي أنها علمانية ولكنها تحرم مواطنيها من أبسط حقوقهم المدنية مثل التمسك بالشعائر الدينية كالحجاب أو إطلاق اللحية أو أداء الصلوات. وفي إسرائيل تنحصر الحقوق المدنية فيمن ينحدر من أصل يهودي ويهودي غربي بالذات.

وأين هذه المحاكم الدولية مما حدث ويحدث للمسلمين في كشمير، وفي الفلبين، وفي بورما، وفي اليونان؟ ففي بورما مثلاً يطرد مئات الألوف من المسلمين لينتقلوا إلى

جارتهم التي لا تنقطع معاناتها بنجلاديش ولا تتحرك المحاكم الدولية لإعادتهم إلى بلادهم. أما السياسيّة البورمية المتزوجة من إنجليزي فلا تنقطع أخبارها عن وسائل الإعلام الدولية حتى أعطيت جائزة نوبل للسلام. فهل سياسيّة واحدة أهم من مئات الألوف من المسلمين؟ ولماذا لم تتحرك محاكم (العدل) الدولية لمعاقبة المتسبب في مجازر حلبجة في العراق ضد المسلمين الأكراد؟ لقد عرفها العالم ولكن لم يفكر أحد يومها بتقديم رئيس النظام العراقي إلى محاكم (العدل) الدولية. ولماذا لم يعاقب النظام الروسي الذي دمّر العاصمة الشيشانية تدميراً شاملاً، بل إن البنك الدولي ضخ آلاف الملايين من الدولارات في الاقتصاد الروسي – وما يزال– لدعم الروس.
لقد طرحت ذات يوم فكرة إنشاء محكمة عدل إسلامية دولية، وما زلنا ننتظر أن يتحقق هذا؛ فإن المسلمين يجب أن يأخذوا قضاياهم بأيديهم ولا يتركوها لمحاكم (العدل) الدولية التي توجهها الأمم الغربية ولا تهتم إلاّ بما تريد أن تهتم به. فالرئيس الصربي يتم التفاوض معه والتعامل معه على أنه رئيس دولة بينما الأدلة والشواهد والقرائن كلها تتهمه بارتكاب المجازر في البوسنة ثم في كوسوفا. وقد أصبح الآن سجيناً في لاهاي يتنظر محاكمته التي تؤجل من تاريخ إلى تاريخ ربما حتى يموت دون أن يحكم عليه. فمتى ينهض المسلمون ويُحاكم من يرتكب الجرائم ضدهم؟؟

================

الإسلام و الغرب > الاستشراق يهتم بمن يحارب الإسلام >

أدرت مؤشر المذياع قبل عدة ايام وبدأت هيئة الإذاعة البريطانية القسم العربي ببث برامجها مبتدئة بالقرآن الكريم، ثم نشرة إخبارية مؤجزة، ثم عرض سريع للبرامج وربما أي شيء آخر لا أذكره الآن. وقبل الساعة السابعة بخمس دقائق قدمت لنا الإذاعة أغنية (واختيارات إذاعة لندن أو أغانينا وكلماتها تحتاج وقفة مستقلة–لو سمعها شاعر من عهد ازدهار الشعر لمات كمداً).
وفي السابعة صباحاً بدأت الجولة الإخبارية الأولى ثم تلاها ما تلاها حتى جاء موعد البرنامج الشيق (الرأي الآخر) وهذا البرنامج تقدمه عادة المذيعة مديحة المدفعي، ولكنه كان في هذا اليوم من نصيب المذيع أحمد مصطفى.

وبدأ المذيع قائلا بأن جدلاً واسعاً يدور في هذه الأيام حول مدى ديموقراطية تيار الإسلام السياسي، وإن القضية التي يدور حولها البرنامج اليوم هي الإسلام والديموقراطية. وضيفا البرنامج هما الدكتور عزيز العظمة الباحث في معهد الدراسات العليا في بون بألمانيا. والضيف الثاني هو الدكتور محمد عمارة.
وقدم المذيع الضيف القادم من ألمانيا عزيز العظمة، فبدأ عزيز الضيف مرافعته بأن الإسلام لا يصلح أساساً للحكم لأن النظم الدينية- في نظره- تقوم على اعتبار التمييز بين المواطنين؛ فثمة تمييز بين الرجل والمرأة، وتمييز بين الكفاءات، وتمييز بين الناس وفقاً لمعتقداتهم الدينية. وخلص إلى أن أي نظام سياسي يقوم على أيديولوجية دينية يكون بطبيعته شمولي، ولا يترك المجال للناس أن يتطوروا.
ولمّا كان وقت البرنامج قصيراً فلم يتمكن العظمة من تفصيل هذه المقولات. ولكن كما يقول المثل" تلك شنشنة معروفة "، فلم يفتأ المستشرقون غير الموضوعيين يتهمون الإسلام بأنه يفرق بين المرأة والرجل. لقد أصبح من الممل الرد على مثل هذه الفرية. فأي تفرقة هذه التي يقصدها الدكتور؟ ألم يسمع بقوله صلى الله عليه وسلم (النساء شقائق الرجال)؟ ألم يكن الإسلام هو الذي سبق الغرب بمئات السنين باستقلالية ذمة المرأة المالية؟ ألم تكن المرأة المسلمة تهتم بشؤون الأمة وتدفع أبناءها إلى الجهاد؟ من الذي أنجب المجاهدين في أنحاء العالم الإسلامي الذين وقفوا في وجه الاستعمار؟ من الذي ربّاهم ودفعهم إلى الجهاد؟ وهذه المرأة الفلسطينية اليوم خير مثال على المرأة المسلمة التي تعرف واجباتها وتسهم في المقاومة كما يسهم الرجل وربما زيادة؟
وكيف يميز الإسلام بين الكفاءات وهذا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر من أن يوضع الرجل في غير المكان المناسب له (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة)، فقيل وكيف تضيع الأمانة ؟قال: (إذا وسّدت الأمور الى غير أهلها)، أليس هو صلى الله عليه وسلم الذي أمر بلالاّ رضي الله عنه أن يعلو الكعبة ليؤذن، ويغتاظ من قريش من لم يروا بلالاً أهلاً لهذا المكان، وهو الذي كان بالأمس عبداً رقيقاً عندهم لا يحلم بأقل من هذا بكثير؟

هل يجهل الدكتور العظمة هذا؟ أو أصابه داء بعض المستشرقين الذين لا يفهمون ما يقرأون أو يفهمونه كما يشاؤون؟ لقد وفّى الدكتور عمارة في ردوده على العظمة ولكنّي أتساءل لماذا تهتم المعاهد الغربية باستقطاب هؤلاء الذين يسيؤون للإسلام ولا يمثلونه، وتقدم لهم المراكز العلمية البارزة حتى إذا قالوا سُمِع لقولهم؟

================

الإسلام و الغرب > كوسوفا والرأي السديد >

يبدو للعالم أن الصرب قد آلمتهم ضربات طائرات حلف شمال الأطلسي فاستسلموا لشروط الحلف، وبدأت المحادثات للتفاهم حول كيفية تطبيق شروط الحلف في الانسحاب من كوسوفا وبدء عودة شعب كوسوفا المسلم إلى دياره. ولكن هل يكفي أن تخرج قوات الصرب وتعيش المنطقة سنوات –الله أعلم كم تطول– في حماية قوات الأمم المتحدة ؟ أما أهل كوسوفا فيحرمون من أن يكون لهم جيش يحمون به أنفسهم لأن الاتفاقيات نصت على أن يتخلى مقاتلو جيش تحرير كوسوفا عن سلاحهم، وأن توضع قوات الأمم المتحدة على الحدود لمنع تسلسلهم إلى بلادهم لتحريرها.

إن أول ما دار من حديث أن الرئيس الصربي لا عهد له ولا ذمة وأنه طالما تعهد ووعد، وما أن تحين له الفرصة حتى يخلف وعده ويكسر عهوده. إن الرئيس الصربي لم يكن وحده الذي يستحق الإدانة فإنه خلف الأعمال التي قام بها جيشه من نهب وتدمير وهتك للأعراض إنما فعلوه لأن ثقافتهم ومعتقداتهم تبيح لهم ذلك. ومهما كانت الأوامر العسكرية من سلوبودان مليسوفيتش فإن الذين قاموا بالتنفيذ أفراد من الشعب الصربي الذي احتل الأراضي التي كان يسكنها المسلمون ولا بد أن الصرب سيحاولون أن يثبتوا وجودهم بأي طريقة داخل كوسوفا.

وفي هذا المجال وجدت في أرشيفي الصحفي مقالة للشيخ أحمد محمد جمال رحمه الله بعنوان (نحن أحق من ميتران) يتحدث فيها عن أزمة البوسنة والهرسك نشرت في 20محرم 1413هـ، قال فيها ما يأتي: "مازالت المناحات العربية والإسلامية تتردد في الصحف والمجلات وعبر الإذاعات والتلفازات ..بكاءً وعويلاً على المذابح الصربية في البوسنة والهرسك، ومازالت دماء النساء والرجال والأطفال ..ومؤتمر وزراء

خارجية الدول الإسلامية –الذي انعقد في تركيا– اكتفى بطلب إلى مجلس الأمن الدولي بالتدخل السريع في أزمة البوسنة والهرسك...

000000000

"من وجهة نظري أن العالم الإسلامي يجب أن يحمي نفسه لأنه يؤلف كثرة كاثرة من الدول ذات القوة العسكرية والثروة الاقتصادية وحقوق السيادة، التي من شأنها أن تدافع عن كرامتها وإنسانيتها وشعوبها وأراضيها، كما يجب على منظمة المؤتمر الإسلامي أن تكون لها قوات عسكرية تدافع بها عن أية دولة أو أقلية إسلامية وقع عليها عدوان ظالم أو اضطهاد غاشم من دول صليبية أو وثنية"

وقد طالب الشيخ رحمه الله في مقالة له في بداية مأساة البوسنة (1412/11/27هـ) " بسحب سفراء الدول العربية والإسلامية من يوغسلافيا، ثم سحب ممثليها في هيئة الأمم المتحدة إذا لم يتخذ مجلس الأمن الدولي إجراءً عملياً حاسماً لوقف العدوان الصربي على البوسنة والهرسك...ويضيف الشيخ "وقلت يومذاك إن البكاء والنواح لن يجديا شيئاً، ولا بيانات الشجب والاستنكار التي تصدرها الزعامات العربية والإسلامية ستوقف العدوان الصليبي الصربي على إخواننا المسلمين هناك. وفعلاً استمر سفك الدماء وذبح الشيوخ والنساء والأطفال وهدم الدور والمتاجر والمساجد في الديار الإسلامية...."

وكان الشيخ رحمه الله على حق فإن الصرب حتى وهم قد رضخوا أخيراً فيما يبدو لضربات حلف الأطلسي فإنهم إذا وجدوا الفرصة مواتية ارتكبوا أفعالهم الشنيعة، فهل يكفي أن يعود شعب كوسوفا لحكم ذاتي محدود وأن لا يكون لهم جيش يحميهم وأن يحتفظ الصرب بكوسوفا لأن الصرب يزعمون أن لهم حقاً تاريخياً في هذه المنطقة وقد تضمنت الاتفاقية أن يحتفظ الصرب ببعض الجنود لحماية الأماكن المقدسة لهم. فيا سبحان الله تهدم كل المقدسات للمسلمين ويبقى للصرب مقدساتهم ويسمح لهم بحمايتها.

إن العقوبة الحقيقية للصرب أن لا يسمح لهم بدخول كوسوفا وإن لم يفرض ذلك الأوروبيون فإن المسلمين قادرون على ذلك وإنهم سيفعلون ذلك؟ فهل الحل أن يعود

المسلمون إلى ديارهم التي خربت ودمّرت ونهبت وأن يعودوا إلى بلد تحت حكم من هتك الأعراض ويتّم الأولاد ورمّل النساء؟

وأخيراً فهل يستمع أحد إلى ما قاله الشيخ أحمد محمد جمال رحمه الله ؟

===============

الإسلام و الغرب > خطتهم الخمسية وخطتنا >

نشر إدوارد دجيرجيان السفير الأمريكي السابق في إسرائيل ومساعد وزير الخارجية السابق لشؤون الشرق الأوسط أيضاً مقالة في صحيفة الكريستشان ساينس مونيتور(Christian Science Monitor)في17مارس 1995م (*) بعنوان خطة من خمسة نقاط للتعامل مع الإسلام. وهناك عنوان فرعي يقول "على الولايات المتحدة الأمريكية أن تبني استراتيجية واسعة تجاه هلال الأزمات ابتداءً من البوسنة إلى الشرق الأوسط وجنوب آسيا"

قدم دجيرجيان لخطته الخمسية بالقول: "إن نداء (الله أكبر) التي يطلقها المقاتلون المسلمون يمكن سماعها عبر هلال الأزمات منطلقة من البوسنة وخلال الشرق الأوسط حتى أواسط آسيا وجنوب شرق آسيا. إن الإسلام يلعب دوراً حاسماً في المشكلات المختلفة كما في البوسنة وفي الشيشان وفي ناقرنو-كراباح والجزائر وغزة والضفة الغربية وكشمير. والمسلمون في هذه المنطقة كلها يؤكدون هويتهم مقابل النظم غير الإسلامية أو الشرائح أو الأنظمة القائمة على العلمانية..."

ويتساءل دجيرجيان هل هذه المشكلات صدام حضارات حتمية بين الغرب والإسلام؟ أو إنها إفرازات معينة لعدد من المشكلات زادت حدتها بنهاية الحرب الباردة؟ ويضيف بأنه يعتقد أن السبب الأخير هو الصواب. ومع ذلك فإن على صانعي السياسة الأمريكيين أن يتناولوا قضية الدين بجدية وبهذا السياق كيف يمكن للولايات المتحدة أن تطور سياسة شاملة نحو الإسلام؟

ثم يقدم دجيرجيان خمسة خطوات للتعامل مع الإسلام التي يمكن تلخيصها كما يأتي :

1- يجب على الولايات المتحدة أن تدرك أن منطقة هلال الأزمات تحتوي على ثلثي احتياطي النفط في العالم وأن الحرب في البوسنة قد تكون الشعلة لحرب أوسع في

البلقان، كما أن المشكلة في الشيشان يمكن أن تعطل الإصلاحات في روسيا.وكذلك مشكلة كشمير يمكن أن تشعل فتيل الحرب بين الباكستان والهند.

2- يجب على صانعي السياسية الأمريكية أن يفرقوا بين إسلام عامة الناس وأولئك الذين ينادون بالإرهاب خارج بلادهم وضد أنظمة بلادهم المضطهِدة. وإن كان على الولايات المتحدة أن تواجه أي خطر فهو خطر التطرف سواءً كان علمانياً أو دينياً. يجب على الولايات المتحدة أن تؤيد الحكومات التي تمثل الإسلام العام والتي تحاول أن تحسن من أوضاع شعوبها المعيشية. وذكر بعض الدول التي يرى أن على أمريكيا تأييدها وهي تركيا العلمانية ومصر ودول أخرى.

3- في العالم الإسلام كما هو الحال في دول أخرى تقود المظالم الاجتماعية إلى التطرف، ويجب على الولايات المتحدة أن تعمل مع هذه الدول لإزالة هذه المظالم.

4- إن حل المشكلة العربية الإسرائيلية سوف يساعد على قطع الطريق على تأثير ويفسد قدرات التطرف الإسلامي. ويتحدث عن بعض الجهود الأمريكية في هذا المجال.

5- يجب على الولايات المتحدة الأمريكية أن لا تقلل من شأن الدين فعليها أن تدخل هذا العامل ضمن عملية صناعة سياستها في المنطقة.

هذا نموذج لأحد العاملين في مجال صناعة القرار السياسي قد يصيب وقد يخطئ ولكن السؤال ما ذا عنّا نحن هل أعددنا خطتنا للتعامل معهم أو حتى للتعامل مع أزماتنا؟ إن لديهم في الغرب عشرات مراكز البحوث الاستراتيجية ومراكز صناعة القرار أو ما يسمى مستودع التفكير Think Tank وهم يستخدمون كل القدرات العلمية والعقلية والفكرية في دراسة ما يواجههم من مشكلات ويفكرون في وضع الحلول المناسبة لهم والتي تخدم أهدافهم ومجتمعاتهم .

إننا في العالم الإسلامي بحاجة إلى مزيد من التركيز على حل مشكلاتنا الداخلية ولعل من أولها البطالة، فقد كتب فهمي هويدي قبل أسابيع عن وجود عشرة ملايين عاطل عن العمل في العالم الإسلامي، ولو أضفنا إلى هذه المشكلة ما نواجهه من مشكلة الأمية والتخلف وعدم تقدير الكفاءات والمواهب فهذه كفيلة بشغلنا تماماً عن كثير من إضاعة الوقت في أمور كثيرة أقل أهمية. وإننا إذا ما استطعنا أن نكون

أكثر صراحة في حل مشكلاتنا الداخلية أصبحنا أكثر قرباً من تحقيق قوة الجبهة الداخلية، عندها نلتفت أو علينا في الوقت نفسه أن نكلف من ينظر في دراسة أوضاعنا مع الجبهات الخارجية للوصول إلى المواقف المناسبة.

- الحواشي :

* زودني بنسخة من المقالة الأستاذ جهاد الخازن عندما سألته عن مقالة له حول هل الأزمات

===============

الإسلام و الغرب > نظرات إيجابية إلى الإسلام >

برنامج (هل عرفتني؟)

نظرات إيجابية إلى الإسلام

1- يقول المستشرق الفرنسي مونتيه :"من المتوقع لعقيدة محدودة كل التحديد خالية كل الخلو من جميع التعقيدات الفلسفية ثم هي تبعاً لذلك في متناول إدراك الشخص العادي أن تمتلك، وإنها لتمتلك فعلاً قوة عجيبة لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس."

من كتاب : Les Propagande Chretienne et ses adversaires Muslumann.(Paris 1890) نقلاً عن كتاب توماس آرنولد: الدعوة إلى الإسلام.

2- يقول الباحث كونن في كتابه الأديان القومية والأديان الكونية عن الإسلام: "نجد أركان العقيدة تلقى دون انقطاع تعبيراً ظاهراً في حياة المؤمن، ثم نجدها بعد أن أصبحت متشابكة مع نظام حياته اليومية تشابكاً لا سبيل إلى الفكاك منه، تجعل المسلم الفرد إماماً ومعلماً لعقيدته، أكثر إلى حد بعيد مما هي الحال مع أنصار معظم الديانات الأخرى."

B. Kunen . National Religions and Universal Religions (London 1882)

3-يقول ركس إنجرم وهو اسكتلندي شارك في الحرب العالمية الأولى، وزار العديد من بلاد الشرق، ودرس لغاتها وأديانها، وعمل في هوليود مصوراً سينمائيا، واعتنق الإسلام لأنه وجد فيه ضالته المنشودة.

"إنني أعتقد أن الإسلام هو الدين الذي يُدخل السلام والسكينة إلى النفس، ويلهم الإنسان العزاء وراحة البال والسلوى في هذه الحياة، وقد تسرب روح الإسلام إلى نفسي فشعرت بنعم الإيمان بالقضاء الإلهي، وعدم المبالاة بالمؤثرات المادية من لذة وألم." عن كتاب رجال ونساء أسلموا 3/1.

4- يقول المستشرق الأمريكي في كتابه حياة محمد: "ينهى الإسلام عن الوثنية تماماً في جميع صورها، فقد نهى الإسلام عن جميع الطقوس الدينية في الجاهلية التي تتعلق بالوثنية ودعا إلى توحيد الله، ولكنه احتفظ من بين تلك الطقوس بما هو بعيد عن الوثنية مثل الحج إلى مكة والطواف بالكعبة."

5- يقول مارسيل بوازار في كتابه إنسانية الإسلام: "لا تمييز في العقيدة الإسلامية بين الموجب القانوني والواجب الخلقي، وهذا الجمع المحكم بين القانون والخُلُق يؤكد قوة النظام منذ البداية."

6- يقول المؤرخ البريطاني المشهور آرنولد توينبي في كتابه مختصر دراسة التاريخ (3/54-55): "إن الإسلام قد أعاد توكيد وحدانية الله في مقابل الضعف البادي في تمسك المسيحية بهذه الحقيقة الجوهرية".

ثانياً: التشريع

1-كتب المستشرق ديفيد سانتيلانا في كتاب تراث الإسلام Legacy of Islam: "عبثاً نحاول أن نجد أصولاً واحدة تلتقي فيها التشريعات الشرقية والغربية (الإسلامية والرومانية) كما استقر الرأي على ذلك. إن الشريعة الإسلامية ذات الحدود المرسومة، والمبادئ الثابتة لا يمكن إرجاعها أو نسبتها إلى شرائعنا وقوانيننا لأنها شريعة دينية تغير أفكارنا أصلاً."

ويقول أيضاً: "ولمّا كان الشرع الإسلامي يستهدف منفعة المجموع، فهو بجوهره شريعة تطورية غير جامدة خلافاً لشريعتنا من بعض الوجوه. ثم إنها علم مادامت تعتمد على المنطق الجدلي -وتستند إلى اللغة ...إنها ليست جامدة."

2- يقول ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة:"كانت مبادئ الإسلام [المسلمين] الأخلاقية وشريعتهم، وحكومتهم قائمة كلها على أساس الدين، والإسلامي أبسط الأديان كلها وأوضحها، وأساسه شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله."

3-كتب مكسيم رودنسون المستشرق الفرنسي الذي كان يتبنى الشيوعية في كتاب تراث الإسلام: "ثم إن الإسلام وفق بين الدعوة إلى حياة أخلاقية وبين حاجات الجسد والحواس والحياة في المجتمع، وخلاصة القول فهو كدين كان قريباً جداً من الدين الطبيعي الذي كان يعتقد به معظم(رجال عصر التنوير)

ثالثاً: الحياة الاجتماعية

1-يقول ليوبولد فايس (محمد أسد) في كتابه منهاج الإسلام في الحكم: "هدف التعاليم لا تقف عند حد تنظيم العلاقة بين الإنسان وخالقه، ولكنها تتعدى ذلك إلى وضع نظام محدد للسلوك الاجتماعي يجب على المسلم اتباعه كأثر من آثار تلك العلاقة ونتيجة لها، إن رفع الظلم عن الناس وإقامة معالم العدل في الأرض هي الغاية النهائية التي تستهدفها رسالة الإسلام الاجتماعية."

2- كتب توماس كارلايل في كتابه الأبطال: "إن في الإسلام خلة أراها من أشرف الخلال وأجلها وهي التسوية بين الناس، وهذا يدل إلى أصدق النظر وأصوب الرأي، فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الأرض، والناس في الإسلام سواء. والإسلام لا يكتفي بجعل الصدقة سنّة محبوبة بل يجعلها فرضاً حتماً على كل مسلم، وقاعدة من قواعد الإسلام ثم يقدرها بالنسبة إلى ثروة الرجل..جميل والله هذا، وما هو إلاّ صوت الإنسانية، وصت الرحمة الإخاء والمساواة."

3- كتب المستشرق الإنجليزي هاملتون جيب في كتابه دراسات في حضارة الإسلام: "كانت التعاليم التي جاء بها محمد (ص) في أساسها إعادة لإحقاق المبادئ الأخلاقية التي تشترك فيها ديانات التوحيد، فازداد ترسيخ معنى الأخوة بين جميع أفراد الجماعة الإسلامية، وأنهم سواسية من حيث القيمة الشخصية الفطرية دون النظر إلى ما في مكانتهم الدنيوية ووظائفهم وثرواتهم من تباين واختلاف."

4- يقول المستشرق الفرنسي إميل درمنجهم في كتابه حياة محمد: "مما لا ريب فيه أن الإسلام رفع من شأن المرأة في بلاد العرب وحسّن حالها."

5- ويقول وول ديورانت: "رفع الإسلام من مقام المرأة في بلاد العرب، وقضى على عادة وأد البنات وسوّى بين الرجل والمرأة في الإجراءات القضائية والاستقلال المالي، وجعل من حقلها أن تشتغل بكل ما هو حلال، وأن تحتفظ بمالها ومكاسبها، وأن

ترث وأن تتصرف في مالها كما تشاء، وقضى على ما اعتاده العرب في الجاهلية من انتقال النساء من الأب فيما ينتقل من متاع، وجعل نصيب الأنثى في الميراث نصف نصيب الذكر، ومنع زواجهن بغير إرادتهن."

6- كتبت زيغرد هونكه في كتابها المشهور شمس الله تشرق على الغرب: "إن احترام العرب لعالم النساء واهتمامهم به ليظهران بوضوح عندما نرى أنهم خصّوه بفيض من العطور وبأنواع الزينة التي وإن لم تكن غير مجهولة قبلها إلاّ أنها فاحت بثروة الشرق العطرية الزكية، وبالأساليب الفائقة في تحضيرها .."

وقالت في موضع آخر "ظلت المرأة في الإسلام تحتل مكانة أعلى وأرفع مما احتلته في الجاهلية. ألم تكن خديجة [رضي الله عنها] زوجة النبي [e]الأولى التي عاش معها أربعاً وعشرين عاماً أرملة لها شخصيتها ومالها ومكانتها الرفيعة في مجتمعها؟ لقد كانت نموذجاً لشريفات العرب، أجاز لها الرسول(e) أن تستزيد من العلم والمعرفة كالرجل تماماً؟"

==============

الإسلام و الغرب > إذاعة لندن والاستشراق الجديد >

كلفت قبل مدة بإلقاء درس حول الاستشراق المعاصر، فأعددت بعض الأفكار في ذهني وفي وريقات معي، ولما حان موعد الدرس انطلقت إلى المكان المحدد وفي الطريق أدرت المذياع فإذا بالإذاعة لندن باللغة الإنجليزية تجري لقاء مع الدكتورة منى مكرم عبيد الأستاذة الجامعية المصرية القبطية (عضوة مجلس الشعب)، فأوقفت سيارتي، وأخرجت ورقة وبدأت أدون ما تقوله الدكتورة، ثم أكملت الطريق حتى وصلت وجهتي وقد عزمت على أن لا أتحدث عن الأفكار التي أعددت أو كتبت ذلك أنني وجدت بغيتي في هذا الحديث الإذاعي.

لم يعد الاستشراق المعاصر يعتمد على جون، وجورج، وبل، ومايكال، وغيرهم فقد اكتشف هذا الاستشراق أننا حساسون جدا للآراء والأفكار التي يطرحها هؤلاء، لذلك سعي أن يوصل أفكاره ومخططاته ومؤتمراته من خلال أبنائنا الذين يحملون أسماء حسن، ومحمود، وعلى، وحسين، ومنى، وعائشة، وهدى وغيرهم.

ولما كان من أبرز أهداف الاستشراق قديما وحديثا السعي إلى تفتيت وحدة الأمة الإسلامية، وخلق النزعات داخل المجتمعات الإسلامية وبخاصة تلك التي تضم أقليات نصرانية فإن حديث الدكتورة منى يسعى جاداً إلى تحقيق هذا الهدف.

ولننتظر كيف يعمل الاستشراق المعاصر خلال أمثال الدكتورة منى عبيد من واقع الأفكار التي قدمتها في هذا اللقاء مع إذاعة لندن باللغة الإنجليزية. لقد أبدت الدكتورة مخاوفها الشديدة من تطبيق الشريعة الإسلامية في مصر، وزعمت أن ذلك لن يكون في مصلحة النصارى، كما زعمت أن المناهج الحالية بما تحتوي من اهتمام وتركيز على الإسلام أمر غير مقبول، فكيف إذا ما تمت أسلمة هذه المناهج كليا، وهذا يعني في نظرها أسلمة المجتمع المصري. لا شك أن من ديدن الاستشراق قديما وحديثا تقديم التهم والافتراضات دون تقديم الدليل والبرهان؛ ذلك أن المتحدث – الدكتورة منى – تتحدث بلغة الواثق، لغة العالِم المَرْجِع فيما يقول. فالدكتورة للأسف الشديد لم توضح كيف أن تطبيق الشريعة الإسلامية سيضر بمصالح الأقلية النصرانية. لقد نسيت الدكتورة أو تناست أن مصر عاشت قروناً طويلة في أمن وسلام حقيقي في ظل الشريعة الإسلامية. وإن الحقوق التي تكفلها هذه الشريعة لأهل الذمة لا يوجد مثلها في أي تشريع آخر. ولننقل صورة من الماضي حينما شعر مصري قبطي بأنه ظلم، فتوجه من فوره إلى المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية حينذاك ليشكو وإلي مصر الصحابي الجليل عمرو ابن العاص. وأُنْصِفَ المصري تماما، بل إن عمر بن الخطاب قال قولته المشهورة والتي هي أساس مهم في الإسلام "من استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا" هذا المصري الذي كان خاضعا لشتى أنواع الاضطهاد تحت الحكم الروماني المسيحي دينيا واجتماعيا واقتصاديا وغير ذلك، لم يكن ليدور في مخيلته أن يشكو حاكما رومانيا أو يتظلم. أليست الشريعة الإسلامية إذن هي التي حققت العدل للأقباط المصريين ؟

وعسى أن تتذكر الدكتورة منى من الماضي القريب كيف أن كثيراً من النصارى أيدوا الشيخ حسن البنا رحمه الله ووقفوا إلى جانب المسلمين في صراعهم ضد الاحتلال البريطاني الغاشم رغم أن بريطانيا لم يفتها استغلال بعض النصارى كما استغلهم نابليون من قبل في حربه للإسلام والمسلمين.

أما قولها بأن المناهج الدراسية الإسلامية الحالية أو ما يتوقع أن يضاف إليها من أسلمة تضر بالأقلية النصرانية، فهل من المنطق أن يدرس خمسة وتسعون بالمئة من أبناء البلاد مناهج علمانية لا تربط بدين الشعب من أجل خمسة مائة؟ وهل يصح أن تفرض مناهج غير إسلامية في بلد مسلم ثم ما العيب في المناهج الإسلامية؟ هل تستطيع الدكتورة أن تقدم دليلاً واحداً على أن المناهج تضر أو تتحيز ضد النصارى؟ إنها تنسى أو تتناسى وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بمصر وأهلها. إن المناهج الإسلامية تدعو إلى حسن معاملة أهل الذمة وتحترم نبيهم عيسى عليه السلام وتؤمن بما جاء به من عند الله.

وتناولت الدكتورة أيضا ما زعمته من اهتمام الدولة بقضية مقتل السياح الأجانب وإهمالها للقتلى من النصارى، وزعمت الدكتورة أن كنائس هدمت وبيوتا سرقت ومتاجر غصبت، وهي في هذه الاتهامات لم تخرج عن المنهج الاستشراقي في إلقاء التهم جزافا فكيف أهملت الدولة قتلى النصارى؟ وهل حقا قتل نصارى دون أن يكون للطرف الآخر حجة في القتل؟ وأين الدليل على الكنائس التي هدمت ما عددها، فالدكتورة لم تذكر مثالاً واحداً.

وهكذا فالاستشراق المعاصر يتكلم الآن باللهجة القديمة، ويسعى للأهداف نفسها، ولكنه يقدمها بلسان أبناء البلاد الإسلامية أنفسهم. وهذا هو الخطر الداخلي الذي يفوق كثيرا الخطر الخارجي فهل ننتبه !

===============

الإسلام و الغرب > مازالوا يفخرون بالحروب الصليبية >

هل إذا تحدثنا عن الحروب الصليبية نكون نتحدث في قضايا بالية؟ وهل حقا انتهت الحروب الصليبية،وأن العداء الغربي للإسلام والمسلمين لا ينطلق من أسباب دينية وإنما هي مصالح سياسية واقتصادية وإقليمية؟ لن أجيب بنعم أو لا. ولكني وجدت أن القوم ما زالوا يهتمون بالحروب الصليبية. وقد نشرت صحيفة الحياة اللندنية عرضين لكتابين حديثين صدرا عن إدارة النشر بجامعة كمبردج البريطانية، بالإضافة إلى الأخبار عن فيلم جديد ستقوم هوليوود بتصويره قريبا من إنتاج المنتج اللبناني ماريو قصّار ويقوم بدور البطولة فيه الممثل المشهور آرنولد شوارزينجر (الذي قام

بدور البطولة في فيلم "أكاذيب حقيقية")- أصبح حاكم ولاية كاليفورنيا عن الحزب الجمهوري-، كما نشرت جريدة الحياة عرضا لفيلم وكتاب بعنوان" الصليبيون" من تأليف تري جونز والان اريرا من إصدار هيئة الإذاعة البريطانية.

أما الكتاب الأول فهو" انتصار في الشرق- التاريخ العسكري للحملة الصليبية الأولى" تأليف جون فرانس. ويتناول الكتاب (الحياة 11543في 1994/9/25م) الجانب العسكري من الحملة الأولى التي يرى المؤلف أنها: "رسخت الوجود الفرنجي في قلب العالم الإسلامي، وساهمت في قيام ممالك صليبية عدة..." وكانت هذه الحرب" صدمة قاتلة ليس فقط للعرب والمسلمين الذين كانوا الضحايا الأساسيين في الفظاعات التي طبقها الصليبيون.. بل أيضا بالنسبة إلى الصليبيين أنفسهم الذين ما كانوا يتوقعون مثل هذه السرعة المذهلة في احتلال معظم المناطق القريبة من الهلال الخصيب"، ويتناول الكتاب أيضا الدوافع التي تسببت في الحروب الصليبية، وكذلك تركيب المجتمع الأوروبي.

أما الكتاب الثاني فهو" القلاع الصليبية"تأليف هيو كيندي، ولئن كان الكتاب كما يشير عنوانه يتناول التاريخ العسكري للحروب الصليبية لكنه يوضح مدى اهتمام الغرب بهذه الحروب، ويقول في ذلك سمير رزق الله الذي قدم العرض:" غير أننا بتنا نشهد في السنوات القليلة الماضية اهتماماً بالمواضيع التفصيلية الهادفة إلى تبيان جوانب غامضة من الوجود الصليبي في المنطقة، خصوصاً أن هذا الوجود استطاع أن يثبت أقدامه لأكثر من قرنين كاملين عمد خلالهما إلى إنشاء ممالك وإمارات إفرنجية لعبت دوراً مهما في التطورات الاجتماعية والاقتصادية خلال القرون الوسطى في أوروبا أو في الشرق العربي الإسلامي."(الحياة11601-1994/11/22م)

وفي مجال السينما نشرت جريدة الحياة(11406في 1994/5/10) خبراً عن عزم المنتج اللبناني ماريو قصار إنتاج فيلم عن الحروب الصليبية وسيحتاج الفيلم لمبلغ ضخم لإنتاجه ، وقد استطاع قصّار إقناع بعض الأثرياء العرب بالإسهام في إنتاج الفيلم، بينما فشل المخرج المعروف مصطفى العقاد في الحصول على التمويل اللازم لفيلم بعنوان" صلاح الدين"، ومن العجيب أن تخوف بعض العرب والمسلمين من

تمويل فيلم صلاح الدين كان لأسباب تافهة ومن ذلك أن صلاح الدين لم يكن عربيا، أو ربما كان شيعيا، وكان أتفه من ذلك أن المحرر الذي أورد الخبر لم يكلف نفسه الرد على هذه التفاهات إما جهلاً بالحقائق أو تعمداً لإبقاء القارئ جاهلاً بالحقيقة.

وهكذا يهتم الغرب بالحروب الصليبية وتمارسها بعض حكوماته ووسائل إعلامه، ومن ذلك القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية الذي يطلق على المجاهدين الشيشان "المتمردين" ويطلقون عليهم أيضاً(الإنفصاليين). وفي برنامج الإذاعة نفسها باللغة الانجليزية عن العنف في العالم ركز البرنامج على الضحايا اليهود وأهمل الضحايا المسلمين. وقد خصص جزء كبير من وقت البرنامج للحديث عن الجندي اليهودي الذي اختطفه بعض الفلسطينيين فاستضافت الإذاعة أمه وأباه، واستدرت عطف الجماهير المسكينة على هذه الضحية، بينما لم ينل الضحايا الفلسطينيون عشر معشار ما نال اليهود من الاهتمام. كما أهمل البرنامج الضحايا المسلمين في كشمير وفي الفلبين وفي البوسنة والهرسك وفي الشيشان وفي غيرها. ولعل من أحدث ملامح الصليبية المعاصرة أن صندوق النقد الدولي سيقدم عدة آلاف من ملايين الدولارات لروسيا تعويضا لها عما خسرته في حربها للشيشان، أليس هذا من شر البلية.

ماذا لو اهتم المسلمون بالكتابة عن الحروب الصليبية (قديما وحديثا) لقيل أنتم تهتمون بالماضي وتثيرون العداء ضدكم، وكأنّ الغرب أو بعض دوله في حاجة لمن يثر عداءها.

===============

الإسلام و الغرب > جيش أسامة بن زيد وكارثة أكلاهما >

الحمد الذي ظهرت براءة المسلمين والإسلام من هذه الكارثة الفظيعة .خابت آمال كثير من الإعلاميين الغربيين وأسقط في أيديهم أن لم يجدوا للمسلمين ضلعاً أو يداً في هذه الجريمة. إن ما حدث في مركز التجارة العالمي في نيويورك قد أعطى الفرصة للكثيرين في الإعلام الغربي لإلصاق شتى التهم بالإسلام والمسلمين وإصدار الأعداد الخاصة والتحقيقات التي تحاول إثبات همجية المسلمين ووحشيتهم. وأظهر هؤلاء أحقادهم الدفينة بالرغم من ان سياق الحادثة أظهر أن ليهود يداً في العملية،

لكن سرعان ما عُتّم على هذا الجانب كأن لم يكن خوفاً من التهمة الجاهزة . معاداة السامية.

الحمد لله أن خيوط المؤامرة أو الجريمة قد ظهر سريعاً وقامت وكالة التحقيقات الفدرالية بتسريح جيش المترجمين من العربية وإليها لأنه لا حاجة إليهم .فالجريمة مسألة داخلية أمريكية مئة بالمئة.

وجميل أن قام عدد من الدول الإسلامية بالتنديد بالحادثة واستنكارها بسرعة للتأكيد على أنه ليس للمسلمين يد في العملية .ولكن العجيب أن اليهود في إسرائيل كانوا من أسرع الدول في الاستنكار وإبداء الاستعداد للمساعدة في الكشف عن الجناة . وإنها لفرصة عظيمة أن يراجع الإعلام الغربي نفسه فيما ينسبه إلى الإسلام والمسلمين، ولعلها أيضاً تكون مناسبة طيبة لبعض وسائل الإعلام العربية الإسلامية التي تتبع خطوات الإعلام الغربي فتتوقف عن تقليد الإعلام الغربي في كل شيء.

إن ما حدث في أوكلاهوما سيتي جريمة بكل المعايير الإنسانية، ولكن هذه المعايير كان الغرب هو أول من ضرب بها عرض الحائط حينما يتعلق الأمر بالإسلام والمسلمين فهذه جيوش روسيا قد دكت معظم مدن الشيشان حتى أعادتها قاعاً صفصفاً،وقد قيل لو كانت الشيشان جزءاً من روسيا لما فعل بها يلتسين ما فعل. وقد فعل الصرب الشيء نفسه ،وكانت إسرائيل في حربها للبنان قد استخدمت وسائل التدمير كلها.

وقد ظهرت وحشية الغرب في الحربين العالميتين التي أشعل الغرب أوارها واكتوى بنارها العالم أجمع وإن كان الغرب أكثر من مسّه التدمير الوحشي. ويجب أن لا ننسى أن الاحتلال أو ما يسمى الاستعمار استخدم وسائل التدمير ومن ذلك أسلوب الأرض المحروقة حيث يحرقون الأرض ومن عليها .وكم حُرق الألوف في الكهوف في الجزائر على أيدي القائد الفرنسي بيجو.

أما الإسلام فهو دين الرحمة والعدل والحق والخير .فهذا جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما يعسكر خارج المدينة المنورة منتظراً الأوامر للانطلاق فيمرض الرسول صلى الله عليه وسلم فما كان من الجيش إلاّ الانتظار . ولو كانت المسألة مجرد مهمة قتالية لما انتظر الجيش حتى لحق الرسول صلى الله عله وسلم بالرفيق الأعلى

وتولى الصديق رضي الله عنه الخلافة، فخرج يودع جيش أسامة، ويقدم له النصيحة التي يجب أن تكون درساً لسائر جيوش العالم ومفكريه .إنها الوصية التي خرجت من مشكاة النبوة . وقف الصديق رضي الله عنه يودع الجيش فقال لهم:(قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنّي :

1- لا تخونوا ،

2- ولا تُغِلّوا،

3- ولا تغدروا ،

4- ولا تُمَثّلوا ،

5- ولا تقتلوا طفلاً صغيراً،

6- ولا شيخاً كبيراً،

7- ولا امرأة ،

8- ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة،

9- ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلاّ لمأكلة،

10- وسوف تمرون بأقوام فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له.

إذن هكذا هو الإسلام لا خيانة، ولا غدر، ولا قتل للأطفال، والنساء والشيوخ، ومن فعل غير ذلك فقد خالف الإسلام. وحتى لو فعل العدو بالمسلمين شيئاً من هذه الأعمال الوحشية فالمسلمون لا يردون بالمثل ،وهذا ما حدث في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حينما مُثِّل بحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فجاءت الآيات الكريمة تأمر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين بالصبر والعفو. وهو ما فعله صلاح الدين مع الصليبين الذين حين دخلوا بيت المقدس وقتلوا فيه عشرات الألوف حتى بلغت الدماء إلى الركب، ولمّا مكّن الله سبحانه وتعالى صلاح الدين من الصليبيين لم يفعل بهم كما فعلوا بالمسلمين.

فهل يعي الإعلام الغربي الدرس؟

================

الإسلام و الغرب > هذه فرنسا العداء للإسلام (رؤية من الداخل) >

العنصرية في فرنسا تجاوزت كراهية العربي لتصبح كراهية الدين ..الإسلامي برمته, هذا ما كشفته كارولين فونين صحفية بمجلة 'باري ماتش' التي ارتدت الحجاب 21 يوما في مغامرة صحفية ونقلت تعليقات المجتمع التي بدأت 'بأهلا كارولين بن لادن' وفي أحد المطاعم سمعت تعليق 'هناك علاج لحشرات الرأس بدلا من المخنقة'.
إضافة لتعليقات قبيحة وان البعض صرخ في وجهها وكأنها تحمل مدفع كلاشينكوف .. وحكت أنها التقت بإحدى المسلمات وقالت لها إنها ارتدت الحجاب، فقالت لها المسلمة لن تجدي عملا وستواجهين تعصبا في كل مكان بدءا من أماكن العمل حتى الأحزاب السياسية التي ترفض اشتراك المحجبات بها، وقالت كارولين في مغامرتها انه كان يتم تفتيشي بدقة كما لو كنت خطرا على الأمن وأنها لا تسمع إلا الشتائم والمعاكسات السخيفة.
والتعصب الفرنسي تجاه كل ما هو إسلامي كشفه أيضا فانسان جاير باحث فرنسي بمعهد الأبحاث والدراسات حول العالم العربي في كتاب عنوانه: 'موجة كراهية الإسلام علي الطريقة الفرنسية' وذكر فيه أن الإسلام هو الدين الثاني بعد الكاثوليكية وان كراهية الإسلام تنبع من خلاف تاريخي وإدراك عام بأن الإسلام دين يسعى لكي يصبح فرنسيا .. وان العقلية الفرنسية تصر علي اعتبار المهاجرين حتى أبناء الجيل الثاني الذين ولدوا وتربوا في فرنسا ليسوا مواطنين فرنسيين ويعتبرونهم مسلمين من أصول عربية.
ويرصد الباحث الفرنسي 15 حادث اعتداء علي المساجد تراوحت بين إلقاء ألوان علي جدار المسجد إلي إشعال حرائق وإلقاء مواد حارقة وإرسال طرود مفخخة.ورصد الباحث أيضا قرارات محلية في بعض المدن منها قرار عمدة مدينة 'اومون' في الشمال بمنع المسلمين من إقامة احتفالات الزواج يوم السبت علي أساس أن هذا يوم كريم مخصص للفرنسيين الكاثوليك المؤمنين.
وفي مدينة 'ايفري' عارض العمدة قرار صاحب سوبر ماركت بعدم بيع الكحوليات ولحم الخنزير. ويضيف الباحث انه منذ أحداث سبتمبر زادت الإجراءات الأمنية حول المسلمين الذين يمارسون شعائرهم.

وحول المنظمات الإسلامية أصبح استدعاء المسئولين عن الاتحادات الإسلامية وأئمة المساجد أمام مراكز الاستخبارات مسألة دورية .. وهكذا أصبح الإسلام بالنسبة للمجتمع الفرنسي العدو الأول الذي يهدد الجمهورية.

ورصد جاير في كتابه عدة أفعال منها هدم صالة للصلاة .. ووصف المحجبات بالمريضات والأئمة بالأميين في بعض الكتابات.

وطرد وزير العدل الفرنسي دومنيل بيرفان عضوة في هيئة المحلفين في محكمة قرب باريس لارتدائها الحجاب وقال: إن الحجاب يتضمن جزئيا معني الانحياز .. وانه لا يريد وجود علامة علي الالتزام الديني بالمحاكم.

وأضاف إلي ما سبق ما نشرته بعض الصحف الفرنسية ضد الإسلام والمسلمين ووصل الأمر إلى تخصيص ملف داخل مجلة الاكسبريس بعنوان 'أموال الإسلام في فرنسا' وحمل الملف دعوة لتطويق الإسلام بالرقابة علي مصادر تمويل المساجد والجمعيات الخيرية رغم انه بموجب القانون الفرنسي لا يتم تمويل هذه المساجد من ميزانية فرنسا وتعتمد في تمويلها علي الدول الأصلية للمسلمين هناك.

أما الكاتب الفرنسي ميشيل هولبيك فقد أثار مشاعر الغضب لدي المسلمين عندما قال لمجلة 'لير' إن الإسلام دين غباء وانه يصاب بالانهيار عند سماع القرآن'.

ولكن رغم هذا الحصار والهجوم علي الإسلام إلا أن هناك إقبالا من الفرنسيين علي اعتناق الإسلام .. قدرتهم مجلة 'لوفيجارو' ب50 ألف فرنسي .. وإقبالا شديدا علي شراء نسخ من المصحف الشريف والكتب الدينية التي تتناول الإسلام.

===================

الإسلام و الغرب > موقف الأوروبيين النصارى من قضايا المسلمين >

كنت أكتب مقالة أسبوعية لصحيفة المدينة المنورة في الفترة من عام 1412هـ حتى عام 1420 هـ تقريباً، وفي هذه الأثناء أعددت هذه المقالة حول بعض مواقف الأوروبيين من المسلمين وفيما يأتي هذه المواقف.

موقف الأوروبيين المسيحيين:

كنت أبحث عن أبيات الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه التي قالها في غزوة مؤتة يتعجب من تردده فرجعت إلى كتاب الإسلام دين ودولة ونظام تأليف

عبد الحي القمراني، فوجدته ينقل نصا من كتاب أحمد أمين يوم الإسلام ص:120 وفيه يقول أحمد أمين:

"الحق أن موقف الأوروبيين المسيحيين عجيب، فنهم إذا علموا أن شعبا نصرانيا عذب أو أهين ثارت ثورتهم، أما إذا علموا أن المسلمين عذبوا وأهينوا لم تتحرك شعرة فيهم، خذ مثلا هذا الذي كان بين الأرمن والمسلمين فقد تعدى الأرمن على المسلمين وعذبوهم وقتلوهم فلم يتحرك الأوربيون لنصرتهم، تعدى المسلمون على الأرمن وعذبوهم وقتلوهم فثارت ثورة الأوربيين"اهـ

أليس هذا ما يحدث اليوم من الصرب المسيحيين؟ ألم تزل أوروبا تقف متفرجة على القصف بالمدفعية ينال المسلمين منذ أكثر من شهرين ولا نسمع إلا كلاما عن المقاطعة والاقتصادية والمقاطعة الرياضية، أما أن يكون عملا جاداً فلم يقرر الأوروبيين بعد عمل شيء، أين الرحمة والإنسانية والعدالة والإخاء الإنساني؟ هل هذا كله كلام في كلام؟

نائب أمريكي يتحدث عن جرائم الصرب:

أدرت مفتاح المذياع قبل أيام وكان الوقت بعد منتصف الليل (1412/12/25هـ) فإذا بمذيع الإذاعة البريطانية يتحدث إلى نائب جمهوري أمريكي ويسأله عن البوسنة الهرسك فسمعت عجبا. كان النائب يتحدث بحماسة عن غضب الشعب الأمريكي من أعمال الصرب الإجرامية، ويقول إن ما يفعله الصرب لا يعد حربا مشروعة، بل إنها جريمة كبرى تهدف إلى إبادة أقلية دينية. وأضاف بأن الشعب الأمريكي يطالب حكومته أن تسرع إلى التدخل العسكري لإيقاف جرائم الصرب، فليس من الإنسانية أن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذه الأعمال الوحشية.

كدت أعتقد أن هذا النائب مسلم أخذته الغيرة على أبناء دينه ولكن تذكرت مجلس النواب الأمريكي ليس فيه مسلمون بعد (وأرجو أن يصبح لهم وجود قريبا)، والإذاعة البريطانية حريصة -كما يزعمون- على تقديم وجهة النظر الأخرى، أسرعت فاستضافت نائبا آخر وسألته: هل هذا النائب يتحدث باسمه شخصيا أو باسم أغلبية الجمهوريين في مجلس النواب أو باسم الحكومة؟ فرد النائب الثاني بأنه يتحدث باسمه شخصيا، وأضاف بأنه الحكومة الأمريكية لا تنوي التدخل العسكري، وقضية

مسلمي البوسنة والهرس ليست من أولويات الرئيس بوش فهو مشغول بالحملة الانتخابية.

لقد شعرت بأن النائب الثاني قد نجح في إزالة كل أثر طيب قد تركه النائب الأول. هذا أسلوب فيه ذكاء حيث لا يمكن أو يوجه اللوم للإذاعة البريطانية بالتحيز، لكن ما فعلته هو التحيز بعينه حيث كان بالإمكان أن يكون النائب الثاني ممن يؤيد ما قاله النائب الأول فيقوى الأثر لدى المستمع. المهم أين الذين يدرسون الإعلام الغربي وما يفعله بقضايا المسلمين؟ وقد أخبرني الأخ الزميل إسماعيل نزاري أن موقف الذي تبناه وسيلة الإعلام هو آخر ما يلقي على المستمع أو المشاهد فهل هذا كذلك يا إذاعة لندن؟

جائزة فرنسية للوقاحة:

طلعت علينا جريدة "الصباحية"(صدرت في أثناء حرب الخليج الثانية التي احتل فيها العراق الكويت) بعنوان كبير (مانشت عريض)"الأدب المغربي يفوز بجائزة الوقاحة: أكاديمية فرنسية تكرم أديبين عن أعمالهما الخارجة" في 1412/6/21هـ.

قرأت الخبر وعجبت كم ظُلِمَ الأدبُ المغربي بمثل هذا الكلام، وانتظرت أياما لعلي أجد من الأدباء المغاربة من يرد على الصحيفة على هذا الاتهام الباطل، بل كانت الجريدة تستحق أن يرفع ضدها شكوى، فالأدب المغربي أدب إسلامي ينطلق من عقيدة الإسلام ومبادئه، يدعو إلى العفة والطهر والقيم الرفيعة أما هذان (الأديبان!!) فخارجان عن الأدب؛ لأنهما يدعوان إلى الرذيلة والزنا والفجور. وإذا كانا كتبا كلاماً سيئا وقحا فلماذا التكريم؟ إنهما يستحقان العقوبة، ولكن إمعانا من الفرنسيين في تشجيع هذا (الأدب!!) الهابط أقام القنصل الفرنسي في الرباط حفلا لتكريمهما، وطالب أحد الأديبين أن تقوم بلادهما بتكريمهما.

وتساءلت أين تعلم هذان (الأديبان!!) هذه الوقاحة؟ أليس من البلاد التي انتشر فيها السفاح والزنا والفجور، بلاد الاغتصاب والزنا.... والبلاد التي ظهر الهربز والإيدز و (الإفرنجي) (السفلس)، البلاد التي يغنّى فيها مغن مشهور على لسان شاب بأنه كلما جاء يخطب فتاة يقول له أبوه إنها أخته ولكن أمه لا تدري، فيضيق ذرعاً أنه لا يجد الفتاة المناسبة، فيذهب إلى أمه ليشكو لها فتقول له لا يهمك ما يقول أبوك فحتى

أبوك ربما لم يكن أباك، والبلاد التي تؤمن بالسيطرة على ثروات الشعوب وتسعى إلى طمس الثقافات الأخرى وتنشر ثقافتها بالقوة والهيمنة، إن الوقاحة في الحقيقة (وقاحات) وهذه واحدة منها وقديما قيل (في الحديث) (إذا لم تستح فاصنع ما شئت)

=============

الإسلام و الغرب > أسباب العداء للإسلام >

للدكتور عبد القادر طاش رئيس تحرير صحيفة عرب نيوز (بالإنجليزية) بالنيابة – رحمه الله تعالى– نشاطات صحيفة مباركة فقد زار الولايات المتحدة الأمريكية قبل عامين، وأجرى مجموعة من اللقاءات الصحفية المهمة مع بعض المفكرين المسلمين وغير المسلمين حول العلاقة بين أمريكا والإسلام وأطلق على هذه اللقاءات "أمريكا... والإسلام تعايش أم تصادم". وكان من بين اللقاءات حديث مع الشيخ الدكتور جعفر شيخ إدريس فكان مما قاله الدكتور جعفر: "لأننا لا ينبغي أن نستعدي الآخرين علينا، فحتى غير المسلمين يجب أن لا ينصفوا في خانة الأعداء، ومادمنا غير قادرين على المواجهة فيجب أن لا نؤجج المشاعر ضدنا... فإن هذا الاستعداء عليه أن يدفعهم إلى بذل جهد أكبر من أجل تعويد العمل الإسلامي ومحاصراته."

ولو سلمنا جدلا مع الدكتور جعفر أنه ليس في الغرب تيار عام ضد الإسلام، وأننا نحن المسؤولون عن موجة العداء ضدنا.. فهل من المنطق إغفال دور الإعلام الأمريكي بوسائله المختلفة في تأجيج العداء ضد الإسلام، والنشاطات الفكرية المنظمة والمخططة والمدروسة للمستشرقين اليهود؟

لقد توقع الدكتور جعفر أن كلامه هذا لن يعجب الكثيرين، أو لن يوافقوا معه وهذا حق فقد كتب الأستاذ سالم المراياتي مدير مجلس الشؤون الإسلامية في لوس أنجلوس مقالة في مجلة واشنطن ريبورت لشؤون الشرق الأوسط في عددها لشهر يونيه 1994م، أوضح فيه بعض الجهات التي تثير العداء بمهارة ودقة. وقيل أن استعرض ما جاء في مقالة الأستاذ سالم أحب أن أقدم نموذجا لجهود المستشرقين اليهود الصهاينة في إثارة العداء للإسلام والمسلمين في أمريكا.

دعي المستشرق برنارد لويس لإلقاء محاضرة عامة في مكتبة الكونجرس يرعاها الوقف القومي للإنسانيات ويطلق على هذه المحاضرات (محاضرات جيفرسون)

وذلك يوم 29 مايو 1990م. ولأن برنارد لويس من العلماء الذين بلغوا مكانة علمية مرموقة يجد طريقه مباشرة إلى الساسة المتنفذين دون نقاش أو تساؤل. وقد أكد مكانة لويس هذه جون اسبوزيتو في معرض حديثه عن المستشرقين أو المتخصصين في قضايا الشرق الأوسط الذين يثيرون العداء ضد الإسلام. لقد ذكر لويس معاداة الحركات الإسلامية للغرب وللحضارة الغربية ومعاداتهم للتحديث، وأنهم يرون أمريكا العدو الأكبر لهم. وضخم مخاوف الغرب من موقف الإسلام من المرأة واضطهاده لها (في زعمه)، وموقف الإسلام من الأقليات الذين يعدون مواطنين من الدرجة الثانية.

لم يكتف لويس بإلقاء المحاضرة في واشنطن بل راح يتحول في مدن أمريكا يعيد إلقاءها ثم نشرها بعنوان مثير جدا هو: "جذور الغيظ الإسلامي" في مجلة اتلانتك الشهرية.

أما ما جاء في مقالة الأستاذ سالم المراياتي فقد بدأ ذلك باستطلاع أجرته صحيفة لوس انجلوس تايمز أوضح أن 29% من الأمريكيين يرون أن الإسلام يمثل تهديداً لأمن الولايات المتحدة الأمريكية والغرب. ثم ذكر أن هذا الهوس المعادي للإسلام يرجع إلى أمرين تسببا فيه أولهما: سوء استخدام المتطرفين للإسلام لتبرير عنفهم الذي يهدف إلى الشهرة، والسبب الثاني سوء تمثيل الإسلام والمسلمين على أنهم متعطشون للعنف.

تناول الأستاذ سالم السبب الثاني وضرب المثال باليهودي المهاجر لأمريكا يوسف بودانسكي (Yossef Bodansky) في كتابه الهدف أمريكا، وقد سار يوسف على مثال الكتب التي ظهرت في ألمانيا لإثارة العداء ضد اليهود وضرب المثال بالكتيب المنعون انتصار اليهود على ألمانيا "وقد كان لدى المؤلف مبرراً لهذا الكتاب حين وجد اليهود مقبلين على السيطرة على الاقتصاد الألماني ويسعون لتخريبه وبخاصة في ولايتي أو مقاطعتي بروسيا والنمسا. ويزعم بودانسكي أن حسن الترابي من السودان يسيطر على حركة إسلامية مسلحة تعمل داخل أمريكا. ويشير المرايا في أن بودانسكي يقوم بهذه البحوث على حساب دافع الضرائب الأمريكي لأنه يعمل تحت مظلة لجنة حكومية لمقاومة الإرهاب والحروب غير التقليدية. ويكتب تقاريره

التي يشير فيها إلى أن ازدياد العنف لدى المسلمين إنما هو تركيز للجهاد الإسلامي ضد النظام العالمي النصراني اليهودي. ولا تخرج آراء بودانسكي عن آراء قائد حزب الليكود الإسرائيلي بنجامين نتنياهو في كتابه مكان بين الأمم: إسرائيل والعلم حيث يقول في هذا الكتاب: "إن الهدف الأساسي للأصولية هو ضمان نصر عالمي للإسلام، وذلك بالانتصار على الملحدين عن طريق الجهاد."

ويذكر الأستاذ سالم غير هؤلاء من أمثال جوديث ميلر، وسيمون إرم وغيرهما. فهل حقا يستعدى المسلمون الغرب ضدهم أم أن ثمة جهات معينة هي التي تثير هذا العداء؟ أرجو أن نكون على يقظة مما يكيده الأعداء لهذه الأمة .

===============

الإسلام و الغرب > كتاب فرنسي يعادي المسلمين >

كتب قيس الغزاوي تحت عنوان "كتاب أتمنى لو ما (لم) أقرأه" في مجلة المجلة (8-14نوفمبر 1998م) عن كتاب ألفّه نائب رئيس تحرير صحيفة (لوفيغارو) الفرنسية، ويتضمن الكتاب رسالة إلى رئيس الجمهورية الفرنسي حول الموقف الذي يجب أن تتخذه فرنسا من المهاجرين من المسلمين. ويتضمن الكتاب رسالة قوية تدعو إلى دمج المسلمين في المجتمع الفرنسي، والقضاء على تميزهم العقدي والأخلاقي والثقافي.

وقد احتوى الكتاب على افتراءات خطيرة على الإسلام والمسلمين في قضايا عديدة منها: أن الإسلام يبيح تعدد الزوجات، ويمنع الاختلاط بين الجنسين، وفيه مؤسسة الزكاة، فليس الإسلام مجرد حجاب قد يسمح به الفرنسيون وقد لا يسمحوا. ويزعم المؤلف أن الرئيس الفرنسي يوافقه بأن فرنسا استطاعت أن تدمج المهاجرين البولونيين، والإسبانيين، والإيطاليين، وبالتالي فلا يمكن اتهام فرنسا بالعنصرية، ولكنها فشلت في دمج المسلمين. فما يبقى للمسلمين إلاّ أن يطالبوا بالسيطرة على فرنسا.

ويعلق الأستاذ قيس الغزاوي بقوله: "المثير أن رجلاً بمثل أهمية دي جاردان يقف على رأس صحيفة كبرى يؤكد أن الإسلام غاز لفرنسا ويستنتج: طالما لا يحب الفرنسيون العرب والخيار هنا بين الإسلام والجمهورية، فليُرمى المسلمون إذن خارج

الحدود..." ويضيف الغزاوي "والعجب العجاب ليس فيما يقوله دي جاردان، ولكن بسكوت العرب والمسلمين على مثل هذه الأحكام العنصرية في فرنسا التي تحاكم من يشكك بمحرقة اليهود وهي جزء من التاريخ ولا تحاكم من يحرّض على قتل المسلمين اليوم، ولكن هل اشتكى أحد من العرب؟"

لا بد من تقديم الشكر للأستاذ قيس الغزاوي على ملاحظاته السريعة وتعجبه من عدم تحرك المسلمين للاحتجاج على هذا الكتاب، ولكن يمكن توجيه الدعوة إلى العلماء المسلمين في فرنسا أو الذين يتقنون اللغة الفرنسية أن يكتبوا كتاباً للرئيس الفرنسي ليس رد فعل على كتاب دي جوردان، ولكن ليوضحوا للرئيس الفرنسي ما فشل في فهمه نائب رئيس تحرير لوفيغارو من أن الإسلام لو فهمه الفرنسيون لكان حلاً لكثير من معضلاتهم الاجتماعية والاقتصادية.

ماذا يمكن أن يقال للرئيس الفرنسي؟ أبدأ بكلمة كتبها الأستاذ رضا لاري في أحد مقالاته حول موقف الغرب من الإسلام "فتح النافذة الإسلامية"، الشرق الأوسط 1998/6/17):" هل الحرية في فرنسا تبيح للمرأة أن تكشف عورتها بظهورها شبه عارية في ملهى "الليدو" وغيره من الملاهي المماثلة في فرنسا، وتحرم نفس الحرية غطاء المرأة لرأسها؟ إذا كانت هذه هي الحرية عندكم فتباً لها من حرية."

ويزعم الكاتب الفرنسي أن الإسلام أباح تعدد الزوجات والمجتمع الفرنسي يرفض ذلك، ولكن ما بال المجتمع الفرنسي لا يرفض تعدد الخليلات واسألوا أحد الشوارع المتفرعة من شارع الشانزليزيه ما ذا يحدث عندما تقف السيارات في طرفي الشارع؟ أي بهيمية هذه التي يرضى الرجل لزوجه أن يأخذها رجل آخر يسلمها له بيده أو يوصلها وهي تذهب؟ واسألوا من اعترف بأولاد من الزنا هل حقق لهم الكرامة الحقيقية، فلو كان متزوجاً بأمهم لكانوا أولاده شرعاً.

أليست الإباحية في المجتمعات الغربية هي التي أدت إلى أن يشك الأبناء بآبائهم، حتى بدأت المختبرات تنتشر في المجتمعات الغربية تكشف للأبناء عن حقيقة أبوة من يدعي أنه أباهم. أما عند المسلمين فمجرد شك الابن بأبيه يعد من الكبائر، ذلك أن المجتمع المسلم قائم أساساً على الفضيلة والعفة. وقد تعجب مدير أحد الفنادق الذي عقد فيه المؤتمر السنوي لجمعية مسلمي شمال أمريكا عندما رأى عدة آلاف

من المسلمين يجتمعون عدة أيام فلا تراق قطرة خمر واحدة ورأى من عظمة الأخلاق الإسلامية ما أدهشه.

وإذا لم يعجبه أن يتوقف المسلمون في رمضان لتناول الإفطار، فإن الصوم عند المسلمين لو عرفه الفرنسيون معرفة حقيقية لتهافوا عليه؛ فإنه تربية وتهذيب وتزكية وتطهير. الصوم الذي يُشعر الغني بحال الفقير، والذي يربط العبد بخالقه حين ترتفع الحالة الروحية للمسلمين في هذا الشهر بما يقومون به من عبادات.

فمن يكتب الكتاب ويوجهه إلى رئيس الجمهورية الفرنسي وإلى العالم أجمع؟

===========

الإسلام و الغرب > الحركة الإسلامية في نظر الغرب >

بين يدي نشرة معهد الشرق الأوسط بالعاصمة الأمريكية لشهر يوليو 1992، وهي مكونة من ست عشرة صفحة وتحمل موضوعات متنوعة، ولكني توقفت عند أحدها وهو: "الحركات الإسلامية، دراسة مسحية إقليمية" وقد قام بهذه الدراسة كل من كريستينا بالمر (Kristina palmer) وسائرز رودي (Sayers rudy) من قسم برنامج معهد الشرق الأوسط من خلال إجراء لقاءات مع مسئولية حكومية، وعلماء وأكاديميين وصحافيين وحتى من عامة الناس في باريس والجزائر وعمان والقاهرة والخرطوم، والضفة الغربية. وقد تلقى الباحثان دعما سخيا من كل من مؤسسة جون د. وكاترين ماكارثر (John D. and Catherine T. MacArthur) ، وكذلك من صندوق المساعدات الخارجية الأمريكي. هذا وسوف تذاع هذه المقابلات في أربعة حلقات من خلال برامج الإذاعية القومية العامة في أواخر هذا الصيف.

تركزت الأسئلة في المقابلات حول أصول الحركة الإسلامية، وأهدافها وتأثيرها، والعلاقات المختلفة بين الإسلام السياسي، والأنظمة القائمة وقد توصل الباحثان إلى نتائج مهمة حول الحركة الإسلامية منها:

أولا: لا تبدو الحركة الإسلامية قومية بين الفقراء فقط. كما هو الشائع في الغرب حاليا. بل تضم في صفوفها تجارا أثرياء وسياسيين أيضا.

ثانيا: الحركة الإسلامية حركة انتقادية حديثة، ولا تحمل أية صفات موروثة سواء عسكرية أو رجعية، أو صفات من زمن القرون الوسطى (الأوربية طبعا)

ثالثا: ظهرت الحركة الإسلامية أساسا كرد فعل للإخفاقات الاقتصادية والسياسية لدى الأنظمة العربية المتسلطة وكذلك ضد الأيديولوجيات الأجنبية من مثل القومية والاشتراكية. وليست الحركة الإسلامية مجرد رد فعل محصور بالإمبريالية والصراع العربي الإسرائيلي.

رابعا: إن "الصحوة الإسلامية" التي يعبر عنها بقرار شخصي يجب عدم النظر إليها على أنها إشارة إلى التزام سياسي نشط.

وأخيراً وليس آخراً –كما يقول التقرير – إن البرامج السياسية الإسلامية التي تؤكد على المشاركة الحياتية، وكذلك النظرات للدولة المثالية ربما لا تكون ساذجة ومخيفة للمرأة، ولكنها تستحق الدراسة في عالم يبدو أنه يعاني من متاعب أيديولوجية وتسلط سياسي وفقر.

هذه أبرز نتائج هذه الدراسة الاستطلاعية التي سيستمع إليها الجمهور الأمريكي في أواخر هذا الصيف، وربما تناقلتها وسائل الإعلام الغربية لتبرز منها ما تشاء وتخفي ما تشاء، كما ستفعل الأمر نفسه وسائل إعلام الدول المعنية (العربية الإسلامية).

ولا بد لنا من وقفات مع هذا التقرير الذي يؤكد حرص الغرب على المعرفة والدراسة، وهو في هذا السعي لا يبخل بالأموال والجهود. وسيصل بلا شك إلى المعرفة التي قد يصل من خلالها إلى حقيقة الحركات الإسلامية، وبالتالي يستطيع وضع الخطط اللازمة للتعامل مع هذه الحركات. وأعود هنا فأكرر دعوة سابقة. فلا يصح أن نظل في جهل أو شبه جهل بالعالم من حولنا، وأين المؤسسات التجارية لدينا لتبذل مما أعطاها الله.

جميل أن يكون من استنتاجات الدراسة إدراك الغرب أن دعوة الله تنتشر –والحمد لله–بين صفوف الفقراء والأغنياء على السواء، حيث كانت الدراسات الغربية سابقا تشير إلى أن الحركات الإسلامية تنتشر بين صفوف الفقراء والمعدمين، وترى تلك الدراسات السابقة أن إيقاف المد الإسلامي لا يحتاج إلّا إلى تشجيع برامج المعونات الغذائية، أو توجيه الحكومات الحالية لتطعم الأفواه الجائعة. وكأن هذا الدين جاء للفقراء وحدهم أو لإنقاذ الفقراء. والإسلام جاء حقا لإنقاذ الفقراء بإصلاح الأغنياء، وتربيتهم وتهذيب نفوسهم، وإعادتهم إلى إنسانيتهم التي أفقدهم إياها طغيان المال،

ومع ذلك يجب أن لا ننسى أن من أوائل من أسلم رجال كان لديهم الثروة والمال والجاه، وهكذا فالحركة الإسلامية إنما هي هداية من الله يختار لها من يشاء.
وجميل أن يكون من نتائج الدراسة أن الصحوة الإسلامية التزام شخصي أولا وليست بالضرورة انخراط في عمل سياسي نشط. وأوضحت الدراسة أيضا أن الصحوة الإسلامية تشمل الحياة بجوانبها كلها وبخاصة أنها ظهرت في عالم أصبحت أيديولوجياته بالية مهترئة، ويعج بالتسلط السياسي والفقر.
وهكذا جاؤوا إلى بلادنا العربية المسلمة ليدرسوا همومنا وتطلعاتها، وليقدموا النتائج لأبناء بلدهم، ويبذلون المال والنفس من أجل المعرفة، والمعرفة قوة. فهل درسنا أنفسنا أولا دراسة من يريد الإصلاح والتغيير ثم انطلقنا إلى العالم جميعه ندرسه فالغرب مثلا برغم ما يزعمه بعض الكتاب بأنه "مجتمع مدني" مفتوح ما تزال فيه كثير من الجوانب التي تحتاج إلى الدراسة، ولا بد أن نفيد من أبنائنا الذين يدرسون في الغرب، أو يعملون فيه أو الذين هاجروا إليه طلبا للرزق والطمأنينة، فهؤلاء يمكنهم أن يقدموا لأمتهم الإسلامية معرفة دقيقة وعميقة بجوانب المجتمعات الغربية وبخاصة إذ ما كان لدى هؤلاء المعايير الصحيحة التي ينظرون بها إلى الأمور.
إن هذا الدور الذي يقوم به الغرب حاليا من دراسة أحوال الشعوب والحكم عليها سلبا أو إيجابا بقدر بعدها أو قربها من القيم والمفاهيم الغربية في السياسة والاقتصاد والاجتماع، هذا الدور قد اختار له ربنا عز وجل أمة أخرى هي أمة الإسلام حين كلفهم بقوله {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس}. فعودة إلى الإسلام تنقلنا من شعوب تخضعه لدراسات الباحثين الغربيين إلى دارسين للغرب والعالم وموجهين له ومصححين لمفاهيمه وقيمه {والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون}.

==============

الاستغراب > الاستغراب >

ظهر هذا المصطلح قبل عقود من الزمان ليشير إلى مجموعة من أبناء الأمة العربية الإسلامية الذين تأثروا بالغرب في سلوكهم وأخلاقهم وأفكارهم. ولكن هذا المصطلح جاء بعده مصطلح آخر هو التغريب فأصبح يعرف هؤلاء بالمتغربين أما الاستغراب

فقد تحول معناه إلى محاولة معرفة الغرب من الداخل معرفة علمية موضوعية موثقة. ونادى العديد من علماء الأمة بدراسة الغرب. ومعرفة الآخر أمر أساسي في تربية المسلم حيث إن القرآن الكريم قد قسم الناس إلى ثلاثة أقسام في سورة البقرة فهم إما مؤمنون أو كافرون أو منافقون. ثم وضح صفات كل فئة في سور القرآن الكريم، كما جاءت السنّة النبوية المطهرة توضح هوية المسلم ليستطيع بعد ذلك أن يعرف الآخرين معرفة صحيحة متمسكاً بهويته ومستعلياً بإيمانه

==========

#معرفة الآخر في ضوء الكتاب والسنة

الآخر في القرآن الكريم والسنّة الشريفة

إن المعرفة الحقيقية بالنسبة للمسلم هي التي تبدأ من القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة لذلك بحثت في هذه المسألة فوجدت أن القرآن الكريم قد أولاها عناية خاصة، فقد قسمت سورة البقرة البشر إلى ثلاثة أصناف: المؤمنين، والكافرين، والمنافقين. وبعد ذلك تحدث القرآن عن نماذج من هذه الأصناف وصفاتهم

والآخر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا كفار قريش، واليهود، والنصارى، والمنافقون. وقد قدمت الآيات الكريم صوراً واضحة لكل فئة من هؤلاء، وأوضحت كيفية التعامل معهم ، فبالإضافة إلى توضيح صورة الآخر عقديا فقد اهتم أيضا بالجوانب الأخرى، فها هي صورة العربي الجاهلي وموقفه من المرأة {وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب، ألا ساء ما يحكمون}([1]). وأوضح القرآن الكريم انحرافات قوم لوط وانحرافات قوم شعيب، وقد روى البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها صور النكاح في الجاهلية مقارنة إياها بالصورة التي ارتضاها الإسلام.([2]) وورد في السيرة النبوية الشريفة وصف جعفر بن أبي طالب للإسلام وكان من هذا الوصف بعض الأمور الاجتماعية.([3])

ويسبق معرفة الآخر معرفة الذات أو النفس، ليؤكد أمرين، أولهما: تثبيت الهوية الخاصة بالمؤمنين بتوضيح صفاتهم، وأخلاقهم، وعلاقاتهم بالكون والحياة، فقد وردت كلمة الإيمان بمشتقاتها المختلفة، آمن، آمنوا، يؤمنون، مؤمنون، مؤمنين، مؤمنات ..

أكثر من سبعمائة مرة، ولو أضفنا الصفات الأخرى المرادفة مثل: الصادقين والقانتين، والمتصدقين، والخاشعين، لكان أكثر من ذلك.فمن الآيات التي توضح خصائص المؤمنين قول الله تعالى في وصفهم في مقدمة سورة البقرة : {الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون،أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون} ([4])ومن ذلك قول الله عز وجل{ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ، والله رؤوف العباد} ([5])وقد وردت أحاديث كثيرة توضح صورة المسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه)([6])وقوله صلى الله عليه وسلم (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)([7])وقوله صلى الله عليه وسلم في وصف المؤمنين (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منهم عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى.)([8])

ثانيا: معرفة الآخر بصفاته، فقد وردت لفظة الكفر أيضا بمشتقاتها المختلفة ، كفر، كفروا، كافرون، كافرين، يكفرون حوالي خمسمائة مرة، وكذلك الأمر بالنسبة لصفات الكافرين والمشركين مثل الكذب، والظلم والفساد، والخداع، والجحود. ومن ذلك وصف الكافرين في سورة البقرة {إنّ الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون،ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم}([9]) وقد جاءت أوصاف المنافقين في مقدمة سورة البقرة في ثلاث عشرة آية ومنها قوله تعالى { ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلاّ أنفسهم وما يشعرون ، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون}([10])ومن أوصاف الكفّار في القرآن الكريم قوله الله تعالى { ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعي في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد}([11]) وبالنسبة للمنافقين فقد جاءت سورة باسمهم (المنافقون) وجاءت سورة أخرى تفضحهم بأعمالهم وهي سورة (التوبة) حتى إنها سميت سورة الفاضحة لكثرة ما ورد فيها من صفات المنافقين. ومن الأحاديث الشريفة التي توضح

صفات المنافقين قوله صلى الله عليه وسلم (آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب وإذا وعد اخلف وإذا أؤتمن خان)([12])

وهكذا فالحدود الفاصلة بين "نحن" و "الآخر" واضحة جداً لدى المسلم، وقد يتساءل المرء : ما سر هذا الأمر، وما أسبابه؟ إن أسباب هذا الوضوح هو أننا أمة الدعوة، وأمة الشهادة، والأمة الوسط ؟ ونحن مكلفون بالدعوة إلى هذا الدين {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن}([13]).

ويرى محمد عمارة أن " الحديث عن "الذات" و "الآخر" ثقافياً لابد أن يقود إلى تحديد المعالم المميزة للنموذج الثقافي الإسلامي عن النموذج الغربي "([14])ويؤكد عمارة بأن " الإسلام هو المكون لذاتيتنا الثقافية والمحدد لمعالم نموذجنا الثقافي وتميزنا عن "الآخر" الغربي قائم فقط حيث يكون التميز والاقتران الأمر الذي يجعل علاقة نموذجنا الثقافي –الذات الثقافية– بالآخر هي علاقة التميز والتفاعل."([15])

والآخر ليس هو فقط النصراني أو اليهودي أو المنافق بل الآخر أيضاً أناس من أبناء جلدتنا يتكلمون بألسنتنا ويتسمون بأسمائنا ولكنهم اختاروا نهجاً يجعلهم أقر ب إلى الآخر ، فهم ليسوا في الصف الإسلامي وإن زعموا أنهم حريصون على مصالح الأمة. وهؤلاء ليسوا المقصودين تماماً بهذا البحث ، ولكني سأعرج عليهم لأصف بعض مواقفهم وأقدم نماذج من فكرهم .

وعندما خرج المسلمون من الجزيرة العربية منطلقين من طيبة الطيبة، كانوا أولا يعرفون دينهم معرفة حقيقية، ويعرفون ما يدعون إليه، كما كانوا يعرفون الأمم الأخرى، دخل أحد رسل جيش سعد ابن أبي وقاص رضي الله على القائد الفارسي، وأراد أن يجلس معه على سريره، فحاول الحرس منعه، فقال لهم: (كنا نظنكم أولي أحلام تتساوون فيما بينكم، فإذ بكم يستعبد بعضكم بعضا) ثم أضاف تلك المقولة البليغة: (إن قوما هذا حالهم فمصيرهم إلى زوال)([16]) وكان المسلمون يعرفون الروم ونظام حياتهم، فلذلك نجحوا تماما في دعوتهم.

واستمرت معرفتنا بالآخر قوية وواسعة ودقيقة. فبدأت الترجمة كما يصنفها حسن حنفي على عدة مراحل ودرجات منها ؛ الأولى الاهتمام بالنصوص وترجمتها حرفياً أي الاهتمام باللفظ ، ثم كانت المرحلة الثانية التي اهتمت بالمعنى ، ثم المرحلة

الثالثة التي اهتمت بالشرح والإضافة والنقد.([17])واستمرت معرفتنا بالأخر حتى عندما التقى المسلمون بالنصارى في الحروب الصليبية قدم لنا أسامة بن منقذ وصفاً دقيقاً لطباع الإفرنج، فهو يصف شجاعتهم وقوتهم وجلدهم، ولكنه يتعجب من ضعف غيرتهم أو عدمها على الأعراض، ويتحدث عن هذه النقطة بتفاصيل دقيقة مثيرة للاهتمام([18]).

وفي الوقت الذي توقفنا أو تراجعنا عن معرفة أنفسنا، وكذلك عن معرفة الآخر، انتبه الغرب إلى هذا الأمر، فبدأ نشاطه العلمي بدراسة الحضارة الإسلامية ومنجزاتها في شتى المجالات، وتأكد لديهم ضرورة معرفة الذات فعادوا إلى جذورهم اليونانية اللاتينية وكذلك اهتموا بتراثهم النصراني اليهودي، فلا يمكن للأديب الغربي أو المفكر الغربي أن يزعم أنه أديب أو مفكر لو لم يكن على دراية بهذا التراث. ويرى الدكتور حسن حنفي أن مصادر الفكر الغربي أربعة مصدران معلنان ومصدران غير معلنان ، فالمصدران المعلنان هما المصدر اليوناني– الروماني والمصدر اليهودي – المسيحي ، أما المصدران غير المعلنين فهما المصدر الشرقي القديم الذي يتضمن المصدر الإسلامي والرابع هو البيئة الأوروبية، ويرى أن " أحد أسباب مؤامرة الصمت على المصادر غير المعلنة هي العنصرية الدفينة في الوعي الأوروبي التي جعلته لا يعترف إلاّ بذاته وينكر وجود كلَّ غَيْرٍ له ، فهو مركز العالم احتل صدارته وله مركز الريادة فيه." ([19])

نعم كثفت أوربا جهودها في مجالين: معرفة الذات، ومعرفة الآخر، فبالإضافة إلى الجهود الضخمة في الترجمة والنقل عن اللغة العربية واللغات الإسلامية الأخرى بدأوا في إرسال الرحالة المستشكفين إلى عالمنا الإسلامي، تزيا بعضهم بأزياء البلاد التي زارها، وأعلن بعضهم إسلامه ليعمقوا في معرفتنا ([20]). وساند هذا الجهد نشاط الاستشراق، ومن تتح له الفرصة لدراسة ترجمات المستشرقين يذهله ما بذله القوم من جهود مضنية في دراستنا.

وتميز عمل القوم بالنظام الشديد الصارم، وهو ما تميزنا به يوم أن كنا متفوقين، فعقدوا المؤتمرات السنوية للجمعية الدولية للمستشرقين، وقد بدأ أول مؤتمر عام 1873 وما زالت هذه المؤتمرات تعقد حتى اليوم حيث سيعقد المؤتمر الخامس

والثلاثون العام القادم في بودابست بالمجر(*). كما أنهم إذا نبغ فيهم مستشرق أصبح قبلة لهم وقد حدث هذا عندما كان سلفستر دو ساسي Silvestre de Sacy يرأس مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس.

وليست المؤتمرات هي النشاط الوحيد، فإنهم أسسوا مئات الأقسام العلمية للدراسات العربية والإسلامية، وأنشأوا مراكز البحوث والمعاهد وعقدوا وما زالوا مئات الندوات والمؤتمرات، ونشروا ألوف أو عشرات الألوف من الكتب والدوريات، ولم يكتفوا بجهودهم وحدهم في معرفتنا، بل استقدموا أبناء الأمة الإسلامية للدراسة عندهم وبخاصة طلاب الدراسات العليا، فأصبحت رسائل الماجستير والدكتوراه تنقل إليهم أدق التفاصيل في حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأدبية والثقافية، وكذلك بعض الندوات والمؤتمرات التي تعقد في بعض البلاد العربية الإسلامية بتمويل من بعض المؤسسات العلمية الغربية حيث يحضرها بعض المراقبين من الغربيين.

واهتمام الغربيين بالذات ما زال قائماً فبالرغم مما يجمع الدول الأوروبية من صلات في المعتقد والتاريخ واللغات فإن هذه الدول حريصة على هويتها القومية . وقد ذكرت الصحف أن شاباً عربياً أراد أن يضع صحناً هوائياً فوق منزله في ألمانيا فرفضت السلطات المحلية بحجة " حماية الإنتاج الوطني، والحفاظ على خصوصية الثقافة الألمانية." وأشار عاصم حمدان إلى أن الفرنسيين أصروا على استثناء القضايا الثقافية من معاهدة (الجات) حرصاً منهم على مقاومة المد الإعلامي الأمريكي المتمثل في المسلسلات التي تنتجها هوليوود وتمثل ثقافة مختلفة عن ثقافة المجتمع الأوروبي. ([21]) .

ويأتي إصرار فرنسا على استثناء الإنتاج السينمائي والتلفزيوني من مباحثات (الجات) هو أن الجانب الأمريكي هو الجانب المتفوق حالياً في التبادل السينمائي بين أوروبا وأمريكا ، ويصر المخرج الفرنسي روجيه بلانشو على أن مشكلة أوروبا الثقافية والفنية التي لم ينظر إليها رجال السياسة ولم يخطط لها أحد، وقال:" في حرب الصور التي بدأت اليوم حكم القوي على الضعيف هو المنتصر."([22])

وقد نشرت جريدة التايمز تقريراً صحفياً يشير إلى أن دور عرض السينما البريطانية تلقت دعماً نقدياً من الاتحاد الأوروبي لقيامها بعرض الأفلام المنتجة في أوروبا

وذلك لمواجهة الأفلام الأمريكية، فقد تسلمت ثمانية دور سينما في بريطانيا عام 1993 (13,500 جنيه استرليني) – حوالي سبعين ألف ريال– لعرضها على الأقل خمسين في المئة من الأفلام الأوروبية، وأشارت الصحيفة إلى أن هذه المساعدات النقدية هي جزء من برنامج أكبر وأشمل لتطوير صناعة السينما والوسائل المرئية– المسموعة ودعمها.([23])

وقد تناولت الصحف القرارات التي أصدرتها الحكومة الفرنسية قبل عامين لحماية اللغة الفرنسية وذلك بفرض عقوبات على كل من يستخدم أي لغة أجنبية في المعاملات الحكومية أو غير الحكومية أو في الإعلانات ، كما جعلت اللغة الفرنسية هي لغة المؤتمرات والندوات العلمية التي تعقد في فرنسا. وقد اتخذت فرنسا هذه الإجراءات لمقاومة الهجمة الشديدة من اللغة الإنجليزية بصفة خاصة.

- الحواشي :

[1] –سورة النحل آية 58

[2] –صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا نكاح إلاّ بولي.

[3] –انظر السيرة النبوية لابن هشام ، م1 ص349.

[4] –سورة البقرة الآيات من 3–5.

[5] –سورة البقرة آية 207.

[6] –البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه.

[7]–البخاري ، كتاب الإيمان ، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

[8] –أخرجه مسلم 20/8واحمد 70/4.

[9] –سورة البقرة الآيتين 6–7.

[10] –سورة البقرة الآيات من 8–10

[11] –سورة البقرة الآيات 204–206.

[12] –البخاري ، كتاب الإيمان باب علامة المنافق.

[13] سورة يوسف آية 108.

[14] –محمد عمارة " مكانة الإسلام في صياغة نموذجنا الثقافي."في الحياة،ع3،12224 ربيع الآخر 1417(14أغسطس 1996م)

[15] –عمارة المرجع نفسه.

[16] –انظر تاريخ الطبري ج2، ص402–403.

[17] –حسن حنفي. مقدمة في علم الاستغراب.(بيروت: الدار الجامعية للنشر والتوزيع، 1412–1992) ص44–45. لابد من الإشارة إلى العلماء المسلمين الذين اهتموا بعقائد الآخر وفكره وثقافته ومن هؤلاء ابن حزم في الفصل والبغدادي في الفرق والأشعري في مقالات الإسلاميين وابن تيميه في اقتضاء الصراط المستقيم والغزالي في تهافت الفلاسفة وفضائح الباطنية.

[18] –أسامة بن منقذ: الاعتبار، تحقيق د. قاسم السامرائي (الرياض: دار العلوم، 1407)ص 152 تحدث فيها عن طب الإفرنج، وفي الصفحات التالية تحدث عن أخلاقهم ، وقد وردت عبارة لطيفة عنهم يقول فيها ابن منقذ:" فكل من هو قريب عهد بالبلاد الإفرنجية أجفى أخلاقاً من الذين تبلدوا وعاشروا المسلمين."

[19] –حنفي ،مرجع سابق ،الصفحات من 81–104 والنص من صفحة 104.

[20] أصف حسين: صراع الغرب مع الإسلام، فصل (الرّحالة والمنصرون) قمت بترجمة الكتاب وهو تحت الطبع.

* عقد هذا المؤتمر في بودابست بالمجر في الفترة من 3–8ربيع الأول 1418 الموافق 7–12 يوليه 1997 وحضره حوالي ألف وخمسمئة عالم من جميع أنحاء العالم جلهم من الغرب ، وقدمت فيه أكثر من ألف محاضرة في أكثر من عشرة محاور. وقد قررت اللجنة الاستشارية وهم غالبية أعضائها أن يعقد المؤتمر القادم في مونتريال بكندا، وقد تم اختيار الرئيس القادم للمؤتمر ونواب الرئيس واختاروا أحد الباحثين العرب المتعاطفين مع الاستشراق أو على الأصح المرتمين في أحضان الاستشراق وهو الدكتور عبد الجليل التميمي.

[21] – عاصم حمدان ." الأوروبيون والخصوصية الثقافية" في المدينة المنورة.عدد 9698، 24 جمادى الآخرة 1414، 7 ديسمبر 1993.

[22] –رلى الزين." حملة فرنسية ضد الهيمنة الثقافية الأمريكية" في الحياة.ع 11178، 5ربيع الآخر 1414،(21سبتمبر1993)

[23] – The Sunday Times. 31July 1994.

============

#مصطلح الاستغراب >

كثيراً ما يسأل السائلون ما المقابل لدراسة الاستشراق، أليس هو الاستغراب؟ ربما يكون الجواب صحيحاً ولكن الأهم من ذلك هو أننا يجب أن نتساءل لماذا تأخرنا في دراسة الشعوب الأخرى؟ إن المسلمين حينما خرجوا من جزيرة العرب كانوا على معرفة بالشعوب والأمم الأخرى منها من حدثهم بها القرآن الكريم ومنها من كسبوا المعرفة به من خلال التجارة والرحلة. ثم انطلقوا لمعرفة تلك الشعوب عن طريق الاحتكاك المباشر وظهر رحالة مسلمون كتبوا عن مختلف شعوب العالم حتى أصبحت كتاباتهم مرجعاً عالمياً في دراسة الشعوب الأخرى.

وقد بدأت أوروبا بإنشاء مراكز ومعاهد وأقسام علمية لدراسة العالم الإسلامي منذ عدة قرون بل إنها خصصت عدداً من أبنائها لدراسة الشعوب والأمم الأخرى جميعها فكما أن لديهم أقساماً لدراسة العالم الإسلامي فلديهم المتخصصين في الصينيات وفي دراسة اليابان بل إن كل دولة أوروبية تقوم بدراسة الدول الأوروبية الأخرى فمثلاً لدى بريطانيا (بجامعة لندن) معهد الدراسات الأمريكية الذي يمنح درجة الماجستير في دراسة الولايات المتحدة الأمريكية.

ونظراً للسمعة العلمية التي حققتها هذه الدراسات توجه أبناء الدول المختلفة للدراسة في تلك البلاد حتى إنهم يتخصصون في الدراسات المتعلقة ببلادهم في أوروبا أو أمريكا من النواحي العقدية والتاريخية والاجتماعية والثقافية والسياسية والحضارية والثقافية.

والمسلمون الذي جاء كتابهم الكريم يدعو إلى التعارف بين الشعوب في قوله تعالى)وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا(أهملوا هذا الجانب في العصر الحاضر فأصبحوا من قرون عديدة موضع الدرس لدى الأوروبيين والأمريكيين، وقد وصل الغربيون في معرفتهم لنا أن عرفوا التفاصيل الدقيقة عن الأمة الإسلامية في المجالات العقدية والتشريعية والتاريخية ومعرفة المجتمعات العربية الإسلامية في العصر الحاضر معرفة تفصيلية حتى أصبحوا كما ذكر أحد الباحثين يعرفون التفاصيل وتفاصيل التفاصيل.

أهمية دراسة الغرب

ولمّا كانت الحضارة الغربية بشقيها الأوروبي والأمريكي هي السائدة والمتوفقة اليوم فمن الواجب على المسلمين أن يعرفوها معرفة وثيقة وعلمية، فكما أن الغرب حينما بدأ نهضته العلمية والثقافية والفكرية توجه إلى دراسة العالم الإسلامي وأفاد من معطيات الحضارة الإسلامية ابتداءً من التفكير العلمي والمنهج العلمي إلى مختلف معطيات الحضارة الإسلامية فإن من الواجب على المسلمين أن ينطلقوا لدراسة الغرب من جميع جوانبه.

وليكن معروفاً أن دراستنا للغرب يجب أن تتم وفق أسس معينه بحيث نفيد من معطيات الحضارة الغربية المعاصرة فيما لا يتعارض مع أسس الحضارة الإسلامية وثوابتها. هذا العلم الذي يمكننا من دراسة الغرب هو ما يمكن أن نطلق عليه " الاستغراب" الذي يمكن تعريفه باختصار بأنه العلم الذي يهتم بدراسة الغرب (أوروبا وأمريكا) من جميع النواحي العقدية، والتشريعية، والتاريخية، والجغرافية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية ..الخ. وهذا المجال لم يصبح بعد علماً مستقلاً، ولكن من المتوقع في ضوء النهضة العلمية التي تشهدها البلاد العربية والإسلامية أن تقوم مراكز البحث العلمي ووزارات التعليم العالي في العالم الإسلامي بشحذ الهمم وتسرع الخطى وتغذ السير لإنشاء أقسام علمية تدرس الغرب دراسة علمية ميدانية تخصصية في المجالات العقدية والفكرية والتاريخية والاقتصادية والسياسية.

ولعل سائلاً يتساءل لماذا ندرس الغرب وكيف لنا أن ندرس هذا العالم الذي سبقنا بمراحل عديدة أو بعدة قرون؟ الأمر ليس صعباً أو مستحيلاً، فإننا إذا رجعنا إلى بداية الدعوة الإسلامية وجدنا أن المسلمين الأوائل حينما خرجوا لنشر الدعوة الإسلامية في العالم كانوا متسلحين بسلاح العلم بعقائد الأمم الأخرى وعاداتها وتقاليدها. كانوا يعرفون أرض الدعوة سياسياً واقتصادياً وجغرافياً. ولعلك تسأل من أين تحصلوا على هذه المعرفة. لقد كان رجال قريش تجاراً وكانت لهم رحلة الشتاء والصيف. لم يكونوا يحملون معهم التجارة ويذهبون للبيع والشراء فحسب، بل كانوا على اطلاع بأنظمة الدول الأخرى وأوضاعها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. أما

الناحية العقدية فقد عرفوا منها شيئاً من اتصالهم بهذه الشعوب وجاء القرآن ليوضح لهم حقيقة اعتقادات اليهود والنصارى وغيرهم.

ولذلك فإن المسلمين الأوائل لم يجدوا صعوبة في التعرف على الشعوب الأخرى والتفاعل معها وأخذ ما يفيدهم مما لدى الأمم الأخرى من وسائل المدنيّة. حيث أخذوا الديوان والبريد وبعض الصناعات المهمة مثل صناعة الورق (الكاغد) التي طورّها المسلمون حتى أصبحت صناعات إسلامية

================

#دعوة لدراسة الغرب >

ظهرت في عالمنا الإسلامي منذ عدة سنوات دعوات لدراسة الغرب أو إخضاعه لدراستنا، ومن ذلك ما كتبه السيد محمد الشاهد حول أهداف هذه الدراسة فذكر منها :" طلب علوم الغرب للإفادة من صالحها وبيان فساد طالحها ، والخلفية الفكرية للفكر الغربي." ([1])،وأوضح من ضمن الموضوعات التي يمكن دراستها :

(أ) دراسة عقيدة الغرب دراسة موضوعية بعيداً عن الحماسة والعاطفة.

(ب) دراسة الشخصية الغربية من حيث مكوناتها وبنائها النفسي والاجتماعي .([2])

وأكد السيد الشاهد في مقالة أخرى على قضية مهمة وهي " إن علينا أن نبحث عن مخرج من موقفنا الضعيف إلى موقع قوي مؤثر ،ولا يمكن ذلك إلاّ بدراسة علمية صادقة لما عليه أعداؤنا ولا حرج أن نتعلم من تجاربهم ومناهجهم ونأخذ منها ما ينفعنا ونترك منها ما عدا ذلك."([3])

كما أصدر الدكتور حسن حنفي كتابا ضخما بعنوان: مقدمة في علم الاستغراب ، تناول فيه أهمية دراسة الغرب فأوضح أن مهمة علم "الاستغراب" هي :" فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر ، والقضاء على مركب العظمة لدى الآخر بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس ، والقضاء على مركب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس. مهمته القضاء على الإحساس بالنقص أمام الغرب لغة وثقافة وعلماً ومذاهب ونظريات وآراء."([4])وأشار في مواضع أخرى إلى مهمات أخرى لعلم "الاستغراب" ومنها أنه يسعى إلى القضاء على " المركزية الأوروبية Eurocentrism،Eurocentricity ، بيان كيف أخذ الوعي

الأوروبي مركز الصدارة عبر التاريخ الحديث داخل بيئته الحضارية الخاصة، مهمة هذا العلم الجديد رد ثقافة الغرب إلى حدوده الطبيعية بعد أن انتشر خارج حدوده إبان عنفوانه الاستعماري من خلال سيطرته على أجهزة الإعلام وهيمنته على وكالات الأنباء ودور النشر الكبرى ومراكز الأبحاث العملية والاستخبارات."([5]).

ويرى حسن حنفي أنه ظهر في العالم العربي من اهتم بدراسة الغرب ولكنه أطلق على هذه الدراسات بالاستغراب " المقلوب" ويبرر هذه التسمية بأنها تؤدي إلى أنه " بدلاً من أن يرى المفكر والباحث صورة الآخر في ذهنه رأى صورته في ذهن الآخر ، بدل أن يرى الآخر في مرآة الأنا رأى الأنا في مرآة الآخر. ولما كان الآخر متعدد المرايا ظهر الأنا متعدد الأوجه." وضرب حسن حنفي المثال لهذا بكتابات محمد عابد الجابري وهشام جعيط، ومحمد العروي وهشام شرابي وغيرهم.([6])

وتأتي أهمية دراسة الغرب لمواجهة حالة الانبهار التي أصابت كثيراً من أبناء الأمة الإسلامية ، فيرى البعض أن النظام السياسي الأمثل هو الذي أوجدته الحضارة الغربية وقد دعوت إلى هذه الدراسة في كتابي الغرب في مواجهة الإسلام فقد ورد في هذا الكتاب العبارة الآتية:" انظر كيف يدرسوننا ، وكم يبذلون من الجهود والأموال لمعرفة ما يدور في بلادنا .وهل نحن ندرسهم بالمقابل؟ بل قبل ذلك هل عرفنا أنفسنا كما يعرفون عنّا ؟ إن هذا الأمر يحتاج من مفكرينا وعلمائنا وقفة متأنية."([7]) وقد تأكدت لي ضرورة هذه الدراسة نتيجة لما تعرفت إليه من بعض الصور الحياتية التي تدل على عدم ثقة البريطانيين في حكومتهم رغم أنها أقدم ديموقراطية في أوربا.

واستمرت مقالاتي تدعو لدراسة الغرب وكان منها مقالة بعنوان :" بل لابد من دراسة الغرب ونقده" جاءت رداً على مقالة عبد الرحمن العرابي التي ينتقد فيها الاهتمام الزائد بالغرب والكتابة عنه ، ومما بررت به ضرورة دراسة الغرب أنه ظهر من أبناء المسلمين من درس في الغرب ورجع إلينا متشبعاً بالروح الغربية حريصاً على تقليد الغرب في كل شيء فكان لابد من معرفة الغرب معرفة حقيقية ومما كتبته في حينها :" في مثل هذه الأجواء يجب الاستمرار في دراسة الغرب و الاطلاع على عوراته وعيوبه وتبصير الأمة بها ولا بد كذلك من دراسة إيجابيات الغرب فإن للسلف أقوالاً في وصف أعدائهم لم يمنعهم الإسلام من ذكر محاسنهم وهذا ما جاء في قوله تعالى

{ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى}([8])، وختمت المقالة بالقول:" إننا بحاجة لدراسة الغرب كيف نهض نهضته الصناعية المدنية ، وكيف بنى مؤسساته ثم كيف بدأ الانهيار حتى نأخذ بأسباب الانطلاق ونتجنب أسباب الانهيار."([9])

وكانت كلية الآداب بالرباط بالتعاون مع مدرسة الملك فهد العليا للترجمة وجمعية الدراسات المشرقية في المغرب ومكتب تنسيق التعريب في العالم العربي قد عقدت ندوة حول الاستشراق عام 1994 ، وجاء في الكلمة الافتتاحية التي ألقاها أحمد شحلان دعوته إلى الاهتمام بالدراسات الاستشراقية مشيراً إلى أن الهدف من ذلك هو:" أن نعرف ونقوّم الدرس الاستشراقي تاريخاً وحضارة بمنظور مغربي(إسلامي) رزين يعيد النظر في تاريخ الاستشراق ويعرِّف بمعاهده وأعلامه ويبرز أعمالهم كما هي." ([10]) وأضاف شحلان في تلك الكلمة إلى دراسة الغرب بقوله :" أليس من الجميل أن يصبح في جامعاتنا أقسام نسميها أقسام الاستغراب في مقابل الاستشراق؟ أليس من الجميل أن نعتبر الطرف الآخر هو أيضاً موضوع الدرس والتنقيب؟"([11]) وكتبت في حينها أؤيد ما دعا إليه الدكتور شحلان في ثلاثة مقالات أوضحت فيها جهود جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في دراسة الاستشراق ومنابعه الفكرية من خلال إنشاء وحدة الاستشراق والتنصير بعمادة البحث العلمي في الرياض، ثم إنشاء قسم الاستشراق بكلية الدعوة بالمدينة المنورة. وأيدت الدعوة التي نادى بها شحلان في المؤتمر المغربي وأضفت بأننا نحتاج بالفعل إلى إنشاء كلية للدراسات الأوروبية (والأمريكية) وختمت تلك المقالات بالعبارة الآتية: " لهذا كله فلا بد من التفكير الجاد في هذا الاقتراح بإنشاء كلية متخصصة لدراسة الغرب دراسة عميقة ، وهذه الدعوة موجهة إلى الجامعات الإسلامية بعامة وإلى الجامعات في بلادنا بخاصة. وإن جامعة الإمام التي كانت سبّاقة ورائدة في دراسة الاستشراق لقادرة بإذن الله على مثل هذه المشروعات الكبرى بعد دراستها من قبل المتخصصين ."([12]) ونبهت إلى أن الذي يدرس الغرب ينبغي له أن يكون على معرفة عميقة وصحيحة بالإسلام، حتى يكون قادراً على فهم الغرب من منطلق إسلامي* .

وكتبت في مناسبة أخرى أدعو إلى إخضاع الغرب إلى الدراسة في شتى المجالات بالقول: "لا شك أن دراسة الغرب تتطلب تخصصاً كالقانون أو الاجتماع أو السياسة أو علم الإنسان أو التاريخ ...الخ .. وقبل أن يتساءل القارئ وما شأننا بكل هذا فنقول أليس الغرب أمة يجب أن نتوجه إليهم بالدعوة ونحن مطالبون بالشهادة على الأمم فكيف للشاهد أن يشهد دون أن يعرف معرفة دقيقة موضوع شهادته."([13])

ويرى محمد عثمان الخشت بأن فهم الغرب أمر ضروري لفهم موقفهم من الإسلام ويقول في ذلك: "ولذلك يتعين على المثقفين الإسلاميين لا نقد الفهم الغربي للإسلام وحضارته فقط وإنما كذلك إقامة "علم الاستغراب." كعلم يدرس الحضارة الغربية لا لهدمها وبيان إفلاسها الروحي وأنها على وشك الانهيار بل لفهمها من الداخل واكتشاف هويتها بعقل مفتوح وقلب ملتزم. "([14]) ويضيف الخشت قائلاً:" وإنما نحن نعاني مما يعاني منه الغرب في هذا الإطار فنحن لم نفهم الغرب بعد فهماً موضوعياً ،والسبب ببساطه هو أنه لم يقم عندنا " علم الاستغراب" كعلم دقيق حتى الآن، وإنما مزاعم بهذا الشأن هي مجرد أهواء وسراب."([15])

وقد ازدادت الأصوات المنادية بدارسة الغرب فقد كتب قسطنطين زريق يقول :" إن الحضور الأمريكي في الذهن العربي ليس في مجمله صحيحاً وكافياً لأنه ليس وليداً لدينا من معرفة صادقة وموثوق بها ومن علم حي متنام." ([16])

وقد انتقد إدوارد سعيد عزوفنا في العالم العربي عن دراسة الغرب، فذكر أن العديد من المثقفين العرب المسلمين يذهبون إلى الغرب ليكتبوا عن العالم الإسلامي ومما قاله: " إن صادق جلال العظم مثلا الذي يفترض أنه ناقد كبير قضى ثلاث سنوات في أمريكا وجل ما فعله هو تدريس الشرق الأوسط إلى صغار أمريكا.." وأطلق سعيد على ذلك بأنه نوع من " النرجسية التي تدعو إلى الأسى عند جزء من المثقفين العرب" وتساءل سعيد " لماذا لا تكون لدينا إسهامات عربية معاصرة أكثر أهمية في دراسة فرنسا وألمانيا أو أمريكا" فالعرب أصبحوا في نظر سعيد " أسرى حالة من الـ (غيتو) لأنهم يكتبون عن العالم العربي بالفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية، وينظر إليهم كمخبرين محليين ."([17])

ويؤكد سعيد هذه الفكرة حين التقى مجموعة من الشباب اللبناني يكتبون عن لبنان في أمريكا، فقال لهم:" لستم هنا لكي تكتبوا عن أنفسكم، تستطيعون الكتابة عن لبنان في لبنان، هنا يتوجب عليكم أن تكتبوا وتشاركوا في الجدالات الدائرة حول أمريكا في أمريكا."([18])

ولعل إدوارد سعيد فاته أن هذا الأمر قد خطط له منذ عشرات السنين، فقد جاءت لجنة حكومية بريطانية برئاسة السير وليام هايترSir William Hayter للتعرف على الدراسات العربية الإسلامية في أمريكا وكندا فوجدت أن معهد الدراسات الإسلامية في جامعة مقيل McGill قد وجه طلابه المسلمين ليكتبوا عن بلادهم، وأقنعهم بأن هذه الكتابة ستكون في مصلحتهم لأنهم سينظرون إلى مشكلاتهم من بعد (مسافة) وربما قيل لهم " إنكم ستحررون هناك من بعض القيود في بلادكم" ، فأعجبت الفكرة أعضاء اللجنة، وجعلوها ضمن توصياتهم([19]). ولكن الأمر من هذا حين تتحول بعض الرسائل إلى نوع من التجسس على العالم العربي الإسلامي، بما تقدمه من معلومات يصعب على الغربيين الوصول إليها، كما أشار إلى ذلك أحمد غراب من توجيه بعض الأساتذة تلاميذهم من العرب والمسلمين دراسة قضايا معينة في بلادهم.([20])

وأعود إلى إدوارد سعيد لأقتبس من مقالته التي نشرت في 17 صفر 1417 والتي أكد فيها ضرورة معرفة الآخر، فهو يقول: " ولا أعتقد أن من الإجحاف القول إن العرب هم الأقل مساهمة في تغيير الحضارة والسياسة والمجتمع في الغرب، ونحن نتمتع في بلداننا بأحدث البضائع الاستهلاكية وكل وسائل الراحة المستوردة من الخارج وليس من يضارعنا فيم عرفة آخر طرازات سيارة مرسيدس أو البرامج التلفزيونية المفضلة، لكنني لا أعرف جهدا منظما في الجامعات العربية وفي مؤسساتنا الدينية لتعميق معرفتنا بالآخر، أي بالمجتمعات المختلفة واللغات والتواريخ التي تشكل عالمنا الحالي.."([21])

وكنت أشرت من قبل إلى مقولة عبد الرحمن العرابي بعدم ضرورة إشغال أنفسنا بدراسة الغرب والكتابة عنه فقد كتب هاشم صالح –تلميذ محمد أركون– منتقداً الدعوة إلى " علم الاستغراب" بدعوى أننا ما زلنا غير قادرين على الوصول إلى ما

وصل إليه الغرب من تقدم في العلوم ومناهج البحث ، بل إنه استهزأ بمشروع حسن حنفي في دراسة الغرب (الاستغراب) بقوله: " كيف يمكن لهذا "العلم" الغريب الشكل أن ينهض على أسس قويمة إذا كنّا عاجزين حتى الآن عن استيعاب الثورات اللاهوتية والابستمولوجية والفلسفية للفكر الغربي ، وإذا كنّا عاجزين عن إحداث مثلها في ساحة الفكر العربي ؟ وكيف يمكن لنا أن نقف موقف الند من الغرب إذا كنّا لا نملك أبسط المقومات حتى مشروع الترجمة لم نقم به كما ينبغي. "([22])

وما يمكن قوله لهذا المتعجب من دراسة المسلمين للغرب هو هل من الضروري أن يمر المسلمون بالأدوار الفكرية والفلسفية التي مرّ بها الغرب حتى نفهم الغرب؟ وهل من الضروري أن ننقد القرآن الكريم والسنة المطهرة وفقاً لنقد النص الذي قام به الغربيون لنصوصهم " المقدسة" حتى يمكننا أن ندرسهم ؟ ولكن ألا يعرف الكاتب أن الأمة الإسلامية مطمئنة إلى أن كتاب ربها قد نقل إليها بالتواتر فليس في الدنيا كتاب نال من العناية والاهتمام ما ناله القرآن الكريم .ومن ناحية أخرى يؤمن المسلمون بأن الله عز وجل قد تكفل بحفظ كتابه{ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}([23]) فهذا هو المنطق المعكوس أن نتوقف عن التفكير في دراسة الغرب حتى نمر بجميع المراحل الفكرية التي مر بها الغرب، وأن نطعن في نصوصنا دون النظر إلى الجهود التي بذلها العلماء المسلمون في الحفاظ على الكتاب والسنة وهي جهود لم تقم بها أمة من الأمم لحفظ كتاب ربها وسنة نبيها .

وجاءت ندوة " أصيلة " لتدعو إلى إنشاء مركز الدراسات الأمريكية فكانت المبررات التي نشرت تتلخص فيما يأتي:" فقد اتفق الحضور على وجود بعض أشكال من عدم الفهم للعروبة والإسلام في أمريكا وهذا ما يصعب تقديم قضايا العرب والمسلمين بصفة جيدة كذلك اتفقوا بالمقابل على عدم التفهم العربي الكافي لأمريكا ومجتمعها وعمل إدارتها السياسية."([24]) ورأى المجتمعون أن من الأهداف التي من الممكن تحقيقها من إنشاء المعهد " تقريب وجهات النظر وتقديم رؤية معتمدة على المعلومات المعاصرة وليس على الحساسيات التاريخية التي تتحكم بالجانبين" أما الوسائل التي سيستخدمها المعهد في تحقيق أهدافه فكما أشار الخبر :" تقوية الحوارات والاتصالات بين الأكاديميين والصحافيين والعلماء والاقتصاديين من كلا

الطـرفين، كمـا يطبـع الأعمـال الثقافيـة والفكريـة التـي تخـدم كافـة أشكال الحـوار الحضاري بين الثقافتين العربية والأمريكية."([25])

ومن الطريف أنني قبل ندوة " أصيلة " بأسبوعين تقريباً وفي المحاضرة التي ألقيتها بدعوة من نادي أبها الأدبي وفي 8ربيع الأول 1417 ناديت بإنشاء كلية الدراسات الأوروبية والأمريكية و هذا ما قلته في تلك المحاضرة:"وأجدها فرصة مناسبة لأدعو من هذا المنبر * لإنشاء كلية للدراسات الأوربية أو مركز أبحاث الدراسات الأوروبية في المدينة المنورة، تكريما لهذه المدينة العظيمة التي انطلقت منها الدعوة الإسلامية فعم نورها أرجاء الدنيا وما زال."

وقد أثار هذا الاقتراح الكثير من ردود الأفعال المؤيدة ومنها ما كتبه عبد القادر طاش مشيراً إلىً أن الواقع يشهد نقصاً في " المعرفة العلمية الموضوعية ... لابد لمثل هذا المعهد أن يعنى عناية فائقة بالدراسات الجادة التي تقدم لنا –نحن العرب والمسلمين– رؤية عميقة وموضوعية عن الفكر الأمريكي في تجلياته الإيجابية وفي قصوره السلبي وعن التيارات الثقافية التي يموج بها المجتمع الأمريكي وذلك لنعرف أمريكـا علـى حقيقتهـا عوضـاً عـن الاعتمـاد علـى الانطباعـات العجلـى والـرؤى القاصرة."([26])

ولكـن طـاش توقـف عنـد فكـرة الحساسـيات التاريخيـة* التـي يريـد مؤسسـو المركـز استبعادها من أن تكون مصدراً للمعرفة فقال :" ولكننا –مع ذلك– لا ينبغي أن نقلل من أثر الدوافع التاريخية في توتير العلاقة بين الطرفين فكرياً وثقافياً. كما لا ينبغي إهمال النظر إلى العوامل الأيديولوجية والسياسية وحتى الاقتصادية التي تؤثر على تلك العلاقة سلباً أو إيجاباً .لذلك فإن الرؤية المتكاملة تفرض علينا دراسة ظاهرة العلاقـة بـين أمريكـا والعـرب فـي ضـوء كـل هـذه العوامـل مجتمعـة ولا يمكـن فصـل الحاضر عن الماضي."([27])

وتعجب عبد الرحمن الراشد أن لا توجد في العالم العربي دراسة " العلوم الأمريكية بتخصيص كلية أو مركز لها." وأشار إلى أن لدى الأمريكيين العشرات من المراكز والكليات المتخصصة في تدريس وإجراء بحوث عن منطقة الشرق الأوسط . وهناك مئـات الجامعـات الأمريكيـة التـي تـدرس العلـوم الإسـلامية وحضـارتها ضـمن بـرامج

مكثفة في حين أننا لا نملك قسماً واحداً متخصصاً في العلوم الأمريكية مع أننا نعيش في القرن الأمريكي."([28])وأكد الراشد على ضرورة هذه الدراسات بقوله بأننا " لا يمكن أن نفهم ممارسات النظام الأمريكي سياسة واقتصاداً وثقافة من خلال تفاسير بسيطة تنطلق من روح المؤامرة الدائمة أو اللوبي الصهيوني أو لوبي السلاح ، بل هناك دولة عظمى تتنازعها قوى داخلية كبرى وتؤثر على سياساتها طروحات حزبية أهم من إسرائيل وغيرها."([29])

ولا بد هنا من التأكيد على أن أمريكا وإن كانت القوة العظمى في العصر الحاضر فإن هذا لا يمنع من دراستها ليس بالروح الانهزامية التخاذلية ، كما نؤكد ما قاله عبد القادر طاش بأننا لا ينبغي أن نغفل العامل التاريخي أو الأيديولوجي أو السياسي أو حتى الاقتصادي في العلاقات بين العالم العربي الإسلامي وأمريكا والغرب عموماً.

وقد علّق أحد القراء على هذه القضية وأضاف بعداً جديداً بأن دراسة الولايات المتحدة وحدها لا يكفي فلا بد أن تتسع هذه الدراسات لتشمل دول الاتحاد الأوروبي ونمور آسيا والصين والهند وروسيا.([30])وهو ما ينطبق عليه تعريفنا للآخر وفقا للمفهوم القرآني كما أوضحناها في بداية هذا البحث.

ولابد أن تنطلق رحلتنا لمعرفة الآخر من أسس شرعية، وقد كانت محاضرة الدكتور جعفر شيخ إدريس في مهرجان الجنادرية لهذا العام رائعة جدا في تحديد هذه المنطلقات، وأحب أن ألخصها هنا في النقاط الآتية:

1 – كل جماعة من البشر ترى أن ما هي عليه من المعتقد والقيم والعمل أفضل مما عليه غيرها مهما كان ما هي عليه باطلا بمقياس الشرع، والدليل على هذا قوله تعالى: {كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبؤهم بما كانوا يعملون}([31]).

2 – تتقارب الأمم مع من كان على شاكلتها، ألم تذهب جهود تركيا طوال عشرات السنين هباء للالتحاق بالسوق الأوروبية المشتركة، وهاهي ليتوانيا وأستونيا تدخلان السوق ولم يمض على استقلالهما سنتان أو ثلاثة.

3 – عدم الرضا التام إلاّ من كان على شاكلتهم، {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم}([32]).

4 – إن حرصهم على أن يكون غيرهم معهم يدفعهم للضغط على المخالف ولاسيما مخالفا يساكنهم بأنواع من الضغوط تصل أحيانا حد الضرب أو السجن أو النفي أو حتى القتل {وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك}([33]). وقوله تعالى: {قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنّكَ يا شُعَيْبُ والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا، قال أولو كنا كارهين}([34]).

5 – يرى أهل بعض الحضارات والأديان أن دينهم أو حضارتهم من خصائصهم القومية التي لا يريد أحدا أن يشاركه فيها وحتى إنهم لا يروا أنفسهم ملزمين بالتعامل معهم بالقيم الأخلاقية {ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك إلا مادمت عليه قائما، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون}([35]).

6 – الرغبة الجامحة لدى بعض الحضارات في السيطرة والسيادة " تدفعهم لأن يعدوا العدة لبقاء حضارتهم والدفاع عنها في حال وجود خطر يهددها، والعمل لإخضاع الآخرين لها " وذكر الشيخ جعفر الرغبة الجامحة لدى الغرب في السيطرة، فمثلا في دولته الكبرى في الولايات المتحدة وهم لا يخفون ذلك، كما هو واقع لمن يتابع أحداث العالم بقلب واع وأفق واسع([36]).

أما موقفنا من الآخر، فقد حدد الدكتور جعفر ذلك في عدة نقاط هي:

1 – الدعوة إلى الحق عملا بقوله تعالى: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة}([37]).

2 – إعداد القوة الرادعة، فلابد أن يكون للمسلمين قوة حتى لا يظهر أحد تحدثه نفسه بالغزو، وحتى لا يكون المسلمون فتنة حيث نكون على الحق ونكون الأضعف فينفر الناس من الحق الذي معنها. (القوة من أجل السلام)* .

3 – الجنوح للسلم.

4 – تبادل المنافع.

ويخلص الدكتور جعفر إلى القول بأن (الحضارة الغربية هي التي تدفع الآخرين لمعاداتها حيث تعمل في طريق التطور الطبيعي لغيرها، وتعد كل ماعداها خطر عليها، فتتحدث عن الغربي والآخر The West & The Rest تماما كما كان

بعضهم ولا يزال يصف كل من ليس على دينه بالأميين (أو الأمميين) ولا يرى أنه ملزم في التعامل معهم بخلق أو دين)([38]).

وقبل أن نختم هذه الفقرة نشير إلى أن الآخر الذي نقصده ليس هو فقط العدو الخارجي ولكن ثمة أناس من أبناء جلدتنا يمكن أن يكونوا أخطر من العدو الخارجي: هم أولئك الذين تأثروا بالفكر الغربي وأصبحت لهم مواقف مختلفة في النواحي الفكرية والثقافية والسياسية لا تتفق مع المنهج الإسلامي في التفكير ، فقد يبدي عداءً للغرب أو للآخر الحقيقي ولكنه في الوقت نفسه يتبنى كثيراً المواقف المنافية لمصالح الأمة الإسلامية والمنطلقة من المنهج الإسلامي وأضرب لذلك بأمثلة محدودة من هذه المواقف:

لقد زعم هؤلاء بأنهم حزب التنوير الحديث في العالم الإسلامي ولكن أي تنوير هذا وهم يعاندون توجهات الأمة فقد أقر مجلس الأمة في الكويت في الشهور الأخيرة منع الاختلاط في المدارس والجامعات الكويتية ولكن ظهر أعداء الفصل بين الجنسين وشنوا حملة شعواء على هذا القرار وكان من الذين كتبوا عن هذا الموضوع محمد صلاح الدين حيث كتب يقول:" جندت (في الشهور التي تلت التصديق على قرار منع الاختلاط) القوى العلمانية قواها وأطلقت عقال أحقادها وافتراءاتها لحث الحكومة على رد القانون الجديد إلى البرلمان والتحذير من آثاره على سمعة الكويت الدولية."([39]) وتحدث صلاح الدين في المقال نفسه عن تولي حزب الرفاه رئاسة الوزارة في تركيا بعد صراع سياسي استمر عدة شهور تحالفت فيه كل الأحزاب العلمانية لحرمان الرفاه الإسلامي من ثمار نصره الانتخابي وحقه الديموقراطي."* ووصف محمد صلاح الدين الديموقراطية التي ينادي بها العلمانيون العرب والمسلمين بأنها " ديموقراطية صليبية تقوم على أساس استئصال الإسلام ودعاته من حياة العباد وتوجهات البلاد ، وأن التعددية التي يتخوفون عليها هي في حقيقتها دكتاتورية مقنّعة تعتمد على نفي الشريعة وأحكام الدين من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، والسماح لكل ما عدا ذلك من مذاهب وأيديولوجيات باعتبار الإسلام هو العدو الأول والوحيد."([40])

وقد ظهرت مواقف هذا الآخر من الإسلام والمسلمين في مواقف كثيرة منها أن إحدى الصحف أجرت استطلاعاً عن أبرز الكتب التي أثرت في حياة المسلمين في القرن الماضي فتواطأت رؤية عدد من الذين استطلعت آراؤهم على الإشادة بكتاب علي عبد الرازق (أصول الحكم الإسلامي) وكتاب طه حسين (في الشعر الجاهلي ، وكتاب قاسم أمين (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة)وكتب أخرى على شاكلتهما. وليت الأمر اقتصر على الاستطلاع الذي نشرته الصحيفة بل إن الهيئة المصرية العامة للكتاب قامت بإعادة نشر هذه الكتب في طبعة فاخرة وبأسعار زهيدة –كما أشار إلى ذلك عبد الله الجفري الذي تلقى هذه الكتب هدية من الهيئة–([41])

ومن مواقف الآخر الداخلي استئثاره بالدعوات لبعض المؤتمرات والندوات واستبعاد من ليس على شاكلتهم . فقد كتب عبد العزيز عطية الزهراني حول الندوة التي نظمتها مؤسسة الأهرام بالقاهرة تحت عنوان " مشروع حضاري عربي" فيقول الزهراني :" ليس مستغرباً من ندوة الأهرام أن تغيِّب الإسلام من محاورها وموضوعاتها فالغرب منذ عصر النهضة وحركة التنوير –في مفهومهم للنهضة والتنوير– وهم يركضون ركض الإبل في القفار والصحارى الشاسعة دون أن يصلوا إلى نبع الماء وبقيت الحلقة الرئيسية في نهضتهم المزعومة مفقودة."([42])

وأكد الزهراني في مقالته على أهمية دور العقيدة بقوله:" إن المشروعات الثقافية والفكرية التي لم تقدر على استيعاب العبر والدروس من التاريخ في ماضيه و حاضره لن يكون لها نصيب من النجاح... وسوف تذكر الأجيال القادمة أن حضارتهم لم تكن لتتعثر لو قام المخلصون ذوو القلوب الواعية بمزجها بهذا العنصر الأساس في مكوناتها (العقيدة) والتي لا تكتمل بدونه"([43])

ومن مظاهر الآخر الداخلي تهجمه على التشريعات الربانية كالتهجم على مظاهر الحياة الإسلامية التي من ملامحها الحجاب حيث كتب أحدهم في جريدة الأهرام عن الملابس والاحتشام فأطلق على الحجاب بأنه غزو ثقافي بدوي قادم من الصحراء . ويعلق محمد صلاح الدين على ذلك بقوله:" وهكذا أصبحت الأحكام الشرعية مرتعاً لعبث العابثين و المتزلفين وعدت الأوامر الإلهية حمى مستباحاً في ديار المسلمين للمنحرفين والمتحللين والعياذ بالله."([44])

و ظهر هذا الآخر الداخلي أيضاً في مجال الأدب وفي الثقافة وفي التاريخ وفي علم الاجتماع وفي الفكر السياسي والاقتصادي . ففي مجال الأدب تبنى بعض هؤلاء نظريات الحداثة الغربية التي تنادي بالقطيعة مع التراث ، بل إنها تسعى إلى "تحطيم السائد والموروث ، وتفجير اللغة " وأما ما يتذرعون به من التجديد في الأشكال الأدبية للشعر والنثر فإنما جزء من الخداع الذين أتقنوا فنه، وإلاّ فإن الحداثة تتضمن نظرة متكاملة إلى الحياة والكون بعيداً عن الدين وبخاصة الدين الإسلامي. ومن الأدلة على ذلك أنهم حين أصدروا مجلة "أبواب" كانت في أول أعدادها تعلن الحرب على ما أطلقوا عليه الأصولية حيث يقول في ذلك محمد نور الدين :" أبواب تفتح أبواباً للتحديث والديموقراطية (على النسق الغربي، وهل هناك نسق عالمي آخر ؟) وتحمل عصا غليظة تهش بها الأصولية والأصوليين ." ([45])

وفي المؤتمر العالمي الأول حول الإسلام والقرن الواحد والعشرين تحدث يوهانس يانسن Johannes Jansen تحت عنوان (فشل المشروع الليبرالي) تناول فيه بالحديث فشل النخبة العلمانية في التأثير في المجتمع المصري بخاصة وفي العالم العربي بعامة ، وأرجع ذلك إلى أن هؤلاء يعيشون في بروج عاجية وأن الحاجز كبير بينهم وبين عامة الشعب. وقد ذكر يانسن في ملخص موضوعه أن كتابات النخبة من أمثال حسن أحمد أمين ومصطفى أمين وفؤاد زكريا ونصر حامد أبو زيد، ومحمد سعيد العشماوي التي تركز على الهجوم على "الأصولية" الحديثة تجد رواجاً ولهم قراء كثيرون لكنهم فشلوا في تحريك الجماهير.([46])وفي المؤتمر نفسه تحدث نبيل عبد الفتاح و هاله مصطفى –وهما من مؤسسة الأهرام– عن الحركات الإسلامية(الأصولية) وموقفها من الديموقراطية الحديثة فحشدا كثيراً من الاتهامات والدعاوى والزعومات ضد هذه الحركات دون تمييز بين حركات تدعو إلى تحكيم شرع الله وتطبيق الشريعة الإسلامية في جميع ميادين الحياة، وبين تلك التي اتخذت خط العنف مهما كان حجمها صغيراً. وأصر المتحدثان على أن الحركات الإسلامية لا يمكن أن يكون لديها القابلية للقبول بالتعددية أو القبول بمعطيات الحضارة الغربية .([47])ولاشك أن المحاضرين ينطلقان من منطلق العداوة للحركات الإسلامية فلم يكن النقاش حول مواقف الحركات الإسلامية عقلانياً أو منطقياً . كما أن إدارة

المؤتمر ربما تعمدت أن لا يكون في الحضور من يمثل وجهة نظر الحركات الإسلامية ليناقش مثل هذه المفتريات. ومن الأمثلة على هذه الآراء قول هالة مصطفى إن قبول الإسلاميين بالديموقراطية إنما هو قبول بإجراءات الديموقراطية أما الاتجاهات الفكرية والأيديولوجية لهذه الحركات فبعيدة جداً عن الجوهر التعددي للديموقراطية. كما زعمت الباحثة أن الإسلاميين يسعون إلى تأسيس الدولة الدينية التي لا يمكن أن تقبل بأي خيار آخر بعد أن يضفوا هالة من الشرعية لا تسمح بوجود خيار آخر. وكأن هالة مصطفى لم تقرأ التاريخ الإسلامي الذي يعد مضرب المثل في التسامح مع الأديان الأخرى منذ نشأة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة حيث كتب الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيفة بينه وبين يهود يضمن لهم فيها حرية الاعتقاد وحرية التصرف في ممتلكاتهم. كما لم يعرف التاريخ الإسلامي اضطهاد أصحاب الديانات الأخرى كما عرفتها أوروبا في حركة الإصلاح الديني وفي محاكم التفتيش في أسبانيا.

- الحواشي :

[1] –السيد محمد الشاهد." الاستغراب " في مرآة الجامعة ، عدد 120 ، 20 جمادى الأولى 1410.

[2] –المرجع نفسه.

[3] –السيد محمد الشاهد." المواجهة حضارية.. والنقد لا يكفي"، في المسلمون. عدد 270، 11–17رمضان 1410، 6–12أبريل 1990.

[4] –حنفي ، مرجع سابق ،ص 24.

[5] – المرجع نفسه ،ص 28.

[6] –المرجع نفسه ، ص 55–65. وأذكر أن أستاذ مادة (التاريخ العربي الحديث) في الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك عبد العزيز كان يصرح بأن أي بحث تاريخي لا يمكن أن يكون مقبولاً ما لم يتضمن بعض المراجع الأجنبية.

[7] مازن مطبقاني: الغرب في مواجهة الإسلام.(المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، 1409.)ص 78.ظهرت قريباً طبعة ثانية من هذا الكتاب عن مكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالمدينة المنورة.

[8] –سورة المائدة ، أية 8.

[9] –مازن مطبقاني." بل لابد من دراسة الغرب ونقده." في المدينة المنورة، عدد 11256،13شعبان 1414(24يناير1994) ومن ذكر مزايا الآخر أو الاعتراف بما له من حسنات ما ورد عن عمرو بن العاص رضي الله عنه في وصف الروم بقوله:" إنّ فيهم لخصالاً أربعا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة ، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة ، و أوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ، ويتيم ، وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك" رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة.

[10] –الشرق الأوسط ، عدد 5667، 25ذو الحجة 1414(4يونيه 1994)

[11] –المرجع نفسه.

[12] – مازن مطبقاني ،"دراسة الاستشراق وريادة جامعة الإمام1" في المدينة المنورة،ع 11396، 4محرم 1415(1994/6/13) و"دراسة الاستشراق وريادة جامعة الإمام2، الرجع نفسه، عدد 11397، 11محرم 1415، و" الاستشراق وكلية الدراسات الأوروبية"،المرجع نفسه ، عدد 11410، 18محرم 1415(27يونيه 1994.

* قررت ندوة أصيلة التي عقدت في شهر أغسطس 1997 إنشاء معهد الدراسات الأمريكية في أصيلة بالتعاون مع قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد الأمريكية فكتبت مقالتين معلقاً على هذا الموضوع مشيراً إلى أنه بالإمكان أيضاً أن يتم التعاون مع المعاهد الأوروبية المتخصصة في دراسة الولايات المتحدة مثل معهد دراسات الولايات المتحدة في لندن والتابع لجامعة لندن، وكذلك معهد الولايات المتحدة في مونتريال بكندا.

[13] –" متى نخضعهم لدراستنا ؟" في المدينة المنورة ،عدد 11534، 24جمادى الأولى 1415، (29أكتوبر 1994)

[14] – محمد عثمان الخشت." الإسلام والغرب : من الصراع إلى الحوار." في الحياة ،عدد 12103 ، 26 ذو القعدة 1416، 14يناير 1996.

[15] –المرجع نفسه.

[16] – قسطنطين زريق." حضور أمريكا في الذهن العربي والحضور العربي في الذهن الأمريكي." في الحياة، عدد 12134، 28 ذو الحجة1416 (16 مايو 1996)

[17] ادوارد سعيد: تعقيبات على الاستشراق، ترجمة صبحي حديدي، عمان: دار الفارس، 1996، ص 149–150.

[18] المرجع نفسه.

[19] –Sir William Hayter.

[20] أحمد عبد الحميد غراب: رؤية إسلامية للاستشراق.ط2(بيرمنجهام : المنتدى الإسلامي) 1412هـ.

[21] ادوارد سعيد: الحياة، العدد 12182، 17 صفر 1417هـ (3 يوليه 1996م).

[22] –هاشم صالح." علم الاستغراب لا يضير الغرب بل يرتد علينا بأفدح الأخطار." في صحيفة الحياة،عدد 11740 ،13 ذو القعدة 1415(13 أبريل 1995).

[23] –سورة الحجر آية 9.

[24] – " أول معهد للدراسات الأمريكية ." في صحيفة الشرق الأوسط، العدد 6465، 26ربيع الأول 1417 (10أغسطس1996م)

[25] –المرجع نفسه.

* كان هذا في النادي الأدبي بأبها في يوم 8 ربيع الأول 1417 حيث ألقيت محاضرة بعنوان (المعرفة بالآخر: ظواهر اجتماعية من الغرب)

[26] –عبد القادر طاش،" الدراسات الأمريكية" في المدينة المنورة ، عدد 12180، 1ربيع الآخر 1417(1996/8/15م)

* أشار الأمير الحسن بن طلال في كلمته التي ألقاها في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الخامس والثلاثين للدراسات الأسيوية والشمال أفريقية الذي عقد في بودابست بالمجر على ضرورة الاهتمام بالتاريخ ذلك أن الماضي لا ينفصل عن الحاضر ويجب أن نتخذ من الماضي دروساً وعبراً، وليس من مصلحة الغرب أو الشرق نسيان الماضي.

[27] –المرجع نفسه.

[28] –عبد الرحمن الراشد. "أصيلة ومشروع المركز الأمريكي." في الشرق الأوسط، ع (6466) ،27ربيع الأول 1417(1996/8/11)

[29] –المرجع نفسه ، ع (6467)، 28ربيع الأول 1417.

[30] – عوض عباس أمين ،" آفاق مركز الدراسات الأمريكية في العالم العربي" في الشرق الأوسط .ع10،6479ربيع الآخر 1417 (24أغسطس1996م)

[31]–سورة الأنعام آية 108.

[32] – سورة البقرة آية 120.

[33] – سورة الأنفال آية 30.

[34]– سورة الأعراف آية 88.

[35] –سورة آل عمران آية 75.

[36] جعفر شيخ إدريس: موقفنا من الحضارات والأديان الأخرى، رؤية شرعية، في الشرق الأوسط، ع 6311، 9 مارس 1996م.

[37]– سورة النحل آية 125.

* أذكر حينما كنت أعمل في الخطوط السعودية قبل أكثر من عشرين سنة أن إحدى المجلات المتخصصة في الطيران نشرت على غلافها صورة إحدى الطيارات المقاتلة وكتبت تحتها (القوة من أجل السلام)Power For Peace . وبعد سنوات أجرت مجلة المجتمع الكويتية لقاءً مع البرفسور عبد القدير خان المسؤول عن البرنامج النووي الباكستاني ولم تهتم به الصحف الأخرى فكتبت مقالة في جريدة المسلمون بهذا العنوان مشيراً إلى أن الأمة الإسلامية يجب عليها أن تمتلك القوة التي تجعلها مهابة الجانب عملاً بقوله تعالى {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم}.سورة الأنفال آية60.

[38] جعفر شيخ إدريس، المرجع نفسه، الحلقة الثانية. عدد 6312، 1996/3/10م.

[39] – محمد صلاح الدين ." الديموقراطية الصليبية." في المدينة المنورة ، ع 12140، 20صفر 1417(6يوليو1996م)

* استطاع العسكر في تركيا بتأييد ظاهر وخفي من الغرب أن يفرضوا على نجم الدين أربكان رئيس الوزراء التركي ورئيس حزب الرفاه الاستقالة بعد حكم لم يدم أكثر

من سنة، ثم جاء يلماظ ليحاول أن يتخذ عدداً من القرارات للحد من المدارس الدينية وتمديد التعليم العلماني وبالرغم من التكاليف المالية الضخمة لمثل هذا القرار فإن صندوق النقد الدولي الذي تسيطر عليه الدول الكبرى قد قرر تقديم القروض لتركيا. انظر سرعتهم في تأييد كل قرار ضد الإسلام والمسلمين مع تشدقهم بالديموقراطية وحرية التدين.

[40] –المرجع نفسه.

[41] –مازن مطبقاني ." (أتواصوا به)...التنوير المزعوم" في المدينة المنورة ، ع 9536، 8 محرم 1414.

[42] –عبد العزيز عطية الزهراني." وجموا وهم جاهلون." في رسالة الجامعة،(صحيفة تصدر عن جامعة الملك سعود بالرياض) ع 547، 25جمادى الآخرة 1415.

[43] –المرجع نفسه وانظر مقالتي " ما ذا لو تفسحوا في مجالسهم " في المدينة المنورة، ع 11592، 24رجب 1415 (26ديسمبر1994)

[44] –محمد صلاح الدين." الحجاب..غزو ثقافي بدوي؟!" في المدينة المنورة.ع11467 16ربيع الأول 1415، (23أغسطس1994)

[45] – محمد نور الدين." أبواب المجلة الجديدة تبالغ في التركيز على الديموقراطية ونفي الأصولية." في الحياة،عدد (11513)، 19ربيع الأول 1415، (26أغسطس 1994)

[46] –Johannes Jansen. “ The Failure of the Liberal Alternative.” in The First International Conference on Islam and the 21st Century :Porogramme and Abstracts (Leiden: Leiden University, 1996)p.51.لقد حضرت المؤتمر واستمعت لمحاضرة يانسن وناقشته في بعض الأفكار التي طرحها في محاضرته.

[47] – Nabil Abdul Fattah and Halah Mustafa.” Western Democracy and Islamic Movements in The Middle East.” Two parts each presented a part. in The First International

-4st Century. Leiden ,June 21Conference on Islam and The .7,1996

===========

كيف ندرس الغرب؟ >

كيف ندرس الغرب؟ لابد من التخطيط الفعّال في هذه القضية إن أردنا أن ننجح حقاً في التعرف إلى الغرب والإفادة من المعطيات الإيجابية للحضارة الغربية. ويحتاج هذا الأمر إلى عشرات اللجان في العديد من الجامعات العربية والإسلامية لوضع الخطط اللازمة لهذه الدراسات. ولكن حتى يتم ذلك لا بد من التفكير في الطريقة المثلى لهذه الدراسات. واذكر هنا أن الولايات المتحدة كانت قد بدأت فيها دراسة الاستشراق منذ بداية القرن التاسع عشر ولكنها بعد الحرب العالمية الثانية وجدت نفسها مضطرة لتحل محل بريطانيا في الشرق الأوسط أو في البلاد العربية الإسلامية،ووجدت نقصاً إن لم يكن عجزاً في الكوادر المؤهلة لفهم العالم العربي الإسلامي، فأصدرت الحكومة الأمريكية مرسوماً لتمويل عدد من المراكز لدراسة اللغة العربية والتركية والفارسية والأوردو ودراسات الأقاليم أو دراسة المناطق.

وبعد البدء في برامج اللغات العربية استعانت الجامعات الأمريكية بعدد من أساتذة الجامعات البريطانيين بخاصة والأوروبيين بعامة لتدريس الاستشراق في الجامعات الأمريكية كما بدأت الاستعانة ببعض أبناء المنطقة لإنشاء أقسام دراسات الشرق الأدنى كما فعلت جامعة برنستون حينما كلّفت فيليب حِتّي لإنشاء القسم في الجامعة.ثم بدأ التعاون بين أقسام دراسات الشرق الأوسط والمؤسسات العلمية الأخرى مثل مؤسسة الدراسات الاجتماعية والإنسانية وغيرها من المؤسسات العلمية والأكاديمية. وما زالت أكثر من عشرين جامعة أمريكية تحصل على دعم الحكومة الفيدرالية في مجال الدراسات العربية الإسلامية لتمسكها ببرنامج يلبي احتياجات الحكومة الأمريكية.

وفي العالم الإسلامي يكاد لا ينقصنا دراسة اللغات الأوروبية ولكننا بحاجة إلى من يتعلم هذه اللغات ليصل إلى مستوى رفيع في التمكن من هذه اللغات وبالتالي الدراسة في الجامعات الغربية والتركيز على قضايا الغرب وليس لدراسة موضوعات تخص

العالم الإسلامي. فنحن بحاجة إلى من يعرف الأدب الغربي كما يعرفه مثلاً البروفيسور إدوارد سعيد الذي استطاع التعمق في فهم العقلية الغربية من خلال دراسة آدابهم. كما أننا بحاجة إلى من يتعمق في علم الاجتماع الغربي ليتعرف على مجتمعاتهم كأنه واحد منهم. ولم تعد هذه المسألة صعبة فإن في الغرب اليوم كثير من المسلمين من أصول أوروبية وأمريكية ويستطيعون التعرف على بيئاتهم معرفة حقيقية ولا يعوقهم شيء في التوصل إلى المعلومات التي يرغبون في الحصول عليها.

ولا بد من التأكيد على أن دراستنا للغرب يجب أن تستفيد من البلاد التي سبقتنا في هذا المجال ومن ذلك أن عدداً من البلاد الأوروبية قد أنشأت معاهد للدراسات الأمريكية فهناك معهد الدراسات الأمريكية تابع لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة لندن، كما أن جامعة مونتريال فيها معهد للدراسات الأمريكية وكذلك في ألمانيا. وقد أنشأت باكستان معهداً للدراسات الأمريكية.

ودراستنا للغرب لا شك ستختلف عن دراسة الغرب لنا ذلك أن الغرب بدأ الاستشراق فيه منطلقاً من توجيهات وأوامر البابوات لمعرفة سر قوة المسلمين وانتشار الإسلام في البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية. وكان القصد ليس فقط معرفة الإسلام والمسلمين ولكن كانت أيضاً لهدفين آخرين أحدهما تنفير النصارى من الإسلام، والثاني إعداد بعض رجال الكنيسة للقيام بالتنصير في البلاد الإسلامية.

وبعد هذه البداية ظهرت أوروبا الاستعمارية فكان لا بد أن يواكبها أو يسبقها معرفة باللابد التي يراد استعمارها فتكون لدى الغربيين أعداد من الخبراء بالعالم الإسلامي ساهموا في تثبيت دعائم الاستعمار. وانحسرت الموجة الاستعمارية ولكن الغرب مازال حريصاً على استمرار نفوذه في العالم الإسلامي ليسهّل عملية وصول المواد الخام للبلاد الغربية وإعادتها بضائع مصنعة لترويجها في العالم الإسلامي. فلا بد من تغيير أنماط الحياة الاجتماعية في هذه البلاد والمحافظة على أنماط معينة من السلوك لتظل بلادنا أسواقاً مفتوحة لبضائعهم ومنتجاتهم إلى ما شاء الله.

أما نحن فحين نريد دراسة الغرب ومؤسساته وهيئاته فأولاً نحن بحاجة للأخذ بأسباب القوة المادية التي وصلوا إليها أليس في كتابنا الكريم ما يؤكد هذا (وأعدوا لهم ما

استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) . فكما يسعى الأمريكيون مثلاً للتعرف على الإدارة اليابانية وسر قوة الإنتاج والتقدم السريع لليابان فإننا أيضاً بحاجة إلى أن نعرف أسباب القوة لديهم. كما انهم استطاعوا تطوير آليات تطبيق الأنظمة في حياتهم في مجال الإدارة والصناعة والاقتصاد وفي التعليم وفي الثقافة.

والأمر الآخر أننا حين ندرس الغرب فليس لدينا تطلعات استعمارية فما كان المسلمون يوماً استعماريين وكم يعجبني رأي محمد جلال كشك في كتابه (ودخلت الخيل الأزهر) في الدفاع عن الدولة العثمانية بأنها لم تكن ولا يمكن أن توصف بأنها دولة استعمارية وأتي بالأدلة والشواهد على ذلك. ولكننا نريد أن نحمي مصالحنا ونفهم طريقة عملة الشركات المتعددة الجنسيات التي ابتدعها الغرب وأصبحت أقوى نفوذاً من كثير من الحكومات.

والأمر الثالث وله أهميته الخاصة وهو أن هذه الأمة هي أمة الدعوة والشهادة فإن كان الأنبياء قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يُكَلّفون بدعوة أقوامهم فإن الدعوة الإسلامية موجهة إلى العالم أجمع وقد كلّف المسلمون جميعاً بحمل هذه الأمانة (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن) وجاء في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم (نضّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فبلغها إلى من لم يسمعها فربّ مُبَلّغٍ أوعى من سامع أو رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) وهذه الرسالة الخاتمة ليست نظاماً عقدياً فحسب بين العبد وربه كما هو الأمر في النصرانية التي يزعم أتباعها أن عيسى عليه السلام قال (دعوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ولكنها نظام اجتماعي وسياسي واقتصادي وأخلاقي وفكري. ونحن أمة الشهادة فكيف لنا أن نشهد على الناس دون أن نعرفهم المعرفة الحقيقية.

ولن يكون علم الاستغراب لتشويه صورة الغرب في نظر العالم ذلك أننا ننطلق من قوله تعالى (ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله) وقد جاء في الأمر بالعدل ولو كان أولى قربى أو الوالدين ...ولنا أسوة في ذلك ما ورد عن عمرو بن العاص رضي الله عنه في وصف الروم بقوله :" إنّ فيهم لخصالاً

أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرّة وخيرهم لمسكين ويتيم وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظلم الملوك".

===============

#نماذج من دراستنا للغرب >

ينبغي أن تنطلق دراستنا للغرب من خلال أقسام علمية ومعاهد ومراكز بحوث، وحتى الآن لم يتأسس أي مركز في العالم العربي الإسلامي يزعم لنفسه التخصص في دراسة الغرب، ولكننا في هذا الموقع سنقدم نماذج لبعض الأفكار التي لا بد من تطويرها والاستمرار فيها. ومن هذه النماذج ما يأتي:

لمحات عامة عن دراسة الغرب >

يمكننا أن نجد إشارات إلى معرفة المسلمين بالشعوب الأخرى إذا عرفنا أن الجيوش الإسلامية التي انطلقت للفتوحات كانت على علم ودراية بالشعوب الأخرى فهذا رسول الجيش الإسلامي يدخل على رستم ويجلس معه على عرشه فيريد الحرس أن يقيموه فيقول لهم تلك القولة التي تدل على معرفة عميقة بهم "كنّا نظنكم أولي أحلام تتساوون فيما بينكم فإذ بكم يستعبد بعضكم بعضاً، إن قوماً هذا حالهم فمصيرهم إلى زوال" واستمر المسلمون في الحرص على معرفة الشعوب الأخرى وبخاصة في مجال العقيدة حتى إنه ظهرت كتب الفرق والملل والنحل في التراث الإسلامي منذ وقت مبكر .

وهناك لمحات من دراسة الغرب في كتاب أسامة بن منقذ الاعتبار الذي تناول فيه جوانب من حياة الصليبيين فوصف طباعهم وأخلاقهم وتحدث عن مزاياهم وعيوبهم. ومن أطرف ما ذكره في هذا الكتاب مسألة العلاقة بين الرجل والمرأة وضعف الغَيْرة من الرجال على النساء بل لعلها تكون معدومة أحياناً. فلا يرى الرجل بأساً أن تتحدث زوجه مع رجل أجنبي وقد تختلي به بل هو الذي يتركها مع الرجل الأجنبي ويطلب إليها أن لا تتأخر مثلاً. وهذا ما يقوله أسامة بن منقد" وليس عندهم شي من النخوة والغيرة، يكون الرجل منهم يمشي هو وامرأته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها، والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث فإذا طولت عليه خلاها مع المتحدث ومضى" (ص 154)

كما تناول صفاتهم الخُلُقية والخَلقِيّة وطرق تعاملهم فيما بينهم وبينهم وبين الشعوب الأخرى. وبين شدة بأسهم وقوة مراسهم في القتال. ومن ذلك قوله عنهم: "والإفرنج خذلهم الله، ما فيهم فضيلة من فضائل الناس سوى الشجاعة، ولا عندهم تقدمة ولا منزلة عالية إلاّ للفرسان ولا عندهم ناس إلا الفرسان- فهم أصحاب الرأي وهم أصحاب القضاء والحكم."(ص 87) ووصف أخلاقهم في موضع آخر بقوله " فكل من هو قريب العهد بالبلاد الفرنجية أجفى أخلاقاً من الذي تبلدوا وعاشروا المسلمين"(ص 153)

ونحن اليوم في حاجة إلى معرفة الغرب. ولعل بداية دراسة الغرب كانت فيما نقله رفعت رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي وغيرهما عن أوروبا وكان من أبرز ما اهتم الاثنان به النظام السياسي الغربي القائم على الانتخاب والحريات السياسية. كما اهتم الاثنان بجوانب من الحياة الاجتماعية في الغرب وعلاقة الرجل بالمرأة. وكانت تلك النظرة التي ظهرت في كتابات التونسي والطهطاوي في وقت كانت قوة الغرب في عنفوانها وكان العالم الإسلامي يقاسي من ويلات التخلف فلا بد أن يصاب هؤلاء بالانبهار بالنموذج الغربي وإن كانا قد حاولا أن يربطا المحاسن الغربية (في نظرهم) بما في الإسلام.

وقد تجددت الدعوة لدراسة الغرب في منتصف هذا القرن في أحد مؤتمرات المستشرقين الدولية فقد أشار رودي بارت في كتابه المهم الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (ص15) إلى أهمية أن يتوجه العالم الإسلامي لدراسة الغرب أسوة بما يفعله الغرب في دراساته للعالم الإسلامي. وقد تناول هذا الموضوع الدكتور السيد محمد الشاهد في خطة علمية قدمها لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام 1414ونشر موجزاً لها في صحيفة (مرآة الجامعة) ثم ظهر كتاب الدكتور حسن حنفي (مقدمة في علم الاستغراب) وإنني أحب أن أقتطف منه عبارة عن أهداف دراسة الغرب جاء فيها أن من أهداف دراسة الغرب:" فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر، والقضاء على مركب العظمة لدى الآخر بتحويله إلى ذات دارس إلى موضوع مدروس، والقضاء على مركب النقص لدى الأنا

بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس مهمته القضاء على الإحساس بالنقص أما الغرب لغة وثقافة وعلماً ومذاهب ونظريات وآراء..."

ومن النماذج التي تبشر ببداية دراسة الغرب قيام محمد بن سعود البشر الأستاذ المتخصص في الإعلام بترجمة عدد من الكتب التي صدرت في الولايات المتحدة الأمريكية وتتحدث عن واقع تلك المجتمعات وهي (يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة) وكتاب (السقوط من الداخل) وغيرها. وقد صدر لكاتب هذه السطور كتاب بعنوان (الغرب من الداخل :دراسة للظواهر الاجتماعية) حاولت فيه أن أرصد بعض الظواهر الاجتماعية مستنداً إلى الدراسات العلمية التي صدرت في الغرب وكذلك من خلال وسائل الإعلام الغربية ومن خلال الدراسات الوثائقية والإحصائية التي تصدر عن الحكومات الغربية ومنها مثلاً تقرير (العيش في بريطانيا) والذي كان يصدر من قبل بعنوان (الحياة المنزلية في بريطانيا) (Household Survey in Britain)

ومما يؤكد على أهمية دراسة الغرب أن الغرب قد استطاع أن يبني حضارة ومدنية هي السائدة في أرجاء العالم اليوم وقد تردد منذ كتابات طه حسين (مستقبل الثقافة في مصر) ولطفي السيد وغيرهما أن المسلمين لكي ينهضوا كما نهض الغرب أن يتخلوا عن خصوصياتهم وهويتهم ويلتحقوا بالغرب ويأخذوا بالحياة الغربية خيرها وشرها. وإن كان طه حسين قد تراجع عن مثل هذه الأفكار حيث لم يُعد طباعة كتابه (مستقبل الثقافة..) وقد سئل ذات مرة فقال: ذاك كتاب قديم. فدراسة الغرب المنطلقة من التمسك بالهوية الإسلامية هي الطريقة الصحيحة لهذه الدراسة فهذه الأمة هي أمة الشهادة والأمة الوسط فعليها أن تكون منطلقاتها تختلف عن الأمم الأخرى في كل شأن من شؤونه

____

المرأة الغربية تعود إلى البيت ...!

هل أسلم الغرب قياده للمرأة؟ أو هل انتزعت المرأة القيادة في الغرب؟ هل أحسنت المرأة القيام بدورها في أثناء قيادتها أو هل أدت هذه القيادة إلى كوارث في الحياة الاجتماعية في الغرب؟ لدينا إجابتان إحداهما من امرأة عرفت النجاح في منصب قيادي وأدركت بفطرتها أو أن ظروفها أجبرتها على إدراك أن ما كانت تقوم به

مخالف لمهمتها الأساسية: أن تكون أمّاً وزوجا. أما الإجابة الثانية وإن تعددت صورها فهي كتابات قدمها رجال حور دور المرأة، وهل تجاوزت حقيقة هذا الدور (الأم والزوجة) أو لا ، ومن الذي سمح لها بتجاوز هذا الدور؟
تقول المرأة التي وصلت إلى أعلى المناصب القيادية في شركة ببسي كولا (رئيسة عمليات الشركة لأمريكا الشمالية) إنها عملت مدة اثنتين وعشرين سنة ووصلت إلى الحصول على راتب يقدر بمليوني دولار سنوياً ولكن كان عليها أن تختار بين الاستمرار في العمل أو العودة إلى البيت. وسبب عودتها إلى البيت أنها أم لثلاثة أولاد (في العاشرة والثامنة والسابعة) وقد قال لها أحد أبنائها ذات مرة " لا يهمني أن تكوني امرأة عاملة إذا كنت ستحضرين المناسبات العائلية (أعياد ميلادنا).
وتضيف السيدة بارنز Barnes :" لقد كنت أحترق من جهتين ، لقد قمت بجهود كبيرة جداً من أجل شركة ببسي كولا، لقد كان لدي جدولاً مزعجاً ومتعباً وكنت أحضر موائد العمل من غداء وعشاء، وتضيف إن ترك العمل سيكون مؤلماً ولكني أحتاج أسرتي أكثر."
ولأن ببسي كولا تعرف قدرات هذه المرأة فقد حاولت إقناعها بالبقاء رئيسة لقسم حقق أرباحاً تقدر بأكثر من بليون دولار العالم الماضي (1996) وعرضت عليها وظيفة أقل مسؤوليات ، ويقول رئيس شركة ببسي كولا:" لقد تقدمنا بكل اقتراح ممكن لإثنائها عن قرارها ولكن دون فائدة. إن برندا بارنز Brenda Barnes واحدة من أكثر الموظفين التنفيذيين موهبة واحتراماً في صناعتنا، لقد كنّا نعدها لمناصب قيادية أكبر."
ومن النساء اللاتي رفضن المنصب الكبير من أجل الأمومة رئيسة شركة كوكا كولا في بريطانيا السيدة بني هقيز (35Penny Hugies سنة) وهي أول امرأة ترأس فرع الشركة في بريطانيا تقدمت باستقالتها من أجل أن تضع أول مولود لها. وفي الأسبوع نفسه الذي أصدرت فيه السيدة بارنز قرارها ظهر كتاب: هل يمكن أن تكوني الرابحة دوماً؟ تحدثت فيه كاتبته التي كانت أماً لخمسة أطفال ومديرة تصف معاناتها بمحاولة التوفيق بين ضغوط العمل وأسرتها.

وفي العدد نفسه من جريدة التلقراف البريطانية Daily Telegraph كتبت مينيت مارينMinette Marrin حول وضع المرأة في المجتمعات الغربية وكان مما قالته في معرض تعليقها على كتاب جديد صدر للمؤلف الأمريكي الياباني الأصل ميشال فوكوياما : " قد لا يكون فوكوياما أول من قال بهذه الآراء عن المرأة ولكنه بالتأكيد من أكثر الرجال صراحة، ففي كتابه المثير للجدل المسمي (نهاية العالم) تناول فيه دور المرأة في انهيار النظام الاجتماعي الغربي بسبب الحرية المدمرة التي حصلت عليها المرأة." ويتحدث فوكوياما عن الفرق بين النظام الاجتماعي الغربي والنظام الاجتماعي في دول آسيا وبخاصة اليابان فيقول إن من أسباب عدم حصول المشكلات الاجتماعية في دول آسيا " أنها حدت بقوة من مساواة المرأة." ويضيف بأن الدول الغربية إذا ما أرادت أن تستحدث قوانين تبعد المرأة عن أسواق العمل ، ولم تسمح بإعطاء المرأة أجوراً مساوية للرجل، فإن ذلك سيؤدي إلى اعتماد المرأة على الرجل وبالتالي يساعد في إعادة الأسرة المكونة من أبوين."

أما السبب الذي قاد فوكوياما إلى هذه النظرة فهو أنه نظر إلى الأمراض الاجتماعية التي أصابت المجتمعات الغربية في الثلاثين سنة الماضية فوجد أنها ترجع إلى حصول المرأة على قدر كبير من الحرية. ويربط فوكوياما بين التطور الاقتصادي والبناء الأسري فيرى أن الزواج والأسرة يبنيان الرأسمال الاجتماعي وهو الذي تعتمد عليه المجتمعات وإن التراجع في الرأسمال الاجتماعي تبعه بلا شك تراجع في الأسرة.

ويشارك فوكوياما هذه الآراء عدد من المفكرين الغربيين فهذا فيليب لاركن Philip Larkin يرى أنه منذ عام 1963 بدأت التدهور الاجتماعي في الغرب بظهور التحكم في النسل والمساواة في الأجور بين الرجال والنساء. فحيث إن النساء يستطعن أن يسيطرن على خصوبتهن ويعلن أنفسهن وأولادهن . ومن هنا أصبح الطلاق وغياب الأب ممكناً بل أصبحت أمراً مرغوباً، وبالتالي تم التقليل من شأن الأبوة. وهكذا فالأطفال الذين عاشوا بلا آباء انجبوا فيما بعد أطفالاً بلا آباء.

ومن الأفكار التي تؤكدها طروحات فوكوياما وغيره أن الأطفال في الأسر التقليدية (أم وأب) يمكن أن ينجحوا في المدرسة ، ويتعلموا المهارات المختلفة التي تساعدهم

على العمل التعاوني في مجتمع معقد تكنولوجياً – مجتمع ما بعد الصناعة– ويقترح فوكوياما أن يتم تشجيع مجتمع الثقافات المتعددة ليستفيد الغرب من الثقافات الأخرى . ولكن الكاتبة لا توافقه على ذلك ربما بسبب انتمائها للحضارة الغربية ونزعتها لسيطرة هذه الثقافة.

هل المرأة الغربية حصلت بالفعل على حرية أكثر مما يجب أو هل الغرب سلمّ قياده للمرأة ؟ إن الإحصائيات عن النسيج الاجتماعي الغربي تؤكد أن أوضاع المرأة ليست بالصورة الزاهية التي يراها البعض من الحصول على حقوق أو حرية أكثر مما يجب. وقد تكون الحرية الزائدة –في نظر البعض – إنما هي قيود. ولذلك عقدت رئيسة البرلمان الاتحادي الأوروبي ريتا زوسموت اجتماعاً مع عدد من ممثلات الأحزاب والمنظمات الأخرى مؤتمراً صحفياً دعت فيه إلى ضرورة إيصال صوت المرأة إلى داخل الدولة والمجتمع وطالبت بسن قوانين تحمي المرأة من العداء عليها وعلى كرامتها من خلال العنف الجنسي وغيره من أنواع العداء ضد المرأة ، كما طالبت وسائل الإعلام أن تمارس رقابة ذاتية أقوى على برامجها التي تعرض للمرأة بشكل يمتهنها .

وفي الوقت الذي تعلن نساء الغرب أنهن عائدات إلى البيت للحرص على عدم انهيار الأسرة أو الحرص على استمرار بناء الأسرة قوياً تتحدث الدكتورة عائشة راتب –أستاذة قانون ووزيرة سابقة– بأنها تتعجب من وجود دعاوي في نهاية القرن العشرين تطالب بعودة المرأة إلى البيت ، فعودة المرأة إلى البيت– في نظرها–" إنما تؤدي إلى أن " يعود المجتمع إلى التخلف ويفقد نصف قوته الضاربة العاملة التي حققت عشرات النجاحات." بل تواصل هجومها على هذه الدعوة حتى تقول:" فالدعاوي التي تطالب بعودة المرأة إلى البيت دعاوي هدفها هدم المجتمع بالكامل." (مجلة المجلة 3–9مايو1998).وكأن الدكتورة لا تقرا ما يحدث في العالم من اضطرابات ففي المكسيك قام الرجال بإضرابات ومظاهرات يشكون فيها من أوضاعهم الاقتصادية وأنهم لا يجدون العمل مع أن فرص العمل متوفرة وتعطى للنساء. فقد ضاق الرجال ذرعاً بتشغيل نسائهم ومنعهم من الحصول على فرص للعمل. وقد حدثني أحد الإخوة في بلد عربي مسلم أنه تقدم إلى العديد من الجهات إلى العمل باسمه وكان معظم

الردود تأتي بالرفض فقرر أن يكتب إلى الجهات نفسها مستخدماً اسم فتاة فجاءت معظم الردود ترحب به. فأين المساواة بين الرجل والمرأة يبدو أنها انقلبت ضد الرجل في كثير من الأحيان.

فهل نعي الدروس التي يمكن أن نفيدها من تجربة الغرب الذي أصر على إخراج المرأة للعمل في كل الميادين ثم امتهنها في شتى المجالات، بينما كرّمها الإسلام وجعل مسؤولية النفقة عليها من أهم واجبات الرجل ثم أمره بإكرامها واحترامها، كما خصص لها نصيباً من الميراث يفوق في حالات كثيرة ما يحصل عليه الرجال مع عدم تكليفها بالإنفاق على أحد.

____

الرئيس بيل كلينتون والثورة الجنسية في أمريكا >

لا تكاد تتناول أي صحيفة يومية أو أسبوعية حتى تجد أن من أبرز موضوعاتها أو أبرزها التهم بالفضائح الجنسية التي تلاحق الرئيس الأمريكي بيل كلينتون. وإنني قد جمعت قصاصات منها تساوي عشرات الصفحات. وتساءلت – ليس دفاعاً عن كلينتون– لماذا توجه كل هذه التهم إلى الرئيس الأمريكي هذه الأيام؟ هل ارتكب جرماً حقيقياً يستحق كل هذه الضجة؟ وهل هذه القضية من صنع وسائل الإعلام أو على الأصح إمبراطوريات الإعلام التي أصبحت تملك قوة مخيفة شبهها الرئيس عزة بيجوفيتش في كتابه القيم (الإسلام بين الشرق والغرب– بأنها أخطر من الدكتاتوريات التي عرفها التاريخ البشري. وهل هي قضية أخرى من قضايا الإثارة في الإعلام تشبه قضية المرأة الأمريكية التي قطعت العضو الذكوري لزوجها؟

كيلنتون بلغ الخمسين من عمره وهذا يعني أنه كان شاباً عندما كانت الثورة الجنسية في ذروتها في الولايات المتحدة وفي أوروبا. هذه الثورة قدست الجنس وأباحته في آن واحد. قدسته بحيث جعلته المطلب الأول والأسمى والأهم في حياة الشاب رجلاً كان أو كهلاً أو حتى عجوزاً.

وكلينتون هذا عاش شباباً –لا أقصد بيل شخصياً– في مرحلة انتجت جيلاً لا يهمه بعد أداء مهماته العلمية والحياتية سوى أن يغرق في حمى الجنس.. وفي الفترة نفسها كانت المخدرات ابتداءً من الماروانا إلى الإل إس ديLSD والبيوتي، والهاواي

وغيرها كثير جزء من حياة الشباب حتى لقد قيل إن آمن مكان لتعاطي المخدرات هو الحرم الجامعي.
وفي هذه الأيام انتشرت الدعوات والكتابات والأفلام تدعو إلى الإباحية والجنس ولم يكتف الدعاة بالكتب المؤلفة باللغة الإنجليزية بل قاموا بترجمة العديد من الروايات العالمية التي كتبت باللغات الأخرى ومن هذه على سبيل المثال كتب الروائي الألماني اليهودي هرمن هسّه Hermann Hesse جولدمن ونارساسيس وديميان وستيبن ولف . وظهرت كتابات المؤلف اليوناني كازانتزاكي مؤلف كتاب زوربا اليوناني وكتاب الإغراء الأخير للمسيح وكلاهما أصبح فيلماً.
وفي تلكم الفترة ظهرت أسماء أفلام خلاعية –زادت كثيراً منذ ذلك الحين– وأصبح شباب الجامعات يتسابقون إلى مشاهدتها. ولم يقف التلفزيون بعيداً عن هذه الحمى بل استضاف أبطال وبطلات الأفلام الخلاعية وأضفى عليهم المشروعية والنجومية والأهمية.
وكان هناك باب جديد للحديث عن الجنس وهم بعض أعضاء هيئة التدريس الذين راحوا يلقون المحاضرات عن الجنس بانفتاح، فهذا أستاذ في جامعة بورتلاند الحكومية يلقى محاضرة يجيب فيها عن كل استفسارات الشباب والشابات بدون حياء أو خجل. وقد تطور الأمر حتى كتب أحدهم – طبيباً يهودياً– كتاب (كل ما تريد أن تعرفه عن الجنس ولكن تخجل أن تسأل) ويستهزأ في كتابه بالطيّار الذي يعرف كيف يقود الطائرة الضخمة في الجو ولكن لا يعرف الأمور الجنسية.
وما أعظم الأدب النبوي في هذه المسائل فحينما اشتكت المرأة من زوجها بأن ما معه مثل هدبة الثوب فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلاّ أن أشار عليها بأن ترد عليه المهر وتطلق منه. ولعله أمره بالبحث عن علاج أو غير ذلك فالمرأة ليست مكلفة بالبقاء في زواج لا يوفر لها حاجاتها الأساسية.
ولم يكتف الغرب بالدعوة إلى اهتبال كل الفرص للغرق في الجنس بل انتشرت دعوات إلى أصناف عجيبة من الإباحية لم تعرفها ولن تعرفها العجماوات. فقد دعت المجلات المشهورة إلى الجنس الجماعي وإلى الجنس بين الأقارب وإلى تبادل الأزواج والزوجات. فهذا الشارع المعروف في فرنسا الذي يتم فيه هذه الرذيلة أو

النادي الذي تأسس في إيطاليا إنما كان له أساس في دعوات استمرت سنوات طويلة تروج لهذا الأمر.

وكانت الدعوة إلى الهبيز والثقافة المضادة من الدعوات التي انتشرت في الفترة التي كان فيها كلينتون شاباً . والهبية والثقافة المضادة هو الانتفاض على كل القيم والأخلاق التي يتمسك بها المجتمع ويدعو إليها كالعفاف والزواج واحترام الكبير والعطف على الصغير وتكوين الأسرة وغير ذلك. بل ظهرت دعوة عجيبة في مجال التربية بدأت في بريطانيا وهي مدرسة سمر هل Summerhill التي تركز على إعطاء الطلاب والطالبات كامل الحرية في عمل مايشاؤون في المدرسة .وظهر كتاب يحكي تجربة هذه المدرسة وظهرت مدارس على شاكلتها في الولايات المتحدة .

وبعد ذلك وقبله إن الثقافة الغربية قائمة على إباحة اتصال الرجال بالنساء وقامت على تشغيل النساء في مجال أعمال السكرتاريا بخاصة، وليس ثمة وازع ديني يمنع الرجل من ارتكاب الزنا لأن ثقافته وعقيدته التي يتمسك بها إن كانت تمنعه من ارتكاب الزنا إن كان متزوجاً كما هو في الوصايا العشر، ولكن هل لديهم مثل حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم (هل ترضاه لأمك، وكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم، هل ترضاه لأختك، هل ترضاه عمتك، وكذلك الناس لا يرضونه لأخواتهم ولا لعماتهم ولا لخالاتهم) وفي ثقافتنا الإسلامية المثل الشعبي (لو زدت لزاد السقا) وليس في ثقافتهم (ما اختلى رجل بامرأة إلاّ كان الشيطان ثالثهما)

ومع غياب هذه القيم فإن كلينتون ليس الوحيد في هذا الميدان فقد كان وفد من إحدى الدول العربية في زيارة لرجل أعمال كبير في بلد غربي وتأخر الوفد قليلاً عن موعده ، ولما وصلوا بادروا إلى الاعتذار عن التأخير ولكن المسؤول الكبير سبقهم إلى شكرهم على تأخرهم لما أتاحوه له من وقت قضاه مع السكرتيرة ....

جميل أن يحرض الأمريكيون على العدالة، ولكن هل العدالة انحصرت في اعتراف امرأة أو إنكارها أنها ارتكبت الزنا مع الرئيس، كفى استهزاءً بالعالم فالعدالة انتهكت في البوسنة وهي تنتهك وتعرقل أعمالها في فلسطين وفي سيريلانكا وفي بورما وفي كشمير وفي روسيا ضد الشيشان. وفي هذه القضية لا أجد أفضل من القول الذي

يزعمون أنه منسوب إلى المسيح عليه السلام (من كان منكم بلا خطئية فليرم الزانية بحجر) اللهم احفظنا

____

الغرب من الداخل: دراسة للظواهر الاجتماعية >

تعريف الظواهر الاجتماعية:

تقول الموسوعات انكارتا ENCARTA ، وجرويلر GROILER، وغيرهما أن الظواهر الاجتماعية هي أقدم فرع من فروع علم الاجتماع لم تتم دراستها في السابق تحت أي علم من العلوم الاجتماعية، وهي: الزواج، والأسرة، والظلم الاجتماعي، والعلاقات العرقية، والانحرافات السلوكية، والمجتمعات الحضرية، والمنظمات الرسمية أو المعقدة([1]).

أولاً: الأسرة: الزواج والطلاق وعدد الأفراد:

ولما كانت الأسرة هي اللبنة الأساس في المجتمع فلتكن أول ما نتناوله في الحديث بعض مظاهر الأوضاع الأسرية في الغرب، وفقا للمصادر الغربية، وأول هذه المصادر وأهمها مما اطلعت عليه، التقرير السنوي الذي تصدره الحكومة البريطانية، وعنوانه :" التقرير المنزلي العام لسنة 1993 " General Household Survey ([2"])

يذكر التقرير أن حجم الأسرة البريطانية بدأ يتقلص بالنسبة للبريطانيين البيض، فقد كان حجم الأسرة البريطانية يتكون من 2.91 فرد عام 1971 ثم أصبح 2.44 فرد عام 1993. ويشير التقرير إلى أن أسر البريطانيين من أصل هندي أو باكستاني أكبر حجما. أما عدد الأطفال في الأسرة فقد وصل إلى 1.8 فردا منذ بداية الثمانينات، وهذا العدد يتضمن الأطفال المتبنين وأطفال أحد الزوجين، ومن المظاهر المهمة في تكوين الأسرة البريطانية أن الأسرة المكونة من والد واحد (أب أو أم) ارتفع من 8% عام 1971 إلى 22% عام 1993. وبالنسبة للأمهات الوحيدات فقد ارتفع من 8% عام 1971 إلى 22% عام 1993. وبالنسبة للأمهات الوحيدات فقد ارتفعت نسبتهن من 1% عام 1971 إلى 18% عام 1993.([3])

وكتبت إيان موراي Ian Murray حول التقرير السنوي للسكان قائلة :" إن الأسرة البريطانية التقليدية المكونة من أبوين أصبحت أكثر ندرة وفقاً لآخر تقرير سكاني حكومي ، فإن الترتيب الأكثر شيوعاً للأسرة هو رجل وامرأة بلا أطفال ، ووفقاً للإحصائيات التي تم إعدادها من أبريل عام 1991 حتى مارس 1992 فإن زوجاً (رجل وامرأة) من بين كل خمس أزواج لا يعيشون تحت مظلة الزواج ، وأسرة واحدة من بين سبع أسر يعولها والد واحد (أب أو أم) وعائلة من بين كل ثنتي عشرة عائلة تتضمن طفلاً من زواج سابق لأحد الزوجين.([4])

وقد كتبت ليزلي وايت Lesley White حول انخفاض معدل الزواج في بريطانيا فقالت: " إن مؤسسة الزواج تكاد تختفي في بلادنا، فقد أصبح الإقبال على الزواج أقل وفي سن متأخرة، وارتفعت نسبة الطلاق حتى وصلت 40% وهي أعلى نسبة في أوربا. وبالنسبة لانخفاض الزواج فقد انخفض بنسبة الثلث عام 1992، وتصف الكاتبة موقف البريطانيين من الزواج فتقول " لقد أصبح الزواج مخيفا جدا، فمن الصعب جدا أن يقدم الناس على الزواج."

ومن النتائج التي حدثت أن أصبح متوسط عمر المرأة عند إنجاب أول طفل هو 28.6 سنة، وهناك عشرون في المئة من النساء لا يفكرن في الإنجاب مطلقا، ويفضلون إنفاق أموالهم على الترفيه والمتع الذاتية، أو هكذا يظنون([5]).

ولو عدنا إلى التقرير الحكومي البريطاني لوجدنا أن عدد النساء اللاتي لم يتزوجن قد ارتفع من 18% عام 1979 إلى 28% عام 1993، أما العيش مع الرجل دون زواج فقد ارتفع من 9% عام 1981 إلى 23% عام 1993.([6])

ويشير تقرير موراي إلى ارتفاع نسبة الزواجات التجريبية (يعيش الرجل مع المرأة كأزواج دون عقد رسمي) فثمة امرأة من كل أربعة نساء تعيش مع رجل بلا زواج ، بينما تتمنع الأخريات عن الإقدام على الزواج كليا.([7])

أما التعليق على هذه الأرقام فكما يأتي:

1 – انخفاض معدل الإنجاب في أوربا سيؤدي بعد حين إلى ارتفاع نسبة كبار السن وانخفاض الفئة القادرة على الإنتاج، وقد بدأت نذر هذا حيث إن الإحصائيات الحالية تشير إلى أن عدد الذين تجاوزوا الستين من العمر وصلوا إلى سبع عشرة في المئة

في الولايات المتحدة، وعشرين في المئة في أوربا، وسبع عشرة في المئة في اليابان، وذكر برنامج تلفازي في الولايات المتحدة أن من أسباب هذا انخفاض نسبة المواليد واقتصار العائلة الأمريكية على طفلين فقط.([8]) فقد أشارت دراسة أعدتها المفوضية الأوروبية في بروكسل إلى أن عدد الشباب والشابات في دول الاتحاد الأوروبي سوف يتقلص بحلول عام 2025م ليصبح 9,5مليون ، أما الذين ستزيد أعمارهم عن الستين فسوف تزيد على 113,5مليون بينما لا تزيد الآن عن 76,3 مليون عام 1995 ، كما أشارت الدراسة إلى أن عدد البالغين عشرين سنة من أعمارهم عام 2025سوف يتدنى إلى 4,2مليون من مجموع السكان بينما كان يساوي 5,1مليون عام 1995. وأكدت الدراسات أن عدد السكان في دول الاتحاد الأوروبي سوف يتراجع إجمالياً .([9])

وقد علق المفوض الأوروبي بيدريج فلين المكلف بحقيبة العمل والشؤون الاجتماعية في الاتحاد الأوروبي إن الدراسة الديموغرافية لطبيعة سكان الاتحاد الأوروبي لعام 1995 قد أكدت التوجهات التي أشارت إليها الدراسة المماثلة التي أجريت عام 1994التي حذرت من شيخوخة مرتفعة المعدلات في أوروبا الغربية ... وهو الأمر الذي سوف يتسبب في اختلال النظم الاجتماعية المعمول بها حالياً حيث لن يكون هناك أعداد كافية من العاملين لتأمين المنح الهائلة لكبار السن المتقاعدين الذين سيشكلون الغالبية العظمى عام 2025.([10])

أما تأخر النساء في الزواج فإن ثمة دراسات تؤكد أن المرأة لا تنضج إلا بعد إنجاب الطفل الأول أو الثاني، فها هي المرأة الغربية تتأخر أكثر من عشرة سنوات عن الإنجاب، وقد لا تنجب مطلقا.

وبالنسبة للعزوف عن الزواج بحجة إنفاق المال في المتع والترفيه فقد ذكر الشيخ أبو الأعلى المودودي رحمه الله في كتابه الحجاب، أن من أسباب انهيار الحضارات وسقوطها (الشح) وهذا هو الشح بعينه، حين يرغب الوالدان إشباع متعهم الذاتية ويمتنعون عن الإنجاب أو عن الزواج.([11])

الأسرة في الولايات المتحدة

كتب ديفيد بلانكنهورن David Blankenhorn يقول: (هذه الليلة سينام أربعون في المئة من أطفال أمريكا بعيدا عن المنازل التي يعيش فيها آباؤهم، ويضيف بأن فقدان الأب يعد من أكثر الاتجاهات الديموغرافية (السكانية) إيلاما لهذا الجيل، فهي السبب الأول لتراجع صحة الطفل في مجتمعنا، وهي الدافع لكثير من المشكلات الاجتماعية من الجريمة إلى عمل الصغار إلى التحرش الجنسي بالأطفال، ويقدم المؤلف بعض الأرقام في هذا المجال وهي:

أ – كانت نسبة الأطفال الذين يعيشون مع آبائهم عام 1960 هي 82.4% وتراجعت هذه النسبة حاليا إلى 61.7%.([12]).

ب – كانت نسبة الذين يعيشون بعيدا عن آبائهم عام 1960 هي 17.5% وبلغت هذه النسبة عام 1990 36.3%.

وقد أشار ريتشارد نيكسون إلى تضاعف حالات الطلاق أربع مرات وأصبح طفل واحد من كل ثمانية يعيش على حساب الرعاية الاجتماعية أي أكثر بثلاثة أضعاف ما كان عليه الحال عام 1960.([13])

ألمانيا

وفي ألمانيا ينقل لنا نبيل شبيب بعض الإحصائيات منها أن ثلث الأطفال المولودين هناك ليسوا شرعيين([14])، وهي نفس النسبة لكل من بريطانيا والولايات المتحدة كما نقل الدكتور عبد القادر طاش عن الكاتبة غريتوود هلمفار أستاذة التاريخ بجامعة سيتي بمدينة نيويوركCity University of New York ، وأضاف طاش بأن إيطاليا تعاني من التناقص السكاني، وهي (ظاهرة توشك أن تتحول فعليا إلى أزمة على أبواب القرن الحادي والعشرين على امتداد الأمة الإيطالية([15]).

ويرى الرئيس علي عزت بيجوفتش أن الحضارة الغربية قد تسببت في تحطيم الأسرة حيث بدأ ذلك بهجر الرجل للبيت ثم تبعته المرأة ثم تبعهم الأطفال. ومن مظاهر تحطم الأسرة انخفاض حالات الزواج وارتفاع نسبة الطلاق وازدياد عدد النساء العاملات والازدياد الكبير في عدد المواليد غير الشرعيين وارتفاع عدد الأسر القائمة على والد واحد (الأم) ويضيف بيجوفتش أن عدد ربات البيوت من الأرامل صغار

السن قد ازداد شيوعاً بسبب ارتفاع معدل الحوادث وارتفاع عدد ضحايا السكتة القلبية وأمراض السرطان وهذه الأمور شديدة الصلة بالحضارة. ([16])

هذه الأوضاع الأسرية الصعبة جعلت المفكرين الأوروبيين يخشون على الجنس الأبيض من خطر الزوال ،فيذكر على عزت بيجوفيتش أن معدل المواليد في ألمانيا قد انخفض بحيث أن الألمان قد يتلاشون في القرن القادم ، ويضيف بان تقديرات السكان الذين يبلغ تعدادهم الآن (في السبعينيات) 52مليوناً سوف ينخفض إلى 17 مليوناً في النصف الأول من القرن الواحد والعشرين.

كما أن التقرير الإحصائي السنوي للسويد يشير إلى أن كل واحد من اثنين من أطفال السويد هو الطفل الوحيد في الأسرة ، وينطبق الأمر نفسه على تشيكوسلوفاكيا التي يرى سكانها أن الأسرة التي تتكون من ثلاثة أطفال ترف غير معقول.وتشير الإحصائيات إلى أن السويد لن تكون قادرة في عام 1990 على الاحتفاظ بمعدل المواليد المعتاد.([17])

وأما صاحب كتاب صدمة المستقبلFuture Shock فيذكر أن الأسرة في الغرب على وشك الاندثار الكلي وينقل عن الكاتب فيرديناند لندبيرج Ferdinand Lundberg أن الأسرة ميتة عدا في السنتين الأولى والثانية من حياة الطفل، ولعل هذه هي مهمتها الوحيدة.([18]) ويثير المؤلف قضية خطيرة تعرضت وما زالت تتعرض لها مؤسسة الأسرة في الغرب وهي الزواج المؤقت أو الزواج التجريبي الذي بدأ يجد قبولاً لدى كثير من المفكرين وقادة الرأي ورجال الدين حتى أن القس جاك لازور Jacque Lazure أقترح ما أسماء " الزواج التجريبي " وأن يستمر ما بين ثلاثة إلى ثمانية عشر شهراً.([19])

ومما يهدد وجود الأسرة ارتفاع عدد الشاذين جنسياً وإصرارهم على الزواج وقد سنّت بعض الدول الأوروبية تشريعات تسمح بزواج هؤلاء مثل هولندا وبريطانيا بينما ما زالت القضية تثير كثيراً من النقاش والجدال في دول أخرى. ويرى مؤلف كتاب (صدمة المستقبل) بأن بعض الشاذين جنسياً يقوم بتبني أطفال مما يشكل صورة جديدة للأسرة ([20])

ثانياً: الأطفال والجريمة

إذا كانت هذه حال الأسرة في الغرب فكيف تصير حال أطفالهم؟ لاشك أنهم سيتأثرون بالفعل، وقد بلغ عدد الجرائم التي يرتكبها الأطفال ونوعها حداً جعلهم يلجأون إلى حظر التجول على الأطفال والشباب ليلا، وأصبحت قضية حظر التجول من القضايا السياسية التي تتنافس الأحزاب في مواقفها منها.

حمل السلاح والعنف

ذكر تقرير حكومي بريطاني أن ثلث تلاميذ بريطانيا في سن الخامسة عشرة استبدلوا الأسلحة بالكتب الدراسية، وتتنوع الأسلحة التي يحملونها في حقائبهم من سكاكين حادة إلى مشرشرة، ومدى وجنازير وعصي بيسبول وسلاح ناري يمكن شراؤه بسهولة، تقول الإحصائيات إن واحداً من خمسين تلميذاً في المدارس البريطانية يحمل مسدسا، هذه الأوضاع جعلت ربع الطلاب يتخوفون من الذهب إلى المدرسة، بينما ثلث الطالبات في المدارس الثانوية المختلفة يتخوفن من الاعتداءات الجسدية([21]).هذا بالإضافة إلى الإيذاء اللفظي الذي يتعرض له بصفة خاصة الطلاب المستجدون له في المدارس، ويتعرض للسخرية أيضاً الطلاب الذين يعانون من بعض الأمراض الجسدية مثل حَب الشباب ، أو العيوب الخَلقية أو ممن لهم هوايات غريبة([22])

وحمل السلاح هذا لم يكن للتسلية، فقد قام أحد الطلاب عمره خمس عشرة سنة بقتل ناظر مدرسة ثانوية في شمال لندن، ومن حوادث الجرائم التي هزت المجتمع البريطاني قتل طفل عمره سنتان من قبل طفلين في العاشرة. أما الإحصائيات فتقول إن جرائم الأطفال في سن 11–17 ازدادت بنسبة 50% من البيض، و 300% بين السود، وقد وقعت في نيويورك في العام الدراسي 1995/1994 (1914) جريمة قتل قام بها أطفال ينتظمون فيما يسمى بقبائل أو جماعات الذئاب، وفي لوس أنجلوس وحدها 40 جماعة ذئاب([23]).

حظر التجول

ومن أجل مواجهة جرائم الأطفال فقد بدأت العديد من المدن الأمريكية فرص حظر التجول ليلا على الشباب في سن مادون الثامنة عشرة أو السابعة عشرة، وقد بدأ الحظر في مدينة نيو أولينز New Orleans منذ سنتين، وقد انخفضت حوادث

القتل بنسبة 37% لنفس الفترة من العام الماضي، ولكن هذا الحظر وجد من يعارضه من جماعات الدفاع عن الحقول المدنية التي ترى أن الحظر مخالف لحقوق الوالدين في التربية، ومخالفة للحقول المدنية للشباب، ويرى بعض الباحثين أن وقت الجرائم سينتقل من الليل إلى النهار، وإن الشغل الشاغل للشرطة قد أصبح فرض هذا الحظر، ومع ذلك فإن الكثير من المدن الأمريكية بدأت في تطبيق هذا الحظر الذي وجد الدعم من الرئيس الأمريكي الحالي بيل كلينتون([24]).

وكتبت صحيفة الجارديان الأسبوعيةGuardian Weekly بأن حظر التجول يضر بالأولاد الفقراء الذين لا يجدون من ينقلهم في الليل، فليس لديهم سائقون في بيوتهم، وتقول الصحيفة بأن أقسى نقد جاء من اتحاد الحريات المدنية الأمريكي بأن ما تفعله هذه القوانين هو عقاب الناس العاديين المطيعين للقانون([25]).

وقد انتقلت فكرة حظر التجول من أمريكا إلى بريطانيا وقد دعا لها كل من حزب العمال وحزب المحافظين جزءا من برنامجه السياسي، ولكن هناك من يعارض هذا الحظر، ومن هؤلاء أحد الوزراء البريطانيين الذي يقول: (إن الحظر إهانة للغالبية من الشباب الحسني السلوك، وهذه السياسة تذكر بسياسة الأخ الأكبر في النظام الاشتراكي الذي يريد السيطرة على كل شيء([26]).

وعلقت صحيفة الجارديان بأن أمريكا ليست النموذج المناسب لتقليده في تطبيق حظر التجول على الشباب والأطفال، فنسبة الجريمة في الولايات المتحدة أعلى من بريطانيا، كما أن الأوضاع الاجتماعية تختلف من بلد لآخر، وأضاف بأن هذه السياسة ستعاقب الأغلبية من الأبرياء وبخاصة في مجتمعات السود، فهذه السياسة خاطئة في تأثيرها وفي مبدئها([27]).

ولابد من كلمة حول هذا الأمر، فقد اقتنعنا مدة طويلة بتفوق الغرب في شتى المجالات ومنها التربية بلا شك، وأرسلنا أعداداً كبيرة من طلاب الدراسات العليا للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه في التربية في الغرب، وهذا الواقع يؤكد فشل تربيتهم، أما التربية الإسلامية الصحيحة فهل فكرنا لماذا يتقدم شبابنا الذين لم يبلغوا الخامسة عشرة للدخول إلى المعارك، وكان هذا في أُحُد وفي الخندق وغيرها، ألم يكن أسامة بن زيد رضي الله عنهما في السابعة عشرة حينما ولاه الرسول صلى

الله عليه وسلم قيادة جيش للتوجه إلى الشام. وكم كان سن محمد بن القاسم الثقفي ومحمد الفاتح وغيرهما؟

إن التكليف في الإسلام يبدأ بالبلوغ الذي لا يتجاوز الخامسة عشرة، أليس في هذا دليل على أن تربيتنا أنجح من تربيتهم فمن يعيد الثقة إلينا؟

الجرائم ضد الأطفال

كثيرة هي الجرائم التي ترتكب ضد الأطفال ولكن بعضها ينال اهتماماً خاصاً من الإعلام، ومن بينها قضية المرأة التي اشتركت مع زوجها في جرائم اغتصاب وقتل عشر فتيات إحداهن ابنتها البالغة من العمر ست عشرة سنة، وابنة زوجها البالغة من العمر ثماني سنوات، وقد تكون هذه الجرائم أكثر بكثير من العشرة الذين وجدت جثثهم مدفونة في أنحاء المنزل([28]).

وقد علقت صحيفة " الحياة " بالتساؤل: " هل سبب العنف والانتهاك الجنسي عائد لخلل في جينات الدماغ أم إلى تدهور أخلاقي ناجم عن اضطراب أو تحلل في المجتمع الذي يعيشان فيه، أم سببه انتشار أفلام الجنس والجريمة التي كانت تعرض باستمرار في منزل المجرمين."([29])

وتساءلت صحيفة الحياة وكذلك مجلة " التايم " Time Magazine كيف تمت هذه الجرائم على مدى ثلاثين سنة دون أن تكتشفها شبكة الخدمات الجنائية والاجتماعية الكثيفة في المجتمع البريطاني، والتي تضم إلى الشرطة البريطانية التي تتمتع بسمعة عالية مؤسسات الخدمة الاجتماعية المختلفة من المدارس والباحثين الاجتماعيين حتى الكنيسة؟ أم إن هذه الجرائم تؤيد وجهات النظر الراديكالية التي تعتقد بأن المجتمع البريطاني يعاني من انحلال وتفكك اجتماعي وأخلاقي كبيرين."([30])

جرائم الاستغلال الجنسي للأطفال

رُوِّعت بلجيكا قبل أيام بأخبار المجرم الذي اختطف عدداً من الفتيات وتم اكتشاف جثثهن في حديقة منزله ، ثم قادت التحريات إلى أن المجرم إنما هو فرد من عصابة تقوم باختطاف الأطفال لاستغلالهم في الدعارة . وقد كتبت جريدة "الحياة" تقول :" لا تزال بلجيكا تعيش حالة ذهول بعد كشف التفاصيل المروِّعة لأعمال شبكة من الشاذين الذين يقيمون علاقات جنسية مع الأطفال. وهذه القضية تعد الأخيرة في

سلسلة شبكات مماثلة كشف عن تورطها في ارتكاب جرائم جنسية ضد أطفال أوروبا وأمريكا الشمالية خلال السنوات الأخيرة."([31])

وأوردت صحيفة أخرى بأن ما حدث في بلجيكا لم يكن حالة منعزلة حيث" تفيد الأوساط القضائية في بروكسل أن منطقة وسط أوروبا وشرقها قد تحولت بعد انهيار الشيوعية إلى أهم المراكز العالمية للإتجار بأجساد الأطفال ومخزن كبير لتطعيم أسواق الدعارة التي تقوم عليها سياحة الجنس في تلك البلدان." ([32])

وقد تداعت مئة وست وعشرون دولة لعقد مؤتمر دولي لمكافحة الاستغلال التجاري الجنسي للأطفال،–هل غير التجاري مسموح به؟_ وتتضمن الوفود المشاركة عدد من الأطباء وعلماء النفس ، وعلماء الاجتماع ورجال القانون. ويستمر المؤتمر من 27حتى 31 أغسطس 1996. وسوف يناقش المؤتمر تسعة موضوعات تتصل بنشاطات الشبكات الإجرامية وتعريف الاستغلال الجنسي وتعريف الأطفال ، والعقوبات التي ينبغي إنزالها بالشبكات التي تعمل في هذا المجال.([33])

وقد أوردت صحيفة " الشرق الأوسط" أن عدد الأطفال(تحت سن 18) الذين يعملون في الدعارة تجاوز المليون طفل في آسيا ، ومن مئة إلى ثلاثمئة ألف طفل في أمريكا الشمالية وفقاً لإحصائيات اليونسيف والمركز الوطني للأطفال المشردين والمفقودين في واشنطن.وتشير الصحيفة إلى أن السياح الأوروبيين يعدون من أبرز الأسباب في انتشار هذه التجارة نظراً لما يبذلونه من أموال في الدول الفقيرة مثل تايلند والفلبين وغيرهما .حيث تقول الصحيفة:" إن السياح الأجانب وبسبب المبالغ الطائلة التي ينفقونها على هذه الممارسات جعلوا سوق الدعارة أكثر نشاطاً ، كما إنهم أغرقوا العالم أيضاً بالأفلام الجنسية الخليعة وزادوا من انتشارها."([34])

وقد أصبح المؤتمر فرصة لفضح كثير من الممارسات الأوروبية في مجال الدعارة والصور الفاحشة سواء بالنسبة للأطفال أو الكبار فقد أورد تقرير وكالة الأنباء الفرنسية أن تقريراً إيطالياً كشف عن" أرقام مثيرة للصدمة بالنسبة لممارسات دعارة الأطفال ولا سيما في جنوب إيطاليا، وذكر التقرير أن الفضيحة التي أثيرت منذ شهرين في مدينة باليرمو بجزيرة صقلية حول استغلال عدد من الأطفال الإيطاليين دون العاشرة في الدعارة المباشرة مع بالغين ليست هي حالات معزولة بحال."([35])

والحقيقة أن استغلال الأطفال جنسياً ليس بالأمر الجديد فالغرب يعرف هذا ، وقد سنّت الحكومة الألمانية عدداً من التشريعات ضد مواطنيها الذين يسافرون إلى جنوب شرق آسيا لممارسة هذه الجرائم ، وقد نشرت الصحف الأوروبية أيضاً عن اكتشاف شركات دنماركية تتاجر في الصور الخليعة للأطفال. كما أن الولايات المتحدة تعاني من ظاهرة الأطفال الضائعين والهاربين و/أو المخطوفين ، وقد خصصت محطة التلفاز الإخباري (سي إن إن CNN) عدة برامج لبحث هذه المشكلة ، ومما ورد في هذه البرامج أن أمريكا تعاني من تفاقم مشكلة اختطاف البنات والأولاد دون سن العشرين ، وذكرت المحطة أن عدد المخطوفين يصل إلى عشرات الألوف ، وقد تكونت جمعيات تطوعية للبحث عن الأطفال المخطوفين وتستخدم هذه الجمعيات وسائل كثيرة من بينها الطائرات.([36])

ولما اكتشفت بلجيكا عدداً من الجثث لأطفال بيض من ذوي العيون الزرق ذهلت وثارت ولا كان لا بد أن يتحرك العالم كله لإنقاذ الأطفال . والسؤال أين كانت أوروبا وأمريكا عندما كان الصِرْبُ يمارسون كل أنواع الجرائم الوحشية ضد المسلمين في البوسنة والهرسك ، وعندما كانت روسيا تدك المدن الشيشانية على رؤوس الأطفال ، والشيوخ والنساء من المدنيين العزّل في الشيشان، وعندما قامت الطائرات الإسرائيلية بقصف ملجأ الأمم المتحدة في قانا في لبنان على رؤوس الأطفال والنساء والشيوخ؟

ظاهرة تشغيل الأطفال

ليست ظاهرة تشغيل الأطفال بالأمر الغريب على العقلية الأوروبية فإن الروائي الإنجليزي المشهور تشارلز ديكنز قد سَخِرَ في العديد من رواياته من هذه الظاهرة المؤلمة ، وربما كانت المجتمعات الأوروبية تجد مبرراً لها لأنها كانت في ذروة نهضتها الصناعية ، وكانت في حاجة للأيدي العاملة ، كما كانت التشريعات لا تمنع ذلك . ولكن بعد أن وضعت التشريعات التي تمنع تشغيل الأطفال في الأعمال التي يقوم بها الكبار عادت أوروبا و أمريكا من جديد لتشغيل الأطفال ففي تقرير سنشر الذي نشرت إحدى الصحف مقتطفات منه قبل نشره رسمياً جاء فيه:" تفشت في الأعوام الأخيرة ظاهرة اشتغال الأطفال بشكل مثير إلى درجة أن حوالي ثلاثة أربعا الأطفال الذين تقل أعمارهم كثيراً عن ست عشرة سنة نجدهم يشتغلون أشغالاً لا

يمكن أن يقوم بها إلاّ كبار السن، مثل أن يشتغلوا في المقاهي والمطاعم أو يشتغلوا كبستانيين أو في المحلات التجارية."([37])

ويشير تقرير الصحيفة إلى أن مجموعة من الأساتذة الباحثين من جامعة بيزلي الإنجليزية Paisley قد قاموا بإجراء مقابلات مع أكثر من ألفي طفل موزعين على اثنتين وعشرين مدرسة تشمل اسكتلندا كشفت لهم عدة حقائق مدهشة أهمها أن هناك سبعين في المئة ممن يشتغلون أو سبق لهم الاشتغال في أعمال أو مهن شتى ،منهم من بدأ العمل وسنّه لا يزيد عن عشر سنوات مقابل أجر مادي لا يتجاوز بضعة جنيهات إسترلينية في الأسبوع مما يجعل من ظاهرة تشغيل الأطفال القاعدة وليس الاستثناء."([38])

ولم تقتصر ظاهرة تشغيل الأطفال على أوروبا بل امتدت لتشمل الولايات المتحدة الأمريكية، وفقا لما ورد في تقرير لمنظمة العمل الدولية التابعة للأمم المتحدة. ويذكر التقرير أن من مبررات تشغيل الأطفال هو سعي أرباب العمل وراء " قوى العمل المرنة".([39])

ثالثاً: الجريمة في المجتمعات الغربية

لا تكاد تخلوا الصحف ووسائل الإعلام الأخرى طوال العام من الحديث عن الجريمة التي أخذت أبعادا أخرى حيث إن " فئة الشباب الذكور هم الفئة التي تنفذ جرائم القتل والموت في المجتمع الأمريكي، وإن نسبة الانتحار بين الشباب تفوق عشرين ضعفا مثيلتها في أوروبا وأربعين ضعفا عن اليابان."([40])

وكأن القتل في الغرب أصبح بديلا للحوار الحضاري، فقد كتبت صحيفة التايمز اللندنية مقالة بعنوان (أمريكا تفقد حريتها) تناولت حوادث القتل التي يقوم بها جماعة من المتطرفين الدينيين ضد الأطباء والعاملين في عيادات الإجهاض، ويتعجب كاتب المقال عن هذه الحضارة المزعومة التي يضطر فيها الطبيب أن يرتدي سترة ضد الرصاص وهو متوجه إلى عمله أو أن تضطر هذه العيادات للاستعانة بالشرطة.([41])

الاغتصاب

كما عانى الشباب والأطفال من توجه الجريمة ضدهم فقد نالت المرأة نصيبها من الجريمة ضدها، ولاسيما جريمة الاغتصاب، فقد نشر (مركز الضحايا الوطني) و (مركز الأبحاث ومعالجة ضحايا الاغتصاب) أن ثمان وسبعين امرأة يتعرضن للاغتصاب كل سنة أي 683 ألف امرأة سنويا)([42]).

أما التعرض للمضايقات الجسدية أو التحرش الجنسي فحدث ولا حرج، فإذا كان الاغتصاب يصعب تحديد حالاته بدقة لأن نسبة كبيرة من النساء لا يبلغن عن حدوثه وذلك لصعوبة إثباته أو للمضايقات التي يتعرض لها إذا ما أقدمن على الشكوى([43])، فإن تعرض المرأة للمضايقات الجنسية بلغ حداً كبيراً، ومما يلفت الانتباه أن ثلثي الشرطيات البريطانيات يتعرضن للمضايقات الجنسية من زملائهن في العمل مما أدى إلى قيام إدارة الشرطة بتكليف عالمة نفس بدراسة الوضع واقتراح الحلول المناسبة([44]).

ولكن هل ستقدم عالمة النفس من المقترحات ما يمنع التحرش الجنسي في إدارة الشرطة؟ أعتقد أن المجتمعات الغربية عموما بلغت ما يسمونه نقطة اللا رجوع إلا أن يكتب الله لهم الهداية، فقد بدأ الاختلاط بالزعم أنه " يخفف التوتر الجنسي لدى الطرفين، ويسمو بالعلاقة بينهما إلى مستوى إنساني فلا يعود أحدهما ينظر إلى الآخر من زاوية جنسية فحسب.. وهكذا فالمجتمعات التي تقر الاختلاط تشكو من تفاقم المشكلات الأخلاقية التي تنجم عن العلاقات بين الجنسين."([45])

وقد خصصت مجلة النيوزويك الأمريكية Newsweek ملفاً للحديث عن السلوك الجنسي للرجال مع النساء والنساء مع الرجال وحرصت على تقديم تعريف للاغتصاب ، ونظراً للاختلاط الذي تعرفه المجتمعات الغربية منذ مئات السنين فمن الصعب تحديد ما هو الاغتصاب . وقد أوردت المجلة تعريف مكتب التحقيقات الفيدرالي للاغتصاب ولكنها ترى أن هذا التعريف غير كاف. كما إن العقلية الغربية غريبة حقاً في هذه المسألة فإن المرأة تريد أن تكون مع الرجل في خلوة تامة وفي موعد تعرف مسبقاً أن عقلية الرجل الغربي لا تدفعه لدعوة امرأة لعشاء أو سهرة إلاّ وهو يتطلع إلى الحصول على عائد ما ولكنها تستنكر لو أقدم الرجل على المطالبة بتعويض عمّا أنفقه.([46])

ووصل الأمر بانتشار حالات الاغتصاب إلى أن امرأة تعمل شرطية في شرطة لندن تعرضت للاغتصاب في أحد القاطرات في لندن في وقت متأخر وهي في طريق عودتها إلى بيتها.([47]) وقد انزعجت الشرطة في لندن من ازدياد حوادث الاغتصاب لذلك قامت بإصدار بعض التعليمات لمواجهة هذه الحوادث ومن التعليمات:

أ – الاحتشام في اللباس.

ب – عدم وضع الأيدي في الجيوب حتى تكون المرأة مستعدة للدفاع إذا ما تعرضت للاعتداء.

ج – عدم الجلوس في الحافلات في الطابق العلوي إذا كانت الحافلة خالية، والحرص على الركوب قريبا من السائق.

ولكن أنى لهن أن يسمعن موعظة وقد ذكرني هذا بمحامية أمريكية عجوز استضافها التلفزيون الأمريكي قبل أكثر من عشرين سنة للتحدث في مشكلة الاغتصاب فذكرت أن النساء هن سبب ما يقع لهن من حوادث اغتصاب حيث الملابس الفاضحة والخروج وحيدات دون حماية من رجل، وأضافت أن الرجل مهما كان مكتفيا غريزيا فإن منظر عري النساء يثيره.

كما أن الاختلاط الذي يعيشه الغرب يتسبب إلى حد ما فيما يعانيه الغرب ، حتى إن مجلة "المختار" Reader’s Digest قد نشرت تحقيقاً حول الاختلاط في العمل في مجالات الحياة المختلفة وما يتسبب فيه من إثارة الغرائز هو أحد أسباب انتشار الجرائم الجنسية. ومما أوردته المجلة في تحقيقها :" أينما يعمل الرجال والنساء معاً فإن "الافتتان" يأتي بوحي من واقع الميدان(العمل المختلط) وليس هذا الانجذاب بسبب سيطرة إفرازات زائدة لهرمون "الادريانين" فحسب، ولكن في أي مكان عمل (مختلط طبعاً) من المعمل إلى المكتبة العامة."([48])

هذه الفطرة التي فطر الخالق سبحانه وتعالى عليها وهي الانجذاب بين الجنسين يريد الغرب كبتها في العمل، وهو ليس بمستطيع وهذا ما يقوله أحد العاملين بمعهد العلاقات بين الجنسين في مدينة سانتا باربرا بكاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية :" لا يمكننا أن نشرع قانوناً لإبقاء الميول الغريزية خارج نطاق العمل ، فهذه الميول

جزء من شخصية الفرد لا تستطيع أن تعطل أداءها بضغطة زر لأنك موجود في العمل."([49])

ولعل من أسباب هذه الأوضاع أن الحضارة الغربية كما يرى علي عزت بيجوفتش قد "أحالت المرأة إلى موضوع إعجاب أو استغلال ، ولكنها حُرِمَت من شخصيتها وهو الشيء الوحيد الذي يستحق التقدير والاحترام. وهذا الموضوع مشهود بشكل مضطرد ، وقد أصبح أكثر وضوحاً في مواكب الجمال أو في بعض مهن نسائية معينة مثل "الموديلات". وفي هذه الحالات لم تعد المرأة شخصية ولا حتى كائناً إنسانياً وإنما هي لا تكاد تكون أكثر من "حيوان جميل."([50])

اغتصاب الذكور

ولم تقتصر جرائم الاغتصاب في الغرب على اغتصاب النساء بل إن الغرب بدأ يشهد أمراً عجباً وهو تعرض الرجال للاغتصاب، فقد ذكرت صحيفة التايمز اللندنية أن الرجال أصبحوا هم أيضا ضحايا الاغتصاب، وأن القانون قد يعترف بجريمة جديدة هي اغتصاب الرجال، فالقانون الذي وضع عام 1956 لا يعترف باغتصاب الرجال، ولكن الاتجاه الآن إلى اعتبار الاغتصاب جريمة بغض النظر على من وقعت رجلا أو امرأة، وقدمت الصحيفة بعض الأرقام حول حوادث اغتصاب الرجال فقد وصلت إلى الشرطة 516 حالة عام 1982 ارتفعت إلى 1255 حالة عام 1992. أما حالات التحرش بالرجال فقد ارتفعت من 2082 حالة عام 1982 إلى 3119 عام 1992 وأشارت الصحيفة إلى أن مثل هذه الحالات تقع في السجون([51]).

الرقيق الأبيض :

انتشرت في أوروبا تجارة النساء فبعد أن كانت بضاعتها تأتي من الدول الأسيوية وأفريقيا وأمريكا اللاتينية أصبحت دول أوروبا الشرقية منبعاً لهذه التجارة. ويحكي تقرير جريدة التايمز اللندنية عن امرأة بولندية كانت تبحث عن وظيفة لإعالة ولديها ، عرضت عليها وكالة عمل وظيفة مقابل ثمانمئة دورلار شهرياً للعمل في مطعم في ألمانيا. ولكنها لم تعمل قط في مطعم حيث أُخذت واغتصبت وأُجبرت على العمل بغياً. ثم نقلت بعد عدة أشهر إلى هولندا لتعمل في المنطقة الحمراء من المدينة ،ولما

حاولت الهرب أعيدت واعتدي عليها بالضرب المبرح على رأسها وفي بطنها وكان يطلب منها دخلٌ معينٌ كل يوم.

وتداعت أوروبا أيضاً بعقد مؤتمر للنظر في هذه التجارة المتزايدة في شهر يونيه عام 1996. وتقول أنيتا جاردين Anita Gardin المكلفة من قبل الاتحاد الأوروبي بتنظيم هذا المؤتمر بان القضية ليست قضية أمن بحيث يمكنك إغلاق الحدود ، وحتى لو تم القبض على المجرمين المتهمين بتهريب الأشخاص فإن الأحكام في العادة لا تتجاوز سنة أو سنتين في السجن بينما عقوبة تهريب المخدرات بين عشر إلى اثنتي عشرة سنة في السجن. وذكر التقرير أن القائمين على تجارة الرقيق الأبيض غاية في التنظيم . فمن بين هؤلاء تم القبض على رجل بولندي مسؤول عن إرسال أكثر من مائتي امرأة إلى ألمانيا وهولندا منذ عام 1994 ، ومن بين هؤلاء النساء من لا تتجاوز أعمارهن السادسة عشرة.

ومما يدفع النساء إلى العمل هو الحصول على المال ، ولكنهم بعد فترة من العمل الإجباري على البغاء ولو قررت إحداهن ترك العمل فإنها في الغالب لا ترجع إلاّ بأقل المكاسب بينما يحقق الغنيمة الكبرى هم الذين يديرون شبكات استرقاق النساء.([52])

محاولات القضاء على الجريمة

قبل أن أتناول بعض الإجراءات التي اتخذتها الدول الغربية للقاء على الجريمة أو أن أروي هاتين القصتين اللتين رواهما لي صديق وأستاذ فاضل يعيش في هولندا منذ أكثر من عشرين سنة. أما القصة الأولى فملخصها أن هذا الصديق ذهب إلى محطة وقود لملأ خزان سيارته، فوجد العامل في المحطة مهموماً مغموماً، فسأله ما به؟ فقال له: " لقد جاءني اثنان قبل قليل وقيداني وأخذا كل ما في الصندوق." فقال له الزبون:" وما يحزنك وشركة التأمين تتكفل بدفع ما سُرِق. قال: "ليس هذا ما يهمني، ولكن لو وجد نظام عقوبات كما في السعودية لما أقدم هذان على فعلتهما."

أما القصة الثانية ففي متجر لبيع الساعات كان هذا الصديق يقف في مكان من المتجر فسمع حواراً بين صاحب المحل وصديق له، وكان صاحب المحل يروي

حادثة دخول بعض اللصوص وسرقة عدة ساعات ثمينة جداً، وتمنى لو طبق نظام العقوبات الذي يطبق في السعودية لوضع حد لهذه السرقات.([53])

وهكذا فهم يتوقون إلى الفطرة، يريدون أن يعيشوا في أمان، لكن من يهديهم إليه لقد ارتفعت الأصوات في بريطانيا وأمريكا بتشديد العقوبات على المجرمين، فهذه نائبة بريطانية تطالب بجلد المجرمين، وعرض ذلك خلال برنامج اليانصيب الذي يشاهده أكبر عدد من الجمهور، وهناك مطالبات بإعادة تطبيق حد القتل في المجرمين، وقد عادت بالفعل في بعض الولايات الأمريكية، ولكن بعض الأصوات مازالت تعارض معاقبة المجرمين بما يستحقون.([54])

ولابد من كلمة هنا إن نظام العقوبات أو الحدود ليس هو وحده الرادع في المجتمع الإسلامي، فالحدود هي آخر طابق في بناء الإسلام، فالأساس هو الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ثم الأخلاق،ويأتي بعد الأخلاق العبادات والشعائر التي تقوي الرابطة بين البشر والخالق التي تجعل صلة الفرد مع خالقه وازعاً قوياً ضد ارتكاب الجريمة ثم تأتي المعاملات ومن هذه التشريعات الحدود. وفي ذلك يقول علي جريشة في كتابه القيم " شريعة الله حاكمة ليس بالحدود وحدها:" ليس بالحدود تقام الشريعة.. لأن الحدود جزء من أحكام المعاملات ، والمعاملات تمثل الطابق الثالث أو الرابع في بناء الشريعة... وإقامة الحدود وحدها أو حتى المعاملات كلها يعني أننا نقيم طابقاً رابعاً أو ثالثاً من غير طابق أول أو ثان ،ومن غير أساس فأنى له أن يقوم!! " ([55])

ومن أساليب مواجهة الجريمة عودة الأخذ بالثأر، أو كما يقال أخذ القانون بأيديهم، حيث إن معظم الناس لم يعد يثق في العدالة، فهذا أحدهم يصرح: " إنني لا أؤمن بالعدالة البريطانية ، ولذلك قررت أن آخذ حقي بيدي." وقد تظاهر رجل اعتُدي على ابنته بأنه محام، ودخل إلى السجن حيث يوجد المتهم وانهال عليه ضربا. وأجرت مؤسسة جالوب استطلاعا للرأي عن العدالة فأجاب 76% من الإنجليز أنهم يعتقدون بأن الأفراد محقون أحيانا في تطبيق القانون بأنفسهم، وتألفت فرق خاصة من أفراد الشعب للمحافظة على الأمن، وقد بلغ عدد أفراد هذه المجموعات عام 1985 ألف وثلاثمائة شخص ووصلوا الآن أكثر من مئة ألف.([56])

وقد نشرت جريدة التايمز تحقيقا صحافيا عن جهود المسلمين وغيرهم في منطقة بالسال بمدينة بيرمنجهام في تنظيف منطقتهم من البغايا وتجار المخدرات والمجرمين، ويروي كاتب التحقيق كيف بدأ هذا العمل بأن كانت امرأتان من البغايا تقفان على الرصيف قريبا من المسجد، وخرج بعض المصلين من المسجد ووقفوا بجوارهما، مما اضطرهما للانسحاب، ففكر المسلمون أنهم إذا استمروا في هذا العمل فلن يبق في منطقتهم نساء بغايا، وبالفعل نجحوا فيما بدأوا به.وكذلك فعلوا مع بقية أصناف المجرمين. ويقول أحد المشاركين:" لقد نجحنا في ثلاثة أسابيع بتحقيق ما لم تستطع الشرطة عمله في ثلاثين سنة." ومع أن الخبر أشار إلى مشاركة غير المسلمين، لكن الصورة المصاحبة للتقرير تؤكد أن المسلمين هم الأساس في هذا العمل.([57])

وأود أن أتوقف هنا لأروي صورة إسلامية يجب أن يتعلم منها الغرب ؛ ففي أحد مؤتمرات (جمعية مسلمي شمال أمريكا) استأجر المؤتمرون فندقاً بكامله مما جعل صاحب الفندق يشدد الإجراءات الأمنية ، ولكن بعد انتهاء المؤتمر وجد أنه لم تُرَق قطرة خمر واحدة ، ولم تحدث مشاجرة واحدة، كما كان سلوك الحاضرين غاية في الانضباط والاحترام.وهذا ما جعل صاحب الفندق يتساءل أ هؤلاء بشر أم ملائكة ؟ فهل يتعلم الغرب؟

رابعاً: العلاقات الاجتماعية

ترتبط العلاقات الاجتماعية ارتباطاً وثيقاً بالمبادىء والقيم والعقائد التي يتبناها المجتمع. فبالرغم من مزاعم الغرب أن أحد مصادر ثقافته وفكره هو المصدر الديني اليهودي –المسيحي لكن حسن حنفي يرى أن " نوعية المعطى الديني في المصدر اليهودي المسيحي واحدة وهي اللاعقلانية."([58]) ففي اليهودية يزعم اليهود أنهم شعب الله المختار دونما سبب معين لهذا الاختيار ومهما كانت أعمال هذا الشعب من عصيان أوامر الله عز وجل ، وقتل الأنبياء أو الجحود بنعم الله، فالله يعطي الشعب كل شيء دون مقابل من الشعب.

أما اللاعقلانية في المعطى الديني المسيحي فهي على نحو فردي شخصي فالإيمان سر لا يمكن إدراك كنهه بالعقل، والمسيح ثالث ثلاثة ، ولا يمكن فهم علاقة الأقانيم

داخل الثالوث بالعقل، والكنيسة سلطة متوسطة بين الله والإنسان تفسر الكتاب ، ويعترف الفرد المذنب أمامها وتهبه الغفران. ثم تمرد النصارى على هذه اللاعقلانية لتظهر العلمانية التي تركز على الصلة المباشرة بين الإنسان والله . وحرية تفسير الكتاب" المقدس" وبراءة الإنسان من خطيئة آدم عليه السلام ، وضرورة تأسيس الدولة وأنها مستقبل الإنسان في هذا العالم.([59])

ولقد تناول القرآن الكريم معتقدات أهل الكتاب وسلوكهم ، فأوضح ما أدخلوه على كتبهم من تحريفات وتبديلات وتغييرات ، كما أوضح أن سلوكهم قائم على العداوة للغير والعصيان. وهذا ما يمكن أن نصفه بمصطلحات عصرنا " عنصريتهم وأنانيتهم وتمركزهم حول ذواتهم ، ويضيف حنفي " فوصف أهل الكتاب في القرآن الكريم هو وصف ضمني لحال الغربيين اليوم وصلتهم بغيرهم."([60])

وكانت الكنيسة تؤيد النظام الإقطاعي ، وكانت هي من أكبر الملاك في العصور الوسطى (الأوروبية) وكان العلاقات الاجتماعية قائمة في هذا النظام على أن للإقطاعي حقاً مقدساً يطلب بموجبه خدمات وأشياء أخرى من أتباعه ، ولكنه في الوقت نفسه كان مرتبطاً تقليديا أن يكون مسؤولاً عن حمايتهم ويكفل لهم على الأقل الحد الأدنى من المستوى المعيشي.([61])

وظلت السلوكيات الاجتماعية والاقتصادية في القرنين السابع عشر والثامن عشر متأثرة بسلوكيات القرون الوسطى، فكان يعدُّ قيام أي شخص بمحاولة كسب الزبائن بتخفيض الأسعار إلى أدنى من السعر السائد يعد سلوكاً غير نصراني ، وكانت التشريعات تنص على هذا. وكما يقول إريك فروم Erich Fromm " كأنّ الاقتصاد والمجتمع وجدا من أجل الإنسان وليس العكس ، وما كان أي تطور اقتصادي يعد صحياً لو أدى إلى إيذاء الإنسان."([62])

وما أن حلّ القرن التاسع عشر حتى تغيرت الأحوال فلم يعد الإنسان مقياس الأشياء في دائرة الاقتصاد . وكان من أبرز خصائص الرأسمالية في هذا القرن الاستغلال القاسي للعمال ، وكان من المعتقد أنه من الطبيعي وهو القانون الاجتماعي أن يعيش مئات الألوف من العمال في حد المجاعة.([63]) وأصبحت الرأسمالية تقوم على أن العمل هو " منتج يشتريه مالك المال، ولا يختلف جوهرياً عن أي سلعة في

السوق. واستخدمه المشتري إلى أقصى حد. ومادام قد اشتراه في السوق فليس هناك إلزام على مالك المال فيما عدا دفع الأجور ، فلو هلك مئات الألوف من العمال جوعاً فهذا حظهم العاثر بسبب مواهبهم المتدنية ، أو ببساطة إنّه القانون الاجتماعي والطبيعي الذي لا يمكن تغييره.([64])

وهكذا أصبح المجتمع الغربي يتكون من طبقات يمتلك بعضها القوة فتستأثر بأفضل المنتجات الاجتماعية لنفسها وتترك الأعمال الأشق والأقذر لغيرها من الطبقات ، وقدراً أقل من الناتج الاجتماعي . وكان هذا التقسيم يتم عن طريق التقاليد الاجتماعية والدينية التي احتوت على قوة نفسيه في الناس مما يجعل تهديد القوة المادية غير ضروري.([65])

ويستنتج فروم أن المشكلة بين رأس المال والعمال أكبر بكثير من المشكلة بين طبقتين وأكبر من صراعهم من أجل نصيب أكبر من الناتج الاجتماعي ؛ إنها مشكلة بين مجموعتين من القيم؛ إنها بين عالم الأشياء وتثمينها ، وعالم الحياة و إنتاجيتها.([66]) ونتيجة لهذه التطورات " أصبحت الطبقة العمالية نموذجاً لجماعة مُسْتَغَلّة يُتلاعب بها ، ويمكن مداهنتها والإشادة بها ، ولكن يندر استشارتها أو ابتاع رأيها ، إن أكبر طبقتين عماليتين في العالم تلك التي في الولايات المتحدة والتي في الاتحاد السوفيتي ، ليس لهما تأثير حقيقي على البناء السياسي في دولتيهما وعلى القرارات التي تتخذ فيهما."([67])

وقد وصل الأمر بالرأسمالية أن لا يبالي الرأسماليون في تدمير المنتجات الزراعية ، بل كما يقول فروم إننا بدل أن نفرح بالمحصول الجيد نقوم بإحراقه أو رميه في البحر في الوقت الذي يوجد ملايين من البشر لا يجدون لقمة العيش ، ويبررون ذلك " من أجل استقرار السوق".([68])

وليت الأمر توقف عند تدمير المنتجات بل وصل الأمر بالرأسمالية أن تدمر حياة العمال حرصاً على استمرار مستوى الأرباح أو تخفيض تكاليف الإنتاج . وقد أعدت مجلة نيوزويك Newsweek ملفاً خاصاً أطلقت عليه (الرأسماليون القتلة) أوردت فيه أعداد العمال الذين قامت بعض كبريات الشركات الأمريكية بفصلهم عن العمل . فشركة آي تي أند تيAT&T قام رئيسها بفصل أربعين ألف عامل ، وقام مدير

شركة إي بي إم IBM بفصل ستين ألف موظف في يوليو عام 1993، وقام مدير شركة جنرال موتورز General Motors بفصل أربعة وسبعين ألف موظف. وتقول المجلة أن هؤلاء العمال وإن وجدوا تعويضاً لدى مصلحة العاطلين عن العمل ، لكن ما قيمة الإنسان بلا عمل. ومما يدل على فداحة المصيبة أن شركات أخرى تقوم باستثمار مبالغ كبيرة في توفير فرص الدراسة لموظفيها حتى يكتسبوا مهارات جديدة ودرجات علمية حتى إذا اضطرت لفصلهم وجدوا العمل المناسب. كما أن إحدى الشركات قامت بتخفيض رواتب كبار الموظفين–مؤقتاً– بنسبة خمس وعشرين في المئة حتى لا تضطر لفصل أي من موظفيها. ([69])

كل هذا يقودنا إلى مؤتمر رابطة علماء السياسة الأمريكية الذي عقد في أوائل سبتمبر 1995 وتحدث فيه روبرت د. باتنام Robert D. Putnam أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد قائلاً بأن الثقة بين الأمريكيين قد ضعفت، وكذلك المشاركة الاجتماعية، وقد قدم وثائق تؤكد تراجع المشاركة الاجتماعية في العقود الماضية، وأن النسيج الاجتماعي قد أصبح أقل متانة من ذي قبل. ويمكن إرجاع هذه الظاهرة إلى عدد من العوامل بما فيها ارتفاع نسبة الطلاق، ودخول المرأة قوة العمل، وتغيير مكان الإقامة، وتوسيع الرعاية الاجتماعية، والتراجع الاقتصادي بعد عام 1973 ونمو ضواحي المدن. ولعل أبرز الأسباب التي ذكرها البرفسور روبرت باتنام هي التلفزيون الذي بدأ بقوة في الخمسينيات من هذا القرن فأولئك الذين لم يدمنوا التلفاز مازالت لديهم روح المشاركة والثقة.([70])

ويرى بعض الباحثين الاجتماعيين أن للتلفزيون آثاراً سيئة في القيم الأخلاقية في المجتمعات الغربية ومن هؤلاء إريك فروم الذي يقول:" يملأ الإعلام عقول الناس بأرخص النفايات التي لا صلة لها بالواقع وفيها الكثير من الخيالات السادية مما لا يقبله الشخص العامي. وفي الوقت نفسه تتعرض فيه العقول صغاراً وكباراً للتسمم فإننا نواصل سعينا أن لا يعرض على الشاشة ما هو مناف للأخلاق، وأي اقتراح بأن تقوم الحكومة بتمويل إنتاج أفلام أو برامج تنوّر العقول وتحسنّها ستجد من يعترض عليها باسم الحرية والمثالية."([71])

ولعل من أقوى ما قيل في تأثير التلفزيون ما كتبه بيجوفتش :" لقد أثبت علم نفس الجماهير، كما أكدت الخبرة أنه من الممكن التأثير على الناس من خلال التكرار الملح لإقناعهم بخرافات لا علاقة لها بالواقع ، وتنظر سيكولوجية وسائل الإعلام الجماهيرية إلى التلفزيون على الأخص باعتباره وسيلة ليس لإخضاع الجانب الواعي فحسب ، بل الجوانب الغريزية والعاطفية بحيث تخلق فيه الشعور بأن الآراء المعروضة عليه هي آراؤه الخاصة."([72])

ويؤكد ريتشارد نيكسون على تأثير التلفاز في الصغار وقيمهم وأن هذا التأثير –كما كشفت دراسة أجريت عام 1991–أكثر من تأثير الوالدين والمعلمين والمرشدين الدينيين مجتمعين.([73])

التفرقة العنصرية

ومن مظاهر ضعف العلاقات الاجتماعية ازدياد التفرقة العنصرية ضد السود والملونين حتى إن أندرو شايير مؤلف كتاب (نحن القوة الأولى) يقول عن السود: " إنهم هنا في أمريكا يعيشون كأفراد غرباء وأجانب على أرض ولدوا وترعرعوا فيها، ولا يعرفون سواها.. يمكننا النظر إلى أمريكا على أنها دولة تتكون من شعبين: البيض وهم الأغلبية المسيطرة، والسود وهم الأقلية المضطهدة."([74])

وتظهر معاناة السود من أصل أفريقي في الأرقام الآتية: فهم يشكلون 45% بين المساجين في الولايات المتحدة، ومن النواحي الاجتماعية فالأسر ذات الوالد الواحد ارتفعت بين السود لتبلغ 56% من عدد الأسر، أما حالات الولادات خارج الزواج فهي بين السود 63%.([75])

وقد نشرت صحيفة "وول ستريت جورنال"Wall Street Journal تقريراً عن وضع السود في مجال الشرطة ذكرت فيه أن شرطيا من أصل أفريقي وصل إلى رتبة كابتن في مدينة سنسناتي –وهذه هي المرة الرابعة التي يصل فيها أسود لهذه الرتبة– ولكن بعض البيض اعترض على هذه الترقية، مما جعل السلطات القضائية تتدخل للنظر في القضية. أما في المدن الأخرى فالحال ليست أفضل، ففي ولاية نيويورك حيث يبلغ الأمريكيين الأفارقة 28.7% من عدد سكان الولاية، ولكنهم لا يؤلفون أكثر من 11.4% من قوة الشرطة، أما الذين وصلوا إلى رتبة قيادية فلم يتجاوز

6.6%. ويقول التقرير إن السود بالرغم مما بلغوه في العصر الحاضر فأنهم لا يزالون يعانون من العقبات في التوظيف والترقيات والمضايقات من زملائهم البيض الذين يعترضون على ترقية زملائهم السود، حتى إن بعضهم يرفض إطاعة أوامر رئيس أسود.([76])

وقد انفجرت الأوضاع الأمنية في مدينة لوس أنجلوس حيث اندلعت أعمال عنف وشغب قيام محطات التلفاز بعرض شريط لبعض رجال الشرطة من البيض وهم يضربون أحد السود وهو رودني كينج بعنف ووحشية . وكانت نتائج هذه الاضطرابات أن قتل ثمانية وخمسون منهم عشرون شرطياً، وبلغ عدد الجرحى 2382، منهم 220 جريحاً في حالة خطرة. واعتقل 13505شخصاً، ودمرت الحرائق 5537 محلاً تجارياً ، وقدرت الخسائر المالية ب785 مليونا ، وساهم من رجال الشرطة والحرس القومي وجنود البحرية واحد وعشرون ألفاً.([77])

وذكر كارل بيل – مدير مجلس الصحة العقلية بشيكاغو – إن المواطنين السود لا يزالون يتعرضون يومياً للإهانة والعنف بحيث أصبح ذلك جزءاً من لا شعورهم المحبط.([78])

ويعترف نيكسون بأن المحاكم الأمريكية حاولت فرض حصص تميزية على أساس العرق في القَبول في الجامعات والتوظيف والترقية ، وتغاضت عن التمييز في إشغال الوظائف العامة والقطاع الخاص وإبرام العقود مع الحكومة مما جعل الجامعات وبعض الوظائف تقبل بالأقل كفاءة لتغطية الحصص الخاصة بالأعراق.([79])

وقد ظهرت في السنوات الأخيرة جماعات متطرفة في المجتمعات الغربية ومن هذه الجماعات جماعة تطلق على نفسها "الأحرار" والتي تتزعم حرباً عرقية ودينية ضد السود وبقية الملونين الذين لا ينحدرون من أصول شمال أوروبية، ويزعم هؤلاء أنهم –البيض– شعب الله المختار ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية هي أرض الميعاد وليست أرض فلسطين (إسرائيل) .ويبلغ تعداد هذه الجماعة من عشرة آلاف إلى أربعين ألفاً.([80])

ويشبه هذه الجماعة أيضاً حركة أخرى تطلق على نفسها (حليقي الروس) Skin Heads وهي جماعة مسلحة متطرفة تنطلق من منطلقات عنصرية حاقدة على كل

الأجناس غير البيض، وقد قدمت محطة التلفزيون H.B.O. برنامجاً خاصاً عن هؤلاء في صيف عام 1995.

وقد أوردت وكالة الأنباء الفرنسية تقريراً من لوس أنجلوس مفاده أن جرائم الكراهية ضد الأسيويين قد ارتفعت بنسبة ثمانين بالمئة في العام الماضي في ولاية كاليفورنيا عن العام الذي سبقه. وقد نقلت الوكالة عن التقرير السنوي الثاني للتجمع القانوني لأسيويي المحيط الهادى الأمريكيين بأن هناك أربعمئة وثمان وخمسين حالة اتهام مثبتة لحوادث ضد الأسيويين مع وجود حالات كثيرة لا تصل إلى الشرطة بسبب اللغة والحاجز الثقافي وعدم وجود سجلات كاملة لدى الشرطة. ومن الطريف أن التجمع يوجه اللوم للخطاب السياسي المعادي للمهاجرين الذي يتسبب في إثارة العواطف وأعمال العنف ضد الأسيويين. ومن الأمثلة على ذلك أن حاكم ولاية أريزونا استخدم حق النقض ضد قانون يحارب الكراهية بسبب العرق بالرغم من ارتفاع هذه الجرائم في ولايته بأكثر من خمسمئة في المئة في الخمس سنين الماضية. ([81])

وتشهد فرنسا تطرفاً عرقيا حيث ارتفعت الطوائف المتطرفة بنسبة خمسين في المئة في الفترة من 1983 حتى 1995، فهناك مئة واثنتين وسبعين مجموعة ترتبط بها ثمانمئة فرقه تابعة لها بينها خمس عشرة طائفة تتميز بخطورتها الشديدة على الأوضاع العامة. وقد أشارت مجلة لو بوينت Le Point إلى أن الحكومة الفرنسية تتغاضى عن هذه المجموعات المتطرفة ، كما أشار السيد ولد أباه إلى أن الأصوليين في أمريكا كان لهم تأثير كبير في انتخاب الرئيس ريجان Regan وأن هؤلاء قد بلغوا درجة عالية من التنظيم حيث إن لهم جامعات، وكليات طب ، ومدارس وإذاعات ومحطات تلفاز.([82])

ويحاول مأمون فندي– الأستاذ بجامعة جورجتاون Georgtown – تفسير أصول هذه العنصرية بقوله :" إن الرجل الأبيض ينظر باحتقار للإنسان الأسود ويبرر عنفه تجاهه من خلال منظومة ثقافية والتي معها كان يقتل البيض إخوانهم السود ويعلقونهم في الأشجار في حفل عنف جماعي ، وكانوا يبررون ذلك لأنفسهم من

خــلال كتــابهم المقــدس فــاللون الأســود بالنســبة للمســيحي الجنــوبي هــو لــون الشيطان."([83])

ويرى أحد الباحثين الأمريكيين أن جذور العنصرية ضد الأعراق الأخرى بدأت في الغرب ليس من نتاج اللاعقلانية ولكن كمشروع عقلاني وعلمي لفهم العالم .فقد أوحى بفكرة العنصرية الرحالون الأوروبيون والتي أنتجت مشروعاً لتصنيف نباتات العالم وحيواناته وشعوبه. فبالنسبة للرحالة الأوروبيين و المنصّرين وعلماء الأجناس قدمت النظرية العنصرية بياناً متناسقاً حول الاختلافات الحضارية يمكن إرجاعه إلى المناخ أو البيئة وبالتالي اعتبرت أموراً جوهرية.([84])

ومن مظاهر التفرقة الاجتماعية التفرقة ضد النساء المصابات بأمراض القلب حيث يحصلن على عناية أقل من الرجال من حيث الأدوية، وفي الغالب يواجهن الموت أكثر من الرجال، كما أكدت ذلك ثلاث دراسات مختلفة، وهناك أدلة على أن الأطباء يميزون الرجال المصابين بالقلب على النساء، فقد فحص الباحثون ثمانمائة حالة على مدى خمس سنوات فوجدوا أن ثلث النساء قد توفين بعد ست أشهر من الإصابة بأول أزمة قلبية.([85])

خامساً:الأخلاق

لو زعمنا أن الأخلاق في الغرب في تراجع لقال المنبهرون بالغرب: أنتم تتجنون على الغرب وتتحاملون عليه، ولكن ماذا يقولون إذا كانت هذه المزاعم بأقلام الغربيين أنفسهم؟

يقول مؤلفا كتاب (مواجهة أزمة أمريكا الأخلاقية): "لقد أصبح من المؤلم بوضوح أن القيم الأخلاقية ليست كما يجب، قد تكون متطورة من بعض النواحي، لكن هذه الأخلاق تواجه الانهيار عموما، وما زالت منذ مدة طويلة." ويضيفان:" إن مجتمعنا مصاب بالفساد والفوضى، كثير من الأمريكيين يتجاهلون مسألة الصح والخطأ (الحــق والباطــل) إنهــم يهتمــون بمنــافعهم الذاتيــة، ويبــررون ســلوكهم غيــر الأخلاقي."([86])

ومن أبرز الانحرافات الخلقية في المجتمع الأمريكي انتشار الكذب، هذه الخصلة الذميمة التي تورع عنها رجل عربي في جاهليته حيث قال حين سأله هرقل عن

الرسول صلى الله عليه وسلم: " خشيت أن تؤثر عني كذبة"، أما جاهلية أمريكا فتستحل الكذب كما يقول بذلك مؤلفا كتاب (يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة) :"إن عادة الكذب أصبحت سمة من سمات المجتمع الأمريكي، إن الكذب تجسد في شخصيتنا الوظيفية لكن هذا لم يتضح بعد للشعوب الأخرى". ويقول المؤلفان : " الأمريكيون يكذبون في كل صغيرة وكبيرة."([87]) ويوردان إحصائية عن الكذب بأن عشرين في المئة من العينة أفادوا بأنهم لا يصبرون عن الكذب ولو يوما واحداً.([88])

ومن مظاهر تراجع الأخلاق ما كتبه هاملتون هوز عن ظاهرة تحول الرجال إلى نساء والنساء إلى رجال، والأفراد في ممارسة الحرية في المجتمع الأمريكي قد تجاوزت كل الحدود، ويضيف هوز قائلا: " ومن الظواهر التي لم تكن مألوفة في مجتمعنا ثم تحولت إلى سلوك طبيعي بدعوى "الحرية الشخصية" ظاهرة الإقبال على اقتناء أو مشاهدة الصور والمجلات الخليعة بين كل طبقات المجتمع الأمريكي وفئاته وعلى وجه الخصوص بين موظفي الكونجرس وموظفي المحكمة العليا."([89])

ويرى بيجوفتش أن الدول الغربية تتعرض لغزو بشع من الأدب الإباحي، وتحتل فرنسا و الدنمارك وألمانيا الغربية المركز الأول في هذا المجال. ويرى أحد خبراء الطب النفسي في تحليله لهذه الظاهرة أن أسبابها تعود إلى نمط الحياة الغربي الشديد الرتابة(نوم- قطار- عمل) "وهي خطة تمنح مستوى معيناً من المعيشة لكنها تحرم الإنسان من الخبرة والإثارة الحقيقية ..ولهذا يحتاج معظم الناس غريزياً إلى الهرب من أنفسهم ليجربوا أنواعاً من الإثارة الرخيصة ، وتجد هذه الحاجة إشباعها في الأفلام الإباحية."([90])

الأخلاق والسياسة:

بالرغم مما كتبه كاتب --يتم تلميعه- بأن السياسة لا علاقة لها بالأخلاق، لكني لا أجد أجمل من عبارة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حينما سأله النجاشي عن الإسلام فقال: "كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونسيء الجوار ونأكل الميتة، و يأكل القوي منا الضعيف، فجاءنا من نعرف صدقه وأمانته فدعانا إلى عبادة الله وترك عبادة الأوثان، ودعانا إلى مكارم الأخلاق.."([91])

وقد تزامن البناء الأخلاقي مع البناء الإيماني، حتى إذا تكونت الدولة الإسلامية في المدينة وكان بذورها قد بذرت في دار الأرقم بن أبي الأرقم وفي بيعتي العقبة لم تنفصل الأخلاق عن السياسة مطلقا، وما كان لها في الدولة الإسلامية.

وقد عانت السياسة في الغرب من تراجع الأخلاق، فقد كتبت ليبي بيرفيز Lippy Purves تحت عنوان (عندما تتحول حمرة الخجل إلى خد بليد أو وقح) وأشارت إلى المرشحة لرئاسة بلدية مدينة ليفربول بأنها أدينت ثلاث مرات بممارسة البغاء على مدى خمس سنوات حتى عام 1978، وأطلق سراحها بشروط في أربع عشرة حالة تزوير في الثمانينات، وغرمت خمسمئة جنيه عام 1990 لحصولها على ممتلكات بطريق الخداع، وتناولت الكاتبة حالات أخرى تدل على تدهور الأخلاق في المجتمع الإنجليزي حتى إن الشخص يرتكب الجرم ثم يصبح شخصية عامة تنال الاحترام والتقدير.

وقبل سنة من الآن اضطر السناتور (النائب) الأمريكي بوب باكوود Bob Packwood (جمهوري من ولاية أوريجن) رئيس اللجنة المالية إلى الاستقالة بعد أن قررت (لجنة الأخلاق) في الكونجرس طرده بالإجماع، وحاول أن يدافع عن نفسه لكن تحقيقات اللجنة ومذكرات النائب التي بلغت عشرة آلاف صفحة أثبتت إدانته. وتتلخص التهم الموجهة إلى النائب باكوود في سوء سلوكه وأخلاقه جنسياً ومالياً ، ودار الحديث في وسائل الإعلام الأمريكية في تلك الأيام عن الفساد والسلطة هل هما متلازمان ، وما موقف الشعب الأمريكي من مؤسساته السياسية ،وهل تستحق الثقة أو إن هذه الثقة قد تزعزعت ؟([92])

ولا بد أن البعض ما زال يذكر فضيحة واتر جيت التي أخرجت الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون من البيت الأبيض بسبب تجسسه على مقر الحزب المنافس. ولدى الأمريكان جيت جديدة باسم وايت ووتر جيت وكان هناك إيران جيت وغيرها.

وفي فرنسا وقبل ستة أشهر من انتخابات الرئاسة الأخيرة التي أتت بالرئيس جاك شيراك إلى رئاسة الجمهورية ظهرت مجموعة من الفضائح التي تسببت في استقالة وسجن بعض الوزراء ، كما كان لدى القضاء الفرنسي ملفات فضائح مالية حول

عدد من الوزراء منهم وزير الصناعة والبريد والهاتف ، ورئيس الحزب الجمهوري ، و وزيرة التعاون، و وزيرة الشباب والرياضة.([93])

وظهرت فضائح في شرطة نيويورك بسبب سوء استخدام السلطة لإشباع الغرائز والإثراء الفاحش بالتعاون مع تجار المخدرات إما بالتستر عليهم أو مشاركتهم ، وقد طالت هذه الفضائح رتباً عليا.([94])وكذلك في هولندا أكدت لجنة برلمانية استشراء الفساد في إدارة الشرطة والأمن حيث كشفت التحقيقات أن هذا الجهاز يعد أكبر مصدر لتهريب المخدرات والتعامل مع تجارها وغسل أموالها في هولندا وخارجها.([95])

تطلعات إلى الخير:

يتنازع الغرب تياران أحدهما يدفعه إلى مزيد من الانحراف والانحلال والضلال، وآخر يدعوه إلى العودة إلى القيم الخلقية الرفيعة وإلى العودة إلى الدين، ويتزعم تيار الفساد المؤسسات الإعلامية وبخاصة هوليوود بكثافة ما تنتجه من أفلام، وكذلك الآلة الإعلامية الضخمة التي تضفي على هذا الإنتاج وعلى نجوم السينما هالة من الاحترام والتقديس بل تجعلهم القدوة التي يجب أن يجتذبها العالم أجمع، فقد كتب الناقد السينمائي مايكال ميدفيد Michael Medved (يهودي) كتابا بعنوان (هوليوود وأمريكا) ذكر في مقدمته" أن تأثير هوليود في المجتمع هادىء ومتدرج، إنه ليس تأثيرا ضخما أو فجائيا أو فوري)([96]).

ويشير ميدفيد إلى أن الدراسات أثبتت التذمر العميق لدى الجمهور الأمريكي من إنتاج هوليوود، ففي عام 1989 أجرت دراسة على عينة علمية مختارة بعناية فأثبتت أن 80% موجودا أن أفلام هوليوود تحتوي على بذاءة، و 82% يشعرون أن الأفلام تحتوي على كمية زائدة من العنف، واشتكى 72% من العري الزائد، وأكد ثلاثة إلى واحد من العينة أن نوعية الأفلام في هبوط.([97])

والعجيب أن القائمين على هوليوود لا يهتمون بالدين حيث إن الملتزمين منهم لا يزيدون على 7% ، ويقول أحد المختلطين بهؤلاء :" لا اعرف أحداً سواءً كان منتجاً أو ممثلاً أو كاتباً تحت سن الخامسة والأربعين يذهب إلى الكنيسة أو البيعة.([98])

ومن التطلع إلى الخير ما ذكره جيمس بترسون وبيتر كيم من أن 80 % من الأمريكيين يؤيدون تدريس المبادىء والقيم الأخلاقية في المدارس الأمريكية، ويعتقد الكثيرون أن الانحطاط الأخلاقي هو المشكلة التي تعاني منها البلاد.([99])

وفي كتاب دعونا نصلي يقول مؤلفه: " الصلاة في المدارس علاقة ثقافية تدل على قضية أكبر أن كل مواطن يدفع الثمن لإلغاء الصلاة في المدارس والروحانية من الحياة العامة.. إن الصلاة ظاهرة إنسانية كونية وهي دافع لا يمكن أن ينتهي في وقت الحاجة إليه وجزء أساسي من كل دين .."([100])

وكتبت صحيفة الجارديان الأسبوعية قبل شهرين تقريبا تتناول مسألة الحرب التي أعلنت على الكحول، وقد قدم المقال بعض الأرقام المفيدة ومنها أن استهلاك الخمور قد انخفض إلى أدنى حد منذ عام 1964 ووصلت مبيعات الخمور إلى أدنى حد خلال الخمسين سنة الماضية، وهناك جهات تسعى إلى أن يصدر الكونجرس الأمريكي قوانين ضد الكحول([101]).

وقد أجرت مجلة (أخبار الولايات المتحدة والعالم) U.S. News & World Report استطلاعاً في شهر ديسمبر 1991 أكد فيه أكثر من 56% من الأمريكيين بأن أعلى هدف لهم في الحياة هو تحقيق صلة أفضل بالله .([102])

ويعلق ميدفيد على ذلك بقوله :" وعلى ضوء هذه الأرقام فإن إصرار هوليوود في عدائها للقيم الدينية ليس غريباً ، إنه فعلاً حالة مرضية .فبدلاً من تعديل هوليوود رؤيتها للواقع حتى تتصالح مع الصحوة الدينية في أمريكا والصحوة الواسعة في الذهاب إلى الكنيسة والارتباط بها، فإن معظم الناس في عاصمة السينما اختاروا ببساطة أن يهملوا ما تقوله الاستطلاعات."([103])

وقد تناول نيكسون موقف هوليوود هذا بقوله:" تزعم هوليوود أنهم يعكسون أحوال أمريكا، وأنها مريضة وأرى إنهم إنما ينظرون في المرآة ، لأن هوليوود هي المريضة وقيمها ليست قيم الاتجاه العام .والعنف والجنس الإباحي سلعتان رائجتان وهوليوود بصدد جمع الأموال عملت على تعجيل انهيار تلك المعايير ،فحُقّ للأمريكان الغضب من وسائل جني الأرباح هذه ، وإن فشلت هوليوود في مراقبة نفسها علينا إخضاعها لرقابة الحكومة.([104])

هذه الآراء الجريئة ضد هوليوود هل يمكن أن تصل إلى نتيجة ؟ هذا ما يرجوه أي محب للفضيلة والعفة والحياء، ولكن هل ينجح الأمريكيون في الحد من غلواء هوليوود أو تستمر هوليوود في طريقها في إفساد العالم. وهذا يقودنا إلى الكتابين اللذين صدرا في الولايات المتحدة حول الشعب الأمريكي حيث كتب أحدهم كتاباً بعنوان أمة من الغنم فكتب الآخر أمة من الأسود لكن مكبّلة . والحقيقة أن هوليوود قد تكون أقوى من كل هذه التوجهات الأمريكية إلاّ أن يشاء الله لفساد هوليوود أن يهزم ليس في الولايات المتحدة فقط بل على دول العالم كلها أن تقف في وجه فساد هوليوود وأختها بولي ود (الهندية).

ومما يدل على قوة هوليوود أن شركة ورنر إخوان (Warner Brothers)انتجت فيلما بعنوان قتلة بالفطرة Born Killers ، وكان سبباً مباشراً في ارتكاب مجموعة من الشباب جرائم قتل. ولما أرادت الشركة أن تعرض الفيلم في بريطانيا قام مجلس مراقبة الأفلام بالامتناع عن السماح للفيلم بالعرض في صالات السينما البريطانية ،ولكن أكدت وسائل الإعلام(الإذاعة) أن الفيلم سوف يعرض في بريطانيا ذلك أن المنتج للفيلم شركة وورنر لديها الوسائل التي تستطيع أن تضغط بها على الحكومة البريطانية.([105])

الخاتمة

تناول هذا البحث مسألة معرفة الآخر وعرض لبعض الظواهر الاجتماعية في الغرب. وكانت نقطة الانطلاق هي تحديد هوية " الذات" أو " الأنا" و " الآخر" من خلال الرجوع إلى آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. وأوضحنا كيف أن الحضارة الإسلامية قد شُيّدت بعقول وسواعد وإبداع شعوب أدركت موقعها من العالم . أدرك المسلمون أنهم أمة " الشهادة" وأمة "الدعوة" والشاهد لا بد أن يعلم موضوع شهادته. والداعية لا بد أن يعرف البيئة التي سيدعو فيها. لذلك درس المسلمون الحضارات الأخرى وفهموها فسهل عليهم التعامل معها.

ونحن نعيش في عصر تهيمن فيه الحضارة الغربية فلا بد لنا أن نعرفها معرفة حقيقية ، وقد توصل بعض المثقفين المسلمين إلى معرفة الحضارة الغربية معرفة عميقة ومن هؤلاء طارق البشري الذي يقول :" إن الحضارة الأوروبية الأمريكية لا

تعترف بغيرها ،و لا تتيح بالتالي إمكانية الحوار الذي يسهم بهضم و استيعاب قيم وخبرات مستمدة من حضارات أخرى."([106])

ولئن كان هذا صحيحاً لا ينبغي أن يثبط همتنا في الحرص على عرض ما لدينا من علم وهداية ونور عملاً بقول الله عز وجل{ ادع إلى سبيل ربط بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن. ([107]) هذا الأمر للوجوب وكما يقول علماء التفسير إذا أطلق الأمر هو للوجوب ما لم يصرفه صارف ، أو تأتيه قرينة تصرفه عن حالة الوجوب إلى الندب.، والحكمة تقتضي الاعتدال في الخطاب فلا ننزلق إلى -كما فعل دعاة الشيوعية والاشتراكية أو اليسار العربي- استعداء الغرب بأساليب فجة ، واستخدام وسائل الإعلام للعنتريات الفارغة . وقد كانت قواميس شتائم اليساريين تحتشد بربط الغرب بالامبريالية والاستعمار واستغلال الشعوب واستعبادها. وكأني بهؤلاء مثل الأعرابي الذي سرقت منه إبله فعاد يقول:" أوسعتهم شتماً ، وذهبوا بالإبل" وفي هذا يقول عبد القادر طاش:" إن الحاجة ماسّة الآن لإعادة النظر في الخطاب الإسلامي المعادي للغرب وترشيده وإعادة التوازن لكيلا نفاجأ يوماً بانزلاق الطرفين إلى صدام مدمر يقودنا إليه ذلك الشحن الأيديولوجي الأعمى من قبل الغلاة هنا وهناك."([108])

والمعرفة اليوم لا تبنى من زيارة عاجلة أو قراءة عدة كتب عن الغرب أو المكوث في الغرب عدة سنوات للتحصيل العلمي للدراسات العليا وبخاصة إذا اختار الباحث أطروحة تخص البلد الذي ينتمي إليها. لقد تطورت أساليب المعرفة ووسائلها ولا يمكن تحقيقها إلاّ من خلال الدرس العميق والبحث الجاد الرصين ، ودراسة الظواهر الاجتماعية والفكرية للعالم الغربي. ولا بد أن تكون أهدافنا واضحة لا نبحث عن طريقة لاستعمار أراضيهم واستغلال خيراتها وكما قال أحد الخلفاء حينما أراد أن يبقي الجزية على من أسلم من أهل الذمة: " إنما بعث محمد صلى الله عليه وسلم هادياً ولم يبعث جابياً"([109])

وانتقالنا من ذات موضع الدرس إلى ذات دارس إنما هي خطوة في الطريق لنأخذ مكاننا الصحيح في هذا العالم ، وذلك من أجل الوصول إلى حوار هادف وبنّاء مع الغرب لا بد أن نتفق فيه على " المصطلحات والمفاهيم والدلالات وذلك لتحرير

الغرب من خطر مزعوم."([110]) وهذا ينتقل بنا إلى ما قاله فؤاد صادق مفتي عن دور " المدافع" وممارسة "رد الفعل" على كل فعل يصدر عن الآخر دون أن يكون لنا استراتيجية واضحة للتفاعل مع هذه التطورات المحتملة والتأثير فيها قبل أن ترغمنا على التأثر بها أو "الإذعان " لنتائجها بكل سلبياتها."([111])

يجب أن ننظر إلى الآخر (الغرب) على أنه أفاد من معطيات الحضارة الإسلامية والحضارات السابقة وبنى مؤسسات فاعلة في شتى المجالات الفكرية والثقافية والسياسية والعسكرية والعلمية وباستطاعتنا أن نفيد من تنظيمه لهذه المؤسسات فائدة عظيمة إذا ما قمنا بدراستها دراسة واعية .

أما الظواهر الاجتماعية التي قدمتها في الصفحات السابقة فقد غلب عليها الطابع السلبي وهو ليس مقصوداً وذلك أن الغرب كما ذكر مؤرخوه وفلاسفته يمر بطور التراجع والانحدار فلا بد للسلبيات أن تطغى وأن تكون أظهر من الإيجابيات. ومع ذلك فثمة إيجابيات يعرفها من عاش في الغرب ويدركها من يرى استمرار هيمنة الغرب في المجالات السياسية والعسكرية والثقافية. ومن هذه الإيجابيات أن العلم مازال يحتل مكانة بارزة لديهم فهذه الجامعات الغربية تحتل مكان القمة في الجامعات العالمية ولديهم مراكز البحوث والمعاهد العلمية التي ما تزال تغري أبناء العالم النامي (الثالث) بالسعي للالتحاق بها والدراسة فيها والعمل فيها تاركين أوطانهم التي أنفقت الكثير عليهم مضحين بالسكنى في الوطن قريباً من الأهل والأحباب.

بينما نحن في العالم الثالث(النامي) لدينا الكثير من حوافز لاحترام العلم والعلماء وتقدير دور العلماء كما توضح ذلك النصوص المقدسة ومنها قول الله عز وجل:{ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات }([112])ويعطي الإسلام العلم مكانة رفيعة حتى في الحرب ومن ذلك قول الله تعالى{ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم}([113])

والحضارة الغربية مهما كانت إيجابياتها وتفوقها لكنها كغيرها من الحضارات والغرب كغيره من الشعوب والأقوام يخضع لسنن الله عز وجل . فمهما زعم الزاعمون أن الغرب يمارس النقد الذاتي وهو الذي يعطى لهذه الحضارة حيويتها و" ديناميتها" وكما يقول أحدهم :" وأن هذا يكذب سلفاً كل النبوءات حول وشكان موتها ."([114]) فإن

هذا الزعم لا سند له من الواقع والتاريخ . فإن سنة الله ماضية فإذا بلغ انحرافهم وفسادهم وضلالهم الدرجة التي توجب غضب الله والتدمير فلن يرد بأسه سبحانه وتعالى مهما ملك الغرب من قوة * ، فهؤلاء الفراعنة الذين بنوا الأهرامات التي ما زال العلم الحديث يتعجب كيف استطاعوا نقل تلك الأحجار الضخمة ولم يكن لديهم الرافعات الهيدروليكية أو غيرها من التقنية الحديث، وهذه مدائن صالح ذات القصور في الجبال، بأي وسيلة نحتوا تلك الجبال ؟ ونحن نؤمن بقول الله عز وجل { وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد بطشاً}([115]) وقول الله سبحانه وتعالى{ فأهلكنا أشد منهم بطشاً ومضى مثل الأولين}([116]) وقول الله تعالى: {أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}([117])

تناولت فيما سبق تعريف الأخر، وأوضحت الموقف الإسلامي من الآخر من خلال آيات القرآن الكريم واهتمامه أولا بمعرفة الذات وتحقيق الذات ثم الانطلاق لمعرفة الآخر على أسس شرعية، وأفدت في ذلك كثيراً من محاضرة الدكتور جعفر شيخ إدريس التي ألقاها في الرياض في شهر شوال من هذا العام.

وأوضحت حرص الغرب على معرفة الذات وانطلاقه لمعرفة الأخر، ومن هذا الآخر العالم العربي الإسلامي، وأشرت إلى تأخرنا في الوقت في معرفة الذات بله معرفة الأخر.

وفي القسم الثاني اخترت بعض الظواهر الاجتماعية وحرصت أن تكون مراجعي ما صدر عن الغرب بنفسه، وكم كان يهمني أن أنقل إيجابيات من هذه الظواهر لولا أن المصادر التي بين يدي تركز على السلبيات، ومع ذلك فقد قدمت بعض الإيجابيات.

وهذا الموضوع في حقيقته يحتاج إلى جهد أكبر ووقت أوسع، فقد تركت كثيرا من المادة العلمية التي توفرت لدي حيث لم أجد متسعا لذكرها كما أن هذا الموضوع يستحق أن يكون موضوع عدد من الرسائل العلمية. والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

أولاً: العربية

المصادر

1- القرآن الكريم

2- كتب السنة المطهرة.

المراجع : كتب ومقالات

1- أحمد، محمد سيد." الحضارة الغربية لا تعترف بغيرها ، ولا تتيح الحوار معها." في صحيفة الرياض.ع(10032)21رجب 1416(1995/12/21).

2- إدريس ، جعفر شيخ." موقفنا من الحضارات والأديان الأخرى:رؤية شرعية." في الشرق الأوسط.ع(6311و6312)في 9و10 مارس 1996. ونشرت المحاضرة ضمن مطبوعات الحرس الوطني.

3- أمين،عوض عباس. "آفاق مركز الدراسات الأمريكية في العالم العربي." في الشرق الأوسط.ع(6479)،10 ربيع الآخر 1417، (24أغسطس 1996م) (بريد القراء)

4- باترسون، جيمس ،وبيتر كيم. يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة. ترجمة سعود بن محمد البشر .(الرياض،1414).

5-بار، كاميرون ."الاستغلال الجنسي للصغار." في الشرق الأوسط.ع(6482)،13 ربيع الآخر 1417(27 أغسطس1996م)

6- البشر، سعود بن محمد.السقوط من الداخل:ترجمات ودراسات في المجتمع الأمريكي.(الرياض:دار العاصمة 1414)

7-بيجوفيتش، علي عزت .الإسلام بين الشرق والغرب.ترجمة محمد يوسف عدس(الكويت وأمانيا: مجلة النور ومؤسسة بافاريا)1414هـ

8-تقي الدين، رندة،" فرنسا قبل ستة أشهر من انتخابات الرئاسة: فضائح وفوضى." في الحياة .ع(11976)32جمادى الأولى 1415(28 أكتوبر 1994م)

9- جريشة، على محمد .شريعة الله حاكمة ليس بالحدود وحدها.(القاهرة: مكتبة وهبة 1977)

10-حسين، آصف.صراع الغرب مع الإسلام:استعراض للعداء التقليدي للإسلام في الغرب.ترجمة مازن مطبقاني (تحت الطبع)

11-حمدان، عاصم." الأوروبيون والخصوصية الثقافية ." في المدينة المنورة.ع (9698)24جمادى الآخرة1414(27 ديسمبر 1993م)
12- حنفي،حسن .مقدمة في علم الاستغراب.(بيروت: الدار الجامعية للنشر ، 1412-1992)
13- الحياة.ع(11975)13رجب 1416(15ديسمبر 1995)
14- ==.ع(11729)2ذو القعدة 1415(2أبريل1995م)
15 -==.ع(11198)15ربيع الآخر 1415،(11أكتوبر 1993)
16-==،ع(12145)10 محرم 1417(27مايو 1996م)
17-==،ع(11579)31أكتوبر 1994م.
18- الخشت، محمد عثمان." الإسلام والغرب:من الصراع إلى الحوار." في الحياة، ع(12103)26ذو القعدة1416(14يناير1996م)
19- الراشد، عبد الرحمن." أصيلة ومشروع المركز الأمريكي." في الشرق الأوسط.ع(6466)27ربيع الأول1417(11أغسطس1996).
20- زريق، قسطنطين،" حضور أمريكا في الذهن العرب، والحضور العربي في الذهن الأمريكي."في الحياة،ع(12134)28ذو الحجة1416(16مايو1996)
21- الزهراني،عبد العزيز عطية." وجموا وهم جاهلون." في رسالة الجامعة.(جريدة تصدر عن جامعة الملك سعود)ع (547)25 جمادى الآخرة 1415
22-الزين ، رلى." حملة فرنسية ضد الهيمنة الثقافية الأمريكية." في الحياة،ع(1178)5 ربيع الآخر 1414، (21سبتمبر 1993م)
23- سحاب ، سالم،" الرأسماليون القتلة والأثرياء البررة" في صحيفة المدينة المنورة.ع (12039)،8ذو القعدة 1416،(27مارس 1996م)
24- سعيد، إدوارد. تعقيبات على الاستشراق.ترجمة صبحي حديدي.(عمان:دار الفارس، 1996)
25- ==. مقالة في الحياة ،ع(12182)17صفر 1417(3يوليه1996)

26- شارن، لوري وبوب منزيسهايمر." البيض شعب الله المختار." في الشرق الأوسط.ع(6343)2ذو القعدة 1416(10أبريل 1996) عن جريدة لوس أنجلوس تايمز.

27-الشافعي، محمد " حمل الأسلحة في المدارس البريطانية." في الشرق الأوسط.ع(6379)28 ذو الحجة 1415(16مايو 1996م)

28-الشاهد، السيد محمد،" الاستغراب "في مرآة الجامعة(صحيفة تصدرها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)ع(120)20جمادى الأولى 1410.

29 - ==." المواجهة حضارية.. والنقد لايكفي." في المسلمون.ع (270) -11 17رمضان1410(12-6أبريل 1990).

30-شبيب، نبيل،" الحضارة في غياب القيم :التقدم إلى الخلف." في المسلمون ،ع(374)1شوال 1410م.

31-شفيق، مدحت- ميلانو والوكالة الفرنسية من استكهولم." مؤتمر استكهولم يناقش أبشع الجزائم وأكثرها وحشية." في الشرق الأوسط.ع(6483)،14ربيع الآخر 1417(28أغسطس1996)

32- الشرق الأوسط.ع(5667) 25ذو الحجة 1414(4يونيه 1994)

33-==." أول معهد للدراسات الأمريكية."ع(6465)26ربيع الأول 1417(10أغسطس1996م)

34==،" 26دولة تشارك في مؤتمر مكافحة استغلال الأطفال جنسياً."ع(6482)13ربيع الآخر 1417(27أغسطس1996م)

35- ==، عدد(6406)26محرم 1417(12يونيه1996م).

36-==.ع(6473)4ربيع الآخر 1417(18أغسطس1996م)

37-صالح، هاشم ." علم الاستغراب لا يضير الغرب بل يرتد علينا بأفدح الأخطار." في الحياة،ع(11740)13ذو القعدة 1415(13 أبريل 1995م).

387- صلاح الدين، محمد. " الديموقراطية الصليبية." في صحيفة المدينة المنورة.ع(12140)20صفر 1417(6يوليو 1996م).

39-==، الحجاب غزو ثقافي بدوي؟!" في المدينة المنورة ع(11467)16ربيع الأول 1415(23أغسطس 1994)

40- ==."جرائم ضد النساء." في صحيفة المدينة المنورة.ع(9717)12ربيع الأول 1412.

41-طاش، عبد القادر." الدراسات الأمريكية" في صحيفة المدينة المنورة.ع(12180)1ربيع الآخر 1417(15أغسطس1996م)

42-==." مصادمة الفطرة." في صحيفة المدينة المنورة.ع(11711)29ذو القعدة 1415(29أبريل 1995)

43-==." مزاعم ينقضها الواقع." في صحيفة المدينة المنورة.ع(11933)15رجب 1416،(7ديسمبر 1995م)

44-==." المغالاة في عداوة الغرب." في صحيفة المدينة المنورة.ع(15،12135صفر 1417(1يوليه 1996م.)

45-طرابيشي، جورج." الغرب ينهار أم أن الحديث عن انهياره قوة له؟" في الحياة ،ع(12130)7رمضان 1416(4فبراير 1996م)

46-طربوش، سوزانا." بلجيكا في حالة ذهول." في الحياة.ع (12230)6ربيع الآخر 1417(20 أغسطس1996م)

47-علكيم، حسن حمدان." العرب وأمريكا والنظام العالمي الجديد." في المجلة العربية للدراسات الدولية ،عدد 4/3، السنة الرابعة ،صيف /خريف 1993،ص 5-27.

48- عمارة، محمد. مكانة الإسلام في صياغة نموذجنا الثقافي." في الحياة.ع (12224)3 ربيع الآخر 1417(4 أغسطس1996م).

49-فندي، مأمون." الجذور الثقافية للسياسة الخارجية الأمريكية تجاه العرب والمسلمين ." في مجلة المجتمع(الكويت) ع(12139) 5ربيع الآخر 1417(20 أغسطس1996) ص31-32.

51- مدير، عصام وانس فودة." مجلة أمريكية تفضح أجواء العمل المختلط." في المسلمون.ع(601)25ربيع الآخر 1417(9أغسطس 1996م)

52-مفتــي، صــادق."نعم للحــوار ...لا للمواجهــة." فــي الشــرق الأوســط.ع 5454، 3نوفمبر 1993.
53-المودودي، أبو الأعلى. الحجاب. (جدة: الدار السعودية للنشر 1405-1985)
54-مطبقاني ،مازن ." موازيننا وموازينهم في سقوط الحضارات" مقالتان، في المدينة المنورة ع (8943و8950)في 3و10 جمادى الأولى 1412.
55- ==.جامعة الإمام سبقت ندوة أصيلة." في صحيفة المدينة المنورة ،ع (12189)10 ربع الآخر 1417(24أغسطس1996م)
56-==.الغرب في مواجهة الإسلام.(المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم ، 1409) صدرت طبعة ثانية عن مكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالمدينة المنورة 1418.
57-==." بل لابد من دراسة الغرب ونقده." في صحيفة المدينة المنورة.ع(11256)13شعبان 1414(24يناير 1994)
58-==." دراسة الاستشراق وريادة جامعة الإمام1."في المدينة المنورة.ع(11396)4محرم 1415(13يونيه 1994م)
59- ==." دراسة الاستشراق و ريادة جامعة الإمام 2" في المدينة المنورة،ع (11403)11محرم 1415.
60-==." كلية الدراسات الأوروبية" في المدينة المنورة.ع(11410)18محرم 1415(27يونيه1994)
61-==" متى نخضعهم لدراستنا؟" في المدينة المنورة.ع(11534)24جمادى الأولى1415(29 أكتوبر 1994)
62-==." أ تواصوا به (التنوير المزعوم)" في المدينة المنورة.ع(9536)8محرم 1414.
63-==" ماذا لو تفسحوا في مجالسهم؟" في المدينة المنورة،ع(11592)24رجب 1415(26ديسمبر 1994م)
64- ==" أيام في واشنطن ،"ست حلقات .في المدينة المنورة.الأولى في عدد (11872)13جمادى الأولى 1416(7 أكتوبر

- الحواشي :

[1] –Encarta, Social Phenomenon.

[2] – General House Hold Survey1993. فقد حصلت عليه مباشرة من الإدارة الحكومية المختصة في الحكومة البريطانية مباشرة من الإدارة المختصة التي تطلب ممن يستخدم التقرير في مقالة أو محاضرة أن يعرض عليها ما كتبه قبل نشره أو إلقائه حتى يتسنى لهم التعليق عليه.

[3] – General House Hold Survey1993.

[4] – Ian Murray. " Marriage rate slumps as more choose single life.." in The Times , April 29,1993.

[5] Lesley White, The Times , July 9 1996.

[6] –G.H.H S. Op Cit.,

[7] –Murray. Op. cit.,

[8] – مازن مطبقاني " أيام في واشنطن (1)" في المدينة المنورة،ع11872، 13جمادى الأولى 1416(7أكتوبر 1995)

[9] – عبد الحميد اليحياوي: تقلص أعداد الشبان والشابات دون العشرين في أوربا، في الشرق الأوسط، ع 6307، 15 شوال 1416هـ (1995/3/5م). وانظر مقالي (أيام في واشنطن (1) في المدينة المنورة عدد 11872، 1416/5/13هـ (7 أكتوبر 1995). وأذكر أنني كنت أدرس في جامعة اورجين بمدينة يوجين في صيف عام 1969 مادة (مختبر أحياء) فكتبت في أحد الواجبات عن تحديد النسل بأنه يؤدي إلى تقلص القوة الإنتاجية بزيادة عدد كبار السن وانخفاض عدد الشباب، ولم أكن حينها قد اطلعت على دراسات من هذا النوع.

[10] – المرجع نفسه

[11] – أبو الأعلى المودودي، الحجاب.(جدة: الدار السعودية للنشر ،1405-1985)

وفي أثناء دراستي في الولايات المتحدة في عام 1389(1969) ذكرت لي مسؤولة مبنى النشاط الطلاب في جامعة أريزونا الحكومية بأنه في إحدى المدن كان ثمة

أربعة مستشفيات يستقبلن حالات الولادة ، ونظراً لنقص حالات الولادة فتوقفت ثلاث منها عن استقبال حالات الولادة.

[12] – David Blankenhorn, Fatherless America.(New York: Basic Books, 1995)p.1&18.

== وقد أشارت جريدة الحياة في عددها 11534 في 1415/5/14هـ (1994/10/19) إلى أن عدد الأطفال الذين يعشون في أسرة تقليدية بلغ 25% فقط، وانظر تعليق محمد صلاح الدين في جريدة المدينة المنورة عدد(11500)،20 ربيع الآخر 1415هـ.

[13] –ريتشارد نيكسون .ما وراء السلام. ترجمة مالك عبّاس.(عمّان –الأردن: الأهلية للنشر، 1995)ص 186.

[14] – نبيل شبيب." الحضارة في غياب القيم: التقدم إلى الخلف"، في المسلمون، ع 374، 1410/10/1هـ.

[15] عبد القادر طاش." مصادمة الفطرة" ، في المدينة المنورة، عدد 11711 ، 29ذو القعدة1415هـ. (1995/4/29م).

[16] –علي عزت بيجوفتش. الإسلام بين الشرق والغرب. ترجمة محمد يوسف عدس (الكويت وألمانيا: مجلة النور ومؤسسة بافاريا ،1414) ص 118.

[17] –المرجع نفسه ، ص 263–264

[18] – Alvin Toffler. Future Shock.(New York: Batnam Books 1971) p238

[19] – Ibid. p. 254.

[20] – Ibid. p 247.

[21] محمد الشافعي." حمل الأسلحة في المدارس البريطانية"، في الشرق الأوسط، عدد 6379، 1415/12/28هـ (1996/5/16م.

[22] – Cathy Scott-Clark. “ Scourge of the bullies brings fear to schools.” in The Sunday Times. 9 June 1996.

[23] فهمـــي هويــدي: الطفولـــة المفترســـة، فـــي مجلـــة المجلـــة، عـــدد 835، 1996/2/17م.
[24] − The Economist, June 8th, 1996.
[25] − The Guardian Weekly , Vol. 154, No 23, June 8th, 1996.
[26] − Noel Rogers " Zero Tolerance and Britain proposal for youth curfew." in Saudi Gazette.No. 6925, June 17,1996.
[27] −The Guardian Weekly, Op. cit.,
[28] Helen Gibson . " The Banality of an Evil woman." in The Time. December 4th, 1995.
[29] الحياة، العدد (11975)، 13 رجب 1416 (1995/12/5)
[30] المرجع نفسه.
[31] −سوزانا طربوش." بلجيكا في حالة ذهول." في الحياة،ع 12230،6ربيع الآخر 1417هـ(20أغسطس1996م)
[32] −عبد الحميد اليحياوي." بلجيكا تودع ضحيتي الاعتداء الجنسي." في الشرق الأوسط، ع6478، 9ربيع الآخر 1417هـ(23أغسطس 1996م)
[33] −"126دولة تشارك في مؤتمر مكافحة استغلال الأطفال جنسياً" في الشرق الأوسط.ع13،6482ربيع الآخر 1417هـ(27 أغسطس 1996م)
[34] −كـــاميرون بار."الاســـتغلال الجنســـي للصـــغار." فـــي الشـــرق الأوســـط،ع 13،6482ربيــع الآخــر 1417هــ(27 أغســطس 1996م) نقــلاً عــن لــوس أنجلــوس تايمز.وانظر أيضاً: Susan H. Greenberg. "Children for Sale." in Arab News, August 27,1996.
[35] −مـدحت شـفيق−ميلانـو والوكالـة الفرنسـية مـن اسـتكهولم ." مـؤتمر اسـتكهولم ينـاقش أبشـع الجرائم وأكثرها وحشية." في الشرق الأوسط،ع 14،6483 ربيع الآخر 1417(28أغسطس1996)
[36] − مــازن مطبقــاني ." يومــان مــع الصـــحن الهــوائي " فـــي المدينـــة المنـــورة،ع 30،9704 جمادى الآخرة 1414(13ديسمبر 1993)

[37] –" اشـــتغال الأطفـــال القاعـــدة ولـــيس الاســـتثناء." فـــي الشـــرق الأوسط،ع6377،29ذو الحجة 1416(14مايو 1996)

[38] –المرجع نفسه.

[39] – الشرق الأوسط، عدد 6406،26 محرم 1417هـ(12يونيه 1996م)

[40] جيمس باترسون، وبيتر كيم. يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة. ترجمة محمد بن سعود البشر، الرياض 1414، ص 88.

[41] – Bennard Levin. “ America Loses its Liberty ” in The Times, 12 Aug. 1994.

مازلت أذكر واعظا أمريكيا كان يتحدث إلى المشاهدين قبل أكثر من عشرين سنة يقول: أيها الأمريكيون إنكم تقتلون أنفسكم، فالقتل أصبح السبب الأول للموت بين الشباب في سن من 18–24. والذي يقتل لا يفعل ذلك لخصومة أو شجار ولكنه يقتل أي شخص يعرفه أو لا يعرفه.

[42]– محمد صلاح الدين. "جرائم ضد النساء"، في صحيفة المدينة المنورة عدد 9717، 1412/13/12هـ.

[43] – Richard Ford. “ Women Fail to Report Sex Attacks.” in The Times. 25 August 1994.

[44]– The Times, July 9th, 1994.

[45] عبد القادر طاش. "مزاعم ينقضها الواقع". في المدينة المنورة، عدد 11933، 15 رجب 1416هـ (1995/12/7).

[46] –Sara Crichton. “ Sexual Correctness Has it gone too far? in Newsweek. October 25,1993

[47] – الشرق الأوسط.عدد 6473 ، 4ربيع الآخر 1417، (18 أغسطس 1996م)

[48] –عصام مدير وأنس فودة. " مجلة أمريكية تفضح أجواء العمل المختلط." في المسلمون.ع 601،25 ربيع الآخر 1417(9 أغسطس1996) نقلاً عن الريدرز دايجست Reader’s Digest عدد فبراير 1996.

[49] – المرجع نفسه.

[50] –بيجوفتش ، مرجع سابق، ص 264.

[51] – The Times, July 12, 1991.

[52] – Mark Frenchetti and Peter Conradi. “ Europe’s roaring trade in sex slaves.” in The Sunday Times, June 9 1996.

[53] – هذا الصديق هو أستاذي الدكتور قاسم السامرائي.الذي يعمل في جامعة لايدن منذ أكثر من عشرين سنة ، وعمل فترات مختلفة في جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية في قسم الثقافة الإسلامية وفي قسم المكتبات وفي المكتبة.

[54] –الحياة عدد 11729، 2 ذو القعدة 1415هـ (2 ابريل 1995م).

[55] علي محمد جريشة، شريعة الله حاكمة ليس بالحدود وحدها،(القاهرة: مكتبة وهبة،1397،1977)ص26..

[56] – Newsweek, September 20, 1993.

انظر مقالتي في جريدة عكاظ،" الأخذ بالثأر على الطريقة الإنجليزية"، عدد 9956، 1414/5/21هـ (5 نوفمبر 1993م).

[57] – The Times, July 21, 1994.

[58] –حنفي ، مرجع سابق، ص 96.

[59] –المرجع نفسه ،ص 97.

[60] – المرجع نفسه.

[61] – Erich Fromm. The Sane Society. (New York: Henry Holt &Co. 1990) p. 92.

[62] – Ibid. p. 84–85.

[63] – Fromm. Op. cit. p. 85.

[64] – Ibid.P. 92.

[65] – Ibid. P. 87–88.

[66] – Ibid. P. 95.

[67] – بيجوفتش ، مرجع سابق ،ص 112 نقلاً عن Herbert Marcus. A Critique of Pure Tolerance.(Boston: Beacon Press, 1969)

[68] – Fromm. Op. Cit. P.5.

[69] – سالم سحاب. الرأسماليون القتلة والأثرياء البررة." في المدينة المنورة، ع12039، 8ذو القعدة 1416،(27 مارس 1996) نقلاً عن Newsweek العدد الثامن من عام 1996.

[70]– Washington Post, Sunday September 3, 1995.

[71] –Fromm, Op.,Cit.P.5.

[72] –بيجوفتش، مرجع سابق،ص 108.

[73] –نيكسون ، مرجع سابق ص186.

[74] سعود البشر،السقوط من الداخل :ترجمات ودراسات في المجتمع الأمريكي. (الرياض:دار العاصمة،1415)نص 62–63 نقلاً عن اندروشبير، نحن القوة الأولى: أين تقف أمريكا، وأين تسقط في النظام العالمي الجديد، 1992.

[75] حسن حمدان العلكيم. "العرب وأمريكا والنظام العالمي الجديد"، في المجلة العربية للدراسات الدولية، عدد 3/4، السنة الرابعة، صيف/ خريف 1993. ص 5–27.

[76] – The Wall Street Journal, September 7, 1995.

[77] –محمد وقيع الله ." اضطرابات لوس أنجلوس ." في مجلة الإصلاح(الإمارات) ع178،14مايو 1992

[78] – المرجع نفسه.

[79] –نيكسون ، مرجع سابق، ص99.

[80] –لوري شارن وبوب منزيسهايمر ." البيض شعب الله المختار" في الشرق الأوسط.ع 6343، 2ذو القعدة 1416(10 أبريل 1996)عن صحيفة لوس أنجلوس تايمز.

[81] – Arab News , 4 August1996.

[82] –السيد ولد أباه." التطرف ظاهرة موجودة في الغرب أيضاً" في الشرق الأوسط ،ع6312،20شوال 1416هـ(10مارس 1996.)

[83] –مأمون فندي." الجذور الثقافية للسياسة الخارجية الأمريكية تجاه العرب والمسلمين." في المجتمع (الكويت) ع1213، 5ربيع الآخر 1417(20 أغسطس1996م) ص 31–32.وقد ظهرت العنصرية الغربية بوضوح في الصومال حيث مارست القوات الإيطالية و الدنماركية وغيرها من القوات الأوروبية ألواناً من التعذيب ضد الصوماليين العزل ومن العجيب أن هؤلاء كانوا ضمن قوات دولية أُطلق عليها (إعادة الأمل) فأي أمل كان!!؟؟

[84] – Dinesh D’Souza.“ Is Racism a Western Idea?” in The American Scholar. Autumn 1995. P.P. .517–524.

–[85] The Times, September, 2 1994.

[86] – Thomas Hansen and Frank Macchiarola, Confronting America’s Moral Crisis (New York: Hasting House, 1995), P3–4.

[87]– جيمس باترسون وبيتر كيم .يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة.ترجمة سعود محمد البشر (الرياض: المؤلف، 1414–1994) ص58.

[88] المرجع نفسه.

[89] –سعود بن محمد البشر.السقوط من الداخل: ترجمات ودراسات في المجتمع الأمريكي.(الرياض:دار العاصمة،1414هـ)ص 85 نقلاً عن هاملتون هوز .السقوط التراجيدي: أمريكا عام 2020.

[90] –بيجوفتش، مرجع سابق،ص119–120، نقلاً عن Keneth H. Blanchard and Paul Hersey. Management of Organisational Behaviour :Utilizing Human Resurces. 2ed Edition(Englewood Cliffs, N. J.: Prentice Hall, 1972

[91] سيرة ابن هشام.

[92] – Washington Post, 8 September 1995.

[93] –رندة تقي الدين ." فرنسا قبل ستة أشهر من انتخابات الرئاسة :فضائح وفوضى." في الحياة، ع11576، 23جمادى الأولى 1415(28 أكتوبر 1994م)

[94] –الحياة،ع 11198، 15 ربيع الآخر 1415(11 أكتوبر 1993) وانظر تعليقي بعنوان " شرطة نيويورك تحتاج إلى شرطة" في المدينة المنورة ،ع 9688، 14جمادى الآخرة 1414هـ(27 نوفمبر 1993م)

[95] –الحياة،ع 12145، 10 محرم 1417(27 مايو 1996م)

Michael Medved. Holly Wood Vs America, (New York: [96]– .v1) p. xx1993Harper Perennial,

.38Ibid. P. [97]–

.72Medved, Op. Cit. P. – [98]

[99] جيمس باترسون، مرجع سابق، ص 197.

William J. Murray, Let Us Pray: A Plea for prayer in our [100]– .3), P1995schools,(New York, Willion Marrow,

Janatan Freedland, “Battle of The Bottle Breaks Out”, in – [101] 9,1996The Guardian Weekly, June

.71Medved. OP., cit. P.– [102]

.Ibid– [103]

[104] –نيكسون ، مرجع سابق ، ص 246.

[105] – مازن مطبقاني." العنف رغم أنوفهم " في المدينة المنورة ،ع29،11597 رجب 1415(31 ديسمبر 1994) وقد أشارت صحيفة الحياة (اللندنية) في عددها 11579 ،31أكتوبر 1994 إلى أن الحكومة البريطانية سرعان ما تخضع للضغوط من الشركة المنتجة لأنها من الشركات الكبرى، وقد يكون هذا المنع المؤقت نوعاً من الدعاية للفيلم.

[106] –محمد سيد أحمد." الحضارة الغربية لا تعترف بغيرها ، ولا تتيح الحوار معها." في الرياض، ع 10032، 21 رجب 1416،(21ديسمبر 1995) تقرير عن ندوة فكرية عقدت في القاهرة بعنوان (صراع الحضارات :نظرة جديدة للشرق.) وقد كتب الدكتور يوسف نور عوض في صحيفة المدينة المنورة ، عدد(12548) في 19ربيع الآخر 1418 (22أغسطس1997م. يشير إلى ما ظهر في الغرب مؤخراً من

الاهتمام بالمغني المشهور إلفس برسلي الذي هلك منذ اكثر من عشرين سنة وعرف بالإدمان على المخدرات وغيرها من الآثام بأن الغرب يروج لهذه الصرعة باعتبار إلفيس قديساً . ويرى الدكتور عوض أن في الغرب قوى تحاول تشويه ثقافات العالم ومعتقداته الدينية من اجل إحكام السيطرة على العقل الإنساني.

[107] –سورة النحل آية 125

[108] –عبد القادر طاش، " المغالاة في عداوة الغرب"، في المدينة المنورة ،عدد 12135،15 صفر 1417هـ(1يوليه 1996م)

[109] – هو عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى .

[110] – السيد ولد أباه، " الإسلام والغرب واجب الحوار وحق الاختلاف." في الشرق الأوسط ،ع5989،24 ذو القعدة 1415هـ (24أبريل 1995م).

[111] –فؤاد صادق مفتي." نعم للحوار ..لا للمواجهة." في الشرق الأوسط ،ع 5454،3نوفمبر 1993م.

[112] –سورة المجادلة آية 11 .

[113] –سورة التوبة ، آية 122.

[114] – جورج طرابيشي." الغرب ينهار، أم أن الحديث عن انهياره قوة له؟" في الحياة ،ع 1203، 7رمضان 1416(4فبراير 1996) وقد كتب كاتب سعودي قبل عدة أعوام بعنوان (هل إن الغرب يسقط) قدم المزاعم نفسها وهي أن الغرب يمارس النقد الذاتي ، وشاء الله أن أرد عليه بمقالتين بعنوان" موازيننا وموازينهم في سقوط الحضارات " في المدينة المنورة ،ع8943،3جمادى الأولى 1412،و عدد 8950 في 10 جمادى الأولى1412.

* تضرب الغرب أحياناً الأعاصير فتقتل الألوف منهم ، كما تصيبهم موجات من الحر الشديد أو البرد الشديد ، أو يطهر فيهم فيروس جديد لم يسبق لهم معرفة به مثل فيروس الإيدز(نقص المناعة المكتسبة) ويصاب الغرب أحياناً بالزلازل أو الفيضانات. فهل يعتبرون، وهل نعتبر نحن؟

[115] –سورة ق آية 36.

[116] –سورة الزخرف آية 8.

[117] – سورة آية.

____

المجتمع الغربي والحرية الشخصية–التجسس

عاش أستاذي الدكتور علي الغمراوي رحمه الله دهراً طويلاً في أوروبا أتقن خلالها أكثر من عشر لغات أوروبية وتعرف خلال تلك المدة على حياة الغربيين وتاريخهم وثقافتهم، فكان يقول رحمه الله إن العيش في بلادنا العربية الإسلامية أفضل ألف مرة من العيش في الغرب ويشير بصفة خاصة إلى العيش في المملكة العربية السعودية التي فضّل العيش فيها أكثر من عشرة أعوام.

وأشار ذات مرة إلى أن المواطن الغربي تحول إلى رقم يعرف به في سجلات دولته وأن حركاته مرصودة منذ أن يخرج من بيته صباحاً وحتى يعود إلى منزله مساءً وهو مراقب بين ذلك. وكان هذا الحديث قد دار بيني وبينه قبل أكثر من خمس سنوات. وتأكد لي هذا الأمر عندما قرأت في الصحف عن انتشار الكاميرات في الشوارع الغربية ترصد حركة الناس لدرجة أنه لم يعد يملك الإنسان هناك إلى حياة خاصة.

والحقيقة أن موضوع مراقبة المواطن في الغرب بدأت منذ أن نشر جورج أورويل كتابه (1984)وأشار فيه إلى أنه في عام 1984 سيكون المواطنون في الغرب خاضعين إلى المراقبة المستمرة والاستبداد السياسي. وقد أعيد الحديث عن هذا الكتاب في بداية السبعينيات عندما أعلنت وكالة التحقيقات الفدرالية (FBI) أنها تحتفظ بملفات لعدد كبير من المواطنين الأمريكيين العاديين، وتساءل الأمريكان حينها لماذا تهتم هذه الوكالة بالاحتفاظ بكل هذا العدد من الملفات؟ وقد عرض برنامج في إحدى القنوات الثقافية الجادة أن الحكومة الأمريكية تقوم بمراقبة المظاهرات السلمية وتلتقط الصور لهذه المظاهرات وتستطيع بوسائل إلكترونية أن تتعرف إلى كل فرد في تلك المظاهرات وربما رُفض طلبه للعمل في الحكومة الفدرالية لهذا السبب مع أن المادة الأولى من الدستور الأمريكي تبيح هذا الأمر.

وعوداً للمراقبة فقد نشرت (الشرق الأوسط) في 16ذي القعدة 1413هـ أن الأجهزة الإلكترونية أصبحت تساعد على القبض على المجرمين من خلال الكاميرات

المنصوبة في الشوارع في المدن البريطانية. ويبدو أن الأمر قد راق الذين بدأوا في نشر هذه الكاميرات في الشوارع فازدادت عدداً وفي الوقت الذي تطورت فيه هذه الآلات أصبح الإنسان يعيش في فزع من أن يكون هناك من يتجسس عليه في كل لحظة من حياته. ومن الأمور التي تساعد في الغرب على التجسس أن الشقق المبنية من الخشب لا يفصل بين الجار والجار إلاّ جداراً رقيقاً وقد اخترعوا آلات عجيبة في التصنت وفي التصوير دون أن يشعر المواطن أنه يخضع لذلك.

وعادت (الشرق الأوسط،17ذو القعدة 1419) فنشرت تقرير نقلاً عن جريدة لوس أنجلوس تايمز عنونته ب (خصوصية الأفراد وحرياتهم تختفي في القرن المقبل أمام التطور التكنولوجي) وأوردت فيه مختلف الأقوال والتحليلات عن أوضاع مواطني دول الغرب من حيث ضياع خصوصياتهم الشخصية. ومن الأقوال المهمة في هذا التقرير ما قاله جون فالنتاين– رئيس شركة انفوجيلد – "انتهت أيام الحرية الشخصية ، ولا تستطيع في هذه الأيام حتى تغيير اسمك بسرية تامة." وقال جيمس ديمبسي – أحد نشطاء مركز الديموقراطية والتكنولوجيا في واشنطن:" قبل خمسة وعشرين عاماً كان الخوف من الملف الكبير والسجل الكبير وقاعدة المعلومات الكبيرة ، أما الآن فقد أصبحت أجهزة الكمبيوتر متصلة بعضها ببعض الأمر الذي يساعد على خزن المعلومات بسرعة فائقة وبدون عناء"

وقد عرضت محطة السي إن إن CNN يوم الأحد 19ذو القعدة برنامجاً خاصاً عن هذا الأمر استضافت أحد رجال الشرطة الداعين إلى التجسس ونشر الكاميرات في الأماكن العامة وبين مناضل عن الحريات الشخصية فظهر الاختلاف واضحاً فرجل الشرطة يريد لهذه الكاميرات أن تقوم بدور مساعد للحد من الجريمة والتعرف على سلوكيات رجال الشرطة بينما يخشى الآخر من طغيان هذه الكاميرات التي ستحد من الحريات الشخصية وأن القانون مازال عاجزاً عن مواجهة هذه التطورات المتسارعة في مجال المراقبة.

وإن حمّى نشر الكاميرات في الشوارع العامة وفي الميادين قد أصابت بعض العقلاء هناك بالفزع فأخذوا ينادون بأن الحرية الفردية الشخصية أصبحت مهددة. وتساءل البعض عن النواحي القانونية في هذا المجال. وربما كان هذا من أهم ما يميز حياة

الغرب أن التكنولوجيا تتطور تطوراً أسرع مما يتطور التشريع لديهم ذلك أنه تشريع بشري خاضع لأهواء البشر.

أما الإسلام فله تشريعاته السامية في هذا المجال والتي أرجو أن تتيح لنا العولمة لنقول لهم إن لدينا من التشريعات- والحمد لله- ما يمكنهم تطبيقه مهما تطورت الوسائل التكنولوجية وهذا من خصائص هذه الشريعة التي تتسم بالشمول والعموم.

وأول هذه التشريعات ما جاء في قوله تعالى)يا أيها الذين آمنوا اجتنوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه، واتقوا الله إن الله تواب رحيم((الحجرات 12). فلم يقع الابتداء بالنهي عن التجسس ولكن سبقه الحديث عن الظن السيء الذي يقود إلى التجسس فذكر القرطبي رحمه الله حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي في الصحيحين (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا) فقال القرطبي بعد ذلك: "قال علماؤنا: فالظن هنا وفي الآية هو التُّهمة. ومحل التحذير والنهي إنما هو تُهمة لا سبب لها يوجبها، كما يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر مثلاً ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك ...والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها، أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراماً واجب الاجتناب."

أما في قوله تعالى (و لا تجسسوا) فقال بعد أن بحث في الفرق بين التحسس والتجسس فالأول أن التجسس هو البحث عما يكتم عنك والتحسس طلب الأخبار والبحث عنها ويمكن أن يكون الفرق أيضاً أن التحسس ما أدركه الإنسان ببعض حواسه أو طلبه لنفسه أما التجسس أن يكون رسولاً لغيره. ومعنى الآية :" خذوا ما ظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين ، أي لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه حتى يطلّع عليه بعد أن ستره الله. وأورد بعد ذلك الحديث الذي رواه أبو داود عن معاوية وفيه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم) فقال أبو الدرداء :كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه الله تعالى بها .ووردت أحاديث أخرى تنهى عن التجسس واتباع

أخبار الناس ومن ذلك ما رواه المقدام بن معدي كرب عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم (إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم)

ولعل من أبلغ النهي عن التجسس حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام: (من اطّلع في بيت قوم بغير إذنهم حَلّ لهم أن يفقئوا عينه.)رواه البخاري ومسلم وقد أورد أبو داود (ففقئوا عينه فقد هّدِرت) وجاء في صحيح البخاري قوله صلى الله عليه وسلم (ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صّبّ في أُذنيه الآنُك (الرصاص المذاب) يوم القيامة.)

وقد تحدث الشيخ حسن أيوب في هذا الموضوع في كتابه القيم (السلوك الاجتماعي في الإسلام) بقوله :" وهكذا يجب أن يفهم الملمون دينهم وأن يدركوا أن للمسلم ولكل إنسان مسالم حرمته وأن حرمة المسلم في مسكنه وفي أقواله وأفعاله وآرائه وأفكاره يحب أن تصان وتحترم.

فهل يتعلم الغرب من تشريعات الإسلام العظيمة. وكم كنت أتمنى لو أن محرر الصحيفة التي نقلت تقرير الصحيفة الأجنبية (لوس أنجلوس تايمز) ذكر التشريعات الإسلامية في هذا الباب لكنّا أفدنا من سعة انتشار هذه الجريدة وما يمكن أن تؤديه من خدمة للدعوة الإسلامية.

==============

#الرد على منتقدي دراسة الغرب >

يصر البعض على استخدام صورة النعامة التي تدفن رأسها في الرمال لوصف من يُتهمون بالغفلة؟ وأعتقد أن علماء الحيوان أشاروا إلى أن النعامة مظلومة بهذا الوصف. وليس مهماً أن تكون النعامة مظلومة أو ظالمة. ولكن كيف يمكن أن نصف من يزعمون أن الاستغراب أو دراسة الغرب ما هي إلا صورة كاريكاتورية تضع المفكرين الغربيين في زنازين محكمة وأن الاستشراق الذي نريد أن نواجهه قد انتهى أو قد ضعف و أنه أضعف الفروع المعرفية في الجامعات الغربية منذ بدأ؟

كتب علي حرب في جريدة عكاظ (4صفر 1419) ينتقد موقف حسن حنفي في كتابه (مقدمة في علم الاستغراب) مختصراً الكتاب كله الذي تتجاوز صفحاته السبعمائة إلى صورة كاريكاتورية كما يأتي: " أين تكمن مهمة المفكر العربي ؟ وما

مهمتـه؟ ...بسؤال آخـر : هل المهمـة أن نقوم بمحاصـرة المفكرين الغـربيين وأسـرهم لتجميعهم فـي "طـوابير" واستعراضـهم ،ومـن ثـم فـرزهم إلـى مجموعـات، ووضـع كـل مجموعـة فـي "زنزانـة" محكمـة الإغـلاق." ويؤكـد الـدكتور علـي حـرب أنـه هـذه هـي الصورة التي خرج بها من قراءة كتاب حسن حنفي (مقدمة في علم الاستغراب.)

فهل حقيقة هذه هي الصورة التـي قصـدها الـدكتور حسـن حنفـي فـي كتابـه الضـخم (مقدمـة فـي علـم الاسـتغراب)؟ يبـدو أن بعـض المفكـرين والكتـاب العـرب يـزعجهم أن يـأتي مـن يقـول بقـوة وإيمـان أننـا باسـتطاعتنا أن نـدرس الأمـم والشـعوب الأخـرى كمـا تدرسنا. لقد طالمنـا أخضـعَنا الغـرب لدراساته فـي شـتى المجـالات العقديـة والتاريخيـة واللغويـة والأدبيـة والاجتماعيـة والثقافيـة ودُرسـت أراضـينا جغرافيـاً وجيولوجيـاً وزراعيـاً حتى لم يعد صغيرة ولا كبيرة في العالم العربي الإسلامي لم تخضع للدراسة والفحص والتحليل من قبل الباحثين الغربيين. لقد أحصيت ثمانية عشر قسماً بجامعة كاليفورنيا في بيركلـي تـدرس العـالم العربـي الإسـلامي. هذا بالإضـافة إلـى الدراسـات التـي نقوم نحن بها ويفيدون هم منها.

لقد طالب الدكتور حسن حنفي أن نأخذ المبادرة لدراسة الغرب ولمعرفته معرفة علمية موثقـة ولا ننتظـر أن يخبرنـا الغـرب عن نفسـه فقط حتـى لا نتحـول إلـى مجرد متلقين لمـا يقولـه الغـرب عـن نفسـه وعنّـا. وقد قـدّم حسـن حنفـي مبرراتـه لتحولنـا مـن ذات مدروسـة إلـى ذات دارسـة بقولـه عن مهمـة علـم الاستغراب بأنهـا " فك عقدة النقص التاريخيـة فـي علاقـة الأنـا بـالآخر والقضـاء علـى مركب العظمـة لدى الآخـر الغربـي بتحويلـه مـن ذات دارس إلـى موضـوع مـدروس ، والقضـاء علـى مركـب النقص لـدى الأنـا بتحويلـه من موضـوع مـدروس إلـى ذات دارس، مهمتـه القضـاء علـى الإحسـاس بـالنقص أمـام الغـرب، لغـة وثقافـة وعلمـاً مـذاهب ونظريـات وآراء ممـا يخلـق فـيهم إحساساً بالدونية.."(ص24) ويقول فـي موضـع آخـر أن " مهمـة علـم الاسـتغراب هـو القضاء على المركزية الأوروبية ...مهمة هذا العلم الجديد رد ثقافة الغرب إلى حدوده الطبيعيـة بعـد أن انتشـر خـارج حـدوده أبـان عنفوانـه الاسـتعماري مـن خـلال سـيطرته علـى أجهـزة الإعـلام وهيمنتـه علـى وكـالات الأنبـاء ، ودور النشـر الكبـرى ، ومراكـز الأبحاث العلمية ، والاستخبارات العامة ..."

وقد تضمن الكتاب دراسات عميقة لتاريخ الفكر الأوروبي مبتدئاً بالحديث على مصادر الفكر الأوروبي وقسمها حنفي إلى مصادر معلنة ومصادر غير معلنة وتوسع حنفي في الحديث عن الإسلام باعتباره أحد مصادر الفكر الأوروبي التي حاول الغرب بإصرار رفض اعتباره أحد مصادر فكرهم حيث يتمسك الأوروبيون بأن مصادر فكرهم هي المصدر اليوناني الروماني والمصدر اليهودي المسيحي بينما هناك مصادر غير معلنة وهي المصدر الشرقي القديم ويقصد حنفي بهذا المصدر الإسلامي والمصادر الشرقية قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم .والمصدر الآخر غير المعلن هو البيئة الأوروبية نفسها.

ونقول : إن كان للدكتور حنفي مبرراته القوية في أهمية دراسة الغرب التي لا يمكن أن تكون كما جاءت في الصورة الكاريكاتورية التي وردت في مقالة على حرب العكاظية فإننا ننطلق في أهمية دراسة الغرب من القرآن الكريم الذي عرض لنا عقائد الأمم الأخرى وبخاصة أهل الكتاب من اليهود والنصارى وعقائد المشركين العرب وانعكاس هذه العقائد على السلوك الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. إن المسلم من أجل أن يدرك عظمة العقيدة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعرف الانحرافات التي حدثت في عقائد الأمم الأخرى والانحرافات السلوكية المنبثقة عن هذه العقائد. وكيف يولد " ميتاً " علم ينطلق من هذا الأساس وتتبناه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من خلال قسم الاستشراق(القسم الوحيد في العالم الإسلامي) وتنادي به ندوة أصيلة في المغرب من خلال إنشاء معهد الدراسات الأمريكية؟

ولا بد من الرد على عبارة علي حرب التي جاء فيها (أما علم الاستغراب فقد ولد ميتاً ، لأنه تأسس بعقلية نضالية لا ترمي إلى توسيع آفاق المعرفة أو إلى تحديث أدوات الفهم والتفسير) فهذه أحكام قاسية تحتاج إلى دليل وأعرف أن المساحة المتاحة لمقالة علي حرب لا تستوعب مثل هذا التوضيح ولكن هذه هي التعميمات الجزافية التي تعد من مثالب البحث العلمي أو التفكير المنطقي. كيف لعلي حرب أن يزعم أن هذا العلم ولد ميتاً. ألم يعلم أن المسلمين في عصور ازدهارهم اهتموا بعقائد الأمم الأخرى وأسسوا علم الملل والنحل. وكتب في ذلك ابن حزم والبغدادي وابن تيمية

وابن قيم الجوزية وغيرهم كثير. ألم يقرأ ما كتبه أسامة بن منقذ في كتابة رسالة الاعتبار التي تعد نموذجاً رائعاً في دراسة الآخر.

ثم أين العقلية النضالية فيما كتبه الدكتور حسن حنفي؟ هل في إصراره أن نتحول من ذات مدروسة إلى ذات دارسة. ألم يحضر علي حرب المؤتمرات الغربية حول قضايا العالم الإسلامي التي نظهر فيها كأننا داخل معامل يدرسوننا كما يشاءون ؟ مع الاعتذار عن التعبير– ألم يأن الأوان أن نبدأ في دراستهم؟ ونسأل الدكتور علي حرب ما معنى توسيع آفاق المعرفة وتحديث أدوات الفهم؟ هل ننتظر من الغربيين أن يأذنوا لنا بدراستهم أو نستعير مناهجهم في دراسة الغرب؟

وننتقل الآن إلى النقطة الثانية وهي زعم الدكتور علي حرب أن الاستشراق " الذي كان أضعف فروع المعرفة في الغرب هو في طريقه إلى الانقراض..لقد استنفد دوره بقدر ما تأسس على بداهات تقوم على الحجب والاستقصاء ، أما علم الاستغراب فقد ولد عندنا ميتاً لأنه تأسس بعقلية نضالية لا ترمي إلى توسيع آفاق المعرفة أو إلى تحديث أدوات الفهم والتفسير."

وأبدأ في تناول موضوع أن الاستشراق كان أضعف فروع المعرفة في الغرب فإلى أي شيء استند علي حرب في هذه المقولة؟ هل زار أقسام الدراسات العربية والإسلامية في الغرب؟ هل اطلع على اللجان الحكومية التي تألفت في بريطانيا وأمريكا واقترحت تقديم الملايين لدعم هذه الدراسات وأنها ضرورية لمصالح الدول الغربية؟ هل زار مكتبات هذه الأقسام وهل اطلع على المؤتمرات والندوات التي عقدتها هذه الأقسام؟ هل اطلع على دائرة المعارف الإسلامية التي كتب فيها مئات المستشرقين واستغرقت ألوف الصفحات في طبعتيها الأولى والثانية؟ هل اطلع على مئات الدوريات والمقالات التي لا تزال تصدر عن أقسام الدراسات العربية والإسلامية؟

إن زعم الدكتور علي حرب أن الاستشراق ضعيف وفي طور الانقراض يناقضه ما نرى من نشاطات علمية وفكرية في الغرب حول العالم الإسلامي ومن ذلك أنّ الجمعية الدولية لدراسات آسيا وشمال أفريقيا قد عقدت مؤتمرها الخامس والثلاثين في بودابست بالمجر وحضره أكثر من ألف باحث من أنحاء العالم وقدموا مئات البحوث

على مدى ستة أيام وقد تكلف عقد مثل هذا المؤتمر ملايين الدولارات وقد اشتركت مؤسسات مالية غربية وآسيوية في تمويل هذا المؤتمر.

وعقد قبل هذا المؤتمر مؤتمر آخر بعنوان (الإسلام والقرن الواحد والعشرين) في ليدن بهولندا حضره أكثر من مائتي عالم من أنحاء العالم . ولا بد أن علي حرب يعرف أن رابطة دراسات الشرق الأوسط في الولايات المتحدة تعقد مؤتمرها السنوي هناك ويحضره ما يزيد على ألف باحث. ولجمعية دراسات الشرق الأوسط في بريطانيا مؤتمر سنوي يحضره المئات من الباحثين من أنحاء العالم.

كيف يكون الاستشراق أو الدراسات العربية الإسلامية أو الدراسات الإقليمية أضعف فروع المعرفة وهذه وزارات الخارجية الأوروبية والأمريكية تستعين بالمختصين من هذه الأقسام ومراكز البحوث والمعاهد العلمية في التخطيط لسياساتها حتى كتب أحمد برصان ذات مرة مقالة بعنوان (كيف تصنع الجامعات الأمريكية قرارات وزارة الخارجية والحكومة الأمريكية؟) وهذه الرسائل العلمية تعد بالألوف التي تنجز في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأوروبا حول قضايا العالم العربي والإسلامي ويتم تقديم ملخصات علمية لها إلى المسؤولين في الحكومات الغربية ويتم الإفادة من البحوث التي تقدم معلومات استراتيجية مهمة حول قضايانا.

كيف يكون الاستشراق أضعف فروع المعرفة في الغرب وهذه مكتبة الكونجرس تحصل على كل مطبوعة تظهر في العالم العربي الإسلامي حيث ينتشر مندوبو المكتبة في أنحاء العالم. ويعرف علي حرب وغيره أن المندوب يحصل على بعض المطبوعات أحياناً من المطابع قبل أن تصل إلى أيدي القراء. وبعد الاطلاع على ثلاثة نسخ من كل كتاب أو دورية يقرر المختصون الحصول على عشرة نسخ أو أكثر من المطبوعة أو الكتاب. وأحياناً إذا لم يتوفر الكتاب في المكتبات اتصلوا بالمؤلف للحصول على النسخ التي يريدون.

وكيف يكون الاستشراق أضعف فروع المعرفة ومراكز البحوث الغربية تنتشر في العالم الإسلامي وأذكر منها مراكز الدراسات الأمريكية في القاهرة وفي المغرب وفي تونس وفي اليمن. وهناك مراكز بحوث ألمانية في مصر ومركز بحوث هولندي في مصر ومراكز بحوث فرنسية منتشرة في أنحاء العالم العربي الإسلامي. أليست هذه

المراكز امتداداً للدراسات الاستشراقية أو هي فرع معرفي جديد؟ ويعرف الدكتور علي حرب أن الجامعة الأمريكية في بيروت وفي القاهرة وفي تركيا إنما هي مراكز استشراقية،وتقوم بجهود علمية كبيرة في استمرار الفكر الاستشراقي وفي التأثير في الاتجاهات الفكرية في البلاد التي توجد فيها وفيما حولها.

كيف يكون الاستشراق كما تقول وقد استضافت الجامعات الأمريكية والأوروبية العشرات أو المئات من الباحثين العرب والمسلمين وقدمت المناصب وفرص البحث لأمثال صادق جلال العظم ونصر حامد أبو زيد وعزيز العظمة، وفؤاد عجمي، وفضلو الرحمن، وغيرهم كثير، كما دعت البعض للعمل أساتذة زائرين في الجامعات الغربية؟

لقد دعي كاتب هذه السطور إلى زيارة العديد من الجامعات الأمريكية والمعاهد العلمية ومراكز البحوث التي تهتم بدراسة العالم الإسلامي فوجد أن هذه الجامعات ومراكز البحوث في ازدهار مستمر وأن الأساتذة يقومون بمئات أو آلاف البحوث وينشرون الكتب ويحضرون المؤتمرات وبينهم من التنسيق – بين أوروبا وأمريكا– أكثر مما بين الجامعات العربية الإسلامية وأحيانا الجامعات العربية في بلد واحد. إننا بحاجة إلى مزيد من الوعي لما يجري حولنا حتى لا نطلق الأحكام الجزافية على ما لا نعرفه

=============

#اشراقات الثقافة الاسلامية على نصارى الاندلس

محمد ماهر حماده

أطلق المسلمون أسم الأندلس على القسم الذي أحتلوه من شبه الجزيرة الايبرية0 وقد أرتقت الحضارة الاسلامية في تلك المنطقة من دنيا الإسلام ارتقاءً رائعاً ونافست الحضارة الإسلامية فيها حضارة الإسلام في المشرق, وبلغ من عظمة قرطبة وأزدهارها وخاصة إبان العهد الأموي في الأندلس إنها كانت أعظم مدينة في أوربا كلها وتأتي على قدم المساواة مع القسطنطينية وبغداد إبان عزهما0 وناهيك ببلدة بلغ عدد مساجدها 1600 مسجداً وحماماتها 600وفيها مائتا ألف دار وثمانون ألف قصر منها قصر دمشق شيده الأمويون حاكوا به قصورهم في بلاد الشام0 وقد بلغ

عدد أرباض قرطبة (ضواحيها) تسعة أرباض كل ربض كالمدينة الكبيرة , ودور قرطبة ثلاثون ألف ذراع , وفي ضواحيها ثلاثة الآف قرية في كل واحدة منبر وفقيه0 وقد قدر بعض المؤرخين عدد سكان قرطبة في أيام مجدها وعزها بمليوني نسمة, وكان بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون أمرأة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي. هذا في ضاحية من ضواحيها, فكيف ببقية الضواحي, وقد كانت شوارعها مبلطة وترفع قماماتها وتنار شوارعها ليلاً بالمصابيح ويستضئ الناس بسروجها ثلاثة فراسخ لا ينقطع عنهم الضوء. هذا شئ لم يحدث في أوربا إلا في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر . وطبعاً لم تكن قرطبة وحدها بهذا السمو فهناك طليطلة التي كانت لا تقل تألقاً وبهاءاً عن قرطبة, وهناك إشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية0000وإنما ذكرنا قرطبة كنموذج لما كانت عليه بقية المدن الأندلسية, لذلك لا غرابة إن أنتشرت المكتبات والكتب في جميع أنحاء البلاد وكثر عشاقها وكثر التأليف والمؤلفون , ولاسيما أنه وجد حكام شجعوا العلم وهم أنفسهم كانوا مثلاً عالياً في حب الكتب وجمعها والاهتمام بها كالحكم الثاني وغيره0

ولقد أنتشرت الحلقات التعليمية في أغلب جوامع الأندلس وبشكل خاص في المدن الرئيسية كقرطبة وطليطلة وإشبيلية, ولقد وجد في كل جامع مكتبة غنية بمختلف فروع المعرفة الأنسانية, فقد كان للحلقات التي تعقد في جامع طليطلة شهرتها وأهميتها وجذبت أليها الطلاب المسلمين والنصارى على السواء حتى لقد كان يقصدها طلاب نصارى من جميع أنحاء أوربا بما فيها أنكلترا وأسكوتلندا 0

وقد أحتفظت طليطلة بمكانتها هذه بعد سقوطها بيد الأسبان سنة 1085م حيث وجد فيها هؤلاء مكتبة غنية عامرة حافلة بالكتب في أحد مساجدها وقد بلغت شهرة هذه المكتبة من حيث هي مركز للثقافة أقصى البلاد النصرانية في الشمال0

والواقع أن الثقافة العربية الإسلامية والتربية والتعليم أنتشرت في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين في إسبانيا المسلمة إلى درجة جعلت دوزي المؤرخ المشهور يقول إن أغلب الناس في الأندلس أصبحوا قادرين على القراءة والكتابة, بل يمكننا أن نقول إن كل فرد تقريباً كان يعرف القراءة والكتابة0 وقد أنتقلت الثقافة العربية إلى المستعربين الأسبان وهم الإسبان النصارى الذين أقاموا في البلاد

الإسلامية وعاشوا تحت ظل الحكم الإسلامي , فقد سرت إليهم العادات الإسلامية وتعلموا اللغة العربية وكتبوا بها وألف بعضهم كتباً بها , بل واقتنوا مكتبات عربية0 يبدو ذلك واضحاً من نص يروي عن الكاتب النصراني المتعصب الفارو, ذلك أن هذا القس المهوس ببغض الإسلام وأهله كتب في القرن التاسع ميلادي يقول : " إن أخواتي المسيحيين يدرسون كتب فقهاء المسلمين وفلاسفتهم لا لتفنيدها , بل لتعلم أسلوب عربي بليغ0 واأسفاه, إنني لا أجد اليوم علمانياً يقبل على قراءة الكتب الدينية أو الأنجيل , بل إن الشباب المسيحي الذين يمتازون بمواهبهم الفائقة أصبحوا لا يعرفون علماً ولا أدباً ولا لغة إلا العربية , ذلك إنهم يقبلون على كتب العرب في نهم وشغف ويجمعون منها مكتبات ضخمة تكلفهم الأموال الطائلة في الوقتالذي يحتقرون الكتب المسيحية وينبذونها0000

بل أن كثيراً من رجال الدين في الأندلس تعلموا اللغة العربية وألفوا بها , فقد نقل يوحنا رئيس أساقفة أشبيليه التوراة من اللاتينية إلى العربية وذلك سنة 764م 0 كذلك نقل الأب فيسنتي ثمانية أجزاء من قوانين الكنيسة إلى اللسان العربي وأهداها إلى الأسقف عبد الملك في أبيات من الشعر العربي مطلعها0

كتاب لعبد الملك الأسقف الندب جواد نبيل الرفد في الزمن الجدب

وصنف ربيع بن زياد الأسقف كتاباً في تفضيل الأزمان ومصالح الأبدان وآخر بعنوان الأنواء0 وألف بدرو الفونسو (1062 – 1110م) كتاباً بالعربية عنوانه : تعليم رجال الدين0 ثم ترجمه إلى اللاتينية, ومنها نقل إلى لغات كثيرة وقد طواه على ثلاث وثلاثين قصيدة شرقية أقتبسها من حنين بن أسحق ومباشر (لعل الاسم الصحيح المبشر بن فاتك) وكليلة ودمنة0 لذلك إذا رغب الطالب الإسكتلندي أو الانكليزي الأستزادة من أرسطو والتعمق فيه أكثر مما يسنح له في الترجمات اللاتينية الميسورة فلا مندوحة له من الرحيل الى طليطلة ليتعلم هناك كيف يقرأ كتب اليونان باللغة العربية0 وقد تحدث هيستر باش Ceasar of Heister Bach عن شباب قصدوا توليدو (الصواب طليطلة) ليتعلموا الفلك لذلك لا غرابة إن لعبت الأندلس الدور الرئيسي في نقل معارف المسلمين العقلية وكتبهم الى أوربا ولا سيما أن تذكرنا أنه كانت هناك فئة أخرى من السكان المقيمين تحت الحكم الأسلامي هم اليهود

والذين تمتعوا بالحرية الدينية المطلقة تحت حكم الإسلام وتعلموا اللغة العربية وألفوا بها إلى جانب أتقانهم اللغة اللاتينية والعبرانية, ولقد أصبح هؤلاء اليهود إلى أجانب المستعربين وعدد من اللاتينيين الوسطاء في عملية النقل هذه0

المصدر: روح التحرر في القرآن

==================

#العلاقات بين المسلمين والنصارى

عبد العزيز الثعالبي

اندلعت الحروب الصليبية وأخذت تظهر لدى المسلمين آثار تعصّب النصارى الرهيب، في ذلك العصر.

ولئن انجرّ لا محالة عن الحروب الصليبية ما شهدته أوروبا من تقدّم حضاري، نتيجةً للاتصال المفروض بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية خلال الحرب، فقد كانت النتائج عكسيّة بالنسبة إلى المسلمين الذين كانوا مغرمين بالبسالة والمجد والمآثر الحربية ومعجبين بدون تحفّظ بشجاعة الفرسان الصليبيين التي لا تقهر وميلهم إلى سفك الدماء، فأخذوا يسعون إلى محاكاتهم.

ومن ناحية أخرى فقد كان كلّ مسلم معتبراً في نظر الصليبيين، مارقاً عن الدين وكافراً وفاقداً للإيمان، وهو لا يستحق أية شفقة ولا رحمة ويتحتّم قتله مهما كان الأمر. ومن باب ردّ الفعل كان من الضروري أن يعامل المسلمون كلّ صليبي _ بل كلّ مسيحي_ بالمثل.

وبذلك ندرك مدى الغبطة والحماس اللذين كان المسلمون يتقبّلون بهما كلّ تفسير يعمد إلى تحريف النصوص وإبراز ما تعبّر عنه من حقد وتعصّب تجاه غير المسلمين.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤلفات التي هي من هذا القبيل كانت تعدّ بالآلاف في عصر الحروب الصليبية.

وقد آل الأمر بالمفسرين إلى الاصداع بالمبدأ الذي رفعوه إلى مستوى الحقيقة الدينية:

"يجوز للمسلمين أن يبرموا مختلف معاهدات التحالف والحماية مع كافّة الشعوب والأجناس، ما عدا النصارى، فمن واجبهم اعتبار أنفسهم في حالة حرب معهم. كما يحجّر عليهم زيارة أقطارهم والتعامل معهم وربط علاقات تجارية معهم".

ولقد انجرّت عن ذلك المبدأ الحملات العسكرية الإسلامية الموجهة ضدّ الأقطار المسيحية وهجومات القراصنة المتواصلة.

فعلى إثر الحروب الصليبية اندلعت الحروب بإسبانيا وشنّ المسيحيون على المسلمين حرباً ضروساً بلا رحمة ولا هوادة، وصارت الأقاليم الإسلامية المحتلّة خاضعة لسلطة محكمة التفتيش أثناء فترات الهدنة أو الفترات الموالية لمعاهدات السلم. فكانت تلك المحكمة تعذب المسلمين وتحرقهم وهم أحياء لكونهم مسلمين وتصادر أملاكهم وتطردهم من بلادهم ومسقط رؤوسهم. وهكذا فقد أجبرَ الإسبانيون المسلمون _أو الأندلسيون كما نسميهم اليوم _ على مغادرة إسبانيا والإلتجاء إلى بعض الأقطار الأخرى ولا سيما المغرب والجزائر وتونس.

وهكذا فقد تمّ عزل المسلمين في افريقيا وآسيا ولم يتمكّنوا من البقاء في القسم الأوروبي من تركيا إلا بحدّ السيف. ولم يعد بإمكانهم حتى التحوّل فرادى إلى أوروبا، لأنهم كانوا يخشون أوّلاً مخالفة أو انتهاك الشريعة الإسلامية، وكانوا يخشون التعرض للتعذيب من قبل محاكم التفتيش من جهة ثانية.

وبناء على موقف النصارى من المسلمين وما كانت تحدو هؤلاء من روح الانتقام، فقد أغلقت أبواب "الإسلام" واعتزل المسلمون في ديارهم وانصرفوا إلى شؤون دينهم.

إلا أنّنا نلاحظ في الأقطار الأوروبية أثناء القرون الوسطى إلى غاية القرن الثامن عشر من الميلاد، أنّ الفلاسفة والعلماء الذين يتجرّأون على الإعلان عن إحدى الحقائق العلمية أو الفلسفية المنافية لمبادىء الإنجيل أو المخالفة لتعاليم الدين المسيحي، يتعرّضون هم أيضاً للحرق ويعاملون معاملة المتطاولين على الدين.

والجدير بالملاحظة أن المسلمين قد حافظوا على نفس تلك التقاليد. فكانت كلّ روح تحرّرية محكوماً عليها بالإعدام، إن لم يكن على أيدي الجلادين في الساحة العمومية، فبواسطة السخرية.

أما في العصر الذي نعيش فيه اليوم وفي الوقت الذي بلغت فيه الحضارة أوج تطوّرها وفي حين أصبح التقدم مطرداً وصارت البشرية متضامنة مع بعضها بعضاً تسعى إلى الاعتماد على الجهود الفردية لفائدة المصلحة المشتركة، فهل يمكن، عن طيب خاطر، استثناء أربعمائة مليون مسلم من تلك الحضارة؟ وهل يجوز إقصاؤهم، لا بالنسبة إليهم ولا بالنسبة إلى ما يمكن أن يستخلصوه من تلك الحضارة من خير لهم، بل باعتبار أن المسلمين الذين أظهروا خلال العصور الإسلامية الأولى مدى قوّتهم وتقدّمهم الفكري وما أسفر عنه ذلك من نتائج، وباعتبار أن المسلمين الذين حقّقوا تقدّم الحضارة والرقيّ والتسامح والحرية، تقدماً لم تعرف له مثيلاً لا أوروبا ولا العالم بأسره الذي ما زال معجباً بذلك، وباعتبار أن المسلمين يستطيعون اليوم، إذا ما أزالوا كل تلك الأفكار الخاطئة التي أملاها عليهم بعض المفسّرين والعلماء والفقهاء، وإذا كانوا جديرين بتلقي ثقافة متماشية مع مبادىء الرقيّ والحضارة بفضل تطبيق مبادىء التحرّر التي نلاحظها في كلّ آن وحين من خلال كل آية من آيات القرآن الكريم، نقول: إن المسلمين يستطيعون تحقيق ما وعدوا به في الماضي والحاضر، لأنهم لا يمثلون جنساً هو دون الأجناس الأخرى من حيث الذكاء، كما أنهم يستطيعون المساهمة في تقدّم الحضارة البشريّة.

____

المصدر : روح التحرر في القرآن

==================

#الاسلام من منظار هؤلاء

محمد كامل عبد الصمد

* قال المسيو واميري المجري :

" إنـي أعتقد في الحقيقة أن روح نظام المسلمين دين الإسلام , وهو الذي أحياهم, والذي يتكفل لهم بالسلامة, إنما هو الإسلام فقط "0

* وقال المسيو بيرك في البرلمان الانجليزي :

" إن دين الإسلام, هو أحكم وأعقل وأرحم تشريع عرفه التاريخ البشري "0

* وقال شارل ميزميز الفرنسي المعروف :

" لو وجد دين الاسلام المبلغين المقتدرين , الذين يقدرون المذاكرة والتفاهم مع علماء النصارى في هذه الأزمنة التي تنتشر فيها مذاهب الضلالة المتفرقة, لأسلم الناس في أوربا "0

* وقال المستر " إدوارد ورمي " الأمريكي :

" 000ألم يأن لنا أن نعترف – نحن الذين نعد أنفسنا في أعلى قمة التهذيب – بأنه لولا التهذيب الاسلامي , ومدنية المسلمين وعلومهم وعظمتهم, وحسن نظام جامعاتهم, لكانت أوربا اليوم تهيم في ظلام ليل بهيم000ألا يمكن أن يقال حقاً : إن أوربا المسيحية بذلت كل في بوسعها منذ قرون لتخفي شكرها للعرب المسلمين !00دع أوربا تعترف بخطئها, دعها تعلن للعالم أجمع عن غباوتها الغريزية 000أنها ولا شك ستضطر يوم للاعتراف بالدين الأبدي المدينة به وهو الإسلام "0

وقال ايضاً :

" قبل أن نشرح علاقة الاسلام بالمدنية الحديثة ونبين المركز الرفيع الذي يحله بين الديانات العالمية المعروفة , يجب علينا أن نرجع إلى الأيام التي سلفت قبل ظهور النبي محمد (ص) , ونتبين ما كان عليه سكان البادية من عبادة الأصنام وسوء العادات, ثم نبحث عن الإصلاحات التي أدخلها النبي الكريم في شبه الجزيرة, إذ الاشياء تتميز بضدها000لقد كانت بلاد العرب غارقة قبل نبوة محمد (ص) في أحط الدركات, حتى أنه ليصعب علينا وصف تلك الخزعبلات التي كانت سائدة في كل مكان 0000 والحروب الدائمة بين القبائل المختلفة وعدم وجود حكومة قوية000"0

* وقالت مدام "بيرون" رئيسة جمعية الدفاع عن حقوق المرأة في باريس :

"إن محمدا (ص) لم يكن عدواً للمرأة , كما يظهر من أقوال بعض الذين أساءوا فهم روح التشريع الذي جاء به, فينبغي أن نتصور الزمان الذي عاش فيه لنعرف قيمة أصلاحه "0

* وقال الباحث الكبير "سنكس" :

" ظهر محمد(ص) بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة, وكانت مهمته ترقية العقول البشرية 0000فقد كان يتلقى معارفه من الملأ الأعلى , وهي تعاليم رقت عقول الملايين من الناس , ولا تزال ترقي شعوباً متأخرة "0

وقال أيضاً :

" إن المسلمين يزدادون كل يوم عدداً وذلك دليل على حيوية دين الإسلام وعظمته 0"

كما قال :

" لم يأت محمد (ص) لمكافحة التوراة والأنجيل , بل أنه يقول : إن هذين قد أنزلا من السماء مثل القرآن لهداية الناس الى الحق , وإن تعاليم القرآن جاءت مصدقة لهما , ولكنه لم يأخذ منهما "0

ومضى "سنكس" يقول :

" إن الدين المحمدي قد أحدث رقياً عظيماً جداً في تدرج العاطفة الدينية , فقد أطلق العقل الانساني من قيوده التي كانت تأسره حول المعابد بين أيدي الكهنة من ذوي الأديان المختلفة, فارتفع إلى مستوى الاعتقاد بحياة أخرى وراء هذه الحياة, يجازى فيهاالفرد على أعماله , كما أرتفع إلى مستوى الاعتقاد بإله واحد يمكن أن يعبده ويرتفع بروحه إليه دون أن يتوسط له وسيط0

ثم أن محمداً (ص) بتحريمه الصور في المساجد وكل ما يمثل الله من تمثال , قد خلص الإنسانية من وثنية القرون الأولى الخشنة "0

* وقالت "إيفالا ماك ديمترا" العالمة الفرنسية المسلمة :

"إن ظاهرة إعتناق الاسلام في الوقت الحالي أمر يستحق التسجيل وجذب أنتباه العالم الأسلامي والعربي , وخاصة أن الإسلام يعد محور بحث وجذب للعقول المستنيرة الباحثة الدارسة"0

كما قالت :

" إن التاريخ يسجل أن العلماء والباحثين والأساتذة كانوا في الماضي ينجذبون إلى الإسلام ويعتنقونه 00أما في الوقت الحالي فإن الإسلام يعد مصدر جذب لكل

الفئات فيعتنقونه, لأن الدعوة الاسلامية أصبحت ظاهرة وحقيقة واضحة في الوقت الحالي "0

ومضت تقول :

" إن اعتناق الشباب للإسلام في أوربا يأتي نتيجة لتساؤلات ملحة في أذهانهم ولا يجدون لها إجابات فيما يدور حولهم, وبالتحديد في الكنيسة "0

ثم أضافت قائلة :

" إنه ربما يكون من أسباب اعتناق الشباب الأوربي للإسلام هو الأقتناع بالإسلام كدين ومعرفة , وخاصة أن الشباب في أوربا يعيش حياة حرة, وتم تدريبه وتربيته على الفهم وإعمال الفكر , فهو لا يتقبل أمورا يكون للنظم السياسية يد فيها , لما لها من تيارات تثير غضب الشباب الى جانب ماتمليه عليهم الكنيسة من أوامر ونواه لا يعتبرونها منطقية على الإطلاق "0

* ويقول الأديب الروسي "تولستوي" :

" لاريب أن محمداً (ص) من كبار المصلحين الذين خدموا المجتمع البشري, ويكفيه فخراً أنه هدى أمة كبيرة إلى نور الحق"0

* ويقول المؤرخ الانكليزي "مستر ولزان" :

"000إن محمداً هو الذي أستطاع في مدة وجيزة لا تزيد على ربع قرن أن يكتسح دولتين من أعظم دول العالم , وأن يقلب التاريخ رأساً على عقب , وأن يكبح جماح أمة أتخذت الصحراء المحرقة سكناً لها , والأخذ بالثأر واتباع آثار أبائها , فمن ذا الذي يشك أن القوة الخارقة للعادة التي أستطاع بها محمد أن يقهر خصومه هي ليست من عند الله ؟ "0

* ويقول الشاعر الفرنسي "لامارتين" :

" إن حياة مثل حياة محمد , وقوة كقوة تأمله وتفكيره وجهاده , ووثبته على خرافات أمته وجاهلية شعبه, وشدة بأسه في لقاء ما لقيه من عبدة الاوثان, وإعلاء كلمته , ورباطة جأشه , لتثبيت أركان العقيدة الإسلامية, إن كل ذلك لدليل على أنه لم يكن يضمر خداعاً , او يعيش على باطل, فهو فيلسوف وخطيب ورسول ومشرع وهادي الإنسانية الى العقل ومؤسس دين لافرية فيه , ومنشئ عشرين دولة في الارض ,

وفاتح دولة روحية في السماء, فأي رجل أدرك من العظمة الأنسانية مثلما ادرك ؟ !
000وأي إ نسان بلغ من مراتب الكمال مثلما بلغ؟ "0
* وقال " جوته " الأديب الالماني الشهير بعد أن درس أصول الأسلام :
" إذا كان الإسلام هو هذا , أفلا نكون جميعاً مسلمين ؟"0
* وقال "ازوالدويرث" :
" إنني تبينت أنني أدين بدين الإسلام بدون شعور مني بذلك " 0
* وقال القس "لوزون" الفرنسي :
" ليس محمد نبي العرب وحدهم بل هو أفضل نبي قال بوحدانية الله تعالى "0
* وقال البروفيسور "ليل" :
" إن حياة محمد التاريخية لا يمكن أن توصف بأحسن مما وصفه الله تعالى حيث قال : (وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين) 000إن اليتيم العظيم قد برهن بنفسه على أنه أعظم الرحمات لكل ضعيف, ولكل محتاج الى مساعدة , لقد كان محمد رحمة حقيقية لليتامى وابناء السبيل والمنكوبين , وجميع الفقراء والعمال ذوي الكد والعناء "0
* وقال الاديب الفرنسي "فولتير" :
" إن أكبر سلاح أستعمله المسلمون لبث الدعوة الإسلامية هو اتصافهم بالشيم العالية اقتداءً بالنبي محمد "0
* يقول المستشرق "ماكدونالد" :
" الإقبال على الإسلام في الغرب يرجع بصورة عامة الى عاملين أثنين :
الأول : أن المجتمع الغربي فقد الى حد كبير معاني الدين, فأصبح مجتمعا لا يدين بأي دين , لا بالنصرانية ولا بغيرها , ومن طبيعة الإنسان أن يكون مقتنعاً بدين, ومعتقداً بعقيدة0
الثاني : إن الإسلام دين سهل يلبي متطلبات الفطرة التي خلق الله الإنسان عليها, فلهذا يقبل الناس في الغرب على الإسلام أكثر من أي ديانة أخرى, سواء كانت سماوية كالنصرانية واليهودية, أو وضعية كالبوذية وما شاكلها "0
* ويقول المستشرق "باول شمتز" :

" إن انتفاضة العالم الإسلامي صوت نذير لأوربا , وهتاف يجوب آفاقها , يدعوها الى التجمع والتساند لمواجهة العملاق الذي بدأ يصحو 000"

ثم يضيف قائلا :

" إن قوة القرآن في جمع شمل المسلمين لم يصبها الوهن, ولم تفلح الأحداث الكثيرة في زعزعة ثقتهم به000وإن الروح الإسلامية لا تزال تسيطر على تفكير القادة وعواطفهم , وستظل كذلك ما دامت الشعوب الإسلامية قد ربطت مصيرها بتعاليم الإسلام وأعتقدت أنه الرباط الجامع بين أجناسها المختلفة 000"0

* اعتراف يهودي :

أكد عالم الاجتماع اليهودي "أرنست غلتو" في حديث له مع صحيفة "التايمز" الإنجليزية :

" أن الإسلام مناسب لحل الأزمات السياسية والاجتماعية المعاصرة000وأنه نجح في الصمود أمام المذاهب الإلحادية, مع أن بقية الأديان قد خسرت الجولة , وخاصة على الصعيد السياسي"0

ثم أضاف قائلاً :

" إنني أعترف بأن الإسلام دين المساواة وبأن معطياته عظيمة00 كما أعترف أيضاً بأن العديد من الخرافات غطت على وجهه الحقيقي أمام الغربيين "0

المصدر : الجانب الخفي وراء اسلام هؤلاء

====================

#مع المستشرق الفرنسي هنري كاستري في كتابه "
الاسلام, خواطر وسوانح "

محمد كامل عبد الصمد

يعد الكونت " هنري كاستري " من اكثر المستشرقين الاجانب انصافاً للاسلام0 يقول في كتابه " الاسلام خواطر وسوانح " : " إن غاية ما يرمى إليه هو إطلاع مواطنيه على صورة صحيحة للأسلام حتى يحاطوا بأصدق المعلومات عن العقيدة التي

يعتنقها بعض رعاياهم في القارة الافريقية, مما يسهل لهم التفاهم معهم والسيطرة عليهم"0

ومن الجدير بالذكر أنه قد بدأ كتابه بمقدمة أوضح فيها الظروف التي دعته الى تأليفه :

" ذات يوم عندما كنت ضابطاً في الجيش الفرنسي بالجزائر0 خرجت أجوب الصحراء في ولاية وهران وخلفي ثلاثون من الفرسان العرب000وعندما حان وقت الصلاة, ترجلوا عن جيادهم واصطفوا لأداء صلاة العصر جماعة " هذا, وقد وصف شعوره– عندما أضطر أن يتنحى جانباً حتى يفرغوا من أداء صلاتهم– بقوله :

" كنت أود لو أن الارض أنشقت فابتلعتني, وجعلت أشاهد البرانس العريضة تنثني وتنفرج بحركات المصلين, وأسمعهم يكررون بصوت مرتفع " الله أكبر 000الله أكبر " فكان لهذا الأسم الإلهي أثر عجيب في نفسي وكنت أشعر بحرج لست أجد لفظاً يعبر عنه بسبب الحياء والانفعال00 كنت أحس بأن اولئك الفرسان الذين كانوا يتدانون امامي قبل هذه اللحظة, يشعرون في صلاتهم بأنهم أرفع مني مقاماً وأعز نفساً "0

ثم ذكر " كاستري " كيف دفعته تلك الخواطر الى الاستزادة من التعرف على مبادئ الإسلام , فكان من أهم ما لفت نظره الأسلوب الذي أنتشر به الاسلام00وكيف قاومه العرب في البداية , ثم أستجابوا له فرادى وأفواجا فيقول:

" لو كان دين محمد أنتشر بالعنف والإجبار للزم أن يقف سيره بانقضاء الفتوحات الاسلامية مع أننا لا نزال نرى القرآن يبسط جناحيه في جميع ارجاء العالم "0

ثم ضرب مثلا على ذلك بوجود عدة ملايين من المسلمين في الصين, مع أن الفتوحات الاسلامية لم تبلغ تلك البلاد!!

كما ضرب المثل بانتشاره بين الملايين من سكان القارة الافريقية !

ثم قال :

" وهكذا جلب الاسلام قسما عظيما من العالم بما أودع فيه من إعلاء شأن النفس "0

وتحدث كاستري عن تعذر أخراج المسلمين عن دينهم عندما تناول الصعوبات العديدة التي أعترضت سبيل المبشرين الفرنسيين في مستعمراتهم الإفريقية ومنها الجزائر – لحمل المسلمين على نبذ دينهم فقال :

" إن الإسلام ليس في أهله من يمرق عنه إلى غيره , وبعيد عن فكر المسلمين تصور هذا الامر , حتى أنهم لا يجدون لفظاً يعبرون به عن صفات من يأتيه, كما أنهم تحيروا في وصف المسلمين الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية , لأن فيها معنى من معاني الردة000"

بعدها قارن "كاستري" بين العجز عن حل المسلمين على ترك دينهم, ومايلقاه المسلمون – في الوقت نفسه – من يسر في أقناع غيرهم باعتناق دينهم 000

ثم أختتم "كاستري" كتابه بقوله :

" لو لم يكن للإسلام من فائدة إلا تحويل عبدة الاصنام من وثنيين إلى موحدين , وترقية أخلاقهم ومكانتهم, لكفى بذلك داعيا إلى معاملته بسياسة التلطف والاعتدال , جريا على قاعدة العمل بأخف الضررين"00000أنها عبارة تحمل المعاني العظيمة ما يغني عن الشرح والتعقيب0

المصدر : الجانب الخفي وراء اسلام هؤلاء

================

#توماس كارلايل : محمد شهاب أضاء العالم أجمع

محمد كامل عبد الصمد

يقول "توماس كارلايل" أحد كبار كتاب الأنجليز في كتابه "الأبطال" مدافعاًغيوراً على الاسلام :

" من العار أن يصغي أي انسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين بإن دين الإسلام كذب , وأن محمداً لم يكن على حق 000لقد آن لنا أن نحارب هذه الإدعاءات السخيفة المخجلة , فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمان لملايين كثيرة من الناس, فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذبة, أو خديعة مخادع

؟!000ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج لأصبحت الحياة سخفاً وعبثاً , وكان الأجدر بها ألا توجد 0000

هل رأيتم رجلاً كاذباً , يستطيع أن يخلق ديناً , ويتعهده بالنشر بهذه الصورة ؟!

إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتاً من الطوب لجهله بخصائص مواد البناء, وإذا بناه فما ذلك الذي يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد , فما بالك بالذي يبني بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة , وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس؟! "0

ثم يخلص بنتيجة لا تقبل جدالاً يقرها في حزم حين يقول :

" وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمداً رجلاً كاذباً متصنعاً, متذرعاً بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع, وما الرسالة التي أداها إلا الصدق والحق 000وماكلمته إلا صوت حق صادق , وشهاب أضاء العالم أجمع 0 ذلك أمر الله 00وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء "0

ويرد "كارلايل" على مزاعم أعدائه بأن محمداً لم يكن يريد بدعوته غير الشهرة الشخصية والسلطان وأن الطمع وحب الدنيا هو الذي دعا محمد الى دعوته , فيقول مفنداً مزاعمهم تلك :

" لقد أنطلقت من فؤاد ذلك الرجل الكبير النفس , المملوء رحمة وبراً وحناناً ونوراً وحكمة أفكار غير الطمع الدنيوي, وأهداف سامية غير طلب الجاه والسلطان 00لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة, يسطع أمام عينه سر الوجود بأهواله ومحاسنه ومخاوفه , لهذاجاء صوت هذا الرجل منبعثاً من قلب الطبيعة السامية , ولهذا وجدنا الأذان اليه مصغيه والقلوب لما يقول واعية000

لقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه, ومأكله, وملبسه, وسائر أموره وأحواله, فكان طعامه عادة الخبز والماء , وكثيراً ما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار 00فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة ؟"0

ثم يستطرد قائلاً :

" لقد كان في قلوب العرب جفاء وغلظة, وكان من الصعب قيادتهم وتوجيههم واستطاع محمد أن يقودهم ويعاشرهم معظم وقته, ثلاثاً وعشرين حجة وهم ملتتفون حوله, يقاتلون بين يديه ويجاهدون معه000لهذا كان من يقدر على ترويضهم و

تذليلهم بطلاً000ولولا ما وجدوا فيه من آيات النبل والفضل لما خضعوا لإرادته , ولما أنقادوا لمشيئته0

وفي ظني أنه لو وضع "قيصر" بتاجه وصولجانه وسط هؤلاء القوم بدل هذاالنبي, لما أستطاع "قيصر" أن يجبرهم على طاعته, كما أستطاع هذاالنبي في ثوبه المرقع 00هكذا تكون العظمة 00وهكذا تكون البطولة00وهكذا تكون العبقرية "0

المصدر : الجانب الخفي وراء اسلام هؤلاء

===================

#اللورد هدلي يستعرض صورة الدين الحنيف

محمد كامل عبد الصمد

هناك مفكرون منصفون, لا غربيون فحسب, بل عالميون أيضاً, درسوا الإسلام دراسة عميقة فجرى في نفوسهم تيار تفهمهم له, حتى لقد أخذنا مدح الإسلام, منهم0

وهؤلاء الكتاب المفكرون ينقسمون الى فريقين :

فريق أعلن أسلامه في غير لبس ولا مراءاة, وجابه الرأي العام في بيئته بعقيدته, ثم أخذ يدعو إليها, مكرساً وقته وجهده لنشرها0

وفريق أحب الإسلام وأكتفى بمدحه, ولا ندري ماذا أسر في نفسه ؟!0

ويصف هذا الفريق "اللورد هدلي" بقوله :

" إنني أعتقد أن هناك ألافاً من الرجال –والنساء أيضاً– مسلمون قلباً, ولكن خوف الانتقاد والرغبة في الابتعاد عن التعب الناشئ عن التغيير منعهم من إظهار معتقداتهم "0

وسواء أكان هؤلاء الكتاب المفكرون اعتنقوا الاسلام وأعلنوه أمام الجميع , أم أحبوه وأعجبوا بما فيه من تعاليم ولم يجرءوا على أشهاره 000فسنذكر اراء كل واحد منهم0

* يقول اللورد هدلي ذاكراً بعض التعبيرات التي ترشد القارئ إلى سبب رفضه للمسيحية , وبالتالي سبب أعتناقه للدين الإسلامي :

" عندما كنت أقضي الزمن الطويل من حياتي الأولى في جو المسيحية, كنت أشعر دائماً أن الدين الإسلامي به الحسن والسهولة, وأنه خلو من عقائد الرومان

والبروتستانت0000وثبتني على هذا الاعتقاد زيارتي للشرق التي أعقبت ذلك , ودراستي للقرآن المجيد "0

0000ثم أسمع اليه يقول :

" يجب أن أعترف أن زيارتي للشرق ملأتني أحتراما عظيماً للدين المحمدي السلس, الذي يجعل الإنسان يعبد الله حقيقة طوال مدة الحياة لا في أيام الآحاد فقط "0

ويبدي دهشته من عالمية الإسلام الذي يدعو الناس كافة إلى عبادة إله واحد , هو الله الواحد الأحد , فيقول :

" أيمكن أذن , أن يوجد دين يمكن العالم الإنساني من أن يجمع أمره على عبادة الله الواحد الحقيقي, الذي هو فوق الجميع , وأمام الجميع بطريقة سهلة خالية من الحشو والتلبيك ؟"0

ويدعو البشرية الى التفكير الصحيح لكي تصل الى الحقيقة التي وصل أليها بدلا من الافتراءات والأكاذيب التي يروجها الكثيرون عن الاسلام فيقول :" ليس في وسع الإنسان في الحقيقة إلا أن يعتقد أن مدبحي وناسجي هذه الافتراءات لم يتعلموا حتى ولا أول مبادئ دينهم وإلا لما أستطاعوا أن ينشروا في جميع أنحاء العالم تقارير معروف لديهم أنهم محض كذب واختلاق "0

ويتكلم هدلي عن محمد (ص) بإعجاب وحب فيقول :

" كان (ص) مثابراً , لا يخشى اعداءه, لأنه كان يعلم بأنه مكلف بهذه المأمورية من قبل الله ,ومن كلفه بهذا العمل لن يتخلى عنه0000لقد أثارت تلك الشجاعة – التي كانت حقاً أحدى مميزاته وأوصافه العظيمة – إعجاب وإحترام الكافرين ,وأولئك الذين كانوا يشتهون قتله 0000ومع ذلك فقد أنتبهت مشاعرنا, وازداد إعجابنا به بعد ذلك في حياته الأخيرة , أيام أنتصاره بمكة عندما كانت له القدرة والقوة على الأنتقام , وأستطاعته الأخذ بالثأر, ولم يفعل, بل عفا عن كل اعدائه000عفا بلا قيد او شرط عن كل هؤلاء الذين أضطهدوه وعذبوه 00آوى اليه كل الذين كانوا قد نفوه من مكة, وأغنى فقراءهم000عفا عن ألد اعدائه عندما كانت حياتهم في قبضة يده, وتحت رحمته0

تلكل الأخلاق الربانية التي أظهرها النبي الكريم أقنعت العرب بأن حائزها لا يكون إلا من عند الله , وأن يكون رجلاً على الصراط المستقيم حقاً ,وكراهيتهم المتأصلة في نفوسهم قد حولتها تلك الأخلاق الشريفة الى محبة وصداقة متينة"0

ثم يتابع وصفه لحياة محمد (ص) فيقول عنها :

" أنها كمرآة أمامنا تعكس علينا التعقل الراقي, والسخاء والكرم, والشجاعة والإقدام, والصبر والحلم, والوداعة والعفو, وباقي الأخلاق الجوهرية التي تكون الإنسانية, ونرى ذلك فيها بألوان وضاءة000وبما أننا في أحتياج الى نموذج كامل يفي بحاجاتنا في خطوات الحياة, فحياة النبي المقدس تسد تلك الحاجة "0

ومما هو جدير بالذكر أن للورد هدلي مؤلفات عديدة, أشهرها " رجل من الغرب يعتنق الإسلام " 0

المصدر : الجانب الخفي وراء اسلام هؤلاء

===============

#عشرة غربيين يرون الاسلام

محمد كمال عبد الصمد

* قال الكاتب الإيرلندي " برنارد شو " :

" الإسلام دين الديموقراطية وحرية الفكر 0000هو دين العقلاء0000ولكن هناك أمراً مهماً يجب ألا أغفله, وهو أن الإسلام شئ والمسلمون اليوم شئ أخر 0000الإسلام حسن ولكن أين المسلمون ؟!00وليس فيما أعرف من الأديان نظام أجتماعي صالح كالنظام الذي يقوم على القوانين والتعاليم الإسلامية "0

" 000الإسلام هو الدين الوحيد الذي يبدو لي أن له طاقة هائلة لملاءمة أوجه الحياة المتغيرة, وهو صالح لكل العصور0

وفي رلأيي أن محمداً يجب أن يسمى منقذ البشرية, دون أن يكون في ذلك عداء للمسيح0 وأعتقد أنه لو أتيح لمثله أن يتولى منفرداً حكم هذا العالم الحديث لحالفه التوفيق في حل جميع مشاكله بأسلوب يؤدي الى السلام والسعادة اللذين يفتقر العالم

اليهما كثيراً 0000وأستطيع أن أتنبأ بأن العقيدة الإسلامية ستلقى قبولاً حسناً في أوربا في الغد ,بل قد بدأت تجد أذاناً صاغية في أوربا اليوم "0

* وقال " المستر وينتروب كيهمبال : الإنجليزي :

" أعجبني من الإسلام أنه دين بسيط معقول, ليس به ما في غيره من نظريات معقدة, واعتقادات سخيفة , وطقوس لا معنى لها, وقديسين يكادون يبلغون في أدعائهم الباطل درجة الألوهية!! "0

ثم قال :

" وبالرغم من أنني أنتسب الى الكنيسة الانجليزية البرونستانتية , فأنني ل كأكن عضواً حقيقياً فيها, إلا أن بلغت العشرين من العمر, ولا أزال أرى في كنيستي فائدة عظيمة يجنيها أعضاؤها, ولكنني لا أتفق معها في الأعتقاد والإيمان , ولا أقرها على طقوسها الدينية ونظرياتها غير المعقولة "0

ثم يمضي في قوله :

" ولا تظن أنني الوحيد الذي يرى في الإسلام جاذبية تجذبه اليه , فهذا صديق لي يبلغ من العمر الثامنة والعشرين, وهو مسيحي كاثوليكي, ينهمك في دراسة الإسلام والقرآن , ويرى فيه بغيته المنشودة, فلا عجب أبداً اذا رأيت هذا الكاثوليكي الذي ولد بمحيط التعصب , يعتنق الدين الإسلامي عن عقية ثابتة, ويجتذب إليه بهذه الرغبة والقوة الفائقة, لأنني أعتقد أن الإسلام يوافق عصرنا الحاضر أكثر مما توافقه النصرانية الان بتعاليمها وطقوسها "0

ثم يختتم حديثه قائلاً ك

" أعتقد أن في أوربا كثيرين من الناس لا يعتقدون بالمسيحية , ولا يرون فيها ما يوافق روح المدنية, ولو تباح لهم معرفة الإسلام لكنا نراهم يدخلون فيه أفواجاً أفواجاً 0"

* وقال السير " لوندري لوبون " :

" إني أعتقد أن دين محمد 0000دين متين أسس على قواعد راسخة, وتعليمات تؤدي الى منافع الإنسان وتدعو إلى مصالحه "0

* وقال المستر " ولر " الإنجليزي :

" كل دين لا يساير المدنية في أطوارهاالمختلفة فاضربه على الجدار, فإنه يؤدي بأصحابه إلى الهلاك , والديانة الحقة التي تساير روح المدنية إنما هي الديانة الإسلامية "0

* وقال المسيو كولان :

" في الحقيقة أن الإسلام دين الترقي والحضارة , بدليل أن المسلمين عمروا كل موضع فتحوه, وهم الذين نقلوا حضارة فارس إلى اسبانيا "0

وقال الكاتب الأنجليزي الشهير المستر ليونارد :

" أمر الأوربيين عجيب, فإنهم ما برحوا يقفون موقف الخصم المعادي للمسلمين, ولست أدري سبباً يدفعهم إلى الإجحاف بحقوق المسلمين , أو إنكار فضائلهم إلى العالم كله, فأوربا لم تعترف حتى الأن بما لهذا الدين القويم من التأثير على التربية الأخلاقية, بل على المدنية الغربية نفسها0

وإن طانت أوربا أعترفت بفضل الإسلام , ولكنه أعتراف فاتر, صدر عن بعض رجالها القدماء والمحدثين , إذ قالوا :إن المسلمين كانوا في أزهى حضارة عندماكانت أوربا غارقة في بحر الهمجية, سادرة في ظلمات الجهالة, ولكن هذا لا يكفي , لأن فضل الإسلام لم يقف عند حد الإحسان الى أوربا القديمة , بل ظل متفضلاً محسناً عليها , وسيظل كذلك الى الأبد "0

ثم يمضي قائلاً :

" ألم يحن أن نعترف – نحن الذين بلغنا أعلى قمم الحضارة مانزعم – بأنه لولا التهذيب الإسلامي ومدنية المسلمين وعلومهم وثقافتهم وعظمتهم وحسن نظام جامعاتهم, لولا هذا كله لبقيت أوربا تتخبط في ظلام بهيم!0000هل نسينا أن التسامح الإسلامي يختلف كل الاختلاف عن التعصب الذميم الذي أتصفت به أوربا من قبل ولا تزال تتصف به؟

هل نسينا أن الشعوب الإسلامية قد نشطت ونمت وأوجدت حضارة لا تبلى , وذلك تحت ظلال الخلافة000وأجدادنا لا يدرون من الحياة إلا أن يقتتلوا ويعيشوا عيشة الانحطاط والجهل ؟

كيف يمتلئ قلب أوربا حقداً وكراهية للمسلمين منكرة فضلهم عليها , جاحدة الأعمال التي قاموا بها , والآثار التي خلفوها في بطونالكتب وعلى سطح الارض ؟000

وعلينا أن نذكر – والخزي يغمر وجوهنا– الجناية التي أقترفناها ضد المسلمين , بل أقترفناها ضد حضارة العالم , بإحراقنا مئات الألوف من المجلدات , وإنما ذلك بتحريض من التعصب المسيحي الأعمى !

فما كان جزاؤنا من قبل المسلمين ؟000إنهم قد صفحوا عنا نزولاً على كرم أخلاقهم, وعلو نفوسهم, كما يصفح الأب الحنون عن ذنوب أبنه الغر الجاهل !

علينا أن نعترف بأن أوربا المسيحية بذلت كل ما في وسعها في جميع القرون الماضية, لتخفي فضل الإسلام عليها , ولكنهالم تفلح, ولن تفلح, لأن هذه الأعمال الزاهرة والأخلاق الكريمة لأعظم وأرفع من أن يستطاع إخفاؤها, أو طمس معالمها , فالشمسوإن حجبتها الغيوم فإن أشعتها وحرارتها تدل على وجودها !

ستعترف أوربا والقارة المسيحية في المستقبل القريب – بلا شك – بفضل الإسلام والمسلمين , بل أنها ستضطر إلى الأعتراف بدين الأبدية والخلود 000الدين الإسلامي الحنيف "0

* وقال المسيو " أوجين يوغ " :

" نعترف نحن الأوربيين أنه لا يمكننا في أية حال أن نجزي العرب جزاءهم الأوفي على خدماتهم للعلم والمدنية , فهم أساتذتنا الذين تلقينا عنهم شتى العلوم والفنون000وأما نحن فقد كانت العلوم لدينا محصورة في الأديرة وفي الصوامع وفي نطاق ضيق جداً "0

ثم مضى قائلاً :

" قد علّمنا العرب دروساً في التسامح والكرم, فإنهم لم يرغمواالشعوب التي استعمروا بلادهاعلى تغيير معتقدهم الديني, كماكان المسلمون يحترمون جميع الأديان مهما ضعفت وقل عدد معتنقيها 000ولا يغرب عن البال أن من خصائص الدين الإسلامي السعي للسلم العالمي 000وأن من يمتزج بالمسلمين يتأكد من أنهم يحملون قلوباً بيضاء سليمة من كل حقد وضغينة , وهم يسعون الى تأليف القلوب والأرواح

0000ولو أن الغربيين درسوا القرآن لمدوا أيديهم لمصافحة المسلمين بدلا من الجور لهم ومعاداتهم "0

وفي موضع اخر من كتابه يقول :

" الإسلام دين سهل للبشر أن يعتنقوه ولهذا فإنه منتشر في جميع أنحاء العالم , حتى في مجاهل أسيا وفي أفريقيا وأوربا وأمريكا "0

وقال أيضاً0

" إن المسلمين شديدو التعلق بأوطانهم , يضحون بكل غال في سبيلها , ويعتقدون أن من اللازم على كل مسلم أن يساند أخاه المسلم, ويقدم له المساعدة المستطاعة000وهم شديدو الحرص على معتقداتهم , لا يسمحون لأي كائن أن يعبث بها , وهذه الرابطة التي تجمع مابين المسلمين هي التي نسميهاالجامعة الإسلامية, وهي أن يكون المسلمون تحت راية واحدة , وكلمتهم واحدة000أما القول بأن الجامعة الإسلامية معناها تأسيس أمبراطورية إسلامية فحديث خرافة لا أصل له 000"

ويختتم كلامه قائلاً :

" هذا هو الدين الإسلامي ,وها هم المسلمون , نقول مانقول عنه وعنهم دون مبالغة 0"

* وتقول الدكتورة " سالوناس حسن إسماعيل " الداعية الإسلامية بالمركز الإسلامي بكاليفورنيا , والحاصلة على الدكتوراه في طب أمراض النساء :

" إن المجتمع الأمريكي مهيأ لتقبل الأفكار الأسلامية , بشرط حسن العرض, وأن المرأة المسلمة مطالبة بأن تكون نموذجاً حسناً لأسلامها "0

وتذكر أنها قد تأكدت من هذه الحقيقةمن خلال عملها في المركز الإسلامي بكاليفورنيا الذي يتردد عليه نحو 300 ألف مسلم من شتى الجنسيات

والجدير بالذكر أن الدكتورة سالوناس من الشخصيات التي أعتنقت الإسلام وتحمستفي الدعوة له0

* ويفول الخبير الأمريكي " مصعب عبد الله " بعد إسلامه " :

" ليس إسلام الأمريكان أمراً نستغربه00وإنما الذي نستغربه ونستنكره ألا يدخل الناس في دين الله أفواجاً "0

———————————————————————————

المصدر: الجانب الخفي وراء اسلام هؤلاء

==============

#نظرة الغربيين للاسلام

جانب من الدراسات الغربية التي تناولت الاسلام

وفي 1705 نشر المستشرق البوتستاني هادريان ريلاند من أوتريشت كتابه "دين محمد" وفيه معلومات واسعة عن الاسلام. ومن الاحداث المهمة في ذلك العصر صدور ترجمة للقرآن باللغة الانكليزية وقد تولى هذه الترجمة العالم الانكليزي جورج سيل في عام 1734 وهذه الطبعة سرعان ما ترجمت ونشرت باللغات الالمانية والفرنسية والهولندية فكانت المصدر المهم المعول عليه في أوربا لمدة تناهز القرن لمعرفة القضايا التي عالجها القرآن. وقد نوه فيها العالم جورج سيل تمشياً مع روح عصر النهضة بكثير من فضائل الدين الاسلامي ولا سيما منها ما يتفق مع الدين المسيحي.

وفي فرنسا أوضح معجم المكتبة الشرقية لمؤلفه بارتيليمي دي هيربيلو عام 1697 أسساً لتفهم الاسلام بشكل أصوب وأجود. وفي 1720 نشر هنري دي بولونفيرس كتابه "سيرة حياة محمد" وفيه دفاع عن سيرة النبي ورد على المطاعن والانتقاصات السابقة من شخصيته موضحاً ان محمداً مبدع ديني عقلي يستحق التقدير حتى في الغرب.. ان هذا الكتاب صدر في لندن بعد وفاة المؤلف. وقد أثر هذا الكتاب في تفكير فولتير اذ ألف كتابه (بحث في العادات) سنة 1765 فمدح به الاسلام وأشاد بمحمد وبالقرآن وقد نعت محمداً بأنه مع كونفوشيوس وزرادشت أعظم مشرعي العالم. ومن الجدير بالتنويه في هذا الصدد ان كتاب فولتير هذا يعكس تبدل آراء هذا المفكر الفرنسي الكبير السابقة عن النبي محمد. فكتابه السابق "التعصب أو النبي محمد".

وصف محمداً بأنه منافق وخداع ومحب للملذات الجسدية ومستبد. وقد كان فولتير بهذا النعت غير المنصف والطعن بشخصية محمد يستهدف دحض الأفكار الدينية المتعصبة بصورة عامة في فترة سادت بها حملة عامة واسعة لدحض الافكار الدينية المسيحية تجاوباً مع مبادىء عصر النهضة والتنوير العقلي. وقد ترجم الشاعر الالماني غوته كتاب فولتير هذا الى اللغة الالمانية رغم مخالفته للأراء غير المنصفة التي وردت فيه وذلك تلبية لرغبة رئيسه أمير فايمار كار اوغست.

وفي المانيا برز في تلك الحقبة علماء كبار ومفكرون عقليون مثل هيردر ولايبنيتز وليسينغ فصوروا وأوضحوا ما في الاسلام من مبادىء انسانية عادلة وفضائل خلقية وفكرية. فليسينغ في روايته "ناثان الحكيم" يمثل التفكير المتسامح في قضايا الدين وفي كتابه "كاردانوس"

أوضح ان الاسلام دين طبيعي. كما ان هيردر عزز هذه الآراء والنظرة المتسامحة بكتابه "أفكار حول فلسفة تاريخ الانسانية" وفي هذا الكتاب القيم أشاد المؤلف العلامة بشخصية النبي محمد وحماسه العالي لفكرة "وحدة الله" وحكمة عبادته بواسطة الطهارة والتأمل والعمل الصالح. وقد رد هيردر على التقاليد اليهودية والمسيحية البالية وأشاد بسيرة محمد والثقافة الاسلامية واطرى تعاليم الدين الاسلامي التي حثت على تحريم الخمر والمأكولات النجسة والربا والقمار والميسر وبين أن تأثيرات العبادة اليومية وأفكار الرحمة والطاعة لارادة الله التي نص عليها القرآن تمنح المسلمين اطمئنانهم النفسي. ومما قال العلامة هيردر في تقديره للقرآن: "لو كان للمسيطرين الجرمانيين على اوربا كتاب كلاسيكي بلغتهم كما كان القرآن للعرب لما اصبحت اللغة اللاتينية مسيطرة عليهم ولتعذر على قبائلهم ان تضيع بصورة كاملة في الضلال".

ـــ

المصدر: مجلة آفاق عربية

===============

#شبهتان في المنهج الاستشراقي لدراسة القرآن الكريم

عبد الجبار الرفاعي

اللاهوت النصراني الذي تراكم فيه الحقد، واختزن الروح العدوانية الثأرية تجاه الشرق وانسانه المسلم، كان الرافد الاول لتشكيل رؤية الغرب أزاء الشرق، ثم ألهمت الاساطير المترجمة عن الشرق الانسان الغربي، صوراً خيالية أخرى عن ذلك العالم.

من هنا توحدت هذه الرؤية أزاء الشرق، وان اختلفت بالنسبة لأشياء أخرى، ولم يتمكن انتاج المستشرقين ان يخترق جدار المرآة التي يرى الشرق بواسطتها، الا استثناءاً، ولذلك لم يطرأ أي تحول أساسي في منهج البحث لديهم بالرغم من تغاير الأزمان، واختلاف البلدان التي ينتسبون اليها.

في ضوء ذلك لا يصح ان نقر التقسيم الذي ذهب اليه بعض الدارسين، بتصنيف الاستشراق الى مدارس، بحيث نسمي بعضه استشراقاً انجليزياً، وبعضه الآخر فرنسياً، أو المانياً، أو هولندياً، صحيح أن الدارسين يسمون بأسماء البلدان التي ينتمون اليها، غير أن النتيجة الصحيحة كما يشير الى ذلك عمر لطفي العالم في كتابه "المستشرقون والقرآن" المتأتية عن استعراض طرق البحث والتفكير والمحصلات، تنفي صحة هذا التقسيم، وإذا كان لابد من وجود اختلاف، فليس مرده الى الجغرافية، بل الى التناوب في تسيير عجلة الاستشراق، وبعبارة أخرى فانه ما إن وقفت مدرسة المستشرق دي ساسيه في باريس عن العطاء، حتى استأنفته مدرسة تيودورنولدكه في شتراسبورج، أو مدرسة هورجرونه في هولندا(1)، أما الموضوعات فتوشك ان تكون متطابقة مكملة، فاذا عرفنا أن الاتصال عبر المؤتمرات السنوية والدوريات المنتظمة لم ينقطع أبداً، جاز لنا القول:

إن سحنة الاستشراق واحدة، ولا سيما في وسائلها وغاياتها المتجهة نحو القرآن الكريم(2).

من المناسب هنا ان نشير الى شبهتين تكررت اثارتهما بأساليب مختلفة، من قبل المستشرقين أزاء النبي الأمين (ص) والقرآن الكريم، ومن يراجع آثارهم يجد صياغات متنوعة لهاتين الشبهتين، فقد تذكر الشبهة في مؤلف أحد المستشرقين الأوائل بنحو ما، ثم يلتقطها الآخر الذي يأتي بعده، فيعيد انتاجها ويحاول اثارتها بكيفية جديدة وكذلك يفعل الثالث المتأخر عنهما، بيد أن محور تلك الشبهة هو هو، وإن تنوعت أساليب التعبير عنها

* الشبهة الاولى: وتتخلص في القول:
ان للبيئة الفضل في افراز روح وفكر الرسالة الاسلامية، كما صرح بذلك أحد المستشرقين بقوله:
(يخيل اليَّ أنه من العبث فهم محمد بعيداً عن زمنه وبيئته).
ومن الغريب ان يتجاهل هذا الزعم، ان الاسلام كان ثورة حقيقية على الجاهلية، وان الاسلام عبّرَ عن مشروع حضاري يتناقض من الديانات الوثنية التي كانت سائدة في عصر البعثة، وبالذات في الجزيرة العربية _مهبط الرسالة الاسلامية _، ولذلك دخل الاسلام مرحلة الصراع مع الوثنية السائدة آنذاك في مكة المكرمة، هذا الصراع الذي اشتد بعد سنوات قليلة من عمر الرسالة، حتى اضطر المسلمون معه الى اللجوء الى أرض أخرى جديدة لتكون قاعدةً ومنطلقاً للدعوة الجديدة، ومع ذلك لم تتخل الوثنية عن عدوانها وكيدها لهذه الدعوة الوليدة، الى ان بلغ الصراع ذروته في المعارك الضارية التي خاضها المسلمون مع الوثنيي، واستمرت طيلة فترة حياة الرسول (ص)، ولم تتوقف بعد وفاته.
ان هذا الصراع الدموي الذي تواصل لسنوات عديدة، بين الاسلام والوثنية، هو الدليل الأكيد على ان الاسلام هو النقيض الطبيعي للبيئة الوثنية المعروفة وليس من الصحيح ان يولد النقيض من رحم نقيضه، بمعنى انه لايمكن ان نفهم، بأن البيئة العقائدية الوثنية يمكن ان تثمر عقيدة توحيدية خالصة، هذه العقيدة التي عبرت عن نفي تام للوثنية.
أليس هذا القول أشبه بمن يدعي بأن مصدر النور هو الظلام؟!
قال تعالى:
(قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين يهدي به الله مَن اتَّبع رضوانه سُبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراطٍ مستقيم).
اما الشبهة الثانية فتتلخص في: حرص المستشرقين على تصيد النظائر والمتشابهات بين القرآن والكتب الاخرى، واتخاذها ذريعة للقول بتلقي الرسول الامين (ص) مادة القرآن الكريم من تلك الكتب، كما نلاحظ ذلك في الكثير من مؤلفات المستشرقين حول القصص القرآني، فقد اشار المستشرق الألماني "هاينز شبيار" في كتابه

الصادر عام 1931 تحت عنوان "القصص التوراتي في القرآن"، أشار في مقدمة هذا الكتاب الى ما سمّاه أعمالاً أصولية ومرتكزات علمية على مدار السنوات المائة الاخيرة _وهي مؤلفات المستشرقين: شبر نجر، موير، جريم، نولدكه، بوهل، شفاللي _، وعلل شبييار حكمه هذا بأن أصحاب هذه الأعمال خصصوا النصيب الأوفر من تلك الدراسات للحديث عن شخصية الرسول، كما قال:

(إن هذه الدراسات دلت صراحة على التصورات غير العربية التي "اقتبسها" الرسول من غيره، سواء في مواجهاته التشريعية أو السياسية، وذلك في ضوء الدراسات النقدية التي وضع أسسها المستشرق المعروف اجناس جولدزيهر من خلال دراسته للسيرة) (3).

ان هذه القراءة الارجاعية لما تضمنه القرآن الكريم، ومحاولة اكتشاف الأصول في موروث كتابي آخر، هي أحد أبرز ملامح الرؤية التقليدية للاستشراق في تعامله مع التراث الاسلامي، بل التراث الشرقي عامة، فمثلاً الفلسفة الاسلامية تغدو فلسفة يونانية مكتوبة بحروف عربية (بحسب زعم المستشرق الفرنسي ارنست رينان _، والتشريع الاسلامي هو القانون الروماني، و... الخ.

لقد كانت هذه القراءة مظهراً واضحاً لتجلي الوعي الاستشراقي، الذي ولد في أحضان اللاهوت الكنيسي، والذي عمد الى تبني خطاباً تضليلياً في الحديث عن القرآن الكريم والتراث الاسلامي، لأنه مما لاشك فيه ان تاريخ الانسانية تاريخ مشترك، والمنعطفات الكبرى في هذا التاريخ شملت كل أفراد النوع الانساني آنذاك، حيث كانت الأرض هي المسرح الطبيعي لتلك الحوادث، كحادث الطوفان الذي عمَّ الأرض في عصر النبي نوح (ع).

ومن هنا تكرر ذكر الطوفان مثلاً، في الكتب القديمة، بل في الألواح الطينية التي عُثر عليها في آثار الأمم القديمة كالسومريين وغيرهم، فلماذا أضحى ذكر هذا الحادث في القرآن اقتباساً من التوراة؟!

1_ كان دي ساسيه المستشرق الفرنسي اللغوي على رأس المدرسة الفرنسية في باريس، بينما كان نولدكه في مدينة سترا سبورج على رأس المدرسة الألمانية، وطبع

حركة الاستشراق سبعين سنة بشخصه، وكان المستشرق هورجرونيه في مدينة لايدن بهولندا كذلك بالنسبة للاستشراق الهولندي.

2_ العالم، عمر لطفي. المستشرقون والقرآن، ص 26.
3_ ن . م، ص 85 و 118.

المصدر: متابعات ثقافية

===============

#ثغرات منهجية في كتاب المستشرق مونتغمري وات عند الرسول الاكرم (ص)

عبد الجبار الرفاعي

يقرر الدكتور جعفر شيخ ادريس دعائم المنهج الذي اتبعه المستشرق مونتغمري وات في كتابه عن النبي الكريم (ص)، من خلال البحث الذي أسهم فيه
كتاب "مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية" تحت عنوان:
"منهج مونتغمري وات في دراسة نبوة محمد (ص)، حيث أوضح الدكتور جعفر أن وات إدعى منهجاً في كتابه، فيما التزم عملياً بمنهج آخر، ارتكز المنهج الذي سار عليه على الدعائم التالية:

1_ العلمانية:

التزم وات في حكمه على ما يمكن أن يقع، وما لا يمكن وقوعه بفلسفة علمانية، تستبعد امكان وقوع الظواهر الدينية التي لا تخضع لقوانين الأجسام المادية المعروفة(1).

2_ المادية:

ولا يكتفي وات بالفلسفة العلمانية العامة، بل يأخذ أحياناً بفلسفة علمانية ضيقة، لا يقول بها إلاّ غلاة الماديين.. فبينما يبرأ من قول الماركسيين في تفسير الدين نظرياً، نجده يقول في محل آخر "ان التوتر (!) الذي كان يشعر به محمد، وبعض معاصريه، يعزى في النهاية وبلا شك الى هذا التنافر بين سلوك الناس الواعي، والأساس الاقتصادي لحياتهم" (2).

3_ اتباع الظن:

كثيراً ما يترك وات القضايا التي تسندها بعض الشواهد التاريخية، التي يجدها في مصادره، ويستبدل بها مزاعم لا دليل عليها، كما صرح هو بذلك "أعترف بأنه لا توجد طريقة للبرهنة، على ان هذا هو الذي حدث، انه مجرد فرض ولكن السير على أساس مثل هذه الفروض هو جزء من النظرية العلمية الحديثة(3).

4_ عدم الثقة في علماء المسلمين وعامتهم:

يورد وات الحقائق التي ذكرها علماء المسلمين، أو حتى أجمعوا عليها بصيغة التعريض والتشكيك إن لم يجد في انكارها ما يخدم له غرضاً، وأما ان كان فيها ذلك، فإنه لا يتردد في إنكارها وردها، ... لكن المؤسف انه يعامل علماء بلاده بعكس ذلك تماماً، فهو يظهر احترامه الشديد لهم، ويعتذر عن مخالفتهم ان اضطر لذلك.

5_ تعصب ضد العرب والمسلمين:

ذهب وات الى ان "النظرة العربية لم يكن فيها تصور مجرد للخطأ والصواب، كما ان "التفرقة الغربية بين الحقيقة المجردة ومغزاها لا توجد واضحة في الشرق، _ولذلك _ ربما عرف محمد الحقائق المجردة، ولكن ربما لم يقّدر مغزى هذه الحقائق المجردة"، واتهم العرب في موضع آخر بأن "عقليتهم لا ترفض التناقض" (4).

—

1_ "مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية"، ص 236 _ 244.

2_ ن . م، ص 236 _ 237.

3_ ن . م، ص 237.

4_ ن . م، ص 238 _ 244.

المصدر : متابعات ثقافية

===============

#الإسلام لمن لا يعرفوه

لا شك أن ما حدث في نيويورك وواشنطن هو حدث إنساني كبير، يهم العالم بأسره، ولسوف يشكل منعطفاً تاريخياً حاداً، يصلح لأن يؤرخ به، ومن غريب المصادفة أن يأتي في السنة الأولى من الألفية الميلادية الثالثة، ليكون بداية لها، تؤرخ به.
ولا شك أن من حق كل إنسان يعيش على الأرض أن يدلي بدلوه في رسم حدود هذا المنعطف، ومعالم الطريق الذي سيضع الإنسانية عليه!...
فنحن نعيش عصر العولمة الذي اختزل القرى في قرية كونية واحدة، والغى ما بينها من أبعاد وحدود، وكسر كل الحواجز والسدود.
ونحن نعيش عصر المعلومات وثورة الاتصالات الذي بدل معايير ارتقاء الأمم وتقدمها من ثروة المال ومداخن المصانع وقوة السلاح إلى ثروة المعلومات وقوة المعرفة، فكسر بذلك جميع الاحتكارات، وأسقط كل الايحاءات، إذ المادة الأولية للمعرفة والمعلومات هي الفكر والعقل، وهي مادة مشاعة بين البشر يملكها الجميع بالتساوي. لا ينفرد بها عرق أو لون أو أمة أو شعب.. ولعل ما حدث يوم الثلاثاء وما حدث قبله من اختراقات إلكترونية على شبكة المعلومات لبرامج البنتاجون يؤكد هذه الحقيقة حقيقة شيوع المعرفة وكسر الاحتكارات.
فأين موقع الإسلام من الحدث. وما كان موقفه منه بوصفه المرشح الأول للمواجهة مع الغرب في صراع الحضارات بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، كما صوره هانتجتون، وصادق على هذه الصورة كثير من المفكرين الغربيين؟!
لم يتردد الأمريكيون فور وقوع الحدث في وضعه في قفص الاتهام، كأبرز أصحاب السوابق المشتبه بهم، كعادتهم كلما تلقوا ضربة، حتى لو تبين لهم أن بعض هذه الضربات لم يكن له يد فيها.
بل إنهم _هذه المرة _ تجاوزوا توجيه أصابع الاتهام، وعجلت ألسنة قادتهم _ربما لهول الصدمة _ بإعلانها حرباً صليبية، اتخذوا لها شعار النسر النبيل، وهو شعار الحملة الصليبية التي سبق للغرب أن شنها على الإسلام _كما نعلم _ ثم بدا لهم أن يعتذروا عما زلقت به ألسنتهم، تفادياً لإحراج حكومات يريدون أن تشاركهم حملتهم ضد الإرهاب.

ثم أطلقوا شعارهم الجائر: من لم يكن معنا في مكافحة الإرهاب على الطريقة التي نرسمها فهو ضدنا يقف في صف الإرهاب، متجاهلين كل حق للإنسان في الاختلاف واختيار الرأي الأفضل.

ويتطوع بعض الخطاب الإسلامي بتقديم الأدلة والبراهين على رعاية الإسلام للإرهاب.. فيطرح تارة ثنائية الايمان والكفر، ليستعدي أربعة أخماس سكان المعمورة على المسلمين، وتارة يطلق صيحات الجهاد والبيعة والنصرة بعيدة عن سياقها، مجردة عما قرره لها العلماء من ضوابط وشروط ومسوغات ويقف الإسلام إزاء هذه المواقف المتباينة:

مشفقاً من أن الإنسانية لم تدرك بعدُ رسالة السماء، ولم تسلك درب الأنبياء الذي لخصته الرسالة الخاتمة، وأودعت خرائطه في كتاب الله تعالى الأخير (القرآن العظيم).

واثقاً من أنها متجهة إليه، تحث الخطى نحوه، تحت سياط تجاربها المريرة، وفي سياق كدحها إلى الحقيقة (هذا نذير من النُّذرِ الأولى(56) أزفَت الآزفة(57) ليس لها من دونِ اللهِ كاشفة(58) أفمن هذا الحديثِ تعجبون(59) وتضحكونَ ولا تبكونَ(60) وأنتم سامدون(61) فاسجدوا لله واعبدوا(62)) (النجم).

متأكداً من أن الإنسانية سوف تقلع عن استخدام القوة وسفك الدماء وسيلة لحل المشكلات، وسوف تستبدل بها وسائل الحوار، والكلمة السواء التي دعانا إليها الإسلام.

ربما يحلو لبعض المتفيهقين من أدعياء الحداثة أن يدرجوا هذا الكلام في عداد الوعظ، ويصنفوه في نطاق لغة الأخلاق والمثاليات، التي يعسر تطبيقها في الواقع المعيش، كما يعسر قياسها بلغة الأرقام، لكنني أؤمن بأنها حتمية تاريخية تندرج في إطار القوانين الطبيعية التي سير الله تعالى بها الكون، وأن الإنسان بموجب قانون الارتقاء والاصطفاء وتجنب الأخطاء الذي سنه الله تعالى له، لا يزال يتدرج في معارجه منذ أخبر الله ملائكته (إنّي جاعلٌ في الأرض خليفة) (البقرة) إلى أن يثبت صدق تقدير الله فيه.

آية ذلك ما نراه من إقبال الغربيين على اعتناق الإسلام كلما اتيح لهم أن يطلعوا على عظمته، تبرماً بمادية حضارتهم المغرقة وخوائها الروحي، وإعجاباً بما يحققه الإسلام للإنسان من طمأنينة ترضي تطلعاته إلى الحق، وتوازن لا يهمل بعده الروحي ومصيره.. حتى إنه بات يشكل الدين الأكثر انتشارا وتقدماً في العالم بفارق كبير يفصله عن سائر الملل والديانات.

يحدث ذلك من دون أية جهود دعوية تبذل، وعلى الرغم من النماذج التطبيقية السيئة، ومن التخلف الذي يعيشه العالم الإسلامي، مما يؤكد قدراته الذاتية على الانتشار من جهة، وفاعلية الكلمة وحتمية ظهور الحق على الباطل تلقائياً من جهة أخرى، وأن الإسلام يعتمد على هذه القوة الذاتية للحق.

فما هذا الإسلام؟ وما خطابه للناس؟ وكيف يتعامل مع الآخر؟ ومن الآخر في نظره؟ وما موقفه من الإرهاب والعنف؟!

أما الإسلام فهو الرسالة الخاتمة الجامعة لكل الرسالات، جاءت مكملة لها، ومعرّفة بها، مؤكدة وحدتها في المصدر والمنهج وأنها ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين: (قولوا آمنّا باللهِ وما أُنزلَ إلينا وما أُنزل إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أُوتي موسى وعيسى وما أُوتي النّبيّونَ من ربِهِم لا نفرقُ بينَ أحدٍ منهم ونحنُ له مسلمونَ) (البقرة: 136).

وأما خطابه فقد جاء للناس كافة غير محدود بقوة أو لون أو عرق أو دين: (قُل يا أيُّها النّاسُ إنّي رسول اللهِ إليكم جميعاً الذي له مُلك السمواتِ والأرض لا إله إلاّ هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النّبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) (الأعراف: 158).

وأما وسيلته في دعوة الناس إليه فهي البلاغ المبين، والحجة البالغة، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، والحوار المفتوح دون مسلمات مسبقة، واستبعاد كل أساليب الإكراه (لا إكراه في الدين قد تبينَ الرُّشد من الغي) (البقرة: 256). (ما على الرَّسولِ إلاّ البلاغُ) (المائدة: 99). ويؤكد على رسوله (فما أرسلناكَ عليهم حفيظا إن عليكَ إلاّ البلاغ) (الشورى: 48) ويحذره من إكراه الناس على الايمان (أفأنتَ تُكرهُ النّاس حتى يكونوا مؤمنين) (يونس: 99).

ومن الطبيعي بعد كل هذا الإلحاح على تجنب الإكراه في الدين، أن يكون الإنسان حراً في اختيار دينه ورأيه، غير مضطهد، بسبب اختياره (فمن شاء فليؤمن ومن شاءَ فليكفر).

ومن الطبيعي كذلك ألا يكون الكفر والإيمان مدعاة للتخاصم والتقاتل بين المسلمين والكافرين، فقد اختص الله تعالى نفسه بالحساب عليهما ولم يأذن بذلك لرسوله (فإنما عليكَ البلاغُ وعلينا الحساب) (الرعد: 40).

إنما أذن الله للمؤمنين بالقتال دفعاً للظلم ودفاعاً عن النفس (أُذن للذين يقاتلون بأنّهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) (الحج: 39)، فعلة القتال المأذون به هي الظلم وليس الكفر (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكُم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن اللهَ يحب المقسطين) (الممتحنة: 8). (فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السَّلمَ فما جعل اللهُ لكم عليهم سبيلا) (النساء: 90).

وللإسلام موقف واضح من العدوان؛ فهو ينهى المسلمين عن ممارسته (وقاتلوا في سبيل الله الذينَ يقاتلونكم ولا تعتدوا إن اللهَ لا يحبُّ المعتدين) (البقرة:190).؛ كما ينهاهم عن التعاون عليه (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) (المائدة: 2). وعن مجرد التناجي به فضلاً عن التآمر عليه (فلا تتناجوا بالإثم والعدوان) (المجادلة: 9).

وإنما دعا الإسلام إلى الجهاد بشروطه، فالكفر وحده لا يكون سبباً مسوغاً للجهاد، إلا إذا اقترن بأحد أمرين: الحرابة أي إعلان الحرب على المسلمين أو الظلم، فإذا تحقق أحد الشرطين وجب الجهاد واستنفر المسلمون له؛ وكانت دوافعه رد العدوان ودفع الظلم، وفي ذلك يقول الله تعالى: (إنما ينهاكُم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولّوهم ومن يتولّهم فأولئك هم الظّالمون) (الممتحنة: 9). فتكون موالاة الظلم والسكوت عن ظلمه ظلماً بحد ذاته، ويقول أيضاً: (وما لَكُم لا تقاتلونَ في سبيل اللهِ والمستضعفينَ من الرجالِ والنساءِ والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظّالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا) (النساء: 75).

والقتل من غير مسوغ شرعي جريمة كبرى بحق الإنسانية كلها في نظر الإسلام (من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنّما قتلَ الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا النّاس جميعاً) (المائدة: 32).

والأصل في العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو السلام لا الحرب. فالسلام أحد أسماء الله تعالى الحسنى (المَلك القدُّوسُ السَّلام) (الحشر: 32) (واللهُ يدعو إلى دار السّلام) (يونس: 25) والرسول (ص) مأمور بالصفح والسلام (فاصفح عنهُم وقل سلام) (الزخرف: 89)، وعباد الرحمن (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) (الفرقان:63). والمسلمون مدعوون للدخول في السلم كلما تحققت شروطه (يا أيُّها الذين آمنوا ادخلوا في السلمِ كافة) (البقرة: 208).

فهل بعد ذلك من ريب في نزوع الإسلام إلى السلم، ورفضه كل أشكال الإرهاب، واستعداده للدخول في أي مسعى يهدف إلى مكافحة الإرهاب، تضطلع به أيد نظيفة غير ملوثة بممارسة الظلم والقهر والعدوان والتطهير العرقي وطرد الناس من بلادهم وأوطانهم، ولا بمظاهرة الظالمين ودعمهم وتشجيعهم والسكوت على جرائمهم؟!، وتسلك لمكافحة الإرهاب والغي طرقاً تنأى بها عن الإرهاب والغي وقتل الأبرياء وتشريد المستضعفين، وتوطد العزم على أجتثاث جذور الإرهاب، وإزالة أسبابه ودوافعه، وتجفيف ينابيعه؟!.

\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-

المصدر : مجلة المجتمع الكويتية /العدد 1477- 17/11/2002

===================

#ايريس صفوت الألمانية بعد إسلامها:
وجدت في الإسلام تكريما افتقدته في الغرب

ايريس صفوت . المانية . احدى الغربيات اللاتي دخل الايمان الى قلوبهن تعيش الآن في صفاء وسعادة لم تشعر بها من قبل، تعرفت على الاسلام في سن العاشرة عندما وجدت ان شيئا ما بداخلها يشدها نحو الاسلام وفي عام 1967 سافرت في رحلة الى لندن واشهرت اسلامها بالمركز الاسلامي هناك.

التقت «الشرق الاوسط» هذه السيدة الالمانية على هامش المؤتمر الاسلامي الدولي الرابع عشر الذي انهى اعماله اخيرا بالقاهرة وفي الحوار التالي نتعرف على قصة اسلامها ورحلتها الايمانية.

* متى تعرفت على الاسلام وماذا كان شعورك وقت ذلك؟

. نشأت في اسرة مسيحية علمانية ابتعدت عن الكنيسة وعندما كنت في سن العاشرة شعرت بأن شيئا ينقصني في حياتي، وفطرتي دائما تشتد نحو الدين واخذت ابحث لي عن دين وكنت في ذلك الوقت اقرأ في الكتب عن الاسلام ووقتها شعرت بشيء يشدني بقوة الى الاسلام كدين سماوي يرفع من كيان الانسان ويحمل جميع الفضائل والاخلاق الفاضلة واخذت اهتم بهذا الدين وتحدثت الى زميلاتي في المدرسة وعن الاسلام وانني احب هذا الدين وحينئذ كنت بلغت الثانية عشرة من عمري وبالفعل اسلمت وكتمت اسلامي لان زميلاتي وصفنني بالجنون.

* ولكن ماذا كان موقف اسرتك وهل عرفوا بقصة اسلامك؟

. في البداية اعتبرت اسرتي انني امر بمرحلة اضطراب وتقلب في المزاج لكن عندنا في الغرب حرية واذا بلغ الابناء سن الثالثة عشرة فمن حقهم ان يتصرفوا كيفما شاءوا ومن حقهم ايضا ان يتركوا اهلهم وبالتالي فتركوا لي حرية الديانة وعندما وصلت للثانوية العامة وكان عمري حيئذ ثلاثة عشرة سنة وذلك عام 1967 وكنت في رحلة الى لندن وذهبت الى المركز الاسلامي هناك والتقيت بالشيخ محمد الجيوشي (عميد كلية الدعوة الاسبق بجامعة الازهر) وكان اماما للمركز وقلت له انني اريد ان اعلن اسلامي واذهب الى الازهر وادرس الدين الاسلامي واللغة العربية. كما التقيت بالشيخ احمد حسن الباقوري (وزير الاوقاف المصري الاسبق) في ذلك الحين ووعدني بالدراسة في الازهر واعلنت اسلامي امام الشيخين ونطقت بكلمة التوحيد وفي عام 1969 سافرت الى مصر وتعلمت اللغة العربية ثم عدت الى المانيا لدراسة الماجستير في جامعة كيسين وفي اثناء دراستي للماجستير تعرفت على شاب مصري كان يدرس في مرحلة الدكتوراه وتزوجنا وسافرنا عام 1975 الى مصر وواصلت دراستي للغة العربية وزادت معرفتي بالاسلام.

* اكثر من ثلاثين عاما منذ ان اعتنقت الاسلام.. هذه الفترة بلا شك كفيلة بأن تجعل منك داعية لاهلك في المانيا فهل قمت بنوع من العمل الدعوي هناك؟

ـ نعم منذ اللحظة الاولى لاسلامي وانا انتمي لهذا الدين وادعو اليه والحمد لله استطعت ان اقنع اثنين من اقاربي بأن يسلما هم جدتي ورجل آخر من اقاربي والذين لم يسلموا كنت اعطي لهم فكرة عن الاسلام وهم عندما يسمعونني كانوا يحترمون الاسلام.

* ماذا عن علاقتك بأسرتك الان؟

. علاقتي بأسرتي في ألمانيا جيدة منذ ان اعلنت اسلامي لانه في المانيا يوجد تسامح واحترام لحرية العقيدة ويعتبرون ان الدين مسألة شخصية.

* أريد التعرف على حياتك قبل الاسلام وهل كان فيها نوع من الالتزام الديني أم غير ذلك؟

ـ الذي لم يعرفه العالم الاسلامي والعربي ان الدين في الغرب شيء هامشي الى اقصى درجة وليس هناك التزام ديني فالمسيحية ما هي الا اسم فقط فأنا على سبيل المثال نشأت في اسرة علمانية مسيحية ليس لها علاقة بالكنيسة ونشأت على الفطرة.

* ما هو اكثر شيء جذبك للاسلام؟

. قبل ان اعلن اسلامي كنت اقرأ عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته فأحببت هذه الشخصية كثيرا لما تتميز به من خصال لا توجد في بشر على وجه الارض.

* أرى ان الزي الذي ترتدينه فيه حشمة ووقار بخلاف الاخريات المتبرجات فهل هذا التزام داخلي؟

ـ شريعة الاسلام كما تعلمت امرت المسلمة بالاحتشام وهذا الزي اجد فيه نفسي وراحتي ولا ابالغ اذا قلت اجد فيه الاناقة بكل ابعادها ونحن في الغرب لا نقبل الاكراه على شيء بل نفعل ما نعتقده ونقتنع به وانا مقتنعة بهذا الزي.

* هل تعلمين ان الاسلام لم يكره احدا على اعتناقه لكنه يمنع من يدخله ان يرتد عنه؟

. انا دخلت الاسلام بقناعة شخصية ودون تدخل أو تأثير من أي مسلم لانه لم يكن في الريف الذي نشأت فيه مسلمون اطلاقا وكون ان الاسلام لم يجبر احدا على اعتناقه ويعاقب من يسلم ثم يرتد فهذا قمة العدل لان المرتد يكون ضد الاسلام ويعطي صورة سيئة عن الدين وهو من قبيل التلاعب بالاديان.

* ما هي امنيتك بعد اسلامك؟

. في البداية كانت امنيتي ان يكرمني الله بالحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اديت هذه الفريضة عام 1990 وبعدما اديت الحج كانت امنيتي وما زالت ان اكون داعية للاسلام وبعض الاصدقاء اقترحوا علي ان اقوم بالقاء دروس للسيدات في المساجد في مصر والبلاد العربية ولكن فضلت ان اخاطب الغرب واشرح للغربيين المفاهيم المغلوطة والمشوهة عن الاسلام لأنني أفهم ثقافة الغرب وأستطيع اقناعهم.

* لماذا يقف العالم الغربي موقف العداء من الاسلام؟

ـ الغرب لم يكره الاسلام كما هو متصور لكنه لديه فكرة خطأ عنه لانه عندهم الاسلام هو ارهاب وعنف. ومثلاً في ألمانيا نجد أن العنصرية أو الاضطهاد الذي يلقاه الأجانب سواء مسلمون أو غيرهم هو بسبب العوامل الاقتصادية لأن الألمان ينظرون الى أن هؤلاء الأجانب سيأخذون منهم فرص العمل وبالتالي يرفضون وجود الأجانب بينهم.

المصدر : صحيفة الشرق الأوسط 4-10-2002

=================

#نظرية العمل والقيمة بين ابن خلدون وماركس

عبد الرحمن بدوي

من الأفكار الأصيلة التي عرضها ابن خلدون في «مقدمته» نظريته في العمل والقيمة، وهي قريبة جداً من نظرية ماركس التي تردّ القيمة الى العمل المبذول في إنتاج السلعة.

فقد عقد ابن خلدون فصلاً ممتازاً «في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما، وإن الكسب هو قيمة الأعمال البشرية» فبيّن افتقار الإنسان الى العمل لإنتاج السلع التي تشبع حاجات نفسه إما مباشرة باستهلاكها والإنتفاع المباشر بها، واما بالمعاوضة عنها بما أنتجه الآخرون مما هو في حاجة اليه. إذ لا سبيل الى تحصيل ما أنتجه الغير إلا بإعطائه بديلاً عنه. ولهذا يقول: «أيدي البَشَر منتشرة فهي مشتركة في ذلك (أعنى في إنتاج السلع) وما حصلت عليه يد هذا امتنع عن الآخر إلا بعوض. فالإنسان متى أقتدر على نفسه وتجاوز دور الضعف سعى في أقتناء المكاسب ينفق ما أتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الإعواض عنها».

ويمضي ابن خلدون في بيان نظريته فيقول تماما كما يقول ماركس إن قيمة العمل انما تقاس بكميته، فيقرر بصريح العبارة: «وقد يكون مع الصنائع في بعضها غيرُها مثل النجارة والحياكة معهما الخشب والغزل، الاّ إن العمل فيهما (أي في النجارة والحياكة) أكثر، فقيمتُه أكثر» : وعلى هذا فإن العبرة في تقويم الإنتاج هي بكمية العمل التي بذلت لتحصيلها. ذلك أن العمل المبذول في صناعة قطع الأثاث أكبر من العمل الذي بذل في قطع الأشجار، والعمل المبذول في النسيج أكبر منه في الغزل؛ ولهذا يجب أن يجري تقويم كل نوع منهما وفقاً لذلك، فيكون الأول أغلى من الثاني. لكن يلاحظ ان ابن خلدون هنا قد اقتصر على ضرب المثل بصناعات متكاملة حتى يسهل عليه التخلص من الاعتراض الذي يثار دائماً ضد نظرية القيمة بحسب العمل، وهو: كيف تقوم السلع المتباينة وليس ثم أساس مشترك لتقدير العمل بينها؟ وبهذا نرى ابن خلدون بعيداً عن التفكير في مواجهة كل الإعتراضات المشهورة على هذه النظرية. وأهمها أولاً أنه قد يحدث مراراً أن يكون ثمّ قيمة حيث لا عمل أصلاً، مثل اكتشاف نبع أو بئر بترول أو عروق معدن بالصدفة لا بالبحث والتنقيب. وثانياً أننا لو قارنّا بين عمل نحات وعمل قاطع أحجار، لوجدنا أن الأول ينتج في ساعتين ما لا ينتجه الآخر في عشر الساعات من حيث قيمة الناتج. وثالثاً دعوى أن التبادل تكافؤ وهذا باطل لأن استبدال عشرة قناطير من القطن مقابل ثلاجة ليس فيه تكافؤ، بل يتوقف الأمر على المنفعة بالنسبة الى المتقايضين. ورابعاً نرى هذه النظرية تغفل التمييز بين نوعين من الخيرات: نوع لايدخله عمل انساني .

ونـوع آخـر يقـوم بـه العمـل الإنسـاني، وكلاهمـا ذو قيمـة. فـالأحراش ومسـاقط الميـاه والينابيع وما إليها لا يدخلها عمل إنساني، ومع ذلك فلها كل قيمتها.
على أن ابن خلدون – وهذا من حصافته ولو ذعيته – أدرك هذا الإعتراض الأخير فبدأ كلامه بالتمييز بين كلا النوعين من الخيرات ، ولم يتجاهله كما صنع ماركس . فقال ابن خلدون : «وقد يحصل له ذلك (أي المنافع) بغير سعى كالمطر المصلح للزراعة وأمثاله، إلا أنها أينما تكون مُعينة ولابد من سعيه معها» (ص 186) – ومعنـى هـذا أنـه يـرى أن الخيـرات الخاليـة مـن العمـل الإنسـاني ليسـت إلاّ وسـائل مساعدة ولا تكفي بنفسها لسد حاجة الإنسان وهذا ما لوحظ فعلاً في الرد على الإعتـراض الرابـع. فـإن الأحـراش ومسـاقط الميـاه ومـواطن المعـادن لاتقـوم لنفسـها بإعطاء السلع الصالحة للاستهلاك، بل لابد من إقامة المنشآت واستخدام الآلات وبذل الجهود البشرية والآنية لتقطيع الأشجار وتحويلها الى أخشاب صالحة بعد ذلك لصناعة الأثاث والبناء – بالنسبة الى الأحراش؛ ولابد من المنشآت والآلات والجهود البشرية والآلية لاستغلال مساقط المياه باستنباط الكهرباء منها وتوزيعها بعد ذلك للانتفاع منها في التحريك والإنارة وما الى ذلك ... وهكذا يصدق مالاحظه ابن خلدون من أن النوع الأول من السلع وهو الذي يبدو في الظاهر خالياً من العمل يتضمن في الواقع عملا ضخماً من أجل أن يكون كفيلاً باشباع الحاجات الإنسانية.
ولهذا يقول ابن خلدون مشيراً الى هذا المعنى: «وقد تكون ملاحظة العمل ظاهرة في الكثير منها فتُجعل له حصة من القيمة – عظمت أو صغرت؛ وقد تخفى ملاحظة العمل كما في أسعار الأقوات بين الناس، فإن اعتبار الأعمال والنفقات فيها ملاحظ في أسعار الحبوب... لكنه خفى في الأقطار التي علاج الفلح فيها ومؤونته يسيرة فلا يشعر به إلا القليل من الفَلح».
ولهذا يختم ابن خلدون بحثه ها بعبارة حاسمة فيها يصوغ نظريته كلها وهي «أن المفادات والمكتسبات كلها، أو أكثرها، إنما هي قيم الأعمال الانسانية» ويلاحظ هنا تحفظه حين قال: «أو أكثرها» – فهو لم يندفع اندفاع ماركس الذي ردّ كل قيمة الى العمل ولم يراعِ الفوارق والأحوال الاستثنائية.

ويلحَّ ابن خلدون في توكيد معنى استمداد القيمة من العمل عدة مرات طوال هذا الفصل والفصل الذي يليه « في وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه»، فيقرر أن «مايفيده الإنسان ويقتنيه من المتمولات إن كان من الصنائع فالمفاد المقتنى منه قيمة عمله، وهو القصد بالقنية، إذ ليس هناك إلاّ العمل».

ويرتفع في تمجيد العمل الى حد يجعله وحده مصدراً لكل قيمة وانتاج فيقول: «لابد من الاعمال الانسانية في كل مكسوب ومتموَّل، لأنه إن كان عملا بنفسه مثل الصنائع – فظاهر؛ وإن كان مقتى، من الحيوان والنبات والمعدن، فلا بد فيه من العمل الانساني... والاّ لم يحصل ولم يقع به انتفاع». وليس ثم أصرح من هذا في توكيد ضرورة العمل الإنساني... ولهذا نراه أيضاً في الفصل الذي عقد بعنوان «ان الخدمة ليست من المعاش الطبيعي» يقرر أن على كل إنسان أن يباشر حاجاته بنفسه والاّ يدع للغير مهّمة العمل ويكتفى هو بالربع، وهو ما يلجأ اليه بعض المترفين. قال ابن خلدون «إن أكثر المترفين يترفع عن مباشرة حاجاته، أو يكون عاجزاً عنها لما ربّى عليه من خلق التنعم والترف، فيتخذ من يتولى ذلك له، ويقطعه عليه أجراً من ماله. وهذه الحالة غير محمودة بحسب الرجولية الطبيعة للانسان».

وإذن فابن خلدون يرى أن ترفع بعض الناس عن مباشرة الأعمال وترك ذلك لمن يستأجرهم الإنسان لذلك ويقطعهم عليه أجراً من ماله – يرى أن هذا ليس من الرجولية الطبيعية للإنسان، بل الطبيعة تقتضي من الإنسان أن يباشر استثمار أمواله وتوفير حاجاته، وهذا لا يكون إلا بالعمل المباشر لتثمير المال وتحصيل الحاجات والضرورات، فالكسب، كما يقول في الفصل الخاص بالكسب، إنما يكمن بالسعي في الإقتناء والقصد الى التحصيل. «فلأُبد في الرزق من سعىً وعمل».

ولهذا نراه يستبعد الوسائل الأخرى في تحصيل المعاش، أعني كل وسيلة لاتبنى على عمل، لانها وسائل غير طبيعية، فيعتقد فصلاً خاصاً يبين فيه «أن ابتغاء الاموال من الدفائن والكنوز ليس بمعاش طبيعي»، فضلاً عن أنه في جميع الأحوال إلا النادر جداً لايؤدي الى شيء، ولهذا لم يحصل الذين سلكوا هذا السبيل «إلا على الخيبة في جميع مساعيهم... فيحتاج من وقع له شيء من هذا الوسواس وابتلى به

أن يتعوذ بالله من العجز والكسل في طلب معاشه... وينصرف عن طريق الشيطان ووسواسه ولا يشغل نفسه بالمحالات» (ص 190).

وهكذا نرى في نظرية ابن خلدون في العمل والقيمة المستعدة من العمل أصالة عميقة سبق بها ماركس بخمسة قرون وأجاب مقدماً على بعض ماوجه الى نظرية ماركس في القيمة بحسب العمل من إعتراضات، و كشفت عن جانب رائع من عبقرية هذا المفكر المسلم الفذّ.

المصدر : دور العرب في تكوين الفكر الاوروبي

===============

#ثلاثة نماذج للتعاطي مع الآخر العربي

محمد محفوظ

إزاء الواقع المرير الذي عاشه العالم العربي والاسلامي مع الغرب الاستعماري بدأت بالبروز والتبلور ثلاثة مواقف تجاه الغرب:

1 _ موقف القبول المطلق بالغرب.. وينطلق هذا الموقف من قاعدة ثابتة لدى المنادين بهذا القبول، فإذا أراد العالم العربي والاسلامي، أن يتقدم ويلحق بالركب الحضاري فلابدّ أن يقبل بكل شيء يفد إليه من الغرب، ويرفض كل موروثه الثقافي والاجتماعي والحضاري. وعن هذا الطريق يتمكن المشرق اللحاق بالحضارة الغربية. ويقول أحد دعاة هذا الموقف وهو الدكتور زكي نجيب محمود: الجواب الواحد الواضح لانهاء التخلف والتأخر، هو أن نندمج في الغرب اندماجاً في تفكيرنا وآدابنا وفنوننا وعاداتنا ووجهة نظرنا إلى الدنيا. الجواب الواحد الواضح هو أن تكون مصر قطعة من أوروبا.. وفي نظر هذا التيار فان العمل والطاقات ينبغي أن تصب في اتجاهين: محاولة فك الارتباط الحضاري للمجتمعات العربية والاسلامية عن تاريخها وماضيها الاسلامي، والعمل على إدخال النظم والقيم والعادات والتقاليد الغربية في البنيان الاجتماعي والمعرفي والحضاري للعالم العربي والاسلامي.

2 . موقف الرفض المطلق للغرب.. باعتباره العدو الحضاري للأمة الاسلامية، وأنه الداء المسبب لكل مشاكلنا وأزماتنا. لذلك فبداية الحل الصحيح هو غلق الباب على

هذه الحضارة ورفضها بكاملها، وأن النظريات الغربية التي تصدر إلينا لاتختزل نفسها على المستوى الاقتصادي أو السياسي فقط، وإنما هي تطرح نفسها كنظرية إقتصادية، ثقافية، اجتماعية، سياسية، حضارية بشكل عام، وعليه فاللحاق بالغرب اقتصادياً يعني الذوبان في المنظومة الغربية ثقافياً وسياسياً وحضارياً. والنخبة الفكرية والاقتصادية المتغربة، صنعت وهيّئت لكي تكون نخبة عقيمة لاتستطيع الاستغناء عن العالم الغربي، فهي مصممة بحيث تشبه الغرب في كل شيء، إلا في قيم الابداع والاستقلال والقيم الانسانية الجوهرية التي اعتمد الغرب عليها في نهضته الصناعية والمدنية.

كما أن جميع الايدلوجيات التي سادت في العالم العربي والاسلامي، كانت ملخصات سيئة وترجمات مشوهة لمضمون التخلف الحضاري في الأمة. حيث كانت تتصور واقعاً غير الواقع الاسلامي، فعمل دعاتها ونشاطهم، كان غالباً في الفراغ لأنهم نقلوا صورة المشاكل في الغرب إلى العالم الاسلامي، وعالجوها بالحلول المطبقة في الغرب، وهذه عملية فوضوية وغير علمية وفوقية، تمارس التوجيه وتمسك بأدوات الوعي والمعرفة، التي أوجدها المستعمر وحاول من خلالها التعرف على مشاكلنا وصعوباتنا، ومن ثم اقتراح الحلول لنا.

3 . التوفيق الواعي بين الثقافة الاسلامية ومعطيات ومكاسب الحضارة الحديثة.. وينطلق هذا الموقف اعتماداً على مجموعة من الحقائق، منها:

. إنّ هناك مجموعة من الأمور والقضايا ذات المطابع العالمي، أو ليست لها طابعاً ثقافياً حاداً، وقد اشتركت البشرية جمعاء عبر الأجياء في صياغتها وإيجادها عبر التراكم الحضاري. هذه القضايا نأخذ بها ونستفيد منها في حركة الحياة. فالمقصود بالتوفيق ليس التوفيق بين المبادىء الاسلامية والغربية، لأنها مسألة صعبة بل مستحيلة، لتناقض منطلقات الحضارتين حيث أن للأخذ الثقافي إمتدادات إجتماعية ونفسية خطيرة علىجسم الأُمة الإسلامية، فنحن نستفيد من الغرب القيم الحيّة كالفاعلية والابداع والعمل والسعي والعلوم.

. إنّ المجتمعات الاسلامية بدأت تاريخياً الانفتاح على الغرب وهي تعيش حالة من الانفصام بين المعرفة والمنهج السلوكي الذي تتبعه وتمارسه. لذلك لم تكن هذه

المجتمعات، تمتلك القدرة والامكانية للوقوف على أرض صلبة من أجل التقويم الدقيق للثقافات الوافدة. مما جعل هذا الانفتاح العشوائي يخلق فرضى شاملة في جسم الأُمة الاسلامية وهذه أهم آثاره أزمة هوية . فوضى في المصطلحات والبنية النظرية . هجرة الأدمغة . التغير المفاجيء في البنية الاجتماعية والاقتصادية والبنى الثقافية.

لذلك فإن حجر الزاوية في عملية التوفيق أو الانفتاح الواعي، هو الحفاظ على ذاتنا الحضارية وإنتماءنا المتميز، بما تتضمن هذه الذات والانتماء من تاريخ وقيم وانطلاقاً من هذه الذاتية نتعامل مع الآخر.

والأصالة الاسلامية من ميزاتها الأساسية الانفتاح على الواقع في سبيل تفعيله وتحريكه، فهي تلتصق التصاقاً كبيراً بالمجتمع (العصر) من أجل توجيهه حسب أوضاعه الثقافية والتاريخية. ومن الخطأ الافتراض أنه من أجل العصرنة لابدّ من الاغتراب ومقايضة تاريخنا وثقافتنا بالاندماج في الغرب. ويكفينا دليلاً على ذلك أنه لم يرو لنا التاريخ أن أمة من الأمم استطاعت أن تتقدم وتتطور أو تدخل في عالم المعاصرة، بدون الاعتماد علي قيمها وإرثها التاريخي، حتى أنّ الولايات المتحدة الأمريكية لم تحقق كل ذلك إلا بالأصالة الأوروبية التي حملها معهم المهاجرون إليها من أوروبا. فطريق العصرنة ليس محاكاة الغرب فقط، إذ أن محاكاته تؤدي إلى الاستلاب الحضاري الذي يحولنا إلى أمة ميتة، جامدة، مقلدة. كما أنّ التحديث القسري يؤدي إلى الاستبداد والتسلط السياسي، لأن عملية التحديث القسرية تحاول أن تبني منظومة قيم جديدة وتواصل ثقافي متغرب. وهذا التغيير لايتم إلا بتحطيم العقيدة الموجودة، وتفكيك منظومة القيم السابقة، واللغة كأداة للتواصل الثقافي والاجتماعي وجميع أشكال التواصل بين أبناء المجتمع، والعمل على تغيير المفاهيم وأنساق التفكير، ومعايير التفاضل الثقافي والاجتماعي. وهذه العملية لاتنجب إلا الاستبداد والانسحاق وفقدان التوازن والاستلاب القيمي والاجتماعي.

ـ أن يكون إنفتاحاً على الآخر وليس تقليداً له. والمقصود بالانفتاح الواعي، هو أن ننطلق من قيمنا ومبادئنا وأصالتنا، للأخذ بالمعرفة والتطورات العلمية التي تحدث في الغرب، كما حصل للغرب نفسه حيث أنه انطلق من مفاهيمه وسياقه الثقافي والمعرفي للأخذ بجميع التطورات التي تحدث في العالم، ويشير إلي هذه المسألة

(جبران) عندما يقول: كان الغربيون في الماضي يتناولون ما نطبخه فيمضغونه محولين الصالح منه إلي كيانهم الغربي. أما الشرقيون في الوقت الحاضر فيتناولون ما يطبخه الغربيون ويبتلعونه ولكنه لايتحول إلى كيانهم بل يحولهم إلى أشبه غربيين وهي حالة تبين لي الشرق تارة كعجوز فقد أضراسه وطوراً كطفل بدون أضراس.

وقضية الاستقلال عن الغرب أو التبعية له تبدأ بالفكر والثقافة قبل الاقتصاد والسياسة، لأنّ الفكر المستقل سيصنع اقتصاداً مستقلاً يعتمد علي واقعه الموضوعي وخصوصياته الذاتية، كما أنّ الفكر التابع أو الثقافة المهزومة مهما أوتيت من إمكانات مادية هائلة، لن تخرج عن إطار التبعية الاقتصادية، ونقل النظريات الجاهزة، وتطبيقها في تربة ليست تربتها، لذلك فتشكيل سياسة اقتصادية سليمة يبدأ بالفكر والثقافة قبل السياسة والاقتصاد.

من هنا فإننا ندعو إلى الانفتاح على الغرب، والاستفادة من معارفه وعلومه، لا التقليد له والأخذ بنمط الحياة لدى الغربيين. والفرق الجوهري بين الانفتاح والتقليد أن الأول ينطلق من أرضية ثابتة واضحة تجاه قيمه ومبادئه، وينظر إلى الآخر الحضاري بمنظار القيم والمبادىء التي يعتقد بها، عكس التقليد الذي يعاني الانتقال من البيئة . بالمعني العام . المحلية، والانطلاق من ذات التربة المغايرة، مما يفقد المرء هويته الحضارية، والأنكي من ذلك أنه لن يتمكن أن يكون غربياً (بالمعنى الحضاري) لعنصرية الغرب ومنعه أسرار المعرفة والعلوم عن جميع الشعوب الأخرى. والجدير بالذكر أن بعض الأبنية النظرية الغربية، التي تحاول بعض المدارس الفكرية والسياسية والاقتصادية إستيرادها، هي مصممة من أجل إستمرارنا في التبعية، وما شعار اللحاق بالغرب عن طريق هذا المركب النظري إلا سراب، وكما قيل أنه سيكون كالحمار الذي يجري وراء الجزرة طول عمره دون أن يلحق بها، علي حد تعبير الاستاذ عادل حسين.

وأخيراً إنّ الأصالة مطلب حضاري، باعتبارها الإطار المرجعي والروحي والأخلاقي والمعرفي للعالم العربي والاسلامي، كما أنها لاتعني تقليد الماضي بل هي تعبير عن الحاجة إلي التعريف بالذات، وتحديد العلاقة مع الآخر الحضاري، إنها مقاومة ذاتية للهيمنة والتحلل والسلبية، وهي عامل توازن يمنع المجتمع من التحول إلى ورقة في

مهب الريح. فالأصالة نمط ثابت للتفاعل المستمر مع الواقع والعصر. لأنّ التقدم والرقي، لايأتي من فراغ وإنما يعتمد علي قيم وتاريخ، وينطلق بهذه اليم والنماذج من أجل التقدم والتطور كما فعل الراهب (روجر بيكون) الذي كان له الفضل في الثورة العلمية والصناعية في أوروبا. فالأصالة ليست رصيداً تاريخياً فحسب، وإنما هي الإرادة والقدرة الذاتية على الإبداع.

المصدر : الاسلام، الغرب، وحوار المستقبل

==========

#المؤسسة الثقافية الاسلامية في جنيف

يبدأ يحيى باسلامه مدير المؤسسة الثقافية الاسلامية في جنيف حديثه لفضائية "إقر" عن المؤسسة التي يتولى إدارتها بالاشارة الى شكلها الخارجي مؤكداً على أهمية جمال المظهر الخارجي للبناء في إجتذاب المسلمين وغير المسلمين إليه، ويقول أن الشكل من جملة الأسباب التي جعلت المؤسسة تستقبل زيارات عديدة معظمها من طلبة المدارس.

ويضيف: إن هذه الزيارات فرصة ثمينة جداً لنحدث لهؤلاء الطلبة عن الاسلام ونوضح لهم صورة التعاليم الاسلامية والقيم التي نؤمن بها، ونفتح معهم حواراً أعتقد أننا ننفعهم من خلاله الكثير. ولطالما وجدناهم يندمجون في هذه الحوارات ويتفاعلون معها ايجابياً ويحبّون معرفة المزيد عن الافكار الاسلامية التي لا يجدونها في أماكن ومؤسسات أخرى.

ويقول أيضاً: نقوم بيننا وبين هؤلاء الطلاب إثر زيارتهم للمؤسسة علاقات وطيدة، وقد نزورهم في مدارسهم، إذ كثيراً ما نتلقى منهم دعوات لإلقاء محاضرات وتقديم شروح عن الاسلام وتكثر الاسئلة ويستمر النقاش البّناء بيننا وبينهم.

ويردف باسلامه: الهم الأكبر الذي نحمله هو كيف نستطيع تلبية حاجات الجيل الجديد؟ وكيف نعمق الروح الاسلامية في قلوب هؤلاء الشباب الذين ترعرعوا في البلاد الغربية المتناشزة طبيعياً مع الثقافة الاسلامية؟ لابد من ترتيب مستويات للثقافة الاسلامية فنعطي لكل شخص أو جماعة المستوى المناسب لها.

ويتابع القول: الذي ينقصنا هو الإمكانات اللازمة لاستيعاب أعداد أكبر من المسلمين في جنيف وسويسرا بصورة عامة. فأنا أتوقع أن يكون عدد الطلبة المسلمين في مدينة جنيف فقط ممن يدرسون في المدارس غير الاسلامية وممن تتراوح أعمارهم بين السادسة والثامنة عشرة، أتوقع أن عددهم يربو على ثلاثة آلاف طالب. ولا تستطيع مؤسستنا إستيعاب أكثر من 500 شخص منهم. وصفوفنا مكتظة بالطلاب أيام العطل، فهناك عطلة نصف الاسبوع أي يوم الاربعاء الذي تحضر فيه الى مؤسستنا مجموعة في الصباح ومجموعة بعد الظهر، وتأتينا ايضاً مجموعةٌ صباح يوم السبت ومجموعة أخرى في عصره، وهنالك من يحضر أيام الآحاد، وكل هؤلاء لايزيد عددهم عن 500 شخص أما الآخرون وهم الاكثرية فلا تسعهم الصفوف ولا نستطيع إستقطابهم، لذلك نفكّر جدياً بتوسيع عملنا ليشمل بمظلته أعداداً اكبر.

ويقول في جانب آخر من حديثه: رغم كل النواقص التي نعاني منها، نشاهد إقبالاً كبيراً على نشاطات المؤسسة ودروسها الاسلامية والكثير من الرواد يطالبوننا بتطوير الفعاليات وهذا ما يحتاج الى تظافر الجهود وتعاون الاباء في تثقيف ابنائهم بالثقافة الاسلامية.

المصدر : فضائية "إقرأ" بتصرف

=============

#كيف نتعامل مع التطرف الديني؟

بقلم العالم السويسري الشهير: هانس كينج

تقديم المترجم: ثابت عيد

كاتب هذا المقال _ البروفيسور هانس كينج _ هو أشهر شخصية دينية سويسرية في عصرنا هذا. ولد في لوزرن بسويسرا سنة 1928, ودرس الفلسفة وعلم اللاهوت في روما, ثم حصل على الدكتوراه في اللاهوت من باريس سنة 1957. ويعمل كينج كأستاذ كرسي في جامعة تيبينجن في ألمانيا منذ سنة 1960. والأستاذ كينج هو شخصية عالمية مرموقة في حقل حوار الأديان, وقد ألقى محاضرات في جامعات كندا وأمريكا وآسيا وأفريقيا واستراليا. وبلغت مؤلفاته أكثر من 45 كتاباً, من أهمها:

1_ الله والألم (1967).

2 _ الكنيسة (1967).

3 _ حرية المسيحي (1971).

4 _ حوار يهودي _ مسيحي (1976).

5 _ المسيحية والأديان العالمية (1984).

6 _ فرويد ومستقبل الدين (1987).

7 _ اليهودية (1991).

وقد ترجمت معظم أعماله إلى عشرين لغة مختلفة من لغات العالم, كما ظهرت حتى الآن ست دراسات عنه.

ومن أهم آراء كينج التي عبر عنها في كتاباته, نظرياته الشهيرة الخاصة بعلاقة الدين بالسلم والحرب, فهو يرى أنه:

1 _ لا سلام عالميّاً بلا سلام بين الأديان.

2 _ ولا سلام بين الأديان بلا حوار بين الأديان.

3 _ ولا حوار بين الأديان بلا دراسات جادة, وأبحاث موضوعية.

ومقال هانس كينج هذا, لا يخص التطرف في الإسلام فحسب, بل يعالج _ باختصار _ ظاهرة ا لتطرف في الديانات السماوية الثلاث. ولعل أهم ما يشير إليه كينج في مقاله هذا هو ضرورة السعي لفهم دوافع التطرف, وأسبابه, لأننا لن ننجو من نار التطرف إلا عندما نعالج الأسباب التي أدت إلى ظهور التطرف.

ونود أخيراً أن نشير إلى أن الموضوع الذي نتحدث عنه هو " التطرف ", أما لفظ " الأصولية " الذي يستخدمه بعض الكتاب فهو ترجمة ركيكة وخاطئة للفظ (fundamentalismus) بالألمانية, أو ما يقابله في اللغات الأوروبية الأخرى. وهذه الترجمة الركيكة تبنا مدى وصلنا إليه من تبعية للغرب المتقدم, واضمحلال فكري رهيب. ولنرَ الآن ما يقوله البروفيسور هانس كينج عن التطرف:

1 _ الأديان بين الاتفاق والاختلاف

من المؤسف له أن أصحاب الأديان السماوية الثلاثة, لم يحتفظوا في ذاكرتهم حتى يومنا هذا بما يربطهم ويؤلف بين قلوبهم, بقدر تذكرهم لما يفرقهم ويباعد بينهم.

فالمسيحيون واليهود لهم أصول مشتركة, ولكن المسيحيين يتذكرون اليوم في المقام الأول رفض " اليهود " لنبيهم عيسى. وبالطبع يتذكر اليهود تعقب " المسيحيين " لهم, وما تعرضوا له من اضطهاد على أيديهم لقرون طويلة في جميع أنحاء أوروبا, وهم لا ينسون على الإطلاق إبادة ستة ملايين يهودي.

واليهود والمسلمون عاشوا في سلام جنباً إلى جن لقرون طويلة (في مصر, وأسبانيا, و استانبول), ولكنهم يتذكرون اليوم قبل كل شيء النزاع حول فلسطين (وهو نزاع حديث بدأ في هذا القرن).

والمسيحيون والمسلمون, على الرغم من أنهم يعتبرون أنفسهم _ مثل اليهود _ أبناء سيدنا إبراهيم, إلا أنهم لا يتذكرون إلا مواجهاتهم الخمس:

1 _ المواجهة الأولى: في القرن السابع الميلادي,حين خسرت الإمبراطورية الرومانية الشرقية المسيحية ولاياتها المسيحية: فلسطين, ومصر, وسوريا, من خلال الفتح الإسلامي.

2 _ المواجهة الثانية: في القرن الثامن الميلادي, حين فتح المسلمون شمال أفريقيا بأكمله, وأسبانيا.

3 _ المواجهة الثالثة: في القرنين الثاني عشر, والثالث عشر: أعاد المسيحيون من خلال هجومهم المضاد _ المتمثل في الحملات الصليبية _ سيطرتهم على فلسطين, والقدس, لفترة محدودة.

4 _ المواجهة الرابعة: في القرنين الخامس عشر, والسادس عشر, فتح الأتراك المسلمون القسطنطينية (سنة 1453) والبلقان, مما نتج عنه أسلمة هذه المناطق, واعتناق شعوبها الإسلام, وبقاؤهم عليه حتى اليوم.

5 _ المواجهة الخامسة: في القرنين التاسع عشر, والعشرين, حيث انتهكت القرى الاستعمارية الأوروبية المسيحية القانون الدولي, وسيطرت في نهاية الأمر على الدول الإسلامية في شمال أفريقيا وشرقها, والشرق الأوسط, والشرق الأقصى, حتى إيران والهند.

2 _ هل سيظل السلام بين الديانات وهماً؟

وبالنظر إلى هذا المواجهات والحروب, التي استمرت لعصور طويلة, يطرح السؤال التالي نفسه: من كان من الممكن أن يكون أعظم رجل دولة في عصرنا هذا, أو الحكيم الأعظم الذي باستطاعته أن يقيم السلام بين المسلمين والمسيحيين واليهود؟ وخاصة السلام بين العرب واليهود, أو بين الإسرائيليين والفلسطينيين؟ أمهل ينبغي أن يبقى السلام وهماً إلى الأبد؟.

إن القتلى يتساقطون في البلقان, وفي الشرق الأوسط تطلق النيران بصورة يومية, هل لا نفعل شيئاً, ونقف مكتوفي الأيدي, انتظاراً لحرب سادسة بين العرب وإسرائيل؟

وعلى الرغم من ذلك, يتساءل الكثيرون: إذا كان قد أمكن تحقيق السلام بين الكاثوليك والبروتستانت بعد كل ما دار بينهم من حروب باردة, ومواجهات ساخنة, فلماذا لا يمكن تحقيق ذلك تدريجياً بين اليهود والمسيحيين والمسلمين؟.

وإذا كان السلام قد أمكن تحقيقه بين الفرنسيين والألمان, الأعداء الألداء, فلماذا تظل إمكانية تحقيق السلام بين العرب والإسرائيليين مستبعدة؟(1)

(1) السلام الذي تحقق بين الكاثوليك والبروتستانت, وكذلك بين الألمان والفرنسيين, تحقق عندما تخلى كل طرف عن محاولات " نفي الآخر ", بينما المشروع الصهيوني قائم على نفي الوطن الفلسطيني المستقل, وحرمان أهل فلسطين من حقهم الفطري والطبيعي في تقرير المصير. فاستحالة السلام _ هنا _ قائمة في طبيعة المشروع الصهيوني, وليس في الإسلام أو اليهود. المشرف على الكتاب د. محمد عمارة

3 _ التطرف الإسلامي

ولكنى أسمع أحياناً الاعتراض القائل: كيف يمكننا التعامل مع المتطرفين المسلمين الذين يمكنهم التعامل مع وسائل الحضارة الحديثة (وليسوا رجعيين, أو متخلفين عن المدنية الحديثة, كما يدعى البعض), وباستطاعتهم الظهور بمظهر متمدن جدّاً من عدة وجوه (كاستخدامهم للتكنولوجيا الحديثة, ووسائل الإعلام, ووسائل المواصلات, والمعاملات المالية)؟

فيما يخص مسألة المسلمين المتطرفين _ أو الإسلاميين كما يسميهم المسلمون _ فينبغي أن نقول:

1 _ ليس الإسلام ديناً متطرفاً كلية, ففي الإسلام أيضاً كان _ وما زال _ هناك حركات إصلاحية كثيرة.

2 _ والمسيحية بدورها ليست ديانة متسامحة كلية, فالتطرف موجود أيضاً في المسيحية في أصل البروتستانتية والكاثوليكية (المثال الحديث: بولندا), والتطرف موجود أيضاً في اليهودية (في داخل إسرائيل, وخارجها).

3 _ لا تنحصر جذور التطرف على الناحية الدينية فحسب, بل تمتد لتشمل أيضاً النواحي الاجتماعية, والاقتصادية, والسياسية, فالمتطرفون المسلمون يشيرون إلى أوجه قصور الحضارة الحديثة, وهي ملاحظات ينبغي أن تؤخذ مأخذ الجد, حتى إذا رفضنا الحلول التي يقدمها المتطرفون. ولذلك فمن الصحيح:

4 _ أنه لا يمكن التغلب على التطرف _ كظاهرة دينية _ عن طريق الهجوم المباشر, ولكن من خلال الفهم الصحيح له, وتخيل أنفسنا في مكان هؤلاء المتطرفين. والأهم من ذلك عن طريق معالجة الأسباب التي أدت إلى ظهور هذا التطرف.

4 _ التطرف على مستوى الديانات العالمية

ماذا يمكننا إذن أن نفعل تجاه التطرف في جميع الديانات؟ هناك خمس نقاط هامة نود ذكرها في هذا المقام:

أولاً: من ناحية, ينبغي لفت نظر المتطرفين إلى الأصول الخاصة بالحرية, ومبدأ التعددية, والانفتاح أمام الآخرين, وذلك في تراث كل فريق منهم: في التوراة والتلمود عند اليهود, وفي الأناجيل و الكتابات المسيحية عند المسيحيين, وفي القرآن والسنة عند المسلمين.

ثانياً : من ناحية أخرى ينبغي أيضاً تنبيه التقدميين إلى ضرورة ممارسة النقد الذاتي فيما يخص كل المحاولات الواهية للتكيف مع روح العصر, والعجز عن رفض ما يجب رفضه. وكذلك فيما يخص كل أوجه القصور المتعلقة بالجوهر الديني, والمذهب اللاهوتي, والالتزام الأخلاقي, وذلك فيما يتصورونه من ديانة ليبرالية حديثة, ليس لها قوانين تحكمها, ولا حدود توضحها.

ثالثاً: إيجابيّاً, لا بد من انتهاج طريق روحاني جديد, وممارسته بصدق وأمانة, وخاصة من قبل هؤلاء الذين لا يقبلون سلطة الكنيسة الكاثوليكية, ولا حرفية الكنيسة البروتستانتية, ولا تقاليد الكنيسة الأرثوذكسية, أو أولئك الذين لا يرضون بالتيارات الرجعية ذات الأصل اليهودي, أو الإسلامي.

رابعاً: على الرغم من كل الصعوبات والتناقضات, فلا بد أيضاً من السعي لفتح حوار مع المتطرفين, بل لا بد من التعاون معهم, ليس فقط في المجالات السياسية والاجتماعية, بل أيضاً في مجال العلوم الدينية.

خامساً: ولكني إذا قام تحالف بين التطرف من ناحية, والقوة السياسية, والعسكرية _ البوليسية, من ناحية أخرى (كما هو الحال في بعض الدول الإسلامية, وموقفها من سلمان رشدي), أو بين التطرف من ناحية, والسلطة الدينية من ناحية أخرى أو بين التطرف من ناحية, والسلطة الدينية من ناحية أخرى (ولنذكر الفاتيكان كمثال لذلك, وما يقوم به من أعمال ضد بعض رجال الدين, والأساقفة, والنساء) في مثل هذه الحالة ينبغي مقاومة التطرف بصورة حازمة وشديدة, وذلك على الصعيدين الداخلي والخارجي.

وهكذا لعل الديانات السماوية الثلاث تجد تجريجياً _ في هذا العصر الصاخب, الممتلئ بالخلافات الدينية, والنزاعات العنصرية الحديثة _ طريقاً وسطاً بين الحداثة بلا أساس (1), والتطرف بلا عصرية, وبلا نقد ذاتي , وبلا تسامح, ولا استعداد للحوار والمناقشة. طريق وسط بين التحرر والانغلاق, بين التنبلة والنشاط.

5 _ التأثير المزدوج للدين

ولكن مهما يكن مصير التطرف, فمن المؤكد أن الجانب الديني كثيراً, بل غالباً, ما يلعب

دوراً هامّاً في أي نزاع بين الشعوب, أو الأجناس المختلفة, فالدين _ باعتباره ظاهرة إنسانية _ له تأثير مزدوج, تماماً مثل الموسيقى, والفن, اللذين أسيء, ومازال يساء

(1) أي الحداثة التي أقامت قطيعة مع الموروث, فأصبحت بناء لا أساس له من الموروث. (م ع).

استخدامهما بشدة. ذلك أن الأديان هي أيضاً أنظمة حكم وقوة, تحرص على توطيد دعائم الاستقرار, وتوسيع مناطق نفوذها. والأديان باستطاعتها أن تشعل الحروب, ولكن يمكنها أيضاً أن تقيم السلام, فالدين من الممكن أن يكون عامل إثارة وتهييج, أن يسبب الحروب, ويضرم نيرانها, ويطيل أمدها, ولكن الدين يستطيع أيضاً أن يمنع اندلاع الحروب, ويقصر من وقتها إن اندلعت.

فالسلام بين فرنسا وألمانيا وإيطاليا قد وضع أساسه مسيحيون (وكاثوليك) متدينون: شارل ديجول, وكونراد اديناور, وروبرت شومان, والسيد دي جاسبيري.

كذلك فقد مهدت مذكرة من الكنيسة البروتستانتية الطريق أمام السلام بين بولندا وألمانيا, والثورات السلمية في بولندا, وألمانيا الشرقية, وتشيكوسلوفاكيا, وأيضاً في جنوب أفريقيا والفلبين, قد أثبتت أن الدين يمكن أن يلعب دوراً مؤثراً في تثبيت دعائم السلام في العالم.

وباعتباري من رجال الدين المسيحي, فإني مقتنع تمام الاقتناع بأن الإسلام أيضاً يمكن أن يساهم بدور فعال في نشر السلام في العالم, إذا استغل ما لديه من فاعلية ومقدرة على توطيد السلام, وذلك من خلال تراثه الديني العظيم.

————————————————————

المصدر : " الإسلام في عيون غربية "

============

#نقطة التحول عند المثقفين العرب في النظرة للغرب والاستشراق

د0محسن جاسم الموسوي

منذ أن ظهرت مقالة انور عبد الملك " الاستشراق في أزمة " في مجلة Diogenes عام 1963 والدارسون العرب داخل الوطن وخارجه يكثرون من دراسة الاستشراق والمستشرقين , متلمسين ما أضافوه الى حقول المعرفة بالحضارة العربية الاسلامية , معترفين بمنجزات بعضهم ومعترضين على مداخل الاخرين وسبل المناقشة والاستنتاج لديهم متوصلين الى قناعات تتفاوت في دقتها ولكنها تفصح عن اهتمام متصل جاد بالثقافة العربية الاسلامية ومصادرها وسمات الافادة منها حاضراً داخل الوطن وخارجه , في المحيط الاسلامي المباشر أو في الساحة العالمية الأوسع0

ورغم ان المقالة لا تعني ضرورة البدء بمناقشة الجهد الاستشراقي بمواصفاته الايجابية او السلبية بين المثقفين العرب وغيرهم من الدارسين المسلمين , الا انها ذات اهمية خاصة بحكم ما تنطلق منه من وعي موضوعي للظروف السياسية والثقافية وتغيرات العلاقة بين قوى القارات الثلاث والقوى الغربية المتنفذة سواء كانت أوربية أم أمريكية وبين هذه وبين الاتحاد السوفيتي سابقاً والدول الاشتراكية وغيرها , ولهذا كانت المقالة تتبئ ضمناً بما يعلنه لاحقاً مؤتمر المستشرقين التاسع والعشرين المنعقد في باريس تموز 1973 عن موت الاستشراق وحلول (العلوم الانسانية) المعنية بالشرق بديلة , رغم ان هذا الموت يعني ضمناً ولادة الاهتمام مجدداً مختلفاً في تاكيداته وحقوله مولياً ظهره لنصوص التراث وبعدما قيل ما قيل بشأن الثقافة الاسلامية أصبحت بعض مقولات الدارسين الغربيين وكأنها ثوابت لا محيص عنها تأي البحوث التالية منطلقة منها لا خارجةعليها , كما يعني هذا الموت تزايد الاهتمام بكل آسيا وافريقيا وبضمنها ما سمي بالحاح بالشرق الاوسط او الادنى000الخ0

ولم يكن مستغرباً , في ضوء تحولات ما بعد الحرب العالمية الثانية وانبعاث حركة القومية العربية باتجاهاتها الجديدة , ان يجري التأكيد على (العلوم الانسانية في أسيا وافريقيا الشمالية) كما لم يكن مستبعداً ان تجري مطالعة الجهد الاستشراقي , بما له وما عليه , لا من أجل محاكمته بل بقصد الافاده من مزاياه من جانب وتشخيص مثالبه من جانب اخر في سياق السعي الجاد لتلمس آثار هذا الجهد في صياغة الافكار الدارجة عن المنطقة العربية وانعكاساتها في السياسات ازاء الواقع الراهن 0 وهذا ما لا يمكن ان يتحقق دونما معرفة أدق بالذا ت اولاً وبطبيعة مكونات الواقع العربي الاسلامي وامتداداته الفعلية لا المتصورة في ماضيه وأصوله0 ولم يكن هذا الفحص والتمحيص ممكناً ايضاً دون وعي بعلاقة هذه المنطقة بخارجها , وهو ما سعى اليه منذ مطلع الستينات عدد من المفكرين العرب , أفادوا من حرية الحوار والجدل التي توفرت أمامهم عند دراسة الجهد الاستشراقي , ساعين نحو منهجية أدق ومعرفة أوسع بأساليب الدراسة الحديثة , متمكنين في أحسن الحالات من الخلاص من الاسقاط (الايديولوجي) أو الفكري الذي ينتجه غنى اللغة او اكتنازها بما يعني تغييب الواقع ومطابقته مع المتصور , مفيدين في مثل هذه الحالة من سبل الجدل

المعرفي التي تعيد تفكيك النصوص , وبالتالي تفكيك الواقع الذي طرح كأنه مجموعة ثوابت , نحو معرفة شبيهة بتلك الآخذة بالتكون عن غيرنا من المجتمعات القديمة والحديثة0 وهؤلاء هم الذين تعنى بهم هذه الدراسة دون ان تقول عن أفتراضاتهم أنها نهائية , بل تريد أن توصل للقارئ احاطه بما تعده منطلقاً صحيحاً قابلاً للنمو منهجاً ومعلومات0

ولهذا السبب يمكن أن تعد مقالة أنور عبد الملك رائدة ليس لكونها قد أثارت اهتمام كتاب لاحقين من العرب وغيرهم ناقشوا الاستشراق ومروا بها متفقين او معارضين حسب, بل لأنها في حدود المنظور المتكافئ الذي أخذ بالتكون داخل الفكر العربي في مطلع الستينات حملت بذرة النزاع المعرفي في الاستشراق, رغم ان هذه البذرة ظهرت متفاوتة في قوتها ونموها منذ منتصف القرن الماضي0 لكن النزاع المقصود هو المنطلق من الحس بالتكافؤ نهجاً ومادة وليس من الاختلاف الديني او العرقي, ذلك لأن الاخير قائم منذ ان ظهر الاسلام والثقافة العربية الاسلامية واسعاً ومؤثراً ومواجهاً للثقافات الاخرى ومنذ ان توجهت جهود الكنيسة ضدهماتمهيداً للحروب الصليبية وما تلاها0 اما النزاع المعرفي والذي ميدانه الفكر وأداوته فإنه ينعكس بشكل أو باخر على ساحة الصراع السياسي وعلى امكانية ادارة هذا الصراع, ولهذا لم يكن عبثاً ان تتميز العقود الاخيرة بظهور الكتابة السياسية والميدانية والاجتماعية والاقتصادية عن المنطقة بغزارة لا تفهم دونما معرفة بمتغيرات السياسة الدولية0 كما لم يكن عبثاً أن تتكرر الاهتمامات او تزدوج بين الثقافة والسياسة والفكر لدرجة ان (مستشرق) العهد القديم او المرحلة التقليدية, ورجل العلاقات في الشعبة المختصة بالدائرة الاستعمارية, يترك اليوم مكانته امام المستشار او الدارس المختص الذي يبني استنتاجاته في طرائق التفاوض والعلاقة وتفجير الاوضاع او تهدئتها على ما قدمه السلف له من ثوابت وهي ثوابت تجمع حصيلتها من فقه اللغة الى دراسة الشخصية, ومن الأمثال الى الشرائع والتقاليد ,ومن معايشة النصوص العربية الى الاستئناس باراء الاخرين والتنصت اليهم, كما فعل دارسون متميزون من أمثال انتوني نتنغ0 ويقابل هؤلاء أيضاً عدد من الدارسين العرب الذين يجمعون الاهتمام السياسي بالثقافي ويرون انهم أصحاب مهمة في صياغة مستقبل بلادهم حتى عندما

ترفض السلطات منحهم هذه المكانة0 ولا يعني هذا التقابل الاختلاف في كل شئ لكنه يعني تكافؤ الاهتمام والمعرفة, كما يعني ضمناً من الجانب من الجانب العربي الاسلامي عودة المثقف مؤثراً في تكوين الرأي العام ورأب الصدع بين العامة والخاصة من خلال متغيرات حتمها واقع الصدام النفسي والسياسي والاقتصادي مع الغرب, وهو صدام أضطرت فيه العامة الى الاستعانة بالمكونات الاساسية الجمعية لمواجهة الاهانة والتحقير والعدوان من خلال الرد السياسي (كما حصل في 56و67و 73 مثلا) والافادة من سبل التحديث دونما خشية من التغريب المطلق , كما يحصل عند التعامل مع التعليم ووسائل الاتصال أيضاً في الساحة العربية0

لكن مرحلة العقود الأخيرة تعني أيضاً ظهور نماذج الدارسين الامريكان والاوربيين المختلفين أتجاهاً ومعرفة, تماماً كما هو شأن الدراسين العرب والمسلمين, وكذلك الدارسين السوفييت واليابانيين000الخ0 اذ ان ساحة الاهتمام وجدت متنفسها الأوسع في سوح الاتصالات والنشر , وهكذا تكتسب المعرفة حريتها وقيودها في آن واحد من خلال لعبة تدفق المعلومات حسب القوى المتحكمة والمؤثرة رغم ان الانسانية تمتلك قدرة خاصة على تمييز الجوهر من الركام والطيب من الخبيث هو السائد, مجسداً في الأكاذيب والالاعيب ومجازر الموت والهلاك التي تدبر يومياً لضمان تنفيذ فكرة تتيح حماية قوة ما في المنطقة العربية وعلى حسابها, هو ما تشهده العقود الاخيرة أيضاً0 وبينما لا تعني الكتابات الغثة الطافية على السطح والخادمة للمصالح اللاانسانية العقول المثقفة والنيرة, فإت الكتابات صاحبة القضية, مختلفة او مؤتلفة, هي التي تهمنا في تكوين رؤية واضحة حول أتجاهات الدراسة والمعرفة 0 واذا كان أدوارد سعيد قد ذكر عشرات الاسماء التي ميزها من غيرها, من امثال ريمون شواب وشافر وكيرنان و نورمان دانيال و سندرسن, وذكر نديم البطار اسماء آخرين معنيين بالدراسات الانسانية عامة من ملاحظي ازمة الضمير او الذهن الغربي, فإن واقع الحال منذ عقود يؤكد عودة الاتجاه الأنساني ثانية في الفكر العالمي في الرد على النزعات النفعية التي قادت الفكر الى الحضيض محيلة أياه الى هوامش في خدمة المصالح الاحتكارية 00وهذه العودة الانسانية مهمة هي الاخرى عندما نريد دراسة المرحلة الجديدة في تعاملات المفكرين والمثقفين العرب مع حركة الاستشراق

بمراحلها السابقة وماتلاها0 اذ مهما تمايزت اتجاهات الدراسة عند هؤلاء وغيرهم ممن وعوا مهمة الكتابة ودور المثقف في هذا العصر, فإنها على الأقل تمضي بعيدة عن الخدمة النفعية والسقوط العنصري0

لكن هذا التمييز بين مستويات الكتابة عن الثقافة العربية الاسلامية وآثارها ينسحب ايضاً , او ينبغي ان ينسحب, على نتاجات المثقفين العرب خلال هذه العقود الثلاثة ايضاً بعدما حتم واقع الحال جدية اكثر في دراسة نتاجات الاخرين وافكارهم, لا بقصد التصويب والاضافة حسب , بل بقصد اداء المهمة اللازمة في ميدان المراجعة الأوسع لمكونات الثقافة العربية الاسلامية واكتشاف نصوصها واعتماد السبل الحديثة في تكوين الرؤية المناسبة ازاءها0 واذ تشمل مراجعنا في دراسة هذه الثقافة اليوم عشرات الدارسين العرب الآن , فان العقود الاخيرة ما فتئت تشهد كتابات مبسطة او اعتيادية تعيد ما قدمه المصلحون والمفكرون في القرن الماضي وفي مطلق القرن العشرين, وهكذا لا يبدو كتاب الشيخ مصطفى السباعي الذي أعده ابنه للنشر مفيداً في دراسة الاستشراق وهو يدحض اصلاً ابرز فرضياته المضادة لحركة الاستشراق, اذ ان الاتهام المطلق ضد المستشرقين دارسين مختصين منهم او مستخدمين للمعلومات لصالح دوائر الخارجية في بلدانهم ليس صائباً , وهو ينهي المجادلة اويمنعها, كما انه يحيلها الى أداة للقمع0 ولم يكن مستغرباً ان نقرأ بعد حين ان المؤلف التقى المستشرق الفلاني فصحح له معلوماته, وعدل في وجهات نظره, بينما جاء بنص آخر الى شخص آخر , فما كان من الآخر الا الاعتراف بخطأه 00الخ0 وبكلمة أخرى فإن الكتابة الاطلاقية لها مثالبها, كما ان تصور الاحكام على انها نهائية له مشكلاته00بينما يبدو سياق كتاب آخر للدكتور السامرائي خاسراً هو الاخر رغم ميل صاحبه لتلمس تاريخ الجانب السياسي في الاستشراق, جراء خضوع المؤلف لاعتقاد مطلق بوجود تيار معاد اسمه (الاستشراق) يحتضن كل من كتب عن الاسلام والعرب0 وهكذا عد (كارلايل) من بين المستشرقين, ولك يعرف علاقته بالفلسفة المتسامية وعلاقات ذلك في حدود تصادم الفلسفة بالمدارس النفعية والوضعية في أوربا في النصف الاول من القرن الماضي0 أما المشكلة الأشد فتتعلق

بذلك الميل الانتقادي لدى عدد من المثقفين العرب منذ خاتمة الخمسينات للاسراف في تحليل الذات تحت وطأة المناهج الاجتماعية, خالطين بين أحاسيسهم الاصلاحية وميلها الطبيعي لنقد المجتمع وبين مستلزمات الفصل بين هذه من جانب وبين الوقائع من جانب اخر0 وهكذا أصبحت معالجات سانيا حمادي وحامد عمار وهشام شرابي وصادق جلال العظم وصلاح الدين المنجد وعشرات الاسماء الأخرى مزيجاً من النزوع الاصلاحي والتحليل والاستنتاج الموضوع في خدمة الاحكام المسبقة, والتي سرعان ما لاقت استجابة حسنة لدى أصحاب الافكار المتكونة بشكل ثوابت ازاء المجتمع العربي وآفاته ومشكلاتهو وبينما تبقى بعض افكار الكتاب العرب على قدر من الموضوعية, إلا ان طرائق اخضاع المعلومات غالباً ما أدت الى عزل حس الكاتب بالنقد الذاتي ومهماته عن استنتاجاته, وهي استنتاجات عامة ومطلقة في أغلب الاحيان تؤيد نزعات متأسسة في الفكر السياسي المعاصر ازاء المنطقة العربية0 واذ ترتسم أمام المصلح حالة المجتمع العربي والعائلة في أشد مواصفاتها تخلفاً تندرج وصفات متلاحقة للوضع الاجتماعي على انه عشائري , اتكالي, متهرب, غير واقعي وغيبي0 واذ ينقطع التقييم عن ظرف التخلف والركود قبيل اشتعال فتيل الاحتراب, فإن هناك عشرات الامثلة والوقائع التي تسنده وتوهم الآخر بأنه حقيقة ثابتة0 وما يتكررر عند الدارس العربي أو زميله الاجنبي في مثل هذه الحالة عبارة عن حلقة متبادلة تتم داخلها الاحالة والاضافة والاعلان , لكنها حلقة شريرة لسوء الحظ عندما تصبح مادتها سبيلاً الى تقييم شعب او منطقة والتصرف نحوهما0 رغم ان النقد الذاتي هو السبيل الاول للاصلاح الا انه عند المبالغة والتعمييم وقصر النظر يتحول الى عقاب محزن يستهوي الآخرين ضرورة لكنه قلما يكون نافعاً0

____

المصدر :الاستشراق في الفكر العربي

==============

متى ينشأ علم الاستغراب؟

بقلم د.مازن صلاح مطبقاني

وَحدة دراسات العالم الغربي

بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

www.madinacenter.com

الاستغراب يمكن تعريفه باختصار أنه العلم الذي يهتم بدراسة الغرب (أوروبا وأمريكا) من جميع النواحي العقدية، والتشريعية، والتاريخية، والجغرافية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية ..الخ. وهذا المجال لم يصبح بعدُ علماً مستقلاً، ولكن لا بد أن نصل يوماً إلى المستوى الذي تنشأ فيه لدينا أقسام علمية تدرس الغرب دراسة علمية ميدانية تخصصية في المجالات العقدية والفكرية والتاريخية والاقتصادية والسياسية.

ولعل سائلاً يتساءل: لماذا ندرس الغرب؟ وكيف لنا أن ندرس هذا العالم الذي سبقنا بمراحل عديدة أو بعدة قرون؟ الأمر ليس صعباً أو مستحيلاً؛ فإننا إذا رجعنا إلى بداية الدعوة الإسلامية وجدنا أن المسلمين الأوائل حينما خرجوا لنشر الدعوة الإسلامية في العالم كانوا على معرفة بعقائد وعادات وتقاليد الأمم الأخرى، وكانوا يعرفونها سياسياً واقتصادياً وجغرافياً.

ولذلك فإن المسلمين الأوائل لم يجدوا صعوبة في تعرُّف على الشعوب الأخرى والتفاعل معها وأخذ ما يفيدهم مما لدى الأمم الأخرى من وسائل المدنيّة، إذ أخذوا الديوان والبريد وبعض الصناعات المهمة مثل صناعة الورق (الكاغد) التي طورّها المسلمون حتى أصبحت صناعة إسلامية.

وقد تجددت الدعوة لدراسة الغرب في منتصف هذا القرن في أحد مؤتمرات المستشرقين الدولية، فقد أشار رودي بارت في كتابه المهم (الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية) (ص15) إلى أهمية أن يتوجه العالم الإسلامي لدراسة الغرب أسوة بما يفعله الغرب في دراساته للعالم الإسلامي. وقد تناول هذا الموضوع الدكتور السيد محمد الشاهد، ثم ظهر كتاب الدكتور حسن حنفي (مقدمة في علم الاستغراب)، وإنني أحب أن أقتطف منه عبارة عن أهداف دراسة الغرب جاء فيها أن من أهداف دراسة الغرب: "فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر، والقضاء على مركب العظمة لدى الآخر بتحويله من ذات دارس إلى

موضـوع مـدروس، والقضـاء علـى مركـب الـنقص لـدى الأنـا بتحويلـه مـن موضـوع مدروس إلى ذات دارس..."

كيف ندرس الغرب؟ لا بد من التخطيط الفعّال في هذه القضية إن أردنا أن ننجح حقاً في معرفة الغرب والإفادة من المعطيات الإيجابية للحضارة الغربية. ويحتاج هذا الأمر إلى عشرات اللجان في العديد من الجامعات العربية والإسلامية لوضع الخطط اللازمة لهذه الدراسات. ولكن حتى يتم ذلك لا بد من التفكير في الطريقة المثلى لهذه الدراسات.

وبعد البدء في برامج اللغات العربية استعانت الجامعات الأمريكية بعدد من أساتذة الجامعات البريطانيين بخاصة، والأوروبيين بعامة، لتدريس الاستشراق في الجامعات الأمريكيـة، كما بدأت الاستعانة ببعض أبناء المنطقة لإنشاء أقسام دراسات الشرق الأدنـى، كمـا فعلـت جامعـة برنسـتون حينمـا كلّفـت فيليـب حِتّـي لإنشـاء القسـم فـي الجامعـة. ثـم بـدأ التعـاون بـين أقسـام دراسـات الشـرق الأوسـط والمؤسسـات العلميـة الأخرى مثل مؤسسة الدراسات الاجتماعية والإنسانية وغيرها من المؤسسات العلمية والأكاديمية.

وفي العالم الإسلامي يكاد لا ينقصنا دراسة اللغات الأوروبية، ولكننا بحاجة إلى من يـتعلم هذه اللغـات ليصـل إلـى مسـتوى رفيـع فـي الـتمكن مـن هـذه اللغـات، وبالتـالي الدراسة في الجامعات الغربية والتركيز في قضايا الغرب وليس دراسة موضوعات تخص العالم الإسلامي. كما أننا بحاجة إلى من يتعمق في علم الاجتماع الغربي ليعرف مجتمعاتهم كأنه واحد منهم. ولم تعد هذه المسألة صعبة؛ فإن في الغرب اليوم كثيـراً مـن المسلمين مـن أصـول أوروبيـة وأمريكيـة يستطيعون تعـرف بيئـاتهم معرفـة حقيقيـة ولا يعـوقهم شـيء فـي التوصـل إلـى المعلومـات التـي يرغبـون فـي الحصـول عليهـا. ولا بـد مـن التأكيـد علـى أن دراستنا الغـرب يجـب أن تستفيد مـن الـبلاد التـي سبقتنا فـي هذا المجـال، ومـن ذلـك أن عـدداً مـن الـبلاد الأوروبيـة قـد أنشـأت معاهـد للدراسات الأمريكيـة، فهنـاك معهـد الدراسـات الأمريكيـة التـابع لكليـة الاقتصـاد والعلـوم السياسية بجامعة لندن.

ودراستنا الغرب لا شك ستختلف عن دراسة الغرب لنا، ذلك أن الغرب بدأ الاستشراق فيه منطلقاً من توجيهات وأوامر البابوات لمعرفة سر قوة المسلمين وانتشار الإسلام في البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية. وكان القصد ليس فقط معرفة الإسلام والمسلمين، ولكن كانت أيضاً لهدفين آخرين: أحدهما تنفير النصارى من الإسلام، والثاني إعداد بعض رجال الكنيسة للقيام بالتنصير في البلاد الإسلامية.

أما نحن فحين نريد دراسة الغرب ومؤسساته وهيئاته فأولاً نحن بحاجة للأخذ بأسباب القوة المادية التي وصلوا إليها، أليس في كتابنا الكريم ما يؤكد هذا{وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم}(الأنفال 60)

والأمر الآخر أننا حين ندرس الغرب فليس لدينا تطلعات استعمارية، فما كان المسلمون يوماً استعماريين. ولكننا نريد أن نحمي مصالحنا ونفهم طريقة عمل الشركات المتعددة الجنسيات التي ابتدعها الغرب وأصبحت أقوى نفوذاً من كثير من الحكومات.

والأمر الثالث وهو أمر له أهميته الخاصة، أن هذه الأمة هي أمة الدعوة والشهادة؛ فإن كان الأنبياء قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يُكَلّفون بدعوة أقوامهم بينما الدعوة الإسلامية موجهة إلى العالم أجمع، وقد كلّف المسلمون جميعاً بحمل هذه الأمانة (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن(، وجاء في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: (نضّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فبلغها إلى من لم يسمعها؛ فربّ مُبَلّغٍ أوعى من سامع أو رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه). ونحن أمة الشهادة فكيف لنا أن نشهد على الناس دون أن نعرفهم المعرفة الحقيقية؟!

ولن يكون علم الاستغراب لتشويه صورة الغرب في نظر العالم، ذلك أننا ننطلق من قوله تعالى {ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله}، ولنا أسوة في ذلك بما ورد عن عمرو بن العاص رضي الله عنه في وصف الروم بقوله: "إنّ فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرّة، وخيرهم لمسكين ويتيم وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك".

فمتى ينشأ علم الاستغراب؟!

==============

#الاستشراق ومكانته بين المذاهب الفكرية المعاصرة

د. مازن صلاح مطبقاني
Mazen_mutabagani@hotmail.com

المقدمة

عرف المسلمون في القديم الكتابة في الأديان والفرق والمذاهب اهتماماً منهم بمعرفة هذه الفرق وبيان موقف الإسلام منها، وحرصاً منهم على الدفاع عن الإسلام كما يعتنقه أهل السنّة والجماعة أو الغالبية العظمى من الأمة. ومن هذه الكتب الفصل في الملل والنحل وكتاب الفرق للبغدادي ومقالات الإسلاميين للأشعري وغيرها كثير.
وظهرت في تاريخ الأمة اتجاهات فكرية كثيرة جداً ومذاهب وطوائف كالشيعة والباطنية والأشاعرة والمعتزلة والمناطقة وغيره ولقد تصدى لها العلماء المسلمون بحثاً في معتقداتها وأفكارها وأعلامها والرد على الانحرافات في تلك المعتقدات دفاعاً عن الكتاب والسنّة.
وظهرت في العصر الحاضر كتابات تحت عنوان الغزو الفكري أو الاتجاهات الفكرية المعاصرة وأصبحت هذه الاتجاهات إحدى المواد الدراسية في المرحلة الجامعية. وقد نال الاستشراق مكانة بارزة ضمن الحديث عن الغزو الفكري وكذلك ضمن الاتجاهات الفكرية المعاصرة أو التيارات الفكرية المعاصرة.
وتعود بداية الاهتمام بالاستشراق إلى المرحلة التي وقعت فيها معظم البلاد العربية الإسلامية تحت وطأة الاحتلال الغربي وكان للمستشرقين والاستعماريين اهتمام كبير بثقافة الأمة الإسلامية وعقيدتها وتاريخها ومختلف المجالات المعرفية الخاصة بها. كما تولى المستشرقون مسؤوليات وزارات التربية والتعليم فكان لهم اليد الطولى في وضع المناهج الدراسية حتى أصبح التعليم في العالم العربي والإسلامي ينقسم إلى نوعين من التعليم: التعليم الشرعي والتعليم المدني. وظهرت في العالم الإسلامي الحركات التحررية الحقيقية على أيدي العلماء العاملين فكان في الجزائر على سبيل المثال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلى رأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس

فكتب يرد على كثير من افتراءات المستشرقين والمسؤولين الفرنسيين في تهجمهم على الإسلام كما كان يتابع الصحافة الفرنسية حتى إنه كتب ذات مرة (جريدة الطان وسياسة وخز الدبابيس)

ولكن لم يظهر تخصص أو كتابات متخصصة في الرد على المستشرقين حتى مع وجود بعض الكتابات المحدودة كرد الشيخ محمد عبده على الفيلسوف الفرنسي رينان وهناتو وما كتبه الأستاذ محمد كرد علي وغيرهم عن الاستشراق.

ولعل أول من تنبه إلى أهمية دراسة الاستشراق دراسة منتظمة هو الشيخ الدكتور مصطفى السباعي الذي يمكن أن نعدّه بحق رائد دراسة الاستشراق في العصر الحاضر حيث زار المستشرقين في معاقلهم وكلياتهم وجامعاتهم ودخل معهم في محاورات ومناظرات. وكم كتب رحمه الله في مجلته (حضارة الإسلام) كما نشر كتاباً مهماً في هذا المجال يرد على جولدزيهر وهو كتابه (السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي). الذي صدرت طبعته الأولى عام 1368هـ(1949م) هذا بالإضافة إلى كتابه القيم الصغير حجماً الكبير في أهميته وقيمته العلمية (الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم). وبإمكاننا أن نضيف كذلك كتابه القيم عن المرأة بعنوان (المرأة بين الفقه والقانون) ولعل ممن شارك في الريادة كذلك الدكتور محمد البهي رحمه الله في كتابه: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي الذي صدرت طبعته الأولى عام 1376هـ (1957م)

ولكن ما أهمية دراسة الاستشراق وما موقعه بين المذاهب الفكرية المعاصرة؟ صحيح أن الغرب ألغى مصطلح استشراق في المؤتمر الدولي للجمعية الدولية للمستشرقين (عام 1973م) التي أصبحت تسمى " الجمعية الدولية للدراسات الإنسانية حول آسيا وأفريقيا" ثم أصبحت "الجمعية الدولية للدراسات الأسيوية والشمال أفريقية" ، ولكننا في العالم الإسلامي ما نزال نصر على هذا المصطلح. وقد يكون للغرب مبرره في رفض التسمية وللمسلمين مبرّراتهم في الاحتفاظ بهذا الاسم. ومهما يكن الأمر فإننا في العالم الإسلامي نَعُدُّ الاستشراق (الدراسات العربية والإسلامية في الغرب) من المواد التي تدرس ضمن مقررات الدراسات الإسلامية بصفته أحد المذاهب الفكرية الهدّامة، ولذلك فإن العديد من الكتب المتخصصة في الاتجاهات الفكرية أو المذاهب

الفكرية المعاصرة تجعل الاستشراق أحد هذه المذاهب أو الاتجاهات. وتتناول الاستشراق بصورة نمطية مكررة نشأة الاستشراق، دوافع الاستشراق، وأهدافه، ومدارسه الجغرافية أو الفكرية.

ولكن الحقيقة أن مصطلح استشراق ما زال قائماً في الغرب حتى وإن تخلوا عنه رسمياً فهذه شبكة المعلومات العالمية أو الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) تقدم آلاف المواقع المتخصصة في الاستشراق قديماً وحديثاً. فهم وإن تخلوا عنه في العلن فإنه ما زال قائماً في أدبياتهم وفي نشاطاتهم الفكرية المعاصرة.

فهل الاستشراق حقاً أحد المذاهب الفكرية أو الاتجاهات الفكرية ؟ وهل ينطبق على الاستشراق ما ينطبق على الوجودية أو الماركسية أو العولمة أو الماسونية ؟ هل يمكن البحث في الاستشراق بعيداً عن مثل هذا التصنيف ؟وهل يمكن البحث فيه دون الأفكار المسبقة بأن الاستشراق شر كله؟

ينوي الباحث في هذا البحث محاولة التوصل إلى أسباب تصنيف الاستشراق ضمن الأفكار الهدّامة بهدف الخروج من الأفكار المسبقة محاولاً التوصل إلى جعل الاستشراق ضمن دراسة الغرب دراسة شاملة بحيث لا تأخذ دراستنا لهم في مجال الدراسات العربية الإسلامية أكثر مما يجب. ويمكن أن نتساءل هل يشغل الغرب نفسه بما نقوله عنه ،وهل جعل لهذا الأمر أقساماً علمية ؟

وينبغي أن ندرك أنّ الدراسات العربية الإسلامية في الغرب تستمد قوتها وانتشارها من خلال الإمكانات الضخمة المتوفرة لها التي تكفل لها الانتشار في أنحاء العالم ، فرابطة دراسات الشرق الأوسط الأمريكية تضم آلاف الباحثين من شتى أقطار الأرض، فهل نسعى نحن في العالم الإسلامي إلى دراسة أنفسنا وتكوين الرابطات المتخصصة في ذلك ويكون لنا يد في توجيهها الوجهة التي توضح الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين مع اعتبار أن دراسة الإسلام والمسلمين حق من حقوق أي شعب يريد أن يقوم بهذه الدراسة.

هذا وسوف ينقسم هذا البحث إلى مبحثين أحدهما موقف العلماء المسلمين في كتاباتهم حول الغزو الفكري والاتجاهات الفكرية المعاصرة من الاستشراق. أما المبحث الثاني فهو أين يجب أن تقع دراسة الاستشراق في العصر الحاضر.

المبحث الأول–الاستشراق والغزو الفكري والاتجاهات الفكرية المعاصرة

يمكننا أن نبدأ بتعريف التيارات الفكرية المعاصرة بأنها المذاهب التي يتخذها مجموعة من الناس ويعتنقوها ويسعون إلى نشرها وترويجها بكل الوسائل المتاحة لهم. ولهذه المذاهب أدبياتها وأعلامها ومصادرها ومناهجها. وقد تكون هذه التيارات فلسفية أو اجتماعية أو دينية. ولعل من المذاهب الفكرية المعاصرة التي اتفقت معظم الكتب في دراستها الوجودية والبهائية والقاديانية والشيوعية والاشتراكية والرأسمالية. ولهذه المذاهب أعلامها الذين لا يمكن فهمها إلاّ من خلال سيرهم (كما فعل العقاد بالشيوعية) وكتاباتهم ونشاطاتهم.

وقبل أن نحدد فيما إذا كان الاستشراق أحد المذاهب الفكرية المعاصرة نتناول أولاً بعض ما كتبه عدد من الباحثين المسلمين حول الاستشراق. وقد وجدت أن جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية حينما عقدت مؤتمراً حول الفقه الإسلامي عام 1396هـ جعلت محوراً من محاوره الغزو الفكري ونشرت هذه البحوث في كتاب تحت عنوان (الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام) وقد جاء الحديث عن الاستشراق في أكثر من بحث حيث جاء في أحدها قول الباحث عن الدراسات الاستشراقية بأنها " دراسات في كثير من نواحيها تتميز بالصبر والجلد ومحاولة الاستيعاب والتحليل، ولكنها في نفس الوقت تحتوي على أخطاء جسيمة : عمداً أو جهلاً ثم هي في غالبها لم يقصد بها خدمة العلم والفكر، ولإشباع رغبة خاصة أو عامة في البحث والاطلاع، وإنما كانت في جملتها خدمة مباشرة للدول الاستعمارية أو للكنائس الأوروبية، بغرض تطويق الإسلام وضربه على وعي به وبصر به واقتلاع جوهره الحي النابض الذي يشكل أكبر الأخطار بالنسبة لهم."(1)

ويضيف الباحث قائلاً: "ومن ثم حفلت هذه الدراسات بضروب التشكيك، والنقد الجائر ، وانطلقت منها الشبهات المدروسة واحدة تلو الأخرى، طعناً في كل نواحي الإسلام بدءاً بالقرآن العظيم ذاته، وانتهاءً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ورواتها وما بين ذلك من اتهام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكمس لكل معالم المجد والخير في التاريخ الإسلامي المشرق، حتى لنستطيع القول أنه لم تسلم ناحية

واحدة من نواحي الإسلام: عقيدة ومنهجاً ونظاماً وتطبيقاً وتاريخاً وأمة بل أرسلت عليها سهام حاقدة من هذه الدراسات المنظمة..." (2)

وكتب عبد الكريم الخطيب في بحثه المقدم للمؤتمر السالف الذكر يذكر أن الاستشراق "حركة ولدت في هذا العصر الحديث ، وهي – في ظاهرها– حركة علمية يراد بها دراسة التراث الشرقي في معتقداته وآدابه، ولكنها تبغي من وراء هذا التعرف على منابع هذا التراث، محاولة صرف أهله عنه ليولوا وجوههم شطر الغرب ويتعلقوا بركاب حضارته."(3) ويشير فيما بعد إلى أن معظم المستشرقين " قد غلبتهم العصبية على أن يقولوا كلمة الحق وأن ينطقوا بما في أيديهم من شواهد، فقد كابروا ، ولجّوا في الضلال، ورموا الإسلام بكل ما تحمل صدورهم من غل، وما تنفث أقلامهم من سم، حتى فضح ذلك عند من لا يعرفون الإسلام من قومهم حين رأوا سباباً وشتائم لا تتفق مع منهج العلم، الذي من شأنه أن يعرض الحقائق، ويترك للناس الحكم عليها، دون أن يمزجها بمرارة الحقد ، ونفثات عداوته.."(4)

وكتب أحمد بشير حول " الغزو الفكري الاستشراقي" حيث ذكر أن أهداف الاستشراق تتلخص فيما يأتي:

" 1 – تفتيت وحدة المسلمين وإضعافها.

2. التمهيد لاستعمار العالم الإسلامي

3. استغلال الثروات والانتقام من المسلمين الذين قاموا في القرون الوسطى في وجه المسيحية" . ويضيف قائلاً :" وإننا لنجد في دراسات المستشرقين الأدبية والإسلامية تركيزاً حول أهدافهم لإيجاد التخاذل الروحي والشعور بالنقص في نفوس المسلمين وحمهلم على الخضوع للتوجيهات الغربية."(5)

وتناولت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) هذا الموضوع بأسلوب مختلف حيث جاء في كتابها القيم (تراثنا بين ماض وحاضر) عن المستشرقين قولها (وعلماء الاستشراق بشر مثلنا، يتعصبون لدينهم وقومياتهم مثلما نتعصب لديننا وقوميتنا . وما ينبغي أن نلومهم على هذا التعصب أو نغضب لعجزهم عن التجرد من أهوائهم، وإنما نحن هنا بصدد قضية علمية وتاريخية، تلزمنا بأن نكون على

وعي بما لابس عمل أكثر المستشرقين من انحراف لم يكن منه بد، بحكم ما استهدف الاستشراق في نشأته الأولى من خدمة الكنيسة."(6)

وتضيف المؤلفة قولها:" وليس عليهم بأس في أن يقولوا فينا ما يقولون، متى كانت أقوالهم معبرة عن رأي لهم أو صدى لاستهوائهم بما راج في بيئاتهم من أقاويل عنّا، لكن البأس كل البأس أن يحمل " البحث العلمي" وزر هذه الأهواء فتخرج بحوث لهم مشحونة بأباطيل يزعمون أنها مما هدى إليه استقراؤهم لتراثنا، ويفرضون له حرمة علمية حين يسوقون وشواهد من نصوص في التراث انحرف بها الهوى والتعصب، فضلوا ضلالاً بعيداً".(7)

ولعل نموذج الدكتورة عائشة عبد الرحمن لا يتكرر في محاولة الفهم العميق للاستشراق والاعتذار عنهم بأنهم يخدمون أهدافهم القومية والدينية فنعود إلى كتّاب آخرين فنحد باحثاً آخر يرجع نشأة الاستشراق إلى الحروب الصليبية فيذكر أن من أخطر نتائجها " الحرب العلمية والفكرية التي شنّها المستشرقون على المسلمين وظهور عدد من تلامذتهم والمعجبين بأفكارهم من المسلمين ممن أخذوا يرددون آراءهم ويروجون لمفترياتهم."(8)

وتظهر الحماسة في كتابة الشيخ محمد الغزالي وكيف لا وهو في معرض الدفاع عن الشريعة ضد مطاعن المستشرقين(وهذا عنوان كتابه) فيكتب قائلاً :"إن الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث ، وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد، وجمهرة المستشرقين مستأجرين لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه والافتراء عليه."(9) ويزيد الأمر توضيحاً عند حديثه عن المستشرقين الأمريكيين بقوله:"والأمريكيون منذ دخلوا ميدان التبشير والاستشراق زادوا القوى المناوئة للإسلام شراسة وإصراراً وأمدوها بسيل موصول من المال والرجال فهي لا تني تواصل هجومها العلمي والعملي ودعاياتها الماهرة ، ونحن نعرف أن من حق غيرنا التمسك بدينه والدعوة إليه واستقبال الداخلين فيه ، إلاّ أننا نقيّد هذا الحق بشرط واحد أن يكون بوسائل شرعية وصريحة. أما اختلاس عقائد الآخرين بالرغبة، أو الرهبة ، واستباحة الغش والكذب والمكر والرشوة فذلك ما نقف له بالمرصاد."(10)

ويعد باحث مسلم يعيش في بريطانيا الاستشراق ضمن القوى التي حاولت تدمير حضارات الأمم الشرقية بقوله:" ويجب أن نتذكر بأن الاستشراق لم يكن هو الاتجاه الوحيد الذي حاول أن يدمر حضارات الأمم الشرقية فهناك مجال آخر تعاون تعاوناً شديداً مع الاستشراق لخدمة الأهداف الاستعمارية ألا وهو علم الإنسان الذي غدا ابناً آخر للإمبريالية."(11)

ولم يغفل الباحثون المسلمون نظرة الغربيين لهذا المجال المعرفي فذكر محمد أحمد دياب أن الاستشراق "علم له أصوله ومقوماته وخططه وأهدافه ، ولا ننكر ما قام به المشتغلون به من بحوث ودراسات في الميادين العلمية المختلفة وفي العلوم الإسلامية بخاصة كانت بحق لها دورها الإيجابي وقيمتها العلمية كما كان لها أيضاً دورها السلبي."(12) ولكنه مع ذلك يرى أن " علم الاستشراق إنما هو حرب الكلمة التي شنها الغرب المسيحي على الشرق الإسلامي منذ القرن الثامن عشر وما زال يستخدمها ضدنا حتى الآن ، وإن لبست أثواباً مختلفة على مر العصور تحت شعار الموضوعية والمنهجية كي يحقق أهدافه."(13)

ويتنبه دياب إلى نظرة الغربيين أنفسهم إلى هذا المجال فيذكر أنه عندهم "مادة علمية معترف بها عالمياً ويكاد يكون ممثلاً في كل جامعة من الجامعات الغربية مع وجود أعداد كبيرة من الكوادر التخصصية في الميادين الاستشراقية."(14)

وكما ذكرنا أن الاستشراق عند كثير من الباحثين المسلمين إنما هو أسلوب من أساليب الغزو الفكري فقد كتب محمد عبد الفتاح عليان حول ذلك قائلاً:" ومن بين أساليب الغزو الفكري كان الاستشراق مغلفاً خطورته بشكل علمي واضعاً سمّه في عسل المنهج، والجديد فيه، غير أن خلق المسلم يقتضينا أن نقرر أن استغلال الاستعمار للاستشراق ليس معناه أن الاستشراق كله جملة وتفصيلاً دار في هذا الفلك، إذ لم نعدم من أدى به إنصافه إلى بيان الحقيقة ، ولئن كان هؤلاء قد نقلوا من حقيقة الحضارة الإسلامية أصالتها وأفادوا بها الغرب في نهضته فإن هذا قد اعترف به منصفون منهم وإن قلّوا."(15)

ويتناول عدنان الوزان الاستشراق على أنه اتجاه فكري يعني بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة ودراسة حضارة الإسلام بصفة خاصة.كما يتناوله من

ناحية أهداف الاستشراق حيث يرى أن الاستشراق انطلق من فكرة واحدة إنما هي فكرة الغزو الاستعماري والعقائدي " بقصد التمكين للحضارة الغربية المسيحية المادية من السيطرة على الحضارة الإسلامية وإلغاء دورها في الحياة الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والاقتصادية وتشكيك المسلمين بدينهم ومحاولة إبعادهم وغيرهم عنه."(16) ويؤكد الوزان هذا الأمر في مواقع أخرى من كتابه حيث يقول في موضع آخر:" إن من أهداف المستشرقين الوقوف في وجه الشعوب التي لا تدين بالإسلام ليمنعوهم من الدخول في دين الحق الدين الإسلامي بما يعملون جاهدين في تشويه الإسلام وتغيير الصورة الحقيقية لهذا الدين الحنيف وإن إظهار الإسلام بصورة محرفة مستكرهة أمام الشعوب غير المسلمة بقصد صدهم عن سبيل الله وما نزل من الحق."(17)

ولئن كانت الكتابات السابقة ركزت على الجوانب السلبية في الاستشراق لأنها رأت أن الدراسات الاستشراقية التقليدية التي يرى البعض أنها بدأت بمدرسة اللغات الشرقية الحية التي أسست في باريس عام 1795 وترأسها في البداية المستشرق الفرنسي المشهور سلفستر دي ساسي ولم يعرفوا من الاستشراق أكثر من كتابات جولدزيهر وشاخت ومارجليوث ولامانس وغيرهم من كبار الباحثين الغربيين في الدراسات الإسلامية فإن رد الفعل اتسم في كثير من الأحيان بالحدة والقسوة والعنف. ولعل ذلك حق لهم حيث إن العقيدة والهوية هما أهم ما يملك الإنسان فكيف يرضى أن يسكت على الطعن فيهما. ولذلك قال عدنان الوزان:" وأيقنت أن ما كتب ضد هؤلاء المستشرقين إنما هو حق ، ولا أحد يلومنا إذا عزمنا على مقاومة هؤلاء المستشرقين وأخرجناهم من مكانتهم وأزحنا الأغشية التي يلفونها على وجوههم ومنازلتهم منازلة الند للند في ميدان الجدل العلمي والمناظرة الموضوعية."(18)

ومن خلال دراسة كتابات العرب والمسلمين الذين درسوا في الغرب أو تأثروا بالمناهج الفكرية الغربية فإن الاستشراق وإن كان لا يمكن تصنيفه ضمن المذاهب الفكرية كالماسونية أو الوجودية أو الشيوعية ولكنه اتجاه فكري معين يعتمد على الأسس الفكرية الغربية والمسلمات الغربية. فالغربي الذي مرّ بمرحلة " التنوير" الغربية التي دعت إلى الفصل بين الدين والحياة أو العلمانية بأوسع معانيها، الغرب

الذي حارب ما يسمى بالمقدس فأخذوا يناقشون كتبهم المقدسة ويخضعونها للتحليل والنقد، كما أن هذا الغرب الذي ظهرت فيه التيارات الفكرية التي تسمى الحداثة وما بعد الحداثة وانعكست هذه الأفكار والتيارات على الدراسات العربية الإسلامية فإنه أقرب إلى أن يكون اتجاه فكري معاصر يصلح أن يدرس ضمن الاتجاهات الفكرية المعاصرة.

ومما يؤيد هذا الأمر أنه ظهر عدد من الكتاب في العالم العربي لا يرون في التاريخ الإسلامي إلاّ سلسلة من الدكتاتوريات الحاكمة وأن العالم الإسلامي لم يعرف الحكم العادل فهم قد أخذوا عن المستشرقين النظرة السلبية للتاريخ الإسلامي ولو أنهم نظروا بعين العدل والإنصاف لهذا التاريخ لرأوا أن الأمة الإسلامية رغم بعض الصفحات المظلمة في تاريخها شأنها شأن أي أمة عظيمة إلاّ أن المواطن المسلم كان عزيزاً وتمتع بكرامته الإنسانية إلى أبعد حد وإلاّ فكيف ظهرت هذه الإبداعات العلمية التي ما زلنا لم نكشف كل كنوزها. كيف استطاع المسلمون أن يبنوا حضارة سامقة وهم كما تصورهم الكتابات الاستشراقية أو المتأثرة بالروح الاستشراقية مجموعة من المواطنين الذين يخضعون لحكام جبابرة كالحجاج أو غيره. ولعل من الطرائف أن تخصص كاتبة في مجلة سيّارة مقالتين أو أكثر للشعراء السود ومأساتهم –كما تزعم– لتخرج من هذين المقالين أن الإسلام الذي حرم العنصرية نظرياً فإن المجتمع المسلم ظل عنصرياً قلباً وقالباً.

المبحث الثاني –مكانة دراسة الاستشراق في العصر الحاضر

معرفة الآخر أمر نبه إليه القرآن الكريم في أكثر من موضع حيث أكد على أهمية الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) كما أكد على أهمية الدعوة إلى الله وأوضح القرآن الكريم عقائد الأمم الأخرى وبخاصة أهل الكتاب فبين ما هم عليه من اعتقادات وسلوك. كما بيّن معتقدات المشركين وسلوكهم وأخلاقهم. وفي هذا إشارة قوية إلى أهمية معرفة الآخر حتى يستطيع أن يدعو المسلم إلى ربه على بصيرة كما جاء في قوله تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)

وقد أدرك علماء المسلمين منذ القرون الأولى أهمية معرفة الأمم والشعوب الأخرى ليس فقط من النواحي العقدية ولكن أيضاً من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية وتعرفوا إلى الحضارات الأخرى وأخذوا منها ما ناسبهم وتركوا ما خالفهم. وكان من أهم الكتابات في المجالات العقدية ما كتبه ابن حزم في الملل والنحل وما كتبه البغدادي في الفرق وما كتبه الأشعري في مقالات الإسلاميين وما كتبه بعد ذلك ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم وغيره وما كتبه ابن قيم الجوزية كذلك. ويمكن أن نضيف إلى هذه الكتابات ما كتبه الجغرافيون العرب في وصف البلدان المختلفة.

ولما كان العصر الحاضر وبدأ احتكاك المسلمين بالاستشراق من خلال بدأ البعثات العلمية إلى دول أوروبا المختلفة والتي بدأت في فرنسا ثم غيرها من الدول الأوروبية ثم جاء العصر الحاضر وانطلقت البعثات إلى الولايات المتحدة الأمريكية وتجمع مئات الآلاف من الطلاب العرب والمسلمين هناك. كما كان للاحتلال الأجنبي لديار المسلمين دور في التعرف إلى الاستشراق وكتابات المستشرقين حول الإسلام والمسلمين.

ولكن دراسة الاستشراق بدأت من علماء الشريعة المسلمين الذين أخذوا على عاتقهم الذب عن هذا الدين فكان زعماء الحركات الإصلاحية وأعلام العلماء المسلمين هم الذين تصدوا للهجمة الاستشراقية على عقيدة هذه الأمة وتاريخها وتراثها الفكري والثقافي والحضاري. وبرز من هؤلاء كثير منهم الدكتور مصطفى السباعي ومحمد البهي وعبد الحميد بن باديس وغيرهم كثير.

وقبل حوالي عشرين سنة ظهر كتاب إدوارد سعيد حول الاستشراق فكان هذا إيذاناً بأن ثمة آخرون من خارج العلوم الشرعية يمكن أن يكتبوا في نقد الاستشراق والتعرف إليه عن قرب. فأحدث كتاب إدوارد سعيد ضجة في الغرب كما تناوله علماء المسلمين بالدراسة والنقد. فأصبح من اللافت للانتباه أن دارسة الاستشراق لم تعد مقتصرة على علماء الشريعة والدراسات الإسلامية المختلفة كالفقه والحديث والتفسير واللغة العربية فقد انضم إلى هؤلاء في السنوات الماضية أساتذة في مجال اللغة الإنجليزية وعلم الاجتماع والاتصالات والعلوم السياسية. ولعل أبرز من كتب حول

الاستشراق من خارج التخصص في الدراسات الإسلامية إدوارد سعيد المتخصص في الأدب الإنجليزي المقارن. وهذا كتاب عدنان الوزان كذلك وهو متخصص في اللغة الإنجليزية، كما كتب عن الاستشراق الدكتور أبو بكر باقادر وهو متخصص في علم الاجتماع، أما في العلوم السياسية والإعلام فقد كتب الدكتور جمال الشلبي عدة بحوث تناول فيها الاستشراق المعاصر(19).

وقد وجه النقد إلى الكتابات الإسلامية بأنها تنطلق من العداء للاستشراق كما في كتابات أنور الجندي أو بعض الكتابات الأزهرية أو غيرها كتلك التي أشرنا إليها في بداية الموضوع. وقد أفاض فؤاد زكريا في نقد ما أسماه الاتجاه الديني في نقد الاستشراق حتى إنه أخذ على بعض الباحثين "الإسلاميين" أنهم لا يعرفون التوثيق العلمي في كتاباتهم أو أن أمانتهم العلمية ليست كما ينبغي. وقد يكون محقاً في بعض هذا النقد. ولكن الحقيقة أن علماء الشريعة المسلمين من المفترض أنهم ينطلقون في نقدهم للاستشراق أو للغرب عموماً من قوله تعالى (ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله)

كما أن السيد محمد الشاهد تناول هذه القضية في بحث له حول نقد الاستشراق في الكتابات الإسلامية المعاصرة ولعله أضاف إن كثيراً من الكتابات التي تتناول الاستشراق لا تعرف من الاستشراق إلاّ بعض الكتابات القليلة للمستشرقين التي تمت ترجمتها إلى اللغات الإسلامية فتأتي كتاباتهم نقلاً عن بعضهم البعض. فما أكثر الكتابات التي انتقدت جولدزيهر ومعظمها إن لم يكن كلها تنتقد ما ترجم لهذا المستشرق للغة العربية أما ما ترجم له إلى اللغة الإنجليزية أم ما كتبه في لغته الأصلية فإن هذه الكتابات لا تكاد تكون موجودة. كما انتقد هؤلاء في عدم معرفتهم بجهود المستشرقين المعاصرين في التعريف بالإسلام ونقد النصرانية وضرب كثيراً من الأمثلة على ذلك من الاستشراق الألماني المعاصر. وللدكتور قاسم السامرائي ملاحظات شبيهة بحكم احتكاكه بالاستشراق الهولندي ومعرفته بهم معرفة وثيقة.

ولعل الكتابات في العصر الحاضر تناولت العلاقة بين الإسلام والغرب أو العالم العربي والغرب وبخاصة في ضوء ازدياد قوة وسائل الإعلام وانتشار نفوذها حتى أصبحت كما ذكر الرئيس البوسني علي عزت بيجوفيتش في كتابه القيم (الإسلام

بين الشرق والغرب) أكثر خطورة من الدكتاتوريات السابقة لقدرته الطاغية على التأثير في الجماهير. ولعل هذا ما يفسر لنا دخول علماء السياسية والاتصال لهذا المجال الحيوي. فهذا غسان سلامة (المتخصص في العلوم السياسية) يرى أن انتشار مراكز البحث والمعاهد وأقسام الدراسات الشرق أوسطية والمكتبات إنما هي " نوع من الامتداد الطبيعي والمنطقي لظاهرة الاستشراق وأطلق عليها "مرحلة الاستشراق الجديدة."(20)

ولكن التساؤل الذي يطرح نفسه بإلحاح في أي مجال من مجالات المعرفة ينبغي أن ندرس الاستشراق؟ وهل الاستشراق شيء واحد أو إنه متعدد؟ الحقيقة إن الاستشراق لم يعد شيئاً واحداً من ناحية الدراسة والتخصص فقد توزعت اهتمامات المستشرقين القدماء إلى عشرات التخصصات حيث أصبحت دراسة الإسلام والعالم الإسلامي تتم من خلال أقسام الاجتماع والجغرافيا والتاريخ وعلم الإنسان والأديان ومن خلال أقسام دراسات المناطق والدراسات الإقليمية وغيرها من الأقسام.

فبالرغم من تعدد الأقسام التي تدرس العالم الإسلامي وقضاياه لكن كثيراً من الجامعات تحافظ على وجود قسم دراسات الشرق الأدنى أو الشرق الأوسط للتنسيق فيما بينها وكأنه الرابط الأخير بالدراسات الاستشراقية القديمة والتي يتم فيها دراسة كتابات المستشرقين التقليديين مثل بروكلمان وجولدزيهر وشاخت وبوزوورث وبرنارد لويس وغيرهم. وفي هذه الأقسام يتم تسجيل رسائل الدراسات العليا كما يحدث في كل من جامعة برنستون وجامعة كولومبيا وجامعة كاليفورنيا في بيركلي وفي جامعة كاليفورنيا بمدينة لوس أنجلوس.

وقد أصبح يشارك الاهتمام بالدراسات العربية والإسلامية مراكز البحوث والمعاهد المتخصصة في دراسة الشرق الأوسط وهذه وإن لم تكن أكاديمية في مناهجها ولكنها تستعين بالأكاديميين أو إن الأكاديميين هم الذين يقومون بالعمل فيها وإدارتها. وإن كانت بعض المعاهد تستعين بالسياسيين أو الدبلوماسيين القدامى مثل معهد الشرق الأوسط بواشنطن العاصمة أو معهد دراسات الشرق الأدنى في واشنطن أيضاً.

والسؤال كيف ندرس الاستشراق هل هو اتجاه فكري يتم دراسته من خلال أقسام كليات الشريعة واللغة العربية والعلوم الاجتماعية أو يمكن أن نفرد دراسة الاستشراق

من خلال كليات يمكن أن نطلق عليها كليات الدراسات الأوروبية والأمريكية؟ ما دام الاستشراق قد انتقل من الوضع القديم إلى وضع أصبح فيه يتناول العالم الإسلامي من جميع الجوانب ويستخدم مناهج البحث الخاصة بالعلوم المختلفة كالعلوم الاجتماعية وعلوم الاتصال وعلوم اللغة وغيرها. وما دام الباحث الغربي الذي ينطلق لدراسة العالم الإسلامي إنما هو ابن بيئته ولا يختلف تكوينه الفكري والمنهجي عن أي أكاديمي غربي في أي مجال من المجالات المختلفة.

ولذلك فإن المطلوب في مواجهة الهجمة الاستشراقية أن نعرف الغرب معرفة دقيقة في جميع جوانب الحياة فلا بد أن يتم دراسة الغرب في أقسام علم الاجتماع والتاريخ واللغة وعلم النفس والاتصال وقد حضرت مؤتمراً في عمّان (12–10 أبريل 2000م) حول العلاقات العربية الأمريكية وقد تناول عدد من الباحثين صورة العرب والمسلمين في الإعلام الأمريكي ولكنهم لم يتعمقوا في فهم هذا الإعلام وعلاقته بالحكومة الأمريكية وهل تستطيع الحكومة الأمريكية التأثير في وسائل الإعلام. فقد فعلت هذا الأمر في حرب الخليج الثانية حيث أصرت على أن تكون أخبار هذه الحرب صادرة عن غرفة عمليات تابعة للقوات الأمريكية أو قوات الحلفاء. ولم تشر أي من الأوراق المقدمة لارتباط الحكومة الأمريكية بعقود تسلح مع عدد من كبريات الشركات الأمريكية التي تمتلك بعض كبريات وسائل الإعلام الأمريكية كما أشار مؤلفا كتاب(مصادر غير موثوقة.)(21)

ولتكن البداية في دراسة الاستشراق في العصر الحاضر أن ينطلق الباحث المسلم بمعرفة الإسلام معرفة حقيقية من مصادره الأصلية فيعرف كيف دوّن القرآن الكريم وكيف دوّن الحديث الشريف وما مصطلح الحديث كما عليه أن يعرف أساسيات الإسلام وثوابته الكبرى كما لا يمنع أن يعرف بعض التفاصيل في الفقه والحديث والتفسير واللغة فكيف يمكن لنا أن ننتقد الكتابات الغربية حول الإسلام والمسلمين ونحن لا نعرف إسلامنا معرفة أصيلة.

أما الأمر الثاني فعلينا أن نعرف اللغات الأوروبية معرفة تمكننا من قراءة ما كتبه الغربيون بلغاته الأصلية حتى نستطيع أن نفهم فهماً دقيقاً ما قالوه فلا نقع في التأويل والتفسير بدون أساس علمي صحيح. وعلينا أن نفهم المجتمعات الغربية ذلك أن

الباحثين الغربيين في قضايا العالم الإسلامي إنما هم نتاج بيئتهم وإن كثيراً من القضايا التي ينتقدون فيها الإسلام إنما هم أولى بنقد أنفسهم فيها. ويحضرني في هذه المناسبة حواراً رواه منصر بينه وبين أحد المغاربة حيث قال المغربي للمنصّر لماذا تأتوننا تدعوننا للأخلاق والإيمان بالمسيح أليس من الأولى أن تدعوا بني قومكم لمنع الانحرافات الأخلاقية وشرب الخمور وغير ذلك من المعاصي؟

ولعل الدراسة الصحيحة للاستشراق أن لا تتوقف معرفتنا بما يدور في الأوساط العلمية في الغرب عن طريق قراءة بعض الإنتاج العلمي فلا بد أن يكون لنا وجود فاعل في المؤتمرات والندوات وأن نشارك في الإصدارات العلمية باللغات الأوروبية المختلفة. فكم مادة تدرس في الجامعات الغربية باسم مدخل إلى الدين الإسلامي ويكون الكتاب المنهجي في هذه المادة كتبه مسلم باللغات الأوروبية؟

الخاتمة

من الصعب تصنيف الاستشراق ضمن المذاهب الفكرية المعاصرة كالماسونية والبهائية أو غيرها رغم أن الموسوعات التي تصدر في العالم الإسلامي تصنفه ضمن هذا التصنيف كما أنها تصنفه ضمن وسائل الغزو الفكري. ولا بد أن لهذا الرأي بعض الوجاهة ولكن الحقيقة أن الاستشراق يمكن أن يشكل تياراً فكرياً في جميع مجالات الحياة في العقيدة وفي اللغة وفي التاريخ وفي الاجتماع وفي السياسة وفي الاقتصاد. حتى إن كثيراً من الذين يكتبون في العالم العربي لا يختلفون في منطلقاتهم عن الكتابات الغربية. ولعل من هذه التأثيرات أن وسائل الإعلام العربية تطلق باستمرار على الحركات الإسلامية أو الإسلاميين مصطلح الأصوليين أو الأصولية الإسلامية أو المتشددين وكأن وسائل الإعلام العربية الإسلامية إنما هي مرآة تعكس ما تكتبه الصحف ووسائل الإعلام الغربية.

ويمكننا أن نضيف إن ما قدمته السينما العربية لمحاربة الثوابت الإسلامية في الأسرة والأخلاق يتفوق بمئات المرات ما قدمته وسائل الإعلام الغربية فإن الأفلام الأمريكية مثلاً وبخاصة التي لا تترجم– قبل أن تظهر الشو تايم (Show Time)التي تعتز بأنها تستطيع أن تنقل إلينا الفكرة والصورة معاً واستطاعت أن تتغلب على موضوع صعوبة قراءة الترجمة– لا يعد شيئاً مذكوراً مقابل ما قدمته السينما العربية أو وسائل

الإعلام العربية الإسلامية من تشويه حقيقة الإسلام ومسلماته. ومن الموضوعات الأثيرة في وسائل الإعلام هذه موقف الإسلام من المرأة أو حقوقها، وكذلك قضية الإسلام والسياسة والعلمنة.

إننا بحاجة إلى أن نعرف الاستشراق القديم وكذلك الدراسات العربية والإسلامية والدراسات الإقليمية أو دراسات المناطق الموجودة في الغرب في الوقت الحاضر، ونحن بحاجة أكثر إلى أن نعرف الغرب معرفة وثيقة حتى نستطيع أن نحافظ على هويتنا في وجه التيارات الفكرية التي تستطيع وسائل الإعلام الغربية نشرها بما لديها من أجهزة قوية وإمكانات ضخمة.

فلعلنا في المستقبل لا تتوقف جهودنا على حضور المؤتمرات والندوات التي تعقد للحديث عن العالم العربي والإسلامي وقضاياه بل نشارك معهم في مؤتمراتهم وندواتهم التي تخص المجتمعات الغربية فنقدم لهم الاقتراحات والحلول فنكون بذلك قد انتقلنا إلى مرحلة جديدة في نقل الإسلام من الوضع الدفاعي إلى الوضع الذي جاء من أجله الإسلام (ليخرج الله به من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد الأحد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.) فهل نحن فاعلون والحمد لله رب العالمين

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الفهرس العام

#الإسلام وتضليل الاستشراق 2
#الجهاد بين عقيدة المسلمين وشبه المستشرقين 8
#بل ظاهرة أصيلة عامة.. 23
#المستشرق المجري الدكتور روبرت سيمون 26
#المستشرق النمساوي محمد أسد (ليو بولد فايس) كما لا يعرفه الكثيرون 29
#من الاستشراق إلى الدراسات الإسلامية 64
#البعد التوراتي الصهيوني لحملات الاستشراق نحو فلسطين........................ 73
#الإعلام والاستشراق.. 78
#الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم 82
#الاستشراق علم غريب أم استعمار جديد 87
#الاستشراق اليهودي وهواجس الرعب... 95
#الاستشراق الجديد 101
#الاستشراق البوسنوي: دراسة الذات البوسنية....................................... 106
#هولندا تبدأ الاستشراق الجديد 109
#موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية....................................... 114
#مقدمة حول الاستشراق والمستشرقين... 132
#المنهج الاستشراقي عند المتغربين فكرياً.. 135
#تفكيك مقولات الاستشراق 139
#الفكر الاستشراقي وأثره على الدعوة... 144
#الغرب والإسلام.. قراءات في رؤى ما بعد الاستشراق 148
#الحروب الصليبية ومناهج الاستشراق.. 152
#التراث والاستشراق 157
#الاستشراق 159

التربية الجهادية 169
الطاعنون في السنة قديماً وحديثاً 308
الغزو الفكري وآثاره على الأفراد والمجتمعات 1 / 2 314
مناهضة الفكر الاستشراقي... 322
الفكر الاستشراقي.. وأثره على الدعوة 325
الاستشراق والإسلام بين الموضوعية والتزييف.. 330
الاستشراق والإسلام بين الموضوعية والتزييف.. 337
تطور مدارس الاستشراق الألماني في القرن العشرين 343
في دائرة الضوء 349
البيان الأدبي 356
الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري 361
الاستشراق... 364
كيف دخل اليهود من بوابة الاستشراق ؟.. 373
#الثقافة الإسلامية في عصر العولمة(2-1)... 381
#في ثقافة الديموقراطية.. 393
#موقف الغرب من الإسلام 398
#صراع الحضارات أكذوبة غربية.. 401
الإستشراق والإعجاز في القرآن الكريم[2/1] 406
الإستشراق والإعجاز في القرآن الكريم[2/2] 420
#مرتكزات الأمن الفكري الإسلامي 430
#الغزو الفكري... 435
#وباء العنصرية واضطهاد المسلمين في هولندا... 437
العولمة وأثرها على الهوية[2/1] 442
العولمة وأثرها على الهوية[2/2] 460
صورة المسلمين والعرب في العالم2/1.. 472
#لقاء الشيخ سلمان العودة مع موقع الساخر الإلكتروني................................... 495

#السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام 530
#الاستشراق الجديد 533
#علماء الإسلام يطالبون الغرب بفض الاشتباك بين الإرهاب والمقاومة 539
رداً على ما جاء في بيان المثقفين الأمريكان :................................ 543
#ماذا قال فوكوياما آنفا؟.. 594
#صورة الإسلام في الغرب 605
#بعد الحادي عشر من سبتمبر: 615
هل دخل العالم عهد الاستعمار الجديد؟ 615
الإسلام وأسطورة المجابهة 620
#موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية 626
#فلسفة التاريخ في خدمة الحرب 627
#رؤى وسياسات في الإعلام يحتاجها اليوم كل إنسان 632
#الانبعاث الحضاري الإسلامي ومستقبل العالم 638
#جامعاتنا والتصنيف .. ربّ ضارة نافعة... 649
#الإسلام الفرنسي المُتخيّل 654
#الهلع الفرنسي من الحجاب... لماذا ؟... 664
#أمريكا والإصلاح السياسي العربي 669
#نحو تأصيل التخطيط العمراني 672
#الزنداني: هذه وصاية على سكان الأرض 676
#البديل الإسلامي في مجال الإعلام... 679
الأمة بين سنتي الابتلاء والعمل (5/1) 693
#لأمة بين سنتي الإبتلاء والعمل [5/2]... 714
الأمة بين سنتي الإبتلاء والعمل [5/3].. 723
الأمة بين سنتي الإبتلاء والعمل [5/4].. 726
الأمة بين سنتي الإبتلاء والعمل [5/5].. 728
#متوالية السقوط الكبير للمحافظين الجدد... 739

#د. مازن مطبقاني : هذه حقيقة الفاتيكان..742
#الأسلمة في الغرب واختراق الخارطة الأوروبية بالقوة الذاتية..!!..............752
زنجبار .. وجع في قلب العالم الإسلامي...756
#"تطويع الثقافة" العربية أم تثويرها! 761
#"العلمانيّة الأدبيّة" ضرورة أم اختراق ثقافيّ؟ 764
#الاستشراق ليس شراً كله على الإسلام...769
هذه صورة للعولمة...774
#برنارد لويس ... وصهينة الدراسات الاستشراقيّة 781
#الذاكرة التاريخية تحمي الأمة من الانهيار 785
#ما بعد الجماعات 794
صورة المسلمين والعرب في العالم2/2..803
#قراءة في كتاب (مقدمات الاستتباع) (2/2).......................................835
#واقع المسلمين هو أكبر 'حاجز' بين الإسلام والغرب !! 848
#حول قداسة الحكّام في تاريخنا..861
#إهانة الإسلام في نمو مطرّد! 870
#لماذا المنهج؟ (1 . 2)...874
التحديات التي تواجهها الثقافة الإسلامية 884
صناعة الكراهية بين الثقافات..893
صناعة الكراهية بين الثقافات..902
#لماذا يزهد العرب في معرفة إسرائيل؟...916
#سلمان رشدي .. من صنع هذه الظاهرة ؟..919
#بواكير الاستشراق والنقل المعرفي الى الغرب.......................................921
#حوار الحضارات... لماذا؟ 925
#حتى لا تفرض علينا التهم..929
#اشراقات الثقافة الاسلامية على نصارى الاندلس 931
#تعريف الاستشراق > 934

#نشأة الاستشراق > 939
#وسائل الاستشراق >... 941
أهداف الاستشراق > 949
#مناهج الاستشراق >... 955
أساليب الاستشراق >... 959
#آثار الاستشراق > 960
#الظاهرة الاستشراقية([1]) 968
#حقيقة نهاية الاستشراق > 994
أزمة الاستشراق >... 1001
السعودية والاستشراق > 1021
مدارس الاستشراق > المدرسة الإيطالية >.................................... 1038
مدارس الاستشراق > المدرسة الهولندية >.................................... 1039
مدارس الاستشراق > المدرسة الفرنسية >..................................... 1042
مدارس الاستشراق > المدرسة الإنجليزية >.................................. 1046
مدارس الاستشراق > المدرسة الأمريكية >.................................... 1053
ظاهرة الاستشراق الإعلامي > 1069
#الاهتمام بالحركات الإسلامية "الأصولية" >.................................... 1075
#الاستشراق الأمريكي .. طبيعته وخلفياته > 1082
مدارس الاستشراق > المدرسة الألمانية >.................................... 1103
مدارس الاستشراق > المدرسة الإسبانية > 1107
مدارس الاستشراق > المدرسة الروسية > 1109
مدارس الاستشراق > دول أوروبا الأخرى > 1111
مدارس الاستشراق > في العالم الإسلامي >.................................. 1112
مدارس الاستشراق > طبقات المستشرقين > 1114
المؤتمرات > المؤتمرات > 1160
#نموذجان للمؤتمرات العلمية في العالم العربي 1161

#المؤتمرات الاستشراقية الحديثة حول الإسلام والمسلمين([1]) 1169

#نظرة إلى المؤتمرات في بلادنا > 1208

#ندوة صحيفة عكاظ حول الاستشراق(*) 1209

#ندوة الحج والإعلام بجامعة أم القرى > 1215

#قراءة ثقافية في تاريخ دورات الجنادرية"[1]" 1220

المهرجان 12- الإسلام والغرب > 1225

#المهرجان السابع عشر: الإسلام والشرق 1233

#لمؤتمر العالمي الأول حول الإسلام والقرن الواحد والعشرين 1237

#مؤتمر عالمي حول الإسلام في هولندا 1249

تقرير عن المؤتمر الدولي الاستشراق والدراسات الإسلامية.................. 1257

الاستشراق والإسلام > القرآن الكريم >.. 1263

الاستشراق والإسلام > الاستشراق والحديث >................................... 1337

الاستشراق والإسلام > المستشرقون والفقه >.................................. 1340

الاستشراق والإسلام > الاستشراق والسيرة النبوية > 1342

الاستشراق والإسلام > الاستشراق والتاريخ الإسلامي > 1343

الاستشراق والإسلام > الاستشراق والأدب العربي >........................... 1345

#القضايا المعاصرة >... 1384

#منهج المستشرق برناردلويس 1397

#دراسة نقدية لكتاب 1409

#التبشير في العالم الإسلامي.. 1411

#منهج المستشرقين في دراسة النظم الاجتماعية 1424

#الأخطاء العقدية في دائرة المعارف الإسلامية.................................... 1431

#السلطان محمود الغزنوي... 1441

#الاستشراق الفرنسي وموقفه من تاريخعهد النبوة................................. 1455

#موقف المستشرق "سيدو" من السيرة النبوية....................................... 1464

#مصادر الدراسة حول الاستشراق والمستشرقين في اللغة العربية 1471

الإسلام و الغرب > الشكر لمراسل التلفزيون الكندي >...................... 1496

الإسلام و الغرب > أوروبا والإسلام > 1498

الإسلام و الغرب > إرادة التحدي في مواجهة عداء الغرب > 1500

الإسلام و الغرب > من يمزّق الصحيفة ومتى؟ >............................ 1502

الإسلام و الغرب > يطلبون السلام ويستعدون للحرب >.................... 1504

الإسلام و الغرب > الغرب تهديد للإسلام > 1505

الإسلام و الغرب > السينما الأمريكية تعادي المسلمين >................... 1512

الإسلام و الغرب > أهكذا يكون رد الجميل يا فرنسا؟! > 1516

الإسلام و الغرب > الغرب يخوض حرباً ضد عدو اسمه الإسلام بعد أن قضى على الشيوعية >.. 1518

الإسلام و الغرب > مستشرقة كندية منصفة >................................ 1528

الإسلام و الغرب > كارثة فكرية >.. 1530

الإسلام و الغرب > صحيفة المدينة والتسامح الديني > 1534

الإسلام و الغرب > عداء الغرب للإسلام والمسلمين ليس وهماً >......... 1537

الإسلام و الغرب > وماذا عن اعتذار الأوروبيين لنا؟ > 1543

الإسلام و الغرب > أما المسلمون فلا بواكي لهم >.......................... 1545

الإسلام و الغرب > الاستشراق يهتم بمن يحارب الإسلام >................ 1547

الإسلام و الغرب > كوسوفا والرأي السديد >.................................. 1549

الإسلام و الغرب > خطتهم الخمسية وخطتنا > 1551

الإسلام و الغرب > نظرات إيجابية إلى الإسلام >........................... 1553

الإسلام و الغرب > إذاعة لندن والاستشراق الجديد > 1556

الإسلام و الغرب > مازالوا يفخرون بالحروب الصليبية >................... 1558

الإسلام و الغرب > جيش أسامة بن زيد وكارثة أكلاهما >................. 1560

الإسلام و الغرب > هذه فرنسا العداء للإسلام (رؤية من الداخل) >...... 1562

الإسلام و الغرب > موقف الأوروبيين النصارى من قضايا المسلمين >.. 1564

الإسلام و الغرب > أسباب العداء للإسلام > 1567

// الإسلام و الغرب > كتاب فرنسي يعادي المسلمين >........................ 1569
// الإسلام و الغرب > الحركة الإسلامية في نظر الغرب >.................. 1571
// الاستغراب > الاستغراب > 1573
//معرفة الآخر في ضوء الكتاب والسنة.. 1574
//مصطلح الاستغراب > 1581
//دعوة لدراسة الغرب >.. 1583
// كيف ندرس الغرب؟ >.. 1600
//نماذج من دراستنا للغرب > 1603
//الرد على منتقدي دراسة الغرب >.. 1661
//اشراقات الثقافة الاسلامية على نصارى الاندلس 1666
//العلاقات بين المسلمين والنصارى... 1669
//الاسلام من منظار هؤلاء 1671
//مع المستشرق الفرنسي هنري كاستري في كتابه " 1676
الاسلام, خواطر وسوانح "... 1676
//توماس كارلايل : محمد شهاب أضاء العالم أجمع 1678
//اللورد هدلي يستعرض صورة الدين الحنيف 1680
//عشرة غربيين يرون الاسلام.. 1682
//نظرة الغربيين للاسلام... 1687
//شبهتان في المنهج الاستشراقي لدراسة القرآن الكريم 1688
//ثغرات منهجية في كتاب المستشرق مونتغمري وات عند الرسول الاكرم (ص)
.... 1692
//الإسلام لمن لا يعرفوه... 1693
//ايريس صفوت الألمانية بعد إسلامها:.. 1698
وجدت في الإسلام تكريما افتقدته في الغرب 1698
//نظرية العمل والقيمة بين ابن خلدون وماركس 1701
//ثلاثة نماذج للتعاطي مع الآخر العربي 1705

#المؤسسة الثقافية الاسلامية في جنيف.. 1709
#كيف نتعامل مع التطرف الديني؟ 1710
#نقطة التحول عند المثقفين العرب في النظرة للغرب والاستشراق 1716
متى ينشأ علم الاستغراب؟ 1721
#الاستشراق ومكانته بين المذاهب الفكرية المعاصرة.............................. 1725
المبحث الأول–الاستشراق والغزو الفكري والاتجاهات الفكرية المعاصرة .. 1728
المبحث الثاني –مكانة دراسة الاستشراق في العصر الحاضر 1733